

تفريغ

# شرح كتاب المنة

## شرح إعتقاد أهل السنة

شرح فضيلة الشيخ

ياسر برهامي

إعداد فريق عمل موقع طريق السلف

١- مقدمة

1- أهمية الإيمان كما بينه عليه الصلاة والسلام

بإذن الله تبارك وتعالى سوف نبدأ في المرة القادمة في شرح أصول أهل السنة والجماعة من كتاب المنة ، قبل أن نبدأ فنحن نود أن نذكر مقدمة في أهمية دراسة الإيمان أو قل أهمية الإيمان كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم .  
دراسة التوحيد والعقيدة وتطبيق ذلك عملياً مر عبر التاريخ بمراحل مختلفة حتى صار طريق القرآن والسنة طريقاً مهجوراً إلا من رحم الله سبحانه وتعالى من عبادة المؤمنين السائرين عليه .

نشبه أمر الإيمان وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله بالقصر العظيم المنيف الذي من دخله وجد فيه أنواع السعادة والراحة كلها وقد عدا على هذا القصر الأعداء ورموه بأنواع من الحجارة وأنواع من الأشياء التي يريدون هدم هذا القصر بها وقد هدموه في نفوس الكثيرين وبقيت بعض المعالم في نفوس البعض وعبر الزمان تعرض هذا القصر بأنواع من المحجمات فكانت فرق البدع والضلال في الحقيقة هي امتداد لعقائد المشركين والملل المنحرفة الأخرى والمنافقون هم الذين ترأسوا هذه الفرق محاولة لإفساد الدين كما أفسدوا قبل ذلك ما جاء به الأنبياء من دين موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فكان ما وقع من أنواع الانحراف في الاعتقاد الأول انحراف الخوارج وغلوهم في مسائل الإيمان ثم بعد ذلك انحراف التشيع والغلو في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي وقع في أواخر عصر الخلافة الراشدة وحرقت علي رضي الله عنه هؤلاء الغلاة الذين ألوهوه وقالوا عنه أنه هو الله ، ثم بعد ذلك بدع التجهم بدعة الجهمية في نفي الأسماء والصفات ثم بعد ذلك أو معه بدع نفي القدر وبدعة الإرجاء وأنواع من البدع أدت إلى هدم هذا القصر في نفوس الكثيرين من الناس وكان لا بد في كل زمن من وجود معالم تحدد حدود هذا القصر الذي بناه الأنبياء على سبيل المثال أعني ، كان لا بد من وجود هذه المعالم ليتمكن كل مؤمن أن يبي قصره الداخلي في حدود هذه المعالم ، ولابد من التمييز بين ما كان من لبنات القصر الأولى التي وضعت على أوصله وقواعده التي أسسها الأنبياء وبين الأحجار التي قصد بها هدم القصر وصار كومة لدى كثير من المنتسبين للإسلام ، كومة من الأحجار عبارة عن لبنات من البناء الأول وعبارة عن أحجار كانت معاود هدم وكانت أسباب هدم لهذا القصر فكان تحديد معالم عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل المختلفة منذ أن انحراف أهل البدع كان هو مثل ترسيم الحدود ووضع الأسس التي يبنى عليها البناء .

كان من أخطر ما تعرضت له دراسة العقيدة والتوحيد المنهج المختلف والطريقة المختلفة في تناول أمور الغيب وأمور الإيمان المخالف لطريقة الكتاب والسنة أعني بذلك دخول الفلسفة وعلم الكلام فإنه مازال له الأثر الخطير إلى يومنا هذا ، وكما ذكرنا كان لا بد من تحديد المعالم وكل زمن يظهر فيه نوع من الانحراف ينص أهل السنة على مسائل بعينها يظهر بها حدود البناء الذي يحتاج كل واحد منا أن يبنيه لنفسه ، تحديد هذه المعالم قد تزداد زمن بعد زمن ، أعني كان في الزمن الأول هناك من يخالف في مسائل الإيمان فأصبحت مسائل الإيمان والكفر من أهم المسائل التي ينص عليها ويبين أن مرتبك الكبيرة ليس بكافر وأنه لا يخلد في النار وأن الإيمان يزيد وينقص ونحو ذلك مع أن أصول الإيمان الستة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الذي هو مثل فهرس الكتاب الذي جمع فيه معالم الدين يجب أن يضع كل منا نصب عينيه هذه الستة وكما ذكرنا حدود المعالم التي هي نابعة من الستة ولكن أبرزت وبينت لما ظهر أهل البدع المخالفون لما ظهر من يخالف في علو الله على عرشه صار مسألة العلو والفوقية أحد المسائل التي صنف في التوحيد قديماً تقتصر غالباً على هذه المسائل ، أعني التي تعرضت لهجوم من أهل البدع واختلط فيه الأمر لدى الكثيرين من المنتسبين للإسلام وكما ذكرنا كل زمن كان يحصل فيه بعض المسائل ، عندما ظهرت مثلاً في عصر المعتزلة مسألة خلق القرآن صار ينص في عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق مع أن هذا لم يكن في الزمن الأول ومن نقل عن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل هذه العبارة ولكنها مقتضى الدليل الثابت من الكتاب والسنة ومقتضى ما نقل عنهم في كتاب الله سبحانه وتعالى والبدع الخطيرة التي وقعت في ترك نصوص الكتاب والسنة والانشغال والفلسفة في علم الكلام في الحقيقة ميراث عقيدة أخرى وأمة أخرى غير أمة الإسلام وميراث من خالف أنبياء الله ورسله .

ومن الطرائف التي يتندر بها :

أن النصارى في زماننا يقر كبريهم بابا الفاتيكان بأن العقيدة التي يدينون بها هي مزج بين تعاليم المسيح وبين الفلسفة الإغريقية وهذا كلام واضح فعلاً يوقف به كل من ينظر في عقيدتهم ، ولم يقل العقيدة التي جاء بها المسيح فعلاً والله تعاليم المسيح ما عندهم من تعاليمه إلا وصايا وتهديب للنفس وأما العقيدة فأخذوها من مصدر آخر بالقطع واليقين وليس من كلام المسيح وهذا الذي وقع لأمتنا دخول الفلسفة الإغريقية مرة أخرى على يد الفلاسفة أولاً ثم المتكلمين الذين هذبوا الفلسفة وصبوها في قالب إسلامي مما أدى إلى وجود قدر عظيم من الانحراف ، أدى أن يقف أهل السنة موقفاً محمداً في مسائل بعينها ، كان من آخر ما تعرض للعدوان والهجوم من عقائد أهل الإيمان ما يتعلق بتوحيد الإلهية وما يتعلق بصرف العبادة لغير الله وذلك لأنها أعظم المسائل وضوحاً ولذا نجد في الكتب المتقدمة التي ألفت قبل عصور الانحطاط الشديد الذي شهد مولد الغلاة من عباد القبور بعد أن سيطر الرافضة والباطنية زمناً طويلاً على كثير من بلاد المسلمين حوالي ثلاثة قرون تقريباً للدولة الباطنية المسماة بالفاطمية أدت إلى أن يخترق الأعداء هذا الحاجز عند الكثيرين وصارت عبادة القبور والغلو فيها وعبادة الصالحين أمراً موجوداً كان يخشى منه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ويحذر منه صلى الله عليه وسلم وقع الإطراء في الأنبياء والصالحين الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم ولذا نجد في الكتب المتقدمة على هذا العصر إشارة إلى أهم قضايا التوحيد وهو توحيد الإلهية وترك الشرك بالله سبحانه وتعالى لأنها كانت مستقرة في ذلك العهد ، كما لم نجد في كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم مثلاً أن القرآن مخلوق ولم نجد لهم كلاماً في تخصيص بعض الصفات بالإثبات دون بعض أو بالكلام عليها دون بعض أو بدم التأويل والتحريف خصوصاً فكذلك وقع في العصور المتأخرة أكثر من ذلك فيما يتعلق بتوحيد الربوبية والإلهية ، كانت قضايا ثابتة لدى أهل الإيمان جميعاً مثل الرجوع إلى شرع الله عز وجل والالتزام بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبذ ما خالف ذلك من أحكام المجاهلية وكذلك قضية أن الإسلام هو وحده الدين الحق وأن ما سواه من الملل والأديان باطلة وهذه الأمور لها جذورها أعني هذه البدع المحدث في زماننا لها جذورها في الفرق الضالة قديماً ولكن لم تظهر بقوة ولم تطرح بقوة على أسماع المسلمين كما ظهرت في زماننا فاحتاج الأمر إلى مزيد من التحديد أعني مزيد من وضع المعالم وذلك دخلت قضايا توحيد الإلهية التي لم تكن تذكر في الكتب المتقدمة والتي يحرص البعض وله رأي ووجهته في ذلك على أن تكون هي علامة التوحيد أننا نرجع إلى دراسة ما كتبه المتقدمون ، نقول هذا أمر ينبغي أن يكون ولكن بشرط أن يضم إليه ما يحتاج إليه الناس ، لو تأملت مثلاً كتاب العقيدة الطحاوية وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الكتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجدد القرن الثاني عشر تعرض لكثير جداً من المسائل لم يتناولها مثلاً كتاب العقيدة الطحاوية ولا شرحه وكما ذكرت كان السبب في ذلك أن هذه البدع لم تكن ظهرت في العصر الأول فاحتاج الأمر إلى مزيد من التحديد والتوضيح وكما ذكرنا عندما اختلط المسلمون بأعدائهم اختلاطاً خطيراً جداً بعد احتلال الأعداء لمعظم بلاد المسلمين في عصور الاستعمار بل هو استخرا ب ومازالت أثارة تضر المسلمين جميعاً لما اختلطوا بعدوهم ظهرت مناهج هؤلاء الكفار في التحاكم وفي فرض قضية الولاء والبراء أعني قضية الموالاة على

غير الدين وفرض أن ملل الكفار ملل مقبولة وسائر أنواع المعاملات التي تدخل في حيز موالاة الكفار المنهي عنها دخلت في دائرة اهتمام أهل السنة وأصبحوا ينصون على ذلك وينبهون عليه مع أنك ربما لا تجد في كتب المتقدمين الذين تكلموا عن الأسماء والصفات والقضاء والقدر والإيمان والكفر وتكلموا عن الجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم لا تجدهم يكثرون الكلام على موالاة المشركين ولا على التحاكم لشرع الله حتى ظن البعض أن هذه ليست من قضايا التوحيد وليست من قضايا الإيمان كما ذكرنا جانب من القصر بل هو أعظم أجزائه وأهم أجزائه هدم لدى الكثيرين ممن ينتسبون إلى الإسلام فصار تحديد هذه المعالم أمراً لازماً بالإضافة إلى المعالم الأولى فإن أهل البدع فيها لم يأسوا خصوصاً أنهم بعد أن دحروا وغلبوا على أيدي أئمة السنة في الأزمنة المختلفة تدثروا بثياب آخر ولبسوا ملابس آخر وأسماء آخر لا تجد أحداً يكاد يقول أنه معتزلي ولكن تجد عقائد المعتزلة موجودة لدى الكثيرين ، لا تجد من يصرح بأنه من الخوارج لكن عقيدة الخوارج موجودة أما الشيعة فتجد الأمر أخطر من ذلك وهم يكادون الآن خطراً جاثماً أو أكبر الأخطار فيمن ينتسب إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله على أهل الإسلام بالإضافة إلى فرق الصوفية الغلاة ممن ترى في حضن التشيع وأخرج لنا هذا العدو أنواع من المخاطر الهائلة على الأمة الإسلامية لذلك كان لابد من تحديد المعالم في عصرنا وفيما قبل ذلك حتى نتحدد معالم القصر الذي نريد بناءه .

طريقة القرآن طريقة بناء عظيم لا يوجد لها مثل ، يختلط فيها الإيمان مع العمل مع الأحوال القلبية مع السيرة سيرة الأنبياء مع موقف تغير من داخل الإنسان ، تحديد المعالم اكتفى به البعض مع أن رسم الحدود ليس هو بناء القصر ، هناك مسئولية شخصية على كل إنسان في أن يبني قصر الإيمان في قلبه بناءً محكماً .

لا يدخل فيه الأحجار الغريبة التي ساعدت في هدم القصر ، العقائد الفاسدة ولو حجراً واحداً ساعد في يوم من الأيام في هدم جانب من جانب القصر في نفوس الكثيرين ، لا تقل هذا الحجر الغريب ولا تبني عليه الأساس ، ولكن لا تكتفي فقط بتحديد المعاني ، لا تكتفي فقط بأن تبين ما هو منهج أهل السنة وما هو منهج أهل البدعة ، كأن الكلام في التوحيد أصبح هو قضية الكلام على البدعة والتحذير من البدع والشركيات ، هذا جانب التطهير وجانب النقاء ، لكن هناك جانب إيجابي وجانب نفسي وجانب أن تنفي الباطل ، لكن لابد من الجانب الإيجابي وهذا لا يؤخذ إلى من طريقة القرآن ، فنقول طريقة القرآن تختلف عن مجرد وضع حدود ومعالم البناء ، لابد أن يبني البناء ، ولا بد ألا تكتفي بمجرد تحديد الانحرافات المخالفة لعقيدة التوحيد ولأصول الإيمان التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم ، لابد أن نبني بداخلنا حقائق الإيمان في كل أصل من هذه الأصول ، وهذا الذي نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا له من خلال شرحنا لهذا الكتاب الذي نريد أن نزيد فيه أو نتمم في هذه المرة من الشرح وإن كان قد سبق شرحه قبل ذلك ، لكن نريد أن نتمم في هذه المرة بمعاني الإيمان التي تتأثر به القلوب وليس فقط أن نحدد المعالم التي يبني عليها البناء ، معالم البناء هي القضايا المحددة التي تميز طريق أهل السنة وأهل الإيمان عن أهل الضلال والكفر والبدع عبر العصور .

كما ذكرنا معالم سابقة بالإضافة إلى معالم التي تأخر الهجوم عليها حتى اندثرت عند الكثيرين في العصر الحديث أكثر من غيره .

نقول : لابد أن نتمم أعظم الاهتمام بطريقة القرآن ، نقف عند الآيات ونعبد الله سبحانه وتعالى بمقتضى هذه الآيات وما تدل عليه من معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته ومحبة رسله الكرام والتشبه بصفاتهم ومحبة كتابه الذي أنزله سبحانه وتعالى ومعرفة قدر هذا الكتاب ، وقد تضمن ما تضمنته الكتب المتقدمة ، تفصيل الكتاب ، ما في الكتب المتقدمة من حقائق الإيمان قد جمعه القرآن وزاد عليه أضعافاً ويعرف ذلك كل من وقع في يده شيء أو اطلع على شيء من الكتب المتقدمة ، حقائق الإيمان فيها فيها أشياء من الحق كثيرة ، بل عقيدة التوحيد بارزة فيها وظاهرة بروزاً بيناً ، لكن القرآن قد جمع ذلك وفصله أعظم تفصيل ، وبينه كما ذكرنا من خلال أنواع الأدلة المختلفة في مناقشة المشركين في بيان حججهم وإبطال هذه الحجج ، وفي بيان سيرة الأنبياء ومواقفهم العظيمة ، فيحصل للإنسان من خلال دراسة آيات القرآن ، تحصل له العقيدة الصحيحة والرد على البدع والضلالات ويحصل له تحصيل الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر ، كل ذلك مرتبطاً ببعضه ببعض ، ومرتبطة بالعبادة ، لذلك حقائق الإيمان إنما تحصل من خلال العبادات ومن خلال الإسلام الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحصل من خلال ذلك تهذيب النفس ، وتحصل مرتبة الإحسان التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك من خلال آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، والكتب المتقدمة فيها أقوال منقولة عن الأنبياء ، ولكن ليس فيها كل ما نقل عن الأنبياء ، وكما ذكرنا أن القرآن يتضمن كل ما يحتاجه الناس من أمور الإيمان ، وهو زيادة على ما في الكتب المتقدمة أضعافاً مضاعفة ، ما فيها من حق قد ضمه القرآن لذا يستغنى به عن غيره ، ولا يستغنى بغيره عنه أبداً ، لذلك نقول أن من أكبر الجنايات على الإسلام وأهله هو الانحراف في منهج التلقي وجعل طريقة الفلاسفة ومتكلمي المنتسبين للإسلام هي الطريقة التي تتناول بها العقيدة . وماتزال في كثير جداً من المعاهد الإسلامية في البلاد المختلفة تتناول العقيدة على طريقة علم الكلام وعلى تعريف الجوهر والعرض وعلى الكلام على واجب الوجود ومنكر الوجود ومستحيل الوجود ، ونحو ذلك من الاصطلاحات التي يعلم كل ناظر في القرآن أن القرآن بعيد عنها وأن دعوة الأنبياء تختلف عن هذه الطريقة ، لذلك نريد أن نركز في شرحنا الجديد على بناء الإيمان في النفوس ، فكل منا له دور ونحن إنما نفتتح أو نعطي مفاتيح الأبواب ، من مجرد أنك أخذت المفتاح وقد يكون البعض أنه أخذه قبل ذلك لا يظن أنه قد حصل المطلوب ، والغرض أن يكون ذلك في صورة متوسطة بين الاختصار والإطناب ، على أن يتبع ذلك إن شاء الله تبارك وتعالى مزيد من البناء الداخلي من خلال العبادة من خلال الإسلام من خلال الصلاة ، الصيام ، الحج والعمرة ، ومن خلال مراقبة الله عز وجل والإخلاص له سبحانه وتعالى لتنمو شجرة الإيمان في قلوبنا لأن هذا هو مفتاح كل تغيير وإصلاح مراد لأمة الإسلام .

لا شك أن أعداء الإسلام عرفوا أن قوتها في عقيدتها ومنهجها وأنه مهما كان الضعف المادي الذي يحصل لأهل الإسلام إلا أن دعوة الحق فيها لا تموت ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة ) فعرفوا ذلك وعلموا أن الحل البديل في التخلص من هذا الدين وهم لا نشك في أنهم لا يريدون التخلص من الإسلام مع بأسهم أن ينتهوا من اسمه أو يتخلصوا من وجوده كدين قائم ، لكن خطتهم ومكرهم في أن يحرقوا هذا الدين من داخله .

ولذا نجد التحالف والمشيبه والمعلن والمستتر بينهم وبين أهل البدع ، وتعاون أكيد ضد أهل السنة وضد أهل الحق ، ولا يقبلون التنازل ولو كانوا من أضعف الضعفاء من جهة القوة المادية ، وهذا أمر مشهود معلوم في كل أجزاء العالم الإسلامي وفي كل أرجاءه ، ولذلك كان التمسك بالمنهج أهل الحق ونشره هو جهاد ولا بد أن يكونوا بالقرآن ، كما قال الله عز وجل ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً ﴾ فهذا جهاد بلا شك ، في أن تعاد طريقة القرآن وأن لا يطاع الكافرون في ترك هذا القرآن العظيم .

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا من خلال هذه الدروس في بيان طريقة القرآن والمنهج الرباني في بناء الإيمان في نفوسنا

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإسلام والإيمان والإحسان وأن يجعلنا من عباده المخلصين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## 2- تنبيهات على المقدمة

يأذن الله تبارك وتعالى سوف نبدأ في المرة القادمة في شرح أصول أهل السنة والجماعة من كتاب الملة ، قبل أن نبدأ فنحن نود أن نذكر مقدمة في أهمية دراسة الإيمان أو قل أهمية الإيمان كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم .

• دراسة التوحيد والعقيدة وتطبيق ذلك عملياً مرَّ عبر التاريخ بمراحل مختلفة حتى صار طريق القرآن والسنة طريقاً مهجوراً إلا من رحم الله سبحانه وتعالى من عباده المؤمنين السائرين عليه ،

• نشبه أمر الإيمان وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله بالقصر العظيم المنيف الذي من دخله وجد فيه أنواع السعادة والراحة كلها وقد عدا على هذا القصر الأعداء ورموه بأنواع من الحجارة وأنواع من الأشياء التي يريدون هدم هذا القصر بما وقد هدموه في نفوس الكثيرين وبقيت بعض المعالم في نفوس البعض وعبر الزمان تعرض هذا القصر بأنواع من الهجمات فكانت فرق البدع والضلال في الحقيقة هي امتداد لعقائد المشركين والملل النحرفة الأخرى والمنافقون هم الذين ترأسوا هذه الفرق محاولة لإفساد الدين كما أفسدوا قبل ذلك ما جاء به الأنبياء من دين موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فكان ما وقع من أنواع الانحراف في الاعتقاد الأول انحراف الخوارج وغلوهم في مسائل الإيمان ثم بعد ذلك انحراف التشيع والغلو في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي وقع في أواخر عصر الخلافة الراشدة وحرق علي رضي الله عنه هؤلاء الغلاة الذين ألوهو وقالوا عنه أنه هو الله ، ثم بعد ذلك بدع التجهم بدعة الجهمية في نفي الأسماء والصفات ثم بعد ذلك أو معه بدع نفي القدر وبدعة الإرجاء وأنواع من البدع أدت إلى هدم هذا القصر في نفوس الكثيرين من الناس وكان لابد في كل زمن من وجود معالم تحدد حدود هذا القصر الذي بناه الأنبياء على سبيل المثال أعني ، كان لابد من وجود هذه المعالم ليتمكن كل مؤمن أن يبني قصره الداخلي في حدود هذه المعالم ، ولابد من التمييز بين ما كان من لبنات القصر الأولى التي وضعت على أوصله وقواعده التي أسسها الأنبياء وبين الاحجار التي قصد بها هدم القصر وصار كومة لدى كثير من المنتسبين للإسلام ، كومة من الأحجار عبارة عن لبنات من البناء الأول وعبارة عن أحجار كانت معاول هدم وكانت أسباب هدم لهذا القصر فكان تحديد معالم عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل المختلفة منذ أن انحرف أهل البدع كان هو مثل ترسيم الحدود ووضع الأسس التي يبني عليها البناء .

• كان من أخطر ما تعرضت له دراسة العقيدة والتوحيد المنهج المختلف والطريقة المختلفة في تناول أمور الغيب وأمور الإيمان المخالف لطريقة الكتاب والسنة أعني بذلك دخول الفلسفة وعلم الكلام فإنه مازال له الأثر الخطير إلى يومنا هذا ، وكما ذكرنا كان لابد من تحديد المعالم وكل زمن يظهر فيه نوع من الانحراف ينص أهل السنة على مسائل بعينها يظهر بها حدود البناء الذي يحتاج كل واحد منا أن يبنيه لنفسه ، تحديد هذه المعالم قد تزداد زمن بعد زمن ، أعني كان في الزمن الأول هناك من يخالف في مسائل الإيمان فأصبحت مسائل الإيمان والكفر من أهم المسائل التي ينص عليها ويبين أن مرتبك الكبيرة ليس بكافر وأنه لا يخلد في النار وأن الإيمان يزيد وينقص ونحو ذلك مع أن أصول الإيمان الستة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الذي هو مثل فهرس الكتاب الذي جمع فيه معالم الدين يجب أن يضع كل منا نصب عينيه هذه الستة وكما ذكرنا حدود المعالم التي هي نابعة من الستة ولكن أبرزت وبينت لما ظهر أهل البدع المخالفون لما ظهر من يخالف في علو الله على عرشه صار مسألة العلو والفوقية أحد المسائل التي صنف في التوحيد قديماً تقتصر غالباً على هذه المسائل ، أعني التي تعرضت لهجوم من أهل البدع واختلط فيه الأمر لدى الكثيرين من المنتسبين للإسلام وكما ذكرنا كل زمن كان يحصل فيه بعض المسائل ، عندما ظهرت مثلاً في عصر المعتزلة مسألة خلق القرآن صار ينص في عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق مع أن هذا لم يكن في الزمن الأول ومن نقل عن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل هذه العبارة ولكنها مقتضى الدليل الثابت من الكتاب والسنة ومقتضى ما نقل عنهم في كتاب الله سبحانه وتعالى والبدع الخطيرة التي وقعت في ترك نصوص الكتاب والسنة والانشغال والفلسفة في علم الكلام في الحقيقة ميراث عقيدة أخرى وأمة أخرى غير أمة الإسلام وميراث من خالف أنبياء الله ورسله .

ومن الطوائف التي يتندر بها :

أن النصراني في زماننا يقر كبريهم بابا الفاتيكان بأن العقيدة التي يدينون بها هي مزج بين تعاليم المسيح وبين الفلسفة الإغريقية وهذا كلام واضح فعلاً يوقن به كل من ينظر في عقيدتهم ، ولم يقل العقيدة التي جاء بها المسيح وفعلاً والله تعاليم المسيح ما عندهم من تعاليمه إلا وصايا وتهذيب للنفس وأما العقيدة فأخذوها من مصدر آخر بالقطع واليقين وليس من كلام المسيح وهذا الذي وقع لأمتنا دخول الفلسفة الإغريقية مرة أخرى على يد الفلاسفة أولاً ثم المتكلمين الذين هذبوا الفلسفة وصبوها في قالب إسلامي مما أدى إلى وجود قدر عظيم من الانحراف ، أدى أن يقف أهل السنة موقفاً محدداً في مسائل بعينها ، كان من آخر ما تعرض للعدوان والهجوم من عقائد أهل الإيمان ما يتعلق بتوحيد الإلهية وما يتعلق بصرف العبادة لغير الله وذلك لأنها أعظم المسائل وضوحاً ولذا نجد في الكتب المتقدمة التي ألفت قبل عصور الانحطاط الشديد الذي شهد مولد الغلاة من عباد القبور بعد أن سيطر الرافضة والباطنية زمناً طويلاً على كثير من بلاد المسلمين حوالي ثلاثة قرون تقريباً للدولة الباطنية المسماة بالفاطمية أدت إلى أن يخترق الأعداء هذا الحاجز عند الكثيرين وصارت عبادة القبور والغلو فيها وعبادة الصالحين أمراً موجوداً كان يخشى منه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ويجذر منه صلى الله عليه وسلم وقع الإطراء في الأنبياء والصالحين الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم ولذا نجد في الكتب المتقدمة على هذا العصر إشارة إلى أهم قضايا التوحيد وهو توحيد الإلهية وترك الشرك بالله سبحانه وتعالى لأنها كانت مستقرة في ذلك العهد ، كما لم نجد في كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم مثلاً أن القرآن مخلوق ولم نجد لهم كلاماً في تخصيص بعض الصفات بالإثبات دون بعض أو بالكلام عليها دون بعض أو بدم التأويل والتحريف خصوصاً فكذلك وقع في العصور المتأخرة أكثر من ذلك فيما يتعلق بتوحيد الربوبية والإلهية ، كانت قضايا ثابتة لدى أهل الإيمان جميعاً مثل الرجوع إلى شرع الله عز وجل والالتزام بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبد ما خالف ذلك من أحكام الجاهلية وكذلك قضية أن الإسلام هو وحده الدين الحق وأن ما سواه من الملل والأديان باطلة وهذه الأمور لها جذورها أعني هذه البدع المحدث في زماننا لها جذورها في الفرق الضالة قديماً ولكن لم تظهر بقوة ولم تطرح بقوة على أسماع المسلمين كما ظهرت في زماننا فاحتاج الأمر إلى مزيد من التحديد أعني مزيد من وضع المعالم وذلك دخلت قضايا توحيد الإلهية التي لم تكن تذكر في الكتب المتقدمة والتي يحرص البعض وله رأي ووجهته في ذلك على أن تكون هي علامة التوحيد أننا نرجع إلى دراسة ما كتبه المتقدمون ، نقول هذا أمر ينبغي أن يكون ولكن بشرط أن يضم إليه ما يحتاج إليه الناس ، لو تأملت مثلاً كتاب العقيدة الطحاوية وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الكتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجدد القرن الثاني عشر تعرض لكثير جداً من المسائل لم يتناولها مثلاً كتاب العقيدة الطحاوية ولا شرحه وكما ذكرت كان السبب في ذلك أن هذه البدع لم تكن ظهرت في العصر الأول فاحتاج الأمر إلى مزيد من التحديد والتوضيح وكما ذكرنا عندما اختلط المسلمون بأعدائهم اختلاطاً خطيراً جداً بعد احتلال الأعداء لمعظم بلاد المسلمين في عصور الاستعمار بل هو استخرا ب ومارالت أثارة تضر المسلمين جميعاً لما اختلطوا بعدوهم ظهرت مناهج هؤلاء الكفار في التحاكم وفي فرض قضية الولاء والبراء أعني قضية الموالاتة على غير الدين وفرض أن ملل الكفار ملل مقبولة وسائر أنواع المعاملات التي تدخل في حيز موالاتة الكفار المنهي عنها دخلت في دائرة اهتمام أهل السنة وأصبحوا ينصون على ذلك وينبهون عليه مع أنك ربما لا تجد في كتب المتقدمين الذين تكلموا عن الأسماء والصفات والقضاء والقدر والإيمان والكفر وتكلموا عن الجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم لا تجدهم يكثر الكلام على موالاتة المشركين ولا على التحاكم لشرع الله حتى ظن البعض أن هذه ليست من قضايا التوحيد وليست من قضايا الإيمان كما ذكرنا جانب من القصر بل هو أعظم أجزائه وأهم أجزائه هدم لدى الكثيرين ممن ينسبون إلى الإسلام فصار تحديد هذه المعالم أمراً لازماً بالإضافة إلى المعالم الأولى فإن أهل البدع فيها لم يأسوا خصوصاً أنهم بعد أن دحروا وغلبوا على أيدي أئمة السنة في الأزمنة المختلفة تدثروا بثياب آخر ولبسوا ملابس آخر وأسماء آخر لا تجد أحداً يكاد يقول أنه معتزلي ولكن تجد عقائد المعتزلة موجودة لدى الكثيرين ، لا تجد من يصرح بأنه من الخوارج لكن عقيدة الخوارج موجودة أما الشيعة فتجد الأمر أخطر من ذلك وهم يكادون الآن خطراً جاثماً أو أكبر الأخطار فيمن ينتسب إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله على أهل الإسلام بالإضافة إلى فرق الصوفية الغلاة ممن تربى في حضن التشيع وأخرج لنا هذا العدو أنواع من المخاطر الهائلة على الأمة الإسلامية لذلك كان لابد من تحديد المعالم في عصرنا وفيما قبل ذلك حتى تحدد معالم القصر الذي نريد بناءه .

طريقة القرآن طريقة بناء عظيم لا يوجد لها مثيل ، يختلط فيها الإيمان مع العمل مع الأحوال القلبية مع السيرة سيرة الأنبياء مع مواقف تغير من داخل الإنسان ، تحديد المعالم اكتفى به البعض مع أن رسم الحدود ليس هو بناء القصر ، هناك مسئولية شخصية على كل إنسان في أن يبني قصر الإيمان في قلبه بناءً محكماً .

لا يدخل فيه الاحجار الغريبة التي ساعدت في هدم القصر ، العقائد الفاسدة ولو حجراً واحداً ساعد في يوم من الايام على هدم جانب من جوانب هذا القصر في نفوس الكثيرين لا تقبل هذا الحجر الغريب ولا تبني على غير الاساس ولكن لا تكتفي فقط بتحديد المعالم لا تكتفي فقط بأن تبين منهج أهل السنة ومنهج أهل البدع كأن الكلام في التوحيد أصبح هو قضية الكلام على البدع والتحذير من البدع والشركيات هذا جانب التطهير وجانب النقاء لكن هناك جانب إيجابي وهذا لا يأخذ إلا من طريقة القرآن

باقي الدرس لم تكتمل كتابته

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

هناك بعض التنبيهات في المقدمة في شرح منة الرحمن ، نذكر أنفسنا وإخواننا وأخواتنا بما ،

أولها أن المقصود من العلم هو إصلاح النفس وتركيتها وتحصيل زيادة الإيمان ، ليس فقط معرفة المسائل والقبيل والقال والشبهات والردود والمباهاة لما يحصل للإنسان من أنواع العلوم فإن هذا علم لا ينفع ، نسأل الله العافية ، وكذا قناعة الإنسان بنفسه أنه عالم أو متعلم يريد أن يسكن في نفسه تلك الحاجة ولا يهتم بتهديب النفس وإصلاحها ، هذا من أخطر الآفات التي تدخل علينا بسبب عدم تحصيل الإيمان قبل العلم ،

حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حذورة . يعني أوشكنا على البلوغ . فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازدردنا به إيماناً ) كلام عظيم الأهمية ، تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، تعلموا حب الله عز وجل والخوف منه وتعظيم أمره سبحانه وتعالى ، وتعلموا الإيمان باليوم الآخر وتعلموا حب النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء جميعاً وتعلموا حب الله سبحانه وتعالى وتعلموا حب الملائكة وتعلموا تعظيم الكتب المنزلة وهكذا ، تعلموا حب الجنة والنجاة من النار ثم نزل القرآن فتعلموا القرآن لأن القرآن إذا تليت آياته على المؤمنين زادتهم إيماناً ،

أما من يتعلم العلم قبل الإيمان يتعلم العلم وقلبه خاوي من حب الله فهذا على خطر عظيم يمكن أن يتداركه الله برحمته إذا أخلص الله عز وجل واجتهد في إصلاح قلبه ونيته لكن لا بد أن يعلم أن المطلوب من ذلك أيضاً هو الإيمان والمطلوب تحقيق الإيمان

نحن إنما ندرس التوحيد والعقيدة لكي نحقق الإيمان وليس لكي نعرف كيف نتكلم ، قال حذيفة رضي الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم الحديث تكملته أن الأمانة ترفع والأمانة هنا بمعنى الإيمان ، فتعلموا الإيمان ثم تعلموا الكتاب والسنة ، علموا من القرآن وعلموا من السنة فازدادوا إيماناً ،

الغرض المقصود الأول أن يزداد الإنسان إيماناً بمعرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ومعرفة أصول الدين وفرعه ليعمل بها المسلم وتزكو بها نفسه ،

من أخطر ما جني به على المسلمين أن أصبحت قضية العقيدة وقضية المنهج كلاماً يقال أو مسائل تعرف وتحفظ وردود وشبهات وأقوالاً وخلافاً بل وتحول الفقه إلى ذلك أيضاً وأصبحت المسائل المفرعة هي غاية المتأخرين ، مسائل تكون الغاية منها فقط أمور نظرية وكثير منها لا يعمل به مدى الحياة ، ولذلك ضربنا مثلاً مع أنه مثال العلم فيه والعلم به مطلوب لأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، مسألة القلة والكثرة في الماء ، نضرب مثلاً على مثال العلم والعمل والموازنة بينهما ، مسألة إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث مسألة كل من يدرس الفقه يتناول الحديث بالتصحيح أولاً والتضعيف والكلام على الرواة وقدر القلتين ومقدار القلة والكثرة واعتبار التأثير وعدم التأثير ، فنقول للإخوة عبر السنين التي عشتهاكم مرة أحتجت إلى تطبيق هذا الأمر ، كم أخ احتاج أن يبحث أن الماء الذي أمامه قلتين أو أكثر من قلتين أو أنها متغيرة أو ليست متغيرة بالنجاسة ، إن اختلط الماء بشيء من النجاسة ولم يغيره وأنت لا تدري أهو قلتين أو أكثر وما هو قدر القلتين ، كم أخ طبق هذا الحديث في حياته ، أنا أقصد أن العمل بهذا الحديث رغم أنه حديث صحيح أنه ليس للتحديد وأنه مبني على الأغلب وأنه الغالب على أنه إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث فلا مفهوم له وأننا لا نحتاج إلى أن نبحث على الأرجح أنه إذا أثرت فيه النجاسة كان نجساً وإذا لم تؤثر لم يكن نجساً رغم أن هذه مسألة مهمة ،

دبل هناك مسائل مفرعة أقل أهمية بكثير : مثل مسألة أكل الدود الميت أيفطر أم لا ويوجب القضاء أم لا ، أوجد أحد يأكل الدود الميت ؟ ، كثير من المسائل المفرعة التي نشأت بعد ذلك مثلاً نكاح امرأة ميتة في دبرها ماذا يوجب ؟ أوجب الحد أم لا ، فمثل هذه المسائل التي امتلئ بها كثير من كتب الفروع أدت إلى نوع من الخلل عند طلاب العلم وذلك أنهم شغلوا بخلاف نصوص الكتاب والسنة ،

نقول الأمر العملي الذي هو أهم من هذه الأمور والناس لا يادونه مثلاً حرمة الغيبة وحرمة النميمة فكمن من الناس يقع في الغيبة والنميمة كل يوم وهذا وسط الملتزمين فما بالك بغير الملتزمين والصراعات والنزاعات والحدود والحسد ، الأعمال القلبية والأمراض القلبية المحرمة والأعمال القلبية المهمة التي تترك ولا يهتم بها والتوازن في هذا هو الذي تميز به السلف رضوان الله عليهم وعدم التوازن في هذه الأمور هو الذي وصل به الحال وأدى إلى حال المتأخرين من عدم اكتمال الشخصية الإسلامية وحصول التفاوت في العلم والعمل وكما ذكرنا هذه بلا شك جناية على فهم الإنسان لدينه أن يهمل القضايا التي يحتاج إليها كل يوم وينبغي أن تكون حاضرة في قلبه على الدوام مثل قضية الخوف وحده دون من سواه أنه فعلاً يخاف من الله ولا يخاف في الله لومة لائم ومهما وقع في أمور تكرر لنا كل يوم وكل يوم نتعرض لمخاطر ويجد أنواع من مخاطر أعداء الله فهل قست حال الخوف في قلب عند وجود هذا الخطر وهل قلقت على أنك مثلاً وجدت خوفاً منهم وقلقاً منهم فضلاً أن تكون تركت واجباً أو فعلت محرماً بسبب الخوف من غير الله أو سبب التوكل على غير الله ،

قضية التوكل على الله قضية الأسباب ، وتعلق الإنسان بالأسباب هل يحاسب الواحد منا نفسه وهذا هو العقيدة الصحيحة { وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين } فالإيمان قرين التوكل ، والإنسان لما يظن أنه مطمئن لأن عنده مال يدخره أو عنده وظيفة يأخذ منها مرتب آخر الشهر ومطمئن لذلك ، وهو ليس حرام أن يكون عنده مال يدخره ولا حرام أن يكون عنده وظيفة يأخذ منها مرتب لكن تعلق قلبه بذلك فقضية التوكل وقضية التعلق بالسبب والتفاوت فيها من يشغل نفسه بها ومن يبحث على حال القلب الذي ينبغي أن



يكون الشغل الشاغل لنا ، كذلك من أعظم القضايا أهمية قضية التأثر بالأسماء والصفات ، وقبل أن نعدد الفرق المنحرفة في قضية الأسماء والصفات وانحرافات الضلال فيها نقول أعظم أهمية من ذلك أن يتعبد الإنسان بأسماء الله وصفاته وأن يؤدي حق كل اسم منها ويشهد آثار هذه الأسماء والصفات في الكون كما دل عليه القرآن فالقرآن يأخذ بقلبك إلى أن ترى آثار عزة الله وحكمته سبحانه وتعالى ورحمته عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم يرشد إلى ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى موقف من المواقف يرى امرأة من السبي ظلت تبحث عن طفلها ثم وجدت طفلها ثم ألصقته بصدورها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ( أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ فيقولون لا ، الله أرحم بعبادة من هذه بولدها ) أنظر إلى طريقة البيان والطريقة النبوية وقول الصحابة رضي الله عنهم لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ( فيتجلى لهم ربهم بضحك ) فقالوا لم نعدم من رب يضحك خيراً ، يجد جو آخر غير جو التأويل والتحريف وإرادة أن الضحك هو إرادة الثواب لأن الرب لا يجوز أن يوصف عز وجل بأنه يضحك لأن الضحك هو كذا وكذا وهو صفة نقص ، أنظر إلى طريقة القرآن وطريقة السنة سوف تجد أمراً يختلف ،

فقضية القعيدة هي قضية صلاح القلب في المقام الأول وقضية العلم كذلك فنقول أن هذه القضايا لا بد أن تكون حاضرة في قلب الإنسان على الدوام مثل الخوف من الله دون من سواه والتوكل على الله وحده دون من سواه والتعبد لله عز وجل بأسمائه وصفاته ،

والمناهج المخالف للسلف رضوان الله عليهم أدى بنا إلى أن نختهم بأمر ليست هي الأهم من الكتاب والسنة لذلك نقول نحن ندرس المسائل المهمة في أصول الإيمان ، ندرس هذه المسائل ولكن لا بد أن نعلم أن طريقة القرآن لا بد أن تملئ قلوبنا ولا بد أن نتمتع بقراءة القرآن مع التدبر في تفسير العقيدة الصحيحة ،

نضرب مثلاً آخر في قول الله سبحانه وتعالى { إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } انظر إلى طريقة القرآن التي تؤثر في القلب مباشرة ، مسألتان مهمتان جداً في هذه الآية مسألة العلو والاستواء ومسألة أن كلام الله غير مخلوق ، نقول أن هذا الكلام هل سيق لبيان الرد على من يقول بخلق القرآن ابتداءً ، والصحابة رضي الله عنهم لما فسروا هذه الآيات وهي فعلاً ضمن أدلة أن القرآن غير مخلوق لأنه قال { ألا له الخلق والأمر } أن الخلق غير الأمر والأمر هو الأمر الشرعي والأمر الكوني ، وكلام الله عز وجل القرآن من كلامه الشرعي فهو غير خلقه لكن ليس هذا هو الذي سيق من أجله الآيات إنما سيق الآيات لبيان توحيد الربوبية وشهود الربوبية { إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره } فالإنسان لما يتدبر في هذه المعاني وبعد ذلك يشهد أن الله له الخلق وله الأمر ويقول والله له الخلق والأمر وهو الذي تفرد بالخلق ، ولك أن تفكر وتقول اليهود أم النصارى أم المنافقين أم نحن الذين صنعنا السماوات والأرض أم تسخير الشمس والقمر أم جريان الليل بعد النهار والنهار بعد الليل يطلبه حثيثاً فالإنسان يجريان حول الكرة الأرضية أحد يصنع منهم شيء أو يصنع شيء أو يأمر بشيء من ذلك فيترب على أمره شيء ؟! أحد يقول للشمس تأخري اليوم ؟ بل لها ميعد محدد ، ونبي من الأنبياء دعا ربنا قال اللهم امسكنا علينا حتى تتأخر بأمر الله سبحانه وتعالى وشهود هذا الأمر رغم أننا ننظر كل يوم في أوقات الصلاة ونادر من ينتبه أن الشمس والمقر والنجوم مسخرات بأمره فأنت تنتبه أن شروق الشمس اليوم تأخر دقيقة عن الأمس وغروبها اليوم متأخرة دقيقة عن الأمس آية عظيمة من آيات الله سبحانه وتعالى قل من ينتبه لها وهذا هو الإيمان في الحقيقة وهذا هو الإيمان وسيقت الآية لبيان ذلك وعلو الله عز وجل على عرشه وهو دليل على العظمة والكمال وهو عز وجل علا على عرشه سبحانه وتعالى ،

والانحراف الذي ساقه أهل البدع عندما قالوا استوى استولى وتوهموا المعاني الناقصة وقاسوها فقالوا لو قلنا بالعلو والفوقية لاقتضى ذلك إما أن يكون أزيد من العرش وإما أن يكون مساو للعرش وإما أن يكون أقل من العرش فلو أنه أقل من العرش فلا يجوز لأن الله أكبر وإذا كان أكبر إذن في جزء لم يستوى وإن كان مساوي إذن هناك مخلوق يساوي .. ، نعوذ بالله طريقة تفكير عقيدة مريضة أدت إلى تحريف القرآن وأدت إلى أن يتصور أن الله عز وجل جسم مساو ، نحن نقول استواء يليق بعظمته ولم نقل استواء بكيفية معينة ، بل علا على العرش سبحانه وتعالى فالاستواء معلوم والكيف مجهول لكن أنا أتكلم على القضية أنها أخذت الناس ، والموضوع أننا نظل متعلقين بالرد على أهل البدع فقط ؟

أنا قصدي من الكلام أننا لا نقف عند حيز معين وهو أن تظل القضية هي الرد على أهل البدع وكما ذكرنا أن نقول أن الآيات سيق إلى مقام معين لا بد أن ننتبه لهذا السياق أولاً ،

نقول هل هذه الآية { ألا له الخلق والأمر } سيق لبيان أن القرآن غير مخلوق أم أن هذا ضمن الفوائد الفرعية للآية ؟ بالتأكيد لم تكن القضية المطروحة على الصحابة رضي الله عنهم أن يدرسوا مسألة خلق القرآن وإن كانت دالة فعلاً على أن القرآن غير مخلوق وأن الخلق غير الأمر لكن كان المطلوب شهود ربوبية الله عز وجل وهذا هو المقصود الأول وأن هذه الربوبية مظاهرها واضحة في هذا الخلق الذي لا شريك لله عز وجل فيه وكذا الأمر الشرعي والكوني فالله وحده هو الذي يأمر فيكون ما أمر وهذا هو الأمر الكوني والله وحده هو الذي له أن يأمر شرعاً ، كما ترى أن الكون كله يتحرك بأمر الله لا تقول أننا ليس لنا دخل بأمر الله ، أنت ترى الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فماذا تصنع ؟ يلزمك أن تأخذ كلام الله ، حقيقة النزاع والصراع مع أعداء الله حول هذه القضية حول مرجعية الأمر لله عز وجل أم للناس ، الناس من حقهم أن يقولوا نريد دين الله أم لا ونريد شرع الله أم لا ، فهذه هي القضية الخطيرة والصراع مع الغرب ومع أذنا به حول هذه القضية أن الناس ماذا تختار ؟ تختار دين الله ؟ نحن نقول تعبير الناس أنهم يريدون شرع الله عز وجل لأن هذا هو دينهم لا لأنهم لهم الحق أن يختاروا ، أعداء الإسلام يقولون بل لهم أن يختاروا وغيرها وبدلوا وحذفوا الشريعة الإسلامية وأنها هي المصدر الرئيسي واحذفوا الأف واللام حتى تكون لها مصادر أخرى ، وهم يرون أن الناس من حقها أن تختار ، نحن نقول لا بل هذا خبر من الناس والناس اعتقدت دين ربنا ولذلك اختاروه ولذلك يقولون هذا واجب ،

وإلا لو أن البشر كلهم اختاروا خلاف ذلك ليس لهم أمر ولا يجوز لهم ذلك والذي يرى أن البشر من حقهم أن يختاروا فهو يكذب الله سبحانه وتعالى ولا يكون مؤمن بهذا الدين فالقضية خطيرة ، { ألا له الخلق والأمر } أنت ترى أن الكون كله ممثل فأنت الآخر لابد أن تكون ممثل ، { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } هذه هي الربوبية التي لابد أن تشهدا ، مظاهر الربوبية مليئة في الخلق وظاهرة في الأمر وبالتالي فلا بد أن تكون ملتزماً بالأمر وهذا معنى الآيات التي سيقف من أجله ، يعني المقصود من الآيات فالله وحده الذي له أن يأمر شرعاً فيلتزم الناس ويجب عليهم الطاعة فاستحضار هذا المعنى هو المقصود الأصلي من الآية { ألا له الخلق والأمر تبارك الله } أي كثر خيره وعظم خيره سبحانه وتعالى { رب العالمين } رب العالم كله ورب الخلائق كلها فلما تستحضر هذه المعاني تشعر أننا صغار وأن العالم كله خاضع لله عز وجل ويقر بأن الله رب وممثل لأمره أين أنت أيها الإنسان ولذلك بعدها { ادعوا ربكم تضرعاً وخفية } وأنت تدعوا الله متضرعاً وممثل بناءً على نظرتك هذه ، فطريقة القرآن تختلف عن طريقة علم الكلام ولا يختص بها ،

كثير من الأخوة طالبونا بدراسة بعض الكتب المتقدمة ، فالحقيقة أن الذي أريد أن نبذل فيه الجهد في دراسة العقيدة هو العودة إلى المنبع الصحيح وذكرنا هذا في المرة السابقة والذي جعلنا أفضل أن نتجنب كثيراً من هذه الكتب أحياناً مع أننا ندرسها أحياناً ونرغب طلبة العلم في دراستها إلا أن كثير منها فعلاً شغل في قضية زمانه من مسائل كلامية ، نبذل فيه الجهد الكثير في شرحها وتعب في فهمها أولاً ، أما الآية تفهمها فوراً ويمكن أن تحتاج إلى كلمتين أو ثلاثة ومعرفة ما قاله السلف وتستريح راحة عظيمة عندما يسمع الآية والحديث فلما نسمع الآية خلاف كلامنا عن الردود عن البدع ، طريقة فعلاً أخذت جانباً في انحراف عما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فذلك نقول استحضار هذا المعنى هو المقصود من هذه الآية ، قال تعالى { إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } لما تمر على الآية لا تريد أن تنتهيها وتريد أن تقرأها مرة أخرى والقرآن فعلاً هو كذلك وتقرأ المسائل الخاصة بعلم الكلام ولو من أهل السنة تقول في نفسك متى تنتهي هذه المسألة ولما تنتهي تقول الحمد لله أنها انتهت نحو ذلك لأن فعلاً الطريقة مختلفة ، وتأمل الكلام وتدبر الطريقة العظيمة الأهمية فيه تجد فعلاً أثراً مختلفاً تماماً في نفسك والإنسان عندما يدرس قضايا العقيدة أو حتى قضايا الفقه على طريقة الكتاب والسنة يجد أثراً يخالف تماماً دراستها على طريقة علم الكلام على العقيدة أو على طريقة المتأخرين حتى في الفروع ،

يعني كما قلنا قبل ذلك مثلاً حكم الظهار كيف تناوله القرآن { قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير } قبل أن يبدأ في بيان حكم الظهار كان هناك ترسيخ لمعاني الإيمان وترسيخ لمعاني العقيدة { قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها } ترسيخ معنى عبودية الشكوى إلى الله عز وجل وتأكيده شمول سمع الله عز وجل وسع سمعه الأصوات { إن الله سميع بصير } ثم بيان الظلم الذي وقع فيه أهل الجاهلية وتسرب إلى بعض أهل الإسلام { الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا الإثني ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً } ثم بيان كيفية الكفارة في بيان القضية الأخلاقية والسلوكية ألا تقولوا الزور والكذب ، ولما تدرس الظهار في كتاب الفقه لا تجده كذلك لأنه تم دراسته بطريقة مختلفة ، ليس معنى ذلك أننا سنلغي هذه الكتب وهي لا تكفي وحدها ، لذلك نحن نحتاج إلى القرآن ونحتاج إلى السنة واستجد أن السنة عليها نور كما أن القرآن هو نور والسنة أيضاً نور ،

لذلك نقول لذا نجد علم المتقدمين رغم قلة ما صنفوه من كتب بالنسبة للمتأخرين لا يقارن بعلم المتأخرين ، هذا الباب وهو معرفة مقصود هذا العلم ، وهذا العلم هو كل العلوم مهم جداً لا لكي نحصل مسائل نرد بها على المخالفين ، فالأخوة يريدون أن يسمعوا حتى نعرف أن نرد على من يخالفنا أو نفند شبهاتهم ونأخذ في الأخذ والرد أخذاً طويلاً نقول بل أهم ثمرات العلم إصلاح القلوب وإصلاح الأعمال وإصلاح سلوك الإنسان ،

نقول إن المنهج السلفي ليس مجرد منهج فكري أو ثقافي ولا مجرد القدرة على القول والكلام بل هو منهج مكتمل في العقيدة والسلوك والأخلاق والدعوة إلى الله عز وجل ، منهج يتحرك به الإنسان في كل أجزاء حياته وليس أن يلتزم الإنسان في باب واحد بطريقة السلف فحسب ، قد يحفظ الإنسان مثلاً المسائل الاعتقادية حفظاً جيداً ويحسن الإجابة عنها أحسن الإجابة ولما تسأله يجيب أحسن الإجابة ولما تمتحنه يجيب ولكنه من جانب السلوك والأخلاق لا يلتزم بما شرع الله فيغتاب وينم ويكذب ويخون الأمانة ويغش في معاملاته ويسب ويلعن ويتكلم في العقيدة جيداً أياً كان هذا مؤمن ؟ ( لا يدخل الجنة نمام ) هل العبرة أن أكون أحسن مسائل الرد على أهل البدع وأبهدل الصوفية والشيعية وأنا مغتاب نمام ؟ فماذا نفعل ؟ ، هل هذا الشخص الذي يغتاب وينم ويكذب ويسب ويلعن ويخون ويغش هل هذا هو المتبع حقاً للسلف ؟ كلا لا يمكن أن يكون هو أبداً لن يكون هو الشخص الذي نريد بناؤه في أنفسنا وفي من حولنا من الناس رجالاً ونساءً ، المطلوب عمل بنائي وبناء الإنسان من الداخل وبناء الشخصية المسلمة المؤمنة المحسنة ، وحديث جبريل أمام أعيننا وكما ذكرنا هو فهرس الإسلام الذي وضعه وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم فريد أن نبني هذا في داخلنا وفيمن حولنا وفي أولادنا وفي أسرنا فيمن ندعوهم إلى الله عز وجل وعلى قدر هذا البناء الداخلي على قدر ثقل ميزان الأمة ككل ، فالأمة يخف ميزانها بسبب خفة الإيمان في القلوب المختلفة لذلك نقول لن يكون هذا الشخص الخائن الكذاب النمام هو الذي نريد بناؤه في أنفسنا وفي غيرنا ومن حولنا من الناس ولن يكون بل ستكون النتيجة حتماً الفشل الذريع ، أن يحسن الإنسان المسائل المختلفة ولكن لا يحسن أن يتقي الله ، يحسن المسائل المختلف فيها ولكن لا يحسن أن يتقي الله ولا يحسن أن يعرف ربه عز وجل ،

هذه مقدمة في أن مسائل العلم ليس الغرض منها تحصيل القليل والقال وإنما المقصود تحصيل قلب الإنسان ،



معلوم أن كتاب منة الرحمن الذي هو الكتاب الأصلي الغرض منه كان تحديد معالم المنهج السلفي في العمل والسلوك كنوع من التسهيل لطالب العلم وكان الاهتمام بهذه المسائل التي تطرح لأنها علامات بارزة على طريق أهل السنة أولاً أنها أعظم المسائل المبنية على أدلة الكتاب والسنة ، ومن أين أخذت هذه الأهمية ؟ أخذت من حديث جبريل ، فلماذا قلنا الإيمان هو الإيمان بالصفات والإيمان بالإلهية والربوبية والإيمان بالحكم بما أنزله الله والولاء والبراء والإيمان بالملائكة والكتب والرسول والإيمان بالقضاء والقدر والإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره ؟ لأن جبريل جاء يعلم الأمة دينها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( هذا جبريل جاء يعلمكم دينهم ) حدد النقاط الأساسية التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون على علم وعمل بها مع تفصيل في بعض القضايا ، نحن نقول الحديث فيه إجماع جمع الدين كله ولا شك أن الدين كله تأخذه في صفحة واحدة ولكن نريد تفصيل هذه القضايا ، بالإضافة إلى قضايا أصبحت علامات مميزة لأهل السنة تعرف بنها السلفي ممن خالفه مع تفصيل في بعض القضايا كتفصيل الإيمان بالله وما تضمنه من الإيمان بأسمائه وصفاته وتوحيد الإلهية والربوبية ويدخل في ذلك الإيمان بأن الله وحده له الحكم والتشريع وأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وما تفرع من أصول الإيمان الستة التي أصبحت قضايا ذات أهمية عظيمة وقضايا الإيمان والكفر وقضايا الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم وقضايا الخلافة والإمامة هذه المسائل في مجموعها تشكل أساس معالم المنهج السلفي في أمر الاعتقاد ،

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## -2 الإيمان بالأسماء والصفات

### ٣- مقدمة الإيمان بالأسماء والصفات

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد .

الكلام على أصول الإيمان :

الركن الأول هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأول ما يلزم المؤمن في إيمانه بالله سبحانه وتعالى الإيمان بأسماء الله عز وجل وصفاته ،

النقطة الأولى التي نتكلم عنها : أهمية الإيمان بأسماء الله عز وجل وصفاته فنقرأ المتن أولاً ونشرحه بعد ذلك ،

معرفة الله عز وجل أصل الدين وركن التوحيد وأول الواجبات لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى أهل اليمن قال له ( إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل ) رواه البخاري وفي رواية البخاري ( إلى أن يوحدوا الله فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ) رواه البخاري

(فادعهم إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فتد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم ) الحديث صدر به البخاري كتاب الصحيح ،

هذا الحديث يدلنا على أمر عظيم الأهمية أن من لم يوحد الله عز وجل لم يعرف الله لأنه قال فادعهم إلى أن يوحدوا الله فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ، إذن من لم يوحد الله ولم يعبد الله وحده لم يعرف الله حتى لو كان من أهل الكتاب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر معاذ أنه يقدم على قوم من أهل الكتاب ونحن نجزم ونعلم أن أهل الكتاب كانوا يقرون بوجود الله ووجود الملائكة والرسول وسموا أهل كتاب لأجل إقرارهم في الجملة بالكتب والرسول ويقرون في الجملة باليوم الآخر ومع ذلك قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا الله ، كما دل القرآن على ذلك ، والقرآن دل على أنهم غير مؤمنين قال عز وجل ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة ٢٩ فسماهم غير مؤمنين دل ذلك على أن الإيمان أوسع من الإقرار بالوجود والإيمان أعظم من أن يقر بوجود الله ، هذه المسألة من أخطر المسائل لأن كثيراً جداً من الناس يظن أن من أقر بوجود الله فهو مؤمن بالله ولذلك قد يفرق بناء على ذلك يقول هؤلاء مؤمنين وليسوا مسلمين وهذا من أضل الضلال لأن كل مؤمن فهو مسلم ، يمكن أن يكون مسلماً وليس بمؤمن لأن الإيمان أعمال في القلب وأحوال وقول وعمل بالإضافة إلى الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة فقد يكون مقصراً كمسلمة الأعراب أو قد يكون منافقاً أما أن يكون مؤمناً غير مسلم

لا يمكن أن يوجد ، فهذا الحديث دل على أن من لم يوحد الله لم يعرف الله فالواجب أن يعرف الإنسان ربه ويوحده وذلك بمعرفة ما له من الأسماء والصفات لأن القضية الخطيرة التي بيننا وبين هؤلاء أهل الكتاب هي فيما يتعلق بأسماء الله كما سيأتي بيانه ، وهذا دليل على أن هذا هو ركن التوحيد معرفة الله وأول الواجبات على المكلفين لأنه بدأ به قبل الصلاة والرسول بعثوا لكي يعرفوا الناس بهم ولذا أول ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفهم بالله وبعبادتهم ، وهذا الحديث صدر به البخاري كتاب التوحيد من صحيحه وهو دليل على أن هذا أول واجب على المكلف

وآيات الصفات لها فضل خاص كما في صحيح مسلم أن أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي وكلها أسماء وصفات ، هذا الحديث حديث أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم قال يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر ) هنياً لك بالعلم ، النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يجتهد أبي في معرفة أي آية أعظم ، إنما عرفه أبي بالاجتهاد فيما تضمنته الآية بالمقارنة إلى الآيات الأخرى فرأى أن آية الكرسي التي تضمن عشر جمل كلها في معرفة الله وأسمائه وصفاته وإلهيته عز وجل وربوبيته وعلمه وعظمته كلها في أسماء الله وصفاته عرف أن هذه أعظم فقال ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم عليه والله ليهنك العلم أبا المنذر ، هنأ النبي صلى الله عليه وسلم على العلم لأنه علم أن أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي وكل هذه الآية أسماء وصفات وهذا حديث صحيح يدل على أن الآيات التي ذكرت فيها أسماء الله وصفاته وأفعاله هي أعظم الآيات بالإضافة إلى أن ختم معظم الآيات وكثير جداً من آيات القرآن مختومة بذكر الأسماء والصفات وهي القضية الأولى التي يجب أن نختتم بها ونشغل بها نعلمها ،

أيضاً حب الآيات والصور المتضمنة للأسماء والصفات سبب لدخول الجنة كما جاء في البخاري وحديث الصحابي الذي كان في سرية ، عن عائشة رضي الله عنها ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) الاخلاص ١ فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأننا أحب أن أقرى بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبها ) وفي حديث آخر ( حبك أيتها أدخلك الجنة ) رواه الترمذي ، ولا شك أن ذكر حب الله سبحانه وتعالى لأنه أحب صفة الرحمن ، أحب السورة التي فيها صفة الرحمن وكان حبه لـ ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) وكلها أسماء وصفات لله عز وجل وقد صرح الصحابي بأنها صفة الرحمن من أسباب حب الله عز وجل وكما علمنا أن ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) تعدل ثلث القرآن رواه مسلم أيضاً وذلك لأنها محض ذكر توحيد الله عز وجل ولقد أمرنا الله عز وجل بدعائه بالأسماء والصفات ، وهذا الأمر الآخر وكل ذلك يدل على أهمية الإيمان بالأسماء والصفات ،

الأمر الأول كما ذكرنا أنه أول ما يؤمر به المكلف أن يعرف الله ،

وأن الآيات المتضمنة للأسماء والصفات أعظم الآيات

وأن حب هذه الآيات والصور سبب لدخول الجنة وسبب لحب الله عز وجل ،

وأن الله أمرنا أن ندعوه بأسمائه وصفاته قال الله تعالى ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) الاعراف ١٨٠ فقوله يلحدون في أسمائه أي يميلون وينحرفون والأصل في هذا الباب عندنا نجد من يلحد الإعراض ، من ألحد ومال ينبغي أن نتركه ونبعد عنه ونقتصر في الرد عليه مقدار الضرورة والحاجة ( وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ) لذلك نؤكد أن الدعاء والاهتمام بأحوال القلب متعلق بالأسماء والصفات هو الأمر المأمور به ، والآخرين ماذا نصنع معهم ؟ أنخوض معهم أم نفارقهم ؟ كما ذكرنا قدر الحاجة ، لو واحد مرض سنأتي له بالدواء ولو كان مرأ ، ولكن الأصل أننا لا بد أن نأخذ الغذاء ، ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) فالأصل الإعراض عمن ألحد لأن ترك الخوض مع هؤلاء هو منهج أهل السنة والسلف الصالح رضوان الله عليهم ، والانخراط معهم يشغل القلب ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً في مسألة أهمية الأسماء والصفات ( إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة ) متفق عليه ومعنى أحصاها حفظها وأطاقها وتعبده لله عز وجل بها ، المعاني الثلاثة التي وردت في تفسير هذا الحديث ورد الإحصاء بمعنى الحفظ وبعض العلماء قال أن أحصاها بمعنى حفظها لكن لا شك أن من حفظ الألفاظ ولم يقيم بحقتها في العبادة لم يكن ذلك هو الإحصاء المقتضي لدخول الجنة ، يعني مثلاً الناس الذين يتغنون في الأفراح بالأسماء الحسنى هؤلاء الذين أحصوا الأسماء الحسنى ؟ بل ليسوا كذلك ، ليس مجرد أنه يعدها عدداً كمن من إنسان يسردها من حفظه ولكن لم يقيم بحق الله عز وجل فيها فلذلك لم يقل من حفظها وإنما قال من أحصاها فلا بد أن يقوم فيما قال عز وجل بها ( فَادْعُوهُ بِهَا ) فتعبد لله بها ، فلو أنه تعبد بكل اسم منها هو الذي يدخل الجنة ، فيحصها لكي يتعبد لله بها ويدعوا الله عز وجل بها وهذا هو معنى أطاقها أي أطاق القيام بحق كل منها بدعاء الرب سبحانه وتعالى به وأهم أمر أن يدعوا الله سبحانه وتعالى بصفاته يقول بأني أشهد بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي قال النبي صلى الله عليه وسلم ( قد غفر له قد غفر له قد غفر له ) رواه أبو داود وصححه الألباني مثلاً ،

بشهود آثار هذا الاسم في الوجود ، أن يشهد آثار اسم الحكم اسم العليم اسم الرحمن الرحيم واسم الملك واسم الرب رب العالمين يشهد آثار هذا وسوف يجد آثاراً كثيرة جداً في الكون في كل موقف يقف فيه وكل موطن كما قلنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما مر على امرأة فرحت وأخذت ولدها وضمته إلى صدرها فقال ( الله أرحم بعباده من هذه بولدها ) متفق عليه ولما تنظر إلى عصفور يطعم فرخه فتشعر أن هذه من الرحمة التي جعلها الله عز وجل في قلب هذا العصفور ، وهذا اثر من آثار رحمة الله عز وجل من أسمه

الرحيم ، وأن هذه الرحمات بين الأمهات والأبناء وبين الآباء والأبناء وبين جميع الخلق كلها من الرحمة المخلوقة الواحدة التي هي من تسع وتسعين فكيف بصفة الله التي هو متصف بها ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله قسم الرحمة مائة رحمة فأنزل واحدة منها فيها تترحم الخلائق وبها ترفع الدابة حافرها عن ولدها وادخر تسعة وتسعين ليوم القيامة ) وراه مسلم فلما تنظر إلى الخلق من أول خلق الخلق إلى نهايتهم كل هؤلاء من آثار رحمة واحدة ويوجد تسعة وتسعين يوم القيامة وهذه الرحمة المخلوقة فكيف بصفة الله التي هو متصف به قائمه به عز وجل ، وتستحضر آثار الأسماء الحسنى في الوجود وتستحضر عظمة الله وتستحضر قدرته وأن كل اسم يدل على العظمة ، كذلك تستحضر القدر وتستحضر إحاطة العلم بالأوائل والأواخر والظواهر والبواطن ويترتب على ذلك عبادات ، مراقبة الله عز وجل بناء على ذلك وتستحضر أن الله وسع سمعه الأصوات فيراقب كلامه الله عز وجل وتعرف أن كل كلمة تنطق بها قد وسع سمع الله عز وجل صوتك وصوت غيرك فتراقب الله عز وجل ، تستحضر أن الله قد أحاط بصره بالخلق جميعاً فيراك في كل لحظة فتراقبه سبحانه وتعالى في كل أمورك وتجعل كل أعمالك خالصة له ، يعني الرياء كيف نقاومه ؟ باستحضار أن الله بصير واستحضر أن الله يراك وتطلب رؤية الله أم رؤية العبد ؟ لو علمت ذلك والله لا بد أن يشتغل عن رؤية الناس وعن طلب رؤية العباد ، قضية الإخلاص وقضية المراقبة وقضية الإحسان مبنية على أن تعلم أن الله يراك أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ما الذي يوصلك بأنك تعبد الله كأنك تراه ؟ أنت تستشعر أن الله يراك وأن الله قد أحاط بصره بجميع خلقه ، والتعبد يكون بالإطاعة ، والإطاعة معناها معرفة المعنى واستحضاره في القلب واستحضاره القيام بحق هذا الاسم في العبادة ،

إذن ما معنى الإطاعة ؟

معرفة المعنى ولا بد أن تعرف المعنى أولاً وتستحضر المعنى في القلب وتعظم الله عز وجل به وتستحضر الآثار في الكون وتقوم بحق هذا الاسم في العبادة بمراقبة الله وفيما أمرنا به تجاه هذا الاسم كما إذا علمت أن الله هو الرزاق ما هو تجاه هذا الاسم بما أمرنا به ( فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ { العنكبوت ١٧ أردت منه الرزق وحده ولم تخف أن يمنعك أحد الرزق الذي رزقك الله ، أنت آمنت أن الله هو الرزاق إذن ليست الوظيفة هي التي ترزقني إذن ليس المدير هو الذي يرزقني إذن ليس صاحب العمل هو الذي يرزقني إذن لا أطلب الرزق مراآت الناس ولا أداهن الخلق لأنني أعلم أن الله هو الرزاق سبحانه وتعالى ولم تطلب هذا الرزق بالحرام ، كل هذا متعلق بالرزاق ، إنما تطلبه بما أحل الله عز وجل وتحمل في الطلب وتطلب طلباً جميلاً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن روح القدس نفخ في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها كما تستوفي أجلها ) فما النتيجة ؟ كلام النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ) اطلب طلباً جميلاً قال ( خذوا ما حل ودعوا ما حرم ) رواه بن ماجه وصححه الألباني هذا مبني على هذه العقيدة عقيدة أن هناك رزق مكتوب لك ولن تموت حتى تستوفي رزقك فتتعامل بمقتضى ذلك بأن تطلب طلباً جميلاً ولن تنفق عمرك كله في طلب الرزق فهذا هو الطلب الجميل ، وليس الطلب الجميل أن تكون حياتي كلها في طلب الرزق الدنيوي وليس لك رزق أخروي ، ليس هذا هو المطلوب وليس هذا هو الغاية المقصودة لماذا ؟ لأن الله هو الرزاق وهكذا ، فالتعبد بأسماء الله وصفاته يكون على مرتبتين :

شهود الآثار آثار الأسماء والصفات ،

وأن تعامل كل اسم بمقتضاه في أفعالك وسلوكك وسيأتي تمثيل لذلك إن شاء الله

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

#### ٤ - أهمية الإيمان بالأسماء والصفات

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد .

نقول في ضمن الأدلة على أهمية أمر الأسماء والصفات ، الفرق بين المسلمين وبين اليهود والنصارى هو في الأسماء والصفات إذ نسبوا إليه الفقر والتعب وغل اليدين والعجز نعوذ بالله من ذلك ،

والفرق بين المسلمين والنصارى هو في الأسماء والصفات إذ نسبوا إليه الصاحبة والولد والموت والبكاء وسائر صفات المخلوقين حين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وكذا المشركين قال وظن الجاهلية في صفات الله مهلك والعباد بالله ، فقد قال سبحانه وتعالى فيمن شك في صفة السمع والعلم لله سبحانه وتعالى ( وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ { فصلت ٢٢

الفرق بين اليهود والنصارى في الأسماء والصفات بأن اليهود فقد قال الله سبحانه وتعالى عنهم ( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) آل عمران ١٨١ فذكر الله جرائم اليهود في وصفهم الله سبحانه وتعالى بصفات النقص وسخريتهم من استقراض الله سبحانه وتعالى لعباده وهو غني عنهم لأن الله عز وجل قال ( مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ) الحديد ١١ فاستهزأ أحبار اليهود والمشروع أنه حاصل اليهودي التي ضربه أبو بكر رضي الله عنه حتى أدماه لما سمع هذه الكلمة قال إن الله فقير ونحن أغنياء فضربه أبو بكر رضي الله عنه ضرباً شديداً لما سمع هذه الكلمة غضباً لله عز وجل ويكفي في تعظيم هذه الكلمة أن الله قرنها بل قتلها على قتل الأنبياء قال ( سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ) آل عمران ١٨١ فانظر جرعة من قتل نبياً هل تعلم كيف أن من قال عن الله سبحانه وتعالى أنه فقير قد ارتبك جرماً عظيماً فظليماً لا بد أن يعاقب عليه في الدنيا والآخرة ، وكذا قال سبحانه وتعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ) المائدة ٦٤ فجعل الله ذلك من زيادة الكفر والطغيان الذي هم عليه والعياذ بالله ، وهذا يدل على أن الفرق بيننا وبينهم في قضية الإلوهية والربوبية في قضية أسماء الله وصفاته فمعرفة الله عز وجل أول الواجبات والعقيدة في الله سبحانه وتعالى والإيمان به أعظم الواجبات وهو الفاصل بين أهل الإيمان وأهل الكفر والعقيدة الإسلامية أسمى عقيدة في الوجود وأعلى عقيدة عند مقارنتها بكل عقائد البشر أما المشركون فعقائدهم مما يضحك منه كل عاقل وإنما ينتسب إلى الأنبياء اليهود والنصارى فالفرق بيننا وبينهم في هذه القضية ،

اليهود ينسبون إلى الله عز وجل أنواع العجز وأنواع النقص كما ذكر الله عز وجل وصفهم إياه بالفقر وذكر سبحانه وتعالى وصفهم إياه بغل اليمين أنه يديه مغلولتان وأما التعب فقولهم أنه استراح في اليوم السابع أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهم يرون أن الانقطاع عن العمل يوم السبت واجب وضروري تشبهاً بالله تعالى الله عن ذلك ، ذلك لأنه انقطع عن العمل وترك العمل تعباً ، قال الله عز وجل ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ) ق ٣٨ نعم التنزيه لله سبحانه وتعالى عن كل نقص وحده سبحانه وتعالى على صفات كماله وعظمته وقدرته عز وجل ، اللغوب هو التعب منافاة لقدرة الله سبحانه وتعالى ، وهم يذكرون أسوء من ذلك والكتب التي بين أيديهم تضمن ما هو أسوء من ذلك تضمن أنه يغلبه أعداؤه ويغلبه خلقه وبعض خلقه كما ينسبون له العجز والجهل والمرض فعندهم في التوراة التي فيها التحريف أنه . بينما الرب يطوف في الأرض إذا أمسك به يعقوب من حقوه أي من وسطه عندهم الإله هذا كإنسان مخلوق وضعيف ومنعه أن يصعد إلى السماوات فصارعه فصصره ولم يتركه حتى أعطاه لقب إسرائيل فيفسرونه إصرع إيل أي الذي صرع الرب والعياذ بالله ، ومثل جبرائيل وإسرافيل وإسماعيل أي الذي سمع كلام الرب ونحو ذلك فكل منها لها تفسير قريب منها ، فإصرع إيل يزعمون أنه الذي صرع الرب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وهذا غاية في الكفر والضلال ، ويعقوب إنما كان عبداً لله عز وجل وغلب نفسه الله إن صح أنه أصبح إصرع ولا يمكن أن تكون إسرا أنه سار ليلاً إلى ربه عز وجل ، بمعنى مثل من أدج بلغ المنزل ومن قام أو أسرع الله قبل أن يسرع الناس ونحو ذلك مع البحث اللغوي في ذلك يحتاج إلى معرفة أصول اللغة العبرانية لكن هي قريبة من اللغة العربية في الجملة لكن اعتقادهم والعياذ بالله أنه صرح الرب أمر فظيع

طالب : كتاب التوراة فيه حق وباطل أم كله باطل ؟

الشيخ : نعم نقول أن التوراة فيها حق وفيها باطل ، فيها حق وفيها تحريف ليس أن كلها باطلة وليس أن كلها حق ، فهناك فعلاً ما يجوز أنه باطل مثل ما ذكرنا من التعب ومثل ما ذكرنا من أنه مغلوب مصروع والعياذ بالله تصور اليهود عن الإله دخل فيه تصورات الوثنية بالإضافة إلى الحزبية والعصبية الجاهلية التي عندهم وهو أنه إله مخصوص في الإلوهية وفي الربوبية وفي باقي الأسماء والصفات في القدرة وفي العلم ، عندهم أن آدم بعد أن أكل من الشجرة وكان عارياً هو وامرأته سمع صوت الرب ماشياً في الجنة فاحتبأ منه بين الأشجار فقال يا آدم أين أنت ؟ فقال أنا سمعت صوتك في الجنة وأنا عريان فخشيت أن ترائي فقال ومن أخبرك أنك عريان أأكلت من الشجرة التي تحببك عنها ،،، فنسأل الله العافية ، وهذا مما ينسبونه إلى الله ، وهذا في صفر التكوين الذي عندهم الآن ،

للعلم هم يغيرون ما يطعن عليهم فيه الآن ، لكن هذا مما مازال موجوداً ، والطبعات أحياناً تتغير والطبعات القديمة كان عندهم أنه حزن وإلى يومنا هذا موجود عندهم أنه حزن أنه صنع الإنسان وندم ندماً شديداً ولما أفسد قوم نوع وأنه قال أنه يهلكهم ويدمهم وسائر من على الأرض من كائنات ودبابات وطيور السماء ، وعندهم أنه بعد الطوفان حزن حزناً شديداً على ما صنع في الإنسان وكان في النسخ القديمة أنه بكى حتى رمد وعادته الملائكة والعياذ بالله ، نعوذ بالله من ذلك ، لكن النسخ الحديثة فيها أنه حزن حزناً شديداً على ما صنعه للإنسان ، نسبة الحزن عندهم ونسبة الجهل لأنه لا يدرى أين آدم يقول أين أنت ، وقال أنه احتبى منه فهل يحتبى من الله عز وجل ؟ نسأل الله العافية ، ويزعمون أيضاً والعياذ بالله أن الله سبحانه وتعالى هو رب وإله بني إسرائيل فقط فهم لا يمكنون أحداً ولا يرون أحداً يمكن أن يعبد الله عز وجل غيرهم لذلك لا يمكن أن يكون يهودياً إلا أن يكون مولوداً على اليهودية من أم يهودية يعني لا يوجد تحود في الديانة اليهودية ، الديانة اليهودية مقصورة عليهم فقط ، عبادة الله عندهم ليست إلا لليهود وأما الأمم الأخرى فيتركون في الشرك والعياذ بالله ولذلك استجازوا أن يخترعوا الملل الكفرية بما فيه إنكار وجود الله والشرك بالله وينشرونها في الأمم ، فلا نستغرب أن اليهود هم الذين أسسوا الشيوعية كانوا سبباً في إضلال أمم وأجيال شقت بهذه العقائد الفاسدة ، كما ذكرنا أنهم يرون أن إله بني إسرائيل خاص بهم ولا يتمكن باقي البشر من عبادة الله سبحانه وتعالى وهم أيضاً إنما خلقوا ليكونوا عبيداً لعبيد بني إسرائيل وهذا من أقبح العقائد والعياذ بالله ، في الربوبية يجعلونه كما ذكرنا عاجزاً لا يعلم ويحزن ويندم ويكي ويمرض والعياذ بالله فنسأل الله العفو والعافية ، هذا يدلنا على سمو العقيدة الإسلامية وأنها بحمد الله تبارك وتعالى أنقى عقيدة في الوجود على الإطلاق فنحمد الله تبارك وتعالى على ما أنعم به علينا فلا يلزمنا بفضل الله سبحانه وتعالى إلا أن نعتقد لله كل كمال أما اليهود والنصارى فيلزمهم أن يعتقدوا ويصدقوا ليكونوا على دينهم أنواع الضلالات ، يعني لا بد أن يصدق بالكتاب المسمى بالمقدس ولا بد أن يعتقد صحة ما فيه من أن الله يحزن ويجهل ويمرض ويعجز ويغلب ويكي ونسأل الله العافية ، فنحمد الله عز وجل أن عافانا من هذا الكفر والضلال ، فلو أن إنساناً ظل

عمره كله يتعبد لله وهو يعتقد أنه تعالى الله مغلول اليد وأنه فقير وأنه يتعب ويعجز ويمرض هل ينفعه ذلك ؟ لذلك لا تغتر بأنهم قد يوجد فيهم من يعبد الله وقد يوجد من يقر بأنواع من عقائد جاءت بها الرسل لكن عندهم والعياذ بالله هذه العقائد الكفرية ،

طالب : اليهود أسوء أم النصارى ؟

الشيخ : النصارى أسوء ، لذلك نقول أنه لا يصح أن يقول قائل ما فائدة البحث في هذه المسائل وليس وراءها عمل ؟ البعض يقول لماذا نتكلم في الأسماء والصفات وكلها أمور نظرية ، فلو كان فقط أمور نظرية لا يترتب عليها عمل مع أن هذا الكلام كلام باطل كما ذكرنا وعمل القلب من أهم الأعمال ، فنقول إن من أهم الأمور الاعتقاد وراءها ما هو أعظم وأهم من العمل وهو الاعتقاد ، وفي الحقيقة كل معرفة من هذه المعارف وراءها عمل ألا وهو عمل القلب الذي هو من أهم الأعمال والله عز وجل كفرهم من أجل فساد الاعتقاد في الله فكيف يقول قائل بعد ذلك أن هذا الموضوع غير ذي أهمية ؟ فضلاً عن أن لا يعرف الناس برهم ولا يعلمهم أسماء الله تعالى وصفاته فالحق قضية خطيرة بلا شك والله عز وجل غضب غضباً شديداً ممن وصفه بصفات النقص ويدل على ذلك أيضاً ما ذكر عز وجل في النصارى لذلك نقول أن الفرق بيننا وبين النصارى أيضاً في الأسماء والصفات إذ نسبوا لله الصحابة والولد ، قال الله عز وجل ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ) { مريم ٨٨ أي عظيماً ( تَكَاذُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ) { مريم ٩٠ يتفطرن أن يتشققن وتنشق الأرض وتخِر الجبال هدًا مجرد أن يوجد من يدعوا للرحمن ولداً ، يكاد الكون أن ينشق خوفاً من الله فسبحان الله كيف بأمر عظيم هائل بهذه المثابة ومع ذلك نجد كثيراً من الناس يرون أن الأمر يسير ولا يوجد فرق بيننا وبينهم والعياذ بالله وكلها أديان سماوية ، هذه العقائد أنت تعلمها عن هؤلاء القوم ينسبون إلى الله عز وجل الصاحبة والولد ويقولون اتخذ الله ولداً بأنواع الاعتبار كلها ، يعني يعتقدون أن الولد انبثق ومولود من أبيه قبل كل الدهور كما يقولون والعياذ بالله ، وأن هذا الإله قد تجسد وولد من مريم العذراء وصار جسداً في بطنها خصوصاً عقيدة الأرذوذكس الذين يعتقدون أن الرب سبحانه قد تجسد لا أنه إله حل في جسد مخلوق بل هو نفسه تجسد وصار مولوداً من مريم وصار يتعرض لكل ما يتعرض له الإنسان من ألم وبكاء وحزن وعندهم يقولون أن المسيح الذي هو عندهم هو الله ، وقال الله عز وجل ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ) { المائدة ١٧ وهذا لا يختلف فيه فرق النصارى اليوم ، وفرق النصارى اليوم كلها متفقة على ذلك على اختلاف في طبيعة المسيح فقط ، أما الطوائف الثلاثة الكاسوليك والأرذوذكس والبروسطانت الكبرى كلها متفقة على أنه هو المسيح ، ولذلك نقول من يعلم هذه العقيدة ثم يقول بعد ذلك عنهم أنهم مؤمنون ليس بمسلم ويكذب القرآن لأهم يصفون الله بكل صفات النقص حين قالوا أنه هذا المخلوق كما ذكرنا ولد وولد لأن الأب قد ولد الإبن والإبن مولود من أبيه فهم يكذبون ما قال الله عز وجل ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) )

{ الاخلاص ١ بالإضافة إلى ما ذكرنا من كل لزوم صفات النقص أنهم يعتقدون أنه كما ذكرنا أنه يحزن قالوا عن المسيح أنه قال نفسي حزينة حتى الموت ، قال يا أبتى لتجزي عني تلك الكأس لتكون مشيئتك أنت لا مشيئتي أنا ، إذن هذا مما يدل أولاً على أنه ليس هو الله قطعاً لأنه لو كان هو الله فكيف يقول لتكون مشيئتك أنت لا مشيئتي أنا ؟ لكن أنه يزعم أنه مشيئته ليست نافذة فكيف يزعمون بعد ذلك أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ويزعمون أن الشيطان أخذه ليحره فأخذه في البرية وأجاعه وجعله يجوع وكان جائعاً فقال له ادعوا الرب إلهك أن يجعل لك الحجارة خبزاً فقال إنه مكتوب ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان ولكن بكل كلمة تخرج من فم الرب فقال ارمي بنفسك من فوق الجبل وادعوا الرب إلهك أن يحفظك أو يمنعك فقال مكتوب لا تجرب الرب إلهك فقال اسجد لي وأعطيك كل ما لي في الأرض فقال احسأ يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وعده تعبد ، هذه كلمات كلها تدل على التوحيد ومع ذلك هم يعتقدون أن الرب هو الذي يقول ذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على بطلان اعتقادهم وتناقضهم في نفس الوقت ، كيف يكون هو الله وهو يقول احسأ يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، يقول أنا لا أسجد إلا لله ولا أعبد إلا الله ، هذا دليل على أن المسيح تكلم بهذه الكلمات دلالة على أنه ليس هو الله وليس ابناً لله وإنما يقول الرب إلهك وهو يعتقد أن له رب وإله وأنه يسجد له وحده ويعبده وحده لكن الشيطان لا يدري من ربه حتى يأتي به ليحره ويقول له اسجد له ، هل الشيطان يريد أن يسجد له الرب ، أريد أن الإله يسجد له والعياذ بالله هذا من أعجب العجب ،

وأنه يتألم ويصرخ وعندهم أن المصلوب صرخ بصوت عظيم وقال إلوي إلوي لما شقوتي ، الذي تفسيره - إلهي إلهي لما تركتني ؟ ، وأنه صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح ، أسلمها لمن ؟ على أي الأحوال هذا مخلوق يموت ويتألم ويصرخ ويعترض ويظن أن الله قد تركه ، فكيف يتفق ذلك مع قولهم أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ،

العجب والله من أناس يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، يعني عظمة العقيدة الإسلامية قبل التشريعات الإسلامية لأنها أعظم منها قدراً وعظمتها في سموها في الاعتقاد في الله سبحانه وتعالى ، فعلاً هذه العقائد تشربت من عقائد الوثنية عند الإغريق وعند الفراعنة وتشرب اليهود من بقائهم وسط الفراعنة يعبدون العجول ويعبدون الأصنام ولذلك كانت عقائدهم ومعقدتهم في صفات الله عز وجل مشربة بهذه الاعتقادات السخيفة عقائد أهل الشرك والنصارى يصرحون بذلك ولا يستحيون أن يقولوا أن عقيدتهم هي مزج بين تعاليم المسيح وبين الفلسفة الإغريقية لأن الفلسفة الإغريقية لا تنكر وجود الآلهة المتعددة بل أساطير اليونان مليئة بأنواع صفات النقص والعجز كالفراغة والهنود يصفون الآلهة بالصراعات يصفون الآلهة بصفات النقص والولادة والموت والحرب والصراع مع الآخرين حتى يقتل بعضهم بعضاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،

لذلك أن السماوات تكاد أن تنشق والأرض تكاد أن تنشق وتخِر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولداً ، لا أظن مسلماً يؤمن بهذه الآية ثم بعد ذلك يقول عن هؤلاء أنهم مثلنا وأنا هم مؤمنون وأنا إخوان لا فرق بيننا وبينهم ومع ذلك نجد كثيراً من الناس يرون الأمر يسير ، نحن نعلم أن الرهبان عاش عمره يعذب نفسه بأنواع العبادات البدعية ظناً أن ذلك يقربه إلى الله ، لو كانت البدعة وحدها عنده لما صال النار الحامية إنما يصلى النار الحامية لفساد العقيدة أصلاً لا للرهبنة فقط ، والرهبنة بدعة ضلالة تعذب النفس ولا يثاب لكن

دخول النار الحامية والعياذ بالله لأجل العقيدة الفاسدة ولفساد ظنه في الله قال الله عز وجل ( وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً { الغاشية ٢ والآية لها تفسيرين أنها عاملة في الدنيا تتعب نفسها وتصلي يوم القيامة ناراً حامية على هذا الوجه وهذا فيه أثر عن عمر رضي الله عنه أنه مر بصومعة راهب فظل يبكي وقال تذكر قول الله عز وجل ( وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً { أي هو يعمل وينصب وفي الآخرة يصلّي ناراً حامية ،

وعلى الوجه الثاني في التفسير أنها عاملة ناصبة في النار ، على أحد الوجهين أنها وجوه عاملة ناصبة تتعب نفسها في الدنيا في العبادة ومع ذلك تصلّي ناراً حامية في الآخرة ، والوجه الآخر أنها يوم القيامة عاملة ناصبة تعمل وتتعب في النار وتكلف بأنواع المشاق كمن يكلف صعود جبال النار ويندوب جسمه فيها ويعاد كما كان ويوشك أن يخرج ثم يعاد ويطاف بينه وبين الحميم الآن ويكلف أنواع المشاق في النار والعياذ بالله ، فهم وجوه عاملة نصابة وهذا إسناده أصح والله أعلم ،

وإن كانت وجوه الكفار المشركين من عباد الصلبان وعباد المسيح عليه السلام داخلية في هذا فهم يعملون وينصبون ويتعبون وهم في الآخرة والعياذ بالله يصلون النار ، نسبوا الله الموت والبكاء وسائر صفات المخلوقين حين قالوا أن المسيح ابن الله ذلك بأنهم يعتقدون أن المسيح هو الله وأنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة ، وهي ليست بـ [ أو ] هي بـ [ الواو ] ، لأنهم يعتقدون الثلاثة معاً من التناقض العجيب الذي لا يقبله عاقل واختلفوا من أجل ذلك في فهمهم كلها عليه ، يعني كيف يمكن أن يكون هناك أصل خرج منه فرع ويكون هو نفسه ، لأنهم يقولون أن الابن مولود من أبيه ، يقولون أن الأب هو خالق الكل ، ضابط ما يرى وما لا يرى ، يصفونه ويؤمنون بأفئدة الأبن ، والأفئدة هذا مثل كلمة الشخصية وكأن الإله له عدة شخصيات تعالى الله عن قولهم ، اقنوم الابن يقولون المولود من أبيه قبل كل الدهور ، فكيف يكون مولود وقبل كل الدهور ؟ التناقض في المتن نفسه ، فقبل كل الدهور يعني بلا زمن أو من البداية وفي البدء كان الكلمة عندهم ، فكيف وهذه الكلمة إنما هي صفة من صفات الأول فيقولون مولود من أبيه قبل كل الدهور إله من إله شعلة نور من شعلة نور ، إله من إله يعني اثنين ولكن بعد ذلك يقولون هم شيء واحد وأنه تجسد وولد من مريم العذراء وصلب من أجلنا ويؤمنون بالإله المحي من الروح القدس ويحدد أنه انثيق من الأب وليس من الابن إذن هناك انثاق والإنثاق هذا ينافي أنه شيء واحد لأن هناك أصل وفرع كما ذكرنا وكل هذا من ضلالاتهم والعياذ بالله ،

فكل هذه العقائد نسبة النقص لله عز وجل في نسبة صاحبة والولد وكما ذكرنا اعتقادهم أن المسيح هو الله وكل صفات البشرية كانت موجودة فيه وكان يسمى نفسه ابن الإنسان وكان يصلي لله عز وجل ويسجد لله عز وجل وهي كثير في الإنجيل هذه الصفات ونسبوا إليه أنه صلب ومات وبقي ثلاث أيام ميتاً ثم قام من بين الأموات ويحتفلون بهذا اليوم بعيد القيامة أنه قهر الموت وأنه مات فعلاً وبعد ذلك قهر الموت وقام من بين الأموات ، فأين العالم بلا رب في هذه الأيام الثلاثة ؟ بقي منتظماً كل شيء على عادته فهناك من يحيى ويموت خلال هذه الأيام الثلاثة وهناك من يولد ، أكان هناك أناس تعطلت ولادتها ؟ بل كل الأمور كانت عادية خلال هذه الأيام الثلاثة والعياذ بالله ، نجد بعد ذلك ناس من المسلمين الجهلة يذهبون لهنتوهم بذلك بأنه يعتقد أن الله قد مات !!؟ ، خصوصاً الأرثوذكس الذين يعتقدون أن المسيح طبيعة واحدة ،

والفرق بين الأرثوذكس والكاسوليك فيما يتعلق بطبيعة المسيح ،

الكاسوليك يقولون طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية فهي روح حل في جسد كالحلولية ،

والأرثوذكس يقولون طبيعة واحدة ومشبهة واحدة وليس إلا شيء يعني اتحاد في الأقانيم وهم اتحادية ولذلك عندهم أنه لم يكن هناك إله طيلة الثلاث أيام وكان ميتاً وبعد ذلك غلب الموت ، نسأل الله العافية ،

يقولون رب السماوات والأرض هو الذي مات شخصياً ، فمثل هذا الاعتقاد زيادة في الكفر والعياذ بالله ،

قال الله تعالى ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ { المائدة ١٧ حتى لو كان أخلاقهم جيدة وحتى ولو كان يعامل الناس جيداً ويتقن عمله ولكنه يعتقد هذا الاعتقاد والعياذ بالله مثل من يحسن العمل ويتقنه ويحسن المعاملة وطيب ويعبد البقرة والعياذ بالله ، فماذا تقول على هذا ؟ أيشفع له أنه طيب في المعاملة فلا بأس بعبادة البقرة ؟ أو لا تضربه عبادتها ؟ ، وعبادة المخلوق عموماً أيا ما كان حتى لو كان حسن الخلق لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وابن جدعان كان حسن الخلق وكان يقري الضيف ويفك الأسير ويطعم الطعام هل ينفعه ذلك ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ) رواه مسلم وكان يعتقد أسوء من ذلك والعياذ بالله ، يعتقد صفات النقص لله عز وجل ،

قضية الإيمان بالأسماء والصفات قضية عظيمة ، توحيد الأسماء والصفات والاعتقاد في الله عز وجل هو أساس الإيمان ،

العجيب أننا نجد بعض الناس يقولون يعذر بالجهل في توحيد الأسماء والصفات ولا يعذر بالجهل في توحيد الألوهية ،

بل قضية توحيد الألوهية مبنية على قضية الأسماء والصفات ،



ولذلك لا يتصور أن يعبد من يصفه بصفات النقص إلا على هذا التناقض الذي عند أهل الكتاب

إذا لم يعلم العبد أن الله هو الرزاق كيف يطلب منه الرزق والمدد ، كيف يدعوه كيف يسأله وهو يظن أنه فقير مثلاً ، فإذا علمت أن الله هو الغني وأن الله هو الرزاق عملت أنه هو الذي يطلب منه الرزق وطلبت منه الرزق فاللدعاء فرع على معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ،

ولذلك هذا القول أنه يعذر في الأسماء والصفات ولا يعذر في توحيد الإلهية قول باطل .

والصحيح أن العذر بناء على عدم بلوغ الوحي { وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } فمن بلغه القرآن منذر سواء في الإلهية أو في الأسماء والصفات ، لذلك نقول أن قضية توحيد الأسماء والصفات أصل توحيد الإلهية ، وعند التأمل أن توحيد الربوبية وتوحيد الرب بأفعاله عز وجل ، وهو إنما فعل لأنه له صفات الكمال ، يعني خلق سبحانه وتعالى فهذا فعل من أفعاله ولأنه القادر على ذلك ولأنه العليم بخلقه { وهو بكل خلق عليم } { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } فكونه خلق لابد أن يكون عالماً عليمًا سبحانه وتعالى ، فهذا دليل على أن الربوبية مبنية على الأسماء والصفات والإلهية مبنية على الأسماء والصفات ، فلذلك نقول أن هذه القضية من أعظم القضايا أهمية ، ولا يمكن أن تحمل هذه القضية أو تنحى جانباً ويقال قضية نظرية لا دخل لنا بها أو أن العمل يكفي ، كما نسمع أهل مساواة الأديان في زماننا يقولون أن كل الأديان نشأ على دين يعمل على هذا الدين وأنهم في الآخرة ينجون على حسب عملهم على هذا الدين والمهم التقوى ، وكأن التقوى يمكن أن تتحقق من غير توحيد الله !! ، كيف وهو لم يتق الشرك ؟ كيف وهو لم يتق وصف الله عز وجل بصفات النقص ؟ ! ، إذا لم تق الشرك لم تنفعه تقوى .

ومن الأدلة على أهمية الإيمان بالأسماء والصفات أيضاً : مخالفة المسلمين لأهل الجاهلية ، ظن الجاهلية في صفات الله مهلك ، قال الله تعالى في الثقيفين والقرشي أو القرشيين والثقيفي قال الله عز وجل { ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون }

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " اجتمع عند البيت ثلاث نفر قرشيان وثقفي أو ثقيفان وقرشي قليلة فقه فلوهم كثير شحم بطونهم " فكثر اتباع الشهوات تعمي القلب ، " قليل فقه عقولهم كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ ، وقال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل { وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصيروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين } [فصلت/٢٢] جعلوا البحث في أسماء الله تعالى مسامرة فكل منهم يقول رأيه وتركوا الوحي ، ولذلك هؤلاء القوم قامت عليهم الحجج ، ظنهم لا يغني عنهم شيئاً ، كونهم ظانين أنفسهم على الحق لا يعفيهم ، ظنوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون ، ظنوا كذلك أنهم إذا استغشوا ثيابهم لم يدري ما يصنعون وما يقولون { ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون } هم يظنون كما ظن اليهود أن آدم عندما اختبئ وسط الشجر ، نسأل الله العافية .

من أعرض عن أدلة الوحي بعد أن بلغته ولم يتدبرها ولم يتأمل فيها حتى جهلها فهو ليس بجاهل معذور بل هو جاهل معذب ، هؤلاء المشركون الثلاثة كانوا قد بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وأصبحوا يتكلمون في أسماء الله وصفاته بناءً على ما وصل ولكن ليس بناء على اتباع الوحي ، بل بناء على الآراء المحضة ، لذلك كان كفرهم والعباد الله ولا يعذرون بذلك ، كما أن اليهود ولا نصارى غير معذورين ، وكما أن الهنودش والبوذيين ليسوا معذورين ، لأنهم أعرضوا عن الوحي ، بلغتهم دعوة الإسلام إجمالاً وأعرضوا عنها ويمكنهم أن يصلوا إلى القرآن فأعرضوا عنه ، فقامت عليهم الحجة وصاروا كفاراً وإن كانوا جهالاً ، لكن ليس الجهل الذي يعذرون به ، الجهل الذي يعذر به صاحبه الجهل الناشئ عن عدم البلاغ وليس الناشئ عن الإعراض .

معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ومحبه ودعائه بها والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

أعظم سعادة في الدنيا أن يعرف العبد ربه عز وجل ويحبه ويتقرب منه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك ) فجمع بين لذة النظر إلى وجه الله والشوق إلى لقاء الله ، هذا إنما يحصل بسبب معرفة الأسماء والصفات والإيمان بها ومحبة الرب عز وجل على صفاته ، الله عز وجل فطر الإنسان على حب الكمال والجمال والجلال وتعظيم من يتصف بذلك ، فالعباد فطروا على أن يحبوا الله وفطروا على أن يعظموا الله عز وجل ، فحين يدري الإنسان ذلك يجد السر في داخله الذي خلق وفطر عليه وهو أنه يتوجه إلى الله حنيفاً محباً راجياً له ، لذلك يسعد في الدنيا قبل الآخرة ، فحين ذكر الله نعيم أهل الجنة أول ما ذكر من نعيمهم ذكر القرب فقال عز وجل { والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم } قبل أن يذكر الجنة ذكر القرب ، حقيقة نعيمهم في قربهم ، إنما صارت الجنة جنة وصارت محلاً للسعادة بسبب القرب من الله عز وجل ، وصارت النار محلاً للعذاب للبعد عن الله عز وجل ، تعرف من هذا ما يقع في الدنيا من أن من تقرب إلى الله سعد ومن حجب عن الله قلبه ومن ابتعد عن الله عز وجل شقي في الدنيا قبل الآخرة ، لأن الله ذكر نعيم أهل الجنة في القرب ، لو أن الجنة كانت لإنسان مجذافيرها دون قرب من الله عز وجل شقي ، كما أن الناس يحاولون في الدنيا أن يتشبهوا بما أعد الله عز وجل في الجنة فيصنعون القصور ويصنعون فيها أنواع اللذات وأنواع الشهوات وتجذ ملايين من هؤلاء في أشد أنواع الشقاء ويصابون بالحزن رغم كل اللذات لأن القلب لا يسعد إلا بالقرب من الله ، فذكر الله تعالى هذا الأمر

في نعيم أهل الجنة وهو أن قريحهم من الله هو سبب سعادتهم ونيعيمهم ، ذكر نعيمهم بالقرب منه فقال { أولئك المقربون } قبل أن يذكر في جنات النعيم وقبل أن يذكر ما أعد الله لهم من الطعام والشراب وأنواع اللذات ، قال { والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عین كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً } ذكر الله تعالى نعيمهم الحسي في وسط نعيم معنوي أولاً بالقرب والنعيم الأخروي وهو لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . يعني عند عدم سماع اللغو والتأثيم نعيم ، من نعيم أهل الجنة أنهم لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، فالله لم يحرم علينا اللغو والباطل والحرام والكذب والغيبة والنميمة إلا لكي نتنعم ، فالذي يغتاب وينم يشقى ، والذي يسمع الأغاني ويسمع الشتم والسب يتألم لذلك ، لذلك من نعيم أهل الجنة أنهم لا يسمعون لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً ، وأعلى السلام سلام من الله عز وجل { سلام قولاً من رب رحيم } وسلام الملائكة والنبیین ، وسلام بعضهم على بعض ، وسماع السلام من الله عز وجل أعلى نعيمهم ، وأعظم نعيمهم القرب من الله والنظر إلى وجهه وسماع كلامه ومعرفته ومحبتة سبحانه وتعالى .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى )

فأعظم نعيم أهل الجنة بالله عز وجل ، وأعظم نعيم أهل الإيمان بالله عز وجل ، لذلك سماع الكلام من الله عز وجل ، وسماع القرآن من الله عز وجل وسماع الكلام وسماع الثناء منه سبحانه وتعالى أعظم ما يتمتعون به من أنواع السماع ، اجعل ذلك نظير ما يكون لك في الدنيا من أنك إذا سمعت كلام الله عز وجل وهو أعظم ما تنتفع به وأعظم ما تسعد به ، لذلك سماع القرآن في الحقيقة يسعد القلوب أعظم سعادة ، ومعرفة ما في القرآن من أسماء الله وصفاته وأفعاله وشهود آثار هذه الأسماء والصفات يدل ذلك القرآن عليها ويدل ذلك علىها بأقصر الطرق يجعلك تشعر بالسعادة الحقيقية ، فكيف يستهان بهذه المسألة وكيف يتصور أنه يمكن الاستغناء عنها ؟ ، كما ذكرنا في المقدمة أن سبب المشكلة الظن بأن علم الكلام السخيف هو هذه العقيدة ، فإذا قيل الإسماء والصفات انصرف الكلام إلى التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل ، فعند ذلك ظن من ظن أن هذا علم من الطرف العقلي ولم يعرف طريقة القرآن والسنة كما ذكرنا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة " ، يقصد بذلك القرب من الله ومحبتة ومعرفته سبحانه وتعالى .

ذلك بأن التوحيد أصل ذلك ، فمن لم يعرف ربه عز وجل ومحبه لم يوحد الله فلم يدخل جنة الآخرة .

هذه أدلة الكتاب والسنة في أهمية هذا العلم ، العلم باسماء الله عز وجل وصفاته والتعبد لله عز وجل بذلك والإيمان به .

الإجماع :

أجمع المسلمون على فضل هذا العلم وشرفه ، حتى أهل البدع يعظمون هذا العلم ، ويقولون أن العلم باسماء الله وصفاته هو أصل الدين ، فمن قلل من شأنه أو قال عنه أنه طرف عقلي وبحث في القدم القديمة . الكتب الصفراء . الكتب الذي مضى عليها أكثر من ألف سنة وغير ذلك ، هذا القول مردد إلى الجهل بحقيقة هذا العلم ، وظن أن المقصود منه علم الكلام المدمر الذي يخرج منه الإنسان غير سالم من آثاره ، بل يقع في كثير من المنكرات . كمن قال إن تعلم الأسماء والصفات طرف عقلي وانشغال عما هو أولى منه فهو ضال مبتدع ، ويقولون أتتركون قضايا المسلمين وتكلمون في الأسماء والصفات ؟ ، نقول في الحقيقة ان الكلام في أسماء الله وصفاته أعظم أسباب النصر للمسلمين ، فساد الاعتقاد من أعظم أسباب هزيمة المسلمين وتسلط أهل البدع عليهم وأصحاب أهل البدع الفاسدة ، أصحاب العقائد الفاسدة في أبواب الاعتقاد كلها هم أعوان أعداء الإسلام وهم عملاء أعداء الإسلام ، الدولة الباطنية المسماة بالفاطمية كانت من أعظم أسباب تسلط الصليبيين على بيت المقدس ، ولما زالت وعاد المسلمون إلى السنة أعاد الله لهم بيت المقدس .

ووجود الرافضة في الدولة العباسية كانت من أعظم معاول الهدم وكانوا من أعوان التتار عليهم ، بل هم الذين جرأوا التتار على قتل الخليفة العباسي ولا حول قوة إلا بالله .

فلما ظهرت الفلسفية في بلاد المشرق كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فكما قال نقلاً عن ابن دقيق العيد أنه استولت التتار على بلاد الشرق لوجود الفلسفة فيهم وضعف الشريعة ، لما تظهر علوم الفلسفة وعلم الكلام يتسلط الأعداء ، ولو نظرنا إلى واقعنا المعاصر لوجدنا ذلك ، عندما انتشر التصوف الفلسفي وبدع الشرك التقرب لغير الله تسلط الاستخفاف الغربي والاحتلال الغربي على عامة بلاد المسلمين ، وصارت الدولة العثمانية رجلاً مريضاً يزعمهم أو كما وصفوا في آخر الأيام إلا بسبب تبني مناهج أهل البدع والضلال وانتشار تصوف الفلسفي الذي عظم القبور وصرف العبادات إليها بالإضافة إلى عقائد علم الكلاما المفسد الذي أدى إلى جهالة عامة المسلمين إلا من رحم الله سبحانه وتعالى .

الحقيقة أن الكلام في أسماء الله وصفاته هو تصحيح للاعتقاد وهو تحقيق لمعاني الإيمان ، وهو أخذ القلوب إلى الله عز وجل تتقرب إليه وتحيه وتعظمه ، فعند ذلك تحوّن عليها الدنيا فيكون هذا من أعظم أسباب انتصار المسلمين ، عندما يعظم الإنسان أسماء الله وصفاته ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يشتد الأمر

يقول : ( اللهم منزل الكتاب ومنزل السحاب سريع الحساب اهزمهم وانصرنا عليهم ) النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته قبل الدعاء لحصول الهزيمة والزلزلة على الكفار ، ونحن في الحقيقة أحياناً لا نستطيع دفع كيد الكائدين ومكر الماكرين ، يكادون يحيطون بنا والله ما لنا إلا الله سبحانه وتعالى ، نلجأ إليه ونتضرع إليه ونتوكل عليه ، ما بأيدينا أسباب كثيرة نمنع بها مخططات الأعداء ونحن نراهم يأخذون بلاد المسلمين بلداً تلو الآخر وينشرون فيه أنواع الظلم والفساد والكفر والشرك والبدع ، ومع ذلك أملنا في الله عز وجل ورجاؤنا في أن يدفع عن بلاد المسلمين الشر والفساد والسوء ، بأن نتوكل على الله وأن نعرف أنه هو الملك وأنه هو الرحمن الرحيم وأنه سبحانه وتعالى رب العالمين الذي يدبر الأمر ، لذلك نقول صفاء العقيدة وسلامتها هو الدفاع الأكيد عن بلاد المسلمين ، وصحة العقيدة في أسماء الله تعالى وصفاته هو طريق الوقاية أمام هجمات الأعداء على عقائد المسلمين ، ومحاولات التنصير مثلاً ومحاولات التغريب ومحاولات العلمنة ، كل هذه مبنية على الجهل بالله سبحانه وتعالى ، لو أن إنساناً عرف ربه وأحبه وسلم اعتقاده ما أمكن أبداً أن يتسلط الأعداء ، لو عرف أن الله ربه هو الذي يأمره وينهاه كما أنه هو الذي خلقه ورزقه وكما أنه هو الذي يملك حياته وموته لا يمكن أن يطلب شيئاً من غيره ولا أن يتضرع لغيره ، ولا أن يذل لغيره ولا أن يخاف من غيره ، ولا أن يساوم على عقيدته ويبيعها بثمن بخس نعوذ بالله من ذلك .

هذا هو الفصل الأول في هذا الباب وهو أهمية الإيمان بالأسماء والصفات .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

#### ٥ - العقيدة الصحيحة هي عقيدة السلف

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني الذي نتكلم عنه أو الباب الثاني هو العقيدة الصحيحة هي عقيدة السلف ، والأصل في معرفة الله عز وجل وأسمائه وصفاته أن نعتقد العقيدة الصحيحة .

هل هي عقيدة متنوعة ولها آراء مختلفة أو فروع مختلفة ؟

هل هي تدور بين السلف والخلف وأن عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أحكم ؟

أو هل أن أهل السنة ينقسمون إلى فريقين ؟

نقول لا ، ليس هناك عقيدة صحيحة إلا عقيدة السلف وما أجمعوا عليه .

من هم السلف ؟

السلف هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان .

السلف هم من قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم )

فنقول ما كان من اعتقاد صحيح عندهم فهو الاعتقاد وما كان إيماناً عندهم فهو الإيمان ، لأن الله قد شهد لهم بالإيمان ، قال الله عز وجل { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقط اهتدوا } .

نقول ذلك لأنهم إنما أخذوا العقيدة وأخذوا الإيمان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تدخل الأعداء وقبل أن يهجم الأعداء على عقيدة أهل الإسلام . وقبل أن تدخل الثقافات الغربية التي حدثت في التاريخ الإسلامي .

لذلك نقول أن عقيدة السلف من الصحابة رضي الله عنهم المسندة المكتوبة المسجلة عن الصحابة والتابعين ، هذه مسندة مسجلة في كتب أهل السنة ، تجد كتاب التوحيد للإمام البخاري في خاتمة الصحيح ، تجد كتاب السنة في كتب السنن وفي سنن أبي داود وكتاب الترمذي وابن ماجه .

تجد الكتب المؤلفة في السنة مستقلة مثل كتاب السنة لابن أبي عاصم وغيره .

هذه الكتب متضمنة لبيان ما اعتقده السلف في أصول الإيمان كلها ويبدأون دائماً بذكر صفات الله سبحانه وتعالى .

مختصر هذه العقيدة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أول كتابه . العقيدة الواسطية .

" نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل "

فقول شيخ الإسلام رحمه الله : " نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه " ، كما ذكرنا أن كلمة الإيمان أعلى شأنًا بكثير من . نقول أو نصف أو نعتقد . كلمة نؤمن تتضمن العلم والعمل ، كلمة نؤمن تتضمن سلامة الاعتقاد وسلامة القول وسلامة العمل المبني على ذلك الاعتقاد ، فبذلك هي أعظم اثرًا من الكلمات الأخرى ، كما قد يقول البعض مثلاً " نقول في توحيد الله " كلمة نؤمن أعظم ، وهي الكلمة المستعملة في الكتاب والسنة ، لذلك نحن نود أن نستعمل هذه الكلمة أكثر ، نريد أن نؤمن بالله عز وجل ولس فقط ندرس العقيدة ، ليس فيقط ندرس التوحيد ، بل نريد أن نؤمن .

وكما ذكرنا أن المعنى يختلف والأثر يختلف ، نؤمن بكل ما وصف الله نفسه .

بكل : تشمل بكل ما ورد في الكتاب والسنة ، ليس ببعض دون البعض .

لأن كثيراً من أهل البدع يذكرّون بعض صفات الله عز وجل ، وبعض أسماء الله سبحانه وتعالى وبعض أفعاله عز وجل وقد ينكرون الأفعال

فنقول نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه .

وكلمة وصف : تتضمن الإثبات والنفي ، لأن هناك أوصافاً أثبتتها الله عز وجل لنفسه كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وهناك صفات نفاها الله عز وجل عن نفسه كالموت والنوم والإعياء والتعب والجهل والغفلة . ف

إذن كلمة وصف تشمل الأوصاف الثبوتية والأوصاف التي مردّها إلى نفي النقص ، فهو يشمل النفي والإثبات فنحن نثبت لله ما أثبتته لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه ، ونثبت ما أثبتته له الرسول صلى الله عليه وسلم وننفي ما نفاه الرسول صلى الله عليه وسلم .

فكلمة كل لا تقتصر الإيمان ببعض الصفات دون بعض ، الأشاعرة يجعلون الإيمان مقتصرًا على المعرفة في الصفات على سبع صفات ثبوتية ويستخرجون منها سبعاً مماثلة لها ويسمونها صفات المعاني ، ويستخرجون خمس صفات سلبية مردّها إلى النفي وصفة يسمونها صفة وجودية .

فيجعلون المجموع عشرين وكل ما سوى ذلك مردود إلى الصفات السبع .

فنقول أن هذا لم يرد في كتاب ولا سنة ولا عرف عن السلف رضوان الله تعالى عليهم حصر صفات الله عز وجل في عدد معين ، وهذه فائدة كلمة كل كما ذكرنا .

ثم كلمة " وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم " تبين مصدر التلقي عند أهل السنة وأنه الكتاب والسنة ، مصدر التلقي عند أهل البدع العقول ، أي عقول ؟ العقول السخيفة المبنية على علم المنطق ، وليس العقل السديد .

في الحقيقة أن العقول السليمة هي عقول أهل الإيمان ، لأن الله مدح أهل الإيمان في مواضع بأنهم أهل عقول { إن في ذلك لعلوة لأولي الألباب } { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } ، قال { لعلكم تعقلون } { لعلكم تتفكرون } مدح الله عز وجل من يعقل ومن يتفكر ولكن في ضوء الوحي ، أما العقل البعيد عن الوحي مظلم بعيد عن الحق ، لا يدري في وسط التيه والركام الهائل أنواع الشبهات من الأدلة .

لذلك نقول في الحقيقة أنه ليس هناك صراع بين الوحي وبين العقل ، بين الآيات المنزلة والآيات المشهودة ، المشكلة في عقول ضالة وانحرفت ورؤوس أظلمت وقلوب اغترت فصارت تظن نفسها حاكمة على نصوص الوحي كتاباً وسنة ،

لذلك عندما يقع تعارض موهوم بين نصوص الوحي وبين ما قد يفترضه العقل نقول نقدم الوحي ، نقدم السمع على العقل ، نقصد بذلك نقدم الأدلة الصحيحة السمعية التي سمعناها كتاباً وسنة على العقل الفاسد الذي يتوهم أمراً مخالفاً للوحي ، وعندما نسلم العقل للشرع يفتح له باب الفهم فيدرك أن العقل السديد والصحيح إنما هو فيما جاء به

الرسول صلى الله عليه وسلم في الوحي المنزل في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نوع الأدلة أن الأدلة السمعية تابعة للأدلة العقلية ، الأدلة العقلية تابعة للسمعية .

عند أهل البدع السمع تابع عندهم للعقل ، الأدلة السمعية عندهم تابع للعقلية ، عند المتسنة منهم الذي يعظمون الشرع ، وإلا فعند أئمتهم الأدلة السمعية ليس لها أصل .

يعني نقول أن هناك أناس منهم ينتسبون إلى الشريعة وعندهم باع في الفقه أو في التفسير أو غير ذلك ، لكن المتكلمون منهم لا يجيبون الأدلة السمعية أصلاً ، المتسنة منهم يبدأون بالأدلة العقلية ثم يشنون بالأدلة السمعية .

أهل الإيمان من أهل السنة يذكرون الأدلة السمعية من الكتاب والسنة ثم يستضيئون بها في معرفة الأدلة العقلية ، لأن الأدلة السمعية في الحقيقة هي متضمنة لأوضح الأدلة العقلية ، كما ذكرنا ليس هناك صراع بين الأدلة من الوحي وبين العقل الصحيح .

الصراع إما بين أدلة مكذوبة ليست أدلة وهي شبهات بل هي أحاديث ضعيفة وموضوعة وباطلة وبين العقول السديدة .

نعم ترفضها العقول .

أو صراع بين عقول فاسدة وبين أدلة الوحي .

أدلة الوحي الصحيح لا تتعارض مع العقل الصحيح .

نضرب مثال على متسنن من الأشاعرة :

ابن عطية : إمام كبير في التفسير لكنه أشعري العقيدة ، عندما تكلم عن صفة الوجه ذكر أن صفة الوجه واجبة الوجود وذكر عن بعض الأئمة أنها صفة دل السمع على وجوبها لله زائدة على ما توجه العقول من صفات الله ، يقول زائدة على ما توجه العقول ، يعني عنده الأمر هو العقول .

لأنه رجع وقال أن هذا القول ضعيف والصحيح أن نقول بما أوجبه العقل فقط وأن صفة الوجه تأول إلى الذات ، وذكر أن أبا المعالي الجويني ضعف هذا القول أيضاً ، وإن الوجه صفة زائدة على صفة الذات لأن الوجه لا يثبت في العقول عندهم . بل عندهم أن العقل يثبت السبع صفات فقط وهم . العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والكلام . هذه هي الصفات السبع التي يوجبها العقل ، مع أن التأمل أن كل الصفات التي وردت في الكتاب والسنة هي من صفات الكمال ، والعقل إذا خير بين إثباتها ونفيها فإنه يختار إثباتها ، لأنه لو قلت مثلاً أن إنسان له وجه وإنسان ليس له وجه ، هذا في المخلوق نقص أم لا يكون نقص ، الوجه من صفات كماله كمخلوق ، وكل كمال ثبت في حق المخلوق فالله عز وجل أولى به سبحانه وتعالى ، فإذا ذكر الله عز وجل أن له وجهاً ليس كوجهه البشر فهو أولى بهذا الكمال سبحانه وبحمده ، هناك مثلاً في صفة الضحك من يضحك عندما يشاء ولا يضحك إذا شاء ، هذا أكمل أم من لا يضحك مطلقاً ، عند التأمل تقول أن من يضحك أكمل ، هذا من جهة العقل إذا تدبر هذه المسألة وإلا فأخبرني بما يمنع العقل من إثبات أن الله عز وجل يضحك إذا شاء ضحكاً يليق بعظمته وجلاله ليس كضحك البشر ، أو إثبات أن الله عز وجل وجهاً ، أي نقص في هذا ؟!! ونحن لم نقل أنه جزء من أجزاء الله وإنما هو صفة من صفاته يليق بجلاله وعظمته .

قضية التلقي هي من أهم القضايا في هذا الباب .

من أين نتلقى العقيدة الصحيحة ؟ من أين نتلقى حقائق الإيمان ؟

من الوحي من الكتاب والسنة ، من أهم الفروق بين أهل السنة وبين أهل البدع ، أهل البدع يجعلون مصدر التلقي العقل ، وأهل السنة يجعلون مصدر التلقي السمع .

الأشاعرة وهم من جملة أهل الكلام وإن زعموا محاولة الجمع بين الأدلة العقلية والسمعية ، قالوا إن الله تعالى عشرين صفة . سبع صفات ثبوتية وخمس صفات سلبية وواحدة وجودية ، وسبع أخرى يسمونها صفات المعاني . هي في النهاية نفس الصفات الثبوتية ، قلنا أن الصفات الثبوتية . العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام . صفات المعاني هي . كونه عليمًا وكونه قديرًا وكونه مريدًا وكونه حيًا وكونه سميعًا وكونه بصيرًا وكونه متكلمًا . فما هو الفرق بين هذا وذاك ؟ عند التحصيل لا فرق في الحقيقة ولا فائدة ، ولذلك بين صفة السمع وبين كونه سميعاً لا فرق في العقل السديد ، ولا فرق بين إثبات صفة العلم وبين كونه عليمًا ، هذا في الحقيقة لا فرق ، الصفات السلبية كما ذكرنا خمس صفات وصفة وجودة وصفة ذاتية هي صفة الوجود .

الصفات السلبية هي صفات نفي وهو . صفة القدم : وأنه ليس له أول ، وصفة البقاء : ليس له آخر ، وصفة الوحدانية : ليس له شريك ولا مثيل ولا كفاء ، المخالفة للحوادث : ليس له مثل ، والوحدانية عندهم هي الذات بمعنى أنه لا ينقسم ولا يتبعض ، القيام بالذات : الاستغناء عن الخلق .

هذه الصفات الخمس السلبية . لا يحتاج إلى أحد ، ليس يشبه أحد ، لا ينقسم ولا يتبعض ، ليس له أول ، ليس له آخر .

فأين صفات النقص الأخرى التي نفاها الله عن نفسه ؟

كما ذكرنا أن الوحدانية عندهم هو عدم التبعض وعدم التجزء وهو معنى حق لكن ليس فقط هو الوحدانية ، لا يتكلمون في الشرك في الربوبية ولا الشرك في الإلهية لأن هذا عندهم ليس متعلقاً بأمر الوحدانية ، مع أن المعنى الاصلي الذي جاءت به الرسل هو تحقيق كلمة لا إله إلا الله .

لذلك نقول أن معنى الوحدانية بعدم التبعض وعدم التجزء هو معنى حق ، فلم يرد في الكتاب والسنة أن الله أبعاضاً أو أجزاءً ، ولا قال السلف عن صفات الرب كالوجه والعينين واليدين أنها أجزاء لله ولا أحد يتصور ذلك ، وإنما قالوا هي صفات الله تليق بجلاله .

لكن الوحدانية في الحقيقة هي أوسع من ذلك .

من توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الذات التي يتكلمون عنها .

منهج التلقي عند الأشاعرة يختلف عن منهج أهل السنة ، وإلا لماذا عدوا هذه الصفات دون غيرها ؟ قالوا العقل يثبتها دون غيرها ، وقالوا إن ما عدا ذلك يعرف بالسمع ويأول إلى هذه الصفات السبع .

ما مصدر هذا المنهج ؟

مصدره المعتزلة والجهمية والفلاسفة الذين قالوا أن العقل هو مصدر التلقي ، وهو أن ما يثبت العقل تثبته وأن ما ينفيه العقل ننفيه ، وقالوا عن نصوص الكتاب والسنة أنها ظنية الدلالة . نصوص الكتاب ظنية الدلالة ونصوص السنة ظنية الثبوت أي غير قطعية ، ولذلك هي ليست مصدراً للعقيدة ، أما الآيات تحتل عدة تفسيراً وتحتل عدة دلالات فليست مصدراً للعقيدة . فضاء الوحي من عندهم ، ولا شك أن هذا من أبطل الباطل ، وكما ذكرنا لأن نصوص الكتاب مفسرة لما فسره السلف رضوان الله عليهم ، ومن هنا قلنا الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وبفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم ( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ) فإذا نصوص الكتاب والسنة موضحة ودلالاتها واضحة ، والأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول حجة بنفسها في العقائد والأحكام كما سيأتي إن شاء الله .

إذا تلقت الأمة الحديث بالقبول رفعته عن مرتبة الظنية إلى مرتبة القطع والعلم فهو يستفاد منه الاعتقاد والعمل معاً ، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل الصحابة يعلمون الناس العقيدة ويعلمون الناس العمل ، يعلمون الناس الإيمان قبل العمل وليس أنه يقول لا تأخذوا منهم اعتقاداً حتى تعرضوه على عقولكم .

المقصود أن المصدر الذي نأخذ منه الاعتقاد هو الكتاب والسنة الصحيحة . أما العقول التي أكثرها عقول فاسدة عقول تسير على طريقة اليونان ومن سبقهم من أهل الضلال والكفر ، وعلم الضلال في الحقيقة هو فلسفة متحورة تعلقت بالغيبيات والمعتقدات التي تناولتها الأدلة الشرعية لكن على طريقة المنطق اليوناني الذي يعالج المسائل بالطريقة الرياضية والمقدمات والنتائج على طريقة الرياضيات ، ولا شك أن علم الاعتقاد في الغيبيات لا يمكن أن يقاس على ما عرفه الناس من الرياضيات والمنطق ونحو ذلك ، ولأن المنطق اليوناني مبني على تحويل الألفاظ وعلى استعمال كلمات موهمة وألفاظ موهمة وإثباتاً ونفيّاً فترتب على ذلك في النهاية مخالفة النصوص ، مثل قولهم " الله مخالف للحوادث " ترتب عليها ألا يوصف الله بأن له وجهاً ولا يدين ولا يجيء ولا يأتي ، لماذا ؟ يقولون أنه يخالف الحوادث وهذه صفات حوادث .

قد ذكر الله عز وجل في كتابه أنه ليس كمثله شيء وأثبت هذه الصفات قال { وجاء ربك والملك صفاء } وقال { بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء } وقال سبحانه وتعالى { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } وهو الذي قال { ليس كمثله شيء } وهو الذي قال { لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد } . فلذلك نقول أن هذه الصفات التي أثبتتها لنفسه تليق بجلاله من غير تشبيه للمخلوقين ومن غير تمثيل للمخلوقين ومن غير تعطيل لها وتحريف لدلائلها .

فإذا أثبت لنفسه هذه الصفات فكيف نرد ما قال ؟

ولم يختلف الصحابة رضي الله عنهم أبداً في هذا الاعتقاد .



ذكرنا في العقيدة الصحيحة عقيدة السلف أن نؤمن بكلم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل نقول لم يختلف الصحابة رضي الله عنهم ولا الذين يلونهم في هذا الاعتقاد ابداً وإجماعهم حجة على من بعدهم ، فيجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ، كلمة كل ترد على كل من يأخذون سبعة أو ثلاثة عشر أو عشرين صفه ، السبع التي يثبتها الإشاعة ، لما يضاف إليها الصفات السلبية والصفة الوجودية يصبحوا ثلاث عشر ولما يضيفوا إليها صفات المعاني التي هي كونه سمياً كونه بصيراً كونه عالياً كونه قديراً ،

نقول بل نؤمن بكل ما ورد ، فالتزام الأشاعرة بالمنهج العقلي جعلهم يقولون إن صفة الرحمة لا تليق بالله ، نسأل الله العافية ، كلمة فظيعة جداً ، الصفات الأخرى لا تليق بالله ، غير السبع صفات وأنها لا بد أن نؤول كل الصفات إلى صفة من الصفات السبع لماذا ؟ لأنها لا تليق بالله ، كلام غير محتمل ، لماذا؟ يقولون لأن هذه الصفة يلزم منها انقطاع القلب وضعفه والرحمة يلزم منها الخور والضعف ، كيف نقول ذلك ؟ الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم ، أيلزم من ذلك الخور والضعف ؟ هذه لو قلت رحمة المخلوق ، مع أن في الحقيقة صفة الرحمة في المخلوق صفة كمال ، أنتم فسرتوها بتفسير خطأ وبعد ذلك جعلتوها صفة نقص لكي نخولها إلى صفة الإرادة ، نقول أن الرحمة هي إرادة الثواب والغضب هو إرادة العقاب ؟ أنت تخيل أن عبد لا يرحم ماذا يكون ؟ إذا لا يرحم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من لا يرحم لا يرحم ) متفق عليه هي في الإنسان صفة نقص أن لا يكون عنده رحمة فكيف نقول أنت أن الرحمة صفة نقص ، هذا هو العقل الفاسد في الحقيقة ، لذلك نقول أن الشرع والعقل لا تعارضان ، نحن نقول أن تقدم النقل على العقل ، على العقل الفاسد مثل هذا العقل الذي ينكر أن الرحمة صفة كمال ، مع أننا نكرر كل يوم مرات عديدة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) لازم نقولها في الفاتحة سبعة عشر مرة يومياً ، نقول بسم الله الرحمن الرحيم ، ونقولها مرتين نقول بسم الله الرحمن الرحيم ، أنتم تقولون أن هذا لا يليق بالله عز وجل ؟ نعوذ بالله ، الإنسان لما يتدبر كلام أهل البدع يعرف أنه فعلاً منبعه من أناس لا يؤمنون بالقرآن ، منبعه ابتداءً من أناس أساساً منافقين ، لكن تلبس على بعض أهل الدين ودخل على بعضهم دون بعضهم ، لكن هو في الحقيقة يؤمن بالكتاب وبالسنة ثم يقول الرحمة لا تجوز ؟؟! ، يقولون الثواب نفسه والجنة نفسها هي الرحمة فقط ، نحن نقول الجنة هي رحمة الله عز وجل المخلوقة التي هي أثر من آثار اتصافه عز وجل بصفة الرحمة ، لاشك أن الرحمة التي خلقها الله عز وجل هي من آثار الرحمن الرحيم ، مائة رحمة مخلوقة كلها من آثار أنه هو الرحمن الرحيم واتصافه عز وجل بصفة الرحمة التي هي قائمة به سبحانه وتعالى ، فهم يردون كل الصفات الواردة إلى صفة من صفات السبع الذين يزعمون أن العقل أثبتتها ، مع أن العقل المعتزلي ينفي ما أثبتته عقل الأشعري ، هم يقولون العقل يثبت صفة الإرادة ، المعتزلي ينازعهم في ذلك ، المعتزلي يقول لا يوجد صفة كلام ولا صفة سمع ولا صفة بصر ، هو يثبت الأسماء فقط ، يعني رحيم بلا رحمة هو لا يثبت كما ذكرنا أي صفة من الصفات ، سمع بلا سمع بصير بلا بصر عليم بلا علم ، لأنهم ظنوا أن هذا يلزم منه التعدد ، فعقولهم خالفت عقول المعتزلة ، وعقل الجهمي ينفي ما أثبتته عقل المعتزلي ، لأن الجهمي يقول لا إسم ولا صفة ، المعتزلي يقول سمع بلا سمع لا سمع ولا سمع ، طيب والفيلسوف ؟ الفلاسفة يقولون لا ذات ولا إسم ولا صفة ، ثبت وجود مجرد هو الوجود المطلق ، أين مطلق ؟ في الحقيقة هذا في الأذهان فقط ، هم يقولون أن مرد الأمور إلى العقول ، العقول متفاوتة ، عقلك غير عقلي غير عقل هذا غير هذا ففي الحقيقة نقول أن الفلاسفة ينفون ذات الرب جل وعلا ، فهم يثبتون وجود مجرد عن ذات ، وجود فقط ، الوجود هذا موجود في الذهن فقط ، هو أنت في الحقيقة تلاقي سمع يمشي في الشارع كدة ؟ أم عمرك لاقيت بصر وحده أم لاقيت كلام قابلته ؟ عمر ما يكون في سمع إلا قائم بسميع ، لكن الذهن الإنساني يعرف يفرق بين الإسم والصفة يقول سمع هذا الشخص والسمع هو الصفة الخاصة به ، الذهن الإنساني يفرق لكن في الحقيقة لابد من سمع له سمع وبصير له بصر ولا بد من ذات تتصف بذلك لكن أنك تجرد وتقول وجود مجرد ، وجود مجرد عن الذات والاسم والصفة في الحقيقة يكون عدم ليس له وجود .

ذلك نقول أن كلام الفلاسفة وكلام الجهمية وكلام الإشاعرة بتقدم العقل ، نقول أي عقل فيهم ، عقولكم متفاوتة . عقل الهندوسي يرى أن البقرة تصلح للعبادة ، وأذكر أن أخ ذهب إلى البنجلادش يقول أن هناك أناس يعبدون النسناس ويعبدون الفأران ، وهناك مدينة الفأر المقدس ، وفي أحد المرات نشروا أن الهند انتشر فيها الطاعون ، طاعون قتل مئات والآلاف منهم لأنهم وجود أثنان مليون فأر تحت بيوت المدينة لأنه محرم قتل الفأران في هذه المدينة لأن الفئران حيوانات مقدسة . آلهة والعياذ بالله . ففي أناس يعيشون كذلك ويقولون انهم يقبلون الكلام والعياذ بالله طبعاً عقول فاسدة وعقول انطمست والعياذ بالله ، وهو يعيش صح ولما يبيع ويشترى يبيع ويشترى صح لكن لازال على عقيدته ومستعد يقتل في ذلك في الدفاع عن البقرة والفأر المقدس والعياذ بالله ، والفراعنة كانوا يعبدون العجول ومازال عجل أبيس موجود ، موجود تمثاله يعني أقصد ،

الأشاعرة والماتوردية مثل بعض نعم في مسائل خفيفة جداً في الفرق بينهم .

نقول لكن عقل السني يثبت كل ما أثبتته الكتاب والسنة وهو العاقل في الحقيقة ، والعاقل هم أهل الإيمان هم ذوي العقول ويثبت كل ما أثبتته الكتاب والسنة ويقولون أن من يوصف بالرحمة مع نفي العجز والخور والضعف عنه ومن يضع الرحمة في مواضعها فهذا بلا شك أكمل ممن لا يتصف بذلك ، المخلوق نفسه الذي يتصف بالرحمة مع القوة ومع كونه يرحم من يستحق أن يرحم هو في ذلك كمال ، يعني الذي يرحم الصبي ويرحم الضعيف ويرحم المرأة ولما يكون في موضوع شدة يكون في شدة ، هذا صفة كمال أم صفة نقص عند العقول الصحيحة ؟ لذلك نقول أن الصفات هذه في الحقيقة يثبتها العقل السليم لكن أنت من أين تعرف أن العقل يثبتها ؟ لما ترجع إلى الكتاب والسنة ، تستضيء بنور الكتاب والسنة يتضح لك الأمر والله أن هذه صفة كمال ، الذي يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء الذي يغضب حين تنتهك حراماته والذي ليس عنده غضب بالكلية أيهما أكمل ؟ الذي ليس عنده غضب نهائي مهما فعل به لم يغضب ؟ يقولون الغضب صفة نقص لله !! يقولون الغضب فوران دم القلب فنزعه ربنا عن كدة !! طيب هذا للمخلوق . وفوران دم القلب هذا من أين جئت به ، أنت الذي اخترعت هذه التعريفات ، لما تقول أن الرحمة ضعف وخور أنت الذي اخترعت هذا الكلام . المشكلة كلها أنك عاملت المعاني مثل الرياضيات كل شيء تعمل له تعريف والتعريف يطالع في الآخر أنه لا يعرف أن يعرف تعريف إلا أن يكون خاص بالبشر ولما يقول ما معني سمع ؟ تجده يقول السمع هو حصول الأصوات بسبب ارتخاف مثلاً طبلة الأذن طيب هنقول ربنا عنده طبلة أذن ؟ فننفي صفات السمع . نقول لا هذه صفات المخلوق الذي تراه أنت لكن صفه السمع لا

يحتاج إلى تعريف السمع معناه معلوم ، والكيف في حق الله مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، هذا هو الواجب علينا ليس الواجب أن نعرف كل شيء . لذلك لو جاء وقال ما معني يد نقول له يعني يد لا تحتاج إلى تعريف ، لو قال ما معني يضع الجبار عليها قدمه ؟ سنقول مفهومه ، أصغر واحد يعرف يعني ايه يضع عليها قدمه ، الجارية قالت أن الله في السماء ، وفي ضرورة فعله ولذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية " أن فطرة العباد على العلو فطرة معلومة للخلق وأما الاستواء فهي صفة جاء به السمع " الإمام الجويني كان يخطب على المنبر ويقول كان الله ولا عرش وهو على ما كان لينفي الأستواء ، يقول وهو على ما كان لينفي التغير ، كلمة التغير هذه لم ترد في الكتاب والسنة ، نقول كان الله بلا خلق وهو على ما كان ؟ إذن لم يخلق الخلق أم ماذا . نعم خلقهم . جاء في لحظة معينة وخلق الخلق . ستسمي هذا تغير أم ماذا ؟ ولماذا تسميه تغير ولم يرد ، لأنك لو سميت تغير وحثت وقلت التغير نقص وتحول ولا يجوز بذلك توصل أن تنفي ان ربنا خلق العالم ولذلك هذا الكلام باطل . هذه الطريقة طريقة الحد والحدود في كل شيء طريقة باطلة ،

نقول كان يخطب الإمام الجويني ويقول كان الله ولا عرش ففي واحد اسمه همدان فقال دعنا من الاستواء ومعناه لكن ماذا نفعل في هذه الضرورة ما قال رجل ولا امرأة ولا عربي ولا عجمي إلا وجد نفسه يتجه إلى فوق قاله في ضرورة كدة لما أقول ياالله كل الخلق ينظر فوق فوراً حتى فرعون . فرعون مع موسى عليه السلام كان في إشارة واحدة فقط إلى ان الله فوق وهي قوله ( قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ ۚ } الاسراء ١٠٢ . لكن الكلام مع فرعون مباشرة لم يصح أن الله في السماء ، وفرعون لما جاء يبحث عن إله موسى ماذا فعل ؟ يريد أن يبني صرح في السماء . وجاجارين الرجل الروسي الكافر لما طلع بمركبة الفضاء وقال أناطلعت إلى السماء ولم أحد ربنا الذي يتحدث الناس عنه . طيب جاجارين حضر معنا درس عقيدة وعرف أن المسلمين تقول أن الله في السماء ؟ أم هي فطرة عندهم وعند النصارى أنه يوجد شعور فطري في البشر انه فوق . والمرأة التي قالت في السماء هذه فطرة في البشر . فهذا المعنى في الحقيقة العقل السليم يثبت هذه الأمور ويثبتها على ما يليق بالله سبحانه وتعالى ، لذلك نقول ان العقل يثبت الله ما ثبت الله عز وجل فمن يوصف بالرحمة مع نفي العجز والضعف والخور ومع كونه يضع الرحمة في موضعها هذا بلاشك أكمل ممن لا يتصف بذلك لا شك ان الذي يتصف بالرحمة أفضل ويرحم كل من سواه هذه هي الصفة العامة التي دل عليها صفة الرحمن ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء هذه هي الرحمة الخاصة . يعني في رحمة تنال كل الخلق لا يوجد مخلوق إلا ويناله أثر من أسم الرحمن وهناك من يرحمون رحمة خاصة رحمة الآخرة رحمة دخول الجنة حتى أهل النار والكفار رحمو الرحمة العامة برزقوا أطعموا وهبوا الحياة وعدل الله عزوجل معهم ولم يكتب عليهم إلا ذنوبهم ، نقول من يرحم من سواه ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا شك أن ذلك كمال وليس نقصاً لكن في الحقيقة انهم وقعوا في التشبيه أولاً واعتقدوا ان الرحمة تستلزم انقطاع القلب وتستلزم البكاء رأوا ان الأم التي تبكي على ابنها هي دي صفة الرحمة عندهم فالحقيقة قاسوا رحمة الخالق على رحمة المخلوق فوجدوها لا تليق فنفوها وهذا من أبطل الباطل فلا بد أن ثبت الصفات لله جل وعلا على ما يليق به سبحانه وتعالى فهو الرحمن الرحيم رحمة تليق بجلاله يغضب غضب يليق بعظمته . لذلك نقول ليس هناك فرق بين بعض الصفات وبعض ، المعتزلة قالوا كل الصفات منفية الأشاعرة قالوا سبعة تثبتتها والباقي نفيها ، نقول لا ليس كل صفات الله قسروا على سبع كما يعتقد الأشاعرة أو غيرهم بل كل ما ورد في الكتاب والسنة يجب الإيمان به ونقول أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى في حذوه ويتبع فيه مثاله فكما أن إثبات الذات وجود لا إثبات تكيف فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكيف

قاعدة ثانية أن الكلام على بعض الصفات كالكلام على البعض الآخر ، الذي نقوله في صفة الكلام والسمع والبصر والإرادة الحياة نقوله في صفة الرحمة والغضب والرضا والفرح واليدين والوجه وكل الصفات ،

الذات متصفة بصفات الصفات تتعدد والذات واحدة سبحانه وتعالى ، بل المخلوق نفسه كذلك ، فهذا لا ينافي العقول ، المشكلة في الانفصال الذهني الانفصال يقع في الذهن فقط أنك تفرق في السمع والبصر وبين الذات المتصفة بذلك لكن في الحقيقة أنسان سميع بصير وتعرف وتراه امامك سميع بصير طويل وله ذات واحدة فلم يمتنع في العقل السلم تعدد الصفات مع وحدة الذات نقول ان الكلام على بعض الصفات كالكلام على البعض الآخر ، كل ما ورد يجب الإيمان به كالحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام التي هم السبعة التي يقولونها بالله يجب عبادته المؤمنين ويجب المتقين ويجب المحسنين ويرضى عن المؤمنين ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، لما نتأمل نجد أن هذه الصفات لم تذكر مجردة بل ذكرت مع ما يحتاجه الإنسان ويحتاجه البشر إلى التعبد لله بها ، يعني أنت لما تسمع أن الله يحب المتقين أهم حاجة عندك تكون ماذا ؟ تكون متقي ، يحب المؤمنين تحقّق الإيمان لكي يحبك الله ، لما تسمع والله لا يحب كل مختال فخور . سبحانه الله تربية إيمانية على معاني الأسماء والصفات كما ربي بها لقمان أبنه وهو يعظه ، الله لا يحب المختال لا يحب الفخور لا يحب الكذاب لما تقول له هذا الكلام يرتبط بمعنى في القلب ويرتبط بسلوك عملي ، لا يحب الكافرين لا يرضى عن القوم الفاسقين إذاً تقرب من الفسق لا يرضى لعباده الكفر إذاً تفرق بين الإرادة وبين الرضى وكذلك السخط على الكافرين قال الله تعالى ( أَنَّ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ } المائدة ٨٠ كما قال الله الآية في تحريم موالاة الكفار قال الله سبحانه وتعالى ( تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ } المائدة ٨٠ والعياذ بالله من ذلك ، إذا تعلم أن الله يسخط على من والى الكفار وكيف ترضى انت عن من يوالي الكفار هذه قضية إيمانية كيف ترضى أنت عنه كيف ترضى عنه وتعامله هذه المعاملة ، لو كان المنافقون يؤمنون بهذه الآية لعاملوا الكفار معاملة أخرى غير التي يعاملون بها ( لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } لماذا؟ لأنهم تولوا الذين كفروا ( وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ } ) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } المائدة ٨١ والله يسخط على الكفرة وعلى من يتولى الكفار .

وكذلك الفرح بتوبة العبد حينما يتوب إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة ) متفق عليه هذا العبد الذي كان معه بعير وعليه طعامه وشرابه في أرض صحراء مافازا مهلكة ، ضاع منه البعير وبحث عنه فلم يجده حتى أيس ويقن بالموت فقال أضجع تحت ظل شجرة حتى يأتيني الموت وأنا نائم فاستيقظ فإذا بإبراحته قائمة عنده فقال اللهم انت عبادي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ( لله أفرح بتوبه عبده حين يتوب إليه من فرح هذا إبراهيم ) ، فالنبي صلى الله

عليه وسلم يبين هنا فرح الرب عز وجل بتوبة عبده مما يجعل العبد أعظم شوقاً إلى التوبة وانه كلما أذنب يجتهد ويبادر إلى التوبة ليفرح الله عز وجل بلقائه ويفرح هو أعظم أثر من فرح الله عز وجل به لأن النوع الإنساني نوع خاص ، الله عز وجل خلقه لنفسه في الأصل واجتياه أباه آدم وفضله على الملائكة وأمر الملائكة بالسجود له وجعل ذرية هذا الإنسان ذرية آدم عليه السلام مكرومة مشرفة فند هذا العبد فبعد أن أدرك خطورة الهروب والبعد عن الله عز وجل عاد إلى الله عز وجل فبالله عز وجل يفرح به أشد من فرحة هذا العبد أشد من فرحة الأهل بالغائب عندما يرجع هذه صفة كمال في الحقيقة تخيل انت لما يقولوا أن صفة الفرح صفة نقص ؟ ! لماذا هي صفة نقص ما وجه النقص فيها ؟ تخيل في المخلوق كيف تكون صفة نقص ؟ واحد جائه الغائب فقال له أهلاً وسهلاً كيف أنت والآخر أخذه بالأحضان وفرحان به ، أيهما مشاعره أكمل بلا شك أن الذي فرح وفرحان بقدوم الغائب هو الأكمل من الذي مشاعره جامده وأنه غير الآخر الذي لا يفرح لفرح ولا يحزن لحزن طبعاً الحزن نقص لأن مرده إلى زوال ، وذلك الحزن منفي عن الله عز وجل لكنه سبحانه وتعالى يفرح بتوبه عبده حين يتوب إليه لذلك فعلاً السنة أنت بالكمال من كل وجه لا يوجد مرة واحدة أن الله عز وجل يحزن لكن في صفة الغضب ولا يوجد صفة الحزن .

وكذلك ضحك الرب عز وجل لرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يرغب في التوبة ويرغب قاتل المؤمن في التوبة إذا كان كافراً فيتوب . قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قالوا كيف يارسول الله قال يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد فيضحك الله عز وجل لهما ) رواه مسلم الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتفاعلون تفاعلاً عظيماً مع هذه الأحاديث ، كما ذكرنا في حديث لقيط ابن عامر عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( فيتجلى لهم ربحهم يضحك ) رواه مسلم فقال أويضحك ربنا عز وجل ؟ لم نعدم من رب يضحك خيراً لم يكن يعرفها فلما سمعها فرح بأن ربنا يضحك سبحانه وتعالى ولم نعدم منه الخير أبداً سنظل متعلقين بصفة الضحك ونرجو منه الخير سبحانه وتعالى .

وكذلك صفة اليبين قال الله سبحانه وتعالى ( قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ) ص ٧٥ الله كرمه وخلق بيده فكيف تتكبر أنت عنه ، إبليس منشغل بفكرة معينه فكرة أنه أعلى وفكرة أنه أفضل فكرة الحقد والحسد والعياذ بالله والكبر عمال يفكر بأنه نار الثاني طين ونسي سبب التكريم الحقيقي أن ربنا خلقه بيديه فبالله سبحانه وتعالى أراد أن يبين له سبب التكريم لعله أن يرجع ويقوم عليه الحجة فقال ( مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ) ص ٧٥ ربنا خلقه بيده فهذه من أعظم فضائل آدم . فهذه إقامة الحجة على إبليس أن الله سبحانه وتعالى خلقه بيده ، كيف بعد ذلك واحد يقول صفة اليد صفة نقص ، هذه هو سبب تكريمك أيها الإنسان وسبب تكريم أباك ان الله خلقه بيده وسبب أن الناس تذهب إلى آدم يوم القيامة فيقولون أن آدم خلقك الله بيده ويذهبوا إلى سيدنا موسى ويقولون كتب لك التوراة بيده يعني هم يتكلمون على صفات الكمال وأعظمها التي تعلقت بصفات الله عز وجل في الخلق فقولوا عز وجل ( قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ) وقال عز وجل ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ) المائدة ٦٤ نؤمن بالصفة بما يلزم منها من الكرم والجلود والعطاء ، يمين الله ملئ لا تغيضها نفقه كمال قال النبي عليه الصلاة والسلام ( يمين الله ملئ لا تغيضها نفقه سحاء الليل والنهار رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه ويده الآخرة الميزان يخفض به ويرفع يخفض من يشاء بالعدل ويرفع من يشاء ) رواه البخاري .

وكذلك صفة القدم تنتبه أن الصفات التي هي عندنا أعراض والصفات التي هي عندنا أبعاد كلامهما قلن عنها أنها صفات لله عز وجل ، لا نقول عنها أن أجزاء الله عز وجل ولا نقول أن اليد والرجل هي أجزاء الله عز وجل لم يقل أحد أنها أجزاء ، هي عندنا نحن أجزاء مثل السمع والبصر عندنا نحن أعراض لكن لا نقول أن السمع عرض في حق الله ولا جزء لا الصفات التي مثل السمع والبصر نسميها أعراض ولا الصفات التي هي عندنا أجزاء نسميها أجزاء لأن الله واحد لا شريك له ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) الشورى ١١ كالسلف لم يسموا هذه الصفات أبعاد ولا أجزاء ولا سموها جارحة وإنما نقول هي صفة لائقة بالله عز وجل ، صفة القدم أو نقول القدمين لما نقول القدم ليس المقصود القدم الواحدة وإنما جنس الصفة إنما هما قدمان ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار رب العزة تبارك وتعالى قدمه فيها) متفق عليه والرواية الأخرى توضحها التي هي عليها نقراً [ فَيَسْجُودُ فِي الْأَرْضِ ] يعني على الأرض لأن البعض يقول أن جهنم تحل فيها صفة القدم ؟ لا الله عز وجل بائن من خلقه فيضع فيها يعني يضع عليها حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط وعزتك يعني اكتفيت وعزتك وبزوى بعضها إلى بعض ) لابد أن نؤمن لأن الحديث صحيح ولو قلنا القدمين لصح لأن ابن عباس رضي الله عنه قال الكرسي موضع القدمين وهو حديث موقوف على ابن عباس لا يقال من قبل الرأي وإنما هو له حلكم الوصف كل ذلك مما يليق بعظمة الله عز وجل تثبت ذلك الصفات على ما يليق بالله ولا نقول أنها تشبه صفات المخلوقين أو أن المخلوقات هي عين الله تعالى ولا تثبت المماثلة كما أن المخلوقات ليست هي الله عز وجل فكذلك صفات الله ليست كصفات المخلوقين ، الكلام على الصفات فرع على الكلام في الذات مثل ما المخلوقات تختلف عن ذات الرب فكذلك صفات المخلوقين تختلف عن صفات الرب ولا تثبت المماثلة بين الخالق والمخلوق كما سيأتي ، الظاهر أنه سمعه من النبي عليه الصلاة والسلام لأن هذا مما لا يظن أن ابن عباس يعتمد على الإسرائيليات فيه مع أن ابن عباس معروف انه قد يروي عن الإسرائيليات لكن ليس على جهة الجزم بما والتصديق بما خصوصاً في باب العقيدة فباب الإعتقاد لا يظن عن ابن عباس رضي الله عنه أنه يأخذها عن الإسرائيليات ولذلك نقول ان هذا الحديث له حكم الرفع ولذا عامله اهل السنة وذكره عبد الله ابن الإمام احمد وابن خزيمة في التوحيد وأيضاً ذكره الذهبي في العيون .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

## ٦- التعطيل

نقول نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل

ما هو التعطيل ؟

التعطيل هو نفي المعنى الحق التي دلت عليه الصفة فالتعطيل على درجات كلها بعضها أسوأ من بعض وكلها باطلة .

أشد أنواع العطلة الباطنية نفاة النقيضين ، الباطنية هذه فرقة من غلاة الرافضة أسوأ أنواع المعطلة وأضلهم ، عقيدتهم فيها جمع بين المتناقضات لأنه أصلاً نفي النقيدين مثل جمع النقيدين يعني لما نقول موجود وليس موجود . ماهو الشيء الموجود وليس موجود هذا ؟ لا ليس العدم بل هو المستحيل . أليس كذلك ، لأن العدم ممكن يتوجد منه شيء أما الذي هو لا موجود ولا ليس موجود إذاً هو المستحيل . في الرياضيات يسمونه حدث مستحيل ، وهم في الحقيقة أناس كفرة يعتقدوا أنه لا يوجد ربنا فيقولون كلاماً لا أحد يفهمه فيقولون لا سميع ولا ليس بسميع ينفي النقيدين لا يقول سميع وليس بسميع بل يقول لا سميع ولا ليس بسميع هي في النهاية نفي النقيدين مثل جمع النقيدين هو المستحيل يقولون لا حي ولا ليس بحي لا عليم ولا ليس بعليم لا موجود ولا ليس موجود كلامهم خرافة وأباطيل ووصفوا الرب بالمستحيل ولم يجعلوه عدماً بل جعلوه عدماً لا يمكن أن يتوجد وهم فعلاً يعتقدون ذلك وهم يخدعون الناس ويقولون ذلك من باب خداع الناس .

أشهر أنواع الباطنية الموجودة بالتاريخ هي أحبث دولة وجدت المسماة بالفاطمية وخدعوا الناس وقالوا أنهم فاطميين وهم ليسوا بفاطميين وليس لهم نسبة إلى فاطمة بل نسبتهم في الآخر إلى اليهود والعياذ بالله وبنو عبيد القداح رجل كان يهودياً وانتسب إلى الإسلام وخرج منه هذه الدولة الخبيثة التي حكمت مصر والشام والحجاز لمدة طويلة ومنهم القرامطة الذين انتزعوا الحجر الأسود من مكانه إلى أن رده الحاكم بأمر الله الفاطمي أيضاً الذي تجرأ على أدعاء الألوهية لما جدهم يقولوا هذا الكلام وهو عنده علو وتجبر فادعى الألوهية والعياذ بالله ومازالت طائفة وموجودة في زماننا وهم الدورز الطائفة الدرزية تعتقد أن الحاكم بأمر الله هو الله والدورز تعتقد فيه ما يعتقد النصارى في المسيح والدورز هم أعوان اليهود دائماً وهي الطائفة المقدمة عند اليهود وهي الطائفة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها ضباط في الجيش اليهودي هي الطائفة الدرزية وهم موجودون في لبنان والحوالان ، نعم الطوائف الثانية ممكن عساكر وصف ضباط لكن اللي ممكن يكونوا ضباط هم الدورز والعياذ بالله فهم كلهم من طوائف الباطنية والعياذ بالله فهذه الفرق لم تنقرض موجود منها اليوم الإسماعيلية ومنتشرة في أفغانستان والهند وهم الذين يعتقدون استحالة وجود الرب ويأخذ صفاته الإمام عندهم يعني إمام الوقت هو الذي يأخذ صفات الرب عندهم فهم يأهون الإثمة والشاعر يقول للمعز لدين الله المسمى بالمعز لدين الله الفاطمي يقول له

ما شئت لا ماشئت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

وألقيه في السجن سجن المعز لدين الله الفاطمي الذي قال له ذلك ،

لاشك أنه هناك كفار نوعاً وعباداً والعياذ بالله هم لا يقولون هذا الكلام لكل الناس وإنما كما قال الظاهري رحمه الله ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض ظاهرهم الرفض أنهم يظهرون أنهم شيعة والعاذ بالله وحقيقتهم أنهم يعتقدون العقائد الخبيثة هذه لا صلاة ولا صوم ولا حج هذا في باب التشريعات أما في باب الصفات فهم يقولون أن وجود الرب مستحيل وهو الجمع أو نفي النقيدين وهم الباطنية والدورز والفرق البهرة وكذلك العلويين في تركيا والشام والعلويين الذي منهم حافظ الأسد وذريته لكن حافظ الأسد أعلن أنه سني لأن الدستور ينص على لزوم أن يكون رئيس الدولة سنياً لكن لما دفن دفن في جبل العلويين في مدن العلويين فسبحان الله التاريخ يتكرر عندما سيطر الباطنية على مصر والشام ضاعت القدس على أيدي الصليبيين الذي أخذوا القدس عندما سيطرت هذه الدولة على مصر والشام وعادت القدس عندما أزيلت هذه الدولة ، صلاح الدين من أعظم فضائله رحمه الله أنه أزال دولة الباطنية بأمر من نور الدين محمود رحمه الله وكان نور الدين هو السلطان في ذلك الوقت عندما أرسل استغل حاجة الفاطميين أنهم قوم لا دين لهم فتحالف طائفة منهم مع الصليبيين ثم اختلفوا فأرسل الخليفة الفاطمي العاضض شعور نسائه إلى نور الدين يقول له أدركني لأن وزيره خانه وأدخل الصليبيين واتفق معهم أن يدخلهم دمياط وأن يبيع لهم البلد وكان اسمه شاور وزير العاضض فهم اختلفوا فهم يتحالفوا ثم يختلفوا ولذلك يوقع الله بينهم ، فأرسل نور الدين محمود أسد الدين شيريكوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين إلى مصر فأخذوا البلد من أيدي الصليبيين وعملائهم من وزير الخليفة العاضض فلما تمكنوا من البلد ظل نور الدين يرسل صلاح الدين بأن يقطع الخطبة لإعلان انتهاء هذه الدولة يقطع الخطبة للخليفة العاضض ويجعلها للخليفة العباسي ، ظل صلاح الدين مدة متروكاً ثم بعد ذلك جعل الخليفة العاضض في قصر هو نساؤه وألغى الخلافة الفاطمية التي هم لم تكن خلافة أصلاً بل هي خلافة شيطانية واستمرت هذه الخلافة مائتان وثمانون عاماً تفسد في الأرض ولما عادت السنة إلى بلاد مصر والشام عادت القدس بفضل الله عز وجل وكان محرم أن يتلى البخاري ومسلم ومحرم أن تسمع مذاهب العلماء لائمة الاربعة وغيرهم وكان الأذان على طريقة الرافضة حي على خير العمل فنفس الأمر عندما تسلط العلويين على الشام والعلمانيين القوميين على مصر وغيرها وأصبحت العلمانية والقومية العربية هي الشعار سقط القدس في يد اليهود ولن يعود الأمر إلا عندما يعود الناس إلى السنة بإذن الله ،

فساد العقيدة وسيطرة أصحاب العقائد الفاسدة والكفرية أعظم أسباب هزيمة المسلمين ، وهذه الطائفة مؤثرة وهذه الطوائف مؤثرة في واقع المسلمين ، الطائفة الإسماعيلية في أفغانستان كانت من أشد الناس عوناً لشيوعيين أولاً ثم للأمريكان ثانياً والطائفة الإسماعيلية مازالت موجود من الطوائف الباطنية ولا تفتكر أنها انتهت بل هي قائمة لها جامعات تدرس وفي جامعة اسمها الجامعة السيفية في الهند تدرس عقائد الإسماعيلية والعاذ بالله أشد أنواع المعطلة وأكفرهم والعياذ بالله ،

النوع الثاني وهو تعطيل الفلاسفة .

أشهر أنواع الفلاسفة المنتسبين للإسلام ابن سينا والفراي كانا يقولان بعقيدة الفلاسفة مثل أرسطو وأفلاطون وأمثال هؤلاء الذين يثبتون الوجود المطلق يقولون واجب الوجود لا ذات ولا اسم ولا صفة ولا فعل وجود مجرد ولذلك يقولون يقدم العالم ، يقولون العالم هذا المادة فيض فاض من واجب الوجود عبر سلسلة من القيود الفيض أولاً أول فيض كان العقل الكلي وفاض منه عشر عقول النفس الكلي وفاض منه تسع نفوس وبعد ذلك سلسلة من النفوس وصل إلى الهويولي التي هي المادة الأربعة هم التراب والماء والهواء والنار وهي العناصر الأربعة التي تكونت منها الكائنات طبعاً يعني بعد اكتشاف جدول مجنيس أنها ليست كذلك لأن الماء نفسها عنصرين لكن هذه من الفلاسفة اليونانية التي تقول يقدم العام واستمرت عند المعاصرين جزء منها أن المادة لا تغنى ولا تستحدث ولا مخلوقة من عدم هذه موجود أصلاً في عقائد الفلاسفة والمادة أزلية والمادة لا تغنى ولا تستحدث من عدم وهذا والعياذ بالله من الكفر ولذلك عقيدة الفلاسفة منافية لعقيدة أهل الإسلام بالكلية يعتقدون النبوة مكتسبة ويعتقدون بعدم بعث الأجساد والعياذ بالله وابن سينا نصر هذه العقائد وأيدها والعياذ بالله .

تعطيل الاتحادية :

ومثل هؤلاء في الكفر أيضاً الاتحادية تعطيل الاتحادية الحلولية من الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والصوفية تأثرت بالفلاسفة أعظم التأثير وأدخلوا كلام الفلاسفة في معتقدهم وتأثر بهم الغزالي رحمه الله بمصطلحات الفلاسفة كالعقل الكلي والعقل الجزئي والنفس الكلي والنفس الجزئي وهذا هو بداية إدخال الفلسفة إلى التصوف والتصوف كان في البداية عبارة عن زهد ومبالغة في العبادة لكن تحول تدريجياً على يد من درسوا الفلسفة مع الغلو في العبادات ومع فعل العبادات المبتدعة واختراع المقامات البدعية واشهرهم هؤلاء الصوفية الفلاسفة تحول إلى عقيدة منابذة لأهل الإسلام تماماً .

والغزالي أراد الرد عليهم لكن تعلق ببعض بقايا منه كما قال ابن العربي رحمه الله المالكى قال شيخنا أبي حامد دخل في بطن الفلاسفة فأراد أن يخرج فلم يستطع رغم أنه كفر الفلاسفة في كتب تحافت الفلاسفة لكن بقيت له كتب أخرى مثل المضمون به على غير اهله وكتب للغزالي واضح جداً تأثره بالفكر الفلسفي وحتى عندما تصور واجتهد في الزهد والعبادة بقيت آثار من ذلك وخلط في بداية الأمر وآخر أمره قال بضاعتي في الحديث مزجة وأراد أن يتعلم الحديث من أول الأمر فمات والبحاري على صدره فكان خاتمة الإمام الغزالي غير بداياته لكن كان من أكثر الناس تأثراً بالمنهج العقلي ثم ما أظلم عليه ذلك وهو أكثر من نشر العقيدة الأشعرية على أنها عقيدة أهل السنة هو الرازي والجويني والغزالي تلميذ تلميذ الجويني ثم لما أظلم عليه ذلك اتجه إلى التصوف وألف كتاب إحياء علوم الدين وفي غالبه معاني طيبة جميلة مأخوذة عن الزهاد من السلف لكن فيه أيضاً معاني خطيرة جداً والضعف في الحديث ظاهر جداً عليه وبقيت آثار فلسفية منها العقل الكلي والعقل الجزئي والنفس الكلي والنفس الجزئي حتى بعض المفسرين المتأخرين ينقل عنه بلا تردد كثيراً يعني حتى بدون تعليق مثل كتاب محاسن التأويل القاسمي والكتاب في الجملة كثير النقل عن شيخ الإسلام لكن أيضاً ينقل عن ابن عربي وينقل عن الغزالي وينقل عن الغزالي في تفسير ( وَعَلَّمَآهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) الكهف ٦٥ ينقل أن العلم الادني هو زوال الحجب بين النفس الكلي وبين النفس الجزئي ويقول العقل الكلي هو جبريل والعقل الجزئي هو النبي والنفس الكلي هو اللوح المحفوظ والنفس الجزئي هو نفس الولي ، الاصطلاحات الصوفية زوج بينها وبين المصطلحات الإسلامية وجعل الحقائق هي عقائد الفلاسفة وسمى الاصطلاحات سمها بسم العقائد الإسلامية يعني عندنا اللوح المحفوظ هذا عبارة عن ماذا ؟ كتاب كتب الله فيه مقادير الخلاق ليس أنه فيض فاض من واجب الوجود فهو قال اللوح المحفوظ عندنا هو في الحقيقة هو النفس الكلي وأن نفس الولي هي نفس جزئية والعلم الادني هو زوال الحجب بينها وبين النفس الكلي الذي هو ثاني فيض فاض من واجب الوجود وبالتالي أصبح الولي لما تزول الحجب بينه وبين اللوح المحفوظ إذاً هو يعرف الغيب وذلك فضلت عن الصوفية أثار خطيرة من أن الولي يعلم الغيب وفسر الوحي بنفس تفسيره عند الفلاسفة بأن في عقل كلي وعقل النبي هو عقل جزئي قادر على تخيل الأمور المعنوية في صورة محسوسة فيقولون أنهم تصوروا جبريل في صورة محسوسة وجاء يكلمهم ، هي في الحقيقة معاني وفقط وهم تخيلوها في صورة ملك ففسرها بهذه الحقيقة والعجب أن القاسمي نقل هذا الكلام بدون أي تعليق مع أن هذا في منتهى الفساد ، هذه عقيدة الفلاسفة في النبوة والولاية من أخطر العقائد الفاسدة والذين خلطوا بين التصوف والفلسفة كانوا على درجات متفاوتة وهذه بقايا موجودة عند الغزالي لكن الذين صرحوا بعقائد الفلاسفة تماماً هو ابن عربي ولذلك ابن عربي له منزلة عظيمة جداً عند المستشرقين وعند الفلاسفة والخوميني بمدح ابن عربي مدح عجيب ويقول عنه الإمام الأكبر لأن في اتفاق بين العقائد الفاسدة العياد بالله فمع أن الغزالي كفر الفلاسفة بالقول يقدم العالم والنبوة مكتسبة والقول بعدم بعث الأجساد لكن بقيت هذه البقايا ،

تعطيل الاتحادية

وكذا تعطيل الاتحادية والعياذ بالله سنسمع الآن أشعار فظيعة في نفي وجود الله وأن الله هو هذا الوجود كله والحلولية كالحلاج يقولون أن ربنا حل في المخلوقات والحلاج قال لا إله إلا الله ما في الجبة إلا الله ، ويشاور على الجبة ، وهؤلاء إن كان في ظاهريهم الإثبات ويقولون بالإثبات لكن في الحقيقة ينفي وجود ربنا لما يقول الكلب والخنزير هو ربنا وأنا نحن



ربنا وربنا هو نحن يبقى ان في الحقيقة نفيت وجود ربنا والعباد بالله ، الله سبحانه بائن من خلقة ، ويقولون بوجود الرب في كل الوجود ويقولون بوجود الرب في كل مكان وللأسف أن هذه الكلمة يحفظها كثير من عوام المسلمين يقولون أن ربنا في كل مكان ولكن حافظين هذه الكلمة بدون حقيقة معناها ولو أحد التزم حقيقة معناها يصبح كافراً قطعاً ويعني لو قلت له أن ربنا موجود في الكلب يقول أعوذ بالله وموجود في دورة المياه يقول أعوذ بالله الذي يقول نعم الله داخل هذه الأشياء يكون خارج من الله ، إذا كان النصارى كفروا لأنهم يعتقدون حلول الرب في المسيح يقولون حلول الرب عز وجل في المسيح إذاً كيف بمن يدعي أنه في كل الكائنات ، فموجود في كل الوجود ، والأغنية التي هي في التواشيع هذه التي تقول ياموجود في كل الوجود والعباد بالله كلام في منتهى الخطورة ، هي أصلاً عقائد الفلاسفة من هذا النوع الذين دخلوا للمسلمين من خلال التصوف ، الذي يقرأ كلام ابن الفارض وكلام بن العربي يجزم بأن هذه العقيدة الفلسفية هي الأصل عندهم وهم يصرحون تصريحاً لا يخفى بوحدة الوجود والحلاج يصرح بالحلول والعباد بالله ،

فالحلولية والاتحادية يقولون ذلك صراحة ، ويقولون ما الكلب والخنزير إلا ألهي والعباد بالله ، إذا كان النصارى كفروا باعتقادهم أن الرب حل في المسيح فكيف بمن يعتقد أن الرب يحل في كل المخلوقات ؟ وأنه ساري فيهم سريان الملح في الماء والسمن في اللبن ؟ وهم يضررون مثلاً في أن مدرس مرة سأله عن وجود ربنا فضرب لهم مثلاً مثل الملح في الماء ، فمثل هذا هو مثل الحلولية في ملح وفي ماء لكن هذا حل في هذا وكالسمن في اللبن وهذا قول جهم الأول قول جهم بن صفوان لما نظره السمنية في هذا فقال هو هذا الهواء الذي تنتفسه وهو كالمالح في الماء والسمن في اللبن والدهن في السمن وهو لا يثبت صفة ولا فعلاً وهو اسماً ،

انفصلاً للرب عز وجل يقولون ذات الرب هي ذات جميع المخلوقات حال في جميع المخلوقات سار وحال في الوجود كل شيء في الوجود يحل فيه الرب هذا كلام الحلولية وهم كفار بلا نزاع والاتحادية أشد منهم كفراً لا يقولون بذات حلت في أخرى بل يقولون الحلولية كفرة ويقولون الحلولية يقولون اثنان وهم أخطأوا في هذا بل لا يوجد اثنان أصلاً ولا يوجد ملح وماء بل هو شيء واحد أصلاً ،

طالب : ابن عربي هو ابن العربي ؟

الشيخ : لا ابن العربي المالكي غير ابن عربي ، محي الدين ابن عربي صاحب الفصوص وهو أحد أئمة الصوفية ، وأبو بكر ابن العربي الفقيه المالكي الذي قال دخل شيخنا أبو حامد في بطن الفلسفة وأراد أن يخرج فلم يستطع ، هذا هو الفقيه المالكي وهو من أهل السنة لكن ابن عربي هو الفيلسوف صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية التي شحنتها بأنواع من الكفر ، وكذا ابن الفارض صاحب التقية المعروفة بنبس السلوك هذان عند الصوفية أكبر الأئمة وسموه سلطان العاشقين وابن عربي يسمونه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر وهو خاتم الأولياء عند نفسه وعنده خاتم الأولياء فوق خاتم الأنبياء والعباد بالله وابن سينا المشهور في الطب ابن سينا الفيلسوف هو الذي اشتهر في الطب ،

من هؤلاء الاتحادية أيضاً الدسوقي المعروف وله أبيات نقلها الشعراني يصرح فيها بوحدة الوجود ونفي الحلول يعني يقولون عليه كما قنا الحلاج خطأ لأنه يقول في اثنان وفي حلول والشاذولي المنسوب إليه الطر المعروف والطرق الشاذولية بأنواعها الحامدية الشاذولية وغيرها وأي طريقة شاذولية أنظر إلى الورد الخاص بما لازم تجد من ضمن الأدعية - اللهم انشلي من أحوال التوحيد وأغرقي في عين بحر الوحدة - وأنا رأيته مراراً وتكراراً وأنا مطمئن وأنا أقول هذا الكلام وأي طريقة في آخرها شاذولية هات الأوراد الخاصة بما وأنا أخرج لك مثل هذا الكلام والجملة الأولى وحدها كفر - اللهم انشلي من أحوال التوحيد - يقول أن التوحيد أحوال والرسول هو أول من دعى إليه وكل الرسل دعت إليه عندهم أن هذا وحل والعباد بالله فإذا كان هذا طيب ووحل وهو يريد أن يتنسل منه ويقول وأغرقي في عين بحر الوحدة والعباد بالله من سمى الوحيد أوحالاً فهذا كفر وعين بحر الوحدة هذا هو الاتحاد وهو أن يكون الكون كله شيئاً واحد ولا يوجد تعدد عندهم وأحد علمائهم - التلمساني - ليس التلمساني بتاع الأخوان - التلمساني هذا قدسم يقول وما الكلب والخنزير إلا ألهي وابن الفارض يقول أبيات والذي هو تراثه الشعري راقي جداً والمهتمين جداً والتقية موحدة ومطبوعة وذلك قدرنا أن نحصل على أبيات كثيرة جداً منها صريحة في وحدة الوجود يقول

كل الجهات الست نحوي توجهت بيتكلم عن نفسه التي هي في الحقيقة الذات الإلهية وهو والذات الإلهية شيء واحد وهو بيصلي يصلي لنفسه لا يصلي لغيره

يقول وكل الجهات الست نحوي توجهت بها تم من نسك وحج وعمرة

لها صلوات بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلي

الذي يتكلم عنها هذه هي الذات الإلهية ، يقول أنا الذي أقيم لها الصلوات وأشهد أنها تصلي لي لأنه هو وهي واحد

يقول كلانا مصلي واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

شهود الجمع ما هو شهود الجمع عند الصوفية هذه مقامات ومقام الجمع غير مقام الفرد وعندهم مقام الجمع هذا هو شهود أن الكون كله شيء واحد فيقول بالجمع أنه يرى نفسه يصلي لنفسه ويسجد إلى عين حقيقته



كلانا مصلي واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدي

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري

إذا يعبد نفسه ولم تكن صلاتي لغيري في ادى كل ركعتي

ولي موقفني لا بل ألي توجهي كذاك صلاتي مني ولي ألي كعيتي

فلا تك مفتوناً بحسبك معجباً بنفسك موقوفاً على لبس غرة

لا تكن متلبس عليك أنه يوجد فرق

وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج هدى فرق بالاتحاد تحدث

يقول وفارق ضلال الفرق يكون ضال كيف يكون في فرق وهو كل شيء واحد والحقيقة هو تناقض لأنهم أناس ذنادقة أصلاً ليسوا مسلمين والمشكلة أن في ناس إلى يومنا هذا تعدهم أعلى درجات الأولياء

وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج هدى فرق بالاتحاد تحدث

أنه يتحدى بعقيدة الاتحادية ثم يقول

ألياً رسول كنت مني مرسل لأنه فقط هو ربنا وهو الذات الإلهية لا بل هو ربنا وهو الرسول أيضاً وذاتي بإيائي عليا استدلتني

أي استدليت بإيائي على ذاتي

ثم يقول ولو لاي لم يوجد وجود ولم يكن شهود ولم تعهد عهود بزمتي فلا حي إلا من حياتي حياته وطوع مرادي كل نفس مريدتي

ثم يقول وما قعد الزنار حكماً سوى يدي وإن حل بالإقرار بي فهي حلتي

والزنار الخاص بالنصارى .

يقول أنا الذي عقدته ولو أحللناه بالإسلام وأقر بالوحدانية فهي حلتي يعني نفسي التي حلت هذا

وإن نار التنزيل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعتي

هذه وحدة الأديان يعني وإن نار بالتنزيل محراب مسجد فما بار بالإنجيل يعني لم يبور الهيكل والمسجد كل مثل بعضه

وأصفار تورااة الكرم بلبله ينادي بها الأحبار ينادي بها الكرم باليلتية كله عنده مثل بعضه

وإن خر للأحجار في البير أو في البد عاكف فلا وجه بالأنكار بالعصبية

يعني لما تجد أناس تسجد وتختر وتعكف عليها ( مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } الانبياء ٥٢ يعني جاب الألفاظ القرآنية وإن خر للأحجار في البير أو في البد عاكف فلا وجه بالأنكار بالعصبية

لا تتسرع وتعدوا وتكر عليهم وتكون متعصب فقد عبد الدينار معنى منزعه عن العار بالإشراك بالوثنية وقد بلغ الإنذار عني من بغى وبلغ بي الإعتذار في كل فرقة

يعني أنا أقيم العذر لكل فرقة عباد الأصنام واليهود والمسلمين كلهم مثل بعض لأنه أقام الحجة بأنه كلهم يعبدون شيئاً واحداً لأنهم يعبدون ذواتهم وكله شيء واحد

وما زاغت الأبصار من كل ملة وما زاغت الأفكار من كل محنة

أنه لا يوجد مثلي ومهما كانت الأفكار منحرفة فهي تعبد حقيقة واحدة

الذين يقولون إلى وحدة الأديان وأن الأديان في النهاية ترمي إلى عقيدة واحدة

وابن عربي يقول

كنت أبغض المرء إذا لم يكن دينه إلى ديني دان فأصبح يستوي عندي كعبة طائف ودي رهبان وبيت أوثان ومرتع غزلان ، يعني كله مثل بعضه

أنيس منصور كان يحضر هذه الأبيات الخاصة بان عربي وكان يقول أنظروا السمو في السماحة ، الأديان كلها مثل بعضها ففعلاً لما تعرف لماذا هم يريدون نشر الفكر الصوفي ؟ تعرف مدى الخطورة في الفكر الصوفي ، لأن الصوفية انتهت الصوفية الزاهدة انقطعت ولا يوجد سند متصل ولا يوجد إلى آثار منقولة ،

الذي يرسخ الفكر الصوفي هم الفلاسفة الصوفية وهذا هو اعتقادهم واضح ، والكلام هذا من أين أحضرناه ؟ أحضرناه من كتبهم المنشورة الآن ونظم السلوك هذا موجود في مكنتات عادية والذي يريد أن يبحث عنها يجدها ، لم نحضرها من كتب قديمة بل موجودة الآن وموجودة عند الشاذولية الآن ، يعني هذا الكلام ليس أمراً بعيداً والعياذ بالله والكلام كله خروج عن ملة الإسلام ولذلك كان السلف يقولون الله مستوى على العرش بائن من الخلقة ، لماذا بائن من خلقه ؟ للرد على الحلولية والاتحادية وهي في الحقيقة فطرة عند المسلمين كلهم لكن مشكلة أن الناس ضلت وتقول لماذا تقولون بائن من خلقه لكي تؤكد العقيدة الإسلامية المجمع عليها التي لا خلاف فيها أن الله غير وجود الخلق وهذا أمر لا يشك فيه في الحقيقة مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا أريد أن أقول النصراني حصل لهم خلل في المسيح وهؤلاء أضل منهم ولا شك أن الخلل في الله كفر والفرق بين الحلولية والاتحادية مثل الفرق بين الكاسوليك والأرثوذكس والأثنان الفرق بينهم أن الكاسوليك يقولون بالحلول في المسيح والأرثوذكس يقولون بالاتحاد ، فأكفر بلا شك من يقول بوحدة الوجود أو بالحلول في كل الوجود ، فلذلك كلام الأشاعرة الذين يقولون لا تثبت لا الاتصال ولا الانفصال كلام خطير يلزم منه أنه لا يعرفوا أن يقيموا الحجة على الاتحادية ، الاتحادية إنما قامت لهم حججهم على أمثال المعتزلة والأشاعرة لما أبو أن يثبتوا الانفصال لما لم يعرفوا أن يقولوا بائن من خلقه لذلك لم يتمكنوا من الرد عليهم لأن العقل الإنساني لم يتصور حاجة لا هي داخل العالم ولا خارجه إلا العالم نفسه فذلك قالوا بالاتحاد فالسلف لا يزالون يقولون بائن من خلقه ، لأن الاستواء استواء بينونة يقتضي بينونة لأن وجود الرب غير وجود المخلوق ولا نقول بالمماثلة نقول الله عز وجل فوق عرشه بائن من خلقه منفصل عن الخلق ، ووجود الرب غير وجود الخلق ، نحن غير ربنا والذي يعتقد غير ذلك لا يكون مسلم

لا إله إلا الله أساسها هذا

لا يعبد إلا الله إذاً هناك عابد ومعبود ، أنظر إلى خطورة تأويل الحلولية إلى حديث كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به لما يحرفه عن معانيه التي دل عليها سياق الكلام من أن معناه انه يسمع بالله ويبصر بالله مستعيناً مخلصاً معنى الحديث كذلك ، هو يحرفه أنه أصبح ربنا ، والعياذ بالله

قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يريه عن رب العزة ( كنت سمعه الذي يسمع به ) رواه البخاري الرواية الأخرى توضحها ( في يسمع وي ييصر وي يبطش وي يمشي ) صححها الألباني عني بالله مستعيناً ومخلصاً بالله عز وجل ويكون بالله والله مخلصاً لله ومستعيناً به مخلصاً أيك نعبد ومستعيناً إياك نستعين به وله به نستعين وله نعبد

فالقضية هذه قضية عظيمة الأهمية قضية خطيرة

نعم يقولون انه يقول للشبي كن فيكون فاعتقاد الوحدة أنه يشهد حقيقة الأمر ويصل إلى هذه المرتبة وهي منتهى الخطورة

الإنفصال بين المنهج الصوفي والمنهج السني والمنهج السلفي انفصال فلا يمكن أن يتنازل عنه لأن الصوفية الفلسفية هذه دين آخر غير دين الإسلام ولذلك هي ليست قضية اننا مذاهب داخل الملة الواحدة ، الصوفية الفلسفية أكثر من اليهود والنصارى والعياذ بالله ، هذه العقائد عقائد الحلول والاتحاد ومثل ما قلنا هذه ألفاظ صريحة والرجل يحضر ألفاظ القرآن وينكر على الذي ينكر على عبادة الأصنام بمسي الذي ينكر عبادة الأصنام متعصب ويقول وإن خر للأحجار في البير عاكف فلا تعدوا بالإنكار فلا وجة بالإنكار بالعصبية ، كيف ؟ يقول كيف تنكر على اليهود والنصارى كيف ؟ ما زاغت الابصار من كل ملة وما زاغت الافكار من كل نحلة . والعياذ بالله

ذكرنا في المرة السابقة في شرح معنى عقيدة أهل السنة أنهم يؤمنون بكل ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

ذكرنا التعطيل وذكرنا أنه يشمل تعطيل الباطنية نفاة النقيدين وذكرنا أنهم يقولون لا موجود ولا ليس بموجود لا سميع ولا ليس بسميع ولا حي ولا ليس بحي وهم الذين يصفون الله بالمستحيل ليس بالعدم فقط بل بالمستحيل أنهم يجعلون الألهة هم الأئمة من البشر تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وهذا تعطيل كفر وذندقة ونفاق بلا تردد نوعاً وعبثاً

وذكرنا تعطيل الفلاسفة أنهم لا يثبتون وجود الرب وأهم يثبتون الوجود المطلق الذي يسمونه واجب الوجود الوجود الواجب ولا يثبتون ذاتاً ولا اسماً ولا صفة ولا يثبتون فعلاً وأن الله خالق هذا العالم ويقولون بنظرية الفيض وأن الوجود قد قام من الوجود الأصلي ابتداءً أو الوجود الواجب ابتداءً ويقولون بتقديم المادة وهذا والعباد بالله غير أيضاً من الكفر

وذكرنا تعطيل الاتحادية والحلولية الذين يقولون أن وجود الرب هو وجود المخلوقات وهذا في الحقيقة نفي لوجود الله لأنهم يجعلون المخلوقات هي الله إما أنها شيء واحد ابتداءً وإما يقولون شيء واحد بالحلول وأن الله حل بالمخلوقات وأنه في كل مكان وهذا تحليل الجهمية أولاً ، ذكرنا ذلك في المرة السابقة .

النوع الرابع تعطيل الجهمية الأوائل النفاة لصريح الكتاب والسنة :

مع أنهم في الحقيقة يقولون بالحلول إلا أن مذهبهم كان هو الأصل للمذهب المعتزلة والأشاعرة وليس أنهم يعني ذلك جعلناهم مذهباً أو قسماً مستقلاً

الجهمية الأوائل النفاة لصريح الكتاب والسنة لا يثبتون اسماً ولا صفة لله عز وجل ولا فعلاً ويثبتون ذاتاً مجردة عن الأسماء والصفات لكن كانت جرائتها هؤلاء الذنادقة في بداية أمرهم عظيمة يحاولون صرف الناس عن نصوص الكتاب والسنة لذا صرحوا بمناقشة الكتاب والسنة لذا ناشد هذه العقيدة جهم بن صفوان وقتل على الذندقة وهو أخذها عن الجعد بن درهم قتل على الذندقة أيضاً والجعد هو أول من أظهر هذا الإعتقاد علانية قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يستوى على العرش كما كان القدرية الأوائل أيضاً غلاة في قوهم يقولون لا قدر كما أن الرافضة الأوائل كانوا غلاة في غلوهم في علي فقالوا أن علياً هو الله كانوا هؤلاء أيضاً غلاة في التصريح في نفي الصفات حتى قالوا لم يستوى على العرش كانت محاولات عديدة في الزمن الأول لهدم هذا الدين ، ذنادقة كفار دخلوا في الدين لأجل أن يحرفوه كما حرف اليهود دين النصارى بخلاف من دخل فيه كبولس المسمى ببولس الرسول رسول الشيطان الذي أدخل كل الخذعبلات والشركيات إلى دين النصارى لعدم رسوخ أكثرهم في العلم وتمكنت هذه العقيدة بعد ذلك عبر مراحل كثير في التاريخ ، حاول أعداء الإسلام ذلك أيضاً من خلال هؤلاء الغلاة الذين كما ذكرنا كانوا في الحقيقة ذنادقة وبفضل الله عز وجل الدولة الأولى التي نشأت بعد النبي صلى الله عليه وسلم كانت خلافة راشدة العلم فيها راسخ جمع الله بين السلطان والقرآن فكان أصحاب السلطان هم أهل القرآن فما استطاع أهل البدع أن يطلوا برؤسهم إلا في آخر الخلافة الراشدة ثم كانت الدولة بعد ذلك لبني أمية ورغم كونهم كان عندهم من الظلم وأنواع الفساد والمعاصي إلا أنهم كانوا على السنة وكان عندهم شدة محمودة على أهل البدع لذلك كما ذكرنا رؤس هؤلاء قتلوا على الذندقة وعامة رؤس البدع لم يكن لهم ذكر حسن في الأمة بل لهم ذكر سيء كما ذكرنا ، عبد الله بن سبأ لازال مذموماً عند أهل العلم وعند أهل السنة جميعاً وهو الذي اخترع الغلو في علي رضي الله عنه والقول عنه بأنه هو الله وحرق علي رضي الله عنه هؤلاء والقدرية الأوائل أتباع غيلان القدرية الذين لا قدر وأن الأمر أنف أيضاً كان الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين رغم ما وقعوا فيه من ظلم ومعاصي وشبهات إلا أنهم كان لهم شدة على هؤلاء المبتدعين كما كان لهم شدة على الخوارج وغيرهم فالجعد بن درهم كان صريحاً في محاولة الهدم والتكذيب بالكتاب والسنة ويجري الناس على ذلك ولم تفلح هذه الطريقة لذلك لجأوا بعد ذلك إلى تحريف النصوص بدلاً من التكذيب المباشر لها لذلك جعلناهم قسماً مستقلاً لأجل أن تكفيرهم ناشئ من التصريح بالتكذيب بالكتاب والسنة يقول إن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يستوى على العرش مع إجماع المسلمون أن هذه نصوص قرآنية فالتكذيب لذلك تصريح لا تحريفاً يقتضي تكفير كل قائل بذلك نوعاً وعبثاً ولذلك كما ذكرت أن كل من الجعد بن درهم والجهم بن صفوان قتل على الذندقة في زمنين متقاربين لذلك نقول أن الجعد قال ذلك صراحة باللفظ وكفره أهل زمانه من التابعين وقتله خالد بن عبد الله القسري على ذندقته وهو أحد ولاة بني أمية وكان ظالماً شديد البطش لكنه أحسن في قتل الجعد بن درهم وكان في بني أمية شدة على أهل البدع وهذا من محاسنهم فقال في يوم عيد الأضحى أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً فذبحه يوم عيد الأضحى ونزل عن منبره وذبحه في أصل المنبر

العجيب أن هذه العقيدة أصلها مأخوذ عن اليهود وهم يعتقدون التشبيه في الغالب لكن الجعد أخذها عن طالوت وطالوت هذا أخذها عن لبيب بن الأعصم الذي سحر النبي عليه الصلاة والسلام من اليهود ومحاولات اليهود هي نفس المحاولات وأن عبد الله ابن سبأ كان أيضاً يهودياً وعبيد الله بن القداح الذي هو أصل الدولة الباطنية المسماة بالفاطمية كان يهودياً وبولس المزعوم الذي حرف النصرانية كان أيضاً يهودياً ، ومحاولات اليهود لإفساد الدين ومحاولات قديمة فضلاً عما كان عبر التاريخ نسأل الله العافية ،

تلقى الجهم هذه العقيدة وهو الذي نشرها وهو الذي كان يقول أيضاً أن الله في كل مكان لكن القول بالحلول صراحة إنما أشتهر بلوازمه عن من ذكرنا من الصوفية المتأخرين الذين صرحوا بالحلول وكلمة الله في كل مكان ظاهرها الكفر كما ذكرنا وظاهرها الحلول ولكن أكثر من يقوها أو كثير ممن يقوها لا يلتزم لازمها بل يكون مقصوده علمه وقدرته لا خلوا منه مكان ولكن يصرح بلفظ باطل فيقول هو في كل مكان فهذا المكان لو بين له والتزم لوازمه كفر وأما قبل ذلك فالقول بكفر ولا يلزم تكفير قائله بخلاف من يقول لم يكلم موسى تكليماً وهو يعلم قول الله ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) النساء ١٦٤ بخلاف من يقول لم يستوى على العرش ، يعني في فرق بين من يقول لم يستوي على العرش بمعنى استولى وبين من يقول لم يستوي على العرش ، وفي فرق بين من يقول المحبة هي إرادة الثواب والخلة هي شدة المحبة يعني هي الثواب الأعلى والأفضل وبين من يقول لم يتخذ إبراهيم خليلاً والعباد بالله ، فالذي يقول إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً يكذب القرآن وتكذيب القرآن لا يحتمل كما ذكرنا والحجة قائمة به على كل من سمع القرآن وعامة المسلمين كلهم يعلمون

النصوص ولذا لا يقبل دعوى الجهل خصوصاً من متعلم وقارئ ومدعي للعلم فلا يقبل دعوى الجهل ولذلك كان هؤلاء والعياذ بالله كفاراً وقتلهم أئمة زمنهم وكفرهم علماء زمنهم على ذلك ،

هذه العقيدة تلقاها بشر المليسي رأس المعتزلة تلقاها من جهنم بشر المليسي وبعد ذلك انتشرت هذه العقيدة على أيدهم خدعوا بها المأمون الخليفة العباسي وكان أبوه هارون الرشيد من المتمسكين بالسنة في باب الإعتقاد وكان شديداً أيضاً على أهل البدع إلا أن المأمون كان مولعاً بعلم الكلام فندس إليه المعتزلة ونقلوا إليه علوم الأوائل والترجمة وكان يجزي على الترجمة أموالاً جزيلة ترجمة كتب اليونان حتى حصلت الفتنة في زمنه عندما أقنعه المعتزلة في زمانه بامتحان الناس في خلق القرآن وأن القرآن مخلوق وأن من لم يقل ذلك فهو كافر وأن أصلهم في نفي الصفات جملة ونفي الأفعال ويشيتون أسماء بلا صفات ، المعتزلة أخذوا عن الجهمية ذلك لكن في ثوب من التأويل قالوا سميع بلا سمع بصير بلا بصر عليم بلا علم أثبتوا ذاب الرب وأسمائه الحسنى ونفوا صفاته وأفعاله فقالوا سميع بلا سمع وليم بلا علم وقدير بلا قدرة هذا الكلام في الحقيقة متناقض ، يعني ماذا عليم بلا علم قدير بلا قدرة كلام ليس له معنى كلام أوله ينقض آخره لكن هذا الأمر كان منبعه في الحقيقة من معاملة النصوص والمسائل الإعتقادية بالمنطق الرياضي اليوناني قالوا أن العلم غير القدرة والسمع غير البصر والصفات غير الذات وإذا أثبتنا سمعاً وبصراً وقدرة وعلم وذاتاً نكون أثبتنا آلهة متعددة نكون أثبتنا قدماء وليس واحد فقط فسلم قالوا يكون هذا شركاً وكفراً ، المعاملة معاملة الكلام يسمونه علم الكلام معاملة كأنه رياضيات ، لما تفكر تقول أن العلم غير الذات نعم صح ، والسمع غير البصر صح ، طيب في الحقيقة هل ينفصل الصفة عن الذات ؟ في الحقيقة هي ذات واحدة ولها صفات عديدة وهي لا تتعدد في الحقيقة التعدد هذا في ذهن الإنسان فهذا كان أحد الأسباب الخطيرة التي أدت بهم إلى أن ينفي الصفات كلها جملة وخصوصاً صفة الكلام فقالوا القرآن كلام الله بمعنى كلام خلقه فطريقة التفكير أدت إلى المحنة المشهورة فعلها المأمون ولم يكن يحسن الأمور فخدعه أهل البدع وامتنح الناس وأشهر من امتنح في ذلك هو الإمام أحمد رحمه الله فاستجاب البعض تقية وامتنع الإمام أحمد رحمه الله حتى كشف الله عز وجل هذه الغمة هو ليس المأمون الذي امتنح الإمام أحمد المأمون أمر بحجسه وحمله إليه ثم مات وهو في الطريق وجاء المعتصم فضرب الإمام أحمد وسجن أكثر من سنتين ممتنعاً أن يقول بخلق القرآن ثم بعد ذلك أذهب الله عز وجل هذه الفتنة بالتوكل والحمد لله

كما ذكرنا كلام المعتزلة متناقض الذي أدى بهم إلى هذا التناقض محض شبهات باطلة في أذهانهم قالوا لو أثبتنا لله صفات متعددة فلو أثبتنا قديماً فقد أثبتنا إلهين ولو أثبتنا بصراً لصاروا ثلاثة ولو أثبتنا القدرة لصاروا أربعة فيصر عندنا آلهة شتى وهذا يناهي التوحيد فنفوا صفات الرب جل وعلا ،

الجواب على ذلك نقول الوجود إلا تثبت الوجود ؟ الكلمة وحدها صفة غير الذات صفة تسمى صفة الوجود فالجهمي يقول لا تثبت وجوداً والفيلسوف لاثبت ذاتاً فأنتم في الحقيقة ما تردون به على الفلاسفة نرد به عليكم وما تردون به على الجهمية نرد به عليكم لأن الكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات كما ذكرنا ، وعنده أيضاً أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه وهو كفر أيضاً ، فنقول أيضاً كما أن الله عز وجل أثبت لنفسه أسماءاً وصفات وسمى بعض خلقه بهذه الأسماء والصفات ولم يستلزم ذلك التشبيه كما أثبت لنفسه ذاتاً سبحانه وتعالى ولم يستلزم ذلك التشبيه بالمخلوقين تثبت ذلك في باقي الصفات للمخلوقين فيما أثبتوه ، كما أثبتوا الذات بلا تشبيه فكذلك تثبت الصفات بلا تشبيه ، لما يردوا على لشبهة الأولى مسألة تعدد القدم بأن هذا التعدد وهذه الغيرية في الذهن فقط وليست في الحقيقة وليست في الخارج فالله عز وجل واحد وله أسماء وصفات كما قال الله عز وجل ( قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ) الاسراء ١١٠ أسماء كثيرة والمسمى واحد وصفات متعددة والموصوف واحد وهذا أمر واضح في الذهن وفي العقول.

الشبهة الثانية نقول أثبتتم ذاتاً ليست كالدوات وأثبتتم أسماءاً ليست الأسماء ولها معاني تختلف ولها حقائق وكيفيات تختلف فأثبتوا كذلك صفات ليست كالصفات ونأخذ نفس الطريقة على الأشاعرة لما يشيتوا بعض الصفات على بعض نقول لهم ما نفيتموه نفيسه على ما نفيتموه كما أثبتهم سمعاً وبصراً وقدرة ليست كمسمع وبصر وقدرة المخلوقين فكذلك أثبتوا وجهاً ويدين ورجلين أيضاً ليست كصفات المخلوقين فهناك شبهتين يثيرهم المعتزلة وكذلك من صار بعدهم

الشبهة الأولى تعدد القدم ونقول التعدد هذا في الحقيقة في الذهن ليس في الخارج

الشبهة الثانية التشبيه نقول أثبتهم ذاتاً بلا تشبيه فكذلك أثبتوا صفات بلا تشبيه فكذلك أثبتوا صفات بلا تشبيه لذلك نقول كلامهم باطل بالقطع فالصفات إنما تقوم بذات الرب عز وجل ولا تقوم منفردة أو بذاتها لا يوجد صفات تقوم بذاتها ، إنما الصفات تقوم بموصوف فالانفصال بين الصفة والموصوف أو بين الصفات والذات إنما هو انفصال في الذهن فقط وليس في الخارج ليس هناك سمع مستقل ولا بصر مستقل ولا يلزم أن يكون هناك تعدد بل الانفصال في الذهن أما في الخارج وفي الحقيقة فلا فالله عز وجل واحد لا شريك له لم يزل منفرد أسمائه وصفاته وأفعاله عز وجل

تعطيل الأشاعرة هو الاعتداد بسبع صفات ، لماذا أدخلنا الأشاعرة في التعطيل لأنهم عطلوا بعض الصفات ، الاعتداد بسبع صفات أو بثلاث عشر لما يضاف إلى السبع الست الأخرى الخمسة السلبية الصفة الثبوتية صفة الوجود أو عشرين صفة لما تضاف إلى صفات المعاني التي هي كونه سمعاً كونه بصيراً كونه عليمًا التي هي في الحقيقة مردها إلى نفس الصفات السبع يقولون أن العقل يثبتها لذلك نقول أن منبع البدعة هي تقدم العقل واعتبار أن العقل هو مصدر التلقي ، في الحقيقة كما ذكرنا نقول العقل السليم يثبت الصفات

الأخرى كما أثبتنا في صفة الرحمة العقل السليم ثبت أن صفة الرحمة صفة كمال وليس نقصاً وكذا في سائر الصفات فمنع البدعة هي بدعة الجهمية الأوائل وبدعة الفلاسفة وهي أن العقل مصدر التلقي كما ذكرنا ذلك ،

الفرق الخارجة من الملة بالكلية نوعاً وعيناً ممن ذكرنا هي فرق الحلولية والاتحادية والباطنية والفلاسفة والجهمية الأوائل المكذبون النافون لصريح الكتاب والسنة الذين يقولون الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم كلم موسى تكليماً فنقول أن هؤلاء كفار نوع وعين لو وجدنا واحد يقول أن الله لم يكلم موسى تكليماً ويقول لا سميع ولا ليس بسميع ويقول أن صفات الإله تحل في المخلوقات وهي صفات الأئمة ويقول أن ربنا في الكلب والخنزير وأن ربنا هو فلان الفلاني بعينه والذي يقول ذاتي لذاتي صلت والذي يقول كان سجودي في كل ركعتي والقائل كلاهما كفر يعني القول نفسه كفر والقائل كافر ، لأنه لا يمكن ولا تصور أنه يحتاج إلى إزالة شبهة لأنه مما يعلمه المسلمون بالضرورة بل يعلمه اليهود والنصارى بالإضافة إلى المسلمين يعني وجود الله غير وجود المخلوقات هذا ثابت عند اليهود والنصارى واعتقاد أن ربنا وجوده هو وجود المخلوقات هذا لا نزاع في كفره نوعاً وعيناً ولذلك قلنا أن هذه الفرق فرق خارجة عن الأئمة وسبعين فرقة ليست من فرق الأمة أصلاً هم أساساً من الذنادقة الكفار إذا ظهر على أحدهم وعدمت عقيدته حكم بالكفر والعياذ بالله أما المعتزلة فأقوالهم أقوال كفرية لكن لا يكفر المعين منهم حتى تقام عليه الحجة لوجود الشبهة يعني هم لم يقولوا لم يكلم موسى تكليماً يقولون كلمه بكلام المخلوق لما تتأمل وتقول أن هذا الكلام منفصل ولم يقوم بقائمة إذا لم يتكلم به في الحقيقة ولما تتأمل كلامهم نجد هو الكلام الأول لكن في نوع من التحريف فوجود الشبهة منع من تكفيرهم ، لو سألت واحد في الشارع اليوم وقلت له القرآن مخلوق أو غير مخلوق يعرف أن يتكلم ؟ لا يعرف ، لو قلت له لم يكلم الله موسى تكليماً ؟ يعرف يقول لا هذا الكلام خلاف القرآن أو أقصى حاجة أنه يحتاج أن يخرج له المصحف ، بخلاف أن القرآن مخلوق يحتاج إلى أدلة واستدلال والشبهة هنا غير الشبهة فيه لم يكلم موسى تكليماً ، لو جئت وقلت لشخص عادي أو طفل صغير من المسلمين أن فلان هذا هو ربنا هي كفر فوراً ، المسلم يكفر من يقول ذلك ابتداءً ولا يشك في هذا فلذلك قلنا أن في شبهة محتملة في كلام المعتزلة ، الإمام أحمد رحمه الله والأئمة في زمانه نصوا نصوصاً كثيرة على تكفير من قال بخلق القرآن وفي نفس الوقت لم يرى الإمام أحمد وغيره قتال المأمون وغيره ممن بعده لذلك اختلف أصحاب الإمام أحمد في حكمه على من يقول بخلق القرآن وعلى المعتزلة عموماً فمنهم من قال هم كفار كفر نقال عن الملة وكفرهم أحمد رحمه الله وبالتالي إنما كان عن عجز عن مقاطعتهم أو نحو ذلك، وهذا الكلام غير ظاهر، لأن الإمام أحمد رحمه الله ظل على طاعة هؤلاء الأمراء في ذلك الوقت ولم ينزع يداً من طاعة .

المذهب الثاني مذهب من يقول قصد الإمام أحمد رحمه الله أنه كفر دون كفر وهذا كلام باطل أيضاً من يتأمل نصوص أحمد ولوازم الكلام ونصوص الاستدلال ووصفه أيهم بالذنادقة وغير ذلك يدل على أنه إنما يقول أن من يقول أن القرآن مخلوق كافر كفر أكبر مخرج من الملة ، ما مذهب أحمد في ذلك ؟ الصحيح ما رجحه شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله من أنه دخل في كلام المتأخرين ما دخل المتقدمين في نصوص الكتاب والسنة في مسألة النوع والعين بمعنى ظنوا أن كل من قال كذا فهو كافر يلزم منه تكفير المعين ولذلك لما وجد الإمام أحمد وغيره لا يعاملون هؤلاء معاملة الكفار قال بعضهم كفر دون كفر وقال بعضهم إلزام باللوازم ، الصحيح أن هذه الأقوال أقول كفر ولكن لا يلزم تكفير المعين حتى تستوفى الشروط وتنتفي الموانع ومن هنا كان امتناع الإمام أحمد والصحابة رضي الله عنهم في شأن الخوارج وما كان عليه عامة وعلماء المسلمين في شأن الروافض ، فهذه الفرق رغم وجود خلاف بين المنتسبين للمذاهب في حكمهم وفي تكفيرهم والخلاف في ذلك سائغ إلا أن الصواب في هذا أن الأقوال المنقولة عن هذه المذاهب أعني هذه المذاهب البدعية أقوال كفرية لكن لا يكفر المعين حتى تستوفى الشروط وتنتفي الموانع وتقام الحجة وتزال الشبهة وقبل ذلك لا يزال حكم الإسلام باقي عليهم ولا يعني ذلك أن التكفير مقصود به كفر دون كفر بل هو كفر أكبر ولكن منع من تكفير المعين وجود الشبهات ،

بالنسبة لطوائف المعتزلة وطوائف الخوارج وطوائف الرافضة الذي ليسوا بالغلاة أعني الغلاة الذين يقولون بألوهية غير الله أو بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك هؤلاء من الغلاة كما ذكرنا من الفلاسفة والباطنية وغيرهم وهؤلاء من أهل البدع كما ذكرنا الخوارج أو فرقة ظهرت كلام النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر في أن عامتهم يخرج من الدين ومع ذلك علي رضي الله عنه لم يعاملهم كما يعامل المرتدون ولا يقاتلهم ولم يعاملهم كما عمل مثلاً أتباع مسلمة الكذاب بل كان علي رضي الله عنه بعد أن ظهر عليهم أمر بفرقتهم في البلدان ومنع من اجتماعهم ولم يقم عليهم حد الردة بخلاف من كان يقول بنبوة مسلمة مثلاً أو بنبوة أسود العنسي أو غيرهم فبذلك كان الصحيح عند كثير من أهل العلم أن الخوارج وكذلك المعتزلة وكذا الرافضة الذين يسبون أبا بكر وعمر أن أقوالهم وإن كانت أقوالهم كفرية مخرجة من الملة إلا أن هذا بعد إقامة الحجة بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع فكفرهم كفر نوع لا عين ليس يعني ذلك أنه لم يعين مطلقاً أو لا سبيل إلى التعيين بل إذا إقيمت الحجة كفر بعينه كذلك وعلى هذا يحمل من قتل منهم على الذندقة وقتل على الردة بعد أن أقيمت عليه الحجة بأمراء ذلك الزمان والله أعلم ،

علي رضي الله عنه الروايات التي فيها أن علي حرق الخوارج كان لفظة بالمعنى الذين خرجوا عن الدين ليس بالخوارج الذين كفروا الصحابة الذين حرقهم علي هم الذين قالوا بألوهيته ، جمع الروايات يوضح أن لفظة الخوارج على معناها اللغوي بمعنى خرجوا من الدين أما الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه بل قتلوه علي رضي الله عنه أمر بالانتظار في ابن ملجم في إن مات وأمر بقتله خصوصاً وإن لم يمت فسيرى فيه رأيه فإذا كان ابن ملجم مع كونه والعياذ بالله من الخوارج قتل علي تعبداً لم يحكم عليه برده مباشرة وكما ذكرنا الأحاديث تدل على عدم تعميم الخوارج بالكفر حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم ( فيتمارى في الفوعة ) متفق عليه وقال في أهل البدع الذين يردون عن حوضه ( فلا ينحوا منهم إلا مثل همل النعم ) رواه البخاري فهمل النعم قلة قليلة ، فهذه الروايات توضح أنه يمكن أن يوجد بعض المخدوعين منهم ممن يأخذ أولاً ذات الشمال ثم ينحوا بعد ذلك ويمكن أن يبقى فيه شيء من أصل الدين ومن هنا امتنع تكفيرهم بالعموم في فرق بين التكفير بالنوع والتكفير بالعين أو بالعموم ، ما معنى تكفير بالعموم ؟ يعني مثل تكفير الدروز ومثل تكفير الإسماعيلية ومثل تكفير العلويين الذين يقولون بألوهية علي ومثل تكفير البهائيين ، يعني أي واحد يقول أنه بهائي أو واحد يقول أنه درزي يعتقد ألوهية الحاكم بأمر الله يكون هو نفسه شخصياً وكل طائفته كافر نوعاً وعيناً الطائفة كلها مثل تكفير عوام وعموم النصارى وجميع طوائف المشركين التي تشرك بالله عز وجل بخلاف عندما نقول للمعتزلة ،

المعتزلة نوعهم وأقوالهم فيها أقوال كفرية ولكن فلان الفلاني ابن أبي دؤاب مثلاً المأمون . المعتصم . انظر المعتصم كان شديداً جداً على الإمام أحمد وهو الذي قام بحبسه وضره لأن المأمون كان يوصيه بذلك وهو لابد أن يقيم هذه المسألة تديناً وعبادة وهو الذي كان فتح عامورية وكان هذا الأمر دليل على جهله وتأويله وأنه كان متولاً في أمره هذا فلم يخرج من الملة وإنما كان يفعل ذلك تأويلاً كما ذكرنا فرغم أن القول قول كفر لكن لا تكفر الطائفة بالعموم ولا يكفر المعين إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وهكذا في كل البدع إذا لم يكن معلوم من الدين بالضرورة مخالفتها لهذا الدين ، إذا انتشر العلم ، وهذا الأمر يختلف من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان على حسب انتشار العلم ، معلوم من الدين بالضرورة معنا انتشر علمه بين المسلمين حتى صار لا يحتاج إلى بحث واستدلال ، ما كان يحتاج إلى بحث استدلال ونظر لابد من إقامة الحجة أولاً والله أعلى وأعلم ، نقل الإجماع على تكفير الخوارج ، نقل إجماع الخوارج على تكفير الخوارج ومع ذلك ليس بصحيح ، هذا وهم ممن ينقل الإجماع بل لو قلت العكس لكان أفضل لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مع علي رضي الله عنه وما عامل به علي الخوارج لم ينكر عليه فلو قلنا بأن الاتفاق على عدم التكفير لكان أفضل لكن المسألة كما ذكرنا الراجح فيها وجود خلاف سائغ ، لكن كما قال ابن المنذر (لا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفير الخوارج) ، تكفيرهم بماذا ؟ بالعموم أن يجعل كل الطائفة كافرة ، إن كانت المسألة فيها نزاع بناءً على كلام الإئمة في التكفير ، علماً يحمل ؟ بعضهم يحمله على كفر دون كفر وبعضهم يحمله على كفر أكبر ويطبق وبعضهم وهو الذي يفصل يقول هذا كفر نوع لا كفر عين ، كفر الاعتقاد والمقالة وأما الشخص المعين فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة ،

طالب : مناظرة ابن عباس لا تعتبر حجة عليهم ؟

الشيخ : ابن عباس ناظر الخوارج ورجعت طائفة كبيرة ورجعت طائفة أخرى الذي حضر المناظرة لم يجعلها حجة في تكفيره والذي شهد المناظرة أعلم بهم وأنه بقيت عندهم بعض الشبهات ولم يتسع وقت المناظرة ربما لإزالتها لذلك بقي عندهم الجزئي ليس عذراً بالكلية إنما كان عذراً في عدم التكفير لا عذراً في القتال ، فالاختلاف بين الصحابة كان على قتالهم ، الإجماع من الصحابة كان على قتال الخوارج وأما أنهم كفار فليس كذلك وهناك فرق بين التكفير وبين القتال .

سؤال ....

الشيخ ، صحيح أن هناك بعض الأمور ليست من قبيل الاجتهاد وهناك بعض الأمور من قبيل الاجتهاد ، في مسائل في الاعتقاد فيها اجتهاد مثل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ولكن من باب الإخبار لا يصح فيه الاجتهاد ، ما وجه الاجتهاد في إن الكرسي موضع القدمين ؟ هذا لا يكون إلا بنقل لذلك قلنا له حكم الرفع بخلاص التكفير وعدم التكفير لذلك قلنا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع

أما الإشاعة فهم أهل بدع وضلال وإقرارهم بالصفات المشهورة المعلومة من الدين باضروعة منع من تكفيرهم وإن كان عندهم تعطيل والاستواء وتعطيل لبعض الصفات لكنه ليس على سبيل الإنكار لصريح القرآن يعني لم يقولوا لم يستوي على العرش بل على سبيل التأويل ، يقولون استوى بمعنى استولى ، هذا في الحقيقة هو كلام الجهمية الأوائل ، يعني من الذي جاب استوى بمعنى استولى ؟ الجهمية الأوائل صرحوا بتكذيب القرآن ونفي القرآن وقالوا لم يستوي على العرش وأما المتأخرون قالوا استوى ولكن بمعنى استولى ، هذا هو التحريف الذي سببته إن شاء الله ،

الذي يقول استوى بمعنى استولى واليد بمعنى القدرة والنعمة والرجل بمعنى المقام العظيم كل هذا من البدع والضلال الموروث عند الأشاعرة عن المتقدمين من المعتزلة رغم أنهم خالفوهم لكن كما ذكرنا كان عندهم ميراث سيء من تقديمهم العقل المزعوم على النقل الصحيح .

المنفي الثاني في هذه الجملة ( من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل ) في أربع أشياء منفية نقول نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير

تعطيل وتكلمنا عن أنواع التعطيل وحكم التعطيل والفرق المعطلة

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

٧- التحريف ... التأويل

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد .

نقول نؤمن بكلم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .



أما التحريف فنوعان ،

التحريف اللفظي فمعناه تحريف اللفظ في اللفظ الآتي والحديث ، كقول بعض المعتزلة في قول الله تعالى ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) النساء ١٦٤ يقرؤها ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) يصبح موسى فاعل وهو الذي تكلم والله مفعول به ، إذا الكلام هنا اثبات الكلام لموسى ويجعل الآية ليس فيها كلام الله وثبت أن الكلام لموسى وليس صفة الله فجعله من فعل موسى ليهرب من اثبات صفة الكلام ، وهذا لا يمكنه في مثل قول الله تعالى ( وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ) الاعراف ١٤٣ ماذا يصنع فيها ؟ لا يستطيع فهي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً ، وهو ان الله عز وجل هو الذي كلم موسى .

أما التحريف المعنوي فهذا هو الأكثر ، والأغلب والأعم في التحريف المعنوي نادر أما التحريف المعنوي هو الأكثر وهو تحريف المعنى بحيث يبقى اللفظ على ما هو عليه لكن يحرف المعنى ويدخل في التحريف التأويل المذموم وفي الحقيقة مقصد شيخ الإسلام من كلمة التحريف يقصد بها التأويل ولكن التأويل لأنه لفظ ورد في الكتاب والسنة ولها معاني مشتركة ومتعددة لم يقل نؤمن من غير تأويل لأن كلمة التأويل هذه في تأويل صحيح ولذلك قال من غير تحريف ولأن شيخ الإسلام حريص على أن ينفي ما نفاه الكتاب والسنة ، ما الذي ورد ذمه في القرآن ؟ التحريف ( يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ) النساء ٤٦ ( فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ) البقرة ٥٩ وهذا كما هو تحريفهم في حطة إلا حنطة فكان هذا من التحريف فلذلك يدخل في التحريف التأويل المذموم ، لماذا التأويل المذموم ؟ لأن في تأويل غير مذموم ، هو تأويل دل عليه الدليل إذاً هو في الحقيقة من باب التفسير ، يدخل في التحريف التأويل المذموم الذي ابتدعه بعض الخلف بشبهات عقلية فاسدة كقول المعتزلة ومن وافقهم فيما بعد عصر المعتزلة وبعد هزيمة المعتزلة وانقراضهم واقعياً وإن بقيت كتبهم وافقهم الاشاعرة بعد ذلك في ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) طه ٥ أي استولى تحريفاً للمعنى هم يثبتون اللفظ ويحرفون المعنى الحقيقي ، المعنى الحقيقي هو العلو والارتفاع والصعود وهو فعل الله عز وجل فعله سبحانه وتعالى بعد خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، فعلاً يليق بجلاله وعظمته وفسر السلف استوى بما ذكرنا أي علا وارتفع وصعد وبعضهم فسره باستقر ولا يصح ولا نظير لاستقر في صريح الكتاب والسنة بخلاف علا وارتفع وصعد وقد وردت في أحاديث أخرى لذلك كان في الحديث الصحيح أن استوى بهذه الألفاظ الثلاثة وهو علو خاص على العرش بالإضافة على العلو العام على جميع الخلوقات وهو صفة الله عز وجل وصفة الاستواء صفة فعلية كانت في وقت ذكره الله عز وجل قال ( ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) يونس ٣ بعد خلق السماوات والأرض بستة أيام ، نقول تحريفهم استوى بمعنى استولى كان تحريفاً للمعنى ، هم يثبتون اللفظ يعني لو قلت له ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) طه ٥ سيقول نعم ، لكن استوى ما معناها يقول استولى ، يحرفون المعنى الحقيقي وهو العلو والارتفاع والله عز وجل على العرش استوى لمعنى علا وارتفع ينفون ذلك يقولون لا يجوز أن يوصف بالاستواء والفوقية لكن هو استواء هو الاستيلاء ، وكلام الشيخ الشنقيطي رحمه الله يقول ما أشبه اللام التي زادها هؤلاء في استوى بمعنى استولى بالنون التي أزدوها في حطة يقول ( وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ) البقرة ٥٨ يقولوا حطة وحط عنا خطايانا فاستهزاءً منهم وسوء أدب مع الله قالوا حنطة يعني حبة في شعرة وحنطة عبارة عن حبة في غلاف فيه شعرة من ناحية وشعرة من ناحية أخرى فقالوا حنطة . حبة في شعرة . حرفوا اللفظ وقالوا المعنى الخاص به . ودخلوا يذخفون على استاهم ، على ستاهم بدل ما يدخلوا سجداً دخلوا يذخفون على مقاعدهم استهزاءً منهم بالشرع والعباد بالله طوائف منهم فعلت ذلك فأنزله الله عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون فكان الواجب عليهم أن يدخلوا فيصلوا كصلاة الفتح عندما يمن الله على المسلمين بفتح بلد فيستحب أن يدخلوا يصلون ، إذا دخلوا فيصلوا صلاة الفتح ثمان ركعات كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، مع أن استوى ليست لغة بمعنى استولى إلا في كلام الأخطل النصراني المثلث الذي ليس بحجة في اللغة الذي قال

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

فهذا الكلام ليس الأخطل بحجة في اللغة حتى يستدل بكلامه ولو كان فهذا تأويل لا دليل عليه فلا يقبل ، لأن لا بد حتى يحمل الكلام على هذا المعنى المرجوح من دليل ، ثم استوى بمعنى استولى تقتضي وجود منازعة ووجود مالك قبل ذلك لهذا العرش استولى عليه من استولى عليه عليه ، فهل يقولون بوجود من كان مالكا للعرش قبل الله عز وجل واستولى الله عز وجل منه كما أن بشر استولى على العراق بعد أن كان هناك من كان يملكها غيره ؟ فهذا كلام باطل من جهة المعنى وباطل من جهة اللغة وباطل من جهة الإعتقاد وباطل من كونه لم يرد عن أحد من الصحابة والسلف رضوان الله عليهم أنه فسر استوى بمعنى استولى ،

كما ذكرنا الاستواء علو الخصى لأن العلو على سائر المخلوقات صفة ذاتية أزلية ، الله عز وجل الأعلى قبل خلق السماوات والأرض وعندما خلقها وبعد أن خلق السماوات والأرض استوى على العرش استواء خاصاً وعلواً خاصاً ،

أيضاً من التأويل المذموم والتحريف المذموم قولهم في قول النبي صلى الله عليه وسلم ( ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر ليلاً فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفري فأغفر له حتى يطلع الفجر ) متفق على صحته وفي روايات في الصحيح يقول الله عز وجل ( لا أسأل عن عبادي غيري ) وهذه الرواية تمنع كل تأويل ، ( لا أسأل عن عبادي غيري من يدعوني فأستجيب له هل من سائل فأعطيه ) ونحو ذلك ، الأداء حين الفجر الصادق ، يقول الأشاعرة في هذا الحديث ينزل أمر ربنا أو ينزل ملك من ملائكة ربنا وهو أصلاً بعضهم يحتج برواية ثبت فيها لفظ القيام فينزل ملك فيقول هل من سائر فيعطى ، وهذه الرواية في الحقيقة لا تنافي نزول الرب عز وجل فلا شك أن نزول الرب سبحانه يكون معه نزول ملائكة من ملائكته والملائكة تنزل في أوقات كثيرة عديدة وهذا الوقت خصوصاً الملائكة فيها ينزلون يستغفرون ويحثون المؤمنين على الاستغفار لذلك ، لكن هل هناك منافاه بين نزول الملائكة وبين نزول الرب سبحانه وتعالى كما قال عز وجل ( وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ) الفجر ٢٢ فهل يجيء الملائكة ينفي مجيء الرب ، مجيء الرب جاء سبحانه وجاء الملائكة وفعل الله غير فعل الملائكة ، ولذلك الرواية التي فيها نزول ملك ليست بحجة في الدليل لأن رواية لا أسأل عن عبادي غيري لا يصح معها أن

يكون الملك هو الذي ينادي لأن من يسأل فيعطى وهل من داع فيستجاب له هذا ملك غير الله عز وجل والله عز وجل هو الذي يقول لا أسأل عن عبادي غيري ، إذاً لا يمكن أن يكون ملك يقول لا أسأل عن عبادي غيري يستحيل ، فلا يصح هذا التأويل ، لكنهم لا يثبتون نزول الرب سبحانه وتعالى لماذا ؟ لأنهم يقولون أن هذا النزول لا يليق بالله ولا يجوز أن يوصف الرب بالنزول والصعود الارتفاع والانتقال وذلك كله جهل عظيم ، ذلك لأن صفات الله سبحانه وتعالى وأفعاله تأخذها من كتاب ربنا ومن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، فمصدر التلقي في عقيدة أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف هو الكتاب والسنة ليست العقول ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ولذلك لا نتصور ولا نسأل عن كيفية ملازمة لكيفيات نزولنا ، يعني البعض يقول أينزل ويخلو منه العرش ؟ أم ينزل ولا يخلو منه العرش ؟ نقول قادر على أن ينزل ولا يخلو منه العرش . يعني ماذا ينزل ويخلو منه العرش ؟ يعني هل ينافي ذلك صفة العلو والاستواء وصفة النزول ؟ نقول لا منافاه هو عز وجل على العرش استوى وهو ينزل كيف يشاء استواء يليق بجلاله ونزولاً يليق بجلاله لأنه لم يرد أن هذا يعارض هذا ، نحن عندنا يلزم من النزول أن تنتفي صفة العلو الأخرى وأما في حق الله عز وجل فلا تنافي لأنه نزول ليس كنزولنا ، من يقول نزل كنزول هذا يكون كذب على الأئمة ولا يكون هذا من علماء المسلمين لأنه شبه نزول الرب عز وجل بنزول هذا ، مما يكذبون على شيخ الإسلام وتجد ألفاظاً كثيرة في الكتب التي تدم شيخ الإسلام بن تيمية بالكذب والزور أنه كان على المنبر فقال ينزل كنزولي هذا ثم ينزل من على المنبر ، هذا من الكذب على شيخ الإسلام ، سبحانه الله ينفي التمثيل والتشبيه في كل كتبه ، فإنما لما لم يجدوا شيئاً يطعنون به إلا الكذب ليرودوا على الناس مذمته والطعن فيه فتجد بعض الضعفاء العقول ينشرون هذا الكلام رغم نصوص كتب شيخ الإسلام وأنها انتشرت والحمد لله خلاف زمان مثلاً كانت الكتب مجهولة ، الآن مطبوعة في كل مكان أن شيخ الإسلام ينفي التشبيه والتمثيل فيكيف تزعمون أنه يقول نزل كنزولي هذا !!؟ نعوذ بالله فأصبحت يعني محاولات مفضوحة بفضل الله سبحانه وتعالى ،

في الحقيقة الذي نفى الصفة هو الذي وقع في التشبيه لأنه اعتقد أن ظاهر الكتاب والسنة التشبيه والكفر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،

أخبر الله عز وجل عن صفة اليد بقول ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } المائدة ٦٤ لإثبات اليمين لله عز وجل فلا يجوز بعد ذلك لعبد أن يقول أن اليد التي وصف الله بها نفسه هي جارحة وأن الجوارح هي جزء من أجزاء البدن ، هذا لا يليق بالله ! من الذي قال لك أن اليد جزء !!؟ أقلنا لك أن اليد جزء !!؟

اليد جارحة !!؟ هي عندنا نحن بعض منا لكن في حق الله ليست أبعاضاً كما أن السمع في حقنا عرض وليس في حق الله عرض ، عرض يعني شيء يعرض للذات

العرض والجوهر هذه اصطلاحات فلسفية

الجوهر الذات والعرض ما يحصل له من صفة أو فعل

فيقولوا الصفات إما أعراض أنه يقتضي أن يكون عرض يعني حدث لشيء ، نحن أصلاً كانت ماتنا ليس فيها صفة السمع وكنا تراب وماء وبعد ذلك عرض لها الصفة ، هي في حقنا نحن أعراض ، لم تكن نسمع أصبحنا نسمع كنا ماء وطين ثم صرنا بشر نسمع ونبصر فالسمع والبصر في حقنا نحن أعراض لكن لا نقول أن السمع والبصر في حق الله أعراض كما لا نقول أن اليد والوجه والرجل في حق الله أبعاض أو أجزاء أو جوارح بل نقول عن الصفات التي هي في حقنا أعراض نسمة صفات والتي هي في حقنا أبعاض نسمة أيضاً صفات لا نقول أبعاض ولا أعراض ولا نقول هذه المصطلحات التي كذب بسببها الكتاب والسنة ، هم يسمونها الأول أبعاض ثم ينفوها وبعد ذلك يأولوها فنحن لا نقبل الأمر من أوله ، لا نسمة جوارح لا نسمة اليد جارحة ولا نسمة بعضاً من الله ولا جزء من الله تعالى الله عن ذلك ، فهم قالوا اليد التي وصف الله بها نفسه جارحة وهذا لا يليق ونحن نعرف ما يليق بالله فنصرف اللفظ الذي ورد في معنى آخر وهو معنى القدرة والنعمة ، هذا كلام باطل أنتم أعلم أم الله ، الله عز وجل أعلم بما يليق به والرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بما يليق به وما تكلم مرة واحد بأن اليد لا تليق بالله أو أن النزول لا يليق بالله ، هو الذي تكلم بذلك وسكت صلى الله عليه وسلم عن تفسيره فنسكت نحن كذلك ، كذلك لا يجوز بعد أن يقول أن قوله تعالى ( بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } معناه قدرته أو نعمته لأن اللفظ لا يحتمل ذلك لماذا ؟ لأن صفة القدرة هي صفة واحدة فلا نقول أن الله قدرتين أو أن الله نعمتين ، والأوضح منها ( مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ } ص ٧٥ لأنها لا تحتمل ولن تستعمل قط إلا في إثبات اليمين ، وكذلك لا يصح معنى النعمة لأن نعم الله لا تحصى وقدرته صفة ذاتية قائمة به عز وجل فكيف يكون ( بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } يعني يده أو نعمته !!؟ ، الذي يحرف يسمي ما يفعله تأويلاً والتأويل هو الكلمة المشهورة عندهم فلا يسمون التحريف تحريفاً لكن يسمونه تأويلاً لنصوص متشابهة كما يزعمون ، نصوص الصفات متشابهة لكن ليست من كل وجهة ليست بمعنى مجهولة المعاني ، هم سموها نصوص متشابهة لكن ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سمى نصوص الصفات متشابهة كما قال مازال هؤلاء عندما ذكر ابن عباس رضي الله عنه في الصفات فانتفض رجل عنده انكاراً بذلك فقال ما بال هؤلاء يجدون رقة عند محكمة ويهلكون عند متشابهة ؟ ، سمى أنكاره ماذا ؟؟ هلاكاً ، ولما سماها متشابهة ؟ لأنها اشبهت على أهل الزيف والضلال ، ولأنها تحتمل معاني قد تكون من جهة اللغة بعيداً عن الدلالة الشرعية ، تحتمل من جهة اللغة عدة معاني من ضمنها التشبيه لكن ماذا يصنع أهل الحق في هذه النصوص المتشابهة ؟ رد المتشابهة إلى المحكم يتسق الكتاب كله ، ( إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر ٩ النصارى تمسكوا بهذه وقالوا إنا ونحن تدل على الجمع فالله ثالث ثلاثة !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، تكون المحكم عند قوله ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } الاخلاص ١ وتركوا المحكم من قوله ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } المائدة ٧٣ ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } المائدة ١٧ وغير ذلك وقال عز وجل عن الملائكة ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } الانبياء ٢٦ فتروا كل هذا المحكم وابتعوا المتشابهة ، هو اشبه عليهم ومن جهة اللغة يشبه لو لم يرد إلى المحكم لأن أنا ونحن تستعمل في اللغة العربية وفي غيرها في حق الواحد المعظم نفسه وفي حق الجماعة المتكلمين أو واحد يتكلم مندوباً عن طائفة فزعموا هم أن هذا المعنى هو المقصود أن هذا المعنى يتحدث عن الجماعة جماعة متكلمين ولا شك أنه من باب الواحد المعظم لنفسه لأنه عندما ردناه إلى المحكم نحو قوله ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } الاخلاص ١ تأكدنا وعلمنا يقيناً أن الله هو الواحد الأحد وهو

الجبار ليس جمعاً وإنما هو احد يعظم نفسه فهذا مستعمل في اللغة وهذا جائز في اللغة ومن منقضياتها هذا الاستعمال فاشتبه عليهم فوجب أن يرد إلى المحكم فهؤلاء تركوا المحكم واتبعوا المتشابه فراغوا وهلكوا والعباد بالله ، كذلك نصوص الصفات يمكن لغة أن تحتل التشبيه لكن لو رددناه إلى المحكم من قوله ( لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) { ورددناه إلى المحكم ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى ١١ فالمقصود الإثبات بلا تشبيه إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل تنزيه في قوله ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } بلا تعطيل لأنه قال ( وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } أثبت أنه لم يلد ولم يولد ونفي الكفو عنه سبحانه وتعالى وأثبت الواحدانية وصفات الكمال ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ { الاخلاص ١ الذي يلجئ إليه في الحوائج له صفات لها معاني ثابتة وليست لا من باب التحريف لا نقول بالتهجيل ولا نقول بالتكليف ، التهجيل أن يكون ليس لها معاني معلومة ، بل لها معاني معلومة ولكن كيفية تليق بذات الرب سبحانه وتعالى كما سيأتي فسموا هذه النصوص نصوص متشابهة لكي يحرفوها وظنوا أن هذا هو المقصود من قوله سبحانه وتعالى ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ { آل عمران ٧ المحكمات التي لا تحتل إلا معنى واحداً ، هن أم الكتاب أي أصله الذي يرجع إليه عند الاختلاف ( وَأَخْرَجَ مُتَشَابِهَاتٍ { ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } هم حملوا الآية على ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ { على القراءة الأخرى وقالوا الراسخون في العلم هم الخلف الذين علموا التأويل الذي هو التحريف على الحقيقة ، الحقيقة أن الآية ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ { المقصود بالتأويل ما آل إليه الكلام في حقيقة الأمر ، حقيقة الصفات حقيقة الذات كيفية الصفات وكيفية الذات وكيفية كل الغيبات لا يعلمها إلا الله ، وأما على قراءة بن عباس ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ { وقال أنا من الراسخون في العلم فالتأويل فيها على معنى التفسير لا على الإحاطة بالغيبيات وبكيفية الصفات ، كلمة التأويل تطلق على ما يأوول إليه الكلام حقيقته التي يأوول إليها وتطلق على التفسير ، والتأويل الإصطلاحي الذي هو صرف النص عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح ، هو إن صح التأويل يكون من باب التفسير إن لم يصح فهو مذموم لأنه بلا دليل ولا يجوز حمل الكلام عليه بغير دليل وصرفه وحمل الآيات على معاني واصطلاحات حادثة بعد عصر الكتاب والسنة وعصر الصحابة رضي الله عنه الذين لم يفهموا من القرآن من كلمة التأويل هذا المعنى فهو لا يجوز ذلك نقول قول ابن عباس (أنا ممن يعلمون تأويله ) أذاً الراسخون في العلم هم الصحابة رضي الله عنهم إذاً يعلمون تأويله يعني يعلمون تفسيره الصحيح وأما أن أحداً من البشر يعلم كيفية صفات الرب جل وعلا قال عز وجل ( وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا { طه ١١٠ لكن ليس معني ذلك لا نعمل معاني لصفات الرب لا في فرق بين ما أقول أن هذه الصفات ليس لها معنى نحائي عندنا معانيها مجهولة للبشر وهي حروف جعلت بجوار بعضها لا يستفاد منها معنى نقول لا هؤلاء أهل التهجيل وأهل التفويض وسيأتي بيانه أكثر ، هم الذين يقولون له معاني مجهولة لا تتكلم فيها والآخرين يقولون لها معاني ونحن الذين رسخنا في العلم ليس السلف والعباد بالله ، لا الراسخون في العلم هم السلف عملوا التفسير وردوا المتشابه إلى المحكم فعملوا أن الله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { الشورى ١١ فأتسق الكتاب كله ، ردوا ما احتمل إلى ما لا يحتمل ، ردوا ما احتمل معاني إلى ما لا يحتمل إلى معاني الحق ، فالله سبحانه وتعالى ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { فصفات الله تليق بجلالة وعظمته لا تشبه صفات المخلوقين لا تماثل صفات المخلوقين ليس له كفؤ ولا ند ولا مثل ولا سمي سبحانه وتعالى ، فهذه الآيات المحكمات إذا رددنا إليها المتشابهات اتسق الكتاب كله لأن الكتاب له متشابه يشبه بعضه بعضاً والكتاب كله محكم فيه الإحكام والإتقان وما كان مقسماً فيه إلى محكم ومتشابه ، المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحداً والمتشابه ما احتمل معاني رددنا المتشابه إلى المحكم فأتسق الكتاب كله ، إذا النصوص المتشابهة ما معنى أنها متشابهة ؟ ليس معناها أنها تقبل التحريف جملة وليس أنها معنى مجهولة المعاني بل هي ترد إلى المحكم فيعلم معناها الصحيح وتفسيرها الصحيح ونكل كيفيتها إلى الله عز وجل كما أثبت ذلك النصوص التي هي أم الكتاب ، لذلك كما ذكرنا أن أهل البدع يسمون نصوص وآيات الصفات نصوص متشابهة تحتاج إلى تأويل كما ذكرنا أنها عندنا تسمى النصوص المتشابهة لكن بمعنى ماذا ؟ بمعنى أنها متشابهة على أهل الزيغ والضلال ومتشابهة على أهل اللغة تحتل معاني لكن شرعاً ترد إلى المحكم فيتسق الكتاب كله فإذاً ليس معنى أنها متشابهة أن لا بد أن نصرفها عن ظاهرها بل نقول ظاهرها لا لائق بجلال الله لا تصرف عنه لأن ظاهرها هو حق لا شك في ذلك ، هم يؤولون هذه الصفات ،

على سبيل المثال :لماذا ينفون الاستواء ؟ يقولون يلزم منه الجهة والجهة يلزم منها التحيز ليكون الله في حيز وفي مكان معين ؟ الجواب عن ذلك ، لا يلزم منه التحيز ولا أن الجهة بمعنى المكان المخلوق ، نحن نثبت ما أثبتته الله في كتابه وما أثبتته الرسول في سنته من أن الله فوق العرش ، لفظة فوق التي يسمونها الجهة لا يلزم منها أن يكون مكان محدوداً يحل فيه الرب سبحانه وتعالى ، بل الله عز وجل هو العلي الكبير هو أكبر من كل شيء فلا يحيط به شيء بل هو عز وجل بكل شيء محيط وهو عز وجل لا يحل في مخلوقاته بل هو كما يقول السلف مستوى على عرشه بائن من خلقه بائن يعني منفصل لا يحل في المخلوقات ، السماوات السبع والأراضون السبع في كف الرحمن كخردلة في يد أحدكم ، الحديث صحيح ، والخردلة شيء خفيف جداً مثل بذور اللقاح أو نحو ذلك ،

الذي حرف كأنه يقول لله عز وجل إن الصفة التي وصفت بها نفسك ووصفك بما رسولك صلى الله عليه وسلم لا تجوز بك وأنا أُلغيتها وآتي بما يليق بك فما أقبح هذا وما أشد سوء أدبه والله عز وجل أعلم بنفسه ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم به ، لا يجوز أن نقول أن الكتاب والسنة يظهر منها الباطل لذلك نقول لا يجوز أن نصف الرب إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نحرف فالتحريف نوع من التعطيل وإن كان دون التصريح بالتعطيل ، الذي يحرف يحاول إلا يكذب صريح القرآن فيأول وهذا فعل المعتزلة والأشاعرة لكن أصل هذه التأويلات وتأويلات الجهمية لما فشلت حيلتهم في رد الكتاب صراحة وفي رد السنة صراحة لجأوا إلى التأويل لكن لأجل عدم معرفة المتأخرين بعقيدة السلف أصبحت عقيدة هؤلاء الجهمية هي عقيدتنا وإن كانوا لا يسمون أنفسهم بالجهمية

نقول أكثر الذين وقع منهم في التاريخ الإسلامي لترويج عقيدة الجهمية بين الناس على أنها عقيدة أهل السنة هم أئمة أشاعرة لهم منزلة كبيرة في الفقه لكن علمهم بعقيدة السلف والأحاديث قليل ، أكثر ثلاثة الرازي والجويني والغزالي رحمهم الله وغفر لهم جميعاً نقل عنهم الرجوع ، يذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله الرجوع عن الرازي في كتابه أقسام اللذات ويذكر عن الغزالي في احتضاره وكذلك في إجماع العوام عن علم الكلام ويذكر عن الجويني في العقيدة النظامية فالثلاثة نقل عنهم الرجوع إلى عقيدة السلف كما نقل عن

الأشعري والأشعري ألف الإبان عن أصول الجامع وهو من أشهر كتبه فكل من نشر هذا الإعتقاد رجع عنه بفضل الله أو كل من ساهم في فكيف يبقى الناس بعده على عقيدته ، يعني النسبة إلى الحسن الأشعري نسبة فيها تجوز أن يقال أن نسب هذه العقيدة إليه لأنه هو نفسه رجع عن هذه العقيدة في كتابين في الإبانة وهو أوضحها والكتاب الثاني هو مقالات الإسلاميين وكلامها أنتشر عن عقيدة السلف وأخبر أنه على عقيدة الإمام أحمد رحمه الله أهل الحديث فلا ينبغي أن ينقل أحد عنه بعد ذلك أن يقول أنا أشعري العقيدة ، العقيدة هو صاحبها رجع عنها وتركها ولكن كما ذكرنا كان لهم منزلة وخصوصاً في الفقه يعني بلا شك أن الرازي والجويني والجويني طبعاً من كبار أصحاب منهج الشافعي والغزالي يليه في الدرجة وكل منهم نقل عنه الرجوع إلى طريقة السلف ومدحوها لكن مؤلفاتهم التي حفظت عنهم ظلت تحمل هذا المنهج وهذا هو السبب إن أكثر الكتب مكتوب فيها التأويل بسبب هذا ظن كثير من المتأخرين أنه مذهب أهل السنة وقالوا هم أهل السنة هم الأشاعرة والماتوردية وسموا عقيدة السلف عقيدة الحشوية والمشبهة مع أن هذا منت أبطل الباطل وهذا من التهم الظالمة يتهموها بالحشوية يتهموها بالحشو يعني وحشوية أصلاً فرق مبتدعة ضالة منحرفة فيسموها بذلك للتنفير عنهم ويسمونها مشبهة من أجل ذلك ، وهذا كما ذكرنا من أبطل الباطل ، هؤلاء الأئمة الأشاعرة قدموا علم الكلام والتأويلات المنحرفة التي في علم الكلام قدموها إلى الناس على أنها منهج أهل السنة لأن أبا الحسن الأشعري هو الذي قاوم المعتزلة ورد عليهم لكن تأثر كثير من تلامذته ومن انتسب إليه بعقيدة هؤلاء المعتزلة ولم يسلموا من التخلص منها بالكلية كما قال ابن العربي عن شيخه الإمام الغزالي أنه دخل في بطن الفلسفة فأراد أن يخرج فلم يستطع ، أبو الحسن الأشعري ظل أربعين سنة على عقيدة المعتزلة ثم حصلت مناظرة بينه وبين شيخه على مسألة اللطف والأصلح فرجع عن الاعتزال وبدأ يراجع كل مسائل الاعتزال وفي الأغلب الأعم أخذ الموقف المضاد تماماً حتى تجاوز موقف أهل السنة في المرحلة المتوسطة ، لذلك الخلاف مع الأشاعرة ليس فقط في الأسماء والصفات بل في القضاء والقدر والإيمان والكفر أو حقيقة الإيمان والأسماء والصفات ذلك أنه في الأسماء وقارب توصل بين المعتزلة ومذهب أهل السنة وفي القضاء والقدر توصل بين المعتزلة والجبرية رداً على المعتزلة ، في الإيمان ذهب إلى مذهب الجهمية الذين قالوا أن الإيمان هو المعرفة مخالفة للمعتزلة الذين قالوا أن الأعمال ركن في الإيمان إذا ترك شيئاً منها زال الإيمان وكان في منزلة بين المنزلتين ووافقوا الخوارج في الوعيد في أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، فأبو الحسن الأشعري أخذ الموقف المضاد لكنه رجع عن كل ذلك كما ذكرنا في كتاب الإبانة عن أصول الديانة ومقالات الإسلاميين ، فكثير من التلامذة الذين تربوا خلال المدة التي فيها الرجوع ، مرحلة المناظرة مع المعتزلة ولم تكن تستمر العقيدة عقيدة الأشعري إلا في آخر مؤلفاته في آخر عمره لكن في المرحلة المتوسطة كان كما ذكرنا كان هناك خلل إما بالغلو في الرد على المعتزلة وإما بموافقتهم في بعض الأمور ، في باب الأسماء والصفات وافقهم في بعض الأمور في منهج التلقي ثم في إنكار كثير من الصفات وإنكار كل الأفعال واقتصر على سبع صفات ثم كما ذكرنا رجع بعد ذلك وكثير من الأشاعرة يعني تلاميذ أبي الحسن الأشعري يقولون يقول أهل السنة في كثير من الصفات مثل العينين والوجه واليدين ولكن أكثرهم على التأويل في هذه الصفات فإنما حسنت منزلة أبي الحسن الأشعري لأنه رد على المعتزلة إنما كان للمعتزلة وجه من أنهم من أهل القبلة وهم من أهل القبلة لأنهم ردوا على الفلاسفة ، بقدر اتباع السنة يكون للإنسان منزلة يجعله الله له وبقدر مخالفته للسنة بقدر ما تنزل وتخط منزلته ، فأبو الحسن الأشعري له منزلة لأنه قاوم المعتزلة ورد عليهم ثم لما رجع الرجوع التام كان كلامه الأول قد انتشر ولم يعرفه كل من تلمذ على يديه فلم يسلم التلامذة من التخلص من آثار عقيدة المعتزلة بالكلية وهؤلاء الأئمة لهم كتب جيدة في الفقه والأصول ونحو ذلك ولهم كلمة مسموعة ، الحقيقة أن علم الأصول الذي سجله هؤلاء تأثر تأثراً عظيماً بعلم الكلام ، علم الأصول أو من ألفه الإمام الشافعي رحمه الله والحقيقة أن هذا كان علماً نقيماً صافياً بعيداً عن علم الكلام ثم اختلط بعلم الكلام في القرن الرابع والخامس وما بعد ذلك وترتب على ذلك فعلاً صعوبة هذا الفن أصعب ما يكون على الكثيرين بالإضافة إلى دخول علم المنطق كالة في أصول الفقه وعقدت كثيراً من المسائل لا يحتاج إليها هذا العلم النافع العظيم هؤلاء الأئمة لهم كلمة مسموعة وهم منتشرون في المذاهب التي ينتسبون إليها مذاهب الأئمة الأربعة لكنهم فتحوا باباً خطيراً في التأويل وصار الناس بسببهم يقولون عن هذه العقيدة هي عقيدة تأويل الأسماء والصفات التي هي في الأصل عقيدة الجهمية والمعتزلة ظن الناس أنها عقيدة أهل السنة معتقدين أن الأشاعرة هم أهل السنة ، ليسوا كذلك لأن الأشاعرة فرقة فيها انحراف بلا شك وإن كانوا من أهل القبلة وليسوا كفاراً لكن فيهم انحراف في باب الإعتقاد خاصة في باب الأسماء والصفات كما سبق ذلك وكما ذكرنا الأسماء والصفات والقضاء والقدر والإيمان ، في القضاء والقدر جانب الجبر في حقيقة الأمر عند التأمل لكنه يخالف الجبرية المحض الجبرية الخالص لأنه ثبت مشيئة للعباد لكن لا أثر لها ووجود القدرة بلا أثر أيضاً بلا أثر في الفعل أما أهل السنة يثبتون قدرة ومشية لها أثر في أفعال العباد سيأتي بياحاً إن شاء الله ، لذلك قضية تأويل الأسماء والصفات أصبحت علامة مميزة تميز أهل السنة على طريقة السلف عن أهل البدع الذين ينتسبوا إلى السنة وليسوا منها وهم من يعرفون بالخلف ، أهل السنة فريقين سلف وخلف ، مثل ما قولوا قبل ذلك أن أهل السنة أشاعرة وماتردية اتباع أبي منصور الماتردية هو أقل بكثير منزلة من الحسن الأشعري وكلامه قريب من كلامه وهم من متكلمة الإثبات ممن يثبتون الصفات ولكن على طريقة علم الكلام ، كما ذكرنا مذهب أهل السنة والجماعة مذهب واحد في هذا الباب وفي سائر مذاهب الاعتقاد إنما أعني المسائل الكبرى لا يوجد خلاف إلا في أمور محدودة جداً يسع فيها الخلاف مثل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج هل رآه أم لا ومثل تقدم عثمان على علي أم علي على عثمان في الفضل لا في الخلافة ونحو ذلك ومثل خلاف في تفسير في بعض الآيات وهل هي من آيات الصفات أم لا لكن جملة الاعتقاد والأصول الكبرى فيه ليس هناك اجتهد وليس هناك سلف وخلف الخلف هم المؤولة وهؤلاء كما ذكرنا لهم منزلة في الفقه والأصول ولكن أدخلوا لعدم معرفتهم بطريقة السلف وضعف علمهم بالحديث طريقة البدع في العقيدة ، أي إنسان يقرأ كتبهم يتيقن ضعف العلم بالحديث يعني أنظر إلى كتب الرازي والغزالي والجويني تجد كلام قوي جداً في تأصيل الأصول وتقعيد القواعد وتجد الاحتجاج بالأحاديث يكاد يكون نادر جداً ، الغزالي رحمه الله في الإحياء جمع وشحن أحاديث ضعيفة وموضوعة وباطلة بالإضافة إلى الأحاديث الصحيحة ومات وعلى صدره صحيح البخاري يعني بدأ يطلب علم الحديث مثلاً متأخراً جداً وقال هو رحمه الله عن نفسه بضاعتي في الحديث مزجة ، رغم أنه إمام فاضل وجمع أحاديث مبنية على معرفة الأحكام التي يتكلم فيها ويرجح ما يتكلم عليها لكن التمييز من الصحيح والضعيف ومعرفة ما استقر عند أهل العلم بالحديث والأحاديث المتفق عليها ولذلك كان أمراً ضعيفاً وكان قليلاً يقول بعض المتأخرين إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، لماذا قال هذه الكلام ؟ هو يقول طريقة السلف أسلم يعني لا نتعب أنفسنا ونترك الأمر لكي نسلم من المناقشات والمجادلات ونسلم من الشبهات وطريقة الخلف أعلم وأحكم لأنهم في الحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد هذه المعاني الباطلة ومعلوم بطلانه قطعاً ، يعني من أين علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد أستولى باستوى ومن أين علمت أنه قصد اليد بالنعمة فضلاً على اختلاف في التأويل يعني كل منهم يأول بتأويل مختلف ، يقولوا أحكم لأن فيها الإحكام في الرد على الكفار والرد على المعتزلة والرد على الفلاسفة والحقيقة أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم ، هذا المتأخر يقول



المسلمون لا يستطيعون الرد إلا بطريقة الخلف وطريقة السلف أسلم حتى لا نخوض في علم الكلام ، لا شك أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم والعبارة السالفة التي قالوها غير صحيحة ولا تليق ، لا يليق أن نقول أن السلف رضوان الله عليهم أقل علماً من الخلف هذا كلام باطل وننصح الأخوة من قراءة المجلد الرابع من مؤلفات شيخ الإسلام بن تيمية مؤلف في الإنتصار للمذهب السلف ومذهب أهل الحديث ، نعم هل يتصور أن الصحابة رضوان الله عليهم غيرهم أعلم منهم ممن لا يحسن معرفة الصحيح والضعيف من الأحاديث فضلاً على أن يحسن أقوالهم في التفسير أو يحسن أو يميز بين ما ثبت وما لم يثبت وهو يجمع بين كل الأقوال فضلاً عما مر به هؤلاء في طول عمرهم في المذاهب المختلفة ، يعني كل منهم متغير وكان يتقلب وكل منهم نقل عنهم كما ذكرنا الرجوع والندم على الخطأ والقول في علم الكلام والغزالي نقل عنه والرازي نقل عنه والجويني نقل عنه وهم أكثر الثلاثة الذين نشروا هذا الكلام وأدخلوا هذا الاعتقاد في عقيدة السلف فكيف نقول عنهم وهم ليسوا من الراسخين في العلم أنهم أعلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، إذا كان لا يجوز أن نقول أعلم من الأئمة الأربعة فكيف نقول أعلم من السلف الذين هم الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، هذا الكلام باطل قطعاً بل أعلم الأمة بعد نبيها هم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون ثم أتباع التابعين وهم أفضل في العلم والعمل والسلوك ذلك نقول أن السلف منة منة أن نلتزم بطريقة السلف في كل هذا في العلم والعمل والسلوك ، من هم السلف ؟ هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قل صلى الله عليه وسلم ( خير الناس قربي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) متفق عليه ونحن نجزم أنهم لم يستعملوا هذا التأويل ومن يخالفنا يجزم بذلك ، الذي يقول أن طريقة السلف ماذا ؟ أسلم ، إذا عنده طريقة السلف تخالف طريقة الخلف ، أنت مقر أن السلف لم يؤولوا ولم يقل أحد منهم أن استوى بمعنى استولى ، وإنما عرفت عن المتأخرين ومن نقل عن المفسرين هذا الأقوال فإنما نقلها بعد العصور الأولى لم تكن عند السلف رضي الله عنهم شيء من ذلك لم يقولوا أن اليد بمعنى القدرة ولا أنه لا يجوز أن نقول أن الله ينزل أو أن الذي ينزل هو أمر ربنا أو هو ملك من ملائكته إذا بقي ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ونزل الملك كما ذكرنا صحيح وإنما لا ينافي نزول الرب عز وجل خصوصاً أنه قال في رواية الحديث الصحيح ( لا أسأل عن عبادي غيري ) فكيف يقول ملك لا أسأل عن عبادي غيري كيف يقول ملك من ذا الذي يسألني فأعطيه يستحيل أن يقول ملك ذلك ولم يقل السلف أنه لا يجوز أن نقول أن الله يجيء يوم القيامة في قوله ( وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا ) { الفجر ٢٢ } يقولون فسروها كما جاءت لم يقول ذلك أبداً بل طريقة السلف أن تؤمن بكل ما وصف الله به نفسه والسلف قد أجمعوا على ذلك في العقيدة ولم ينقل عن أحد منهم بالتأويل فكيف يقال بعد ذلك إن طريقة الخلف أعلم ، هذا لا يمكن بل طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم لأنهم أعلم الأمة وفي الحقيقة علم الكلام لا يشفي عيلاً ولا يروي غليلاً لا يترتب عليه لا إقناع الخصوم ولا غير ذلك لأنها شبهات بعضها مترتبة فوق بعض والناس عامتهم لا يفهمون لا الشبهة ولا الرد عليها وهذا من فضل الله عز وجل أن يظل القرآن هو البيان ، الناس أساتذة كبار ويدرسون هذه المعتقدات ويتضح جلياً لمن عرف علم الكلام ومن فهم علم الكلام والشبهات والردود أنهم لم يفهموا ولا فهموا الشبهة ولا فهموا الرد وهذا كما ذكرنا من نعمة الله ورحمته بالعباد أن كلامهم مظلم لا يدخل إلى القلوب فلا حاجة إليه والقرآن نور مبين والسنة من هذا النور أيضاً من فضل الله عز وجل ، يمتنع أن يكون الصحابة قد جهلوا أموراً علمها من بعدهم إلا أمور ليسوا أمور من الدين ، صح الصحابة جهلوا علم الكلام لأن هذا ليس من الدين ما كان عندهم ديناً فهو الدين إلى يوم القيامة وما كان ليس عندهم دين فهو ليس بدين إذاً لما ندخل علم الكلام في الدين لماذا لا دخل لنا به ولا نحتاجه ، هم الذين نقولوا لنا الدين عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نجزم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل بهذه الترحيفات التي قال بها الخلف وفسروا بما النصوص ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر اليد بالقدرة ولا فسر الاستواء بالاستيلاء ولا أنكر لفظ فوق بل هو صلى الله عليه وسلم الذي قال ذلك قال ( والله فوق العرش ) ولا أنكر أن الله في السماء بل هو الذي سأل الجارية ( أين الله ) فقالت في السماء) رواه مسلم ولم ينكر صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء كما يزعمون كما يزعم من يقول أن من قال إن الله في السماء فهو كافر والعباد بالله هؤلاء الذين يقولون إن من قال أن الله في السماء فهو كافر لأنه يلزم منه التحيز ويلزم منه الحلول ويلزم منه كذا وكذا ، نقول لو لزم للنبي عليه الصلاة والسلام ولكن أنتم تقولون أن هذا باطل ونحن نتفق معكم لكن ليس من لوازم الحق الباطل ، كيف يلزم من كلام النبي صلى الله عليه وسلم اللوازم الباطلة ولماذا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم الجارية في الشرك والكفر كما تزعمون لو كان يلزم للنبي صلى الله عليه وسلم وللتزمتنا به ولكنه لا يلزم وأنتم تقولون هذه اللوازم بزعكم لا يلزم من قولنا أن الله في السماء أنه يحل في الخلوقات أو أنه له حيز مخلوق يحيط به ، الله عز وجل أعلى وأعلم ، إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الجارية ( أين الله قالت في السماء قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله قال اعتقها فإنها مؤمنة ) شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، والخلف والمتأخرون يقولون أن من يقول أن الله في السماء فهو كافر نعوذ بالله ، فإذا سألتهم لماذا يصير كافرًا من يقول أن الله في السماء ؟ يقولون أن هذا معناه يحيط به وتحويه وهذا كلام عجيب هل قولنا في السماء أنها تحويه ؟!! السلف لم يفهموها هكذا بل في السماء يعني في العلو ، الله عز وجل له صفة العلو ، كما يقولون فلان في العز والغنى يعني ماذا ؟ يعني في حاجة عز وغنى وهو بداخلها ؟! أحد يفهم هذا المعنى ، إنما فلان في العز والغنى معنى أنه في أعلى المراتب ، هل العز والغنى يحيط بهذا الغنى أنه شيء يحيط به ؟؟ جهل عظيم أن نفهم الكلام هكذا ، بل معناه أنه عزيز وغني ، فمعنى أن الله في السماء يعني أنه في العلو يعني أنه عز وجل العلي ليس أن السماء المخلوقة تحيط به كما قال تعالى ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) { الزمر ٦٧ } السماوات السبع في يده عز وجل مطويات فكيف تحيط به السماء كيف تقله أو تظله تعالى الله عن ذلك تعالى الله سبحانه وتعالى عما يشركون ، فمن بعد ذلك يظن أن السماء تحيط بالله أو تقله ، " تقله يعني تحمله " أو تظله تكون فوقه بل هو عز وجل فوق العرش وفوق السماء المخلوقة ، إذاً في السماء لها تفسيران . في معنى علا وفوق والسماء مصدر وليس مكان مخلوق وكما قلنا فلان في العز والغنى هذا مصدر معنى وليس أنه مكان يحيط بالإنسان ففي السماء وهذا الأصح أنه العلو أنه مصدر سما يسمى سماءً ومن فسرها أنها هذه السماء المخلوقة فيها معنى عليها ، مثل يضع الجبار فيها قدمه يعني ماذا؟ يعني عليها في الرواية الأخرى عليه وليس أن جهنم سوف تحيط بقدم الرب سبحانه وتعالى بل الله أكبر سبحانه وتعالى فالسماء مصدر أو أن السماء المخلوقة وأن الله سبحانه وتعالى فوقها فتكون في قوله تعالى ( أَلَمْ نُنشَأْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ) { الملك ١٦ } تكون في معنى على أي فوق كما قال تعالى ( فَنَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ) { التوبة ٢ } ما معنى فسحوا في الأرض ؟ عليها فليس أنهم يسبوا داخل الأرض بل فوقها وقول الله تعالى عن فرعون ( وَأَلْصَقْنَا لَكَ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ) طه ٧١ يعني على جذوع النخل لم يدخل السحرة داخل الجنوع ، التفسير الأول أصح أن معنى في السماء يعني في العلو ، يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله يقول أن الله في السماء وفوق العرش لكن يصاب عن الظنون الكاذبة ، لما يأتي واحد ويفهم خطأ نقول له لا تفهم خطأ وليس لأن واحد فهم

خطأً لنغي اللفظ الأصلي الذي ورد في الكتاب والسنة وهذا الألفاظ وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف نقول أنه يلزم منها كذا وكذا ؟ يلزم من ؟ لو لزمت لكننا لنترم بذلك لكنها ليست لازمة ، الغرض المقصود أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل بهذه التأويلات ولم يقول بما الصحابة ولم يقل بما التابعون ولا تابعي التابعين إنما ظهر ذلك فيما بعد في أهل الزيغ والضلال ، فلذلك نقول أن طريقة السلف هي الأعلّم والأحكم ، ونعم أن هذه الشبهات عند أهل البدع شبهات باطلة لجهلهم العظيم بالأحاديث النبوية الصحيحة وجهلهم بتفسيرات السلف وجهلهم باللغة العربية فعندما يقولون استوى بمعنى استولى ليس يوافق هذا اللغة العربية ولا يستعمل الفعل استوى بمعنى استولى إلى عندنا الأخطل النصراني وليس بحجة في اللغة إنما قال

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق ،

فقائله ليس بحجة في اللغة العربية ولذلك لا يعتمد على كلامه كحجة في اللغة فضلاً عن المعنى فضلاً أن فعل استولى يقتضي وجود منازعة فقولهم في قوله تعالى ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) طه ه أي بمعنى استولى معناه أنه كان هناك أحد ينازع الله عز وجل ولم يكن عرشه في ملك الله ثم ستولى عليه الرحمن خاصة أنه عز وجل قال ( إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) الاعراف ٥٤ معروف أن العرش مخلوق قبل خلق السماوات فهل كان أحد يملكه قبل خلق السماوات والأرض ثم استوى الله عليه ؟ ! نعوذ بالله من القول بهذا ، فقوله تعالى ( ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) نقول أن الاستواء صفة فعل فبعد خلق السماوات والأرض استوى الرب على العرش لأن العرش عظيم وكرمه الله عز وجل بأن خصه بالاستواء عليه وهو كما فسر بعض السلف بمعنى الاستواء والصعود والعلو ثلاثة ألفاظ صح عن السلف في تفسير لفظ استوى يعني علا على العرش ولم يزل هو عز وجل العلي العظيم لكن خص العرش بفعل هو فعل الاستواء يليق بجلال الله عز وجل ، الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة كما تواتر ذلك عن الإمام مالك رحمه الله وإذ هي القاعدة الكلية في كل ما ورد من صفات الرب عز وجل من صفاته وأفعاله ، أقول النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، الوجه معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، إذا كان الكلام يحتاج إلى تفسير فسر وإلا هو دال على معناه ، لا نقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يجهلون حقيقة المعنى كما يقول ابن تيمية رحمه الله أن المخالفين لأهل السنة في هذا الباب على أقسام

طريقة أهل التخييل

طريقة أهل التأويل

طريقة أهل التحجيل

أهل التخييل يقولون أن الرسل أصلاً يخيّلوا للناس حاجة لأن عقولهم لا تحتمل ويريدونهم يعتقدوا خيالات لأن عقول الناس ضعيفة لا تحتمل المعاني الحقيقة التي جاءت بها الرسل ، فلكي يقربوا لهم الأمور أحضروا لهم هذا الكلام المشبه هذا وأن هذا الكلام هو ظاهره التشبيه والرسل كانوا يريدون الناس يعتقدون التشبيه ، نعوذ الله من ذلك ، يقولون أن الرسل كان يشبهون للناس لأن الناس عقولها ضعيفة ، تجدد الكبر الشيطاني من وراء هذا الكلال أنهم يظنون أن عقولهم فريدة وأن عقولهم هي التي تفهم مع إن ثبت بلا شك أن كل الذي بنوا عليه كلامهم كله أوهام فاسدة يعني لما يقول الهايولي أربع أشياء ، الماء والهواء من العناصر الأساسية ، كلام زمان هذا الماء والهواء والتراب والنار ، فبنوا على هذا ، الناس كلها تضحك عليهم الآن وتقول أن هذا الكلام العناصر جدول مندليف والجدول الدوري وهما عناصر الأشياء وأما النار فهي تتكون من أشياء كثيرة والتراب يتكون من أشياء كثيرة والماء وما زالوا يكتشفون ، نقول أن الفلاسفة هؤلاء يظنون أنفسهم هم اللذين فهموا فضلاً عن غيبات التي لا يعرفها أحد ويفسرونها على ما يهون والعباد بالله أما أهل التأويل الذين تكلمنا عنهم في التحريف الذين يقولون الرسول كان يعرف معاني لكن لم يقلها ونحن نبذل جهننا في معرفتها فنسأل الله العافية فعلاً ، النبي عليه الصلاة والسلام يبين فروع الأعمال ولا يبين أصول الاعتقاد ؟ الذي بعث من أجله عليه الصلاة والسلام الذي هو أعظم مسائل الدين معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله لا يبينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، !!؟

أما أهل التحجيل الذين هم أهل التفويض يقولون أصلاً هذه العبارة لها كلمات لها معاني مجهولة لا يعلمها إلا الله لا يعلمها لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ولا الصحابة ، الناس كلهم يجهلونها ، كما ذكرنا أن هذه الألفاظ عندهم كأنها حروف مقطعة لا تدل على معنى يفهم ، تدل على معاني مجهولة كاللغة الأعجمي ، كأنك خاطبت إنسان فقلت ، أ ل ر م ن ع ا س ط ي و ا ، كأنني قلت لك و ج ا ع ر ك و ا ل م ل ك ص ف ا ص ف ا ، تمام كدة ، تبحث أنت وتحاول يفهم ماذا كنت أقول ، صح ؟ أي واحد عاقل يفهم الرحمن على العرش استوى وجاء ربك والملك صفاً صفاً يقول أن هذا الكلام مختلف عن الحروف التي قمنا برصها بلا شك أي عاقل يقدر يفرق بينهم ، هذه تقدر تترجمها إلى لغات أخرى وهذه لما تترجمها للإنجليزي أو الفرنسي تضعها كما هي ولما تكتبها نكتب الرحمن يعني alrhaman alalaarsh estawa واجعل الإنجليزي يفهمه ، أو أي أحد يفهمه ، معلوم أن هذا الكلام باطل قطعاً وقيناً أن هذه الكلمات لها معاني وهم يعلمون ذلك وصبيان المسلمين يعلمون أن لها معاني فضلاً عن أن هذا يناهز التدبر الذي أمرنا به قال الله عز وجل ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ) ص ٢٩ فكيف تقولون آيات الصفات التي هي النور والهدى وأعظم آيات القرآن والتي لها لثواب الأكبر والفضيلة الأعظم كآية الكرسي وسورة الإخلاص أن هذه لا تتدبر ولا تفهم ولا يفسر شيء من معناها لأن لها معاني مجهولة ، السلف ماذا يقولون ؟ يقولون



الكيفية مجهولة والإحاطة بالعلم مجهولة لماذا ؟ لأن الله قال ( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ) { البقرة ٢٥٥ } لكن لم يذكر سبحانه وتعالى أنها ليست لها معاني مجهولة ، لا نخطط علماً بها ، الإحاطة شيء وإدراك المعنى شيء أنت تدرك معنى الكلام ولا تدرك كيفيته ،نضرب مثلاً على ذلك

الخور العين والفاكهة واللحم ، لو قلنا هذه الكلمات أفهمت منها شيء أم لا ؟

الخور العين عبارة عن ماذا ؟ نساء جميلات أليس كذلك ، أعينهم واسعة وهن بيض واللحم الذي يشتتهي شيء يؤكل ( لحم ) وغير الفاكهة ؟ وغير الفاكهة نعم ، ومع ذلك فهذه الأشياء جهلنا كيفيتها لكن عرفنا معانيها ، لا نعلم كيفية اللحم ولا كيفية الفاكهة ونجزم أنها ليست مثل التي في الدنيا ، يعني التي في الدنيا فيها نقص وفيها يعني أنواع من الفساد يدخل إليها الفساد ،ولذلك نقول هذه كمثال علمنا المعنى وجهلنا الكيفية ، ولذلك لا نخطط علماً بصفات الرب عز وجل وبكل الكيفيات وإن كنا نعلم معاني الكلمات ، كما هناك فرق بين الفاكهة وبين الرزق مع أننا أيضاً لا ندري كيفية الرزق والحميم الذي يسقاه أهل النار ليس كحميم الدنيا ونعوذ بالله من ذلك نعوذ بالله من الحميم ، كل عاقل يدرك أن هذه الأمور الغيبية لها معاني معلومة وقد تكلم فيها السلف والمفسرون ولم يحيطوا علماً بالكيفية ، حقيقة ذات الرب وحقيقة صفاته سبحانه وتعالى وكيفية هذه الصفات والأفعال لا نخطط بها علماً ،هذامعنى الكيف مجهول لها كيفية لكن مجهولة ، المعنى معلوم والكيف مجهول فهذا الذي يرد به على أهل التجهيل كلهم أهل بدع أهل التخييل والتأويل أهل بدع ، عندما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في عبارته نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكيف ولا تمثيل لماذا لم يقل من غير تأويل لماذا قال بدلاً منها تحريف مع أن المقصود بلفظ التحريف هنا التأويل المذموم ؟ لأن لفظ التحريف هو الذي ورد في القرآن يذم ، وشيخ الإسلام في هذه العبارة كان دقيقاً جداً ، ذكر ما أجمع عليه وما أنكره السلف وما ورد نفيه بالكتاب والسنة ،إذا التعطيل أجمع السلف والخلف كذلك على ذمه ، التعطيل هو النفي ، وأما التحريف هو الذي ورد ذمه في القرآن لأن الله قال ( يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ) { المائدة ١٣ } التكيف ورد نفيه في قول الإمام مالك قال والكيف مجهول ، وهذه متواترة عن الإمام مالك والتمثيل ورد نفيه في القرآن لأن الله قال ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) { الشورى ١١ } فلم يقل تشبيه بل كلمة التمثيل تستغل لنفي الصفات نفي ما ورد نفيه في الكتاب والسنة أو في كلام السلف رضوان الله عليهم ، اختار لفظ التحريف بدل لفظ التأويل لأن لفظ التحريف هو الذي ورد في القرآن ذمه في قول الله تعالى ( يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ) وهذا فعل أهل الكتاب وهو أليق بخلاف التأويل أو الذي سموه تأويلاً وأنه يستعمل لغة وشرعاً بمعنى التفسير يعني في الحقيقة التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره بمعنى مرجوح يقتزن به هو في الحقيقة ليس هو كل معاني كلمة التأويل ، التأويل ورد لها كلمة التأويل وردت في الكتاب والسنة ، أليس كذلك ، وردت في قوله سبحانه وتعالى ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) { آل عمران ٧ } وورد في السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( اللهم فقه في الدين وعلية التأويل ) { رواه احمد وصححه الألباني عن ابن عباس رضي الله عنه فمعنى التأويل في هذا الحديث التفسير ، والآية في قوله سبحانه وتعالى ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) { آل عمران ٧ } محكمات لا تحتمل إلا وجهاً واحداً أحكمت هن أم الكتاب أي أصله الذي يرجع إليه عند الاختلاف وأخر متشابهات تحتمل وجوهاً من جهة اللغة فأما أهل الإيمان فردوا المتشابهة إلى المحكم فاتسق الكتب كله وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ادعاء علم الكيفية ومع أنهم لا يمكن أن يقدروا على ذلك ، وهذه الآيات نزلت في النصارى عندما تركوا المحكم من قوله عز وجل ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) )

{ الاخلاص ١ } ومن قوله ( إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ) { النساء ١٧١ } من نحو قوله عز وجل ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ) { المائدة ١٧ } ومن نحو قول ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ) { المائدة ٧٣ } تركوا هذا المحكم وقالوا إن لفظه ( إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرُ ) { الحجر ٩ } و ( أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ) { النساء ١٠٥ } تدل على أن الله في حقيقة الأمر ثلاثة وأنه جمع وليس واحداً لأن لفظه أنا ونحن تحتمل في اللغة الواحد المعظم نفسه وتحتمل الجماعة فاتبعوا المتشابهة وتركوا المحكم لينسبوا إلى أنفسهم علم حقيقة ذات الرب وأن حقيقته أنه ثلاثة في واحد أو ثلاث آلهة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، قال الله عز وجل ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) { آل عمران ٧ } وما يعلم حقيقة الأمور الغيبية التي في كلام الله عز وجل والتي في كيفية ذات الرب وصفاته من هذه الأمور الغيبية لا يعلم تأويل هذه الأمور إلا الله ، وقت قيام الساعة متى تقع الأشرار الكبرى ، كيفية ما في الجنة وما في النار وكيفية صفات الرب عز وجل هذه مما لا يعلم تأويلها إلا الله ، أما تفسيرها فمعلوم فهناك فرق في كلمة التأويل على هذه القراءة قراءة ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) { آل عمران ٧ } وبين قراءة ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ) { آل عمران ٧ } كلمة التأويل تحتمل معنى آخر وهو معنى كلمة التفسير لو قلنا وما يعلم تأويله إلا الله لا يصح أن نفسر الآية على أنه لا يعلم تفسيره إلا الله لماذا ؟ نحن نقول كلمة التأويل تحتمل المعنى ما يؤول إليه الكلام في حالة الثاني التي هي الكيفية الحقيقية في الأمور الغيبية وتحتمل معنى كلمة التفسير ومن ضمن التأويل لو في تفسير صرف المعنى عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح لدليل يقتضي ، هذا يكون تفسير لو ثبت الدليل ، ولو من غير الدليل ؟ إذا المعنى مرجوح إذا لا يجوز ، يكون هذا التأويل الباطل الذي نفيه وهذا أكثر المتأخرين يستعمله ويظن كلمة التأويل على الكلام النوع الأخير فقط ويحمل الكلام على ذلك ، لا ، نحن نقول التأويل ما يؤول إليه الكلام ، ما يؤول إليه الكلام إذا كان خبر حقيقة المخبر به وقوع المخبر به متى يقع وكيف يقع وإذا كان إنشاءً فعل المأمور به أو ترك المنهي عنه ،

نعم نفهم الآية أولاً على معنى القراءة المشهورة التي نحن نقرأ بها وعامة القراء يقرأون بها التي هي يقف عند ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) { آل عمران ٧ } نقول على أي معنى من معاني التأويل يكون معنى الآية ؟ نقول على معنى حقيقة ما يؤول إليه الكلام ، نحن نقول الكلام في العرب إما خير وإما إنشاء ، إنشاء يكون أمر أو نهي أو استفهام ، يعني نقول لو أن واحد يقول لواحد افعل كذا تأويل هذا الأمر فعله سيقع غداً كذا تأويل هذا الخبر وقوع المخبر به قال الله عز وجل ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ

رُسِّلَ رُسُلًا بِالْحَقِّ { الاعراف ٥٣ يعني ماذا يوم يأتي تأويله ؟ يوم يقع ما أخبر الله بوقوعه قال عز وجل ، ( وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ { يوسف ١٠٠ ألم يكن سيدنا يعقوب كان يفهم تفسير الرؤية ؟ وفاهم معنى التفسير أن يوسف سوف يعلو إلى إخوته وأن أخوته هم الاحدى عشر كوكب ، فاهم المعاني لكن متى وقع ؟ ! هذا هو تأويل رؤياي هذا هو ما آل إليه أمر رؤياي والوقوع المخبر به ، الرؤية هذه تتمضن خبر ، وقوع المخبر به هو تأويل الكلام تقول عائشة رضي الله عنها ( كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأويل القرآن { متفق عليه يتأول القرآن يعني يفعل ما أمر به في القرآن من قوله سبحانه وتعالى ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا { المسد ١ لما نقول نحن في السجود ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، نقرأ القرآن أم نتأول القرآن ؟ ! نتأول القرآن

طالب : ممكن نقولها ؟

الشيخ: نعم ممكن نقولها ، وفي خبر أن منهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة ،

فنحن نريد أن نكون منهم ،

كل ما فيه خبر وقوع المخبر به اسمه تأويل ،

طبيب الأمور الغيبية فاهمين معانها ولكنها متى تقع ولا يعلم تأويلها إلا الله ، كيفية صفات الرب ، لا يعلم كيفية ذلك إلا الله ، تكون على قراءة وما يعلم تأويله إلا الله ونقف عليها يكون التأويل هنا بمعنى ما يؤول إليه الكلام الذي هو حقيقة الأمور الغيبية والغيبيات ومن طمن الغيبيات صفات الرب عز وجل ، يعلمها إلا الله لأنه لا يحيط علماً به سبحانه تعالى إلا هو ،

طبيب هل يجوز على القراءة هذه نقول وما يعلم تأويله إلا الله يعني لا يعلم تفسيره إلا الله على قول أهل التجهيل ؟

لا يجوز ، لماذا لا يجوز لأننا قلنا أن الله قال ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ { ص ٢٩ إذا لم يتشنى متشابه ولا غيره وهو الذي أمرنا أن نتدبر القرآن ، فكيف نقول إن هذا لا يتدبر إذا لا بد من التدبر أن يفهم المعنى فكيف يكون كاللزام الأعجمي لا يفهم له معنى ،

ثانياً : طريقة السلف هم امتنعوا عن تفسير آيات قالو لا نتكلم في تفسيرها ولا نقول فيها شيئاً ؟ بل تكلموا في تفسيرها ، عندما سئلوا عن أشياء قالوا تفسيرها قرائتها بمعنى أنها مفهومة المعاني ، لا لأنها حروف مقطعة ، والذي يقول حروف مقطعة يقول بأن تفسير الآية لا يعلم تفسيره إلا الله ، الراجح أن هذه الآيات نزلت ضمن القرآن وربنا قال ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ { إذا هذه آية إذا من مطلوب أننا نتدبرها ، لذلك لا بد أنها تفسر وأنها تدل على أن أحرف من أسماء الله الحسنى وهذا هو المنقول عن الصحابة ، ( الر { يوسف ١ أنا الله أسمع، أنا الله أرى وهذا الراجح عن الصحابة ، إذا هذه آيات تتدبر ومن سكت عنها لم ينفي علمها عن الخلق جميعاً ، الذي قال لا يعلم تأويله إلا الله لم يقل هذه حرام على أحد أن يعرفها ، لا بل هو توقف وترك غيره يتكلم ابن عباس تكلم وابن مسعود تكلم ، الغرض المقصود أن عموم الآيات القرآنية يتكلم في تفسيرها إذا كانت واضحة المعاني فيقال تفسيرها قرائتها إذا قال عین لا تقول غير مفهومة المعنى ولا تحتاج إلى تفسير ، إذا كانت تحتاج إلى بيان بينها مثل الصمد أو المقيت أو مثل سائر الصفات التي كلموا عنها ، تكلموا عن آيات الصفات وفسروها ،

ثانياً : على الوجهة الثاني للآية ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ { آل عمران ٧ ، هذه قراءة أخرى ولا يقف على الآية ، إذا الراسخون في العلم يعلمون ماذا ؟ تأويله ، إذا التأويل هنا لا يجوز أن يحمل على الغيبيات لأن أهل العلم لا يعلمون الغيب ولا يعلمون كيفية صفات الرب ، إذا لا بد أن تفسر هنا على معنى التفسير ، يكون ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ { يعني وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم يعلمون تأويله كما قال ابن عباس أنا ممن يعلمون تأويله ، ماذا يعني ؟ أن ابن عباس يعلم وقت قيام الساعة ؟ بل يعرف تفسير القرآن ، لما نقول في دابة تخرج تكلم الناس ، كلام مفهوم معناه قد يفسر بمزيد من الأخبار التفصيلية لكن متى تخرج الدابة ؟ لا نعلم ذلك ؟ كيفية هذه الدابة ؟ لا نعلم ذلك ؟ وهكذا في كل الأمور التي من ضمنها الأسماء والصفات والأفعال ، وهذا لا نعلم الغيب ،

طالب : هل القارئتين ؟

الشيخ : الأنتان قرائتان صحيحتان ، الصحيح على هذه القراءة ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ { نفسرها أن التأويل هو كيفية الغيبيات وعلى القراءة الثانية ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ { نفسرها أن التأويل بمعنى التفسير ،

المتشابه تشابه على من ؟ على أهل الزيف والضلال ، لأن أهل العلم وأهل الحق ردوا المتشابه على المحكم فاتسق الكتاب كله ،

في باب الصفات ما المتشابه فيها ، ماهو ممكن واحد جاهل يفهم معنى خطأ في ( في السماء ) ، نقول في السماء واحد يفهم مثل ماهم فهموها خطأ يظنوا ظن كاذب فيها أن ربنا السماء تحيطه نقول اشتبه على أهل الزيغ والضلال لأنهم لم يردوا المتشابه إلى المحكم وإن المحكم (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} الزمر ٦٧ إذا كيف تحيط به السماء أو تقله أو تظله ، إذا في السماء بمعنى ماذا ؟ في العلو أو على السماء ، نكون ربنا المتشابه إلى المحكم فأتسقى الكتاب كله ، أما أنه فيها تشابه على أهل الزيغ والضلال عقيدة شاذة ، نصون هذا التشابه عن الظنون الكاذبة نصون الآيات عن الظنون الكاذبة بردها إلى الآيات التي هي أم الكتاب التي هي المحكمات ، وأنتم تعرفون أن ربنا ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى ١١ ) وأنه فوق العرش وأنه سبحانه وتعالى لا يحيط به أحد من خلقه بل هو بكل شيء محيط ، إذا لما واحد يقول يفهم خطأ من قول واحد على المنبر يقول ( يضع الجبار عليها قدمه ) يأتي من يقول أن رجل ربنا تكون بداخل النار نقول نردها إلى المحكم أن الله عز وجل بكل شيء محيط وأن الله عز وجل أكبر وأنه عز وجل ليس كمثلته شيء ونحو ذلك نقول لا ليست كأرجلنا ، أنه يضع الجبار فيها قدمه يعني عليها كما في الآية الأخرى فيتسقى الكتاب كله ، الكتاب والسنة يتسقان معاً فيكون التشابه هنا ليس أنه مجهول المعنى ، التشابه أنه يشتبه على أهل الزيغ والضلال ، أو هو مشتبه من جهة اللغة وأهل الإيمان رد المتشابه إلى المحكم ففهموا المعنى وعملوا أنهم لا يعلمون الكيفية ،

تسمية آيات الصفات متشابهة تسمية صحيحة أم لا ؟

تسمية صحيحة بشرط فهم المقصود منها ، تسمية صحيحة لأنها ثابتة عن ابن عباس عندما ذكر حديثاً في الصفات فانتفض رجل انكاراً لذلك فقال ما بال هؤلاء يجدون رقاً عند محكمة ويهلكون عند متشابهه فابن عباس سمي ما نكر من الصفات متشابهه ، فنحن نقول أنه متشابهه لكن ما معنى متشابهه يعني يحتمل عند أهل الزيغ والضلال أن معانيه باطلة فنصونه عنها ، من جهة اللغة في احتمال لكن يرد إلى المحكم فيتسقى الكتاب كله ونفهم المعنى ونجمل الكيفية ، يعني لما يقول أن آيات الصفات متشابهة نقول نعم متشابهة ولكن ماذا يعني متشابهة ، لا تقول يعني ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران ٧ يعني تفسيرها ، نقول لا تفسيرها معلوم وكيفيةها مجهولة والإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة ، لا نقول أنها متشابهة بمعنى أنها جهالة لا يخرج منها البشر ولا يمكن أن يعلمها أحد على الإطلاق بأي وجه من الوجوه وأنها كالكلام المقطع والحروف الأعجمية التي لا يفهم منها شيء ، لو أنت فسرناها كذلك تكون أخطأت لأن القرآن كله متدبر محكمه ومتشابهه فتفسرك للتشابه بأنه مجهول المعنى كلام باطل لا يقوله أحد من أهل العلم ،

الحروف المقطعة هي متشابهة لأنها تحتمل أشياء كثيرة في بعض السلف ظهر له شيء وبعضهم لم يظهر له فتوقف ،

نقرأ الكلام الذي ذكرناه ،

القراءة الأولى هي الوقف الازم على لفظ الجلالة وما يعلم تأويله إلا الله ، ثم نبدأ ونستأنف والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ،

التأويل هنا لا يصح أن يكون بمعنى التفسير لأن مفهوم ذلك يعني أن الراسخون في العلم لا يعلمون التفسير ، هل هناك آيات لا يعلم تفسيرها أحد ؟ الجواب لا لأن الله عز وجل قال ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } ص ٢٩ فنحن مأمورون بفهم جميع آيات القرآن ، لذلك نقول ليس هناك آيات بلا تفسير أو لا يعرف تفسيرها بل كل القرآن يمكن أن يعلم الناس تفسيره لذلك لو توقف بعض الصحابة أو غيرهم عن التفسير في بعض الآيات كما هو منقول عن الخلفاء الأربعة وإن كانت الأسانيد غير ثابتة يعني القرطبي يقول قول الأربعة خلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الله أعلم بتأويله ، مع أن هذا الكلام غير ثابت عنهم ولا في حديث صحيح عن الخلفاء الأربعة بذلك ، لكن كثير من كتب المفسرين مملئة بهذا النقل ، يقولون أن الخلفاء الأربعة لم يتكلموا عن الحروف المقطعة ، كما ورد عن علي رضي الله عنه أنه قل عن الحروف المقطعة في أوائل السور مثل ألم يقول الله أعلم بتفسيره ولم يتكلم فيه ، نقول نعم من الممكن أن نقول يتوقف واحد ويقول أنا لا أعلم تفسيرها لكن غيره يعلم ولا يلزم من كونه أعلم من غيره مطلقاً أنه يعلم كل شيء ، يعني أبو بكر أعلم الأمة لكن لازم يعلم كل شيء ؟ عمر أعلم من ابن عباس لكن في مسائل ابن عباس علمها أكثر من عمر رضي الله عنه ، عبد الرحمن بن عوف كان عنده علم ليس عند عمر وعمر أعلم من عبد الرحمن ، نقول لا يلزم من كونه أعلم من غيره مطلقاً انه يعلم كل شيء كما قال أبو بكر رضي الله عنه وهو أعلم الأمة بلا شك أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم { لكن ابن عباس عندما تكلم عن هذه الحروف ألم قال فيها أنا الله أعلم يعني أن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله أو فعل من أفعاله أو صفة من صفاته ومثل أَلر يقول أنا الله أرى وهذا موجود في لغة العرب كما قال الشاعر

قلنا لها قفي قالت لنا ق لا تحسبي انا نسينا الإيجاف

يعني بقوله قالت ق يعني قد وقفت

يعني أخذت حرف ودلت به عن الكلمة فدلّت بإظهار القاف على من وقفت

هذا اقرب الأقوال والله أعلم

الغرض المقصود أن قراءة ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) آل عمران ٧ بالوقف لازم لا يصح حملها على التفسير بل نقول إن التأويل هنا له معنى آخر هو ما يأوول إليه الكلام في حالة الثاني أي عاقبته وحقيقته التي ينتهي إليها فالكلام قد يكون خيراً أو يكون أمراً أو نهيّاً

خبراً كالإخبار بقيام الساعة وأهوالها والصور والشمس ونحو ذلك من أخبار يوم القيامة ، قال الله تعالى ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) الاعراف ٥٣ فمعنى التأويل في الآية في الخبر وقوع المخبر به فعندما يحدث المخبر به ويقع يقال هذا تأويل الكلام السابق كما قال يوسف عليه السلام لأبيه عندما سجد له أخوته ( يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ) يوسف ١٠٠ هذه الرؤية كان متضمنة سجود أخوته له مع أنه رآي الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر لكن كان معناها وتفسير الرؤية تفسير الكلام لذلك قال له أبوه لا تقص رؤيتك على أخوتك فيكيدوا لك كيدهم أن في أحد عشر كوكب سجدوا له سيعرفون أنهم المقصودون لكن كان معناه أن إخوته سيسجدون له والشمس والقمر أبوه وأمه لذلك قال له أبوه يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك حتى لا يفهموا أنهم هم الأحد عشر كوكباً وأنهم يسخرعون لأخيهم فيحملهم هذا الفهم على أن يكيدوا له كيدهم حتى لا يتحقق التأويل الذي معنى وقوع المخبر به هم سيفهمون الكلام ولا يريدون تحقيقه فهمنا يعني الرؤية لها تأويل بمعنى التفسير ولها تأويل بمعنى الوقوع والتحقيق ، ناه أبوه أن يخبرهم بذلك لما كان الرؤية متضمنة لهذا الخبر قال يوسف عند حدوث المخبر به ووقوعه يأتيت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً

قال الله تعالى ( يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ) أي يوم يأتي تأويل القرآن الخبر المخبر به يقول الذين نسوه من قبل أي الكفار قد جاءت رسل ربنا بالحق اليوم يقع ما أخبر الله به في القرآن يقولون ذلك، على هذا المعنى يصح أن نقول في قوله تعالى لا يعلم تأويله إلا الله أي لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ولا وقت وقوع المغيبات إلا الله ولا كيفية الغيبات إلا الله ومن ضمن ذلك الاسماء والصفات ، نذكر مثلاً الذي ذكرناه في الأمور الغيبية أن في الجنة فاكهة وفي الجنة لحم وفي الجنة ماء وفي الجنة عسل وهذه كلها أخبار ،

تأويل هذه الأخبار من حيث وقت وقوعها وكيفية هذه الأشياء ومعرفة معانيها التفصيلية الدقيقة بحيث يعلم كل شيء عنها هذا مما ادخره الله لأهل الإيمان فلا يعلم تأويله إلا الله قول النبي صلى الله عليه وسلم ( يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) متفق عليه كما قلنا في الاستواء معلوم والكيف مجهول هذا المعنى من معاني التأويل الذي هو كيفية لا يعلمه إلا الله الكيف مجهول هو هذه الكيفية المجهولة كيفية الأمور الغيبية الخيرية ومن ضمنها أسماء الله وصفاته مثل كيفية سمع الله وكيفية بصر الله وكيفية علمه وكيفية نزوله وكيف تقوم هذه الصفات بذاته عز وجل ، هذه الأمور الغيبية الخيرية لا يعلم تأويلها إلا الله بمعنى أن هذه الأمور الخيرية لا يعلم كيفياتها التفصيلية إلا الله وكما فهمنا الفرق بين الفاكهة واللحم وبين الماء والعسل وإن كنا لا نعرف كيفية هذه الأشياء لأنها غيب بالنسبة لنا فأولى بذلك وأولى أن نفهم معاني صفات الرب جل وعلا ونعرف أن هناك فرق بين السمع والبصر وبين العلم والقدرة ولكن لا نعرف كيفية السمع ولا كيفية البصر ولا كيفية العلم ولا كيفية القدرة كذلك نقول في كيفية النزول والاستواء لذلك نقول من أراد بقوله أن آيات الصفات وأحاديثها من المتشابهة بمعنى أنها مجهولة كيفية لا يعلم كيفيتها إلا الله نقول هذا كلام حق ، وقوله تعالى ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) آل عمران ٧ معنى أنه لا يعلم كيفية الأمور الغيبية إلا الله ، أما إذا قصد بذلك أنها متشابهة لا يعلم تفسيرها إلا الله كلام باطل ، لا يوجد متشابه لا يعلم تفسيره ، هل هي الذي يقول انه لا يعلم معناها بالكلية بل هي بمنزلة الكلام الأعجمي هذا كلام باطل ، إذا كان الكلام أمراً أو نهيّاً مثل قول الله عز وجل ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ) النصر ٣ تأويل الكلام فعل المأمور به أو ترك المنهي عنه كما قالت عائشة رضي الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن ) متفق عليه أي يفعل ما أمر به في القرآن كذلك نحن نتأول القرآن في الركوع عندما قال الله عز وجل ( فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) الواقعة ٧٤ تأويل ذلك أن نقول سبحان ربي العظيم ( سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ) الأعلى ١ تأويل القرآن أن نقول سبحان ربي الأعلى فهو من باب الأوامر والنواهي يفعل فعل المأمور وترك المنهي عنه يسمى تأويلاً ليس هذا التأويل الذي بمعنى التفسير ، لذلك نفسر ( فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) ( سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ) فسبح ذاكراً باسم ربك الأعلى ، لما تسبح تكون أولت على المعنى الأول ، تأولت القرآن على المعنى الأول لما تفسر المعاني تكون أولت القرآن بمعنى التفسير ،

أما على القراءة الثانية التي كان يقرأ بها ابن عباس كان يقرأ ويقول ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ) آل عمران ٧ بلا وقف يعني أن الراسخون في العلم يعلمون تأويله هل يصح أن نقول أنها تحمل على معرفة الأمور الغيبية قطعاً بلا شك ، الراسخون في العلم لا يعلمون وقت قيام الساعة ولا كيفية الغيبات ولا كيفية صفات الرب عز وجل إذا على قراءة العطف المقصود بالتأويل التفسير ومعرفة المعنى دون الكيفية الراسخون في العلم يعلمون تأويله إلى تفسير القرآن دون أن يعلموا حقيقة الغيبات يفهمون المعاني دون أن يعرفون الكيفية يفهمون الفرق بين الحور العين والفاكهة ولحم الطير والماء المسكوب والخمر اللذة للشاربين تعرف معاني الكلمات ولا نعرف كيفية هذه الأشياء نعرف الفرق بين هذه الأشياء وبين الماء الحميم الذي يسقاه الكفار ويقطع أمعائهم ولا نعرف كيفية هذا الماء ولا كيف وصل إلى هذا الحال لذلك نقول من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف معنى أننا لا نكيف صفات الرب أي لا نعتقد كيفية معينة لا نعرف حقيقتها ولا كيفيتها معرفة الحقيقة معناه المعرفة التفصيلية الدقيقة الكاملة الله سبحانه وتعالى هو الذي أحاط بها وقال تعالى ( وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ) طه ١١٠ يعملون أسمائه وصفاته ولا يحيطون به علماً لذلك نقول أن من يتخيل كيفية معينة لصفات الرب جل وعلا أعلم أن الرب ليس كذلك ، الكيفية التي أنت توهمتها مما أثأثر الله بها ، التي توهمتها باطلة لأن الله أثأثر بعلم الكيفية ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) لا يعلم كيفية صفات الرب إلى الله ، حتى أهل الإيمان عندما يرون ربه يوم القيامة لن يحيطوا به علماً لأن الله أكبر أنت ترى السماء ولا تحيط بها ترى البحر ولا تحيط به الله أكبر سبحانه وتعالى لن يحيط المؤمنون بصفات الرب عز وجل ، سيطلعون على أمور أكثر ويعرفون ربه أكثر ويقتربون أكثر غير أنهم لا يحيطون به علماً لأن الله هو العلي الكبير أكبر من أن يحيط به علم العباد ولا بصر العباد ، لذلك يقول الإمام الطحاوي يقول ((تونه من غير إحاطة ولا كيفية )) لا نتكلم عن الكيفية ولن يحيطون به لأنه أكبر من أن يحيط به بصر خلقه حتى إن أبصار المؤمنين في الجنة ولا تحيط به

ولا بكيفيته ولا قلوبهم تحيط بكيفيته نحن ننظر إلى السماء ونراها ولا نحيط بما أين آخرها لا نعلم هي كبيرة جداً بالنسبة لنا ، الخلق كله صغير جداً بالنسبة لعظمة الله فالله أكبر من كل شيء هل نقول أن هناك اتصال أشعة تنعكس على الحدقة الإنسانية أم كيف نراه لا ليس لنا دخل ولا نتكلم في الكيفية ، هناك كيفية لا نعلمها ، كيفية الرؤية مجهولة وكل صفات الرب جل وعلا الكيف فيها مجهول وكلمة الإمام ما لك الاستواء معلوم والكيف ومجول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة هي مطبقة في كل أسماء الله وصفاته ،

المعنى الثالث من معاني التأويل مثل ما قلنا المعنى الاصطلاحي

التأويل له ثلاث معاني ،

معنى ما يؤول إليه الكلام إذا كان خبر يكون وقوع المخبر به وإذا كان أمر أو نهي يكون فعل المأمور به أو ترك المنهي

المعنى الثاني هو معنى التفسير

المعنى الثالث الذي هو الاصطلاحي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى مرجوح لدليل يقتضيه به جزء إذا كان الدليل صحيح ،

فالتأويل إذا كان لم يوجد دليل يكون دليل باطل

التأويل بمعنى الاصطلاحي الذي نفيه هنا في الأسماء والصفات ،

صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح لدليل يقتضيه به ما كان منه بلا دليل فهو المذموم شرعاً كمن يؤول استوى بمعنى استولى واليد بالقدرة والرحمة بإرادة الخير والثواب أو الثواب نفسه هذا تحريف سبق بيانه أجمع السلف على الكف عن هذا التأويل ، لن يفسروا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه التأويلات العيدة بل قالوا أمروها كما جاءت أي دالة على معانيها اللاتقة بجلال الله ومع الإقرار بجهل كفيتهها لذا نقول بغير تكييف أي لا نعتقد كيفية معينة لصفة من صفات الله مع أن لها كيفية لكن كيفية مجهولة ونفي الكيفية هنا لأن الكيف مجهول يعني نفي معرفتنا بالكيفية أما نفي التشبيه والتمثيل فنفي مطلق لا يوجد له مثيل نفي مطلق على عموم ، ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { الشورى ١١ } وَهُمْ يَكْفُرُونَ لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ { الاخلاص ٤

اتفق السلف على ذم الفلسفة وعلم الكلام وعلى أنها ليست مصدرا لعلم العقيدة وكانت بدعة الجهمية لنفي الأسماء والصفات وتعطيلها وبدعة المعتزلة لنفي الصفات من شر البدع ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ٨- التمثيل ... التكييف

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد .

تكلمنا في المرة السابقة عن أمر التأويل وهو داخل في التحريف في شرح اعتقاد أهل السنة قول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله " نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل " ، التكييف والتمثيل وقد يطلق على التمثيل أسم التشبيه من المنفي بهذه العبارة أما نفي التكييف فمأخوذ من قول ربيعة وتلميذه الإمام مالك رحمه الله الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وهذه العبارة وإن نقلت عن أم سلمة رضي الله عنها إلا أن السند فيه انقطاع ، والأصح وأقدم من نقل عنه هذه العبارة ربيعة شيخ الإمام مالك رحمه الله ووافقه عليها مالك وتواترت عن مالك واستفاضت عنه وتكلم بها أهل العلم موافقين له قائلين لهذه العبارة فنفي الكيف مأخوذ من قول الله عز وجل ( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ { البقرة ٢٥٥ على أحد الوجهين من علمه أي من العلم به سبحانه وتعالى ولا يحيطون به شيء يقتضي أنهم لا يستطيعون الإحاطة بكيفية صفات الرب عز وجل بحقيقة هذه الصفات كما أنهم لا يستطيعون الإحاطة بالذات ولا كيفية الذات ولذا قال الإمام الطحاوي رحمه الله في الرؤية " يرونها يوم القيامة بغير إحاطة ولا كيفية وقال عز وجل (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ { الانعام ١٠٣ فالخلق لا يحيطون بالله عز وجل علماً ولا رؤية وهذا يقتضي أنهم لا يعلمون كيفية صفاته سبحانه وتعالى وليس نفي التكييف هنا نفيًا لوجود كيف فإن هذا نفي للحقيقة لو قال ليس هناك كيفية لكان معنى الكلام ليس هناك حقيقة لهذا الوصف لكن هناك كيفية مجهولة للناس لا يعرفون الكيفية لا يعرفون التفاصيل وإنما يعرفون المعنى دون الكيفية وهذا أمر قد أدركته العقول في أمثلة كثيرة في أشياء نعرف معانيها ولا ندرك كفيتهها وكمن من أمور عرفنا عنها أمور مجملات ولم نعرف تفاصيلها وقد نطلع على كثير

من التفاصيل وقد يطلع البعض منا على شيء من التفصيل والبعض لا يطلع ولا يزال الإنسان يتعلم من تفاصيل تكوينه وتكوين ما حوله من الكائنات ما لا يعلمه قبل ذلك ولا يزال هناك قدر أكبر لا يعلمه وهو يعلم شيئاً ولا يعلم كل شيء يكون الأولى والأولى أن الغيبات التي أخبر الله عز وجل بما تعلم معانيها ولا تعلم كيفيتها ، فليس نفي التكيف هنا نفي مطلق وإنما المقصود به هو نفي التكيف أي بغير تكيف معلوم وبغير تكيف نعلمه وليس نفي للكيفة مطلقاً لأنه يكون نفياً للكيفية وللوصف نفسه أما التمثيل فقد اختار شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله هذا اللفظ لأنه الذي ورد بنفيه الكتاب قال الله عز وجل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) {الشورى ١١} فالله عز وجل نفى المثلية وكثيراً ما ستعمل العلماء وغيرهم لفظة التشبيه في نفس التمثيل يقولون المشبهة وهذا على سبيل الذم لهم وعامتهم قد انقضت لكن لفظ التشبيه أصبح استعماله كثيراً في نفي الصفات كقول من يقول مخالفة الحوادث ينفون بها البدن والقدم والضحك والإتيان المحي وسائر صفات الأفعال يزعمون أن مخالفة الحوادث تقتضي ذلك فلفظة التشبيه استعملت كذلك وعامة العلماء يستعملون التشبيه في معنى التمثيل ولذا لا يصح أن نطلق أو كما يطلق البعض أن التشبيه ليس منفي لا نفي التشبيه لا بل نفي التشبيه على اصطلاح أهل العلم نفي التشبيه على اصطلاح أهل العلم الذي هو التمثيل ولم يرد أن الله يشبه العباد حتى تثبته وهو يستعمل في اللغة وفي اصطلاح أهل العلم بمعنى التمثيل فنفي التمثيل هو نفي التشبيه لفظان متقاربان المعنى ووجود تشابه في اللفظ بين صفات الرب وصفات العبد لا يعني التماثل في الحقيقة وهذا التشابه اللفظي من باب التواطؤ وليس من باب الإشتراك اللفظي المجرد ، يعني تشابه في اللفظ مع وجود لفظ مشترك في الذهن يفهم به المعنى بخلاف الإشتراك اللفظي المجرد ، العلماء يقسمون الألفاظ اللغوية في دلالتها على المعاني باستقراء اللغة إلى أقسام يسمى منها

قسم الألفاظ المتبانية ، كلمات مختلفة الحروف ومختلفة المعاني القسم الأول هو الألفاظ المتبانية كلمات مختلفة الألفاظ مختلفة المعاني مثل أرض وسماء مثل ذكر وأنتى مثل بر وبحر هذه الكلمات كل منها شكل الكلمة مختلف عن شكل الأخرى مثلاً أرض وسماء هذه أرض وهذه سماء وكل منها يدل على معنى مختلف هذه معنى وهذه معنى وكذلك ذكر وأنتى هذه ذكر وهذه أنتى هذا الكلام إذاً ألفاظ مختلفة ومعاني مختلفة قد تكون متناقضة أو غير متناقضة يعني ذكر وأنتى ليسوا متناقضين وبر وبحر ليسوا متناقضين وقد تكون متضادة مختلفة تمام الاختلاف ،

القسم الثاني هو الألفاظ المترادفة ، ألفاظ مختلفة في الحروف ومتفقة في المعنى كلمة أسد وليث وقسورة كلها بمعنى واحد والحقيقة أن هذه الحروف مختلفة تماماً ليس بينها وبين الكلمة الأخرى علاقة ، نعم الأسد يأخذ أسامي كثير جداً غدنفر و حيدرة الغرض المقصود أنها ألفاظ بمعنى واحد ولكنها قريبة المعنى أو تدل على نفس المعنى

هناك قسمان هما الكلام عليهما مقدمة في توضيح معنى التكيف والتفويض ومعرفة الكيف ومعرفة المعنى

#### الالفاظ المشتركة

الفاظ حروف واحدة وفي نفس الوقت ليس بين معانيها أي تعلق ، لفظ واحد يدل على معاني مختلفة كل منها لا تعلق له بالآخر مثل كلمة عين ، كلمة عين تطلق على عين الإنسان وتطلق على عين الماء وتطلق على الذهب يقال العين بالعين يعني ذهب بذهب وتطلق على العين يعني مدينة اسمها العين في الإمارات مثلاً كل هذه ما العلاقة الناشئة بين هذا الأشياء وبعضها الأشياء هذه ليست مرتبطة ببعضها لها ألفاظ واحدة ،،

يمكن تكون الألفاظ المشتركة هذه متناقضة يعني متضادة مثل القرء يطلق على الطهر ويطلق على ضده الذي هو الحيض يطلق على الأمرين معاً

الفاظ واحد تطلق على معاني مختلفة وقد تكون متضادة اسمها الإشتراك اللفظي يعني لفظ مشترك فقط أما المعاني فليس لها تعليق،

أما الألفاظ المتواطئة ألفاظ مشتركة تدل على معاني بينها قدر مشترك السماء شيء والأرض شيء الإنسان حي والنبات حي والحيوان حي معنى الحياة لو قلنا الإنسان حي والحيوان حي والنبات حي في معنى مشترك موجود وإن كان وجود كل من هذه الأشياء منفصل عن الآخر في الحقيقة حياة الحيوان غير حياة الإنسان غير حياة النبات ومع ذلك لو قلت لك الفيروس تقول ما هذا الفيروس ، هو شيء حي أم شيء ميت ؟ أقول لك حي ، لكن حياته حياة غيرية تعتمد على وجود شيء آخر أنت فهمت معنى لما قلت لك أن الفيروس حي ، ما الذي دعاك مع أنك لم تعرف ما معنى فيروس ممكن واحد لا يعرف ما معنى فيروس بالنسبة له ، لا يعرف ما هو حقيقة هذا الفيروس ANA . RNA أم مادة وراثية فقط أم ماذا ؟ لا يعرف ماهذا الفيروس ، كثير جداً يظن أنه مثل البكتيريا لـ هو ليس مثل البكتيريا لكن سأقول لك أنه حي تمام ، بخلاف مثلاً التراب أو ذرة الصوديوم مثلاً أو أي شيء مثلاً أو قطعة حديد عبارة عن ماذا ؟ عبارة عن قطعة جماد ، فأنت فهمت معنى من كلمة الحياة مع أن حياة هذا غير حياة هذا ووجود هذا غير وجود هذا ، هي كائنات مختلفة عن بعضها ولكن فهمت معنى مشتركاً مثل ما أقول لك السماء زرقاء والبحر أزرق والعين عين الرجل زرقاء وثوبه أزرق أنت فهمت معنى الزرقة المشترك بين هذه الأشياء لفظ هو واحد هنا زرقاء وهنا زرقاء وهنا أزرق لفظ واحد والقدر المشترك موجود في ذهن الإنسان ، إن لم يكن موجود في ذهن الإنسان لو قلت لك السيارة زرقاء إن لم يكن عندك معنى الزرقة في ذهنك لم تعرف ما معنى السيارة زرقاء لو واحد غير عربي وقلت له ( زرقا tha car is)سيقول زرقاء يعني طويلة أم قصيرة أليس كذلك إلى أن يعرف أن أنا قصدي أنها لها لون وموجود عنده في ذهنه معنى الزرقة ، هذا القدر المشترك موجود في ذهنه من هنا يعلم معنى زرقة السيارة إن كانت هي بلا شك ممكن تختلف عن زرقة السماء ويمكن تختلف عن زرقة البحر ويمكن تختلف عن زرقة الثوب فضلاً عن كيفية السيارة نفسها شيء مختلف تماماً ، يعني مختلفة عن بعضها لكن في قدر مشترك في الزرقة موجود في



ذهن الإنسان ، الخارج ليس بينها اشتراك السيارة شيء والثوب شيء والسماء شيء كل منهم وجوده مستقل وكيفيته مستقل واتصفاه بالزرقة مختلف ومع ذلك في قدر مشترك أنت فهمت منه معنى معين لو قلت لك شيء أنا أوصفها لك عن بعض وأنت لم تراها هذه زرقاء ، لو قلت روز دي روز تقول ما معنى روز دي روز هذه ، واحد قال عربية أن فهمت شيء من معنى كلمة عربية عبارة عن شيء بأربع عجالات ولها شكل معين مع أنه ممكن كثير جداً من الجالسين لم يرو هذه ما شكلها ؟ سيارة قديمة ، المهم أنه لما قلنا سيارة فهم منها لوجود قدر مشترك أيواكس يقول ما هذا ؟ يقول هذه طائرة مع أنك لم تراها لكن فهمت منها أنها طائرة فهمت منها وجه معين شيء يطير وله جناحان وممكن يكون بشكل مختلف عن الذي أنت لم تقدر أن تعرف كيفيته لأنك لم تراه ومحتاج توصيف دقيق لكن فهمت معنى مشترك فهمت المعنى ولم تدرك الكيفية ما الذي جعلك تفهم المعنى ؟ وجود القدر المشترك التي هي في الألفاظ المتواطئة هذه ، مع إن الألفاظ فيها تشابه إلا أن الحقيقة ليست متشابهة ليست متماثلة وكيفية الإتصاف بهذا الوصف أيضاً ليس متماثلة ومن هنا نقول أن صفات الرب سبحانه وتعالى ننفي الكيفية المعلومة وننفي المماثلة مطلقاً عن المخلوقات ، نقول من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ننفي التشبيه والتمثيل ، هذا الشبه في الحقيقة أما في اللفظ فيمكن أن يكون هناك ألفاظ ، ربنا قال عن نفسه ( وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) النساء ١٣٤ وقال عن الإنسان ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَئَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) الإنسان ٢ أنت فهمت معنى سميع بصير في صفات الله عز وجل مبني على وجود القدر المشترك في ذهن عن معنى كلمة السمع والبصر ومن هنا فهمت المعنى وإن لم تدرك كيفية اتصاف الرب سبحانه وتعالى بمعنى السمع والبصر ، كيفية صفات الرب عز وجل من هذه الصفات فهمت المعنى ولم تفهم الكيفية فهذه الألفاظ في الأسماء والصفات التي في تشابه لفظي بين ما وصف الله به بعض المخلوقين وبين ما اتصف به سبحانه وتعالى ، سميع مثل سميع وبصير مثل بصير في تشابه ولكن الحقيقة مختلفة والكيفية مختلفة والكيفية في حق الله عز وجل مجهولة بل نحن كيفية اتصافنا في التفصيل الدقيق في جهل يعني نحن فهمنا جزئية كبيرة وكل ما نتعمل أكثر نعرف ما معنى السمع ونعرف أنه سمع الإنسان هذا عبارة عن أنه جملة أمور تحصل يدرك الإنسان بها الصوت ، اهتزاز طبلة الأذن تنقلها إلى العظام الصغيرة التي بداخل الأذن ثم تصل إلى نبضات كهربائية ينقلها العصب السمعي ثم بعد ذلك تصل عبر سلسلة من التوصيلات الكهربائية والكيميائية من مركز معين في المخ يفسر هذا ويرتبط بالقرشرة المخية يفسر الكلمة ويفهم معناها ، عدة أمور ومع ذلك نقول أشياء كثير لم نفهمها بعد ، هذا الجزء الطي وممكن يكون في محاضرات طويلة وحاضرات عدة وكتب مؤلفة في موضوع السمع كيف يسمع الإنسان ، الغرض المقصود أن الإنسان أنظر إلى الإنسان وسمعه طيب الحيوان يسمع لكن الحيوان ليس عنده فهم للكلمات أليس كذلك ، سمع الإنسان مختلف عن سمع الحيوان مع إن سبحانه الله الكيفية موجودة بعني العظام هذه موجودة في أذن البقرة موجودة فيها العظم وأذن الإنسان موجود فيها العظم هذا لكن الحيوان ليس عنده مخ يفهم في مركز استقبال يسمع صوت ولذلك لو نهت الحيوان بصوت يلتفت وفي أصوات معينة يفهم منها معنى معين مثل "حا" و "هس" مثلاً يقف ويتحرك ونحو ذلك من الالفاظ يكون الحيوان له دراس معين بها ولكن لو كلمت الحيوان ممكن لا يفهم أشياء كثير جداً وهكذا في الأمور

فنقول كيفية ادراكنا لهذه الالفاظ متفاوت ومع ذلك وفي جزء لا نعرفه على التفصيل الدقيق جداً ونقول أن في جزء كبير من الكيفية نعلمه وجزء أكبر منه لا نعلمه، فكيف في حق الله عز جل ، الأولى والأولى أننا لا نعرف كيفية صفات الرب سبحانه وتعالى ولكن فهمنا المعنى ؟ نعم من أي قدر مشترك الاشتراك هذا أين؟ في ذهن الإنسان ، لما نقول مثلاً هل النبات يسمع ؟ واحد يقول لا أعلم إذا كان يسمع أم لا سنبحث في هذا الموضوع لأن في نباتات فعلاً يؤثر فيها الأصوات وفي نباتات لم يؤثر فيها الصوت ، لكن الجماد يسمع ؟ واحد يقول لا يسمع، كلمة يسمع هذه مع أن النبات ليس له أذن أليس كذلك ومع ذلك في تأثير بالصوت على النبات وفي أشياء مدمرة ممكن تكسر الحجر في أصوات ونبضات معينة وألم يفتتوا بالحصوة الآن بالموجات الصوتية وفوق الصوتية إذا لها تأثير وفي بعض النباتات ممكن تتأثر بأصوات معينة وبأصواء معينة، النبات يتأثر بالضوء مع أنه ليس له عين ومع ذلك نقول يبصر ولكن له إدراك معين ، إذاً نقول مثل هذه الأمور لما تكلمنا عنها في حق النبات أو في حق الإنسان أو في حق أي شيء لما فهمنا الكلام بناءً على أن في قدر مشترك موجود في فهم الإنسان عن معنى السمع والبصر ، يتكون لديه هذا الأمر من كونه طفل صغير مهيع لذلك يسمع الكلمة لأول مرة ثم يجد تطبيقاتها في الحياة فيدرك معناها في مراحل العمر الأولى أو يدرك مرادفاتنا إذا بدأ يتعلم اللغات الأخرى أو يدرك مرادفاتنا إذا بدأ يتعلم اللغة الخاصة به فيدرك الإنسان بالتدريج هذه المعاني ،

فالإنسان يدرك هذه الأمور من خلال التعلم المبدئي في حياته الأولى يتكون القدر المشترك هذا بأنواع من الإدراك لا يستلزم الصورة ، يعني واحد على سبيل المثال الصورة أكيد تقوي الإدراك ، لكن واحد مثلاً هيلنكيلر هذه كانت صماء عمياء وفهمت أم لا ؟ فهمت ، الإنسان ربنا خلقه عنده قدرة على الفهم ممكن يدرك بالإحساس ويدرك حتى يدرك معاني كثيرة ويستطيع التعبير عنها وإن كان استماع السمع والبصر بالتأكيد يدرك ، الغرض المقصود أننا نفهم معنى كلمة سمع ونفهم معنى كلمة بصر ، ونقدر على نقلها إلى الآخرين من خلال ما تكون لدى الإنسان مما خلق الله به عز وجل من البيان ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَئَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ) فالبيان هذا مبني على الكلمات التي تتردد والمناظر التي يراها وترتبط به يحضر شيء أزرق ويقول له أزرق ويحضر أخرى وأخرى حتى يستقر في ذهنه معنى الزرقة يستقر في ذهنه معنا السيارة يستقر في ذهنه معنى الطعام يستقر في ذهنه معنى الطعام يستقر في ذهنه معنى الشراب وهكذا حتى يفهم معاني كثير جداً ويحيط بها يعرف معانيها ، تخبره عن أشياء غائبة لا يعرف كيفيتها يفهم معناها دون أن يعرف كيفيتها يسأل عن تفاصيل حتى يعرف كيفية أكثر حتى أن يراها فيعرف كيفية زيادة جداً يفتحها ويفحصها يعرف تفاصيل أدق وهكذا ويظل جزء في الآخر لا يحيط به الإنسان ، لأنه على التفسير الآخر ( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ) البقرة ٢٥٥ علمهم الله كل الأشياء التي علمنا الله أياها مازلت غيب عنها وكل صاحب علم يدرك من هذا أكثر مما يدركه غيره بني عالم الجولوجيا يعلم أن معلوماته في الجولوجيا ٩٠% من الكون لا يعلمه وأقل بل ٩٩.٩٩% من الأرض لا يعلمه، والجاهل يقول أن علماء الجولوجيا يعلمون كل شيء في الدنيا ، علماء الطب هم مدركين أنفسهم أن معلوماتهم عن جسم الإنسان وعن التفاصيل الدقيقة ١% والجاهل يقول أن الطب عرف كل حاجة ، الجاهل هو دائماً المغرور ، صاحب علم الفلك عارف نفسه وعارف علماء الفلك أنهم لا يعلمون ١.٠٠٠.٠٠٠% من الأفلاك مع أن علمهم أكثر من علم غيرهم ، الجهلة يظنون أن علم الفلك هذا أن كل ذرة في الكون يعرفونها ، وهذا من الجهل وهذا الذي جعلهم يغرو بالعلم والعباد بالله أن عرفة قتل الجلاوي والعباد بالله أن العلم قتل الإله والعباد بالله أي لا نحتاج في عصر العلم إلى وجود الإله نعوذ بالله من الكفر ونسأل الله العافية ، فالغرض المقصود أن علم الإنسان بالكيفية في الأشياء المحسوسة المدرك التي يفصلها ويشرحها يعرف

في تفاصيل معينة وعلم من الكيفيات أدق منها الأولى والأولى الأمور الغائبة عنها ، إذا كان في الشهادة علمه كذلك يعرف تفاصيل ولا يعرف كل الكيفيات ولا يعرف كل التفاصيل ، فأعظم من ذلك علم الغيب لأنه لا يستطيع أن يعرف الكيفية وإن أدرك المعنى فهذا يأتي الكلام على إن طريقة السلف في إثبات أسماء الله وصفاته أن في كيفية لصفات الله عز وجل ولكنها مجهولة لنا فنحن لا نعرف الكيفية وأن أدركنا المعنى هي مجهولة لنا ، فهذا تأتي قضية التفويض في قضية الكيف والمعنى لكن بينا ذلك لكي يتضح لنا الأمر ،

الفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل نوع خاص من أنواع التكييف ، نقول أن ممكن نتخيل كيفية معينة مثل الشيء الفلاني أنا أقول شبهه أو مثله نقول مثلاً الزنجي إنسان مثل الأبيض الترتيب هذا إذا أنا أعرف أن في تشابه في صفات بين هذا وهذا وإن اختلف هناك بعض الاختلاف فلما أقول لواحد لم يعرف ما معنى كلمة زنجي فلما قلت له فلان هذا زنجي يقول ما هذا أقول له نوع سلالة من الأجناس البشرية ففي فهم المماثلة أن يقول أن هذا إنسان له وجه ويدان وعينان فيفهم التمثيل ممكن أقول له في حاجة معينة لها كيفية مجهولة بالنسبة لك تماماً لا تعرف كيفيتها أو واحد يفكر في حاجة جديدة يختار مثلاً عربية ، سنقول له أنا اشتريت عربية مثلاً من الطراز الفلاني يقول مثل ماذا ؟ أقول مثل العربية التي تراها هذه ، وواحد ثاني يقول أنا اخترت عربية محصلتش طيب يقول له هذا سر هذا في دماغي هو الذي يختار عربية جديدة سيصنع لها شكل معين وإن كان هناك تشابه لدرجة ما لكن الكيفية الجديدة تكون مختلفة فالرجل الآخر الذي يسمع منه أنه سيصنع عربية كيفيتها بالنسبة له ليس لها مثيل فيكون انتفي التمثيل لكن لم ينتفي التخييل الموجود في ذهنه لكن ليس له وجود ولكن في في الذهني فنقول التمثيل نوع خاص من التكييف فيكون التكييف أعم ، أعم لماذا لأنه يشمل الموجود في ذهنه والذي لم يوجد مازال في التخييل فلذلك نقول قد يقول قائل هو يشبه كذا هذا تمثيل وقد يقول هو لا شبه أحداً لكن له كيفية خاصة في ذهني أنا لا أستطيع أن أشبهه بأحد هذا يكون تكييف إذاً التكييف أعم من التمثيل ، هو أن تكون له في ذهن المكيف ليس في شيء من الموجودات كالذي يختار شيئاً جديداً صورته المثالية ليست موجودة في المشاهدات أمامه لكن هي موجودة في ذهنه فالتمثيل نوع خاص من التكييف ، التمثيل والتكييف كلاهما باطل لكن الفرق أن نفى التكييف المقصود به نفى علمنا نحن به لا نفاه مطلقاً ، نفى علمنا نحن بالتكييف فلا نقدر أن نعرف كيفية صفات الله لكن نحن نفى التمثيل مطلقاً هناك كيفية لصفات الله لكن نحن لا نعرفها ، أما نفى التمثيل فهو مطلق نفى مطلق ليس هناك مثيل لله ولا لصفاته عز وجل فالتمثيل منفي وجودة ، المثل معدوم أما الكيفية فهناك كيفية لا نعلمها فالكيف ليس معدوماً بالكلية بل هو موجود لكنه مجهول لنا لذلك الإمام مالك قال الكيف مجهول هذا دليل على وجود كيفية لكن هي مجهولة بغير تكييف يعني بغير تكييف نعلمه بغير تمثيل يكون بغير تمثيل مطلقاً لأن الله نفى المثلية ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) { الشورى ١١

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

٩- هل آيات الصفات وأحاديثها من المحكم أم من المتشابه ؟ الموضوع هذا سبق ذكره والجواب عنه المفروض نقول ماذا ؟

نحن أولاً القرآن كله محكم بمعنى أحكم آياته ليس بينه وبين آياته اختلاف ( وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) { النساء ٨٢ } والقرآن كله متشابه بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً هي نفس معنى كلمة محكم في الحقيقة كما قال الله عز وجل ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ) { الزمر ٢٣ } يعني يشبه بعضه بعضاً في المعاني ويوافق بعضه بعضاً لكن لا يختلف وهناك آية قسمت القرآن إلى محكم ومتشابه ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ) { آل عمران ٧ } فالمحكم هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً وقوله تعالى ( هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ) أي أصله التي يرجع إليه عند الاختلاف ( وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ) المتشابه هو الذي يحتمل عدة معاني ، ماذا يفعل أهل الحق عند الآيات المتشابهة ؟ ردها إلى الآيات المحكمة فيتسق الكتاب كله ، ليس بين الآيات المتشابهة والمحكم اختلاف ولكن المحكمة ليست لها احتمالات ، المتشابهة لها احتمالات نردها إلى المحكمة فنفهم المعنى ومن هنا رد المتشابه إلى المحكم فيتسق الكتاب كله ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ) { آل عمران ٧ } يتبعون المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ليس أنه لا يعلم تفسيره لكن لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا الله ، يحاولون تحريفه وتأويله وتأويلات باطلة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ابتغاء تحريفه عن مواضعه ابتغاء تبديل معانيه الصحيحة بمعاني باطلة باستخدام التشابه محاولين تحريفه تحريفات باطلة وتفسيره تفسير خاطئاً ويتركون المحكم مثل ما قلنا النصارى في إنا ونحن فاتبعوها لكي يفسروها تفسير باطل على أنها تثليث الرب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً تركوا ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) { الاخلاص ١ } تركوا ( وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) { الرعد ١٦ } تركوا ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثُلَاثَةٌ ) { المائدة ٧٣ } واتبعوا المتشابه مع أن ( إِنْ ) و ( نَحْنُ ) نردها إلى المحكم فيتسق الكتاب كله لأنه كله متشابه في الحقيقة لأنه يشبه بعضه بعضاً ، وهو كله محكم بمعنى أحكم واتفق ولم يكن فيه تناقض ، نقول كقاعدة كلية أن الغيبات كلها من المتشابه لأنها تحتمل أن تشبه ما نحن فيه وتحتمل ألا تشبهه ولذلك نقول أنها من المتشابه في الجملة لأنها تحتمل عدة معاني كل الأمور الغيبية ومن ضمن ذلك كيفية صفات الرب سبحانه وتعالى ولذلك سميت أحاديث الصفات وآيات الصفات وأحاديثها من المتشابه لكن ليس بمعنى أنها مجهولة المعاني ولكنها مجهولة الكيفية ، بعض المتأخرين قال أن آيات الصفات من المتشابه ، هذا صواب وحق ولكن هو يفسر ماذا يعني متشابه عنده ؟ يفسر كلمة المتشابه له تأويل مجهول يفسرها أنه لا تفسير مجهول يجعل آيات الصفات وأحاديثها متشابه ليست على طريقة السلف التي هي مفهومة المعنى مجهولة الكيفية التي هي من جنس الأسماء المتواطئة وليست من جنس الأسماء المشتركة ، يحاولون أن يقولوا أن لها معاني مجهولة تماماً بالنسبة لنا هي من جنس الأسماء المشتركة بمعنى أنها بينها وبين الذي نعرفه حروف فقط ، يعني أنت قبل أن تعرف واليوم كثير من الناس لم يكونوا يعرفوا أن كلمة العين تستخدم بمعنى الذهب ليس كذلك ، في ناس كثير لم يعرفوا أن اللغة العربية كلمة العين تستعمل فيها معنى الذهب ، فالיום عرفوها ، قبل أن يعرفوها لو قلت لك أن لها معاني ثانية فأنت بالمعاني الأخرى هذه التي أنت لم تعرفها ما علاقتها بالمعاني التي تعرفها أنت ؟ أنها مشتبه في الحروف ، فلما لم أعلمك بهذا المعنى أصلاً كانت بالنسبة لك اسماً مشتركاً ، يعني كلمة بنام ، هذه لغة عربية فصحي بنام ، ليست بنام بالعامية يعني بفعل ، كلمة بنام

اسم شيء ساجعلم تبحثون عنه ونراه الأسبوع القادم ، ارجعوا في القواميس في ب ن ا م ، كلمة بنام ، الكلمة هذه بالنسبة للأخوة التي لم يعرفونها وأظن أن كثيراً لا يعرفونها ، طيب الكلمة هذه الآن عبارة عن ماذا بالنسبة لنا ؟ ليس لها علاقة تماماً بأي شيء نعرفه ، عبارة عن حروف ، الذين يقولون تفويض المعنى يقولون آيات الصفات من المتشابه بمعنى مجهول الكيفية والمعنى يقولون هذه الأسماء والصفات عبارة عن حروف لها معاني مجهولة تماماً لا نعرف منها إلا مشابة ما نحن فيه فقط سميع يعني س م ي ع بصير يعني ب ص ي ر الرحمن على العرش استوى يعني ال ر ح م ن ع ل ي ا ل ع ر ش ا س ت و ي كأي قلت هذه الحروف المجهولة كأها حروف معجم وضعت بجوار بعضها ، هذا بلا شك خلاف طريقة السلف ، فإطلاقهم بأنها من المتشابهة ، نقول أنكم وافقتم السلف في الإطلاق ونحن نقول انها متشابهة لحديث ابن عباس لأن ابن عباس قال ( ما فرق هؤلاء يجودون رقة عن محكمة ويهلكون عند متشابهة ) لما أنكر رجل عنده حديث في الصفات ، ابن عباس ذكر حديث في الصفات فانتفض رجل لذلك انكاراً لذلك فقال ما فرق هؤلاء ما الذي اخافهم يجودون رقة عند محكمة ويهلكون عند متشابهة نسميها لا لأنه أنكر السنة ففضل أن ينكر القرآن فنقول سمى ابن عباس رضي الله عنه أحاديث الصفات وكذا تطلق على الآيات من المتشابهة لكن ماذا يعني متشابهة يعني ليس لها معنى ؟؟ هذا هو الكلام الذي يختلف فيه السلف عن الخلف أن تسمية آيات الصفات وأحاديثها متشابهة نقول الغيبيات كلها من المتشابهة في أمور من ضمن ذلك صفات الرب عز وجل ومن ضمن ذلك ما أخر الله به مثل أمور البعث والنشور والجنة والنار كما مثلنا في المرة السابقة بالفاكهة ولحم الطير والماء الحميم والأثمار من غسل والأثمار من ماء غير آسن فهت معانيها ولا تدرك كقيمتها وليست أها كلمات مجهولة المعاني عبارة عن حروف لا يفهم المخاطب منها شيئاً مثل أن ذكرنا من كلمة بنام هذه مثلاً ، فلذلك نقول أن آيات الصفات من المتشابهة هذه معنى حق لكن ليس ذلك معناه أنه حروف بلا معنى أو مجهولة المعاني فيظن أنه لا يعلم تأويلها إلا الله على معنى التفسير أي لا يعلم تفسيرها إلا الله فيقال أن قوله تعالى ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) طه ه عبارة عن حروف فقط لا تريد أكثر من هذه الحروف فمن قال ذلك فهو ضال مبتدع لأنه يجعلها كالكلام الأعجمي أو الحروف المرصوفة بلا معنى وقالوا أن لها تفسيراً مجهولاً لا نعلمه ولا حتى الرسل لأنهم قالوا لا يعلمه إلا الله ولا الملائكة إذا رنا أنزل إلينا كلاماً ليس مبنياً ، لا يبين منه شيء ، قالوا القرآن يبين في ماذا؟ يقولون الحلال والحرام ، ألا يبين في أمر الاعتقاد الذي هو أعظم الأمر وأمر الاعتقاد مبني على الاعتقاد في الغيب فكيف بأعظم أمر جائت به الرسل هو أن الله عز وجل هو الإله المعبود وأن له صفات الكمال ، فيقول كل الكلام هذا ليس له معنى ونعوذ بالله من ذلك ، فعلاً هذا المذهب من أخصب وأخطر المذاهب لأنه يقتضي التحجيل أن الرسل أصلاً يجهلون والملائكة يجهلون والمؤمنون يجهلون كل معاني الصفات لا يعرفون شيئاً على الإطلاق وليس فقط بعض الصفات لأن هذا يلزمهم في كل الصفات فهذا من أبطل الباطل ، قالوا أن لها تفسيراً مجهولاً لا نعلمه وهذا التفسير الذي نعرفه من اللغة العربية هذا كلام باطل ، الخطر أن هذا المذهب ينسب إلى السلف فيقال مذهب السلف أنهم يفوضون المعنى أنهم يقولون بالتفويض وأنها من المتشابهة الذي لا يعلم تفسيره إلا الله ، كل هذا الخلل جاء نتيجة المعرفة بمعنى الآيات وتفسيرها على طريقة السلف لأنهم قالوا لا يعلم تأويله إلا الله فظنوا أن التأويل بمعنى التفسير أو التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهرة إلى معنى آخر مرجوح بدليل يقترب به ، فيقولون السلف لا يتكلفون البحث في التأويل ، يعني لو تأملنا نجد أن مذهب المؤلة أخف من مذهب المفوضة ، الذين يقولون التفويض أن هذه كلمات لا معنى لها بالكلية جمعوا بين نفي معاني صفات الله سبحانه وتعالى بين ذم القرآن بأنهم يقولون القرآن غير مبين ، يقولون أن رنا خاطبنا بكلام لا يبين منه معنى فضلاً على أنهم نسبوا إلى الأنبياء الجهل وإلى الملائكة الجهل بصفات الله سبحانه وتعالى فماذا عساكم تفعلون ؟ كيف ؟ طيب الكلام هذا في صفات النفي في أيضاً إذا لا فرق بين الناس وبعضها بين الذين يشنون صفات النقص والذين نفون صفات الكمال ، هذا كله عبارة عن أمور مجهولة لأن البشر لا يعلمون شيئاً من صفات الله كلام في منتهى الباطل ، كما ذكرنا يتضمن أيضاً مخالفة القرآن في قول الله عز وجل ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ) ص ٢٩ فكيف تجعلون معظم آيات القرآن مما لا يتدبر لأن كل آيات القرآن متضمنة بالاسماء والصفات عامة آيات القرآن وأكثرها يتضمن أسماء وصفات ، حتى آيات الأحكام تحتم باسم أو اسمين من أسماء الله ، ( وَكَانَ اللَّهُ غَلِيماً حَكِيماً ) النساء ١١١ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحاً بَصِيرًا { النساء ١٣٤ ( وكان الله عليمًا قديرًا ) ( وكان الله علياً كبيراً ) كلها اسماء حسنى تدل على معاني فكيف أن السلف كانوا يجهلون والرسل كانوا يجهلون ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) آل عمران ٧ بمعنى أنها لا يعلم تفسيرها إلا الله ؟ هذا كلام باطل ، الذين قالوا إن آيات الصفات من المتشابهة بهذا الاعتبار وهذا الفهم هم مخطؤون في الحقيقة ليس في القرآن كله متشابهة بهذا المعنى بل آيات الصفات وغيرها من الأمور الغيبية متشابهة بمعنى أنها معلومة المعنى مجهولة الكيفية كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ حديثاً الذي رواه عبد الرزاق بإسناد على شرط الشيخين في الصفات فانتفض رجل عنده انكاراً فقال ابن عباس ما فرق هؤلاء يجودون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه ، ما فرق هؤلاء يعني ما الذي يجعلهم يخافون هذا الخوف المألوف الذي أدى بهم إلى هذا الحال يجودون رقة عند المحكم يعني الأوامر والنواهي والسلف كان يفسرون كثيراً أن المحكم هو الأوامر والنواهي هو الأمور الغيبية يعني قولون المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ ، هو تشابه من جهة أن احتمال لما الواحد يسمع الآية المنسوخة يظن أنها ثابتة المعنى فيحصل عنده احتياج إلى الجمع ، طيب ما الجمع بينها وبين الآية المحكمة ؟ فالآيات المحكمة لأنها ثابتة الحكم والآيات المنسوخة اشبهت عند من لا يعلم أنها منسوخة فاشتبهت على بعض الناس فكلمة يجودون رقة عند محكمه يعني عند الأوامر والنواهي يلتزمون شديد الالتزام بالأمر والنهي في الظاهر يعني ثم يأتي عند الأمور الغيبية فيهلك في ردها وتكذيبها ، إنكار الغيبيات كفر وبدعة وضلال سترتب على ذلك أن يكون الإنسان هالكا أما المؤمنون فيكون حالهم عند الآيات المتشابهة أنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا لا يدرون المتشابهة بتكذيبه بل يردونه إلى المحكم يدركون أن الجزء المجهول بالنسبة لنا وهو الكيفية لا يستطيع أحد أن يحيط به علماً فيتسقى الكتاب كله ، فيدركون المعنى ولا يدركون الكيفية ، يقول ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) الشورى ١١ السمع والبصر معانيها معلومة ولكن بكيفية مجهولة لا نعلمها ، فالآيات المتشابهة تشبهت على أهل الزيغ والضلال أو كونها متشابهة عند أهل الإيمان بمعنى مجهولة الكيفية ،

إذا كلمة متشابهة بمعنى متشابهة على أهل الزيغ أو متشابهة عند أهل الإيمان بمعنى مجهولة الكيفية ،

المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله هو حقيقة الصفات وكيفيتها أما المعنى فهو مما قال الله فيه ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ) ص ٢٩ لم يستثنى متشابه ولا غيره

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ..... .

## ١٠ - التفويض

أما التفويض فله معنيان ،

تفويض المعنى وتفويض الكيفية

تفويض المعنى هذا قول باطل الذي هو يجعل الأسماء الحسنى من جنس الاسماء المشتركة بينها وبين اسماء الناس سميع وبصير عندهم عبارة عن س م ي ع ب ص ي ر إذاً ليس لها معنى ، يكون هذا كلام باطل ، تفويض المعنى هذا كلام باطل ،

أما تفويض الكيفية فنقول فهنا معنى السمع بالقدر المشترك الموجود في الذهني فقط ، أما في الخارج فوجود غير الوجود وسمع غير السمع وبصر غير البصر وكيفية مختلفة يفهمها أصغر واحد من المسلمين وغير المسلمين لو قلت له الله يسمعك وترجمتها له باللغات الأخرى لأن لها ترجمة ، نقول *allah haer you*

مثلاً لماذا ترجمتها لأن لها معنى ، لو لم يكن لها معنى لم تترجم كنا نقول بالإنجليزي الله يري يو ، ولما يقول ما يرى هذه أقول له اجث انت عليها هي ي ر ي فقط مثل بنام كدة لم تعرفوا معناها

التفويض يعني رد العلم إلى الله وحده ،

هل السلف عندما يفوضون في باب الصفات ويقولون أمروها كما جاءت هل كانت عندهم بلا معاني ؟ هي كيف جاءت ؟ آيات الصفات كلها كيف جاءت في القرآن ؟ ألم تأتي في سياق يدل على معنى ؟ أم كيف جاءت ؟ يعني جاءت في حروف ليس لها معنى ؟ يعني **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**

{ الاخلاص ١ يفهم منها معاني أم لا ؟ والكلمة الصعبة التي فيها فسرنا السلف أليس كذلك ، يعني كلمة الصمد ما معنى الصمد ؟ طيب ما معنى لم يلد ؟ يعني ربنا لا يلد ولم يولد يعني متولدش ؟ هيفسرنا باللغة التي نفهمها وبالتالي تكون واضحة

والصمد فسروها ، الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج ، معنى الصمد يعني أنا لما أحتاج ألبأ إلى الله أصمد إليه أفصد إليه أدعوه ، ما معنى الصمد يعني لا يأكل ولا يشرب ، هذا معنى ثاني الذي لا خوف له ، الذي يسمونه مصمد عندنا نحن نقول الله عز وجل لا خوف له ، في الحديث الصحيح أن الشيطان جعل يطوف بآدم عليه السلام فلما علم انه أجوف علم أنه خلق خلقاً لا يتمالك ، علم أنه أجوف ولو أجوف وهذا الجوف يجعله لا يملك نفسه ، وتجذ معظم الشهوات مرتبطة بالجوف أكل وشرب وشهوة جنسية ، كلها مرتبطة بالجوف فربنا عز وجل لا يأكل ولا يشرب ولا خوف له سبحانه وتعالى ، هذا معنى من معاني كلمة الصمد هكذا فسرها السلف ، السلف منهم فسرها بأن الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يولد لها تفسير للصمد ، وتفسير آخر للصمد أنه الباقي بعد خلقه ، عدة معاني لمعنى كلمة الصمد ،

**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا { النساء ٨٥** مقيتا فسرها م ق ي ت ا م فسروها أنها بمعنى شهيداً ورفيقاً وكذلك فسرت وفي تفسير آخر وهذا ليس منقول عن السلف أكثر وهو الذي يقوت الخلائق يعني يعطيها قوتها ، لكن المقيت عند أكثر السلف بمعنى الشهيد ،

الذي لا خوف له لا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى ، الله عز وجل لا خوف له لا يأكل ولا يشرب فنقول أمروها كما جاءت يعني دالة على معانيها ، هل كان عندهم بلا معنى ؟ هل كانوا يفوضون المعنى ويردون علم المعنى إلى الله وبالتالي تكون الاسماء والصفات بمثابة حروف مقطعة ملصقة بجانب بعضها البعض ولها معاني مجهولة ، نقول على طريقة الخلف الله أعلم بمعانيها ؟ كما قال من لم يعرف تفسير ألم ولا أكر الله أعلم بما ولا نتكلم فيها ، هل كان مقصد السلف هو هذا التفويض للمعنى في قوله تعالى **وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا { النساء ١٣٤** وقوله تعالى **وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا { النساء ١٤٨** **وقل النبي صلى الله عليه وسلم** ( ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر ) ؟ الجواب لا ، ليس هذا مقصدهم بل قولهم أمروها كما جاءت أي أنها دالة على معانيه دون الخوض في التفاصيل ، مثلاً كلمة يسمع كلمة معلومة مفهومة لا تحتاج إلى تفسير ، إذاً لا تأتي تقول فسر لي سمع أو فسر لي بصر ، سأقول لك يسمع ويبصر مثل ما أنت تسمع وتبصر ، ليس مثلها لكن التبيين للمعنى ، الرسول **صلى الله عليه وسلم** **قَرَأَ { إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا { النساء ٥٨** وماذا صنع ؟ وضع اصبعه الإبهام والسبابة على أذنه وعينه لكي يبين لنا حقيقة لنا معنى الكلامة معنى السمع أما الكيفية فالله **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {** لذلك نقل عنه لا كيف ولا معنى يعني لا معنى على سبيل التكيفيات الكلامية ، لأن الكلام واضح لا يحتاج إلى بيان معناه ، الذي يحتاج إلى معنى فسروا معناه مثل الصمد والذي لا يحتاج إلى معنى أمروه كما جاء لا تسأل على معناها مثلاً لم يلد يعني أن الله لم يلد

سبحانه وتعالى ، فمعنى كلمة يسمع هي كلمة مفهومة معلومة لا تحتاج إلى تفسير لذا من قال لا كيف ولا معنى يقصد أنه ليس هناك معاني يعرف بها اللفظ ، هو واضح لا يحتاج إلى تعريف هو واضح لا يحتاج أن يسأل على معناه ، لأن طريقة المتكلمين وأصحاب الفلسفة أن لكل شيء تعريف ،

يقولون السمع صفة ثبوتية لله قائمة بذاته بما يدرك المسموعات ، عندما تقولها لأي أحد يصعب عليه الكلام ، قولها لأي أحد مثلاً لو ركب عربية كانوا بحمار قوله مثلاً ربنا نسمع ، سيفهم ، أما لو قلت له صفة ثبوتية لله قائمة بذاته بما يدرك المسموعات ، ماذا يصنع الرجل ؟ يسأل عن متن الجوهرية أو على هذا الكلام ؟ ، يصعب عليه الكلام ولا يعرف أن يحضرها ،

فهذا التعريف لا يفيد شيئاً ، لأن شرط التعريف أن لا يعود على المعرف للبيان يعني البيان المعرف هذا الذي هو التعريف لا ينبغي أن ترجع فيه بلفظة موجودة في الأصل الذي تريد تعريفه ، مثلاً هم يقولون أدراك المسموعات رجعت أنت مرة أخرى إلى معنى كلمة السمع ، والحق أن كلمة السمع لا تحتاج إلى تفسير فإن الطفل الصغير يدرك معناها إذا قلت له هل تسمعي ؟ سيفهم ، كذلك كلمة البصر والنزول والصعود لا تحتاج إلى تفسير بخلاف ما يحتاج إلى تفسير يفسرها مثل قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ النساء ٨٥ فقلوه مقيتاً أي شهيداً ، كذلك الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم الذي لا يأكل ولا يشرب ، لأن الكلمة غير مستعملة في اللغة المعتادة عند الناس فهي تحتاج إلى شرح وبيان خاصة عند غير العرب فما التشابه في آيات الصفات وأحاديثها ؟ الذي لا يعلمه إلا الله ؟ القدر المتشابه هو الكيفية . أما من يقول معانيها مجهولة أنها بلا معاني نعرفها أنها من جنس الاسماء المشتركة التي هي مثل العين أي الذهب والعين الإنسان وعين الماء الذي لا علاقة له به فهذا كلام خطأ بين قد أتى بدعة ضلال ، كالذي يقول أنها حروف كالكلام الأعجمي ، كالذي يقرر أنه لا يجوز أن نصف الرب عز وجل بأن له يدين ويقول في قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة ٦٤ أنها عبارة عن ب ل ي د ا ه م ب س و ت ط ا ن ، قلت ما تفسرها يقول الله أعلم تفسرها مجهول بالكلية لذا فالسلف عندما قالوا الاستواء معلوم قصدوا معلوم المعنى في قدر مشترك في الاسماء المتواطئة مثل ما قلنا الأرض شيء والسماء شيء في الشيفية السماء زرقاء والعين زرقاء فهت معنى الزرقة فلذلك فهت ، لما قلت لك كلة البصر وكلمة السمع وكلمة الصعود وكلمة النزول فهت معاني معينة بقدر مشترك بذهنك ليس في الخارج هذا الإشتراك ليس في الخارج تمثيل ولكن في الحقيقة هناك قدر يفهم معناه ولا يدرك الكيفية ، لذلك نقول الذي قال بالتفويض في معاني أسماء الله وصفاته وأنها حروف لا تؤدي معنى كالكلام الأعجمي والحروف المقطعة في أوائل السور يعني الذي يقول هذه مثل ألم أخطأ ، إذا كان ألم نفسها لها معنى الصحيح ، الذي لا يعلم قال أنا لا أعلم لم يقل لا يعلمها أحد ولا قال الذي يدعي العلم بها ومبتدع وضال ، لا لم يقل هذا أحد ، حتى المنقول بإسناد غير صحيح عن الخلفاء الأربعة أنهم توقفوا ومنعوا الناس من الكلام فيها ، لأنه من قال فيها في الحروف المقطعة ، ألم { و } المر { الذي قال الله أعلم بتفسيرها لم يمنع غيره من الكلام فيها ولم يقول لا يعلمها مخلوق بل قال أنا لا أعلم ، والذي قال إن أسماء الله الحسنى عبارة عن حروف كالكلام الأعجمي لا يستفادة منها معنى قد جمع بين التعطيل لأنه نفى ما دل عليها الصفات من العاني لأنه نفى معنى العلو الارتفاع فالاستواء مثلاً وجمع بين الجهل بعقيدة السلف والكذب عليهم لأنه يقول هذا مذهب السلف وبالإضافة أنه قال أن القرآن ليس بين وأن القرآن لا يتدبر وفيه مالا يتدبر ،

والتفويض الواجب هو تفويض الكيف لا تفويض المعنى ،

لذا هذا الفصل هو من رد من المتأخرين أن السلف مفوضه ، يقصد من كلمة مفوضه هذا الكلام باطل لا يجوز ،

بعض الأفاضل تكلم في هذا الباب مثل الاستاذ حسن البنا رحمه الله في موزين ،

في رسالة الأصول العشرين ، تكلم بطريقة واضحة في الانتصار لمذهب السلف وهو أنه لا تمثل ونثبت الصفات كما جاءت

في كتاب العقائد له تكلم على أن السلف مفوضه

الاستاذ حسن البنا رحمه الله كانت طريقته في كثير جداً من المسائل محاولة التقريب بين المختلفين بعدم تحديد موقف بين الفرق المختلفة فكان في صراع شديد بين المنهج السلفي وبين المنهج الصوفي ، بين المنهج السلفي في الصفات وبين الخلف فحاول أن يتوسط خصوصاً تجد أقول مختلفة في مسائل مختلفة ،

فهو في كتاب العقائد قال بتفويض المعنى وهو في بعض الناس لا يقصد المعنى الباطل جداً بالتفويض فنحن نظن أنه ما قصد هذه العقيدة البدعية الفظيعة ، ولكن اللفظ الذي استعمله في كتاب العقائد كان لفظاً موهماً لم يكن دقيقاً قد يفهم خطأ على ظاهره فينتهم وينسب إليه بأنه يقول بتفويض المعنى الباطل الذي لا يقوله السلف ، لكن هو على الحقيقة كلامه في الأصول العشرين في الاسماء والصفات كان موافقاً فيه لطريقة السلف للإنصاف أن الرجل له موضعين تكلم فيهما في الكتب المعتمدة التي يتكلم بها ،

لكن هو على طريقته محاولة التقريب ،



لكن من جهة أخرى الأستاذ حسن البنا رحمه الله قال أن السلف اضطروا الى التأويل في بعض المواقف لكي يقرب مسألة التأويل ، لا هذا التقريب باطل والتفويض تفويض المعنى أيضاً باطل ، الصحيح والواجب تفويض البكيف دون تفويض المعنى ، والله اعلى واعلم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ..... .

#### ١١ - صفات الذات وصفات الأفعال

تكلمنا عن نفي التعطيل والتحريف والتمثيل والتكليف وبقي أن نتكلم على نوعين من الصفات أكثر إنكار أهل البدع لنوع منهما وهو صفات الأفعال

أفعال الرب سبحانه وتعالى ، صفات الرب عز وجل تسمى أيضاً صفات فعلية له سبحانه وتعالى ،

استقراء أدلة الكتاب والسنة قسم العلماء الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال ، ما الفرق بينهما ؟

صفات الذات هي الصفات القائمة بذات الرب جل وعلا غير متعلقة بالقدرة ولا بالمشيئة لأن كمال الصفات الذاتية إلا تتعلق بالقدرة ولا بالمشيئة ، يعني لا يسأل عنها هل يقدر على ذلك أم لا ، ولا يسأل إذا شاء أن يفعل هذا فعل أم لا ؟ فمثلاً صفة الحياة ، الله عز وجل حي لا يصلح ولا يحصل وليس من الكمال أن تقول هل يقدر أن يموت ، هل يقدر أن ينام ، هل يقدر أن يكون له ولد وشريك ، هذا في صفة الوجدانية ،

في صفة الحياة لا يجوز أن نقول الله حي إذا شاء وإذا شاء مات ، هذا كلام النصارى الذي يحاولون الرد على ما تأباه الفطرة الإنسانية من أن الإله يموت ويصق عليه ويتمكن منه أعداؤه فيزعمون أن ذلك تم بمشيئته مع أن صفة الحياة في الحقيقة من لوازم الحياة القدرة ، يعني لا يمكن أن يكون قادراً إلا إذا كان حياً فلا تجعل الحياة معلقة على القدرة والمشية كأنه يقدر أن يموت ويقدر على أن يقوم مثلاً ويصبح حياً مرة ثانية لأن الموت صفة نقص مطلقاً والنوم صفة نقص مطلقاً فلا يحسن وليس من الكمال أن تعلق بالقدرة ولا بالمشية وإنما هو عز وجل على كل شيء قدير وفعل لما يريد فالإرادة إنما تتعلق بما صفات الأفعال ، فعال لما يريد فالفعل هو الذي يحسن أن يتعلق بالإرادة وهو عز وجل على كل شيء قدير على كل شيء من يعني لا يصح أن نجعل ضمن ذلك صفات النقص لأن من كمال الصفات الذاتية إلا تتعلق بالقدرة ولا تتعلق بالمشية فصفة الحياة كمالها ألا تتعلق بالمشية .

فيقول أنه يقدر أن يموت ، فهي مثل هل يقدر أن يكون أصماً أو يكون أعمى وأن يكون بلا علم وأن يكون جاهلاً ، نعوذ بالله كل هذه في الحقيقة صفات تدل على أنه مخلوق وولد وأنه يموت ويلد ويولد وأنه يعني يحدث له نوع من الجهل في بعض الأوقات كل هذا يدل على أنه فيه نقص ويدل على أنه مخلوق فلما أحتج أهل الإسلام بل كل العقلاء على النصارى بأن المسيح عليه السلام قد ولد ونحن نحتج ونقول هو يموت يوم القيامة وهم يقولون قد مات فنقول أهذا أمر يصلح للإله هو كان ينم وكان في نفس الوقت يركع وويسجد وكان يخشى للشيطان على زعمكم كل هذا لا يتناسب مع الإلهية ولا أنه ابن الإله فزعموا أن ذلك بمشيئته وأنه قادر على ذلك فكان تناقضاً عقلياً كان مناقض أولاً بمطلق صفات الكمال الواردة في الكتاب حتى في الكتاب الأول ، أن الله عز وجل متصف بصفات الكمال جملة ، وأنهم نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى صفات النقص ، لا يصلح أن تعلق على القدرة لكي نقول أن هذا من صفات الكمال بل الموت نقص مطلق ، والنوم والجهل نقص مطلقاً والصمم والعمى ، والولادة نقص مطلقاً لأن الولادة من الفناء أن النوع يخشى منه الفناء وأنه يتوالد ويتكاثر فيبقى النوع بعد ذلك لأن من كان أولاً فيموت أولاً فيحتاج إلى من يخلقه بعده من جنسه فالولادة والتكاثر للتخلص من الموت الحاصل لبعض الأفراد أو الفرد نفسه فيبقى النوع فالتكاثر أساساً لا يحصل للكمال ، وإنما هو نقص بالنسبة للمخلوق فالحقيقة أن صفة الحياة هي من لوازم صفة المشيئة بمعنى أن صفة المشيئة هي لازمة لصفة الحياة وليس أن الحياة لازمة للمشيئة ، الحياة من لوازمها يلزم أن يكون مريداً ، كذلك صفة القدرة لا نقول الله قدير إذا شاء ويعجز إذا شاء ، كذلك صفة السمع لا نقول الله سميع إذا شاء وأصم إذا شاء نعوذ بالله من ذلك بل نقول الله سميع بصير ،

أما صفات الأفعال فهي صفات متعلقة بالقدرة والمشيئة ،

يعني يلزم لمن كان مشيئاً أن يكون حياً ، الصحيح أن يقال أن المشيئة من لوازم صفة الحياة ، لكن لا يمكن أن يكون بمعنى مشيئاً مريداً إلا وهو حي ، نعم الحياة أولاً ، لأنه ممكن يكون حي ولكنه عاجز عن بعض الإرادات لكن لا يتصور أن يكون ليس له حياة ويكون مريداً ، الإرادة للجملات تنسب على سبيل المجاز اللغوي ، يريد أن ينقض يعني يوشك أن ينقض في الحقيقة وهذا الاستعمال يعني نسبة الإرادة إلى الجمادات من هذا الجانب عند الناس ، وإن كان أهل الإسلام يعلمون أن الجمادات تسبح الله عز وجل لكن من جهة إحساس الإنسان بإدراك هذه الكائنات بعقله دون معرفة ذلك بأدلة الشرع الغيبية لا يعرفها ، فنسبة الإرادات إلى الجمادات إنما هو كما ذكرنا على سبيل المجاز ،



نقول الإدراك ، نحن نقول أننا نحب جبل أحد ونحن مكة ونحب المدينة نسبة الإدراك لهذه الجمادات ثبت بأدلة الشرع ، ليس أننا نجد آثار ذلك أو قدرة معينة أو مشيئة معينة لهذه الجمادات ،

أما صافات الأفعال ، الصفات التي تتعلق بالقدرة والمشيئة والذي كما ثبت أن الله يرحم من يشاء ويعذب من يشاء يرضى عن من يشاء ويغضب على من يشاء فهو عز وجل فعال لما يريد ،

فعال : يعني بها صفات الأفعال

لما يريد : فالإرادة تتعلق بها الصفات الفعلية ،

وهذا عند التأمل هو الكمال لذلك نقول أن الله يتكلم إذا شاء لم يزل متكلماً إذا شاء ينزل إذا شاء وكلمة إذا تتعلق بزمن معين حين يشاء الله عز وجل وأهل البدع ينكرون أصلاً كل صفات الأفعال لأنهم يقولون أن أفعال الرب لا تتعلق بزمن وهذا يطل أصلاً في الحقيقة أمر الخلق لأن المخلوقين كانوا عدماً أوجدهم الله وخلقهم حين شاء وهذا أمر مقطوع به لمن ثبتت أولية الرب سبحانه وتعالى وإحداث المخلوقين وأن المخلوقين لم يوجدوا أنفسهم وليسوا بقدما فلا بد أن يكون في زمن معين فعل الله فيه ذلك ، بأدلة الكتاب والسنة ،

الله عز وجل خلق السماوات والأرض ( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) الاعراف ٥٤ إذا في أفعال ، قبل الستة أيام لم يكن هناك خلق لم يكن هناك سماوات وأرض وقبل خلق القلم لم يكن هناك خلق على الإطلاق ، لأن أول ما خلق الله القلم ، والعرش خلق في وقت معين والماء خلق في وقت معين وكل المخلوقات خلقت في وقت معين ، فإثبات فعل الرب عز وجل بفعل معين يفعله حين يشاء تدل عليه العقول السليمة كما تدل عليه الكتاب والسنة بخلاف ما تدل عليه النصوص المعقولة والمنقولة فقالوا أفعال الرب عز وجل لا تتعلق بزمن وردوها إلى الإرادة فقط الواحدة التي لا تتعلق بزمن معين وكذلك قالوا في الكلام ، لم يقولوا أن الله عز وجل يتكلم حين يشاء بل قالوا أن الله قلم النفس يزل الحجب عن بعض الناس لمعرفة بعض ، مع أنه لا يتبع بعض بل هو شيء واحد ، كل هذا مناقض لأدلة العقل وأدلة النقل ، فالله عز وجل تكلم بهذا الكلام العربي وتكلم قبل ذلك بالتوراة والإنجيل وهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ونادى موسى وكلمه حين كلمه ولم يكن كلمه قبل ذلك ، ( فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ) طه ١١ ، ولم يكن ناداه قبل ذلك ، وكل الأفعال عندهم مخلوقة ويأولون هذه الأفعال إلى صفة الإرادة ولا يصح أن تنسب الأفعال إلى وقت معين وهذا كله من الباطل المردود بالعقل والنقل كما ذكرنا ،

وكلمه في توقيت وجود سيدنا موسى ، وسيدنا موسى كلمه الله حين كلمه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، ( إن الله يحدث من أمره ما شاء وإن مما أحدث من أمره ألا تكلموا في الصلاة ) صححه الألباني يحدث من أمره إذا هذا من أمر الله وهذا مما أحدث الله من أمره ، قال الله عز وجل ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّعٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ) الشعراء ٥ وهو لم يزل صفته عز وجل ولكن تكلم به في وقت معين تكلم به حين شاء ولذلك إثبات أن كلام الله حرف وصوت مبني على هذه المسألة لأن الحروف لا بد أن تتابع فإثبات أنه حروف ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من قرأ حرفاً من القرآن كان له بكل حرف عشر حسنات لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ) وهذه الحروف متتابعة لا بد أن تكون الباء ثم الشين ثم الميم ، ثم هذه تدل على ارتباط أو تعلق أو نسبة الأفعال إلى زمن معين ، وأنه يفعل ما يشاء وأنه يميت ويحيي أمات فلان في اليوم الفلاني وأحيا فلان في اليوم الفلاني ، يعينهم يوم القيامة ، هذه الأفعال لها زمن ، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، أفعال الرب عز وجل تكون في مشيئته وتكون في زمن معين ، أفعال الرب هي التي تتعلق بالمشيئة والإرادة أما الصفات الذاتية فلا تتعلق بالمشيئة ، الله عز وجل واحد هذه الوحدانية صفة ذات ، صفة ذاتية لله عز وجل ، والله عز وجل لم يلد ولم يولد هذه صفة ذاتية لله عز وجل ، فعندما نسأل النصارى كيف تقولون أن الله يلد أو يصلب ويصق عليه ويموت كما تقولون مات يوم الخميس وقام يوم الأحد ويقولون بقيامة الرب يأسوع المسيح بين الأموات تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، يقولون قام يوم الأحد ويحتفلون بهذا ويقولون عيد القيامة ، العجب أن أناس من المسلمين يهتفونهم على هذا العيد ، يعني عيد الميلاد ، على اعتقادهم ميلاد الرب وعلى اعتقادهم في عيد القيامة عيد قيامته من الأموات وهو مستلزم بموته يوم الخميس وهو عندهم عيد أيضاً أصغر من عيد القيامة ، وبعد أن يعرف المسلم هذه العقيدة يهتفونهم عليها ؟ وكما يقول شيخ الإسلام أن هذه التهنة شر من التهنة على الزنا وشرب الخمر ولو أن إنساناً زنى وهنته آخر على الزنا أو شرب الخمر وهنته لكان الشرك بالله أغلظ ، فالتهنة على وصف الرب بصفات النقص والاحتفال بذلك ولو أن القيامة من الأموات مستلزمة للموت ، لما أقول القيامة من الأموات قام من الأموات ، ويقولون أسلم الروح ، أسلمها لمن ؟ خصوصاً الأرثوذكس الذين يقولون طبيعة واحدة ومشية واحدة ، ليس وجود أناس وجود إلهي ناسوت ولا هوت ، الإثنان عندهم طبيعة واحدة ، ومشية واحدة ، فالذي صلب على الصليب شخصياً هو خالق السماوات والأرض على اعتقادهم ، أهذا الاعتقاد يهني عليه ؟ وتحضر مثل هذه الاحتفالات ويهني عليها ؟ ويقولون عيد الميلاد لأنهم لا يعتقدون ميلاد النبي وفقد لا هم يعتقدون الرب نعوذ بالله من ذلك ،

حقيقة لذلك ، أنه قال من العلماء من هنتهم في هذا كفر . هو يكفره بلوازم الأمر ، لو أن مسلم استحضر هذه المعاني لا يمكن أن يهني ولا يمكن أن يقر ، وبعض المسلمين يقول لك لأنهم يهنتوننا في عيدنا ، فيقول أن بناءً على ذلك ، طيب هو هنتي بحق أهنته أنا بباطل والعباد بالله ، لما يأتي يهنتني أقبل التهنة لأنه حق وهذا عيدنا ، إذا قلنا لهم فطرة البشر وفطرة العقلاء لا شك أنها تأتي وصف الرب بذلك أن يوصف الرب بأنه يموت ويصلب ويلد ،

فيحلوها إلى صفة القدرة ويقولون أنه يقدر على ذلك إذا أراد أن يموت فسيموت ، هذا جهل عظيم لأن الحياة صفة ذاتية ، فنقص عظيم أن نقول يموت إذا شاء وإلا فإن الدنيا كلها تحتاج إليه ، وبهذا تكون الدنيا مستغنية عنه في الأيام الثلاثة ، من يوم الخميس إلى يوم الأحد ، فالوحدانية في الحياة ، وكونه لم يلد ولم يولد صفات ذاتية لله عز وجل لا يجوز أن تتعلق بالمشيئة لأن الموت نقص ومردّها إلى انعدام الأحاد فيحتاج إلى حفظ النوع فلا يصح أن نقول إذا أراد أن ينقص نقص ، كذلك عندما نسأل النصارى كيف تقولون على المسيح أنه ابن الله وهو عبد يعبد الله فيقولون هو يريد ذلك ، هل يريد أن يكون عبداً ، صفة الألوهية نفسها صفة ذاتية ، صفة الربوبية أنه الرب صفة ذاتية لا يصلح أن يكون مريباً ، كونه خالق غير مخلوق صفة ذاتية ، غير مخلوق سبحانه وتعالى هذه صفة ذاتية ، فكيف يمكن أن يقول يقدر أن يكون مخلوقاً ، فلا يمكن أن يكون مخلوقاً فكونه إلهاً صفة ذاتية ، ليس الأمر أنه إله إذا شاء وعبد إذا شاء ، لا يمكن لعقل بشري أن يقبل أن الله يمكن أن يكون مخلوقاً وأوجده غيره ، صفات النقص هذه الموت والعبودية ووصفه بأنه مخلوق لا تجوز بالله عز وجل ، هذه كلها صفات منفية عن الله عز وجل فالله عز وجل له المثل الأعلى وله الصفات العلى وله الاسماء الحسنى ، لذا أسمى عقيدة هي عقيدة أهل الإسلام بفضل الله عز وجل . هنا سؤال أفرد علم الكلام البعض بجهل يرد عليه إجابة تدل على خلل فهمه ، قد يسأله بعض الناس وموجود في بعض الكتب ، يقولون هل يقدر الله أن يخلق مثله ؟ طيب مثله هذه تساوي غير مخلوق ، أليس كذلك ، أنظر حقيقة السؤال ، لكي تعرف أنه سؤال متناقض باطل لا يصلح وأنه في أصله متناقض ، هل يقدر أن يخلق من ليس بمخلوق ؟ طيب كيف تقول يقدر أن يخلق من ليس بمخلوق ، هذا كلام مستحيل ، كلام متناقض من أصله ، فهذا السؤال ما الإجابة عليه ، أن هذا السؤال باطل من أصله لأنه متناقض في أصله ، فنقول هذا كلام متناقض أصلاً مثل كلام النصارى في المسيح أن الأب يخرج من الآب والروح القدس تخرج من الآب ويقولون الله قادر على ذلك هذا كلام منكر ، لا يصح قولهم أن قادر على أن يخلق مثله لأن مثله أن المثل غير مخلوق فهل يقال هل يقدر الله أن يخلق غير ملخوق ، الناس تنخض عندما تسمع هل يقدر يقولون يعني ممكن يقول ربنا لا يقدر ؟ لا بل نقول له صفة الوحدانية وصفة الحياة وكونه غير مخلوق صفات لا تتعلق بالقدرة ولذلك لا يصح أن نسأل عنها هل يقدر أن يفعل ذلك أم لا مثل بالضبط هل يقدر أن يموت ، نقول لا تسأل عنه أنه يقدر لا نقوله أنه يقدر على ذلك لا يصح أن تتعلق صفة الحياة بالقدرة ولا بالمشيئة ، فالسؤال متناقض أصلاً وباطل أصلاً لأن الوحدانية وحدانية الرب عز وجل وأنه الخالق غير ملخوق صفات ذاتية من صفات ذاته من صفاته التي لا تتعلق بالقدرة ولا بالمشيئة ، كونه قادر قدرة تامة من لوازم كماله عز وجل ، فهذا السؤال سؤال باطل مثل قولهم هل يقدر أن يموت لأن الحياة لا تتعلق بالقدرة ولا بالمشيئة لأن الحياة صفة ذاتية لله ونفي الموت مثل نفي النوم ونفي السنة ونفي الغفلة والغفوة عن الله سبحانه وتعالى وكذا كل صفات النقص مثل أن يغلب ويصرح ويجهل ويندم ويحزن ويبكي ، كل صفات النقص التي تنفيها أدلة الكتاب وتنفيها أدلة العقول كذلك موافقة للكتاب والسنة ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

## ١٢ - الأسماء الحسنى واشتقاقها

جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، ( إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلى واحد من أحصاها دخل الجنة ) هل معنى هذا الحديث أن أسماء الله تسعة وتسعين فقط ؟ ولذلك يجتهد البعض في حصر هذه التسعة وتسعين اسماً ، فالجواب عن هذا السؤال أنه ليست أسماء الله الحسنى منحصرة في التسعة وتسعين ، فمعنى الحديث أن هذه الأسماء التسعة والتسعين من يحصياها ويقوم بحق كل اسم منها ويتعبد لله بمقتضى كل اسم منها ويدعوا الله عز وجل به مع حفظ هذه الأسماء يدخل الجنة ، نحن جمعنا الأقوال التي قيلت في تفسير من أحصاها دخل الجنة ، أحصاها بمعنى حفظها أحصاها بمعنى أطلق القيام بحقها بمعنى تعبد لله بها ودعا الله عز وجل به والصحيح أن هذه التفسيرات ليس متعارضة بل يكمل بعضها بعضاً فلا يقصد بالحفظ الحفظ باللسان مع غفلة القلب عنها فإن هذا لم يتم بحق الأسماء الحسنى والله عز وجل قال **﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾** { الاعراف ١٨٠ } ولم يتم فقط فاحفظوها ، وبذلك الدعاء والقيام بحق كل اسم منها بمعنى أنه حين يستحضر اسم الرزاق سبحانه وتعالى يطلب الرزق منه ويرجو الرزق منه ولا ينتظر الرزق من غيره ويطلب رزق الله عز وجل وهذا أعمال قلبية ويطلب الرزق بلسانه من الله عز وجل فيقول وارزقنا وانت خير الرازقين فهذا تعبد لله بها مع كونه حفظ الاسم وعرف ان أسماء الله حسنى الرزاق ،

التعبد بمقتضاها عبادة قلبية وعبادة لسانية وكذلك عندما يعلم اسم الله السميع فهو يحفظ الاسم ويراقب كلامه الذي يتكلم به بأن الله عز وجل يسمع كل ما يقول ويستحضر أن الله وسع سمعه الأصوات وأن كل العباد مهما تكلموا ومهما صدر منهم من صوت فإن الله عز وجل محيط به يسمعه لا يشغله صوت عن صوت ولا كلام عن كلام وهو سبحانه وتعالى يسمعه في اللحظة التي يتكلمون فيها وذلك لكل من في السماوات ومن في الأرض فيأقرب الله عز وجل في كلامه ويمتنع من أن يتكلم بكلام يكرهه الله سبحانه وتعالى وأنه يأتي مزيد من التفصيل في معنى أسماء الله الحسنى ، فمعنى من أحصاها : من أطلق القيام بحقها من تعبد لله ودعاها بها فهذا بلا شك يستلزم أن يكون حافظاً لها لن يكون متعبداً لله بأسماء لا يحفظها ، أما عداها فلا يلزم لأن ممكن إنسان يكون حافظاً للتسعة وتسعين اسم لكن لو قلت له عدهم لا يعدهم ترتيباً فيلزم من ذلك ألا يكون حافظاً لها ؟ بل معرفته بكل اسم وكونه عالم به ومعناه ومتعبد لله به فهو حافظ لهذه الأسماء محصي لها والله أعلم ،

فليس أن الأسماء الحسنى كلها تسعة وتسعون لكن هذه التسعة والتسعين لها خاصية ( من أحصاها دخل الجنة ) وهناك أسماء حسنى لله نحن لا نعلمها ، كما هناك في الحديث الصحيح عن النبي **صلى الله عليه وسلم** علم الذي أصابته الديون أن يقول ( اللهم أني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض فيا حكمك عدل فيا قضاؤك اسألك بكل

اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي ( إذاً هناك أسماء استأثر الله بعلمها وهناك أسماء علمها الله بعض خلقه ) ( علمته أحداً من خلقك ) فإذا ليست الأسماء الحسنى منحصرة في التسعة والتسعين لذلك نقول أن هذا الحديث يقرر أن هذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين لها خاصية أن من أحصاها دخل الجنة هذه الأسماء موجودة في الكتاب والسنة والأسماء التسعة والتسعون موجودة في الكتاب والسنة لأنه لا نؤمن بإحصاء مالا نستطيع الوصول إليه ولا نرغب في شيء نعجز عن الوصول إليه فلكنها غير محددة بعددها في الكتاب والسنة ، لماذا ؟ حتى يجتهد الناس في الدعاء بكل الأسماء الحسنى الموجودة في الكتاب والسنة لكي يكون بذلك دعا الله بالتسعة والتسعين اسماً ولذلك قضية حصر التسعة والتسعين اسماً والكلام على الاكتشافات الحديثة في ذلك والبعض يقول الاسماء التي اعتمدت مؤخراً من الأزهر أو التي قالها فلان الفلاني في كتابه فهي الصحيحة وما غير ذلك فهو خطأ ، هذا جرة ، لا أقول فقط على أهل العلم بل على أهل الإسلام ، أن الأمة كلها كانت مخلفة كانت لا تدري حتى جاء رجل في القرن الخامس عشر ووثق هذه الأسماء وحددها دون غيرها وحددها في الحقيقة بناء على قواعد هو الذي وضعها أم لا لا بد أن تكون مثلاً تقبل الـ ( ال ) أما ما كان بـ ( ذو ) مثلاً ليس من الاسماء لماذا وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ( أظنوا بي إذا الجلال والإكرام ) فمثل هذا من الأسماء الحسنى ذو الجلال والإكرام من الاسماء الحسنى وكذلك ذو الطول سبحانه وتعالى والأسماء المضافة كذلك فهو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول ، المشكلة أنه وضع قواعد معينة وألزم نفسه بها وكأن هذه القواعد هي التي تحكم على النصوص والصحيح أنه لم تحدد هذه الأسماء ولم يحددها النبي صلى الله عليه وسلم لأن الرواية التي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سرد هذه الأسماء على الصحيح من أقوال أهل العلم رواية مدرجة بمعنى ليست مرفوعة للنبي عليه الصلاة والسلام ، حديث الترمذي الذي ذكر فيه لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ( هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحيكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المنجي المجيب المحيي المميت الحي القيوم الواحد الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو ) هذه الرواية كما ذكرنا مدرجة من بعض الرواه واجتهد بعض الرواه في جمعها سواء منها ما ورد بصيغة الاسم أو ما ورد مشتقاً من أفعال وذكره مقترناً دالاً على الكمال كما ذكرنا فهذا أمر كما بينا مدرج ليس بمرفوع وتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين التسعة والتسعين لكي يجتهد والله أعلى وأعلم في أن يدعو الله سبحانه وتعالى بما علم من أسماء الله الحسنى من الكتاب وفي السنة الصحيحة فإذا دعا الله بكل ما ورد وبكل ما علم دخل في ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه التسعة والتسعين فإيهامها هو الصحيح لذلك من العلماء من اختار جملة من الأسماء ولم يجزم بأن هذه هي إلا ما وقع في زماننا بمن يجزم بأن هذه هي الأسماء التي أرادها النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يذكرها وإنما رغب فيها ليطلبها الناس ، الحديث الذي ورد أن الله تسع وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وقف عند هنا وهذا هو المتفق عليه الزيادة مدرجة وذلك نقول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحددها فليس لأحد أن يجزم بذلك كما أجمعت ليلة القدر وكما أجمعت ساعة الجمعة فالنبي صلى الله عليه وسلم رغب في ساعة الجمعة قال ( فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ) متفق عليه حتى وإن قلنا أنها آخر ساعة بعد العصر فنحن لا نعرفها تحديداً ، يعني آخر ساعة بعد العصر هذه كلمة ساعة عند العرب تطلق على المدة وعلى الستين دقيقة المعروفة في زماننا ولذلك الاجتهاد من بعد العصر إلى المغرب يجعلك تدرك هذه الساعة أما هي بالضبط من الساعة كام إلى الساعة كام لا تأتي وتقول المغرب على الساعة ٦ إذا ساعة الجمعة تبدأ من الساعة ٥ ليس هذا هو المقصود المقصود بها أنها مدة من الزمن وكما ذكرنا فالذي يمكث من العصر إلى الجمعة سوف يدرك هذه الساعة على ترجيح أنها آخر ساعة بعد العصر لو قلنا في كل يوم الجمعة يكون من الأول وكذلك ليلة القدر هي في العشر الآخر لكن أي ليلة هي تحديداً ، نحن نطلبها في العشر الآخر بأن نقوم العشر كلها حتى ندرك ليلة القدر كذلك لكي ندرك التسعة والتسعين اسماً وندعو الله بها فبالسبيل لذلك بأن نتعبد بكل ما ورد في الكتاب والسنة لا تأتي تقول أسماء خطأ نسأل الله العافية أو هذه غير معتمدة ، فهذه الأسماء الحسنى دالة على الكمال سواء ما كان منها بلفظ الاسم أو ما كان مشتقاً فيأتي الكلام على مسألة الاشتقاق لأنه كثر الكلام عليها مع أن الأمر عند السلف عامة السلف يرون صحة الاشتقاق من منهم من أحد إلا ويذكر أسماء مشتقة ولا يلتزم بأنه لا بد أن تكون ردت بصيغة الأسم فإن الأسم الذي اشتق من فعل ورد ليس منافي للتوقيف كما نذكره إن شاء الله ،

هذه الأسماء التي سردت في هذا الحديث أو من بعض من أهل العلم ينتفع بها في دعاء الرب سبحانه وتعالى بما في أنه يجمعها حتى لا ينسى بعضها في الدعاء ، اجتهاد بعض العلماء القدامى والمعاصرين في تحديد تسعة وتسعين اسماً لله تعالى بما فيه الأخذ بهذه الرواية للترمذي فجمع هذه الاسماء محاولة من أهل العلم بحصرها والصحيح أنه مجرد اجتهاد ونحن نحاول أن نجتهد في كل الأسماء التي وردت وندعو الله بها فإذا فعلنا ذلك بإذن الله تبارك وتعالى نكون دعونا الله بالتسعة والتسعين اسماً وأحصينا التسعة والتسعين اسماً ضمن هذه الاسماء الموجودة في الكتاب والسنة ،

هل يصح اشتقاق الاسماء مما ورد في القرآن من أفعال لله عز وجل ؟

نقول قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الاعراف ١٨٠ فالأسماء لا بد أن تكون حسنى سواء كان ذلك في اشتقاق ام كان ذلك في الاسماء التي وردت بصيغة الاسم يعني بعض الأسماء وردت بصيغة الأسم لكن لو اطلقت عن سياقها أو جردت عن السياق لن تتدل على كمال ، فاسم الزارع ورد بصيغة الاسم ، الزارعون ، قال عز وجل ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ الواقعة ٦٤ ، والجواب معلوم الله عز وجل هو الزارع سبحانه وتعالى هذا السياق يدل على كمال لو جرد عن السياق فقيل أن من أسماء الحسنى الزارع لم يدل على الكمال وإنما يدل على الكمال في مثل هذا السياق ، ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أن تقول الزرع الذي نحرثه لسنا الذي نزرعه بل الله زارعه لو قلت ذلك دل على كمال وخشع القلب لله عز وجل بأنه هو الذي أنبت هذا النبات وكذا الصانع لو قلت الله عز وجل زارع صانع هذا لو كان مجرداً ، مثل من سأل في الجملة



فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فأتينا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال نعم هي هذه وهذا سياق ما ذكره جعفر وأبو زيد وفي الفاتحة خمسة ﷻ الله ، رب ، الرحمن ، الرحيم ، مالك ، { في البقرة ﷻ محيط قدير عليم حكم علي عظيم ثواب بصير ولي واسع كاف رؤوف بديع شاکر واحد سمیع قابض باسط حي قيوم غني حميد غفور حلیم { زاد جعفر ﷻ إله قريب مجيب عزيز نصير قوي شديد سريع خبير { قال وفي آل عمران ﷻ وهاب قائم { زاد جعفر ﷻ باعث منعم متفضل { وفي النساء ﷻ رقيب حسيب شهيد مقبى وكيل { زاد جعفر ﷻ علي كبير { وزاد سفيان ﷻ عفو { وفي الأنعام ﷻ فاطر قاهر { وزاد جعفر ﷻ مميت غفور برهان { وزاد سفيان ﷻ لطيف خبير قادر { وفي الأعراف ﷻ محيي مميت { وفي الأنفال ﷻ نِعَمَ الْمُؤْمِنِ وَيَغْنَمُ النَّصِيرِ { الانفال ٤٠ وفي هود ﷻ حفيظ مجيد ودود فعال لما يريد { زاد سفيان ﷻ قريب مجيب { وفي الرعد ﷻ كبير متعال { وفي إبراهيم ﷻ منان { زاد جعفر ﷻ صادق وارث { وفي الحجر ﷻ خلاق { وفي مريم ﷻ صادق وارث { وزاد جعفر ﷻ فرد { وفي طه عند جعفر وحده ﷻ غفار { وفي المؤمنین ﷻ كليم { وفي النور ﷻ حق مبين { زاد سفيان ﷻ نور { وفي الفرقان ﷻ هادي { وفي سبأ ﷻ فتاح { وفي الزمر ﷻ عالم { عند جعفر وحده وفي المؤمن سورة غافر ﷻ غافر ذو الطول { زاد سفيان شديد زاد جعفر رفيع التي هي رفيع الدرجات ، وفي الذاريات ﷻ الرزاق ذو القوة المتين { وفي الطور بر وفي اقتربت ﷻ مقتدر { زاد جعفر ﷻ مليك { وفي الرحمن ﷻ ذو الجلال والإكرام { زاد جعفر ﷻ رب المشرقين ورب المغربين باق معين { وفي الحديد ﷻ أول آخر ظاهر باطن { وفي الحشر ﷻ قدوس سلام مؤمن مهيمن عزيز جبار متكبر خالق بارئ مصور { زاد جعفر ﷻ مالك { وفي البروج ﷻ مبدئ معيد { وفي الفجر ﷻ وتر { وعند جعفر وحده ، وفي الإخلاص ﷻ صمد { هذا آخر ما روي عن جعفر وأبو زيد وتقرير سفيان يعني لكلام من نقل عن أبي زيد من تتبع الأسماء من القرآن وفيها اختلاف شديد وتقرار وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم وهي صادق منعم متفضل منان مبدئ معيد باعث قابض باسط برهان معين مميت باقي ووقت في كتاب القصد الأسمى لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزاهد أنه تتبع الأسماء من القرآن فتأملته فوجدته كرر أسماء وذكر مما لم أراه فيه بصيغة الاسم ﷻ الصادق والكاشف والعلام { إنما نجد أن عامتهم إنما يشتق أسماء وكما ذكرنا قد يوافق على البعض وقد يختلف معه فيها ، فعلى سبيل المثال من الأسماء التي استخرجت بالاشتقاق المبدء المعيد هذان الاسمان مما اتفق عليه الثلاثة سفيان وجعفر وأبو زيد ، وقد نقل جماعة من العلماء من المتقدمين والمتأخرين عن هؤلاء الأئمة هذه الأسماء بما فيها الأسماء المشتقة دون نكير ولم يقل أحد منهم أن الأسماء توقيفية بمعنى أنه لا يجوز فيها الاشتقاق والله أعلم لأن الاشتقاق عندهم لا ينافي التوقيف مادامت الأسماء تدل على الكمال المطلق وإنما ما ينافيه اختراع أسماء لم ترد ولم يدل عليها اسم ولا صفة كمهندس الكون العظيم كما يقولون والرمضان كما يقولون والعلة الأولى كل هذه لم ترد في كتاب ولا سنة لا باسم ولا بفعل ولا بإضافة يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بعد بيان أن تعيين الأسماء الواردة في رواية الترمذي مدرج فيقول جمعها قوم آخرون على غير هذا الجمع واستخرجوها من القرآن منهم سفيان بن عيينة ومنهم أحمد بن حنبل وغيرهما وشيخ الإسلام يقر العلماء الذين ذكروا أن من أسماء الله المغيث الغياث ، يقول رحمه الله قالوا من أسماء الله تعالى المغيث والغياث وقد جاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قال ( واجتمعت الأمة على ذلك فملوم أن هذه الأسماء لم ترد بسند صحيح بلفظ اسم مطلقاً وإنما استخرجها العلما بالاشتقاق كذلك ابن القيم رحمه الله يذكر أن من أسماء الله تعالى ﷻ المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل { وإن كان المنتقم لم يرد في القرآن مطلقاً بل ورد مقيداً قل عز وجل ﷻ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ { السجدة ٢٢ ﷻ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ { إبراهيم ٤٧ هذه كلها أسماء مشتقة يقول رحمه الله ،

أن الفائدة الثانية عشر أن أسماء الله تعالى منها منا يطلق عليه مفرداً ومقتزئاً بغيره وهذا غالب الأسماء كالقدير والسميع والعزيز والحكيم وهذا يسوغ أن يدعى به مفرداً ومقتزئاً بغيره فتقول ياعزيز يا حلیم ياغفور يا رحيم ويصلح ويسوغ أن يفرد كل اسم تقول يا حلیم ثم تقول ياغفور وحدها ، نعم يامغيث أغثنا وذلك في الثناء عليه والخبر عليه بما يسوغه لك الأفراد والجمع ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرون بمقابلة كالمانع والضار والمنتقم فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدير الخلق والتصرف فيه عطاءً ومنعاً نفعاً وضراً وعفواً وانتقاماً وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد وذلك لم تأت مفرجة ولم تطلق عليه عز وجل إلا مقتزنة ، فلو قلت يامذل يا صار يامانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابها ها هو رحمه الله يذكر هذه الأسماء وقرنها بأسماء السميع والبصير والعزيز والحكيم حتى لا يقال إن ابن القيم يقصد أن هذه الأسماء تطلق عليه من باب الإخبار وقال الشيخ حافظ حكمي أيضاً في كتاب معارج القبول يذكر أن هذه الأسماء من أسماء الله الحسنى يذكر ذلك فيقول رحمه الله واعلم أن من أسماء الله ما لا يطلق عليه إلا مقتزناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك مثل المعطي المانع والضار النافع والقابض الخافض والمعز والمذل والخافض الرافع فلا يطلق على الله المانع الضار الخافض المذل كل على انفراد بل لابد من ازدواجها بمقابلتها إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك ومن ذلك المنتقم لم يأتي في القرآن إلا مضافاً إلى ذو كقول تعالى ﷻ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ { أو مقيداً بالجرمين في قوله ﷻ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ { مع ملاحظة أن القابض الباسط قد جاء ذكرهما في حديث صحيح ( إن الله هو المسعر القابض الباسط ) لكن ابن القيم رحمه الله اشد نكيره على من يشتق من الأفعال المقيدة لا المطلقة فيقول رحمه الله الثابت أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط في بعض المتأخرين فجعل من أسماء الله الحسنى المضل الفاتن الماكر ، تعالى الله عن قوله فإن هذه الأسماء لم تطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة مقيدة فلا يجوز أن يسمى اسم منها مطلقاً ، يفهم من معنى الكلام أنه يمكن أن يسمى بها مقيدة فالله هو الهادي المضل لمن يشاء ، الهادي لمن يشاء المضل لمن يشاء إذ ليس بممتنع وينقل ذلك عنه أيضاً الشيخ حافظ حكمي يقول قال ابن القيم رحمه الله إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً لافي الأفعال ولا في الأسماء ولا ذلك داخل في اسمائه الحسنى ، من ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر والخداع والمستهزئ والكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر من الجلود وتكاد الأسماء تصم عن سماعه وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء يعني المشكلة أنه أطلق حتى لو هذه الأفعال أطلقت لأوهمت نقصاً لو جاء رجل وقلت له أن الله يخدع ويمكر ويضل ويفتن إذا العبر ليست بأنه اشتق أو لم يشتق العبرة أنه أطلق ما ورد مقيداً ، فإذا ما جاء مقيداً يورد مقيداً سواء كان مشتقاً أو غير مشتقاً إذا ابن القيم لم يمنع الاشتقاق وابن حجر وسفيان بن عيينة وجعفر الصادق والوليد بن مسلم الذي ينسب إليه التسعة والتسعين اسماً في الرواية المطلقة وأبو زيد في اللغوي وأكثر العلماء يتكلمون على ذلك ويعرونه بلا إنكار ومسألة إنكار الاشتقاق واعتبارها مسألة ممنوعة بالكلية كلام فيه نظر ، كلام ابن القيم إنما يمنع من الإطلاق كما ذكرنا ، يقول فأسمائه كلها حسنى فأدخلها فأدخلها أدخل



اسماء الماكر والمخادع في الأسماء الحسنى وقرنها بالودود الرحيم الحكيم وهذا جهل عظيم لأن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقة بل تمدح في موضع وتدم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها لله تعالى مطلقاً فلا يقال أنه تعالى يماكر ويخدع ويستعزئ ويحيى كذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها أي مطلقاً بل لم يكن في أسمائه الحسنى المريد ولا المتكلم ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع الممدوحة منها كالخليم والحكيم والعزیز والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستعزئ؟ ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من اسماء الله الحسنى الداعي والآتي و﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ النحل ٢٦ والجائي والذاهب ﴿ اللَّهُ لَذَّهَبٌ بِسَمْعِهِمْ ﴾ البقرة ٢٠ والقادم ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ الفرقان ٢٣ والرائد هي الزائدة ، ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ البقرة ١٠ والناسي ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ التوبة ٦٧ والقاسم والساحط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضاعف ذلك من الأفعال التي أطلق الله تعالى على نفسه أفعالها في القرآن وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ، المقصود أن الله لم يصف نفسه بالماكر والكيد والخداع إلا على وجه الجزء لمن فعل ذلك بحق وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف بالخالق ، إذا ابن القيم إنما شن على من أخطأ واشتق من الأفعال المقيدة والتي لم ترد مطلقة وإنما هي كمال فيما سبقت فيه فيقول والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعال أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم ، كل هذا يدل على صحة الاشتقاق عند هؤلاء العلماء ، وبهذا ذكرنا أنه قول عامة السلف ومثلاً اسم الستار الذي ورد في الحديث الستير الأفضل أن يقول الستير خروجاً من الخلاف لكن اسم الستار ليس فيه نقص فالله حيي ستير يحب الستر واسم الستار يدل على نفس معنى الستير فكذلك نقول أن الله ستار أما أسم سائر فقط سائر يستعمل بمعنى الحائط سائر يستر الشيء الفلاني تدل على الكمال وغير الكمال الستارة تسمى سائر والطوب يسمى سائر والرمل يسمى سائر لكن لا نقول الرمل ستار أليس كذلك ، لا نقول أن الستارة ستارة فلا يجوز أن تقول ياسائر يارب بل تقول ياستار الأفضل أن تقول يا ستير ،

الغرض المقصود أن الاشتقاق على الصحيح لا يمنع مطلقاً وإنما يذكر حيث يدل على الكمال والله أعلى وأعلم ،

الأخوة يسألوا عن كلمة " بنام " هي لغة في بنان وهو طرف الإصبع

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .....

### ١٣ - التبعيد لله بالأسماء والصفات

الموضوع اليوم من أهم الموضوعات المتعلقة بقضية الأسماء والصفات إن لم نقل هو المقصود الأول المهم وهو أهم من غيره وهو الذي أمر الله تعالى به وهو التبعيد لله عز وجل بأسمائه وصفاته ، قال الله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الاعراف ١٨٠ ودعاء الرب سبحانه وتعالى بها المقصود الأعظم من العبادة وهو يتضمن أنواع العبادات المختلفة فهو ليس دعاءً باللسان فقط بل بحضور القلب كذلك ، ليست مسألة العلم بالأسماء والصفات أن نظل نناظر أهل البدع ونبطل عقائدهم الفاسدة ندخل معهم في المجادلات الكلامية وبد ذلك نترك اللجنة المقصودة من وراء هذا الأمر بل في قضية التوحيد كلها إبطال العقائد الفاسدة وهدم الجاهلية وإبطال الشرك والبدع والضلالات وإنما المقصود به تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى مقصود النفي ما بعده من الإثبات وليس نفي المجرى للباطل ويبقى الإنسان بعد ذلك بلا غداء ، غداء القلب والروح هو معرفة الله عز وجل ومحبه وعبادته بمقتضى أسمائه وصفاته ، ومدار ذكر الأسماء والصفات في القرآن على هذه الأمور ومن يتأمل آيات القرآن من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس يجد تعريف الناس برهم سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته مرتبطاً بالعمل ومرتباً بالاعتقاد الصحيح ومرتباً بالعبودية لله سبحانه وتعالى ، وهنا سنذكر أمثلة على ذلك من كلام أهل العلم لنفتح به باباً أغفله الكثيرون ولم يهتم به أكثر المتكلمين في هذا الباب

اهتم الكثيرون بتقعيد القواعد وتبيين الاختلافات والرد على الشبهات وقل الاهتمام بهذه المسألة العظيمة مسألة التبعيد لله سبحانه وتعالى والحقيقة أن التدبر بالقرآن العظيم وخصوصاً آيات الصفات وذكر أسماء الله عز وجل الحسنى فيها ، لا أعني الصفات اصطلاحاً يعني بل الأسماء والصفات ، تدبر هذه الآيات هو أعظم أبواب الخير وهو الذي كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل كل كان عليه أنبياء الله جميعاً فأدعيتهم عظمية التي يحيى الله بها عز وجل القلوب مبنية على التعرف على أسماء الله عز وجل ودعائه به سبحانه وتعالى كما أمر لذلك ليست القضية المقصودة من دراسة الأسماء والصفات أن نتكلم على أهل البدع وفرقهم ونحسن التقسيم ونحسن وضع القواعد ونترك أنفسنا بعد ذلك تفترسها الأمراض القلبية الناشئة عن عدم شهود حقائق الأسماء والصفات وحقائق معانيها التي منها الكبير والعجب والغرور والحسد وكل ذلك منعه إلى عدم شهود عظمة الله سبحانه وتعالى وأنه هو العلي الكبير وعدم شهود صغر الإنسان وعجزه وضعفه مع قدرة الله عز وجل وعظمته ووحدانيته ما أكثر أو قل كل أمراض القلوب من الشرك والباطل والبدع وما ذكرنا من الكبير والغرور والحسد كلها منبعها إلى جهل الإنسان بربه سبحانه وتعالى وجهله بنفسه فليس الأمر أن تحسن أن تقول أو حتى تحسن أن تفكر الأمر أعظم من ذلك لا بد أن تحسن أن تتعبد تحسن أن تدعوا ربك عز وجل وتحسن أن تحبه وتخالفه وترجوه وإنما يحصل الوجهل عند سماع آيات الله سبحانه وتعالى وقدة ذكر الله عز وجل أن هذا من شروط الإيمان الواجب فقال ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الانفال ٢ هذه العبادات القلبية إنما تحصل بشهود الأسماء والصفات والتعبد لله عز وجل بها وكما ذكرنا مفتاح ذلك في التدبر لآيات القرآن العظيم وإمرار هذه الآيات على القلب وكذا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والمتعلق عامتها بأدعيتها الماثورة عنه عليه الصلاة والسلام في المواطن المختلفة وكلها مبنية على ذكر الأسماء والصفات ولو تأملت عامة آيات القرآن لوجدتها متضمنة بذلك لا



تكاد توجد نقول نجزم لا توجد سورة تخلوا من ذكر أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العلا وأفعاله العظيمة التي يرتبط بها المؤمن في كل سلوك من سلوكياته ويستحضرها فيما يقع حوله وأمامه من نفسه ومن الناس يشهد فضل الله عز وجل عليه ومنته سبحانه وتعالى على خلقه فعند ذلك يثبت في قلبه حبه عز وجل وتعظيمه وخوفه ورجاؤه وعند ذلك يجد قلبه يقشعر جلده وعندة ذلك تدمع عينه حباً وشوقاً وخوفاً ورجاءاً لله سبحانه وتعالى وطرده البدع والضلالات أساس هذا البناء العظيم والخدعيات والخرافات تمنع هذا بالكلية ولا يشم المشرك والمبتدع له رائحة نعوذ بالله من ذلك لأنه مشغول بالخدعيات المبنية إما على علم الكلام وإما على الأوهام والخرافات التي يجعلونها في قلوبهم فيعتقدونها ويغالون في الأولياء والصالحين والأنبياء والملائكة حتى يصرفوا لهم أنواع العبادات وذلك لجهلهم لصفات الله وأسمائه الحسنى ولو امتلكت قلوبهم بعرفة الله ومحبة لما وجدت هذه الخرافات إلى قلوبهم سبيل ولما كان هذا الغلو الذي يراد الآن المنتشر في أوساط المسلمين ، بين الحين والآخر تأتينا قصاصات الأوراق في الأوراق المنشورة في الصحف والمجلات حول أنواع الخرافات والخدعيات التي يراد نشرها لأهم قوم لو امتلكت قلوبهم بحب الله تعالى وتعظيمه ومعرفته كمال اسمائه وصفاته وضعف العباد وعجزهم وفقيرهم وجهلهم لما تفوهوا ولما اعتقدوا هذه الخرافات والخدعيات ، كنا نقول إن هذه العقائد الفاسدة مثل التعطيل والتحريف والتكليف والتمثيل هو بيان الطريق في باب التعبد ، هو بداية الطريق في باب التعبد بالأسماء والصفات وليس نهايته ، فلو أن إنساناً لديه قطعة أرض ونظفها من الشوائب والقاذورات التي بها ثم أنه رضي بهذا وجلس فيها ولم يبن فيها بيتاً فلو جاء حر للفحة ولو جاء برد لآذاه ولذلك كان لابد له من أن يبنى بيتاً يحميه كذلك نحن بعد أن ننظف قلوبنا من العقائد الفاسدة لابد لنا من بناء الإيمان داخل قلوبنا وذلك بالتعبد لله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وندعو الله سبحانه وتعالى بها فهو الذي قال ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الاعراف ١٨٠ ونحن لم نتكلم عن الفرق الضالة إلا لأنها موجودة ومازالت موجودة في زماننا يحاول أهل البدع أن يحيوها لا تظن أن هذه الفرق قد انقرضت بالكلية بل كما ذكرنا عند تعرضنا مازالت فرق الباطنية موجودة وهم أشد أعداء أهل الاستسلام ولقي المسلمون منهم من العلويين والباطنية مثلاً من يتحالفون مع الرافضة من أنواع الآذى ما لم يجدون من غيرهم وكذلك المعتزلة ، عقائد الرافضة والشيعية الزيدية والإباضية وهي فرق موجودة في كثير جداً من بلاد المسلمين مازالت هناك من يدعو لها ويحث عليها عقائد المعتزلة لأن هذه الفرق الثلاثة المعتزلة الإباضية الزيدية الرافضة في مسائل الإيمان الأخرى مبني كلامهم على كلام المعتزلة لأنهم يقدمون العقل ويهملون السنن ، وكذلك الخوارج من الإباضية فيض كلامهم في الصفات هو كلام أهل البدع والضلال ،

لذلك لم نتكلم عن هذه الفرق الضالة إلا لأنها موجودة وقلنا أن أضر الناس على الإسلام هم هذه الفرق وهم شر على الإسلام طوال تاريخه وما زالوا متواجدين فلا بد من الحذر منهم .

والأصل ألا نتكلم بهذا الكلام ولا نثيره إلا بقدر الضرورة ، يعني هذا دواء ، فلا تكثفي بالدواء وترك الغذاء ، خذ الدواء بقدر ما تحتاج ، هناك بعض الناس يأخذ الدواء فقط ، انظر إلى الدواء ستجده صغير ، لكن عند الأكل تأكل كميات كبيرة ، لو أتيت بكميات من الحبوب وأكلتها ماذا يحدث ؟ يحدث لك ضرر عظيم .

ولذلك الذي يهتم فقط بالدواء دون الغذاء ودون أن يحيي قلبه بالآيات وبالأحاديث النبوية الشريفة فإنه يضر أعظم الضرر .

الأصل أن تكلم بهذا الكلام ولا نثيره إلا قدر الضرورة ، ونشغل عنه بما هو أهم منه وأعظم وهو البناء ، فلا يكفي أن نرد على أهل البدع فقط .

الغرض المقصود أن نتعبد لله عز وجل .

هذا الباب في باب الربوبية والأسماء والصفات والإلهية .

يعني هذا الكلام نكره في الكلام على توحيد الإلهية ولا ينفع أن نتكلم على الصوفية فقط وعباد القبور ثم لا نخاف من الله ولا تحبه ولا ترجوه ولا تخلص له ولا تركع ولا تسجد ، بل بهذا يكون الركوع والسجود جاف بلا تدبر ولا دعاء ولا انكسار لله عز وجل . بل تجد أنك تنهي الصلاة في وقت قصير ومشغول بغيرها بعد ذلك ، وإذا قرأت القرآن تريد أن تختتم فقط ، والمهم عندك الألفاظ دون المعاني ، هذا يكون فيه ذلك الذي شرع الله عز وجل من التدبر .

فعلى سبيل المثال : أن يهمل الإنسان ما وجب عليه من تحقيق الإيمان وهو مشغول بتحقيق الألفاظ فقط أو الرد على أهل البدع دون أن يحيي قلبه بحقائق القرآن والسنة .

نقول : لا يكفي أن يرد على أهل البدع فقط ، بل الغرض المقصود أن تعبد لله عز وجل ، فالتعبد لله بأسمائه وصفاته هو حقيقة التوحيد ، وذلك بأن يمتلئ القلب بأجل المعارف واستحضار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ويتأثر القلب بشارها ومقتضياتها ويدعو الله تعالى بها ،

جزء من كلام الشيخ السعدي في كتابه القيم الجليل . القول السدي في شرح كتاب التوحيد .

يقول : " فمثلاً أسماء . العظيم والكبير والمتعال والجليل . تملء القلب تعظماً لله وإجلالاً له ، وأسماء . البر والكرام والودود . تملء القلب حباً لله وشوقاً إليه وحمداً لله وشكراً ، وأسماء . العزيز و شديد العقاب والجبار والقدير . تملء القلب خضوعاً وانكساراً وذلاً وخوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى ، وأسماء . الخبير والعليم والسميع والبصير والشهيد والرقيب

والحسب . تملأ القلب مراقبة لله عز وجل في الحركات والسكنات وتؤدي بالعبد إلى أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فالله يراه ، وأسماء . الغني والغفور والتواب والحيب واللطيف . تملأ القلب افتقاراً إلى فضله ورجاءاً لرحمته "

هذه الأسماء الحسنى ذكرت هنا لبيان طريقة التعبد وإلا فالحقيقة أنك لم تستشعر كيفية التعبد بهذا الذي ذكرناه فيها إلا من خلال الآيات وتطبيق الآيات على مواقفك الخاصة في حياتك ، كل إنسان له مواقف لو يتذكر مواقف الأنبياء فيها لعلم كيفي يتعبد لله عز وجل ، واقتداءً أن يستحضر مواقف الأنبياء ويقتدي بهم في ذلك ، كما قال موسى مثلاً في ذكر المعية قال { كلا إن معي ربي سيهدين } عندما قال له أصحابه إنا لمدركون ، تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ) ، هي مواقف تجعل الإنسان يستحضر هذا المعنى ، ولوطاً كان يأوي إلى الله عز وجل في لحظة ضعف شديد جداً من الأسباب المادية والافتقار إلى قوة محسوسة يدفع بها الكفرة والمجرمين الذين يريدون البطش بأضيافه وهددونه بأنواع التهديد فيقول { لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد } يقول النبي صلى الله عليه وسلم عاتباً عليه مبنياً وجود الركون في قلبه إلى الركن الشديد يقول : ( لقد كان يأوي إلى ركن شديد ) ، تأمل في كل مواقف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، في جميع قصصهم تجد استحضار فعل الرب وكمال صفاته عز وجل وأسمائه الحسنى هو الذي يملأ قلوبهم .

هذا نوع عليه السلام لما قال له ابنه { سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم } لا يعصمك جبل ولا شيء إلا أن يرحمك الله ، ثم يقول بعد ذلك { رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين } انظر ، هو لم يزد في توسله ودعائه على ذلك ، ولم يسأل صراحة وإنما قدم صفات الرب عز وجل { وأنت أحكم الحاكمين } قال عز وجل { فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين } المغفرة والرحمة ، لو تبعت كل مواقف الأنبياء لوجدت هذه التعلق بأسماء الله عز وجل وصفاته ، كما ذكرنا من قبل في المجادلة التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير } هنا تجد الارتباط بالأسماء والصفات واستحضار هذا المعنى جيداً وهي تدعوا الله عز وجل تشتكى إليه سبحانه وتعالى وتعلم أن الله عز وجل سميع بصير ، سبحانه وبحمده .

كذا { يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز } يذهبكم ويأتي ، أفعاله عز وجل صفات فعلية ، وهو الغني الحميد سبحانه وتعالى ، أن نمر هذه الأسماء الحسنى على قلوبنا وهذه الأفعال والصفات العليا نمرها على قلوبنا ونستحضر آثارها في مواقفنا في الحياة ، فعند ذلك يملأ القلب إيماناً ، وحاجة الإنسان إلى أن يقف كل يوم مع آيات القرآن العظيم حاجة لا يمكن أن يستغني عنها ، لذلك الفاتحة فرض في كل ركع من الركعات ليستحضر أسماء الرب والإله الرحمن الرحيم الملك ، وأنه يعبد ويستعين به ، فهو الله الذي يستحق أن يعبد لأنه الإله ، وهو الذي يعين سبحانه وتعالى وهو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم ، وهو الذي يغضب على من علم الحق وأعرض عنه وهو الذي يضل من لم يهتدي إلى الحق لإعراضه والعياذ بالله فجعل الحق وأعرض عنه ، فأنت تقرأ الفاتحة كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل تبدأها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وتشهد آثار الربوبية ، لأنك تضيف كلمة الرب إلى العالمين ، وفكر بقلبك في هذه العوالم المتسعة فالله هو ربها وما لكها وخالقها ورازقها وهو عز وجل له الحمد على كمال أسمائه وصفاته وله الحمد على نعمه ، وإنعامه على عباده فعل من أفعاله وصفة من صفاته ، هو الذي أنعم هو الذي أعطاك هو الذي جاد ، النعم الدينية والنعم الدنيوية ، التكرير بالرحمن الرحيم . الرحمة العامة والرحمة الخاصة . ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ، فتستحضر هذا المعنى ، ومعنى المحاسبة لأن الله الذي يحاسب العباد يدينهم هو الديان سبحانه وتعالى فهو مالك يوم الدين ، ثم تستحضر أنك تفرد وحده { إياك نعبد وإياك نستعين } ، نفرد بالعبادة والاستعانة ، { أهدنا الصراط المستقيم } الهداية منه عز وجل فهو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم ، { صراط الذين أنعمت عليهم } أنت الذي تنعم يارب وأنت الذي تهدي ، والذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هم الذين وحدوا الله وعبدوه واستعانوا به عز وجل على عبادته ، { صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم } الله الذي غضب على اليهود وأمثالهم ممن علموا الحق وأعرضوا عنه ، { ولا الضالين } الذين ضلوا وأضلهم الله عز وجل على علم بعد أن أعرضوا عن الحق وجهلوه والعياذ بالله عبد أن بلغتهم الحجج ، الوقوف على أسرار الفاتحة بتدبر الفاتحة سبب أساسي لحضور معارف القلب المؤمن بأسماء الله عز وجل وصفاته وتعبده الله عز وجل بها .

تقول ( سبحان رب العظيم ) ( سبحان ربي الأعلى ) في الصلاة ، وتقول ( سمع الله لمن حمده ) ( الله أكبر تأمل كل حركات الصلاة وسكناتها هي ذكر لكلمات الرب عز وجل .

( الله أكبر ) ذكر أنه الكبير سبحانه وتعالى وهو أكبر من كل شيء .

وأنه يسمع من يحمده سبحانه وتعالى ( سمع الله لمن حمده )

وتحمد الله عز وجل ثم تكبر وتسجد وتقول بين السجدة رب اغفر لي رب اغفر لي ، تطلب مغفرته ، تقول ( اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني ) أفعال من هذه ، أفعاله هو عز وجل .

أنت في كل لحظة من اللحظات تستحضر كلمات الرب وتستحضر أفعاله سبحانه وتعالى وتستحضر صفاته عز وجل وأسمائه الحسنى .

تدبر { قل هو الله أحد } التي نستسهل أن نكرها كثيراً وهي من أغلى وأعظم وأنفع أفضل ما نقرأه من القرآن ، ولكن نكرها كراً ، لا نكاد تدبر ما فيها { قل هو الله أحد ، الله الصمد } الذي يصمد إليه ، فهو عز وجل واحد أحد لا يلد ولا يولد سبحانه وتعالى { لم يلد ولم يولد } هو عز وجل لا نظير له ولا كفاء له ، واحد أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله وواحد في أولوحيته وواحد في ربوبيته ، لا يجعل معه شريكاً سبحانه وتعالى ، لا من الأولياء ولا من الأنبياء ولا ملائكة ولا يوجد من يعينه على ملكه ، { قل هو الله أحد الله الصمد } الذي نصمد إليه نلجأ إليه في حوائنا ونتضرع إليه في كل ما نحتاجه ، وهو الصمد الذي لا يقتدر على شيء وهو عز وجل مستغني عن كل شيء ، لا يأكل ولا يشرب ولا خوف له ، وهو النور الباقي سبحانه وتعالى ، لم يلد ولم يولد ، من صفات النفي وتنزيه الرب عز وجل عما يقوله الكافرون علواً كبيراً ، والله لو تدبر الذين يدهنون اليهود والنصارى هذه السورة لما وقعوا في هذا الذي وقعوا فيه ، ولما داهنوه وقالوا عنهم مؤمنون وقالوا عنهم احبابنا وإخواننا ، لو تدبروا { لم يلد ولم يولد } وعلموا أن السموات والأرض تكاد تتشقق من ذكر من دعا للرحمن ولداً ، وبعد ذلك تجدهم يعظمونهم أشد التعظيم ويساوون بينهم وبين أهل الإسلام ، ويقاثلون على هذه المساواة ، أتساوي بين من يقول الله أحد لم يلد ولم يولد وبين من يدعي الله عز وجل الولد والصاحبة ويدعي أن الله ثلاثة ؟! ، سبحانه الله عن قولهم علواً كبيراً ، { لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد } ليس له نظير ولا مثيل ، أي أحد ليس كفواً لله عز وجل ، لو امتلأ الأرض بهذا لما خاف أحد من غير الله عز وجل ولما عظم أحد كتعظيم الله سبحانه وتعالى ، تأمل آية الكرسي وتأمل فواتح السور وخواتيمها تجد أمراً آخر يختلف تماماً عن الكلام مع أهل البدع ، لذلك نقول أنه لا بد من تذكر هذه المعاني واستحضارها في القلب من خلال . أدوات . وهي أنواع العبادات وهي الأواني التي يعدها قلب المؤمن لتنزل فيه الخيرات والبركات فيما يتعلق من أسماء الله وصفاته وتدبر آياته { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبوا آياته وليتذكر أولوا الألباب } عامة آيات القرآن في ذكر أسماء الله وصفاته ، عامة آيات الأحكام محتومة بـ { الله عليم حكيم } والله عليم قدير والله عزيز حكيم . تجد هذا أمراً لا يوجد في كتب الفقه المجرد التي تخصص في ذكر عقوبة السارق مثلاً ، { السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم } { فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم } { ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله غفور رحيم } هذه المعاني ارتبطت ارتباطاً وثيقاً في ذكر حد السرقة ، وكذلك تجد هذا الأمر في أمر سائر الحدود ، تبين الأحكام الشرعية مقترنة بمعرفة الرب سبحانه وتعالى ، فهي قضية عظيمة الأهمية ولا تجد هذا في غير القرآن وفي غير أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تمتزج فيها العلوم الإيمانية والإسلامية كلها مع بعضها وتحقق التوازن في شخصية المسلم ، كما ذكرنا لا بد من أواني تمتلئ بهذه المعارف .

لو لم تأتي بإناء لم يمتلئ قلبك بذلك ، لم تعطى ولم تمنح ، فهذه الأواني هي العبادات المختلفة . عبادة الحج والعمرة وعبادة الصيام ، وأعظم ذلك قرّة العين وهي الصلاة والذكر وتلاوة القرآن وهي متضمنة لكل هذه الأنواع بفضل الله عز وجل .

الغرض المقصود أن نصيب الإنسان من الإيمان على قدر نصيبه من هذه المعرفة .

نذكر جملاً من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله :

وإن كنا أطلنا في هذا الباب وأطلنا النقل فيه لقلته في الحقيقة في كتب التوحيد ، إنما الغرض المقصود كما ذكرنا أن الغذاء لا بد أن يأخذ نصيبه ولا نكتفي فقط بالأدوية التي مر الكلام عليها ، لأن أكثر الكتب المتناولة للعقيدة تهتم بالأدوية فنسي كثير من الناس أو ظن أن الإيمان هو هذه الأدوية فقط ، الأدوية لا بد منها لمداواة البدع ولكن لا بد أن تغذي بحقائق الإيمان .

قال ابن القيم رحمه الله في طريق المجترين في بيان التعبد لله عز وجل بإسمائه . الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر )

النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول هذا في كل ليلة يأوي فيها إلى فراشة ، وهذا دعاء عظيم القدر ، لو أتيت له من أوله تجد أكثر مما سرده ابن القيم أضعافاً مضاعفة .

( اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحق والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر ) الإنسان لم يتأمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أنه يأخذ رحله في الكون الواسع بقلبه ( اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ) يصغر وتصغر الدنيا كلها في عينه ويصغر كل الخلق ، لما يستحضر العبد ربوبية الله للكائنات جميعاً ( اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ) مالك كل شيء وخالق كل شيء يدبر أمر كل شيء الأمر الناهي على كل شيء سبحانه وتعالى هو المستحق لأن يأمر وينهي لأنه الذي يفعل ذلك سبحانه وتعالى ، أوامره الكونية لكل شيء ، معاني الربوبية ( ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ) لما يتدبر الإنسان من يقدر على فلق الحبة ، فعند بذر البذر هناك بذر يفتح وهناك من لا يفتح ، سبحانه الله تجد نواه حية وصار منها انفلاق ( فالق الحب والنوى ) فعند تذكر هذا المعنى يتذكر معنى بداية الإنسان وإنزال الكتب السماوية ( منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ) وفي الرواية الأخرى ( أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ) استحضار أن الله آخذ بناصية كل شيء ، تأمل هذا المعنى ،

نقول مثلاً أن من أسماء الله الآخذ ؟

لا ليس من أسماء الله الآخذ ، بل هو آخذ بناصية كل شيء ، فالذي يضع قاعدة لأسماء الله لم يستفيد شيء من هذا . وهذا لا يجوز مع الأسماء الحسنى ، فالحدود التي وضعوها تضيع عليهم خير كثير جداً .

نعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، هذا المعنى معنى عظيم القدر ، نواصي الخلق جميعاً من عدو وصديق وحبيب وبغيض ، وكل هؤلاء الخلق من إنس وجن وحشرات وكائنات والسموات والأرض والكواكب الشهب ، فهو سبحانه وتعالى آخذ بناصية كل شيء ، ( أعوذ بك من شر كل شيء ) رواية كل شيء أعم من رواية كل دابة ، السنة بينت أن الله آخذ بناصية كل شيء يوجهه حيث يشاء ، يعني لو أن هذه الأشياء توجهت علينا يهلكنا الله عز وجل بها ، طيراً أبابيل أرسلها الله على أصحاب القيل ، لو أن هذه الحشرات خرجت من أماكنها مثلاً ، كأن يقولون أن النمل هجم على قرية من القرى أو بيت من البيوت أو الناموس مثلاً ، تخيلوا لو أن بلد مليئة بالناموس ، هذه النواصي من الحشرات والوحوش بيد الله عز وجل ، لو خرجت وبدلاً من أن تشغل بنفسها انشغلت بالبشر ، قال تعالى { فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين } سبحانه الله .

( أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء )

ونسلم كلام ابن القيم رحمه الله في محاول جميلة وعظيمة لتدبر هذه الأسماء الحسنى ، وفكر فيها جيداً وفي كلام ابن القيم لأن هذه الأسماء من جهة الزمان والمكان يعرف حجمه في المكان والزمان ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الأول الذي لم يزل والعبد هو الذي يفنى ولا بد وأن يزول ، وهو لم يكن قبل ذلك .

قال : " واعلم أن لك أنت أولاً وآخرأً وظاهراً وباطناً ، بل كل شيء له أول وآخر وظاهر وباطن " ، نعم كل شيء مخلوق حتى اللحظة واللحظة أي تلحظ بعينك ، يعني أنت نظرت على واحد ثم واحد آخر بعده ، هذه اللحظة إليكم كان له أول وآخر أليس كذلك ، والخواطر : عندما تحسب مثلاً في كم شيء فكرت من ساعة أن استيقظت اليوم ؟ كم خاطرة خطرت على قلبك ، بل أنت لم تعدها كثرة ، وكان لهم أول وآخر . ونحن كذلك أتينا وسننتهي ، وغيرنا كذلك أتى ثم رحل ، فالكل له أول وآخر .

" حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدى من ذلك وأكثر ، فأولية الله سابقة على أولية كل ما سواه ، ما من أول إلا والله قبله ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، " فأولية الله سابقة على كل ما سواه ، وآخرته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه ، هو بذاته الآخر سبحانه وتعالى ، من يقيهم الله عز وجل يبقون بإبقاء الله لهم لا بأنفسهم ولا بذواتهم { خالدين فيها بإذن رحمهم } الله الذي يقيهم كما أنه هو الذي أوجدهم أولاً ، هذه القضية قضية عظيمة الأهمية ، رغم وقوع مسائل كلامية في هذا الباب وهناك من يقول بمخلوقات لأول لها ، وهي زلات في الحقيقة ، لو أن هناك تذوق لطعم الإيمان والله يجزم بخطأ هذا القول . مخلوقات لا أول لها . حتى لو قالها شيخ الإسلام ، وما كنت أحب أن أنوه عليها لولا أنها ذكرت في بعض كتب الأفاضل المعاصرين .

وهذا كلام باطل قطعاً ، والله العظيم وأقسم بالله العظيم هذا كلام باطل ، بل ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) وهو في البخاري ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن أول ما خلق الله القلم ) هي روايات لا يصح أن نتكلم بعدها بكلام مخالف للسنة ، والمخلوقات كلها كانت عدماً ، لم يكن شيء غيره سبحانه وتعالى ، وهو الآخر بذاته بعد مخلوقاته ، لأنه هو الذي أحبرنا ببقاء بعض المخلوقات أبدية { خالدين فيها أبداً } من يحييهم الله عز وجل من الملائكة والولدان المخلدون وأهل الجنة وأهل النار والنار لا تنفى ولا تغنى وإن كان يتجدد ، فكل نعيم بعده نعيم آخر ، وكل حياة بعدها حياة مستمرة لا تنقطع ، لكن هذا لوجود الخبر بذلك ، أما في البداية فلا ، والله آخر بعد كل شيء بذاته سبحانه وتعالى ، ولولا أن الله أبفاهم لما بقوا ، فأولية الله سابقة على أولية كل ما سواه وأخرته ثابتة بعد كل ما سواه ، فأوليته سبقه لكل شيء وأخرته بقاءه بعد كل شيء وظاهرته سبحانه وفوقته وعلوه على كل شيء ، سيأتي الكلام على التباعد لله باسمه الظاهر خلافاً لمن يقول أنه في كل مكان . هم لا يدركون شيئاً من هذا المعنى ، النبي صلى الله عليه وسلم يصرح ( وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ) لفظ الفوقية الذي يفر منه المأولة والمجهلة والمفوضة ، رغم أنه لفظ صريح ، فالله فوق العرش وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الله قبل ذلك { يخافون رحمهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون } عجباً والله ، واحد يقرأ القرآن ثم يكون مرجوف من كلمة فوق .

يقول ابن القيم رحمه الله : " وظاهرته سبحانه وفوقته وعلو على كل شيء ، ومعنى الظهور يقتضي العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه ويطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه " بطونه : إحاطته وليس دخوله ، إنما أحاطته به وأنه أقرب إليه من كل شيء حتى من نفسه ، وهذا قرب غير قرب الحب من حبيبه ، قرب الإحاطة غير كل المحبة ، قرب الإحاطة لكل الأشياء { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } أقرب إليه من نفسه لأنه سبحانه وتعالى يسمع ويرى ويعلم ويقدر على ما في باطن الإنسان بما لا يحيط به الإنسان ، وهذا والله معنى صحيح وظاهر جداً لمن يتأمل ، قال عز وجل { ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلاء الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى } وهذا أيضاً من مواطن بدايات السور وهي مليئة بأسماء الله الحسنى ، الله يعلم السر وأخفى ، والسر يشمل ما أسره الإنسان في نفسه { فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم } لا يلزم أن يكون السر بين اثنين ، بل من الممكن أن يكون السر مع نفسك فقط أي تسرها في نفسك ، ومع ذلك فهناك ما هو أخفى من السر ، وهذا صحيح ، فالإنسان يخفى عليه كثير من داخله ، ودوافع خفية جداً تظهر أحياناً وتختفي أحياناً وقد لا تظهر ثنائياً إلى أن تظهر يوم القيامة ، إبليس كان مليئاً بالكبر من الداخل ولم يظهر عليه شيء ، ومع ذلك ظهر هذا في ابتلاء في موقف معين ، نسأل الله أن يستر علينا في الدنيا والآخرة وأن يعافينا في الدنيا والآخرة ، فمعنى الأحاطة

والقرب والدنو ، أدنى إليه من نفسه ، ليس دونه شيء ، ليس يقرب إلى أحد من المخلوقات شيء كقربه عز وجل ، هو عز وجل أقرب إلى كل شيء من نفسه ، وهذا القرب لا يقتضي مسافات ولا يقتضي حلولاً ولا اتحاداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، التفكير في هذا الباب لا يتم بما نعلم من القرب بالأجسام ، بل هناك أشياء كثيرة جداً تصفها بالقرب ومع ذلك هي بعيدة من جهة الجسم ولا تدري كيفية قربها من الأشياء .

سأذكر لك مثل ولا أعني أن هذه حقيقة في حق الرب سبحانه وتعالى :

الموجات الكهرومغناطيسية الموجودة الآن بيننا ، هل هي موجودة أم لا ؟ وهل هي قريبة ؟ ، أنا لا أعرف صراحة كيف دخلت هنا ، ولكن لو أتيت بجهاز ترانزستور ستسمع منه محطات كثيرة جداً أتت من الموجات الذي تنطقها هذا الجهاز ، ولو أتيت لتفزيون سيأتي لك بالصور ، ويأتي لك محطات فضائية ، فهل هي قريبة منا؟ ، لا نعرف ، وهذا لا يقاس بالسنتيمتر ولا بالمللي متر .

أنا أقول مثال للمخلوق وصف بأنه قريب وفي نفس الوقت لا تعرف أن تصف كيفية قرب ، لأننا لا نعرف حتى اليوم كيفية هذه الموجات ، لأن لها نظريات في توصيفها ، وإلا فتوصيف الحقيقة لها لا نعرفها والله أعلم سنعرفها أم لا . ولكنها نظريات في توصيف هذه النظريات المغناطيسية التي يبني عليها أشياء كثيرة جداً وينتفع بها انتفاعات عديدة .

فقرّبها وبعدها أمر نسبي بالنسبة لها غير قريبك وبعذك أنت .

وتقول مثلاً لأحد في التليفون أنا معك وأنا قريب منك ومن الممكن أن يكون بينك وبينه مسافات عديدة ، فـقرب الله عز وجل من خلقه قرب يليق بجلاله وعظمته وإحاطته لا تشبه إحاطة مخلوق بمخلوق ، حتى لا تتصور معنى معين ، ولا يلزم من ذلك أن الله يكون داخل الأشياء ، بل الله عز وجل فوق العرش وهو أقرب إلى كل شيء من نفسه بلا كيف ، هذا الكلام ليس متناقض بل هو كلام واضح وصريح لكل من يتدبر أن الله أعلم به من نفسه ، لا نقول أن القرب هو العلم بل يستلزم العلم ، نقول أنه قرب علم وقرب سمع وقرب بصر ، نقول يستلزم ذلك وليس أنه هو العلم ، هو يعلم عز وجل ولكنه قريب ، وهناك فرق بين قريب وبين يعلم ، كل من يدرك اللغة العربية يدرك هذا الأمر " الله عز وجل أقرب إليك من نفسك " ، وكما قال الله عز وجل { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } ليس أن الملائكة هي الأقرب ، هذا ليس كلام الملائكة بل هو كلام الله سبحانه وتعالى ، { ولقد خلقنا الإنسان } الضمير يعود على الله عز وجل ، وذلك هو الصحيح ، وأن الله هو أقرب للإنسان من حبل الورد ومن الجزء الداخلي من رقبته قريباً يليق بجلاله وعظمته ، وكذا { ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون } قرب يليق بجلاله وعظمته كقرب الإحاطة ، وقرب القدرة عليه ، وهذا غير قرب المحبة الخاص بالمؤمنين مثل ( من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني بمشي أتيته هرولاً ) فهذا القرب قرب آخر ، أما القرب العام يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن والجماد والكائنات كلها . قرب العلم والإحاطة . نحن نضيف له العلم حتى نوضح معناه ، وقرب الإحاطة كذلك حتى نوضح معناه ، وليس أننا نقصد بأنه العلم ، لكن حتى نفرق بينه وبين قرب المحبة والتكريم والإجابة وأنه قريب لمن دعاه سبحانه وتعالى { إن رب قريب مجيب } قرب من نوع آخر ، قريب ممن يدعو ويتضرع إليه ويلجأ إليه ، قريب يجيب سبحانه وتعالى ، قرب غير قرب المحب من حبيبه ، هذا لون وهذا لون .

يقول : " فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمنية ومكانية ، فأحاطت أوليته وآخرته بالقبل والبعد " فكل شيء قبل فالله قبل ذلك ، وكل شيء بعد فالله بعد ذلك سبحانه وتعالى

" فكل سابق انتهى إلى أوليته " ، كل سابق وهذا إعادة الكائنات ، فالذي يأتي أولاً بمشي أولاً ، فكل سابق فالله عز وجل قبله ، انتهى قبل أولية الله عز وجل ، أنهى لأن قبله أولية الله ،

" وكل آخر انتهى إلى آخريته " أنهى والله بعده سبحانه وتعالى .

" فأحاطت أوليته وآخرته بالأوائل والآواخر ، وأحاطت ظاهرته وباطنيته بكل ظاهر وباطل ، فما من ظاهر إلا والله فوقه " لأن الله فوق العرش ، وأيضاً ما من ظهور بمعنى الغلبة والقوة إلا والله ظاهر فوقه بمعنى الغلبة والقوة أيضاً ، يعني ظهور القهر وعلو الشأن وعلو الذات كلها معاني ثابتة ، فالله عز وجل ظاهر فوق خلقه جميعاً وقاهر فوقهم جميعاً ، كما أنه فوقهم جميعاً ، لأنه فوق العرش والعرش سقف لجميع الخلوقات ، فما من ظاهر إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه ، هنا كلام النبي صلى الله عليه وسلم ( وليس دونك شيء ) لأن دونه يعني بينه وبينه ، فالله أقرب إليه ، فالذي بينك وبينني أنك تنظر إلي وتبتسم فيظهر أنك تحبني والله أعلم بالداخل ، لأن ظاهرك حجب باطنك ، كم من أناس يضحكون لك وهم أناس يكونون إليك الحقد والعداوة والحسد ويتمنى لك كل سوء ، ما الذي حجب ذلك ؟ ظاهره حجب باطنه ، أحياناً تفتش ولا تعرف أيضاً ، ولو فتحت قلبه تجد أشياء أكثر ، يحاولون أن يخرجوا كل ما في الداخل ، والله تعالى أدنى إليهم من أنفسهم ، ما من باطن إلا والله دونه ، مهما كان هناك شيء داخل فالله عز وجل أقرب إلى كل شيء من نفسه ، ما من ظاهر إلى والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه ، لا تظن أبداً أنه بداخله ، فلم يقل إلا والله داخله ، ولم يقل والله هو الباطن فيه ، بل قال : ( الباطن فليس دونك شيء ) دوني يعني أقرب لي وأبعد الشيء الآخر عني لأنه بيني وبينه ، الله عز وجل ليس بينه وبين الخلق شيء يحجبه عن علمه وقدرته ، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلى والله بعده ، فالأول : قديمه ، وهو إثبات القدم لله وهي الأولية ، وهذا من باب الترجمة وبيان المعنى لأن اسم القلم ليس من أسماء الله الحسنى على الصحيح ، والآخر :

دوامه وبقاؤه ، والظاهر : علوه وعظمته ، انظر إلى الاقتران { وهو العلي العظيم } وهذا فقه عظيم للإمام ابن القيم رحمه الله وهو أن العلو يقتضي العظمة ويقتضي القهر سبحانه وتعالى ، ودائماً اسم العلي يقتنر كثيراً في القرآن بالعظمة والكبر .

يقول { وهو العلي العظيم } { وهو العلي الكبير } { الكبير المتعال } هذه معاني متلازمة .

الظاهر : علوه وعظمته ، والباطن : قربه ودونه ، فسبق كل شيء بأوليته ، وبقي بعد كل شيء بآخرته ، وعلا على كل شيء بظهوره ، ودنى من كل شيء ببطونه ، دنى : قرب سبحانه وتعالى من كل شيء بكونه الباطن الذي ليس دونه شيء .

فهو يفسر هذا المعنى تفسير جميل رائع ، يقول : " فلا توارى منهم سماء سماءً ولا أرض أرضاً "

فالسما الدنيا دوننا ودون السماء الثانية ، والسماء الثانية دوننا ودون السماء الثالثة ، فهي توارىها عنا ، لا نراها لأنها بعيدة بالنسبة إلينا ، والمسافات التي بيننا وبين السماء والأرض دوننا ودون السماء ، الله ليس دونه شيء ، لا فرق بين البعيد والقريب ، وهو الكبير المتعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، فالذي يختفي لا يختفي على الله ، الظاهر والخفي سواء لله ، السر الذي تسره كان سره لأن المسافة لم تجعلني أسمع لأن دوني ودونك مسافة جعلت الأصوات غير مسموعة فهناك من يصلي الآن مثلاً وهناك أصوات لم نسمعها الآن ، وهناك انفجارات تحدث في الشمس فلا نسمعها ولا نراها بسبب المسافة التي دوننا ، الله عز وجل ليس دونه شيء .

" لا توارى منه سماء سماءً ولا أرض أرضاً ولا يحجب عنه ظاهر باطناً " أي أن الظاهر لا يغطي الباطن ، الباطن والظاهر في قرب الإحاطة والعلم سواء ، بل الباطن له ظاهر ، والغيب عنده شهادة ، والبعيد منه قريب ، والسر عنده علانية ، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخرته يعني مع آخرته ، ليس كالمخلوقات ، هو الأول مع كونه الآخر ، هو الأول مع آخرته والآخر في أوليته ، يعني مع كونه الأول كان هو الآخر ومع كونه الآخر كان هو الأول ، وهو الظاهر في بطونه والباطن في ظهوره ، لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطناً ،

ليس معنى أنه فوق العرش أنه بعيد عنك ، بل هو كما قال { ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم }

( ويعلم ما أنتم عليه ) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ١٤- رتبتان للتعبد لله بالأسماء والصفات

كما نتكلم عن مسألة من أعظم المسائل أهمية هي مسألة الأسماء والصفات وقد ذكرنا جملة من كلام ابن القيم رحمه الله في التعبد لله سبحانه وتعالى باسمه الأول والآخر والظاهر والباطن وشرح معانيها والتدبر فيها

ثم يقول رحمه الله " والتعبد بهذه الأسماء رتبتان الرتبة الأولى أن تشهد الأولية منه تعالى في كل شيء والآخرة في كل شيء والعلو والفوقية فوق كل شيء والقرب والدنو دون كل شيء " الشهود كل الأسماء والصفات عموماً التعبد لله سبحانه وتعالى بها مرتبتان ، الرتبة الأولى العلم والثانية العمل الرتبة الأولى الشهود وهو يذكر ليبين معنى أخص من معنى العلم أو أحد أجزاء العلم وهو استحضار القلب وشهوده لمعاني وآثار الأسماء والصفات وليس فقط إحسان المعاني فالعلم قد يطلق فيهم كثير من الناس أن العلم هو أن يحفظ الأسماء الحسنی وأن يعرف معانيها إن كان يحتاج الأمر إلى بيان المعنى ولكن استعملت كلمة الشهود ليستحضر الإنسان آثار الاسم والصفة وكما ذكرنا من يتدبر أدلة الكتاب والسنة يجدها دائماً مبنية على شهود آثار أسمائه الحسنی وصفاته العلا وأفعاله سبحانه وتعالى في الكون وهذا أمر متكرر في آيات القرآن وفي أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام سواء في الأدعية أو في الأذكار الموظفة أو في الآيات كما ذكرنا في المرة السابقة ،

الشهود أن يستحضر الإنسان معاني ويفكر في أن هذا العالم وكل شيء فيه له بداية والله عز وجل قبل كل هؤلاء وأن كل شيء كان عدماً والله عز وجل كان ولم يكن شيء غيره كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لما سأله عن أول أو بدء هذا الأمر بدء الكون قال ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) فكان الخلق كله عدماً وشهود هذا الأمر يتربط عليه بعد ذلك الجزء الثاني أو الرتبة الثانية وهو العمل وهو يقتضي عدم الإلتفات إلى شيء من هذه المخلوقات بل يعلم أنها كانت عدماً فكيف يتوكل عليها ويوثق بها وكيف يعاملها وهي كانت في وقت من الأوقات عدماً بل يعامل الله عز وجل يعبد الله يخلص له يتوجه إليه وحده كما سيأتي فالشهود يقتضي ذلك ، وكذلك النظر في الآخرة ، تفكر في أن كل شيء منك ومن غيرك له آخر ولا بد وأن ينتهي ووالله إن هذا لمن أعظم أسباب سعادة المرء في يسره وعسره فأما في العسر فظاهر كلما كان الإنسان في كرب وضيق فيفكر أن له



نهایة ، إذا كان مثلاً مظلوماً من ظالم يفكر أن لهذا الظالم نهایة إذا كان في مرض وفي شدة يفكر أن له نهایة وهذا يزيل عنه الهم والكرب وأما أهل النار فلا نهایة لشقائهم لأنهم يعلمون أنه عذاب بلا انتهاء لأن الباقي عز وجل أمر أن يبقوا وأمر أن يبقى عذابهم ولا يفتر نعوذ بالله من النار ،

وأما في اليسر فمن سعادة المرء ألا يركن إلى الدنيا ومن شقائه أن يركن إليها وإذا كان الموت هي نهایة اللذة أنت فيها مذكرة لك بالآخرة إذا تذكرت أن لهذه اللذة نهایة وأن لهذه المتعة نهایة لن يتعلق قلبك بها ونظرت دائماً إلى أنها سوف تزول فعلق قلبك بمن لا يزول فعلق قلبك بفضل منه لا يزول ولا ينقطع وشهود هذا المعنى هو بداية التعبد ، العلو والفوقية فوق كل شيء والقرب والدنو قرب كل شيء

علو الله سبحانه وتعالى وأنه العلي الأعلى بكل معنى ما من مخلوق إلا والله فوقه فوقية الشأن والقهر والغلبة والذات فهو فوق العرش وأما القرب والدنو دون كل شيء أنه أقرب من كل شيء من نفسه وليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه يقول فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه يحجبه مخلوق مثله عما هو دونه ، دوني ودونك هذه المسافة لذلك حجبك عن الرؤية أو عن تفصيلها كل واحد يرى مني جزء ، لماذا؟ لأن في أجزاء دوننا أنا أرى من الأخ الذي أمامي جزء ومثلاً في واحد حاجبني فأرى منه جزء ولا أرى الجزء الآخر وكذلك المسافات قد تكون هي التي تحجب عنا الرؤية والسمع ونحو ذلك فهذا معنى الدنو ، دونه ودونك يعني بيني وبينك يعني أقرب إلي منك أو أقرب إليك مني ولذلك أن تستحضر أن الله ليس دونه شيء لا يحجبه شيء عن شيء المخلوق يحجبه مثله عما هو دونه ،

كلمه دونه هذه بنص حديث، النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( أنت الباطن فليس دونك شيء ) صححه الألباني يعني ليس بينك وبين الخلق شيء يحجبك يقول فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب والرب جل جلاله ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه قرب الإحاطة وقرب العلم وقرب السمع والبصر وقرب القدرة سبحانه وبحمده وهذه يشترك فيها كل المخلوقات وهو عز وجل الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، المسافات لا فرق عند الله عز وجل بين القريب والبعيد ، (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) { الرعد ١٠ } يقول والمرتبة الثانية من التعبد أن يعامل كل اسم بمقتضاه فيعامل سبقه تعالى بأوليته بكل شيء وسبقه بفضلته وإحسانه الأسباب كلها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره والثوق بسواه والتوكل على غيره وهذا الكلام ذكره الإمام ابن القيم في مرتبة الفقر في المرتبة الثانية من مراتب الإفتقار إلى الله عز وجل والإفتقار إلى الله عز وجل في علم العبد وعمله بحيث لا يشهد من نفسه فضلاً

بداية الكبر العجب ، وبداية العجب رؤية كمالات النفس رؤية أن الإنسان فعل نفسك تحدثك أنك أفضل من غيرك أنك فيك من الصفات كذا وكذا أنك عملت كذا وكذا ، قضية إبليس التي أهلكته وتهلك كل الظلمة والتكبرين وتهلك حتى من أول من تسعر بهم النار أهل الإسلام الذي قرأ ليقال قارئ وعلم ليقال عالم وأنفق ليقال جواد وشهد ليقال شهيد ، استشعار كمال النفس سبب الرياء الحقيقي هو استشعار كمال النفس ، فمن أين يحصل للإنسان زوال هذه الرؤية ؟ أن ينقطع عن شهود أعماله وأحواله ومقاماته التي إذا إلتفت إليها هلك ، شهوده هو الفقر الأول وأنه هو كان عدماً وكل الكائنات كانت عدماً فبدلك شهود الأولية من الله عز وجل قبل كل شيء وأنت كنت عدماً محضاً لا فضل لك ولا خير فيك وأي شيء لك في هذا العدم يقطع عنك شهود الفضل لنفسك ويجعلك تعلم أن الفضل لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له يعامل سبقه تعالى بفضلته وإحسانه الأسباب كلها أنت فتنك أسباب من الخير أنت كنت بعضها ، والحقيقة أن كل هذه الأسباب كلها محض فضل الله يعني أنت أردت الخير جئت إليه سعيته إليه وكان في أسباب قبل ذلك أنك ولدت على الإسلام وأبوك نشأك عليه ووجد نم نشأك عليه أبوك أو أحد من الناس أو رجل التزمت على يديه وتعلمت على يديه الطريق إلى الله وقبل ذلك من سبقونا بالإيمان وقبل ذلك وقبل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وكل ذلك أسباب ، الله عز وجل هو الذي أتانا بما فشهود العبد بأن الله سبق الأسباب كلها سبق فضلته وإحسانه إليك الأسباب كلها فتعامله بمقتضى هذا بإفراده بشهود الخلق والنعمة وأنه ذو الطول سبحانه وتعالى وأنه ذو المن المنان الذي من عليك وعلى غيرك وأن فضلته على الخلق جميعاً هو الفضل العظيم وليس للناس فضل من قبل أنفسهم والله الذي أعطاهم الفضل وجعل بعضهم ذا فضل على بعض لكن شهودك أن الله سبق بفضلته إليك وإحسانه إليك هذا كلها بما فيها أنت يقتضي أن تفرده وحده بشهود الفضل وألا تلتفت إلى غيره لا تلتفت إلى نفسك لا تلتفت إلى عملك لا تلتفت علمك لا تلتفت إلى الأسباب لا تقل أنا الذي فعلت ، كلما نفسك تقول لك أنا الذي فعلت أشهد فضل الله قبل ذلك للتخلص من هذا الأمر وحتى لا تنبت الشجرة الخبيثة شجرة الإعجاب بالنفس التي تنبت الرياء وتنبت الكبر وحب مدح الناس والرغبة في الثناء منهم والتطلع إلى ما في ألسنتهم وقلوبهم وكذلك ألا تتوكل عليهم ولا تنظر إلى أن أحداً منهم يملك فضلاً لك ولا يملك خيراً لك الخير كله في يديه سبحانه وبحمده ، يقول فمن ذا الذي شفع لك حيث لم تكن شيئاً مذكوراً حتى سماك باسم الإسلام ووسمك بسمه الإيمان من ذا الذي شفع لك في هذا الغيب البعيد حين كنت في علم الله عز وجل ولم تكن شيئاً في الواقع وأراد الله أن يخلقك مسلماً وأن يمن عليك بالإيمان فهذا الأزل الأول الذي لم يكن أحد من الخلق فيه موجوداً من الذي شفع لك فيه أنت ومن معك الآن ممن أحياناً تفضل عليهم وترى نفسك أفضل منهم كنتم في ذلك الأزل شيئاً واحداً والله عز وجل هو الذي من عليك باسم الإسلام سماك باسم الإسلام ووسمك وعلمك بسمه وعلامة الإيمان في مراحل بعد ذلك وجعلك من أهل قبضة اليمين يوم قبض من ظهر آدم قبضة يمينه وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض قبضة بشماله وقال هؤلاء في النار ولا أبالي ، فأين كان علمك وعملك في ذلك الوقت وأين كان منزلتك من سيقك من علمك ومن رباك ومن كان من آبائك كذا فضل أو من معلميك أو من أساتذتك ومشايخك كذا فضل حتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أتاه الله الفضل العظيم وجعل له الفضل على غيره من عباد الله لكن كل الخلق في ذلك الغيب البعيد حين كتب الله مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ وكلهم كانوا عدماً وفي يوم القبضة لم يكن هناك أحد يشفع لك وإنما محض فضل الله وجعلك من أهل قبضة اليمين وأقطعك في ذلك الغيب عمالات المؤمنين ، إعطاك أقطاعاً مجاًناً من غير سعي منك ولا كسب كتب له في اللوح المحفوظ ثم في كتابات الكتب بعد ذلك حين كتب أمر الله بكتابه كتابين كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آباؤهم وكتابه فيه أسماء أهل النار وأسماء آباؤهم فكتب في هذا الغيب البعيد أعمالك ومن الله عليك بلا سبب منك أعمال المؤمنين كتب لك أن تصوم وتصلّي وتعبّد الله تحبه وترجوه وتحفه فمن أين لك أن تشهد فضل نفسك بذلك لو استحضرنا هذا

المعنى زال عنك شهود الفضل لنفسك وعلمت أنك أعطي هذا بفضل محض من الله ومحض فضل الله عز وجل وأقطعك في ذلك الغيب عمالات المؤمنين فعصمك عن العبادة للعبيد فتأمل في ذلك وأنت تتأمل من غيرك ، أنت ولدت في معين ولد فيه مئات الألوف من البشر وأكثرهم الآن في نفس سنك وفي نفس عمرك يعبدون غير الله ويعبدون العبيد ومنهم خاضع ذليل للشياطين الأنس والجن ومنهم خاضع للأوثان ، أنت بفضل الله معصوم من الشرك إلى الآن عصمك الله إلى الآن وترجوه فيما بعد الآن وعصمك من العبادة للعبيد مع أنك لم تكن تعبد شيئاً كتب هو كافراً وكتبت أنت مسلماً كتب هو يعبد الوثن ويعبد الطواغيت ويعبد الأحرار والرهبان والصلبان وكتبت أنت لا تسجد إلا للرحمن فمن أين لك الفضل ، الله ذو الفضل العظيم سبحانه وبحمده فهذا يمنع من الإعجاب بالنفس ، يمنع من شهود الأحوال والإفتقار إلى الله عز وجل بترك الدنيا أو درجات الارتقاء بكون نفوس البدين منها والشعور بالسلامة منها ضغطاً أو طلباً هو بحقارته عند الله عز وجل لكن أهم منها العقبة الثانية التي يهلك الشيطان فيها كثيراً من أهل الأعمال الصالحة ومن أهل العلوم النافعة لي يهلكهم كما يهلك باقي الناس في الدنيا ، العقبة الثانية هي عقبة شهود الأحوال والأعمال والمقامات شهود فضل النفس والإعجاب بها ورؤية كمالها فالذي يحصصك من ذلك ويخلصك من ذلك أن تشهد أولية الله عز وجل فعصمك عن العبادة للعبيد وعزلك عن الرق لمن له شكل ونديد ، غيرك التزم الرق والله خلقه حراً وهو التزم أن يكون رقيقاً عند غير الله يقولك أنا العبد المأمور أنا أسمع وأطيع ولو في الكفر والعباد بالله كم من البشر يسمع ويطيع في الكفر بالله في سفك الدماء في ارتكاب المحرمات لأنه يرى نفسه عبداً عند سيد سيده هو الذي يأمره وينهاه وسواه رب العالمين في تنفيذ الأوامر والتزام الكلام كأنه مقدس ملايين البشر يفعلون ذلك في المشارق والمغرب وأنت تسارع وتمانع في ذلك وتقول لا ألتزم الرق إلا الله ، لا أطيع طاعة مطلقة إلا الله ، هم يعبدون ويرقون ويدلون لمن له أشكال مشكلين له على نفس شكله ولم أنداد ينازعونهم ومع ذلك قبلوا أن يكونوا رقيقاً عندهم عند البشر أو عند الأحجار أو عند الأبقار أو عند الأحرار أو عند الصلبان قبلوا أن يكونوا رقيقاً عند هؤلاء ، تجد البقرة مثلاً معظمة جداً في الهند والعالم كله يهين البقرة إلا الهنود والهندوس ماذا يفعلون ؟ ألتزموا الرق لها يركعون ويسجدون لها وكل ذلك وكل ما يعبد من دون الله عز وجل فأنت اعتقت اعتقك الله في ذلك الغيب الوحيد

يقول " ثم وجه وجهه قلبك إليه سبحانه دون من سواه " يعني بعد وجدت أنت في ذلك الغيب كتبت مسلماً وأعطيت وكتبت أعمالك عملاً عملاً كلمة كلمة من كلمات الخير التي وفقت لها كتبت قبل ذلك فأعطيت ذلك وعصمك الله من الشرك ولما ولدت ونشأت وجه الله وجهه قلبك إليه جعلك تعرفه وتحبه وتختار الطريق إليه وغيرك في نفس اللحظة مشغول بوجهات آخر ، واحد يموت على واحدة ، الثاني يموت على مال واحد وجهته وجهت على حب الرياسة والملك والوظيفة ومشغول الآن ومهلك نفسه في ذلك ، وأنت وجهت أنت تتعلم ما أمر الله به لأنه تحبه وترجوه وتخافه وتريد أن تخلص له وتجاهد نفسك في إخلاصك لله سبحانه وتعالى فالله هو الذي وجهه وجهه قلبك إليه وكان في لحظة من اللحظات لم تكن ملتزم ولا كنت تريد السير في هذا الطريق فمن الله عليك بالهداية ووجه وجهه قلبك إليه دون من سواه فاضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم تضرع إليه فاضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم وقضى لك بقدم السبق في القدم أن يتم عليك نعمه هو ابتدأها وكانت بدائيتها منه بلا سبب منك ليس لك سبب في ذلك الوقت ولا فيما بعد ذلك هو الذي جعلك تحب الخير وتدعوا إليه قضى لك بقدم السبق في القدم إن وفقت وظللت على هذا إلى الوفاة سوف يكون لك مقعد صدق عند مليك مقتدر فاضرع إليه أن يتم عليك هذه النعمة لأنه ليس إليك أن تتمها توفي مسلماً وألحقني بالصلحين رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض ، شهود البداية أنه فطرها على غير مثال سابق شهد أنه هو الذي آتاه وهو الذي علمه وهو الذي فطر السماوات والأرض فنضرع إليه أن يتم عليه النعمة توفي مسلماً فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلماً وألحقني بالصلحين فليس بيد الإنسان أن يظل على الإسلام إلا بتوفيق الله هو الذي يتم عليك النعمة وأنت ترى تقلب الخلق كل يوم وكم من إنسان كان مطيعاً ملتزماً انقلب في هذه الحياة نعوذ بالله ونسأل الله العافية ترك الإلتزام وبعضهم ترك الإسلام وبعضهم باع دينه بعرض من الدنيا كان يعلم الناس الدين والحلال والحرام ثم صار يحرم ما أحل الله ويحل ما حرم الله لدينا يصيبها والعباد بالله وينافع عن دنيا غيره لأنه أعطاه لأنه أعطاه فتاتاً نعوذ بالله من ذلك أعطاه عظم بلا لحم ومع ذلك يقاتل من أجله ويبيع دينه ودين الناس بذلك نسأل الله العافية فاضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم وقضى لك بقدم السبق في القدم أن يتم عليك نعمه هو ابتدأها وكانت أوليتها منه بلا سبب منك واسموا بمهتكم عن ملاحظة الاختيار . ارتفع بمهتكم العالية أن تلاحظ من نفسك أنك اخترت بل لاحظ أن الله اختارك ، لا تلاحظ أنك الذي كان أملك أن تختار بين كذا وكذا فاخترت الخير فأنا صاحب الفضل أحذر من ذلك ارتفع الله الذي جعلك تختار هذا الله اختارك قبل أنت تختار الله وفقك حتى تختار طريق الخير وحتى تختار الإسلام وحتى تهتدي إلى العمل بهذا الدين وتلتزم بطاعته وغيرك من أهل الإنتساب للإسلام وغيرهم لم يختاروا فأنت صاحب الاختيار اسموا بمهتكم عن ذلك ارتفع بمهتكم لا تركز إلى نفسك هذه الرسوم أنت شكل فقط ، الحقيقة أن الأشكال الخارجية هي نحن وأما الفضل فمن الله عز وجل واسموا بمهتكم عن ملاحظة الاختيار ولا تركزن إلى الرسوم والآثار ، أنت أثر لغيرك أنت شكل بقي والحقيقة المحرك الحقيقي ليس منك الله الذي أعطاك إياه وتشهد هذه المنة منه عز وجل ولا تقنع بالخييس الدون . ما هو الخييس الدون ؟ الذي هو الفرح بحطام الدنيا الذي ضمنه أن الناس تقول عليك ، لكن أنت متدثر بدثار الدين وأهل الدنيا عرايا ، يعني ايه ؟ يعني الذين فرحوا بالدنيا بالسيارة والموبايل والذي بالشقة الفاخرة والقصر والمركز والوظيفة وفلان الفلاني وبالدلة ونظر النساء إليه هو عريان عن الدنيا ومكشوف أنه يريد الدنيا أما أنت بممكن تكون أنت أيضاً تريد الدنيا لكن متدثر بدثار الدين يعني هي الدنيا أيضاً هي التي في قلبك لكن أنت تقول قارئ عالم داع عابد ساجد زاهد أنت تريد الناس تقول ذلك ، إذا أنت وهو واحد بالشكل هذا ، فلا تقنع بالخييس الدون ، الأول متعطي لكن على سوء ونسأل الله العافية وهذا كثير ولأنه كثير الموازين لم تتغير ، يعني موازين الدنيا ليست بيد الناس موازين القوى في الأرض ليست بأيدي الناس موازين الدنيا بيد الله عز وجل القوة والضعف والخفض والرفع ليس من الناس لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت لا خافض لما رفعت ولا رافع لما خفض ، سبحانه وبحمده ، طيب نحن نرى الدنيا كلها في يد الكفرة والظلمة والمنافقين وشغاليين يظلموا في الناس ، والله ما هي كذلك ، المشكلة أننا متدثرين فقط أو أكثرنا متدثر بدثار الدين لكن لا بد أن تتغير بجد ، لو تغيرت بجد ولم نقنع بالخييس الدون إذا خلاص سنتغير فعلاً ويتغير الكون وتجدر الدنيا كل شيء فيها تغيرت لأن ربنا سبحانه وتعالى مقلب القلوب والبصائر ولا تقنع بالخييس الدون عليك بالوقار العالية والمراتب الثانية التي هي القرب من الله التي هي محبة الله التي هي شهود فضله عز وجل التي هي كمال التوكل عليه سبحانه وتعالى التي لا تنال إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى ، يعني أنت تنال هذه الأشياء كيف ؟ بطاعة الله واطب على الطاعة حتى يمن عليك بأن يجعل قلبك له وحده سبحانه وتعالى ، سيدنا موسى ربنا سبحانه وتعالى يقول له ( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ) طه ١٣ أو حاجة من أوائل ما قال الله له وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، لما يقول له وأنا اخترتك هذه يعني تجعله لا

يتجه إلى غيره أبداً هو الذي اختاره قبل أن يختار الطريق إلى الله سبحانه وبحمده قال ( وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ) طه ٤١ فمراتب العالية هذه تنال بطاعة الله عز وجل حتى يوفقك لأن تكون ممن اختارهم لتكون مراداً قبل أن تكون مريداً الله أرادك لنفسه فجعلك تريده فأياك ان تظل ناظراً إلى أنك الذي أردت ولكن أنظر إلى أن الله الذي أرادك فأردته أرادك لنفسه واصنعك لنفسه إن كنت مخلصاً لعبادة الإخلاص مبنها على شهود الأولية والتخلص من الرياء والسمعة مبنها على شهود الأولية منه عز وجل فإن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا ينال ما عنده إلا بطاعته يعني أنت تطيع الله عز وجل يقلب قلبه ويجعله خالصاً له ويجعلك تريد القرب منه وتريد المنافسة على الآخرة لا على الدنيا بما فيها الدنيا الدنيا والدنيا المتدثرة بالدين والدنيا التي شعارها الدين هي دنيا في النهاية ومن كان الله كما يريد شرعاً يعني كان الله له أكثر مما يريد أكثر مما تبغي فوق ما تختار لنفسك بل أنت سوف تترك الاختيار الدنيوي بعد ذلك لو من الله عليك لا تدبر لنفسك لا تقول أريد هذه ولا أريد هذه ، في الدنيا لا تفكر فيها ، ولذلك كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه ما أبالي على أي حالين أصبحت إن كان الغنى فففيه من الشكر وإن كان الفقر فإن فيه من الصبر والأمر عنده سواء وكله عاقبة للمؤمن (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر وكان خيراً له ) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان الله كما يريد شرعاً كما أمر إذا هذه التي تهتم بما أنت تريد أين يكون قلبك أن تريد ما يحبه الله هذه هي القضية الأولى قبل أن تعمل قبل أن تهتم بالعمل الظاهر قلبك يجب الذي يحبه الله أم لا أنت مازلت تدرب نفسك على الطاعة أم نفسك تحب الطاعة نفسك أنفت من المعصية أم مازالت عيبتها عليها تريد أن تأخذها لكن لم تقدر من الظروف الحبيطة ، أنت يوم ما تتخلص من هذه الأمور وتكون لله كما يريد هو يكون الله فوق ما تريد يسدبر لك أفضل من تدبيرك لنفسك لو دبرت لا يكون لك إرادات في الدنيا ، لا تقول أريد كذا ولا أريد كذا ، أريد أن يكون معي مال أريد أن يكون معي مركز أو جسم صحيح أو في صحة ، هذه الأشياء لا تفرق معك ولذلك سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه وهو مستجاب الدعوة وهو الذي دعا على الرجل فخرج البيهقي من ساعتها حتى قضت عليه ودعا على الرجل الذي قال أن سعد لا يحكم فينا بالسوية ولا يحكم فينا بالعدل ولا يعطينا الجزل فقال اللهم إن كان عبدك هذا قام رياءً َوَ سمعةً فأطّل عمره وأطّل فقره وأعرضه للفتن فكان الرجل ساقط الحاجبين يتعرض للفتيات فكان مستجاب الدعوة فسعد بن أبي وقاص عمي فواحد من التابعين يقول له ألا تدعوا الله لنفسك أن يرد عليك بصره ؟ فيتبسم سعد رضي الله عنه وقال أن ما وقع له أحب إليه أكثر مما لم يقع ، هو كان يدعو على الناس كان يدعو لهم وكان مستجاب الدعوة رضي الله عنه ومع ذلك لم يدع لنفسه أن يرد عليه بصره وأفاضل من أفاضل الأمة مستجاب الدعوة لا تجده اهتم ان يدعو لنفسه في أمور الدنيوية ولو دعا الله عز وجل لأجابه ولو أقسم على الله لأبره لكن هو لم يهتم بأنه يكون أغبر وأشعث وذو تمرين ولا يؤبه له أم أن هذه الحالة أو لما يدعو أحد يقوم له ويكون له ملابس جميلة ويكون له منزلة عند الناس لا هو لو سيقسم على الله سيقسم على الله عز وجل في أمور آخر سيهتم بأمور آخر ، لما يقول اللهم لا تحوجني لمخلوق لذل الأنكسار أم أنه يجب أن يكون منكسر لله وحده ؟ حب أن يكون منكسراً لله وحده عبادة لله ، الافتقار إلى الله عبادة لله ، والعافية أحياناً في الذي تراه بلاء ، نسأل الله العفو والعافية صح لكن لا تضع في بالك أن العافية بل ممكن تكون لما تبلي تكون في عافية في أنواع من البلاء يعافى بها من أنواع من البلاء يظنه الناس عافية ، يعني اللي معاه فلوس كثيره والله هو في بلاء عمر ما قلبه سيظل على حاله وهو معه هذه الأموال وهذا الأغلب الأعم إلا أفذاذ من العالم عبر التاريخ أنه يكون معه مال وعنده سلطان وعنده جاه ولم يغير هذا يعدون على اليد الواحدة في مئات الألوف من البشر في ملايين البشر تعده على أصابع اليد والواحدة لكن غالباً تفتن الدنيا وقليل من لم تفتنه الدنيا ونسأل الله العافية ، فلذلك أنك أنت أحياناً الناس تغمص شفائهم على البلاء الذي أنت فيه وأنت في الحقيقة في أنواع آخر من البلاء ، تخيل أنت لو معك مليون جنيه تخلص تكون في مصيبه عظيمه لو معك مليون ، أنت تقول ياااه ، أنت لو معك المليون جنيه أنت ستحبهم وتدخل بهم ومن الصعب أن تقاوم أنك تتمتع بكل هذه الدنيا وتفتخر بها وتعجب بها وتركن إليها وتعتمد عليها مثلاً ، فسل الله العافية لأنك لا تعلم أين العافية ، لأن الله سبحانه وتعالى يزود الدنيا عن عباده الصالحين كما يزود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العطب ، هو عز وجل كذلك مضت سنته ، في الأثر الخلف بوبه ابن منبئ أن الله قال لموسى ولو شئت أن أزينكم فلا يغرزنكم من زينه لو شئت أن أعطيكم زينه لو نظر إليها فرعون لعلم أنه يعجز عما أعطيتكم لفعلت ولكني أزويه عنكم وأرفعكم عن إرادة ذلك ، هدامعني الأثر وكذلك أفعّل بأوليائي ومضت عادتي قديماً أي أزودهم عن الدنيا كما يزود الراعي الشفيق إبله عن المبارك العطية ، لا تكون حزين أنك فقير لا تكون حزين أنك لم تكن معك كل الذي تريد بل هذا اجعل إرادتك لله عزوجل أن تحب ما يحبه الله من كان الله كما يريد كان الله فوق ما يريد سيعطيك أكثر أضعاف أضعاف ما لو اخترته لنفسك النبي صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط ولا قال لأنس عشر سنين لشيء فعله لما فعلته ولا لشيء لم يفعله لما لم تفعله وما ضرب خادم ولا امرأة ولا عبد بيده قط إلا أن يجاهد في سبيل الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بك خاصمت وإليك حاكمت ، طيب الناس كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم كيف ؟ هو لم يقل لهم اسمعوا كلامي ومع ذلك كانوا يسمعون كلامه تماماً أعظم طاعة كانت لا تطاع لقيسر ولا لقسرى ، كما يقول سهيل دخلت على قصرى وقيسر فما وجدت أحداً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمداً معه أنه لم يكن ينتقم لنفسه قد ولا يأمرهم إلا بما شرع الله ، وإنما قال إنما أنا عبد لم يكن ملكاً عليه الصلاة والسلام وإنما كان عبد عليه الصلاة والسلام فأعطاه الله فوق ما أعطى الملوك ، من كان الله كما يريد كان الله له فوق ما يريد فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد من أقبل إلى الله عز وجل تلقاه سبحانه بأنواع الخير والبركة والعطاء قبل أن يأتي هو أضعاف من تقربه كما قال عز وجل ( من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولاً ) صححه الألباني فهو يتقرب إليك أكثر مما تقرب إليه فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد بالتوكل على الله يقوبك الله على ما لا يقوى عليه غيرك كما قال ( فإذا أحبتهم كنت سمعه الذي يسمع به وبصر الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ) هذا هو ألان له الحديد أعطاه قوه في سمعه وبصره في طاعته عز وجل وفي يده ورجله لم يعطيهما لغيره وسخر هذا السمع والبصر واليد والرجل والجوارح في مرضاته سبحانه وتعالى ، هذه الكلمات منقولة عن عبد القادر الجيلاني ، ومن أقبل إليه تلقاه من بعيد ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد ، لم يعطيه المزيد بل أعطاه فوق المزيد أكثر مما يتصور ، ترك لأجله شيئاً لكنه ترك لإجله ولم يشعر أنه ترك شيئاً يستحق الترك ، ترك خشبه فاسدة هي الدنيا لجوهرة سمينه ، هل يجلس يقول كانت أمامي الخشبة الفاسدة كان أمامي الجدي الأسك الميت وأنا الذي تركته أنا تركته الله لا إذا هو لم يكن جدي أسك ميت ولم يكن جناح نموسة ، الخشبة الفاسدة هذه أنتقارن بينها وبين الجوهرة التي أعطاك إياها الله إذا أنت لم تشعر أن معك جوهرة إذا أنت لم يكن معك جوهرة إذا أنت لم تأخذ الجوهرة بعد ، أنت تركت الله عز وجل لا تشعر أنك تركت ، تركت دنيا الله دنيا حقيرة كان أمامك تنظر للعرايا وأنت تركتها وكان أمامك تدخل على الموقع الإباحي وأنت تركته وكان أمامك المال الحرام وأنت لم تمد يدك هو أنت مازلت تفتكر هذا الكلام ، انت لم تشعر بعد ماذا أخذت ،

أو أنت في الحقيقة لم تأخذ بعد لكن أنت لما رينا من عليك أنك تركت لله شعرت بأنك فعلاً أخذت ساعة ما تركت ساعة ما رينا أعطاك القناعة والرضا فرينا سبحانه وتعالى أغناك من فضله عز وجل فعمرك ما تقارن بين الخشبة الفاسدة وبين الجوهرة وبين جناح النموسة وبين الجدي الأسك الميت الذي هو الدنيا أهون على الله من هذا عليكم ،

يقول " ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد ومن أراد مراده الديني أعطاه ما يريد " هي أصل الكلمة عن الشيخ عبد القادر ومن أراد مراده أعطاه ما يريد ،

هو نعم صوفي ولكنه صوفي متقن ابن القيم هو الذي زود ومن أراد مراده الديني يعني أراد طاعة رينا وأرادها وأراد أنها تنتشر في الناس أراد الله ما يريد يعني أمر بإجابة دعوته ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذ بي لأعيزه ، لأنه في الحقيقة لا يريد إلا ما يحب الله عز وجل فإرادة رينا لا تكون تابعة لإرادة العبد أبداً ولكن رينا سيوفقه أنه يريد الذي يريد الله سبحانه وتعالى فإذا دعوت الله في شيء فيه طاعة فيه ما يحبه استجاب الله دعوتك في الدنيا أو في الآخرة أو صرف عنك من السوء مثلاً أو أعطاك أكثر ما تريد

يقول " ثم اسموا بسرك ، اسموا يعني ارتفع بباطنك إلى المطلب الأعلى واطلب حبك وتقربك على من سبقك فضله وإحسانه إليك كل سبب منك ، إرادتك أنت ، يعني شهود فضل رينا ماذا يستمر في قلبك ، شهود نعمة الله عليك بالإيمان والإسلام والإحسان ماذا يستمر في قلبك ؟ يستمر حب رينا عز وجل لأن حب الله عز وجل ينبت على حافات المن ، المن هذه مثل النهر الجاري على شهودك لهذه المن ينبت حب الله عز وجل في قلبك مع شهود كماله عز وجل وعظمته فعند ذلك تجعل حبك وتقربك إليه وحده تحب الله وتحب من يحب وتحب ما يحب ولا تكتمل عندها الحب ، لو اكتمل الحب جزماً وقيناً لا يمكن أنه يكون في قلبه أنه يحب رينا وفي نفس الوقت نفسه أنه يفعل المعصية ، لا لكن هذه أحوال لا تصل إليها مرة واحدة ، هذه الأحوال والمقامات هذه تصلها بعد مجاهدة طويلة حتى تصبح النفس وزير صدق للقلب بعد أن كانت نفس أمارة بالسوء تصبح نفس مطمئنة تصبح محل الإيمان والمعرفة التي تعرف أن هذا خير وهذا شر هذا طاعة وهذا معصية النفس تكون تابعه له تحب الطاعة وتكره المعصية وتبذل من المعصية وتكون شيء صعب لا أنك تجرّها ، لكن جرّها الأول لأن هي عمرها ما تصلح إلى بالجرّة وخدّها غضب عنها لأنها لم تقطع بعد مازالت متعلقة بأشياء ، أنت مثلاً لو سمعت واحد يبشتم بتضايق وتحقق وهو لم يتضايق لأنه لم يقطعها بعد ، أنت تسمع موسيقى تقول أعوذ بالله ما هذا الهم الذي يسمعه الناس ما هذه البلاوي ، ومع ذلك هم يرو أنهم سعداء ، لأنه عاش فيها ولذلك نمت عليها والعياذ بالله ، فأنت لأنك طلعت منها وبعد عنها رأيته أنها قبيحة ورائحتها قبيحة جداً ولا يمكن أن ينتظر فيها أحد ، فوجدت الأشياء التي تعرفها أنت من نفسك وأنت لم تتخلص منها ومازالت نفسك تحدّثك بما جاهدتها حتى تصل إلى هذه المرتبة حتى تقصر حبك وتقربك على من سبق فضله وإحسانه إليك بكل سبب ، الإنسان مجبول على حب من أحسن إليه ، وذلك شهود نعم الله الكثير ( وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } إبراهيم ٣٤ شهود فضل الله عليك في الدين والدنيا يجعلك تحبه من كل قلبك ، كيف تحب الله ؟ بأن تشهد بنعمته تشهد المن ولذلك عيد يوم أنزل الله عز وجل ( الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة ٣٠ نحن رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، شعور أن هذه نعمة عظيمة جداً وفضل من الله ليس بكلمة الحمد لله على نعمة الإسلام ، لا ليست كذلك ، الشهود هذا ذوق طعم الإيمان ، ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، سيشعر فعلاً أنها نعمة عظيمة جداً ، لأن رينا من عليك وغيرك لم ينل شيئاً ، بعضهم أخذ ذرة من أهل الإسلام وبعضهم أخذ أكثر وبعضهم لم يأخذ شيئاً من كثرة المجرمين الظلمة لم يأخذوا شيئاً قط من هذه النعمة ونسأل الله العافية

يقول " واقصر حبك وتقربك على من سبق فضله وإحسانه إليك كل سبب منك بل هو الذي جاد عليك بالأسباب هو الذي أعطاك الأسباب من أب وأم من اسم الإسلام أجيال على الإسلام من من كان سبباً في التزامك من جهد منك وطاعة من صلاة وصيام وتعلم وبذل جهد ، هو الذي من عليك بذلك ، أعظم من ذلك المن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته ، ( لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } آل عمران ١٦٤ بل هو الذي جاد عليك بالأسباب وهيئها لك ، هذه الأسباب لم تكن تستطيع أن تهيتها إلا أن ييسرها لك وصرف عنك موانعها ، فكم من الناس ولد لأسرة ملتزمة وأب وأم ملتزمين وبيئة يتعلم فيها العلم ومهيب له القرآن يفهم أكثره لجرد القراءة ، لا أنه مثلاً لم يكن عنده لغة عربية يعرف بها الكلمة حتى النملة لا يعرفها ، ومع ذلك لم يلتزم ولم يهتدي ولم ينتفع لوجود موانع داخل النفس وخارج النفس موانع منعه من الإلتزام ، أصدقاء سوء رغبات فاسدة إرادات نجسة اجتمعت في قلبه حتى منعه ، منعه الموانع نسأل الله العافية نعوذ بالله ، إذا الموانع هذه كانت موجودة موانع خارجية ليست من النفس مانع الصد عن سبيل الله والتخويف من طاعة الله ( وَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } الزمر ٣٦ هي موانع وأنت اقتحمت هذه الموانع رغم أنهم يلحون عليك اسكت عن هذه السكة ، أنت ستجن أنت ستخرب بيتك أنت ستضيع كل شيء عندك ، وأنت اقتحمت ووجدت أن عايش مثل الناس تماماً وأحسن منهم بفضل الله عز وجل فصرفت عنك الموانع من داخلك وخارجك من الذي صرفها ؟ الله عز وجل هو الذي صرف عنك الموانع وأصلك بما بالأسباب وصرف الموانع إلى غايتك المحمودة ، أنت غايتك المحمودة أنك تكون في طاعة الله أنك تتقرب إلى الله فتسعد ، فتوكل عليه وحده ، هذا هو المطلب الأعلى أن تقصر الحب إلى الله والتوكل على الله ، لأنك ترى من الأول لم يكن فضل لا منك ولا من غيرك الفضل لله ، والناس أسباب حتى الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام أسباب لكي يصل إليك الخير وهي منة من الله عليك بهم على من توكل عليهم ؟ حتى على أفاضل الأنبياء والأولياء ؟ لا بل تتوكل على الله وحده تقصر حبك وتقربك على من فضل سبقه وإحسانه عليك من كل سبب فتوكل عليه وحده وعامله وحده وآثر رضاه وحده ، عامله وحده يعني لا تعمل حساب للناس أعمل حساب لربنا وحده أعمل حساب هل يرضي الله أم يسخطه هذا الأمر واجعل حبه ومرضاه هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفاً بها مستلماً بأركانها مثل ما البدن يطوف بالكعبة ومتعلق بها جداً فاجعل قلبك متعلق بحب الله ولا يزال يدور حول هذا لا يريد غيره لا يزال طائفاً بها مستلماً بأركانها مستلماً بالحب ، يعني لا يزال ينال منها في كل موطن وفي كل لحظة يراك جزء منها ويتمسح بها ويريد مرضاة الله في كل وقت ، واقفاً ملتزمها مثل ما أن الأبدان واقفة بملتزم الكعبة فقلبك ملازم لحب الله عز وجل ومرضاة الله عز وجل فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه



على ذلك من قلبك ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه وخلع أفضاله عطايها فضل وزيادة إن كنت كذلك تحب الله وتخلص له وتعامله وحده وتتوكل عليه وحده ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجد سبحانه وبمحمدك لا ينفع الغنى صاحبه عند الله عز وجل لا ينفعه إلا أن ينفعه الله إلا أن يعطيه الله من أعطاه الله ذلك لم يمنعه الناس شيئاً ولا يستطيعون ولا أن يضلوه ولا أن يفتنوه ولو فعلوا فيه ما فعلوا ، حنته معه كما قال شيخ الإسلام " أنا جنتي معي بستان في صداري ما يفعل بي أعدائي ؟ إن سحني خلوة وقتلي شهادة وتعذيبي جهاد في سبيل الله ونفي سياحة " وهكذا ، ولا معطي لما منعت من منعه الله ذلك لن يستطيع ولا حتى أبوه وأمه ولا حتى أحرص الناس على الخير لا يستطيعون أن يعطيه له ، الله منع أبا طالب الإيمان ، حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان أبي طالب ما استطاع أن يهديه ، ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } القصص ٥٦ كم تمنى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلم عمه وأخذ بالأسباب ومع ذلك لم يعطيه الله عز وجل ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تحنا ،

يقول " ثم تعبد له باسمه الآخر بأن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لها سواها ولا مطلوب لك غيرها لأنك تعلم أن كل شيء له آخر ينتهي فهل تعلق قلبك بمن ينتهي كمن مثلاً يجعل خدمته وطاعته لكبير موظف مثلاً أو وزير أو رئيس أو ملك ويكون هو أصلاً في منازعات فمجرد ما يزول سلطان هذا الموظف أو الرئيس أو الكبير أو الوزير كل الحاشية ستذهب هي الأخرى فلو جعلت غايتك لغير الله سبحانه وتعالى أنقطعت ولا بد لأن لها آخر ولكن إذا جعلت غايتك لمن هو الآخر الذي ليس بعده شيء وإليه المنتهى ظلت غايتك ولذلك قالوا في تفسير قوله عز وجل (وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } الرحمن ٢٧ قالوا ما ابتغي به وجه وهذا معنى من لوازم الكلام لأن بقاء الله عز وجل يلزم منه بقاء ما ابتغي به وجه وانتفاع ما ابتغي به وجه وأن ما ابتغي به وجه لا بد أن ينقطع ويذول ، واحد مثلاً يجب واحدة وغيته أنه يصل إليها ، أليس سموت هذه الواحدة وهو سيموت خلفها ، ألم يكبروا حتى تزول الشهوة الجنسية ؟ وشكها بعد ذلك لم يقبل أن ينظر إليه ؟ وكم من محبين عاشوا عمرهم على هذا الحب وبعد ما نالوا كل منهم ضرب الآخر وتعاركوا وشتموا بعض وطلقوا بعض وانتهى كل شيء بينهم ، الملك والسلطان كذلك ، يعني من يريد أن يصل إلى السلطان ويموت عليه ويظل فيه ويتعذب به ، نسأل الله العافية ، ، يريد أن يكون في وظيفة أعلى وأعلى ويصل إلى الأعلى ويبيع كل شيء من أجلها وبعد ذلك يشقى بها ويظل فيها وبعد ذلك تنزع منه إما بالموت ، وهذا شارون نزعته منه أم لا ؟ وغيره وملايين كل منهم ملك مدة وإما زالت في حياته وإما مات هوعنها وأصبح في التراب والعباد بالله ، إذا الإرادات الإنسان في ملك أو في شهوة أو مال وكل ذلك يزول ، واحد يريد مال لكي يتمتع طيب بعد ذلك أنت ستمرض ، هو بعد الستين سنة أيجلو أحد من المرض ؟ أو الخمسين بل أقل من ذلك أو أكثر ، نعم لا يجد شيئاً بعد ذلك ، نقول طيب كل تفاح أو فراخ يقول لا لا أريد ، وأي واحد كبير كذلك وأي واحد مريض كذلك وأي واحد كان في يوم من الأيام في عنفوان شبابه كان كذلك ، ساعات يحضروا صور الممثلات الفاتنات وهم في الشباب وهم في الشيخوخة ستجد عجباً والله ، الناس التفت إليها كم من الأنظار وبعد ذلك ... ياسبحان الله على الحال الذي يؤوول إليه ، فضلاً عن الذي لم تراه وتخفي ، انت ترى لحظات من عمره وهو بعد ذلك مات وحده ، يقولون مات فلان الفلاني بعدة صراع طويل مع المرض ظل عشر سنين أو عشرين سنة يتألم وهو كان أو ما يدخل الدنيا تقف والذي يدب على الأرض ونحو ذلك ، كلمة صراع طويل مع المرض لم يشعر بها أحد ، ونسأل الله العافية ، بعد ما كانت كلمته يهز بها العالم ، نسأل الله العافية ،

فيقول " ثم تعبد له باسمه الآخر بأن تجعله وحده هو غايتك التي هو الأخلاص لله عز وجل ، الإخلاص من التعبد لله الأول وباسمه الآخر ، لأنك إذا شهدت أنه صاحب الفضل وجهت حبك له وهذا هو الإخلاص وإذا علمت أن كل شيء ينقطع دونه وينقطع بعده عز وجل أثرت أن تجعل نيتك لله ، وإخلاصك لله وأن الله هو وراء كل غاية لك كل غاية تنفذ منها إلى الله عز وجل لتحسن إلى ولدك الذي هو الشئ الفطري وإلى أهللك ، تريد أن تأكلهم وتريد أن تعيشهم أحسن عيشه ، لا يقولوا عنك أنك أب مثالي أو أم مثالية ، بل تفعل ذلك لكي يعبدوا الله ولكي يرضى عنك الله ، تبر والدك وولدتك لا يعطوك زيادة في الميراث أو يعطوك أكثر من أخوتك لا بل تفعل ذلك لأن ربنا أمر ببر الوالدين لأنك لو برهم ربنا سيرضى عنك ، تأكل وتشرب وتنام وتشتغل لكي تخدم المسلمين لكي تقدر على العبادة لكي تعين على طاعة الله لكي يرضى عنك الله لكي تحب ربنا لكي يحبك الله ، أجعل غايتك ومطلوبك ، ليس لك وراء الله مطلوب ،

والجنة لأن فيها رضى ربنا ، لا لأن الجنة فيها الأكل والشرب فقط وربنا رغبنا فيها لأنها محل الرضا وإلا فالجنة لو هي طعام وشراب ونساء فقط لم تكن جنة لكنها طعام وشراب مع مرضاة الله عز وجل ( يحل عليك رضائي فلا أسخط عليك أبدأ ) في أناس تجعل عبادتها لله بمطلوب آخر ، إذا جعلوا وراء مطلوبهم ووراء ربحهم هو يريد أن يرضى الله حتى يعني مثلاً يقولون يصلي قيام الليل لماذا ؟ حتى يكسبوا ماتش باكر ، يرضى ربنا لكي يعرف يجيب جود ، فتخيل هو مازال يدعوا الله ويتضرع لله لكي يجيب جود ، أو ساعة الامتحان يصلي كثير جداً ويحافظ على الصلوات الخمس في الجماعة ويحافظ على صلاة الفجر حتى يوفقه الله في الامتحان ياخبرك أبيض ، أنت لم تفهم ما الموضوع أنت المفروض تطلب التفوق في الامتحان حتى تستعمله في الحلال حتى تتكسب حتى لا تمد يدك للناس لأن ربنا قال لا تمد يدك للناس حتى يحبك الله لذلك فأنت تجعل مرضاه الله سلم إلى شيء آخر سلم إلى شئ دنيوي ، إذا الموازين انقلبت لكن لا تجعل غاية لك وراء ما تريد من الله محبته ورضاه ، تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواها ولا مطلوب لك ورائها فما انتهت إليه الأواخر انتهت قبله عز وجل وبقي بعدها وكان بعد كل آخر كان هو عزوجل بقي بعد كل آخر فكذلك اجعل غايتك إليه نهاية مطلوبك نهاية إرادتك ، ( وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى } النجم ٤٢ إليه انتهت الأسباب والغايات فتوكل على من وتخلص لمن ؟ تتوكل على الحي الذي لا يموت كل من دونه يموت وينتهي فلا تتوكل عليه وكل من دونه يموت وينتهي فلا تعمل له واعمل لله عز وجل إليه انتهت الأسباب والغايات فليس ورائه مرمى ينتهي إليه لا تجعل لك غاية وراء الله عز وجل فالتعبدة لله باسمه الأول يزيل من القلب العجب والكبر والغرور ، الإعجاب بالنفس ورؤية كمالها والحسد للخلق لأن منبع الحسد أن مثلاً " أنا أحسن " لماذا فلان عنده ؟ لا أنا لا بد أن يكون عندي احسن منه أنا اقله حتى أكون احسن منه ، نعوذ بالله ، قد يقتله وقدة لا يستطيع ، الحسد أساساً منبعه من رؤية كمالات النفس ، والكراهية لأن يكون غيره أكمل طيب انت لو شهدت أن الفضل الله من على هذا وأحبه فحبه أنت الآخر وترغب في أن تكون قريباً منه ، طيب أعطاه دنيا لا تساوي وأبعضه إذا تبغضه أنت الآخر وترى أنه لا أعطاه ولا شيء ، أعطاه أنه عاش في

الصرف الصحي ، هل تقول أن الجرافتا التي يرتديها غالية وهو يعيش في الصرف الصحي !! البدلة التي يلبسها توسخت أنت تفتكر انها تنفع ؟ أنت لم ترى أين هو ، الناس المفتونين بالغرب لأن عندهم زخرف دنيوي !! هؤلاء غرقى ألم ترى ما هم فيه ؟ أبحسبون على شيء هؤلاء ؟ !! والعياذ بالله هؤلاء أسوء من البهائم ، عرايا !! ، إذا تخلص من الحسد من الحقد من الغرور من الكبر من العجب الأمراض القلبية الفتاكة هذه من التوكل على غير الله والإخلاص لغير الله والعمل لغير الله ، التعبد لله باسمه الآخر يجعلك تخلص لله وحده تحبه وحده تعمل له وحده تتوكل عليه وحده لان كل من دونه يموت وكل من دونه ينتهي وهو قدم التنبيه على التعبد باسمه الظاهر وسنذكره المرة القادمة

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## ١٥ - كلام للإمام ابن القيم في التعبد لله بالأسماء والصفات

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كلامه عن التعبد لله سبحانه وتعالى باسمه الظاهر

بعد أن ذكر التعبد لله عز وجل بالأسماء الصفات بأنه رتبته والشهود وأنه من الصفات الثانية المعاملة لما يستحقه وتكلمنا في المرة السابقة عن التعبد لله عز وجل باسمه الأول والآخر ،

قال " وقد تقدم التنبيه على التعبد باسمه الظاهر بأن نذكره في الموضع المتقدم بأن ننقله في الموقع المتقدم من طريق المهجرتين

يقول رحمه الله " فإذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته وأنه ليس فوقه شيء البتة وأنه سبحانه وتعالى فوق العرش وأنه فوق جميع المخلوقات لأن العرش سقف للفردوس فهو سقف للسموات كلها وسقف لجميع المخلوقات إلا ما شاء الله عز وجل كالكتاب الذي عنده فوق العرش ، لكن علو الله عز وجل ثابت على جميع مخلوقاته من استوائه على عرشه ومن اسمه سبحانه وتعالى العلي ومن اسمه سبحانه وتعالى الأعلى ومن اسمه سبحانه وتعالى المتعال ومن كونه سبحانه وتعالى فوق عباده كما قال عز وجل ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) النحل ٥٠ . ومن قول النبي عليه الصلاة والسلام ( وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ) فاسم الظاهر يدل على العلو والظهور وأنه ليس فوقه شيء كما قال عليه الصلاة والسلام ، إذا تحقق العبد بذلك إذا تيقن من ذلك وشهد علوه سبحانه وتعالى علو الذات وعلو القهر وعلو الشأن كما يقول وأنه ليس فوقه شيء البتة وأنه قاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ،إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، صار لقلبه أملاً يقصده ورئاً يعبد به وإلها يتوجه إليه بخلاف من لا يدري أين ربه فإنه ضائع مشئت القلب ليس لقلبه قبله يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه إليه قصده ، استحضر أن الله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فأوامر العلم كلها مدبره بأمره سبحانه من السماء إلى الأرض ، الأوامر من عنده نازله فتنزل في أرجاء السماوات والأرض كلها كما أمر سبحانه وورد أفعال العباد ، ثم يعرج إليه يعني ما وقع من عباده في الأرض يصعد إلى الله وهذا كله من أدلة العلو والفوقية كما قال سبحانه وتعالى ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ) فاطر ١٠ فهو الذي يصعد ويتقبل ويعرض عليه سبحانه وتعالى في الملاء الأعلى فيرضيه عز وجل وأما مالا يقبل من الأعمال فيرد في وجه صاحبه مردود عليه لا يرفع كما أن الصلاة قد لا ترفع فوق رأس صاحبها شبراً ، الله تعالى قال ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) وهذا من أعظم الأسباب المعينة على الإخلاص أن يستحضر العبد أن علمه صاعد إلى الله عز وجل ومعرض عليه في الملاء الأعلى فلو استحضر العبد ذلك لم يراعي أحداً من الخلق ، الناس يتزينون بالأعمال لأهم يحبون إذا ذكروا عند بعضهم بعضاً عند الناس أن يذكروا بالخير وأن لا يقال عنهم شر فإذا استحضر العبد أن عمل يرفع إلى الله عز وجل صار للقلب قبله كما أن للبدن قبله فأن يفكر دائماً في صعود الأعمال إلى الله عز وجل لا فيما سوف يقوله الناس إذا ما عرضت إليهم ، قد يكون بعض الناس قبله قلبه في الأرض قبله قلبه فلان أن ما يفكر فلان وفلان وفلان ماذا سيقولون عني ماذا سيرون عملي فتتجه قلوبهم إلى العباد تكون قبله قلبه إلى الأرض لا إلى السماء فأما إذا صارت قبله قلبه إلى الله عز وجل استحضر أن أعماله معروضه عليه سبحانه وتعالى فإن ذلك يدفع دفعا إلى الإخلاص ومراقبة الله سبحانه عز وجل وأما استحضر نزول الأوامر فهو من أعظم الأسباب المعينة من التوكل على الله عز وجل واستحضار عجز العابد وضعفهم كما قال عمر رضي الله عنه أظنون أن الأمر من هاهنا إنما الأمر من هاهنا ، أظنون الأمر من هاهنا أي من الأرض إنما الأمر من هاهنا أي من السماء وهذا أمر عظيم الأهمية في كمال التفويض لله عز وجل استشعار أن تدبير الأمر له لا للناس أن تدبير الأمر لله عز وجل لا للناس وأن أوامره تنفذ كما أمر عز وجل فلا يعتمد على الناس ولا يخاف الناس ولا يرجو الناس وذلك أنه مستحضر أن نواصيهم بيده عز وجل وأن الأوامر مدبرة من فوق ليست من مدبرة من الأرض فعند ذلك تصغر الأرض في عينك وفي قلبك ويصغر من عليها كذلك فتبهون عليه قوة القوي وغنى الغني ويهون عليه بطش من يبطش ويهون عليه أمر الناس جميعاً متوكلاً على الله سبحانه وتعالى لا يعمل إلا مستعيناً به رغباً فيما عنده عابداً له مخلصاً له فإنه يصعد الكلم الطيب يعينه على تحقيق إياك نعد ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعينه على تحقيق إياك نستعين ، ثم يعرج إليه يعينه على تحقيق الإخلاص ، إياك نعبد الله عز وجل يعبد وحده لا شريك له لأنه يعلم أن عمله معروض عليه سبحانه وتعالى صاعد إليه يخاف أن يرد فلا يصعد وإن قبله الناس في الأرض نسأل الله العافية ، نقول بخلاف من لا يدري أين ربه فإنه ضائع مشئت القلب ليس لقلبه قبله يتوجه نحوها لأنه اعتقد أنه ليس فوق العرش إله لأنه اعتقد عدم جواز وصف الرب عز وجل بالفوقية مع أن هذه ضرورة فطرية في الإنسان يشعر بالفوقية الله عز وجل وهي متضمنة لفوقية الذات وأنه فوق العرش وأنه سبحانه قاهر فوق عباده فعدم اعتقاد ذلك يؤدي إلى تشتت القلب في الكون كله يقول " صاحب هذه الحال إذا سلك وتأله " سلك يعني سبل تهذيب النفس أصبح من السالكين في تزكية والبحث عن صلاح القلب إذا تعبد يعني ، " إذا سلك وتأله وتعبد طلب قلبه إلهاً يسكن إليه ويتوجه إليه وقد اعتقد أنه ليس



فوق العرش شيء إلا العدم وأنه ليس فوق العالم إله يعبد ويصلى له ويسجد وأنه ليس على العرش من يصعد إليه الكلم الطيب ولا يرفع إليه العمل الصالح، جال قلبه في الوجود جميعه فوقه في الاتحاد ولا بد ،نعوذ بالله من ذلك ، يعني هذا الذي فسدت عقيدته في مسألة العلو لا بد وأن يكون إما تناقضاً إذا لم يتسكك ولم يتعبد ويظل متحيراً في أقول المتكلمين وإذا سلك طريق التعبد مع فساد العقيدة فإنه يصل إلى الحلول والاتحاد ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا حال الكثير ، يعني أصل مسألة الحلول والاتحاد نفي العلو والفوقية التي هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبنونة من الخلق ولذلك كان السلف يقولون مستوى على عرشه بائن من خلقه لأن إثبات الاستواء والعلو على العرش يقتضي أنه منفصل عن الخلق ، هؤلاء الذين يقولون ليس هو فوق العرش ويتعبدون يقعون في الحلول والاتحاد يقول جال قلبه في الوجود جميعه جال تحرك وتوجه قلبه نحو الوجود كله ليس هناك جهة معينة يقصدها القلب يقول فوقه في الاتحاد ولا بد وتعلق قلبه بالوجود المطلق الساري في الميعنات بمعنى وجود ذهني يشترك فيه كل المخلوقات ، فهذا الساري في الميعنات يعني أنواع من الميعنات فيصّل إلى القول بوحدة الوجود وأن الوجود الحقيقي وجود واحد تعددت الأعيان فقط الأعيان تعددت واختلّفت والوجود واحد لأنه اعتقد أن الله هو الوجود فقال بوحدة الوجود ، تقية ابن الفارض وفصوص الحكم لابن عربي وكلام التلمساني القديم وابن سبعين وتلاميذهم كلها تدور وتصرح بالاتحاد وأن الله هو هذا الوجود وإن تنوعت أشبال الكائنات وتعينت أعيانها فهي مظاهر متعددة لشيء واحد تعالى الله عن قوهم علواً كبيراً ،

يقول " فاتخذ لها من دون إله الحق وظن أنه قد وصل إلى عين الحقيقة وإنما تأله وتعبد لمخلوق مثله ، هذا المخلوق مثله وهو هذه الكائنات كلها كما يقول ابن الفارض ذاتي لذاتي صلت وكما نقلنا من قبل أقولاً كثير من كلامه في وحدة الوجود يقول " وإنما تأله وتعبد لمخلوق مثله ولخيال نخته بفكرة الذي هو مسألة الوجود الساري والوجود المطلق يقول الوجود كله شيء واحد ، واتخذ إله من دونه سبحانه وإليه الرسل وراء ذلك كله يعني غير ذلك كله الذي يقول أهل الحلول والاتحاد ( إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ) { يونس ٣ أنظر إلى الجمع بين إثبات العلو في قوله استوى على العرش وبين قوله يدبر الأمر } شعور العبد بأن الأوامر نازلة من عنده سبحانه وتعالى ليس بموازين الناس ليس بقدرة الناس ليس بنقل الناس وتخطيطهم ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ) سبحانه وتعالى ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربك فاعبدوه أفلا تذكرون ذكر الأسماء والصفات ثم ذكر توحيد الربوبية والأمر بتوحيد العبادة بناءً على ذلك إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام الخلق من وصف الربوبية سبحانه وتعالى ويدل على قيام الأفعال به عز وجل هو عز وجل يفعل ما يشاء خلق السماوات والأرض في ستة أيام فعل بمشيئته في الوقت الذي أراد سبحانه وتعالى ( ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) فيه إثبات صفة الأفعال وعلو الله عز وجل على عرشه ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ) كل هذا من معاني توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد العلمي الخيري الاعتقادي ما من شفيع إلا من بعد إذنه هذا فيه نفي الشفاعة الشريكية وإثبات الشفاعة الشرعية نفي الشفاعة الشريكية التي يعتقدونها المشركون ومن شابههم بأوثانهم وأوليائهم الذين يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى فنفي الله ذلك وأثبت الشفاعة الشرعية التي هي بإذنه سبحانه وتعالى وهو يملكها وهو يأذن لمن شاء في من شاء من أهل التوحيد والإخلاص ولا يشفعون إلا لمن أذن له فتضمنت هذه الآية إثبات شروط الشفاعة الشرعية وهو الإذن وهو الإذن في الشافع وفي المشفوع وفي الشفاعة فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا قال أنا لها لأنه يعلم أنه المأذون له في ذلك ولم يقل نبي واحد من الأنبياء قبله أنا لها أو يجرب ما تعرض أصلاً لمقام الشفاعة العظمى إلا من يعلم أنه مأذون له فيها فهذا إذن في الشافع والإذن للمشفوع فيه كما قال عز وجل ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ) الانبياء ٢٨ لا بد أن يكون من أهل التوحيد والإخلاص ولا تنفع شفاعة لمشرك إلا بمجرد التخفيف كما في أبي طالب أما الشافعة النافعة نفعاً حقيقياً يخرجها من النار فهذا لا يحصل في مشرك وأما الشفاعة والإذن في الشفاعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال أنا لها وهو يعلم أنه مأذون له بالشفاعة يبدأ أولاً بالسجود لله عز وجل وبالثناء عليه حتى يؤذن له برفع رأسه فيقال له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع فعند ذلك يشفع صلى الله عليه وسلم في أمته وفي العباد بأن يفصل بينهم في القضاء وتضمنت الآية نفي الشفاعة الشريكية وإثبات الشفاعة الشرعية وذلك كله رد على المشركين من جميع الطوائف والمشركون يجعلون بينهم وبين الله وسائط يتوكلون عليهم ويدعونهم رغبة في شفاعتهم ، قال عز وجل ( ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) { يونس ٣ أمر بتوحيد الألهية بناءً على توحيد الربوبية من يتدبر آيات القرآن يجد بوضوح أن هذه الأنواع من التوحيد كلها متلازمة يلزم الله سبحانه وتعالى من أقر بتوحيد الربوبية بأن يؤدي توحيد الألوهية وأنه يلزمه ذلك فعنى أنها متلازمة بمعنى أنه يلزم من وحد الله توحيد الربوبية أن يعبد وحده لا شريك له وليس أن كل من أقر ببعض أنواع توحيد الربوبية يكون ولا بد موحداً بتوحيد الألوهية كما يقول البعض هذا الكلام الباطل أنه يقول لو قلنا بالتلازم بين توحيد الألوهية والربوبية فكل المسلمين أو كل من يقول بتوحيد الربوبية موحد بتوحيد الربوبية كلام باطل قد يقر العبد ولكن لا يوحد الله عز وجل توحيد الإلهية قد يقر بأن الله خلق السماوات والأرض كالمشركين ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ) { الزخرف ٩ ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) لقمان ٢٥ فكان هذا إقراراً بنوع من أنواع التوحيد ونوع من أنواع توحيد الربوبية ولم يخلصوا هذا الشهود حتى يحقق لهم توحيد الألوهية معنى كونها متلازمان بمعنى أنه إذا وجد التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كامناً في الأرض لزم منه توحيد العبادة توحيد القصد والطلب ولا بد وإنما نقص شهودهم بلحقيقة وإنما كانوا يقرون بألستهم ما لا تستحضره قلوبهم وفي أيضاً إقرارهم ببعض توحيد الربوبية دون الإقرار بكل أنواع التوحيد توحيد الربوبية بمعنى أنهم كانوا يقولون بمعنى الخلق والرزق والتدبير والملك حتى يقولون في الشركاء إلا شريك هو لك ملكته وما ملكه ولذلك كانوا ينازعون في أمر التشريع والأمر والنهي كانوا يشرعون من قبل أنفسهم والعباد بالله فتبين بذلك أن معنى من يقول من أهل العلم أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية أي ببعض أنواعه وبعض معانيه ويقرون بألستهم وإن لم تستحضره قلوبهم ، لو استكمل في القلب كامناً لحدث توحيد الإلهية وجوباً وهذا الأمر وهذه الطريقة طريقة القرآن ( ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) { يونس ٣ فمن تذكر حصلت له الذكرى بذلك عبد الله وحده لا شريك له ولم يصرف شيئاً من العبادة لغيره فالزعم بأن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات بدعة محدثة لا يعرفها الناس قبل ابن تيمية كلام باطل القرآن يدل على هذه الأنواع وهو ظاهر لمن يتدبر القرآن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية لأنه يقود إليه وكذا ينقل الله عز وجل كمال أسمائه وصفاته وأفعاله وأهل البدع ينكرون ذلك قال عز وجل ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) { يونس ٣ } إِلَهِهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ { يونس ٤ هذا ذكر مبدأ الخلق ونهايته والله هو الأول وهو الآخر فذكر الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام وذكر تدبيره للأمر وذكر علوه على عرشه وتدبيره للأمر وذكر في الآية التي بعدها إليه مرجعكم جميعاً فهذا ذكر الإيمان بالمرجع والمآل إلى الله عز وجل والإيمان باليوم الآخر وأن الله عز وجل هو الآخر الذي ليس بعده شيء لأن مرجع العباد إليه يلزم منه

أن يكون هو الآخر الذي ليس بعده شيء (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) { وعد الله العباد بأن يرجعوا إليه بالثواب والعقاب إنه يبدأ الخلق ثم يعيده هذا استبدال على أمر الآخرة بالبداية دليل عقلي على المعاد أوضح دليل عقلي على المعاد هذه النشأة الأولى كما قال عز وجل (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) { الواقعة ٦٢ } فالنشأة الأولى هي أعظم دليل على النشأة الثانية نحن أنشأنا الله عز وجل من غير إرادة منا ولا اختيار ولا نعلم أين كنا ولا كيف بدء خلقنا وإنما جعل الله عز وجل ذلك بغير أوحاه إلى أنبيائه ورسله أن الإنسان خلق من الطين قال (أَشْهَدُ لَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُمْتَحِنًا) { الكهف ٥١ } فمن الذي يزعم بعد ظهور هذا العجز التام والتحكم في الوجود وعدم الوجود إنما وجدب قهراً من يستطيع بعد ذلك أنه لن يعود أنت تعود قهراً كما خلقت قهراً الخلق الأول دليل على البعث الثاني ، قال عز وجل (يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) { يونس ٤ } وهذا من مقتضيات كماله سبحانه وتعالى أنه لا بد وأن يحاسب العباد بالعدل والقسط ويجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعدله سبحانه وتعالى ويهديهم من فضله قال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) { يونس ٤ } فيه إثبات الجزاء والأسباب بأن الله أخير أن جزاءه سبحانه للمؤمنين بإيمانهم وعملهم الصالح وأن عذابه للكفار بكفرهم والعاذ بالله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) { فكيف يزعم بعد ذلك أحد ، يرى اتقان الخلق الأول يزعم أن يسوي الله بين المؤمنين وبين الكافرين بين المسلمين والمجرمين بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات المفسدين في الأرض بين من دان بدين الإسلام ومن دان بغيره كان كله يناقض شهود ربوبية الله عز وجل بهذا الكون وكمال الإتيان فيه وكمال الحكمة وكمال العدل وكلها ظاهرة آثارها في هذا الوجود من يتدبر خلق الله عز وجل للكنائس يجرم بأنه في كمال العلم ، لأن كل ذرة فما فوقها إلى الجرة بإتقان بالغ يدل على كمال علم الله وكمال خبرته وكمال عظمتة سبحانه وتعالى وكمال قدرته ، ويرى اعتدال الأشياء وانتظامها بهذا الإتقان البالغ ، فيدل على عدله وقسطه سبحانه وتعالى ، فكيف يترك الناس في الأرض يعمل عاملهم بالخير وعاملهم بالشر ثم يتركون لا يجازي هذا بعمله ولا ذاك بكفره ، هذا مما لا يكون ، وكل من تدبر هذا حزم بأن هذه الأدلة العقلية على المعاد من الخلق الأول وظهور وجوب العدل ، وأن الله هو الذي كتبه على نفسه سبحانه وتعالى وأنه لا يساوي بين المسلمين والمجرمين ، فلا بد من حياة أخرى ليجازي كل عامل بما عمل ، وقال { الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذين أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون } [السجدة/٤] وهذه الآيات كالتي قبلها ، تذكر خلقه سبحانه وتعالى للسماوات والأرض وما بينهما ، وهذا من معاني ربوبيته وتذكر استواءه على العرش وهذا من توحيد أسمائه وصفاته ومن ذكر صفات الكمال له عز وجل ، وأن العباد ليس لهم من يتولى أمرهم من دونه عز وجل ، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم ونصرتهم ويتولى تدبير شئوهم ، ليس لهم من دون الله ذلك ، ولا شفيع من دونه عز وجل ، وإنما الشفيع بإذنه عز وجل ، وهو نفس المعنى المذكور في قوله { ما من شفيع إلا من بعد إذنه } الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش { تفيد ترتيب الأفعال الإلهية وأما متعلقة بزمن ، فهي تدل على علمه وحكمته سبحانه وتعالى وأنه يفعل ما يشاء حين يشاء وأن استواءه على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض ، { أفلا تتذكرون } أمر بالتذكر ليفهم العبد ما يلزمه من ذلك ، إذا شهد توحيد الربوبية وعلو الله على عرشه لزمه أن يفرد بالعبادة ، ثم ذكر سبحانه وتعالى تدبيره للأمر وهو مقتضى علوه ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض { بعد أن ذكر استواءه على العرش الذي يدل على العلو ، ذكر تدبيره للأمر من السماء إلى الأرض ، ثم ذكر عروج الأعمال إليه ، وكما ذكرنا أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض يعين العبد على تحقيق التوكل والتفويض وشهود ضعف العباد وغنى الرب سبحانه وتعالى ، فلا يفتقر العبد إلى أحد من الناس ولا يعمل من أجله ، وعروج الأعمال إلى الله تعينه على الإخلاص

قال { في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون } يوم ذكره الله في كتابه ، هذا صعود الملائكة بمسيرة خمسمائة سنة نزولاً وخمسمائة سنة صعوداً تقطعها الملائكة يوم واحد ، فهذا مسيرة والله أعلى وأعلم ، اليوم الذي ذكره الله هنا بألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، فنزول الملائكة بالأوامر من عنده ثم صعودها بأعمال العباد كل يوم يحصل ذلك ، فلو أن الناس أرادوا قطع ذلك لقطعوه في مسيرة ألف عام ، الله أعلم بأي سرعة يقطع بها هذه المسافة . لأن المقصود نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، فهي السماء الدنيا التي بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام .

قال { ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم } [السجدة/٦] إثبات علم الله عز وجل لعالم الغيب وعالم الشهادة ، وعالم الغيب أوسع مما يشده الناس بكثير ، فما غاب عنهم أضعاف ما علموه

{ العزيز } في انتقامه من أعدائه ، العزيز الذي لا ينال ، ولا مرام لجنابه عز وجل ، ولا يتصور أحد أن يتمتع منه ، الذي قهر العباد وغللبهم بأمره سبحانه وتعالى ، { الرحيم } بعباده المؤمنين ، فهو مع عزته رحيم عز وجل ، وهذا كله يظهر أثره في الوجود ، وانتقامه من المجرمين وإنزاله البأس بهم ، ومن رحمته لعباده وأوليائه الصالحين الرحمة الخاصة لتوفيقهم لطاعته عز وجل ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، فالله أتقن وأحسن كل شيء ، حتى ما جعل الله فيه نقصاً كمن خلقه معيباً . أعمى أو أصم أو بلا يد أو رجل . فهذا في ذاته في فعل الله عز وجل بالنظر إلى فعل الله حسن ، لأنه يترتب عليه حكم بالغة ، وليس لأنه ناقص بالنسبة إلى غيره أن ذلك فعل ليس بحسن ، بل هو حسن لكونه يدفع إلى شكر نعمة الله عز وجل ، ولكونه سبحانه وتعالى يقدر هذا الشخص كثيراً على ما لا يقدر عليه غيره رغم حرمانه مما أعطاه لغيره ، ومع ذلك يعينه الله عز وجل ويقدره ، وغير ذلك من الحكم في خلق من هو ناقص الخلقة ، فهو حسن من الله عز وجل وإن كان ذلك المخلوق معيباً بالنسبة إلى غيره ، فهو أحسن كل شيء خلقه ، أتقنه سبحانه ووضعه في موضعه ، وهو حسن منه عز وجل أحسن الخالقين .

{ وبدأ خلق الإنسان من طين } وذكر البداية أيضاً هو مقدمة للذكر النهائية لأنه قال بعد ذلك { ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين } وهو المني الذي يخرج من الرجل فيكون في رحم المرأة ، قال { ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون } ثم ذكر الوفاة والبعث فقال { قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل

بكم ثم إلى ربكم ترجعون ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربحهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون { [السجدة/١١] فذكر الله البداية والنهاية وذكر علوه وتدبيره وصعود الأعمال إليه وإطلاعه عليها وأنه عالم الغيب والشهادة ، فتجد مدار هذه الآيات على أسماء . الأول والآخر والظاهر والباطن . وشعور العبد بذلك يجعله أفقر شيء إلى الله عز وجل ، استحضاره بعجزه وضعفه ساعة ما كان طيناً ، لأنك أنت كإنسان كجنس كان آدم خلق من الطين وكل واحد منا كان ماءً وطيناً ثم حوله الله في بطن أمه إلى هذا الإنسان وهذا الخلق العجيب ، فكنا كان ماءً وطيناً فترة من الزمن ، وجنس الإنسان عموماً كان ماءً وطيناً . وهذا أفقر حالات الإنسان ، كان لا يملك وقتها سمعاً ولا بصرًا ولا يملك قدرة ولا إرادة ولا يملك حياة ولا نشوراً ولا ضرراً ولا نفعاً ، قدر ممرت أيها الإنسان شخصياً بهذه المرحلة ، فأين كان عملك الذي يذكر لأجل تحقيق الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى في الأعمال ، أنك في أحوالك وأعمالك تراها محض فضل الله ، كما رأيت ما أعطاك الله من السمع والبصر والصحة والمال محض فضله عز وجل ، فكذلك تشهد أعمالك وأحوالك وعباداتك كلها محض فضل من الله عز وجل ، شهود هذا الأمر وشهود لحظات البداية منذ كنت طيناً ثم بعد ذلك سواء الله عز وجل ونفخ فيك من روحه وأعطاك السمع والبصر والعقل فلا بد أن تشرك نعمة الله ، يترتب على شهود هذا أن تشعر بفقرك وعجزك فتشكر الذي أعطاك ومنحك ، { قليلاً ما تشكرون } ثم تتذكر أمر النهاية في هذه السورة العظيمة سورة السجدة ، وله أيضاً موضوع آخر سندكره حالاً إن شاء الله .

إذن مدار التعبد لله عز وجل باسمه الظاهر الذي ليس فوقه شيء مأخوذ من الآية الكريمة { يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه } في شهود نزول الأوامر وشهود صعود الأعمال .

نحن بذلك نتكلم على علو الله فوق عرشه ، وأما قهره سبحانه وعلو شأنه فمعان عظيمة متسعة لكل منه معنى يحتاج إلى وقفة ، أعنى علو الله عز وجل . علو القهر . أنه قاهر فوق عباده ويرسل عليهم حفظة وأنه قهرهم بما أراد سبحانه وتعالى بالحياة والموت وبالصحة والمرض ، لا يملك أحد لنفسه نفعاً ولا ضرراً وهو عز وجل يقسم أرزاقهم من عنده وينزل الأرزاق من السماء كما يشاء { وفي السماء رزقكم وما توعدون } وكل ذلك لا يملكه أحد من العباد ، بل العباد مقهورون تحت أمره عز وجل ، أما علو الشأن فهو تعالى في كمال وحدانيته عن الولد والشريك والنظير والصاحبة والكفو والوالد والولد والمثلل والسمي وتعالى في كمال عدله عن الظلم ، تعالى في كمال علمه عن النسيان والجهل وعزوب شيء عن علمه ، وتعالى في كمال قدرته عن التعب والإعياء والعجز وأن يعجزه شيء في الأرض أو السماء ، وتعالى في كمال حكمته عن اللهو والعبث واللعب والسدى وأن يكون خلق الخلق سدى بلا حكمة ، وتعالى في كمال غناه عز وجل عن أن يحتاج إلى أحد يطعمه أو يرزقه . ما يريد من أحد رزقاً وما يريد أن يطعم . سبحانه وتعالى ، خلق الخلق وأمرهم بعبادته مع غناه عز وجل عنه ، وكذلك في كل معنى من معاني كماله تعالى فيه عن النقص ، كل ذلك من التعبد لله عز وجل باسمه العلي والأعلى ، وأيضاً معنى الظهور ، لأن ظهوره سبحانه وتعالى علوه فوق كل شيء في الشأن أيضاً ، كما تقول شأن فلان أكمل أو فوق شأن فلان ، أمر فلان فوق أمر فلان ، وصفات فلان فوق صفات فلان ، الفوقية من فوقية شأن ، فعموم قوله صلى الله عليه وسلم ( وانت الظاهر فليس فوقك شيء ) يشمل المعنى الأول الذي هو معنى علو الذات ونزول الأوامر من عنده وصعود الأعمال إليه ويشمل المعنى الثاني من علو القهر ، أنه سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده ويشمل معنى علو الشأن كذلك .

يقول رحمه الله " أما التعبد باسمه الباطن فإذا شهدت إحاطته بالعالم وقرب البعيد منه وظهور البواطن له والسرائر ، وأنه لا شيء بينه وبينها فعامله بمقتضى هذا الشهود " شهود واستحضار في القلب ومعاملة بمقتضى هذا الشهود ، يستحضر أنه محيط بالعالم كلها سبحانه وتعالى ، البعيد منه قريب ، هو سبحانه وتعالى لا يبعد عن شيء ، البواطن ظاهره له ، السرائر مكشوفة عنده سبحانه وتعالى ، لا شيء بينه وبينها ، لا شيء يحول بينه وبين هذه البواطن ، كما أن ظاهرك يحول بيني وبينك ، ظاهري يحول بيني وبين باطني ، بيني وبينك هذا الظاهر ، معني أن أعرف ما في باطنك ، وهكذا أشياء كثيرة ، كل شيء يحول بين البعيد وبين القريب ، البعيد حال بينه وبين غير المسافة التي بينه وبين غيره ، فالله عز وجل ليس دونه شيء ، لا يحجبه شيء عن شيء ، البواطن له ظواهر ، فعامله بمقتضى هذا الشهود وظهر له سريرتك فإنها عنده علانية ، والمراقبة التي هي مقام الإحسان مبناها على التعبد لله سبحانه وتعالى باسمه الباطن ، لأنك تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فاستحضار أن السرية عند الله علانية .

يقول : " وظهر له سريرتك فإنها عنده علانية وأصلح له غيبك فإنه عنده شهادة ، وذلك له باطنك فإنه عنده ظاهر "

لو استحضر العبد ذلك أحسن في عبادة الله عز وجل ، راقب الله عز وجل على الدوام ، لم ينظر أن الناس سيطلعون على كذا وكذا منه فيكون هو عنده في غير مقام أو في مقام ، لا بل ينظر إلى الله عز وجل أعني يراقب الله عز وجل مجتهداً في إصلاح سريرته مفتشاً في نفسه عن أمراضه ، يحاول دائماً تركية نفسه لله عز وجل ، مطهراً لها من كل دخن ودغل ، مفتشاً في عيوب الأحوال والمقامات ، دائماً ينظر إلى عيوبه وينق تلك العيوب ، يجاهد نفسه لإصلاح السرية ، وهذا كله لأنه يعلم أنها مكشوفة عند الله سبحانه وتعالى ، والتفتيش في عيوب النفس سمة الصالحين ، وليس أنه يتركها هكذا دون تفتيش ، نفس الإنسان قد تحدعه ويكون بعض الأمور بينه وبين حقيقة ما في نفسه ، وهذا لأنه ليس أقرب إلى نفسه من نفسه ، الله أقرب إليه من نفسه ، هو عز وجل أقرب إلى العبد من نفسه من جبل الوريد { ونحن أقرب إليه من جبل الوريد } يعلم السر وأخفى ، الله سبحانه وتعالى يعلم ما في باطنك ، فكونك تترك نفسك على خبيثها وفسادها ولا تفتش فيها معتمداً على اجترائك بما أوهمتك إياه من أنك تريد مثلاً مرضاة الله ، كم من إنسان يشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، يقول مثلاً يعلم ربي أن في قلبي كذا ، ربما خدعته نفسه كما ذكرنا وأوهمته أنه يريد الخير وهو في الحقيقة إنما يتبع هواه ، نسأل الله العافية .

ذلك كله لأنه ترك تفتيشها ، لو علم أن الله سوف يطلع على الباطن.

كما لو علم إنسان أن المسئول عنه سوف يفتش عليه ، أعني التمثيل والله المثل الأعلى . فلو أن المسئول عنه سوف يفتش على دفاتره مثلاً أو على أحواله مثلاً ، فيرتب الأمور جيداً ويفتش على نفسه قبل التفتيش وينظر إلى الأخطاء فيداويها ، وأما لو لم يستحضر هذا التفتيش فإنه يكون مهملاً يترك الأخطاء على ما هي ويترك الأمور المكروهة على ما هي .

لو أن أحداً قيل له سوف يزورك فلان ويتفقد الدار ويتفقد المنزل وسوف يدخل هذه الحجرة وهذه الحجرة . تخيل مثلاً لو أن الرئيس سيزور منطقة معينة أو أن الملك الفلاني يزور المدينة الفلانية ، سوف تجد الإعداد والتمهيد والإصلاح لكل العيوب ، لماذا ؟ لأنهم يخافون أن يطلع على أمر لا يحبه وسوف يجازيهم عليه ، لو استحضرت أن الله سبحانه وتعالى مطلع على ما في قلبك ، ففتش في نفسك من الداخل وابحث عن دخالها وعن حبثها الباطن ، وابحث عن أمراضها ودواي هذه الأمراض ، كما قال عمر : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر { يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية } " ، نسأل الله العافية .

قال أيضاً رحمه الله في التعبد لله باسمه الظاهر يقول: " فمن شهد مشهد علو الله على خلقه وفوقيته لعباده واستواءه على عرشه كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه " الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ، يصمدون : يقصدون ، المقصد تكون إلى فوق فلا تنظر إلى الناس ، استحضر أن يكون قبلك دائماً مطلعاً إلى فوق ، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه ، تعرج الروح إليه بمعنى يستحضر أن عمله معروض على الله ، يعرج القلب إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه ، يناجيه مستحضراً علوه ، هو في الأرض ومستحضر أن الله مدبر للأمر كله وهو فوق عرشه ، وأنت أيها العبد الصغير الحقير الذي لا تساوي شيئاً زماناً ومكاناً الله عز وجل أرادك ونداك فأوقفك بين يديه في عبادته فيكون القلب عابداً لله كما يعبد البدن

يقول : " مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الدليل بين يدي الملك العزيز ، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه ، معروض عليه ، مع أوفى خاصته وأوليائه " أي مع أقرب خاصته وأوليائه وهم الأنبياء والملائكة الذين هم الملائ الأعلى ، وكذلك خلص الأولياء ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ( الملائ الأعلى ) الملائ : السادة ، الأعلى : الذين هم أعلى من غيرهم شأناً ومنزلاً ومكاناً كذلك ، كما قال عليه الصلاة والسلام ( مع الرفيق الأعلى ) فهو يريد أن يكون مع أرواح النبيين والملائكة المقربين الذين هم في السماوات وكذا باقي أرواح المؤمنين تكون معهم ،

أعمالك تعرض هناك ، كلامك يعرض هناك وعملك يعرض هناك .

يقول : " فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحيي أن يصعد إليهم من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك " لا حول ولا قوة إلا بالله ، لو أن الإنسان استحضر ذلك فعلاً لم يتكلم بالغبية ولا النيمية ولا الكذب نسأل الله العافية لنا جميعاً .

قال : " ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصريف من الإمامة والإحياء " فعند موت أحد الناس عليك أن تفكر في نزول الأمر من عند الله عز وجل ، ولما يولد أحد فكر في نزول أمر الإحياء ، فأنت تفكر في هذه النفس العجيبة التي كانت منذ شهور لم يكن لها وجود ، كانت حيوان منوي وبويضة وقبل ذلك كانت أقل من ذلك ، وهذه المادة كانت ماء وطن تحول إلى غذاء وتحول في بطن الأم إلى أنسجة ومواد غذائية تركب منها هذا الخلق العجيب فأمر الله بإحيائه وصار حياً بعد أن كان ميتاً ، فهذا أمر من الله .

فمن يملك إعطاء الحياة لأحد ، الله تعالى هو الذي يملك ذلك ، من الذي يملك أن يهبه هذه الحياة ؟ ، أمه ؟ أو والده ؟ لو الأمر كذلك لم تجد أحد متخلف عقلياً ولا تجد أعمى ولا تجد أحد فيه أي نقص ، فلو كل واحد يختار سيعطي لابنه ٢٠٠ % معامل ذكاء مثلاً . فكل هذه المعاني لما تستحضر بها أمر الله ونزول أمر الله بهذه الكيفية ، وأن الأمشاج تختلط بطريقة معينة ،

فلو استحضر العبد أوامر الله من إمامة وأحياء فهو يميت ويحيي ويسعد ويشقي .

يقول : " ينزل الأمر والمراسيم " مرسوم : يعني أمر ، ولكنه يعبرها في ذلك الوقت ، يقول مرسوم إلهي ، لأنه مقصود أن رسم الأمر الفلاني ، ولكن ليس المقصود بأن من أفعال الله تعالى الرسم ، لكن المقصود بأنها الأوامر ، هو تجوز في الإخبار وليس صفة الرسم .

يقول : " ويشهد بنزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم ، " فأنت هنا والآخر في الصين والثاني في الجنوب والآخر في الشمال . سبحان الله الإنسان كل لحظة له شأن لا يملكه ، فالأوامر الإلهية نازلة إلى أقطار هذا العالم المشهود وعالم الغيب أيضاً يدبره ، في كل وقت من أنواع التدبير والتصريف من الإمامة والإحياء والتولية والعزل ، وفلان ولي اليوم ولاية والآخر عزل ، فكل الملوك والرؤساء لم يكونوا ملوك ولا رؤساء ثم ولوا هذه الولاية في يوم من الأيام ، وكان بينهم نزاع وبين غيرهم ثم حصل لهم الانتصار لهم على من نازعهم ، فكان من الممكن أن يحدث العكس وساء باختيار الناس أو بدون اختيارها .

والتولية في كل الأمور التي يتولاها الناس سواء في الملك والرياسة أو الوزارة وما دون ذلك من الأعمال ، وهو أن يتولى الإنسان أمراً أو يعزل عنه ، فالله أمر أن يولى فلان ، والله أمر أن يعزل فلان ، تحيل أمر الله لشارون وهو أن يذهب روحه ، فتذهب منه روحه ، فشارون له ولاية وله أمر على الأمريكيان مثلاً وعلى الناس ؟ ، ثم فجأة نزع منه ، وأصبح جثة تتعفن تدريجياً ، فهو يموت من فترة ، وغيره الكثيرون كذلك ، ففلان كان سلطاناً وزال سلطانه ، وفلان كان في وظيفته فزالت وظيفته ، بأمر سبحانه وتعالى ما شاء ، كل يوم هو في شأن ، ففي كل لحظة أناس يرفعون وأناس يخفضون ، الخفض والرفع ، ففلان ينخفض شأنه بعد أن كان عظيم الشأن ، وفلان كان ذليل ومهان فارتفع شأنه وأعزه الله ، أعز وأذل وخفض ورفع ،

: " من الإماتة الإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع " لا تجد إلى أن في يد فلان كذا ، بل أنظر إلى أن الله أعطاه ، أنظر إلى أن الله منع ، قال عز وجل { وقال موسى إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا } هذا الاستحضار عظيم الأهمية ، وهو أن ليس فرعون الذي معه ، بل هو مستحضر أن الله الذي آتاه سبحانه وتعالى ، { ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموال في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم } ،

ربنا ليضلوا عن سبيلك أعجب ، لأنك مستحضر أن ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ، يعني لو شاء الله أن يهديهم جميعاً لفعل ، ومن حكمة الله أن يقع ذلك ، ويقع السوء بعضه على بعض والخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم ، وصدق الله عز وجل { وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ، ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرذوه وليقتروا ما هم مقترفون } [الأنعام/ ١١٢] سبحانه الله ، تجتمع الأفئدة المبطله على بعضها ، وأنت تستحضر هذا المعنى تجد الخوف من مكرهم وكيدهم يصغر جداً ، ولذلك هذه الجموع جعلت الناس يقولون { إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين } استحضار أن الأمر من عند الله نازل سبحانه وتعالى

" العطاء والمنع والخفض والرفع وكشف البلاء وتقلب الدول ومدولة الأيام بين الناس { وتلك الأيام نداؤها بين الناس } فلا تنظر إلى قوة الدولة الفلانية ، فهذه الدولة اجتمعت وهذه الدولة تفرقت ، والله نرى في حياتنا وليس فقط في الأخبار التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ، فالله عز وجل ذكر لنا أخبار عاد وثمود ، فعاد كانت قوة أحادية في ذلك الزمن ، عاد كانوا يقولون من أشد منا قوة ، لم يكن هناك قوتين في ذلك الزمن ، من أشد منا قوة ؟ استنكار . قال عز وجل { أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمحذون } وكانوا عتاه في الإجماع والكفر وإذا بطشوا بطشوا جبارين ، ثم من يشتري تركة عاد بدرهمين ، فما هي مساكن عاد الآن { تلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً } وثمود مساكنهم إلى الآن موجودة ومهجورة ، والقرى اللوطية في سدوم ، ومساكن الفراعنة كان ملك عجبياً ، فكان ذا أوتاد { وفرعون ذي الأوتاد } كان راسخاً في الأرض لم يتصور زواله وفي لحظة زال ملك فرعون ،

وانظر الآن إلى ملك الاتحاد السوفيتي ، انظر إلى روسيا ماذا كانت ؟ ، طلوع القمر ثم تمزقوا إرباً وأصبحت الشعوب التي تأكل بفرجها ، فهم مشهورون في معظم دول العالم أنها الشعوب التي تأكل بالدعارة ، وغيرهم أشد قبحاً والعياذ بالله .

انظر إلى حال اليهود في الحرب العالمية الثانية مثلاً ، حالهم كان شديد في البؤس والبأس الذي نزل بهم من أنواع الإذلالات ، انظر إليهم الآن هم يتحكمون في العالم ، وهم في الحقيقة لا يتحكمون في العالم ، لذلك نقول أن موازين القوى ليست من عند ناس ، موازين القوى من عند الله عز وجل ، بالتالي تغير من أنفسنا فتتغير موازين القوى ، فنحن لا نعرف أن نفعل شيئاً في الأمور التي تمتلئ فساداً ، ولكن نعرف أن تغير من أنفسنا بتوفيق الله ، لذلك نقول أن التغيير يكون من داخلنا أولاً ، لما نشهد هذه المعاني ونتدبر أن الله الذي يدبر الأمر ويداول الأيام بين الناس كما قال عز وجل { ولا تهتوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن بمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويحقق الكافرين } [آل عمران/ ١٣٩] حكم بالغة في تقدير الهزيمة ، وهو سبحانه وتعالى الذي يدبر الأمر ويقبّل الدول ويداول الأيام بين الناس ، يوم لنا ويوم علينا ، يوم نستاء ويوم نسر ، الله عز وجل يفعل ما ، كل هذا تشهد أنه نازل من فوق وليس من عند الناس .

عمر رضي الله عنه لما وجد كل الناس أتت لاستقبال أمير المؤمنين وخرجت الناس كلها من جنوده ليستقبلوا أمير المؤمنين ، فجنوده وأصحابه قهروا مملكة الروم وأخذوا منهم وقهروا الفرس قبل ذلك ، وهم قبل عدة سنوات لا يعجب بهم ولا يأبه لهم ، وكلهم يريدون يشاهدوا أمير المؤمنين وهو رضي الله عنه في هذه الكلمة لما دخل الشام قال : " أتظنون الأرض من هاهنا . من الأرض . إنما الأمر من هاهنا " . أمر الله تعالى الذي قلب الدول وداول الأيام بين الناس ، تجد الموازين تغيرت في لحظة ، فاليوم تجد نفسك خائف ومستضعف وضعيف لا تقدر على فعل شيء وتجد نفسك في الغد في وضع آخر بأمر الله عز وجل إذا شهدت ان الأمر ينزل من فوق .

يقول : " إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواء فمراسمه . أوأمره . نافذة كما يشاء ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبادة . شهوداً ومعاملة . معرفة : الشهادة ، وعبودية : معاملة الله بمقتضى ذلك من التوكل وتفويض الأمر إليه ، هو هنا يتكلم عن الغنى بالله عز وجل ، فهو يغنيك عن كل الصراعات ، لو استحضرت هذا المشهد استغنيت به ، تغنيك آية واحدة { يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون } ، وكل عبودية لله عز وجل تغنيك ، كل عبودية تستغني بها عن الناس .



يقول : " وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً " كما أرشدنا القرآن إلى هذه الطريقة ، قال عز وجل { وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } [الأنعام/ ٥٩] آية واحدة توقف الإنسان على مشاهد في الوجود كله ، مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } [لقمان/ ٣٤] خمس لا يعلمهن إلا الله بإجماع العقلاء ، لا نقول بإجماع المؤمنين فقط ، بل بإجماع العقلاء ، علم الساعة لا يعلمه إلا الله ، نزول المطر: فمتى ينزل ومتى يقلع ومتى يغاث الناس ومتى يغرقون بسببه ، لا يعمل إلا الله ، والتنبؤات كلها عبادة عن توقعات وليست أنها جازمة بمحصول ذلك ، قال { ويعلم ما في الأرحام } كل تفاصيل هذ الجنين ، لما تجد امرأة حامل وتفكر ماذا سيكون هذا الولد في يوم من الأيام ، أو البنت التي في بطنها ماذا ستكون في يوم من الأيام ، ماذا يكون عملهم عندما يكبرون ؟ أيصلون ويصومون أم يتبرجون ويفسدون ويسرقون ويزنون أم يظلمون وينتهكون الحرامات ويفسدون في الأرض ويحكمون بغير ما أنزل الله ويجاهدون على إقامة الدين أم على إقامة الكفر والفساد . هؤلاء الذين يفعلون الأعمال التي ستأتي بعد ذلك ، لكن لا يعلم ما في بطن هؤلاء إلا الله ، من الممكن أن يكون صالح وصالحه والذي في بطنهما شيء آخر ، وربما يكون فاسد وفاسده وكافر وكافره ويخرج من بطنهما من يعبد الله ولا يشرك به شيء سبحانه وحمده ، { ويعلم ما في الأرحام ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً } فماذا يحدث غداً ؟ لا يعلمها إلا الله . { وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير }

{ ويعلم ما في البر } تخيل الكائنات التي في البر وأنواعها المختلفة في الصحاري والغابات وتحت فراشك ومنزلك كم غلة وكم بعوضة ، وما في هذا البر الواسع من الكائنات وكم ما هو مدفون في الأرض ، ومن الكائنات الحية وغير الحية ، هنا ماء وهناك بتزل

{ وعلم ما في البر والبحر } والبحر هو اضعاف اليابسة ، أنواع من الكائنات الحية في قاع البحار لا يعلمها إلا الله ، من الكائنات الحية وغيرها ، فلو وضعت نقطة من نهر أو بحر تحت الميكروسوب ونظر إليها بعد وضعها على الشريحة تجد أنواعاً من الكائنات الحية وغيرها كما ذكرنا ، الله عز وجل أحاط بها علماً ، ففي كل قطرة ماء فيها من الخلق ما لا يعلمها إلا الله ، فالحلي منها يزرق ويتكاثر والأشياء الأخرى ربما ظلت ملايين السنين ، صخور متراكمة متراكبة الله عز وجل أعلم بها ، كيف تتشقق فتحصل الزلازل

{ يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } شجرة من الشجر في غابة من الغابات تسقط ورقاتها وتتساقط إلى الأرض وتقلب كم مرة ثم تستقر في الأرض ثم تدفن ثم تكون مستودعة في الأرض بعد ذلك وتحول إلى غطاء أحوى الله عز وجل علم ذلك كله ،

{ ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } آيات عظيمة الشأن ، وهذه الطريقة التي يذكرها ابن القيم رحمه الله ، وهي أن يفكر الإنسان في موازين الذر في السماوات وفي الأرض ، والكوكب الأخرى التي عليها ما لا نعلمه ولا نعرف عنه شيئاً ، النجوم الهائلة المتسعة التي أعدادها فوق تخيل الإنسان ، وهذه المجرات الهائلة ، وكل منها بعلمه سبحانه وتعالى ، وكل منها متقن غاية الإتقان والحكمة تامة ، وتسير بنظام الله خلقها سبحانه وتعالى عليه .

يقول : " علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإرادته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية لا يخفى عليه منها شيء " ، فإذا استشعر قلبه ذلك وعامل الله بمقتضى ذلك حرس خواطره ، يعني لا يترك نفسه تسرح في أي شيء ، فأى خاطر لابد أن ينظر إليه هل هو خاطر رحمانى أم خاطر شيطاني أمخطر نفساني ، الخواطر التي تكثر تؤدي إلى وجود العزائم بعد ذلك وإلى وجود الإرادات ، لأن الخواطر تتجمع وبعدها تحصل إرادات ، فالذي يأتي له خاطر بأن فلان هذا لا يحبك فيقول نعم فعلاً هو فعل في كذا وكذا حتى يتحول ذلك إلى عداوه وبغضاء وكيد ومكر ، هكذا مثلاً بداية الخواطر ، خاطرة مثلاً أن يسرع في نظرة إلى امرأة جميلة أو إلى منظر مغري يشتبهه يترتب على ذلك عزيمة بنيل الفاحشة حتى يصبح حب قاهر للعبد لا يستطيع التخلص منه ويدمن على كثير من المنكرات ، والذي آدمن على النظر في المواقع الإباحية يتجده لا يتمكن من التخلص إلا أن يرحمه الله ، لو أن واحد يحب امرأة تكون بدايتها خواطر ، لو أنه فكر في هذه الخواطر ومنعها من الأول وهي ما زالت خواطر ضعيفة لم تكن منها ، فلما يأتي له خاطر بالصلاة ركعتين فهذه الخواطر رحمة من الله من الممكن ألا تأتي بعد ذلك وهكذا فاستغلها ، تصرفتك فيها سوف يحاسبك الله عليها ، الإيمان والكفر أحياناً يكون بدايته خواطر ، لأن الكافر يأتي له خاطر إيماني في يوم من الأيام فيقول أترك ما كان عليه أبي وأمي ، وماذا أفعل مع اقاربي وهم يحبوني وأنا أحبهم ، وهو ظهر له الحق ، وظهر له أن هذه العقيدة عقيدة فاسدة لا تصح ومع ذلك يقول لا أقدر على شيء ، يأتي له خاطر توبة إلى الله عز وجل فيتذكر مركزه الذي فيه والأموال التي حصلها أكل هذا يضع ؟ فيترك التوبة { إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا } ،

نسأل الله العافية

{ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين } [العنكبوت/ ٢٥] فهذه الخواطر لو استحضر الإنسان أن الله سوف يحاسبه عليها وعلى إراداته وماذا تريد من هذا الفعل ومن هذا الترك وجميع أحوالك ، ولا تستهين بما في داخل النفس ، يعني الله مطلع على ما في قلبك وعالم بدواخل النفس ، فلا تستهين بالخواطر التي تأتي للنفس ، ولو فتشت جيداً لو جدت ربما ما يحتاج إلى معالجة طويلة الأمر .



علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخوطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية لا يخفى عليه منها شيء .

نستكمل المرة القادمة إن شاء الله .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ١٦- تابع كلام الإمام ابن القيم في التبع لله بالأسماء والصفات

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

نستكمل شرح المنة من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في التبع لله عز وجل بأسمائه الحسنى بالشهود والمعاملة ،

يقوله رحمه الله " وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعذب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السماوات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلاً ثم تعبد بمقتضى هذه الشروط من دراسة خوطره وإراداته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخوطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بالية لا يخفى عليه منها شيء هذا سبق شرحه ،

يقول " وكذلك إذا اشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عبادته على اختلافها وجهها وخفائها وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به كما قال الله عز وجل ( سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) الرعد ١٠ هو سبحانه وتعالى يستوى عنده السر والعلن في سماع هذه الأصوات وأنه سمعها سمعه سبحانه وتعالى كما تقول عائشة رضي الله عنها في قول تعالى ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ) المجادلة ١ تقول سبحانه الذي وسع سمعه الأصوات إن المرأة التي تجادل النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها في ناحية البيت وإنه ليخفي عليها بعض كلامها وقد سمع الله صوتها من فوق سبع سموات أو كما قالت رضي الله عنها وهذا يدلنا على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم وتعلقهم واستفادتهم من بيان القرآن بأسماء الله عز وجل بصفاته في المواطن المختلفة وذكر الله تعالى أمر الظهار يعني ذكر أولاً صفته سبحانه وتعالى لم يذكر حكم الظهار ابتداءً من أنه يجب عليه أن يعتق رقبة ويصوم شهرين أو يطعم ستين مسكيناً إنما قال ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) المجادلة ١ فيشعر القلب بصفة السمع بمعنى أنه يستحضر أن الله تعالى يسمع كل كلام في العالم وكل صوت في هذا الوجود الكلمات المفهومة والأصوات غير المفهومة ما يصدر من أصوات من انفجارات هائلة في الشمس وفي النجوم والكواكب وما يصدر من أصوات ضعيفة في أعماق البحار من أسماك أو حشرات في الأرض أو نمل أو غير ذلك وهي أصوات لا يستطيع أكثر البشر أن يدركوها ولا حتى بالوسائل المعاصرة الحديثة والله عز وجل قد وسع سمعه الأصوات واختلاف اللغات واختلاف المتكلمين ونحن إذا تكلمنا في آذاننا لن نسمعها سمعنا لو أن أثنان كل منهما تكلم بكلام ما فهمنا هذا ولا ذاك مثل ما تكون بين المحطات تغير ووبين المحطتان لا يستطيع أن تسمع هذه ولا هذه لاختلاط الصوتين وتأمل وتدبر أن سمع الله عز وجل قد أحاط بالأصوات كلها لا يشغله سمع عن سمع هي عنده كصوت واحد يقول ( سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ) الرعد ١٠ لا يشغله جهر من جهر عن سمعه بصوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع لا يشغله سماع صوت هذا عن سماع صوت ذاك هذا في أقصى المشرق وذاك في أقصى المغرب إذا هذا في الليل وهذا في النهار والله سبحانه وتعالى وسع سمعه الأصوات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة ( مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَغْنُتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) لقمان ٢٨ قدرته عز وجل على خلق الجميع وبعث الجميع كقدرته على خلق واحد منهم ذلك يسير كهذا تماماً ولذا الأصوات كلها قدة أحاط بها سبحانه وتعالى هذباب يقتضي مشهد معاملة الله سبحانه وتعالى بمقتضى ذلك بمراقبة كلام العبد لنفسه ماذا يتكلم به ولا يغتاب ولا ينم ولا يكذب ولا يتكلم بالباطل لأنه يعلم أن الله يسمعه ويراقب الله في السر والعلن في كلامه فهذا يتعبد لله باسمه السميع بالشهود والمعاملات

يقول " وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حداث الظلماء ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة . تفاصيل خلق النملة الصغيرة . ومخها وعروقها وحركتها ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل ، فهذا يسير كما ذكرنا على طريقة القرآن والسنة في لفت اهتمام القلب إلى شهود هذه التفاصيل كما ذكرنا في قول الله عز وجل ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْطُتُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِجَّةَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رُطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) الانعام ٥٩ وكذلك نشهد هذه التفاصيل في شهود معنى اسمه السميع والبصير سبحانه وتعالى ، يعني تخيل لو أحد تفكر أن بحيرة من البحيرات الهائلة في غابة من الغابات مليئة بالبعوض ، هذه البعوضة مدت جناحها والأخرى قبضت جناحها ، هذه طارت وهذه نزلت وملايين الكائنات وهو يرى كل ذلك سبحانه وتعالى في ظلمة الليل وفي وضوح النهار ونحن بصرنا لا يتجاوز بضعة أمتار بصرنا محدود لانستطيع أن نرى خلاف ما هو حولنا وتحجبنا المسافات وتحجبنا الحواجز وتحجبنا القواطع التي تمنع نظر بصرنا ، الله عز وجل نفذ بصره في الخلق جميعاً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ) يعني يحيط بهم بصر الرب عز وجل ، وكذا في قوله صلى الله عليه وسلم ( حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ) رواه مسلم لأحرقت سبحات وجهه جميع الخلق

ولكن ذكر هذه العبارة ( لأحرقت سبحات وجهه ما انتهت إليه بصره من خلقه ) وبصره محيط بالخلق جميعاً لا ينتهي حتى يحيط بجميع الخلق فلو كشف هذا الحجاب في الدنيا لأحرقت أنوار وجهه كل الخليقة نسأل الله العافية ،

قال " ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل وأعطى هذا المشهد حقه من العبادة بحركته وسكانته حركات العبد وسكانته وتيقن أنها بمرمي منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء وكما قال سبحانه وتعالى لموسى وهارن ( قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ) (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى { طه ٤٥ } سبحانه وبجمده فمن استحضرت سمعه وبصره ورؤيته سبحانه لما يفعل الظلمة والكفرة وأعداء الإسلام وما يفعله أهل الإسلام من الحرص على عبادة الله ونشر الدين وإعلاء كلمة الله وعلم أن الله يسمع ويرى توكل على الله أعظم توكل وقاده ذلك إلى أن يستهين بمكر الأعداء وكيدهم وما يخططونه من أذى أهل الإسلام هو سبحانه وتعالى يسمع ويرى ويعلم ما مكروا وأحاط بذلك علماً وسمعاً ورؤية سبحانه وتعالى

يقول " وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال القيوم القائم على كل نفس بما كسبت القائم لنفسه المقيم لغيره أقامهم في ما هم فيه ، فاسم القيوم جمع لصات الأفعال لأن كل الخلق إنما هم قائمون بفعل الله بهم الله جعل هذا مقيماً للصلاة وجعل هؤلاء أئمة يدعون بأمره وجعل فرعون وملأه أئمة يدعون إلى النار ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمًا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ { القصص ٤١ } جعل سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين وجعل سبحانه وتعالى في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها الجعل فعل الله بخلقه وأنه يجعلهم يفعلون أفعالهم فهو الذي يحي ويميت ويسعد ويشقي ويعز ويذل أفعال تقوم بالعباد الله فعلها كذلك ، فمشهد القيوم القيومية أن الله هو قائم السماوات والأرض كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن في الرواية الأخرى أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن وفي الرواية الثالثة أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن ) فكل من فيهما وهما السماوات والأرض قائمون بأمر الله ، الله يقيمهم بأفعاله سبحانه وتعالى فيهم ، قال إنما أسم القيوم هو الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت وهذا معنى آخر من معنى القيومية أنه قائم عليهم بالحساب قائم عليهم بالمشاهدة والأطلاع والمراقبة وقائم عليهم بما كسبوا من خير أو شر يوصل جزاء الإحسان لمن أحسن وعقوبة الإساءة لمن أساء في الدنيا والآخرة ليس هذا الكون متروكاً عبثاً ولا سدى هو سبحانه مقيم لكل من فيه في مقامه ولولا إقامة الله له لما قام ولو إقدار الله عز وجل لفعله لما فعل ولولا أن الله أعطاه السمع والبصر والفؤاد وأمد فيه هذه القوات والقدرات حتى فعلت ما فعلت لما فعل العبد شيئاً وهو في قدرته عز وجل ان ينزع منه ذلك ، بأن ينزع منه قدرته وسمعه وبصره وتحريكه لبدنه فيلقى أعزل عاجزاً لا يملك لنفسه سمعاً ولا بصرًا ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ { الانعام ٤٦ } أنظر إلى هذه الآيات التي تبهر قلب الإنسان وعقله لو تدبرها فعلاً أنت لا تملك سمعك ولا بصرك ابتداءً ولا استمراراً لن تعطى نفسك سمعاً ولا بصرًا ولا عقلاً ولا إدراكاً ولا قلباً ولا فؤاداً تدبر به معاني ما حولك أماك أناس خلقوا بلا أعين ابتداءً سبحانه الله يعني حدثني أخي منذ يوماً أنه رأى طفلاً صغيراً في منتهى الجمال ولكنه بلا عينين خلق بلا عينين في جفون ونحو ذلك لكن كرة العين غير موجودة وهكذا آخر بلا يدين ولا رجلين يقولون فكوا الولد ملفوف في لفة يقول لهم مالكم تربطونه هكذا ، قالوا لا إنه بغير يدين ولا رجلين خلق بلا يدين ولا رجلين ، هذا ابتداءً ، لكن ماذا عن استمراراً ، انظر إلى الناس الذي حدث لهم شلل صباح هذا اليوم واحد كان تمام الباردة واليوم قام مشلولاً لو ذهب إلى قسم المخ والأعصاب في أي مستشفى ستجد اليوم الصباح ستجد أناس حصل لهم ذلك في العالم ألاف ربما مئات الله أعلم ، وهناك من فقد بصره اليوم وهناك من فقد سمعه اليوم ، أذنه ذنت ، لما أذنك تمرض ماذا تفعل ؟ تبحث وساعات الأطباء يقولون هذه الذنة لن تشفى وساعات تزدد إلى يذهب السمع كله ، تقدر أن تسكتها ؟ ستنتظر عليها إلى أن تذهب أليس كذلك ، لما واحد يسمع طنين فيها يجلس ينتظر إلى أن تذهب ، ماذا يملك الإنسان ؟ يحصل دمور في العصب يحدث سددان في الشريان ، الله سبحانه وتعالى قائم على كل الخلق بما كسبوا وقائم عليهم هو يقيمهم سبحانه وتعالى فلا تظن أن هذا الكون يعني يقوم بنفسه أبداً ، الله عز وجل قائم بفعله عز وجل فيه في كل ذرة من ذراته قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت كما قال عز وجل ( أَقَمْتُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ { الرعد ٣٣ } وأنه تعالى هو القائم بنفسه يعني هو سبحانه وتعالى مستغني عن جميع الخلق لا يحتاج إلى شيء لا يحتاج إلى أحد هو سبحانه وتعالى قائم بنفسه مقيم لغيره ، أشهد أنه هو سبحانه وتعالى هو القائم لنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ) يخفض القسط ويرفه بالعدل يرفع من يشاء ويخفض من يشاء القسط هو الميزان ينقل ميزان من شاء ويخف ميزان من شاء في القوة والقدرة والأعمال والحسنات والسيئات ، الأمور بيده سبحانه وتعالى ، ( إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفه إليه عمل الليل قبل علم النهار وعمل النهار قبل عمل الليل لا تأخذه سنة ولا نوم لا يضل ولا ينسى سبحانه وتعالى ) ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ { البقرة ٢٥٥ } لا غفلة ولا وسن ولا نوم خفيف ولا نوم ثقيل لا يغيب سبحانه وتعالى عن تدبير خلقه لحظة فما فوقها وما دونها لكمال قيوميته ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ { أنواع التوحيد الثلاثة متضمنة في هذه الأسماء (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ { توحيد الألوهية أنه الإله المعبود الذي يتوجه إليه عبادات الحق وحده لا شريك له ولا إله سواه ) ، ( الْحَيُّ { وهذا الاسم أسم الحي الذي لكمال حياته اتصف بجميع صفات الكمال الاسم الدال على صفات الذات من السمع والبصر والقدرة والإرادة وكله متلازمة مع الحياة الكاملة فلكمال حياته سبحانه وتعالى كان سمياً بصيراً قديراً ، لو نظرت إلى المخلوقات من فقد منها شيئاً من ذلك فعدم وجود الحياة في هذا الجسم ، مثل ما قلنا أن واحد حصل له شلل مثلاً نتيجة إنسداد في شريان أدى إلى موت أجزاء من العين أو أجزاء من المخ أو أجزاء من اليد أو الرجل مات فانتفتت منافها أما من كانت حياته كاملة كانت كامله في هذه الصفات فله عز وجل حياته ليست كحياة المخلوقين بل هي أكمل وأعظم وأتم فهي مستلزمة لكل صفات الكمال الذاتية

القيوم الذي يفعل ما يشاء ويقوم على الخلق فهو توحيد الربوبية فالأول توحيد الألوهية والثاني الحي توحيد الأسماء والصفات الذاتية ، القيوم توحيد الأفعال الذي هو توحيد الربوبية ولذلك كان هذا هو الاسم الأعظم على أصح الاقوال والله تعالى أعلى وأعلم ، لأن هذا الاسم المراد المكون من هذه الأسماء الثلاثة يرفع إليه عمل الليل أي أعمال العباد التي

عملوها بالليل ترفع إليه عند صلاة الفجر قبل أن يبدأ الناس في عمل النهار تكون معرضه عليه وهو علمها عز وجل وبه تقع في الأرض لحظة وقوعها بل علمها قبل ذلك ، ولكن سرعة صعود الملائكة بما تعرضها عليه عز وجل من أدلة كمال قدرته سبحانه وتعالى ، لأن الله أقدر بعض خلقه على أن يرفعوا أعمال العالم كله خلال الليل قبل أن يبدأ الناس في أعمال النهار ، ( قبل النهار ) أو ( قبل عمل النهار ) روايتان صحيحتان .

( قبل النار ) يعني قبل ان يبدأ النهار تكون أعمال العباد قد صعدت إلى الله عز وجل التي عملوها خلال الليل .

قبل أن يبدأ الناس في عمل النهار أو قبل النهار ، وهما متلازمان .

( ويرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ) : في صلاة العصر تصعد الملائكة بأعمال بني آدم التي عملوها بالنهار إلى صلاة العصر .

( لا يضل ربي ولا ينسى ) كما قال موسى عليه السلام .

لا يضل : أي لا يعلم خلاف الحق ، أو أن يغيب عنه شيء مما يقع في الكون

وينسى : أي ينساه بعد أن كان يعلمه

الله لا يضل ولا ينسى .

يقول : وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية .

والحقيقة أنه المقدمة لمشهد الإلهية ، وكما ذكرنا أن كثيراً من الناس قد يستهين بذلك ويقول توحيد الربوبية قد أتى به المشركون ولم ينفعهم ، كما ذكرنا لو استحضروا هذا المشهد لوجدوا الله قطعاً ، فهو نعم لا يكفي ولكن هو مقدمة وإياك أن تظن أنك يمكن أن توحّد الله توحيد الإلهية بأنواع العبادات وأنت غافل عن مشهد الربوبية ومشهد أفعال الرب سبحانه وتعالى وصفاته الفعلية وأنه الذي يحيي ويميت ويسعد ويشقي ويملك الملك ويولج الليل في النهار ويولد النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر ويخفي ويكشف ويرفع ويعز ويذل ويمت ويحيي ، لا يمكن أن تتعبد له وأنت غافل عن هذه المشاهد .

نسيان الله سبحانه وتعالى لبعض خلقه ليس بمعنى الغفلة وعدم الذكر بل بمعنى الترك في العذاب والعياذ بالله { نسوا الله فيسيهم } { اليوم ننساكم كما نيسم لقاء يومكم هذا } بمعنى أن يتركهم والعياذ بالله في العذاب ويعاملهم معاملة الناس ، لا أمل لهم في الخروج ، تركوا في النار بلا أمل ولا نجاة ، نعوذ بالله من ذلك ، نسأل الله العافية .

أحياناً بعض الناس يسجنون عشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة حتى ينساهم الناس ، فيقولون أنهم نسوهم . هو نسيان حقيقي فعلاً من الظلمة والمجرمين وربما ينسى إنسان فعلاً ويترك . تخيل لو أن إنسان يعامل هذه المعاملة في النار وينسى والعياذ بالله ، { وكذلك اليوم تنسى } يترك ويعامل معاملة من نسي .

رفع الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى من أدلة قدرته وعظمته وتديره للأمر :

يقع في اليوم مرتين ويقع أيضاً في الأسبوع مرتين . الاثنين والخميس . وفي السنة في شهر شعبان وهذا كله من أعمال الملائكة ، الله عز وجل يأمر الملائكة فتصعد وتعرج مرات كما أن الكتابة كتابات فالرفع والعرض عليه مرات بقدرته سبحانه وتعالى الذي أقدر الملائكة على ذلك .

يقول : " وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية " إذن القيوم هو الاسم الدال على الأفعال وهو مشهد الربوبية لأن توحيد الربوبية هو توحيد الرب عز وجل بأفعاله سبحانه وتعالى .

يقول " وأعلى منه مشهد الإلهية " وهو مشهد الرسل وأتباعهم الخفاء أي المائلين إلى الله المعرضين عن غيره .

يقول : " وهو شهادة أن لا إله إلا هو وأن إلهه ما سواه باطل ومحال ، كما أن ربوبية ما سواه كذلك " .

ربوبية من سواه أي أنه كما أن غير الله لم يخلق ولم يرزق ، وأن غير الله عز وجل لا يملك نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكذلك لا يركع له ولا يسجد ولا يُخاف ولا يُرجى ولا يتوكل عليه ولا يتحاكم إليه ولا يطاع إلى فيما أمر الله بطاعته

وأن إلهية ما سواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى له ويسجد ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكماله أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة. هنا قال على الحقيقة ليست مخالفة لطاعته ولكن لأنها من طاعته وجبت، كطاعة الرسل الكرام وطاعة من ولي الله أمر المسلمين وطاعة الولد لأبيه وأمه وطاعة المرأة لزوجها وغير ذلك ممن له حق الطاعة، لكن لا تجب طاعتهم ولا يطاعون في الحقيقة إلا لأن الله أمر بذلك فالمطاع على الحقيقة هو الله وحده لا شريك له، طاعة غيره مقيدة وتابعة. فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده وله الحكم وحده "

وهذا كلام حق فله الحكم القدري وله الحكم الشرعي وله الحكم الجزائي، والمؤمن يستحضر ذلك كله ويرى بطلان أن يعتقد عبد أن حكم شيء في هذا الوجود قدرًا وكونًا لغير الله، وكذلك يعتقد المؤمن أن شيئًا من الشرع لا يمكن أن يمكن أن يكون تشريعه لغير الله، يعتقد أن الله له الحكم الشرعي وحده فما أحله الله هو الحلال وما حرمة هو الحرام.

هذه القضية من أهم قضايا التوحيد، هي لصيقة ملتصقة تماماً بأنواع العبادات لأنها منها، ولذلك لا يرضى المؤمنون أبداً أن يتحاكم إلى غير شرع الله وأن يكون آراء الناس وخصوصاً الجهلاء والطوام والكفرة والزنادقة والمنافقين هم الحكم، الذي يحكم بين الناس فيجازي هذا بمنع هذا ويحلل هذا ويحرم هذا. والله ما حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمة الله، ولو استجاز الناس خلاف ذلك وأباحوه ما صار مباحاً، ولو أوجبوا شيئاً ما صار واجباً إلا ما أوجبه الله، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، كل عبودية لغير الله باطلة بأن تعتقد بطلان أن يتوجه عبد بحب وذل لغير الله، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى بغيره فقر وفاقة، الإنسان يستغني بالشيء مثل المال مثلاً فهذا في الحقيقة فقر وفاقة، أو يستغني بالجاه والشهرة أو يستغني بمدح الناس ويشعر بأنه يرتاح لأن الناس قد أثنوا عليه واستغنى بأن الناس قد علموه واشتهر فيهم، استحضر العبد بأنه مستغني بأحد من الخلق كله ذل وهوان وكله ضياع وفقر.

يقول: " وكل عز بغير ذل وصغار " مثل من يتعزز بالجنود والأعوان والقوة والمادية والسلاح ويتعزز بالرياسة والجاه والملك، يتعزز بالمال ويتعزز بكثرة الولد { أنا أكثر منك مالاً وأعز ونفراً } فكان ذلك العبد ذليلاً وهو يقول ذلك، ولذا قال له المؤمن " أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً " وهي لحظات الفقر الظاهر للإنسان وهي اللحظات التي يدرك فيها كل أحد أنه كان فقيراً. عندما كان تراباً وعندما كان نطفة. فكل عز بغيره ذل وصغار

: " وكل تكثر بغيره قلة وذلة "، أتتكثرت بغير الله عز وجل؟!، أترى أن عندك أتباع وجنود كثيرين؟! فهذا ذلة وقلة وهوان عند الله، إنما أنت تستغني بالله وأنت تفتقر إلى الله وتعزز به سبحانه وتعالى، تعزز به أي بطاعته وتعلم أنه هو الذي يعزك وأنه هو الذي يرفعك وحده وأنه هو الذي يذل من عصاك، وأنت تستغني به أي بعبادته وبأنك وصلت إليه وبأنك عرفت الطريق إليه ولأنك علمت كيف تتقرب إليه وفزت به سبحانه وتعالى وفزت بالقرب منه ومحبتة وفزت بالعبودية له، فهنا تستغني به عز وجل، تستغني بكل ركعة وسجدة له عز وجل وتستغني بتوفيقه لك لتدبر آياته وبقيامك بين يديه، تستغني بذلك عن الخلق فلا يضريك أن منعوك وأن لم يعطوك ولا يضريك أن لم يعظموك، ولا يضريك أن آذوك أو حبسوك أو عذبوك، لا يضريك ذلك، أنت في عز وفي غنى بالله سبحانه وتعالى.

فإذا ذموك لا يساوون شيئاً ولا قيمة لهم ولا أثر لهم لأنك استغنيت بالله عز وجل.

فكل غنى بغيره فقر وفاقة.

شهود الإلهية وبطلان التوجه لغيره، فالناس تتعزز بغير الله وتستغني بغير الله وتتكثر بغيره وتحب غيره وتذل لغيره، تراهم والله كذلك في أعظم شقاء وعنت وعملهم في ضلال، وعملهم إلى اضمحلال، والله عز وجل يجعله هباءً منثوراً في الدنيا والآخرة.

وقال عز وجل { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم } [محمد/١] ضاعت هذه الأعمال بلا نتيجة، ظنوها حققت نتائج مدة من الزمن وهي في الحقيقة تحقق العكس، ظنوا أنفسهم بإهانة المسلمين وإذلالهم وحرهم أنهم يتعززون عليهم وأنهم قهروهم، وهم في الحقيقة يحققون العكس، والله عز وجل يعد لهم من أسباب الذل والهوان بقدر ما ظلموا وبقدر ما أهانوا المسلمين وبقدر ما أهانوا بهم، لأن كل تعزز بغير ذل وصغار، وكل تكثر بغيره قلة وذلة، فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، كما استحال أن يكون هناك خالق رازق يدبر الأمر يشرع لهم غيره، كذلك استحال أن يكون لهم من يلجأ إليه ويتوكل عليه ومن يستغني به ويجب ويركع له ويسجد ويشكر ويرضى عنه، هذا مستحيل، كما استحال أن يكون لهم رب غيره استحال أن يكون لهم إله غيره. إذن كل توجه لغيره باطل مضمحل، كل عبودية لغيره عذاب وعناء.

يقول: " فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت إليه الرغبات " فهذه هي أفعال العباد بأن رغبوا إليه بأن انتهت إليه الرغبات التي تصل إلى نهايتها وأما الرغبات التي دونه فتتقطع لأنه سبحانه وتعالى الآخر الذي ليس بعده شيء، كأن يرغب الإنسان في ملك وسلطان فسوف ينقطع هذا الملك والسلطان، وكأن يرغب في امرأة وإن لها مدة سوف يزهد فيها ثم تموت أو يموت هو، ونسأل الله العافية.

أما الرغبات المستمرة الباقية التي نفعت أصحابها ووصل أصحابها إلى ما يريدون فهي الرغبات التي انتهت إليه عز وجل وأخلص العبد رغبته ورجاه في الله عز وجل فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات والدعاء والطلب والتذلل في الحاجات ، يستحيل أن ين يكون معه إليه غيره ، فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته ، أي أنه الغني عمن سواه الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم ، وكذلك الذي كمل في أسمائه وصفاته والذي كمل في سؤدده ، لعظيم الذي قد كمل في عظمته ، وهذه أحد معاني الصمد ، الحي الذي قد كمل في حياته ، والعليم الذي كمل في علمه ، الذي كمله في كل معاني الكمال .

يقول : " الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد ، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره " ، قيام كل شيء به ، أي وجود كل المخلوقات متوقف على أسباب يسببها الله ، ثم في النهاية أصل وجودها من العدم به سبحانه وتعالى فهو الذي أوجدها من العدم وهياً الأسباب التي قامت بها .

يعني أنت قمت بأبيك وأمك ، لولا أن الله أوجد أباك وأمك لما كنت أنت ، فمن أقام البويضة والحيوان ؟ الله عز وجل ، فهذا كله كان بكن فيكون

: "قيام كل شيء به " ابتداءً واستمراراً ، " هو قيامه بنفسه عز وجل ، لا يحتاج إلى أحد ، لا يستغني عنه أحد وهو عز وجل غني عن كل أحد ، ومن المحال أن يحدث في الوجود اثنان كذلك ،

كيف يكون هناك اثنان يكون مصفاتهم أن كل واحد يقوم كل شيء به وهو قائم بنفسه ؟

يستحيل أن يكون كذلك .

يقول : " ومن المحال أن يكون في الوجود اثنان كذلك ، كما يستحيل أن يكون له إلهان ، ولو كان في الوجود إلهين لفسد نظامه أعظم الفساد واختل أعظم اختلال ، كما يستحيل أن يكون له فاعلان متساويان كل منهما مستقل بالفعل ، فإن استقلالهما ينافي استقلالهما "

يعني كل واحد منهما مستقل بنفس ينافي أن الآخر مستقل بنفسه .

استقلال كل منهما ينافي أن الآخر مستقل ، كيف يتسقل وحده ويكون غيره متسغني عنه ، يستحيل أن يكون كل منهما مستقل بالفعل

ربوبية أحدهما تمنع ربوبية الآخر . فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره .

أكثر دليل على توحيد الإلهية هو توحيد الربوبية ، وأن الله هو الفاعل والمحيي المميت والخالق المدبر للأمر ، فهو المستحق أن يعبد .

والنوع الثانيمن الأدلة ما يجده أهل الإيمان من معنى الحياة والبصر والسمع إذا وحدوا الله ، يسمعون ما لا يسمعه الناس ويصرون ما لا يبصره الناس ، عرفوا حقيقة الحياة ولذة العبودية ، وعرفوا أن الحياة الحقيقية في أن يتوجهوا إلى الله وحده لا شريك له وأن يحبه من كل قلوبهم ، ذاقوا لذة القرب فأيقنوا بذلك يقيناً جازماً.

كما ضربنا من قبل مثلاً على ذلك بالماكينة التي فيها مكان لترس ناقص فيحتاجون في البحث عن هذا الترس ، فيقيسون مكانه فيجدونه مثلاً عشرة سنتم وعندهم تروس " عشرة وخمسة عشر وخمسة " فيقولون أن العشرة هو اللائق . إدراكهم لهذا بعد دوران الماكينة أقوى أم عند القياس ؟

بعد دوران الماكينة أقوى ، فكذلك العبد ينظر يجد أن الكون كله مخلوق ومفتقر لا يقوم بنفسه وأنت أعلى مخلوق في الكائنات فأنت الذي تحفر في الأرض وتصعد في السماء وأنت الذي تنزل البحر وتصتاد الوحوش ، أنت أعلى واحد في المخلوقات وأنت نفسك مفتقر لغيرك وأنت لا تقدر أن تقيم نفسك ، لم تقمها في البداية ولا تقدر أن تستمر معها في النهاية ، فتقول أنه لابد من مقيم لها في النهاية ، لابد من مقيم له يدبر أمه ، كما قال إبراهيم عليه السلام بعد أن أشهدهم مشهد غياب النجم وغياب القمر وغياب الشمس قال { إني بريء مما تشركون } { إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين }

السماوات والأرض كلها عاجزة ، الشمس من جنس الأرض وتتحرك بمقدار وحسبان ، فإدراكك أعلى من هذه الجمادات بل أعلى من الحيوانات وإدراك الحيوانات أعلى من النباتات والنباتات أعلى من الجمادات فكيف تنسب لها أنها مقيمة بنفسها ؟ الله أقامها ، فإذا قلت الله أقامها إذن هو وحده الذي يستحق أن أتوجه إليه لحاجتي ، هو وحده الذي أنزل به مطالي ، هو الذي أرغب فيما عنده وأتعبد له وأحبه لأنه الذي أعطاني كل النعم ، ولأنه هو المتصف بصفات الكمال ، فما وجد ذلك كله يوصله لذلك المعنى وجربه عرف قيمة العبادة ، لما توكل عليه فكفاه ولما تذلل له فأعزه ولما تكثر به وهو ضعيف قليل فنصره وآواه وأيده بنصره ورزقه من الطيبات ، لما فعل ذلك وذاق لذة القرب منه ولما سجد فوجد القرب ولما صلى فوجد قرة العين ولما صام فوجد الفرحة ولما زكى فوجد طهارة النفس ونموها واتساع الصدر ، لما فعل ما أمر به فوجد كل السعادة فقال فعلاً لا يمكن أن

يكون هناك أله غيره ، لا يمكن أن يتوجه أحد إلى غيره ، وأن كل الشقاء في العالم من التوجه إلى غيره ومن التعبد إلى غيره ومن وضع آلهة غيره ، فلما يتحاكم إلى الشرع فيجد استقرار الحياة والطمأنينة .

فمن حكم الله عز وجل أن الناس لما يتحاكم لغير شرع الله تفسد كل الأمور فتجد الرشوة والظلم والعدوان وتجد الفساد في الأرض وتجد قطع الطرق ، تجد كل أنواع البلاء من التحاكم لغير شرع الله .

فهذه حكمة الله حتى يجزم كل الخلق بأن شرع الله هو الحق وأن ما دونه باطل .

فمن تعبد لله عز وجل وحرب عبودية غير الله فعلم فضل العبودية لله عز وجل إما بنفسه كمن كان مشركاً فأسلم أو جرحها بغيره ووعظ بغيره ، فوجد حال من يعيشون في التيه والضلال والتوجه لغير الله ، فعند ذلك أيقن بهذا ، هذا دليل { أومن كان ميتاً فأحييناه } من الذي يشعر بهذه ؟ يشعر بها الحي وليس الميت . أليس كذلك ؟

{ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور } [فاطر/٢٠] فمن الذي يشعر بهذا ؟ يشعر بهذا من خرج من الحر وأدرك بأن كانت حياته عذاب وحر وشقاء ووجد لذة الطاعة ويرد الإيمان فوجده ظلاً ظليلاً ، وجد معنى الحياة دون الموت ، ووجد معنى البصر دون العمى .

فهذا دليل آخر ، كما قلنا أن الماكينة تعمل جيداً فأتتحت أعظم الإنتاج فعند الذي أدرك ذلك يقول هذا هو أقوى من الأول ، وأقوى من فياسي .

النوع الأول من الاستدلال متاح لكل أحد

النوع الثاني من الاستدلال وهو الاستدلال بآثار توحيد الإلهية بقلب العبد وأن الخلق فعلاً فطرت قلوبهم على الحنيفية إنما يدركه من ذاق وصار في الطريق أولاً .

فما الذي يجعله يصير في الطريق أولاً ؟ توحيد الربوبية ونظره في الربوبية وإعطاء مشهد الربوبية حقها هو الذي يدفعه إلى أن يتعبد ، فلما يتعبد يجد أن هذه الحقيقة التي خلقت من أجلها فيجد ذلك أيقن عنده .

ولذلك نقول أن هذين النوعين تم الاستدلال بهم في القرآن : وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية والآخر أثر توحيد الإلهية في قلب العبد المؤمن . فهذا ينتفع به أهل الإيمان ويقولون نعم والله لا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ، ذاقوها فوجدوها .

والذي دفعهم إلى ذلك أنهم نظروا فوجدوا أن الكون لا يمكن أن يكون له أكثر من رب ، وإذا كان الرب هو الذي قام بكل الخلق وهو القيوم وله كل صفات الكمال والأدلة على ذلك من الكون مشهودة ، والأدلة على ذلك من الوحي مسموعة ، والوحي يرشد الإنسان إلى أقصر طريق يصير فيه العقل ، كما قلنا أن القرآن يرشدنا كيف نتدبر بالسمع والبصر والعلم وآثار ذلك ، وهي آثار يقيناً موجودة ، فيستحيل أن يكون الذي خلق هذه الذرة بهذا الإتقان غير عالم . فلما تبحث في النملة وتنظر إلى مفصلها وجهازها الدوري وجهاز عصبي وجهاز هضمي وجهاز تناسلي وجهاز حركي ، كل هذه موجود في النملة وهي مخلوق صغير ، وتجد ذلك في البعوضة وإمكانية طيران وقوانين محكمة حتى تطير البعوضة ، فهل تطير البعوضة بسهولة ، بل لابد من قوانين محكمة متقنة وتطير بطريقة معينة حتى تطير ، فأنت لا تستطيع أن تفعل مثلها ولا تطير مثلها لأنك لم تعطى كما أعطت البعوضة ، فعندها قوانين غاية في الإحكام وذبذبة بطريقة معينة في الأجنحة حتى ترفعها فوق الهواء في ارتفاع معين ، فيستحيل أن يكون ذلك بغير علم ، فأنت تجد آثار العلم قطعاً وبقيناً . أكان هذا العلم عند البعوضة ؟ قطعاً وبقيناً لا .

وهذا الإتقان البالغ في الخلق لا يمكن أن يكون بدون علم وبدون خبره ولا يمكن أن يكون بدون حكمة ، مثلاً عندما تجد أواني فخارية مدفونة تقول أن قدماء المصريين يستعملونها في الأكل والشرب ، شكلها يدل على أنه لابد لها من حكمة ، أيكون هذا الكون كله بلا حكمة ؟! مستحيل ، قطعاً وبقيناً مستحيل ، فلا بد له من حكمه إذن لابد أن الذي خلقه أن يكون صفته أنه حكيم ، وهذا في العلم والقدرة والأصوات المتعارضة تدل على صفة السمع ، فالنظر في الكون يدل على كمال الصفات وكمال الأفعال فتتعبد فإذا تعبدت أيقنت وزدت يقناً .

فهذين نوعين الاستدلال .

الأول : الاستدلال بتوحيد الربوبية

الثاني : بآثار توحيد الإلهية في القلب وفي صلاح القلب وركاة القلب وغمو القلب وإدراك القلب وسعة الصدر وراحة الإنسان وسعادته ، الفطرة التي تدفع الإنسان إلى أن يتدبر ، وفطر الإنسان حنيفاً أي مخلوق على هذه الصفة وهو مفلطور على أن يتوجه إلى الله فتعبد وتوجه فوجد هذا الذي خلق من أجله . فهذا معنى الفطرة .



تلازم بين الإلوهية والربوبية ، توحيد الربوبية إذا شهد العبد شهادة حقيقية لزم منه أن يوحد الله عز وجل

توحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية ، لأن الإله هو الكامل ، لذلك يتضمن توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية ، ولذلك الإله هو اسم الله وهو الاسم الأعظم ، أعني أنه متضمن لسائر الكمالات للرب وللحي القيوم .

لذلك كلمة التوحيد هي عنوان الإسلام وعنوان الإيمان وعنوان دعوة الرسل جميعاً وهي فعلاً أعظم كلمة في الوجود ، هي متضمنة لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

يقول : " فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية " لكنهم في الحقيقة لم يشهدوا ، المشكلة أنها ليس عن شهود وإنما عن إقرار باللسان مع امتلاء القلب بأمراض العمى وموت القلوب ، فيتربت على ذلك ألا يثمر التوحيد ثمرته ويكون في الحقيقة توحيداً ناقصاً ، لا يكون توحيداً كاملاً ، فضلاً عن أنواع من توحيد الربوبية لا يقرون بها ، فلما يقولون لمن الحكم يقولون لعمر بن لحي والعباد بالله ، والكبراء والرؤساء هم الذي يحدون نزع للأصنام ونسجد أم لا ويقسمون الأصنام فيقولون أن " ود " في قبيلة كذا و " سواع " في قبيلة كذا ، فهو حدد لهم وقبلت كل القبائل ، فشرع لهم والعباد بالله عبادة الأوثان ، كما كل الكبراء والطواغيت يشعرون للناس خلاف ما أمر الله عز وجل به . فهذا كله من الربوبية ، لذلك قضية التشريع قضية ليست سهلة ، والناس اليوم يتناولون هذه القضية ويحاولون أن يهونوا من شأنها ، والله العظيم خطيرة في غاية الخطورة ، وتعرض هذه القضية إلى لاهتزاز في نفوس كثير من المسلمين بأن يشرع الناس كما يريدون ، وهذا منافاة للتوحيد بلا شك ، فلذلك النزاع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في هذه القضية وليس بين أولياء الرحمن بعضهم بعضاً ، وإن كان إلتبس على كثير من الناس بسبب الجهل والهوى والعباد بالله .

يقول : " ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية وكذلك إذا كان عباد الأصنام يقرون به وينكرون توحيد الإلهية ويقولون أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، مع اعترافهم أن الله وحده هو الخالق لهم وللسماوات والأرض وما بينهما وأنه المنفرد بملك ذلك كله " وهذا المعنيان الذين أقروا بهم مع ضعف الشهود ، وأحياناً انعدام الشهود ، لأن القلب ليس مستحضر للعظمة ، وليس مستحضر للوحدانية ، لأنه لو كمال لأدى إلى توحيد الإلهية ، لذلك لا يصح الاستدلال به إلا لأنه يؤدي إليه ويقود إليه .

باقي معنى من المعاني لم يقرأ به وهو السيد الأمر الناهي المطاع .

يقولون السيد الأمر الناهي المطاع الطواغيت والأجبار والرهبان والمشرعون للناس خلاف ما شرع الله .

قال : " فأرسل الله تعالى الرسول يذكرهم بما في فطرهم والإقرار به من توحيده وحده لا شريك له وأنه لو رجعوا إلى فطرهم وعقولهم لدلتهم على امتناع إله آخر معه واستحالته وبطلانه ، فمشهد الإلهية هو مشهد الحنغار وهو مشهد جامع للأسماء والصفات ، لأن كل اسم له عبودية ، وكل اسم تتعبد له بشهود ومعاملة ، كما ذكر في العلم والسمع والبصر والأول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك ، وكل اسم له شهود ومعاملة ، فإذا اجتمعت كل الأسماء في قلبك كان هناك توحيد الإلهية في القلب وكان مشهد لا إله إلا الله .

حظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات ، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله . فإن هذا الاسم هو الجامع ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله ، ولا يقال الله من أسماء الرحمن ، قال الله تعالى { ولله الأسماء الحسنى } فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها ، وكل مشهد سواه وإنما هو مشهد لصفة من صفاته فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب وكامل الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصار من أغنى العباد ، فهو غني بالله عز وجل فاستغنى عن الخلق جميعاً .

الافتقار إلى شيء من الخلق لأنه لم يستغني بالله .

الغنى بالله هو أعظم الغنى والافتقار إليه هو عين الغنى به ، لأن الغنى به أي عبادته ، وعبادته لا تكون إلا بالافتقار إليه في الأعمال والأقوال والأحوال بالإضافة إلى الافتقار في الأعيان تعلم أن الأعيان التي بيدك من ذهب وفضة ومال وملك ورياسة وصحة ليست بيدك بل هي ملك لله ، فكذلك أعمالك ، فأنت تفتقر إلى الله عز وجل فيها ، وأيضاً أحوالك تفتقر إلى الله فيها ، وثباتك على الدين وعقيدتك تفتقر إلى الله فيه ، فلذا كان الافتقار إلى الله هو عين الغنى به سبحانه وتعالى .

طالب : صفة { ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين } أنتعبد الله بما ؟

الشيخ : بلا شك ، وهل نعرف أن نفعل شيئاً في مكر الماكرين ؟ ، عندهم وسائل تنصط وأسلحة فتاكة وعندهم خطط ومكر وعندهم سيطرة على ثروات كثيرة ، وهل نقدر على شيء إلا أن يمكر الله لنا ؟ ، اللهم أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامرنا ولا تمكر علينا .

{ كذلك كدنا ليوسف } لولا أن الله يدفعهم ويأخذ بنواصيهم عنا لضاع كل شيء ، الله المستعان .

هذا كلام ابن القيم رحمه الله في كتاب . طريق المجترين . في وصف الغنى بالله عز وجل .

وقال في نفس الكتاب في وصف حال السابقين المقربين : " فنبأ القوم عجيب وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم فإنه يطلع من حالهم على ما يريه إياه القدر المشترك "

يعني وإن لم يكن الإنسان منهم لكن قد يكون عنده بعض مشاركة لهم في بعض الأحوال ولو لحظات يسيرة يدرك فيها شيئاً من حالهم كيف هم في عامة الأحوال ، فأنت مثلاً تأتي عليك لحظة تجد فيها حباً عظيماً لله ولحظة تتدبر فيها القرآن فتشعر مثلاً بارتفاع النفس جداً ، فهم على الدوام على تلك الحال .

: " وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلكت قلوبهم من معرفة الله وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته فصارت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب قد أنساهم حبه ذكر غيره وأوحشهم أنسهم به ممن سواهم "

يعني نتيجة أن أنسوا بالله عز وجل وشعروا بالقرب حين يجلسون مع من يبعدهم عن تلك الحال يستوحشون .

أحياناً تجلس مع شخص وتتمنى أن يمشي ووقته ينتهي معك لأنك مستوحش منه وتريد أن تبقى في حال بعيداً عنه

فالناس يستأنس بعضهم ببعض مثل الناس الذي يجلسون في المقاهي لو جلست أنت معهم تشعر بأنك تريد أن تمشي ، لكنهم يستأنسون ببعض والعياذ بالله ، مع أنه فساد عظيم جداً ، ما أنسوا إلا بسبب مرض القلوب .

فالمؤمنون السابقون المقربون قد أنساهم حبه ذكر غيره ، بمعنى أنهم لا يذكرون غيره في مقام الحب ، حب الله عز وجل ملك قلوبهم ، وإن كان ذلك لا يعني أنهم لا يحبون أحداً لكن حبهم يكون في الله ، يحبون غيره إذا أمر الله بحبه ولو كانوا الآباء والأبناء والأهل ، يحبون منهم من أطاع ويبغضون من عصاه ولو كانوا أقرب المقربين ، الحب غلب عليهم حتى غلب على الحب الفطري وحتى غلب على الحب الطبيعي وحل محله .

" قد أنساهم حبه ذكر غيره وأوحشهم أنسهم به ممن سواه " ، قد فنوا بحبه عن حب من سواه وبذكره عن ذكر من سواه .

فعند تفكيرهم دائماً يذكرونه بقلوبهم وألسنتهم .

: " بخوفه ورجاءه والرغبة إليه والرغبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره "

فنوا بخوفه عن خوف من سواه ، لا يخافون غيره لأنهم يخافون الله وحده ، هان عليهم كل من دونه ، فهما قلبوا لهم وأجمعوا لم يخافوهم .

فنوا برجاءه عن من سواه : لا يرغبون ولاي رجون أحداً دونه

فنوا بالرغبة إليه : في أن يرغبوا في أحد سواه .

لا يرغبون إلى أحد دونه سبحانه وتعالى .

الرجاء : يرجون ثوابه وفضله ، الرغبة إليه : اي يصعدون كل رغباتهم إليه سبحانه وتعالى .

فنوا بالرهبة منهم : بأن يرهبوا أحداً سواه

الرهبة : خوف متضمن لهرب ، ولا يهربون ولا يفرون من الله إلا إليه

فنوا بالتوكل عليه عن التوكل على من سواه . زال من غيرهم أن يتوكلوا على غيره ،

والإنابة إليه والرجوع إليه بأن لا يرجعون إلى أحد دونه ، فنوا عن أن يرجعوا إلى أحد دونه

تركوا الرجوع إلى غير الله ، فكلم من مبطل يضغط بشدة على من خالفه لكي يرجع إلى كلامه وإلى مذهبه وإلى دينه .

اليهود والنصارى يجاربون المسلمين حتى يرجعوا عن دينهم إن استطاعوا إلى الباطل الذين هم عليه .

والمناقضين يريدون الملتزمين وأهل الإيمان وأهل الإخلاص يرجعون عن الإلتزام بالدين إلى حزبيلات وسخافات وزبالات أفكار هؤلاء المنافقين والعلمانيين والمبتدعين .

حرهم ضدهم لأجل ذلك ، والمؤمنون لا يرجعون إلى غير الله ، لن تنوب إلا إلى الله ، لن تنوب إلى ما يتوب إليه الناس ، الناس يندمون ويرجعون فقط مثل أن

من الدقيقة ٢١ إلى نهاية المادة

يذهبون للكبار والسادة ويقولون رجعنا عن مخالفتكم إلى موافقتكم وما تريدونه منا سنفعه ، والعياذ بالله .

أهل الإيمان السابقون فنوا بالإنابة والرجوع إلى الله والطمأنينة في هذا الرجوع ففنوا عن أن ينيبوا إلى غيره ، لا يطمأنون ولا يرجعون إلى غيره .

فنوا بالسكون إليه عن السكون إلى غيره : يعني لا يستريحون أبداً إلا إذا كانوا في طاعته عز وجل ، هذه هي الراحة الحقيقية : ( وجعلت قرة عيني في الصلاة )

والتذلل والانكسار بين يديه : أي لا ينكسرون لغير الله ولا يذلون لغير الله لأن نفوسهم عزيزة ، فالكل سهل أمامهم ولا نقدر أن نضحى بنصيبنا من الله عز وجل من أجل شيء من الدنيا ، لا نذل لغير الله ولا ننكسر لغيره سبحانه وتعالى .

فنوا بحبه عن حب من سواه ويذكره عن ذكر من سواه وبخوفه ورجاءه والرغبة إليه والرغبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ١٧- تابع كلام الإمام ابن القيم في التبعيد لله بالأسماء والصفات

نستكمل كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر حال أحد السابقين إلى الله عز وجل ضمن الكلام على التبعيد لله بأسمائه وصفاته ،

يقول " وبالجمله فيبقى قلب هذا العبد الذي هذا شأنه عرشاً للمثل الأعلى أي عرضاً لمعرفة محبوبه أي عرشاً يعني استوت واستوت معرفة الله عز وجل على قلبه يعني استقرت تماماً في قلبه ، واضح الكلام أنه يستعمل التشبه ، كعرشاً للمثل الأعلى أي عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبه وعظمته وجلاله وكبريائه ، تشبيه قلب المؤمن بالعرش الذي يستقر عليه ملك والملك هنا هو معرفة الله استوت واستقرت مع أن استوت ليست بمعنى استوى لكن المقصود هو أن مستعالية المعرفة هي ملكة هذا القلب يعني هي الكلمة لها يعني الغرض الأول في حياه المؤمن أن يعرف الله عز وجل وبحبه ويعظمه ويعبده فهذا معنى كلامي بل هو كلامه يقول أي عرشاً بمعرفة محبوبه ومحبه ، ماذا يعني أعظم اهتمامات هذا الإنسان من أن يعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته ؟ أن يحبه بأسمائه وصفاته ونعمه وكذا أفعاله ، أن يعظمه أن يحله أن يشهد عظمته وجلاله وكبريائه ، يقول " وناهيك عن قلب هذا شأنه . ناهيك يعني ما أرفع شأن هذا القلب ، فياله من قلب من ربه ما أدناه ومن قره ما أحظاه ، فهو ينزه قلبه أن يساكن سواه ، يعني أن يكون هناك شيء يستولي على ذلك القلب ويعلوا على ذلك القلب إلا معرفة الله ومحبه بخلاف مثلاً عاشق لامرأة أو عاشقة لرجل أو من كان مثلاً محباً للملك والسلطان ليل نهار يفكر في ذلك ، من كان قلبه دائماً مشغولاً بشهوة من الشهوات ، حب المال هو مازال عند النوم يفكر فيها سألصرف فيها كذا وأضبع فيها كذا وأحضرها من كذا وأضاعفها من كذا أو من المكان الفلاني ، هذا من أعظم

الأمر ، سبباً في فعل المنكرات أنه عندما ينال الإنسان ، يعني هذا الكلام لو الأخوة مستحضرة أن هذا الكلام حال المقرب حين يؤدي إلى فراشه فمن أعظم أسباب فعل المعاصي أن يكون عندما يخلوا بنفسه وعند النوم يستحضر مشاهد الشهوة التي هي الشيء التي يشتبه ببحث يغلب على قلبه يأتي عند وجود الشهوة لا يستطيع أن يتمتع ، يعني مرض العشق متى يحصل ؟ يحصل في هذه اللحظات ، مرض الشذوذ الجنسي متى يحصل ؟ يحصل في هذه اللحظات ، أنه لما يخلو بنفسه يسرح ويفكر في الشخص الذي ارتبط به سواء رجلاً كان أو امرأة أو أي شهوة أخرى فلو الإنسان عند نومه حرص فكره ورفض أن يسكن القلب غير محبة الله عز وجل لزالته عنه كل هذه الأمراض ، أمراض الرياء والشهوة والفضائح الأخرى كلها مثل حب الملك والمال وحب النساء كما ذكرنا والعشق المدمر وكذا فعل الفواحش الشذوذ وغيرها وكل هذه سلامتها الكبر وللعلم المخدرات من هذا الباب ، المخدرات تفتح للإنسان باب السرحان والفكر هولماً ماذا يتناول المخدرات ؟ لكي يزيل الحواجز بين الوهم والحقيقة لكي يشعر أن الذي يفكر فيه في دماغه ويتلذذ به هو الحقيقة وهو عارف أنه وهم العاقل عارف أنه وهم وأنه يسرح فيريد أن يكسر هذا الحاجز ويتلذذ بما يريد وهو لم يقدر أن يصل له ، فماذا تفعل المخدرات في جسم الإنسان؟ هي تكسر الحاجز بين الوهم والحقيقة فيريد أن يتناولها وأول ما يفيق ويدرك أنه كان في وهم يريد أن يفيق مرة أخرى فيتناولها مرة أخرى ، الإدمان سببه الفكر والخاطر التي تسمح لها أن تنطلق في الشهوات المحرمة ولذلك تضرب بجذورها بمجرد أنها ليست هي المحرمة ولكن واحد من الذين يخاطرون في المعاصي لم يأخذ ذنب ما لم يعلم أو يتكلم لكن أن كن على يقين مثلاً واحد يسير سيارته بسرعة ١٢٠ وهو مطلوب يوقفها خلال ٥ متر ، هو يريد أن يوقفها في نقطة مينة لا يأتي قلبها بـ ٥ متر وهي على سرعة ١٢٠ ويضرب الفرامل لأنها تقلب منه أو تصدم بالحاجز الذي أمامه ، فأنت كما يقول الإمام ابن القيم من اركض فرساً وجعله يركض إلى أعلى ما يمكن من سرعة وبعد ذلك أراد أن يمتعه ، لن يتمكن ، فهذا القلب في تلك اللحظات يأتي ينزله قلبه أن يسكن سواه أن يسكن في القلب ويعلموا على القلب غير حب الله عز وجل ومعرفته وتعظيمه وإجلاله ولذلك الأذكار في ذلك الوقت هو من أعظم أسباب الإنقطاع عن كل العادات السيئة القبيحة ، العادات السيئة والعشق والشذوذ وكل هذه الأمراض علاجها في أن يكون وحده خالياً أن يذكر الله ويقول تلك الأذكار بحضور القلب ويستحضر أن الله رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ويقرأ آية الكرسي ولما تأتي وتنتظر في أذكار النوم عامتها في الأسماء والصفات والتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات تقرأ الكرسي تقرأ المعوذات تقول دعاء ( اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الذي ذكرناه الذي فيه أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، والأحاديث الأخرى التي فيها اللهم بك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت واللهم بك وضعت جنبي وبك أرفه إن أمسكت نفسي فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، عامة الأحاديث واردة على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، فإذا استحضر ذلك ونزه قلبه أن يسكن سواه أو أن يستقر لغيره فعند ذلك تزول عنه الأمراض ونسأل الله أن يرقنا وإياكم بالإخلاص والعمل الصالح وكذلك من أذكار النوم ( قل يا أيها الكافرون ) الكافرون ١ للبراءة ن لا شرك وينزه قلبه عن الشرك

يقول " فهو ينزه قلبه أن يسكن سواه أو أن يطمئن لغيره فهؤلاء قلوبهم قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم في فرشهم "

ماذا يعني قلوبهم قطعت الأكوان ؟ يعني الأكوان الواسعة هذه لم تكن حججاً تحجب هذا القلب عن شهود سعة ملك الله عز وجل وعظمته بل هذا القلب يستحضر أن الأرض صغيرة جداً بالنسبة إلى ملك الله عز وجل وهو يتقرب إلى الله عز وجل ولا تشغله هذه العوالم عن معرفة الله عز وجل ولا عن محبته ،

يقول " كما قال أبو الدرداء إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش فإن كان طاهراً إذن لها بالسجود وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود وهذا والله أعلم هو السر الذي لأجله أمر النبي صلى الله عليه وسلم الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ والحديث رواه البخاري ومسلم ، إن واجب على أحد القولين أو مؤكداً الإستحباب على الوجه الآخر والصحيح أنه ليس بواجب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( يتوضأ إن شاء ) أي نام الجنب فقال إن شاء ( وورد بطرق صحيحة وفيها ( إن شاء ) ،

يقول " فإن الوضوء يخفف حدث الجنابة ويجعله طاهراً من بعض الوجوه ولهذا روى الإمام أحمد وسعيد الموصول وغيرهما عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم إذا كان أحدهم جنباً ثم أراد أن يجلس في المسجد توضأ ثم جلس فيه وهذا مذهب الإمام أحمد وغيره مع أن المساجد لا تحل للجنب والصحيح قول الجمهور وأن هذا اجتهد من بعض الصحابة لا يصلح لتخصيص الأدلة القرآنية والنبوية على أن الجنب لا يمكث في المسجد لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ناوليني الخمرة من المسجد فقالت إن حائض فقال حيضتك ليست في يدك ( رواه مسلم فدل ذلك على أن المتقرر أن الحائض لا تدخل المسجد والجنب مثلها مع كونه يستطيع التخلص من حدثه الأكبر بالغسل وكذا قال سبحانه وتعالى ( وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ) النساء ٤٣ فهذه الآية لما كانت أبوبهم شارعة في المسجد ناههم الله عز وجل أن يمكثوا في المسجد إلا أن يغتسلوا والله أعلم

فعل بعض الصحابة رضي الله عنه لا يصلح مخصصاً لعموم الأدلة يقول على أن وضوءه رفع حكم الجنابة المطلقة الكاملة التي تمتع الجنب من المكوث في بيت الله وتمتع الروح من السجود بين يدي الله سبحانه والصحيح أنه من الأمور المستحبة أن ينال الإنسان على وضوء ،

يقول " فتأمل هذه المسألة وفقهاها واعرف بها مقدار صدق الصحابة وعمق قلوبهم فهل ترى أحداً من المتأخرين وصل إلى مبلغ هذه الفقه الذي خص الله به خيار عباده وهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ،

يقول " وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم "

يقول " فإذا استيقظ هذا القلب من منامه صعد إلى الله بحبه وأشواقه مشتاقاً إليه طالباً له محتاجاً إليه عاكفاً إليه، أول ما يذكر ، يذكر ربه سبحانه وتعالى صعد إلى الله بحبه ومعنى توجه إلى الله سبحانه وتعالى بإرادته ومحبه وشوقه إلى الله مشتاقاً إليه طالب له يعني طالب القرب منه طالباً العبودية له محتاجاً إليه في أعظم أمور وهو أمر دينه محتاجاً إلى الله وهو أن يهديه ويثبت قلبه ويعينه على طاعته وعبادته ، عاكفاً عليه يعني ملازماً لمحبه ملازماً لشرعة ملازماً لأمره لا يشغله شيء عن همته وإرادته في مرضاة الله سبحانه وتعالى

يقول " فحال كحال الحب الذي غاب عن محبوبه الذي لا غنى له عنه ولا بد له منه وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النفس والطعام والشراب ضرورة المؤمن إلى الله عز وجل إضطارره حاجته الشديدة التي لا يجي بدونها حاجة قلب المؤمن إلى الله عز وجل إلهاً معبوداً محبوباً معظماً مرجواً وخافاً منه مرهوباً منه مرغوباً إليه متوكلاً عليه حاجته إلى الله سبحانه وتعالى الحاجة الضرورة التي هي أعظم من ضرورته إلى النفس إذا تنفس وإذا أخذ الهواء وأعظم من ضرورة الطعام والشراب الضرورات التي لا بد له في صحة حياة بدنه منها قلبه لا بد له ولا يستغني إبدأً عن عبادة ربه عز وجل ،

يقول " وإذا نام غاب عنه وإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه ، " يعني فترة النوم كأنها فترة كان الإنسان غائباً عن تلك الشعور بمجرد أن يستيقظ يعود إليه هذا الشعور وعاد إليه هذا الحنين وإلى الشوق ،

يقول " وإذا استيقظ عاد الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق الذي لا يجعله يستقر طويلاً في المنام لأن الحب إذا كان حباً مقلقاً له لا يجعله ينم فكره الشديد في محبوبه فهو يحب الله عز وجل من كل قلبه وإنما ينم مضطراً فإذا استيقظ عاد إلى ما كان مشغولاً به قبل ذلك من حب الله و الشوق إليه وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى وجهه الله والشوق إلى لقائه وإلى مسألة لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة والشوق إلى الله هبة وعطية من الله عز وجل بمن الله بها على عبده في الدنيا حتى يذيقه لذة النظر إلى وجهه في الآخرة

يقول " فحبيبه آخر قطراته عند منامه وآخرها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين إلى محبوبه وآخر شيء أنت في كل هجعة وآخر شيء أنت عنده هبوبي هذا العاشق المريض مرض من أجل أنه يفكر دائماً أنه مع محبوبه فإذا استيقظ تذكر ذلك عندما يهب من نومه ، يقول فقد أفصح هذا الحب عن حقيقة المحبة وشروطها والعياذ بالله هذه محبة مرضية فإذا كان هذا في محبة مخلوق لمخلوق فما الظن في محبة المحبوب الأعلى فأف للقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به لقد صرف عنه خير الدنيا والآخرة فإذا استيقظ أحدهم وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن ، يعني بدر إلى قلبه حب الله والشوق تذكر أنه يحتاج بل يضطر إلى عبادته ومحبه والخوف منه يقول فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه واستعطافه والتملك بين يديه ، الاستعطاف هذه كلمة ضمن بيان المعاني وإلا فلم يرد أن الله يعطف على عبادة بل يرحمهم لو قال ويسترحمه يقول واستعطافه والتملك بين يديه والاستعانة به ألا يخلي بينه وبين نفسه وألا يكله إليها ولا يكله إلى ضيعه وعجز وذنب وخطيئة ،

التملك معناه الناجاة رغباً في التقرب من الرب عز وجل ، التملك هذا هو فعل العبد يملكه يعني يثني عليه ويظهر ذله وخضوعه ليتقرب يقول " والأستعانة به ألا يخلي بينه وبين نفسه لأنه إذا خلى بينه وبين نفسه تركه إلى الضياع لا يكله ، يكله يتركه ، ألا يكله إلى نفسه ألا يتركه إليها لأنه يتركه إلى ضيعه وضياع وعجز وذنب وخطيئة فهو لا يحسن أن يقيم أمر نفس ي دين ولا دنيا في أمر الدنيا ضياع وعجز في أمر الآخرة ضياع وخطيئة فلو وكله إلى ذلك لتركه نائماً ولتركه ميتاً لا يجد ما يجده الصالحون في تلك اللحظات وما يجده العابدون في تلك اللحظات يقول بل يكأه كلالته الوليد يحرسه كما يحرس الوليد يرعاه كما يرعى الوليد الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً يعني هذا الوليد من الذي يرعاه من الذي يدبر أمره يعني يستحضر من نفسه أنه بهذه الدنيا من العجز لا ينسب لنفسه قدرة ولا إرادة ولا شيئاً إلا أن يوفقه الله إلى ذلك بل يكأه كلالته الوليد الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فأول ما يبدأ به (وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَيْرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا) ويمكن أن يكون هناك أذكار أخرى مثل أن يبدأ بتسبيح الله عز وجل كقول النبي صلى الله عليه وسلم ( من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإن استغفر غفر له وإن دعا استجيب له وإن توضعاً وصلى قبل منه ) رواه البخاري أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فأول ما يبدأ بذكر الله عز وجل يقول فأول ما يبدأ به الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أمانتنا وإليه النشور متديراً معناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت وأعادته إلى حالة سوياً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يحظر بباله كم من إنسان نام فلم يستيقظ كم من إنسان واستيقظ وفقد القدرة على الحركة كم من إنسان نام فاستيقظ فقد القدرة على البصر فكهم من إنسان نام واستيقظ وفقد القدرة على الكلام حصل له في نومه في بدنه وهو في تلك اللحظات لا يملك أن يرعى شيئاً من بدنه ولا هو متنبه لشيء على الإطلاق بل نحن ونحن مستيقظون لا نملك شيئاً من بدننا يعني الإنسان وهو نائم أولى بالعجز وعدم القدرة على أنه يملك لنفسه شيئاً فهو لا يستطيع أن يعنى يمنع نفسه من أي مرض أصابه أو من أي بلاء أصابه يقول مما لا يعلمه ولا يحظر بباله يقول متذكراً نعمة الله بأن أحياه من نومه الذي هو أخو الموت وأعادته إلى حالة سوياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يحظر بباله من المؤذيات والمهلكات التي هو غرض وهدف لسهامها كلها تقصده بالهلاك والأذى والتي من بعضها شياطين الإنس والجن نعم والله لو أن الإنسان تفكر لهذا المعنى كم من شياطين الإنس يمحرون بك ويريدون بك السوء ويكرهونك ويعدون لك العدد كفهم الله في تلك الليلة حتى استيقظت سليماً معافى كان يمكن أن يؤخذ بنواصيرهم إلى أمر آخر غير هذا الذي حدث كف عنك شر الجيران شر الأبعد وشر الأقارب وشر المعادين وشر المبغضين كف شر هؤلاء جميعاً وكان من الممكن أن يكونوا على غير ذلك وشياطين الجن من شر الأعداء والعياذ بالله تريد الإنسان وإدخاله النار وإبليس الذي لم يمت هو إلى الآن يريد بنا الشر والهلاك والعياذ بالله ولو تدرت قول الله عز وجل ( أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا نَيِّبًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الاعراف ٩٧ وهم نائمون فعلاً البأس ، تذكر تسونامي لما أتى الناس وهم نائمون والمركب الذي غرق وهم نائمون يقولون معظمهم كانوا نائمون في



لحظة كان نائم ولم يدري ، قوم لوط أتاهم العذاب صباحاً وهم غافلون في نومهم ونسأل الله العفو والعافية ، في شبهة موجودة في السماء معدة لو أنها اقتربت من الكرة الأرضية لدمرت الحياة على وجه الأرض أو على الأقل بعض القارات ، يقولون أن في مجموعة مدنات يمكن أن تصدم بالأرض سنة ٢٠٢٥ م والله أعلم إلا أن هذه الأمور فعلاً موجودة في السماء كما قال عز وجل ( مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ) هود ٨٣ هي عدد المذنات في المجرة اللابنية في المجموعة الشمسية ما عددها ؟ لا يعلمها إلا الله والكواكب لا يعلمها إلا الله والشهب متحركة فعلاً لو اصطدمت بالكرة الأرضية بل لو جزء بسيط اصطدم لأحرق قارات بأكملها لا تساوي شيئاً أمريكا هذه وال أوروبا على بعضها ، ربما تمتنع الحياة على وجه الكرة الأرضية بالكلية أو يصيب الإنسان نفسه بلاء نسأل الله العافية يقول التي من بعضها هذه المهلكات من بعضها شياطين الإنس والجن فإنها تلتقي بروحه إذا نام وتقصده إهلاكه وأذاه فلولا أن الله سبحانه يدفع عنه لما سلم يعني ممكن أصلاً أثناء النوم ترى أشياء مفزعة مرد الكثير منها إلى الجن وأرواح خبيثة تريد هلاك الإنسان وأذيته ومخافته وأنت لا تملك شيئاً ، الذي يرى منام مفزع كان بيده أن يمنعه ؟ لم يكن بيده أن يمنعه ، هذا وكما تلتقي الروح في تلك الغيبة من أنواع الأذى والمخاوف والمكاره والتفزيعة ، هذا وكما تلتقي الروح في تلك الغيبة غيبتها عن الجسد من أنواع الأذى والمخاوف والمكاره والتفزيعة ومحاربة الأعداء والتشويش والتخبيط بسبب ملاستها بتلك الأرواح فمن الناس من يشعر بذلك لرقه روحه ولطافتها ويجد آثار ذلك فيها إذا استيقظ من الوحشة والخوف والوجع الروحي الذي ربما غلب حتى صار إلى البدن ومن الناس من تكون روحه أغلظ وأكثف وأقسى من أن تشعر بذلك فهي مفحمة بالجراح مدمنة بالأمراض ولكن لنومها لا تحس بذلك ، هذا وكما من يريد لإهلاك جسمه من الهوام وغيرها وقد حفظه منه فهي في أبحارها محبوسة عنه في الجحور لو خلعت وطبعها لأهلكته ، الثعابين التي في الجحور لو خرجت على الناس العقار لو خرجت على الناس ، بعض البلاد العرب يجدون فجأة هجم عليهم من الجبل عقارب ويميتون في العقارب يجدون أن العقارب ملئت البلد وعندنا بلا شك هوام الله أعلم بها لو النمل مثلاً طلع على الناس ، البراغيت فعلاً والله لو أن هذه الكائنات والحشرات ، لو أن الناموس هجم على الناس لم ينأوا والله ويؤذيهم أنواع الأذى والله عز وجل الذي كفها ، الله الذي جعلها في الأحجار ، الحيوانات المفترسة لو هجمت على الناس ، تخيلوا لما قالوا للناس إن في شيء أسمه سلعا ، الناس كانت لا تتمكن من النوم في حياتها فمع إن هذه حيوان واحد في مدينة مثل اسكندرية أو في القاهرة أو نحو ذلك ، الناس لم تنم لأنه في واحد تجنن وبدأ يقتل الناس والنساء . سفاح النساء . الناس كلها في خوف ورعب لأن عقله حصل فيه شيء وشهوته حصل فيها شيء رغب في القتل وسفك الدماء تخيل لو أن النفوس تغيرت ، أنت بيدك أن تصنع شيئاً هذه الحيوانات الكائنات الله سبحانه وتعالى أطلقها ، فتقول الحمد لله الذي أحياها بعد ما أماتنا وأنا كنت عاجز تماماً عندما كنت ميتاً أثناء النوم وإليه النشور ، يقول وقد حفظه منها فهي في أبحارها محبوسة عنه لو خلعت لأطباعها لأهلكته فمن ذا الذي كآه وحفظه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره فلو جاء البلاء من أي مكان جاء لم يشعر به ولهذا ذكر الله سبحانه عباده هذه النعمة وأعدها عليهم من جملة نعمه فقال ( قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) الانبياء ٤٢ من يحبسكم منه إن أرادكم بسوء إن أطلق عليكم ما يعادىكم من الكائنات من الوحوش والهوام والدواب وشياطين الإنس والجن قال تعالى ( قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) لا يكلاًنا أحد لا يحرسنا أحد منه لو أردنا بسوء ، الله وحده هو الذي منع عنا سوء ، الله وحده هو الذي كآنا ، الله وحده عز وجل هو الذي منع عنا ما يضرنا ( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ) الانبياء ٤٢ فإذا تصور العبد ذلك فقال الحمد لله كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك ثم تفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإمامة حياً سليماً قادر على أن يعيده بعد موته الكبر ، حياً سليماً الذي أعاده بعد هذه الإمامة حياً سليماً قادر هو عز وجل على أن يعده بعد موته الكبر حياً كما كان ، ولهذا يقول بعدها وإليه النشور ، ( الحمد لله الذي أحياها بعد ما أماتنا وإليه النشور ) تدبر أيضاً أن الأفعال نسبت إلى الله لم يقل أيضاً بعد أن حييت ومات وإنما يقول الذي أحياها بعد ما أماتنا ولم يقل الحمد لله الذي يحيي بعد أن مات بل ينسب الفعل إلى الله ليستشعر معنى الربوبية وأن الله هو الذي يحيي وإليه النشور فتذكر اليوم الآخر ارتباط الإنسان بالله واليوم الآخر وكذلك هو تذكره عند نومه عندما يقول ( باسم الله وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ) متفق عليه ( باسم الله وضعت جنبي اللهم أغفر لي ذنبي واحسأ شيطاني وثقل ميزاني وفك رهاني واجعلي في الملاء الأعلى ) هذه الأذكار تذكر العبد بالميزان بالنشور عند الله عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم في كلام ابن القيم كثيراً من ترتيبه هو وليس أن ذلك ترتيب شرعي أن هذه الأول ثم هذه ، أحاديث وردت منفصلة فلو قال أي ذكر منها لأجزأ الحديث هذه الذي يقوله من تعرى من الليل فيستغفر فيغفر الله ويدعوا فيستجيب الله له ويصلي فيقبل الله عز وجل منه ، الحديث رواه البخاري ، تعارن الليل يعني استيقظ ، يقول ثم يدعوا ويتضرع لأنه ورد استجابة الدعاء بعد الذكر ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه مستصحب لما في الوضوء من الأدرا والذنوب وما يذكره الله عز وجل به من ذكره عند الوضوء ومن ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله ويقول اللهم اجعلي من التوابين واجعلي من المتطهرين ، يقول ثم يصلي ما كتب الله له صلاة محب ناصح محبوب ناصح له يعني مؤدي له الحق كاملاً واجتهد في أداء الحق كاملاً لمن ينصح له من يحبه لا يقصر في شيء منها صلاة محب ناصح محبوبه متذل منكر بين يديه لا صلاة مدل بها عليه مدل يعني يشعر بالدلال يعشر بأن له منزله لأنه يصلي لا بل صلاة إنسان مستشعر أن الله من عليه إذا أقامه حين حرم غيره لا يرى أن له فضلاً على الخلق لأنه يصلي ، المدل الذي يشعر بالدلال والمنزلة بأنه يعمل لله شيئاً وأنت ربنا الذي فعل بك أنك تعمل والله هو الذي من عليك وهذا أنت الذي تستكثر عملك ، الذي يستكثر عمله يقول أنا فعل ما لم يفعله أحد وهذا يؤدي إلى الإعجاب بالنفس الذي هو مدخل الكبر والحسد وسائر أمراض القلوب والعياذ بالله ، يقول صلاة محب ناصح محبوبه متذل منكر بين يديه لا صلاة مدل بها عليه يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره هذا هو المحب الناصح ، يشهد نعم الله أنه قام يصلي ليس بأنه متفضل بالصلاة على الناس ، يعني كثير من الناس قد يخطر بباله ذلك أن لأنك تفعل هذه الأشياء أذا أنت أفضل من غيرك ، لا أنت تستشعر أن الله من عليك وأنت لست بفاعل بل الله أقامه وأنام غيره

يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره اللهم ارحمنا واغفر لنا ،

واستزاره وطرد غيره يعني كم من الناس لم يزوروا ربحهم عز وجل في تلك اللحظات ماذا يعني الزيارة هنا ؟ يعني وقف في ثلث الليل الأخير يصلي ويدعوا ويسأل ويستغفر ويستهدي ويقرأ كلام الله عز وجل فيكون قلبه قريباً من الله عز وجل وعامة الخلق نائمون أو في لهوهم يلعبون وفي ضلالهم وغيهم وشهواتهم قضوا تلك الليلة وأنت ترى أن من نعم الله عليك أن طلب أن تتقرب إليه وإعانك طلب منك ذلك ووقفك حتى قمت للعبادة في تلك الأوقات من السحر ومن الثلث الأخير ،

يرى من نعم محبوه عليه أن أقامه وأنام غيره واستزاره وطرد غيره وأهله وحرم غيره ، أهله لأن يقترب من الله أهله للصلاة أعانه وجعله أهلاً بأن يصلي وليس هو الذي أهل نفسه فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته لأن شهود النعمة الدينية من أعظم ما يعين العبد على الشكر ويقذف في قلبه الحب ، ( يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } آل عمران ٤٢ شهود الاصطفاء والاجتباء من نعم الله العظيمة وهذا الذي يذكره هنا من أنه اجتباها واصطفاه لعبادته دون غيره فالذي يشهد هذه النعمة يتعبد لله عز وجل بأكمل ما أمر ، ( أفلا أكون عبداً شكوراً } قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يستصحب نعم الله ويشكرها أنه غفر له ما تقدم من ذنبه فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته ويرى أن قرّة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم ( جعلت قرّة عيني في الصلاة ) رواه احمد والنسائي وصححه الألباني كان اهتمام الصالحين أن يوقفوا في لذة الصلاة ولذة العبادة أنه أهم شيء عنده أن يؤذن له بأن يصلي في قبره كما يقول ثابت ابن ديري " اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي " فهو مشغول بهذه المسألة ألا يكون الموت حائلاً بينه وبين الصلاة وثبت الدليل أن المؤمن يصلي في قبره ، في قول ( الملائكة له إذا قال لها ذرابي أو دعائي حتى أصلي فيقولان وهما الصادقان إن ستفعل ولكن أخبرنا عن هذا الذي بعث فيكم ) ورأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى وهو يصلي في قبره فيرى قرّة عينه في ذلك لأن أعظم لذة وجدها في الدنيا هو ذلك ، كان بعض السلف لأنه ما يحي الدنيا إلا لسهر الليالي من أجل أن يتعبد لله بقيام الليل ، لم يبق من لذة الدنيا ألا مصاحبة الأخوان وقيام الليل وظلمة الهواجر ليس أنه يقوم يعني شاق عليه القيام بل يقوم مقبلاً على الله سبحانه وتعالى محباً لله عز وجل شاهداً نعمته أن أقامه بين يديه ،

يرى أن قرّة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة فهو يتمنى طول ليله ويهتم بطلوع الفجر ، يهتم يعني يشعر بالهم يقول خلاص الفجر قرب وكأنه حزين وعنده هم أن الفجر قرب على الطلوع ويترك هذه الصلاة أو يحتاج إلى قدرها فهو يتمنى طول ليله ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى الحب الفائز بوصف محبوه ذلك يتمنى طول البقاء مع محبوبه ، الفائز بوصف محبوه يعني شعر بأن محبوبه قد نال محبته أيضاً أنه يحبه كذلك فهو كما قيل ،

يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

يعني زاد كما أن العين فيها أسود وأن القلب في جسده ليس ببائن وفي مكان مظلم يقول فيتمنى يزيد في ذلك حتى يطول الليل فيتملك فيها مولاه تملك الحب لمحبوه العزيز الرحيم يناجيه بكلامه سبحانه وتعالى بتلاوة الآيات معطياً لكل آية حظها من العبودية بمعنى يقف عند الآيات ليس همه أن يختم آخر السورة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أمره على القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ،

يقول معطياً لكل آية حظها من العبودية فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، تجذبه إلى الله الآيات التي فيها ذكر الحب والود كما في قوله عز وجل ( وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ } البروج ١٤ وفي قوله سبحانه وتعالى ( وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } هود ٩٠ عن شعيب عليه السلام وفي مثل قوله سبحانه وتعالى ، ( إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ } هود ٦١ على لسان صالح عليه السلام ، فهذه آيات الحب والود التي تشعر العبد بخصوصية حبه لله سبحانه وتعالى وقرية منه ومودته له ( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة ١٨٦ فيجب فؤاد قلبه وروحه إليه إلى ربه آيات المحبة والوداد مثل قوله تعالى ( فَمَنْ لَّهُ عَلَيْنَا وَفَقَانَا عَذَابَ السَّعِيرِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } الطور ٢٨ يقول والآيات التي فيها الأسماء والصفات لأنها أعظم أسباب الحب وأن إنساناً جلب على محبة الجمال والله عز وجل هو الجميل وهو يحب الجمال سبحانه وتعالى وهو سبحانه وتعالى خلق عباده يميلون إلى حب الجمال فإذا شهد معاني الأسماء والصفات وشهد فيها جلال الله وعظمته وجماله أحبه ولا بد ينبت الحب على شهود معاني الأسماء والصفات وينبت الحب على شهوة النعم والآلاء ومن أحص ذلك الآيات التي فيها أن الله سبحانه ويحب أوليائه ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة ٥٤ وهكذا الصفات الأخرى ، ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } التوبة ٤ ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } آل عمران ١٣٤ وهذا من أعظم ما يدفع العبد إلى الإتيان ب هذه الصفات ولذا نجد من يكون متصفاً بهذه الصفات يحبه ويحبونه أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين الذي تجده بخلاف ذلك تأكد أنه قد فقد نصيبه من الحب الذي تجده ذليلاً للكفرة والمنافقين ومعيناً لهم وموالياً لهم شديداً على أهل الإيمان شديداً على أهل الإسلام بلسانه ويده تعرف قله نصيبه من العلم إذا وجدت هذه الآيات فأنت تدبر ما تقرأ فانتدب قلب حباً وشوقاً إلى الله عز وجل يقول فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد والآيات التي فيها الأسماء والصفات والآيات التي تعرف فيها إلى عباده بالآلاء وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم لأن الحب ينبت وينمو بشهود النعم والآلاء فتذكر نعم الله عز وجل عليك الدينية والدنيوية فتجذب له لأنه أعطاك ومن عليك والله ذكر منته على عباده المؤمنين في آيات ، ( لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } آل عمران ١٦٤ يقول ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة ٣ وقال عز وجل ( وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } ابراهيم ٣٣ فأيات النعم وآيات الأسماء والصفات وآيات الحب من الله عز وجل لعباده المؤمنين تأخذ بقلبه وتجذب قلبه وروحه إلى الشوق والحب لله عز وجل يقول " وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة فتكون له بمنزلة الحايي الذي يطيب له السير ويهونه لأنه يتذكر

ثواب الله عز وجل للفائزين الذين يصلون إلى جنته سبحانه وتعالى فيجدون أنواع الإكرام فيهن عليه السير ويهن عليه مشقة العبادة على البدن والبدن بطبعه يشعر بمشقة من القيام مثلاً من طول السجود لكن يهن ذلك عليه الثمرة التي ينتظرها المؤمن عندما يتذكر مآل المؤمنين وآيات الرجاء وآيات سعة البر والمغفرة ،

يقول " وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه للمعرضين عنه العادلين به غيره المائلين إلى سواه ، والله هذا من أعظم الأمور أهمية أن يتذكر الإنسان مصارع المشركين ومصارع الكافرين فكيف هلكوا ونحن على يقين أنهم هلكوا ومسكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ، آثار الفراعنة آثار مدن صالح مدائن صالح قوم ثمود آثار عادة وآثار الأقوام الذين كانوا فعلاً ملئ الأرض قوة وسمماً وبصراً كانوا جبارين في الأرض وانتهى أمرهم تماماً بأنواع المهلكات ثم الجزاء الأخروي عند الله عز وجل وتذكر ما وجدته في حياتك من ذلك من آثار هلاك المجرمين وموتهم وعذابهم عند موتهم وذلم الذي أصابهم لما أجرموا وكفروا نفاقوا وظلموا ،

يقول " وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه للمعرضين عنه العادلين به غيره لما سوو بينه وبين غيره ( اللَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ تُسَوِّىكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ { الشعراء ٩٨ يعني في الطاعة والأمر والعبادة ،

يقول العادلين به غيره وإعراض العرضين عنه العادلين به غيره المائلين إلى سواه فيجمعه عليه ويمتنعه أن يشغل قلبه عنه فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها تأمل هذه الثلاثة ، ثلاث أنواع من الآيات تؤدي إلى حصول ثلاث أنواع من العبادات الي هي أجنحة العبادات الثلاثة . الحب والخوف والرجاء . أو قل الرأس والجناحان فتحصل له من خلال آيات القرآن فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها والله المسعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقلنا يشاهد بقلبه يعني وليس أنه يرى بقلبه لكن يشهد آثار الآيات في الكون ويشاهدها كأنه يراها فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله يعني هناك من يقرأ ومصدقاً أنه كلام الله فتحصل بذلك عبودية التصديق ومجرد التلاوة رغبة في ثواب عشر حسنات لكل حرف وذلك يستزيد من القراءة دون أن يلتفت إلى الكثر الأعلى الذي تحت هذه القراءة التي تحت هذه الحروف وهو التدبر

يقول يعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها ، يعني هذا الفهم درجة والدرجة التي أعلى منها التدبر كما ذكرنا ، الدرجة الأولى أن يفهم المقصود وسبب النزول والأحكام المترتبة ثم بعد ذلك يتدبر في الكنوز الذي تضمنتها الآيات فعند ذلك يعطي كل آية حظها من عبودية القلب ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل ولا عبد ، كما قيل

وكنتم أرى أن قد تناها بي الهوى إلى غاية ما بعدها لي مذهب

فما تلاقينا وعانيت حسناتها تيقنيت أي إنما كنت ألعب

يعني مزيد القرب والله أعلى وأعلم كلما اقترب وشاهد آثار الجمال وانتقل إلى شهود جمال الذات وجماليات الرب عز وجل الذي اتصف بكل هذه الصفات العظيمة ويتوجه إليه بقلبه بالحب العظيم ومشاهدة آثار جلاله وعظمته كلما اقترب أكثر كلما علم أنه كان ليس له نصيب والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في إدراكهم لحقائق القرآن وشعورهم بها ومشاهدة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تعبد الله سبحانه وتعالى ،

يقول " فوا أسفاه ويا حسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، يعني الذي يقول هذا الكلام يقول أنه ما شم له رائحة وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها أو أنه يعني كيف يقضي إنسان عمره كله ليس من البد أن يكون هو قاصد نفسه يعني ولكن يقصد أن ينبغي أن يتحسر ويأسف على نفسه أنه بقي له زمان طويل لم يشعر فيه بالقرب من الله ومحبه والخوف والرجاء وتدبر كتابه ونحو ذلك

يقول " ويا أسفاه ويا حسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لها رائحة وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها بل عاش فيها عيش البهائم فانتقل منها انتقال المفاليس يعني ليس معه شيء فكانت حياته عجزاً وموته كمداً ومعاده حسرة وأسفاً ، نسأل الله العافية ، اللهم لك الحمد وإليك المشتكى يشتكي حوله ويشتكى ممن يشغله عن الله عز وجل فلا ينال نصيبه من الله سبحانه وتعالى ، فلك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستعاث وإليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك وله كلام آخر في تكمله حال السابق إلى الله عز وجل فيه قريب من هذا الكلام ينبغي أن يقرأ ويتفقه به وينبغي كذلك أن يفكر في جميع الآيات والأحاديث الواردة في الأذكار التي فيها ذكر الأسماء والصفات ونحن ذكرنا هذه الأقوال على سبيل المثال وما يمن الله عز وجل به على عباده المؤمنين مع كل آية ومع كل اسم من أسمائه الحسنى ومع شهود أفعاله سبحانه وتعالى وحكمته وعلمه وما فعله بأوليائه وأنبيائه وما فعله بأعدائه وما يفعله يوم القيامة وشهود كل هذه الأمور ما يمن الله به على عباده المؤمنين تفاوت أعظم التفاوت وأنه كما ذكرنا على سبيل المثال ليكون القدوة المتحتذى بها ومفتاح ذلك ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) ص ٢٩ هذا باب سعادة عظيم بل أعظم أنواع السعادة أن يتعبد الإنسان بمقتضى أسماء الله وصفاته ويحب الرب عز وجل بها ويدعوها بها ويخد أن أدعية الكتاب والسنة كلها تدور حول التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### 3-توحيد الربوبية

#### ١٨- المعنى الأول والثاني لتوحيد الربوبية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

نستكمل الكلام على أنواع التوحيد ونتكلم على توحيد الربوبية

أولاً : هذا التقسيم إلى توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية لم يرد نصاً التقسيم فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم وإنما اصطلاحه بعض أهل العلم وشاع عنهم وهو في الحقيقة ناشئ عن نوع من الإستقراء لأدلة الكتاب والسنة والتقسيم إذا كان اصطلاحاً لم يترتب عليه أحكام معينة لم يمنع منه كما قسم العلماء مثلاً مسائل سموها مسائل أصول ومسائل فروع أو مسائل عقيدة وفقه وتفسير ولم ينقل مثل هذا التقسيم عن النبي صلى الله عليه وسلم فالأمر واسع طالماً لم نبني حكماً على هذا التقسيم فضلاً على أن يكون هذا التقسيم قد دل عليه الاستقراء لكثير من أدلة الكتاب والسنة كما قال سبحانه وتعالى { رب السماوات والأرض ما بينها فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً } رب السماوات والأرض وما بينها يدل على توحيد الربوبية فاعبده يدل على توحيد الألوهية هل تعلم له سمياً يدل على توحيد الأسماء والصفات ، وكما ذكرنا قوله سبحانه وتعالى { طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلا } وهذا توحيد الربوبية ، { الرحمن على العرش استوى } هذا يدل على الأسماء والصفات { له ما في السماوات والأرض وما بينها وما تحت الثرى } فهذا من معاني الملك من توحيد الربوبية ، { وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى } هذا من الأسماء والصفات ، { الله لا إله إلا هو } هذا توحيد الألوهية { له الأسماء الحسنى } هذا من توحيد الأسماء والصفات ، دل ذلك على كثرة استعمال القرآن لأنواع التوحيد ولا مانع كما ذكرنا من التقسيم إذا لم يبنى عليه أحكام كأن نقول مثلاً الواجب هو هذا النوع دون ذاك النوع ، هذا يبني حكماً معنياً أو يقول كما يقول البعض أن أنواع توحيد الألوهية هي الركن في الإسلام دون سائر الأنواع بمعنى أن من لم يأتي مثلاً بأنواع توحيد الألوهية لم يدخل في الإسلام ولم تنفعه لا إله إلا الله فلماذا قصرت ذلك على توحيد الألوهية كما يقول البعض أن الجهل في الألوهية غير معتبر وأما في الأسماء والصفات فمعتبر أو في الألوهية أو نحو ذلك ، هذا كلام باطل لا دليل عليه ، هذا كالذي جعل التقسيم كأنه شرعي وليس تقسيماً اصطلاحياً ،

التقسيم الشرعي هو الذي يدل عليه الشرع ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ) فالنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي قسم الشرك إلى شرك أكبر وشرك أصغر وظلم أكبر وظلم أصغر كما قال في قول الله سبحانه وتعالى { الذين آمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } فقال الصحابة أينما لا يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ليس بذلك ألم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ) فبين أن هذا الظلم هو الظلم الأكبر وأن الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي الشرك الذي هو عبادة غير الله ، فذلك نقول أن مسألة التقسيم مسألة يسيرة إذا لم يبنى عليها أحكام ومن هنا كان مثلاً من جعل قسماً رابعاً أو خامساً في هذا الباب وقد رماه البعض بالبدعة ونحن نقول الأمر واسع إذا جعل بعض أقسام توحيد الربوبية أو توحيد الألوهية أو توحيد الأسماء والصفات فصلاً مستقلاً نجد مثلاً أن العلماء قد ذكروا فصولاً مستقلة في بعض الأسماء والصفات التي وقع فيها نزاع مع أهل البدع ، نجد مثلاً من جعل فصلاً في الرؤية ، في أن يرى الله عز وجل ، وجعلوا فصلاً في كلام الله عز وجل وهو أنه غير مخلوق هل عندما فعل العلماء ذلك ولم يفعلوا مثلاً فصل أن السمع ليس بمخلوق فصل أن بصر الرب ليس بمخلوق ، فصل أن مثلاً قدرة الرب ليست مخلوقة ، هم لم يفعلوا ذلك إنما قالوا كلام الرب ليس مخلوق . فصل أن القرآن كلام الله وأنه ليس مخلوق . لما فعلوا ذلك اتهموا بالبدعة ؟ لم يتهمهم أحد بالبدعة ، وإنما ذكروا ذلك لما انتشرت البدعة في هذا الباب وقالوا أن كلام الله مخلوق قال المبتدعون كلام الله مخلوق ، فدافع أهل السنة وأتو بالأدلة للرد على هؤلاء فعندما نقول نجعل فصلاً مثلاً في الحكم بما أنزل الله وفي الولاء والبراء يمكن أن يظهر في وقت آخر أنواع من البدع تتعلق بمسائل معينة فلو جعلنا لها فصلاً مستقلاً هو في الحقيقة ضمن التي قبلها يعني لو قلنا توحيد الربوبية أليس هذا من توحيد الأسماء والصفات ؟ أليس من أسماء الله الرب وأليس من أسماء الله الإله ؟ فلو قلنا توحيد الأسماء والصفات ولم نجعل فصولاً مستقلة أو جعلنا ضمن ذلك اسم الرب وشرحنا ما ذكرنا من أنواع الربوبية ومعانيها وذكرنا في اسم الإله ذلك ولم نذكر التقسيم ، لا حرج الأمر واسع فإذا ذكر التقسيم لا نجعله كأنه تقسيم شرعي من نقص فيه أو زاد عنه فهو مبتدع ! بل الأمر واسع ، المبتدع هو من يعطي بعض الأقسام أحكام مستقلة بناء على التقسيم وليس بناء على دليل شرعي وليس بناء على نص من الكتاب والسنة ، فمثلاً من أنكر الكفر الأكبر والكفر الأصغر نقول عنه مبتدع لماذا ؟ لأن هذا التقسيم سنه النبي صلى الله عليه وسلم بينه النبي عليه الصلاة والسلام وقسم إلى الشرك إلى أكبر وأصغر ومنه أخذ الصحابة تقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر ، كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل عن الملة أصغر ، فهذا مبني على أدلة الشرع أما مثلاً من يقول أن الولاية والحكم والنسك لا بد فيها من العلم ومن لم يعلم فهو خارج من الملة لا تنفعه لا إله إلا الله لم يقل لا إله إلا الله لم يأتي بالتوحيد فإذا قلت له لماذا لم تجعل معاني

الربوبية كالخلق و الرزق والتدبير ومعنى الملك ومعنى السيادة والأمر والنهي لم تجعلها معاني مستقلة يجب معرفتها حتى تصح لا إله إلا الله وهي في الحقيقة من لوازم لا إله إلا الله ، لأن لا إله إلا الله تشمل لا رب إلا الله فإن لم يعلم معاني الربوبية لم يكن مسلماً عندك أتجعل هذا ثم تعقد امتحاناً للناس من لم يعلم ما ذكرناه فهو ليس بمسلم ؟ ! هذا هو الخلل هذا هو الخطر وكذلك لو أن إنساناً لم يكتفي بهذه الثلاثة وقال لا بد من التقسيم فيها ويجعل التقسيم تقسيم أكثر تفصيلاً بمعنى أن يقول نسك هذه العبادات إذاً لا بد أن يقرره عبادة عبادة الركوع السجود الذبح النذر الإستغاثة الإستعانة الاستعاذة من لم يعلم واحدة منها فليس بمسلم فلم يأتي بالحد هذا هو الخلل عندما نجعل التقسيم الاصطلاحي سبباً إلى بناء الاحكام عليه دون أدلة من الكتاب والسنة

فلذلك نقول أن قضية التقسيم الباب فيها واسع لأن الأمر لم يرد بدليل صريح في التقسيم وإنما هو لتيسير الدراسة ولتوضيح المسائل ولوجود من يخالف من أهل البدع فيحذر منه وتبين المعاني تفصيلاً ،

فمثل هذه الفصول ..

البعض مثلاً عندما قلنا توحيد الربوبية الفصل الثاني وأتينا إلى توحيد الإلهية الفصل الثالث ولما جعلنا فصل للحكم بما أنزل الله قال هؤلاء ممن يقسمون التوحيد على غير ما قسم العلماء .

هذا كلام فاسد بلا شك ، ونحن نبين أن توحيد الرب سبحانه وتعالى بالحكم هو من الأسماء والصفات ومن توحيد الربوبية ومن توحيد الإلهية .

فالولاء والبراء مبني على أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، فهو من فروع توحيد الإلهية ، فكما ذكر المتقدمون ومثلاً كما ذكرنا فصلاً في الرؤية أو فصلاً في أن كلام الله غير مخلوق أو أن أوساط الموحدين لا يخلدون في النار لما كان أهل البدع يتكلمون في ذلك ، فعندنا أهل الزندقة والنفاق مثلاً يتكلمون أن الشرع ليس بلازم وأنه ليس يلزم في الدين أن يرجع الناس إلى أحكام الكتاب والسنة ويسوون بين الملل ويجعلون اليهود والنصارى والمسلمين كلهم كأصحاب المذاهب المختلفة في الملة الواحدة وأنه لا حرج على إنسان يتدين بأي دين ، فإذا فصلنا فصلاً نبين فيه ذلك لم يكن ذلك اختراعاً ولم يكن ذلك نقضاً لتقسيم العلماء ولا مخالفة لهم تقتضي التبديع والتضليل .

هذا في مقدمة في مسألة التقسيمات خصوصاً أن البعض يتهم شيخ الإسلام ، من الأشياء العجيبة التي يسمعونها الإنسان في زماننا أن البعض لما يقول خلاف التقسيم يكون مبتدع ، والبعض يجعل أن التقسيم نفسه مبتدع .

فالبعض يستنكر هذا التقسيم ، نقول أن ابن تيمية هو الذي قال هذا الكلام ولا أحد قاله قبل ذلك .

كما ذكرنا أن هذا التقسيم مبني على استقراء ، فلما نقول أن تقسيم العلماء الدين إلى فقه وتوحيد وسيرة وتفسير فهذا الكلام لم يكن على أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن أيام الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التقسيم ومع ذلك فالأمر واسع ، فلماذا تبدع الناس ولماذا تنكر عليهم مع أن هذا التقسيم له شواهد من الاستقراء من أدلة الكتاب والسنة كما ذكرنا .

فإذن الباب واسع ليس فيه أن هذا التقسيم ملزم وليس أنه مبتدع والله أعلم .

فالبدعة إنما هي في تأصيل ما يخالف ما ثبت في الكتاب والسنة من العقائد والعبادات باختراع عبادات جديدة وعقائد باطلة جديدة يلزم الناس بها ، أو المداومة على هيات معينة وطرق معينة في أداء العبادة لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سيأتي الكلام على البدع بالتفصيل إن شاء الله في القسم الثاني .

الأديان : هل هذه الكلمة مما يصح أن يتكلم به ؟

الأديان الثلاثة هذه أياها منها دينان باطلان ودين حق واحد ، فلا دين عند الله يقبل إلا دين الإسلام .

توحيد الربوبية : معنى توحيد الربوبية هو الإيمان بانفراد الرب سبحانه وتعالى بكل ما معاني الربوبية :

الإيمان بالله عز وجل رباً : هو اعتقاد أن الله عز وجل منفرد بمعان ثلاثة أساسية ، وهذا الكلام مرده إلى النظر في أدلة الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً وانفراد الرب سبحانه وتعالى بهذه المعاني .



من الممكن أن نجعلها أكثر من ثلاثة لأن الواحد منهم ممكن يتضمن عدة معاني ، وهم :

الخلق والرزق والضر والنفع والخفض والرفع والعطاء والمنع ، فمن الممكن أن نتكلم في كل واحدة من هذه المعاني أو نقول : الخلق ، والرزق ، والتدبير أي يدبر الأمر سبحانه وتعالى .

فنقول مرد الأمر إلى النظر في أدلة الكتاب والسنة ومحاولة التلخيص لهذه المعاني في عناوين رئيسية .

والأمر الثاني مرده إلى معاني اللغة ، فاللغة تدل على هذه المعاني كما ذكره علماء اللغة

المعنى الثاني :

المملك والمملك التام ، المملك ممكن تكون ضمن المعنى الثالث

لذلك نقول أن الأمر واسع في التقسيم ، البعض يقول المملك والمملك ، المملك : أنه يملك الشيء وقد لا يكون ملكاً ، المملك الذي له الأمر والنهي ، لذلك يمكن كلمة المملك تصبح ضمن المعنى الثالث . الملكوت : هو الملك ، صيغة أخرى للملك وهي إضافة الواو والتاء إلى الكلمة مثل الجبروت والملكوت ، فالجبروت بمعنى التجبر والملكوت بمعنى الملك .

المعنى الثالث :

معنى الأمر والنهي والسيادة .

المعنى الأول : وهو معنى الخلق والرزق والتدبير ، أن عز وجل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير والنفع والإحياء والإماتة والضر والنفع والعطاء والمنع ، وهذه أفعال الله سبحانه وتعالى ، هو سبحانه وحده الذي يخلق وهو وحده الذي يرزق وهو وحده الذي يحيي وهو وحده الذي يميت ، وهو وحده الذي يعطي ويمنع وهو وحده الذي يضر وينفع .

وهذه المعاني كلها لا بد أن نكثر من الفكر فيها لأن القرآن مليء ببيانها ، واستحضار القلب لها حتى يخضع لله عز وجل ويدل له وينقاد له كما أنه يحبه ويشتاق إليه سبحانه وتعالى .

لأن هذه الأفعال كلها تدل على كماله وجماله وجلاله وعظمته ، والقلوب مفطورة على حب الجمال والجلال ، فالله سبحانه وتعالى أكثر من ذرك مشاهد الربوبية في كتابه سبحانه وتعالى لكي تتجه القلوب إليه بتوحيد الإلهية

قال الله سبحانه وتعالى { قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأتى تصرفون } [يونس/ ٣١] هاتان الآيتان فيهما الاستدلال بتوحيد الربوبية على وجوب التقوى أي على توحيد الإلهية لأن أصل التقوى أن تتقي الشرك { فقل أفلا تتقون } أفلا تتقون الشرك ، أفلا تتقون عبادة غير الله وهو وحده الذي يرزقكم من السماء والأرض ؟! ، وهذا النوع من الاستدلال أكثر أنواع الاستدلال في القرآن استعمالاً ، أكثر أنواع الاستدلال على توحيد الإلهية استعمالاً ، يعني هو الذي يستعمل أكثر من غيره ،

أتذكرون النوع الثاني من الاستدلال ؟

هو الاستدلال بدليل فطرة العباد على الميل إلى الله عز وجل وذوقهم حلاوة التوجه إليه سبحانه وتعالى وشهود معاني الحياة والبصر ، أعني أن الذي ذاق توحيد الإلهية عرف معنى الحياة بعد أن كان ميتاً ، عرف معنى بصر الحقائق بعد أن كان أعمى ، عرف معنى السمع لما أنزل الله عز وجل بعد أن كان أصم ، يشهد ويدوق حلاوة الإيمان فيزداد بذلك إيماناً في وجوب إفراذ الله سبحانه وتعالى بأنواع العبادة .

توحيد الربوبية كدليل على توحيد الإلهية هو الأكثر استعمالاً ، لأن كل الناس يرونه ويشهدونه وإن كانوا يحتاجون إلى استحضاره بقلوبهم .

أما ذوق طعم الإيمان ووجود حلاوة الإيمان فهذا إنما يذوقه ويجده من جرب ومن وحد الله ومن عبد الله سبحانه وتعالى ، وهو عندهم أقوى من الدليل الأول أو على الأقل مساوي للدليل الأول . عندهم أنه ذاق طعم الإيمان ، فمهما حاول أحد أن ينازعه فيه لم يقبل ، وجد كيف ان توجه قلبه إلى الله سبحانه وتعالى وافق فطرته التي خلق عليها وأنه وجد طريقه لما وحد الله سبحانه وتعالى فهذا معنى هذا النوع من الاستدلال

ونذكر المثال المضروب سابقاً مثال الترس الذي في ماكينة ، مثال المكان الخالي لترس فيقيس المسافة يجدها عشرة سنتيمتر وهو عنده تروس عشرة وخمسة عشرة وخمسة فيقول أن الذي يناسب هذا هو الترس رقم عشرة فيضعه فيجد أن الماكينة أنتجت إنتاج عظيم جداً فيقول أنه جزءاً وبقيةً أنه هذا الترس هو الذي كانت تفقده الماكينة .

فالقلب مفطور على عبادة الله عز وجل ، إذا توجه إلى غيره شقي وتعس ، ينظر إلى نفسه إن كان غير موحد قبل ذلك ، إن كان غير مسلم قبل ذلك وينظر إلى غيره إن كان الله قد من عليه بالتوحيد من أول إدراكه ، فهو موحد من البداية ، فينظر إلى شقاء العالم حوله بالشرك فيتيقن ويزداد يقيناً أن الله وحده هو الذي يستحق أن يعبد كما أنه وحده هو الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وأعطى ومنع وخفض ورفع وأذل ودبر الأمر كله سبحانه وبحمده .

هذا النوع من الاستدلال أكثر أنواع الاستدلال في القرآن استعمالاً وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية ، كما أنه هو الذي خلق ورزق فهو وحده الذي يعبد ، كما قال عز وجل { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون } [البقرة/ ٢١] فهو عز وجل الذي انفرد بالخلق ، خلقكم وخلق آباءكم الذين من قبلكم فاعبدوه لعلكم تتقون ، لأنكم إذا عبدتم الله اتقيتم سخطه وعقوبته واتقيتم عبادة غيره والشرك به بعبادته وحده لا شريك له ، ثم ذكر أنه الذي جعل الأرض فراشاً ممهداً لنا والسماء بناءً مرفوعة فوقنا ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، هو الذي أنزل وهو الذي أخرج لنا من الثمرات ، هو الذي يرزقنا ، ثم نحانا عن الشرك بأن نجعل له أنداداً في الإلهية وأنداداً في التعظيم والخضوع وتلقي الأوامر ، قال { فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون } فتلاحظ نوعي التوحيد وكيف أنه يبنى توحيد الإلهية على توحيد الربوبية .

وكما قال سبحانه وتعالى { قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبثنا به حدائق ذات بركة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هو قوم يعدلون } [النمل/ ٥٩] فذكر سبحانه معاني الربوبية استدلالاً على توحيد الإلهية ، { أم من خلق السماوات والأرض { الخلق { وأنزل لكم من السماء ماءً { الرزق ، { فأنبثنا به حدائق ذات بركة { تبهج من ينظر إليها ، { ما كان لكم أن تنبتوا شجرها { منفرد سبحانه وتعالى بانبثاق هذا الشجر ، بإخراج هذا الزرع ، يعجز الناس أن يصنعوا شيئاً إن لم يخلق الله عز وجل لهم ، { إله مع الله { أبعد ذلك تعبدون غيره ، أمع أنكم تقرون بأنه وحده الذي خلق ورزق أبعد ذلك تعبدون غيره ، { بل هو قوم يعدلون { ، إذا كان الله وحده هو الذي يفعل هذا فكيف تعبدون معه ألهة أخرى ، هو وحده لا شريك له الذي خلق السماوات والأرض وهو وحده الذي أنت لكم من السماء ماءً فأنبث به حدائق ذات بركة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها .

قوله عز وجل { بل هم قوم يعدلون { يعدلون بالله غيره ، عدلوا وسووا بين المخلوق العاجز الضعيف وبين الله سبحانه وتعالى ، جعلوا هذه الأوثان العاجزة التي هي أضعف وأحقر منهم ولا تملك شيئاً جعلوها في منزلة الآلهة ، سموها آلهة وصرفوا لها العبادات والآيات من سورة النمل ينبغي أن يقف الإنسان ويتفكر فيها كثيراً ، لأنها في كل موضع يذكر الله تعالى فيها آيات ربوبيته فيذكر في خاتمتها { إله مع الله } .

{ أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون { تفكر في كل واحدة من هذه سوف تجد آثاراً عظيمة في القلب إذا تدبر الإنسان فيها ، وبعد ذلك لابد أن يتجه القلب بالحب والتعظيم والخضوع لله وحده لا شريك له ولا يكون من الذين لا يعلمون ، الأرض مستقرة بنا لا تملك أن تصنع لها شيئاً ، لو أن الله أمرها أن تتحرك وتنتقل كما تقع الزلازل لم نستطع أن نمنع شيئاً ، الزلازل يأتي في لحظة يذكر الناس بعجزهم عن السيطرة على الأرض ، الطوفان وشدة الغرق والمطر والأعاصير فهذه الآيات المرتبطة ببعضها بالأرض وبعضها بالسماء ، الناس لا يملكون منها شيئاً .

{ أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي { فالجبال ترسيها { وجعل بين البحرين حاجزاً { بحيث لا يبغي المالح على الحلو ولا الحلو على المالح { بينهما برزخ لا يبغيان إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون {

{ آمن يجيب المضطر إلى دعاءه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون {

حاجة الإنسان عندما يكون مضطراً حاجة لا يناعز فيها أحد ، عندما يضعف وعندما يكون في شدة لا يجد مفرأً من أن يدعوا ، والله عز وجل يجيب دعاءه ، يكون في بلاء ومحنة ويدعوا الله فيفرج الكرب ، ما كان يظن أن تنفرج ، والاحتمالات عنده عديدة منها استمرار الكرب إلى ما لا يعلم أو إلى أن يهلك ، فيجيب الله عز وجل دعاءه فيفرج الكرب من عنده سبحانه وتعالى ، هذا ولو كان كافراً ، كما كان المشركون يدعون الله عز وجل عندما يوشك أن يدركهم الغرق ، كما قال عز وجل { وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً { [الإسراء/ ٦٧] نعوذ بالله من الكفر ، { آمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء { من حكم تقدير الله للسوء على أهل الإيمان الذين يكره مساءتهم أنه هو الذي يكشف السوء من مرض ومن فقر وشدة ونزول أعداء وسيطرة أعداء وأنواع البلاء المختلفة يكشفها الله سبحانه وتعالى ، { ويكشف السوء { فتعرف من خلال ذلك أنه وحده أنه يملك ذلك ، لم يكن الناس يقدرتون على شيء ، فالله الذي كشف السوء ، أفعاله هو سبحانه وتعالى وحده ، { ويجعلكم خلفاء الأرض { أنتم خلفتم من سبقكم فهل اخترتم زمن ذلك الاستخلاف ، هل اخترتم مكان ذلك الاستخلاف ، هذه أماكن كان يعيش عليها أناس قبلنا ونحن الآن نعيش فيها ، وبعد مائة سنة أو أقل من ذلك أو أكثر والله عز وجل أعلم سوف يكون في مكاننا من هم الآن عدم محض ، يعني منذ مائة سنة لم يكن أحد منا على

وجه الأرض قط ولا كان حتى ربما حيوان منوياً ، وربما كان أبو لم يولد قبل مائة سنة ، وربما كان جده لم يتزوج حتى يكون له شأن أصلاً ، وكان هؤلاء كلهم يعيشون على وجه هذه الأرض وصرنا نحن خلفاء من بعدهم ، ورحلوا هم ، ونحن نرحل عن قريب ، الله عز وجل هو الذي يفعل ذلك ، هل يفعل ذلك مع الله أحد ؟ ، هل أبأؤنا هم الذي اختاروا أن يأتوا أو أن يرحلوا ؟ يأتوا بنا أو لا يأتوا بنا ؟ ، ما صنعوا شيئاً ، أسباب ضعيفة جداً والأسباب الأخرى بيد الله عز وجل ، وأما الخلق والإيجاد وأن يجعلنا خلفاء الأرض فليس لأحد منه لا سبب ولا غيره ، الخلف : الله عز وجل هو الذي انفرد به سبحانه وتعالى .

{ قليلاً ما تذكرون ، أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } لا برهان لأحد في أولهية غير الله ، معاني توحيد الربوبية لا تجد أكثر منها في القرآن { إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فائق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفهمون } تأمل { يعلمون } { يفقهون } { يذكرون } في الآيات الأخرى ، كلها تدل على وجوب فعل منك ، أنت تعي هذه المسألة وأن تفهمها وأن تفقهها وأن تعبد الله بمقتضى أنه وحده الذي خلق ورزق ، فلق الحب وفلق النوى وفلق الصبح سبحانه وتعالى ، والذي خلق الأرض وخلق السماء وسخر البحر وأخرج الزرع وأنزل من السماء ماءً ، مرات عديدة وتكرر هذه الآيات ، { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح السحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون } .

{ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فتننا عذاب النار }

إذن كان هناك تفاعل ، كان هناك فعل من أهل الإيمان لما شاهدوا آثار الربوبية ، لما شاهدوا آثار أفعال الله سبحانه وتعالى . وهذا المعنى من معاني التوحيد . توحيد الربوبية . توحيد الرب بأفعاله هو عز وجل بأنه وحده الذي فعل ، أقول هذا المعنى من معاني الربوبية أساس في عقيدة كل مؤمن ، وأنواع مخالفته والشرك المتعلقة به منتشرة في أهل الشرك ، فمن يعتقد أن مع الله من يخلق أو يرزق أو أن معه من يحيي أو يميت أو يضر أو ينفع أو يعطي أو يمنع أو يدبر الأمر فهو مشرك بالله عز وجل في ربوبيته ، هذا النوع من الشرك منتشر في العالم قديماً وحديثاً ، أنظر إلى آلهة اليونان وآلهة المصريين القدماء وآلهة الرومان وآلهة الهنود تجد أنواعاً من الأعاجيب ، فجعلوا لكل شيء إلهاً يدبره ويتصرف فيه ، وكل هذا من الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى ، مع أنهم يرون اتساق الكون كله ، لا ترى أثراً لذلك الصراع الوهمي الذي اخترعوا له الأساطير من أن الإله الفلاني تعارك مع الإله الفلاني وأن الإله الفلاني قتل الإله الفلاني وما زالوا يدرسون ذلك للأبناء ، خزعبلات عجيبة يذكرونها ويكرونها ، ففي الابتدائي يقولون لهم ماذا كان يقول الفراعنة ، ثم في الإعدادي يقولونه مرة ثانية ، ثم في الثانوي يقولونه مرة أخرى ، وكأن هذا الأمر لا يجوز أن ينسى ، خزعبلات !! ،

يقولون حورس مثلاً إله السماء ، أيجوز لمسلم أن ينتسب إلى مثل هذه الأسماء !!؟ ،

الطائرات تصعد بأمر الله سبحانه وتعالى وهم يضعون عليها حورس ويقولون هو إله السماء وحارس السماء .

وأما آلهة الإغريق فحدث ولا حرج عن الخزعبلات ، الإغريق كانوا من أعجب وأرذل خلق الله وهم يفتخرون بهم ، شغلت عقولهم الفلسفة من الناحية النظرية إلى أن لا يصبح هناك شيء على الإطلاق ، بل هو عبارة عن كلام يقال وعبارات مجادل فيها وتصل إلى نتائج متناقضة قطعاً التي حرفت الملل المنسوبة للأنبياء ، حرفت الأديان التي نسبت إلى الأنبياء فصارت أديان أخرى ، ليس الدين الحق والعباد بالله ، كالتصانية التي يعترف أصحابها أنها مزيج من العقيدة الإغريقية وبين تعاليم المسيح ، أما بالجانب العملي فاخترعوا لكل شيء إله ، ففي النظريات خاضوا في علم الكلام . الفلسفة . وفي العمليات اخترعوا لكل شيء إله ، وهذه الإله لا زالت تتعارك ويقتل بعضها بعضاً والكون كله مستقر ولا يشعر بشيء ، وهذا يموت وهذا يحيى ، ومسألة موت الإله موجودة عند اليونان والرومان كثير جداً ، ولذلك ورثوها للنصارى من مسألة أن الإله يموت ثم يحيى بعد ذلك ، والفراغة عندهم نفس الكلام ، نسأل الله العفو والعافية .

للعلم هذا موجود حتى اليوم ، فهناك أخ حكى لي أن هناك من المرشدين السياحيين الذين يحكون للناس القصص الاسطورية عن الآلهة فمن الممكن أن يظل يقنع الزوار الأوروبيين حتى يبكي وهو يتكلم حتى يتعهم أنه كان إله فعلاً وكان طبيياً لدرجة أن بعضهم من الحواء العقدي يعتقد هذه العقائد ،

والآن يأتي أناس من أوروبا خصوصاً حتى يعبدون آلهة الفراغة ، وعندهم عقائد الفراغة ، لأن عندهم خواء وعندهم خزعبلات ، فالغيب عندهم مظلم ، ليس عندهم ما ينير ، فالاسطورة والعقيدة شيء مختلط ببعض ، ليس هناك إلا الأساطير والعباد بالله .

الحمد لله الذي لم يجعلنا فراغة ، الحمد لله الذي برأنا منهم والله الحمد .

سبحان الله ، فسيدنا موسى عليه السلام يستدل على فرعون بهذه الآيات ، { قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين } ربوبية للسماوات والأرض لكل من يوقن إن كان هناك شيء يوقن به أعظم اليقينيات ، { قال لمن حوله ألا تستعمون قال ربكم ورب آبائكم الأولين } ذكر الآيات الأفقية ثم الآيات النفسية ، خلقت أنت وأنت مربوب لا تملك لنفسك وموقن بذلك ، أنت تملك أنك لا تملك لنفسك شيء ، أنت لم تخلق نفسك وأبوك كذلك لم يخلق نفسه وأبوه كذلك وكل من سبق من الآباء { ربكم ورب آبائكم الأولين } فرعون يأخذ ضربات متتالية يتهاوى فيها ويسقط ، سقط ولم يستطع أن يجاري في قضية الإلهوية والربوبية فحاول الطعن في الرسالة فقال { إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون } سيدنا موسى مستمر في توجيه هذه الضربات وإقامة الحجة قال { رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون } فافتح فرعون تماماً ولجأ إلى العنف وإلى البطش والتهديد { قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ، قال أولو جنتك بشيء مبين } رغم أن الآيات التي ذكرها له أعظم من تحويل العصا إلى حية ، تخيل أنت في خلق السماوات والأرض فهي تحولت من الدخان إلى السماوات ، والأرض التي لم تكن مستقرة مرت بمراحل عجيبة ، فهي والله أعظم من تحول العصا إلى حية ، وخروج الشمس من المشرق أعظم من خروج اليد بيضاء ، ولذلك من لم يقتنع بهذه لم يقتنع بالأخرى إلا أن يشاء الله عز وجل أن يوقظ قلبه ليعلم حقيقة الربوبية ، سبحان الله

فمظاهر الشرك منتشرة في العالم من أيام الفراعنة واليونان والهندوس والرومان وسائر الفرق الوثنية والعالم يعج بهذا النوع من الوثنية ، المحسوس كذلك يعتقدون أن هناك إله الخير وإله الشر ، وإله الخير عندهم خالق النور والنار ويرمزون له بالنار فيعبدون النار على ذلك ، وعامة الأصنام هي رموز لأصنام تتصرف وتدبر أشياء في الكون عند أصحابها تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

طالب : المدرس الذي يشرح هذه المناهج ؟

الشيخ : المدرس الذي يشرح هذه المناهج لابد أن يستغلها لبيان سخافة عقول هؤلاء القوم ولا بد أن يوضع لهم ، وهي فرصة لتوضيح أن هذا من خلل العقول واضطرابها وكيف وصلت إلى هذا الحال .

الطالب : ماذا يقول لهم المدرس ؟

الشيخ : يقول أنهم كانوا يعبدون غير الله ، وكانوا يعبدون آلهة ، وهذه هي الحقيقة .

هذا النوع من التوحيد مرتبط بالاعتقاد ، وهو توحيد اعتقادي خبري مثل توحيد الأسماء والصفات .

ما معنى توحيد اعتقادي ؟

يعني نعتقد أن الله هو الذي فعل حتى ولو كان سلوك الإنسان بعد ذلك شيء آخر ، لكن هذا مبني على الاعتقاد والتصديق ، خبري : مبني على التصديق بالأخبار من الكتاب والسنة

أن الله وحده الذي انفرد بذلك

فنعقد أن الله صفة السمع وأنه هو السميع البصري وأنه القدير والعلم والعظيم وغير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى

في هذا الباب من الربوبية نعتقد أنه يفعل ، وهي توحيد الرب بأفعاله ، يدبر الأمر يخلق ويرزق ويضر وينفع .

فلو اعتقد الإنسان أن مع الله عز وجل من يخلق كالجحوس مثلاً الذين يعتقدون أن هناك خالقين : خالق للخير وخالق للشر ، والفراعنة واليونان كان عندهم لكل شيء إله وخالق يعبدونه في شيء معين لأنه هو الذي يدبره ، هذا من مظاهر الشرك الشنيع ، هكذا الهنود وغيرهم من عباد الأوثان يجعلون خالقين متعددين ،

إذن هذه القضية مرتبطة بالاعتقاد حتى ولو كان سلوكه كله ممتاز ، كأن يكون رجل طيب لا يؤدي أحد ولا يظلم الناس لكنه يعتقد إلهين وخالقين رازقين ويعتقد إله للأرض وإله للسماء ، فلا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا يقبل منه شيئاً على الإطلاق والعباد بالله من ذلك ، لأنه فسد اعتقاده ، لذلك لو أنه عمل حياته كلها في العبادة ولكنه اعتقد أن الله ثالث ثلاثة لن ينفعه ذلك ، فلو اعتقد أن الله عز وجل هو شخص بعينه والعباد بالله ، ولو اعتقد أن الخالق الرازق هو فلان ، نعوذ بالله من ذلك .

طالب : يحبط عمله ؟

الشيخ : نعم يحبط كل عملهم ، لأن الله يحبط ما عمل المشرك { ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } [الزمر/٦٥]

من ضمن الشرك أن يعتقد أن مع الله عزوجل من يخلق ويرزق .

من مظاهر الشرك في هذا الباب اعتقاد أن غير الله من الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة يدبرون الأمر .

نحن ذكرنا الملل الأخرى فنذكر الآن من ينتسب إلى الإسلام ويعتقد عقائد مخالفة لتوحيد الربوبية

هناك من يعتقد أن الأنبياء أو الملائكة يدبرون الأمر إما من دون الله وأن الله ترك هذا الأمر لهم من دونه عز وجل فهم يستقلون به أو معه على سبيل الشراكة والعياذ بالله ، أو أنهم وسطاء في هذا .

الله سبحانه وتعالى هو وحده المنفرد ، والآيات أصرح ما تكون ، ومع وضوح الآيات وكذلك وضوح السنة النبوية كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي فيما يروي عنه النبي صلى الله عليه وسلم : ( يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني اهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلى من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولم تبلغوا نفعي فتنفعوني .... إلى آخر الحديث )

الحديث يدل على انفراد الرب سبحانه وتعالى بالأفعال بالهداية والإضلال وهو أنه سبحانه وتعالى هو الذي يطعم ويكسوا سبحانه وتعالى ، وأنه هو الذي ينفع ويضر .

مع وضوح الآيات وجد في الأمة الإسلامية أنه من يعتقد أن مع الله من يدبر الأمر ومن ينفع ويضر والعياذ بالله .

بعض الناس قد يختلط عليه أمر أن الله عندما يأمر الملائكة بأعمال معينة فيظن البعض أنهم يدبرون الأمر مع الله ، والحقيقة إنما هم يدبرون ما أمرهم الله عز وجل به وقواهم عليه .

الله الذي أعطاهم القدرة والقوة وأمرهم بأن يدبروا هذه الأمور كما قال عز وجل { فالمدبرات أمراً } ليس أنها تدبر من قبل نفسها ، بل قال الله عز وجل { لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } ولذلك قال الله عز وجل { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير } [سبأ/٢٢] هذه الآيات في الملائكة ، وكان المشركون يعبدون الأوثان على أنها ترمز للملائكة ، قال عز وجل { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك } [سبأ/٢٢] ففي الملك المستقل ليس لهم ذرة ، ولا على سبيل الشراكة ولا في مثقال ذرة واحدة { وما له منهم من ظهير } وهذه نقطة عظيمة الأهمية في هذا الباب ، أي لا يعاونون الله ، الله لا يحتاج إلى معاونة ، { وما له منهم من ظهير } أي ليسوا معاونين لله ، الله الذي خلق فيهم القدرة وخلق فيهم القوة والقدرة ، تباين عظيم بين عقيدة أهل السنة وأهل الإيمان ، قال عز وجل { ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير } [سبأ/٢٣] فكيف يكونون مدبرين مع الله ؟ ، كيف يكونون معينين لله ؟ ، فقله عز وجل { فالمدبرات أمراً } ليس معناه أنهم يفعلون ذلك شركاء مع الله ، هذا قول المشركين ، يجعلون الملائكة شركاء لله عز وجل تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، إنما اعتقاد المؤمنين بأن الملائكة المدبرات أمراً بأمر الله وأن هناك ملك للجبال وملك للمطر وملك للنبات أو غير ذلك ، هم هؤلاء الملائكة يفعلون ما يؤمرون لا أنهم يدبرون مع الله أو أن الله ترك لهم تدبير الكون وفوضه إليهم وليس له شأن به عبد ذلك ، نفس الاعتقاد للملائكة بهذه الصورة الشركية يوجد عند من يعتقد في المقبورين ، كما يقول عباد القبور ويزعمون كذباً وزوراً أن الله قال الملك ملكي وصرفت فيه البدوي ، وهذا والعياذ بالله من الكفر والشرك بالله وهو أن صرف البدري في الكون ، فالولي عندهم يدبر الأمر

. أتذكر وأنا صغير أيام ١٩٦٧ كان الفلاحين في طنطا يزعمون بأنه كانت هناك طائرة تريد ضرب طنطا فالبدوي خرج خطف الطائرة ونزل مرة أخرى ، والعياذ بالله .

هذه الخزعبلات أنقرضت والحمد لله ، والناس أصبحت تضحك عليها اليوم ، لكن من أربعين سنة كانت مستقرة تمام الاستقرار ، مستقر أن الأولياء هم الحافظون لمصر والعياذ بالله ، وهذا الذي أدى إلى الخلل العظيم .

ولذلك نجد أن الأمريكان يحون على من حتى يدمر الأمة مرة أخرى ؟ الصوفية ، حتى يقولون مرة أخرى أن الأولياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الذين أعطاهم الله التدبير ، وصناديق النذور ليس فيها بأس حتى يضع الناس فيها شكواهم وتطوف بقبورهم ،

المسلمين ليس لهم حل إذا وحدوا الله عز وجل ، لن يستطيعوا النصر على المسلمين إلا إذا كانت الخرافات والخزعبلات موجودة .

الحمد لله انكشفت الغمة والحمد لله ، ونسأل الله عز وجل ألا تعود أبداً ، وبعضهم يزعم أن للكون أقطاباً أربعة ، عندهم هؤلاء الأربعة مختلفين ، فالذي في مصر غير الذي في العراق .

فمن في مصر يقولون أنهم الدسوقي والبدوي والرفاعي ، والجيلاني في العراق ، لكن عندهم أربعة ، وكل ربع له واحد والعياذ بالله .

بناءً على هذا سألوهم قضاء الحاجات وسألوهم جلب النفع ودفع الضر .

هذا لا يمكن أن يكون مبني على غير اعتقاد ، لذلك هو شرك في الاعتقاد ،

لأنه لماذا يسأله أن يأتي له بالخير أو يدفع عنه شر إلا أنه معتقد أنه يستطيع له ذلك أو أنه يفعل ذلك .

لا بد أن يكون لهم اعتقاد أنهم يملكون شيئاً من النفع والضرر إما على سبيل الوساطة أو الشفاعة أو أن الله فوض إليهم ذلك ، وكل هذا من الشرك الذي لا ينفع صاحبه معه عمل ، حتى ولو لم يذبح ولم ينذر ، رغم هذا نادر لأنه لو اعتقد ذلك سوف يذبح وينذر ويطوف ، لكنه اعتقد أن غير الله عز وجل يدبر الأمر دون أن يأذن الله أو دون أن يأمره الله عز وجل ، ولو اعتقد أنه مع الله بأي وجه كان شركاً والعياذ بالله .

لذلك لا يصح أن يقال أن الملائكة ترزقنا أو تخلقنا ، إنما ينقل الملك بأمر الله عز وجل النطفة من طور إلى طور ، يخلقها أي يفعل ما أمره الله عز وجل به في نقل النطفة إلى علقه ثم إلى مضغة ، ولا يجوز أبداً أن يقال أن الملك يخلق الإنسان ، فالله وحده هو الخالق ، هؤلاء الملائكة عباد الله يفعلون ما يؤمرون ولا قوة لهم إلا بالله عز وجل .

اعتقاد الرافضة في قضية الأولياء والأئمة هي مثل هؤلاء يقولون كما يقول الخويمي أننا نعتقد معشر الإمامية أن لأئمتنا سلطان على كل ذرة من ذرات الكون ، نعوذ بالله . هذا كله شرك في الربوبية

هذا من الخلل العظيم والخطر الكبيرة الشرك الأكبر والعياذ بالله .

لذلك اعتقاد انفراد الرب سبحانه وتعالى بهذا المعنى من معاني الربوبية أي أنه وحده الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وأنه عز وجل يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ، وأنه عز وجل يدبر كل ما في هذا الكون ، هذا اعتقاد لا بد منه في توحيد الإنسان .

لا يكون موحداً من لم يعتقد ذلك ، لا يكون موحداً من جعل الله سبحانه وتعالى شركاء أو أعوان في الخلق أو الرزق أو الضر أو النفع أو التدبير أو الإحياء أو الإماتة

قال الله عز وجل { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير }

{ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم } [يونس/١٠٧]

الآيات كثيرة جداً في هذا المعنى .

كل آيات القرآن ترشدنا دائماً إلى استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته في تدبير الأمر في خلق الخلق ، وهذا المعنى هو المقصود بالإصلاح بأن الرب هو الذي يصلح غيره .

فإصلاح الله عز وجل لخلقه من إيجادهم من العدم ، من إحيائهم من رزقهم من عطائهم ومنعهم ، ومن خفض من شاء ورفع من شاء ، سبحانه وبحمده .

المعنى الثاني من معاني الربوبية :

هو معنى الملك :

وهو وحده الذي يملك الأشياء .

لكي نفرق بين الملك والملوك



نقول أنه قد يكون الإنسان مالكا لأشياء ، فأنا مثلاً أملك هذا الثوب لكن ملكي للثوب لم يجعلني ملكاً ، وقد يكون الإنسان ملكاً ولا يكون مالكا للناس .

يعني الملك فلان الفلاني ملك على البلد الفلانية يأمر وينهى لكن لا يلزم أن يكون مالكا لهم ، فهم ليسوا رقيق عنده وليسوا مملوكين له .

قد يكون الإنسان مالكا لأشياء ولا يكون ملكاً

أما الملك فهو الذي له الأمر والنهي والسيادة وهو المعنى الثالث .

بعض المملوك لهم الأمر والنهي على الناس ولهم تعظيم ، وفي نفس الوقت لا يملكون الناس لأن الناس أحرار ، إنما هؤلاء الناس لهم السلطة في فعل ما يرونه وتنفيذه ، وبعض الناس قد يكون له ملك ولا يكون ملكاً ، فهو يملك الدار والدابة وليس له الأمر والنهي على الناس .

من معاني الربوبية أن الله عز وجل منفر بالملك والمملك التام وحده لا شريك له .

كما قال سبحانه { قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله { [المؤمنون/٨٨] هذا مما يقر به المشركون ، المملوكوت يعني الملك ، على وزن فعلوت وهو صيغة مبالغة ، مصدر من الفعل ملك .

وقوله تعالى { وهو يجير } أي يحمي من أراد من أراد ، { ولا يجار عليه } أي إذا أراد أن يهلك عبداً أو ينتقم منه أو يعذبه لم يجز عليه أحد ، ولم يحفظ هذا العبد أحد من الله .

المملوك بعضهم قد يجير على بعض ، مثل أن واحد أراد أن ينتقم من واحد فهرب منه وأراد أن يدخل في ملك غيره فأجاره ، بمعنى أنه إذا أراد أحدهم الانتقام من عدوه فيذهب هذا العدو إلى ملك آخر أو قوي آخر ليحيره فيقول له قد أجرتك أي حميتك فلا يستطيع الأول أن يصيبه بشر ، فيقال إن الآخر قد أجار على الأول أي حماه من أذى من يريد أن يؤذيه أو يضره وينتقم منه ، فلا يستطيع أحد أن يحمي أحد من عذاب الله كما قال الله عز وجل { } له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال { [الرعد/١١] وهذا معنى أنه لا يجار عليه سبحانه وتعالى ، ويجير من شاء ممن شاء ، ولا يجار عليه عز وجل ، لا مرد لأمر الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى في إثبات هذا المعنى من الملك والمملك من توحيد الربوبية قال تعالى { } تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير { [المالك/١] وقال عز وجل بعد أن ذكر أفعاله سبحانه وتعالى من الخلق والرزق ومرج البحرين مع وجود الحاجز ونحو ذلك قال سبحانه وتعالى { ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير { [فاطر/١٣]

قال سبحانه وتعالى في آيات سورة فاطر { يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير { [فاطر/١٣] وهذه المظاهر لا ينافي فيها أحد .

إدخال الليل والنهار وقصر الليل وطول النهار فهذا يحدث بوضوح في هذه الأيام ، نحن نلاحظ كل يوم دقيقة أو دقيقتين يقصر فيها الليل ويطول فيها النهار ، أملك ذلك أحد ؟ ، هل يملك أحد أن يحيي ويميت أو يمد في عمر معمر أو ينقص من عمره ، أو يغير حال النطفة أو نحو ذلك ؟

قال سبحانه وتعالى { سخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير { [فاطر/١٣] ، والذين : لفظ عام يشمل كل من دعي من دون الله سواء أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو رسل ، فضلاً عن من كان عدواً لله عز وجل كالشياطين والأوثان وغير ذلك .

قال عز وجل { والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير { القطمير هي الغلظة الرقيقة التي على نواة التمر ، كل من تدعون من دون الله لا يملكون من قطمير ولا أكثر ولا أقل { إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم { بيان بطلان الشرك في الإلوهية بالإضافة إلى بطلانه في الربوبية ، { إن تدعيتهم { وهو لم يدعوه إلى إذا اعتقد له ملكاً ، فإذا اعتقد المؤمن أن الله وحده له الملك لم يدعوا غيره ، { إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير { أقالم سبحانه الدليل على عدم جواز دعاء أحد من دونه لأن هذا المدعوا لا يملك شيئاً ، فجعل الدليل على توحيد الإلوهية وهو توحيد العبادة بتوحيد الربوبية ، فالدليل هو توحيد الربوبية ، وهو معنى الملك هنا . قال الله عز وجل { ذلكم الله ربكم له الملك { فكيف تدعوهم من دون الله ، { ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير { أي فكيف تدعوهم من دون الله ؟ ،

وقال سبحانه وتعالى { قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون { [يونس/٣١] ليس فقط مالكا للذوات بل مالكا أيضاً للصفات ومالك للأفعال ، { أمن يملك السمع والأبصار { ينبغي أن نقف هنا كثيراً على ما نراه من أنفسنا { قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون { الإنسان يسمع ويبصر والله عز وجل يقدر أن يمنع

ذلك العبد سمعه وبصره فيأخذه منه والعبد لا يملك ، لو تأمل العبد في نفسه لوجد هذا المعنى واضح جداً ، ذلك أنه يجد نفسه في يوم من الأيام قد زال عنه شيء من سمعه أو شيء من بصره ، كأن تصبح فتجد أذنك بها أذى أو لم تسمع بها فلا بد أن تذهب للدكتور وأحياناً يقول هو شيء ليس له علاج ولكننا نحاول ونعطي العلاج واحتمال يصلح وربما لا يصلح ، أمر الله عز وجل ، ومثلاً يصبح فيجد شيء على عينه فيبحث عن ذلك وأحياناً يقررون عمل عملية فوراً وأحياناً يقولون أن الأمر انتهى . من الذين يملك السمع والبصر ، يجد نفسه قد زال عنه شيء من سمعه أو شيء من بصره أو شيء من يده أو رجله أو حركته ، شيء من فؤاده ، فأحياناً تريد أن تأتي بالآيات ولا تتمكن أن تأتي بها من أولها ، لا يملك الإنسان ، فالإنسان يريد أن يتذكر شيء وقد نسي هذا الشيء ، فضلاً عن إنسان زال عنه عقله بالكلية نسأل الله العافية . لا يستطيع الإنسان أن يمنع ذلك طيلة فترة حياته .

والدليل على ذلك في نشأته الأولى :

في أول نشأة الإنسان من أي أتى له السمع والبصر وقد كان عدماً محضاً ، هذه الأشياء تتكون في أيام معدودة ، فالإنسان يكون عبارة عن خلايا وخلال أسبوع واحد تجد هذه توجهت لكي تكون عين وهذه توجهت على تكون رأس وهذه أذن وهذا جهاز تنازلي وهذا دوري وخلال أسبوع واحد تتشكل بدايات هذه الأجهزة كلها ، وقبل ذلك كانت خلايا تشبه بعض ، لو أن هذه الخلايا انقسمت إلى اثنين يصبح توأمان في هذه اللحظة ، أو الخلية عند بدايتها تنقسم إلى اثنان يصبح هناك سمعان وبصران وجهازين أو ثلاثة أو أربعة ، في لحظة تجد كل شيء تغير . فاين كان الإنسان وأين كانت أمه وأين كان أبوه ؟ .

الأم الحامل في اليوم الاثنتين والأربعين حتى اليوم التاسع والأربعين ماذا تفعل ؟

هي لا تعرف الاثنتين والأربعين من التسعة والأربعين .

فهل هي مدركة لنفسها باليوم تحديداً ؟

لا بل تقول هي في الشهر الثاني أو الثالث ، فتحدد بالتقريب .

لكن هل من الممكن أن تقول أنا أعطي لجيني هذا بصر ٦ / ٦ ولا يكون عنده ضعف ؟

لو العالم كله لا يستطيع .

لو العالم كله يريد أن يعطي إنسان ذكاء بنسبة ١٤٠ % لا يقدر أن يبدأ ، وهذا أمر ليس بيد الناس ولا قدرة لهم .

{ أمن يملك السمع والأبصار } سبحانه وبحمده .

فأول أن نشأ الإنسان من أين أتى له السمع والبصر وقد كان عدماً محضاً ثم كان نقطة من ماء مهين .

كل منا وجد نفسه يسمع ووجد نفسه يبصر ، ومن الناس من وجد نفسه أعمى فالله هو الذي يملك كل شيء سبحانه وتعالى .

لذا من مظاهر الشرك في الربوبية أن يعتقد أحد أنه يملك نفسه .

والناس المسمون بالبراليين الذين يقولون نحن أحرار ، والوجوديين الذين يقولون أنهم أحرار في أنفسهم ويقولون أن نفسه ملكه وهو حر يفعل ما يريد .

كيف أنت حر ؟

كيف تكون حر وأنت لا تملك لنفسك سمعاً ولا بصرًا ، هل تملك سمعك وبصرك حتى تقول أنا حر أسمع ما أريد وأبصر ما أريد ولا دخل لأحد بما أصنع ولو كان الشر . هذا هو الكفر والشرك بالله ، والعياذ بالله .

قضية الحرية للتفكير الأوروبي المطلق بأن الشرع ليس له سلطان علينا ، والعياذ بالله . فهل كنت ملكك نفسك حتى تملك وتقول من حقلك أن تتصرف ؟ .

هذا من أخطر مظاهر الشرك في قضية الملك والمملك وهو أن يظن الإنسان نفسه حراً ويقول أنا حر مع أوامر الله إن شاء قبلها وإن شاء ردها ، حتى جعلوا الكفر الطعن في الدين من أساسيات حقوق الإنسان ، فعندهم هذه الحرية مقدمة .

يقولون أن شتم الإله حرية مقدسة عندهم على أي مقدمات أخرى وعلى أي مقدسات آخر يزعمهم .

هذا من أخطر المعاني الموجودة الآن في هذا المقام

وهو ظنهم أن الإنسان مالك لنفسه وبالتالي لا سلطان لأحد عليه ، ويتصرف بسمعه وبصره وجسمه كما يريد .

وهذا منبعه من اعتقاده أنه يملك ولو اعتقد أنه مملوك لتصرف في جسمه تصرف المملوك الذي لا يتصرف بإذن المالك .

نذكر مثلاً :

لو أن إنساناً مفوض من قبل مالك المال . بنك مثلاً . وهو موظف في البنك ، وصاحب المال يقول له إذا جاءتك ورقة موقعة مني فاصرف منه وإلا فلا .

قد يكون تحت يده أموال كثيرة لكنه لا يتصرف بها إلا بإذن مالكها .

هو رجل موظف في خزانة على الشباك وتحت يده أموال كثيرة ، فهل يقول أنا موظف غني أم يقول أنا موظف كأني موظف ؟

بل يقول أنا موظف كأني موظف على الشباك ، بل مدير البنك أعلى منه رتبة ، بالرغم من أنه تحت يده ملايين ربما ، لكن لأنه يعرف أنها ليست ملكه يتصرف بحرص فينظر في التوقيع جيداً ويتأكد وإلا سيحاسب ويُسأل أين الأموال ، لو أنه تصور نفسه مالك ويتصرف في الأموال وكأنه مليونير لاستحق العقاب الشديد ، بل أشد أنواع العقاب لأنه تصرف تصرف المالك فيما لا يملك .

فالعبد إذا أعطاه الله السمع والبصر والحياة والعقل والبدن والرجل والبطن والفرج فلو قال أنا حر في هذه الأشياء يكون اعتقاد باطل ، وهذا ما يفعله كثير من الناس ، إذا قلت لهم اتقوا الله وصلوا وصوموا واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم والتزموا بالحجاب ، يقولون نحن أحرار . بل هذا كذب وادعاء ما ليس لهم ، لأنهم لم يهبوا أنفسهم هذه الأشياء ، فكيف يقول قائلهم أنا حر ، كيف يتصرف تصرف المالك وهو مملوك ؟

لذا فالعبد المؤمن يرى نفسه فقيراً مع الله عز وجل ، ومن يرى نفسه غنياً عن ربه فإنه يظن ويكفر ، { كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى } ظن أنه مستغنياً فطغى .

كذلك الذي يرى أن المال ماله وليس مال الله الذي أعطاه إياه ، فهذا من أسباب كفره ، ولذلك كفر صاحب الجنة الذي قال لصحابه { ما أظن أن تبديد هذه أبدأ وما أظن الساعة قائمة } ليس كفره لإنكار البعث فقط ، إنما كفر قبل ذلك لإنكار ملك الرب وغناه ، ظن نفسه غنياً عن الله ، ظن أن هذه الجنة تقوم بنفسها وأنه لا يحتاج إلى أحد لأنه مالك لها ، غره أنه يتصرف في ثمارها كل سنة وأنها تجري على عادة معينة دون انقطاع فقال { أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبدأ } كفر من تلك اللحظة وزاد كفره بقوله { وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً } جزم لنفسه بأنه لو كانت هناك آخرة فلا بد أن يعطى خيراً منها .

قال الله عز وجل { قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً } يذكره بفقره في لحظات فقر الإنسان التام عندما كان تراباً وعندما كان نطفة ، فهو فقير جداً لا يملك شيئاً فكيف يظن نفسه مستغنياً ، قال له { لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً } فأكد على قضية الربوبية { لكننا هو الله ربي } فالله هو الرب يعني هو المالك عز وجل .

فالذي يرى تصرف الإنسان فيما أعطاه الله تصرفاً حراً حرية مطلقة كما يعتقد دعاة الغرب بل هو أحد الأسس الكبرى في الحضارة الغربية ، وهو الحرية المطلقة بما فيها حرية الكفر والطعن في الدين وسب الله وسب الأنبياء .

لذلك هم أعطوا لمؤلف . أولاد حارثنا . نبل ، لماذا ؟ لأنه شتم كل الأنبياء ، وموت الجبلاوي !!

حتى يقولون أن هذا الأمر يؤسس لمبادئ الغرب الكافر

الحرية عندهم تتضمن الكفر والطعن في الدين وسب الله وسب الأنبياء ونشر الإباحية ، فأفعاله مبنية على اعتقاد أن الإنسان مالك وأنه حر .

فمن يعتقد ذلك حتى دون أن يتصرف تصرف الأحرار فهو كافر .

نفترض أنه قال ذلك لكنه لم ينفذ ولم ينشر الإباحية ولم يسب لكنه يعتقد أن من حق الناس أن تكفر وتسب ربنا ومن حق الناس أن تقول ما تريد ، حتى ولو لم يقل فهذا كفر ، كثير من الناس يتلفظون بهذه الكلمة . نحن أحرار . إذا خوطبوا بشرع الله .

فهناك شبهة أخرى :

أن البعض يظن أن قول الله تعالى { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } معناه أن الإنسان حر ، هذا فهم خاطئ ، بل الغرض من أسلوب الأمر هنا هو التهديد وليس الإباحة بدليل بقية الآية { إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وسائت مرتفقاً } فالمقصود أن لا نكره الناس على الدخول في الإسلام ولكن ليس معناه أن الإنسان حر في أن يؤمن ويكفر بلا تبعة ولا عقاب ، بل الأمر للتهديد كقولك " افعل كذا وسترى عاقبة فعلك " ليست هذه هي الحقيقة حرية بل هو مسئول عن تصرفاته بعد ذلك .

كما قال الله عز وجل { فلولا إن كنتم غير مدينين } أي غير محاسبين { ترجعونا إن كنتم صادقين } هي لحظة الفقر وظهور عدم الملك ، لحظة الموت ، لو أن الإنسان غير محاسب وأنه يملك نفسه وروحه فليعد لهذا الميت روحه التي يرغب في استمرارها في جسمه ، هي قضية عظيمة الخطر في حياة الإنسان .

لذا لو تصور الإنسان في أي جزء مما أعطاه الله على أنه مالك ولا سلطان عليه فقد خرج عن معنى توحيد الربوبية ولو اعتقد الإنسان أن شيئاً من ماله أو جسمه أو حياته ليس لله عليه فيه سلطان ولا يملكه الله فقد خرج من ملة الإسلام .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ١٩ - المعنى الثالث لتوحيد الربوبية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

ذكرنا أن توحيد الربوبية معناه اعتقاد أنفراد الرب سبحانه وتعالى بمعاني ثلاثة أساسية ،

المعنى الأول الخلف والرزق والتدبير والإصلاح بشأن المخلوقين مثل ملك الضر والنفع والإحياء والإماتة والإسعاد والإشقاء وسائر الأفعال التي فعلها الله عز وجل في عبادته فهو سبحانه وتعالى رب العالمين خالقهم ورازقهم ومصلح شأنهم ومدبر أمرهم سبحانه وتعالى

المعنى الثاني

هو انفراد الرب سبحانه وتعالى بمعنى الملك فهو وحده المالك لجميع الأشياء كل ذرة فما فوقها وما دونها كل في ملكه سبحانه وتعالى { والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير }

المعنى الثالث

وأما المعنى الثالث فهو معنى الأمر والنهي والسيادة والتشريع كما قال سبحانه وتعالى { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } فكما أنه سبحانه وتعالى المنفرد بالخلق فكذلك هو منفرد بالأمر { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } فمعنى اعتقاد أنه رب العالمين أن يعتقد كل مؤمن أنه وحده الذي له الخلق وأنه وحده الذي له الأمر ، الأمر الشرعي والأمر الكوني أن ما أمر به سبحانه وتعالى كما قال عز وجل { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } فهو السيد الحق لهذا الكون فكل ما يأمر به سبحانه وتعالى يكون أي يقع ،

من معاني الرب في اللغة ما ذكرنا معنى السيادة ومنه قول يوسف عليه السلام { أذكرني عند ربك } قال تعالى { وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك } أي سيدك الذي تطيعه وذكر في لسان العرب أن الرب هو السيد الأمر الناهي المطاع ، ومنه قوله عز وجل { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم } هم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله بمعنى التحليل والتحريم والتشريع

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ألم يحرموا لكم الحلال وحلوا لكم الحرام فاتبعتموهم ، قال عدي : بلى ، قال : فتلك عبادتهم )

واتخذوا المسيح رباً يزعم أن الله قد حل فيه أو أنه هو الله فهم يعتقدون أنه هو الخالق الرازق المدبر المالك بالمعنيين الأوليين بالإضافة إلى المعنى الثالث ،

فالْمُؤْمِنُ يعتقد أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الرب الخالق الأمر الذي يأمر فينفذ والذي له أن يشرع فيحلل ويحرم ، له وحده حق التشريع ، وحق الأمر والنهي ، فالله عز وجل وحده له الأمان .

لأن كلمة الأمر تشمل كل أنواع الأمر :

الأمر الكوني الذي يكون به الأمر أي يقول للشيء كن فيكون { إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون }

والأمر الشرعي الذي يشرعه لعباده نحو { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } وقوله عز وجل { يا أيها الناس اعبدوا ربكم } فهذه صيغة أمر مقصود به التشريع ، أمر شرعي ليس من باب كن فيكون ، ليس من باب الأمر التكويني وإلا لو كان كذلك لما وجد إلا من يعبد الله ، لو كان من باب كن فيكون لوجد الناس أنفسهم يصلون ويصومون كما يجدون قلوبهم تدق وعروقهم تنبض ، لكن المعنى اعبدوا الله يعني افعلوا أنتم باختياركم ما أمركم الله عز وجل به ، هذه هي العبادة الاختيارية التي يفعلها العباد بإرادتهم ، ولذا هذا الأمر هو الأمر التشريعي . أقيموا الصلاة ، أتوا الزكاة ..

يذكر أيضاً من المعاني اللغوية " ربت الناس سوستهم إذا كنت فوقهم " الذي يسوس الناس فيأمرهم وينهاهم هو ربهم بهذا المعنى .

ذكرنا مظاهر الشرك في الربوبية بالمعنى الأول لاعتقاد خالقين رازقين مدبرين مع الله عز وجل ، وهذا من شرك الأمم السابقة كالفراعنة واليونان والهنود وغيرهم ، وكشرك من يدعي أن للكون أقطاباً يدبرون الأمر ويرزقون الناس وينصرونهم ويضرونهم وينفعونهم من غلاة عباد القبور ومن الرافضة الذي يعتقدون أن الأئمة مدبرون للكون والعباد بالله .

والمعنى الثاني : اعتقاد أن البشر يملكون مع الله سبحانه وتعالى أو من دونه فلا يرجعون إلى شرعه بشيء ، بل هم أحرار مع الله سبحانه وتعالى ويتصرفون تصرف الأحرار .

أما هذا المعنى الثالث فمظاهر الشرك فيه متعددة قديماً وحديثاً .

من مظاهر الشرك في هذا المعنى . معنى الأمر والنهي والتشريع . :

اعتقاد أن مع الله عز وجل من له حق الأمر والنهي والتشريع أو حق تبديل الشريعة ، وكلاهما كفر والأول أشد ، أعني من يعتقد أن له أن يشرع ابتداءً ولا يلزمه شرع الله أصلاً ولا ينسب ما يفعله إلى الشرع كما هو واقع في الملحددين العلمانيين الذين يقولون بالتشريعات الأرضية التي اخترعوها واخترعها ساداتهم من زبالة أفكارهم وحتالة عقائدهم ، ولم ينسبوا إلى الله عز وجل ولم يقولون هذا الذي شرعه الله ، وهذا ظاهر جداً من أنهم يأبون إثبات هذا الحق لله عز وجل ، يجعلونه خالصاً للشركاء ، لم يجعلوا شيئاً لله سبحانه وتعالى ولا يرجع الناس إلى ربهم بشيء من ذلك ، ويصفون التشريعات الإلهية الربانية بأنها مخلوقات العقود الوسطى والقرون الوسطى الجاهلة الظالمة ، وينسبون إلى الشريعة أنواع انتهاك حقوق الإنسان وأنواع الوحشية والتخلف والتأخر ، وهذا لا يصدر من مسلم بحال من الأحوال ، لا يشك في كفر من يقول ذلك ويعتقده إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثل من شرع ذلك .

وأما الثاني : فهو الذي يعتقد حق التبديل للشريعة فهو يقول أن الشريعة أتت بتحليل وتحريم ولكن الأحبار والرهبان والمشايع والعلماء والسادة والملوك لهم حق تغيير ذلك فينسبون هذا إلى الدين ، أما الأول لا ينسبه إلى الدين وإن كان هذا شركاً فالأول بالأولى شرك ، وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم النوع الثاني شركاً وعبادةً من دون الله وبين معنى الربوبية التي كانت في اليهود والنصارى ، ومن يعرف تاريخ ما فعله النصارى خصوصاً واليهود قبلهم وهم على إثرهم يعلم حقيقة ما وقع ، وأنهم يعتقدون فعلاً لمجامعهم حق تبديل الشريعة وتغييرها ، بل يعتقدون لهم حق تبديل الاعتقاد والأخبار ، فلهم أن يقولوا مثلاً في زمن أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، ثم بعد ذلك يزمن يبرؤونهم ويقولون يلزم اعتقاد أنه

ليس هم الذين قتلوا المسيح وأُتهم أبرياء من دمه ، ويلزمهم تعظيم أيام ثم إذا غيرتها المجامع غيروها ، ويلزم عندهم في زمن ما اعتقاد معين يتغير بتغيير المجامع له وتغيير البابوات والأخبار والرهبان ، وأصل عقيدتهم إنما قرروها في المجامع ولم تقرر في الكتب ولم تؤخذ من الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

وأما تبديل التحليل والتحریم فكثير جداً عندهم في الأعياد وفي الحلال والحرام ، فقد نصت التوراة على تحريم الخنزير وما زالت اليهود يلتزمون بذلك ، وأوجب الختان وما زالت اليهود يحتنون والنصارى يمنعون النسخ ويعتقدون عدم وجود النسخ أصلاً ، فهم ملزمون بحق العهد القديم بزعمتهم ومع ذلك استحلوا الخنازير في العالم كله لكل طوائفهم لأنها من ضمن القرارات التي أصدرتها المجامع ، بعض المجامع أحلت الخنازير فاستحلها النصارى بناءً على ذلك ، وتركوا الختان في كثير من مذاهبهم وطوائفهم رغم أن العهد القديم عندهم يلزم بذلك ، وأما الأعياد فشهدت تنوعاً عديداً بين الطوائف ، فهؤلاء يختلفون في موعد والأخرون يحتفلون في موعد آخر ، ومعلوم عندهم أن الذي وضع هذه التشريعات هم الملوك والأخبار والرهبان .

قال الله سبحانه وتعالى عن اليهود والنصارى { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون } [التوبة/ ٣١] لم يعتقدوا أن الأخبار والرهبان خالقون أو رازقون أو يدبرون الأمر ، لم يكن الأمر كذلك ، ولم يعتقدوا أنهم مالكون لهم وما ظنوا أنفسهم رقيقاً عند الأخبار والرهبان ، بل ادعى الأخبار والرهبان الزهد في الدنيا وجلسوا في الصوامع ولكن كان الشرك واتخاذ الأخبار والرهبان أرباباً من جهة التشريع .

عن عدي ابن حاتم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : ( يا عدي اطرع عنك هذا الوثن ) سمى النبي صلى الله عليه وسلم الصليب وثن لأنه يعبد من دون الله ويعظم ، ويكذب وحي الله عز وجل وكلامه بسببه ، فهذا وثن يجب طرحه وإلقاؤه ونزعه وعدم تعظيمه بحال من الأحوال ، ولذا رفعه علامة كفر وشرك والعباد بالله ، وكذا لبسه ، فمن لبسه كان مرتداً وثناً ، نعوذ بالله .

قال : ( يا عدي اطرع عنك هذا الوثن ) وسمته يقرأ في صورة براءة { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } قلت : يا رسول الله إنا لسنا نعبدكم ، قال : ( ألم يحرموا الحلال ويحرموا الحرام فاتبعتموهم ) قلت : بلى : قال ( تلك عباداتهم ) الحديث رواه الترمذي والبيهقي ، واللفظ له ، وحسنه الترمذي وحسنه الألباني . وروى الطبري مثله من طرق .

وروى عن جمع من الصحابة موقوفاً في تفسير هذه الآية الكريمة موافق للمرفوع ومعضد له ومن هنا حسنه من حسنه من العلماء .

في هذا الحديث قضيتان :

قضية اعتقاد أن لغير الله أن يغير الشرع وله أن يحكم ويحلل ويحرم ، من اعتقد ذلك في أحد فأتخذه رباً ، هذا شرك في الربوبية ، حتى ولو لم يأخذ عنه شيئاً ، حتى ولو بقي هذا الشخص مستمراً على ما سبق من نظم وقواعد حتى ولو كانت شرعية لكنه يعتقد أن للكبراء والسادة والملوك والعلماء أن يبدلوا الشريعة والعباد بالله ، فكما يطلب كثير من العلمانيون والغربيون من المسلمين أن يغيروا أحكاماً في الشريعة مثل الولاء والبراء ويقولون لهم احذفوا هذه الآيات التي تدل على كراهية الآخرين من غير المسلمين والتي تصفهم بالكفر وتوعدوهم بالعذاب .

لأنهم تعدوا فعلاً على مثل هذا في كتبهم وأحكامهم ، أن يذهبوا إليهم ويطلبون منهم تغيير النصوص وإبعادها وإغائها وتغييرها ، وقد فعلوا ذلك بالفعل ، فكثير منهم يقول اجلسوا وقرروا شيئاً وحلوا من هذا الأمر ودعونا نبتعد عن هذا التشديد أو نحو ذلك ، فهذا الاعتقاد نفسه حتى ولو لم يستجب لهم ولم يتم شرك في الربوبية . والعباد بالله من ذلك ، لأنه يعتقد أن يشرع الله حكماً وللناس أن يبدلونه ويغيروه ويحرموا ما أحل ويحلوا ما حرم . فهذا والعباد بالله شرك ممن اعتقد ذلك ، إن ادعاه إنسان لنفسه كان طاغوتاً من الطاوغيت ، إذا قال أنا الذي أشرع وأحل وأحرم كان طاغوتاً من الطاوغيت وكان يعبد نفسه وشيطانه من دون الله ، وإن اعتقده الأتباع والعوام والجهلة لكن علموا أنهم بدلوا الشريعة وغيروها فهو شرك منهم في الربوبية لهذا الاعتقاد .

أما القضية الثانية : فهي قضية الاتباع على هذا التبديل معتقداً ما قاله دون ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يعني يعتقد أن ما قاله هو الحق الواجب الاتباع دون ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهذا شرك في الإلهية لأنه عبده من دون الله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( تلك عبادتهم ) إذن أثبت أنهم عبدوه من دون الله ، والعبادة شرك في الإلهية وأن الاعتقاد بأن لهم التبديل فضلاً أن يكون لهم حق التشريع دون الله عز وجل .

أعجب ما يسمعه الإنسان أن يقول أنهم إذا نسبوا ذلك إلى الدين كان شركاً وإن هجروا الدين بالكلية وتركوه بالكلية ولم يعتبروه أصلاً وجعلوا ما اعتبروه هم وما سنوه هم هو الشريعة الواجبة اللازمة للاتباع أن ذلك لا يكون كفراً ولا شركاً .



والله إن هذا لمن العجب ، أعجب ممن يقول أن أف للوالدين محرم وأن الضرب فليس بجرم ، هذا لا يقوله عاقل يفهم الخطاب ، فكيف أن ينسب ذلك إلى أهل العلم ، فهذا كلام فاسد بلا شك ، لأن البعض يحاول أن يفرق ويقول : هؤلاء الذين شرعوا التشريعات الباطلة ولم ينسبوها إلى الدين . لكنهم أوجبوها أعظم من الدين ، بل أمروا بترك الدين وألزموا بذلك . هذا أغلظ ، الذي يمكن أن يقع فيه بعض أهل العلم أن يغير شيئاً متأولاً وينسبه إلى الدين ويقول هذا من الدين ، يمكن ظن التأويل في هذا ، يمكن أن يكون هناك خطأ في الاجتهاد في هذا ولكن لا يتصور في النوع الأول ، وكلاهما كما ذكرنا اعتقاد أن لأحد دون الله عز وجل أن يشرع .

لقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي } فمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيد من تلقاء نفسه فضلاً أن يلغي الدين بالكلية ويقول لا يلزم الدين ولا التشريعات التي أنزلها الله وإنما يلزم ما وضعه الناس من آرائهم من غير مستند من شريعة الله .

فهذا كما ذكرنا شرك في الربوبية ، وإن اتبعهم على ما بدلوا فهذا غالباً ما يقتزن النوعان بعضهما ببعض .

نحن نفصل بينهم نظرياً لكي نفهم المعنى ، لكن واقع الحال أنهم إذا اعتقد لهم حق التبدل وحق التشريع من دون الله وتغيير شرع الله سبحانه وتعالى فهو يتبعهم على ذلك لأنه يقول أن هذا هو الحق والدين ، فهذا الاتباع شرك في الإلهية وعبادة من دون الله ، كما قال عز وجل { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون } فهم أمروا أن يعبدوه بكل معاني العبادة التي من ضمنها اتباع الشرع ، فالتحريم والتحليل يكونان على النحو الذي شرعه الله ، فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه سبحانه وتعالى رضي الناس بذلك أم أبوا ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز لإنسان أن يعتقد أن لفلان كشخص أو لطائفة من الناس حق التشريع ولو لم يتحاكم إليهم كما يعتقد أصحاب الديمقراطية أن لكل شعب من الشعوب أن يشرع لنفسه ما يشاء وإن لم يتحاكموا هم إلى تشريعاتهم ، بمعنى أن يقولون أن قوانينكم ملزمة لكم ولمن دخل في بلادكم ونحن إذا كان مواطنين عندكم كنا ملتزمين بهذه الشريعة لكننا مواطنون في دولة أخرى ويلزمنا ما عندنا من التشريعات ، يمكن أن يقع ذلك ، كأن يعتقد أناس أن هذه القوانين الشرعية لازمة للناس في بلاد الإسلام وأما إذا كان المسلمون في بلاد أخرى فلا تلزم هذه التشريعات .

هذه طبعاً ليست مبنية على مسألة هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة أم لا .

لكن تصويب هذا الحق للكفار ، ليس هذا لأهم غير مخاطبين بفروع الشريعة ، لكن أن يصبوب لهم وأن يقول هم على حق وأن من حقهم أن يشرعوا لأنفسهم والعياذ بالله .

فالنظرة التاريخية لذلك بدأت مع الثورة الفرنسية ، الفرنسيون منذ إقامة الدولة الفرنسية يعتقدون وينادون بأن الديمقراطية حق لكل شعب من الشعوب فوضوا القانون الفرنسي ولم يلزموا أحداً كالإنجليز مثلاً باتباع ذلك القانون ولم يتبعوا القانون الأنجلو ساكسوني الذي عند الإنجليز والأمريكان وغيرهم ، نظم مختلفة فالنظام الفرنسي غير النظام الإنجليزي مع أنهم سبغوا البلاد التي احتلوها بهذا إكراهاً وإرغاماً لأنهم في الحقيقة إنما يعبدون أصناماً من العجوى إذا جاعوا أكلوها ، فهم رغم أن الديمقراطية أو حقوق الشعوب كلها عندهم ومع ذلك يلزمونهم باللغة التي هم عليها وبالتشريعات التي هم عليها ويمنعون إقامة شرع الله سبحانه وتعالى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، حتى في بلاد المسلمين التي لا يوجد فيها كافر يمنعونهم من إقامة شرع الله سبحانه وتعالى ، فهم التزموا بقانونهم ولم يتبعوا القوانين الأخرى لكنهم يعتقدون أن للإنجليز مثلاً حق التشريع وأن لكل شعب الحق في ذلك وأن لكل أمة حق التشريع من خلال ممثليها ويقولون من حقهم أن يشرعوا ما يشاءون فيحللون الزنا أو يجرمونهم فهم أحرار لأن هذا شأنهم ويعدون ذلك من الشؤون الداخلية التي لو أقرها نواب الشعب ورأوا تطبيقها فإنها تطبق وإن لم يروا ذلك فلا تطب.

هذا في أصل الكلام النظري ، أما في الواقع فهم لا يرون بديلاً عن الإباحية ، يعاقبون سياسياً واقتصادياً وعسكرياً من يجرم الزنا أو يقيم الحدود الشرعية أو يقضي بالقصاص ، لو استطاعوا لذلك سبيلاً فعلاً ، وإرادة منع هذه التشريعات بكل ما أوتوا من قوة أمر ملحوظ في كل من يسيطرون عليه .

تركيا تعاقب منذ زمن طويل على أنها عندها درجة من درجات تجريم الزنا ، ولذلك ألزمهم لكي يدخلوا في الاتحاد الأوروبي بإلغاء المادة المجرمة للزنا ، ما زالت قوانيننا رغم أنها فرنسية الأصل لكنها ما زالت تجرم الزنا بدرجة ما وبوصف معين ، هي تجرم الزنا إذا كان من زوجة متزوجة ولها زوج يعترض أما إذا كان موافقاً فليس بجريمة والعياذ بالله ، وعندهم عقوبة مخالفة لكن الزنا عندهم جريمة ، فتعاقب المرأة الزانية إذا رفع زوجها دعوى عليها وثبت زناها بدعواه بالحبس لمدة سنتين لا تزيد على هذه المدة ، المدة من ستة أشهر إلى سنتين ، ويمكن للزوج إسقاط العقوبة وإيقاف تنفيذها بالرضا بمعاشرتها كما كانت . وأما ما أحدثوه بعد ذلك فليس للرجل حق أن يعترض على زنا زوجته بعد ذلك .

فرغم أن هذا والعياذ بالله من الكفر إلا أنهم زادوا أنه لا يصح تجريم هذه الفواحش والعياذ بالله ، وأكثر نظمهم المعاصرة تبيح الشذوذ وغيره ولا تمنعه ، لكن أصل نظريتهم أن ذلك من حقوق الناس ، المسلمون عندهم أن الزنا جرم ، وما زال القانون يجرم الزنا لكن يجعله في دائرة معينة ، لذلك القانون يقول أن المرأة الغير متزوجة لا تسمى زنت ولكن يسموه إيقاع ، الزنا عندهم عبارة عن نظرية فرنسية لما كان عندهم بقايا من الديانة التي كانت عندهم ، لكن الآن الأمر زال من عندهم ويسعون إلى إزالته من العالم فقط ، وكما ذكرنا أنهم يجعلون الزنا ممن ليست متزوجة ليس بزنا ولكنه وقاع ، من الممكن أن يجرم إذا كان بضمن . دعارة . ويمكن يجرم إن كان باغتصاب ، أما بتراضي الطرفين فليس بجريمة . وسيأتي كثير من الكلام على ذلك .

نحن نحاول إيضاح أن هذا من الشرك والعياذ بالله .

فهم لم تحاكموا إلى قانون غير قانونهم ولكن اعتقدوا أن لهذا الغير حق التشريع ، فلهذا جعلوهم أرباباً وإن لم يصفوهم بوصف الربوبية وإن لم يعبدوهم ، كمن يظن على سبيل المثال أن الله خلقنا نحن وهناك أرباب آخرون خلقوا خلقاً آخرين ، وهذا هو نفس المعنى فيكون مشرك والعياذ بالله ،

يعني لو قال قائل أن الله يشرع لنا ولكن بقية الناس لهم أرباب آخرون يشرعون لهم ، { ألا له الخلق والأمر } فالذي يجعل الله شريكاً في الخلق مشرك ، والذي يجعل مع الله شريكاً في الأمر مشرك أيضاً ، والله إن هذا الأمر من أبين الأمور وأوضحها ، لا يشك في ذلك من اطلع على الكتاب والسنة . فبالقطع هم مشركون . الذين قالوا أن هناك خلقاً آخرين لهم أرباب آخرون . لأنهم اعتقدوا أن مع الله عز وجل من يخلق ، وإن اعتقدوا أنه يخلق غيرهم ، فلا بد أن نعتقد أن الله هو الذي خلق كل هذا الخلق ولا يوجد معه خالق آخر لا لنا ولا لغيرنا ، فكذلك لا بد أن نعتقد أن الله وحده هو الذي يأمر وينهى ويشرع لنا ولغيرنا ، فلو أن مع اعتقادك أن مع غير الله له حق التشريع لجأت إليه وقلت له سألتزم بما تأمر به وتشرعه فقد عبدته من دون الله ، فيكون جمع بين شرك الإلهية وشرك الربوبية .

ولو قال له أن له حق التشريع والأمر والنهي ولكن أنا لي نظامي الخاص ، فيكون أيضاً مشركاً في الربوبية وإن لم يرجع إليه هو .

تصحيح عبادة غير الله شرك وإن لم يعبد هو ، يعني لو واحد قال أنا أعبد الله ومن أراد أن يعبد بوذا يعبد تكون عبادته صحيحة وكذلك من أراد أن يعبد المسيح يعبد وتكون عبادته صحيحة ، فهذا كله شرك وإن لم يكن يعبد بوذا ولا المسيح ، لأنه جعل مع الله عز وجل شريكاً والعياذ بالله من ذلك ، وهذا في الربوبية ، وهذا أمر ظاهر كما ذكرنا .

لذلك فهي قضية عظيمة الأهمية ومظاهر الشرك فيها منتشرة جداً . قضية التشريع والأمر والنهي والسيادة . ينصون في الدساتير المدنية على أن السلطة التشريعية من حقوق الشعب وأن الشعب مصدر لكل السلطات ، ونحن نعوذ بالله من ذلك .

قال الله عز وجل { انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً } [النساء/ ٥٠] { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم } [الشورى/ ٢١] فسماهم الله عز وجل شركاء ، الدين ما يدين به الناس ويحاسبون عليه ، لو قال قائل لو شرعوا لهم من غير الدين ، نقول أنت تظن أن جزءاً من حياة البشر يمكن أن تخرج عن الدين الذي شرعه الله ، وهل السرقة والزنا والقذف وغير ذلك ليس من الدين ، فهذا جحد أيضاً للمعلوم من الدين بالضرورة ، لأن هذا مما شرعه الله عز وجل وألزم به الناس وأوجب به الناس ، هذه التشريعات في باب المعاملات وفي باب نظم الحياة ، كلها تشريعات أجمع المسلمون أنها من دين الله عز وجل ، حتى لا يقول قائل أنها ليست من الدين . بل هذا أشد كما ذكرنا .

نقول سماهم الله عز وجل شركاء ، وهذا كما ذكرنا مرتبط بالاعتقاد ، ومن اعتقد أن ما يقوله فلان حق سواء كان ذلك في التشريع أو في التحليل أو في التحريم فهذا من الشرك في الربوبية حتى لو لم يتحاكم إليه وحتى لو لم يطلع في هذا ، أما إذا أضاف إلى ذلك طاعته في التحليل والتحريم فقد عبده من دين الله فهذا شرك في الإلهية وإن لم يسمي ما فعل عبادة ، عدي ابن حاتم قال إنا لسنا نعبدهم ، فليس من البد أن يسميهم أرباب بلفظ الرب ولا يلزم أن يسميهم آله بلفظ الآلهة طالما أنه صرف لهم حقوق الآلهة ، فهذا أصل عظيم الأهمية جداً ، فأنت تجد عامة من يعبد القبور والإثمة والصالحين فهل يسميهم أرباباً وإلهية ، هل يقول ربي البدوي وإلهي أبو العباس؟! لا يقولون ذلك ، ولكن حين عاملهم بذلك صار مشركاً والعياذ بالله ، وإن كان لا يدري بين له ، ولو تصور احتياج البيان فيمن قال رب فلان أو إلهي الشيخ الفلاني أو حتى النبي الفلاني ، فإن هذا ظاهر لكل أحد مناقضته لدين الإسلام بالكلية ، وهذه القضية موجودة في هذا الباب وفي باب الشرك في الإلهية والربوبية من أنواع أخرى . لا يلزم أن يسميه رباً وإلهاً وإنما إذا بان له الأمر وعلم أن شرع الله عز وجل يلزمه ما أحله ما يحلله ويحرم ما يحرمه فأصر على صرف هذا الوصف وصرف هذا الحق لغير الله كان مشركاً وإن لم يكن إني أعبدهم .

عدي ابن حاتم قال : إنا لسنا نعبدهم فلم يكونوا يركعون لهم ولا يسجدون على ما يظن من معنى العبادة وصرف الصلاة لهم ، مع أن السجود لصورهم صار في المتأخرين منهم بعد ذلك ، ربما كان عدي رضي الله عنه لا يرى هذا الأمر لكن بعد ذلك صار هناك عبادة للقديسين بالكوع والسجود وصرف الصلوات لهم ، نعوذ بالله .

طالب : وهل أسلم عدي ؟

الشيخ : نعم عدي رضي الله عنه أسلم ونزع هذا الوثن الذي كان عليه ، لكن هو شهد لما كان عليه اليهود والنصارى من الشرك .

عدي قال : إنا لسنا نعبدهم فلم يكونوا يركعون لهم ولا يسجدون ولكن اتبعوهم تبديل الشريعة ، لم تكن طاعتهم في المعصية فقط ولكن اتبعوهم في التبديل ، وهذا فرق مهم لا بد من معرفته . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ألم يحرموا الحلال وبللوا الحرام فاتبعوهم ؟ قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم )

ما الفرق أن يطيع الإنسان غيره في المعصية وبين أن يعبد في هذا الباب ؟

الأمر بناء على ما يعتقده ، ولذلك هي مرتبطة بقضية الاعتقاد .

فهناك من بحث غيره ويأمره بالفاحشة مثلاً ولكنه حين يطيعه في ذلك متبعاً لشهوته يعتقد أنه ارتكب ذنباً وأن الفاحشة حرمها الله علي وعلى غيره .

ذكر مثال :

لو أن أحد من الناس قال الزنا حرية شخصية فمن أراد أن يزني فليفعل ما دام برضا الطرفين وكان سن الأنثى فوق الثامنة عشر ، لأن عندهم ما دون ذلك معدوم الإرادة ومن ضمن الأطفال فيكون اعتداء عليه ولو كان بإرادته . القوانين الفرنسية والمأخوذة عنها معظم القوانين العربية التي تنص على أن من واقع أنثى بغير رضاها ويعتبرون أن بغير فيها سن الثامنة عشر أما ما دون الثامنة عشر فأى واقعة لها تعد وقاع محرم ومجرم ويعد جريمة ، أما بعد الثامنة عشر وراضية فهذا لا يعد جريمة بل هما حران يفعلا ما يشاءان ، والعباذ بالله . فلو قال هذا قائل فسمعه آخر فقال إن هذا صواب والحرية أفضل شيء ولا يعاقب إلا المعتصب حتى ولو كان زوجاً ، فالقوانين الأوروبية تقول أن الزوج لو اغتصب زوجته أي عاشرها مرة بدون رضاها وعملت له تقرير ومحضر في ذلك يعد مغتصب لأنه لا بد أن يكون في كل مرة بتراضي الطرفين فلو اعتصبها في مرة من المرات غصباً عنها وعاشرها رغماً عنها يكون مرتكباً جريمة ، فالرابطة الزوجية عندهم لا أثر لها في ذلك .

طالب : هل هذا الأمر عند النصارى ؟

الشيخ : هذا الأمر ليس عند أحد من أهل الأديان أصلاً ، فشرائع الأنبياء لم تختلف في ذلك ، أما من قالوا أن الزنا مباح وأنه حرية شخصية هم الذين تحرروا من الدين بالكلية وهم العلمانيون الذين أتوا بعد الثورة الفرنسية وتحللوا من الدين بالكلية وإلا فالزنا حرام في التوراة والإنجيل والقرآن . وليس حرام فحسب بل عقوبة الرجم موجودة في التوراة والإنجيل والقرآن حتى اليوم ، والمسيح عليه السلام أقرهم على ذلك عندما أتوا للمسيح بامرأة زانية فقال : ( من كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر ) فهذا دليل على أنهم يعلمون أن الزانية في التوراة ترمي بالحجر وترجم ، فإن صحت القصة أن المسيح كان يعني عليهم أنهم يطبقون ذلك على الضعفاء دون الأقوياء وأن الذين يرجعون يستحقون الرجم قبلها ، ولذلك قال : ( من كان منكم بلا خطيئة ) فالذي ينفذ هذا الكلام لا بد أن يكون ليس زانيا ولا ينبغي أن يقتل قبل ذلك ، فلو أن هناك طائفة من المؤمنين تقوم بذلك فليرموها بحجر . وليس هذا إنكار من المسيح بأن الرجم ليس من الدين ، بل إقرار ولكن أنتم لا تطبقون الدين إلا على أهوائكم ، فهذا دليل على مثل هذا الأمر .

وقطع يد السارق في التوراة وما زال هذا موجوداً إلى الآن ، لكنهم يرون أن ذلك من خلفات العصور المتخلفة والعباذ بالله .

فمن يقول أن الحرية أفضل شيء وأنه لا يعاقب إلا المعتصب فهذا قد اتبعه على التبديل سواء زنا أم لم يزني ، حتى لو لم يزني ولكن قال أنك هذا الكلام صحيح ، مثل من يقولون أن الحرية تقتضي أن سب الله وسب الأنبياء أدب لا مانع منه ، بل هو انعدام أدب وانعدام دين بلا شك ، وأيام الرسوم الدنماركية خرجت أغاني فيها سب الله عز وجل ، فيقولون أن الحضارة الأوروبية تعتبر هذا الأمر وليس بممتنع ومن حقه أن يقول أغنية يشتم فيها ربنا والعباذ بالله وأن المسلمين عندهم حساسية شديدة جداً ضد من يسب الأنبياء وضد من يسب الذات الإلهية ، فمن الممكن أن يوجد من لا يريد الشتم ولا يريد أن يشتم ولكنه يعتقد أن الذي يشتم لا يجب أن يعترض عليه أحد . وأوروبا كانت تعضد هذه القضية لأن هذه من الأمور المقدسة فوق الأديان وأن هذا الرجل من حقه أن يرسم ما يريد ويكتب ما يريد ويقول ما يريد فهذه حرية مقدسة ، فلو قالوا أن هذا من حق الناس وأن من حقهم أن يسخر من الأنبياء ولذلك يكافئون من يسخر من الأنبياء ويعطون لهم الجوائز ، وجائزة نوبل أخذها على . أولاد حارنتا . وهي منشورة رسمي وتقال في كل مكان ، وهي رواية تسب الله وتسب الأنبياء ، فلو أن واحد لم يختر هذا الكلام ولكنه يصححه ويصوبه فهذا شرك .

- الأول حلل الزنا والآخر اتبعه على التبديل .

بخلاف شخص ثاني سمع الأول يحلل الزنا ويقول أن الزنا حرية شخصية فاعتقد أن هذا حرام ولم يوافقته لكن الظروف صعبة وأنا غريب في هذه البلاد وليس عندي زوجة وأنا شاب ومحتاج أن أعاشر امرأة فدلني على أقرب بيت دعارة أو أثت لي بصديقة أعيش معها . فهو يقول أن الزنا حرام ولكنني أحتاج إلى أن أزي .

فهذا الرجل عاصي وزاني لكن ليس كافراً ، فاعتقد أن الزنا حرام لكنه زنا لصعوبة الزواج الآن .

فاتبعه على الفعل ووافقته على الفعل لكن لم يتبعه على التبديل . فهو يقول هذا الفعل حرام .

وملخص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقول أن هذا المتبع لغيره بخلاف شرع الله عز وجل على نوعين :

نوع يعتقد ما قاله ذلك المبدل دون ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمه أنه خالف ما شرعه الله ورسوله فهذا مشرك .

وأما آخر فيتبعه مع اعتقاده في تحليل الحرام وتحريم الحرام . يعتقد أن الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله لكن يتبعه لشهوة أو لغير ذلك مع اعتقاده لزوم الشريعة فهذا شرك دون شرك لأنه له حكم أصحاب الذنوب كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

نحن نتكلم على نوع هذا الاعتقاد ونوع هذا الأمر .

فسن تشريع يخالف شرع الله عز وجل أو جعل حق التشريع لغير الله هو الذي نتكلم عنه لأن هذا في مقام شرك في الربوبية .

مثال آخر :

التبرج الموجود فمنبعه وأصله من الغرب ، نساء الغرب هن الاتي يتبرجن أشد من تبرج الجاهلية الأولى ، فعلهم هذا مبني على الحرية ، فالنساء يخرج هناك سافرات متبرجات لأنهن حرائر يفعلن ما يشأن ولا حرج فيما يفعلن ، الحرية أحد أسس المجتمع عندهم ، فلو قال قائل من حق المرأة أن تحتجب بالزي الشرعي أو لا تحتجب وتتبرج كما تريد وليس للشرع ان يلزمها.

فهذا القائل قد اتبعهم على التحليل واتبعهم على تحريم الحلال وتحليل الحرام ، وعلى عدم إيجاب الواجب ، يعدون أنفسهم أحراراً في أن يفعلوا الواجب أو يردوه ، فكما ذكرنا ذلك في قضية أنهم أحرار غير مملوكين ، وهذا مبني على نوع آخر في الشرك في الربوبية وهو في أمر الملك بأنهم يرون أن الله عز وجل لا يملك بل نحن غللك أنفسنا وبالتالي فنحن أحرار فيما نفعل والعباد بالله ، هذا رد لشرع الله واتباع على التبديل .

المثال الآخر لغير المشتركة :

هي متبرجة ترى الحجاب فرضاً ، ترى أنها عاصية أما المتبرجة التي ترى الحجاب تخلفاً وترى أنه ليس للشرع أن يلزمها فهذا خروج من الملة .

والأخرى تعتقد أن الحجاب فرض وأن التبرج حرام ، وتقول أن تبرجي هذا خطأ لكن كل الفتيات متبرجات وأنا لا أستطيع ترك مجاراتهم وموافقتهم وتخشى ألا تتزوج ، وتخشى ألا تجد وظيفة مناسبة إذا تحجبت أو تنقبت ، فتتبرج وتلبس أحدث الأزياء.

وقد تكون أشد تبرجاً من الأولى التي قالت أنها حرة مع شرع الله ، لكن الثانية عاصية والأولى كافرة مشركة والعباد بالله .

فعل الثانية التي تتبرج وتقول أن الحجاب فريضة فعلها كبيرة من الكبائر ولها نصيب من العبودية لغير الله حين اتبعت غيرها في معصية الله ، لكن ليس الشرك الأكبر ، هو شرك أصغر وليس شركاً أكبر لأنها اتبعت في معصية الله ولم تعتقد أنها حرة ولم ترد شرع الله سبحانه وتعالى .

يزداد الأمر وضوحاً إذا تأملنا الفرق بين فعل آدم وفعل إبليس وكل منهما عصي الله عز وجل ، لكن إبليس رد الشرع لا لأن إبليس ترك الواجب وآدم فعل المحرم ، لا بل الأمر مرده في الشرك إلى لماذا فعل المحرم ولماذا ترك الواجب ، ولذلك قال الله عز وجل { ما منعك أن تسجد } { قال لم أكن لأسجد } والعباد بالله ، فهذا هو الشرك ، هذا هو الكفر ، هذا هو رد شرع الله عز وجل ، إبليس قال لم أكن لأسجد فكفر بترك سجدة واحدة ولو أكثر من ذلك أو أقل طالما أنه رأى أنه لم يكن ليفعل ، وآدم عليه السلام عصي وأكل من الشجرة ولم يكفر مع أنه أطاع إبليس وإبليس هو الذي أمره أن يأكل من الشجرة ، لكن لما عرف أنه ظالم لنفسه قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

تباً لمن يسوي بين النوعين ، ولمن يلحق الأبالسة بالآدميين ، ونعوذ بالله من ذلك .

فهناك من يريد إلحاق الأبالسة بالآدميين ويقولون الأمر من باب واحد ، وإذا رد الشرع أحد فلا حرج ويكون عاص لم يخرج من الملة ولم يشرك بالله كمن ترك الشرع وهوي قر على نفسه بالذنوب .

لم تكن معصية آدم عليه السلام عبودية للشيطان شرك أكبر ، لكنها كانت معصية .

القضية قضية اعتقاد لا متابعة في الفعل فحسب ، اعتقاد أن الله وحده هو الذي يأمر وينهى ويشرع للناس وهو عز وجل السيد الأمر الناهي ، الأمر الأمر الكوني والشرعي المطاع سبحانه وتعالى في هذا الكون .

هذا هو توحيد الربوبية ، واعتقاد أن غير الله عز وجل يأمر وينهى ويشرع للناس شرك وإن كان صاحبه لم يلتزم بطاعة من يعتقد أن له هذا الحق . إذا أضاف إليه اتباعه على الشرع الذي شرعه دون شرع الله كان عابداً له من دون الله وكان مشركاً شرك الربوبية والإلهية ، ولو رد عليه الأمر واعتقد أنه مبطل وقال له كلامك باطل وليس لك حق التشريع وأوامرك باطلة لكنه في نفس الوقت نفذ الأوامر وأطاعه فهو عاص لله عز وجل .

والمؤمن يقع في معصية ويقع في طاعة إبليس ومع ذلك يرد على إبليس أمره ، يقول له إبليس كلامي هو الصواب والرشاد فيقول المؤمن كلامك خطأ وضلال ، ثم يقع في تنفيذ كلامه فينقص إيمانه ولا يزول ، هذه مجرد معصية بخلاف من يقول كلام إبليس صواب من حقه أن يشرع للناس ويأمر وينهى وكل واحد حر .

ومن ضمن الشرك في الربوبية شرك طائفة هي مجوس هذه الامة ، هم الذين يقول بأنه ليس لله سلطان على أفعالهم ، وهم القدرية النفاة ، الذين يقولون أن الإنسان مخير تحيراً تاماً وليس هناك سلطان لله عز وجل عليه بمعنى أنهم ينفون أمر الله الكوني .

نحن تكلمن عن مظهر من مظاهر الشرك في الربوبية فيما يتعلف بالأمر الشرعي . أنه يرى أن من يشرع من دون الله له حق ذلك . .

هناك من يقول الأمر الكوني ليس متعلقاً بأفعال العباد الاختيارية وليس لله علينا سلطان ، لذا سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ، وسماهم الصحابة والسلف مجوس هذه الأمة . الذين يقولون أن أوامر الله كن فيكون خاصة بالذوات وأما الأفعال الاختيارية ليس فيها كن فيكون . ينفون أمر الله الكوني المتعلق بأفعال العباد ، يقولون ليس هناك أوامر كونية متعلقة بأفعال العباد وأن قوله تعالى { كن فيكون } متعلق بالذوات فقط ، ليس متعلقاً بالأفعال الإنسانية ، يقولون ربنا الذين خلقنا لكن أفعالنا نحن نخلقها ، ومن هنا سمو مجوساً لأنهم يجعلون مع الله خالقين ، أي أن الله خالق الذوات وهو خالق الأفعال ، أو بعضهم يقول أن الله يخلق الخير ونحن نخلق الشر . فهم أيضاً مجوس بهذا الاعتبار ، يقولون أن المعاصي ليست داخلية تحت أمر الله الكوني ، يقول كل الأفعال الاختيارية ليست داخلية تحت سلطان الله وأمر الله عز وجل ، يقول أن المعاصي فقط هي الخارجة وأما الطاعات فبتوفيق الله وبأمر الله الكوني ، لكن هذا الكلام كما أنه ضلال وشرك والعياذ بالله لكن النوع الأول الذي يقول كل الأفعال الاختيارية من الخير والشر ليست داخلية تحت أمر الله الكوني ولا أنها مخلوقة لله أعظم كفراً وشركاً . وإن كان لا بد من إقامة الحجة في هذه المسائل بالنسبة للشخص المعين حتى يكفر بعينه .

فهذا كلام باطل وشرك . قولهم أن الأفعال الاختيارية ليست داخلية تحت أمر الله الكوني كلام باطل وشرك بالله ، والرسول صلى الله عليه وسلم سمى هذه الطائفة مجوس هذه الأمة والصحابة سموها مجوس هذه الأمة ، وهم الذين يقولون أن الإنسان مخير تحيراً مطلقاً .

نحن لماذا نقيد كلمة تحيراً مطلقاً ؟

لأن أهل السنة يثبتون اختياراً للإنسان بدرجة ما ، ولكن اختيار تحت أمر الله عز وجل ، الله جعله مختاراً مريداً يفعل بإرادته ما قدر الله عز وجل وما أرد ، نعم هو مخير ومسير ، مخير : بمعنى أن له إرادة واختيار

مسير : بمعنى أنه تحت أمر الله عز وجل ، وأن الله خالق قدرته وإرادته ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب القضاء والقدر .

فمن يقول أن الإنسان مخير تحيراً مطلقاً يعني أن إرادته وأفعاله لا سلطان لله عز وجل عليه ، هذا خروج عن مقتضى الربوبية ، فكيف يكون رب ثم يأمر في الكون بأمر فيحدث عكسه وتغلب إرادة المغلوب إرادته الكونية .

نقول هل معنى ذلك أن الإنسان مسير ؟

نقول الإنسان مسير ، فالله عز وجل هو الذي أمر أن يكون لهذا العبد إرادة وأن يريد العبد كذا وكذا ، كما قال تعالى { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } أثبت مشيئة العبد وأثبت مشيئة الرب وأثبت أن مشيئة العبد تحت مشيئة الرب ، جمع سبحانه في هذه الآية بين الأمرين ، أثبت لنا مشيئة لكنها تحت مشيئته ، لنا قدرة ولكن بقدرته عز وجل كانت لنا هذه القدرة ، لو أراد الله أن يمنعنا القدرة لمنعنا ، وهو الذي يقدرنا ويجعلنا نفعل ، هو الذي يوفقنا للفعل .

فيما يتعلق بقضية الخلق . المعنى الأول من معاني الربوبية . فزالت هذه الشبهة وضعفت جداً والحمد لله بعد ظهور أمر الاستنساخ ، فيظنون أنهم يبتكرون نوعاً جديداً من البشر ويخلقون ما يشاءون ، وجزء من الموضوع يثار بين الحين والآخر ويقولون أنهم سيحددون نوع الجنين . ذكر أو أنثى . يقولون الآن أناس كثيرون يذكرون أدوية معينة لتحديد نوع الجنين وأسئلة حول هذا الباب ، وكأن هذا ملك للخلق وأنهم يملكون الآن أن يخلقوا ما يريدون ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

الحقيقة أنها غير ذلك ، مسألة الاستنساخ أو أطفال الأنابيب أو مسألة محاولة التلقيح بحيوان منوي ذكري دون حيوان منوي أنثوي أو العكس ، كلها ليست داخلية في الخلق ، فالاستنساخ حقيقته أنه يأخذ المادة الوراثية داخل نواة خلية متكونة أصلاً ويضعها في بويضة تكون كأنها بدل البويضة الملقحة ويضعها في رحم امرأة أو في رحم حيوان أنثى بحيث

يتكون جنيناً مشابهاً للنوع الذي أخذ منه ، مشابهاً طبق الأصل للكائن الذي أخذت منه هذه الخلية ، وهذا الأمر في الحقيقة استمراره محل نظر ، وإلا فمعلون أن هذا الأمر تبين أنه لا يسمع بالاستمرار على الدوام حتى في الحيوانات ، يمكن هذا الأمر استعماله في الحيوانات ليس محرم إذا كانت فيه منافع معينة ، لكن هذا الأمر تبين أنه يصيب بأضرار متعددة بأن الخلية غير المعدة للتكاثر ليست مهيةة للاستمرار حتى لو تكونت حيواناً كاملاً مثل الخلية التي خلقها الله عز وجل للتكاثر وهي الخلايا الجنسية المعروفة ، فهي خلية يمكن أن تأخذ من أي موضع من مواضع الحيوان ويضعوها بدل نواة بويضة غير ملقحة أو ملقحة وتوضع هذه البويضة بالمادة الوراثية الجديدة في رحم الحيوان فتمنوا نوماً طبيعياً وتكون مثل التوأمة ، يعني هي في الحقيقة عملية توأمة للكائن الذي تكون ، مثل النعجة دوي ، فهم عملوا لها توأم ، بمعنى أنهم أخذوا خلية من خلاياها ووضعوها في رحم نعجة أخرى في بويضة منزوعة النواة وجعلت النواة بدلاً منها وهي مشابحة للنعجة الأولى ، فكأنه يجعل توأم للكائن الأصلي ، فهي تحيئة ظروف الحمل بتوأم مثل تحيئة ظروف الانقسام ، مثل منشطات التبويض مثلاً التي تؤدي إلى كثرة التبويض فتنتج توأم أكثر ، عملية تحيئة ظروف ملائمة لتنقسم الخلية بانقسام البويضة الملقحة التي هي في الحقيقة مكونة من خلية واحدة متكونة ، هذه البويضة الملقحة يتكون منها الإنسان أو الحيوان ليست بمعنى أنهم يخلقونها ، جهل عظيم أن يقال ذلك ، أن يقال أنهم يخلقون ، هم لا يملكون شيئاً ، انقسام الخلايا وتحركاتها غير مملوكة للناس ولا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً إنما يتركونها تنقسم كما أراد الله عز وجل ، فهم يهيئون ظروفاً مناسبة كالتلقيح الصناعي في أطفال الأنابيب مثلاً ، كأن يكون هناك انسداد في أنابيب المرأة فلا تصل البويضة من المبيض إلى قناة فالوب لكي يتم التلقيح هناك بالحيوانات المنوية فيأخذون بويضة في توقيت التبويض ويأخذون حيوان منوي من الرجل في أي وقت وعندما تخرج البويضة يتم التلقيح إما داخل الرحم بالحقن المجهرى وبحقن الحيوانات المنوية في المكان المناسب لأن الحيوانات المنوية لا تستطيع الوصول فيحقنها حول البويضة فيتم أن حيوان منوي منها يتمكن من تلقيح البويضة أو يتم التلقيح خارج الرحم ثم تزرع البويضة داخل الرحم ، لكن هذا كله الله عز وجل الذي يخلقه ، المشكلة كلها في مكان التلقيح ، لأن مكان التلقيح من الممكن أن يكون هناك صعوبة في وصول هذه الحيوانات إلى البويضة في الوقت المناسب ، فيمكن أن يجعلها تلحق إما داخل أو خارج الرحم ويتم زراعتها داخل الرحم ، فمثل هذا تسميته خلقاً أو أن الناس تطوروا إلى أنهم يخلقون أناس جديدة فهذا يكون والعباد بالله من الجهل العظيم الناشئ عن عدم معرفة ما يتم والناشيء أيضاً في باب العلم عن الشرك بالله عز وجل ، أعني أن هناك من يقول أن العلم الحديث سوف يغني عن نظرية وجود الإله ، هذا الباب لا تجده عند أهل الخبرة بهذا المجال ، أهل الطب مثلاً ليس عندهم أدنى تفكير في ذلك ، هم يعلمون يقيناً أن هذا الأمر ليس إلا لله عز وجل ، لكن تجده عند الجبهة أنصاف المتعلمين الذين لا يعرفون شيئاً إلا الكلام الظاهري فقط ، يظنون أن هذا معناه أنهم بدأوا الآن يخلقون .

ومن زعم التحكم في نوع المولود كذاب ويضحك على الناس .

حتى لو أمكن جزئياً مسألة اختيار الحيوانات المنوية الذكرية دون الأنثوية :

ثبت طبياً أنه في الأسبوع السابع وهو ساعة تكوين الأجهزة التناسلية للجنين هناك بعض الهرمونات تفرز وتؤدي إلى ظهور الأعضاء التناسلية الذكرية وإذا نقص هذا الهرمون يؤدي إلى تشكيل الأعضاء إلى أعضاء أنثوية ، حتى لو كان الحيوان المنوي ذكرى يمكن أن يتغير نوع الجنين ، ويمكن أن يصبح أنثى إذا نقص هذا الهرمون الذي يفرز في هذا التاريخ لسبب غير معلوم .

فالمسألة ليست بيد الناس ، وللأسف كثير جداً من القنوات الفضائية تعمل خداع عظيم جداً للناس ويخرج دجالون كذابون كثيرون يخدعون الناس بمثل ذلك ، يفعلونها رغبة في الشهرة ورغبة في المال وغير هذه الأمور من الشهوات .

يخدعون الناس بمثل هذه الأمور ، لا يوجد إلى الآن في الطب ما يجزم بتحديد نوع الجنين ، محاولات كلها ضعيفة الأثر جداً أو منعدمة بالكلية ، وليس فيها أنها فعلاً تحدد نوع الجنين .

فهذا ليس على وجه الجزم واليقين ، لأن هذا الأمر في الظاهر لا يعرف إلا بعد الفحص الميكروسكوبي ، الفحص الميكروسكوبي يقتضي موت الحيوان المنوي ، لا يقدر أن يفصلها فصل تام مع بقائها حية إلا بمحاولة معرفة بعض الظواهر الخارجية ولا يمكن أن تكون تامة .

حتى لو وقع ذلك فإن هذا الأمر لا يعني لزوم هذا الأمر والتحكم فيه تحكماً مطلقاً .

فالخلق لله وحده لا شريك له ولو اعتقد أحد أن غير الله يستطيع أن يخلق ذبابه لكفر ونعوذ بالله من ذلك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .



## ٢٠ - مقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

ذكرنا المرات السابقة توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية ونتكلم اليوم عن توحيد الألوهية

## توحيد الألوهية

لما كان توحيد الربوبية وكذلك توحيد الأسماء والصفات توحيداً علمياً يعني مبني على علم الناس بصفات علم العبد بصفات الله خبرياً يعني مبني على الأخبار الثابتة في الكتاب والسنة في صفات الرب سبحانه وتعالى وأفعاله اعتقادياً يعني هو مبني على اعتقاد العبد في صفات الله كذا وفي أفعال الرب كذا هو يعتقد ،

فإن توحيد الألوهية توحيد علمي طلبي من فعل العبد يسمى توحيد القصد والطلب توحيد العبادة ، هذا فعل من ؟ هذا فعل العبد ، وهو مبني على إرادة العبودية لله عز وجل إرادة وجه الله عز وجل أن يقصد العبد التعبد لله سبحانه وتعالى يقصد الخضوع والحب والإنقياض لشرع الله سبحانه وتعالى وهو توحيد عملي لأنه عمل من الإنسان وليس فقط اعتقاد ولا شك أنه مبني على الاعتقاد ومتضمن له ، توحيد الألوهة متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لانه لا يتصور أن يعبد إلا من عظمه واعتقد له صفات الكمال لا صفات النقص ولذا قلنا أن يجهل أحد أن سب الإله ينافي أصل تعظيمه وأصل توحيد لا يتصور أن يجعل ذلك لأن الإله هو الذي يعظم ويخضع له ويجب من كل وجه لماذا ؟ لأن له صفات الكمال ، ولأنه الذي يملك الضر والنفع والإحياء والإماتة والخفض والرفع وهو الذي يدبر الأمر فلا يتصور أن يخلو هذا التعبد من اعتقاد فهو أمر عقدي لكن لما كان مبنياً على أنه من أفعال العباد كان توحيد الرب عز وجل بفعل العبد وأفعال العباد سمي توحيداً طلبياً وتوحيد الإرادة توحيد عملي وتوحيد القصد والطلب وهو كما ذكرنا مبني على العلم لا يجوز طالما أنه مبني على توحيد الربوبية والأسماء والصفات لا يجوز أن يقبل وأن يدعى ولا تقبل دعوى من يقول يعذر بالجهل في الأسماء والصفات والربوبية ولا يعذر في الألوهية فإن هذا اختراع من قائله كيف يقبل الجهل في الأصل وما بني عليه لا يقبل ؟ توحيد الألوهية مبني على توحيد الربوبية ، توحيد الربوبية هو توحيد الرب بأفعاله سبحانه وتعالى ، أنت تقول توحيد الربوبية له معان ثلاثة الخلق والرزق والتدبير ، يعني ماذا ، يعني الله هو الذي خلق الله هو الذي رزق الله هو الذي دبر الأمر الله هو الذي يملك الضر والنفع الله هو الذي يملك الأبصار الله الذي يشرع للناس الله الذي يحيي ويميت هذا توحيد الرب سبحانه وتعالى ، هذا كما ذكرنا مأخوذ من المعنى اللغوي للكلمة

أما توحيد الألوهية فهو توحيد الرب أفعال العباد ، العبد هو الذي يرجوا ويخاف ، العبد هو الذي يرجوا ويجب ، أن تفرد الله بالحب والخوف والرجاء العبد هو الذي يسجد ويصلي ويصوم ويحكي ، عبادات ظاهرة وعبادات باطنة ، العبد هو الذي يرجوا إذا وجه هذه العبادات لله وحده لا شريك له فهذا هو توحيد الألوهية وهو توحيد الرب عز وجل بأفعال العباد ، أفعال العباد في المقام الأول وهي العبادات القلبية والعبادات الظاهرة والأقوال والأفعال ، العبادات القلبية من الحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والخضوع والإنقياض والرضا والصبر والعبادات الظاهرة من السجود في الصلاة وغيرها والصلاة والصيام والحج ونحو ذلك ، فتوحيد الألوهية هو تبحر العبد بكل عباداته وأفعاله الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له توجهه متقرباً متذللاً محباً لله سبحانه وتعالى هذا معنى أنه يعبد الله وهذا معنى كلمة لا إله إلا الله ، ذلك نقول توحيد الألوهية وتوجه العبد بكل عباداته وأفعاله الظاهرة والباطنة لله وحده والكفر بما يعبد من دونه الله سبحانه وتعالى من الطواغيت ، حل من عبد من دون الله وهو راض فهو طاغوت ، طغي وجاوز الحد فلا بد أن يكفر به ، لأن الله سبحانه وتعالى قال { وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا } البقرة ٢٥٦ العروة الوثقى هي كلمة لا إله إلا الله فمن تمسك بها هو من كفر بالطواغوت وآمن بالله فلا بد من النفي والإثبات هي كلمة لا إله إلا الله بحق يعبد سوى الله سبحانه وتعالى فالجزء الأول هو النفي وهو الكفر بالطواغوت وهو اعتقاده بطلان عبادة غير الله وألا يصرف لهم شيئاً من العبادة يعني يعتقد بطلانها ويعتقد ذلك بلسانه حين يقول لا إله إلا الله لا يستحق أن يعبد إلا الله وفي نفس الوقت لا يصرف عبادة لغير الله فهي مبنية على اعتقاد وقول وعمل والكفر بالطواغوت هو من الإيمان بالله عز وجل وقرينه ولازمه ولا يحصل ولا يقبل إيمان بالله مع وجود عبادة الطواغوت مع وجود من يصرف عبادة لغير الله ، نقول فلا يتوجه العبد لغير الله بشيء من ذلك من العبادات ويعتقد اعتقاداً جازماً أن أي أحد يتوجه لغير الله بشيء من العبادة فقد عبد غير الله وفعله باطل يعني فعله غير مقبول يعني فله شرك والعباد بالله اعتقاد بطلان عبادة غير الله وليس كمن يعبد هو الله وفي نفس الوقت يصحح عبادة غيره نعوذ بالله هذا نقض لكلمة التوحيد ، كثير من الناس يظن أن دين الإسلام معناه أننا نحن نعبد الله ونقر في نفس الوقت عبادة غيره ، هؤلاء لم يشهدوا أن لا إله إلا الله هؤلاء شهدوا أن الله إله لكن لا يدخلهم ذلك في الإسلام ، المشركون شهدوا أن الله إله لكن قالوا { أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا } ص ٥ قضية التوحيد في الألوهية هي التي بعثت بها الرسل صلوات الله عليهم أجمعين والتي من أجلها تنقل الموازين وأول شيء أمر به الأنبياء كلمة لا إله إلا الله وأن لا يعبد سواه سبحانه وتعالى وليس فقط أنه إله من ضمن الألوهة حتى ولو قيل أنه أكبرها وأعظمها لكن إقرار العبد بصحة عبادة غير الله ولو من غيره ولو أنه يصحح ذلك من الآخرين يقول أنا عن نفسي لن أعبد إلا الله ولكن لو عبد غيره آخرون فلا حرج عليهم والعباد بالله لا يكون هذا مسلماً هذا نقض كلمة التوحيد كما يقول قائل مثلاً أنه يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ويصدق له ولكن لا حرج على من يكذب هذا كاذب في كونه يشهد أنه رسول الله في الحقيقة ، وليس إلا شاكاً بأنه يصحح دين ومذهب من يكذبه فكثير من الكفرة المعاصرين والمرتدين والمنافقين الذين يصوبون غير ملة الإسلام مع علمهم بأنهم يعبدون غير الله ويصححون ذلك ويقولون ليسوا بكفار وأن ذلك علم عند الله وأنه نزلت آيات الكفار أيام النبي صلى الله عليه وسلم فما الفرق بينهم كما قال ذلك البعض أن هذه الآيات في من كفر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ،

النصارى مثلاً الذين يعبدون المسيح إنما نزلت في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، طيب والذين في زماننا ؟ ألا تعلم أنهم يعبدون المسيح إلى يومنا هذا ؟ بل كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نصارى لا يعبدون المسيح ولا يألهونه وهم الآن لا يذكرون في ضمن فرق النصارى يعني لا يعبدون ضمن الفرق ، كل فرق النصارى المعاصرة تقرض هؤلاء وتكفرهم من يوم..... الأول من يوم قال ذلك ألبوس أن عيسى مخلوق فطرده وأخرجوه من الدين وحرموه ولعنه هو وكل من قال بقوله وإلى يومنا هذه الملل النصارية تقول هذا القول فمن يعلم ذلك منهم ولا نشك في علمه بذلك لأنهم يصرحون به ليل نهار وعندما يعرضون ذلك في مواسم أعيادهم وتفتح لهم المجالات فيقولون ذلك ويصرحون بذلك ويقولون الرب إلهنا يأسوع المسيح والعباد بالله ومع ذلك يوجد من يقول ليسوا بكفار ؟ لأن الآيات نزلت في الكفار منهم أيام النبي صلى الله عليه وسلم فما الفرق بين هذا وذاك ؟ فلو عبد أحد اللات والعزى في زماننا نقول الآيات نزلت في أبي جهل فقط وأبي لهب أما من عبد اللات والعزى في زماننا فلا حرج ولا بأس ؟ نعوذ بالله والله لا صدر هذا من مسلم ولا يقبل هذا ممن يعلم أنه لا إله إلا الله فاعتقاد جازم لا بد أن يوجد في قلب المؤمن أن عبادة غير الله باطلة ويجب على العبد أن يكره هذه العبادة وأن يكره هذا الباطل ويبغضه ويرد هذا الشرك بالله وهذا معنى الكفر بالطاغوت أن يكره الطاغوت وأن يكره من يعبد من دون الله وهو راض ويكره من يعبد كذلك ، الحب في الله والبغض في الله ، يقولون أنتم تحضون الناس على كراهية الآخر ، أنتم والله أشد خطراً للناس على الكراهية أنتم تحضون العالم على كراهية الخير الذي لا نجا لهم إلا به ألا يكرهون العالم في الإسلام وأهله باسم الإرهاب وغيره ؟ لا يوجد إنسان يحب كل شيء يحب الشيء ونقيضه أنتم تكرهون إقامة الحق وأنتم تكرهون إقامة الدين فهل تنكرون علينا أن نكره عبادة غير الله ومن يعبد غير الله ؟ نعوذ بالله والله إنه لعجب أن يقال ذلك ، الله عز وجل أبغض وسخط على من عبد غيره فكيف نرضى نحن بذلك وكيف لا نكره من كرههم الله عز وجل نقول معنى الكفر بالطاغوت أن يكره هذا الطاغوت وأن يكره من يعبد من يعبد من دون الله سبحانه وتعالى وهو راض ، لماذا هذا القول . وهو راضي . ؟ هناك من يعبد من غير الله وهو غير راض كالمسيح عليه السلام والملائكة ، ومؤمني الجن الذين عبدتهم طوائف من الأمم وهم أبرياء من ذلك وهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ويوحّدونه فلا يقال أن عيسى طاغوت تعالى الله عن ذلك وإنما هو اصطفاه من ضمن رسله الكرام ولا يقال الملائكة طاغوت بل حقيقة الأمر أنهم إنما كانوا يعبدون الجن الذي أمرهم بعبادة الملائكة ويعبدون الشياطين التي أمرتهم بعبادة الملائكة يعبدون كبرائهم وأحبارهم ورهبانهم وزعمائهم الذي يحثوهم وحضوهم على عبادة غير الله فنقول أن معنى الكفر بالطاغوت أن يعتقد بطلان عبادة غير الله وأن يكره هذا الطاغوت ومن يعبد ويظن ذلك ويعتقد أن عبادة باطلة فلا معبود بحق إلا الله ،

هذه الجملة فيها نفى الألوهية عن أي أحد غير الله وإثباتها لله وحده ، كلمة لا إله إلا الله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم { كلمة لا إله إلا الله معنى الإله أنه المعبود المطاع ، العبادة الطاعة ولكنها طاعة مع حب وهي طاعة باطنة وليس كل من أطاع غيره عابد له إلا أن يكون كمال الذل مع كمال الحب مع كون ذلك في طاعة باطنة كما ذكرنا ، فنحن نذل لله وحده نحن نطيع الرسول صلى الله عليه وسلم عبودية لله ، لا للنبي عليه الصلاة والسلام فالرسول صلى الله عليه وسلم والرسول الكرام والنبي صلى الله عليه وسلم كلم من أمر الله بطاعته وإنما يطاع بأن الله أمر بذلك فهو خضوع لله كما أن السجود لآدم لم يكون عبادة لآدم وإنما كان عبادة لله عز وجل وأنهم ما سجدوا لله عبادين له خاضعين أذلاء له وإنما خضعوا لأمر الله عز وجل ،

معنى آخر من معاني الإله وهو في الحقيقة جزء من معاني الأول التي تميل إليه القلوب وتشتاق إليه هو معنى الوله ، يقال وله الفصل إلى أمه ، هناك اختلاف في اشتقاق لكلمة كلمة الله ، أمها ل ه ، وأنها و ل ه أن أمها تشمل المعنيين الأصليين ، فمعنى الإشتياق والميل من الوله . وله الفصل إلى أمه . معنى صحيح بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي تميل إليه القلوب وتشتاق إليه ولا تطمئن إلا بالتوجه إليه وعبادته وحده لا شريك له لا تطمئن ولا تستريح إلا إذا أحبته سبحانه وتعالى وحده وخافت منه وحده ورجته وحده وتوكلت عليه وحده وأعمال القلوب التي هي الحب والخوف والرجاء والشكر والإنابة الطمأنينة والإحبات وغيرها كلها فطرت القلوب على أن توجهها لله وحده لا شريك له قال الله عز وجل { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم ٣٠ والله فطر العباد على أن تكون وجهتهم ، أمم وجهك وجهتك للدين حنيفاً أي مائل إلى الله معرضاً عن غيره تشتاق القلوب وتميل إليه سبحانه وتعالى هذا الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله كلهم يولدون كذلك كما قال عز وجل ( إني خلقت عبادي حنفاء فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ) الله خلقهم بميلون إلي هذا الحق فجعلهم يقبلون التوحيد ويأبون الشرك ويقبلون دعوة الرسل ويجوبون تصديقهم ويعرفون أن ماجاء به هو الصدق وأن ما خلافه هو الكذب والباطل والله عز وجل خلق عباده حنفاء بميلون إليه في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ( وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاائك ) وقال الله عز وجل { مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآتٍ } العنكبوت ٥ وقال سبحانه وتعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } الاحزاب ٢١ لمن كان يرجو الله أولاً واليوم الآخر ذكره ثانياً فرجاء الجنة من رجاء الله سبحانه وتعالى ملازم له لكن رجاء الله عز وجل وإرادته إرادة محبته سبحانه وتعالى وإرادة القرب منه مقدمة وهذا هو النصيب الأعظم للمؤمن كما قال عز وجل { وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ } وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا { الاحزاب ٢٩ إرادة الله إرادة وجهه إرادة قربه إرادة محبته سبحانه وتعالى فالقلوب مفضولة على ذلك ، { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } الرعد ٢٨ تشقى القلوب وتتعبس إذا وجهت لغير الله حباً أو خوفاً أو رجاءاً إذا رجحت غير الله إذا أحببت غير الله حب العبادة ، إذا خافت من غير الله سبحانه وتعالى وإفراذ الله عز وجل بتوجه القلوب وشوقها وجهها هو أحد معاني الإلهية الإله ،

وهناك معنى آخر

وهو الذي تحار فيها العقول لا تدركه العقول يقال وله إذا تحير ، تحير يعني لم يستطع أن يدرك كنه الحقيقة فنحن لا ندرك كيفية صفات الرب عز وجل وكيفية عظيمته سبحانه وتعالى ، ونحن إنما نعلم من ذلك ما أعلمنا سبحانه وتعالى ولا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى فهذه المعاني كلها معاني صحيحة فالله وحده هو الذي تأله القلوب حباً وخوفاً ورجاءاً وتوكلأ هو الذي يعبد بحق ويستحق أن يعبد ولا يعبد سواه وهو الذي تحار فيه العقول ، الله وحده هو الذي له هذه المعاني بحق بمعنى أن الله وحده هو المعبود بحق هل يسمى من

عبد بباطل إلهاً؟ يسمى إلهاً باطلاً ، الإله كما ذكر ابن عسيل ، الإله من عبد بحق أبو بباطل ثم غلب على المعبود بحق ، يعني يطلق عليه أنه إله لكنه إله باطل لا يستحق أن يعبد كما قال سبحانه وتعالى { فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } هود ١٠١ فسموها الله سبحانه وتعالى آلهة ولكنها آلهة باطلة نسبها الله سبحانه وتعالى إليهم لأنهم اخترعوها وأنهم اخترعوا عبادتها وسموها آلهة من عند أنفسهم ، فهو وحده المعبود بحق سبحانه وتعالى وهو وحده التي تميل إليه القلوب فالقلوب فطرت على أنها تميل إلى الله فلو مالت لغيره فإنها تشقى أعظم شقاء ففي الإنسان حاجة ضرورية إلى عبادته الله سبحانه وتعالى أشد من حاجته إلى الطعام والشراب فكما أنه محتاج إلى الله رباً يرزقه الطعام والشراب وأسباب حياة بدنه وأسباب حياة قلبه فهو بذلك محتاج إلى الله إله محتاج إلى أن يتوجه بالركوع والسجود والحب والخوف والرجاء فهذا معنى الذي تميل إليه القلوب وتشقى ، يقال وله الفضيل إلى أمه أي مال إليها واشتاق إليها قلبه فيه حاجة ضرورية إلى أن يشاق الله عز وجل إلى أن يتوجه إلى أن يكون حنيفاً لله فلو وجه لغيره فإنه يشقى أعظم شقاء والشقاء موجود في الدنيا والآخرة سببه أن القلوب وجهت إلى حب غير الله والخضوع لغير الله والعبادة أساسها غاية الحب مع غاية الذل ، غاية يعني كمال ، كمال الحب مع كمال الذل ، إذا لم يكن هناك حب لم يكن هناك عبادة وكذلك أساسها الخضوع والإنقياض الذي هو الذل إذا لم يكن هناك انقياض لم تكن هناك عبادة أقل شيء في ذلك يظهر في قلب العبد لابد أن يوجد في قلبه ذلك وأما من يأبى ويستكبر فلا يكون عبداً لله ولو أقر بأن الله خلقه وأنه الذي رزقه ودبر أمره فإبليس يقر بكل ذلك لكنه أبى واستكبر وكان من الكافرين فزال عنه أصل الخضوع والإنقياض ولذلك كره أمر الله عز وجل وأبعضه فلا يكون عنده أصل الحب لله سبحانه وتعالى لذلك لابد في قضية العبادة والألوهة الحب والذل ، الحب كما ذكرنا الحب باطن والذل طاعة باطنة من باطن الإنسان وليس حباً لأجل شهوة ينالها أو عطية يأخذها وليس طاعة ظاهرة فقط لأجل خوف من فساد حال أو من عقوبة أو نحو ذلك لابد من طاعة باطنة وحب في قلب العبد حتى يكون عبداً لله سبحانه وتعالى ،

، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

## ٢١- الكفر بالطاغوت

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

الكفر بالطاغوت كما ذكرنا هو الكفر بكل ما يعبد من دون الله قال الله عز وجل { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَكْفِيهِمْ } البقرة ٢٥٦ العروة الوثقى هي كلمة لا إله إلا الله المستمسك بها ، والذي يكفر بالطاغوت أي الذي يكفر بكل ما يعبد من دون الله عز وجل والطاغوت يشمل كل ما عبد من دون الله عز وجل وهو راض ، الطاغوت أصله في اللغة من الطغيان طغى أي جاوز الحد ، قال ابن القيم رحمه الله الطاغوت كل ما جاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، لماذا ذكر المتبوع والمطاع ؟ لأن هذه التبعية إذا جاوزت حدها صارت عبادة وهو عطف للتفسير والتدليل كذا الطاعة المطلقة يطيعه طاعة مطلقة يرى أن عليه أن يطيع ولو أمره بالكفر والعياذ بالله كما يعطي هذا الأمر أناس لأخبارهم وربهم وكبارتهم وسادتهم { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ } الأحزاب ٦٧ فهم كانوا يرون أن لهم عليهم أن يطيعوهم ولو أمرهم بالكفر وترى والله كثيراً من الناس يعتقدون ذلك ويوطنون أنفسهم عليه قبل أن يأمرهم به قد باعوا وأعطوا هذا الحق باعوا كل شيء قالوا أنهم لو أمرونا بالكفر لكفرنا هؤلاء قد عبدوهم وسوهم برب العالمين ولو لم يأمرهم بكفر ولو قالوا لهم اذهبوا إلى الصلاة لكن عندهم استعداد أن لو قال لهم اسجدوا لهذا الصنم أن يفعلوا وهو إنما يصلي لأنه أمره أن يصلي ووطن نفسه لو أمره أن يسجد للصنم أو للصليب لسجد والعياذ بالله أو أنه لو أمره بالكفر لكفر ولو أموه بالتكذيب للرسول كذب فهذا والعياذ بالله سواء برب العالمين وجعله معبود يعبد من دون الله ، فهذا العطف متبوع أو مطاع ، كلمة متبوع أو مطاع هذه للتفسير ،

قال " فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يعبدونه من دون الله عز وجل أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، عندهم يطيعون ولو كان غير طاعة ولو كان كفراً أو شركاً ،

لو كانت الطاعة طاعة ظاهرة عند الإكراه والتقية مثل أن يكون الإنسان خائفاً على نفسه من ضرر معتبر شرعاً ينزل به من قبل أو تعذيب أو ضرب مبرح ما يعد إكراه شرعاً فيكون في سلطان هؤلاء المحرمين فيوافقهم بللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان لا يسمى هذا عابداً لهم لأنها طاعة ظاهرة وليست طاعة باطنة ، فقول ابن القيم رحمه الله طاغوت كل قوم من يتحاكمون به من دون الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ أحكام الله عز وجل ، لماذا ذكر الأحكام هنا ؟ لأنه صورة من صور العبادة وكثير في الجاهلية قديماً وحديثاً الرجوع إلى الطواغيت ليحكموا بأرائهم بغير مستند من شريعة الله كما قال عز وجل { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء ٦٠ نزلت فيمن قال نتحاكم إلى كاهن من جبهة أو نتحاكم إلى كعب ابن الأشرف مع خصم نخاصم معه فقال له خصمه ويذكر أنه كان يهودياً أنه قال نتحاكم إلى رسول الله علم أنه لا يأخذ الرشوة ، قال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه علم أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق نتحاكم إلى كعب ابن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوة فاتفقوا إلى أن يأتي كاهناً من جبهة كان الكهان في الجاهلية هم الذين يتحاكم الناس إليهم يرجعون إليهم في منازعاتهم فسم الله عز وجل من يحكم بغير شرعه سبحانه وتعالى طاغوتاً ونفى الإيمان ممن أراد إن يتحاكم إلى غير شرع الله { أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ يُزْعَمُونَ { هنا الزعم الكامل هو ليس بؤمن وإن زعم ونصت الآية إلى نفاقه ، { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ { إرادة التحاكم إلى الطاغوت فقط فضلاً عن التحاكم نفسه كل ذلك منافي للإيمان قال عز وجل { وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ { والكفر في هذا الموطن أن يعتقد بطلان ما حكموا به بطلان أنهم لهم حق أن يحكموا بخلاف ما شرع الله عز وجل وقوله " أو يعبدونه أو يتبعونه " كما ذكرنا هذا من عطف العام على الخاص لأنه ذكر التحاكم والعبادة والاتباع وهو ما ذكرها أولاً الطاعة والاتباع أو يطيعونه كل هذا تفصيل وبيان بأنواع من العابدة بغير الله عز وجل ، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

نقول فإن كان المعبود صالحاً وهو يأبى أن يعبد من دون الله صارت العبادة للشيطان الذي أمر بها وصار من أمر بهذه العبادة هو الطاغوت ولا يسمى من عبد وهو غير ارض طاغوت ، قال الله تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ { يس ٦٠ هذه الآية من أهم المواطن التي ينبغي أن نتدبرها وذلك أن أكثر العالم وقل كل أنواع المشركين من بني آدم يلعنون الشيطان ويسبونه ولا يقولون نحن نعبد إلا طائفة المجانين أو أعني شابهوهم مع كفرهم ليسوا أنهم مجانين ساقطي التكليف لكن ممن لا يقبل أن يتحدث معهم ممن يقولون نحن نعبد الشيطان لكن هذا قليل ، الطائفة اليزيدية هذه إنما يسمع بها في التاريخ في بعض البلاد المتخلفة أو بعض الذي ذهب عقولهم بالكلية وإن كان كثير من الناس في الشرق عباد الأوثان ونحو ذلك يقولون أنهم يعبدون الشيطان فعلاً يقولون أن الله الذي خلقنا طيب لا يعذبنا إذ تركنا طاعته لكن الشيطان مضر فنحن نعبد له كي نتخلص من ضرره ، نعوذ بالله وهذا في الصينيين والهنود واليابانيين كثير لأنها عقول خاوية والعباد بالله خربة فإنه قبل أن يعبد البقرة الذي قبل أن يعبد الجعارين والثعابين قبل أن يكون ذلك، لكن أكثر أهل الأرض يلعنون الشيطان ومع ذلك قال الله عز وجل { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ { ؟ فلا يلزم أن يقول أنا أعبد له لكي يكون عبداً له طالما أنه صرف له العبادة فقد عبده ولو كان لاعتناً له ولو كان زاعماً أنه لا يعبد هذا من المواطن التي ينبغي أن يستدل بها على عباد القبور المشركين منهم الذين يقولون نحن لا نعبد هؤلاء الأولياء وأنتم تهتموننا بأننا نعبدهم ونحن لسنا نعبدهم مع أنهم يعبدونهم بالفعل مع أنهم يركعون ويسجدون لهم ويذبحون ويندرون لهم ويطوفون بقبورهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات وجلب المنافع ودفع الضرائر وشفاء الأمراض وغفران الذنوب ويجوزن ذلك كما يقولون في طريقتهم والعباد بالله أصحاب الطرق المنحرفة الذين يجوزون وهذا موجود بالعناوين العريضة في جملة الإسلام وطن ، يقولون أن يقول سيدي فلان اغفر لي وارحمني والعباد بالله ويعزمون أن ذلك على سبيل الوساطة أو على سبيل الوسيلة ويسمون هذا توسلاً وهو نعم مثل اعتقاد المشركين تماماً ثم يقول نحن لسنا نعبدهم ، فهذا الدليل ، { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ { من أوضح الأدلة أكثر الناس لا يقولون نحن نعبد الشيطان ، طوائف قليلة هي التي تصرح بأنها تعبد له لكن عامتهم يلعنونه وهم يعبدونه كيف عبده لأهم صرفوا له العبادة وأطاعوه في الكفر وهذا لا بد أن نفهمه جيداً في قضية الطاعة للشيطان ، فهل كل من عصى الله فهو عابد للشيطان ؟ ليس كذلك ، إنما من أطاعة في الكفر وأطاعة في الطاعة المطلقة هو الذي يكفر والعباد بالله ، يعني لو أنه أطاع طاعة جزئية في الكفر كان عابداً له ولو اعتقد له الطاعة المطلقة التامة كان عابداً له حتى قبل أن يطيعه طاعة جزئية واحدة فقلوه سبحانه وتعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ { يدل على أنه تقع عبادة الشيطان بطاعته بالكفر ولو لم يسمي هذه عبادة ومن صرف العبادة غير الله فقد عبده ولو لم يسمي تلك عبادة مع الدليل الآخر كما ذكرنا حديث عدي ابن حاتم أنه قال إنا لسنا نعبدهم قال ألم يجرموا الحلال ويحللوا الحرام فاتبعتموهم ؟ قال بلى قال فتلک عبادتھم ، طبعاً بلا شك الذي يقول أنا أعبد الحسين أو أعبد علي ابن أبي طالب أو أعبد البدوي أو الدسوقي أو سيدي بشر ونحو ذلك فقد صرح بأنه كفر والعباد بالله وهذا لم يتصور فيه الجهل ولا يحتاج فيه إلى إقامة حجة لأن الحجة قائمة لأنه يناهز وينقض لا إله إلا الله مباشرة ولذلك قلنا في الفرق الضالة التي تكفر نوعاً وعيناً من أله غير الله مباشرة قال أن الله هو علي ابن أبي طالب أو أن علي الها أو أن الإمام إله هذه كافر من ساعة ما قال ذلك ناقض لـ لا إله إلا الله ، وكذا من يقول أن المسيح هو الله أو أنه إله يعبد مع الله أو من دونه فأما من عبد غير الله وهو لا يدري أن هذه عبادة وهو وقع فيها فهذا الذي يحتاج إلى إقامة الحجة ولكن بعد إصراره على ذلك يكون مشركاً والعباد بالله وهذه قضية عظيمة الأهمية ليس كما يظن البعض أنه طالما في فرق بين النوع والعين أن ذلك سوف ينعدم في الوجود لا بل العبرة أنه إذا بلغ هذا الأمر وصارت الحجة به أن هذه عبادة وصار يصرفها لغير الله صار مشركاً بخلاف الذنوب بخلاف ما دون الشرك بخلاف قضية ما دون العبادة مثل المعاصي فإنها لا تخرج من الملة ولو بعد قيام الحجة ، كثير من الناس لا يفرق في هذه المسألة ، لا يفرق بين الشرك وما دونه فيشترط في الشرك وعبادة غير الله أن يكون عن اعتقاد لصحة ما يفعل أو يكون مستحل لما يفعل كما يقولون وهذا من أبطال الباطل فالله قد فرق بين الشرك وما دونه ، وإنما يفرق بين الاستحلال في الذنوب لأنه إذا اعتقد خلاف ما شرع الله عز وجل يعني قال الزنا حلال فيكون هذا مكذباً للشرع فيكون هذا مطيعاً للشيطان في الكفر فيكون كافراً والعباد الله مشركاً لكن من يعبد غير الله ويشرك بالله عز وجل لا يشترط بذلك أن يراه حلالاً يشترط أن تقيم فيه الحجة يشترط أن تبلغه الحجة وأن يكون عاقلاً لا مجنوناً أن يكون مختاراً لا مكراً ، لا أنه يكون مستحلاً مثل بعض ما يدعي وينتسب إلى العلم يدعي العلم حتى نسأله أنه يستحل أم لا هذا لا يقوله عالم ولا مسلم لولا الجهل في زماننا لكن هذا القول أيضاً يجعل كل المسرفين ممن عبد الله سبحانه وتعالى يعني ينبغي أن يعذروا أولاً حتى يظهر لهم أنهم يستحلون ، وهذا مما لا يقوله أحد من أهل العلم كما ذكرنا ، فقلوه تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ { عبادة الشيطان أنهم أطاعوه في الكفر والعباد بالله وقوله تعالى { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كُفِّرْتُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ { سبأ ٤١ هذه الآية توضح أن عبادتهم للملائكة هي في الحقيقة عبادة للجن لأن الملائكة لا ترضى أن تعبد من دون الله الملائكة والأنبياء والصالحون لا يرضون أن يعبدوا من دون الله فصارت وصف الطاغوت في الحقيقة راجعاً إلى من أمر بعبادتهم من الشياطين من الجن من الأحرار والرهبان والكبراء نعوذ بالله من ذلك أما إن كان المعبود ممن يدعوا لعبادة نفسه أو يرضى بذلك أو كان حجراً أو شجراً أو نحو ذلك صار هو الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا به ، الأوثان نفسها هي الطواغيت لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماها كذلك طواغيت وكانوا يقولون كما في حديث عائشة الذي ذكرنا أن أناس نصارى كانوا يهلون لمناة الطاعة كانوا يسمون هذا الطاغية الأوثان طواغيت النبي صلى الله عليه وسلم سماها كذلك والصحابة سموها كذلك وهي كذلك تسمى طواغيت لأنها تهاج بأن تجعل في النار إهانة لعابديها وأما هي لأنها أحجار لا يقال عنها أنها تعذب أو أنها

تشقى فهي أحجار لا شأن لها وإنما هي تلقى في النار عذاباً لعبادها ، ما الفرق بين من يدعوا لعبادة نفسه مثل فرعون وبين من يرضى بذلك ، واحد يقول للناس اعبدوني وواحد آخر يجعل غيره من وزرائه وأعوانه يطلبون من الناس عبادة ويسكت راضياً بذلك مقر به فهو مثله تماماً هو في الحقيقة داع إلى عبادة نفسه

#### رؤوس الطواغيت خمسة

الأول الشيطان من أين أتت هذه الخمسة أتت من استقراء أدلة الكتاب والسنة ، الذي ذكر ذلك الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، ليس المقصود الحصر وإنما بيان خمسة من أخطر الرؤوس المشهورة عند الناس

فالأول الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله وهو يدعوا إلى عبادة نفسه دون طاعة الرحمن لأنه أمر الناس بطاعته في الكفر ويريد منهم ذلك ويرضاه فهو يدعوا إلى طاعة نفسه طاعة العبادة الطاعة المطلقة كما ذكرنا الطاعة المطلقة عبادة والطاعة الجزئية في الكفر عبادة ، ماذا يعني الطاعة الجزئية في الكفر؟ يعني الذي يطيعه في أمر معين لكن هذا الأمر كفر ، يعني يضرب مثال ،

واحد عنده من يطيعه ويحبه جداً لو أمره مثلاً أن يسجد لصنم لسجد ولو أمره أن يقتل أباه ما فعل ، إذا هذه طاعة جزئية ومع ذلك طالما أنها كانت في الكفر تكون كفر والعباد بالله ولو أمره لو كان يعتقد أنه يطيع ولو أمره بقتل أبيه ولو أمره بالسجود لصنم كما ذكرنا إذاً هذا من قبل أن يطيعه في هذا الكفر اعتقاده هذا عبادة له والعباد بالله طاعوناً ، الطاعة المطلقة الطاعة التامة كما بينا ،

فالشيطان طاعون من هذا الباب لأنه يدعوا الناس لعبادة نفسه يدعوا الخلق إلى أن يعبدون دون عبادة الرحمن وطاعة الشيطان في الكفر الله وتكذيب رسله هي عبادته من دون الله وأما طاعته في المعاصي التي يأمر بها مع اعتقاد القلب لحرماتها وبقائه على أصل الإيمان بالله ورسله فهي ليست طاعة تامة إذا مقصوده الأعظم وهو القلب لم يتحقق ، قضية عظيمة الأهمية ، هذه طاعة جزئية لكن ليست في الكفر ومع اعتقاد أنه عاصي الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الفرق بين أهل السنة وبين الخوارج ، الخوارج يجعلون كل طاعة للشيطان كفر وشرك والمعاصي كلها كفر وشرك لأنه عبد الشيطان وهذا كلام خطير باطل بلا شك القرآن قد فرق ، نقول الذي عصى الشيطان في أعظم ما طلب وهو القلب لأنه يريد أن يعتقد بقلبه صحة ما يأمر به دون ما شرع الله به عز وجل ، فهذا مقصوده الأعظم عمل القلب وقول القلب الشيطان يريد أن يدخل الإنسان النار وهو يعلم أن ذلك إنما يحصل بفساد قلبه وشركه بالله فمقصوده الأعظم في العاصي لم يتم لأنه أمره أن يقول أن هذا أمر حسن أن هذه المعصية طيبة وأنها أمر طيب لا بأس به وأن يفعلها فعصاه في كونا حلال طيبة ولا بأس به وأطاعه في أنه فعلها يعني يقول أنا مذنب أنا مخطئ أنا عاصي هي قبيحة منكروة إذاً عنده خلاف ما عند ما قال نعم هي حسن عنده أصل الإنقياض وليس عنده كمال الإنقياض وهذا هو الفرق العظيم المهم بين المشرك وبين المسلم العاصي ، فمن أطاع الشيطان في المعاصي لم تكن طاعته طاعة تامة إذ مقصود الشيطان الأعظم وهو القلب لم يتحقق إذاً فرق القرآن بين الشرك وما دونه قال عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء ٤٨ وكذا نصوص السنة والإجماع في التفريق بين الكفر وما دونه من المعاصي مسألة أن الشيطان مقصوده الأعظم القلب والله قضية عظيمة الأهمية أنك تتدبرها في أحوال زماننا عندما نرى أعداء الإسلام قد تمكنوا ممن يريدون من أهل الإسلام إلا القلوب والإعتقادات أعني بذلك أن مثلاً في التبرج والفساد والفواحش يعني لو سرت في كثير من بلدان المسلمين لما وجدت في كثير منها لوجدت فرقاً كبيراً بينها وبين الدول الكافرة في أحوال النساء مثلاً يعني لو مشيت في شوارع نيويورك لم تجد فرق كبير جداً عن شوارع القاهرة في كثير من الأماكن يعني ولو ذهبت إلى شرم الشيخ والفرقة ستجدها أفسد بلا شك يعني لا تجدهم يفعلون ذلك في بلادهم والعباد بالله ومع ذلك نقول نحن لا نرضى بهذا الوضع ، هم أصلاً يتضايقوا من أن الناس يفعلون المعاصي لكنهم معتقدين أنها معاصي ، هم يجتهدون بأن يقولوا الحجاب تخلف ورجعية ، يعني هم لا يكتفون أن النساء أصلاً لم تتحجب لا بل يريدون أن يجعلون الناس تعتقد أن الحجاب تخلف ، الحمد لله ، لكن مقصدهم ليس كافي ،

يعني أليست إسرائيل أخذت فلسطين ؟ هل هي راضية بهذا أم لازم أن تقولوا أن هذا حق ، إسرائيل ماذا تريد من العرب والمسلمين ؟ أن يقولوا هذا حقهم ، لازم تقولوا أن هذا هو حقنا في الوجود ، ماذا يعني حقنا في الوجود في هذا المكان ؟ طيب يذهبوا إلى بلاد أخرى لا بل هم يريدون أن تعترفوا بحق إسرائيل بالوجود على هذه البقعة وإن هذه حقنا وإن الترواه أعطته لنا لو قتلتم ذلك نكون أحياء وفي سلام، طيب هم أخذوه منذ خمسين أو ستين سنة ومع ذلك القضية ليست كذلك والشيطان قضيته الأولى هي اعتقاد القلب وعمل القلب ، لكي يشركوا الله والعباد بالله ، القضية هذه خطيرة بلا شك وهو أن الإنسان يعتقد أن ما شرعه الله عز وجل باطل أو أن يبغضه ويكرهه ويأباه ويتكبر عليه وكلاهما والعباد بالله كفر والعباد بالله من ذلك فقل أن من يسوى أنه مجرد ما يجد واحدة متبرجة يقول هذه جاهلية مشركة كافرة نقول لا أنت بهذا ظلمت ، هذا مثل ما يقوله البعض إن متبع مصممي الأزياء قد اتخذواهم آلهة لا بد أن نفرق ، الذي يقول أن متبع مصممي الأزياء في الغرب والذي يتبع الموضة ونحو ذلك قد اتخذواهم آلهة تعبد من دون الله ، ولا بد نفرق أن من اعتقد صحة ما يفعلونه ويقولونه وجواز ذلك مع بلوغ أدلة الشرع والأغلب الأعم أن القضية تكون بلغة الناس لكن القضية في التكبر على شرع الله ورؤية أنه تخلف ورؤية أن هذا هو التقدم الذي ينبغي أن يكون أو دل على عمل القلب حصل عنده ، عمل القلب الكفري وهذا الذي أشرك بالله وهذا فرق كبير جداً بين واحدة اتبعت وعصت ولكنها ترى أنها مذنبه ترى أنها مخطئة ترى أن الحجاب ترى أن الحجاب هو الفضيلة والعفة والواجب وهذا هو الذي جعلنا نفرق بين من يترك الواجبات وهو يستحل تركها أو يحدد وجوبها أو يأبى فعلها وبين من يتركها ويقول أنا عاصي أنا مذنب هذا الذي لا نرى فيه فرقاً بين الواجبات وبين المحرمات مع أن ترك الواجبات أغلظ لكن عامة أهل العلم يرونهما في باب التكفير وعدمه والشرك وعدمه من باب واحد ، أعني بذلك مثلاً ترك الزكاة وترك الصلاة . ترك الصلاة في الخلاف المشهور فالأمر إذا كان عن جحود عن إنكار لشرع الله عز وجل



فلا نزاع في كفر ذلك لأنه لأنه زوال لقول القلب وهكذا إذا كان إن إباء واستكباب كإبليس فإنه إلى واستكبر وكان من الكفارين بخلاف ما كان عن اعتراف بالذنب وإقرار على النفس بالمعصية فهذا على الصحيح لا يخرج من الملة ولا يكون مشركاً الشرك الأكبر مع وجود الخلاف السائغ بين أهل العلم مع قضية ترك المباني الأربعة لكن عند التأمل وعند التفكير نجد هناك فرقاً عظيماً بين الأمرين فرق بين وجود أصل الإيمان بالقلب وبين وجود الكفر والعياذ بالله ،

حد العبد الذي لا يجاوزه أن يدعو إلى عبادة الله وطاعته ، يبين الشيطان جاوز الحد وطغى الحد ، حد العبد الذي لا يجاوزه أن يدعو إلى عبادة الله وطاعته فإن جاوز ذلك ودعا إلى عبادة نفسه من دون الله فقد طغى وجاوز الحد فهو طاغوت ،

الرأس الثاني من رؤوس الطواغيت الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ،

وهو طاغوت بنص القرآن قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) } وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا { النساء ٦٠ } سمى الله عز وجل من صد عن ذلك ولم يقبل به سماه منافقاً إلى أن قال عز وجل { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء ٦٥ وتلاحظ هنا الإقتران بين عبادة هؤلاء الكهان من جهمية وكعب ابن الأشرف وبين عبادة الشيطان لأن الشيطان هو الذي أمر للتحاكم بغير شرع الله ، قال عز وجل { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء ٦٠ ومن يقول الطاغوت هو الشيطان فقط وينكر غير ذلك نقول عجباً له فكيف كانت هذه الطواغيت وهل كان المنافق الذي تخاصم مع اليهودي وسب نزول الآية إنما كان هي القصة نفسها فيها مقال لكن رواها أهل العلم في كتبهم على جهة الاستئناس بما الآية تثبت الأمر من غير ثبوت القصة يعني حتى إن لم يثبت أنه كان هناك منافق مع يهودي أو كان مع أي أحد آخر فالأمر لا يلزم منه ضعف الاستدلال بالآية لضعف الاستدلال بالقصة ، القصة ثبتت أو لم تثبت فالآية واضحة أن هناك من يريد أن تحاكم إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غير الكتاب الذي أنزله الله وإلى غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنقول أن هذا الذي تخاصم مع خصمه يهودياً كان أم غيره هل كان يقول تعالوا نتحاكم إلى الشيطان حتى يقول الطاغوت هو الشيطان ، أن بعض من يتكلم إلى هذه الآيات ويقول الذين تحاكمون إلى الطاغوت ويقول الطاغوت هو الشيطان فقط ، من قال ذلك ؟ العلماء قالوا الشيطان هو طاغوت نعم لكن لم يقولوا أنه وحده ، هو أمر بعبادة غير الله والتحاكم إلى أناس يمثلون ما أمروا في الأرض من كهان وسحرة ومشرعين من دون الله عز وجل ، وأنت تجد هذه الصفة في المنافقين دائماً { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } النساء ٦٠ لا يقبلون أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة وهم يدعون ذلك ولا يزال بفضل الله عز وجل من يدعو الناس إلى التحاكم بشرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال المنافقين يصدون عن ذلك ويتعدون عنه بل ويصدون الناس عن ذلك { يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } يعني لا يقبلون ولا يرضون { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) } فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) } أُولَئِكَ الَّذِينَ يَغْلُمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) } فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا { النساء ٦٥ } فهذا الإيمان والإسلام في سياق واحد قرين التحاكم إلى شرع الله إذا الرسول صلى الله عليه وسلم الحاكم بأحكام الله عز وجل المبلغ لها وكما قال سبحانه وتعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } الشورى ٢١ لم يأذن الله سبحانه وتعالى من شرعوا لهم التشريعات مثلاً كبراء في هذا الوطن وإنما قال هم شركاء ، { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ } هذا دليل أن هذا من الشرك ليس فقط من باب المعاصي لأنهم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله والدين هو ما يدينون به ويخضعون وما يرون أنهم يحاسبون عليه لا ما يحاسبون به ، البعض يظن أن هذا شرطه أن ينسبه إلى الدين ، كهان جينه لم يكونوا ينسبون إلى الدين لا يلزم ذلك بل هذا اغلط ، الذي يقول كلامي ليس مما أنزله الله ومع ذلك فهو أوجب من كتاب الله هذا أكفر ممن قال أن الله أعطاني حق التشريع كلاهما كفر والعياذ بالله هذا والذي بعده كلاهما طاغوت طغى وجاوز الحد قال الله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } الشورى ٢١ لذلك أن حد العبد أن يكون حاكماً لشرع الله محكوماً به متحاكماً إليه فإذا جاوز العبد حده وادعا لنفسه صفة الربوبية لأن من معاني الرب كما ذكرنا أن يشرع يأمر وينهى ، إذا جاوز العبد حده وادعى لنفسه صفة الربوبية وحق الألوهية في أن يحكم فيما يراه دون شرع الله فقد طغى وأصبح طاغوت ، يقول للناس ما حكمت به يلزمكم ولو خالف الدين ولو خالف الشرع ، أي طغيان أشد من هذا ؟ هذا أشد من الذي بعده ،

النوع الثالث ، الحاكم الجائر الذي يغير أحكام الله ،

وهذا قريب من الذي بعده إلا أن هذا النوع يدعي لنفسه حق التبديل والتعديل على أحكام الله من قبل نفسه كالأخبار والرهبان وشيوخ الضلال ، الذي قبله يدعي لنفسه حق الاستقلال بالحكم ، كالعلمانيين والقوانين الوضعيين الذين يخترعون أحكام من هوى أنفسهم أو من هوى غيرهم ، يعني هذه القوانين الوضعية المخالفة للشرع مأخوذة إما من القانون الفرنسي أن من الأنجو سكسوني أو الجرمان ، قوانين من قبل أنفسهم والعياذ بالله وهم لا ينسبونها إلى الدين ، ومع ذلك فهم شر من ينسبها إلى الدين ،



النوع الثالث دليله قول الله تعالى { اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَزُہْبَانَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة ٣١ وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِفُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ } يونس ١٥ هذا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يغيره ولا يبدله من تلقاء نفسه فكيف يجعل هذا الحق لأحد دون الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا الأمر هو من عند الله فمن يبدل ويشعر للناس ويغير الأحكام وينسخ هو الله سبحانه وتعالى ، لذا أجمع العلماء على أن الإجماع لا ينسخ نصاً من كتاب ولا سنة لأن الحاكم هو الله وحده لا شريك له ، قال الله سبحانه وتعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخْرَمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَزَمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ سُوِّ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } التوبة ٣٧ لم يكن النسيء الذي شرعه العرب في الجاهلية معصية فقط أو طاعة للكبراء فقط هم يعلمون أن الله جعل أربع أشهر حراماً ومع ذلك واطلوا فقط العدة قالوا أي أربعة ليست الأربعة التي شرعها الله يؤخرون تحريم محرم هذا العام إلى صفر إذا قال قائلهم كافر إذا قال شيخهم الكافر الضال أنه حرم صفر هذا العام بدلاً من محرم فيتقاتلون ولا يحرمون شهر الله المحرم وهكذا كانوا يؤخرون التحريم إلى شهر آخر ويستحلون القتال في الأشهر الحرم وهم يعلمون أن الله عز وجل شرع تحريم أشهر بعينها لكنهم اعتقدوا أن الشيخ والطاغوت الذي جعلوه يغير لهم هذا السنة التحريم الذي شرع الله له حق التغير فكان هذا والعباد بالله كفرة زيادة في الكفر وليس فقط معصية ليس فقط معصية باستحلال في أنه يقاتل في الشهر الحرام ، القتال في الشهر الحرام معصية لكن الكفر كان في تحليل القتال في الشهر الحرام اتباعاً للكبراء والرؤساء ن

الرابع من رؤوس الطواغيت الكاهن الذي يدعي معرفة الغيب من دون الله

قال تعالى { عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَغْلِبُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْمُتُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِجَّةَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَطِطٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } الانعام ٥٩ قال عز وجل { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } الجن ٢٦ يقول حد العبد أن لا يدعي العلم إلا ما أعلمه الله به ، من صفات الربوبية من كمال اسمائه وصفاته عز وجل من صفات الربوبية التي استأثر الله بها علم الغيب فإذا جاوز العبد حده وادعى لنفسه صفة الربوبية فقد طغى فهو طاغوت ولذا من صدقه في ادعاء الغيب فهو عابد له من دون الله فهو قد عبده من دون الله

#### الخامس

الساحر الذي يدعي ملك الضر والنفع والخلق والإحياء والإماتة وتقليب القلوب بصرفها وعطفها على ما يريد يصرفها عن حب فلان إلى حب فلان وعطفها إلى حب فلان بدلاً من فلان ونحو ذلك كل هذه من صفات الربوبية ، تقليب القلوب ملك الضر والنفع الإحياء والإماتة من صفات الربوبية فإذا جاوز العبد حد العبودية ونسب إلى نفسه صفة الربوبية نسب لنفسه هذه الصفات فهو طاغوت ، قال تعالى { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ } البقرة ١٠٢ أي أن الشياطين تعلم الناس السحر تعلم الناس ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت اسم الملكين معلقان ببابل أو موجودان ببابل قال تعالى { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } فهذا العلم المتعلم من الشياطين ومن هاروت وماروت يدعى به الخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع من تعلمه كفر وهما ابتغي بهما العباد ما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فإن أصر علماهما فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهو الصرف والعطف يصرفون قلب فلان عن حب زوجته إلى فلان يعطفونه على حب فلان . يعملون له عمل كما يذكرون . هذا عامته يتقرب إلى الشياطين وعبادته لها حتى تظل توسوس للعبد حتى ينصرف عن حب إلى حب آخر فعمامة هذه الأعمال فيها من الشرك ما الله به أعلم قال تعالى { وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } إذا ليس فيه ما ينفع كما يزعم البعض أنه يعمل أعمال الخير فقط ، يقول أنا سوف أعمل عمل تحبيب للزوج للزوجة ، التولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يجب المرء لزوجته الرجل إلى امرأته قال ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( إن الرقي والتمايم والتولة شرك ) قال تعالى { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } من اشترى هذا الكفر ليس له في الآخرة من نصيب { وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وبطلان ما ادعاه الطواغيت لأنفسهم من صفات الربوبية أو حقوق الألوهية فتبعضهم وتعاديهم وتعتقد كفر من عبد الطاغوت وتصرح بعداوتهم ، طبعاً تعتقد كفر من عبد الطاغوت إجمالاً وأما تعييناً على فلان الفلاني فبعد استيفاء الشروط انتفاء الموانع وتسعى بكل ما تقدر عليه باللسان واليد والمال لإبطال عبادة الطواغيت حتى يكون الدين كله لله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا شريك له ) هذا مصداق قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل ولا بد من وجود ذلك فالجهاد الإسلامي غايته تحقيق التوحيد ، الآية المقصودة بهذا الموطن { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } التوبة ٣٣ وإن كان وجه تعلق لكن المقصود كالشهادة بالحديث هو ( بعث بالسيف بين يدي الساعة ) { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } الانفال ٣٩ ويكون الدين كله لله أي حتى لا يبقى شرك ظاهر ، الجهاد الإسلامي غايته ظهور التوحيد وإزالة رؤوس الطواغيت كما قال لربي ابن عامر لرستم قائد الفرس الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا الله بدينه لنُدْعُوا إِلَيْهِ فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَعَفَوْنَا عَنْهُ وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نَفْضِي إِلَى مَوْعِدِ رَبِّنَا ، إلى موعود الله إلى وعد الله للنصر والتمكين لمن جاهد في سبيل الله قال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا } الانعام ١٦١ ديناً مستقيماً { مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } النسك الذبح أو العبادت عموماً ، محياي حياتي كلها لله ، مماتي أيضاً أموت على ما يأمرني الله به أي أموت مسلماً كما أمر الله { وَلَا تَتَوَكَّلْ إِلَّا وَابْتَغِ اللَّهَ } آل عمران ١٠٢ وبذلك أمرت أن أفعل أمرين الله أن أفعل وأنا أول المسلمين من هذه الأمة ، هذه العبادات من

الصلاة والنسك و الحياة على شرع الله والموت على دين الله كلها أفعال وعبادات يجب أن يتوجه بها الإنسان إلى طاعة الله تعالى ليس للبلد الفلاني أو يموت له ، يقولون نعيش لمصر ونموت لمصر ، وماذا يبقى لله عز وجل بل نحن نعيش عبداً لله ونموت على هذا الدين الإنسان يعيش لله ويموت لله ليس أنه يعيش على قطعة أرض مخلوقة يطأ عليها ولا تعقل شيئاً بل هي مربية لله مخلوقة مسخرة له عز وجل تسير كما أمر الله تعالى فكيف يكون دمنا وروحنا فدائلاً لها بل يكون فداءً لدين الله عز وجل يتوجه العبد به لله سبحانه وتعالى وحده ،

حب الرسول صلى الله عليه وسلم ملكة كان سببه أنها أحب البلاد إلى الله ولذا فرض علينا أن نحب مكة أحب من بلادنا أكثر من بلادنا وهذا بالفعل فطرة كل مسلم فالمسلمون كلهم يحبون مكة المكرمة أكثر من بلادهم ويتمنون الذهاب إليها ويكرهون مغادرتها فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب مكة لأنها أحب البلاد إلى الله هذا حب في الله عز وجل ، وحب الأوطان الملائمة للإنسان التي نشأ فيها إذا لم تكن فيها فهو من الحب المباح ، يعني واحد يحب بلده ويستريح فيها أهذا أمر محرم ؟ لا طالما أنه لم يؤدي إلى حرام أما أنه لأنها هي بلده يحب الكفرة الذين فيها أكثر من المسلمين ؟ ، مثل الذي الشيخ رضوان قاله عليه ، يقول أحبب المسلم الماليزي أم المصري القبطي ؟ قال أحب المسلم الماليزي ، قال له لا بل حب المصري القبطي ، هذا حب والعباد بالله حب لغير الله حب في غير ما شرع الله سبحانه وتعالى

، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٢٢- مظاهر الشرك الأكبر في الإلهية

البعض يتكلم على قضية تكفير الحاكم بعينه نحن لا نكفر بالعين إلا عبد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع حاكم أو غيره بعد ثبوت الكفر وبعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وإنما يستوفي الشروط ويتنفي الموانع من كان من أهل العلم أو من القضاء الشرعي ، من ينقل عنا تكفير شخص بعينه قبل ذلك فهو مخطئ في النقل أو كاذب فيه ، نحن نصرح أن الكلام هنا ليس على الأعيان وإنما على الأنواع أما المعين فلا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ،

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

تكلما في المرة السابقة عن معنى الكفر بالطاغوت وبيان رؤوس الطواغيت وكيفية الكفر بالطاغوت وهو اعتقاد بطلان عبادة الطواغيت وبطلان ما ادعوه لأنفسهم من صفات الربوبية أو حقوق الإلهي وبغضهم ومعاداتهم على ذلك وكفر من عبدتهم العبادة المخرجة من الملة والتصريح لعدواتهم والسعي لإزالة عبادة غير الله عز وجل من على وجه الأرض ،

نتكلم اليوم عن مظاهر الشرك الأكبر في توحيد الإلهية ،

لما ذكرنا من قبل أن الشرك الأكبر في الأسماء والصفات أن يعقد الإنسان وجود ند لله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته أو أن ينفي عنه سبحانه وتعالى ما وصف به نفسه من صفات الكمال ، نعني بذلك الإجمال أن نصف الرب سبحانه وتعالى بصفات النقص و ينفي عنه صفات الكمال ، وذكرنا أيضاً أن الشرك الأكبر في الربوبية أن يعتقد أن الله ندأ في ربوبيته ، هذا الكلام مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ( أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك ) أن يجعل لله نداً في أسمائه وصفاته إما أن يصف المخلوق بصفة الخالق فهذه ندية وهذه اعتقاد أنداد ، وأن يصف الخالق بصفة المخلوق أن يصف الخالق بصفات النقص أن جعل الملخوفين أنداداً لأنهم بذلك يساؤون الرب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

الشرك الأكبر في الربوبية أن يعتقد أن الله ندأ في ربوبيته في الخلق أو الرزق أو التدبير أو في الملك أو في التشريع خالقاً أو مالكا أو مشرعاً ، يعتقد أن غير الله يخلق أو يرزق أو يدبر الأمر يملك الضر والنفع أو يعتقد أن غير الله يملك ذرة فما فوقها من هذا الكون أو يعتقد أن لغير الله له أن يأمر وينهى ويسود أمره على الخلق وهو تشريعه عليهم دون أمر الله عز وجل أو مع أمره عز وجل كذلك في الشرك الأكبر في الإلهية أن يعتقد أن مع الله عز وجل إلهاً آخر يستحق أن يعبد أو أن يعبد بالفعل إلهاً غير الله إذاً يمكن أن يكون عن اعتقاد كمن يصوب آلهة الكفار الذين يعبدون غير الله وإن لم يصرف هو لهم شيئاً من العبادة ، كثير من الناس في زماننا مثلاً عندما يحكي أحوال الفراغة يفتخر بشركهم وكفرهم وكذا الأوروبيون الآن يفتخرون باليونان والرومان وألهتهم حتى يجعلون أسماء ألهتهم مما يتفاخرون به ويجلون على الثياب والمباني وغير ذلك معتقدين صحة ما فعلوه وكثير من الناس يصور فعلهم ويجوز هذه الأفعال فيكون قد نقض لا إله إلا الله والعباد بالله ، والخواء العقدي عند الأوروبيين والأمريكان وسائر شعوب الأرض إلا أهل الإسلام الخواء العقدي يتبع لهم التعبد إلى هذه الآلهة أو تصحيح عبادتها واعتقاد أنها آلهة حتى وإن لم يصرف لها العبادات والعباد بالله من ذلك

فمن اعتقد مع الله عز وجل إلهاً آخر فهو مشرك ومن عبد مع الله إلهاً آخر حتى يعني طالما أنه صرف لهم العبادة حتى ولو لم يسمه إلهاً فهو مشرك أيضاً طالما صرف له العبادة من حب وذل وخضوع متقرباً إليه بذلك فهذا والعباد بالله من الشرك الأكبر فالشرك الأكبر هو صرف العبادة لغير الله أو اعتقاد أن مع الله عز وجل إلهاً يستحق أن يعبد سواء صرف له العبادة أو لم يصرف هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يصرفه الله إلا بالتوبة منه

فالشرك الأكبر ليس كما يظن البعض أنه متعلق بالإلوهية فقط بل الشرك بالأسماء والصفات والشرك في الإلوهية وكذا الشرك في الربوبية ، لا يغفره الله إلا بالتوبة منه لمن بلغته دعوة الرسل لمن بلغته كلمة التوحيد لا إله إلا الله سواء بلغته عن طريق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة الإسلام أو رسالة من قبله من الرسل فكل رسول جاء بهذه الكلمة والوصية الأولى عندهم جميعاً توحيد الله سبحانه وتعالى مع عبادته وحبه فإذا بلغ إنسان دعوة أي نبي من الأنبياء في رسول من الرسل لزمه ذلك حتى ولو كان رسولاً إلى غيره من الأمم ولم يرسل إليه خاصة لكن بلغته دعوته فقد قامت عليه الحجة وإنما يحتاج يوم القيامة من يقول رب ما آتاني لك من رسول ، أي رسول ، ولذلك كان يوسف عليه السلام قد قامت به الحجة على أهل مصر مع أنه لم يلزمهم بشرية يعقوب التي كان عليها هو وأخوته وذلك أن لازم لهم كان توحيد الله ولذلك قال مؤمن آل فرعون { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ } { غافر ٣٤ } وأيضا لزمته دعوة نوح عليه السلام كل أهل الأرض حتى أنهم أغرقوا وأهلكوا جميعاً رغم أنه رسول إلى قومه خاصة لأن دعوة التوحيد وكلمة لا إله إلا الله دعوة الرسل جميعاً من بلغته قامت عليه الحجة ولذا كان أهل الفترة الذين بلغتهم دعوة الأنبياء السابقين كموسى وعيسى وإبراهيم عليه السلام من مشركي العرب من قريش وغيرهم كانوا معذبين لأنهم بلغتهم دعوة الأنبياء مع كونهم لم يرسل لهم رسول خاص بهم ولهذا قد ذمهم الله عز وجل مع كونه قد ذكر أنه ما أنذر آبائهم وما آتاهم من قبلك من نذير أي خاص بهم ومع ذلك فكانوا على الشرك وذمهم النبي صلى الله عليه وسلم وسفه هذه العقول السفية التي عبدت غير الله ومدح من كان موحداً منهم على أي ملة كان سواء على ملة إبراهيم كزيد ابن عمر ابن نفيل أو على ملة عيسى كورقة بن نوفل أو من كان على ملة كانت كمن كان من اليهود موحداً وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء ( أن الله نظر إلى أهل الأرض ومقتهم عريمهم وعجمهم إلا غير من أهل الكتاب ) إلا بقايا من أهل الكتاب فمن بلغته دعوة الرسل وأشرك بالله الشرك في الأسماء والصفات أو في الربوبية أو في الإلوهية الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، الشرك الأكبر في توحيد الإلوهية هو صرف العبادة لغير الله سواء كان هذا الغير ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلأً أو ولياً صالحاً فضلاً عن ما دون ذلك من أشجار وأحجار والقبور ولو على سبيل التوسل إلى الله عز وجل بعبادته فالكفار كانوا يقولون عن آلهتهم { مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } { الزمر ٣ } فليس الأمر متعلقاً في قضية الشرك في توحيد الإلوهية بمن هو المعبود لذلك كان عامة أهل الأرض يعبدون إما الملائكة وإما الأنبياء وإما الصالحين وليسوا على أنهم مماثلون لله سبحانه وتعالى من كل وجه بل هم من أجل أن يقرّبوا العابدين إلى الله سبحانه وتعالى ، فالنصارى عبدوا المسيح ويهود عبدوا عزيراً والعرب عبدوا الملائكة وسموهم بنات الله كما قال الله عز وجل { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ } { الزخرف ١٩ } وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ { الزخرف ٢٠ } وأن هذا تصريح بأنهم كانوا يعبدون الملائكة وسموا أصنامهم أسماء مؤنثة على أنها ترمز لتلك الملائكة فكثير ممن يعبد الصالحين ويعبد القبور يقولوا إذا عورض في ذلك ونهي عن الشرك في هؤلاء المقبورين يقولون تأتون بالأدلة التي وردت في عباد الأوثان ومن يعبد الأصنام وتعملونها في من يتوسل بالصالحين وبالحسين والدسوقي والبدوي وأولياء الله الصالحين ؟ أتسون بينهم ؟ نقول لا فرق بين أن يعبد نبي أو ملك أو صالح أو حجر أو شجر الكل في ذلك سواء لأنه لا إله إلا الله فمن جعل مع الله عز وجل إلهاً آخر ولو نبياً من الأنبياء ولو ملكاً فهو مشرك قال سبحانه وتعالى { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } آل عمران ٧٩ فجعل عبيدوني وجعل اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كل ذلك من الكفر بعد الإسلام ولو على سبيل التوسل إلى الله وكما ذكرنا أن عقيدة المشركين أنهم يعبدون هذه الأوثان التي ترمز للملائكة لتقرّبهم إلى الله زلفى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس ١٨ فهو على سبيل الشفاعة ومع ذلك سماهم الله مشركين الفرق الوحيد بينهم وبين من يشرك بعبادة الصالحين ممن ينتسب إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء كانوا يسمون ما يفعلونه عبادة يقولون الأمر على حقيقته يصرحون بأنهم اتخذوهم آلهة وأما من ينتسب إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا يستطيع أن يجحد كلمة التوحيد لا إله إلا الله ولا يستطيع أن يصرح بعبادة غير الله لأن ذلك لا يروج على المسلمين فكان يصرف العبادة لغير الله ويسمونها بغير اسمها ويجعلهم آلهة وأرباباً ويسمي ذلك توسلاً هو توسل شركي يوصلهم إلى النار والعباد بالله ،

فالتسمية ، هذا الفرق أن هذا يناقض كلمة التوحيد هذا الفرق له أثر في الحكم من هذه الجهة فقط ، لكنه إذا كان لا يدري أنها تناقض كلمة التوحيد ويظن نفسه موحداً فنطاق عليه الحجة ويبين له الأمر فإذا أصر بعد ذلك فهو مشرك بعينه كما بينا هذا الأمر من قبل ، أما أن الفعل نفسه طالما صرف العبادة بغير الله حتى ولو سماها بغير اسمها كما كان النصارى يشركون العبادات بأحبارهم ورجالهم وما سموها عبادة بل قال عدي إنا لسنا نعبدكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم يجرموا الحلال ويحللوا الحرام فاتبعتموهم ؟ قال أجل ، قال فتلك عبادتهم ، فهي عبادة سموها كذلك أو لم يسموها ولكن العبرة كما ذكرنا أنه يجهل أن هذه عبادة ولم يرد بالعبادة هذا فيمن كان جاهلاً يقول لن نعبد الصالحين وفي نفس الوقت لا يقصد بذلك عبادتهم تبين له الأمر إن أصر بعد البيان على صرف العبادات من الركوع والسجود والدعاء والإستغاثة والذبح والنذر والحلف بهم معظماً لهم كتعظيم الله وغير ذلك من العبادة ، إن أصر بعد البيان على اعتقاده أو فعله فهو مشرك شرك أكبر نعوذ بالله من ذلك ،

قول من قال من أهل العلم أنه لا فرق مطلقاً بين عباد القبور وبين مشركي العرب من عبدة الأوثان حتى يقول أنهم بلغتهم الحجة بـ لا إله إلا الله كلام فيه نظر والله أعلى وأعلم لأنه إذا كان مقراً في باطنه بلا إله إلا الله ولم يرد عبادة غير الله ولم يسمها آلهة فهذا لا بد فيه من إقامة الحجة لأنه تصور الجهل بذلك أن هذا الفعل عبادة وأن ما يفعله من ذبح

ونذر وطواف بالقبور وتوسل عبادة فإذا بين له الأمر صار مصراً على عبادة غير الله وصار بذلك مشركاً نعوذ بالله من ذلك ، أما قبل ذلك ففعله شرك ولكن لا يوصف هو به حتى يبين له الأمر ،

معلوم أن أول شرك وقع على ظهر الأرض كان بسبب الغلو في الصالحين وهو الذي وقع فيه قوم نوح عليه السلام كما قال الله عز وجل عنهم { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } نوح ٢٣ قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً سموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم أو ونسخ العلم أي زال العلم رفع العلم هذا يدلنا على أن الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الشرك الأكبر والعياذ بالله ،

وكان ذلك بدايته بدعة عملية ، كان بدايته بدعة اتخاذ التماثيل التذكارية تذكروهم بعبادة هؤلاء الصالحين ، كانت بدايته الغلو غير الشرعي كما صرح وقال فلم تعبد ، إذا لم تكن تعبد أول الأمر غلو فيها وفعلوا مالا يجوز من اتخاذ الأصنام والتماثيل والأنصاب في مجالس الصالحين تبركاً وتذكيراً ونحو ذلك من أنواع الغلو إلى أن وصل الأمر مع نقصان العلم تدريجياً إلى أن عبدت من دون الله وصرحوا بأنها آلهة { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ } والمعلوم أيضاً أن اليهود يعبدون عزيزاً ويسمونه ابن الله والنصارى يعبدون المسيح ويسمونه ابن الله وأن المشركين يسمون أوثانهم بأسماء مشتقة من أسماء الله الات والعزى ومناة على أنها ترمز للملائكة التي اعتقدوا أنها بنات لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فعبدها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ } النجم ١٩ اشتق اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ، قال تعالى { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ } هذا يوضح تمام عقدية المشركين في اللات والعزى ومناة وهي كبرى أوثانهم أنها لله بنات . وضعوا الناء المربوطة في اسم الله فصارتا للات والمنان سموها مناة والعزى من العزيز قال تعالى { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ } لكم الذكور أنتم تحبون أن يولد لكم الذكور وتختارون الذكور لكمال الذكر وتنسبون إلى الله أنقص النوعين تلك إذا قسمة ضيزى ، جائزة إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أسماء لا حقيقة لإيلاهيته وربوبيته لا تستحق شيئاً ما أنزل الله بها من سلطان ما أنزل الله بها من حجة ما شرع الله أن يتوسل بها إليه ما شرع الله أن تصرف العبادات لها لتقرب إلى الله زلفى ما جعل الله عز وجل لها شفاعاً من أجلها يعبدونها لتشفع لهم عند الله ، قال عز وجل { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } النجم ٢٣ فهم في باب التصورات يبنون على الأنفس بلا دليل يبنون على الإرادات يبنون على اتباع الأهواء والعياذ بالله فهذا سبب فساد القوة العلمية المبصرة وهذا سبب فساد القوة الإرادية المحركة فساد العلم والعمل وحصول الضلال والغي ، { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ } والظنون خدعيات خرافات يجعلونها عقائد والله لو يتأمل الإنسان عقائد أهل الأرض يتعجب من كيفية أخذ الناس هذه الأمور بلا تفكر وهم يجعلونها عقائد يعتقدونها يموتون من أجلها ولا يدرون شيئاً ولا يفكرون ولو أمروا أن يفكروا لحظاتهم لوجدوا سبيلاً أن يوجدوا دليلاً على ما يقولون

ونعمة عظيمة قبل أن آتي إليكم كنت أتحذّر مع بعض من يريد الدخول في الإسلام من من لا ملة لهم فكل الإسئلة حول خلقنا وخلق السماوات والأرض يعني لا يدينون بدين كان المجالس كان لا يدين بدين فالعجب أن هذه الأمور لا تفكير فيها بالمرّة ملايين من البشر الصينيين يبلغون أكثر من مليار إنسان لا يفكرون في ذلك لحظة واحدة ، يساقون سوق البهائم والأنعام يفرض عليهم أن يفكروا فقط في الدرهم والدينار والشهوات أما من أتى بنا من خلقنا هل تقبل أن هذه الأشياء صنعت نفسها هل تقبل أن يكون العالم كله منتظم مستقيماً والإنسان أعلى شيء فيه لا هدف له لا غاية من وجوده ، الكلام مقنع لكن مازال هناك كما قال الله تعالى { وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ } النمل ٤٣ أنهم من قوم نشأوا على ذلك فنعمة من الله عظمة لا يقدر قدرها أن الإنسان يرشد إلى التفكير العقلي السليم ويرشد من خلال أدلة القرآن والسنة قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، إن كان هناك أن توقن بشيء فلتنظر إلى السماوات ، العجب أنها الظنون ، الظنون تصبح عقائد تصبح يعني أدلة وبنات مع أنها أبين ما يكون أنها باطلة ، عبادة الأوثان في العالم مازالت منتشرة مازالت أكثر أهل الأرض يعبدون الأوثان إلى يومنا هذا ، وسبحان الله الصينيين كما قلنا لم يكن لهم ملة فيهم الشيوعيين بالمريلات والهند وحدها تجاوز القريب من المليار أيضاً قرب مليار إنسان يعبدون البقر مع الديانات الأخرى واليهود والنصارى يعني على ما علمتم ، السبب هوى النفوس والمرض في داخل النفس الإنسانية أنها شهوات يخاف أن فرغ منه ، يترك هذه الشهوات لله ، قال عز وجل { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } تجد تكرار هذا المعنى من أول السورة إلى آخرها ، الله عز وجل نزه رسوله صلى الله عليه وسلم عن الوصفين الذين اتصفا بهما أهل الشرك ، قال عز وجل { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ } النجم ٢

الضلال هذا الذي هو اتباع الظنون ، { وَمَا غَوَى } اتباع الهوى الإرادة الفاسدة فساد التصور وفساد القوة العملية المحركة ، الكفار جميعهم يجمعون بين الأمرين لذلك تجد أهل البدع عندهم من فساد التصور بسبب اتباع الهوى ولذا تجد العلماء يسموهم أهل الأهواء ، لماذا يسموهم أهل الأهواء ؟ لأن الذي دفعهم إلى ذلك طمس البصيرة ، الذي دفعه أن يقول الباطل والاعتقادات السخيفة والمضلة التي لا يقبلها عقل سليم لم يدفعهم ذلك إلا الهوى والعياذ بالله اتباع الأهواء سبب العقائد الفاسدة والتصورات الفاسدة والضلال والعياذ بالله ،

السؤال الذي أجبنا عليه يوم الجمعة ، من واحد شيعي بعث أنه سمعه يقول بعد أيام ميلاد المسيح عند النصارى الذي يتشرف أن يكون عبداً لعلي ابن أبي طالب ، نعوذ بالله من الكفر ، الإنسان هذا ما قرأ القرآن قط وبعد ذلك يجعل المسيح يتشرف أن يكون عبداً لعلي ، الأنبياء يكونون عبيداً لمن هم دونهم ؟ وأين عبودية الله عز وجل ، اليهود والنصارى خير اعتقاداً لأنهم يعتقدون أن المسيح قال للشيطان الله إلهك تسجد وإليه وحده تعبد ، وهذا موجود في التوراة ، للرب إلهك تسجد وإليه وحده تعبد ، إذاً بعد ذلك يعبدونهم لغير الله فضلاً عن الخدعيات الأخرى ، اللهم لك الحمد ،

قال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } النجم ٢٣ قامت عليهم الحجة وثبت عليهم الشرك حتى ولو كان المعبود الملائكة أو كان المعبود أولياء أو صالحين ، قال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَكَّى (٢٤) فَلَلِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } أيه الملك الله عز وجل لأنه إذا كانت له الآخرة والأولى ليست للملائكة وليست للأوثان وليست للأنبياء فكيف تصرف العبادة لغيره فله الآخرة والأولى { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦) }

{ النجم ٢٦ وهو عز وجل لا يرضى أن يشفع في مشرك بلغته الحجاج أقصى ما يمكن أن يخفف من عذابه إذا كان قد أدى شيئاً من نفع دينوي لبعض أهل الإيمان قال تعالى { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧) وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } النجم ٢٦ سورة النجم توضح لنا عقيدة المشركين وتبين أنهم عبدوا الأوثان على أنها رؤوس للملائكة البنات الإناث الذي اتخذهم الله بناتاً على عقيدتهم ، هذا يدلنا على أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة وكذلك النصارى يعبدون روح القدس يقولون عنه هو الله يقولون هو أحدنا لأقائيم الثلاثة المعبودة ، لأنهم يقولون أن الثلاثة شيء واحد وهو الله أما في هذه الأمة فقد ظهر صرف العبادة للأولياء طبعاً هناك من صرح بعبادة الأنبياء والأولياء وهو من يقول أنه يعبد هؤلاء أو من يقول أنهم هم الله كالعلويين والدروز والباطنية عموماً ، الفرق الباطنية التي تعتقد نفى الصفات بالكلية بل نفى التقيد ، بل جعلوا صفات الرب تقوم للقائم في الزمان أو من دونه فالعلويين الطائفة النصيرية الذين يعتقدون أن علياً هو الله والعياذ بالله والدروز الذين يعتقدون أن الحاكم بأمر الله هو الله والباطنية عموماً يؤلهون القائم ، يؤلهون إمام الوقت والإسماعيلية والبهرة وغيرهم وهم أقرب شيء إلى الرفض وإن كان يعني يتميزون عنهم بالتصريح بالوهمية غير الله وكذا الحلولية والاتحادية يصرحون بعبادة غير الله حين قالوا أن الكون كله والمخلوقات كلها هي الله فعابد الوثن وعابد الصليب وعابد الرحمن سبحانه وتعالى عندهم سواء يعبدون شيئاً واحداً ما عبد في الحقيقة إلا الرب سبحانه وتعالى لأنه عندهم عين العابد وعين المعبود وكل هؤلاء كما ذكرنا من قبل فرق خرجت عن ملة الإسلام نوعاً وعيناً لأنهم صرحوا بعبادة غير الله لكن الخطر فيمن يصرفون العبادات للأولياء والأنبياء ولا يسمون ذلك عبادة ولا يصرحون بأنهم آلهة فبذلك أنطلى الأمر على الكثير ممن ينتسب إلى الإسلام ووقعوا في ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله ، نحن ننبه على أن صرف العبادة للأولياء والملائكة والأنبياء هو شرك بالله حتى ولو صاحبه لا يسميه كذلك لأنه انتشر وكثر من يصرف لهم العبادة من دون الله فضلاً عما دون ذلك من الأشجار والأحجار والقبور على سبيل التوسل لأن كثير من الناس لا يعبد هذه الأشياء ابتداءً ولكن ليقربهم إلى الله على سبيل الوساطة كما قال سبحانه وتعالى عنهم { مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر ٣ وقال { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس ١٨ إذاً لا فرق بين كونه قاصداً لعبادة هؤلاء ابتداءً أو عبدتهم على سبيل التوسل على عبادة الله أو التقرب إلى الله طالما صرف العبادة لغير الله وعبد غير الله عز وجل لكن لا شك أن هناك فرقاً بين المشركين الأوائل وبين من وقع في الشرك من هذه الأمة وهو أن الأوائل الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحارهم كانوا يصرحون أنهم يعبدون غير الله كما قال الله عز وجل عنهم ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى كانوا يسمونها آلهة معبودة أما من وقع في الشرك من هذه الأمة فكثير منهم لا يعتقد أنهم آلهة قلنا الذي اعتقد أنهم آلهة خرج أصلاً لأنه نقد كلمة لا إله إلا الله صراحة فليس معدوداً في فرق الأمة وليس محتاجاً إلى إقامة حجة لأن لا إله إلا الله انتشرت ووصلت وبقولها ويصرح بها وفي نفس الوقت يصرح بالوهمية غير الله فهو ناقد لها ، نقول الذي وقع في الشرك من هذه الأمة لا يعتقدون أنهم آلهة ولا يرى أنه يعبدهم وإن كان في الحقيقة يعبدهم ، كما قال عدي ابن حاتم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطح عنك هذا الوثن ، لو قلت لهم عابدوا أوثان قالوا لا نحن لا نعبد الأوثان ، والرسول صلى الله عليه وسلم سماه ماذا ؟ سماه وثن ، الصليب وثن ومن علقه فقد علق وثن ومن تعلق به فقد تعلق بوثن ( قال فطرحته ، رميته ، وسمعت يقرأ في سورة براءة { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَنُبِيَائَهُمْ آُرْبَاءًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } التوبة ٣١ قلت يا رسول الله إنا لسنا نعبدكم فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله الله فتحلونه ؟ قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم ، ) نقول وذلك لأن من صرف العبادة لغير الله حتى ولو لم يسميها عبادة فقد عبد غير الله ، هناك فرق بين من لم يقصد العبادة ولم يكن يعلم أنها عبادة ،

أذاً هناك شرطان ،

لم يقصد العبادة ولم يعلم أنها عبادة

فهذا لابد من إقامة الحجة عليه أما من صرح بأنه يعبد غير الله فالحجة قائمة عليه بكلمة لا إله إلا الله إذا بلغته عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لذلك لو قال إنسان أنه يعبد الأوثان على قبور الصالحين هذا نقد أصل التوحيد صراحة لا يحتاج إلى إقامة الحجة ، الحجة قد قامت أما من قال أنا لا أعبدكم وإن كان قد دعاهم واستغاث بهم وطلب المدد منهم فهذا نذكر له الآيات والأحاديث الدالة على أن دعاء غير الله عبادة لهذا الغير فإذا أصر على ذلك فهو كافر خارج من الملة ، وظاهر الشرك في الإلوهية هو صرف أنواع العبادات يعني التي هي شرك والتي تقع من الكثيرين سواء سموها عبادة أو لم يسموها ، نبينها ونبين أدلتها لكي تبين للناس ويدعوا إليها إلى هذه الأدلة من الآيات الواضحة والأحاديث الواضحة الصحيحة الصريحة حتى يحذر من الشرك

الأول الدعاء

دعاء غير الله عز وجل من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات وهو مصر عليه بعد بلوغ الحجة الدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الأموات والغائبين قال الله تعالى { ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين } وكل من دون الله عز وجل ينطبق عليه هذا الوصف لا يستجيب له إلى يوم القيامة لا يقدر عليه ، بشر مخلوقون لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهما من شرك وما له منهم من ظهير ،



له عز وجل الآخرة والأولى ، الملائكة قوتهم أعظم من قوة البشر ومن عبدتهم واعتقد لهم صفات الرب كان مشركاً جبريل عليه السلام قوى كما قال عز وجل { علمه شديد القوى } وهو أمين وله الصفات التي هي أعظم من صفات البشر ومع ذلك من عبده كان مشركاً فكما ذكرنا أن هذه الأوصاف تنطبق على كل أحد وهو أضل الخلق من يدعو من دون الله أضل الخلق ، { ومن أضل ممن يدعو من دون الله } الاستفهام هنا للنفي أضل الخلق الذي يدعو غير الله ليس هناك أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، والآية عامة إذ ليس هناك أحد من دون الله يستجيب لداعيه ، قال عز وجل { وهم عن دعائهم غافلون } لأنهم أموات وغائبون وهم غير حاضرين ، حتى ولو كانوا ملائكة ؟ حتى لو كانوا الصالحين الأموات ؟ حتى لو كان عند قبورهم ؟ حتى لو قلنا بسماع الأموات ، فإن الله عز وجل يقول وهم عن دعاء من دعاهم غافلين الكل كذلك ،

قضية سماع الأموات رغم أنها قضية في أصلها خلافية ولكن ارتبطت عند عباد القبور بصرف العبادة لهم لأنهم قالوا هذه فيمن يسمع ولا يستجيب وهم اعتقدوا فيهم السمع واعتقدوا فيهم الإجابة ، لا يسمعون الدعاء حتى ولو سمعوا غير ذلك ، يمكن أن يسمعوا السلام كما ثبت أننا نسلم على الأموات من أهل الديار من المسلمين وثبت أننا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنه حي حياة برزخية في قبره أكمل بلا شك من حياة الشهداء لأن الأنبياء أعلى قدراً من الشهداء ولكن لا يسمعون الدعاء لا يسمعون من دعاهم من دون الله لأن الآية كما ذكرنا عامة ، وكلهم عن دعاء من دعاهم غافلين ، قال عز وجل { وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين } هذا نص في أن الدعاء هو العبادة لأنه قال { ومن أضل ممن يدعو } وقال { وكانوا بعبادتهم } إذاً الدعاء هو العبادة ، هذا من أوضح الأدلة ، الدعاء عبادة وهذا نص واضح لا يحتمل تحريفاً ولا تحويلاً في أن الدعاء عبادة الدعاء هو الطلب على الغيب ، لا يسمى دعاء لمن سأل على الحضور لو قلت له أعطني عشر جنيهاً ، فأنا أخاطبك وأنت حاضر ، لكن لو قال إنسان لآخر بغير وسائل يمكن أن يصل صوته بما أعطني أرزقي افعل بي كذا ما لا يحصل إلا بسمع محيط وقدرة محيطه فهذا شرك في الربوبية وشرك في الإلهية لأنه دعاء من دون الله ، فهذا النص واضح لا يحتمل تحريفاً ولا تحويلاً في أن الدعاء هو العبادة وأنهم إذا دعوا غير الله فقد عبدوا غير الله ،

النعمان ابن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( الدعاء هو العبادة ) ثم قرأ وقال ريكتم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ، { } وهنا صرح أن الدعاء هو العبادة أيضاً ، في الآية والحديث ، قال تعالى ولا تدعوا من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم { بين عز وجل وجوب توحيد الإلهية في الدعاء وغيره من أنواع العبادات وبين دليله من توحيد الربوبية لأن أكثر أو كل من يدعو أحد من دون الله فإنه لا بد وأن يعتقد فيه الضر والنفع فقال سبحانه وتعالى { ولا تدعوا من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك } ، إذاً الدليل على أنه لا يدعى أنه لا ينفع هذا الخطاب لمن ؟ لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، لماذا وهو المنزه المعصوم عن الشرك ؟ ليبين أن أفضل الناس لو فعله لكان من الظالمين ، الظلم الأكبر لكان مشركاً ، لحبط عمله ، { ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك أن أشرك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } لذلك هذه الآية من أوضح الآيات دلالة على وجوب دعاء الله وحده وحرمة دعاء غيره وأن من دعا غير الله فهو من المشركين الظالمين لأنفسهم وعمله باطل لأنه عبد مالا يضره ولا ينفع نقول فلو اعتقد إنسان أن هذا الشيء لا ينفعه ولا يضره كيف يدعو من دون الله كيف يطلب منه قضاء الحاجات وكشف الكريات ودفع المضار وجلب المنافع وإن اعتقد فيه النفع والضر وهذه هي الحقيقة أنه يعتقد ذلك ولو على سبيل الوساطة ولو على سبيل أنه مملوك الله شفيق عنده كما يقولون " لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريك هو لك ملكته وما ملك " ومع ذلك لا ينفعهم لأن يعتقد فيه نفع الضر ودعاهم من دون الله فهذا أعظم الشرك في الربوبية وفي الإلهية قال عز وجل { فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين } هذا فيه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفعل هذا ولكن خوطب به عليه الصلاة والسلام لكي يتبين بهذا أن أصلح الصالحين وأفضل الخلق لو فعل هذا لكان من الظالمين ولكان مشركاً ، كما قال عز وجل { لقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك أن أشرك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } أي فكيف من دونه إذاً فكان هذا في أكمل الخلق فكيف في من لم يكن له هذه الكمالات ، فلا يصح أن يقال فلان الرجل العالم الصالح يفعل ذلك ، أو هناك من المشايخ يفعلون ذلك ، فإن الآية ذكرت أنه لو فعله نبي من الأنبياء بل خاتم الأنبياء لكان من الظالمين ، يعني أنت تنهى الناس وعبادة غير الله ودعاء غير الله ، يقولون الشيخ الفلاني كان يفعل ذلك ، الشيخ فلان نحن نراه في المولد ، نراه عند الحسين ونراه عن البدوي والمفتي الفلاني والعالم الفلاني أفتى بأن هذا مما يجوز وأن هذا ليس بشرك والطريقة الفلانية تقول بجواز من يقول أرزقي يا سيدي فلان على سبيل الوساطة ، ارحمني واشفي ابني يا سيدي فلان ، على سبيل الشفاعة ونحو ذلك ، لو أن الرسول صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لكان من الظالمين لو دعا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه فإذا كان الأمر كذلك ، فالحجة هو كلام الله عز وجل لا يجوز لأحد بعد أن تبين له الحجة من كلام الله أن يقول الشيخ الفلاني يقول كذا فإن الله عز وجل للنبي { فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين } وهو أفضل الخلق لو فعل ذلك لكان من الظالمين ، فلا يحتج على كلام الله تعالى إلا الظالمون الذين لا يصدقون كلام الله فلا يقع هذا من مسلم بعد أن بين له ، لهذا فمن أراد أن يتعلق بدعاء الله وحده فليستحضر هذا المعنى من توحيد الربوبية وهو أن الله وحده هو الضار النافع ، البشر لا يملكون لكن شيئاً الملائكة لا يملكون لك شيئاً الخلق جميعاً لا يملكون لك شيئاً ، الله وحده النافع الضار الله وحده الذي يمس الضر لمن أراد وهو الذي يكشف الضر عن من أراد ، والله عز وجل هو الذي يمس ويريد الخير لمن أراد ولا يمنع فضله سبحانه أحد { وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، { معاني تكررت في القرآن العظيم مرات عديدة ، قال تعالى في سورة الأنعام { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عبادة وهو الحكيم الخبير } وفي سورة يونس { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عبادة وهو الغفور الرحيم } وقال في سورة فاطر { ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قنطير { القنطير : الغلافة الرقيقة القشرة التي على نواه التمرة ، قال تعالى { إن تدعوه لا يسمعون دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير } هذا أيضاً نص قاطع بأن دعاء غير الله شرك لأنه قال يكفرون بشرككم فسمى ذلك شركاً ، هم يقولون هم لم يسمعوا لأنهم أحجار بل فكروهم بحقيقة الأوثان عند المشركين أنهم يعبدونهم على أنهم ملائكة على أن الملائكة لها قوة سمع عظيمة ولها قوة عظيمة وهي تنفذ أمر الله عز وجل ، فلو قالوا لك الأوثان لا تسمع أما الأنبياء والصالحون يسمعون ، قل لهم عبدوا الأوثان على أنهم الملائكة حقيقة العبادة أن اللات والعزى ومناه إنما هي



الملائكة وعبدوهم على ذلك ومع ذلك نفى الله أنها تسمع دعاء هؤلاء ، وأنهم يكفرون بهم وبشركهم وأنهم يوم القيامة يتبرأون منهم كما قال سبحانه وتعالى { ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون } قد يقول قائل إذا فما هو الدعاء ، هل يمنع أن يسأل الإنسان غيره ، أليس الأموات حاضرين بدليل قوله تعالى { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } نقول ليست الآية هي وجه الدلالة على أن الأموات يعاملون كالحاضرين إنما المعنى أن أولياء الله عند الله آمنون وفي نعيم وفي حياة برزخية لكن هل معنى أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أنهم حاضرون في القبور أو أنهم يسمعون من دعاهم حتى لو قلنا أنهم حضروا ليسمعوا السلام هل يسمعون الدعاء والطلبات وكشف الكريات ؟ أي دلالة في الآية غير صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم حاضر في قبره يسمع من دعاه ويجيب دعاه ، إنما يسمع من يلقي عليه السلام ، يسمع ما شرع يسمع ما شرع لنا أن نخاطبه به ، إنما يسمع من يسلم ويرد عليه السلام لأن هذا الذي ورد به الدليل هذا الحضور لو سلمنا به فهو حضور مع الموت يعني لازم تقول أنه قد مات ، ولذلك هذه قضية خطيرة جداً أن يقولوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت لأهم يمهّدوا لهذه القضايا قضية حضور الأموات قضية مشافهة الأموات في الحياة ، يقولون لم يزل الصالحون يشافهون النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، ويسألون يا رسول الله هل قلت هذا الحديث أم لا ، فيعرفون صحته ويسألونه هل قلت هذا الأمر وهذا الحكم وهذه الفتية صحيحة أم لا ، خرافات وخدعيات والعياذ بالله وهل تكون مهم في ماذا ؟ في الموالد ، في مولد البدوي في مولد الدسوقي ، يقابلون الخضر ، طبعاً الخضر هذا عندهم شيء أساسي وإلياس ، ويصححون ذلك ، ويصححون الحديث ، لا تتبع البخاري ومسلم وأنه يبحث عن السند واحد واحد ويبحث عن يحيى ابن معين ماذا قال واحد ابن حنبل ماذا قال ، ويبحث عن اتصال السند وأن يكون متصلاً إلا منتهاه بغير شهود ولا عليه ولا يبحث عن العدالة والضبط ، لا لا هو سهل جداً ، البخاري يستريح ولماذا يتعب ، أنتم سندكم ميت عن ميت أما هو حي عن حي مباشرة يشافه الرسول ويسأله ، العجب أن هذا يعني يصدر من أنس يتصدرون بأعلى مراتب العلم عند الناس ونسأل الله العافية

ويقال أنه هذا هو العلم ومن يخالف ذلك يكون جاهلاً ، ولما يفشلوا يصعبوا على الناس الأمر في الأصول ، ويخرجوا لهم صعوبات الكلام ثم يقولوا انت لست بفاهم ، ثم يقول أنت ما تفهم شيء في الأصول هذا استاذ في علم الأصول وانت لم تفهم في الأصول ، طيب أنا لست فاهم علم الأصول لكنني أفهم قول الله ولا تدعوا من دون الله ما لا يدعوا ولا يضرك ، ولكنني أفهم والذين تدعون من دونهم ما يملكون من قضمير ، وإن تدعوهم لا يسمعو دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم } أي أوضح من ذلك ، أنا لا أعرف تعريفات الأصول ولم يلزمي الله عز وجل بها لكن أنا علمت هذا الآيات آيات واضحة بيّنة جليلة يستوى في فهمها العالم والجاهل يستوى فيها العربي والعجمي توضح لأي واحد تفسرها له لعلته يفهمها مباشرة ، تذكر أنه لا يفقه علم المنطق ، يقول علم المنطق الحمد لله

فنقول لهم حتى لو أنهم حاضرون في القبور فهو حضور مع الموت لا بد أن تقرر أنه مات إنك ميت وإنهم ميتون } هي واضحة جداً عند الصوفية أن الرسول مات ولكن عند الصوفية لا عندهم أنه حي ليس بميت ، نقول حياة برزخية نقر بها وهذا لا نزاع فيه حياة برزخية حياة عند الله عز وجل ، وحضوره في قبره عندما يسلم عليه ، قال عز وجل إن تدعوهم لا يسمعو دعائكم لن يسمعو الدعاء ولو كانوا ملائكة ولو كانوا أولياء ولو كانوا صالحين ، إن قيل إن هذه الآية في عباد الأوثان ، نقول عباد الأوثان يعتقدون أنها صور للملائكة والملائكة قد تكون حاضرة كما نعتقد نحن الملائكة معنا حاضرون ، هل يجوز أن ندعو الملائكة ؟ نحن نوقن بأن الملائكة يكفرون بهذا الشرك أم لا ؟ نحن نوقن بأن الملائكة منهم الموكل بالمطر منهم الموكل بالنبات ومنهم الموكل بكتابة أعمال العباد هل نقول يا ملائكة الله افعلوا كذا ؟ والملاك { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } ، هل يجوز أن ندعوهم هل ورد في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أو في أحاديث أصحابه رضوان الله عليهم أنهم سألوا الملائكة ؟ هل دعوهم نعوذ بالله ، الملائكة قد تكون حاضرة لكن لا اعتبار بهذا الحضور ، لذلك واحد يقول الجن موجود أأدعوه من دون الله ؟ اطلب منه ؟ لا حتى لو كان موجود لا اعتبار لوجوده ، أولاً ممكن يكون الجن الذي يتكلم على لسان المصروع هذا ليس بجن ولا حاجة ممكن يكون مرض هستيري عند المريض ويكون أصلاً بالشخصية الأخرى يعبر بها عما في مكنون نفسه ولا يستطيع أن يعبر بها على الشخصية الظاهرة أمام الناس عنده دوافع خفية ، هو نفسه يقول الأشياء التي بداخله لكن لم يقدر فيقول بغير شعور منه أحياناً يحصل له هذا النوع من التقمص لشخصية أخرى ، بعض الناس يفتكر أن لو هو المصروع الذي يتكلم وحاوره وقال له أنا فلان يكون خلاص هذا قطع ويقين أنه جن بل لا يلزم ، نحن لا ننفي صرح الجن للأنس لكن ليس كل من ينطق بلسان أن ذلك يكون جنّاً ولذلك نقول لا اعتبار لهذا الوجود ، أنت لم تراه يحتمل أن يكون جن ولا اعتبار بهذا الحضور ويحتمل أن يكون مرضاً نفسانياً ، التفرقة بناءً على البحث الطبي والبحث العلمي والبحث بالأسباب والقرائن والأحوال ، مثل كيف يعرف الطبيب أن هذا مرض في الكبد أو في البنكرياس أو في المعدة ؟ بناءً على البحث وبناءً على الأحوال وتتبع ما يقع لهذا المريض فعلاً ، وليس كل ما نطق على لسانه يكون كذلك ، يمكن أن يختبره ويسأله لكن نقول أن دراسة الحالة من جميع جهاتها هي التي تنبئ عن وجود صرع أو عن وجود مرض نفسي ،

فنقول لا اعتبار بهذا الوجود ، لأن لا بد أن يكون المخاطب بالسؤال أن يكون حاضراً بالأسباب الظاهرة ، لماذا نقول الأسباب الظاهرة ؟ لأنه ممكن يكون في سبب ظاهر الآن لكن تتباعد المسافات تكلمه بالتليفون ، ممكن تقول لواحد في أمريكا أبعث لي ألف دولار ، أنت كلمته بالتليفون فهذا حضور من نوع ما ، واحد يغرق فيكتب رسالة استغاثة بالأجهزة الحديثة SOS أغثونا أغثوا أرواحنا فهذا الإرسال بأسباب ظاهرة يتوقع وجود أحد ، واحد وقع في بير فيعلي صوته ويقول يا من بالأعلى اغثوني على أمل أن أحد يسمع صوته ، أما لو جلس كذلك وقال يا بدوي انجدي يكون مشرك بالله ، التي تغرق ويعتوا أسباب الاستغاثة والصوفية الذين فيهم قالوا مدد يا بدوي أغثنا يا بدوي أغثنا يا دسوقي أغثنا يا رسول الله ، أغثنا نحن نغرق يا رسول الله ، لو أحد قال هذا يكون مشرك لأنه لا يوجد أسباب ظاهرة في هذا ولا يقول يا خدام سورة البقرة يا ملائكة الله أغثونا ، هذا مما لا يجوز ، لا بد أن يكون حاضراً بالأسباب الظاهرة نشاهده ونسمعه بخلاف أن نطلب من البعيد حياً كان أو ميتاً ، لو إنسان يغرق وله شيخ حي غائب وقال أغثني ياسيدي فلان ولوحي

أو أغثنى يافلان كان مشركاً بالله شركاً أكبر لأن الدعاء هو الطلب على الغيب والسؤال على الغيب ، بخلاف ما إذا كان المطلوب منه حاضراً لو إنسان يغرق وقال أدركوني أغثنى للحاضرين أو لمن يتوقع حضورهم بالأسباب الظاهرة هذا طلب مباح ، أما دعاء الجن والملائكة وأرواح الأنبياء الأولياء فهذا هو الشرك الذي أنزل الله فيه هذه الآيات لأن المشركين كانوا يعبدون الملائكة ويقولون أنها بنات الله فأنز الله بهم هذه الآيات ، الدعاء على الغيب والطلب من الغائب شرك سواء كان المدعو حياً أو ميتاً والأموات حتى لو كانوا أحياء عند الله في برزهم لا يسمعون إلا ماورد الدليل أنهم يسمعون ، يسمعون سلام من يسلم عليهم ويسمعون من يسأل الله لهم العافية يدعوا لهم ، والدليل صيغة الخطاب وقلنا من أين الأموات يسمعون ذلك ؟ صيغة الخطاب ، لأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا كيف تحدث أقواماً جيفوا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنتم بأسمع مما أقول منهم ، الصحابة لما وجدوا الرسول يخاطب قائلوا أنه يلزم منه السماع ، فالرسول أقرهم على ذلك فعلاً وأنهم يسمعون لكن لا يجيبون ، نحن نقر أن كل ما ورد بصيغة الخطاب للأموات يدل على أنهم يسمعون فذلك نقول السلام عليكم دار قوم مؤمنون نسأل الله لنا ولكم العافية وأما باقي ما يخاطب بهم الأموات ، كل شوي يقول أيعجبك ما يحدث لنا ، أرايت ما حدث لنا يابويا يا فلان من يوم ما انت تركتنا ونحن تعبانين ، مثل هذا الكلام لا يجوز لو دعاه في تفريع كرب صار شركاً ، لماذا قلنا أنه لا يجوز واعتقاد سماعه لأن ربنا قال { وما أنت بمسمع من في القبور } من أهل العلم من قال بسماع الأموات ولكن لا يجوز ولا يبيح دعاؤه من دون الله لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا الله وهؤلاء أموات لا يملكون ضرراً ولا نفعاً ، الأموات يسمعون سلام من يسلم عليهم ويسمعون من يسأل الله لهم العافية ويدعوا لهم وإذا تأملنا لدعاء الميت نجد أن الحي هو الذي يدعوا للميت ، لا يجوز أن تسأل الميت قضاء الحاجات ولا أن يدعى من دون الله والآيات في هذا كثير لان هذا هو الشرك الذي وقع فيه عباد الأوثان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لابد أن نفرق أن من دعاه من دون الله وبين من سألهم أن يدعوا الله له ، أما من سألهم الدعاء أمر آخر غير الذي يدعوه ، إن كان يعتقد لهم السمع المحيط والقدرة المحيطة هذا شرك في الأسماء والصفات أو الربوبية وأما من حضر إلى قبورهم وظن سماعهم حتى بما في ذلك طلب الدعاء منهم فهذا رغم كونه على باطل وبدعة إلا أنه لم يطلب منهم قضاء الحاجات لم يدعهم من دون الله لم يصرف لهم العبادة من دون الله ولذلك لم يكن مشركاً شرك أكبر ولكن أتى بما هو ذريعة للشرك الأكبر ويكون ذلك شرك أصغر ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

## ٢٣- تابع .. مظاهر الشرك الأكبر في الإلهية

تكلمنا في المرة السابقة عن مظاهر الشرك في الإلهية دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى ،

والاستغاثة دعاء مخصوص في شدة الكرب مطلب الغوث فكذا الاستعاذة طلب الحول والحماية من خطر وكلها أنواع من الأدعية الاستعاذة والاستغاثة أنواع من الأدعية ،

قد قال سبحانه وتعالى { وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً } العوذ طلب الحماية واللجوء إلى من يحميه ممن يخاف ضرره وشره لنا أن نقول إذا لمزنا منزلاً أن نقول نعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، الاستعاذة بكلمات الله وإنما كلمات الله ليست مخلوقة وإنما استعاذة بصفة من صفات الله كم يستعيذ بعزة الله وقدرته ، هذا بدلاً من الشرك الذي كان علي أهل الجاهلية ،

من مظاهر الشرك في الإلهية الذبح لغير الله ، قال الله تعالى { فصل لربك وانحر } إذا كانت الصلاة لغير الله شركاً فالنحر والذبح لغير الله هو أيضاً من الشرك ، نقول الذبح تعظيماً عبادة ، تعبدنا الله سبحانه وتعالى بما فقال الله { قل إن صلات ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } النسك هو الذبح على أحد الوجهين وعلى الوجه الثاني العبادة تشمل الذبح وقيل الوجهين في التفسير تصح به الدلالة على أن الذبح تكون لله وأن الذبح لغيره شرك لأنه قال عز وجل لا شريك له وكل العبادات يجب أن تصرف لله رب العالمين وإذا صرفت لغيره كان ذلك شركاً كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لعن الله من ذبح لغير الله ) ومن يذبح لغير الله معظماً لهذا الغير ، وهذا من أجل الام في هذا الغير هذا هو المقصود وهو التعظيم يذبح له تعظيماً ، يذبح له يريق الدم من أجل أن يتقرب إليه ، من ذبح لغير الله معظماً لهذا الغير فقد أصبح معظماً لهذا الغير شريكاً في نسكه اللام في لغير الله يعني متقرباً معظماً ، وإلا فقد يقول العبد أنا ذبحت للضيف ذبحت له عندما أتى بمعنى ذبحت إكراماً للضيف ذبحت من أجله يقصد ليكرم الضيف ويطعمه ، أما الذبح الذي هو شرك هو ماكان يقصد التقرب والتعظيم لغير الله لذا لابد أن نعتبر أم النية والقرائن تدل عليها بعض العلماء المتأخرين قالوا ما يذبح للسلطان عند قدومه هو مما أهل به لغير الله ، فتوى كثير من العلماء المذاهب المتأخرين عندما كان السلاطين يأتون إلى بعض البلاد فيذبحون قدامهم ذبائح بعضها يكون من أجل التعظيم فعلاً لأنه يذبح بين رجله مثلاً أمام يذبح على جهة التعظيم ، فهذا ينذر لأنه لو كان يقصد به الإطعام فإنه لا معنى لإراقة الدم بجواره لا معنى لإراقة الدم أمامه ويتلطف به وإنما يفعلون ذلك أمامه تعظيماً له فهذا الذي أفتى العلماء المتأخرون أنه مما أهل به لغير الله ، نقول والصحيح أنه ينذر لدلالة الحال هل يذبح لإراقة الدم أمام السلطان أم يذبح له لكي يكرمه ويطعمه فهذا الفرق مهماً جداً كما يقع في بعض مجالس الأعراب وكثير من القبائل فلا بد أن يذبحوا ولا يرضون أن يأكلونه لحم غير صابح أبداً ، يعني لحمه مخزنة مثلاً أو في الثلاجة أو غير ذلك لا يرضون بذلك يرون أن هذا من النقص في حقه أو يقدمون طعام بخلاف منزلهم مثلاً أو يقدموا طعام جاهز عندهم ذلك نقص ، إنما يذبحون له لمجرد جيمته المقصود بذلك إكرام الضيف شيء يذبح له وليس إنه يعظم

ويتقرب له فلا بد أن نتبين حتى لا يختلط الأمر فكثير من الناس إذا أتى له ضيف فلا بد أن يذبح له لو أتى بلحم آخر دون أن يذبح لكان تقصيراً في حق الضيف أما ما كان من باب التعظيم والتقرب بإراقة الدماء فهذه هي العبادة يعظم بأن يريق الدم من أحله فهذا الممنوع والملعون من فعله ،

الذبح الذي هو شرك ما كان بقصد التعظيم والتقرب لغير الله ، الذبح للقبور والذبح للجن لا يخرج عن العبادة بحال لأن القبر ماذا ينتفع صاحبه بالذبح ، نقول لابد من التفرقة في هذا المقام بين من يذبح ليأكل زوار المولد فهو يزري طعام للناس الذي أتوا للمولود نقول قد فعل منكراً وإطعام الناس الذين يأتون إلى المولد من باب التعاون على الإثم والعدوان لأن هذا المولد بدعة ضلالة وأن ما يفعل من الشراكات والمنكرات في هذه الأماكن لا يجوز التعاون على إقامتها ولكن من يذبح للولي نفسه من يذبح للقبر نفسه ينوي أن يتقرب بذلك للميت فهذا لا يخرج عن العبادة بحال لذلك لا يقال ذبح للبدوي إلا إذا كان قاصداً تعظيمه وهذا لا يخرج عن العبادة بحال بخلاف من يذبح ليطعم الناس ، إطعام الناس الذين أتوا وكثير من الناس يظن أن من يأتون المولد معظمهم فقراء فيأتي لهم بالطعام لأجل أن ينال ثواب الإطعام للفقراء وهذا كما ذكرنا لا يجوز من باب أنه التعاون على إقامة هذه الموالد وتحبيب الناس فيها ولذلك كان لا يجوز أن يذبح يوم عيد المشركين لأن الذبح يوم عيد المشركين ولو ذبح لله لكان فيه تعظيم ذلك العيد وفيه تحبيب الناس له والتوسعة على الأهل والعيال أيام أعياد عيد المشركين بل حتى في أيام البدع لا يجوز ولا يشرع لأن ذلك يجب على الناس في هذه الأيام ويرغبهم في الأعياد الباطلة الشركية والبدعية ولكن كل على درجته ،

الذبح لإطعام الفقراء ليس ذبحاً للقبر ولا لصاحبه ، الذبح بين يدي النعش والذبح على البيوت الجديدة والمحال الجديدة كثير من الناس يذبح ذلك ليس للتعبد لأحد بعبه لا للميت ولا لغيره لكنها بدع منكرة والكلام على أنه هل يذبح لأحد معظماً له أم لا والذبح على السيارات أو البيوت إن كان يحصل تقرب للجن لكي يدفعوا الشر عنه كان شركاً ولكن أكثر الناس لا يفكر في ذلك وإنما يذبح كعادة يظن أن الله يدفع عنه العين بذلك فهذا محدث وخصوصاً أنهم يفعلون أشياء من تلطيخ الجدران بالأكف ، يضع يده في الدم ويجعل يده على الجدران لدفع العين فهذا دخل في الشرك من باب آخر وهو استعمال وسائل غير شرعية في دفع العين ، إن كان يعتقد أن هذه الدماء بعينها تدفع عنه العين فهذا من الشرك الأكبر وإن قصد أنها وسيلة يدفع الله عنه بما فهذا من الشرك الأصغر أما ما كان من الذبح للجن كما ذكرنا فلا يخرج عن العبادة بحال لأن الذبح للجن لا يتصور فيه الإطعام ولا يتصور فيه إلا التقرب إليهم كطلب السحرة والكهنة ممن يذهب لهم لعلاج المس الشيطاني فيطلب ذبح لبعض الطيور وبعض الحيوانات وبعضهم والعياذ بالله يطلب ذبح البشر ، بعض السحرة المحرمين وخصوصاً في البلاد الجاهلة وهذا مشهور عندهم وفي الأمم السابقة والمعاصرة الشركيات عندهم يقتلون بعض الأطفال وبعض النساء ربما كما ذكرنا يطلبون أحياناً بعض الحيوانات يقولون اذبح ديك أسود وفرخة لها عرف كذا وأنواع من الحيوانات بأصواف معينة تعظيماً للجن هذا من الشرك الذي لا يغفره الله لمن مات عليه وإن كان لابد أن تقام الحجة على من يفعله بتلاوة الآيات ، ماذا يعني الحجة في هذا المقام ؟ كالحجة في مسألة دعاء غير الله ، كيف تقام الحجة على من يدعو غير الله ؟ نتلوا عليه الآية { ولا تدعوا من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك } وهنا نتلوا عليه { فصل لربك وانحر } كل الناس يحفظ سورة { إنا أعطيناك الكوثر } فتقول له إن من صلى لغير الله وسجد لغير الله فكيف بمن ذبح لغير الله مثله تماماً وقال تعالى { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين } يبين له الأمر ومعنى النسك والنحر ، والنحر والذبح من باب واحد ، يعني الإبل تنحر قائمة ، يطن بسكين قصير في أصل اللبة وكذا البقرة لكن السنة أن تذبح البقرة والغنم وأن تنحر الإبل قائمة ، أما قول النبي صلى الله عليه وسلم ( لعن الله من ذبح لغير الله ) فهو يدل على أن من بح لغير الله فهو ملعون عند الله لأنه ارتكب أعظم الذنب وهو الشرك ، وقد خلق الله لنا هذا الحيوانات وسخرها لنا فكيف ننوي التقرب بما لغيره ،

الذبح الشركي يشمل أنواعاً

يشمل صور متعددة منها ما ذبح بنية التقرب والتعظيم

وهذا هو الذي ذكرناه أولاً أن يذبح ناوياً أن يعظم الجن ناوياً التقرب إلى الموتى إلى الأموات والأولياء ونحو ذلك ، هذا من الشرك الأكبر ،

النوع الثاني

ما سمي عليه غير اسم الله وهذا غالباً ما يكون عند النصارى عندما يسمون باسم الصليب أو باسم الصليب ، والعياذ بالله أو باسم الولي عند المنتسبين إلى هذه الأمة ، إذا قال باسم فلان والعياذ بالله فهذا مما أهل به لغير الله وأصل الإهلال رفع الصوت عند الذبح ، فإذا سمي غير اسم الله تعالى فهذا مما أهل به لغير الله ،

النوع الثالث

ما ذبح على النصب

كأن يأتي إلى النصب المنصوبة للذبح للأصنام عندها ، انصاب أحجار وضعت أمام الأصنام لكي يذبح عندها وعند النصارى مثلاً يذبحون قدام الصليبان ، أمام الصليب يذبحون عندهم ، قال تعالى { وما ذبح على النصب } فإلى مثلاً إلى قدمي صنم يعبد المشركون أو عند صليب مشهور يذبح عنده النصارى فيأتي فيذبح عنده فهذا ممن يذبح لغير الله لذلك القرينة ظاهرة جداً لما يأتي أمام صنم يعظم ويذبح أمامه لاشك أن هذا مما ذبح لغير الله ممن ذبح لغير الله ،

مسألة نسيان التسمية ؟ ، هذا السؤال تكرر وسنأتي له حالاً إن شاء الله ،

لو ذكر اسم الله على الذبيحة لكن ينوى التقرب بها إلى الجن أن التعظيم الصالحين أو الأولياء أو أنه كان ناذراً له بذلك كمن قال ياسيدي فلان لو شفي مريض فلك كذا من الغنم ونحو ذلك فهذا بلا شك قاصد التعظيم لهذا الشيخ معتقداً انه هو الذي قضى له حاجته فهو من أجل هذا يكون ممن ذبح لغير الله وتكون الذبيحة مما أهل به لغير الله حتى ولو كان قد سمى الله عند الذبح ، يعني أي صورة من الصور الثلاثة التي ذكرناها ، يعني أي صورة منها هي من الذبح لغير الله حتى وإن لم تدم بقية الصور يعني لا يلزم أن يأتي إلى النصب ويذبح طيب ولو ذبحها بعيداً عنها لكنه سمى غير الله يكون ماذا ؟ ذبح لغير الله ،

لو سمى الله ولم يذبح على النصب ولكنه كان قاصداً تعظيم الميت تعظيم الجن تقرب إلى الجن كان ذلك شركاً حتى لو قال باسم الله لأنه لا بد وأن ينوى التقرب إلى الله وأن ينوى التعظيم لله عز وجل وأن لا يذبحه على النصب وأن لا يسمى غير اسمه سبحانه وتعالى ،

هذا الفعل شرك ، الذبح لغير الله بصوره المختلفة شرك ، الذي هو يذبح معظماً ذاكراً غير اسم الله أو على النصب إذا كان الذابح قبل ذلك مسلماً صار بهذا الفعل مرتدّاً كما ذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث ( لعن الله من ذبح لغير الله ) والذبيحة لا تحل بحال من الأحوال سواء كان الذابح مسلماً أو مشركاً أو كتابياً ممن تحل ذبائحهم لكنه ذبح لغير الله سمى اسم المسيح أو اسم جرجس أو الصليب أو غير ذلك فلا تحل هذه الذبيحة وإن كان مشركاً قبل ذبحه فهو بهذا الفعل يزداد شركاً فلا تحل ذبيحته ولو كان كتابياً وهذا هو الصحيح كما قال أهل العلم والخلاف في ذلك ضعيف جداً لمخالفتهم للنصوص ، ولكن من أهل العلم كل ولو قال باسم جرجس أو باسم المسيح أو باسم الصليب هذا عند كثير من المتأخرين وعند المالكية وبعض المتقدمين وقد قال الله تعالى { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق } قال عز وجل { وما أهل به لغير الله } حرم الله أن يؤكل مما أهل به لغير الله هذه نصوص الكتاب والله عز وجل ما أحل لنا ما ذبحه مسلم بغير الله سبحانه وتعالى فكيف بالكتابي وقد كما ذكرنا صار بهذا الفعل مرتدّاً وهذا أنه يأكل ولو قال باسم المسيح أو باسم الصليب خلاف نص كتاب الله وخلاف نص سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال عليه الصلاة والسلام ( ما أضر الدم وذكر اسم الله فكل ) فالخلاف غير معتبر

شبهة

وحيث أن الله أباح ذبائح أهل الكتاب وهو يعلم أنهم يذبحون لغير الله ، الرد على هذه الشبهة أن الله تعالى أحل لنا ذبائحهم التي أحلها لهم ولن يحل لنا ذبائحهم التي حرمها عليهم ،

قال { وطعام الذين أتوا الكتاب } هم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر فهل دخل هذا في عموم { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } بإجماع أهل العلم أن الخنزير لم يدخل في عموم { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } ولو طبخوا طعاماً بالخمر لما كان حلالاً وما دخل في عموم الآية ، وإنما الطعام الذي أحله لهم ، قد حرم الله في كل الشرائع عبادة غير الله والشرك لم يحله الله عز وجل أبداً لذلك نحن قاطعون بأن الذبح باسم الصليب وباسم المسيح والتقرب إلى الجن محرم في كل الشرائع لأن الشرك ما أحله الله أبداً وما أتى نبي إلا بالتوحيد وذلك مما حرمه الله عليهم ، قال الله عز وجل { ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام } فما أذن الله لأمة أن تذكر على الذبح أن عند الذبح اسم غير الله تعالى ،

فالقول بأن الله يعلم أنهم يسمون غير الله ويذبحون لغير الله نقول والله يعلم أنهم يستحلون الخنزير وما أحل الله لهم ذلك ، لم يدخل الخنزير بإجماع العلماء في عموم { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } فدل ذلك على أن طعام الذين أتوا الكتاب الذي أحله الله لهم في شرعهم الذي أنزله الله هو حل لنا ماذا أحل الله لهم؟ أحل ما سمى عليه اسم الله لم يحل لهم الميتة لم يحل لهم ما ذبح على النصب ، فكل الأمم شرع الله لها أن تذكر اسم الله على الذبيحة لأن هذه الذبيحة نعمة من الله إنما أذن الله لنا في إذهاق هذه الروح لمنفعتنا فإذا لم نستأذن الله سبحانه وتعالى ونذبح على ما أمرنا الله عز وجل فقد أزهقت هذه الروح بغير إذن منه سبحانه وتعالى وبالتالي هو ميتة والنصارى وغيرهم يستحلون الميتة ولا يرون لزوم الذبح فهل هذا في ضمن قوله تعالى { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } ؟ أنت تجدهم يصعقونها بالكهرباء يقتلوها وقيدة ومتردية ويستحلون ما حرم الله علينا من نطيحة وما إلى غير ذلك فعل دخل ذلك في { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } ؟ لم يدخل بالقطع ،

قد حرم الله تعالى أكل الميتة على اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل مازال إلى يومنا هذا موجوداً في التوراة ذلك ، اليهود والنصارى متعبدون بالذبح والتسمية ومتعبدون بتحريم الميتة لأنه لا تحل الميتة والمنخنقة ومعلوم أن النصارى يعتقدون لزوم حكم التوراة لهم والتوراة واضحة جداً في التشديد في لزوم شروط الذبح ولزومهما ، لكنهم لا يلتزمون هذه الشروط في الذبح ، اليهود أكثر إلتزاماً ، وإن كانوا في زماننا قد تحللوا من أحكام التوراة ليس عندهم إلا العصبية الجاهلية لبني إسرائيل وأما أنهم يلتزمون فعلياً ؟ لا ببعض الأحكام فقط ، أما

لرحم الزاني وقطع السارق فهي عندهم في التوراة ومع ذلك تركوا كل ذلك ، القصاص موجود في التوراة وهم لا يلتزمون أحكام الشرع فهم كما قال الله عز وجل { وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتلون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين } فلا بالتوراة ولا بالإنجيل ولا بالقرآن ،

سؤال

هل موجود ذلك بالتوراة الموجودة اليوم ؟

الشيخ

التوراة الموجودة بين أيديهم اليوم ،

ولذلك نقول لو إنسان في أوروبا وأمريكا لو لم يجد مسلم ميل يأخذ جوس ميل يأخذ وجبة يهود ويطمأن لأنه لا يوجد فيها خنزير ولا فيها أشياء غير مذبوحة ، يعني لو واحد ابتلي بالسفر ولم يجد وجبة مسلم لأن الآن الطائرات والمطاعم لانتشار المسلمين تقدم وجبة مسلم ويلتزمون فيها بأن لا يقدم فيها شيئاً دخله الخنزير ولا بد أن يكون لحماً حلالاً مذبوحاً فإذا لم يجد فطعام اليهود أولى بذلك ، لذلك موضوع البيبسي لما انتشر الكلام عليه ، وقالوا بيبسي ببسين من الخنازير ، كلام غير صحيح فسلنا إخواننا في هذا البلاد اسألوا هذه الشركات قالوا لا وأخرجوا لهم الأوراق أن كوشر يعني من طعام اليهود وأثبتوا لهم أنهم ممكن يضحكوا على أي أحد لكن لا يضحكوا على اليهود ، اليهود لو أنهم كذبوا عليهم يقاضوهم أنواع المقاضاة فأثبتوا لهم الورق أن البيبسي أو الكولا من المشروبات اليهود المسموح لها بأن يشرها اليهود فاليهود عندهم تحريم لحم الخنزير وشحمه ولا يأكلون شيئاً من ذلك فنقول هذا الأمر أنه لو ضاق الأمر على المسلم فطعام اليهود خصوصاً لأنهم يحترمونهم ويحترمون عقيدتهم ، مع أنها تلزمهم لأنهم كما ذكرنا يلتزمون حكم التوراة لا يعتقدون بالنسخ ولكن كل هذا قد ترك في زمان التحلل ،

سؤال هل يجوز شرب البيبسي ؟

الشيخ ، نعم يجوز شرب البيبسي

فالميتة والمسمى غير اسم الله عليه أو الذي أهل به لغير الله لا يدخل في عموم قوله تعالى { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } مثل ما خصص بالخنزير يخصص بالميتة ، لا يأتي واحد ويجد بطة أو فرخة برأسها ملصقة فيها ولا فيها ذبح ولا شيء ويقول هم يأكلونها كذلك ، طيب هم الآن في مناطق يأكلون الكلام ويأكلون أنواع الميتات كلها ، النصراني يفعلون ذلك ، ليس عندهم ضوابط في مثل هذا الأمر ، فهذا الأمر لم يدخل في عموم { وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم } الذي يدخل في طعامهم هو ما أحل الله لنا ولهم ،

بعض أهل العلم ذهب إلى أن الأصل في ذبائحهم الحل ، وأن الأصل أنهم يذبحون ويسمون فتحمل ذبائحهم على هذا الأصل ، هذا الأمر يكون خلافاً سائغاً إذا كان يقر ويقول نحملها غير ذلك ما لم نعلم غير ذلك ، الخلاف ليس يكون سائغاً إذا قال أنا لا أعلم أنهم يذبحون ، لكن إذا أقر أنهم لا يذبحون ، وقال أنا أعرف أنهم لم يذبحوا وأتى بها برأسها كذلك وأنت تعلم أنهم في بعض البلاد يجرمون الذبح في ألمانيا مثلاً هذا الذبح ممنوع ويرونه تعدياً للحيوانات فالبعض يقول هم أهل كتاب فلا نسأل ،

الكلام في هذه المسألة متى تكون خلاف سائغ ؟ لو واحد يقول أن هذا هو الأصل ،،

لكن الخلف في تحقيق المناط يعني نحن متفقين على أنه لو أنهم لم يذبحوا ولو أنهم سمو غير الله وسيأتي على الراجح تعمدوا ترك التسمية إذاً أنا اتفق على أنه لا يجوز ، ومثل ما سنتفق على أنه مثل ما لم يكونوا من أهل الكتاب اليهود والنصارى فلا تجوز ذبائحهم،

سؤال حتى لو قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ؟

الشيخ ، من يقول منهم أن الله هو المسيح ابن مريم كفار أهل الكتاب وقد أحل الله الذبائح من أهل الكتاب وهم كفار بأنواعهم سواء كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم فهم مشركون بالله بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ، يعبدون الأحجار والرهبان واتخذوا المسيح ابن مريم رباً من دون الله ولم يزالوا على ذلك ، ولم يتغير حكم شرعهم ، هم الذين كفروا من أهل الكتاب وأحلت ذبائحهم إذا سمو الله فالعبرة بأن يكون كتابياً ولو كان كافراً فكلمة كافر ليست تنافي أنه من أهل الكتاب بل لا يوجد مؤمنين من أهل الكتاب إلا من دخلوا في الإسلام أو من لم تبلغهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا على التوحيد يكونون هؤلاء مؤمني أهل الكتاب ، من لم تبلغه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وهو قبل أن تبلغه مازال موحداً ، يقول لا إله إلا الله موسى رسول الله وعيسى رسول الله وهؤلاء يعني كالشعرة البيضاء في الثوب الأسود ، لا يكاد بل أقل من ذلك في غمار المشركين من أهل الكتاب ، والكفار من أهل الكتاب ، وهذا أمر آخر فنقول الكلام هنا على تحقيق المناط إذا تفقنا على الأصل تنقيح المناط أن المناط الحل على أن يكون مذبوحاً قد سمي عليه اسم الله وكان الذابح مسلماً أو كتابياً وأما إذا كان الذابح غير كتابي أو لم يذبح أو لم يسمى الله عمداً فضلاً أن يكون سمي غير اسم الله عز وجل فالخلاف غير ذلك

، يعني واحد سيجوز ذبائح الصينيين مثلاً الشيوعيين والهندوس لا يجوز ذلك ، البعض يظن أن كل لحم بقري جاء من الهند مثلاً يكون مذبوح لأنهم لا يذبحون البقر ، ممكن يذبحون الجاموس لأنه المقدس عندهم البقر ، لأن كلمة بقري تشمل عندنا البقر والجاموس وهم أصلاً الجاموسة ليست معظمة عندهم ، فالبعض يقولون أن لو البقر جاء من الهند يكون المسلمين هم الذابحين قطعاً ، لا يلزم ذلك ، لأنهم ممكن يذبحون لحم جاموسي ويكون الهندوس هم الذين ذبحوه ولا يكون ذلك حلالاً ، إذاً لو أن غير كتابي ذبح مثل البوذية والشيوعية مثلاً الصين وغيرها والهند وكل البلاد الشرقية هذه التي ليس لها ملل يعني لا تنتسب إلا كتاب وغيره أو علمنا أنهم لم يذبحوا أو علمنا أنهم سمو غير اسم الله عز وجل وعلى الصحيح إذا تعمدوا ترك التسمية لكن هذا شرط فيه يعني خلاف هذا هو الراجح فيه ، لكن الثلاثة الذين قبل ذلك غير سائغ فيها الخلاف ،

إذا لم نعلم هذا هو الخلاف السائغ ونرى أنه لا يجوز الأكل من هذه اللحوم المستوردة إلا إذا علمنا أن الذبح تم بشرع الله لأن الأصل في الذبائح الحزمة ، لكن نخدد أنه إذا كان خلاف سائغ أي دائرة ؟ الذي يقول أنا لم أعلم والأصل أنهم كتابيين والأصل أنهم يذبحون ، لكن نقول إذ كنت تعلم أنهم لا يسمون ، وهذا نجزم به أن الشرق والغرب لا دخل لهم بالتسمية ، لا يوجد غير المسلمين أحد يدور على التسمية إلا ذلك ، فهم يتركون التسمية عمداً أما عدم الذبح فهذا هو الأصل عندهم ، المتقرر إلا أن يشترط ، أن يشترط المسلمون ذلك ، وكما ذكرنا أنهم يسموا غير اسم الله ،

فنرى أن الأصل عدم الأكل من الذبائح حتى نتأكد من حصول التزكية الشرعية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال { ما أحر الدم وذكر اسم الله فكل } مفهوم المخالفة ما لم ينهر الدم ولم يذكر اسم الله فلا تأكل والشك في حصول التزكية يمنع من الأكل ،

الشك في حصولها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم إن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قتل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله ، إذاً جعل العلة ليس أنك عرفت أن الكلب الآخر غير المعلم هو الذي قتل لا بل جعل العلة أنك لا تدري يعني عدم علمك هو علة التحريم ، عدم علمك شكك في أن هذا الكلب قد لا يكون قد قتل وربما يكون كلبك قد قتل وكتبك معلم والكلب الآخر غير معلم وأنت سميت على كلبك ولم تسمي على الآخر فإنك لا تدري أيهما قتله وفي الرواية ( فإنما سميت على كلبك ) ولم تسمي على الآخر قال وإن رميت سهمك فاذكر اسم الله فإن غاب عنك يوماً فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت ، يعني أن رميت الطير مثلاً أو الصيد وبعد مدة يوم أو أكثر ما لم ينتن وجدته وليس فيه أثر ألا السهم يعني ليس هناك سبب ظاهر في موت هذا الحيوان أو الطائر إلا السهم وأنت سميت عند الإطلاق إطلاق السهم فكل إن شئت ، ( وإن وجدته غريقاً في الماء فلا تأكل فإنك لا تدري أسهمك قتله أم الماء ) وتخريج الأحاديث لم يذكرها الرواية الشاهدة الرواية صحيح مسلم ، نكل الحديث ( فإنك لا تدري أسهمك قتله أم الماء ) ، هذا صريح أيضاً في أن عدم الدراية واحتمل الغرق أنه يكون غرق قبل أن يموت فيكون الماء قد قتله بمنع من الأكل ومن هنا قال العلماء أن الأصل في الذبائح الحزمة ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم كونك لا تدري هو العلة في المنع في المرتين ، ( لا تدري أيهما قتله ) ( لا تدري أسهمك قتله أم الماء ) فالأصل المنع عند الشك قال الإمام النووي رحمه الله فيه بيان قاعدة مهمة وهي "أنه إذا حصل الشك في الزكاة المبيحة للحيوان لم يحل لأن الأصل تحريمه وهذا لا خلاف فيه "

الذين يجوزون أكل اللحوم المستوردة يقولون أن الأصل في ذبائح أهل الكتاب أنهم يلتزمون الزكاة المبيحة للحيوان ، هل هذا الأمر واقعياً يقبل ؟ أنا لا أرى ذلك هذا خلاف في وصف الواقع إلى أبعد حدود البعد عن الواقع ، الواقع أنه في أوروبا وأمريكا لا يلتزمون بشيء من ذلك ، الذبح محرم في بعض هذه البلاد وإذا ذبحوا نجزم تقريباً أنهم لا يسمون شيئاً ولا يتعبدون بالذبح ولا يرون أن الذبح له علاقة بالدين ، بخلاف الآتي من عند اليهود لأنهم يتعبدون بالتسمية والذبح وعندهم شروط أشد من صفة الذابح مثلاً لا تحل مثلاً ذبيحة حائض أو شيء من هذا ، هذا اللحم المستورد المجهول لو أن مسلماً قال أنا أشرفت على ذبحه أو توليت ذبحه أو أرسلت من يشرف على ذبحه أو من يذبحه ونحن نعلم من هذا المسلم ونحن نعرف هذا المسلم الأصل فيه السلامة فهذا حلال أما إذا وجدنا ورقة مجهولة فقط ورقة لا تدري من كتبها ملصقة مكتوب عليها ذبح بالشرعية الإسلامية فلا ندري من قائل هذا ومن كتب هذه الورقة ، معروف أن هذه البلاد فيها الملحد وفيها الكتابي وفيها الوثني وفيها من لا دين له بالكلية معظم دول أوروبا كثير جداً منهم لا دين لهم فهذا الكلام المكتوب لا يدل على أن الذابح من أهل الذبح أو أن الذبح كان شرعياً ولا يدل كذلك أنهم ذكروا اسم الله عليه وهذا يمنع من الأكل بمجرد وجود ورقة لذلك اللحوم المستوردة نسأل الرجل الذي استورد أنت بعثت أحد يبحث أنت اتفقت مع أحد من المسلمين هناك أو شركة إسلامية أم أرسلت مندوب يشرف على الذبح ؟ إذا قال نعم قبلنا خبره وإن كذب فليس علينا كذبه ، كذبه على نفسه كأى مسلم كذب في كونه قد سمى وذبح ونحو ذلك ، العبرة بأنه إنما يقول أن هذه الشهادة مجهولة من يشهد بأن هذا قد ذبح هذا يقع فيه الشك بلا شك ، خصوصاً مع ورود هذه الأوراق مع الأسماك أحياناً ، واعتراضي بعض الأخوة في بلاد الصين وغيرها عندما ذهب هناك انه وجدهم يكتبون على المحل حلال ، " ذبح حلال " ويجد البط والفراخ برؤسها ويلصقونها كذلك ، قال لهم ما هذا قالوا أن المسلمين يقولون أنهم يريدون أن يكتب عليها حلال وهم ليس عندهم مشكلة هم يتصورون أن أول ما يكتب عليها حلال المسلم يأكل ، الكلمة هذه هي المعتبرة ، فلو كتب حلال يجوز ،

أنا أقول هذا التفصيل في هذا المقام ، هناك من أهل العلم من يجوز ذلك مثل الشيخ ابن باز مثلاً الآخر يقول أن الأصل أنهم نصارى مع أن الحقيقة أن أهل أوروبا وأمريكا أكثرهم نصارى فيها نظر ، يعني أكثرهم بلا دين وأكثرهم بلا ملة ، ملحدين ، كثير منهم يعتقد وجود الله وكثير منهم لا يعتقد وجوده وكثير منهم لا يدين بأي انتساب للأنبياء ، فهذا الكلام بالنسبة للذابح وبالنسبة الجزم بأنهم لا يسمون فهذا أمر واضح جداً والجزم بأن الأصل عندهم عدم الذبح إلا إذا اشترطه المسلمون فهذا هو الحاصل في الواقع



الذي عنده محل

الشيخ

نعم نحن نجزم خلاص ، يعني واحد يسأل عن اللاتشون وآخر يسأل عن البيفي وآخر يسأل عن كذا ، نقول أسألوا المستورد الذي أحضر لنا هذه الأشياء أبحث أم لا ، لو أنه لم يبحث وأحضر الورقة فقط يكون الأصل عدم الحل ،

أما إذا كان الأصل في الناس التسمية كالمسلمين فإن طعاهم يؤكل ولم يعلم أسموا الله أم لا ،

يعني واحد مسلم ذبح مثل كل الجزارين الموجودين ، الجزارين الموجودين كلهم لا نعلم أنا لا أعلم هل سمى أم لا ولم أحضر الذبح فعلياً وهناك من لا يذبح وهناك مرتدون في هذه المجازر ، أنا الأصل عندي أن هذا مسلم وأنه أشرف على الذبح ويقول ذلك ، فإذا كان الأمر كذلك جاز أن أكل وأسمي ، لحدث عائشة أنها قالت ( يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لاندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سموا اسم الله عليه وكلوا ) والرواية الأخرى توضحها أنهم قوم حدثاء عهد بشرك يعني مسلمين ولكن أسلموا حديثاً فشك السائل في حل ذبائحهم لأنه لا يدري أسمى الله أم لا فهذا الذي تقول سمي أنت وكل أما أنا لا أدري عن الذابح من هو أو أجزم بأنه لم يذبح أو أجزم بأنه لم يسمي الله فهذا يمنع من الأكل أو أشك أنه ذبح أم لا ، الذي يؤذن فيه أنه مسلم لا أدري أسمى الله أم لا وكذا لو كان كتابياً لا أدري أسمى الله أم لا فأسمي أنا وأكل ، وأما ما علمت أنه لم يسمي عامداً فهذا لا تحل ذبيحته ، أما إذا كان عندهم التبديل لدرجة أنهم إذا سموا يسمون المسيح أو الصليب ولا يسمون الله فلا نأكل حتى نعلم أسموا الله أم لا لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( من أضر الدم وذكر اسم الله فكل ) مفهوم المخالفة أن من لم يذكر اسم الله فلا تأكل وما لم ينهر الدم ، الذي نتلكم عنه هو متروك التسمية عمداً أما متروك التسمية نسياناً ففيه خلاف سائغ بين العلماء للمسلم وللکافر يعني هناك من أهل العلم من يقول لا يجوز متروك التسمية عمداً ولو من مسلم وهذا مذهب ابن عمر رضي الله عنه وذلك للعمل بعموم الحديث ، الأكثر على متروك التسمية نسياناً لأن السلم تكفي نيته ، على أكثر العلماء على حل متروك التسمية نسياناً لأن المسلم نيته تكفيه لأنه ذكر اسم الله بقلبه حين نوى الذبح لله والله أعلى وأعلم ونسى أن يسمي بلسانه ولكنه متقرب لله عزوجل فهذا الذكر وقع بالقلب ولم يقع باللسان فالصحيح أنها تؤكل الذبيحة والقول الآخر أن متروك التسمية نسياناً أو عمداً أو سهواً محرم وأنه لا بد أن يسمي الله بلسانه والأول أقرب وأما متروك التسمية عمداً فهذا لا تحل ذبيحته ، الشافعية تقول المسلم تحل ذبيحته ولو ترك التسمية عمداً ، واحد يقول النبي صلى الله عليه وسلم أكل من الشاة التي ذبحتها اليهودية ، واليهود أولى الأطعمة من أهل الكتاب لأنهم يلتزمون بالذبح وكما ذكرنا أن أيام النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلتزمون بالتسمية ، عموماً الحكم واحد في اليهود والنصارى لكن الكلام على التفرقة في الحال الواقع أن اليوم اليهود هم الذين يحرسون أما النصارى فلا يحرسون ، لا تقبل ذبيحة أعياد المشركين اليهود والنصارى منهم لعدم إقرارهم على العيد البدعي أو الشرطي يعني ما ذبحوه في أعيادهم لا يجوز الأكل منه ، لكن الذبح الآلي بمنزلة إسقاط السكين يعني الذبح الآلي هذا كأنه يرمي السكين على الذبيحة فهذا الذي يضغط على الزر بمنزلة المنزل للسكين لو سمى الله وضغط على الزر فقد أدى لا تكفي التسمية من جهاز تسجيل لأن بعض المجازر الآلية كثير جداً في دول الغرب يحضروا جهاز تسجيل ويضعوه ويشغلون الماكينات دون أن يسمي أحد والجهاز يعمل يقول بسم الله بسم الله بسم الله ، هذا لا يجوز لأن هذا الجهاز ليس بمكلف هذا بمنزلة البغضاء الواجب أن يسمي الذابح ، الذابح هذا الذي ينزل السكين أو يضغط على الزر ولا نحضر واحد يقف والآخر يذبحون ، نحضر مثلاً واحد صيني لأنه رخيص مثلاً ونحضر واحد مسلم واقف يقول بسم الله بسم الله بسم الله والآخر هو الذي يذبح ، هذه كلها واقعية وموجودة في مذابح في البرازيل وفي أمريكا وأوروبا وانتشار الجهل بين المسلمين هناك والشهادات التي تخرجها مراكز إسلامية أحياناً تكون بغير تنيع والجرأة على ذلك بسبب عدم المتابعة بسبب التهاون أنهم يأخذون أي شيء موجود ، ولو أنهم وجدوا تدقيق من المسلمين على هذه الأمور للتمسوا بها هم عندهم أهم شيء المال فلو وجدوا أنه لو فقدت هذه الشروط لم تؤكل ذبائحهم ولن تستورد لحومهم لطبقوها ولأتوا بمسلمين يذبحون فالأمر يحتاج فعلاً إلى تدقيق وبحث وإلا فعلاً المسلم وإلا لو مسلم قال أنا أذبح أنا أبعث هناك يذبحون ويشرف على الذبح بالطريقة الشرعية ويكون عالم بالطريقة الشرعية وإلا لم يجز ذلك ، فنقول لا يجز التسمية من جهاز تسجيل ولا بد أن يكون من الذابح لا يصح أن يسمي واحد ويذبح آخر بل لا بد أن الذي يذبح نفسه هو الذي يسمي ،

بندقية الصيد الذي يخرق حكمها حكم السهم يعني الطلقة التي هي الرشة تخرق جسم الشيء يعني الطلق سواء كان خرطوش أو رصاص كل ذلك يجزئ إذا سمى الله ،

إذا لم يسمي نحن قلنا أن متروك التسمية عمداً لا تحل متروك التسمية سهواً ثلاث أقول لا تحل تحل التفرق بين الذبيحة وبين الصيد يعني الذبيحة تحل أما الصيد لا يحل ،

تارك الصلاة عند من يكفره كفراً خارج من الملة بمجرد ترك الصلاة دون عرض على القتل يجعله خارج من الملة مرتداً لا تحل ذبيحته ولو سمى الله وأما من لا يكفره كفراً خارج من الملة أو من يكفره إذا عرض على القتل فصر ولا يكفره قبل ذلك كترجيح شيخ الإسلام بن تيمية فهذا تحل ذبيحته وهذا قول جمهور أهل العلم ،

أما الصيد قلنا الخلاف فيه ، ترك التسمية عند الصيد فيه خلاف ،

من الشرك أيضاً في الإلوهية ،

النذر لغير الله والحلف بغير الله ،

من الشرك النذر للقبور والصالحين وكذا للجن والدليل على أن النذر عبادة ، قول الله تعالى ، { وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار } فهذا دليل على أن النذر عبادة وصرفها لغير الله يكون شركاً ، النذر لله عبادة والنذر لغير الله شرك ،

هل النذر كالحلف ؟

النذر لغير الله دائماً يرتبط باعتقاد وليس مما يجري على الألسنة بغير قصد لكن الحلف بغير الله الذي يقع من كثير من الناس بغير اعتقاد بسبب كثرة جريانه على الألسنة يعني النذر أشد ، هم الأثنان أصلاً من باب واحد لكن النذر أشد ، لأنه يقع من كثير من الناس الحلف بغير الله بغير قصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله كمن يحلف بالنبي وبشرف أبيه وترية أمه ونحو ذلك وبالأمانة تعود كثير من الناس أن يحلفوا بذلك بغير قصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى فالحلف بغير الله غالباً ما يكون بغير قصد دون اعتقاد لشيء أصلاً أما لو حلف بغير الله معظماً له كتعظيم الله أو أشد فهذا من الشرك الأكبر ، مثل أن تتوجه لليمين لأي إنسان يعني خلاص البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر فالراجل منكر وقيل له احلف بالله أنك ما أخذت الشيء الفلاني أو أن لك الحق في الشيء الفلاني فيطلب منه البعض أن يحلف بالولي الفلاني أو بالنبي لانهم يعرفون أنه قد يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بالولي أو النبي إلا صادقاً مثل ما بعض المسلمين يقول للنصراني كذا يقول له والله يقول له طيب احلف بالمسيح أو بالصلب فلا يجوز ذلك وقتها هذا الحلف شرك أكبر وطلابه يطلب الشرك الأكبر ، الذي يقول له احلف بالصلب أو المسيح هو غرض أنه يقرأه لكنه يأمره بالشرك والعباد بالله لأنه يعلم أنه لن يحلف بالمسيح أو الصليب كاذباً وذلك عند غلاة الصوفية ممن يتردد أن يحلف كاذباً بالولي ويحلف كاذباً بالله هذا من الشرك الأكبر ليس مجرد جريان اللسان بغير قصد لأنه عظم النبي أو الولي أو الوثن أشد من تعظيم الله أو حتى تعظيماً مساوياً ،

في بعض المجالس العرفية أو القبائل العربية وغيرها إذا توجهت لليمين يطلبون من الحالف أن يحلف عند قبر ولي معين عندهم وأن يحلف ويقول بحق هذا الغالب الطالب ، هذه مشهورة جداً وبمجد الله أكثر الناس قد تركوها الآن بسبب انتشار الالتزام لكن قبل سنين قليلة جداً كان هذا أمراً مستقراً عند قبائل عربية كثيرة يأتون المجلس ويقولون لا تحلف بالله بل تحلف عند القبر الفلاني وتقول بحق هذا الغالب الطالب ، الطالب الأول ماشي الطالب الغالب ، الطالب يعني سيطلب الحق ويغلبك ويجعلك تحضر الحق الذي عندك والعباد بالله فهذا اعتقاد شركي والعباد بالله ، طالب الغالب وحدها هذه إنه طالب وغالب يطلب الحق ويغلب من حلف به كاذباً هذا اعتقاد شركي دون أن حلف فطلبه على ذلك وقيامه بالحلف بذلك هذا من الشرك الأكبر الولي عندهم من يغلب من حلف كاذباً ، وهو طالب لأنه يطلب حق المظلوم فإذا حلف الحالف بالله قالوا لا تحلف بالله بل احلف بحق هذا الطالب الغالب الشيخ الفلاني هذا لا شك أنه من الشرك الأصغر لأنهم معظمين له كتعظيم الله أو أشد كما قال الشيخ ابن العثيمين من يحلف بالله ويكذب ويحلف بشيخه وإمامه ولا يكذب فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله قال أيضاً ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترئ إن يحلف بشيخه كاذباً لا شك أن هذا من الشرك الأكبر أما النذر لا يكاد يقع فيه جريان على اللسان من غير قصد ، من غير قصد قضاء الحاجة من الولي أو النبي أو غير ذلك لو حدث وجرى على اللسان من غير قصد كمن يقول نذر علي لأم هاشم أو البدوي أو الدسوقي أو العباس من غير قصد أو من غير أن يقصدوا لهم شيء معين لكان حكمه حكم الحلف ويكون شركاً أصغر لكن الذي يقع في هذا المقام أن من يندرون للأولياء أو الجن يعتقدون أنه يقضون حاجاتهم فيكافئونهم على قضاء الحاجات بهذا النذر ، لذلك صناديق النذور من أعظم مظاهر الشرك في الوقت المعاصر من يحللونها بأن الناس إنما يضعون النذور لله في هذه القبور خداع للناس والبعض يجوز صناديق النذور ويجوز بقاياها على ما هي عليه ، يقول لا الناس تنذر الله ويضعونها عند القبور ، لماذا يضعونها عند القبور ؟ لو نذر الله المساكين في كل مكان لكن عامة من يندر في هذه القبور يعتقد أن أصحابها يقضون الحاجات والعباد بالله ، ولو كان ذلك على سبيل الوساطة بينه وبين الله كأن يقول له يا شيخ فلان لو شفى الله مريضتي فلك عندي كذا وكذا فالشيخ عنده هو الذي توسط وقضى له حاجته فهو يكافئه على هذه الوساطة وقضاء الحاجة والقضية أنه صرف له عبادة معتقد أنه صرف عبادة النذر له أدت إلى أن يقبل الله شفاعته فيشفي ، العبرة بهذا التوسل وهذا التوسط أنه صرف له العبادة من دون الله أو مع الله فهذا شرك أكبر يعتقد أن له منزله يكافئه على هذه الوساطة فطلما صرف له العبادة واعتقد أن له منزلة عند الله تجعله يدبر له الأمور فهذا من الشرك الأكبر سواء هذه أو هذه ، سواء أنه يعتقد له العبادة أو أنه يطلب ويغلب أو يدبر الأمر ، كما سبق أنه إن اعتقد أن جاه فلان معناه أن الله عز وجل يجعل له التدبير الأمور والكون فهذا من الشرك في الربوبية واعتقاده هذا شرك وحده ، لو قال أسألك يارب بجاه فلان ، وهو معتقد أن جاه فلان هذا أنه يدبر الكون أنه له سلطان على كل ذرة من ذرات الكون ، حتى اللفظ نفسه أسألك يارب بجاه فلان ليس من الشرك الأكبر لكن اعتقاده أن فلان يدبر الكون وأنه له سلطان على ذرات الكون فهذا كله من الشرك الأكبر في الربوبية

فالفرق بين الحلف والنذر أن النذر لغير الله الأغلب فيه أنه شرك أكبر وأما الحلف بغير الله الغالب فيه أنه من الشرك الأصغر لكنهم من باب واحد ، الغالب الذي يقع أن الحلف بغير الله أنه يمكن أن يكون جريانه على اللسان من غير قصد تعظيم المحلوف به وأما الغالب الذي يقع في النذر أنه يقع فيه قصد تعظيم المنذور له واعتقاد أنه يملك قضاء الحاجات من هنا فرقنا بينهما ولكن لو ثبت أنه يحلف بغير الله معظماً له كتعظيم الله فهذا من الشرك الأكبر والنذر لغير الله كما ذكرنا أنه لو جرى على اللسان من غير قصد ولكنه نادر ولا يكاد يقع يكون شرك أصغر ،

حكم الحلف بالمصحف وبالنبي صلى الله عليه وسلم

أيضاً نضيف للفائدة لو قصد الحلف بالقرآن فهو حلف بصفة من صفات الله تعالى فالقرآن كلام الله والحلف بالله وأسمائه وصفاته ومن ضمن صفاته كلامه حلف مشروع كما قال أيوب عليه السلام في الحديث الصحيح ، ( بلا وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك ) حدث رواه مسلم وغيره لما كان أيوب يغتسل عرياناً في خلوة إذا خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثوا في ثوبه فأوحى الله عز وجل إليه يا أيوب ألم أكن أغنيك عن هذا قال بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك ) فهو أقسم بعزة الله وهي صفة من صفات الله فكذا من قال وكتاب الله كلام الله والقرآن العظيم من حلف بهذا فقد حلف بصفة من صفات الله وإن حلف بقدرة الله وحياة الله وعظمة الله وعزة الله كل ذلك يمين صحيح ، وكذا من قال يمين الله ، ويمين الله ، وأمين الله ، أما الحلف بالأوراق وهذا عامة الذين يحلفون بالمصحف يقصدون هذا الكتاب الذي يوجد عندهم أوراقه ومداذه ، القضية عندهم ليس المكتوب ، الكتاب عندهم هو الصحف والورق فلا يجوز لأنه حلف بغير الله إذا لا خلاف أن الأوراق والمداد مخلوقة بلا نزاع ، يعني أوراق المصحف بلا نزاع مخلوقة والمكتوب غير مخلوق ، المداد مخلوق والكلام الذي كتب به هذا المداد غير مخلوق ، الكلام كلام الله وأما الصحف والورق والجلد والمداد والكتاب والقارئ والقلم كل ما هذه مخلوقة فمن حلف بالمصحف قاصداً الصحف هذا لا يجوز أما من حلف قال وكتاب الله وكلام الله والقرآن فحلفه مشروع أما الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه داخل في عموم النهي ( إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ) وقال عليه الصلاة والسلام ، ( من حلف بغير الله فقد أشرك ) وهذه أحاديث صحيحة وثابتة تدل على عدم جواز الحلف بالكعبة ولا بالنبي ولا بالأمانة ولا بقبر ولا بشيء من هذه المخلوقات وأما الرواية عن أحمد رحمه الله في إنعقاد الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحته فقول شاذ والرواية الأخرى موافقة الأمور وهي أولى لأنها أوثق وأتبع للدليل فلا يعتمد على هذه الرواية المرجوحة ولو نسبت إلى الإمام أحمد رحمه الله ، فالحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم غير منعقد وباطل والخلاف فيه غير سائغ ولو نقل عن أحمد رحمه الله لأنها رواية أخرى والرواية الأخرى موفقة للجمهور وموافقة للأدلة القطعية الدالة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا مما لا نشك فيه ، وأما أفلح وأبيه ولعمري ونحو ذلك مما يستدل به البعض بجواز الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم ويترتب فهذا من التلبس على الناس لأن هذا من الكلام الذي خرج قد ثبتت الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( أفلح وأبيه إن صدق ) هل ترون الحلف بالآباء المشركين ؟ إنهم لا يقولون ذلك ، لكن هذه الكلمات خرجت عن أصل توضيحاً لغوي هي أصلاً صيغتها صيغة يمين ولكن استعملتها العرب في التوكيد ومعنى الحث أحياناً وغير ذلك من المقاصد أخرجهما عن وضعت له ، ك ( تربت يمينك ) ، ( تربت يداك ) ثكلتك أمك ، وويلك وويلك ولعمري ، يستعملونها لأغراض متعددة ، تربت يمينك ، تربت يداك للحث ، وويلك وويلك للتنبيه ، ثكلتك أمك للزجر وللتنبيه أيضاً ، ولعمري وأفلح وأبيه و لعمري فلان هذا كله لا يقصد النبي الحلف وإنما يقصد به التوكيد للكلام دون قصد الحلف ، هذا الذي نقول أنه لو جرى بهذا القصد وبهذا الاصطلاح عند الناس لم يكن حلفاً أصلاً ، أقرب شيء فيه أن يقول والنبي الساعة كام ، أو يسأله مقدمة بين الكلام ويقول والنبي أفعل كذا ، هذا في الحقيقة ليس حلفاً أصلاً ولا يقصد به الحلف لكن من باب سد الذريعة ومنع الناس على التعود بالحلف بغير الله حتى لا تجري ألسنتهم بالحلف بغير الله نقول نمنع الناس من ذلك ، لكن نقول من أشرك من قال والنبي الساعة كام ، لا ولو شركاً أصغر ، نحن نقول الشرك الأكبر إذا حلف به معظماً كتعظيم الله ، الشرك الأصغر إذا جرى على اللسان من غير قصد التعظيم لكن بنية الحلف ، يعني واحد يقول وشرف أبيه ليفعلن كذا ماذا ؟ يكون يمين ، أو يقول والنبي لانت واكل هذا يمين ولكنه غير منعقد يمين محرم قسم لا يجوز أن يحلف بهذا .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

هذه اضافة قد ذكرها الشيخ

لكن والنبي الساعة كام ، هذا ليس يمين أصلاً مثل ما قلنا لعمري ، ما أتم الله لرجل لم يتم الحج والعمرة ، وأفلح وأبيه أن صدق ، هذا مجرى التأكيد ، وليس بقصد الحلف ، فما كان من هذه الألفاظ بقصد الاعتبار لم ينه عنه أنه من الشرك وإنما يخشى على من يفعله أن يتعود لسانه الحلف بغير الله ، هذا مأمون عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل العلم وليس بأمأمون على عامة الناس ومن هنا قلنا يمنع من باب سد الذريعة وليس أنه من باب الحلف فعلياً بغير الله أما القول بانعقاد اليمين على النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب كفارة اليمين فيها فقول باطل لا يعتد به لمخالفته الأحاديث ، من حلف بالنبي عليه الصلاة والسلام قاصداً الحلف لم ينعقد يمينه ولا كفارة لذلك وكذا من نذر لغير الله لم ينعقد نذره ولا كفارة فيه ، بخلاف من نذر لله أن يعصيه ونذر ما لا يملك وحلف بغير الله على معصية الله فهذا كله على الراجح تجب فيه كفارة اليمين وأما من نذر لغير الله لم ينعقد نذره كمن لم ينعقد يمينه ،

من مظاهر الشرك الأكبر نسبة علم مفاتيح الغيب وتصريف الكون لغير الله عز وجل ، هذا النوع في الحقيقة تابع للشرك في الأسماء والصفات ذكرناه هنا لانتشاره لأنه مقدمة للشرك الأكبر في الإلهوية ، لأنه إذا نسب إليهم علم الغيب وتدير الكون لجأ إليهم ودعاهم واستغاث بهم وحلف بهم ونذر لهم ، فنسبة علم الغيب للأنبياء أو الكهان أو الأولياء أو العرافين أو المنجمين اعتقاد أنهم يصرفون الكون شرك في الربوبية وفي الأسماء والصفات نسبة علم مفاتيح الغيب في الأسماء والصفات للأنبياء والأولياء شرك في الأسماء والصفات لأنه يعتقد لهم علم الله قال تعالى { وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو } كمن اعتقد أن غير الله يعلم علم مفاتيح الغيب فقد جعل لله نداً في أسمائه وصفاته ، كما ذكرنا هذا مقدمة لصرف الأسماء لغير الله ، هم يعتقدون أن الولي الفلاني أو النبي الفلاني يسمع كل شيء وهو غائب وهو يعلم كل شيء وعندهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم علم الساعة والله عز وجل قال { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } فمن ادعى لمخلوق علم كمن ادعى لمخلوق علم الساعة فقد كذب القرآن ومن اعتقد أن مع الله عز وجل من يصرف الكون فقد أشرك في الربوبية وجعل لله أنداداً في الأسماء والصفات والربوبية هذا شرك في الربوبية والأسماء والصفات ، إذا أضيف إلى هذا الأمر اللجوء إليهم ودعائهم ليضروا أو ينفعوا فقد زاد شركاً في الإلهوية كمن يأتي السحرة والكهنة ليسحروا له أو يخبروه عن مستقبله قال الله تعالى { وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر } وهذا دليل على أن السحر الذي يتعلم من الشياطين كفر وهذا سيأتي دليله إن شاء الله ،

الحلف بالعهد ، من يقول وعهد الله ،

فإما أن يقصد به العهد الذي أخذه الله علينا يوم الميثاق أو ما أنزله الله من كتابه فهو من كلامه أو يقصد به بعهدته هو مع الله من فعله هو أنه عاهد الله ،

فالذي يحلف بعهد الله يقصد عهد نفسه وفعل نفسه فهذا فعل العبد مخلوق ولا يجوز الحلف بمخلوق ، الحلف بأيمانات المسلمين ، الأصل في المسلمين أنهم يحلفون بالله ، فأيمان المسلمين حلف بالله لأن إيمان المسلمين حلف بالله وأسمائه وصفاته فمن حلف بأيمان المسلمين لزمه الحلف بيمين الله ،

## ٢٤ - فصل في السحر

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

من مظاهر الشرك في الربوبية والإلوهية والاعتقاد في السحر وإتيان السحرة وفعل السحر الذي فيه أنواع من الشرك لذا كان التنبيه على هذا الفصل مهماً خصوصاً مع انتشار هذه الأمور في زماننا وخصوصاً يتأكد الأمر مع انتشار كثير من هذه الأمور باسم الدين وتحت ستار الدين باسم المعالجات ونحو ذلك والكثير يفعل ما يفعل السحرة ،

السحر أصله في اللغة كل ما لطف وخفي ، الشيء اللطيف الشيء الخفي الغير مشعور به هذا في اللغة

وسمي به السحر لأنه أسباب خفية تؤدي إلى الصرف والعطف والأخذ بالأعين والتخييل ونحو ذلك

الصرف ما معنى الصرف؟ صرف قلب عن قلب ، إنسان يحب زوجته فيصرف عنها حتى يبغضها

العطف هو تعطيف قلب على قلب أن رجل يعمل له عمل حتى يحب امرأة أجنبية حتى يتعلق قلبه بها أو يحب زوجة ويكره الأخرى كثير من الناس يفعلون ذلك ويذهبن للسحرة لفعل ذلك

وكذلك تخييل قلب الأعيان ،

كما قال الله عز وجل { سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم } وهبأولهم أنهم جعلوا العصي والجلال حيات تسعى كما فعل موسى ،

لماذا لا نقول أن الساحر يقلب الأعيان كما يقول الأشاعرة ؟ لأن السحرة إنما علم صدق موسى لما أكل الثعبان الذي كان عصا موسى عليه السلام كل ما صنعوا وعلموا إذاً أن سحرهم لا يمكن أن يكون مشابهاً لما أتى به موسى عليه السلام فهذا دليل واضح على أن الساحر لا يقدر على قلب الأعيان ، لا يجعل العصا حية فعلاً لو كان ذلك لقالوا ساحر سحره أقوى من سحرنا كما قال فرعون بالضبط قال إنه كبيركم الذي علمكم السحر ، والسحرة ما ترددوا في أن ما أتى به موسى ليس بسحر ، لأنه حقيقة قد تحولت العصا إلى ثعبان مبين حقيقة وإذا هي تلقى ما يأفكون وقد قال الله عز وجل عنهم { سحروا أعين الناس واسترهبوهم } وقال { يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } فالخلق من صفات الرب سبحانه وتعالى وكذلك قلب الأعيان أن يجعل الحمامة مندبل والمندبل حمامة كل هذا من دعاء صفات الرب سبحانه وتعالى ولا يقدر الساحر على ذلك ، ا

الأشاعرة يجوزون أن يقدر الساحر على ذلك ، وكثير من العلماء يقولون يقدر على قلب الأعيان هذا كلام لأهم فاقوا الأشاعرة في هذا الباب وجعلوا أن معجزات الأنبياء ليس بينها وبين سحر السحرة فارق إلا ادعاء النبوة إلا اقتران دعوى النبوة وهذا كلام باطل بلا شك كما بينه شيخ الإسلام بن تيمية في عدة مواطن سحر السحرة ليس من جنس آيات الأنبياء ، آيات الأنبياء ليس فقط مع دعوى النبوة فكثير من الدجالين يدعي النبوة ويأتي بأشياء من جنس السحر ويخدع الناس فمثل هذا ليس هو الفارق ،

والأشاعرة لشدة نفهم هذه الأسباب يزعمون أن الله لا يجري على لسان الدجال مع دعوى النبوة آيات خارقة وهذا غير صحيح ، مشهور أن كثير من الدجالين والسحرة منهم من يد النبوة وتجري على يديه ولكنها ليست من جنس ما جاء به الأنبياء ولكن يقدر الساحر على ما تفعله الشياطين من وسوسة متكررة شديدة حتى يكره الإنسان امرأته وهذا أمر واقع يمكن أن يقع ويمكن أن يفعله شياطين الإنس أن الغيبة والنميمة تؤدي ما يؤدي إليه السحر من التبغض والعداوة ومن التحبيب والمودة رغم أن هذا إنما يتم من خلال وسائل ظاهرة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحر وهذا ذم أنواع البيان التي تقلب الحقائق أعني لا تقلب أعيان الأشياء لكن تجعل الإنسان يحب ما يكره ويكره ما ينفعه ويفعل ما لا يحل له ونحو ذلك للتأثير عليه بالبيان وهذا السحر أكثر أنواع السحر انتشاراً عبر التاريخ وفي زماننا أكثر الأنواع انتشاراً على الإطلاق زمان الماتيميديا الأنواع المتعددة من أنواعا البيان من خلال وسائل الإعلام التي تؤثر على ملايين البشر حتى يروا المظلوم إرهابياً قاتلاً سفكاً للدماء وهو يقتل عشرات المرات والناس يرونه مجرمًا ويرون الظالم

۱۳۱



من السدر في التجربة الظاهرة فيكفينا استعمال الرقية في باب الرقية ولا نحتاج إلى استدلال ولو استعمله فهو كما ذكرنا مثل هذه الأدوية وهناك أدوية أفضل منه محسوسة ومجربة الآن اكتشفت وجربت بالطرق الحديثة وبطرق تؤدي إلى زوال الربط عن الرجل فمثل هذا أنفع من يستعمل أسباب غير مجربة تجربة كافية ، وكما ذكرنا أكثر العلماء يجوزون مثل ذلك مثل أخذ أوراق السدر ونحوها ودقها وأن تكون سبع أوراق ونحو هذا والذي يظهر أن هذا كما ذكرنا مرده إلى التجربة الظاهرة لأ، هذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق صحيح والأسباب إما أن تكون إما بنوع تجربة ظاهرة كما ذكرن أو بسبب خفي فيكون لابد له من دليل شرعي وهذا إنما نقله من نقله عن باب التجربة كما ينقلون مجمع أنواع الأدوية القديمة من هذا الباب وبعضهم يسميها الطب النبوي وعامتها ليست من الطب النبوي يعني كتاب ابن القيم المأخوذ من زاد المعاد المسمى بالطب النبوي عامته ليس طباً نبوياً عامته مأخوذ من كتب الأطباء الأقدمين في الأعشاب ونحوها على تجربتهم بالأعشاب ونحوها فمثل هذا الأمر فيه واسع وما ثبت خطؤه بالتجربة لم يستعمل ولم يقل أن هذا نافع ولم يقل أن هذا ينبغي استعماله ،

فكما ذكرت أن قول الله عز وجل { وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله } الكوني لا الشرعي ويتعلمون ما يضرهم وما لا ينفعهم إذاً كل ما يتعلم من السحر لا ينفع وهو يضر لأنه يؤدي إلى تعلق القلب بغير الله وربما أدى إلى الشرك والكفر والعياذ بالله فلا يوجد ما ينفع من ذلك ، لا يوجد كما ذكرنا حل السحر عن المسحور عندنا الوسائل الشرعية التي هي الرقى وأخذ الأدوية المعروفة وأما الوسائل الشركية فهي من عمل الشيطان قال تعالى { ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق } يعني من نصيب { ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون } وظاهر هذه الآية تكفير السحرة الذين يتعلمون سحرهم من الشياطين وهاروت وماروت واحتج بهذه الآية من يقول السحرة كفار مطلقاً فالساحر كافر والصحيح أن الآية أخص من هذا التعميم الدليل أخص من الدعوى ، الآية تدل على أن السحر المتعلم من هاروت وماروت ومن الشياطين كفر فبذلك لابد من الاستفصال والله أعلى وأعلم ،

فقوله سبحانه وتعالى { ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر } يدل على كفر السحر المتعلم من الشياطين ومن هاروت وماروت وليس كل سحر وعامة العلماء رغم أن الكثير من العلماء يطلق هذا الكلام ويقول أن هناك من يفصل وأن هناك من لا يفصل من العلماء كما سننقل الكلام حالاً إلا أن عامة المذاهب في النهاية تذكر التفصيل وسندكر الكلام حالاً ،

في الحديث ( اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر )

#### حكم الساحر

اختلفوا في حكم السحر في كفر الساحر فذهبت طائفة من السلف منهم مالك وأبو حنيفة وأحمد قال أصحاب أحمد إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين فلا يكفر ، وهذا الكلام يدل على التفصيل الذي ذكرنا وذكر الشافعي قال إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحره فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما يعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتبس منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد بإباحته كفر ، هذا الكلام منقول عن الشافعي رحمه الله هو الكلام الصحيح والذي عليه عامة العلماء وإن ذكر في سياق الاختلاف لأنك لما تتأمل كلام أصحاب الإمام أحمد وكذا المالكية والحنفية في تفصيلاتهم يذكرون مثل هذا الكلام أن السحر الذي يكون بأدوية وتدخين السحر الذي يكون بخفة اليد ليس هو الكفر ولذا يقولون أن الساحر الذي يكفر هو الذي يذكر الكفر أو يعتقد أنه يفعل ذلك نقول أن هذا التفصيل هو الأقرب ،

هناك من العلماء من يطلق الكفر منهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذكر في النواقض العشرة السحر ومنه الصرف والعطف والصحيح أن الأمر لابد فيه من تفصيل ،هناك ساحر يكون سحره عبارة عن خفية يد كالحاوي أو صاحب السرك مثلاً ، يحضر يسلم وينزل من قطعه تحت ويفعل السيوف في الهواء وبعد ذلك ينزعها مرة أخرى ويخرج الرجل ويجودونه سليم يقول لهم رأيتم قطعه ثم رجعت مرة أخرى ، وكذلك ما يفعله كثير من الشباب في زماننا يقولون السحر الأمريكي والسحر الفلاني ويشترون الألعاب الخفية التي يلعبون بها مع بعضهم وبمناها كلها على أسباب خفية ، التلفزيون من زمن كان بدايته حاجة أسمها الفانوس السحري وهو معروف الآن، استعمال الكاميرات ونحو ذلك في إظهار صورة هي في الحقيقة نوع من التخيل ، لكن هي الآن معروف أسبابه الظاهرة الآن حتى لم يعد يخفى على أحد من الناس فمثل هذا الفعل يسئل في الساحر عن كيفية ما يفعله إن كان عن تقرب للشياطين وتعظيمها وعبادتها أو كان متضمناً لكفر اعتقادي كاعتقاد أن الكواكب والنجوم هي التي تدبر أو كان متضمناً فعل شركي وكفري ، نحن نوسع فقط أمثلة متعددة لما ذكره الشافعي من أنه يتقرب إلى الكواكب السبعة وهذا أمر اعتقادي وهناك من يتقرب إلى الشياطين من الذبح لهم مثلاً ، ويقولون نريد هدايا للفراريات مثل كثير من الناس الآن في البحث عن الآثار ، كثير من الآثار الناس يتناقضون أن الكنوز موضوع عليها أغلاق سحرية وشياطين تمنع الدخول إليها ويقولون لابد من صرف هذه الشياطين وقد يستعينون ببعض من يتقرب إليها بأنواع القرب وأخطر ذلك أن يتضمن ذبحاً ونذراً أو أي قربات ، لا يجوز التقرب إلى الشياطين بشيء ، ولو قرب ذباً يعني الرجل لما قرب ذباً عمل ايه ، هل أحضر سكينه وذبح الذبابة أكان للذبابة رقبه لكي يذبحها لكن أحضر الذبابة وقال هي قربه ولو فعل ذلك لكان شركاً والعياذ بالله ودخل به النار نعوذ بالله من ذلك ، فكثير من الناس ، علم هذا الباب مطروق بكثرة عند كثير من الناس وهو البحث عن هذه الكنوز المدفونة وهناك كتب ترسم الخرائط لهذه الكنوز وتخبر بكيفية حل السحر بطرق سحرية كذلك لصرف الجن فالتقرب إلى الجن من الشرك فاعتقاد أن الكواكب والنجوم مدبرة شرك والتقرب إلى النجوم حتى ولو لم يعتقد أنها مدبرة وإن كان هذا في الحقيقة متلازم لكنه لو تعبد للنجوم وتقرب إليها شرك ، أو هناك أفعال شركية وكفرية مثل الاستهزاء بالقرآن ، مثل ما يسمونه بالسحر السفلي أو الأسفل وهو من يكتب القرآن بالنجاسة والعياذ بالله فهذا نوع إهانة والعياذ بالله ، أو يكتبه بطريقة فيها إهانة للقرآن ونكس ونحو ذلك مثل هذا لا شك في كفر من يفعله ، أعني من يتضمن إهانة القرآن العظيم



أو تقرب للشياطين أو عبادة للشياطين أو تعظيم للشياطين أو اعتقاد في الكواكب والنجوم كل من يتقرب للشياطين بعبادات كمن يسجد للشياطين ومن يذبح لهم فهذا من الشرك الذي لا خلاف فيه بين العلماء أما من يفعل الساحر الدخان وأدوية ويخلطها على بعضها وأثناء الدخان يفعل ما يفعل ويخدع الناس بذلك هذا لا بد أن يعتقد تحريمه لأن تحريمه مجمع عليه وإن استحل كفر ، لأنه استحل معلوماً من الدين بالضرورة أنه حرام إذا لم يكن معلوماً فلا يكفر ، هذا معلوم من الدين بالضرورة مثل زماننا هذا لو قلت للناس الحايي حلال أم حرام ؟ أناس كثيرين يقولون ليس في شيء رجل يبضحك الناس الرجل هذا عنده خفية يد ما الموضوع ، هذا الفعل محرم يوهم الناس أنه أمات رجل ، والناس في السحر يصفقون لساحر تصفيق جامد على أنه طير رقة الرجل ورجعها مرة أخرى وهو في الحقيقة سحر حتى إنهم يسمونه ساحر لكن أن هذا معلوم من الدين بالضرورة ليس معلوم من الدين بالضرورة هذا النوع من السحر لكن بلا شك أن السحر بالتفريق والعطف الصرف عامة الناس يعلمون أنه محرم ،

نعم معلوم من الدين بالضرورة أن الله هو المحيي المميت ، ولو اعتقد أحد أن الساحر يحيي ويميت لكان كافراً لكنه يقول هذا الساحر له شيء خفي أنا لا أعرفه في أنه ما أحيا وما أمات ، مثل ما يقول أنهم عملوا فاتحة في الصندوق ويجعل الرجل ينزل منها على سلم والرجل ينزل حتى يدخل السيوف ويخرجها ويخرجه مرة أخرى ويقولون الرجل خرج فمثل هذا الأمر الصندوق فاضي ، الناس يرون الصندوق فاضي وهو واضح الشيء في كفه وبعد ذلك يجعلها في الصندوق ، وبعد ذلك يدخلها في كفه مرة أخرى ويخرج المندبل ، مثل هذا كثير من الناس لا يعلم تحريمه ، يقولون في أشياء أخفى من ذلك لكن أنا لا أعرفها ، يقول في أشياء أشد ، كثير من الناس في زماننا لا يعلمون أن فعل الحايي لا يجوز كذا المشاهد الذي يشاهد الشرك الذي يدعي فعل مالا يقدرون عليه من تقطيع الإنسان وقلب الحمامة مندبلاً والمندبل حمامة ، لا يجوز هذا يدعي أنه يخلق من الحماد حيواناً لكن هو عارف والناس يعرفون أنه يوهمهم بذلك ، فمن اعتقد أنه يملك ذلك كفر أن يقول أحد أنه فعلاً يقدر كفر وهو طاغوت يجب الكفر به واعتقاد أنه لا يملك الإحياء والإماتة والخلف ، أما لو قال هذه خفة يد وحيل وألاعيب وأنا لا أقدر على الخلق حقيقة بل هو تلبس وألاعيب على الناس وإلا فهو كفر فينظر إلى علمه هو من يشاهده والجهل هناك عظيم جداً الناس يصفقون للسحرة جهلاً منهم بجرمة ذلك ،

الآية دلت على أن السحر المتعلم من الشياطين كفر لأن الله قال { وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل فالسحر المتعلم من الشياطين ومن الملكين هاروت وماروت كفر بدلالة القرآن } وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر { فهما قبل التعليم يحدران من يتعلم منهما من أن يكفر ويخبرانه أنهما فتنه وامتحان للبشر وهذا الذي نعرفه من قصة هاروت وماروت ما نعلم زيادة على ذلك من كتاب أو سنة ، نعرف دلالة القرآن أما أن الملائكة قالت ما أكثر ما يفسد بني آدم فقيل أنهم عندهم الكثير من الشهوة فأمرهم الله أن يختاروا ملكين منهما تركب فيهما الشهوة وينزلان إلى الأرض فينظران ما يفعلان فما أمسا عليهما الليل إلا وزنيا وشريا الخمر وقتلا وأشركا بالله فخير بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا كل هذا الكلام اسرئاليات وفيه مناكير في الحقيقة عند التأمل خصوصاً ما يذكر من أنه كنوع من تبرير للعصاة من أن الشهوات دافعة للإنسان وأنه معذور ومثل هذا كلام فاسد جداً ، يجب أن نبغض من شرب الخمر ومن زنا ومن قتل ومن أشرك بالله والعياذ بالله من ذلك ، فمثل هذا الكلام كلام خطير في الحقيقة ولو رد عن بعض من ذكره من أهل السلف في ذلك فإنهم قد يروى ما يروى عن بني إسرائيل وليس الصحابة بمعصومين حتى يقال كيف لم ينتبهوا إلى هذه اللوازم قد ينقل الإنسان الحكاية وليس بمستحضر لما فيها من لوازم لا تتفق مع العقيدة الصحيحة ، الذي نعرفه ما ذكرنا من قصة هاروت وماروت أنهما ملكان ببابل يعلمان الناس أنواع من السحر لا يعلمان أحداً حتى يحذرونه من أن يتعلم هذا الكفر وأنهما امتحان للبشر وفتنة هناك آثار موقوفة كثيرة من الإسرائيليات التي يجب التوقف فيها وبعضها يجب ردها كما ذكرنا نقول هناك ملكان ببابل اسمهما هاروت وماروت جعلهما الله امتحاناً للعباد ، هذا الفعل فعل كوني قدر الله أن يكونا فتنه أما كونهما طائعين أم عاصيين لماذا فعل الله بهما ذلك؟ الله تعالى أعلم ، قد كانا فتنه وكان هناك من يذهب من الناس إليهما ويطلب منهما تعلم السحر فقبل أن علمنا يقولان له إنما نخت فتنه فلا تكفر وهذا بخلاف السحرة والشياطين الذين لا يحذرون من الكفر يعني السحرة والشياطين يعلمون الناس ويقولون هذا شيء طيب وشيء نافع ويلبسون عليهم فإذا أصر أن يتعلم ويكفر بالله وخرج منه نور الإيمان علموه السحر ، ورد أثر جوده ابن كثير وذكره ابن جرير وكما ذكرنا أثر جيد ومن العلماء من يضعفه لكن ابن كثير يجوده ، نذكره من باب الاستشهاد لا من باب التصديق لكل ما ورد فيه ، البعض يقول أن طالما عائشة ذكرت ذلك إذاً المرأة فعلاً حصل لها ذلك ، لا نحن نذكره من باب الاستشهاد لا ندري حال هذه المرأة في الحقيقة ،

عن عائشة رضي الله عنها قالت ( قدم علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حدثاً ذلك ، . يعني كان قريباً من موت النبي عليه الصلاة والسلام . تسأله عن أشياء دخلت فيها من أمر السحر ولم تعمل به فقالت عائشة رضي الله عنها لعروة يابن اختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفيتها فكانت تبكي حتى إني لأرهما من شدة البكاء وتقول إني لأخاف أن أكون قد هلكت ، قالت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجز فشكلت ذلك إليها فقالت إن فعلت ما أمرك به فاجعله يأتيكي فلما كان الليل جئتني بكليتين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر ولم يكن شيء حتى وقفنا ببابل . يعني بسرعة جداً . حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بكي قلت نتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنه فلا تكفري فارجعي فأبيت وقلت لا قالاً فاذهي إلى ذلك التنور . فرن . فبولي فيه فذهبت ففرغت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا أفعلتي فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئاً فقلت لم أر شيئاً فقالا لم تفعلتي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأبيت وقلت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فافشعرت وخفت ثم رجعت إليهما وقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أر شيئاً فقالا كذبت لم تفعلتي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس أمرك . يعني مازلت مالكة لأمرك مازال الأمر بيدك . فأبيت وأبيت فقالا اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبليت فيه فأريت فارساً مقنعاً بجديد خرج مني فذهب في السماء فغاب حتى ما أراه فجأتهم فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت؟ قلت رأيت فارساً مقنعاً خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقالا صدقتي ذلك إيمانك خرج منك اذهبي ، فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئاً وما قال لي شيئاً فقالت بلى لم تريدي شيئاً إلا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت اطلعي فأطلعت وقلت أحقلي فأحقلت ثم قلت افرقي فأفرقت ثم قلت

أيسى فأيسست ثم قلب أطحنى فأطحت ثم قلت احبزي فأحبزت فلما رأيت لأني ما أريد شيئاً إلا كان سقت في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً ولا أفعله أبداً) هذا الأثر هذه المرأة الله أعلم بحالها عائشة رضي الله عنها ذكرت أنها كانت ترحمها من شدة البكاء يمكن أن تكون صادقة ويمكن أن تكون كاذبة ويمكن أن تكون صادقة ومليسة عليها فما طحت وما زرغت ولكن توهمت فمثل هذا أمر وارد أعني بذلك أن البعض يستدل بهذا على قلب الأعيان وعلى قدرة الساحر على الخلق وهذا ليس بصحيح ، هذه واقعة عائشة نقلتها عنها ولم ترى عائشة رضي الله عنها بنفسها ولا رأي الصحابة ولا رأينا نحن شيئاً حدث من ذلك ، فالسحرة يوهمون الناس والمرأة الساحرة التي أتنها بالكلبين هي ربما التي سحرتها حتى توهمت ذلك لدرجة أنها تقول لم تردى شيئاً إلا كان وهذا ليس من صفات المخلوقين أبداً إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، أما السحرة فأضعف الناس وكما قال الله عز وجل { إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } وكيد السحرة من أضعف ما يكون فلا يقدر على شيء إلا ما شاء الله سبحانه وتعالى فهذا يدلنا على أن السحر المتعلم من هاروت وماروت كفر وكذا المتعلم من الشياطين ليس هذا الحديث فقط أو هذا الأثر إنما الآية ولا يتعملونه حتى يكفروا ولذا نقول لا ليس تعلمه ، لأنه قال تعالى { ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه } وهوما يسمونه الصرف أي صرف قلب الرجل عن المرأة عكسه العطف وهذا الأمر قد يكون بنميمة وغيبة وقد يكون بتقريب لشياطين تبعاً للسحر ، يعني ممكن شياطين الإنس تعمل تفرقة وتعمل عطف ، مثل التبرج ، التبرج هذا نوع من العطف ، أليس كذلك ، لأنه يرى واحد ينصرف عن امرأته ويريد هذه المرأة ، التلفزيون هذا صرف وعطف لكنه ليس من الكفر الناقل عن الملة لكنه فعلاً كذلك ، الناس يشاهدون الممثلات والفاتنات والعاشقات حتى تندمر العلاقات الزوجية وحتى تأتي أنواع الشذوذ الفظيعة وهكذا أيضاً عبر النت ونحوها وهكذا لا يكاد قبل رجل ممن يتعاطى مثل هذا على أهله ويرى فيها العوبة والنقائص نسأل الله العافية ، فهذا والعباذ بالله والغبية والنميمة كما ذكرنا من البيان الذي هو سحر وهو محرم وينبغي أن يجعل ضمن ما أجمع العلماء على أنه ليس بكفر ناقل عن الملة ما لم يستحل ، لأن النميمة من الكبائر وليست كفراً ، الشياطين لها من هذا الباب القدر الواسع لمن لم يتحصن ويمكن أن يقع حتى للبعد التقى الصالح كما وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد سحره الوالد ابن الأعصم حتى يخيل إليه أنه أتى الشيء ولم يأتيه ، أنه أتى أهله ولم يأتيهم هذا في أمر العلاقة بين الرجل والمرأة خصوصاً وكما ذكرنا مما يمكن أن يقع كبراء على الأنبياء ومن يكذب بهذا يكذب بالأحاديث الصحيحة الثابتة وهذا ليس بممتنع عقلاً ولا شرعاً وإنما النبي صلى الله عليه وسلم معصوم في البلاغ ومعصوم أن يكتم شيئاً أمره الله بأن يبلغه ومعصوم بأن يقول على الله ما لم يوحى إليه ومعصوم أن يأتي الكبائر والذنوب وليس معصوماً عليه الصلاة والسلام أن يصيبه مرض وليس معصوماً عليه الصلاة والسلام من أن يقتل وإنما عصمه الله بعد مدة ليس هذا بمنافي للرسالة فقد من الرسل من قتل أعني العصمة من القتل كانت بعد النبوة والرسالة مدة إذا الرسالة لا تنافي الإصابة بمرض والرسالة لا تنافي القتل ، يمكن أن يقع ذلك ، فقد وقع أنه صلى الله عليه وسلم تناول السم الذي اعطته له اليهودية وكان مؤثراً عليه صلى الله عليه وسلم ، لكن ليس الذي أدى إلى موته مباشرة عليه الصلاة والسلام ، والظاهر أنه ليس أنه كان السبب وإنما كان ضمن الأسباب لذلك نقول أن مثل هذا قال الله تعالى { وأيوب إذا نادى ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب } فمرض أيوب كان مرضاً من الشيطان ، يمكن أن تسلط الشيطان على بدن رسول وعلى بدن مؤمن بحيث يصيبه في مرض وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعون ( هو وخذ أعادتكم من الجن ) وهذا لا ينافي الطب الحديث فإن طريقة انتقال البكتريا الناقلة لهذا المرض وسائلها غير مشهودة ممكن أن تنتقل من الهواء ويمكن أن تنتقل بنقل الجن لها فليس بممتنع أن يكون الجن هو الذي نقل هذه البكتريا من خلال الهواء ويدخلها في بدن الإنسان وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله { قد تدخل هذه البكتريا الجسم ولا يصاب الإنسان بالمرض وكم من ميكروب موجود في جسم الإنسان والجسم قد تغلب عليها ، ويتعرض الإنسان أحياناً لنفس الفيروس ونفس البكتريا ونفس الميكروب نفس الرجلين ورجل يمرض وآخر لا يمرض بأمر الله سبحانه وتعالى ، أقول ذلك لأن البعض ممن يأخذ الأمور بعقله يكذب بالأحاديث الصحيحة في سحر النبي عليه الصلاة والسلام بل كثير منهم يكذب بالسحر مطلقاً يكذبون بتلبس الجن الأنس ،

كما ذكرنا الشياطين بأمر التفرقة قد تكون بوسوسة متكررة وهناك ربما يكون شيطان خصص لذلك فلا عمل له إلا الوسوسة لشيخ بأنه يكره امرأته أو يهين له إياها في صورة قبيحة وكذا للمرأة مع زوجها ومن شدة الوسوسة وعدم التحصن وضعف الإيمان ربما يستجيب لذلك ، لا يتوصل الساحر إلى أن يمنع المؤمن من طاعة إلا بنقص من الإيمان لا يجعله وهو في عقله وليس مجنوناً لا يجعله يترك الواجب عليه شرعاً أو يفعل الحرام شرعاً إلا بنقص الإيمان واستسلامه واستجابته لوسوسته وتسلطه عليه أما ما وصل إلى حد زوال العقل والجنون فزال معه التكليف ولا يكون الشخص مكلفاً قال الله تعالى { وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله } بإذنه الكوني كما ذكرنا ، { ويتعلمون ما يضرهم وما ينفعهم } فلا يقول أحد بعد ذلك أنا نتعلم ما ينفع هذا باطل لأن السحر كله ضار بنصل القرآن ولا يقول أحد أني أحل بالسحر المسحور وأتعلمه لأنفع به المظلومين ، فهذا ضار أيضاً لأن التقرب إلى السحرة والكهنة والشياطين من أعظم الضرر على الدين ، ولا يجوز حل السحر بسحر مثله لما رواه أبو داود عن جابر ابن عبد الله قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان ( والنشرة المقصودة هنا هو حل السحر بسحر مثله ، قال ابن القيم ، هذا تفصيل لابن القيم من أحسن ما يجمع به بين ما نقل عن السلف من جواز النشرة وبين ما ورد من حديث من منعها قال ، هي نوعان النشرة وهي حل السحر بسحر مثله نوعان الأول حل السحر بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل القول الحسن يعني قوله لا يحل السحر إلا ساحر ويتقرب الناشر المنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور ،

الثاني من أنواع النشرة ، النشرة بالتعوذات والدعوات المباحة المشروعة فهذا جائز ، انتهى كلام ابن القيم

قد أنزل الله لنا ما يكفيننا من المعوذات التي نزلت لأجل علاج السحر ونزلت لأجل دفع شر الشياطين وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك ، فإن قال قائل فإن لم تنفعه هذه المعوذات نقول نعوذ بالله من سوء الظن ، أنت الذي لا تصلح وأنت الذي لا تنفع أنت تقول لا تنفع بل أنت الذي لا تنفع ، من يقول أن كلام الله الدواء الرباني والدواء الإيماني لا ينفع ؟ هل يظن أن ينفعه الدواء الشيطاني ؟ قد يكون ما به ليس سحراً بل مرضاً نفسانياً أو وهماً يعني أحياناً لما تطول مع الرقية الشرعية واحذ كل الأسباب وظل الأمر موجوداً إذا الأمر هذا في الحقيقة مرض نفسي ولا مانع أن يكون هناك تعلق بين

الشياطين وبين الأمراض النفسية ، نحن قلنا الأمراض العضوية نفسها فيها تعلق ، الطاعون ومرض أيوب هذا كان مرضاً من الشيطان ، فما المانع أن تكون الأمراض النفسية أمراض لها تعلق بالشياطين وطريقة التفكير والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم هذا للإنسان العادي ، ليس أن كل المرضى النفسانيين ملبوسين ، يعني واحد يقول ٩٠% من الناس أصلاً ملبوسة كما ذكرنا هذا من حال أهل الجاهلية وليس من حال أهل الإسلام نسبة عامة الأفعال الشياطين أنه من حال أهل الجاهلية كما ذكرنا في قصة إبراهيم وسارة لما أتيا إلى مصر ، الغرض المقصود أن الأمراض النفسية هذه يمكن علاجها بالأدوية النافعة المعروفة ، يقولون هي كيف تؤثر على الحالة النفسية ؟ البعض يجمل هذه المسألة ، هناك كيماويات معينة في المخ تتأثر نقصاً وزيادة فتؤثر على سلوكيات الإنسان وعلى قضية تفكيره ولا مانع كما ذكرنا أن يكون هناك تعلق بالشيطان العادي الذي هو قرين الإنسان الذي يوسوس له لا مانع أن يكون الوسوسة أيضاً هي مثل هذه المواد الكيماوية ، الشيطان مخلوق من النار وقد علينا أن هناك غازات تدوب في دم الإنسان من الأكسوجين وثاني أكسيد الكربون، أنا لا أقول أن هذا هو الشياطين ، حتى لا يقول أحد ذلك ، لكن أنا أقول هذا علمياً غير ممتنع علمياً نحن نعرف اليوم أن الغضب تكون معه زيادة إفراز الأدرنالين والحزن يكون معه إفرازات مواد أخرى مثلاً يمكن أن تؤثر على أجزاء من الإنسان ، يعني ممكن أن تبيض العين من الحزن تغيرات كيماوية حصلت فعلياً في العين لوجود الحزن ، { وابتضت عيناه من الحزن } ليس كثرة البكاء وفقط ، لأن في مواد كيماوية تفرز ، فما المانع أن يكون الشيطان يوسوس للإنسان طريقة تفكير خبيثة ويدافعها ويجعل هذه المواد تفرز في جسمه ، يدافعها بأخذ أدوية ما المانع من ذلك ؟

الناس في الطب النفسي كأن هذا شيء محدث وأن هذا شيء كأنه بدعة لا ليس الأمر كذلك الأمر واسع والتجربة دليل على مثل هذه الأمور ولاتعارض بين وجود الشيطان وسوسته للإنسان وبين هذه الأمراض النفسية ولكن لا يلزم من ذلك اللبس وتصرف الشيطان وصرعه للإنسان ، الصرع هذا يغلبه على بدنه بحيث لا يستطيع أن يتكلم وإنما يتكلم الشيطان ولا يستطيع أن يتصرف وإنما يتصرف الشيطان وهذا نادر في الحقيقة ليس هو الأغلب ، ولهذا نقول ليس المرض النفس ليس هو السحر وإنما هو حالة نفسية أو وهم فإن الله يقول { إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } ، لذلك لو وجدت أن الأدوية الرقى الشرعية مستمرة مع الحالة لا تقول مضطرب نذهب إلى السحرة ، لا استعمل الأدوية النفسانية الأدوية التي حربت لأزالة الأوهام لإزالة التهيئات لإزالة الهلوسة لإزالة الهلوسة السمعية والبصرية والأفكار السيئة الخبيثة ونحو ذلك، فقال الله تعالى { إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } فكيف تقول أنت أن كيد الشيطان أقوى مما شرعه الله لنا قطعاً هذا كلام باطل ، حتى لا يقول أحد أنا مضطرب أذهب إلى السحرة ، أنا مضطرب أذهب إلى الكهنة ، سبب البلاء في باب الشرك هو قول الله تعالى { ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، } أي من نصيب ليس له في الآخرة من نصيب مطلقاً فيكون كافراً والعياذ بالله ،

قضية الغلو في الصالحين نذكرها بالتفصيل المرة القادمة إن شاء الله تعالى

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

## ٢٥- فصل في اتخاذ القبور مساجد

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

تكلمنا في المرة السابقة عن بعض ظواهر الشرك في أمر توحيد الإلهية من عبادة غير الله من دعاء غير الله عز وجل والذبح لغير الله والنذر لغير الله والحلف بغير الله وذكرنا أمر السحر وما فيه من تفصيل ،

وما هو السبب في انتشار الشرك في الناس ، الشرك فيما يتعلق بعبادة غير الله ، من أعظم أسباب البلاء في هذا الباب الغلو في الصالحين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إياكم والغلو إنما أهلك من كان قبلكم الغلو ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مرثم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ) فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الناس قد وقعوا في الإطراء في المدح المبالغ فيه في شأن المسيح صلى الله عليه وسلم حتى عبده من دون الله فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل المسلمون معه ذلك وهذا خوفاً من أن يصل الأمر بهم إلى أن يعبدوه كما عبد النصارى المسيح ودلت الآيات في سورة نوح في قول الله عز وجل ، { وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً } مع تفسير ابن عباس رضي الله عنه وهو في البخاري أن هؤلاء كانوا أنساً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى أتباعهم أن اعمدوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها فانصبوا فيها تماثيل ولم تعبد حتى نسخ العلم أو نسي العلم عبت فدل ذلك على أن أو شرك وقع على ظهر الأرض بعبادة الأصنام إنما كان بسبب الغلو في الصالحين وأن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر هي صور لقوم صالحين كانوا في قوم نوح على التوحيد وأن الشرك وقع بعد ذلك بسبب اتخاذ فتنة التماثيل وفتنة الغلو حتى وصل الأمر إلى عبادتها من دون الله عز وجل فهذا من أعظم أسباب البلاء في هذا الباب وأيضاً من ذلك بناء المشاهد والمساجد على قبورهم وهذا باب خطير وهو الباب الذي دخل الشيطان منه إلى كثير من المنتسبين إلى الإسلام في باب الغلو في الصالحين وهو يشبه ما فعل مع قوم نوح عندما عبدوا هذه الأصنام التي جعلت في مجالس الصالحين وقد ذكر غير واحد أنهم عكفوا على قبورهم وجلسوا في المجالس مع تلك التماثيل وعظموها ومع تناقص العلم عبت هذه الأوثان فشبها القبور وشبهه التماثيل والصور من أعظم الشبهات التي يدخل بها الشيطان حتى يصل بالناس إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه من هذه الفتنة قبل أن يموت صلى الله

عليه وسلم بخمس وهو في السياق في سياق الإحتضار وهذا لخطر هذا الباب ، وقال في خطبته قبل أن يموت بخمس ( ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وقبور صالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنأكم عن ذلك ) وهي خطبة من معجزات النبوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم حذر فيها من أخطر أنواع البدع التي شهدها العالم الإسلامي فقد قال في هذه الخطبة ( لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن ) وفي الحديث الآخر ( ولكن أحي وصاحبي ) ولكن أخوة الإسلام أفضل وقال ، ( إن أمن الناس علي في نفسه وماله أبو بكر وإن له عندنا يبدأ بجزية الله بما يوم القيامة ) فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة حذر من بدعة اتخاذ القبور مساجد ومن بدعة الرافضة ومن بدعة نفي الصفات لأنه قال ( وإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ) والخلة شدة المحبة والجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ينفون صفة المحبة لله عز وجل والعجب أن هذه البدع تجتمع مع بعضها فبدعة الرافضة من أعظم أسباب الغلو في الإثمة ولاصالحين المنتسبين إلى أهل البيت ومن خلاهم دخلت بدعة بناء المساجد على القبور ثم استقرت عند المنتسبين إلى السنة ولم تكن موجود قبل هذه الدولة الخبيثة المسماة بالفاطمية وما هي بفاطمية ولكنها باطنية خبيثة كانت تظهر الرفض لأنه أقرب مذاهب أهل البدع إلى عقيدتهم الكفرية والعباد بالله ومتضمن لأنواع من الضلالات والكفرات فكانوا يظهرهم الفرض وكان يقول الغزالي باطنهم الكفر المحض وهم الذين أحدثوا هذه المشاهد وهذه القباب على القبور وهم الذين زعموا مشاهد متعددة للحسين رضي الله عنه في مصر وفي الشام بالإضافة إلى ما كان من مرقدة رضي الله عنه في قريلاء حيث قتل رضي الله تعالى عنه الغرض المقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة قبل وفاته بخمس كانوا شر أهل البدع وأخطر أهل البدع الذين هم الرافضة وعباد القبور الذين يتخذون عليها المساجد ثم يأوول الأمر بعد ذلك إلى عبادتها بأنواع الدعاء واعتقاد الضر والنفع والذبح والنذر والطواف والتمسح بالأضرحة وأنواع الشرك المتعددة ونفي الصفات التي اقترنت بهاتين البدعتين فالرافضة عامة عقائدهم مبنية على الاعتزال وكذلك الزيدية عامتهم يقولون بمذهب المعتزلة في الصفات ، وكذلك الصوفية الذين يتخذون القبور مساجد أكثرهم على عقيدة الأشاعرة التي توافق المعتزلة في نفي كثير من الصفات وإن لم ينفوها جميعاً وليس ما كان عليه أبو الحسن الأشعري رحمه الله في آخر عمره من الرجوع إلى عقيدة السلف ، نقول والتمسح بها والطواف حولها من أعظم أسباب البلاء ، الغلو في الصالحين ومن باب التفصيل لهذا الغلو بناء المشاهد والقباب والمساجد على قبورهم ، المشاهد وربما لا تكون مساجد وإنما ممكن تكون مخصصة للزيارة وكذا القباب وهناك أضرحة وليس هناك مساجد يقصدها الناس للطواف حولها والتمسح بها ، والتمسح بها بالحديد الموضوع عليها وبأرضيتها وبالحشب الذي حولها ونحو ذلك وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمح إلا الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة وما مسح الركنين الشرقيين وليس هذا من باب التبرك ولكن ترك ذلك فكيف يظن ظان أنه يستحب التمسح بحديد الأضرحة المستحدث بعد وفاة الصالحين هذا أصلاً ليس من باب التبرك بالصالحين وإنما هو من الذي لم يجعل فيه بركة اتفاقاً بين أهل العلم ،

أولاً رفع البناء على القبور منهي عنه ، نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى على القبور وأمر بكل قبر مشرف أن يسوى وكل قبر مرتفع أكثر من الشبر أو نحوه الذي يكون بعد الدفن الذي يجعل فيه تراب القبر مرتفعاً فوق القبر ليعرف أنه قبر ، كل قبر مشرف يجب أن يزال ويجب أن يسوى ولا يكون مرتفعاً فهذه القباب التي على قبور من يسمون بالأولياء وبعضهم أولياء بالفعل وبعضهم ليسوا بأولياء أو لا يعرف ولايتهم وبعضهم يعرف عنهم البدع والضلال وينقل عنهم أنواع الباطل والشرك أحياناً والعباد بالله ومنهم من لا يعرف وجود شيء في قبره أصلاً بل قد وجد الناس في بعض هذه القبور عند حفرها ونشها عظام كلاب ونحو ذلك نسأل الله العافية ، الغرض المقصود أن ارتفاع البناء عليها هو أصلاً منهي عنه فكيف يقال باستحباب مسح الأضرحة تعبيراً عن الحب نسأل الله العافية، وهذا كما ذكرنا قد اختلف العلماء في مسألة التبرك بآثار الصالحين والصحيح أن ذلك محدث وبدعة وأنه يمنع منه سداً للذريعة بالإضافة إلى ترك الصحابة له مع وجود أفضل الصالحين عندهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المبشرون بالجنة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ومن شهد الله لهم بالجنة وهم على وجه الأرض من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومع ذلك لم يفعلوا شيئاً من ذلك الذي كانوا يفعلونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبرك بآثاره المقصود بها شعره ووضوءه وعرقه وثيابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما كانوا يتبركون بشيء من هذه مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم وكذا النخامة مما ثبت أنهم كانوا يتبركون بالنبي صلى الله عليه وسلم بنخامته والوضوء الذي كان يتوضأ به وما وجدناهم قد ولا واحد مع حرصهم على الخير وحبيهم للأنواع الخير كلها ومساقتهم على ذلك مما لم يختلف فيه عاقل لم نجدهم أخذوا أبو بكر ولا شعر عمر ولا نخامة عثمان ولا ثياب علي هذا مما لا يشك فيه عالم بسيرتهم وناقل للأخبار عنهم ما كانوا يفعلون ذلك إلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك ذلك منهم وهو كالإجماع يدل على أن اقتضار التبرك على آثار النبي صلى الله عليه وسلم هو السنة وأن التبر بآثار غيره هو البدعة بالإضافة إلى ذلك سد الذريعة إلى الشرك والعباد بالله ويكفي أن عمر رضي الله عنه أمر بقطع شجرة زعم الناس أنها هي التي بايع الناس تحتها النبي صلى الله عليه وسلم الناس عندها وذكرت في القرآن وذلك أن أصحاب البيعة أنفسهم جهلوا مكان الشجرة في العام التالي لكن الناس مولعون في الغلو في هذا الباب ، لما وجد عمر ذلك أمر بقطع الشجرة التي يشهرون إليها مع أنها أولى بالتبرك لوجود النبي صلى الله عليه وسلم تحتها في وقت من الأوقات ، دل ذلك على أنه يختصر في هذا الباب على ما ورد فقط دون ما لم يرد ولذلك نقول لا يشرع التبرك مثلاً بالتراب الذي مشى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فيأمنه قطع بأنه قد مشى على الأرض وما علمنا أحد من الصحابة رضي الله عنهم كان يتبرك بالتراب الذي يمشي عليه وإنما كانوا يتبركون بما ذكرنا ، كما لم يثبت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه تبرك مثلاً ببول النبي صلى الله عليه وسلم ولا بدمه فإن الأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة لا تثبت وما ورد منها ورد على سبيل الخطأ وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أراد إن صح الحديث وهو لم يصح كما ذكرنا أراد أن يخفف عنهم ما قد وقع لهم من شرب بوله والنبي عليه الصلاة والسلام كان يستنزه من البول ويستترأ منه صلى الله عليه وسلم وكان يفرق وضوءه على الناس وشعره عليهم ولا يفعل ذلك قط في بوله ورجيعه صلى الله عليه وسلم بل ذكر العلماء في كل كتب المذاهب الأربعة وغيرها نجاسة بول الآدمي ورجيعه ولم يذكروا استثناء الأنبياء من ذلك فهذا زعم المتأخرين ، فإن كان هذا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فكما ذكرنا أمر الصالحين البعد عنه هو الواجب مع وجود خلاف فيما تبرك به الصحابة رضي الله عنهم دون النبي عليه الصلاة والسلام ، لكنه على الراجح لا يشرع ، أثبتنا الخلاف في التبرك في آثار الصالحين البعض قد يقول الأصل عدم الخصوصية وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا ثبت أنه يترك به فالأصل عدم الخصوصية ويتبرك آثار الصالحين فنقول أن هذا الأصل قد نقل عنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك ذلك حيث لم ينقل شيء منه عن الصحابة لم ينقل أنهم فعلوا ذلك مع أفضلهم وأفضل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والمقطوع بصلاحهم فضلاً عن أمر سد الذريعة وما فعله الصحابة من هذا الباب في المنع والتحذير من ذلك على أن

الأصل هو المنع فأما ما أجمعوا على أنه ليس من آثار الصالحين كالحديد والحجر والشجر فهذا داخل في الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال بعض أصحابه وهم حديثي عهد بشرك في غزوة حنين لما كان للمشركين شجرة ينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال الله أكبر أنها السنن قلتهم والذي نفسي كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتبتعن سنن من كان قبلكم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل هو وهو صلى الله عليه وسلم الذي يبلغ عن الله ويمكن لأشياء أن يجعل فيها بركة بشرع الله عز وجل كما زمر مثلاً وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنها مباركة) ويتبرك بشرها ويتبرك بال غسل بها في كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أنه غسل قلبه بماء زمزم فنقول هذا الذي جعل فيه بركة ، النبي صلى الله عليه وسلم جعل طلبهم شجرة يتبرك بها من الشرك المنافي ل لا إله إلا الله مع أنه هو صلى الله عليه وسلم المطلوب منه ومع ذلك عده من الشرك دل ذلك على أن التبرك بالأحجار مطلقاً والأشجار مطلقاً كل ذلك ليس مما جعل الله فيه بركه فإن كان من يجعل ذلك معتقداً أنها تجلب النفع وتدفع الضرر شجر أو حديد أو ضريح على قبر صالح ليس من آثار الصالحين هذا ولا من علامات جبهيم بل من الغلو المذموم بلا شك إن كان يعتقد أن هذا الحجر والشجر يدفع الضرر أو ينفعه أو يجلب النفع أو يأتي بالخير مع الله أو من دونه فهذا من الشرك الأكبر وأما إن كان يعتقد أن الله جعل فيه سبباً للبرك وسبباً للخير فنقول من أين لك بهذا الجعل الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يبين وهذه أمور غيبية لا تدرك بالقلب ولا بالحس ولا بالعقل أن هذا الشيء فيه بركة من غير وجه الانتفاع المعروف نعرف أن الحديد فيه منافع للناس فيه خير نصنع منه السلاح والسكين والآلات القوية وغير ذلك أما أن جعل الحديد والنحاس سبباً لشفاء الأمراض بل أننا إذا مسحنا على الحديد الذي على قبر فلان ثم مسحنا أبداننا به شفي المريض ونحو ذلك ، من أين لك أن الله جعل فيه هذه البركة ، تزعم أن هذا سبب كذب على الله شرعاً وقدرافاً فهذا العياذ بالله من ذرائع الشرك فهو شرك أصغر بهذا الاعتبار كما ذكر أهل العلم القولين في الطلب الذي طلبه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حدثاء العهد بالشرك قبل أن يتعلموا ما سبقهم به كبار الصحابة في هذا الباب وغيره هل كان طلبهم هذا شركاً أكبر أم شركاً أصغر ؟ من أهل العلم من جعله شركاً أكبر ولكن عذروا لأجل الجهل وحدثان العهد بالشرك كما ذكره شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب كشف الشبهات في باب التوحيد حيث قال المسلم العالم قد يقع في أشياء من الشرك وهو لا يدري فإذا نبه وتاب من ساعته لم يكفر فيكون المانع هو العذر بالجهل وكما ذكره الشيخ حامد الفهي رحمه الله في تعليقه على فتح المجيد في هذه المسألة ومنهم من جعل هذا الطلب الذين طلبوا شركاً أصغر وذلك مذهب الشيخ الثاني مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد حيث قال أن من الشرك أصغر وأكبر في قصة ذات أنواط لأنهم لم يرتدوا بذلك فجعل هذا من باب الشرك الأصغر لأنه رأي أن الصحابة لا يمكن أن يقع منهم أن يعتقدوا في الشجرة النفع والضرر بذاتها من دون الله فحمل الأمر على أنه الشرك الأصغر لكن ظاهر الحديث أنه الشرك الأكبر بإقسام النبي صلى الله عليه وسلم أنه مثل قول بني إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ، فهذا القسم منه صلى الله عليه وسلم يدل على أنه من الشرك الأكبر لأنه باتفاق من قال لغيره اجعل لي إلهاً أعبده كان مشركاً وإنما تصور الجهل في قصة ذات أنواط لأنهم لم يصروحوا بطلب الإلهية وإنما بلازمه من أن الطلب بالتمسح بتعليق الأسلحة عليها رجاء بركتها هو يلزم منهم أنهم تضرعوا إليها وانكسروا عندها وصرفوا لها هذا الطلب في الحقيقة فهذا لازم التأليه وليس صريح التأليه وقد لا يلتزم صاحب المذهب مذهب إذا عرف لوازمه ولا يلتزم بهذه اللوازم كما فعل الصحابة عندما علموا أن هذا يناظر أو يلزم منه أنهم يكونون قد طلبوا إلهاً يعبدونه كما فعلت بنو إسرائيل فامتنعوا من ذلك ولا رضوا ولا قبلوا ولا استمعوا على طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم فالصحيح أن الذي طلبوا كان شركاً أكبر لكن لأجل الجهل وحدثان العهد بالشرك أسلموا حديثاً وكانوا على شرك ولم يكفروا بذلك مع سرعان توبتهم بعد البيان ورجوعهم عن هذا القول فأما من طلب تصريحاً أن يشرك بالله عز وجل فهو مشرك ولو لم يفعل لأن الفعل أغلظ لأن الشيخ قال في مسأله على هذا الحديث أنهم لم يفعلوا وهذا الأمر قد يظن البعض أن الفرق أنهم هل فعلوا لو فعلوا لكفروا ولو لم يفعلوا لم يكفروا والصحيح أن طلب الكفر كفر وطلب الشرك الأكبر هو عبادة غير الله كفر لكن الكلام على أن بني إسرائيل تابوا من هذا الطلب وتركوه بعد أن بين لهم موسى بطلان ما فعلوا فالظاهر أنهم وقعوا في الشرك ورجعوا ، الذين طلبوا أن يجعل لهم إلهاً رجعوا لما حذرهم موسى وبين لهم بطلان ذلك وقال { أغير الله أبيغىكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين } فكان هذا توبة كان هذا بداية توبتهم إلى الله عز وجل واستمرارهم مع موسى صلى الله عليه وسلم ، وهذا بلا شك أن من عبد العجل كانوا قد كفروا ورجع من رجع منهم وتاب من تاب منهم فكذلك هنا لكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفروا لأجل وجود الجهل كما ذكرنا ، فرق بين لازم المذهب والمذهب فرق بين لازم القول والقول فمن قال أنه يدعوا غير الله أو يطلب منه قضاء الحاجات ويقول أنا لا أعبد ليزمه أن يعبد فإذا بين الله الأمر فأصر فهو يعبد حتى ولو لم يسميها عبادة لكن من قال أنا أعبد فلاناً أنا أعبد الولي الفلاني أو أعبد الشيء الفلاني فهو مشرك من ساعته لا يتصور الجهل ولا يتصور أنه يخفى عليه ما يناقض التصريح وما يناقض صراحة لا إله إلا الله ، لأن لا إله إلا الله تعني أنه لا يعبد إلا الله صراحة فإذا قال اجعل لي إلهاً أو أنا أعبد إلهاً نقض لا إله إلا الله ، أما إذا كان لا يدري أن جعل ذات أنواط عبادة ، إذا كان لا يدري أن التمسح بالحديد عبادة فعند ذلك لا يلزم بأنه طلب عبادة غير الله من غير جهل لكن لو فعل ذلك هو قد طلب هذا الطلب جاهلاً فلذا لم يكفر والله أعلى وأعلم ، هنا يحتمل الأمر الجهل يحتمل الأمر أنه لم تقم عليه الحجة بخلاف من صرح بعبادة غير الله فالحجة قائمة عليه ببلوغ لا إله إلا الله والله أعلى وأعلم فالعجب في زماننا من يفتي باستحباب التمسح بحديد الأضرحة ويزعم أن ذلك بالتبرك بآثار الصالحين وكذب في ذلك وليس هذا من آثار الصالحين المختلف فيه مع أن الصحيح منعه سداً للذريعة ولو اعتقد فيما يتبرك به أنه ينفع ويضر حتى لو اعتقد في الحجر الأسود الذي شرع التمسح به وإن كان هذا التمسح عبادة مستقلة ولا يلزم أن يكون تبركاً لكن لو تجوزنا وقلنا هو من باب التبرك لكن لو اعتقد فيه أنه ينفع ويضر من دون الله أو مع الله أنه بذاته كحجر ينفع ويضر لكان هذا والعياذ بالله شركاً حتى ولو كان في شيء مشروع فلو اعتقد مثلاً أن شعرات النبي صلى الله عليه وسلم تنفع بذاتها وتضر من دون الله أو مع الله لكان شركاً أكبر والعياذ بالله في اعتقاده وفي تسمحه بهذا الاعتقاد الفاسد ولكننا نقول والله أننا لنعلم أنها أشياء مخلوقة لا تضر ولا تنفع إلا أن الله يجعل فيها نفعاً إلا أن الله جعلها سبباً للخير هو الذي النفع من عنده سبحانه وتعالى ما لم يرد فيه دليل يبقى على عدم جواز اتخاذه سبباً لا يجوز أن يتخذ سبباً بغير دليل شرعي ولا قدري ، القدري الذي هو بالتجربة والحس عندما نحس مثلاً بأن شرب الماء يروي الظمآن نقول قد جعل الله فيه الري والله جعل في شرب الماء الري ، الماء يروي الله جعله كذلك سبحانه وتعالى فهذا سبب من الأسباب لكن من أين لك أن التمسح بحديد الأضرحة يعد سبباً شرعياً لحصول الخير والبركة والشفاء من الأمراض يريدون أن يعيدوا الناس إلى الخرافة مرة أخرى يريدون أن يعيدوا الناس إلى جزعوبات الصوفية التي بحمد الله تبارك وتعالى انقضت وكثير من الناس قد ترك ذلك إهمالاً للدين بالكلية فيريدون فضح أنفسهم بحيث أرادوا نصرة الصالحين بزعمهم عندما يقولون ذلك فيتبرك كثير من الناس بالكلية ويمكن بالدين كله إذا كان



من يتكلم بالدين يقول مثل ذلك ، يرغب الناس في مسح الحديد وشرب البول وشرب الدم ونحو ذلك ، لو كان هذا الأمر عباد الله الأصل أن التبرك بأثار الصالحين عندهم ملحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فهل يزعمون بعد ذلك أن التبرك بشرب بول الصالحين ودمائهم مشروع كذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية، هذا من أعظم ما ينفر الناس من الدين وما يفتح به الباب للعلمانيين وأذئاب الغرب وللغرب نفسه في السخرية من دين المسلمين ، هناك من يدافع وينبري رغم ضعف الأحاديث كما ذكرنا وما ثبتت في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكيف توسعون الباب أكثر من ذلك ؟ ! فالتمسح بالأضرحة والطواف حول هذه الأضرحة وأن الطواف عبادة فلا يجوز الطواف إلا بالكعبة التي شرع الله الطواف حولها فالطواف عبادة إذا كان الطواف حول هذه القبور على سبيل التعظيم والتقرب لها كما يتقرب المسلمون لله عز وجل بالطواف حول بيته الحرام شركاً أكبر ، واحد يلف ويبحث مثل السياح التي يدخلون أين مقابر أولياء الله الصالحين وهم كفرة والعباد بالله هؤلاء السياح الذين يدخلون نصارى وليس لهم ملة ويدخلون في القلعة ويذهبون إلى الحسين ويذهبون إلى الإمام الشافعي ويبحثون مع الناس والسفير الأمريكي الآن يحضر مولد السيد البدوي فممكّن يجعلونه يزور الحاضرة البدوية فمثل هذا لو كان ينظر دون أن يتقرب لا يكون ذلك شركاً لكن عامة من يطوف بالأضرحة إذا دخلها يطوف بها والشيعية هم الذين اخترعوا ذلك في قبور الأئمة الذين يسموهم الأئمة الإثني عشر يعتقدون أنهم الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء يطوفون بقبورهم كما يطوفون بالكعبة وعندهم من الغلو في ذلك من هذه المشاهد والطواف حولها أضعاف أضعاف الثواب في الطواف حول الكعبة ، فلذلك نقول أن على سبيل التعظيم والتقرب لهم شرك أكبر الطواف بهذه الطريقة وإن كان على سبيل النظر بجانب القبر كأن يفعل الطائفون بالمشاهدة هذا ليس من الشرك لكن فيه إقرار بالمنكر أو سكوتاً عنه وكما يقول البعض أنا أذهب فقط للزيارة الشرعية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن السفر لزيارة هذه القبور مجرداً إنما يذهب ويسافر لمجرد زيارة هذه القبور لا يشرع لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا يسافر إلا إلى ثلاث مساجد ) فتعظيم بقعة بالسفر والذهاب إليها قصداً للدعاء هناك أمر داخل في عموم النهي لذلك نقول لا يجوز ذلك بالإضافة إلى الإقرار بالمنكرات ، يعني واحد يقول أنا أذهب إلى زيارة القبور من حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا لا أصنع شيئاً لا من التمسح ولا من التبرك ولا من الطواف ولا من الدعاء ولا من الاستغاثة ولا من الاستعانة ولا من التوسل الشركي والبدعي وإنما أنا أدعوا لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأولياء الله الصالحين وأقرأ لهم الفاتحة كما يقولون نقول فما تصنع في الشراكيات الموجودة ؟ هل تستطيع أن تنكرها ؟ هل تستطيع أن تحذر الناس ممن يشتكي لهم المصائب والحن ويطلب كشف الكربات وقضاء الحاجات وشفاء الأمراض ونجاح الأولاد وحمل العاقر التي لم تلد ولادة الحامل على السلامة ونحو ذلك مما يفعل والشكاوى التي تكتب في أوراق وتلقى والمتمسحون بها الذين يلصقون بطوعمهم وصدورهم كما يفعل المسلمون الموحدون ببيت الله الحرام في الكعبة عندما يفعلون بالملتزم فتجد من يفعل ذلك في هذه القبور ويكي هناك ويخشع أعظم من خشوعه في الصلاة ، ماذا تصنع في هذا كله ، هذه المنكرات تقرها وتسكت عنها أم أنك ستغيرها وتحذر الناس منها ؟ معلوم أنه لو حذر الناس لاتهم بالوهابية واطرد شر طردة لا إلى خارج المسجد بل إلى أقرب قسم حتى يدخل السجن بتهمة التطرف والإرهاب ، فمثل هذا معلوم أنه لا يقع من هؤلاء أي نوع من الإقرار فكيف السكوت على هذا الشرك والذهاب إلى إلى الأماكن التي يكثُر فيها الذبح والنذر والطواف والتمسح والتبرك نسأل الله العافية ،

مسألة الاستحلال في هذا الباب ،

باب الشرك يختلف عما دونه فكثير من الناس يقول لا بد أن يكون مستحلاً والعجب من هذا الكلام إنما شرط التكفير من شروط التكفير أن يكون الاستحلال هذا في الذنوب التي هي دون الشرك أما في الشرك والكفر فإن فعله كفر والعباد بالله وقوله كفر وإنما يشترط فيه استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، واستيفاء الشروط ليس من ضمنها أن يكون مستحلاً ، مستحلاً معناه أن يرى أن الشرك حلال ولا بأس به وأن يكون بالأولى علماً وهذا كلام متناقض إذا كان يراه مشروعاً يقول لك هو جاهل وإذا قال يقول لك ليس بمشروع إذا هو ليس بمستحل ،

إذاً لا تجد كافر ومشرِك في الدنيا بهذه الطريقة ، هذا كلام باطل لا دليل عليه ، إنما الذي رفع عنه القلم المجنون حتى يفيق الصبي حتى يحتلم ، النائم حتى يستيقظ ، كذلك ( وضع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ) وما دل الدليل عليه من اعتبار عدم البلاغ عذراً لقول الله تعالى { لأنذركم به ومن بلغ } فمن جهل الدليل ومن لم يبلغه الدليل وليس كل الجهل وإنما نقصد الجهل الناشيء عن عدم البلاغ ومنه التأويل لكنه يكون لعالم أو مشتبه عليه الأمر فهذه الثمانية هي التي يبحث فيها في أمر من ارتكب شركاً أو كُفراً فلو ارتكب الشرك وهو مجنون لا يكفر

لو ارتكب الشرك وهو صبي صغير لم يكفر

لو ارتكب الشرك نطق بعض الناس تتكلم وهم نائمون فلو تكلم وهو نائم كلام كفري لم يكفر

وكذلك إذا ارتكب أو نطق الشرك أو ارتكبه خطأ كمن قال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح أخطأ من شدة الحزن أخطأ بخطأ ما تلفظ بكلام آخر

نسياناً كمن أبدل آية مكان أخرى كمن قال { أولئك أصحاب الجنة } بدلاً من { أولئك أصحاب النار }

أو أسقط آية نسياناً : لو تعدد إسقاط آية من كتاب الله عز وجل بل حرفاً كمن يقول لا تقولوا قل هو الله أحد ، بل اسقطوها وأقرأوها هو الله أحد ، فهذا مجمع على كفره ، أعني الذي يسقطها نسياناً ،



لكن إذا أسقط أية كاملة لم يكفر

لو أنه تكلم بالكفر مكرهاً هذا هو الذي يبحث عنها هذا من تكلم بكفر لا يدري النهي عنه شرعاً أو تأول دليلاً من الأدلة كمن شرب الخمر متأولاً من الصحابة رضي الله عنهم من شرب الخمر متأولاً قول الله تعالى { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا }

قال لو اتقينا الله عز وجل لا حرج علينا في شرب الخمر فبين لهم عمر الأمر عزم لو أصروا أن يقتلهم ردة على استحلال الخمر مع هذا التأويل المخالف للمعلوم من الدين بالضرورة بعد البيان بعد البيان تكون قد انتشر الأمر ، في زماننا لا أحد يقول هذا الكلام إلا إذا كان حديث عهد بإسلام ، الغرض المقصود أن شروط التكفير هي ما ذكرنا من عوارض الأهلية وليس منها أن يكون مستحلاً إنما الاستحلال هذا في باب الذنوب والمعاصي والكبائر ، هذا الذي ذكره العلماء لا نكفر مسلماً بذنب ما لم يستحله وليس لا نكفر مسلماً ارتكب شركاً وكفراً ونقض شهادة التوحيد وعبد غير الله ما لم يستحله ، ما لم يقل هذا الأمر هو الحلال فأما إذا ارتكب الشرك وهو يعلم أنه شرك ويقول أنا مخطئ أنا مرتكب هفوة من الهفوات صغيرة وما زال مصراً على ذلك لم يتب من الشرك ما قال ذلك أحد من العلماء لا دليل على ذلك من الكتاب والسنة ، { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } هؤلاء سبوا ما بين الشرك وما دون ذلك ، وجعلوا الاستحلال شرطاً حتى فيمن سب الله عز وجل يقولون لا يستحل ، لو قلت أخطئ أنت ؟ يقول أنا مخطئ ، يقولون لا يكفر ، هذا كلام باطل لا نزاع فيه بين العلماء ، هذا لا يقول به عالم ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة كما ذكرنا ، أين في كتاب الله عز وجل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من ارتكب شركاً لا يكفر حتى يستحله ،

حتى يقول هو حلال هو مشروع هو مستحب وإنما لا يكفر المسلم الذي ارتكب شركاً جاهلاً أو مكرهاً أو ناسياً أو مخطئاً أو نحو ذلك مما ذكرنا بالدليل الذي ذكرناه

بالنسبة للتمسح كما ذكرنا قد يكون شركاً أكبر أو أصغر حسب الاعتقاد ، فمن تمسح بالحديد الذي بالقبر أو حوله ولو كان قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما ذكرنا أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من آثار النبي عليه الصلاة والسلام وهذا الحديد مصنوع في العصور المتأخرة ، الآثار الموجودة حالياً أظن من زمن السلطان الغولي أو أزمنة المماليك المتأخرة وليس من العهود الأولى بل داخل هذا المقصورة الحديدية أو النحاسية الموجودة الآن المعدنية داخلها الجدار الخماسي داخلها جدار حجرة عائشة رضي الله عنها أظن هذا قد أزيل لكن أنا أقصد حدود المساحة الحالية ، فمثل هذا لو كان قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله كثير من الناس فهذا الذي يتمسح به أو تمسح بقبور الأولياء معتقداً أنه ينفع ويضر بذاته من دون الله أي استقلالاً أو مع الله مع الله على سبيل الشركة نعوذ بالله ، قال تعالى { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم فيهما من ظهر } فنفي الملك المستقل بقوله تعالى { لا يملكون مثقال ذرة } ونفي المشاركة في قوله { وما لهم فيهما من شرك } ونفي المعاونة بقوله { وما له منهم من ظهر ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فلم تبقى إلا الشفاعة فأبقى الله الشفاعة الشرعية ونفي الشفاعة الشركة أما إن اعتقد أنها سبب وأن الله هو النافع الضار بسببها بسبب هذه الأقمشة أو هذا الحديد فنقول هذا كذب على الله لأن الله لم يشرع التمسح بذلك ، ولم يقل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها سبب فهذا جعله سبب فيما لا سبب فيه ، هذا شرك أصغر لأنه ذريعة للشكر الأكبر كما ذكرنا ، لأننا ذكرنا امتناع الصحابة من فعل ذلك وهو في الإجماع منهم والكل على بدعية هذا الأمر لما كان ذريعة إلى الغلو دخل في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إياكم والغلو وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو )

فصل في اتخاذ القبور مساجد وهو باب مهم حتى نسد باب الشرك الذي وقع حول قبور الصالحين ومن يظن أنهم صالحين ،

قد سد النبي صلى الله عليه وسلم باب الغلو في الصالحين وبناء المساجد على قبورهم بقوله صلى الله عليه وسلم ( إلا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك ) هذا نص واضح في تحريم بناء المساجد على القبور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه في مرضه الذي قبض فيه ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) قالت عائشة رضي الله عنها يحذر ما صنعوا ، في رواية أخر قالت فلولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً في الصحيحين ، نقول فلماذا إذاً دخل النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته إلى جوار مسجده ، هذا الذي بينته عائشة تقول ولولا ذلك لأبرز قبره لولا هذا الكلام لأبرز قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولجعل مستقلاً لكن أراد الصحابة رضي الله عنهم من ذلك ، لما دفنوه في حجرة عائشة التي عاشت فيها سنين بعده صلى الله عليه وسلم أن من يأتي أصلاً بالزيارة لا يقصد القبر بالزيارة ولا بالدعاء عنده ولكن سوف يأتي إلى المسجد تلقائياً لكي يأتي من أراد زيارته إلى المسجد أولاً فيقصد بالصلاة ويؤثر القبر تبعاً وخشوا لو أنهم أبرزوا القبر أن يأتي الناس إلى القبر للصلاة عنده فيكون المصلي قاصداً للقبر فقالوا لا بد أن يقصد المسجد أولاً فلا يستطيع أحد الوصول إلا إذا دخل المسجد أولاً لذلك نقول إن قبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي صار وكأنه في المسجد بعد اتساع المسجد هذا وضع خاص استثنائي لعدم جواز نقل المسجد لأن البركة في الصلاة في هذا المسجد أقصد الثواب المضاعف خاص بهذا المكان باتساعه بعد ذلك ولا يجوز نقل القبر لأن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا ينش وقد دفن في بيته عليه الصلاة والسلام فجعل هذا المكان وقفاً لمقبرته عليه الصلاة والسلام هو وأبو بكر وعمر فهذا الوضع خاص ، الحقيقة أن المسجد مبني قبل القبر قطعاً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بني المسجد في حياته ولم يزد المسجد فضيلة بالتوسعة التي أدخلت فيه القبر حتى صار القبر كأنه داخل المسجد يعني نحن لا نصرح أنه داخل المسجد لماذا ؟ لأن المسجد اتسع من أن خارج القبر لأن هذه البقعة لا تخص بالصلاة ، حجرة عائشة وما اختص حولها بعد ذلك لأنهم جدار خماسي محرف رأس المثلث فيه إلى عكس القبلة حتى لا يتمكن أحد من أن

يستقبل جداراً مستوياً يقصد به قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، فبنوا جداراً خماسياً عندما أرادوا توسعة المسجد من حول القبر كما ذكرنا خارج حجرة عائشة رضي الله عنها في زمن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد يقصد الحجة لكي يصلي في الداخل وما كانت عائشة تترك أحداً يفعل ذلك ، فهي كانت تصلي رضي الله عنها في هذا المكان لأنه لم تكن تقصده بالصلاة من أجل القبر هي تصلي فيه من أيام النبي صلى الله عليه وسلم وهي لن تتخذ القبر مسجداً لم تكن تصلي إليه ،

اتخاذ القبر مسجد يحصل بعدة أمور

بأن يبنى عنده بناءً يقصد به أن يكون مسجداً ، مكان يوقف للصلاة عند القبر سواء جعل القبر في القبلة وهو أشدها أو جعله في المؤخرة أو في الوسط أو في حجة ملصقة طالما بنى المسجد عند القبر

الصورة الثانية

أن يقصد المكان بالصلاة بجواره فهذا قد اتخذ مسجداً

الصورة الثالثة

أن يجعل القبر قبلته

هذه الصور الثلاثة لم تكن في حق عائشة رضي الله عنها ولا واحدة منها وإنما كانت تصلي في حجرتها كما كانت تصلي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تتخذ القبر مسجداً ولن تقصده بالصلاة ولم تصلي هناك لأنها تصلي عند القبر بل لأنه بيتها فلو دفن إنسان في بيته لم تحرم الصلاة في هذا البيت ، للمصلين وللساكنين في هذا البيت عموماً وإنما يحرم أن يأتي إنسان من الخارج ليصلي عند القبر رغبة في الصلاة عنده أعرف قبر بعض أصحاب الطرق الصوفية لما مات دفنوه في الفيلا التي يسكن فيها وأتباع الطريقة - السادة القادرية - يأتون في المولد إلى هذه الفيلا وإلى ساحة القبر فهذا بيت وما زال مسكوناً وأحفاده يسكنون في هذا المكان أو أولاده فمثل هذا لا ينهي أن يصلي إنسان في هذا البيت لكن الذي يقصده ليصلي هناك قد اتخذ القبر مسجداً الذي يجعله بينه وبين القبلة ليصلي إلى القبر قد نحى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور

لو بني مكان وجعلت هذه الفيلا مسجداً وقصد للصلاة وأوقف للصلاة فقد اتخذ هذا القبر مسجداً أما أهل البيت الذين دفن في بيتهم هذا الميت مع خلاف هذا للسنة لعموم النهي عن أن لا تتخذوا بيوتكم قبوراً على أحد الوجهين في التفسير لكن ينهي عن أن يدفن في غير مدافن المسلمين إلا لسبب ، فالنبي صلى الله عليه وسلم دفن في بيته لسبب منع الناس أن يتخذوا قبره مسجداً ، لكي لا يبرز قبره فيقصده الناس بالزيارة ثم بالصلاة بل قالوا نجعله في حجرته التي كان يعيش فيها فالتناس سوف يقصدون مسجده للصلاة طلقائياً ثم بعد ذلك يزورونه الزيارة الشرعية هذا أقل فساداً لذلك نقول القبر حتى بعد هذه التوسعة لا يستطيع أحد أن يتخذه مسجداً إلا أن يدخل بداخل الحجرة ويصلي بداخلها وهذا بحمد الله تبارك وتعالى لا يقع استحباب الله عز وجل لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ) وهذا ليس في أي مسجد آخر ،

المسجد الذي يبنى بجوار قبر حتى ولو كان القبر منفصلاً عن المسجد يعني بجدار ونحو ذلك لكن إنما بني تعظيماً للقبر ، هذا الذي يقال مسجد بني على القبر بني تعظيماً للقبر لكي يقصد المسجد من أجل القبر تبركاً بصاحب القبر هذا مما يدخل في النهي لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أي أتحاكم عن ذلك ) كذا من قصد القبر ولو كان بلا بناء ليصلي عنده إليه أو بجواره لكن إليه أشد لكان ممن اتخذ القبر مسجداً لذلك نقول المكان الذي يتخذ للصلاة يصير بذلك مسجداً إنما يسمى مسجداً للصلاة والسجود فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ) فجعل كل مكان صالح للسجود يسمى مسجداً إلا المقبرة والحمام ، أما من صلى بجوار القبر اتفاقاً كمسجد بجوار المقابر في عدة مساجد بجوار المقابر ، المقابر المشهورة باسم أبو النور بجوارها مسجد يفصل بينها وبين المسجد جدار بالإضافة إلى نحو متر أو نحو ذلك والقبور قريبة جداً من المسجد ولكن الناس يصلون هناك لأجل الصلاة لا لأجل القبور فهذا يصلي اتفاقاً بجوار مثلاً مقابر المسماة بمقابر سيدي بشر بمثابة بينها وبينه طريق لكنه أوسع بكثير من الذي في مقابر أبي النور بطريق واسع وبجواره مسجد ، أقصد المقابر المنارة بجوارها أيضاً مسجد على الطريق بعيد عن المقابر بعيد عنها ومفصول بينها وبينها بجدار ومسافة قد تتسع القبور وتضييق المسافة وقد لا تتسع فتكون مسافة كبيرة فمثل هذا لا يمنع منه فمن صلى بجوار القبر اتفاقاً كمسجد بجوار المقابر منفصل عنها بطريق أو قريب منها هذا لا يضر لأنه منفصل عنها بخلاف ما إذا كان القبر مقصوداً ليصلي عنده ، فالخطر في اعتقاد كثير من الناس في حق النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في مسجده لأجل قبره فيزورون قبره صلى الله عليه وسلم ظناً منهم أن الصلاة في مسجده لأجل قبره يعني البعض يأتي إلى المدينة ليزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، يذهبون إلى المدينة ليصلوا بجوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا جهل عظيم بل هذا من اتخاذ القبور مساجد بل يجب أن ينوي المسافر بالسفر زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لا أن يزور القبر ليصلي بجواره في المسجد فإن المسجد مقصور بالصلاة فيه قبل وفاة الرسول حيث قال وهو حي صلى الله عليه وسلم أثناء حياته ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد مسجدي الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ) وإنما يسافر من أجل المسجد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده ولا يسافر لأجل الصلاة بجوار القبر فالزيارة الشرعية لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم تكون لأن ينوي الإنسان بالسفر زيارة المسجد النبوي صلى الله عليه وسلم لا القبر وإذا صلى في المسجد أي القبر وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنه والله أعلى وأعلم ، وإنما كان ابن عمر يفعل ذلك عند العودة من سفر يدخل المسجد

فيصلي ركعتين ثم يأتي ناجية الحجرة ويقول السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم يا أبا بكر السلام عليك يا أباي ، هذا هو المشروع ، وبعض الناس إذا زاروا المدينة كلما دخلوا المسجد ذهب إلى القبر وليس هذا المشروع بل عندما يأتي وعندما ينصرف إلى المدينة ،

كما ذكرنا هذا الأمر له تعلق بخصوصية المسجد النبوي وعدم إمكانية نقله نعين بالنسبة إلى اتساع المسجد من حول القبر لأن البعض قد يقول فلو ويسعنا المساجد من حول قبور الصالحين حتى تشملها نقول هذا في الغلو وفيه الخطر وهذا المسجد يمكن أن تسع من أي جهة أخرى إلا المسجد النبوي لا يمكن أن ينقل من هذا المكان يتسع من الجهات المختلفة لا ينقل القبر ولا ينقل المسجد وقد وسع المسجد فعلاً من كل الجهات حتى احتاج المسلمون إلى التوسع من جهة القبر ، فنقول لا يمكن نقل القبر لأن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز نبشه وكما ذكرنا قد وقف على مقبرته وكان الأولى أن يظل القبر خارج المسجد منعاً للشبهات كما كان في عهد الصحابة لكن مع وجوده الآن داخل المسجد نحن لا نعلم أحداً من أهل العلم يمنع من الصلاة في المسجد بدعوى عدم اتخاذ القبر مسجداً بل إجماع العلماء على مشروعية الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم على حاله الذي هو عليه الآن ، أما في أي مسجد آخر فلا فإن كان القبر أمامه في القبلة فالحرمة أغلظ وأشد وإذا كان داخل المسجد أو ملتصقاً به أو في حجرة مستقلة أو خلفه فكل ذلك من تعظيم القبر إذا كان قد بني من أجله ،

#### صحة الصلاة

وأما صحة الصلاة في المساجد التي بها قبور وبطلانها ، هذا الكلام على أنها تجوز أو لا تجوز ؟ ،

تكلمنا على أنها لا تجوز لكن هي صحيحة أم باطلة تعاد أو لا تعاد ؟

#### فيها قولان للعلماء

منهم من يرى بطلانها مطلقاً سواء كان في مسجد أو لم يكن هناك مسجد بل ذهب إلى القبر ليصلي بجواره كأن يكون القبر داخل بيت أو حديقته فيذهب الناس إلى داخل المنزل ليصلوا عند القبر هؤلاء قد اتخذوا القبر مسجداً وإن لم يكن عليه مسجد مبني

من العلماء من يقول الصلاة باطلة سواء كان قاصداً للقبر أم لم يقصد ، ومنهم من يقول الصلاة مكروه كراهة تحريم ومن المتأخرين من يطلق الكراهة ،

لكن كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم ، الإمام الشافعي يقول أكره أن يعظم إنسان فيتخذ قبره مسجداً أحشى على من بعده الفتنة ، كلمة أكره عند الشافعي رحمه الله لا تحمل على كراهة التنزيه بل على كراهة التحريم ، لأنه من إحسان الظن بالعلماء أنهم لا يقولون عن شيء لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعله أنه مكروه كراهة تنزيه ، كيف يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل شيئاً ثم يقول العلماء عنه مكروه تنزيهاً هذا لا يمكن إنما يلعن من أتى كبيرة من الكبائر ، ل

لذلك نقول الصحيح في هذا التفصيل من كان قاصداً القبر لأجل الصلاة عنده أو قصد المسجد تبركاً وتعظيماً لصاحب القبر فصلاته باطلة لأن هذا عين ما نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم ، من أجل ألا يعظم صاحب القبر

أما من صلى اتفاقاً من أجل أنه يريد أن يحضر درس علم لشيخ يظنه عالماً أو هو عالم وعنده بعض فنون العلم ، يعني شيخ مثلاً عنده تجويد فيقولون يحضر في المسجد الفلاني الذي فيه القبر فالبعض يصلي هناك لأجل أن يحضر الدرس هذا صلاته صحيحة مع الإثم فمسألة أن الشيخ الفلاني فعل ذلك لا حجة فيه حتى لو كان عالماً ،

بعض الناس يقولون الشيخ الشعراوي كان يصلي في الحسين ، الشيخ الشعراوي كان يصلي في البدوي ، الشيخ فلان كان فعل كذا ، العبرة ليست بأسماء المشايخ ، العبرة بأن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن ذلك ، فنقول صلاته صحيحة مع الإثم يعني لا يجوز أن يصلي هناك ، يأثم أن يصلي حتى لو صلى في الطريق أولى أن يصلي في مكان طاهر ليس متخذ القبر فيه مسجداً من أن يصلي في مسجد اتخذ مسجداً من أجل القبر

حضور الدرس ينبغي أن لا يعلم منه السكوت على ذلك المنكر ، ينبغي أن يبين ذلك الأمر لأن بعض الناس يذهب يلقي كلمة موعظة للناس في هذه المساجد دون أن يبين لهم خطر عبادة غير الله وهو يعلم وجود صنائيق النذور ويعلم وجود الطائفين والمتمسحين ويعلم أن الناس في هذه المساجد تصلي دون أن يبلغها النهي بل البعض يظن أن هذا النهي منسوخ مع أنه كان في سياق الموت للنبي صلى الله عليه وسلم فمن الذي نسخه يحتجون بآثار أهل الكتاب كالتي حذرنا الله من اتباعها فقالوا إن أهل الكهف قد قال الله تعالى عنهم ، { قال الذين غلبوا أمرهم لتتخذن عليهم مسجداً } نقول لم يذكر الله ذلك على سبيل المدح لهم فلم يقل قال الذين علموا أو قال العلماء أو قال الذين آمنوا ، وإنما قال { قال الذين غلبوا على أمرهم } وليس في هذا مدح لهم ولا إقرار لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الذي فعلوه وبين أنهم لعنوا على ذلك فكيف يقال أن الشرع قد سكت عن هذا الأمر.

القرآن تبينه السنة والقرآن أشار أن هذا الأمر بسبب أنهم غلبوا وغلب الجهل على أهل الكتاب في سلاطينهم وملوكهم أعظم من أهل الإسلام لذلك لم يمدحوا على ما صنعوا في ذلك ولم يقرروا بل السنة مبينة أنهم ارتكبوا منكراً عظيماً في ذلك فيحتجون لآثار ضعيفة وباطلة في أن بعض الصحابة اتخذ مسجداً على قبر أبي بصير وهذا أيضاً لا يثبت حديث مرسل ضعيف عن مجهول لا يصح ومراسيل الزهري التي يرسلها ضعيفة وليس في هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على الأمر فسكت وإنما فيه أن بعض الصحابة قد فعل ذلك وإنما العبر بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف وهو يحذر قبل موته بخمس وفي سبابة الموت يحذر من اتخاذ القبور مساجد فأني لكم أن تقولوا أقر النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ مسجد على قبر أبي بصير فمثل هذا لا يجوز كما ذكرنا ،

سؤال

صلاة الجنائز ؟

الشيخ

صلاة الجنائز تجوز أن تصلى في القبور نفسها وعلى القبر نفسه ليس فيها ركوع ولا سجود يمكن أن تصلى في القبر نفسه وفي هذا المسجد ،

أما من صلى وهو يعلم بوجود القبر هذا القسم الثالث

نحن قلنا القسم الأول من كان قاصداً القبر لأجل الصلاة عنده أو بجواره أو قصد المسجد المبني تبركاً لأجل تعظيم صاحب القبر هذا الذي تبطل صلاته على الراجح

من صلى تفافاً من غير قصد التعظيم ولا قصد التبرك بصاحب القبر إنما لغاية أخرى فهو صلاته صحيحة مع الإثم

من صلى وهو لا يعلم بوجود القبر فصلاة صحيحة ولا إثم في ذلك ، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، دخل المسجد ولم ينتبه لوجود الضريح فبعد ما سلم وجد الضريح موجود ، لا حرج عليه ولا يعيد ، العلم شرط من شروط التكليف ،

لو عرف أن في قبر قبل الصلاة ، ينصرف منه ، لو عرف بعد الصلاة لا يعيد الصلاة ، روى البخاري معلقاً في صحيحة ، ( أن عمر رضي الله عنه رأي أنس ابن مالك يصلي عند قبر فقال عمر القبر القبر فظن أنس أنه يقول القمر القمر فرفع رأسه فقال له عمر القبر القبر فتخطى أنس رضي الله عنه وجعله خلفه ولم يأمره عمر بالإعادة ولا بالخروج من الصلاة) فدل ذلك على صحة الصلاة ،

أمر النبي صلى الله عليه وسلم يهدم كل قبر مشرف ، لأن المسلم يحرص على التوحيد يتجنب الصلاة في المساجد التي بنيت على القبور سداً لذريعة الشرك ، يجب إزالة القبر الذي أدخل في المسجد وأما إذا بني المسجد على القبر فالمسجد اتخذ في غير مكان الوقف والله أعلى وأعلم ، بعض المشايخ المعاصرين يقول الصلاة في هذه المساجد الكلام عليها الأمر فيها يسير فكل إنسان يختار ما يشتهي وما يجده في ذلك فلذلك نقول كيف يلعن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً أو يلعن فعلاً ثم نقول عنه أنه أمر يسير ،

كما ذكرنا حديث ثمرة ابن جندب أنه خطب قبل أن يموت بخمس سمع سمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول إني أبرأ من الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أني أنهاكم عن ذل ( وقد ذكرنا أمر صلاة عائشة رضي الله عنها في حجرتها بعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

## ٢٦ - الشرك الأصغر ومظاهره

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

ذكرنا في المرة السابقة أنواعاً من الشرك الأكبر وكذا الكلام على اتخاذ القبور مساجد لأنها من ذرائع الشرك

## وسنذكر فصلاً في الشرك الأصغر

الشرك الأصغر هو كل ذريعة تؤدي إلى الشرك الأكبر ، هذا التعريف ذكره الشيخ ناصر السعدي رحمه الله ، أن الشرك الأصغر هو كل الذرائع والأسباب التي تؤدي وتوصل إلى الشرك الأكبر ، وهي أنواع كثيرة

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر لابد أن نعرفه جيداً لأن الشرك الأكبر هو مذكور في قوله تعالى {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} قد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة (يا رب لم يبق إلا من حبسه القرآن ، ) أي وجب عليه الخلود وهذه الآية هي التي توجب الخلود وعدم المغفرة لمن مات على الشرك ، ومعلوم أن أصحاب الشرك الأصغر لا يخلدون في النار ،

فالشرك الأكبر ينافي أصل الإسلام وينافي أصل الإيمان وينيل أصل الإيمان إذا وجد في القلب حتى مع وجود بعض من أركان الإيمان أبطلها وأحبطها { ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } فلو وجد مثلاً إيمان بالله عز وجل رباً وهذا من أركان الإيمان أو الإيمان ببعض أسمائه وصفاته لكنه في نفس الوقت أشرك بالله في أولوحيته فلم ينفعه إيمانه بالله عز وجل رباً ولا حتى أنواع العبادات التي يؤديها ولا إقراره ببعض أسمائه وصفاته لأنه أما أن زال من قلبه أحد أعمال القلب الواجبة التي هي ركن في الإيمان أو وجد فيه من الشرك والكفر ما يحبطها ، فإذا وجد مثلاً الكبر على أمر الله والإباء ، { أي واستكبر } حتى ولو كان مع وجود التصديق ولو كان مع وجود اليقين بأمر الله سبحانه وتعالى ولو حتى مع نطق الشهادة فإن وجود الكبر والإباء قد أحبط ذلك ، قد أحبط هذا الأصل وأيضاً وجود الكبر يلزم منه زوال أصل الإنقياد من القلب ، أما الشرك الأصغر فحكمه حكم الكبائر في الجملة بمعنى أنه إذا مات قبل أن يصل به إلى الشرك الأكبر ، نحن قلنا أن كل الذرائع توصل وتؤدي إلى الشرك الأكبر ، أما إذا مات قبل أن يصل إلى هذا الشرك الأكبر مات على أصل الإسلام وهو داخل في عموم قوله { ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } وليس في عموم { لا يغفر أن يشرك به } خلافاً للشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لماذا ؟

نقول لماذا المقصود بأن قوله { إن الله لا يغفر أن يشرك به } هو الشرك الأكبر وهو الذي لا يغفره الله لأنه كما ذكرنا أن هي الآية التي حبست في النار والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الشرك الأصغر يمكن أن يغفر بقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل فقال له من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل قال قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ) هذا دليل واضح على أن الشرك الأصغر يمكن أن يغفر وهو لا يعلمه حتى يندم عليه لأن من شروط التوبة الندم والإقلاع وهو لم يعلمه على وجه التفصيل وهو يستغفر الله منه دل ذلك على أنه يمكن أن يغفر فهو ما دون ذلك ومنه الرياء والحلف بغير الله وكل ذريعة تؤدي إلى الشرك الأكبر والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نص على تسميته بالأصغر في قوله ( أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأكبر قال الرياء ) وهو حديث صحيح وكما ذكرنا الدليل إذاً على ذلك أن الله إنما أوجب الخلود على من مات مشركاً بالشرك الأكبر ، الشرك الأصغر صاحبه يخرج من النار وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بخروج صاحب الشرك الأصغر من النار دل ذلك على أنه قابل للمغفرة فإذا لم يحبس بالقرآن من أوجب عليه الخلود لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به { إذاً أن المقصود بأنه { إن الله لا يغفر أن يشرك به } هو الشرك الأكبر لأن صاحب الشرك الأصغر يمكن أن يغفر له كما ذكرنا وأيضاً الدليل الثاني ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لما لا يعلمه وهو ما يدل ذلك على أن من كان عنده مانع من موانع التكفير وزوال الإيمان كمن أكره أو أخطأ أو جهل هذا الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم { ونستغفرك لما لا نعلمه } يدل على أنه ملحق في الحكم بذلك أن من ارتكب خطأ مثلاً الكفر الأكبر نطق بالكفر الأكبر خطأ قال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك ، فهذا اللفظ كفري ويخرج عن الملة إذا قاله عامداً فإذا قاله مخطئاً من شدة الفرح أو من شدة الحزن أو غير ذلك مما سبق إلى لسانه غير ما يقصد فهذا رغم أنه شرك أكبر إلا أنه ملحق بمجاوز المغفرة لما دون ذلك بل هذا في الحقيقة لا إثم عليه أصلاً وكذا في الإكراه وأما الجهل فيندرج فإن كان مقصراً فيما يلزمه من العلم فهو آثم ولكن في جملة الحكم لا يخلد في النار وليس في حكم الشرك الأكبر لأنه ما قصد أن يعبد غير الله ولا أراد أن يعبد غير الله ولا أراد أن يشرك بالله ولكن وقع فيه وهو لا يدري أن هذا من الشرك ولهذا نقول أن من ارتكب هذا الشرك الأكبر مخطئاً أو جاهلاً الخطأ كما قلنا أنه أخطئ من شدة الفرح أو جاهلاً أو مكرهاً أو ناسياً

كمن أنكر آية آيات الله ناسياً أنها آية

وكذا من فعل ذلك وهو صغير طفل دون البلوغ

أو كان ممن يتكلم في نومه فتكلم فهو مرفوع عنه القلم

أو تأول أمراً من المعلوم من الدين بالضرورة مما يكفر المخالف فيه لكنه هو في نفسه كان متأولاً ولم يستفرض العلم في زمنه في ذلك فنقول كل من فعل ذلك ليس من أهل ... كما يقول بعض الأفاضل المعاصرين أيضاً أن من ارتكب الشرك الأكبر جاهلاً أو متأولاً أو نحو ذلك فإنه من أهل الامتحان في الآخرة وبعضهم يقول هو كافر في أحكام الدنيا والصحيح أن لا بل الصواب أن لا ، أن هذا طالما ثبت له الإيمان أصل الإيمان يعني ظاهراً وباطناً فهو ليس بخارج من الملة في أحكام الدنيا بل يتمتع تكفيره في الظاهر ويمتنع خلوده في النار في الآخرة طالما بقي معه أصل الإيمان لم يحبط وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( قولوا ونستغفرك لما لا نعلم ) فإذاً يمكن أن يغفر ما لا يعلمه الإنسان ، إذاً معنى

ذلك أن من ارتكب الشرك الأكبر جاهلاً كان في حقه أصغر ؟ نقول لا لأن الفرق مهم جداً فيمن زال عنه هذا المانع ، يعني إنسان نطق بكلمة الكفر عند الإكراه إذا زال الإكراه هل يكون حكم النطق بكلمة الكفر يكون شكراً أصغر ؟ لا بل هو شرك أكبر ، نقول من ارتكب الرياء بعد علم أليس كل المسلمين يعلمون أن الرياء محرم ؟ قل عامة المسلمين ، ومع ذلك لو ارتكبوا شيئاً منه بعد العلم هل يكون ذلك مخزجاً من الملة ؟ لا ، هذا فرق مهم فرق مهم بين أن يرتكب الشرك الأكبر وينزل عنه الموانع من موانع التكفير فينطبق عليه حكم الشرك الأكبر في الدنيا والآخرة وبين أن يرتكب الشرك الأصغر ولو عامداً وعلماً فإنه لا يزال في دائرة الإسلام فلو رأى إنسان وهو يعلم أنه مرآئي كان أثماً عظيماً مرتكباً كبيرة من الكبائر ولكنه لا يخرج من الملة وليس الأمر كما يقول البعض بعض العلماء أيضاً بأن ذلك مردود بأنه يسير أو كثير كما قد يفهم من كلام صاحب معارج القبول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله كما يقول أن يسير الرياء شرك قد فهم البعض أن كثير الرياء شرك أكبر لما يقول الرياء يسيره شرك أصغر إذا كان الكثير منه ؟ لا بل نقول طالما لم يرآئي بلا إله إلا الله بل لا يزال يقولها خالصة من قلبه وإنما رأي بالأعمال وإنما رأي بحفظ القرآن ورأي بالجهاد و رأي بالعلم والتعليم ولو كثر ذلك بل ظاهر حديث ( إنما تعلمت ليقال عالم وإنما قرأت ليقال قارئ ) الحصر ، أليس كذلك يقول وإنما قرأت ، يعني ما قرأت إلا ليقال قارئ هذا دليل أنه تكرر منه ذلك ، والعبرة أنه ليس مخلداً في النار طالما كانت لا إله إلا الله على الإخلاص فالعبرة بثبوت أصل الدين أصل لا إله إلا الله في قلبه وأن محمداً رسول الله طالما قد بلغته ،

فإذاً الفرق بين الشرك الأكبر والشكر الأصغر هو في هذا الباب مهم جداً فإذا قلنا هذا الشيء كفر أصغر يترتب على هذا أن من ارتكبه ولو على عمد ولو على علم لا يخرج من الملة وأما إذا قلنا هو شكر أكبر ولكن من ارتكبه جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً كان حكمه كحكم أصحاب الذنوب في عدم الخلود في النار وفي بقاء حكم الإسلام له في الدنيا ولكن لا يعني ذلك أن نحون الأمر على الناس لأن بعض الناس يجعل بعض الأمور من باب الشرك الأكبر خروجاً من مشكلة معينة أنه يقول إذا قلت ذلك سنكفر كثير من المسلمين ، أكانت القضية بالكثرة أو بالقلّة ؟ ليست العبرة بذلك ، لو أحم ارتكبوا فعلاً هذا الكفر وكان كفراً أكبر وكان الحكم أن يلزمهم فليزهمهم ، العبرة ليس بأن هذا سوف يكون كثيراً أو قليلاً ، فالعبرة بأن هذا ثبت به الدليل أم لا ، يعني لا بد أن ينظر في هذا الباب لأن من يهون من بعض الأمور أو من يشدد في بعض الأمور ويجعلها شرك أكبر كما ذكرنا ذلك مثلاً فيمن يقول في من يسأل الأموات أن يدعوا الله له ، قلنا أن هذا من باب الشرك الأصغر ، يقول ادعوا الله لي ياسيدي فلان ادعوا الله لي ، قلنا بخلاف من يقول ياسيدي فلان اشفي مريضتي اغفر ذنبي ، هذا هو الشرك الأكبر لو دعا غير الله ، فالأمر ليس ما يترتب عليه ماذا ، الأمر أن هذا دل عليه الدليل أم لا يدل صرف العبادة لغیر الله أم لا ، لذلك نقول أن هناك فرق بين الأمرين وبين أن نثبت أن هذا شرك أكبر لأنه إذا ثبتت الشروط وثبت انتفاء الموانع فإن صاحبه يكون كافراً في الدنيا مخلد في النار في الآخرة لكن الشرك الأصغر أكثر أو قل هو من حكم الكبائر وهو في الجملة من جنسها ولا يلزم أن يدخل صاحبه النار بل هو في المشيئة كما ذكرنا الدليل على ذلك

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول أن الشرك الأصغر لا يغفره الله ولكن ليس على سبيل الخلود في النار وإنما على سبيل أنه لا بد أن يعذب وهذا الكلام قد ذكرنا ما فيه من النظر وأن الصحيح أن الشرك الأصغر يمكن أن يغفر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرشدهم إلى أن يقولوا ( ونستغفرک لما لا نعلمه )

من أنواع الشرك الأصغر ،

تعليق الخيوط والحلق وحدوة الحصان والخرز والودائع والتماثيل والأحجبة معتقداً أنها أسباب لدفع العين والحسد والشر أما لو اعتقد أنها بذاتها تنفع أو تضر فهذا شرك أكبر في الربوبية وتعليقها طلباً لقضاء الحاجات شرك أكبر في الإلهية ، يعني الاعتقاد المجرد ، يعني لو أنه لم يعلق الودع لكن هو معتقد أن الودعة الفلانية هذه تنفع وتضر بذاتها حتى لو لم يعلقها يكون شرك أكبر في الاعتقاد ، إذا علقها لكان ذلك شركاً في الإلهية في العبادة لأنه طلب منها بهذا التعليق دفع العين من الحسد والشر أما إذا قال أنا أعلم أن الله وحده هو الذي ينفع وضر ولكن نأخذ بالأسباب ، سبب ينفع الله به ويكشف الله به فنقول هذا كذب على الشرع إذ ليس هناك دليل شرعي على أن الحلقة والخيوط الذي يربطه البعض من الحمى كما فعل ذلك حذيفة رضي الله عنه ، إنما وجد رجلاً قد علق خيطاً من الحمى فقطعه وقرأ قول الله { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } الحمى يربط لها خيط الحمى هذه إما تأخذ بسبب شرعي وتدعوا الله يارب اشفي واذهب عني اللهم أذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ، تأخذ شيء من الريق مثلاً وتضعه على التراب تربة بعضها بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا ، هذه أسباب شرعية ، سبب دل الشرع عليه ، المقصود به دل الشرع على أنه سبب مع أنه ليس عندنا في التجربة الطبية إلى يومنا هذا أن الريق إذا وضع على التراب ووضع على بدن المريض أن ذلك يكون من الأسباب ، عندنا سبب آخر الذي عنده حمى يأخذ أزرين يأخذ دواء معروف مجرب عرف كيف يؤدي إلى خفض الحرارة وإلى علاج هذا المرض فهذا سبب كوني أي دل التجربة ودل الأمور السنة الكونية التي جعلها الله في خلقه سبب فأما أن يقول أن هذا سبب ، وأما أن يقول أن هذا سبب بغير دليل شرعي وبغير دليل قدرتي يعني بغير تجربة وبغير علم دنوي محسوس فإن ذلك من الكذب على الشرع أو على القدر ،

فلو قال إنسان مثلاً أن دفن الفولة أو العدسة في مكان ما هو علاج للسنتظة ، الناس تجعل علاج السنتظة أما أن تجعله كيماوي مثلاً أو بالكهرباء بالكلي أو بالدعاء ، يأتي واحد ويقول هات فوله وادفنها في كذا وعندما تدمر الفولة ولو قرأ عليها بعض الرقي يقول وادفنها ومع دبوها سوف تدبل السنتظة وهذا جزنا ، هذا ليس بمعتبر ، التجربة المقصود بها التجربة العامة تكون سنة من سنن الله في الكون ، سنة في الكون بأننا مما عرفناها ؟ بأن الماء يروي العطشان وأن الأكل يشبع الجائع وإن الضرب بآلة حادة تسفلك الدم معنا أسباب ظاهرة سنة كونية إن ربنا سبحانه وتعالى جعل هذا أمراً مستمراً لا يكون بهذه الطرق الخفية التي لا يعلم عنها شيء ثم يخترع لها بعد ذلك أنواع من العلاقة أو السببية ، أن هذا ليس مشروعاً ، الرقي بنفسها مشروعة أنت تريد أن تربي السنتظة ارقها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح الرقي وقال ( لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك ) قال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن شركاً أما ما يحيط بالرقية من كلام ، يعني لا يقول أنا سوف أعمل لك حجاب وسأقول لك فيه رقية ، لا إذا وضعت حجاباً ووضعته فيه قمح وشعير وحمص وحب سوداء وقلت هذه هي الرقية؟ من أين أتيت بهذا ؟ مثل ما يقول أنا سأعطيه حقنة مرقى عليها ويعطيه له في الوريد ويقول خذ هذه الحقنة في الوريد لكي



تدخل على الدم وتخرج العفارت هذا طريق في الرقية ليس بمشروع أنه يقرأ على شيء يجعله في الوريد ، فمن يجعل مع الرقى أشياء أخرى من جنس فعل الكهان لا يشرع ذلك ، بل هذا من الأسباب الباطنة والأسباب الباطنة لا بد لها من دليل شرعي حتى يثبت أنها سبب ، إذا لم يثبت أنها سبب كان ذلكم من ذرائع الشرك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ) وفي رواية من تعلق تميمة فقد أشرك ( الحديث هناك من العلماء من يضعف إسناده ولكن الظاهر تقسيمه للطرق ، من تعلق تميمة فقد أشرك ، فالتمائم ما يكتب من أقوال على أوراق وتعلق على الأطفال أو الكبار ، الخلق مثل الحلقة من الصفر الذي هو النحاس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من جدها عليه فقال ما هذه فقال يا رسول الله من الواهنة قال انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً والله لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً ) وهو مع كونه في إسناده بعض الضعف اليسير لكن يؤيده ( من تعلق تميمة فقد أشرك ) و \_ ( ومن تعلق تميمة فلا أتم الله له ) فهذا يدل على أنها كان من جنس هذه الحلقات كذلك ،

اختراع بعض الحلقات التي لها مجال مغناطيسي ولها تأثير كذا وكل هذه الأمور مما لم تثبت به التجربة ولم تصل سنة كما ذكرنا كونية وإنما تعرف الأمور بأنها أسباب بجران الأمور المعتادة ، بجران العادة بما كما ذكرنا أن الناس كلما شربوا رويوا يعني وشعروا بالري وليس كل من تعلق حلقة نحاسية وجد ذلك فمثل هذا الأمر لا يقبل أنه سبب كما ذكرنا

، لو من الناحية الطبية لكي تثبت قواعد البحث العلمي يفعل على حالات متعددة ولا يوجد واحد بعث علمي أبداً أنه يقول فلان جربها ووجدتها جيدة ، لا يثبت بحث طبي بهذه الطريقة ، بل هذا البحث يفعله على مائة حالة ومائتين حالة وكلما زاد البحث وتكررت الأبحاث وتعددت حتى يثبت أن هذه حقيقة عمرها ما تثبت في مجلة طبية محترمة إلا بعد تكرار أبحاث دقيقة متكررة حتى يثبت أن هذا الدواء له أثر ، فمسألة أن الحلقة النحاسية هذه وواحد يخرج على التلفزيون ويقول أنا جربت فيها ووجدت فيها كذا وكذا والآخر يقول المادة الفلانية أو الطريقة الفلانية وجدت فيها كذا وكذا ، لا بد لكي نقول أن هذه أسباب ظاهرة لا بد من تجربة متكررة حتى تكون سنة كونية ونقول هذه من سنن الله في كونه لكن ليس بمجرد ادعاء إنسان أنه وجد نفعاً وإلا فالرجل الذي ذهب ومسح الحديد الذي على قبر البدوي يقول هذا في الترياق الشافي ، أنا وجدت فيه كل أنواع النفع ، ويقول أنا الله هو الذي شفاني به ، نقول هذا كذب على القدر وهذا ليس سبب ظاهر لكي تقول ذلك ، فمثل هذا الكلام لا يثبت ولا يقبل ،

تعليق أشياء للزينة ليس من هذا الباب ، يعني واحد يعلق مثلاً كما تلبس النساء لفظ مثلاً سبحانه الله أو الحمد لله ، ليس على سبيل الزينة ، مع أن هناك خلاف بين العلماء في التمام من القرآن ، هناك بعض الأشياء يعلقوها من باب الزينة لا تكون من باب دفع الشر ،

لا الخمسة وخمسة عمرها ما تكون من باب الزينة ، لو علق أسماء الله الحسنى أو علق اسم الله من باب التزين للمرأة لا من بنية دفع العين والحسد فهذا ليس من الشرك وهذا ليس من التمام ، إذا استعمله أو علقه على جهة الحفظ من العين والحسد لدفع الشر وجل النفع بأنها أسباب يكون من الشرك الأصغر على الراجح لكن هناك خلاف معتبر في التمام من القرآن وأسماء الله سبحانه وتعالى ،

القراءة على الماء ورد بما حديث فيه ضعف يسير لأبي داود ويمكن أن يضاف عليه بحديث جمع البزاق الذي هو ثابت في الصحيحين فيقال أن هذا من هذا الجنس ، الرقية على الماء القراءة على الماء مثل النفث الذي فعله الصحابي عندما كان يرقى من اللدغ والله أعلم ،

الخزعة الزرقاء خصوصاً التي تعلق على الأولاد الصغار وكذا تجعل في سلاسل النساء يضعون خزعة زرقاء لدفع العين والحسد وأحياناً خضراء لكن على سبيل الندرة ، وكذا ما يرسل من العين لدفع العين والحسد وفي وسط العين خرزو زرقاء والأحجية كثير بلا نزاع إذا كانت متضمنة لكلام مجهول إذا لا شك أنها داخلية في عموم ( من تعلق تميمة فقد أشرك ) أما إذا كانت من القرآن فهذا فيه خلاف والصحيح أنها تمنع ولا تشرع لأن الآثار المروية عن الصحابة في ذلك ، عن عبد الله ابن عمر ابن العاص لم تثبت ولا عن عائشة رضي الله عنها فإذا لم تثبت عن الصحابة وكانت داخلية في العموم فالأصل العمل بهذا العموم حتى يأتي مخصص ، ثم تعرض القرآن للإهانة لأن الأطفال الصغار غالباً ما يحصل منهم نجاسة أو غير ذلك فقد يتعرض القرآن للإهانة وكذا أسماء الله الحسنى فلا يشرع مثل ذلك فالعموم باقي على أنه يشمل هذه الصورة حتى يأتي مخصص ،

المنع من إهانة القرآن ، السبب الثالث أن ذلك لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم لكن إثبات الخلف في المسألة نعم فيها خلاف ، والذي يظهر والله أعلم أن الكتاب في طبق من باب التمام وليست من باب الرقى ، يعني باب الرقية عبارة عن كلام يكتب ويعلق فمن يكتبه في طبق ويمسحه ومحوه بالماء حتى وإن رود عن بعض العلماء لكن هذا لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، المسألة أثبتنا الخلاف فيها وهذا ليس من باب الرقى ، الرقى كلام يقرأ ، التعازيم والدعوات التي تقام وأما أن يكتب آيات معينة في طبق ويمحوه فالقرآن لم يكتب ليمحى لا ينبغي أن يكتب ليمحى ولا ليحرق كما يفعل البعض ، أن يكتب آيات معينة على ورقة ويحرقها ويشتم بخارها أو رمادها للمريض ، القرآن إنما نزل ليقرأ ويعمل به ولا يجوز أن يكتب زحماً ولا ليكتب ليحرق ولا يكتب ليضرب به ، الاختراعات العجيبة أنه يقول اكتبها على الجلد ليضرب بها المصروع هذا فيه من إهانة القرآن بلا شك وإن كان صاحبه لا يقصد الإهانة لكن لا يجوز ذلك أن يضربه على صوت أو حزام ويضرب من يزعم أنه الجني بهذا الحزام كل ذلك من اختراعات المعالين الذي أدخلوا أحوال الكهنة في العلاج بالرقى والتعذيب ، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا الأمر مهنة من المهن ، أمر الرقى أمر واسع قال النبي صلى الله عليه وسلم ( عرضوا علياً رفاكم ما لم يكن شركاً ) فلماذا يقولون الشيخ فلان هو الذي يرقى ، علمه أن يرقى أولاً أن تعلمه طالما يحسن القراءة والحفظ والناس اليوم بفضل الله عامتهم يحسنون القراءة ويحسنون أن يحفظوا ويحسنون أن يقولوا يمكن أن تكتبها في ورقة ليقولها لنفسه ويرقي بها نفسه فهذا أولى به أن ترشده ممن يكون ممن لا يسترقون ولماذا يتخصص أناس في هذا حتى يسافر الناس إليه من

البلدان ويأتون بالعجائب والغرائب يزعم أن هذا من الخيرة التي اكتسبوها وكلها كما ذكرنا أسباب باطنة وليست أمور مستقرة قد صارت من السنن الكونية التي هي الأسباب التي جعلها الله ،

نقول إن كان المعلق من القرآن فقد اختلف فيه العلماء فكرهه كله عبد الله ابن مسعود وأصحابه وهو قول ابن عباس وظاهر قول حذيفة وعقبة ابن عامر وابن حكيم ونقل جوازه عن عبد الله ابن عمر ابن العاص وعن عائشة ولا صح ، والصحيح المنع منها لعموم النهي وسدلاً للذريعة ومنعاً لامتهانه لحمله أثناء قضاء الحاجة ونحوها

من مظاهر الشرك الأصغر وأنواعه الرياء وهو الذي نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ذكرنا ، ( واعلم أن حقيقة الرياء طلب الجاه والمنزلة عند الناس بالعبادات والرياء أصله طلب الرؤية ومشتق من الرؤية ، مثله التسميع لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( من رآني الله به ومن سمع الله به ) فالتسميع أن تطلب سمع الناس أي سمعهم من خلال ما يسمعونك ، كما تطلب مدحهم من خلال ما يرونه منك لكن إن كان بشيء من الدنيا فهو مذموم بلا شك ولكن أكثر ذماً منه من يظهر عبادة الله وهو ينوي مدح الناس ينوي طلب مدح الناس ينوي سماع ثنائهم عليه وحسن ظنهم فيه ونحو ذلك فهذا الرياء الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم ( أن يقوم الرجل يصلي من أجل رجل شبهه أنه كان يصلي له ) لهذا كان شبيهاً للشرك ،

هو أقسام

تارة لا يراد بالعمل سوى المخلوقين لغرض دينوي كحال المنافقين في صلاتهم ولا يشك مسلم في حبوط هذا العمل وقد ظن البعض أن هذا القسم من الشرك الأكبر وليس كذلك قالوا إذا كان العمل كله للناس كان شركاً أكبر ليس كذلك طالما بقيت لا إله إلا الله كما ذكرنا لكن هذا العمل لا ثواب فيه عمل حابط يجب أن يعيده إذا قام إخراجاً مثلاً من الناس إذا قالوا قم فصلي فقام فصلي لأنه مخرج فقط لم ينوي هذه الصلاة لله يجب عليه أن يتوب إلى الله وأن يعيد تلك الصلاة لأنه ما نواه الله ولا يتصور أن يدخل فيها بغير نية لله بل إنما وقف معهم ومن هنا كان عمله حابطاً وقف وقام وركع وسجد ،

أخبرني بعض الأخوة أنه كان مع بعض العلمانيين من بعض أحزابهم ممن دخل في هذه الأحزاب فكان يقول أحكم لا يعرفون الصلاة إذا قيل لهم أتوا إلى الصلاة حتى يقوم بعضهم محرراً وربما لا يدخل ليتوضأ ويكون قد خرج من الخلاء دون أن يتوضأ قام محرراً ليس له رغبة في أن يصلي ولا أن يتدين لدين الله وكثير من الناس يصوم رياءً ويصوم من أجل أن الناس يقولون عنه أنه مفطر وهذا قبيح عنده وهذا أيضاً عمل حابط لا يقبل ،

أما القسم الثاني

فهو أن يكون العمل لله ويشركه الرياء في أصله والنصوص تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه كما قال الله تعالى في الحديث القدسي ( أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ) يعني هو من البداية يعمل لله وللناس يريد أن يأخذ الأجر من الله وهو في حقيقة الأمر يعمل من أجل الناس مع كونه يريد الأجر من الله لا يقبل يتركه الله عز وجل لأنه الغني سبحانه وتعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه

تارة أخرى وقسم ثالث ،

يكون أصل العمل لله عز وجل ثم تطرؤ عليه نية الرياء أثناء العمل يطرأ علي ويدخل عليه أن فلان ينظر إليكم أن الناس سيقولون عنك كذا وهو إنما انطلق ابتداءً لله عز وجل فإن كان خاطراً ودفعه لم يضره بلا خلاف نقل ذلك ابن رجب رحمه الله بأن الخواطر إذا دفعها الإنسان جاهد في الله تعالى فهذا لا يضره ورود الخواطر وهو داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت بها أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم ) وأما إن استرسل معه هل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ؟ ويجازى على أصل نيته ؟ فيه خلاف بين السلف كما ذكره ابن رجب رحمه الله ، ورجحه أنه يجازى بأصل نيته . وقال أن هذا قول الجمهور ، لكن لا شك أن من استرسلت خواطر الرياء معه واسترسل مع خواطر الرياء وظل يكررها لنفسه لا تنفك أن تكون مشجعة على العمل ومن هنا لا شك أنه ينقص أجره على الأقل ، نسأل الله أن يعافينا جميعاً ، أجره قد نقص لأن العلم لم يتم على الإخلاص لأنه لم يعمل ما يلزمه من دفع الخواطر السيئة ،

أما الحلف بغير الله فقد سبق ذكره بالتفصيل إذا حلف بغير نية التعظيم للمخلوق كتعظيم الله لكن هو نوع من التعظيم يشبه ما يفعله المؤمن لتعظيمه الله عز وجل لكن لو سئل هل يعني بحلفه ذلك أنه يعظمه كتعظيم الله لأنكر ، من قال مثلاً وحياة أبي وشرف فلان وتربة فلان ، لو قلت أتعظمه كتعظيم الله ؟ يقول لا ولكنه يفعله بهذا نوع من الشرك الأصغر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من حلف بغير الله فقد كفر ) وفي رواية ( فقد أشرك ) وقال ( إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لم يعامل النبي صلى الله عليه وسلم من وقع منه مثل ذلك لجرياتها على اللسان من الصحابة رضي الله عنه معاملة المرتدين فدل ذلك على أن هذا من الشرك الأصغر لكن إن قامت القرائن على أن من حلف بغير الله يعظم المخلوق به كتعظيمه الله ربما أشد كان ذلك من الشرك الأكبر كمن تتوجه عليه اليمين فيقال له أحلف بالله فيحلف كاذباً فإذا قيل له إذا أحلف بالشيخ الفلاني أو كما يقال للنصراني احلف بالمسيح أو بالصليب فتلجج ويتردد ويقر ويعترف بالحق الذي عليه فلا

شك أن هذا قد ظهر منه أنه يظن هذا الخلو به أشد من تعظيمه لله فلا يكون شركاً أصغر وكمن يكون له الحق في يمن صاحبه فيقول له سيحلف لك بالله فيقول لا بل يحلف بهذا القبر أو يحلف بصاحب هذا القبر أو يقول بهذا الطالب الغالب أو الغالب الطالب فمثل هذا من الشرك الأكبر كما ذكرنا ،

أما التطير

وهو التناول أو التشاؤم بالطيور ،

نقول التناول مع أن المستعمل أكثر هو التشاؤم لكن تنبيهاً على أن التطير يدخل فيه التناول بالطيور لأن الناس ظنوا أو كثير منهم قد ظن أن التشاؤم فقط هو الحرام أما أن تفاعل الإنسان بأي شيء فلا مانع وأن يتوقع الخير بأي سبب يزعمه فلا مانع فيتناولون بالحمامة ويتشاءمون بالغراب والبوم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( الطيرة شرك ) ثم توسع الاستعمال في غير الطيور يعني هذا أصل التطير ينظر إلى الطير كما ذكرنا من قبل أن العرب كانوا إذا خرجوا ربما كانوا يهيجون الطير فإذا ذهب إلى جهة اليمين تفاعلوا ومضوا في سفرهم أو تجارتهم أو زواجهم أو نحو ذلك وإذا ذهب إلى جهة الشمال تشائموا وامتنعوا وردوا عن ذلك ثم انتقل الأمر كما ذكرنا إلى أوسع من الطيور ربما تفاعل برقم ، يتفاعل بعض الناس برقم سبعة ، النصارى يتفاعلون برقم ثلاثة ويتشاءم كثير من الناس برقم ثلاثة عشر ، كثير من الناس يقولون المرة رقم ثلاث عشر التي حصل فيها كذا والبيت رقم ثلاث عشر والشقة رقم ثلاثة عشر فإذا وجد ذلك انصرف مثلاً عن الزواج ونسأل الله العافية وكذا التشاؤم بشهر صفر كما كان العرب يتشاءمون بصفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا نوء ولا غول ولا هامة ولا صفر ) أصل الحديث لا عدوى ولا طيرة ولا غول ولا هامة ولا صفر ، فكانوا يتشاءمون بشهر صفر وإلى يومنا هذا في بعض الأعراب يتشاءمون بشهر صفر في الزواج ويمتنعون بسبب شهر صفر وهذا كله من الشرك والطيرة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم ( الطيرة شرك ) قال ابن مسعود وما منا إلا يعني وما منا إلا أن يقع في قلبه شيء من ذلك يعني يقع في قلبه نوع من الإقبال بسبب خفي أو برد بسبب خفي ويمتنع قال ولكن الله يذهب بالتوكل

أما لو اعتقد أن الطير ينفع ويضر بذاته فهو شرك أكبر ولو اعتقد أنها سبب في جلب النفع ودفع الضرر فهو شرك أصغر كمن اعتقد أن البومة سبب للشر أو الحمامة سبب للخير والطير الفلاني سبب لبركة في البيت وكهؤلاء الذين يرشون الماء كسبب في جلب الرزق يعني تجدد أمام القهواي والمحلات تصبح الصباح يرش ماء لا لأن الدنيا حر ، لو كان لأن الدنيا حر يرطب الجو لكان أمراً من الأسباب الظاهرة لأن الماء فعلاً يقلل الحرارة ، ولكن الناس ترش ماء لأن الماء يجلب الرزق فمثل هذا نوع من الشرك كذلك ،

البخور ؟

نعم كذلك لما يبخر لدفع العين والحسد كما يفعل الكثيرون وكذا رش الملح ويعني هذه ليست فيها تعليق ،

القاعدة السببية في هذا الباب مسألة الأسباب ، الأسباب إما أن تكون أسباباً شرعية دل الشرع عليها وإما أن تكون أسباباً كونية دلت التجربة المتكررة والعادة التي هي سنة الله عز وجل في خلقه من السنن الكونية على نفعها فينظر فيما يباح منها لأن البعض قد يذكر نفعاً في الخمر نقول ليست نافعة وليس فيها علاج ولا هي سبب من الأسباب ونحو ذلك

فأما إن لم يوجد سبب ظاهر ولا سبب باطن فهذا كله ليس هناك سبب شرعي لا دليل يعني ولا يوجد سبب ظاهر لا يوجد تجربة ، فادعاء أنه سبب نوع من الشرك والعياذ بالله ونوع من التطير والتشاؤم والتناول ونحو ذلك ،

من أنواع الشرك التوسل البدعي

كأن يقول للميت أدعوا الله لي أو استغفر لي ، أما لو قال أغثني أو اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو اشفني فهو شرك أكبر كما سبق بيانه وهو توسل شرعي ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

## ٢٧- أذكر فصلاً في التوسل

قضية التوسل من القضايا المهمة التي وقع فيها خلاف بين المتأخرين ، التوسل هو اتخاذ وسيلة توصل الإنسان إلى ما يريد وقد ورد لفظ الوسيلة في القرآن في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ وفي قوله تعالى في الرد على المشركين الذين يدعون غير الله قال ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ أولئك المدعويين كالملائكة وعيسى وعزير ومؤمني الجن الذين يدعوههم المشركون هم أنفسهم يبتغون

إلى ربحهم القرية ، باتفاق أهل العلم معنى الوسيلة هنا والتي قبلها هي القرية ، التقرب إلى الله نقل هذا الاتفاق ابن كثير رحمه الله في تفسيره ، نقله عن ابن عباس ومجاهد و الحسن وقتادة وغير واحد وقال هذا الذي قاله الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه لأن البعض يحتج بمذهبه ويقول نبتغي إليه الوسيلة بالتمسح بالأضحية والتمسح بالقبور والطواف حولها ويدعوا أنها وسيلة ، من الذي أحرك أنها وسيلة ؟ الوسيلة في التقرب إلى الله هي طاعته عز وجل وقوله { يبتغون إلى ربهم الوسيلة } أي يتقربون إليه وذلك من علامات حبهم العظيم لله عز وجل فالذي يتقرب إلى الله يبتغي أن يكون قريباً إلى الله لا بد أن يكون يحبه ، لكن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علياً صلاة صلى الله عليه بها عشرة ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ) فبعض العلماء يجعل هذا معنى ثالث لكن عند التأمل نجد أنه راجع إلى معنى القرية لأن الوسيلة بمعنى المنزل مأخوذة بمعنى القرية والقريب من الملك أو العظيم له منزلة قريبة منه ، هذه الوسيلة اسم لدرجة في الجنة قريبة جداً هي أقرب المنازل وأرفع المنازل عند الله عز وجل لا تنبغي إلا لعبد واحد وقد رضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هو ذلك العبد ونسأل الله له الوسيلة صلى الله عليه وسلم ،

فالوسيلة لغة هو ما يتوصل به إلى الشيء ولها معنى آخر هي المنزل والدرجة والقرية وكلا المعنيين صحيح شرعاً ،

التوصل إلى الله ،التقرب إلى الله ، منه ما هو ركن وواجب ومتسحب ، لأن التوصل كل ما يقرب إلى الله ويجعلك قريباً وتتقرب إلى الله عز وجل ، تريد أن تصل إلى القرب فتتخذ الوسائل ،

الوسيلة هي القرية : ما يقربك إلى الله ،

نعلم أن هناك ما لا يصح تقرب عبد إلا به وهو توحيد والإيمان وذلك نقول هو التوصل الركن بمعنى لا يقبل توسل من دونه ، التوصل الركن الإيمان به ، يعني التقرب إلى الله بأن تؤمن بالله وبرسوله فلا يقبل الله تعالى تقريباً إليه بغير إيمان به وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، يعني لو تقرب إلى الله بأنواع العبادات كلها وهو مشرك بالله وهو مكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتقد مثلاً في الملائكة مثلاً أنهم بنات الله أو معتقد عدم وجود الجنة والنار لم ينفعه ذلك ، لأن التوصل بالإيمان بفعل الإيمان نفسه ، نحن الآن نتكلم عن التوصل ما يوصل إلى الله عموماً ليس في الدعاء ، حتى لا يأتي أحد ويقول إن معنى ذلك أنني لو لم أقل ربنا إنا آمننا فاغفر لنا إذا لا يقبل مني ؟ لا بل الإيمان نفسه هو الوسيلة أما التوصل بالإيمان في الدعاء فهو من التوصل بالعمل الصالح ،لأنه أصلح الأعمال الإيمان بالله عز وجل ، أي العمل أفضل قال الإيمان بالله ورسوله ، فلما أتوسل في الدعاء أقول يارب أنا قد آمنت فاغفر لي أو أنا قد آمنت فاقضي حاجتي هذا توسل في الدعاء لقضاء الحاجة ، فلو أنت آمنت ولم تدعوا الدعاء لقاض الحاجة فأنت مؤمن أم لا ؟ مؤمن ،

لكن في فرق في الإيمان نفسه هو أن تتوسل بأن تؤمن بفعل الإيمان ، التوصل إلى الله بالإيمان به ليس المقصود به أن التوصل به في الدعاء ، لا بل المقصود به فعل الإيمان نفسه ،هذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى { وابتغوا إليه الوسيلة } فلو أن إنساناً تقرب إلى الله بأنواع القربات وهو مكذب برسوله صلى الله عليه وسلم أو مكذب بملك أو معادي لملك من الملائكة ومعادي لملك ، يعني اليهود يقولون في جبريل لكن يكرهون جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة ،عدواة النبي صلى الله عليه وسلم كفر ، يعني اليهود كفره بأسباب عديدة منها كراهية عيسى ابن مريم منها كراهية جبريل عليه السلام ، لأنهم نقضوا التوصل الركن ،نقضوا الإيمان لم يؤمنوا بجبريل عليه السلام حتى ولو صدقوا أنه ملك لأنه لا بد أن تحبه وتواليه ، لكن عندما قالوا هو عدونا من الملائكة قال الله عز وجل { قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدياً وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين } أو لو كان مكذباً بالجنة والنار مثلاً يعني لو أن إنسان تقرب إلى الله وهو مكذب بالجنة والنار مثلاً ومكذب بالقدر لن يقبل الله منه شيئاً لأنه فرط في الوسيلة التي هي ركن والتي لا يقبل الله من أحد شيئاً دونه ، ولذلك بعض الناس يقول عن النصارى مثلاً أنه لو اتقوا الله ينفعهم ، كيف يتقي الله وهو يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مكذب للقرآن لا يقبل الله منه شيئاً ولا صرفاً ولا عدلاً ، أما التوصل الواجب فهو فعل ما أمر الله به وترك ما حرم ، فالصلاة وسيلة والصوم وسيلة وصوم رمضان وسيلة والزكاة وسيلة وحج البيت وسيلة كل ما يقربك إلى الله وسيلة ، بر الوالدين وسيلة ، أن تفعل هذا الأمر هو فعل ما يوصلك إلى الله يقربك إلى الله التوصل إلى الله المتسحب هو فعل المستحبات أما التوصل في الدعاء هو فعل معين وهو أنني أريد أن يستجاب هذا الدعاء أريد أن يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة فأفعل ما يؤدي إلى ذلك أثناء الدعاء إذا الدعاء نفسه كدعاء من معاني التوصل العام ، التوصل العام هو التقرب والدعاء من القربات ،

قد يكون التوصل في الدعاء أن أذكر الأسماء والصفات قبل الدعاء ، الدعاء نفسه إذا كان واجباً بعض الوسائل التي تكون قبله واجبة مثل {اهدنا الصراط المستقيم } هذا دعاء مستحب أم واجب ؟ واجب تقوله في الصلاة سبع عشر مرة كل يوم وليله لا بد أن تقول في اليوم والليلة سبعة عشر مرة {اهدنا الصراط المستقيم } وفرض عليك تقول قبلها { الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين } وفرض عليك تقول { إياك نعبد وإياك نستعين } فرض عليك أن تقرأ الفاتحة أليس كذلك ؟ ،

الفاتحة متضمنة لتوسل بالأسماء والصفات ومتضمنة لتوسل بالأعمال الصالحة { إياك نعبد وإياك نستعين } ومتضمنة لدعاء واجب فكان هذا الدعاء الواجب وهذا التوسل الذي بين يديه هو من الواجبات ،

التوسل الركن هو المقصود به ما أوجبه الله عز وجل من الإيمان ،

نقول في هذا الدعاء والتوسل في الفاتحة لا تصح الصلاة بغير أن ندعوا بهذا الدعاء ، { أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } لا بد أن تتوسل بقراءة الفاتحة قبلها كما ذكرنا ،

هذا توسل بأسماء الله وصفاته ثم بالعمل الصالح ، يجب أن نفعل ذلك ،

أنواع التوسل المشروع في الدعاء

التوسل المشروع ثلاثة أنواع

النوع الأول

التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته بعامة أدعية الكتاب والسنة وأدعية الأنبياء وكما ذكرنا في الفاتحة

النوع الثاني

التوسل إلى الله بذكر الأعمال الصالحة التي قام بها العبد ، يعني العبادة نفسها فعل العبادة نفسها وفعل الاستعانة ركن ، وتوسل ،

والتوسل في الدعاء أن نقول إياك نعبد وإياك نستعين ، يارب أنا صليت وصمت وتصدقت ، يارب أنا فعلت هذا الأمر فافرج عنا ما نحن فيه ، هذا توسل بالعمل الصالح بذكر الأعمال الصالحة ليس أنه يذكر الأعمال الصالحة في أثناء ذلك ، ولذلك يستحب أحياناً أنه بين يدي الدعاء يصلي ركعتين هذا هو التوسل إلى الله بفعل العمل الصالح كما في صلاة الحاجة عند من يثبتها من أهل العلم وهي ثابتة بحديث الأعمى أن يصلي ركعتين ثم يدعوا الله عز وجل ،

النوع الثالث

وأما النوع الثالث الذي ورد فهو التوسل إلى الله بدعاء المسلم الصالح الذي دعا وهو حي حاضر

الذي دعا وهو حي أما إذا مات فلا يشرع أن تطلب منه أن يتوسل لكن إذا سأله أن يدعوا الله لك ودعا ، سأله وهو حاضر لكن المقصود يمكن أن تتوسل به بهذا الدعاء حتى ولو بعد ذلك وهو غائب يعني يمكن أن تقول لفلان ادعوا الله لي فإذا دعا لك ذهبت أنت إلى الصلاة وقلت اللهم إني توسلت إليك بدعاء فلان اللهم أني أتوجه إليك بدعاء فلان أتوجه إليك بفلان أي بدعائه يكون ذلك دعاءً مشروعاً كما فعل الأعمى بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ،

النوع الأول

مأخوذ من قول الله تعالى { ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } آيات الكتاب والسنة كلها لا تخلو من ذكر الأسماء والصفات ، فالعبد لا يسأل مباشرة بل يوق يارب أو اللهم توسل إما بالربوبية أو بالإلهية والأدعية المستحابة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على فضلها هي ذكر أسماء الله تعالى وصفاته كما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ( وهذا أحد وجوه الرد على من يقول أن أحد أسماء الله الحسنى التي فيها ذو ليست من أسماء الله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن هذا الدعاء أنه دعا الله باسمه العظيم وفيه يا ذا الجلال والإكرام ، وسمع رجلاً يقول يا الله بأنك الواحد الأحد وفي رواية أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أنت تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له قال ذك ثلاثاً ،

جميع أذكار الصباح والمساء والنوم والدخول والخروج للبيت أو للمسجد أو النزول والسفر والطعام والشراب وجميع الأذكار الواردة هي أدعية في ثناء على الله تعالى بأسمائه وصفاته ، وسؤال الرب سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته دون استثناء وجميع أدعية المؤمنين في الكتاب والسنة كلها متضمنة التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بذكر الأسماء والصفات وهذا النوع أعظم أنواع التوسل

أما النوع الثاني هو ذكر الأعمال الصالحة بين الدعاء أو في خاتمة الدعاء كما في قوله تعالى { ربنا إنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار } نقول لابد أن نفرق بين فعل الإيمان نفسه بأن يؤمن الإنسان هذا ركن من الأركان لا يقبل الله قربة بدونه هذا هو التوسل العام الركني أما ذكر الإيمان في الدعاء فهو من التوسل المستحب أن يقول بين يدي دعائه ربنا إنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، لابد أن نتنبه أن هذا ليس من المن على الله بهذا العمل الصالح ولكن بأننا نتضرع إلى الله قد علمنا ما نريد أن تقرب به إليك يارب ونريد أن نعبدك يارب فمن علينا بفضلك فهو تذلل وانكسار وإقرار بالانقياض العملي كما أقر بقولي وليس أي قد فعلت فلا بد أن تأتيني أنا علمت ماتريد إذا أحضر لي ما أريد ، لا لو الأمر كذلك يكون العمل مردود ودعائك مردود ، ولو تصور أنه دفع الثمن فيريد القبض وأنه واجب على الله أن يحضره مادام أنا صمت وصليت كما يفعل البعض ويظن البعض لا يقبل ذلك نقول ذكر الإيمان بالدعاء هو الفعل الذي نقصده بالدعاء

فعل الإيمان نفسه وأن يستحب الإنسان لمنادي الرحمن هذا فعل للتقرب لا يقبل الله من أحد تقريباً من غير أن يؤمن أما لو أنه لم يقل هذا الدعاء لكونه مثلاً لا يحفظه لو قال يارب اغفر لي أو اغفر لي من غير أن يقول ربنا إنا آمنا هل هذا يقدر في إيمانه ؟ لا بل إنه أنقص إلا ما أوجبه الله كما ذكرنا في الفاتحة ،

من أدلة هذا النوع الثاني الذي هو التوسل بالأعمال الصالحة ، الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار وتوسلوا إلى الله بالأعمال الصالحة قالوا إنه لا ينحيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فتوسل أحدهم بير الوالدين والإخلاص في ذلك وقال اللهم إن كنت فعلت ذلك وهو سقي والديه قبل صبيانه ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة الثاني توسل إلى الله بترك الزنا بمن يحب مع قدرته على ذلك ، ترك ابنة عمه وهي أحب الناس إليه وترك المال الذي أعطاهما وقال اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، وتوسل الثالث بإعطاء الأجير حقه وتسمين ماله وأنه أخلص لله عز وجل في ذلك ففرج الله عنهم ، والحديث متفق على صحته ،

### النوع الثالث

أما النوع الثالث من التوسل المشروع الجائز أو قل المستحب وهو مستحب في مواطن والأولى تركه في مواطن

وهو التوسل إلى الله بدعاء المسلم الصالح الحي ،

الحاضر يعني المقصود به لكي نكون على فهم ، أنه دعا له بحضوره بأي نوع كان إما أن حضر أمامه أو باتصال بينه وبينه أو نحو ذلك أو بأنه وعده وهو يعلم وفائه بالوعد فكلمة الحاضر لا يقصد بها أنه لابد أن يكون حاضراً ساعة التوسل فالأولى يعني أن نقول بدعاء المسلم الصالح الحي يعني الذي دعا وهو حي وإلا في الحقيقة أنه ممكن أن يدعوا بدعاء متوسلاً إلى الله بدعاء غيره دعاء المسلم الصالح وهو غائب عنه والله أعلى وأعلم ،

لكن حين دعا له كان ذلك على الحضور فالصحيح أن هذه الكلمة موهمة في هذا الموضع كلمة الحاضرة موهمة ، الأفضل أن تشطب يعني ،

هي لها معنى وله وجه كما ذكرنا ، أعلى ذلك دعاء الأنبياء بعض العلماء يقولون بل هو خاص بدعاء الأنبياء بعض السلف كانوا إذا طلب منه أن يدعوا لهم قال أنبياء نحن ، لكن الصحيح أنه ليس خاصاً بالأنبياء لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال للصحابه رضي الله عنه عن أويس ابن عامر القرني قال فإن استطعتم أن يستغفروا لكم فمروهم فليستغفروا لكم وقال عنه أنه أفضل التابعين فدل ذلك على مشروعية طلب الدعاء من السلم الصالح الحي وأيضاً قول عمر رضي الله عنه اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك وإنا نتوسل إليك بعم نبيك وأمر العباس أن يدعوا وتوسل معاوية بيزيد ابن الأسود فدل ذلك على مشروعية طلب الدعاء عند الصحابة رضي الله عنهم وقد ذكرنا أدلة السنة على ذلك أيضاً ، فمن يقول أنبياء نحن أو كان يأبى ذلك كان يخشى أن يغالا فيه ولا يظهر المنع مطلقاً ولكن هناك من العلماء من قال لا يشرع إلا للأنبياء لكن الصحيح أن كل مسلم يرجى صلاحه فإنه يشرع أن يطلب منه الدعاء في الأمور الأخروية وأما في الأمور الدنيوية فحائز والأولى تركه لأنه من باب سؤال الناس ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في السبعين ألفاً لا يسرقون ، الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب قال ( لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطربون ولا يكتنون وعلى ربحهم يتوكلون ) فذكر لا يسترقون ، لا يرقون معلوم أنه رقى الجاهلية ، لا يسترقون يعني لا يطلبون الرقا من أحد ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تسألوا الناس شيئاً ) في السبعة الذين بايعهم على أمر خفي قال ( لا تسألوا الناس شيئاً ) فالسؤال لأمر دنيوي نوع من سؤال الناس فهو خلاف الأفضل بل الدعاء نفسه في الأمور الدنيوية المحضة خلاف الأفضل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم حبيبة لما قالت اللهم متعني بزوجي رسول الله وأبي أبا سفيان وبأخي معاوية ، قال ( لقد سألتني الله لأجال مضربة وأرزاق مقسومة لن يعجل منها شيئ قبل حله ولو سألت الله أن يعيدك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر لكان خيراً لكي ) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يدل على أن الأفضل للإنسان في هذا الباب أن يكون دعاؤه وتوسله بدعاء المسلمين طلب الدعاء من المسلمين الأحياء الذي يرجى صلاحهم هو في الأمور الأخروية وبعض أهل العلم يقول إذا سأل المسلم أخاه أن يدعو له فإنما ينبغي حتى يكون مشروعاً أن ينوي به نفع أخيه وليس نفع نفسه فقط مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلوا لي الوسيلة ) فإنه إنما يأمرهم بنفعهم والصحيح أن مثل هذا ليس لازماً والله أعلى وأعلم ، فإن عكاشة أحد السبعين ألفاً قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله لي ولم يكن ذلك نقصاً في منزلته ولم يخرججه عن السبعين ألفاً وهو عمدة احتجاج شيخ الإسلام ابن تيمية وسؤال الغير أمراً في الدين لم ينه عنه النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان ينهى بعض أصحابه عن سؤال الناس شيئاً من الدنيا وأما أنه كان ينوي نفع النبي صلى الله عليه



وسلم فهو من أبعد الاحتمالات بل لا يتصور ذلك أن عكاشة إنما كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ليزداد النبي صلى الله عليه وسلم أجراً بل هو ينوى نفع نفسه ، بل ظاهر حديث ( ثم سلوا لي الوسيلة ) وإن كان أوله يقتضي أنه يأمرهم بما هو مما منافعهم ومن مصلحتهم أنه يريد أن ينتفع هو أيضاً صلى الله عليه وسلم ثم علل ذلك بقوله ( ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد فأرجو أن أكون أنا هو فمن سألت لي الوسيلة حلت له شفاعتي ) فهو يسألهم أن يسألوا له الوسيلة ليصل هو صلى الله عليه وسلم ويعدهم من باب المجازاة على الخير أنه سوف يشفع لهم عند الله وليس أنه يقصد في المقام الأول فقط نفع الناس ، فالظاهر أنه ينتفع صلى الله عليه وسلم بدعاء المسلمين وأن ينتفع المسلمين بشفاعته صلى الله عليه وسلم ، فهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه إن نوى بأمر دينوي نفع أخيه المسلم لم يخرج ذلك عن الأولى وإن نوى نفع نفسه ولو في أمر أخروي كان ذلك خلاف الأولى وليس هو الصحيح ، الصحيح أن يقيد الأمر بالأمر الديني والأمر الأخروي فالأفضل أن لا تسأل أمراً دينوياً لا تقل له ادعوا الله لي في أمر دينوي محض بل الأفضل لك وأنت تدعوا أنت تطلب الدنيا إجمالاً لا تفصيلاً لا تقل متعني يارب بأزواجي وأولادي تقصد في الدنيا وإنما تسأل الدنيا إجمالاً نحو ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نحو رب إني لما أنزلت إليا من خير فقير ، وهذا معنى ليسأل أحدكم ربه شفع نعله حاجته كلها حتى شفع نعله إذا انقطع ، لا تقل في الصلاة أو في الدعاء اللهم أصلح لي شفع نعلي ، لكن اقصد وأنت تقول وربنا آتانا في الدنيا حسنة أو ربي إني لما أنزلت إليا من خير فقير فأنت إذا قلت ذلك ضمنت في نيتك وقصدك شفع النعل ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل تفاصيل أمور الدنيا والله أعلى وأعلم

نقول أعلى ذلك أعلى أنواع التوسل بدعاء المسلم الصالح أي دعاء الأنبياء كما قال أبناء يعقوب لأبيهم قال الله عز وجل { قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين } والصح أننا نقول كما قال الله عن أبناء يعقوب هو طبعاً سبب هذا الموضوع مسألة الكتابة على الكمبيوتر أنه يضع الآية كما هي ، هو أصل الكلام هو كما قال أبناء يعقوب لأبيهم يا أبانا استغفر لنا ، لكن تعود الكتاب المعاصرين أنه يضع الآية كاملة ، لا ينفع أن يقال كما قال أبناء يعقوب لأبيهم قالوا يا أبانا إنما كان يقول قال الله عز وجل عن أبناء يعقوب حاكياً عن أبناء يعقوب ،

قال عز وجل { قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم } فطلب الدعاء من الحي مشروع المقصود الحي المسلم أو الذي يرجى صلاحه وذلك إن كان في أمر أخروي يستحب ممن يرجى صلاحه ، أما إذا كان في أمر دينوي فالأولى تركه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الأعمى الذي قال ادعوا الله أن يعافيني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن شئت أخرت لك وهو خير وإن شئت دعوت ) إن شئت أخرت لك هذا الدعاء وجعلته في الآخرة وهو خير وإن شئت دعوت فقال ادعه وفي رواية قال ( يا رسول الله إنه قد شق عليا ذهاب بصري ) ومثل هذا أيضاً في قصة المرأة التي تصرع أمره حديث الأعمى فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلّي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه في ففعل الرجل فرد الله عليه وبصره وفي رواية اللهم شفعه في وشفعني فيه ، شفّعني فيه

شفعه في يعني أقبل شفاته في ، والشفع أصلاً من الزوج بمعنى الزوج يعني أنا أدعوا ومحمد صلى الله عليه وسلم يدعو فهي شفاعته في يعني أقبل شفاعته في أما رواية وشفّعني فيه فمعناه أقبل دعائي فيه في أن يكون مقبول الدعاء أقبل دعائي أن يكفيه لأنه يدعو للرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون شافعاً فلذلك صح أن يعبر بهذا بكلاً اللفظين مرة يقول شفّعني فيه ومرة يقول شفّعني فيه ، وفي رواية شفّعني في نفسي ، لأنه قد كان يريد شيئاً لنفسه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم شفّعني في ذلك داعياً له في ذلك ، شفّعني فيه أقبل شفاعتي فيه أن يكون شافعاً لي أن يكون مستجاب الدعوة يعني ممكن أن أقول ذلك أدعوا الله لي يا فلان وأنا أقول يارب أجعله مستجاب هذه الدعوة ، فيصح أن يكون ذلك بمعنى شفّعني فيه وهو نفسه شفّعني في نفسي لأن هذه الشفاعته مردها إلى نفسه ومصلحته هذا الرجل قد اختار الحالة الأقل لأن الرسول قال ( إن شئت أخرت لك وهو خير وإن شئت دعوت ) فأمره أن يدعو ، الحالة الأقل بدليل حديث ابن عباس في البخاري قال لعطاء ابن أبي رباح ألا أريك امرأة من أهل الجنة قل بلا قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادعوا الله لي فقال ( إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر ثم عادت له فقالت إني أتكشف فادعوا الله لي ألا أتكشف فدعا لها فكانت عندما يأتيها الصرع يحصل لها نوع من تكشف الثياب عنها فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم ألا تتكشف وهو في هذا الحديث صلى الله عليه وسلم بين أن الأفضل أن يصبر الإنسان وألا يطلب الرقيا والدعاء والرقيا أصلاً نوع من الدعاء فالدعاء والرقيا من باب واحد لذلك لا يسترقون هي نفس هذه من جهة المعنى لأنه قال إن شئت صبرت رغم إنما طلبت فقال إن شئت صبرت ولك الجنة ومن هنا قال ابن عباس أنها امرأة من أهل الجنة لأنها صبر وهذا دل على ذلك أن سؤالها عدم التكشف لم يكن ناقصاً لدرجتها وأنها مازالت صابرة من أهل الجنة كانت تصرع ولا تتكشف يصيبها صرع وكانت لا تتكشف وهو صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين أن الأفضل أن يصبر الإنسان ولا يطلب الرقيا ولا يطلب الدعاء من الآخرين أما في الأمر الأخروي الديني وهو ألا تتكشف ففعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطلب منها ألا تدعوا لأن التستر يحبه الله وشرعه وأمر به وأوجه فلما كانت عند صرعها تتكشف لم يقل لها إن شئت صبرت ولك الجنة وإنما دعا لها مباشرة ، رغبتها في الصبر على الصرع ولذلك لما صبرت قال ابن عباس رضي الله عنها ألا أريك امرأة من أهل الجنة لصبرها ، والأعمى قد خيره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أن يدعو الله له مع أن الأفضل أن يصبر على ما قضاه الله به ، وفي بعض الروايات ( إني أصرع فادعوا الله لي فلما قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك قالت إني أتكشف فادعوا الله لي ألا أتكشف ) فهذا الحديث يبين لنا المسألة ببيان واضحاً هو أن الأمر الديني الأمر الذي فيه طاعة يستحب أن يطلب فيه ولا يكره ذلك يشرع ذلك استحباباً ، والاستغفار والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان ليأمر أصحابه الكرام وهم الأفضل في هذه الأمة بأن يطلبوا من أويس الاستغفار وهو أمر مفضول ولا ينههم على أنهم إنما ينبغي لهم أن يأمره بالاستغفار لهم بنفع أويس وإنما قال إن استطعتم أن تستغفروا لكم فمروهم فليستغفروا لكم ، فدل ذلك على فضيلة طلب الاستغفار من الآخرين من هذا الباب باب ترك طلب الدعاء في الأمور الدنيوية حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذب قال النبي صلى الله عليه وسلم ( هم الذين لا سترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربحهم يتكولون ) وهذا

الحديث أصله في مسلم بقصة قصة سعيد ابن جبير حيث سأل أيكم رأى الكوكب الذي انقض الباردة فقال حصين أنا أما إني لم أكن في صلاة غير أن لدغت فقال فما فعلت قال استرقيت أو ارتقيت ولفظ الرقيا قال ما حملك على ذلك قال حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثك الشعبي قال حدثنا ابن عباس أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ( عرضت عليا الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد فإذا سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي هذا موسى وقومه فإذا رفع لي سواد عظيم فقبل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ) والحديث فيه ( وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى رءوسهم يتكلمون ) فيه فقام عكاشة ابن محصن الأسدي وقال ادعوا الله يا رسول الله أن أكون منهم فقال اللهم اجعله منهم ، فبذلك نقول قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يسترقون ) دل على أن ترك الاسترقاء أي ترك طلب الرقيا وكما ذكرنا أن طلب الرقيا يعني الدعاء وترك طلب الرقيا أفضل ولكن يمكن أن يرقى الإنسان نفسه وكذا إذا رقا غيره من غير طلب كما رقا جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أما سؤال الرقيا من الناس كأن يقول لشخص آخر أرقني كما يذهب كثير من الناس إلى المعالجين أو من يرجى صلاحه للرقيا فالأولى ألا يسترقى معه فقام عكاشة ابن محصن الأسدي فقال ادعوا الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقد طلب الدعاء لأمر أخروي وهو من السبعين ألفاً كما ذكرنا هذا خلاف كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم قاعدة جيدة فعندما يكون الإنسان مريضاً مثلاً ويقول لغيره ادعوا الله لي أن يشفيني هذا خلاف الأفضل مع أنه مشروع أو كالذي يريد النجاح في الامتحانات مثلاً فيقول ادعوا الله لي أن أنجح هذا خلاف الأفضل بل الأفضل أن يدعوا العبد لنفسه إلا أن يكون هناك أمر ديني أخروي في هذا الباب يطيع الإنسان به ربه عز وجل فالأمر الأخروي هي التي يطلب الدعاء فيها استجاباً بمعنى ماذا أمر أخروي في الطاعة ؟ مثلاً الشفقة على المسلمين ، هذا أمر يحبه الله ولذا شرع في صلاة الاستسقاء وشرع التوسل فيه بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أو بأهل الصلاح عموماً لأن هذا فيه مصلحة عاملة للمسلمين فالشفقة على المسلمين أمر يحبه الله ورجاء الخير للمسلمين أمر يحبه الله وعموم الخير على المسلمين أمر يترتب عليه استمرار عبادتهم ودينهم ومن سأل أمراً دينياً متضمناً لمحجوب أخروي كمن يقول لآخر ادعوا الله أن يرزقني ولداً صالحاً يعبد الله أو ولد صالحاً أو ذرية صالحة فمثل هذا دعاء مشروع نقول بل ينبغي أن يسأل الإنسان الأمور الدنيوية إجمالاً لا تفصيلاً لأنه لا يدري أين الخير والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ( يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع ) ولكن ليس من الأدب أن يقول يارب أصلح لي شسع نعلي إنما يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويقول اللهم أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت ، وهو حديث صحيح أيضاً ، ونحو ذلك مما يدخل فيه هذا الأمر أما التخصيص بأشياء معينة في الدنيا فالأولى أن ينشغل الإنسان بأن يسأل الله سبحانه أن يعيده من عذاب النار وعذاب القبر كما في حديث أم حبيبة رضي الله عنها لما قالت اللهم متعني يزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( قد سألتني الله لأجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل منها شيئاً قبل حله ولم يأخر شيئاً عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل ) الحديث رواه مسلم وأحمد ،

الغرض المقصود أن طلب الدعاء من المسلم الصالح الحي مشروع وهو مستحب في الأمر الأخروي أو في مصالح المسلمين عامة ونحو ذلك ومنه حديث الأعمى الذي ذكرنا من طلب الدعاء ، لكن حديث الأعمى هذا كان في أمر دنيوي فكان خلاف الأفضل منه من الأمور الجائزة أما المستحب فهو في مصالح المسلمين العامة منه قول عمر رضي الله عنه في الاستسقاء عندما خرج يستسقي بهم في عام الرمادة قال الله إنا كنا نتوسل بك بنينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا فيسقون ، كلمة تتوسل إليك بنينا أي بدعائه ونتوجه إليك به بمعنى نطلب منه أن يطلب لنا وإنا نتوسل إليك بعم بنينا أي نتوجه إليك بدعاء العباس وهذا الذي ورد في الكتاب والسنة من التوسل المشروع كما ذكرنا أن دعاء عمر في أمر دنيوي لكن يترتب عليه أمر ديني وهو تفريع أمر المكروبين فيه الدعاء للمسلمين عموماً وبقاء المسلمين بقاء للتوحيد والإيمان

أما التوسل غير المشروع في باب الدعاء فهو أيضاً ثلاثة أنواع

هذا الباب من أخطر الأبواب لأن كثيراً من الناس إنما يجوز الشرك بالله سبحانه وتعالى الأكبر والأصغر بناء على أن هذا نوع من هذا التوسل فلا بد أن نبين درجات هذا التوسل وأنواعه

فالنوع الأول من التوسل غير المشروع

أن يطلب من الميت أو الغائب أو الجن أو حتى الملائكة قضاء الحاجات وكشف الكربات وأن يغثوهم أو يرزقوهم أو يشفوهم ، أن يغث السائل لما يطلب منهم أو يقضوا لهم حاجاتهم أو يجلبوا لهم نفعاً أو يدفعوا عنهم ضرراً فهذا من الشرك قال عز وجل { قل ادعوا الذين زعمتم من دوني فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً } نزلت هذه الآية في عيسى وعزير والملائكة أو في الجن الذين أسلموا والصحيح أنها شاملة لكل هؤلاء أن الآية لفظها عام وإن كانت نزلت في سبب مخصص وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفعاً من الجن فأسلم الجنيبيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فأمر الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة { أولئك الذين يدعونهم يتقربون إلى الله عز وجل أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف تدعوهم هذا يدل على من دعا الملائكة فدعاؤه هذا من التوسل الشركي هو يسميه توسلاً هو سمي توسل لأنه يسميه توسل لأنه يريد أن يقربه إلى الله بذلك أو يستجيب دعاؤه بذلك فهذا لا ينفعه عند الله وهو توسل شركي كما قال سبحانه وتعالى { ويعبدون من دون الله ما لا ينفعه ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } لما عبدوهم لم ينفعهم أن قالوا هؤلاء شفعاؤنا لأنهم صرفوا لهم العبادات ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى عنهم { ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } فدل ذلك على أنهم ما عبدوهم إلى على سبيل التقرب إلى الله وهو التوسل

القرية ، لذلك قلنا أنه توسل ولكنه شركي كالمشركين الذين كانوا يدعون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى على أنها صور للملائكة ولذلك اشتقوا لهذه الأوثان أسماء مؤنثة من أسماء الله تعالى اشتقوا اللات من الله وقالوا عزى من العزيز ومناة من المنان فأوثانهم هذه كانوا يعتقدون أنها ترمز إلى الملائكة اعتقدوا أنهم يدعون الملائكة وأن الملائكة تقضي لهم حاجاتهم تلك وهم معتقدون أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، هذا مثل أن يقول القائل للميت أو المقبور أو الولي أو هذا الذي يظنه ولياً أغثني يا سيدي فلان ارحمني يا سيدي فلان ارزقني اشفي ابني مد يا سيدي فلان ابعث لي مدداً هذا بلا شك شرك مرتبط باعتقاد باعتقد شركي في الرواية وهو أنه يعتقد أن الولي أو الملك له تدبير ف الكون فيرسل المدد ويأمر وينهى ويضرب وينفع فلا يمكن أن يكون دعاؤه للولي دعاءً مجرداً بلا اعتقاد أنه يملك له ضرراً أو نفعاً فلا بد أن يدعوه وهو معتقد أنه يملك الضر والنفع لذلك الأدلة على أن هذا من الشرك هي الأدلة التي ذكرنا { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وكذلك قوله عز وجل { ولا تدعوا من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخر فلا راد لفضله } هذا النوع الأول وهو الذي ينطبق عليه حد الشرك لأن الشرك هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك أن تجعل لله نداً في الرواية وهو حاصل في هذا النوع لأنه يعتقد أنه يدبر الكون ويرسل المدد وينفع ويضر وشرك في الإلهية لأنه صرف له عبادة وهو الدعاء والدعاء هو العبادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ،

### النوع الثاني

أن يقول للميت أو الغائب ادعوا الله لي اشفع لي في كذا هذا لا خلاف فيه بين السلف في أنه غير جائز وأنه من البدع التي لم يقل بها أحد من علماء الأمة وهو من ذرائع الشرك وهو من الشرك الأصغر الفرق بينه وبين الذي قبله واضح إذاً الأول دعاء غير الله والثاني مخاطبة الميت بما لم يرد في الكتاب والسنة لكنه لم يدعه ولم يسأله قضاء الحاجات وتفريج الكربات لم يصرف له العبادة لكنه ذريعة للغلو وبدعة ضلالة ،

بعض المشايخ المعاصرين يقول أن هذا النوع شرك أكبر ناقل عن الملة ، ويحتج بالآيات التي ذكرنا عن المشركين أنهم قالوا { ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } أو يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله { يقول اشفع لي هذ كذلك نقول لا الذي حصل من المشركين أنهم عبدوهم من دون الله قال الله تعالى عنهم أنهم قالوا { ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } وقال { ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } هذا فرق كبير وهو يصرف له العبادة وهو يعتقد أنه شفيع بهذه العبادة إذا تقرب له بالعبادات سوف يشفع له عند الله هذا هو الشرك ، أما ألا يصرف له عبادة ويقول ادعوا الله لي سل الله لي كما تفعل ذلك مع الحي وهو يزعم أن الميت يسمع ذلك في قبره ، أما إذا اعتقد له السمع المحيط الذي يسمع المشار والمغارب فهذا شرك من جهة الأسماء والصفات من جهة أنه يعتقد له صفات الرب سبحانه وتعالى أما لو اعتقد مثلاً أنه يمكن أن يبلغه أحد من الملائكة الحاضرين فلا يكون ذلك من باب الشرك الأكبر لأن الشرك هو صرف العبادة أن يجعل لله نداً فأين الند في هذا إذا قال له ادعوا الله لي ، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية واضحاً في كتاب . قاعدة جلية في التوسل والوسيلة . وكذلك في رسالته في الفتوى المصرية حول التوسل وصرح بأن هذا ذريعة إلى الشرك والذي يقول أن هذا من الشرك الأكبر مطلقاً لا بد أن يأتي بدليل أما ما استدلل به فليس فيه ما يقول لأن هذا الرجل الذي قال ادعوا الله لي أو اسأل الله لي لم يقل أنا أعبد فلاناً يعني كل من يتوسل بالصالحين توسل شركي لا يسميه عبادة ولكنه صرف له العبادة بالفعل حين دعاه ، أما قوله ادعوا الله لي فهل هذا يسمى دعاءً له ؟ هذا لا يسمى دعاءً ، طلب قضاء الحاجات هو الدعاء والله أعلى وأعلم .

سؤال ،،،،،

الشيخ : لا ليس فقط في التصريح ، الفرق بين هذا وهذا أنه لم يصرف له العبادة ، لو هو لم يصرح بأنه يعبد له ولكنه صرف له العبادة يعني ذبح له تقول له لما تذبح له ، يقول لكي يقريني إلى ربنا ، إذاً صرف له العبادة ، يعظمه بهذا لكي يرضيه لانه هو الباب إلى ربنا سبحانه وتعالى ،

إذا طاف بقبره ، تقول لما تطوف بقبر الولي الفلاني يقول لأنه يقربني إلى الله ، هذا الولي لما أنا أطوف به وأرضيه هو سيففع لي ، إذاً هذا من الشرك الأكبر لأنه صرف له العبادة ، أما إذا لم يصرف له عبادة من العبادات أنه كما ذكرنا قال له كيف حالك يا شيخ فلان أعجبك ما نحن فيه وجاء عند قبره وهو يعتقد أن الأموات يسمعون ، نحن ماذا نقول في سماع الأموات ؟ أن الأصل عدم سماعهم إلا ما ورد به الدليل لأن الله يقول { وما أنت بمسمع من في القبور } شبه المشركين بالأموات في عدم السماع دل على عدم سماع الأموات إلا ما ورد به الدليل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في أهل قليب بدر ما أنتم أسمع لما أقول منهم ، وكما في السلام على أهل المقابر من المسلمين ، السلام عليكم دار قوم مؤمنين ونحو ذلك ، لكن لو قال لهم مثل ذلك ، يعني هو فلان ماذا صنع عندكم ونحو ذلك وهل ترى ما حدث يا أبي مثلاً من أخي فلان ونحو ذلك فمثل هذا الأمر هل يقال دعاه أو خاطبه بما لا يشرع ؟ هذا لا يقال أنه دعاه لأنه لم يطلب منه قضاء الحاجات وكشف الكربات وشفاء الأمراض وما يطلب من الله عز وجل لم يطلب منه جلب النفع ودفع الضر وإنما قال ادعوا الله لي لا يشرع هذا بدعة محدث ذريعة إلى الشرك ، أما أن هذا شرك بنفسه ؟ فهذا فيه نظر والله أعلى وأعلم ، حتى لو قال بعض المشايخ المعاصرين بشيء من ذلك لكن العبرة بالدليل ومن تقدم من أهل العلم يذكر هذا بوضوح كما ذكرنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ،

### النوع الثالث

وهو التوسل بذات المخلوق وجاهه

يقول وهو بدعة على الراجح ، قلنا على الراجح لأن فيه خلافاً معتبراً فقد ورد عن بعض المتقدمين وعن بعض الصحابة مع أن الراجح تضعيفه عن الصحابة فلم يثبت عنهم على الصحيح ، وهو قصة عثمان ابن حنيف ، قد ورد في قصة عثمان ابن حنيف راوي حديث الأعمى الذي مضى مع رجل كانت له حاجة عند عثمان رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه مشغولاً في خلافة عثمان ، مشغولاً عن الرجل فقال له عثمان أيت الميضة فتوضأ وصلي ركعتين ثم قل اللهم إني أتوجه إليك بنبيك يا محمد يا نبي الرحمة إني أتوجه بك إلى ربي في قضاء حاجتي ثم تعالى فسأذهب معك فذهب معه ودخل على عثمان ففوض للرجل حاجته ، هذه القصة رواها الطبراني وذكر الحديث وأصل الحديث كما ذكرناه في التوسل المشروع ، أصل الحديث صحيح وهو الذي ذكرناه في طلب الدعاء من المسلم الحي وأما هذه الزيادة المذكورة فهي ضعيفة على الراجح ضعفتها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من جهة السند ومن جهة المعنى ، لذلك نقول هو نقل عن بعض الصحابة أنه قال يا محمد يا نبي الرحمة إني أتوجه بك إلى ربي ، هنا لا ينفع أن نتوجه بالدعاء هنا نتوجه بماذا ؟ بالذات ، لا ينفع غير ذلك لأن الرسول قد مات ولم يدعوا لصاحب الحاجة عند عثمان ابن عفان وإنما دعا للأعمى ففي حديث الأعمى قلنا أتوجه إليك بنبيك يعني بدعاء نبيك أما هنا فلو صحة هذه القصة ماذا نقول فيها ؟ لا ينفع بدعاء النبي لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدعوا لهذا الرجل الذي له حاجة مع عثمان فأصل القصة صحيح لكن الزيادة ضعيفة لكن مادام هناك اجتهاد في الباب قلنا بدعة على الراجح ، وقد نص على أن هذا مختلف فيه ولا ينكر على من فعله الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، وهذا ندخله في الخلاف السائغ لوجود الخلاف لأن البعض يقولون الحديث صحيح والطبراني صححه مثلاً نقول لا نذكر الرواه واحداً واحداً ونبحث فيه فالصحيح أنه ضعيف من جهة السند والتفصيل ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب . قاعدة جليلة . وذكره الشيخ الألباني في كتاب التوسل أنواعه وأحكامه ذكر بعض هذه الرواية التي فيها القصة لكن ندخله في الخلاف السائغ فمن توسل في هذا النوع من التوسل فقد أخطأ ويفتق بأن ما فعله خطأ لكن لا يضل ولا يبدع بعينه ، رغم أننا نقول أن هذا بدعة لكن فرق بين أن يبدع بعينه هذا بعد إقامة الحجة عليه ، وأما إذا كان مازال يأخذ بقول من يقول بالجواز كما ينقل عن الإمام أحمد فالمسألة فيها اجتهاد فلا يبدع بعينه فبعض أنواع البدع فيها اختلاف فمن قال الراجح لا يجوز فهو المصيب ومن قال الراجح أنه يجوز لا يخرج عن دائرة أهل السنة بل قال قولاً مرجوحاً ممن روي عنه القول بذلك الإمام أحمد رحمه الله حين ذكر المروزي عنه في كتاب المناسك دعاءً في توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لكن هذا غير مرجح عند المحققين في المذهب الحنبلي كشيخ الإسلام ابن تيمية فهو يرى أن هذه الرواية مرجوحة حيث قال في الجواب على مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم هل يجوز قال الحمد لله أما التوسل بالإيمان به صلى الله عليه وسلم ومحبه وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون به صلى الله عليه وسلم في حياته وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به في الدعاء ، وأما قول القائل اللهم إني أتوسل إليك به فللعلماء فيه قولان كما لهم في الحلف به قولان ، هو يذكر هذا مع أنه قول باطل بلا شك ، الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه يعتقد وجائز قول باطل لمخالفته الحديث الصريح ، لكن يقول وجهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة على أنه لا يسوغ الحلف به صلى الله عليه وسلم كما لا يسوغ الحلف بغيره من الأنبياء والملائكة ولا تتعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء وهذا إحدى الروايتين عن أحمد ، والرواية الأخرى تتعقد اليمين به صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره وبذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه أنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه ولكن غير أحمد قال إن هذا إقسام على الله ولا يقسم على الله بمخلوق وأحمد رحمه الله في إحدى الروايتين قد جوز القسم به صلى الله عليه وسلم فبذلك جوز التوسل به لكن الرواية الأخرى عنه هي قول جمهور العلماء أنه لا يقسم به إذاً فلا يتوسل به لذلك نقول أن هذا القول رغم أنه منقول عن الإمام أحمد لكن العبرة بما ثبت في السنة وهذا الإقسام به صلى الله عليه وسلم يخالف لنص الحديث ( من حلف بغير الله فقد أشرك ) والتوسل به صلى الله عليه وسلم في دعائه قد أعرض عنه الصحابة رضي الله عنهم وتركوه رغم استحضارهم له حيث توسل عمر بالعباس دون النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نقول هذا القول أن من حلف بالنبي صلى الله عليه وسلم انعقد يمينه ووجب الوفاء به قول باطل قطعاً من جهة الدليل لمخالفة الدليل الصريح ولذلك نقول هذا ليس خلافاً سائغاً خلاف التوسل فيه احتمال فمذهب الإمام أحمد نادر جداً أن تجد فيه أكثر من هذا النوع لكن أحد الأمثلة لأنه كل يؤخذ من قوله ويترك وما من أحد من أهل العلم إلا وقد غابت عنه السنة في بعض المسائل ،

يمكن أن ينقل قول الإمام أحمد في رواية المروزي على أنه أراد التوسل بحب النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه وهو من باب التوسل بالعمل الصالح لذلك نقول إن التوسل بالحق والجاه وهو النوع الثالث من التوسل غير المشروع وهو أن يقول اللهم إني أسألك بحق فلان أو بجاه فلان أو بفلان يعني بذاته توسل بدعي على الراجح أحازه بعض العلماء بالنبي صلى الله عليه وسلم المنقول عن الإمام أحمد وكالعز ابن عبد السلام صرح بمشروعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وأحازه البعض لعموم الصالحين كالشوكاني لكن الصحيح من حيث الدليل هو قول أبي حنيفة وأصحابه ذلك بأنهم قالوا لا تتوسل بمخلوق وإن كنا نقول أن هناك توسلاً بالمخلوق ، نحن نصحح أي مخلوق ؟ العمل الصالح تتوسل به ، تتوسل بدعاء المسلم الصالح فهذا أيضاً مخلوق ، العمل الصالح مخلوق ودعاء المسلم الحي مخلوق أما التوسل بالحق والجاه والذات فهو بدعة لم يرد في كتاب ولا سنة وقد تركه الصحابة مع استحضارهم له كقول عمر اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فنتسقيناً وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا فيسقون ، فعمر لم يتوسل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه في الحقيقة كان يتوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم لا بذاته ولا بجاه فإن ذاته موجودة الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وجاهه قائم منزله عند الله عظيمة ومع ذلك ترك عمر والصحابة مع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوسلون بدعائه صلى الله عليه وسلم وهو الآن دعاؤه غير موجود وطلب الدعاء منه غير ممكن ، يا رسول الله ادعوا الله لنا استسقي لنا هذا غير ممكن لذلك عدلوا إلى التوسل بالعباس وقالوا تتوسل إليك بعم نبيك ومسألة التوسل من القضايا الشائكة التي حاول البعض من المعاصرين التخلص فيها من النزاع القائم بين المنهج السلفي والمنهج الصوفي ، للتوسط الدائم منهجهم دائماً على التوسط بين الفرق المتنازعة ، الشيخ حسن البنا رحمه الله فقال إن الدعاء إذا اقترن بالدعاء إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي وليس بمسائل العقيدة ولو اختصر على هذا النوع كان يكون صحيحاً لكن الكلام موهم كما ذكرنا أن التوسل هو من مسائل العقيدة باتفاق ، الذين يدعون غير الله يسمون ذلك توسلاً ، مجلة الإسلام وطن مليئة بهذا الكلام ، الخاصة بالصوفية الخاصة بالطريقة العزمية

يقولون إن يا سيدي فلان ارحمني واغفر لي جائز ومشروع ومن ضمن استناداتهم يقولون أن الشيخ حسن البنا يقول خلاف فرعي ، هناك ما هو شرك أصغر مثل أدعوا الله لي اشفع لي عند الله لأنه ذريعة إلى الأكبر ، أما النوع الثالث فليس شركاً لأنه يتوجه إلى الله بالدعاء ويقول اللهم إني أسألك بفلان أو بحق فلان إلا إن اعتقد أن جاه فلان وحق فلان معناه أنه يدبرالكون يكون هذا شرك في القيدة في الربوبية وليس في الإلوهية،

الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله نص على المنع من هذا التوسل لكنه لا ينكر على من فعله ولا ينكر على من توسل بالحق والجاه ولذلك فلا يصح أن يقال أن كل أنواع التوسل فيها خلاف سائق ومن الخطأ أيضاً اطلاق القول بأن كل توسل بالخلق شرك ، كالشيخ أبو بكر الجزائري في كتاب عقيدة المؤمن يقول التوسل بالخلق شرك، لا التوسل بالعمل الصالح توسل بمخلوق ومشروع والتوسل بدعاء المسلم مشروع وهو توسل بمخلوق والتوسل بالحق والجاه غير مشروع ولكن بدعة وليس بشرك ، فالخلاف الفرعي فقط في النوع الأخير التوسل بالحق والجاه ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## 5-العبادات القبلية

### ٢٨ - المحبة

تكلمنا في الأبواب السابقة في شرح المنة في توحيد الإلوهية عن أنواع الشرك الأكبر والأصغر والحذر من الغلو في الصالحين وهو أحد أخطر مظاهر أسباب الشرك حتى عبد غير الله سبحانه وتعالى بالغلو في الصالحين يبقى أن نختتم بأمر لا بد منه في هذا المقام قبل أن تنتقل إلى نوع آخر من أنواع توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات الذي هو الحكم بغير ما أنزل الله وكذا حكم الولاء والبراء الذي هو أحد فرع توحيد الإلوهية لكن نحب أن نبين أن أكثر المتكلمين في هذا المقام إنما يركزون على الجانب السلبي أو جانب النفي في بيان أنواع الشرك وخطورها والتحذير منها ولا شك في أن هذا هو الأصل العظيم في الكفر بالطاغوت والكفر بما يعبد من دون الله والسعي إلى إبطال الشرك وتركه وهذا أمر لا يمكن ولا يجوز أن يهمل لكن لا يجوز كذلك أن يهمل جانب الإثبات وهو جانب إثبات العبادة لله وحده لا شريك له وليس التوحيد فقط أن تنفي الشرك وتسكت وتبقى بلا زاد ولا غذاء ولا شفاء تبقى هكذا بلا نصيب من توجه القلب لله سبحانه وتعالى وكذا توجه اللسان والبدن فيإيمانك على قدر ما تقوم به من أعمال لا شك أن ترك الشرك الأصغر والأكبر أمر ضروري لا يتم إيمان العبد إلا به ولكن لا يكفيك وحده حتى تحقق العبودية لله وحده سبحانه وتعالى حتى تعبد الله بالحب والخوف والرجاء والتوكل والرضا والصبر والشكر والافتقار إلى الله عز وجل والاخبارات له سبحانه وتعالى وسائر عبادات القلب ثم تكون عبادات الجوارح عوناً لك على تحقيق هذه العبادات القلبية والحقيقة أن عبادات الجوارح وعبادات اللسان كالوعاء لهذه العبادات القلبية التي هي أساس التوحيد التي هي حقيقة التوحيد والإيمان لذلك لا بد أن نختتم بهذا الجانب لا نكون كالذي عنده أرض فيها خبث أو نجس أو قاذورات فيبدأ أولاً بتنظيف الأرض ثم بعد ذلك يجلس فيها وهو لم يبيئ شيئاً ولا حتى عريشاً صغيراً ولا حتى كوفاً صغيراً أكتفى بإزالة النجس من الأرض أعدها للبناء لكن إن توقف بعد ذلك إن جعل قضيته هي المعركة مع المخالفين وهي غالباً ما تكون مؤذية للإنسان، المارك دائماً مؤذية لكن يحتاج الإنسان إلى إزالة هم وضيق ذلك الأذى بأن يبيئ مكاناً يستريح فيه ويسكن ويتعبد لله سبحانه وتعالى ، هذا الذي نذكره أنه لا يكفي فقط أن هدم مذاهب المنحرفين بل لا بد أن نبني لأنفسنا طريق السالكين نبني هذا القصر الذي يمكننا أن نعيش فيه الحياة السعيدة الهانئة من عبادة الله سبحانه وتعالى ودائماً ما تكون قضية محاربة البدع والضلال كما ذكرنا ذلك في باب الأسماء والصفات أن كثيراً من الناس يكون شغلهم الشاغل هو محاربة البدع والضلال ولكنه لا يسأل الله بأسمائه وصفاته ولا يحبه ويدعوه بها ولا يعرف عظمتهم وقدرته سبحانه وتعالى ولا يتوجه إليه بأنواع التوجهات الواردة بالكتاب والسنة ولا يستحضر حين يتلوا القرآن معاني هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى وتدبير الله عز وجل للكون وأفعاله سبحانه وتعالى فيما يفعل عز وجل فيهم هذا الجانب وكذلك في باب توحيد الإلوهية كثير من الناس يجعل همه فقط هدم القبور ولا شك أننا ذكرنا أهمية هذه المسائل يعني هدمها في القلوب قبل هدمها في الحقيقة وعدم صرف العبادات لأصحابها ولكن يبقى أنه لو بقينا كذلك دون أن نوجه العبادات لله سبحانه وتعالى دون أن نستشعر حب الله سبحانه وتعالى لبقيت الدعوة غير حقيقية في صدق انتمائها لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون صادقاً في الانتماء ، دعوتنا تكون دعوة جافة ودعوة سلبية فقط ولو وجد الناس في غيرها ما يفتقدونه من أمر الغذاء لبادروا إليه وتركوا ربما الحق من أجل خلو الدعوة وليست الدعوة يقولون دعوة هؤلاء الدعاة الذين قصروا في هذا الجانب بخلوهم من هذا الجانب الإيجابي أو قل جانب الإخبارات أو صرف العبادات لله سبحانه وتعالى كما ذكرنا أن هذا الأمر مبني على معرفة الله سبحانه وتعالى لها وتوجيه العبادات له سبحانه وتعالى فأنت حين تقول لا إله إلا الله تنفي العبادة عن غير الله أن تصرف لغير الله وتوجهها وتقر بتوجيهها وتفعل ذلك بالفعل لله وحده لا شريك له ليس أنك فقط تخدم مواخير الآخرين وتترك أرضك خاوية لن يربحك هذا التنظيف فقط أو هذا الهدم فقط من حر الصيف وبرد الشتاء حتى تبني القصر العالي المنيف ، معك المفتاح لماذا لا تفتح وتدخل وتجلس في غرف القصر وتستمتع بها ،



ذلك قضية توحيد الإلهية كما ذكرنا في قضية التعلق بالأسماء والصفات وبالربوبية وشهود ربوبية الله سبحانه وتعالى فكذلك نذكر مختصراً هنا قبل الانتقال إلى مسائل أخرى في هذا الباب نذكر مختصراً حول عبادات القلب التي هي أصل العبادة وحقيقة العبادة والمقصود من العبادات القولية والبدنية ولا نعي بذلك أنه يمكن أن تحصل هذه العبادات القلبية دون العبادات البدنية والقولية بل يستحيل أن تقع هذه العبادات لمن لا يصلي أو يصوم أو يركي أو يحج ويعتمر أو يجاهد أو يدعو إلى الله أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكن لو وقعت هذه العبادات الظاهرة خاوية من الحقائق الباطنة خاوية من الخشوع والخضوع والحب والخوف والرجاء لوقعت بلا ثواب إلا بقدر ما يكون فيها من أحوال القلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ينصرف المرء من صلاته ولم يكتب له إلا أن يصفى نفسه إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى تبلغ عشرين ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال ( لا يقبل الله دعاءً عن ظهر قلب غافل ) فالإنسان بما عمل وليس فقط بما ترك لا نقول كما يقول البعض أننا نغتم بالعمل ونترك ولا ننشغل بالجانب السلبي لا يمكن أبداً، لذلك بدأنا بالجانب النفي لا بد أن نبتل الباطل ونبتأ منه ونحذر منه ونبني دعوتنا على هدمه والحق لا يقام على أرض الباطل إلا يهدم ذلك الباطل ولا يمكن أن يكون هناك اشتراك بين الشرك والإيمان في تحقيق عمارة القلب بالإيمان ، لا يمكن أن يقع ذلك، الشرك لا بد أن يهدم وهي قضية عظيمة الأهمية ولكن كما ذكرنا لا يكتفى فقط بهذا الأمر دون أن نحقق عبادات القلب دون أن نجد في قلوبنا طعم الإيمان ، طعم الإيمان كما ذكرنا في باب الأسماء والصفات بمعرفة الأسماء والصفات والتعبد لله بها وكل اسم يقتضي عبودية كما ذكرنا في توحيد الربوبية في شهود تدبير الرب سبحانه وتعالى وملكو وأمره ونهي في هذا الكون وقد ذكرنا أمثلة على ذلك ، نذكر هنا أهم عبادات القلب التي هي روح توحيد الإلهية وحقيقته ومقصوده وبدونه لا يحصل الإيمان وبكامله يكمل وينقصه ينقص وهو مبني بلا شك على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، نذكر مختصراً في هذا ينبغي إضافته في هذا الوطن وإن كنا في باب الاختصار في أمر الاعتقاد نشير إليه وإن كنا نحتاج إلى تفصيله أكثر ولذلك ليس غرضنا فقط أن ننتهي من ذكر مختصر فكري مثلاً أو عقدي نعرفه فقط ولكن نحاول أن نخفي قلوبنا بهذه المعاني عسى الله سبحانه وتعالى أن يدخلنا حنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، فأعظم هذه العبادات وأهمها عبادة الحب لله سبحانه وتعالى وهي أساس الإيمان وأصل العبادة لأن العبادة لله سبحانه وتعالى هي كمال الحب وكمال الذل له عز وجل وهذا لا يصح الإيمان بدونه فإذا زال الحب لله عز وجل زال الإيمان بالكلية ، إذا زال الحب بالكلية زال الإيمان بالكلية ، وإذا نقص نقص وإذا اكتمل اكتمل ، قال الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم } فبين الله عز وجل صفة أهل الإيمان الكمال الذين يصل بهم دينه هؤلاء الذين يحبهم الله سبحانه وتعالى ويحبونه ، فأول فعل ذكره الله من أفعالهم أنهم يحبونه فهو عز وجل يحبهم لأنهم يحبونه وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهذا من فضله عز وجل عليهم آتاهم إياهم وهو واسع الفضل سبحانه وتعالى وهو العليم بمن يستحق ذلك فيعطيه إياه فأول صفة وأول فعل من أفعالهم أنهم يحبون الله وأثر هذا الحب لله عز وجل منهم أن صاروا يحبون إخوتهم المؤمنين لله عز وجل فلذلك صاروا أذلة عليهم ولأنه ضمن كلمة أذلة معنى الشفقة والعطف والرحمة فلذلك عداه بعلى مع أن الذلة، الذليل تتعدى بالام إذا كان في أصلها يقول ذل لفلان أو ذليل لفلان والله سبحانه وتعالى لم يرد هذا المعنى في حق المؤمنين وإنما الذلة هنا بمعنى الشفقة والعطف ولكن تتضمن من شدة العطف وشدة الرحمة وشدة الشفقة كأنه ذليل كمال قال تعالى { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } فهو يرحمهم يرحم الوالدين يعاملهم معاملة الذليل كأنه ذليل ومن ينظر إليه يظنه ذليلاً وليس كذلك ولكنه من الرحمة فعل ذلك لأنه ضمن معنى أذلة مشفقين معنى عطوفين ونحو ذلك فعدها بعلى التي تتعدى بها كلمة الشفقة والعطف وضمن كلمة أذلة معنى الشفقة والعطف ، وهو في الحقيقة ليس خاضعاً للمؤمن وإنما هو يشفق عليه ويرحمه ويعطف عليه وهذا والله أعلم لأن ذلمهم الله دفعهم لأن يكونوا عطوفين رحماء بالمؤمنين شفقاً عليهم رحماء بهم فهم أذلة لله يذلون الله ومن هذا استجابوا لأمره عز وجل بالعطف على المؤمنين ، هذا من علامات حبهم لله أنهم يحبون من يحب الله ويحبون من يعبد الله ويحبون من آمن بالله ويثمر هذا أنهم يذلون عليهم ويعطفون عليهم يثمر هذا لهم أيضاً العزة على الكافرين والقوة عليهم والغلبة عليهم والبغضاء لهم والكراهية لهم { أعزة على الكافرين } تجد أن على فيها معنى الارتفاع وهذه معاني جميلة عظيمة في استخدام أدوات الجر وبلاغة التي استخدمت في القرآن العظيم ، قال الله تعالى عنهم { وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } فالعزة على الكافرين تتضمن معنى الشدة ، المؤمن شديد على الكفار غليظ عليهم كما قال تعالى { أشداء على الكفار رحماء بينهم } وسبحان الله حصال المنافقين على العكس تماماً تجدهم أذلة للكافرين أتباع لهم أعوان لهم حرب على أهل الإسلام في كل مكان حيث ظهر الإسلام يقفون في الصف الآخر ونسأل الله العافية ، والله ما وجد النفاق إلا بهذه الصفات عكس صفات المؤمنين ونرى في زماننا أظهر ما تكون هذه الصفات ومن لا يرى مثل ذلك ولا يرى هذه الصفات فهو لم يرى شيئاً ولم يعرف حقائق التوحيد والإيمان حين يحب أعداء الله وهو يرى ذلمهم للكفرة من اليهود والنصارى والملاحدين والشيوعيين وسائر أنواع الملل والعباد بالله ويواليهم ويحبهم وفي نفس الوقت يشتد على المؤمنين كأنه لا يرى إلا أخطائهم أو ما يتصوره أنه أخطاء .

ثم يدفعهم حبهم لله عز وجل إلى نشر هذا الحب والعبادة ليعبد الله وحده لا شريك له فيحبون أن يعبد الله في الأرض ولذا يجاهدون في سبيل الله قال الله عز وجل { يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم } يجاهدون جهاد القرآن وجهاد السنام يجاهدون بالقوة التي يقدرعون عليها كلها ليعبد الله في الأرض ولتظهر عزهم على الكافرين وبغضهم للكفر وبرائتهم منه وكل هذا يدفعهم على أن يزيلوا علو الكفر في الأرض فهم لم يستطيعوا أن يزيلوا الكفر من القلوب لأن القلوب بيد الله وما شرع الله عز وجل أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لكن شرع ألا يعلوا فوق أرضه إلا الإيمان ثم الناس بعد ذلك بالخيار { من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } إذا ظهر الإيمان وعرفه الناس آمنوا في الحقيقة أعظم مانع يمنع الناس عن الإيمان أنهم لا يعرفونه ولا يعرفون حقيقته وأنهم تلبس عليهم الأمور وتلبس عليهم الشياطين من الإنس والجن وتكذب عليهم حتى يشوهوا صورة الإيمان فكان الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله في الأرض لأنه إذا علت كلمة الله فالناس سوف يدخلون في دين الله مختارين طائعين وهذا يكون حباً من المؤمنين في نشر محبة الله والعبودية له في الأرض لكي يعبد الله سبحانه وتعالى في الأرض فأكمل الخلق من يعبد الله في نفسه ويسعى إلى أن يكمل عبودية غيره وأن يحقق عبودية غيره حتى يعبد الله وحده لا شريك له ( فهو يحقق عبودية نفسه وعبودية غيره لله عز وجل ويسعى لذلك ) يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم { لا يعاؤون لوم اللاتمين ولا يخافون لوم اللاتمين إذا عاتبوهم أو ذمهم على أنهم يريدون نشر هذه الدين ونشر عبادة الله ،



الوصف الأول المحرك لهذا كله هو الحب هو سبحانه وتعالى يحبهم لأنهم أطاعوه وأحبوه ، ذكر الله عز وجل محبته له أولاً قبل حبهم له مع أن حبه سبحانه وتعالى إنما كان بسبب طاعتهم وعبادتهم لأن هذا أشرف شيء من صفاتهم لأن ربنا عز وجل قال { يحبهم ويحبونه } فمع أن حبه عز وجل إنما كان بسبب حبهم وطاعتهم { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } إذاً أيهما يوجد أولاً ؟ أن يحب المؤمن ربه ثم بعد ذلك يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فيصل إلى درجة المحبوبة فكونه محبوباً لله سبحانه وتعالى هو في الواقع والوجود يقع بعد حبه هو أولاً وبعد طاعته التي تتضمن { أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين يجاهدون في سبيل الله } لماذا ذكرت أولاً يحبهم هو عز وجل ؟ لأن ذلك أشرف صفاتهم ، أشرف شيء في صفات العبد أن الله يحبه وبهذا سبقوا إلى الله عز وجل ، هذا الذي يقصدونه ويريدونه وهذا الذي يسعون من أجله فأشرف صفاتهم وأعلى منزلة له أن الله يحبهم فبدأ بذكر حبه لهم مع أن حبه سبحانه وتعالى يكون بعد استكمال العبادة كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم { قال الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه } الحديث بين أن متى يحب الله بعد أن يحبه العبد ، بعد أن يحبه ربه ويتقرب إليه بالفرائض وبواجب على النوافل حتى يصل إلى درجة المحبوبة أي بعد أن يستكمل العبادة لكن ذكرت أولاً يحبهم لأن حبه هو الغاية المقصودة وحب الله لعبده هو الغاية المقصودة التي يسعون من أجلها ويحبهم الله عز وجل فهذا أعلى ما يوصفون به فبدأ أولاً به والله أعلى وأعلم ،

قال الله تعالى { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } هذا أيضاً يدل على أن حب الله تابع لتوفيقه لهم أن يحبوه ، فالإنسان يحب الله فيتبع النبي صلى الله عليه وسلم فيصير بذلك إلى درجة المحبوبة فمن زعم حب الله ثم لم يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فليس صادقاً في الحب وليس حباً صحيحاً حقيقياً من كان يحب الله عز وجل فلا بد أن يتبع نبيه صلى الله عليه وسلم فهنا نجد أن الأمر مبني على أن يصل الإنسان إلى درجة المحبوبة أن يكون محبوباً عند الله من خلال أن يحب الله ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم وحب الله أصل العبادة وكما لها وأعلى منازلها وأولها وآخرها يبدء به ويستمر ولا ينقطع وإلا انقطعت العبادة ولذا يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فهنا تتحقق الشهادتان ، فهنا تحقيق الشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وقال الله عز وجل { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله } فهذه الآية لها تفسيران ،

الأول : أن من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبهم فهم يحبون الله ولكن يحبون الأنداد حب العبادة كما يحبون الله

الثاني : أنهم يحبون أندادهم كحب المؤمنين لله كما يحب المؤمنون ربه حب العبادة صرف المشركون حب العبادة للأنداد والأوثان ،

فلما كان حباً لمن لا يستحقه كان منافياً للفظرة كان المؤمنون أشد حباً لله فهذه الآية تدل على أن المؤمنين أعظم حباً لله يحبون الله أشد حب وهو حب مع ذلك وانقياد وخضوع وهم أشد حباً لله من حب المشركين لشركائهم وكذا أشد حباً لله من حب المشركين لله ، لأن حب المشركين لله من يحب منهم الله هو حبه موزع وحبه مقسم كما قال سبحانه وتعالى { ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون } ولذلك لما توزع حب العبادة بين المشركين بين الله وبين الشركاء لم يكن حبهم لله قوياً بل لا يعرفون حقيقة حب الله على الكمال لأن حب الله سبحانه وتعالى حب العبادة يطر من القلب كل حب آخر ينافسه في ذلك فكان حبهم حابطاً في الحقيقة لا أثر له حب المشركين حابطاً لأن الشرك أحبط ذلك العمل وهم أشد حباً من حب المشركين لشركائهم لما ذكرنا من أن حب المشركين للشركاء وقع مخالفاً للفظرة وميل القلوب والله سبحانه وتعالى فطر العباد على الحنيفية ( إني خلقت عبادي حنفاء ) فهم يميلون إلى الله عز وجل يحبونه فإذا وجهت هذه القلوب لغير وجهتها لن تستقر ولن تسكن ولم تنتفع ومن حبهم الله سبحانه وتعالى يحبون من يحب من الخلقين فحب المؤمن لم يحبهم الله عز وجل من الأشخاص والأمكنة والأزمنة والأعمال تابع لحبه لله سبحانه وتعالى وتابع لأمره عز وجل فهو حب في الله ولأجله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ثلاث من كن فيه وجد بهم حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا أنقذه منه كما يكره أن يقذف في النار ) حلاوة الإيمان مبنية على هذه المحبة لا توجد حلاوة الإيمان بدون هذه المحبة ، لا توجد ولا تذاق حلاوة الإيمان إلا بذلك وهذه المسائل الثلاثة المذكورة كلها مبنية على المحبة أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما حب الله وحب العباد وحب الرسول صلى الله عليه وسلم حب عبادة الله عز وجل لأنه حب في الله ولأجله لأنهم يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من كل أحد من المخلوقين لأن الله عز وجل يحب نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك أكثر من كل أحد من خلقه فحبهم تابع لله عز وجل فهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله ولأجله

وكذا أن يحب المرء لا يحبه إلا الله فهم يحبون المؤمنين في الله عز وجل لماذا قرن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب الله مع أنه من جنس الحب في الله حب المؤمنين في الله ، يعني كان سياق الكلام الذي تذكره أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم حب في الله ولأجله فليكن مع حب المؤمنين فلماذا جعل حب الرسول صلى الله عليه وسلم مضموماً في السياق في الجملة إلى حب الله ومقترباً بحب الله مع أنه من جنس الحب في الله ؟ نقول ذلك لأجل بيان منزلة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم حباً في الله فهو قرين حب الله لا يقبل حب الله إن زعمه زاعم دون حب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقع بين العبد وبين العبد نوع عدواة ونوع بغض يكون ذلك لأمر دينوي لو أبغض النبي صلى الله عليه وسلم ما قبل الله حبه قد يكون بين الخلق بغضاء ولو كان مؤمناً يكره مؤمناً لأجل شحنة بينهما ينقص إيمانه بذلك ولا يزول ولكن لو كره النبي صلى الله عليه وسلم فقد خرج من الملة والعياذ بالله فلا بد أن يحب الرسول صلى الله عليه وسلم حباً مقدماً على كل أحد لأن حب الرسول صلى الله عليه وسلم شرط في قبول حب الله ولا يصح حب الله بدون حب الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا بيان لمنزلة حب النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة ولأنه أساس طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما يشمل الأب والأبن والمال والولد والأهل والأزواج والعشيرة والوطن وكل شيء فلا بد أن يكون حب الله عز وجل أعظم من كل حب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم كذلك من كل حب آخر للمخلوقين ، فطاعة النبي صلى الله عليه وسلم تذلل لله سبحانه وتعالى وعبودية له فنحن

نطيع الرسول ونحبه لله عز وجل وعبودية لله لا عبودية للرسول صلى الله عليه وسلم هذا هو الفرق الهام بين أهل السنة وأهل الشرك والضلال ممن يزعمون حبه فيغفلون فيه فيعبدونه ويطرونه كما أطرت النصرى ابن مريم فلا بد أن نتنبه أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس عبادة له عليه الصلاة والسلام لأنه ليس مع ذله لكنه مع ذل الله عز وجل فإن تحبه عبودية لله تحبه في الله والله وأجله عز وجل وحب المؤمنين أيضاً تابعاً لذلك أن يحب المرء لا يحبه إلى الله لأنه يطيع الله ويحب الله والله أمر بالحب في الله والبغض في الله هذه هي الرابطة الإيمانية العظيمة التي يزول معها كل مشقة وتعب في هذه الدنيا ، فعلاً الأخوة الإيمانية تجد بها حلاوة الإيمان إذا وجدت زالت متاعب الدنيا وبدون الحب في الله تقس الحياة ويقسو قلب الإنسان وتقسو عليه كل العقبات وتشتد ولذا الأخوة في الله تزيل اليأس والحزن تزيل البؤس الذي يشعر به الإنسان وحب الله يزيل كل هموم هذه الدنيا وحب النبي صلى الله عليه وسلم يفتح القلب لأنواع الخيرات في اتباعه عليه الصلاة والسلام ، قال يوسف لأخيه إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون { فإنما يزول البأس بوجود الحب في الله ووجود حب الله سبحانه وتعالى إذا استشعرت الأخوة الإيمانية مع حبك الله سبحانه وتعالى زال عنك البؤس وزال عنك الحزن وانفتح القلب لأنواع الخيرات والله المستعان ،

فكراهية الكفر بعد ذلك هي من حقيقة حب الله عز وجل حيث لا يطيق الإنسان الكفر ولا من يكفرون بالله ولو خير بين أن يلقي في النار وبين أن يكفر لكان أن يلقي في النار أهون عليه من أن يكفر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ) هذا من كمال حبه لله لا يحتمل من يكفر ولا يحتمل من يكفر فحب الله عز وجل هو حياة القلوب ونعيم الأرواح وبهجة النفوس وقرّة العيون وأعلى نعيم الدنيا والآخرة

حب الله هو حياة القلوب لأن الله يحيا ويموت ، هناك قلوب حية وقلوب ميتة من لم يذق حب الله سبحانه وتعالى فقلبه ميت كما قال عز وجل { أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات لي بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون } وهو نعيم الأرواح ونعيم الأبدان بل هو أعلى نعيم يدركه الإنسان أن يجد حب الله عز وجل وكل اللذات الأخرى إذا قورنت بحب الله عز وجل تصاغرت وتضاءلت وإنما يعرف ذلك من ذاق حب الله سبحانه وتعالى وأنه أعظم نعيم يمكن أن يدرك في هذه الحياة فضلاً عن نعيم الآخرة وكل اللذات الأخرى لا تساوي شيئاً أمامه وهو بهجة النفوس تبتهج النفوس وتفرح وتجد السعادة وأعظم السعادة في حب الله عز وجل وقرّة العيون تفرح العيون أي تستقر وتطمئن وتجد أعظم أنواع السكينة في حب الله وهذا لأن العين إذا تطلعت إلى شيء آخر لم تفر فيظل الإنسان متطلعاً يبحث عن شيء يبحث عن السعادة إلى أن تفر عينه بالله سبحانه وتعالى فهنا لا يجد متزحزحاً لا يتطلع إلى شيء آخر قرّة العيون وهو أعلى نعيم الدنيا والآخرة لأنه في الآخرة ينظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى حباً له وإنما يريدون النظر إلى وجه الله لأنهم يحبونه أعظم حب ومع الرؤية تكتمل المحبة فلذلك كان أعلى نعيم الدنيا والآخرة ،

قال ابن القيم رحمه الله " المحبة هي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وروح نسيهما تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذا الأرواح وقرّة العيون وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحر الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى حلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أرواح السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصلها وتوابعهم من مقاعد الصدق المقامات لم يكونوا لولاها داخلها وهي مطايا القوم التي صراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذا لهم من محبة محبوبهم أوفر النصيب وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيألفها من نعمة على المحبين سابعة "

يقول رحمه الله المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون معنى شخص يعني خرج ، خرج الإنسان يعني برز من داره في طلب شيء ، العاملون الأعمال الصالحة المصلون والصائمون والمجاهدون وإنما شخصوا وإنما تحركوا إنا سعوا إلى أن يحققوا حب الله عز وجل وإلى أن يحبهم الله

وإلى علمها شمر السابقون شبه المحبة كأنها كالجبل ترى عن بعد ، الجبل العلم { ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام } كالجبال ، إذا رآه من يطلبه شمر عن مساعد الجهد واجتهاد في الطلب لأنه رأى بوادر ولمح جبال البلد التي يريد أن يستقر فيها فيشتد جهده فإذا ذاق العبد محبة الله عمل بأقوى ما يمكنه وأشدّه إذا ذاق الحب لا يدخر وسعاً ولا يقصر في المهمة والطلب حتى يصل إلى غايته فالعلم هو الجبل ،

فإلى علمها شمر السابقون : شمروا واجتهدوا لأنهم سبقوا إلى الله عز وجل بحبهم ،

وعليها تفانى المحبون : يتفانون فيها بمعنى يضجون بكل غالى ورخيص من أجلها علامة على صدق الحب فإن الحب يبذل ما يطلبه محبه ولو كان أغلى ما عنده ولو كانت نفسه ، لو كان المطلوب نفسه أو أهله أو وطنه فالحب يبذل كل ما يطلبه محبوه ، المؤمنون الصادقون بحبهم يضجون بكل غال ورخيص في سبيل الله عز وجل فعلى هذه المنزلة تفانوا ضحوا بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ولا يمكن أن تكون هذه التضحية إلا مع وجود لذة المحبة ويستحيل أن يضحي الإنسان بكل ما يناسبه من أهل ومال وولد أو وطن ثم لا يجد شيئاً في قلبه ويعرضه عن هذا الذي ضحي به من أجله بل لابد أن يجد لذة أعظم من لذة ما يضحي به ومن هنا هو مستعد لأن يفني نفسه وأن يضحي بها ويجود بها من أجل هذا الأمر من أجل هذه اللذة التي وجدها ، فلذة المحبة هي الدافع له لأنه يريد المزيد من القرب من الله عز وجل ومحبهته

يقول وبروح نسيمة تروح العابدون : يشبه السائر إلى الله عز وجل بالعابدين له كمن يسير في طريق فيه حر ومشقة وتعب ولا شك أن الطريق إلى الله عز وجل مليء بأنواع العقبات والتكليفات والمشاق والمخالفات فهذا كالحرج الذي يصيب الإنسان السائر في الطريق ، والمحبة هي النسيم الطيب الذي يريد السائر في الطريق فشبه المحبة بهذا النسيم ، يقول بروح نسيمة تروح العابدون لراحة هذا النسيم استراح العابدون ووجود خفة في طريق سيدهم هانت عليهم المصاعب ، هانت عليهم ما يجودون من آلام أثناء الطريق وأنواع المتاعب ، كل ذلك هان بسبب وجود حب الله في قلوبهم ، ومن لم يحب الله عز وجل فهو بمجرد وجود عقبات أو متاعب سوف يترك الطريق ويقول ماذا أجي لا أستطيع هذه أمور تحتاج إلى توضيحات كبيرة لا أقدر عليها، لكن من أحب الله عز وجل لم يترك هذا الطريق مهما كانت العقبات والمتاعب والمشاق فهي قوت القلوب يعني غذاؤها الذي تحي به كحب الله عز وجل قوت قلوب المؤمنين تحيا به قلوبهم وغذاء الأرواح تتغذى به الأرواح وتنمو وتكبر وتتسع وتنشرح ، والزكاة إنما هي نمو وكبر وفي نفس الوقت طهارة ونقاء فتغذى الأرواح وتنمو وتكبر وتتسع تنشرح حتى تصير أوسع من السماوات والأرض وذلك لأن انشراح الصدر بحب الله سبحانه وتعالى لا يوجد له نظير وقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم { ألم نشرح لك صدرك } وذلك كما يحصل انشراح الصدر بحب الله عز وجل فعند ذلك تهون كل المصاعب كل الآم تكون بعد الاتساع تكون في دائرة ضيقة كما توضع أذية الناس في صندوق بجوار الباب للقصر الواسع لا يتأثر بوجود بعض أنواع الفضلات ، هذه توضع في صندوق خارج الباب والقصر الواسع لا يتأثر لكن لو كان الصدر المكان ضيقاً ووجدت فيه هذه الفضلات ، طعام فاسد ويقايا فاسدة يمتلئ المكان برائحة عفنة لا يحتمل لذلك أذى الناس مثل هذه الزبالة مثل هذه الفضلات لو اتسع الصدر لهان الأمر ، وضع في صندوق والقصر واسع بفضل الله ولذا سيدنا موسى يتوقع صعوبة في مواجهة فرعون ويتوقع عدوان وطغيان فقال { رب اشرح لي صدري } لأنه إذا شرح الله له صدره هان عليه ما يجد من أذى الخلق وصار في هذا الصندوق كما ذكرنا والقصر واسع لا يوجد فيه أثر لذلك ، كما ذكرنا أن يكون الإنسان مع الناس بلا نفس فهو يكون مع الله سبحانه وتعالى بلا خلق فالخلق لا يعبا بهم ولا يعتد بهم والله المستعان وهي قرّة العيون تستقر فلا تطمع ولا تطلع إلى غير ما استقرت عليه ،

أو بمعنى تقر العين تبرد ، العين الحارة تبرد وتقر من القر البرد ، وذلك أن الإنسان لا يزال دائراً يبحث عن شيء يفقده كما أن البدن يبحث عن الطعام والشراب فالقلب الإنساني يظل باحثاً عن حب الله عز وجل فإذا وجده استقر فاستقرت عينه لن تطلع بصيرته إلى أن رأى ذلك

وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، من لم يحب ربه عز وجل ويجد طعم ذلك الحب فهو ميت القلب ،

وهو النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، لأنه لا يبصر حقائق هذا الوجود ولا يبصر مآلات هذه الحياة ، لا يبصر أعظم ما يتلذذ به في هذه الدنيا ثم في الآخرة ، بالقرب من الله والشوق إلى لقائه نابع من حبه عز وجل ولذه الشوق إلى لقاء الله من جنس لذة النظر إلى وجه الله ليست هي نفسها ولكنها من بابها كلامها ثمرة القرب والمحبة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ) فهي من جنسها لأن كل منهما تابع للحب فأنت إذا أحببت رغبت في أن تنظر واشتقت إلى من تحب ، من هنا أعظم ما يتنعم به أهل الدنيا لذة عبادة الله والشوق له وأعظم ما يتنعم به أهل الآخرة النظر إلى وجه الله عز وجل ،

قال " وهي الشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام " فهي شفاء القلوب ، بدون حب الله يمتلئ القلب بالكبر والعجب والحسد والغل ويمتلئ اللسان بالغيبة والنميمة والكذب وتمتلئ إرادات الإنسان بأبغض الأغراض وأبغضها وأحطها والعياذ بالله لأنه لم يرد حب الله عز وجل فكل الأمراض تحل في قلب هذا الإنسان لا يريد في الدنيا إلا الشهوات المال والرياسة والشهرة ولا يريد إلا الأمراض الخبيثة . الشهوة الجنسية أو شهوة المال أو شهوة التكبر وإذلال عباد الله عز وجل . لم يعرف قلبه طريقاً إلى أن يجد حب الله فبدون حب الله يمرض القلب أعظم الأمراض ويحل بقلبه جميع الأسقام والأمراض

وهي اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، فاللذة حلاوة الإيمان بحب الله عز وجل من لم يجدها في هذه الدنيا فلن يجد إلا التعب والشقاء والنكد وغيشه كله هموم وآلام حتى لو وجد اللذات الظاهرة لكن سعادة الإنسان ليست في هذه السعادة الظاهرة فاللذات الظاهرة لا تبقى مع الإنسان إلا لحظات إنما السعادة الحقيقية لذة القلب ، ولذة الجنس يجدها الإنسان ثواني معدودة ، لذة الطعام والشراب ساعة أو أقل من ساعة بعد ذلك يمل الطعام وكذا الشراب ، بعد ذلك اللذات الأخرى التي مردها إلى الأمراض القلبية إلى الأغراض الإبلسية مثل التلذذ بالشهرة والتلذذ بالمدح والتلذذ بالرياسة والتلذذ بالتكبر على الخلق والجبروت إنما هي في الحقيقة هي آلام وعلامات أمراض وشقاء للإنسان يشقى ويشقى من حوله وأنعس الناس به من يجاوره والعياذ بالله ، فكيف بنفسه فهي أنعس خلق الله إذا وجدت فيه كل هذه الآلام وهذه الأمراض فتلذذه في الحقيقة بهذه اللذات أشد ضرراً عليه من تلذذ الحرب بحكة الجسم فهو يمزق جلده ويمزق نفسه ليجد بذلك راحة لحظة يزداد بها تقطيعاً للجلد وتقطيعاً لنفسه نسأل الله العافية ، فهذه حقاً هي حالة من ابتعد عن الله ولم يجد حبه عز وجل نسأل الله العافية ،

قال " وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال " شبه الإيمان بالجسد ، وكما أن الإيمان هو الروح للقلب فروح الإيمان هي المحبة ولو أن الإيمان جسد فروحه وقلبه وأساسه هي المحبة ، بدون المحبة لا يكون هناك إيمان وكذلك العمل بدون محبة عمل جاف غير مقبول عمل لا يؤثر في صاحبه لذا هذه الأمور لابد أن تكون محل اهتمام المسلم الصادق المؤمن الحي قلبه وليس أن تظل اهتمامات الناس فقط في الأمور الظاهرة دون أن يبحث قلبه عن صلاحه وحياته وروحه وفلاحه فيبقى العمل بدون حب كالجسد الميت كما أن الإيمان روحه المحبة فكذلك الأعمال روحها المحبة وأما المقامات والأحوال فهي أعمال القلوب الأخرى والمقام شيء ثابت والحال أمر يأتي على القلب ويذهب ، الناس يتفاوتون في

الأعمال الباطنة كما يتفاوتون في الأعمال الظاهرة ومنهم من يكون عمله ديمة فكذلك عمل القلب أحياناً يكون ديمة ، ديمة يعني دائماً ، فإذا كان عمله دائماً حب دائم وليس فقط لحظات بارقة فهذا صاحب مقام ومن الناس من يكون عمله لحظة مرة حضر درساً أو مرة صلى ركعتين مرة قام ليله مرة صام فهذا أحياناً يكون مرة وجد حباً في ركعة من الركعات وجد لذة الحب مرة بخلاف من لا يغيب الحب عنه لحظة في حله وترحاله في نومه ويقظته في سفره وحضره في كل وقت فهذا صاحب مقام والآخر صاحب حال يتحول ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمرو ( لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ) فصاحب الأحوال من تأتبه لحظات يجد فيها لذة العبادة القلبية ، صاحب المقام مستقر والمحبة روح هذه الأحوال والمقامات فليس في المواسم فقط ليس مثلاً في رمضان أو الحج فقط لكنه على الدوام محب لكن هذه روح هذه المقامات والأحوال فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا حبه على الدوام ،

بدون المحبة لن يكون هناك صبر ولن يكون هناك شكر ولن يكون هناك خوف ولن يكون هناك رجاء ولن يكون هناك توكّل لأن العبادات الأخرى تابعة للمحبة متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه

" تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لن يكونوا إلى بشق الأنفس بالغيها " المؤمنون يريدون الجنة هذه هي بلاد الأفراح لكن هناك أثقال تثقل سيرهم لو حملوها على أنفسهم لم ينتقلوا ولا أن يصلوا ، هذه الأثقال التي يشعرون بها مثل ثقل التكالييف مثلاً كل إنسان بطبعه يميل إلى الكسل وهو يريد الوصول إلى الجنة لكن هذا الطريق يقتضى أن يقوم الليل وأن يصوم النهار وأن يجاهد في سبيل الله وأن يضحي بجاهه من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ينتقل عن وطنه وأهله وينفق الأموال وأمور شاقة على النفوس جداً إلا على المحب يبذلها سماحة هذه المحبة حملت أثقالهم ووصلتهم بسهولة ويسر إلى منازلهم التي يريدون الوصول إليها ولهذا سهل عليهم أن يقوموا الليل وأن يصوموا النهار وأن يجاهدوا في سبيل الله وأن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر وأن يضحوا بالغالي والرخيص وأن يبذلوا كل شيء سهل بانشرح صدر ولا يرون أن قد قدموا كثيراً ، أما الذي يرى أنه قد ضحى كثيراً فهذا لم يجد روح المحبة وحقيقتها ، الذي يرى عمله كثيراً وأنه بذل كثيراً أو تعب كثيراً فهذا لم يجد روح المحبة ، الذي يرى أنه ترك الكثير فهو كمن يقول أنا تركت الخشبة من أجل جوهرة هل يعقل أنه يقدر الخشبة بقدر الجوهرة ؟ لو تركت حجراً في الطريق أتقول كان أمامي حجر في الطريق وتركته ؟ هذا دليل على أنك تقدر الذهب بقدر الحجر ، لو كان الذهب عندك ذهباً لما قلت تركت الحجر لأجل الذهب لو كانت تساوي عندك ذهباً أو جوهرة لما شعرت أنك ترك الحجر من أجلها والشعور أنك تركت كثيراً وبذلت كثيراً منبعه من عدم وجود المحبة الصادقة والمحبة الصادقة يجعل الإنسان يبذل سمحاً ويهون عليه كل شيء فيبذله في سهولة ،

"تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها" أصبحت العبادة سهلة وجميلة ولذيذة وأصبح الصيام والقيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء يتلذذ به صاحبه لن يشعر أنه في كل مرة يتعب حتى يقوم ويتعب حتى يصوم ولن يرى نفسه يبذل مجهوداً بل أصبح الأمر بالمحبة سهلاً جداً ولذلك من وجد المحبة وسلك الأسباب الموصلة إليها حتى تحصل في قلبه سهلت عليه كل العبادات وكذل في ترك المعاصي لن يلى أنه قد بذل مجهوداً كبيراً في ترك المعصية لأنه يحب ربه فيسهل عليه جداً أن يترك المعصية لن تنازعه نفسه إليها فيحتاج إلى أن يختتمها وزمها كالدابة الجاحمة الحرون لأنه قد ذاق طعم المحبة الذي يبغله هذه أن يدق على الباب ويظل يدق حتى يفتح له ويبذل مجهوداً إلى أن يصل هذا الأمر لكن إذا وصل سيسهل كل شيء ولن يجد جهداً بعد ذلك فلا بد من صدق الطلب في الأسباب الجالبة للمحبة

يقول " وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا أبداً بدونها واصليها " فقد تكون عبادتهم قليلة لكنها مع الحب الصادق تبلغه المنازل ، قد يصلي ركعتين في تدبر فتكونان خيراً له من قيام ليله والقلب ساهم كم في الحديث الصحيح ( رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب ) نسأل الله العافية لأنه لم تكن في عبادته المحبة الصادقة فالمنازل التي يصل إليها المحبون لا يمكن أن يصلوا إليها بغير المحبة ولا يمكن أن يصلوا إلى تلك المنازل لو لم يصدقوا في الحب حتى يحبهم الله عز وجل ،

من لي يمثل سيرك المدلل تمشي في رويداً

الحب هو كذلك يعني بمشي مستريحاً ولو قليلاً ويأتي أولاً ، ركعتان في تدبر خير من قيام ليلة والقلب ساهم ، عبادة المحب أرفع عند الله عز وجل من عبادات ملايين البشر ممن ليس عندهم هذا الحب ،

قال " وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها بالغيها " تنزههم مقامات من مقاعد الصدق عند الله في الآخرة ، الصادقون وأهل الحق لم يكونوا أبداً ليدخلوا هذه المقاعد إلا بالحب

يقول " وهي مطايا القوم التي ساهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب " السرى السير بالليل ، أسرى الإسرائ ، أسرى سرى ليلاً قبل قيام الناس ، الناس يقومون إذا طلع النور وصعب على الإنسان أن يسير بالليل والناس نيام ، هذا هو السابق الذي يسبق إلى الله عز وجل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( عليكم بالدلجة ) أي السير ليلاً قبل أن يستيقظ الناس تشبيه بالسير إلى الله في فترة الظلمة الحسية والمعنوية ، العبادة في الليل أفضل من عبادة النهار ، ( أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الظلمة الحسية فهي في فترة الظلم والفساد والمنكر وعلو الباطل فمن يعبد الله ويلتزم في فترة الظلمة الحسية فهذا كالسائر ليلاً هناك من يسير بعد شروق الشمس حين يسير كل الناس عندما يدخل الناس في دين الله أفواجاً عندما يأتي نصر الله والفتح فيدخل الناس في دين الله أفواجاً فيأتي على الناس زمان الكل فيه ملتزم فمن الذي سبق ؟ الذي سبق الذي

سار ليلاً والذي سار قبل أن يسير الناس وقبل أن يستيقظ الناس قبل أن يعبد الناس ربحهم قبل أن يلتزموا الالتزام السابق ، سبق المهاجرون والأنصار الناس لماذا ؟ بسبقهم إلى الله وسبق المهاجرون الأنصار لأنهم أسلموا في فترة الاستضعاف فترة الآلام دون أن يروا في الأفق بوادر الانتصار ودون أن يروا بوادر التمكين كان أقصى ما يتمنوه مكاناً يأوون إليه فكانت المدينة مع أنها كانت فيها مخاطر لكنها كانت فترة أقل شدة من فترة مكة في فترة الاستضعاف فالمطية التي ركبوها هي المحبة ، الحب الصادق كالمطية التي يركب عليها ويسهل عليه أن يعمل في فترة بعد الناس عن الدين ، ما الذي سهل عليهم أن يتحملوا ؟ أن يكون هو في واد والناس ي واد وأن يعمل الله في وقت لا يعمل الله فيه أحد ، الظلام يعم الدنيا والفساد يملأ الأرض والكفر والظلم والنفاق يغشى الناس جميعاً وهو يعمل الله عز وجل حبه هو الذي يدفعه إلى ذلك ويسهل عليه فيسير بلا تعب بل يستمتع بالسير ليلاً يقول سبحانه الله ما أجل السير ليلاً مع أنها فترة المشقة والناس أصلاً بعيدة عن الالتزام لكنه جو طيب جميل ويحقق في الأرض منازل سريعة حب الله هو الذي يحقق له كل ذلك ، لو كان صادقاً في الحب لعمل ولم يلتفت إلى أحد ولو سارت الدنيا كلها في اتجاه وهو لا يجد من يعينه فسار إلى الله ولعمل الله ولعمل بالإسلام ولعمل من أجله ولولم يجد أحداً يعمل ، فالدلة مأمور بها حساً ومعناً مأمور أن تصلي بالليل ومأمور أن تعمل بالإسلام وللإسلام قبل أن يستيقظ الناس

وهي مطايا القوم التي سراهم دائماً إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازل الأولى من قريب ، الخط المستقيم هو أقصر الطرق ، الصراط المستقيم أقصر الطرق التي توصل إلى الجنة منازل الإنسان الأولى التي لا يزال مشتاقاً إليها لأنه سكنها أولاً ولا يزال في قلبه دافع ومحدث يقول له أريد أن أرجع إلى الوطن لأن الأرض ليست وطناً والدنيا ليست وطناً ولم تكن لحي أبداً مستقراً بل يبقى عليها مدة ثم يرحل فهناك منازل الأولى هناك وطنك الأول كنت تسكن فيه مستريحاً مطمئناً سعيداً في أحسن حال ثم أسرت منه وسباك الحاقدون صرت أسيراً أسرك الحاقدون فجئت إلى دار التعب والشقاء والنكد فأقرب ما يوصلك إلا منزلك الأول إلى الجنة هو حب الله عز وجل فحب الله هو الصراط المستقيم القصير الذي يدخلك مباشرة إلى الجنة وهو أقصر الطرق وهو دائماً سابق إلى الله عز وجل ، والناس سائرة في طرق بعيدة وبغير التزم صادق يسلكون طرقاً ملتوية ولو كانت مما توصلهم فقد تكوم ممتلئة بقطاع الطرق بخلاف الذي انتهج الطريق المستقيم فوصل مباشرة ، هذا هو الحب الصادق في الحب مع الاتباع يصل إلى الجنة من أقصر طريق يسير سير المدلل ويكون من أسعد الناس في الدنيا ويكون يوم القيامة في أعلى المنازل بخلاف من يتعبون جداً في الدنيا والآخرة نسأل الله العافية ،

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ، ولهم من محبة محبوبهم أوفر نصيب شرف الدنيا والآخرة هو في حب الله وهو عز وجل يحبهم ويحبونه وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بحكمته ومشيتته البالغة أن المرء مع من أحب ، فرح الصحابة جدا بسماع هذه الجملة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يحبون الله عز وجل ويحبون رسوله صلى الله عليه وسلم ويحبون أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ويحبون الملائكة ويحبون الصالحين وإن لم يعملوا بعملهم فق سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المرء يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( المرء مع من أحب ) فأنت إن كنت صادقاً في الحب كنت مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومعية أعلى من هذه وهي معية رب العالمين التي تكون بها مع الله قريباً منه معية المحبة ومعية رعاية وتكليف وإعلاء فيكون الله عز وجل معك فأنت عندما تكون مع الله يكون الله معك قد قضى الله بحكمته أن الله مع من أحب ولذلك خطر عظيم على الإنسان أن يحب الكفرة وأن يحب الظلمة والعصاة فيكون معهم منهم من يختار أن يكون معهم في الدنيا ملازم لهم خادماً لهم ذليلاً لهم نسأل الله العافية ، لذلك خطر عظيم على هؤلاء الذين يقولون نحب اليهود والنصارى ونودهم ألا يخشون أن يكونوا معهم كثير منهم يصل به الحال إلى أن يشهد لهم بالجنة بل يكون كذلك إذاً معهم في جنة الوهم وخيالات الأمان والعياذ بالله يا لها من نعمة على المحبين سابعة ما فرح الصحابة بشيء كفرحهم بهذا الحديث ( المرء مع من أحب ) فهذه نعمة سابعة

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٢٩- الأسباب الموجبة للمحبة

تكلمنا في المرة السابقة عن بعض ما تيسر من الكلام على حب الله سبحانه وتعالى من العبادات القلبية التي هي تحقيق تأله القلب لله عز وجل تحقيق معنى لا إله إلا الله ، يقول ابن القيم رحمه الله المحبة لا توصف ولا تعرف وإنما يعرفها من وجدها وذاقها نقول هذا كلام حسن جميل لأن كلمة المحبة أصلاً لا تحتاج إلى شرح كلمة الحب يفسرها البعض بالطاعة لكن الطاعة هي من لوازم المحبة والطاعة تؤدي إلى المحبة ولا يكون صادقاً في حبه من لم يطع كما قال ابن المبارك رحمه الله

تعصي الإله وأنت تزعم حبه      ذلك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن حب مطيع

لكن فرق بين الطاعة والمحبة ليست الطاعة هي المحبة قد يطيع من ليس بمحب لكن من لوازم المحبة الطاعة والطاعة تؤدي إلى حصول الحب إنك إذا كنت تريد حب الله وتريد أن تذوقه وتجده في قلبك بأكثر من طاعته واجتهد أن تكون من قلبك تؤديها سمحة لا كظماً تؤدي الحقوق بغير إكراه عليه من نفس بل تؤديها تعظيماً لله عز وجل سوف تصل إلى الحب فالحب أو المحبة هي المحبة إنما يعرفها من وجدها وذاقها ، يقول وإنما البحث في أسبابها وموجباتها وعلاقتها وشواهداها ، الموجبات يعني ما يوجبه ما هو الذي يوجب لك



الحب الذي تصل به إلى أن تحب الله عز وجل فهو أمر يجده الإنسان في قلبه قال في فصل في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها الأسباب التي توجب ، يقول وهي عشرة طبعاً هي أكثر من ذلك يمكن أن يدخل فيها غيرها وهي عشرة جميلة رائعة

يقول أحدها

قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به والتدبر للكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ويتفهم مراد صاحبه أفضل ما يجلب لك حب الله عز وجل وأعظم ما تصل به إلى أن تحب الله سبحانه وتعالى في قلبك هو قراءة القرآن بالتدبر كما أمر الله عز وجل { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب } كما قال ابن مسعود أمروا الآيات على القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وأخص ذلك أن يكون في الصلاة أعظم تدبر مطلوب أن يكون في الصلاة ليتحقق المشروع لأن الصلاة أفضل الأعمال وكلما قرأ العبد القرآن في الصلاة كان أعون على التدبر فقراءة القرآن بالتدبر من أعظم أسباب الحب قال تعالى { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } ونقول أن التدبر هو مرحلة تالية للفهم هناك المرحلة الأولى إقامة الحروف وحفظ الكلمات وهذا أمر عظيم الأهمية ثم المرحلة الثانية الفهم لهذا الكلمات كمعرفة معاني التفسير ووجوه التفسير وأما التدبر فمرحلة ثالثة ، مرحلة تالية للفهم بحيث يشعر نفسه الحضور في هذه المواقف التي يذكرها القرآن كما لو كان يقرأ في قصص الأنبياء كأنه معهم إذا ذكر معاني الأسماء والصفات استحضر عظمة الله سبحانه وتعالى في قلبه وعلمه وبصره سبحانه وتعالى وإحاطة سمعه بالأصوات وبهر ذلك على قلبه ليستحضر هذه المعاني يكون كأنه حاضر إذا ذكرت الجنة كأنها أمامه ينظر إلى أهلها في النعيم ، هذا مرحلة أخرى غير مرحلة معرفة معاني الكلمات لأن البعض قد يسأل من أين أتى هذه الكلام يأتي الكلام إذا استحضر الإنسان هذه المعاني في قلبه إذا ذكر النار كأنه يرى أهلها يتعذبون فيها هذا الذي يجلب له الخشوع فالتدبر أن تقف عند كل آية بل عند كل كلمة وأحياناً كل حرف يتدبر ما فيه لأن دلالات الحروف متفاوتة ودلالات الكلمات متفاوتة ودلالات الترتيل متفاوتة ، يعني الترتيل في مواطن معينة يختلف فلا تحصل بمجرد معرفة معاني الكلام وإنما تحصل بالوقوف عند الآيات والتفكير وسؤال النفس ما أريد بهذا ومن رزقه الله الفهم والمعرفة فهذا غاية ما يتمناه فيجد الفوائد المتتابعة ربما في كل مرة يقرأ فيها الآية وحتى في الموقف الواحد يعني ربما يكرر الآية مرات كيف ذلك ، لكي يجد فيها ما لم يجد في المرة الأولى ويستحضر ويزداد قرباً من الله سبحانه وتعالى وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قام بآية يرددها حتى أصبح يصلي بها طول الليل ، العبد قد يجد في هذه القراءة غير المرة التي قبلها كان قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أن العزيز الحكيم } وكان من السلف لقوله من الصحابة من يقوم بقوله عز وجل { فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم } فيفتكر في بر الله به وفي صدق الله سبحانه وتعالى وفي رحمته سبحانه وتعالى وآثار تلك الرحمة التي يراها أعظم ما يراها في منته عليه بأن أخذ قلبه إليه وجذبه إليه وترك الناس يهلكون في أودية الدنيا نسأل الله العافية فنضرب مثلاً ذكره ابن كثير رحمه الله في مسألة الكلمات يقول في قوله تعالى { وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا } في البقرة فانفجرت قال وفي الأعراف فانجست والانجاس بداية الانفجار أو الانفجار الضعيف ويقول هو أن الذي كان في صور أخبار بني إسرائيل كانت في سورة الأعراف بدايتها وفي البقرة تكميلها وتفصيلها وأحوالهم التفصيلية وصفاتهم المتعددة ذكرت في البقرة تفصيلاً أكبر فناسب أن تكون في البقرة { فانفجرت } وفي الأعراف { أنجست } والله أعلى وأعلم ، وقال أيضاً في ذكر سورة هود في عذاب الأقوام قال الله عز وجل عن قوم شعيب { وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين } وذلك لأنه ذكر في هذه السورة سورة هود من سوء أدمهم وكلامهم القبيح مع نبيهم واستهزائهم واستحقارهم له حيث قالوا { إنك لأنت الحليم الرشيد } على سبيل الاستهزاء والتنقيص لا على سبيل الوصف يستهزئون بنبيهم ، وأما في سورة الأعراف فقد ذكر الله عز وجل هلاكهم بالرجفة ولأنه ذكر في هذه السورة في سورة الأعراف من أعمالهم أنهم كانوا يقعدون قال { ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله } فهم قعدوا على كل طريق حسي ومعنوي يتوعدون أهل الإيمان ، صانعين كمان على الطرق لمن أراد أن يأتي شعباً عليه السلام قعدوا بكل صراط يوعدون يخوفون أهل الإيمان ويمنعونهم من الإتيان بصالح ويوعدونهم الوعيد فناسب هذا الإرجاف والتخويف أن تصيهم رجفة فناسب أن يقول { فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين } أرحفوا المؤمنين فأخذتهم الرجفة وأما في سورة الشعراء فذكر الله هلاكهم بسقوط الكسف عليهم من السماء قال عز وجل فأخذهم عذاب يوم الظلة لأنهم من ضمن جرائمهم أنهم قالوا في هذه السورة { فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين } فهم استهزؤا به وكان من ضمن جرائمهم أن طلبوا منه ذلك ، فناسب أن يذكر عذاب يوم الظلة وهم عذبوا بالثلاثة صيحة جعلتهم يرتجفون فهي مرجفة وهي رجفة صوت عالي لما أساءوا في الكلام ورجفة لما أرحفوا وهي مرجفة كما ذكرنا وسقط عليهم حجارة من السماء فذكر في كل موطن ما يناسبه ،

وفي قصة موسى نجد أشياء عجيبة من هذا الأمر أيضاً ، ففي موطن يذكر الله سبحانه وتعالى مثلاً في سورة طه قال عز وجل فيما وجده موسى عليه السلام قال { فآلقوا حبالهم وعصيهم } قال سبحانه وتعالى { قال بل آلقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى } ولم يذكر هنا إلقاء موسى للعصا فعلاً بل تجاوز إلى سجود السحرة وقع ذلك الأمر ما ذكره الله لا يحتاج إلى أن يخبر عنه ، الله أمر موسى أن يفعل شيئاً ووعد به بشيء فتم ذلك فلم يذكره لأنه متحقق الوقوع فذكر هنا خوف موسى عليه السلام وذكر ما طمأنه الله عز وجل به وسكن به نفسه وأنه الأعلى في موضع آخر ذكر تفاصيل أخرى مما قاله موسى قال سبحانه وتعالى في سورة يونس { قال آلقوا فلما آلقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطه إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون } فالتكرار تجد فيه معاني جديدة وليس فقط تكرار القصة هنا معنى قاله موسى بلسانه مخاطباً لهم بعد أن سكن جأشه في سورة طه استقر قلبه وسكن الله عز وجل خوفه وخشيته التي حصلت لما آلقوا حبالهم وعصيهم وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فانطلق يخبرهم عما سيقع وقال ما جئتم به السحر إن الله سيبيطه ، اليقين في مواجهة الباطل إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، هذه قضايا كلية عظيمة الأهمية لأنها ليست خاصة بموسى هذه قاعدة كلية كررها موسى { إن الله لا يصلح عمل المفسدين } وكل سحر سيبيطه الله سواء كان سحر حقيقي أو سحر بيان أو غيبة ونميمة ومكر كل ما يراد به إبطال الحق وجعل الباطل في صورة الحق كما



أراد السحرة ووصف الحق بأنه باطل إن الله سيظهره إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته فيكلماته يحق الحق بآياته الله سبحانه وتعالى يحق الخلق فبمقدار ما معك من آيات الله تغلب كما في الآية الأخرى قال بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون { فيكلام الله الشرعي وبكلام الله الكوني يستحضر المؤمن هذا المعنى في مواجهة الباطل فيزول ويضمحل ذلك الباطل وأنه قال { ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون } رغم الكراهية والمكر الشديد يضمحل الباطل بإذن الله قال سبحانه وتعالى لم يذكر أيضاً في سورة يونس ما وقع في تفاصيل هذه القصة وذكر في سورة الأعراف التفاصيل الدقيقة لما حدث قال عز وجل { قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا { قال لما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك { هنا ذكر إلقاء موسى للعصا وما وعده الله عز وجل به قال عز وجل { وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون { ذكر هنا تفاصيل ما وقع ، قبل ذلك كان أحاسيس داخل موسى عليه السلام وطمأنته ثم كلام تكلم به يوقع به الرعب في قلوبهم ثم ما كان من أمر واقع فالتقى موسى عصاه فإذا هي فالفاء تفيد التعقيب تلقف تأخذه بسرعة وتغير الوضع بسرعة هائلة يبين لك ذلك ألفاظ القرآن وحروف القرآن لأن الفاء تفيد التعقيب وتلقف تناوله كأنه صغير جداً بالنسبة لها وبالفعل كان ثعباناً عظيماً وفي لحظات احتفت كل هذا الثعابين التي خيل السحرة للناس أنها موجودة قال عز وجل { فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون { في طول في ذكر الواقعة ليستحضر الإنسان اللذة لذة الانتصار للحق والله إنما لتغني القلب عن الكثير جداً من ما يجده من آلام الشعور بالهزيمة لأهل الحق مما يذهب هم الإنسان وغمه قراءة هذه الآيات لأنها تذكر بأيام الله ولذلك تجد فيها تفصيل دقيق جداً كما ذكرنا في نفس موسى في كلام موسى في فعل موسى في الواقع الذي حدث تذهب الهم والغم والله ، لأنها تجعل الإنسان حاضر في الموقف ينظر إلى يوم عظيم من أيام الله عز وجل تفاصيل في كل موطن ، تكرار ليس أن القصة متكررة بلا فائدة بل تفاصيل دقيقة في كل مرة وتطويل في هذا الموطن لأنه موطن الانتصار موطن أعز الله فيه الإيمان وأعز أنبيائه ورسله وأوليائه قال { فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك { بأوصاف متعددة ووقع الحق مستلزم لهزيمتهم هم بطلان ما كانوا يعلمون لكن غلبوا هذا الذل الذي أصابهم فغلبوا هنالك ، نتيجة الهزيمة حصل صغار { فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين { وذل أعظم لفرعون أن الله هدى السحرة ومنة عليهم منه سبحانه وتعالى قال { وألقي السحرة ساجدين { في كل المواطن ألقى دلالة على فعل الله بهم وهو أنهم لم يتركهم الله لأنفسهم بل هو الذي جعلهم يسجدون سبحانه وتعالى ، { وألقي السحرة { كأثم دفعوا دفعاً وهم سجدوا باختيارهم والله قال ساجدين لكن ألقى كذلك على فعل الله عز وجل بهم وهو سبحانه الذي هادهم ، كان ممكن يكون فعلهم مثل فعل باقي الفراعنة سبحانه الله ، فرعون قادر على الكذب والغش لأتمه أعظم غش والمصريون تعودوا على المتابعة للباطل ولو شهدوا ألف دليل { فاستخف قومه فأطاعوه { نتيجة الفسق ، الفسق مقدمة للطاعة العمياء ، { فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين { والعياذ بالله ولذلك قبلوا من فرعون الفرية التي افترها والكذب الذي ادعاه { إن هذا لمكر مكرّمه في المدينة { متى مكروه وهو الذي جمعهم تجد مثلاً في سورة الشعراء { يأتوك بكل سحار عليم { وفي سورة الأعراف { يأتوك بكل ساحر { يدل على أنه جمع درجات من السحرة ، السحار مبالغ فيه يعني متفنن للسحر لدرجة مبالغ فيها والساحر فاعل اسم فاعل بدون صيغة مبالغة فهو جمع درجة أولى ودرجة ثانية وجمع كل درجات السحرة وإذا بالسحرة جميعاً يتخذون قراراً عجيباً واحد سجد والباقيون تبعوه فكان هذا المشهد العظيم { فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون { فموقف فعلاً وانتصار عظيم جداً للحق وسعادة باهرة تنسيك الهزائم المتكررة للمسلمين في الأوقات المعاصرة وأنت تتخطى بالقرآن حواجز الزمان والمكان لأنك تعيش في هذا الموقف وهذا الموقف مؤثر إلى يومنا هذا ففرعون والفراعنة زالوا بالكلية بل بادت حضارتهم وبقي أثر موسى صلى الله عليه وسلم حتى مجرد الانتساب إليه من اليهود أبقاهم كما أن الانتساب لعيسى أبقاهم أبقى النصارى فالعجب أن موسى عليه السلام ذكره باق أثره في البشرية لا ينكره عاقل ورغم أن موسى عليه السلام بالنسبة إلى فرعون كان ليس هناك في موازين القوى شيء لكنها لحظات فعلاً أثبتت الانتصار ويفرج بها المؤمن كما ذكرنا دون حواجز الزمان والمكان ويشعر بالفرح بانتصار موسى صلى الله عليه وسلم والفرح بمداية الله للسحرة بمنة الله على هؤلاء فتحمد الله على أن هزم الكفرة وتحمد الله على أن من على هؤلاء وحتم لهم بخاتمة السعادة في عملوا يوماً واحداً عملوا جزءاً من يوم عملوا قليلاً وأجروا كثيراً وتعلم أن يمكن أن يظل الإنسان عمره كله في الضلال وبين الله عز وجل عليه في آخر عمره وهؤلاء كان أجملهم بعد لحظات ومن الله عليهم بالهداية والإيمان ويقال أنهم رأوا أماكنهم في الجنة في تلك الجنة فلذلك ضحوا بما ضحوا به فألقي السحرة ساجدين قالوا أما برب العالمين رب موسى وهارون وذكروا رب موسى وهارون تشريعاً لموسى وهارون زيادة في الغيظ لفرعون وحتى لا يشتبه لأحد بأن فرعون كان يقول ما علمت لكم من إله غيري كان يمكن أن يشتبه ذلك عليهم قالوا رب موسى وهارون والكل يعلم أن موسى وهارون لا يقبلان ربوبية فرعون ولا يقبلان أنه الإله ولا يقبلان أنه الرب الأعلى فكان موقفاً لا يمكن لفرعون أن يكذب على السحرة فيه فادعى ولا يقول مثلاً أنهم أرادوا أنهم يعنون أنا الرب كما في قصة الغلام أصحاب الأخدود عندما قال في البداية عندما قال ربي قال أنا ؟ وفي قصة ماشطة بنت فرعون لما قالت بسم الله ربي ماشطة بنت فرعون ، فقالت بنت فرعون أبي ؟ فقالت ربي ورب إبيك الله ، قالت أخبر أبي ؟ فقالت أخبره فأتى بها فوضعت في بكرة من نحاس حتى بدت عظامها هي وأولادها حديث ماشطة بنت فرعون حديث حسن فهو كان يدعي ويعلم الناس أنه رب فقول السحرة رب موسى وهارون لا يحتمل أن يكون لهم قصد آخر فاستشاط فرعون غضباً ولكن طبع الله على قلبه ، الآيات عظيمة ، وسيدنا موسى أخذ العصا في الأدلة الأخرى أخذها مرة أخرى ، الثعبان أوشك أن يأكل فرعون حتى فر فرعون ومع ذلك أمسكه موسى فإذا هي عصا وموازين القوى رجعت مرة ثانية كانت ممكن أن تتغير موازين القوى في هذه اللحظة وكان ممكن أن يأكل فرعون فالصخرة العظيمة كان يأخذها هذا الثعبان كان ضمنها فرعون صغير فرعون لا يساوي شيئاً في فم هذا الثعبان يقول ستمائة ألف ساحر الله أعلم كانواكم لكن هم أتوا له بالسحرة من كل مكان كما ذكرنا بالدرجات المختلفة بالسحرة الدرجة الأولى والسحرة الدرجة الثانية سحار وساحر وكل من له علم بالسحر جيء به وتحل المساحة الواسعة التي امتلكت هؤلاء بمثل هذه

فكان هذا الموقف العظيم فيه نصرة عظيمة لموسى عليه السلام وهزيمة منكرة وذل لفرعون فطبع الله عز وجل على قلبه فلم ير ما رآه السحرة ولم يمن الله عز وجل عليه بالإيمان كما من على هؤلاء لكبره وعتوه والعياذ بالله فذكر الله سبحانه وتعالى تفاصيل ما قال والتهم الباطلة التي قالها وموقف السحرة من إيمانهم وصبرهم وثباتهم قال عز وجل { قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم { في الموطن الآخر في سورة الشعراء قال { آمنتم له قبل أن آذن لكم { هذا يدل على حقائق الإيمان لأن الإيمان قول وعمل لأن آمن به يتضمن معنى صدق التي تتعدى بالبلاء وآمن له ، له فيها معنى الإذعان والألقاض الذي يتعدى أذعن له خضع له الذي يتضمن معنى الخضوع والطاعة فالإيمان قول وعمل فمن هنا كان

آمنتم به وآمنتم له هذه أفادت معنى وهذه أفادت معنى فالسحرة صدقوا موسى واتبعوه وصار على طريقته فقال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم { إنظر إلى كبره وعتوه أنه يدعي أن الإيمان لابد أن يكون بالإذن إن أذنت لكم آمنتم وإن لم آذن لم تؤمنوا والعباد بالله فهذا ادعاء الربوبية الذي يطلب من الناس أن يجعلوا طاعة الله تبعاً لإذنه هو في الحقيقة أنه ربهم أولى من ربه سبحانه وتعالى ، فهذا لا يمكن أن يقبل فطاعة الله لا يستأذن فيها أحد إن كانت واجبة إلا أن يأمرنا الله أن نستأذن كما يستأذن الولد والديه في الجهاد لكن إذا لم يكن ذلك فطاعة الله التي أوجبه لا يستأذن فيها أحد ، الدين الإيمان الإسلام لا يستأذن فيه أحد فمن يطلب الإذن أن يؤمن الناس أن يستأذنوا منه فرعوني الطريقة سائر على طريقة هذا الإيمان من أئمة النار { وجعلناهم إئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون } فقال إن هذا لمكر مكروم في المدينة لتخرجوا منها أهلها في الآية الأخرى قال { إنه لكبيرهم الذي علمكم السحر ، تناقض في الحقيقة ومرة يقول أنها جرعة مقصود بها إخراج أهلها وهو يقول إخراج أهلها وهو يعلم أن موسى لم يطلب ذلك والسحرة لم يطلبوا ذلك ولكنه الكذب والزور والبهتان وليستنفر هؤلاء المصريين الذين حبوا ذلك العيش يرون أن عيشهم لا نظير له وهو من الشقاء ومن أعظم الشقاء يقول { يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره } وقال هنا لتخرجوا منها أهلها وهم ما طلبوا ، طلبوا أن يخرجوا هم فقط ومع ذلك اتهمهم بهذه التهمة الجائرة الباطلة فقال سبحانه وتعالى عن فرعون { إن هذا لمكر مكروم في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جئنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين } التكرار في سورة طه تجد كلمات أخرى تدل على حقائق الإيمان قال سبحانه وتعالى { قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فألقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى } هنا ذكر أمراً استدلوا به هم على اختيارهم الصحيح لأنه قال ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى كان في كلمته تلك ما أرشدهم إلى التفكير في أن الله عز وجل أشد عذاباً فلم يفضلوا عذاب الدنيا ويختاروا عذاب الآخرة والعباد بالله فكان في هذا حسم للموازنة التي يمكن أن تقع في قلوبهم وهو يتهدهم والحقيقة أن كلامه كان إرشاداً له لأن الله عز وجل خير وأبقى وعذابه أشد قالوا { لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقض هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغير لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأتي ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى جنت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تركي { ترى النقلة العجيبة التي حصلت لهم يتكلمون عن معاني الإيمان بالله اليوم الآخر صفات الكفرة قالوا { ما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا } هذا في موضع وفي موضع آخر يتكلمون عن الإيمان باليوم الآخر يتكلمون عن التزكية يتكلمون عن الجنة والنار بعد أن كانوا بعد لحظات { إنا لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين } يعني يريدون مال ويبحثون عن القرب من فرعون يعطيهم أكثر قال { نعم وإنكم إذا لمن المقربين } هم يبحثون بعد ذلك عن الدرجات العلى الخلود في الجنة فسبحان الله كيف تغير حال السحرة بالإيمان في لحظة واحدة ؟ بقدر الله سبحانه وتعالى فهذا فيه يعني القصة واحدة وفي كل موطن فوائد مختلفة وفي كل موطن أحاسيس ومعاني إيمانية تختلف عن الموطن الآخر وفي كل موطن أحوال لموسى عليه السلام وأحوال للسحرة وصفات لفرعون وكذب لفرعون وتبيين للصورة كأنك تراها كأنك تشهد هذا المشهد الآن وتحضر هذه الوقائع من أيام الله عز وجل ففي ذكر الأنبياء تجد ما عندهم من الأدب مع الله سبحانه وتعالى لما قال الحواريون لعيسى عليه السلام { هل يستطيع ربك أن ينزل علينا من مائدة من السماء } عيسى عليه السلام يقال أنه انتفض وكيف تشعر بمدى الفزع الذي أصابه قال { اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } فيشعر كيف تقولون هذا كيف تقولون هل يستطيع ربك { قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } { قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا } هل يستطيع ربك ينافي الإيمان فذكرهم بالإيمان فعادوا يطلبون طلب أقل قالوا نريد أن نأكل منها وهذا من سوء أدب من طلب لا شك أن هؤلاء الحواريين الذين طلبوا مثل هذا الطلب ليس عندهم أي فقه في الأولويات في الطلب ماذا يريدون أو شيء الأكل قالوا نريد أن نأكل منها الثانية طمأنينة القلب المؤمن الصادق أهم شيء عنده طمأنينة القلب والثالث اليقين قالوا { ونعلم أن صدقتنا } كأنهم ليسوا حتى الآن مصدقين لا للعجب فعلاً حال يدل على أنهم لم يكونوا في المنزل التي يستحقون بها المنازل العالية عند الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين طلبوا وإنما قصد بعض هؤلاء الذين طلبوا هذا الطلب قالوا { نريد أن نأكل منها } ذكروا الأكل قبل اطمئنان القلوب ثم ذكروا لتطمئن قلوبنا فهذا دليل على بعدهم فبعضهم الذي طلب هذا الطلب هذا الطالب كان غير مطمئن القلب ثم لم يكن موقناً { ونعلم أن صدقتنا } ثم بعد ذلك نقلها للآخرين { ونكون عليها من الشاهدين } هذا الترتيب منهم دليل على أن اهتمامه بأمر قلبه وأمر آخرته كان اهتماماً ضعيفاً جداً مؤخراً إلى ما بعد الأكل وهذه النوعية من الناس لا تصلح للتقدم ولا تصلح لتحمل أعباء الرسالة وتحمل أعباء القيام بالدين ، نقول هم متخبطون في ترتيب أولويات إرادتهم واهتمامهم فكان هذا طلباً فضلياً جداً وطلباً جاهلاً ولو لا الجهل لكانوا قد كفروا والعباد بالله فلما طلب عيسى من ربه عز وجل هذا الطلب وهو نزول المائدة انظر ماذا وكيف طلب ، فخاف عليهم أن يفتنوا أولاً فدعاؤه كان كما قال الله عز وجل { قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين } فبدأ أولاً بالتوسل إلى الله بربوبيته وإلهيته وإنه ليس شكاً وليس تردداً وليس يعلق الإيمان على وجود الآية وإنما هو موقن بالربوبية والإلهية { اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء } ما الغاية { تكون لنا عيداً } ذكر أمر الإيمان أولاً وهو أمر العبادة لأن العيد دائماً مرتبطاً بالعبادة وبالتوسعة على العيال فالأعياد فيها عبادات وفيها توسعة لذا حرم صوم يوم العيدين وإنما نبداً فيهما بالصلاة والذكر ثم الأكل بعد ذلك أو أسباب الأكل قال الله عز وجل { ولتكبروا الله على ما هداكم } فبدأ عيسى عليه السلام بذكر العبادة التي تكون في العيد والتكبير ومعرفة الهداية لأن أعياد أهل الإيمان دائماً هي مناسبات إيمانية والأعمال الإيمانية وفضل الله عز وجل على المؤمنين يتذكرون فيه حقائق الإيمان نتذكر ما هدانا الله إليه من شريعة الإيمان ومن صيام وتفكير ما من الله على إبراهيم من الاستسلام والانقياد والحب العظم الذي ضحى من أجله بابنه إسماعيل أو عزم على ذلك في يوم عاشوراء نتذكر نعمة الله على موسى ونشكره على تلك النعمة فأيام الأعياد الإيمانية لأهل الإسلام أيام عبادات فقال { تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك } فطلب الآية أولاً قبل الرزق قبل الأكل ليصلوا بها إلى الطمأنينة وهذا هو المطلب الأول وهو المطلب أن يؤمنوا وأن يعبدوا الله فالعبادة التي ستصرف الله مع نزول المائدة مقصوده هو صلى الله عليه وسلم مقصوده هو العبادة ومقصوده حصول الإيمان لهم وهو يعلمهم بالترتيب كيف تكون الرغبات كيف تكون الأولويات فبعد ذلك جاء الأكل في الآخر ولم يقل لنأكل منها وإنما قال { وارزقنا وأنت خير الرازقين } فطلبه طلباً مجملاً ضمن طلب الرزق لم يطلب ويقول لنأكل منها كما طلبوا هم مع أنهم جعلوا الترتيب مختلاً طلبوا الأكل أولاً ثم الطمأنينة ثم اليقين ثم الشهادة للناس وهو عليه السلام

عندما طلب طلب أولاً مع تحقيق الربوبية والإلهوية طلب ما يكون سبباً للعبادة ولحصول الطمأنينة واليقين والإيمان وآية منك وارزقنا فهذا ضمنه يدخل الأكل وأنت خير الرازقين الثناء على الله عز وجل فهذا الأدب الرفيع في كلام عيسى صلى الله عليه وسلم ،

نحن ذكرنا ذلك على سبيل التمثيل لمسألة التدبر لأن من تدبر القرآن فسيجد أضعاف مثل هذه الأمور مما يجلب له المحبة وهناك أمراً آخر من وراء مجرد الكلمات فلا بد أن يتدبر ذلك ويتدبر تشريعات القرآن فسيحصل له من هذا السبب أعظم وسيلة أو أعظم سبب أو أعظم نصيب من المحبة ، والله المستعان

فالمطلوب أن نقف مع آيات القرآن فننفع بذلك ولا نقرأ تفسيرها فقط فضلاً عن أن الكثير لا يقرأ التفسير أصلاً فضلاً عن أن الكثير لا يجد أصلاً وقتاً لقراءة القرآن فضلاً أن يقرأه في الصلاة بل يقرأه قراءة لا تكاد تكون مؤثرة في قلبه فمن أجل ذلك نقول إنه لا يجد الحب من ترك أعظم سبب وهو القرآن فالقرآن هو الكنز الذي لا يفنى في هذا الباب فكلما قرأته أكثر وتدبرت أكثر وجدت الحب أكثر فالذي يقرأ القرآن بتدبر وتفهم يحب الله من كل قلبه فالقرآن يريد أهل الإيمان وهم قد عرفوا أنهم لم يجدوا طريقاً يوصلهم إلى الله مثل القرآن وقد جربوه وعرفوه والأمر عندهم قطعي مثل الذي أكل فوجد نفسه يشبع وشرب فوجد نفسه يرتوي فذلك كل مؤمن صادق كلما قرأ القرآن وجد نفسه يحب ربه وكذلك عند أهل الإيمان أمر لا يقبل المنازعة وكذلك من يقول أنا أقرأ القرآن ولا أجد ما تقول نقول فأنت لم تتدبر بعد ولم تفهم بعد أنت لم تقم إلا الحروف أو ربما لم تقم الحروف فنسمع من يقول مثلاً أنه قرأ كذا ختمه في الأسبوع وكذا ختمه في اليوم قرأ كذا جزء في اليوم وآخر قرأ خمسة عشر جزءاً حتى لو ختم المصحف في يوم ماذا واجد في ذلك قد أنكر ابن مسعود على من فعل ذلك عندما جاءه رجل وقال إني قرأت المفصل في ليلة كله في ركعة فقال له عبد الله ابن مسعود هزأ كهز الشعر تقرأه قراءة سريعة كما تقرأ الأشعار أنت قرأت القرآن ولكنك لم تتدبره ولذلك لم تجد المحبة كما تنبغي فلا بد أن تبذل جهدك وتقف وتتدبر ولا تترك نفسك لأموال الحياة العاتية ونسأل الله العفو والعافية ،

لا بد من مقاومة حتى لا تغرق في بحر الدنيا وفتن الدنيا والحمد لله عندما طوق النجاة ومركب النجاة فهي واقعة جداً ليس عليك إلا أن تركب فيه فقط

السبب الثاني من الأسباب التي ذكرها ابن القيم رحمه الله

التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض

فإنها توصله إلى درجة محبوبة بعد المحبة ،

من يحب الله فلا بد أن يؤدي الفرائض لأننا كما ذكرنا من لوازمها الطاعة فالحب يعظم بأداء ما افترض الله عليك لأن الله عز وجل يقول ( وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ) إذاً الحب من الله يحصل بأداء الفرائض ثم النوافل وهذا في الحقيقة يدل على حبك الصادق لأنك إذا أحببت الله فأحبك ما يكون ذلك إلا بأداء الفرائض ثم المداومة على النوافل ،

الفرائض أحب إلى الله عز وجل ثم النوافل بعد ذلك حتى يحبه الله عز وجل قال الله عز وجل ( فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ) فمعنى كنت سمعه الذي يسمع به أي يصير العبد يسمع بالله والله ، يسمع بالله كما في الرواية الأخرى ( في يسمع وي ييصر وي يبطش وي يمشي ) بالله أي سمتعياً والله أي مخلصاً وهذا الحديث يدلنا على الطريق إلى الولاية أوله ( من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ) فالولاية أصلها الإيمان والتقوى { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون } الإيمان أولاً ثم أداء الفرائض ثم المداومة على النوافل فهذا طريق الولاية وهذا الحديث يدل على أن العبد لا يحب من كل وجه من أول وصول الإيمان إلى قلبه لأنه ولي مؤمن محافظ على الفرائض ولا يزال يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه الله ، فإذاً ليس من أول وصول القلب إلى الإيمان أو وصول الإيمان إلى القلب يكون الإنسان محبوباً عند الله من كل وجه ، يكون محبوباً من بعض الأعمال من وجه أداء الفرائض من وجه أنه مثلاً متقي ومن وجه أنه محسن والله يحب المحسنين والله يحب المتقين أما أن يحب من كل وجه يحب من جميع الوجوه فهذا لا يكون إلا بعد المداومة على النوافل والله يحب منه أداء الفرائض ويحب منه أداء النوافل ويحب المداومة عليها وما يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه كان قبل هذه الدرجة محبوباً لأجل صفات معينة وأفعال معينة أما أن يحبه الله لذاته من كل وجه لم يصير محبوباً لله مطلقاً دون تقييد فهذا بعد مدة من أداء الفرائض والمداومة على النوافل مع وجود الإيمان والتقوى والولاية الله ، فيصير محبوباً عند الله حباً كاملاً مطلقاً فالإيمان ثم التقوى وأداء الفرائض ثم المداومة على النوافل حتى يصير بصر العبد وسمعه ويده ورجله والله وسمعه الله عز وجل مخلصاً تام الإخلاص في سمعه وبصره ورجله ويده ، لا يحرك ساكناً من ذلك إلا الله ويفعل ويترك الله وهو يستعين بالله في تصريف هذه الجوارح من أجل مرضاة الله وليس الرب يحل في العبد أو يتحد به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فإجماع أهل الإسلام أن الله فوق عرشه بائن من خلقه فوق عرشه لا يحل في مخلوقاته ولا يحل المخلوقون فيه وإنما يكون الله سمعه وبصره ورجله بمعنى أن تصير هذه الجوارح لله إخلاصاً وبالله استعانة ولا يزال هناك سائل ومسئول ومستعين ومستعان به ( ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه ) مستعيز ومستعاذ به هذه العبادات تجلب المحبة ،

إذاً الفرائض والنوافل هي وعاء المحبة ، المحبة رزق يرزقه الله عز وجل عبده ويهيئه له وليس يناله كل إنسان وإنما يناله الصادق الإيمان الذي ذاق حلاوة الإيمان لكن لا بد له من أوعية ينال فيها هذا الرزق ينال فيها هذا العطاء ،

اتقان العبادات والمواظبة عليها هما أفضل وعاء وأعظمه بل لا وعاء غيره حتى ينزل فيه العطاء ويحصل للإنسان ما يحبه من قربه إلى الله ومحبته له ثم من حب الله لأن قصده أن يرضى الله عنه وأن يحبه سبحانه وتعالى كلما كان محباً صادقاً كان مجتهداً في أداء ما افترض الله عليه ثم يداوم على النوافل التي شرعها الله وبينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفي أفعاله عليه الصلاة والسلام كي يثبت صدق حبه لله ويفعل محبوباته حتى يصل إلى درجة المحبوبة بعد أن كان محباً قال الله عز وجل { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } فبين درجة الحب التي يلزم منها الاتباع فبين عز وجل درجة الحب التي يلزم منها الاتباع ويحصل منهما جميعاً المحبوبة { يحببكم الله } بدون الأوعية بدون العبادات من فريضة ونافلة فريضة تؤدي على الاتقان وعلى الخشوع وعلى محب الله عز وجل والنوافل هذه هي الأوعية بدون الأوعية لم يحصل ما يرفع منزلته وما يحقق له المحبة قد لا يجد الإنسان في البداية هذا الأمر وقد لا يجد في أداء الفريضة أو النافلة ما يجعله يجد الخلاوة مباشرة لكن عليه أن يواظب ويستمر ويدق الباب إلى أن يفتح فهو واقف بباب لا محيل له عنه باب الطريق الموصل إلى الله الذي ينتظر أن يفتح فيلج هو فيه فيصل إلى الدرجات العلا من أعمال القلوب من الحب والخوف والرجاء والقرب والمحبة بعد ذلك فوسيلته إلى ذلك أداء العبادات الفرائض من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والنوافل من هذه الأمور والبحث عن أفضلها وأحبها إلى الله كالنوافل الراتبية وقيام الليل وصيام الأيام الفاضلة والشهور الفاضلة والصدقة والتنفل بالحج والعمرة هذه كلها مواسم الخير وأعمال الخير وأفعال البر التي إذا فعلها الإنسان كان صادق الحب ونزل في هذه الأوعية عطاء الله سبحانه وتعالى ونزل ما يزيقه الله به من محبته

فالسبب الثاني الذي ذكره التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض

الثالث

قال رحمه الله الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر ،

دوام الذكر دليل على المحبة وهو من أسباب المحبة فأنت إذا ذكرت الله ازداد حبك قال الله عز وجل { فاذكروني اذكركم واشكروني ولا تكفرون } قال عز وجل { يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً } يرغبهم سبحانه وتعالى في الذكر ببيان ما يجعلهم يحبون ربه ويحبون ذكره لأنه إذا علم أن الله يصلي عليه بالملائكة الأعلى يثني عليه في الملائكة الأعلى لو استشعرت أن الله يذكرك في الملائكة الكرام أو في أرواح النبيين والمرسلين يذكرك باسمك هناك ويأمر ملائكته أن تثني عليك وأن تذكرك بالخير ،

أي بن كعب رضي الله عنه لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله أمرني أن أتلو عليك سورة البينة فقال يارسول الله وسماي ؟ فقال وسماك ، فقال نعم فبكى أبي رضي الله عنه فذكروا له في بكائه فقال { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون } ) فتذكر في هذا المعنى هو الذي يصلي عليكم أن الله عز وجل خالق السماوات والأرض والعالم والملائكة وخالق كل شيء يذكرك باسمك هناك في الملائكة الأعلى عند محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى وعيسى تعرف أن يافلان الصغير الضعيف العاجز المذنب العاصي إذا ذكرت الله عز وجل يذكرك الله عند هؤلاء عند جبريل وميكائيل وإسرافيل ويأمر الملائكة أن تستغفر لك ذنوبك ويأمرها أن تصلي عليك { هو الذي يصلي عليكم وملائكته } يثني عليك ويرحمك ويعلي شأنك إذا ذكرته ذكراً كثيراً { هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور } بقي الظلمات أنت فيها الله يريد أن يخرجك منها ويأمر ملائكته أن تدعوا لك لتخرج من الظلمات إلى النور { وكان بالمؤمنين رحيماً } كل هذه الأمور لو استشعرها الإنسان لابد أن يحب الله عز وجل ولا بد أن يعرف فضله العظيم ويفرح بذلك ولا بد أن يلين قلبه عندما يتذكر هذه المعاني { فاذكروني أذكركم } فإذا ذكرت الله ذكرك وعد منه عز وجل { واذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً } أدنى ذلك الصلاة ، صلاة الصبح وصلاة العصر تسبحة بكرة وأصيلاً وتسبح الازكار الموقفة بعد ذلك { هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً تحتهم يوم يلقونه سلام } وهذا أعظم ما يشاققون إليه أن يحيمهم الله عز وجل بالسلام يوم لقائه وأنت لو تذكرت هذا الموقف العظيم وأن الله يلقاك بالسلام في هذا الوطن في هذا الهول الهائل الخوف والرعب والفرع العظيم والناس في شدت وكرب هائل وأنت تلقى بالسلام يلقىك الله عز وجل { يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون } يناديك بهذا النداء { تحتهم يوم يلقونه سلام } هذا أعظم ما يتمنون أن يسلم الله عليهم وأعد لهم أجراً كريماً ،

تمام الذكر المواظبة على الذكر الكثير ليسبق به الإنسان والذكر أصله حصول المذكور في قلب الذاكر ثم التعبير عن ذلك باللسان ولذا قال ابن القيم " دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال "

فأنت حين تصعد حين تنزل حين تركب حين تأكل حين تشرب حين تنام حين تغتاض تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تذكر الله في الصباح في المساء عند النوم عند الأكل والشرب والجماع في كل أحوالك تذكر الله على كل حال في جميع الأوقات يذكر الله بالقلب واللسان وذكر القلب هو المقصود الأعظم واللسان معين عليه ودال عليه

فأما الذكر بالعمل

فالعامل يكون ذكراً إذا كان في طاعة الله ويقربك إلى الله فأنت تذكر الله بعملك

وأما الذكر بالحال فهو من أحوال القلوب

الحال المقصود به من أعمال القلوب ألا يزال بقلبه محباً ولا يزال بقلبه خائفاً متوكلاً رجيئاً هذه الأحوال القلبية هي في الحقيقة ذكر بالله تعالى لأن ما يفكر فيه الإنسان هو الذي يدل على ما شغله وما يقع في قلبه الذي يفكر ماذا أكل وماذا أشرب هذا هو الذي يشغله ، الذي يتفكر في التوكل على الله في الخوف من الله في حب الله فهذا ذكر الله عز وجل حقيقته أن الذي يشغله مرضاة الله فلو أن إنسان بينه وبين آخر محبة فسوف يظل ذاكراً له على الدوام سوف يذكر أفعاله ومواقفه معه ولو أن إنسان بينه وبين آخر خصومة لا يزال يتفكر المواقف التي وقعت فيها الخصومة وما يعد للمواقف التالية وما يدبر له خصمه لأنه مشغول بهذا الأمر فهو يذكر الخصم ويذكر المحبوب فالذكر بالحال هو ما يقع في قلب الإنسان من خواطر وتفكير وأعمال قلبية فمن يذكر الله تعالى دائماً يفكر في لقاء الله ويفكر دائماً في مرضاة الله ودائماً يريد البعد عما يسخط الله وهكذا فحال قلبه دائماً ذاكر لله عز وجل ونصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر ولو تأملت العبادات لوجدت أنها شرعت للذكر كما قال الله تعالى { وأقم الصلاة لذكري } وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ) شرعت القراءة ذكر

رمي الجمار قال الله عز وجل في الحج والعمرة { فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام } رمي الجمار ذكر بالذكر قال { واذكروا الله في أيام معدودات } إنما شرع رمي الجمار والمبيت بمنى والتواجد بها وشرع الوقوف بهذه الأماكن المختلفة لأجل الذكر ، هذه العبادات إذا أدت خالية من الذكر ، يعني لو أن الناس تقف على الصفا والمروة وتقول بلسانها وهي غير حاضرة لن تستفيد ولا تكون العمرة كما ينبغي ،

لو هي تطوف ويرددون كلمان كأنهم في مظاهرة لن يحصل الذكر الحقيقي ذكر القلب فبذلك حصول الذكر في القلب تكون هذه العبادات شرعت للذكر لأن الله إنما شرعت لأجل الذكر لأن الإنسان إذا ذكر الله واستحضر كمال اسمائه وصفاته أحبه بلا شك وكان مطيعاً له أما الصيام والصلاة فذكر بالعمل والحال وبهذا يهيئ الإنسان بأنواع العبادات المختلفة لبنال نصيبه من الحب ،

قال رحمه الله الرابع من أسباب الحب

إثثار محابه على محبتك عند غلبات الهوى :

والتسنن إلى محابه وإن صعب المرتقى

فالإنسان في حياته بين أشياء يحبها وأشياء يشق عليه أن يفعلها ، نفس الإنسان على جهلها وضلها فيها شهوات وفيها رغبات يميل إلى إتيانها من طعام وشراب وشهوة جنسية ومن حب للمال ورياسة كذلك نفسه تميل إلى الكسل والراحة والله تعالى شرعه يتضمن فعل واجبات قد تشق على كثير من الناس فيها كلفة سميت تكاليف من هذا الباب مع أن أدائها على الوجه الأكمل عند أدائها على ذلك لا يجد فيها الإنسان أي مشقة بل يجد فيها الراحة والسرور يعني أنت لما تبدأ الصلاة تقول أنا أريد أن أجلس أو أنام أو أستريح ، لو أنت بادئ في الصلاة لا تجد إلا لذة الحياة الأولى قرة العين ، وأنت صائم تعبان وتريد أن تأكل وتريد أن تشرب مع أن الصيام إذا تم على الوجه المشروع وجدت راحة وفرحة لا تدانيها فرحة ،

المال تريده معك ولا تريد أن تنقص منها لم تخرج هذه الصدقة تجد سعادة أفضل من سعادة الآثم الذي أخذ لا يستريح الإنسان إلا إذا وصل إلى القمة كما يستريح إن وصل إلى قمة الجبل وذروته لكنه في الطريق قد يصعد وهو يجد مجهوداً ويبدل شيئاً من المجهود حتى يصل إلى الراحة ، إذا استقر فوق الجبل وجد الراحة التامة ووصل إلى أعلى المنازل

شرع الله يتضمن فعل هذه التكاليف التي بدايتها كلفة ونهايتها لذة وراحة مادام العبد لم يصل إلى الكمال فلا تزال هناك منازعة بين النفس التي تميل إلى الكسل ويشق عليها أن تفعل وبين الدواعي الإيمانية في القلب فهذه منازعة بين الدواعي الإيمانية وبين النفس الأمارة بالسوء فهذا في فعل الواجبات يقول ابن القيم " إثثار محابه عند محابك عند غلبات الهوى والتسنن إلى محابه وإن صعب المرتقى " ما يحبه الله يصعب عليك أولاً لكن تريد الصعود والتسنن تريد أن تصعد إلى محابة سوف تجدها من أعظم أنواع السعادة بل لا سعادة تدانيها ،

القسم الثاني

المحرمات والشهوات



ترك المحرمات والمكروهات شرعه الله الشريعة أتت بفعل الواجبات وترك المحرمات التي مردها إلى غلبات الهوى إلى لذات وأهواء النفوس لكنها مضرّة لقلب الإنسان إذا نالها من غير وجهها لذا حرمها الله تعالى أو كرهها أو نهى عنها على قدر ضررها بقلب الإنسان وبجياة هذا القلب ، يعني الذنوب والمعاصي مضر للقلب ، الزنا الفحش السرقة الكبر العجب بالنفس مضر للقلب ينهى الله عنها مع حب المال وكثر المال مضر للإنسان كل هذه مضار تضر بقلب الإنسان لأنها تذهب من قلبه حب الله وتقويت حياته ،

هناك أمران لا بد منهما لتحقيق المحبة وسوف تجد أثر ذلك مباشرة

إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى ، هناك أشياء أنت تحبها وتشتهيها ، تشتهي النظر إلى تلك المرأة الجميلة تشتهي فعل المعصية تشتهي العادة السيئة تشتهي حب المال تشتهي أن تعلوا فوق الناس قد تعارضت هذه الشهوات إلى ما يحبه الله فإذا أثرت حب الله وتؤثر محابه على محابك تقدم ما يحبه الله على ما تحبه النفس خصوصاً عندما يشتد الهوى ويغلب ويكون قاهراً للإنسان ، هناك لحظات معينة يشتد فيها الهوى جداً ويقوى ، أكثر الناس ينهارون عند هذه اللحظات ولا يستطيعون العودة فالتجارب في هذه اللحظات كل من يمر بها يجد أثر ذلك مباشرة كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار ذلك الرجل الذي كان يحب ابنة عمه وكانت أحب الناس إليه كان يحبها أشد ما يحب الرجال النساء فأراد على نفسها فامتنعت منه حتى أملت بما سنة من السنين فأثته فأعطاها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بينها وبين نفسها قال حتى إذا قدرت عليها وفي رواية حتى قعدت بين رجلها وفي اللحظة الحاسمة ، متجردة وفي كل استسلام وهي لا تملك إلا كلمة قالت يا عبد الله اتق الله ولا تغض الخاتم إلا بحقه قال فتركها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنها ما نحن فيه ، هذه أحد الدعوات التي نجا الله بها الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار لحظة شديدة على النفس عند غلبات الهوى يحبها ويحب المال فضحى بذلك لله عز وجل مثل تلك اللحظة التي مرت بيوسف عليه السلام وهو أعلى قدراً ومنصباً من هذا الرجل عندما راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ، لم يكن عليه السلام علم الشهوة بل قدر الله عز وجل أن يكون شاباً في كمال شبابه وكمال جماله وفي قوة الرغبة دل ذلك في قوله تعالى { ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه } لكي لا يقول قائل لم يكن عنده شهوة ، كان عنده شهوة صرف الله عز وجل عنه الفعل بعد ذلك لأنه رأى الدليل من الله والبرهان على لزوم الانصراف من هذا المكان كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وهذا أعلى من الرجل صاحب الغار لا من أجل مقام النبوة فقط بل من أجل نوع الفعل لأن المرأة هي التي كانت تذكر الرجل صاحب الغار كانت كارهة وفي اللحظة الحاسمة ذكرته بالله تعالى أما يوسف عليه السلام فالمرأة كانت هي التي تطلبه وتحمي نفسها له وتملكه نفسها وتقول هيت لك ها هي السيدة تملكه نفسها هذه اللام التي تستعمل للملك { لك } وتعرض نفسها عليه وتشده وتجذبه وبقوة عنيفة والرغبة قائمة لكنه يلجأ إلى الله عز وجل يستعين بالله ويستعين بالله { معاذ الله } فينجيه الله لكمال الإخلاص { إنه من عبادنا المخلصين } على القراءة الأخرى فهذا من آثار محابه على محابك في لحظة معينة أنت تدركها أيها الإنسان تكون الشهوة فيها قوية جداً أو كإنسان راغب جداً في المال وعنده رغبة شديدة يعرض عليه مال حرام من رياء من رشوة يكون سهل المنال فيخاف الله تعالى ويترك ذلك ويجد أثر ذلك مباشرة حباً لله يملئ قلبه لأنه أثر محاب الله على محابه عند غلبات الهوى عندما يشتد الهوى ويغلب يغلب أكثر الناس ينهارون عند هذه اللحظات وأكثر الناس ينهارون بداية عند وجود الهوى لا يصلون إلى هذا يستسلمون للأهواء ابتداءً ولا يبحثون عن حساب وعقاب ولا يفكرون في هذا الدافع الذي في نفوسهم فيجوز أن يتجه إلى هذا الاتجاه أم لا ؟ بل أكثرهم ينهارون ابتداءً فإذا اتقى العبد الله عز وجل وانصرف وجد أثر ذلك حباً في قلبه ، هذا في قسم الشهوات ترك المكروهات والمحرمات إثارة إلى ما يحبه الله ، أما التسنن وهو الصعود إلى ذروة السنام أعلى سنام البعير ، التسنن إلى محابه أن يتحمل الإنسان على نفسه ، النفس الإنسانية كسولة تؤثر الراحة على أن تقوم فتصلي وعلى أن تنفق وعلى أن ترق في السفر كالحج والعمرة وعلى أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله وتتعرض للمخاطر وعلى أن تحضر دروس العلم وتؤثر اللهو واللعب ، النفس الإنسانية فيها من الداخل طفل صغير جاهل ظالم لا يريد إلا اللهو واللعب يكره على الشيء النافع إكراهاً حتى يجد لذة العبادة فتكون هي التي تدفعه إلى العمل وإن صعب المرتقى تعرف أنك سوف تصل وتجد اللذة ، النفس الإنسانية قد تترك الطاعات لأن فيها صعوبة في الصعود لكن لا بد أن تصعد وتسنن إلى محاب الله وتعرف أنك سوف تصل وتجد اللذة والراحة والسرور عندها لن تجد أعظم من راحة العبادة بل الحقيقة أن الإنسان أصلاً لا يجد مشقة في العبادة إلا لأجل حالة قلب ناقص ولأجل العبادة التي لم تتم على غير حضور القلب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن موسى ( ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به ) فهو دليل على ما نذكره من أن العبادة إذا وقعت وفق ما شرع الله تماماً كانت راحة بلا تعب وبلا مشقة وهذا أمر مشهود فالذي يقبل على الصلاة بحضور وخشوع كما قال الله تعالى وإنا لكبيره إلا على الخاشعين الذي يقبل عليها بقلبه هو من يهون عليه أداؤها فقد يبقى ساعة يصلي وما يشعر بشيء وغيره يترقب انتهاء الربع أو الورد أو كالذي يذهب ليحج ويعتمر وترقب العودة إلى بلده كأنه في عقوبة لذلك لا ينتظر إلى رمي جمار ولا غيره بل يريد أن ينصرف سريعاً ، لو كان مستحضراً لمعانيها بقلبه لما أراد الرجوع ،

كان بعض السلف يفرحون إذا جاء الليل لأنهم يجدون الراحة في قيامه والهم عندهم هو طلوع الفجر فالتعب عندهم أن يطلع الفجر بخلاف من ينتظر الانتهاء من القيام ، صلاة الصبح عندهم تعويض عن الحزن الذي أصابهم عند طلوع الفجر فيجدون شوقاً إلى طلوع الصبح لتعويض بعض ما فات عند طلوع الفجر ، فانظر إلى حال تفاوت أحوال القلب إذا تمت العبادة على وفق شرع الله ظاهراً وباطناً بالحضور التام فقد وصل للقامة حقاً وتسنى فيكون مستريحاً تماماً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أقم الصلاة أرحنا بها ) وقال ( وجعلت قرة عيني في الصلاة ) كان ثابت الجوناني يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري همه وقبره أن يصلي في قبره لم يتخيل أن يجلس فترة البرزخ دون صلاة والصحيح أن هناك صلاة في القبر قد مر النبي صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره هذا من باب الإكرام ومن باب السعادة أن يجد لذته في الصلاة وفي الحديث في ذكر حياة البرزخ قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الميت يسمع خف نعلهم إذا ولو مدبرين فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصوم عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعله الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه ..... الحديث ) وفيه ( يأتيه الملك فيقال للبعد اقعد فتمثل له



الشمس قد دنت للغروب فيقال له ما تقول له ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به فيقول دعوني أصلي فيقولون إنك ستفعل ( وهذا هو الشاهد إنك ستفعل والملائكة لا يكذبون فإذا وعد المؤمن أنه سيفعل إذاً سيصلي ، كان دعاء ثابت يدل على حبه للصلاة وهذا جزء من المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم ( وأسألك برد العيش بعد الموت ) فهناك عيش بعد الموت وهناك منه عيش بارد جميل فيسر فالرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسأل برد العيش بعد الموت بعد قوله ( وأسألك قرّة عين لا تنقطع وأسألك برد العيش بعد الموت ) قرّة العين بالله عز وجل لا تحصل للإنسان قرّة عين حقيقية إلا بالله والقرب من الله تعالى وفترة البرزخ من ضمنها لأن هناك حياة بعد الموت في البرزخ وحياة في الآخرة فاللهم إنا نسألك برد العيش بعد الموت والصحيح أن هناك صلاة في القبر وهذا لمن كان محباً للصلاة والله المستعان ، هذا الأمر موجود في الجهاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف وفي النهي عن المنكر يتلذذ هذه الأمور حتى لو كانت في أصعب الأحوال عند الناس ، يشفق الناس عليهم والمؤمنون هم المشفقون على الناس ، الناس يشفقون على المؤمنين مثلاً لأنهم تركوا أهلهم وبيتهم وأبنائهم للمجاهدون في جو آخر مختلف تماماً لا يشعرون بما يقوله الناس بل يرون الناس في هم وتعبد رغم عدم مفارقاتهم لأهلهم وأموالهم وأبنائهم أما المجاهدون فهم في راحة تامة فأنت تجد من يحذر من أن تدعو إلى الله ويخوفك العواقب والحقيقة أن الدعوة إلى الله لا يستطيعون أن يستغنوا عن الله عز وجل والدعوة إليه فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل العبادات وكل الطاعات صعبة المرتقى في البداية لكن إذا تحمل الإنسان هذه الصعوبة وفعل ما يحبه الله من الطاعات وصل إلى أن يحب هذه الطاعات ووجد فيها الراحة ووجد أثراً مباشراً وأثراً دائماً بعد ذلك فكل الأمرين فيه صعوبة بعد ذلك فعل الطاعات وترك المحرمات ، فعل الطاعات فيه صعوبة في البداية وترك الشهوات تنازعه نفسه في تركها وهو يمنعها الراحة العاجلة واللذة العاجلة لتنال الراحة الدائمة واللذة الدائمة فلذلك كان قوله إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنى إلى حابه وإن صعب المرتقى في فعل الطاعات وترك المحرمات عن حضور قلب كما ذكرنا ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٣٠- تابع الأسباب الموجبة للمحبة

مازلنا في بيان عبادات القلب وأحواله نذكر ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في المحبة بعد أن ذكر الأسباب الجالبة لحب الله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله أيضاً في مدارج السالكين في بيان المحبة التي يعرف العبد بها أنه صادق في حب الله عز وجل يقول " تالله ما هزلت فيستانها المفلسون ولا كسدت فيبيعها النسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فمن يرضى لها بثمن دون بذل النفوس تأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم فوُقت في يد أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "

ويقول " لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى لم يعطى الناس بدعواهم لدعى الخلفي فرقة الشحي فتتبع المدعون في الشهود فقليل لهم لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأخلاقه "

نقول في قوله " تالله ما هزلت فيستانها المفلسون "

هذه المحبة ليست ببضاعة هزيلة ورخيصة يستأنها المفلس أي يساوم عليها المفلسون الذين لا يريدون أن يدفعوا الثمن فهم ليس معهم شيء يريدون السلعة بدون أي ثمن فيتكلمون في السلعة الرخيصة ويحثون عنها ويساومون عليها فليست المحبة هزيلة فلا بد للمحبة أن يدفع الثمن والثمن غال الأنفس والأموال حتى تكون صادقة لا بد أن تدفع الثمن من راحاتك ومن أمنك ومن شهواتك ومن مستحقاتك الاجتماعية من مسكنك الذي ترتضيه تكون مستعداً لذلك كله ، المفلس الذي لا يريد دفع الثمن لن يكون محباً ولم يكون صادقة هذه السلعة سلعة غالية منزلة لا يعطيها الله سبحانه وتعالى إلا لمن يستحقها لا يوفق الله عز وجل لحبه إلا من اختاره سبحانه وتعالى ولا بد أن يدفع الثمن ليكون صادقة في محبته لله عز وجل إذا لا تظن أنك يمكن أن تحصل على حب الله دون أن تدفع ثمناً من ما ذكر الله عز وجل { قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين } فلا بد أن يكون الإنسان مستعداً لدفع الثمن ومستعداً للتضحية ومستعداً لهذا كله فالمسألة ليست مجرد دعوى وأنت على ما أنت عليه لا تتحرك إلا فيما يوافق هواك بل لا بد أن تضحي وتدفع الثمن الذي أرادته الله عز وجل حتى تكون صادقة في المحبة عندما عرض على الصحابة ذلك بذلوا من كل هذه الأشياء والأنبياء أعلى منهم بذلوا من كل هذه الأشياء وضحو بالنفوس والأموال وبالوطن وبالعلاقات الاجتماعية كالإخوان والعشيرة والأهل وبالمساكن المرضية تركوها وعاشوا في أشد الأحوال ضحوا بالآباء والأبناء والإخوان والأزواج لأن كل هذه الأمور من أجلها يخل الناس ويدهنون من أجل إلى أن يصلوا إلى تحقيق الرغبات إما الحيوانية وإما الشيطانية في العلو والفساد فيضحون بحبهم وعبادتهم لله تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم { وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا } فهو من أجل مراعاة عدم حزن أبيه وأمه يكفر بالله عز وجل ويظل على الكفر

والعلاقات الاجتماعية عند الناس من أعظم ما يضحى للدين من أجلها من أجل ألا يقول الناس ما حمله على ذلك الجذع ، فهم ضحوا بعبادتهم وجههم لله تبارك وتعالى من أجل هذه الرغبات ،

الحبة لا يمكن أن تكون من غير ثمن لا يساوم عليها المفلس الذي لا يضحى ويظل دائماً في دائرة الأمن في ظنه مطمئناً تماماً لا يريد أن يخاف على فقد شيء من هذه الأشياء ويحتمل التضحية بها ،

لا يساوم عليها المفلس الذي لا يضحى ويظل دائماً في دائرة الأمن في ظنه ليس هناك أدنى خطر عليه يريد أن ظل في هذه الدائرة وبالتالي فلم يخالف أهل الباطل ولم يخالف أهل الكفر ولا يتبرأ منهم من أجل أنه يريد أن يؤمن نفسه كذلك لا يضحى بعلاقاته الاجتماعية الآباء والأبناء والأقارب لا بد أن ظل معهم ملازماً معهم لا يفارق الظلال والثمار والزوجة التي تدعوها إلى نفسها فماذا كان السبب في تخلف كعب ابن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك مع منزلته وسابقته رضي الله عنه هذه الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ولها زوجتان كل منهما أعدت عريشاً .

هذا أو الخيشمة يقول قد تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حتى مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بالإنيصاف إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السموم والحميم وأنا في الظل والنعيم فقممت إلى ناضح فاحتقنته وضع عليه لوازم البعير فإذا تمريرات تزودها فنادت زوجته إلى أين أبا خيشمة كان قد اتخذ القرار ولحق بالحبيب صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو له ويحييه فيقول حين يرى رجلاً من بعد فيقول كن أبا خيشمة فيكون أبا خيشمة ، فإذا كان كبار الناس وأفاضلهم المذكورون في القرآن كالثلاثة الذين خلفوا منزلتهم عند ربه منزلة عظيمة جداً ومع ذلك كانت هذه الأشياء من ضمن الأشياء التي أدت إلى تخلفهم فانظر أنت في هذه المسألة هل أنت مستعد أن تدفع الثمن أم لا نسأل الله العافية ،

الذي يظن أنه يمكن أن يظل على حب الله أو يذوق طعم حب الله ولا يضحى من أجل الدين فهو واهم ،

يقول " تالله ما هزلت فيستأنها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون "

البضاعة البائرة الضعيفة الثمن يشتريها التجار المفلسون نسيئة أي بالتقسيط من أجل ركودها وكسادها فيكون أكثر الرأي بالتقسيط عندما تكون البضاعة بائرة كاسدة ، يقول ابن القيم أن بضاعة الحبة غير كاسدة بضاعة غالية جداً هناك من يبذل فيها الثمن حتى لو كانوا قلة فمن يقول أنا أحب ربي لا بد أن يدفع الثمن مقدماً لم تدفع الثمن بعد أن تجرب لم تدفعه مؤخراً هناك من يقول أجرب السلعة أولاً إن أعجبتني دفعت أو أدفع بالتقسيط على مدى طويل وأنا استمتع بما لن تجدها أنت تدفع الثمن وتأخذ السلعة بعد ذلك فإن لم تدفع الثمن مقدماً فلن تجد الحب ويكون أصل الحبة موجوداً في القلب لكنه ليس مؤثراً وأحياناً لا يظهر ولا يجد الإنسان اللذة فيه لأنه لا بد أن يصل الإنسان إلى درجة معينة حتى يجد لذة الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ) العاصي يقدم هواه على طاعة الله ليس كافراً هذا العاصي ليس زال من قلبه الحب بالكلية ولكن ضعف جداً حتى لم يؤثر ولم يحرك كالحرك الضعيف أو البطارية الضعيفة التي لا تقوى على تحريك السيارة قد تكون الحبة موجودة في القلوب وأصلها في القلوب لكن ضعيفة جداً لا يظهر لها أثر في الخارج ولا يلزم من ذلك أن يزول أصل الحب ويحصل الكفر لكن حتى يجد حب الله لا بد أن يصل إلى درجة معينة ولا بد أن يبذل الثمن مقدماً لأن الله اشتراط ذلك الشرط ، { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } فهم يبذلون أولاً فيجدون في الدنيا وفي الآخرة كمال الثمن يجدون لذات الحب والبذل في الدنيا وفي الآخرة يجدون كمال الثمن وهو الجنة كما يريدون ويريدون فيها حب الله تعالى والقرب منه والنظر إلى وجهه وسماع كلامه والتنعم بقربه فالذي يريد أن يشتري بالنسيئة ويقول أدفع بعد أن أجرب ويقول إن وجدت أثر الحبة فسأقدم الثمن لا يصلح لشراء هذه السلعة بل أنت إذا أردت أن تحب فادفع الثمن وكلما تدفع أكثر وتضحى أكثر ستجد حب الله عز وجل في قلبك أعظم وكلما جاهدت نفسك أكثر وكلما امتنعت من شهواتك أكثر فستجد حب الله عز وجل أكبر وكلما تبذر من راحتك أكثر ومن كل الأصناف الثمانية المذكورة في الآية أكثر { قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترتبوا } كلما بذلت من هذه الثمانية مقدماً وجدت هذه السلعة غالية عند صاحبها ليست كاسدة لا يبيعها بالنسيئة يبيعها بثمان مقدم وأنت تأخذ السلعة مؤخراً بعد ما تبذل تأتيك السلعة .

يقول رحمه الله " يأتيك العرض في سوق من يزيد " من يزيد في الثمن من يبذل أكثر يأخذها من يبذل أكثر من يدفع أكثر فلم يرضى لها أي مالكةا بثمان دون بذل النفوس والله عز وجل يحب أن يتنافس المؤمنون المحبون في إظهار تضحياتهم وبذلهم لله لكي ينالوا حب الله عز وجل

سوق من يزيد أي المزداد ، ينادى فيه من يدفع أكثر من يبذل الثمن أكثر لذلك هم يتنافسون في البذل أكثر كلما بذلوا أكثر اقتربوا فلم يرضى مالكةا لها بثمان دون بذل النفوس كي يهبك حبه ويعطيك في قلبك لذة حبه لا بد أن تكون مستعداً لبذل نفسك في ما يأمرك بذلك فتأخر البطالون الذين لا يريدون أن يقدموا شيئاً للإسلام ولا أن يقدموا شيئاً للدين يريدونها سهلة من غير ثمن مثل هؤلاء يتأخرون عنها وهم غير مستعدين لبذل نفوسهم فقام المحبون تأخر البطالون الذين لا يعملون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم ووقع في يد { أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين } قال الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه

أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم { الدلة على المؤمنين من علامات حب الله كما ذكرنا الدلة بمجملته معنى الشفقة والعطف فعدلت بـ على فلم يقل أدلة لهم بل أدلة عليهم فرفقك بعباد الله المؤمنين وحبك الخير لهم ومراعاتك لمصلحتهم من علامات صدق المحبة وأعزة على الكافرين عزيز عليهم قوي شديد غليظ لا يداهن ولا يركن إليهم ولا يقول الباطل إرضاءً لهم فهذا وصف الحب الصادق لذلك قضية الولاء والبراء الحب في الله والبغض في الله من أعظم أدلة حب الله عز وجل من أعظم علاماته فنيابه وضعفها أو وجود ما يناقضها من أعظم الأدلة على انتفاؤها من القلب وربما وجد ضدها والعياذ بالله يوجد ضد الحب في الله والبغض في الله يوجد ضد أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لذلك تجد المنافقين أشد الناس بعداً في هذا الباب وأبغضهم عند الله الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين { أبيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً } فهم يحبون الكفرة وينصحون لهم ويوالونهم على أهل الإيمان كما قال الله عز وجل عنهم في حدتهم على المؤمنين { فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير } إذا تمكنوا منهم ساموهم سوء العذاب وعاملهم بأنواع الإهانة والإبعاد فهذه خصال النفاق تجده ذليلاً للكفار غليظاً على المؤمنين محباً للكفار مبغضاً للمؤمنين أبغض شيء عنده أهل الإلتزام بالدين وهذا والله لا يمكن أن نجأ سوف تجد المنافقين يعلنون ذلك ينصحون الكفار على المسلمين يقولون نصحناكم بأن تأخذوا حذرهم منهم فهم المتطرفون هم الإرهابيون هم كذا وكذا نسأل الله العافية ،

هذه خصال النفاق لذلك النفاق أمر بين ظاهر جداً عند أهل الإيمان يعلمون قرائنه وهو إن كان أمراً في القلوب لكن يعلمون قرائنه ودلائله بالأعمال التي لا تحتل عند أهل البصائر ويعلمون أن الإنسان الذي يفعل ذلك يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يكون غليظاً على الكافرين ذليلاً للكافرين يعلمون أنه لا يحب الله لأنه يعادي أوليائه وعادي من يحبون الله عز وجل وهم في الدنيا القذح فيهم والشدة عليهم وفي نفس الوقت رفيق ذليل هين لين مع الكفرة وأعداء الإسلام لذلك نجد أن من قد يتلبس باسم الدين ويتلبس باسم العلم والدعوة علامات النفاق ظاهرة عليه جليلة بينة لأنه ذليل للكفار والمنافقين يحبهم ويرى نفسه في خندقهم شديد على أهل الإسلام والإيمان بخلاف من وصفهم الله تعالى { أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } تأمل في شفقة أنس ابن النضر رضي الله عنه عندما انهزم المسلمون وفروا من غزوة أحد فانظر إلى شففته على المسلمين وغيظه على الكافرين قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنعته هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين رضي الله عنه فهو برأ من الكفار ويعتذر عن المؤمنين ويقول يارب سامحهم واقبل عذرهم يقول اعتذر إليك مما فعل هؤلاء وهم فروا من المعركة وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يستطيع إلا أن يرجو لهم إلا أن يكون لهم عذر أو يكون هناك قبول لتوبتهم أن يكون هناك مسامحة وعفوا ، مع المشركين أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء كما وصف الله تعالى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجودهم حتى قبل وجود آبائهم وأجدادهم وصفهم في التوراة والإنجيل قال عز وجل { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأذره فاستغلط فاستوى على سوقه } علامات الحب الصادق لله أنك تحب أولياء الله الذين يطيعونه لأنك تبحث عن ذلاتهم وعوراتهم وتتبعهم لكي تفسد الأمور عليهم وفي نفس الوقت تذلل الكفار والمنافقين وأعداء الدين ، بل المؤمن الصادق الحب ذليل على المؤمنين شفيق رحيم وعلى الكافرين شديد عليهم متبرأ منهم يعاملهم بمقتضى ما شرع الله عز وجل من البراء منهم

قال " لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة دعواهم " يعني إذا قلتم أنكم تحبون الله عز وجل فما الدليل قيل لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة فالبينة مذكورة في قوله عز وجل { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } يعني أظهروا أدلة تدل على صدق دعواكم في المحبة وآية تبين هذه الدلالة فإن كنت محباً لله فلا بد أن تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول أنا أحب الله وهو مبتدع البدع ويقول أحب الصحابة ويقول يحب آل البيت وهو يخالف طريقتهم ويسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخالف طريقتهم ويخالف طريقة السلف فهو غير صادق في دعواه لأنه لم يأتي ببينة على صحة الدعوة من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالذي يتبع الرسول ويبحث عن سنته ويتبعها ظاهراً وباطناً في الهيئة وفي الأخلاق وفي العبادة وفي السلوك وليس في مسألة واحدة فقط ، قد تجد إنساناً قد أظهره الإلتزام الظاهر والأتباع ويقول أنا أتبع السنة وكلمة سني أصبحت عند الناس هو الذي التحى أو لبس القميص فقط وليست هذه هي القضية وإن كانت جزءاً منها وإنما القضية أن توفقه وأن تتابعه في أخلاقه وفي أفعاله وفي عباداته وفي ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالمقام الأول فاتبعوني يحببكم الله تصل بذلك إلى درجة المحبوبة بعد درجة المحبة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم

أما قوله " إذا ادعى الخلي حرقه الشجي " الشجي هو الذي عنده الحنين والحرقه على فرق محبوبة فلو كان الكلام بالدعوى والحقيقة أن الشجي هو الذي عنده هذه الفرقة وعنده هذه المحبة الحقيقية

" فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم " لأن معهم أدلة على صحبة حبيبهم لله تعالى وأنه أنهم يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأخلاقه

قال " فطولبوا بعدالة البينة لتزكية { يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "

يعني جاءوا بشهود قيل لهم هاتوا من يزكو هؤلاء الشهود هاتوا من يعرف هؤلاء الشهود ويكيهم ما هو الشاهد في هذه القضية ؟ الشاهد هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الذي يزكيه ؟ جهاده هو الذي يزكيه جهاد المرء يزكي اتباعه للنبي عليه الصلاة والسلام وعدم خوفه في الله لومة لائم والبينة هم الشهود هؤلاء الشهود قد يطلب أحد يزكيهم لتثبت عدالتهم ويقول هم عندي عدول نحن نعرفهم ونعاشرهم لمدة طويلة ونعرف أنهم عدول فما هي التزكية التي تدل على عدالة البينة في هذه القضية ؟ تدل على أن الاتباع صادق فعلاً ؟ هي الجهاد في سبيل الله { يجاهدون في سبيل الله } الذي يزكي البينة ويدل على صحة الاتباع بذل النفوس في سبيل الله فيجاهدون في سبيل الله بأنواع الجهاد كلها بالقرآن وبالسلح لأن هناك جهاد بالقرآن جهاد الحق قال الله تعالى { ولا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً } وبالسلح حين يطلب ذلك وحين يشرع وبالمال وبالنفوس

وبما شرع الله من أنواع الجهاد كلها { ولا يخافون لومة لائم } لا يعبأون بمن يلومهم سوف يلومهم الناس في الاتباع وهم لا يعبأون سوف يلومونهم في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم لا يعبأون سوف يلومونهم على الجهاد في سبيل الله وهم لا يخافون في الله لومة لائم ،

يقول ابن القيم رحمه الله " فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فليل لهم إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فلهما إلى بيعة { أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } " تعالوا إلى بيعة تؤكد أنكم قدمتم الثمن لم تعدوا تملكون نفوساً ولا أموالاً تركتموها لله عز وجل يفعل بما يشاء لا تقل أنا لي كذا بل أنت ليس لك شيء أن مملوك أنت بعت نفسك ومالك الله عز وجل فهنا ظهر صدقهم في الحقيقة وبايعوا هذه البيعة ولم يعد لهم من أنفسهم شيء ولا من أموالهم فلو وقع لها ما وقع ولو حصل لها ما حصل قالوا صاحب السلعة تصرف في سلعته لما عرفوا عظمة المشتري وقدر الثمن ، الثمن غال جداً انظر إلى من يشتريها لو اشتراها القراء فهي سلعة رخيصة ضعيفة لو اشتراها الأغنياء فهي سلعة غالية أما السلعة التي يشتريها المملوك فقط فهي غالية جداً فكيف بسلعة يشتريها رب العالمين تبارك وتعالى ؟ { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وهو الجنة عرفوا فضل السلعة وقدرها لأن الثمن عظيم جداً والنفس لها قدر خطير فلما عرفوا دلالة من جرى على يديه عقد التبائع ، الذي جرى على يديه عقد التبائع هو الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بايع عن الله عز وجل وجبريل عليه السلام المبلغ عن الله للنبي صلى الله عليه وسلم فمحمد وجبريل عليها السلام أشرف الرسل من البشر ومن الملائكة هما اللذان جرى على أيديهما عقد التبائع فعرف المؤمنون قدر السلعة وعرفوا أن قدر النفوس المحبة لها شأن عرفوا قدر السلعة وأن لها شأن لما عرفوا قدر المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبائع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأن فأروا من أعظم الغم أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، هذه هي النفوس المحبة لا النفوس المتغالية الكسولة البعيدة عن الخير ولا التي لم تتصف بالصفات التي ذكرها الله عز وجل { التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالعرف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين } إذاً هذه هي السلعة المطلوبة هذه السلعة التي إذا وجدت قبلها الله سبحانه وتعالى واشترها ولا يشتري سلعة رديئة ليس فيها من هذه الصفات ، رأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها بيعة خاسرة أن يبيعوها لغير الله بثمن بخس شيء من الدنيا أن تعبد نفسك لغير الله وأن تعبد عمرك وأوقاتك ونفسك ، عمرك ونفسك عبارة عن ساعات دقائق وثواني هذه إذا بعتهما بثمن بخس فأنت تنفق عمرك لحظ من حظوظ الدنيا لما عرفوا قدر السلعة وأن لها شأن عرفوا أن من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك عقدوا مع الله عز وجل بيعة بالتراضي دون أن يثبت خيار لا يقول واحد منهم أنا قد أرجع في البيعة أو أعطني الخيار قد أكمل البيعة أو لا أكملها ، المتردد في أخذ السلعة يقول أعطني لي فرصة أو سأرد عليك بعد يومان يطلب أجلاً ينتظر لأنه يقول لي خيار يمكن أن أرجع في البيع فهؤلاء لم يعقدوا هذه البيعة مع الله مع ثبوت خيار ، لا بل إذا بدأ الطريق لا بد أن يكمله ، أكمل البيعة ولا بد أن يسير في الطريق إلى النهاية ليس عنده احتمال أن يرجع فيها ،

والله لا نقيلك ولا نستقيلك كلمة الصحابة رضي الله عنهم في بيعة العقبة للنبي صلى الله عليه وسلم لما تمت البيعة قالوا والله لا نقيلك شبه كل بهم كل من باع مع الله تعالى يقولون لا نقيلك أي لا نقبل منك أن تفسخ العقد معنا لا نقبل أن تستعمل غيرنا لا نقبل أن تبائع غيرنا دوننا ، نقيلك يعني يقول سوف أرد لكم السلعة ولا أخذها يقولون لا بد أن تستمر البيعة ،

ولا نستقيلك : لا نطلب منك أن تفسخها ولا بد من استمرار العقد فلما تم العقد وسلموا المبيع سملوا النفوس ليفعل بها ما يشاء ويضعها حيث أراد مهما كان فهم يحققون العبودية لله عز وجل في كل أمورهم

قال " لما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها " بيعة عظيمة الربح لأن النفوس حين ملكتها الله ردها الله عليك والأموال ردها الله عليكم قيل لهم خذوها مرة أخرى أضعافاً مضاعفة لن تضع عليكم مثلما اشترى النبي صلى الله عليه وسلم من جابر الجمل وأعطاه ثمنه وزاده ثم رد عليه جملة معاملة بالكرم فالله عز وجل أكرم الأكرمين والله أخذ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وردها عليهم أوفر ما كانت أكمل وأكثر مما كانت عليه قبل البيع وأضعافها معهم ، من قتل منهم قال الله عز وجل { ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون } لما بذلوا الحياة أعطاهم الله حياة عالية أكمل منها بكثير حياة الشهداء ، من عاش منهم عاش أكرم حياة نسأل الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله فهذا في حق من بذل لله عز وجل عوضه الله أن عاش في الدنيا كريماً وعاش في البرزخ حياً أكمل من حياة الدنيا ثم في الآخرة أكمل حياة عنده سبحانه وتعالى

يقول ابن القيم رحمه الله " إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدره المنتهى " سدره المنتهى التي تصعد إليها الأعمال وفروع الحب أعمال المحبين صاعدة في كل وقت إلى سدره المنتهى أعمال مقبولة ومفتوح لها أسباب السماء ،

هذه المحبة موجودة في القلب شجرتها في القلب من أجل الإيمان لأن الإيمان أصله الحب والإخلاص والاتباع فأثمرت أنواع الثمار كلها وآتت أكلها كل حين أثمرت الأعمال والأقوال الطيبة والأخلاق الطيبة وآتت أكلها آثار حب الله في القلب تظهر كل وقت وأصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدره المنتهى هذه الشجرة شجرة المحبة في قلب العبد المؤمن وأعماله تصعد إلى الله تعالى لأن سدره المنتهى تقبض فيها وعندنا الأعمال فلا يزال العمل الصالح يصعد مقبولاً يفتح له أبواب السماء لا يرد في وجهه ،

هذا بعض ما اقتبسناه من كتاب ابن القيم مشروحاً ،

فالخبرة حقيقة العبودية وإنما تمكن الأعمال الأخرى من الخوف والحب والرجاء والصبر والزهد والحياء والشوق والإنابة باستمرار الخبة في القلوب والإخلاص والحقيقة شهادة أن لا إله إلا الله نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب من أحبه وحب كل عمل يقرننا إلى حبه ،

## الخوف

نتكلم بعد ذلك عن عبادة من أعظم العبادات أهمية وهي عبادة الخوف وهو الحب والرجاء أحنحة العبادة أركانها لا تحصل العبادة إلا بها كما ذكر الله سبحانه وتعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب } هذا إشارة للحب { ويرجون رحمته ويخافون عذابه } أعظم عبادات القلب التي لا يتحقق الإيمان إلا بوجودها في القلب عبادة الخوف من الله وعدم الخوف ممن سواه كما أمر الله بذلك معلقاً الإيمان على وجود ذلك قال الله تعالى { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين } يخوف أوليائه أي يخوفكم أوليائه يخوفكم فهذا مفعول ثاني ، المفعول الأول جاء في الخطاب يخوفكم أوليائه أي بأوليائه المفعول الثاني أوليائه ، فهذه الآية تبين النهي عن الخوف من سوى الله والخوف من الله وحده لا شريك له وتعلق الإيمان على وجود الخوف من الله تبارك وتعالى ورخافون إن كنتم مؤمنين فدل ذلك على أن من يخف فليس بمؤمن وهذا الإيمان ينتفي بالكلية عند انتفاء الخوف بالكلية ويضعف مع ضعفه ويقوى مع قوته فالخوف من الله عز وجل إذا اكتمل في قلب العبد زال من قلبه كل خوف آخر ، وذلك أن الله تبارك وتعالى جعل الأمن لمن آمن بالله كما قال على لسان إبراهيم { وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } فمن خافه الله أمنه الله ممن سواه وهذا أمر مطرد لازم في القلب بمعنى أنه كلما ازداد الخوف من الله وعظم في قلب العبد زال منه الخوف ممن سواه ولذا فهذا الخوف يكون مع سعادة وسرور مع كونه يزعج الإنسان ويخوفه من موقفه بين يدي الله تعالى غداً وأنه لا يزول معه الرجاء ولا يزال معه الحب فيظل العبد يحقق أنواع العبادة كلها وهذا أمر عجيب لا يحصل من خوف آخر ، كل خوف آخر يجعل الإنسان شقياً تعيساً مضطرب قلقاً لا يستقر له حال تخيل إنسان يتوقع مثلاً أن يهجم عليه في داره لا يأكل ولا يشرب ولا يتنمئن لا يستطيع أن يحي حياة معتادة ، كلما ازداد خوف غير الله في قلب العبد شقي وتعس وأما الخوف من الله تبارك وتعالى فيجعله في أمن تام من كل من سواه ويصغر الخلق في عينه وفي قلبه ولا يرى لهم أثراً في هذه الوجود يرى أنه مجرد أسباب الله مالكها وخالقها هو الذي يدير الأمر كله ولذا لا يعيب المسلم بما فيهم من أسباب يرى أن الله تعالى قدر أن تكون بأيديهم وهو سبحانه وتعالى قدر أن يخوف الشيطان المؤمنين بهذه الأسباب امتحاناً لهم فعند ذلك يوقن أن الأمر من الله عز وجل فيجتمع في ذلك الحب والخوف والرجاء لأن الخوف من الله عز وجل لا يزول معه الرجاء ولا يزول معه الحب فيظل الإنسان في كل عبادة من العبادات التي يؤديها ينتقل بين هذه الأجنحة الثلاثة من عبادة ، الحب والخوف والرجاء فبذلك تقبل عبادته وأما من لم يخف الله عز وجل فهذا لا يقبل له عمل لأنه ليس بمؤمن كما دل عليه مفهوم هذه الآية { وخافون إن كنتم مؤمنين } مفهومها إن لم تخافوني لم تكوني مؤمنين .

الخوف من أولياء الشيطان وإن كان في أصله خوفاً طبعياً من أجل ما معهم من أسباب مادية إلا أن استمراره محرم وذلك أن الله تعالى يبتلي عباد المؤمنين بأن يجعل لأوليائه الشيطان من الكفار زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ويمكنهم من إرهاب الناس وتخويفهم امتحاناً لعباده كما ذكرنا فالخوف في أصله خوف طبيعي لكنه يزول بالتوكل على الله تعالى كما دلت عليه آيات سورة آل عمران { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل } فسبحان الله إن مواطن الشدة التي يكثر فيها الخوف عند عامة الناس هي مواطن زيادة الإيمان عند أهل الإيمان لأن هذا الخوف يجبرهم إلى التوكل بطريقة إيمانية يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة الناس الذين يرون الأسباب فقط فيقولون اخشوا هؤلاء احسبوا حساب هؤلاء لأن قلوبهم متعلقة بالأرض ومتعلقة بالأسباب التي فيها وأما أهل الإيمان فإنهم يرتفعون عن هذه الأرض ومن فيها ومن عليها ويؤمنون أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب فإذا ارتفعوا عن الأرض فإنه يرتفعون بآيات الله { وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } قال الله عز وجل { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لفرغناه بها } وإنما يرتفع الإنسان عن الأرض بآيات الله إذا ارتفع عن الأرض ما بأيدي الناس لا يذكر ولا يعد شيئاً رآوا الأرض كلها صغيرة لا تساوي شيئاً رآوا أن الأمر من عند الله سبحانه وتعالى يدير الأمر من السماء إلى الأرض فعند ذلك يعظم توكلهم على الله فعند ذلك يزدادون إيماناً قال الله عز وجل { فزادهم إيماناً } لذلك كان من أعظم مواطن زيادة الإيمان استجابة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عندما دعاهم إلى الخروج إلى حراء الأسد للقاء المشركين بعد هزيمة أحد وهم على ما بهم من جراح وألم وفراق أصحابهم وقتل إخوانهم وجرح نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي فرار بعضهم فآلامهم آلام عديدة ومع ذلك استجابوا كما قال الله عز وجل { الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل } أي الله كافينا ونعم من توكل الأمور إليه ونعم من يتوكل عليه ونعم من تفوض الأمور إليه حسبنا الله كافينا الله ، الله يكفينا عدونا ويكفينا ما أمنا ويكفينا من ينقلب علينا فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ألقى الله عز وجل في قلوب أعدائهم الخوف والرعب وانصرفوا دون تحقيق رغباتهم فانقلب المؤمنون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وكتب غزوة ، غزوة حراء الأسد لما استجابوا للنبي صلى الله عليه وسلم عندما أمرهم أن يخرجوا لما بلغه أن أبا سفيان عزم على أن يرجع إلى المدينة لستأصل من بقي بها من المؤمنين فندبهم إلى الخروج فخرجوا على ما بهم من الجراح والألم وقتل من قتل من منهم وقلة العدد بالنسبة إلى عدوهم فكانت غزوة مباركة ازدادوا فيها إيماناً وقوله تعالى { إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه } أي يخوفكم أوليائه وإنما أسلوب قصر ليس ذلك الخوف إلا من الشيطان من كسب الشيطان وفعله هذه الكسب منه لا يملك أن يضر به



المؤمنين إذا صبروا واتقوا إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم هذا نهي عن الخوف من غير الله تعالى ولو كان خوفاً طبيعياً كما وقع في هذه الغزوة خوف طبيعي فدل ذلك على أن استمرار هذا الخوف الطبيعي واستقراره في القلب لا يجوز وأنه منهي عنه وإن وقع في القلب ابتداءً لأحد المؤمنين بل للأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهم السلام { قالوا ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى } فنهأهما عن الخوف وقال لا تخافا إني معكما بين لهما طريقة التخلف من هذه الخوف وهو استحضار معية الله من استحضار معية الله ارتفعت نفسه وارتفع روحه عن الأرض ورأها صغيرة هي ومن عليها فزال عنه الخوف من الناس فرأهم يلعبون لا يزيدون على اللعب فهذه الحياة الدنيا هو ولعب فهم مثل أطفال بأيديهم أشياء يلعبون بها ولا يملكون قوة حقيقية وعند المقارنة نجد الأمر كذلك حقاً قارن بين قوة البشر مثلاً مجتمعاً في أسلحتهم وعتادهم وبين قطعة صغيرة مثلاً من الشمس أو قطعة صغيرة من مذنبات وكويكبات لو أنها اصطدمت بالأرض لدمرتها قارن بين ما بأيديهم وبين القوة المودعة في البحار ، بحر واحد أو بحيرة صغيرة فيها قوة هائلة في المياه لو أنها خرجت على الناس لدمرتهم تدميراً وكذلك القوة الهائلة المودعة في الرياح قوة تدمر كل شيء والبشر لا يملكون شيئاً في الحقيقة هم صغار جداً ضعاف للغاية لا أثر لهم فهم يلعبون فعند ذلك يزداد المؤمن إيماناً وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً قال ( اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شورهم ) فهو يلجأ إلى الله ويدرك به في نحور المحرمين والظالمين الكافرين وذلك نقول إن هذا الخوف قد يقع ابتداءً في قلب الولي بل في قلب النبي كما قال موسى وهارون ربنا إنما نخاف وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً فهذا أمر طبيعي في فطرة البشر لكنه لا يستقر ولا يستمر في قلب المؤمن بل يزول بكمال التوكل على الله ووجوده في القلب ابتداءً لا يضر لكن يضر إذا استمر إلى درجات خطيرة فالتناس أحياناً يقعون في المحرمات وأحياناً يقعون في الكفر بسبب هذه الخوف واستمراره في القلب لأن الله قد نهي عنه وقال { فلا تخافوهم } فالخوف من الله لأنه شرط في الإيمان والحقيقة أنه ركن فيه كما ذكرنا ذلك من قبل ،

فالتناس يتفاوتون في خوفهم من الله تعالى ومنهم من خوفه يمنعه من فعل الحرام ومنهم من يمنعه من فعل المكروه ومنهم من يجعله يؤدي الواجب ومنهم من يبكي خوفاً من الله تعالى كل ما ذكر أمر الآخرة وكلما ذكر عقاب الله ويدفعه إلى أن يفعل كل المسحبات التي يقدر عليها لاشك أن هذا خوف أكمل من خوف الذي يترك المحرم ويفعل الواجب فقط ولا شك أن خوفه أكمل من خوف الذي يقع في المعصية ولكنه يخاف الله تعالى يخاف أن يكفر بخاف عقوبة الخلود في النار وإن كان لا يستحضر في قلبه شدة العقوبة على المعاصي فذلك أقدم عليها فالتناس يتفاوتون في خوفهم من الله ، أما الذي يقول لا أخاف الله ولا يخاف القيامة فهذا ليس بمؤمن أصلاً بل هو كافر ،

وقال تعالى { وادعوه خوفاً وطمعاً } هذه الآية من أدلة وجوب الخوف ، فالله أمرنا بالدعاء المقترب بحال الخوف وحال الطمع أي ادعوه وأنتم خائفون وادعوه وأنتم طامعون في فضله فأوجب الأمرين فقبح الله من يقول لا أعبدك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك فالله يأمرك أنت وإخوانك المؤمنين أن تدعوه خوفاً وطمعاً ذاك الذنديق يقول لا أطمع ولا أخاف فهذا لا يكون مؤمناً لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع فكيف يقول لا أخاف الله والله يأمرك أن تخافه كيف تقول لا أطمع والله يرغبك في الجنة وأنت تقول لا أرغب فيها لو أن ابنك فعل معك ذلك وانت ترغبه في شيء جميل وفي شيء فيه مصلحته وفيه ما يجب فيقول لك هذا شيء تافه لا أريده أياكون في ذلك رضاك أم تسخط عليه أعظم السخط لأنك ترغبه في شيء فيقول شيء لا أريده أو ما هذا الذي اشتريته لي أو تخوفه بأنك سوف تعاقبه فيقول لا أخاف منك حتى لو قال لأني أحبك فيكون كاذباً بل هو لا يحبك الله تعالى له المثل الأعلى ، إذا كان العبد لا يرضى عمن خوفه فلا يخاف فالله أمرنا أن نخاف وهو تعالى يغضب على من لا يخاف ويغضب على من لا يرجوه ولا يطمع فيما عنده وإن زعم حبه فهو كاذب في محبته قال الله تعالى وإياي فارهبون أي ارهبوني وحدي تقدم المفعول إياي بالاهتمام والاختصاص واصلها فارهبوني انفصل الضمير وقدم للاهتمام والاختصاص لأن الله وحده هو الذي يرهب منه والرهبة خوف مع هرب وفرار ، الرهبة نوع من أنواع الخوف لكنه مع خوف لكنه مع هرب خوف مع هرب بين الكلمتين الرهبة والهرب تشابه في الحروف فالرهبة فيها خوف وفيها تعظيم وفرار من الله تعالى إليه لأنه لا يكون الفرار منه إلا إليه أنت تفر من غيره إلى من هو أقوى وإلى من يؤمنك عنده والله لا يجار عليه الله يجبر ولا يجار عليه فلا يمكن أن يفر المؤمن إلا إلى الله عز وجل قال الله تعالى { ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين } قال الله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } الخشية أيضاً من أنواع الخوف فهي خوف مقرون بعلم ومعرفة { إنما يخشى الله من عباده العلماء } هذا يستوجب الخشوع والخضوع والإنكسار والله مدح الذين يخشون ربه في مواضع عديدة قال تعالى { إن الذين هم من خشية ربه مشفقون والذين هم بآيات ربه يؤمنون والذين هم برهيم لا يشركون والذي يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربه راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } وبدأت هذه الصفات بذكر الخوف وانتهت بذكره كذلك مع ذكر الوعد الصادق لمن خاف الله تعالى { إن الذين هم من خشية ربه مشفقون } فهذا هو الخوف الأول من صفات المؤمنين فيشفق على نفسه وعلى أهله يشفق من خشية الله تعالى لأنه يعلم أن عذاب الله شديد ويعلم أن موقفه بين يدي الله تعالى غداً موقف عظيم فهو يشفق على نفسه كما يقول المؤمنون يوم القيامة إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فكانوا غير مطمئنين في هذه الدنيا وإنما حتى وهم بين أهلهم يتذكرون موقفهم بين يدي الله ويتذكرون عقابه ويتذكرون حسابه والمساءلة ويخافون عقابه ويخافون سوء الحساب فهم يخافون أن يحاسبوا حساباً عسيراً ولذلك يطيعون الله ويتبعون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشفقون من خشية ربه لعلمهم بالله ولعلمهم بما فعل بأعدائه عز وجل لأن الخشية خوف مقرون بعلم ولعلمهم بأن الله تعالى إذا غضب على أحد لم يغم غضبه شيء فيخافون وهم مشفقون لأنهم لا يأمنون مكره يعلمون أنه يستدرج أعدائه وأنه ينتقم منه وأنه من أمن مكره فقد خسر وأنه يصيبه من العذاب من حيث لا يشعر ومن حيث لا يحتسب { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون }

وذكر عز وجل بقية صفات المؤمنين فقال في آخرها { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربه راجعون } يعطون ما أعطوا من العمل وقلوبهم مرتجفة خائفة لأنهم إلى ربه راجعون وسوف يقفون بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما سألت عن هذه الآية فقالت هم الذين يشربون الخمر ويسرقون في قوله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربه راجعون قال لا يا ابنة الصديق ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل الله منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات حديث صحيح فهم يفعلون ما أمر الله به من الطاعات وقلوبهم خائفة لأنها سوف تعرض على الله عز وجل وهو المطلع على بواطنهم ومطلع على ما في هذه الأعمال من العيوب الخفية التي غفل



الكل عنها ولم يستدركوها ولم يسألوا أنفسهم عنها ربما كانت كاملة في أعين الناس أو في عيونهم فتظهر عيوبها يوم القيامة فيشفقون ويجلون ويخافون ألا يقبل الله تعالى منهم فضلاً عن السيئات التي يعملونها فهم خائفون من حسناتهم ألا تقبل وخائفون من ذنوبهم ألا تغفر لذلك مدحهم الله عز وجل وذلك كان هذه الخوف والوجل يدفع إلى الطاعة والمسارة بالخير مع رجاء القبول والخوف من عدم القبول لأن الخوف والرجاء قرينان والوجل ارتحاف القلب وانصداعه لأنه يتشقق عندما يذكر الإنسان موقفاً معيناً عند ذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته فيحصل الأخذ في القلب ، ارتحاف القلب عندما يذكر الإنسان موقفاً معيناً فيؤخذ قلبه أحذه حقيقية تذكر نفسك وقد أفرعك أحد مرة واحدة أو أنك علمت أن ظالماً مثلاً يريد أن فعل بك شيئاً ، تجدهم يقبضون عليك مثلاً فيقع في القلب شيء من هذا الوجع فأمّا العبد المؤمن فوجله من الله تعالى يحصل له شيء من ارتحاف القلب وكأنه ينصدع أو ينشق من ذكر ربه وهذا معنى الوجع ، نسأل الله العافية

لو أن الناس رأوا قرب الموت عند غرق سفينتهم يحصل لهم نوع من الخوف والفرع الهائل فهذا ارتحاف القلب فإذا رأى الإنسان من يخاف عقوبته وسقوطه فهذا هو الوجع إذا ارتحاف القلب عند ذلك فهذا هو الوجع ، المؤمن يرتحاف قلبه عند ذكر الله تعالى فهو لا يرى ربه في هذه الدنيا بعينه وإنما يذكره ويستحضر مواقف العذاب التي نزلت بالظالمين وما ينتظر الناس من هول الحساب يوم القيامة وسوء الحساب والعياذ بالله من ذلك ، هذا هو وجع القلب { قلوبهم وجلة } لأنهم دائم التذكر للأخرة ،

وصلى الله على إبراهيم وإسماعيل يبينان الله بيتاً ويخافان ألا يتقبل الله منهم فكان من دعائهم { ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم }

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

### ٣١ - علامات المحبة

مازلنا في بيان عبادات القلب وأحواله نذكر ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في المحبة بعد أن ذكر الأسباب الجالبة لحب الله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله أيضاً في مدارج السالكين في بيان المحبة التي يعرف العبد بها أنه صادق في حب الله عز وجل يقول " تالله ما هزلت فيستانها المفلسون ولا كسدت فيبيعها النسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فمن يرضى لها بثمن دون بذل النفوس تأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم فوكت في يد أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "

ويقول " لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى لم يعطى الناس بدعواهم لدعى الخلق فرقة الشحي فتنبوع المدعون في الشهود فقيل لهم لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأخلاقه "

نقول في قوله " تالله ما هزلت فيستانها المفلسون "

هذه المحبة ليست ببضاعة هزيلة ورخيصة يستأنها المفلس أي يساوم عليها المفلسون الذين لا يريدون أن يدفعوا الثمن فهم ليس معهم شيء يريدون السلعة بدون أي ثمن فيتكلّمون في السلعة الرخيصة ويبحثون عنها ويساومون عليها فليست المحبة هزيلة فلا بد للمحب أن يدفع الثمن والثمن غال الأنفس والأموال حتى تكون صادقاً لا بد أن تدفع الثمن من راحتك ومن أمنك ومن شهواتك ومن مستحقاتك الاجتماعية من مسكنك الذي ترتضيه تكون مستعداً لذلك كله ، المفلس الذي لا يريد دفع الثمن لن يكون محباً ولم يكون صادقاً هذه السلعة سلعة غالية منزلة لا يعطيها الله سبحانه وتعالى إلا لمن يستحقها لا يوفق الله عز وجل لحبه إلا من اختاره سبحانه وتعالى ولا بد أن يدفع الثمن ليكون صادقاً في محبته لله عز وجل إذا لا تظن أنك يمكن أن تحصل على حب الله دون أن تدفع ثمناً من ما ذكر الله عز وجل { قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين } فلا بد أن يكون الإنسان مستعداً لدفع الثمن ومستعداً للتضحية ومستعداً لهذا كله فالمسألة ليست مجرد دعوى وأنت على ما أنت عليه لا تتحرك إلا فيما يوافق هواك بل لا بد أن تضحي وتدفع الثمن الذي أراد الله عز وجل حتى تكون صادقاً في المحبة عندما عرض على الصحابة ذلك بذلوا من كل هذه الأشياء والأنبياء أعلى منهم بذلوا من كل هذه الأشياء وضحو بالنفوس والأموال وبالوطن وبالعلاقات الاجتماعية كالإخوان والعشيرة والأهل وبالمساكن المرضية تركوها وعاشوا في أشد الأحوال ضحوا بالآباء والأبناء والإخوان والأزواج لأن كل هذه الأمور من أجلها ييخل الناس ويداهنون من أجل إلى أن يصلوا إلى تحقيق الرغبات إما الحيوانية وإما الشيطانية في العلو والفساد فيضحون بحبهم وعبادتهم لله تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم { وقال إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا } فهو من أجل مراعاة عدم حزن أبيه وأمه يكفر بالله عز وجل ويظل على الكفر والعلاقات الاجتماعية عند الناس من أعظم ما يضحى للدين من أجلها من أجل ألا يقول الناس ما حملة على ذلك الجذع ، فهم ضحوا بعبادتهم وحبهم لله تبارك وتعالى من أجل هذه الرغبات ،

الحبة لا يمكن أن تكون من غير ثمن لا يساوم عليها المفلس الذي لا يضحى ويظل دائماً في دائرة الأمن في ظنه مطمئناً تماماً لا يريد أن يخاف على فقد شيء من هذه الأشياء ويحتمل التضحية بها ،

لا يساوم عليها المفلس الذي لا يضحى ويظل دائماً في دائرة الأمن في ظنه ليس هناك أدنى خطر عليه يريد أن ظل في هذه الدائرة وبالتالي فلم يخالف أهل الباطل ولم يخالف أهل الكفر ولا يتبرأ منهم من أجل أنه يريد أن يؤمن نفسه كذلك لا يضحى بعلاقاته الاجتماعية الآباء والأبناء والأقارب لا بد أن ظل معهم ملازماً معهم لا يفارق الظلال والثمار والزوجة التي تدعوه إلى نفسها فماذا كان السبب في تخلف كعب ابن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك مع منزله وسابقتها رضي الله عنه هذه الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفيراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ولها زوجتان كل منهما أعدت عريشاً .

هذا أو الخيشمة يقول قد تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حتى مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بالإنصاف إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السموم والحميم وأنا في الظل والنعيم فقممت إلى ناضح فاحتقبته وضع عليه لوازم البعير فإذا تميرات تزودها فنادت زوجته إلى أين أبا خيشمة كان قد اتخذ القرار ولحق بالحبيب صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعوه له ويحييه فيقول حين يرى رجلاً من بعد فيقول كن أبا خيشمة فيكون أبا خيشمة ، فإذا كان كبار الناس وأفاضلهم المذكورون في القرآن كالثلاثة الذين خلفوا منزلتهم عند ربه منزلة عظيمة جداً ومع ذلك كانت هذه الأشياء من ضمن الأشياء التي أدت إلى تخلفهم فانظر أنت في هذه المسألة هل أنت مستعد أن تدفع الثمن أم لا نسأل الله العافية ،

الذي يظن أنه يمكن أن يظل على حب الله أو يذوق طعم حب الله ولا يضحى من أجل الدين فهو واهم ،

يقول " تالله ما هزلت فيستانها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون "

البضاعة البائرة الضعيفة الثمن يشتريها التجار المفلسون نسيئة أي بالتقسيط من أجل ركودها وكسادها فيكون أكثر الرأي بالتقسيط عندما تكون البضاعة بائرة كاسدة ، يقول ابن القيم أن بضاعة الحبة غير كاسدة بضاعة غالية جداً هناك من يبذل فيها الثمن حتى لو كانوا قلة فمن يقول أنا أحب ربي لا بد أن يدفع الثمن مقدماً لم تدفع الثمن بعد أن تجرب لم تدفعه مؤخراً هناك من يقول أجرب السلعة أولاً إن أعجبتني دفعت أو أدفع بالتقسيط على مدى طويل وأنا استمتع بها لن تجدها أنت تدفع الثمن وتأخذ السلعة بعد ذلك فإن لم تدفع الثمن مقدماً فلن تجد الحب ويكون أصل الحبة موجوداً في القلب لكنه ليس مؤثراً وأحياناً لا يظهر ولا يجد الإنسان اللذة فيه لأنه لا بد أن يصل الإنسان إلى درجة معينة حتى يجد لذة الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ) العاصي يقدم هواه على طاعة الله ليس كافراً هذا العاصي ليس زال من قلبه الحب بالكلية ولكن ضعف جداً حتى لم يؤثر ولم يحرك كالحرك الضعيف أو البطارية الضعيفة التي لا تقوى على تحريك السيارة قد تكون الحبة موجودة في القلوب وأصلها في القلوب لكن ضعيفة جداً لا يظهر لها أثر في الخارج ولا يلزم من ذلك أن يزول أصل الحب ويحصل الكفر لكن حتى يجد حب الله لا بد أن يصل إلى درجة معينة ولا بد أن يبذل الثمن مقدماً لأن الله اشترط ذلك الشرط ، { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } فهم يبذلون أولاً فيجدون في الدنيا وفي الآخرة كمال الثمن يجدون لذات الحب والبذل في الدنيا وفي الآخرة يجدون كمال الثمن وهو الجنة كما يريدون ويريدون فيها حب الله تعالى والقرب منه والنظر إلى وجهه وسماع كلامه والتنعم بقربه فالذي يريد أن يشتري بالنسيئة ويقول أدفع بعد أن أجرب ويقول إن وجدت أثر الحبة فسأقدم الثمن لا يصلح لشراء هذه السلعة بل أنت إذا أردت أن تحب فادفع الثمن وكلما تدفع أكثر وتضحى أكثر ستجد حب الله عز وجل في قلبك أعظم وكلما جاهدت نفسك أكثر وكلما امتنعت من شهواتك أكثر فستجد حب الله عز وجل أكبر وكلما تبذر من راحتك أكثر ومن كل الأصناف الثمانية المذكورة في الآية أكثر { قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا } كلما بذلت من هذه الثمانية مقدماً وجدت هذه السلعة غالية عند صاحبها ليست كاسدة لا يبيعها بالنسيئة يبيعها بثمر مقدم وأنت تأخذ السلعة مؤخراً بعد ما تبذل تأتيك السلعة .

يقول رحمه الله " يأتيك العرض في سوق من يزيد " من يزيد في الثمن من يبذل أكثر يأخذها من يبذل أكثر من يدفع أكثر فلم يرضى لها أي مالها بثمر ثمن دون بذل النفوس والله عز وجل يحب أن يتنافس المؤمنون المحبون في إظهار تضحيتهم وبذلهم لله لكي ينالوا حب الله عز وجل

سوق من يزيد أي المزا ، ينادى فيه من يدفع أكثر من يبذل الثمن أكثر لذلك هم يتنافسون في البذل أكثر كلما بذلوا أكثر اقتربوا فلم يرضى مالها بثمر ثمن دون بذل النفوس كي يهبك حبه ويعطيك في قلبك لذة حبه لا بد أن تكون مستعداً لبذل نفسك في ما يأمرك بذلك فتأخر البطالون الذين لا يريدون أن يقدموا شيئاً للإسلام ولا أن يقدموا شيئاً للدين يريدونها سهلة من غير ثمن مثل هؤلاء يتأخرون عنها وهم غير مستعدين لبذل نفوسهم فقام المحبون تأخر البطالون الذين لا يعملون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم ووقع في يد { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } قال الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم } الذلة على المؤمنين من علامات حب الله كما ذكرنا الذلة مجاملة معنى الشفقة والعطف فعدلت بـ على فلم يقل أذلة لهم بل أذلة عليهم فرفقك بعباد الله المؤمنين وحبك الخير لهم ومراعاتك لمصلحتهم من علامات صدق الحبة وأعزة على الكافرين عزيز عليهم قوي شديد غليظ لا يداهن ولا يركن إليهم ولا يقول الباطل إرضاءً لهم فهذا وصف الحب الصادق لذلك قضية الولاء والبراء الحب في الله والبغض

في الله من أعظم أدلة حب الله عز وجل من أعظم علاماته فغيابه وضعفها أو وجود ما يناقضها من أعظم الأدلة على انتفاها من القلب وربما وجد ضدها والعياذ بالله يوجد ضد الحب في الله والبغض في الله يوجد ضد أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لذلك تجد المنافقين أشد الناس بعداً في هذا الباب وأبغضهم عند الله الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين { أيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً } فهم يحبون الكفرة وينصحون لهم ويوالونهم على أهل الإيمان كما قال الله عز وجل عنهم في حديثهم على المؤمنين { فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير } إذا تمكنوا منهم ساموهم سوء العذاب وعاملهم بأنواع الإهانة والإبعاد فهذه خصال النفاق تجده ذليلاً للكفار غليظاً على المؤمنين محباً للكفار مبغضاً للمؤمنين أبغض شيء عنده أهل الإلتزام بالدين وهذا والله لا يمكن أن يخفى سوف تجد المنافقين يعلنون ذلك ينصحون الكفار على المسلمين يقولون نصحناكم بأن تأخذوا حذرهم منهم فهم المتطرفون هم الإرهابيون هم كذا وكذا نسأل الله العافية ،

هذه خصال النفاق لذلك النفاق أمر بين ظاهر جداً عند أهل الإيمان يعلمون قرائنه وهو إن كان أمراً في القلوب لكن يعلمون قرائنه ودلائله بالأعمال التي لا تحتل عند أهل البصائر ويعلمون أن الإنسان الذي يفعل ذلك يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يكون غليظاً على الكافرين ذليلاً للكافرين يعلمون أنه لا يحب الله لأنه يعادي أوليائه وعادي من يحبون الله عز وجل وهمهم في الدنيا القدر فيهم والشدة عليهم وفي نفس الوقت رفيق ذليل هين لين مع الكفرة وأعداء الإسلام لذلك نجد أن من قد يتلبس باسم الدين ويتلبس باسم العلم والدعوة علامات النفاق ظاهرة عليه جلية بينة لأنه ذليل للكفار والمنافقين يحبهم ويرى نفسه في خندقهم شديد على أهل الإسلام والإيمان بخلاف من وصفهم الله تعالى { أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } تأمل في شفقة أنس ابن النضر رضي الله عنه عندما انهزم المسلمون وفروا من غزوة أحد فانظر إلى شفقتة على المسلمين وغبطه على الكافرين قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنعته هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين رضي الله عنه فهو برأ من الكفار ويعتذر عن المؤمنين ويقول يارب سامحهم وأقبل عذرهم يقول أعتذر إليك مما فعل هؤلاء وهم فروا من المعركة وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يستطيع إلا أن يرجوا لهم إلا أن يكون لهم عذر أو يكون هناك قبول لتوبتهم أن يكون هناك مسامحة وعفوا ، مع المشركين أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء كما وصف الله تعالى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجودهم حتى قبل وجود آبائهم وأحاديدهم وصفهم في التوراة والإنجيل قال عز وجل { محمد رسول الله والذين معه أشد على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأذره فاستغلط فاستوى على سوقه } علامات الحب الصادق لله أنك تحب أولياء الله الذين يطيعونه لأنك تبحث عن ذلاتهم وعوراتهم وتتبعهم لكي تفسد الأمور عليهم وفي نفس الوقت تذلل الكفار والمنافقين وأعداء الدين ، بل المؤمن الصادق المحب ذليل على المؤمنين شفيق رحيم وعلى الكافرين شديد عليهم متبرأ منهم يعاملهم بمقتضى ما شرع الله عز وجل من البراء منهم

قال " لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة دعواهم " يعني إذا قلتم أنكم تحبون الله عز وجل فما الدليل قيل لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة فالبينة مذكورة في قوله عز وجل { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } يعني أظهروا أدلة تدل على صدق دعواكم في المحبة وآية تبين هذه الدلالة فإن كنت محباً لله فلا بد أن تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول أنا أحب الله وهو مبتدع البدع ويقول أحب الصحابة ويقول يحب آل البيت وهو يخالف طريقتهم ويسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخالف طريقتهم ويخالف طريقة السلف فهو غير صادق في دعواه لأنه لم يأتي ببينة على صحة الدعوة من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالذي يتبع الرسول ويبحث عن سنته ويتبعها ظاهراً وباطناً في الهيئة وفي الأخلاق وفي العبادة وفي السلوك وليس في مسألة واحدة فقط ، قد تجد إنساناً قد أظهره الإلتزام الظاهر والاتباع ويقول أنا أتبع السنة وكلمة سني أصبحت عند الناس هو الذي التحى أو لبس القميص فقط وليست هذه هي القضية وإن كانت جزءاً منها وإنما القضية أن توفقه وأن تتابعه في أخلاقه وفي أفعاله وفي عباداته وفي ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالمقام الأول فاتبعوني يحببكم الله تصل بذلك إلى درجة المحبوبة بعد درجة المحبة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم

أما قوله " إذا ادعى الخلي حرقه الشحي " الشحي هو الذي عنده الحنين والحرقه على فرق محبوبة فلو كان الكلام بالدعوى والحقيقة أن الشحي هو الذي عنده هذه الفرقة وعنده هذه المحبة الحقيقية

" فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم " لأن معهم أدلة على صحة حبهم لله تعالى وأنه أنهم يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأخلاقه

قال " فطولبوا بعدالة البينة لتزكية { يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " }

يعني جاءوا بشهود قيل لهم هاتوا من يزكو هؤلاء الشهود هاتوا من يعرف هؤلاء الشهود ويذكرهم ما هو الشاهد في هذه القضية ؟ الشاهد هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الذي يزيكه ؟ جهاده هو الذي يزيكه جهاد المرء يزيك اتباعه للنبي عليه الصلاة والسلام وعدم خوفه في الله لومة لائم والبينة هم الشهود هؤلاء الشهود قد يطلب أحد يزيكهم لثبوت عدالتهم ويقول هم عندي عدول نحن نعرفهم ونعاشرهم لمدة طويلة ونعرف أنهم عدول فما هي التزكية التي تدل على عدالة البينة في هذه القضية ؟ تدل على أن الاتباع صادق فعلاً ؟ هي الجهاد في سبيل الله { يجاهدون في سبيل الله } الذي يزيك البينة ويدل على صحة الاتباع بذل النفوس في سبيل الله فيجاهدون في سبيل الله بأنواع الجهاد كلها بالقرآن وبالسلاح لأن هناك جهاد بالقرآن جهاد الحق قال الله تعالى { ولا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً } وبالسلاح حين يطلب ذلك حين يشرع وبالمال وبالنفوس وبما شرع الله من أنواع الجهاد كلها { ولا يخافون لومة لائم } لا يعبأون بمن يلومهم سوف يلومهم الناس في الاتباع وهم لا يعبأون سوف يلومهم في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم لا يعبأون سوف يلومهم على الجهاد في سبيل الله وهم لا يخافون في الله لومة لائم ،

يقول ابن القيم رحمه الله " فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقبل لهم إن نفوس المحبين وأمواهم ليست لهم فلهما إلى بيعة { أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواهم بأن لهم الجنة } " تعالوا إلى بيعة تؤكد أنكم قدمتم الثمن لم تعدوا تملكون نفوساً ولا أموالاً تركتموها لله عز وجل يفعل بها ما يشاء لا تقل أنا لي كذا بل أنت ليس لك شيء أن مملوك أنت بعت نفسك ومالك لله عز وجل فهنا ظهر صدقهم في الحقيقة وبايعوا هذه البيعة ولم يعد لهم من أنفسهم شيء ولا من أمواهم فلو وقع لها ما وقع ولو حصل لها ما حصل قالوا صاحب السلعة تصرف في سلعته لما عرفوا عظمة المشتري وقدر الثمن ، الثمن غال جداً انظر إلى من يشتريها لو اشتراها القراء فهي سلعة رخيصة ضعيفة لو اشتراها الأغنياء فهي سلعة غالية أما السلعة التي يشتريها المملوك فقط فهي غالية جداً فكيف بسلعة يشتريها رب العالمين تبارك وتعالى ؟ { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواهم بأن لهم الجنة } فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وهو الجنة عرفوا فضل السلعة وقدرها لأن الثمن عظيم جداً والنفس لها قدر خطير فلما عرفوا دلالة من جرى على يديه عقد التبائع ، الذي جرى على يديه عقد التبائع هو الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بايع عن الله عز وجل وجبريل عليه السلام المبلغ عن الله للنبي صلى الله عليه وسلم فمحمد وجبريل عليها السلام أشرف الرسل من البشر ومن الملائكة هما اللذان جرى على أيديهما عقد التبائع فعرف المؤمنون قدر السلعة وعرفوا أن قدر النفوس المحبة لها شأن عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا لما عرفوا قدر المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبائع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا فأروا من أعظم الغم أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، هذه هي النفوس المحبة لا النفوس المتغالية الكسولة البعيدة عن الخير ولا التي لم تتصف بالصفات التي ذكرها الله عز وجل { التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين } إذا هذه هي السلعة المطلوبة هذه السلعة التي إذا وجدت قبلها الله سبحانه وتعالى واشترها ولا يشتري سلعة رديئة ليس فيها من هذه الصفات ، رأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها بيعة خاسرة أن يبيعوها لغير الله بثمن بخس شيء من الدنيا أن تعبد نفسك لغير الله وأن تعبد عمرك وأوقاتك ونفسك ، عمرك ونفسك عبارة عن ساعات دقائق وثواني هذه إذا بعتهما بثمن بخس فأنت تنفق عمرك لحظ من حظوظ الدنيا لما عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا عرفوا أن من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقبل ولا نستقبل عقدها مع الله عز وجل بيعة بالتراضي دون أن يثبت خيار لا يقول واحد منهم أنا قد أرجع في البيعة أو أعطني الخيار قد أكمل البيعة أو لا أكملها ، المتردد في أخذ السلعة يقول أعطني لي فرصة أو سأرد عليك بعد يومان يطلب أجلاً ينتظر لأنه يقول لي خيار يمكن أن أرجع في البيع فهو لا لم يعقدوا هذه البيعة مع الله مع ثبوت خيار ، لا بل إذا بدأ الطريق لا بد أن يكمله ، أكمل البيعة ولا بد أن يسير في الطريق إلى النهاية ليس عنده احتمال أن يرجع فيها ،

والله لا نقيلك ولا نستقيلك كلمة الصحابة رضي الله عنهم في بيعة العقبة للنبي صلى الله عليه وسلم لما تمت البيعة قالوا والله لا نقيلك شبه كل بهم كل من باع مع الله تعالى يقولون لا نقيلك أي لا نقبل منك أن تفسخ العقد معنا لا نقبل أن تستعمل غيرنا لا نقبل أن تبائع غيرنا دوننا ، نقيلك يعني يقول سوف أرد لكم السلعة ولا أخذها يقولون لا بد أن تستمر البيعة ،

ولا نستقيلك : لا نطلب منك أن تفسخها ولا بد من استمرار العقد فلما تم العقد وسلموا المبيع سلموا النفوس ليفعل بها ما يشاء ويضعها حيث أراد مهما كان فهم يحققون العبودية لله عز وجل في كل أمورهم

قال " لما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم منذ صارت نفوسكم وأمواكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها " بيعة عظيمة الربح لأن النفوس حين ملكتها الله ردها الله عليك والأموال ردها الله عليكم قيل لهم خذوها مرة أخرى أضعافاً مضاعفة لن تضع عليكم مثلما اشترى النبي صلى الله عليه وسلم من جابر الجعفي وأعطاه ثمنه وزاده ثم رد عليه جملة معاملة بالكرم فالله عز وجل أكرم الأكرمين والله أخذ من المؤمنين أنفسهم وأمواهم وردها عليهم أوفر ما كانت أكمل وأكثر مما كانت عليه قبل البيع وأضعافها معهم ، من قتل منهم قال الله عز وجل { ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون } لما بذلوا الحياة أعطاهم الله حياة عالية أكمل منها بكثير حياة الشهداء ، من عاش منهم عاش أكرم حياة نسأل الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله فهذا في حق من بذل لله عز وجل عوضه الله أن عاش في الدنيا كريماً وعاش في البرزخ حياً أكمل من حياة الدنيا ثم في الآخرة أكمل حياة عنده سبحانه وتعالى

يقول ابن القيم رحمه الله " إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدر المنتهى " سدر المنتهى التي تصعد إليها الأعمال وفروع الحب أعمال المحبين صاعدة في كل وقت إلى سدر المنتهى أعمال مقبولة ومفتوح لها أسباب السماء ،

هذه المحبة موجودة في القلب شجرتها في القلب من أجل الإيمان لأن الإيمان أصله الحب والإخلاص والاتباع فأثمرت أنواع الثمار كلها وآتت أكلها كل حين أثمرت الأعمال والأقوال الطيبة والأخلاق الطيبة وآتت أكلها آثار حب الله في القلب تظهر كل وقت وأصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدر المنتهى هذه الشجرة شجرة المحبة في قلب العبد المؤمن وأعماله تصعد إلى الله تعالى لأن سدر المنتهى تقبض فيها وعندها الأعمال فلا يزال العمل الصالح يصعد مقبولاً يفتح له أبواب السماء لا يرد في وجهه ،

هذا بعض ما اقتبسناه من كتاب ابن القيم مشروحاً ،

فالحبة حقيقة العبودية وإنما تمكن الأعمال الأخرى من الخوف والحب والرجاء والصبر والزهد والحياء والشوق والإنابة باستمرار المحبة في القلوب والإخلاص والحقيقة شهادة أن لا إله إلا الله نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب من أحبه وحب كل عمل يقرنا إلى حبه ،

## الخوف

نتكلم بعد ذلك عن عبادة من أعظم العبادات أهمية وهي عبادة الخوف وهو الحب والرجاء أجنحة العبادة أركانها لا تحصل العبادة إلا بها كما ذكر الله سبحانه وتعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب } هذا إشارة للحب { ويرجون رحمته ويخافون عذابه } أعظم عبادات القلب التي لا يتحقق الإيمان إلا بوجودها في القلب عبادة الخوف من الله وعدم الخوف ممن سواه كما أمر الله بذلك معلقاً الإيمان على وجود ذلك قال الله تعالى { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم } إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين { يخوف أوليائه أي يخوفكم أوليائه يخوفكم فهذا مفعول ثاني ، المفعول الأول جاء في الخطاب يخوفكم أوليائه أي بأوليائه المفعول الثاني أوليائه ، فهذه الآية تبين النهي عن الخوف ممن سوى الله والخوف من الله وحده لا شريك له وتعلق الإيمان على وجود الخوف من الله تبارك وتعالى ورخافون إن كنتم مؤمنين فدل ذلك على أن من يخف فليس بمؤمن وهذا الإيمان ينتفي بالكلية عند انتفاء الخوف بالكلية ويضعف مع ضعفه ويقوى مع قوته فالخوف من الله عز وجل إذا اكتمل في قلب العبد زال من قلبه كل خوف آخر ، وذلك أن الله تبارك وتعالى جعل الأمن لمن آمن بالله كما قال على لسان إبراهيم { وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } فمن خافه الله آمنه الله ممن سواه وهذا أمر مطرد لازم في القلب بمعنى أنه كلما ازداد الخوف من الله وعظم في قلب العبد زال منه الخوف ممن سواه ولذا فهذا الخوف يكون مع سعادة وسرور مع كونه يزعج الإنسان ويخوفه من موقفه بين يدي الله تعالى غداً وأنه لا يزول معه الرجاء ولا يزال معه الحب فيظل العبد يحقق أنواع العبادة كلها وهذا أمر عجيب لا يحصل من خوف آخر ، كل خوف آخر يجعل الإنسان شقياً تعيساً مضطرب قلقاً لا يستقر له حال تخيل إنسان يتوقع مثلاً أن يهجم عليه في داره لا يأكل ولا يشرب ولا يتنظمن لا يستطيع أن يحيى حياة معتادة ، كلما ازداد خوف غير الله في قلب العبد شقي وتعس وأما الخوف من الله تبارك وتعالى فيجعله في أمن تام من كل من سواه ويصغر الخلق في عينه وفي قلبه ولا يرى لهم أثراً في هذه الوجود يرى أنه مجرد أسباب الله مالكةا وخالقها هو الذي يدبر الأمر كله ولذا لا يعيب المسلم بما فيهم من أسباب يرى أن الله تعالى قدر أن تكون بأيديهم وهو سبحانه وتعالى قدر أن يخوف الشيطان المؤمنين بهذه الأسباب امتحاناً لهم فعند ذلك يوقن أن الأمر من الله عز وجل فيجتمع في ذلك الحب والخوف والرجاء لأن الخوف من الله عز وجل لا يزول معه الرجاء ولا يزول معه الحب فيظل الإنسان في كل عبادة من العبادات التي يؤديها ينتقل بين هذه الأجنحة الثلاثة من عبادة ، الحب والخوف والرجاء فبذلك تقبل عبادته وأما من لم يخف الله عز وجل فهذا لا يقبل له عمل لأنه ليس بمؤمن كما دل عليه مفهوم هذه الآية { وخافون إن كنتم مؤمنين } مفهومها إن لم تخافوني لم تكوني مؤمنين .

الخوف من أولياء الشيطان وإن كان في أصله خوفاً طبعياً من أجل ما معهم من أسباب مادية إلا أن استمراره محرم وذلك أن الله تعالى يتلي عباده المؤمنين بأن يجعل لأوليائه الشيطان من الكفار زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ويمكنهم من إرهاب الناس وتخويفهم امتحاناً لعباده كما ذكرنا فالخوف في أصله خوف طبيعي لكنه يزول بالتوكل على الله تعالى كما دلت عليه آيات سورة آل عمران { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل } فسبحان الله إن مواطن الشدة التي يكثر فيها الخوف عند عامة الناس هي مواطن زيادة الإيمان عند أهل الإيمان لأن هذا الخوف يجبرهم إلى التوكل بطريقة إيمانية يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة الناس الذين يرون الأسباب فقط فيقولون اخشوا هؤلاء احسبوا حساب هؤلاء لأن قلوبهم متعلقة بالأرض ومتعلقة بالأسباب التي فيها وأما أهل الإيمان فإنهم يرتفعون عن هذه الأرض ومن فيها ومن عليها ويؤمنون أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب فإذا ارتفعوا عن الأرض فإنه يرتفعون بآيات الله { وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } قال الله عز وجل { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شننا لفرعناه بها } وإنما يرتفع الإنسان عن الأرض بآيات الله إذا ارتفع عن الأرض ما بأيدي الناس لا يذكر ولا يعد شيئاً رآوا الأرض كلها صغيرة لا تساوي شيئاً رآوا أن الأمر من عند الله سبحانه وتعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فعند ذلك يعظم توكلهم على الله فعند ذلك يزدادون إيماناً قال الله عز وجل { فزادهم إيماناً } لذلك كان من أعظم مواطن زيادة الإيمان استحابة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عندما دعاهم إلى الخروج إلى حراء الأسد للقاء المشركين بعد هزيمة أحد وهم على ما بهم من جراح وألم وفراق أصحابهم وقتل إخوانهم وجرح نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي فرار بعضهم فآلامهم عديده ومع ذلك استجابوا كما قال الله عز وجل { الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل } أي الله كافينا ونعم من توكل الأمور إليه ونعم من يتوكل عليه ونعم من تفوض الأمور إليه حسبنا الله كافينا الله ، الله يكفيننا عدونا ويكفيننا ما أهمنا ويكفيننا من ينقلب علينا فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ألقى الله عز وجل في قلوب أعدائهم الخوف والرعب وانصرفوا دون تحقيق رغبتهم فانقلب المؤمنون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وكتبت غزوة ، غرة حراء الأسد لما استجابوا للنبي صلى الله عليه وسلم عندما أمرهم أن يخرجوا لما بلغه أن أبا سفيان عزم على أن يرجع إلى المدينة لستأصل من بقي بها من المؤمنين فندبهم إلى الخروج فخرجوا على ما بهم من الجراح والألم وقتل من قتل من منهم وقلة العدد بالنسبة إلى عدوهم فكانت غزوة مباركة ازدادوا فيها إيماناً وقوله تعالى { إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه } أي يخوفكم أوليائه وإنما أسلوب قصر ليس ذلك الخوف إلا من الشيطان من كسب الشيطان وفعله هذه الكسب منه لا يملك أن يضر به المؤمنين إذا صبروا واتقوا إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم هذا نهي عن الخوف من غير الله تعالى ولو كان خوفاً طبعياً كما وقع في هذه الغزوة خوف طبيعي فدل ذلك على أن استمرار هذا الخوف الطبيعي واستقراره في القلب لا يجوز وأنه منهى عنه وإن وقع في القلب ابتداءً لآحاد المؤمنين بل للأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهم السلام { قالوا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى } فنهاهما عن الخوف وقال لا تخافا إنني معكما بين لهما طريقة التخلف من



هذه الخوف وهو استحضار معية الله من استحضار معية الله ارتفعت نفسه وارتفع روحه عن الأرض ورآها صغيرة هي ومن عليها فزال عنه الخوف من الناس فأرهم يلعبون لا يزيدون على اللعب فهذه الحياة الدنيا هو ولعب فهم مثل أطفال بأيديهم أشياء يلعبون بها ولا يملكون قوة حقيقية وعند المقارنة نجد الأمر كذلك حقاً قارن بين قوة البشر مثلاً مجتمعاً في أسلحتهم وعتادهم وبين قطعة صغيرة مثلاً من الشمس أو قطعة صغيرة من مذنبات وكويكبات لو أنها اصطدمت بالأرض لدمرتها قارن بين ما بأيديهم وبين القوة المودعة في البحار ، بحر واحد أو بحيرة صغيرة فيها قوة هائلة في المياه لو أنها خرجت على الناس لدمرتهم تدميراً وكذلك القوة الهائلة المودعة في الرياح قوة تدمر كل شيء والبشر لا يملكون شيئاً في الحقيقة هم صغار جداً ضعاف للغاية لا أثر لهم فهم يلعبون فعند ذلك يزداد المؤمن إيماناً وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً قال ( اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ) فهو يلجأ إلى الله ويدرك به في نحور المحرمين والظالمين الكافرين وذلك نقول إن هذا الخوف قد يقع ابتداءً في قلب الولي بل في قلب النبي كما قال موسى وهارون ربنا إنا نخاف وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً فهذا أمر طبيعي في فطرة البشر لكنه لا يستقر ولا يستمر في قلب المؤمن بل يزول بكمال التوكل على الله ووجوده في القلب ابتداءً لا يضر لكن يضر إذا استمر قد يستمر إلى درجات خطيرة فالناس أحياناً يقعون في المحرمات وأحياناً يقعون في الكفر بسبب هذه الخوف واستمراره في القلب لأن الله قد نهي عنه وقال { فلا تخافوهم } فالخوف من الله لأنه شرط في الإيمان والحقيقة أنه ركن فيه كما ذكرنا ذلك من قبل ،

فالناس يتفاوتون في خوفهم من الله تعالى ومنهم من خوفه يمنعه من فعل الحرام ومنهم من يمنعه من فعل المكروه ومنهم من يجعله يؤدي الواجب ومنهم من يبكي خوفاً من الله تعالى كل ما ذكر أمر الآخرة وكلما ذكر عقاب الله ويدفعه إلى أن يفعل كل المسحبات التي يقدر عليها لاشك أن هذا خوف أكمل من خوف الذي يترك المحرم ويفعل الواجب فقط ولا شك أن خوفه أكمل من خوف الذي يقع في المعصية ولكنه يخاف الله تعالى يخاف أن يكفر بخاف عقوبة الخلود في النار وإن كان لا يستحضر في قلبه شدة العقوبة على المعاصي فذلك أقدم عليها فالناس يتفاوتون في خوفهم من الله ، أما الذي يقول لا أخاف الله ولا يخاف القيامة فهذا ليس بمؤمن أصلاً بل هو كافر ،

وقال تعالى { وادعوه خوفاً وطمعاً } هذه الآية من أدلة وجوب الخوف ، فالله أمرنا بالدعاء المقترب بحال الخوف وحال الطمع أي ادعوه وأنتم خائفون وادعوه وأنتم طامعون في فضله فأوجب الأمرين فقبح الله من يقول لا أعبدك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك فالله يأمرك أنت وإخوانك المؤمنين أن تدعوه خوفاً وطمعاً ذاك الذنديق يقول لا أطمع ولا أخاف فهذا لا يكون مؤمناً لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع فكيف يقول لا أخاف الله والله يأمرك أن تخافه كيف تقول لا أطمع والله يرغبك في الجنة وأنت تقول لا أرغب فيها لو أن ابنك فعل معك ذلك وانت ترغبه في شيء جميل وفي شيء فيه مصلحته وفيه ما يجب فيقول لك هذا شيء تافه لا أريده أأكون في ذلك رضاك أم تسخط عليه أعظم السخط لأنك ترغبه في شيء فيقول شيء لا أريده أو ما هذا الذي اشتريته لي أو تخوفه بأنك سوف تعاقبه فيقول لا أخاف منك حتى لو قال لأني أحبك فيكون كاذباً بل هو لا يحبك الله تعالى له المثل الأعلى ، إذا كان العبد لا يرضى عمن خوفه فلا يخاف فالله أمرنا أن نخاف وهو تعالى يغضب على من لا يخاف ويغضب على من لا يرجوه ولا يطمع فيما عنده وإن زعم حبه فهو كاذب في محبته قال الله تعالى وإياي فارهبون أي ارهبوني وحدي تقدم المفعول إياي بالاهتمام والاختصاص واصلها فارهبوني انفصل الضمير وقدم للاهتمام والاختصاص لأن الله وحده هو الذي يرهب منه والرهبة خوف مع هرب وفرار ، الرهبة نوع من أنواع الخوف لكنه مع خوف لكنه مع هرب خوف مع هرب بين الكلمتين الرهبة والهرب تشابه في الحروف فالرهبة فيها خوف وفيها تعظيم وفرار من الله تعالى إليه لأنه لا يكون الفرار منه إلا إليه أنت تفر من غيره إلى من هو أقوى وإلى من يؤمنك عنده والله لا يجار عليه الله يجبر ولا يجار عليه فلا يمكن أن يفر المؤمن إلا إلى الله عز وجل قال الله تعالى { ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين } قال الله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } الخشية أيضاً من أنواع الخوف فهي خوف مقرون بعلم ومعرفته { إنما يخشى الله من عباده العلماء } هذا يستوجب الخشوع والخضوع والإنكسار والله مدح الذين يخشون ربه في مواضع عديدة قال تعالى { إن الذين هم من خشية ربهم يشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم برهيم لا يشركون والذي يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } وبدأت هذه الصفات بذكر الخوف وانتهت بذكره كذلك مع ذكر الوعد الصادق لمن خاف الله تعالى { إن الذين هم من خشية ربهم يشفقون } فهذا هو الخوف الأول من صفات المؤمنين فيشفق على نفسه وعلى أهله يشفق من خشية الله تعالى لأنه يعلم أن عذاب الله شديد ويعلم أن موقفه بين يدي الله تعالى غداً موقف عظيم فهو يشفق على نفسه كما يقول المؤمنون يوم القيامة إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فكانوا غير مطمئنين في هذه الدنيا وإنما حتى وهم بين أهلهم يتذكرون موقفهم بين يدي الله ويتذكرون عقابه ويتذكرون حسابه والمسألة ويخافون عقابه ويخافون سوء الحساب فهم يخافون أن يحاسبوا حساباً عسيراً ولذلك يطيعون الله ويتبعون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشفقون من خشية ربهم لعلمهم بالله ولعلمهم بما فعل بأعدائه عز وجل لأن الخشية خوف مقرون بعلم ولعلمهم بأن الله تعالى إذا غضب على أحد لم يغم غضبه شيء فيخافون وهم مشفقون لأنهم لا يأمنون مكروه يعلمون أنه يستدرج أعدائه وأنه ينتقم منه وأنه من أمن مكروه فقد خسر وأنه يصيبه من العذاب من حيث لا يشعر ومن حيث لا يحتسب { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون }

وذكر عز وجل بقية صفات المؤمنين فقال في آخرها { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون } يعطون ما أعطوا من العمل وقلوبهم مرتجفة خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون وسوف يقفون بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما سألت عن هذه الآية فقالت هم الذين يشربون الخمر ويسرقون في قوله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون قال لا يا ابنة الصديق ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل الله منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات حديث صحيح فهم يفعلون ما أمر الله به من الطاعات وقلوبهم خائفة لأنها سوف تعرض على الله عز وجل وهو المطلع على بواطنهم ومطلع على ما في هذه الأعمال من العيوب الخفية التي غفل الكل عنها ولم يستدركوها ولم يسألوا أنفسهم عنها ربما كانت كاملة في أعين الناس أو في عيونهم فظهر عيوبها يوم القيامة فيشفقون ويجلون ويخافون ألا يقبل الله تعالى منهم فضلاً عن السيئات التي يعملونها فهم خائفون من حسناتهم ألا تقبل وخائفون من ذنوبهم ألا تغفر لذلك مدحهم الله عز وجل وذلك كان هذه الخوف والوجل يدفع إلى الطاعة والمسارة بالخير مع رجاء القبول والخوف من عدم القبول لأن الخوف والرجاء قرينان والوجل والرجاء يرتفعان لأنه يتشقق عندما يذكر الإنسان موقفاً معيناً عند ذكر من يخاف



سلطانه وعقوبته أو لرؤيته فيحصل الأخذ في القلب ، ارتجاف القلب عندما يذكر الإنسان موقفاً معيناً فيؤخذ قلبه أحذته حقيقة تذكر نفسك وقد أفرعك أحد مرة واحدة أو أنك علمت أن ظالماً مثلاً يريد أن فعل بك شيئاً ، تجدهم يقبضون عليك مثلاً فيقع في القلب شيء من هذا الوجع فأما العبد المؤمن فوجله من الله تعالى يحصل له شيء من ارتجاف القلب وكأنه ينصدع أو ينشق من ذكر ربه وهذا معنى الوجع ، نسأل الله العافية

لو أن الناس رأوا قرب الموت عند غرق سفينتهم يحصل لهم نوع من الخوف والفرع الهائل فهذا ارتجاف القلب فإذا رأى الإنسان من يخاف عقوبته وسقوطه فهذا هو الوجع إذا ارتجف القلب عند ذلك فهذا هو الوجع ، المؤمن يرتجف قلبه عند ذكر الله تعالى فهو لا يرى ربه في هذه الدنيا بعينه وإنما يذكره ويستحضر مواقف العذاب التي نزلت بالظالمين وما ينتظر الناس من هول الحساب يوم القيامة وسوء الحساب والعياذ بالله من ذلك ، هذا هو وجع القلب { قلوبهم وجلة } لأنهم دائم التذكر للأخرة ،

وصلى الله على إبراهيم وإسماعيل بينان لله بيتاً ويخافان ألا يتقبل الله منهم فكان من دعائهم { ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم }

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٣٢ - الخوف

نستكمل ما قلنا قد قلناه من ذكر في العبادات القلبية نسأل الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا

في باب الخوف والوجل في قول الله تعالى { الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم } قد ذكرنا أن الوجع هو ارتجاف قلب العبد عند ذكر الله سبحانه وتعالى وذكر عقوبته الوجع المحمود يرتجف القلب خوفاً من الله عز وجل وهو يستحضر مواقف العذاب التي نزلت بالظالمين وما ينتظر الناس منه هول العذاب يوم القيامة وسوء الحساب والعياذ بالله فقلوب المؤمنين وجلة لأنه دائم التذكر بالأخرة وقد قال الله عن إبراهيم وإسماعيل { ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم } صلى الله عليهما بينان لله بيتاً ويخافان ألا يتقبل الله منهما ،

المؤمن في هذا المقام متوسط بين من يركي نفسه وحزم لها بالقبول والجنان والدرجات العلا ويحسب أنه من الصادقين وبين من يجزم لنفسه بعدم القبول ويراه دائماً مرآية فاسدة لا يقبل منها شيء ، هناك مدرسة لدى بعض الزهاد يقول ما وجدت من عملي من شيء ما حسابت نفسي إلا وجدت نفسي مرآياً يجزم لنفسه أنه أسوأ المقبولين أسوأ العاملين وأنه مرآ على الدوام وأنه مستحق للنار وإنما رأى بعضهم وذكر عن بعضهم أنه لما جر برجله ورمي على مزبلة كان من أسعد أيامه وأنه كان إذا أحذته الذي يسخر ويضحك الناس على أنه من العلوج ومن دراسته كان ذلك أبطأ

وأنه كان رجلاً ولما بال عليه كان ذلك أيضاً لنظرتة لنفسه هذه النظرة مثل هذا الكلام ليس هو حال الصالحين من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعضهم

فالحقيقة أن المؤمن متوسط بين هذا وذاك لا يجزم لنفسه بالقبول ويخشى على نفسه من عدم القبول ، لا يقول أنا مرآي حتماً إلا من علم أنه مرآي فعلاً فيه وعلم من نفسه أنه مرآي ، ما عمل هذا لوجه الله ،

لكن يخاف ألا يقبل يرجو القبول وكما ذكرنا هذه ليست المدرسة التي تدم النفس إلى درجة أنه غير مقبول أبداً عند الله وأنه لا يقبل منه عمل وأنه مرآي على الدوام ليست مدرسة أهل الإيمان والصالح الكمل وإنما مدرسة جلد الذات وتعذيبها بأقبل التهم حتى يكاد الإنسان أن يئس من رحمة الله ، كمن يقول أنه ما حاسب نفسه قط إلا وجد نفسه مرآياً نعوذ بالله من ذلك لكن المؤمن يخاف من الرياء ويخاف من السمعة ويخاف من محبطات الأعمال يخاف من المن ويخاف من المحبطات قبل العمل أو بعد العمل أو أثناء العمل

فهناك محبطات قبل العمل الرياء والسمعة

محبطات بعد العمل مخالفة السنة ومحبطات بعد العمل كالمز والاذى وكرفع الصوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يفتي بالباطل وربما كان له عمل صالح قبل ذلك وفتواه الباطلة ورفع صوته على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يحبط عمله

هناك محبطات كثير للأعمال يخاف المؤمن منها وهو دائم النظر إلى عيوب نفسه وخائف من هذه العيوب وهذا جعل الأولياء يخافون من عدم القبول وهم كما ذكرنا وسط بين من يجزم لنفسه بالرياء وبطلان الأعمال وبين من يجزم لنفسه بالقبول ،

المؤمن بين هذا وذاك راج خائف ، الذي جزم لنفسه بالرياء لا يرجو القبول وإنما هو معصية أبتقرب إلى الله بالمعصية ،

وإنما هو يخاف أن يكون فيه نقص ويرجوا أن يكمل الله عز وجل عليه من فضل ويرجوا بضاعة مزجاة

وكما ذكرنا يخاف أن يرجوا الله تعالى منه ويرجوا أن يقبل الله عمله ، يعلم أن عمله فيه عيوب قطعاً وأنه لو حوسب عليه حساباً دقيقاً عسيراً لابد لكن يرجوا الله أن يقبل منه على سبيل التجاوز وأن يكون فيه بعض الخير يقبل من أجله كحال أخوة يوسف الذين قالوا { وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا } كان طمعهم في الكرم والمؤمنون يطمعون في كرم الكريم أكر الأكرمين سبحانه أفضل من طمع أخوة يوسف في كرم عزيز مصر وهو أخوهم وقد قال الله سبحانه وتعالى أيضاً في أدلة خشيته عز وجل قال { أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين } يحذر الله عز وجل عباده المؤمنين أن يخشوا الكفار والمشركين وأن يتركوا الجهاد من أجل خوفهم منهم وخشيتهم وأمر الله تعالى بخشيته وبين أنه أحق أن يخشى الله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، وهذه الآية تتضمن نفس المعنى المذكور في قوله { وخافوني إن كنتم مؤمنين } فهو بمعنى أن الإيمان يلزم منه وجود الخوف والخشية من الله ولو زال الخوف وزالت الخشية من الله عز وجل زال الإيمان وقال تعالى { ولمن خاف مقام ربه جنتان } كل هذا في أدلة وجوب الخوف من الله ومدح من خاف الله عز وجل ، ومدح الله في هذه الآية من خاف مقام ربه ووعد بالجنة التي يأمن فيها جنتان جنة من ذهب وجنتان من فضة جنتان آينتهما من ذهب ومن فضة هؤلاء أصحاب أعلى المقامات ، { ولمن خاف مقام ربه جنتان } هؤلاء الذين هما من ذهب هما الأعلى لأن الله قال { ومن دونهما جنتان } فالجنتان الأولىان هما للسابقين ، والجنتان من دونهما جنتان للأبرار ، وجنتان من ذهب لأصحاب أعلى المقامات وهم السابقون لأن الله قال بعد ذلك { ومن دونهما جنتان } فدل هذا على أن السابقين إلى الله يخافون من الله لا كما يقول غلاة التصوف أن الخوف من الله من مقامات العوام لا من مقامات الخواص ولا خواص الخواص يعني عندهم أن هذا الخوف من أحوال الظالمين لأنفسهم فقط أما الخواص وخواص السابقين فليس عندهم خوف نعوذ بالله ، ((سامح الله الأخ صاحب التليفون يأخذ الناس بعيداً عما ينبغي أن يكون ))

قال وأما مقامات الخواص عندهم فيزول بها الخوف بالكلية ولا يبقى إلا الهبة التي هي التعظيم وليس كذلك إن المؤمن كلما ازداد صلاحاً وسبقاً خاف الله تعالى أكثر وخاف أن يضيع ما قرب به الله تعالى به وما اختصه الله تعالى به كلما اقترب ازداد خوفه حتى يأمن بأن يدخل الجنة وأن يسمع قول الله عز وجل يعابدي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، هنا يأمنون وقبل ذلك لا يزالون ي خوف ورجاء وإنما يزول الخوف إذا سمعوا الكلام من الله لا خوف عليكم اليوم ، لكن كلما ازداد قرباً علم مدى عظمة القرب من الله علم مدى نعيم القرب من الله فيخاف أن يبعد ويخاف أن يطرد فإذا قال اللهم اغفر لي وارحمني فهو يرجو أن يرحمه الله بأن يوفقه للذكره وشكره وحسن عبادته يخاف أن يبعده الله ولذلك ذكر الله عز وجل عذاب المعذبين بالبعد في مرات عديدة قال عز وجل عن قوم نوح { قيل بعداً للظالمين } { قيل بعداً لعاد قوم هود } وقال عن مدين وثمود { ألا بعداً للمدين كما بعدت ثمود } فالبعد من الله عز وجل هو العذاب فالمؤمن إذا اقترب أدرك معنى البعد فخاف أكثر خاف أن يبعد خاف أن يحرم خاف أن يحجب فهو لا يزال خائفاً كلما ازداد قرباً ووعد الله من خاف مقامه النصر في الدنيا والآخرة قال { ولمن خاف مقام ربه جنتان } وقال عز وجل عن جزائهم في الدنيا { وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد } فلا انتصار للمسلمين أبداً إلا بخوف مقام الله وخوف وعيده كلما ازدادنا خوفاً من الله تعالى وخوفاً من مقامه وخوفاً من عيده اقتربنا من النصر والتمكين ومن إجابة الدعاء لأن الله قال عقبها { واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد } أي دعت الرسل ودعت الأنبياء والأولياء دعوا الله عز وجل واستفتحوا أي طلبوا الفتح طلبوا أن يحكم الله بينه وبين أقوامهم عندها خاب كل جبار عنيد فمن استحضر أمر الآخرة عظم الله عز وجل وخاف مقام الله وخاف وعيده فعندما يدعوا يخيب أمام دعوته كل جبار عنيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد دعوته لها أثر عظيم يخيب بسبب دعوته واستفتاحه وهو طلب الفتح من الله عز وجل مثل قول شعيب { ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين } أحكم وافصل بيننا فإذا فصل الله وهو خير الفاصلين حكم لعباده المؤمنين وأهلك الظالمين وخاب كل جبار عنيد في الدنيا والآخرة لذلك عندما ينتصر المسلمون ينتصر المسلمون بوجود هذه الطائفة فيهم الخائفة من الله عز وجل التي تخاف مقامه وتخاف وعيده وتذكر أمر الآخرة والقلوب الحية هي التي تتغير بها الموازين والتي يثبت الله بها من يثبت كما ذكر سبحانه وتعالى في مقام الرجاء { قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله } ما ذكرهم الله بوصف مقدم على وصف الذين يظنون أنهم ملاقوا الله يقولون بلقاء الله لقاء الذي يشغلهم ويرجون لقاءه سبحانه وتعالى ويجوبون لقاء الله عز وجل فباكتمال أحوال القلوب تغيرت الموازين بفضل الله عز وجل { هزمهم بإذن الله } ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله مقدماً على أن تلقوا عدوهم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق في سبيل الله وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله ) ليس مجرد تحريك اللسان لا شك أن الجهاد أعظم الأعمال لكنه من السابقين ممن خاف مقام ربه ممن ذكر الله فخافه وذكره فرجاه وذكره فأحبه لأن الذكر أمور الآخرة هو الذي يترتب عليه هذه الأحوال ،

ذكر أسماء الله وصفاته وعقوبته بالكفرة ونعيمه وإنعامه وتفضله على أهل الإيمان هو الذي يجعل القلب ذاكرة خائفاً راجياً محباً لهذا ينتصر أهل الإيمان وذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ( سبق المفردون قيل ومن المفردون يا رسول الله قال الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ) فإنما يحصل الخوف والإخلاص والحب بذكر الله بذكر أسمائه وصفاته بذكر وعيده وعقوبته بذكر موقف العبد بين يدي الله خوف مقام الرب عز وجل فسر على معنيين كلامها متلازم

الخوف من مقام الرب على عبده بالاطلاع والقدرة والربوبية إذا مقام ربه أي مقام الرب عليه قيوم عز وجل فهذا مضاف إلى الله عز وجل لأنه هو الذي قام على عبده ففعل الرب هو القيام القيوم القيم بأمر السماوات والأرض القائم على كل نفس بما كسبت فخوف مقامه بمعنى ذلك فهو مطلع عليه قادر عليه وأنه الذي يدبر أمره قائم على كل نفس بما كسبت وهو الذي يقول عليه بالحساب وهو قائم عليهم بما كسبوا يعلم ما يفعلون

183

يقولون عبادة العبيد هذه عبادة تأنف عنها نترفع عنها ، أرفع أنتم من الملائكة أحسن حالاً من الأنبياء ؟ نعوذ بالله ، قال الله تعالى { وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } فهم مشفقون وخائفون خشية الله عز وجل بسبب خشيته مشفقون من عذابه أما الأنبياء فيقول خير الخليقة على الإطلاق صلى الله عليه وسلم ( أما والله إني لأتقاكم بالله وأشدكم له خشية ) الخشية خوف مقرون بعلم فإذا كان أشد الخلق وخير الخلق صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية الله هل هؤلاء المبتعدون الضلال يرتفعون فوق منازل الأنبياء يسمون عبادة الخوف عبادة العبيد ترفعاً عنها ويقولون عبادة الرجاء عبادة التجار وعبادة الحب عبادة الأحرار لا شك من يسمع هذه الكلمات سيقول لماذا أن أجعل نفسي مع العبيد أنا أريد أن أكون حراً لماذا أجعل نفسي مع التجار أنا أحب أن أكون حراً هذا الأسلوب في ذم للمنزلتين ومدح للأحرار فهذا قد نصب المعركة بين أجنحة العبادة الثلاثة بين ما لا يمكن أن تتم العبادة إلا به وجعلها أنواعا متخاصمة لا متلازمة فالأنبياء يخافون من ربهم حتى يقول كل واحد منهم يوم القيامة إلا النبي صلى الله عليه وسلم ( إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله نفسي نفسي يذكر ذنبه ويقول اذهبوا إلى غيري ) إذا كان إبراهيم عليه السلام وهو الخليل يقول ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إذا كان إبراهيم يخاف من الخزي يوم القيامة أهؤلاء يكونون أفضل من الأنبياء ؟ ! لذلك صدق من قال من السلف من عبد الله بالحب وحده فهو ذديق هذا كلام يدل على أنهم ليسوا مؤمنين ولم يقرأوا القرآن مؤمنين به لو قرأوه مؤمنين به فأحسن أحوالهم أنهم غفلوا وفكروا بعقولهم وعواطفهم الجاهلة فقط والله يخوفك وتقول لا أخاف !!

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون { فسخافات هؤلاء القوم في هذا المقام مقام الخوف فظيعة فمثلاً ينقل عن أحدهم أنه يقول وددت أن لو قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم فسأله رجل ولما ذلك يا أبا يزيد قال إني أعلم أن جهنم إذا رأيتي تخمد فيكون رحمة بالخلق ! أنظر إلى الإحرام والعباد بالله والله العظيم إحرام ، الأنبياء يقولون نفسي نفسي وهذا يقول إن جهنم لما تره سوف تخمد نعوذ بالله من الضلالات الفظيعة التي تخرج من الملة والتي تدل على مدى الانحراف هؤلاء الضلال من الصوفية فزوال الخوف من القلب يستلزم الأمن من مكر الله وهذا لا يكون من مؤمن أبداً فكذا الكلمات المنسوبة إلى بعضهم اللهم إن كنت تعلم أي أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها وإن كنت تعلم أي أعبدك حباً في جنتك فاحرمينيها وإن كنت تعلم أي أعبدك حباً مني لك وشوقاً لوجهك الكريم فأبحني واصنع بي ما شئت ، كذبوا والله يعني يقول اجعلني اراه وافعل ما شئت نعوذ بالله هذه الكلمات المنسوبة إلى رابعة العدوية والله أعلم بصحة هذه الكلمات لأن كل كلمة لم تنقل بأسانيد نحن لا نتكلم على أشخاص بأعيانهم هو أعلم عز وجل بهم لكن نتكلم عن منهج يدرس للناس ويقال لهم أن هذا هو الذي ينبغي أن يكون أن هذا هو المقامات العالية فالكلمة المنقولة بهذه الكلمة فظيعة ، النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل ( كيف تقول في الصلاة قال أتشهد وأقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها دندنتك ) هو وأصحابه يدندن حول أسألك الجنة أعوذ بك من النار فاللهم نسألك الجنة ونعوذ بك من النار فهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يترك في دعاء كلما دعاء دعاء فيه اللهم آتنا الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، فهؤلاء يقولون اللهم إن كنت أعبدك طمعاً في الجنة فاحرمني منها نعوذ بالله ألا تريد الجنة ! ، آخر يقول إن من عبد الله طمعاً في الجنة فقد أشرك هذا كفر والعباد بالله ، يقول لأن الله تعالى يقول { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } والجنة أحد فمن طلب الجنة فقد أشرك نعوذ بالله يقول نحن لا نشرك ولا نطلب الجنة ، نعوذ بالله ، نصبوا الصراع والمعرفة بين أجنحة الإيمان الثلاثة حتى وقع في ذلك بعض المتأخرين من شراح الأحاديث وذكر من عبد الله بالخوف فهي عبادة العبيد ومن عبد الله بالرجاء فهي عبادة التجار موجودة في بعض الأحاديث ، شراح الأحاديث شرحوا بذلك وقد ذكرنا من قبل كلام النووي رحمه الله في روضة الطالبين أن من قال لا أخاف القيامة كفر وهذا في كتاب الردة وهذا الذي وصف لأجله من قال من السلف من عبد الله بالحب وحده فهو ذديق ، احتار له هذا الوصف الذي هو أشد أوصاف النفاق لأنه يريد أن يهدم الإسلام حقيقة فمن عبد الله بالحب وحده في الحقيقة ماعبده هو يزعم ذلك هو لوعبد الله لاستجاب لذلك لو أحبه لخاف مما يخوفه ولرجا ما يرجيه ويرغبه وكذا من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، الخوارج يغلبون جانب الخوف وسموا حرورية لأنهم خرجوا بخارورة بلدة كان بها أول خرجهم وقتلوا عندها وقالوا أيضاً قال من السلف من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ لأنه غلب جانب الرجاء وفضلوا العمل عن الإيمان فيعبدون الله دون خوف هذا كله بدعة وضلال ولكن من عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد

يجب أن نفرق بين أنواع الخوف

تارة يقع عبادة ويكون خوف تأله وهو خوف سري يجلب إلى طاعة باطنة يعني طاعة داخلية من داخل الإنسان بخلاف الطاعة الظاهرة كشخص يمسك سلاحاً أو سوطاً أو عصي هذا خوف ظاهر ، من خاف منه لأنه يملك أو يمسك السلاح أو العصا أو السوط أو أدوات التعذيب مثلاً فهذا خوف ظاهر يؤدي إلى طاعة ظاهرة أما الخوف السري فهو في الباطن يؤدي إلى طاعة باطنة وهو يتقرب بهذا الخوف إلى من يخاف منه ، صرف هذا النوع لله تعالى من أعظم واجبات الإيمان وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة كمن يخشى صاحب القبر أن يوقع به مكروهاً أو يغضب عليه أو يسلبه نعمة كما هو واقع في عباد القبور ،

كذلك الخوف من الجن مع من يتقرب إليهم فهو يخاف ما يسميهم . الأسيا . فينتقرب إليهم ويظهر لهم الخوف فيذبح لهم ويسجد لهم ويهين المصحف من أجلهم ويتقرب إلى الجن بما يشاءون والعباد بالله ، هذا خوف باطن لأن الجن غيب فلا يجوز تخويف الأولاد بالعقارب ونحو ذلك لأنه ربما يؤدي في الكبر إلى ذلك الخوف السري ، يعني لا تقل للأولاد العقارب سوف تخرج أو العقارب في الظلمة لأنه إذا ترى على ذلك قد يعفى عنه في الصغر لكن لا يعفى عن الكبير لذلك أمر خطير أن يرى الطفل على الخوف من الظلام أو وجود العقارب مع أننا نوقن بوجود العقارب والمخلوقات والجنية لكن نؤمن ونعلم أنها ضعيفة عاجزة لا تملك شيئاً ، هي في الأصل تخاف من مؤمني بني آدم كما قال الله عز وجل { إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } يعني إبليس شخصياً ورئيس كل هذه الشياطين الماردة كيده ماذا ؟ ضعيف ، إذا كيف تخاف منه بل هو الذي يخاف كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( إن الشيطان يفرق منك يا عمر ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره ) فإذا كان يخاف من مؤمني بني آدم فكيف يكون المؤمن خائفاً من الجن

المؤمن له نصيب من الإيمان كما لعمر رضي الله عنه بحسب درجات الإيمان والشيطان يخاف ويفر من عمر ويخاف من أهل الإيمان كلهم وانظر إلى خوف الكفرة من المسلمين رغم ضعفهم ، الواقع الحالي تجد رعب عظيم من المسلمين والإسلام والمسلمين أصلاً في أشد حالات الضعف لو قارنت مثلاً قوة المسلمين في زماننا بقوتهم حتى في الدول المتأخرة ، الدولة العثمانية مثلاً أيام مثلاً التتار فضلاً عن الدول التي كانت تملك العالم مثل الدولة الأموية والدولة العباسية الأولى فضلاً عن عصر الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا لا يقف أمامهم أحد ولا يقف أمامهم شيئاً التي دمرت عروش قسرى وقبصر فتتدبر حال المسلمين اليوم في ضعف شديد والكفرة في قوة شديدة في الظاهرة عندهم أسلحة شديدة نووي وكيمياوي وأقمار صناعية وتجد رعب عجيب من الملتزمين بالإسلام شيء عجيب والله حتى العزل منهم الذين يتكلمون فقط ويدعون إلى الله عز وجل فانظر إلى خوف الكفرة من المسلمين رغم ضعفهم لتعرف خوف شياطين الجن من المؤمنين لأن الجن أكثر خفة في العقول فأنت تجد المسلمين على ضعفهم يخافهم الناس برعب عجيب وهم عدتهم محدودة وليس بأيديهم قوة والعالم في خوف شديد منهم ، تخيل خوف الجن وهم أشد خوفاً فكيف تخاف أنت ممن يخافك ،

كذلك الخوف من أصحاب القبور ، من يتقرب إلى أصحابها ويظهر لهم الذل والخشوع ويظن أن لهم سمعاً محيطاً فذلك بسبب خلل عظيم في اعتقاده ،

هذا خوف العبادة ، خوف سري يدعوا إلى طاعة باطنة ويتقرب بهذا الخوف إلى من يخاف

صرفه لله توحيد وصرفه لغير الله شرك أكبر

تارة يقع الخوف طبيعة وعادة وهذا الخوف الثاني

وقد ذكرنا من يخاف مثلاً ممن يمسك سوطاً أو سلاحاً كمن يخاف من سبع أو أي خطر كمن تغرق مركبه مثلاً أو خاف من حريق اشتعل هذا ليس خوف عبادة ، الناس لما تجد نار تخاف ولما تجد مركب تغرق تخاف ، لا ينافي الإيمان أن يقع في القلب ابتداءً هذا النوع من الخوف ،

لماذا نقول ابتداءً لأنه لا يستقر في القلب ، قد يقع في قلب الأنبياء بل وقع بالفعل والأولياء لكن يذهب الله بالتوكل واللجوء إليه ، قد قدره الله سبحانه وتعالى عليهم ليكونوا أسوة لنا حين ينزل بنا الخوف ،

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً قال ( اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم )

قال عز وجل { قالوا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى } وجوده في القلب ابتداءً لا يترتب عليه ترك واجب ولا فعل محرم بل سرعان ما يزول بالتوكل على الله ، نهي الله موسى وهارون عن استمرار الخوف قال { لا تخافا } كذلك النبي صلى الله عليه وسلم لجأ إلى الله

فإذا وقع الخوف الطبيعي في القلب لا يضر ما لم يستقر ، إذا استقر في القلب واستمر دائماً يؤدي إلى ترك واجب وفعل محرم أو أحدهما ، فلذلك استمراره في القلب ضرر عظيم ، لذلك قال الله عن الأعداء الظاهرين والذين يخاف خطرهم { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين } قضية الخوف من الأعداء من أعظم الأمور خطراً أن تكون مستقرة في قلب مؤمن على الدوام ، يمكن أن يقع في قلبك يبادر إلى التوكل حتى لا يترك الواجب ولا يفعل المحرم إلا لو أكره ،

هناك فرق بين الخوف والإكراه ،

الإكراه له ضوابط شرعاً حتى يصبح أنه مكروه

قال الله تعالى { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } لكن هناك فرق بين الإكراه وبين الخوف ، ليس كل خوف يكون إكراهاً

من شوط الإكراه أن يكون فوراً ومن شروطه أن يعدوا عن التخلص ولو بالفرار ومن شروطه أن يغلب على ظنه أن يقع به ذلك ،

فقد يظل حياته كلها مرعوباً بمجرد أنه عرف أن اسمه وصل إلى أهل الظلم مثلاً ،

في واحد مجرد أن اسمه عرف يترك الصلاة يترك المسجد يترك طلب العلم يترك الدعوة إلى الله يترك كل الواجبات وربما فعل الشرك والكفر وبعضهم فعل ذلك لكي لا يكتب اسمه عندهم ،

لمجرد أن يقال له ما اسمك في أي المساجد تصلي يترك الواجبات كلها ، وهناك من ينهاه عن التدين بالكلية لأنه سوف يعرف اسمه أو سوف يعمل له ملف فلا يصلي في جماعة أو لا يطلب العلم ولا يدعوا إلى الله ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ويترك الجهاد الواجب لا يجاهد العدو ويظل خائفاً مع أن معه من لا يغلب لو كان مؤمناً حقاً ،

إذاً ليس كل خوف يكون إكراهاً ، إذا لم توجد شروط الإكراه المعتبرة شرعاً لم يكن خوفاً ، لم يكن إكراهاً معتبراً وكان هذا الخوف الذي أدى إلى ترك واجب وفعل محرم ،

كذلك الذي يفر من الزحف مع كونه معه السلاح والآخرين معهم سلاح فهو قد فعل كبيرة من الكبائر وقد فعل محرماً لأن الخوف الطبيعي لا يؤدي إلى ترك واجب أو فعل محرم بغير إكراه ، إن أدى إلى ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم مذموم لأن الله قال { لا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين } لكن هذا من باب المعاصي ، هل يمكن أن يصل إلى الكفر ؟ يمكن أن يصل إلى الكفر ، لو أدى إلى أن يفعل الكفر إرضاء لمن يخاف منه دون أن يكون هناك إكراه معتبر كمن يقال له إما أن تقرب شيئاً لغير الله وإما أن تقتلك لم يعرضوه على القتل حتى ظن أنهم ممكن أن يقتلوه ولم يقتلوه بالفعل ولم يكن الأمر فورياً وإنما قالوا لن تمر مثلاً ، يقول لا أجد شيئاً أقرب قالوا قرب ولو ذبابة فقرب ذبابة فدخل النار ،

فمن يخاف من أحد وتصور أنه يؤذيه مثلاً يكفر بالله تعالى فيدفعه ذلك إلى الكفر كمن يخاف من الكفار لدرجة أنه لو قالوا له أكفر لكفر وهو مستعد ذلك من الآن يقول لو طلبوا مني أنا سأنفذ دون أن يكرهوه ، كما قال الله عز وجل عن المشركين { ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبسوا بها إلا يسير } بعض الناس وجدهم يمسكون الملتحين وهو كان ملتحمياً وبدأت لحيته في النبت وهذه كانت قصة قديمة وليست الحمد لله موجودة بهذه الطريقة لكن يتصور أن يوجد في أوقات فما أن رأهم حتى سب الدين للذي أمامه لماذا ليعلموا أنه ليس له دخل بالملتحين وليس تابعاً للملتحين المتطرفين إنما هو عيرة مثلاً فتكوه وهو يعلم أن سب الدين عند القوم ليس بجريمة بل هو براءة من التطرف والإرهاب فسب الدين لأجل ذلك وألقى المصحف مثلاً ، بعض الناس في الزمن الماضي أيام عبد الناصر مثلاً إذا دخلوا عليه يحاول أن يرمي المصحف في أي مكان ولو أهانه لأنه لو وجدوا معه مصحفاً لكان ذلك علامة على التدين والتدين نفسه كان جريمة في عصور الاشتراكية ومجرد المحافظة على الصلوات كما هو في بعض الدول الآن في بعض الناس تشعل أنوارها الفجر فقط كل يوم ، وهم لا يصلون بل الصلاة بالبطاقة ، يصنعون لهم كارت في تونس بطاقة لكي لا أحد يصلي في مسجد غير الذي مسجل فيه لو دخل مسجد آخر إمام المسجد يبلغ عنه نسأل الله العافية ، وهناك من الناس من هو مستعد أن يفعل كل شيء والعياذ بالله ، يكفر بالله ويفعل المنكرات ويحارب بالدين والعياذ بالله ولو أمروه بالكفر لكفر فيكون موطن نفسه على ذلك ويقول ماذا نصنع ، دون أن يعرضوا له شيء ولا يفعلون فيه شيئاً لكن هو مجرد الخوف ، هذا الخوف المحرم لو وصل إلى فعل الكفر دون أن إكراه فقد كفره ،

أما إذا كان الخوف بلا سبب أو كان سببه ضعيفاً كما ذكرنا من يخاف من الظلام أو من الحشرات مثلاً لو رأى حشرة صغيرة تجده مرعوب رعب شديد جداً أو شيء ليس له ضرر أو ضرره يسير فهذا مذموم لأن الجبن من الأخلاق الرزيلة قد تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم قال ( اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهزم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات )

#### الرجاء

من العبادات الواجبة عبادة الرجاء ، قال الله عز وجل { إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله } وقال سبحانه وتعالى { من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم } وقال سبحانه وتعالى { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } وذكر رجاء الله عز وجل وذكر رجاء اليوم الآخر { فدل ذلك على أن أعظم رجاء المؤمن رجاءه في ربه سبحانه وتعالى رجائه في نصيبه وفي محبته والقرب منه والنظر إليه وسماع كلامه عز وجل ورجاء اليوم الآخر رجاء النعيم الذي أعدّه الله للمؤمنين في اليوم الآخر { لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } وهذا المعنى إرادة الله كما قال الله عز وجل { يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة } ذكر إرادة الله ثم إرادة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم إرادة الآخرة ، { وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً } فرجاء الله عز وجل ورجاء القرب منه ورجاء النظر إلى وجهه كما قال تعالى { من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } الرجاء من أعظم دوافع الإخلاص من أعظم ما يؤدي إلى الإخلاص رجاء النظر إلى وجه الله كما قال تعالى { وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغار وجهه ربه الأعلى } وسوف يرضى { وقال سبحانه وتعالى { واصبر نفسك مع الذي يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } يريدون وجه الله يريدون النظر إلى وجه الله للتقرب إلى الله ، فرجاء الرب سبحانه وتعالى أعظم الرجاء رجاء اللقاء كما ذكرنا في قول الله سبحانه وتعالى { قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله } الرجاء رجاء لقاء الرب رجاء القرب من الله عز وجل كما يرجو ثوابه كما يرجو رحمته قال الله سبحانه وتعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً } وهو يتضمن رجاء المحسن رجاء المحسن مزيد الإحسان والقرب من الله عز وجل والنظر إلى وجهه ورجاء التائب المبتدئ أن يقبل الله عز وجل توبته وأن يغفر له ذنبه نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا أجمعين وأن يمن علينا لفضله هو أرحم الراحمين ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم



## ٣٣- الإخلاص ... الرجاء .... التوكل

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

من العبادات القلبية عظيمة الأهمية التي يجب على كل مسلم ومؤمن أن يؤديها عبادة " الإخلاص "

قال الله تعالى { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } [الكهف/١١٠]

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ، فهذا على عمومته يشمل الشرك الأكبر والشرك الأصغر الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } [البينة/٥] فأخبر الله أنه أمر السابقين والآخرين بأمر واحد وهو أن يخلصوا الدين لله { مخلصين له الدين } أن يجعلوا لله الدين خالصاً ، الطاعة تكون لوجهه عز وجل وابتغاء مرضاته ، وأما الحنيفية فهو الميل إلى الله والبعد عن غيره .

وقال تعالى { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين } [الزمر/٢] فأمر بالإخلاص في غير موضع .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه )

لا يقبل عمل إلا بنية صالحة خالصة ، وإن نوى غير ذلك لم يكتب له عند الله إلا ما نواه ، وهذا قصر قبول العمل على إخلاص النية لله عز وجل .

والإخلاص هو تصفية الأقوال والأعمال من كل شوائب إرادات النفس .

الشيء الخالص المصفى وهو تصفية الأقوال والأعمال الظاهرة من كل شوائب إرادات النفس .

هناك إرادات عديدة للنفس الإنسانية وهي عميقة الغور وقد تخفى على صاحبها ، ولذا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( الشرك أخفى من ديب النمل ) وقال : ( أخوف ما أخوف عليكم الشرك الأصغر ) فسئل عنه فقال : ( الرياء ) يقوم الرجل فيصلي من أجل الرجل ويصوم من أجل الرجل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا سمي شركاً ، كأنه يعبد هذا الذي يصلي لأجله ، قام ليصلي من أجله ، نسأل الله العافية نعوذ بالله من ذلك .

فشوائب إرادات النفس التي تشوب إرادة العبد وجه الله سبحانه وتعالى ، كطلب التزين في قلوب الخلق ، وهو أن يطلب التزين في قلوب الناس وأن يكون ممدوحاً عندهم في نفوسهم ويطلب ذلك على ألسنتهم وكلاهما من الرياء والعياذ بالله ، وهو أن يطلب منزلة في القلوب تعظيماً وجباً ونحو ذلك أو أن يطلب مدحاً على الألسنة وتكون نيته ذلك ، فمن كان عمله لأجل طلب التزين في قلوب الخلق لم يكن خالصاً لوجهه الله ، ومن كان لطلب مدحهم والثناء عليه يريد الأجر والذكر كما قال الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهاد " الرجل يقاتل يلتمس الأجر والذكر ، وهو الأجر عند الله والذكر عند الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا شيء له ) " ، فمن طلب مدحهم كقولهم عارم أو شجاع أو محسن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الثلاثة الذين تسعر بهم النار أولهم رجل تعلم القرآن وعلمه وقال قرأت فيك القرآن وعلمته للناس فيقول الله تعالى له يوم القيامة كذبت إنما قرأت ليقال قارئ وتعلمت ليقال عالم فيؤمر به إلى النار العياذ بالله ، والثاني الذي جاهد وقتل في سبيل الله في الظاهر فيقول الله عز وجل له كذبت إنما قاتلت ليقال جريء وقد قتل فيؤمر به في النار ، والثالث الذي أنفق ليقال لجواد وقد قتل فيؤمر به إلى النار .

كان أبو هريرة رضي الله عنه يغشى عليه إذا قرأ هذا الحديث ، كان يغشى عليه إذا تلا على الناس هذا الحديث خوفاً من الله سبحانه وتعالى .

وكذلك الهروب من ذمهم ، فمن يهرب من ذم الناس ، إنما قام ليصلي إذا كان وسط أناس يصلون ، فلو أنه لم يصلي معهم لدموه وعابوه فهو يصلي من أجل الفرار من ذمهم ، كثير من الناس يصوم لأنه يكره أن يقول الناس عنه مفطر في رمضان ولا يتقرب إلى الله بذلك ، فهذا الذي يحبط عمله كذلك .

طلب التعظيم لنفسه ، ومن ضمن إرادات النفس أن يطلب أن يعظموه وأن يعامله بطريقة معينة وهيئة معينة يطلبها على الدوام لأنه يرى الناس يعظمون أهل العلم وأهل الدين وأهل التقوى وأهل الجهاد وأهل النفقة فيرغب في هذا التعظيم ويجد أن المجتمع الذي غلب عليه الطاعة أو ظهرت في الطاعة وأنه مجتمع عامته مسلمون يعظمون الطاعات لا ينال فيه التعظيم إلا بذلك فيكون طاعته وفراره من المعصية لأجل أن يعظمه الناس ، أو خدمتهم إياه ، فيطلب أن يخدموه في مصالحه بأن تكون له مصلحة ويعلم أن الناس يخدمون من كان سنياً أو من كان تقياً أو من كان شيخاً أو معروفاً في الدعوة أو نحو ذلك فيظهر ذلك لكي يقضوا له حاجته ويخدموه .

أو طلب الأموال فهناك من يعلم أن الناس يثقون في المتدين فيظهر التدين ليشاركوه أو ليضاربوه أو ليستعملونه في الإجارة أو غيرها لأهم يرغبون في صاحب الدين أو يزوجه ، فإنه ما التزم مثلاً إلا لأجل الزواج من فلانة التي يريد ، فمثل هذا الأمر يناي الإخلاص لأن كل ذلك من شوائب إرادات النفس .

وكذلك من الأغراض الأخفى من ذلك : إرضاء غرور نفسه ، فهو يرى نفسه لا بد أن يكون فوق غيره وأسبق من غيره ولا يخطر بباله مرضاة الله عز وجل أو إرادة السبق إلى الله رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى ولكن لأنه لا تظمن نفسه ولا تستريح إلا إذا كان فوق الآخرين ، فهو يريد أن يرضيها بذلك ويسكن إنزعاجها من سبق غيره فلا يطمئن له حال حتى يسبق الآخرين ، ليس هذا من المسابقة التي أمر الله عز وجل بها ، والفرق بين الأمرين يسير جداً . أدق من الشعرة . ولذا كان الشرك أخفى من ديب النمل ، أعنى من يسابق في مرضاة الله ويجب أن يرى الله منه مسابقته التي أمر بها ويريد أن يسبق إلى رضا الله عز وجل ، وآخر فقط يسكن نفسه ، هذا أمر يسير ، الفرق بينهما يحتاج إلى تفتيش في النفس ويحتاج إلى سؤال دائم ومتكرر ويبقى الأمر بعد ذلك على خوف ، لأن الإنسان لا يدري أخلص أم لا . ولذلك يقول بعض السلف : "لأن أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول { إنما يتقبل الله من المتقين } " فإرضاء غرور النفس والإعجاب بها لأن نفسه لا تكسب إلا نتيجة الشعور بالكمال وراى غيره ناقصاً ورأى نفسه كاملاً فيكمل هذا النقص ، هذا كله في المجتمع المسلم ، سواء كان مجتمعاً كبيراً أو طائفة داخل المجتمع المخالف للشرع ، لأن الناس المسلمون عموماً ولو كانوا عصاه يعظمون صاحب الدين ويرونه أكمل فهو يرى نفسه كاملاً لا يريد أن يرى نفسه فيه نقص ، وعلامة هذا الأمر أنه يفرح بمعصية الله من الآخرين لأن ذلك نقص وهو يتميز بالكمال ، أما المؤمن يكره معصية الله من كل أحد ويجب أن يعبد الله عز وجل في الأرض دائماً وهو يفرح بمن يسابقه إلى الله عز وجل ويحبه في الله سبحانه وتعالى ، وعلامة المسابقة في الله عز وجل أن يحب بعضهم بعضاً ولا يحسد بعضهم على بعض ولا يحقد بعضهم على بعض ، لأن ذلك كله مردد إلى الإعجاب بالنفس ورؤية كمالها والألم من رؤية الغير في الكمال ، فهذا الذي يفسد عليه عمله .

لو أنه يسابق إلى الله كما كان يسابق عمر أبا بكر إلى الله وهو يحبه أشد الحب ويعلم منزلته عند الله عز وجل وينصح له أتم النصيحة ، وكل منهم يبادر إلى التماس العذر لأخيه إذا وقع بينهما شيء كما وقع بينهما مغاضبة يوماً فأغضب عمر أبا بكر رضي الله عنه فبادر إليه إلى منزله فلم يجده فوجده قد ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا بكر فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لما علم أن عمر أغضب أبا بكر فقال : ( هل أنتم تاركي لي صاحبي ) وقال أبو بكر " يا رسول الله أنا كنت أظلم ، يا رسول الله أنا كنت أظلم " شفقة على عمر رضي الله عنه ومحاسبة للنفس مع أن عمر كان هو المخطئ ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان ليغضب عليه وأبو بكر هو الأظلم ، ولكن هذه محاسبة أبي بكر لنفسه ، وهذه صفتهم في الحب والتماس المعاذير والسعي إلى أن يكون كل منهما سليم الصدر لأخيه ، فالإعجاب بالنفس مردد إلى الشعور بالكمال ، ولذلك يفرح بنقص الآخرين كما ذكرنا ، والعايد المسابق إلى الله الممثل قوله { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم } [الحديد/ ٢١] هو الذي يفرح ويجب أن يعبد الله في الأرض وأن تظهر المسابقة في طاعته عز وجل وهو دائماً قلبه معلق على الفوز برضوان الله وأن يكون هو أول سابق إلى الخير ، فكل هذه الإرادات والشوائب الخفية تفسد على الناس أعمالهم فيحتاج المرء دائماً إلى أن يفتش في نفسه ، والنفس تتقلب على الإنسان ، دائماً تريد أن تأخذ حظها من العمل الصالح من الثناء والمدح وليس من ذلك ما دعا به إبراهيم عليه السلام ويدعوا به المؤمنون { رب هب لي حكماً وأحقي بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين } فهو ليس بحثاً عن مدح الناس له بعد مماته وإنما المقصود أن يكون الآخرون من الصالحون يشهدون له ويذكرونه بالخير ليزداد ثواباً عند الله فهم يدعون له ويثنون عليه بالخير وهم شهداء الله في أرضه ، فمن أثنوا عليه خيراً ازداد قربه من الله سبحانه وتعالى ، فالمؤمن يطلب أن يكون له لسان صدق في الآخرين من باب أن يزداد ثواباً عند الله وأن يدعو الله الناس وأن يزداد بهذا منزلة عند ربه سبحانه بأهم شهداء الله في أرضه سبحانه وبحمده .

فلا يتحقق الإخلاص حتى يكون الإنسان لا قصد له في قوله وعمله وجهاده إلا وجه الله عز وجل والدار الآخرة .

والإخلاص أحد شروط العبادة الثلاثة التي لا يتصح إلا بها ، فأولها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال الله تعالى { ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً } [الإسراء/ ١٩] فهذه الآية تضمنت الثلاث شروط التي لا تصح العبادة إلا بها . فأولها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

قال الله تعالى { ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً } [الإسراء/ ١٩] فهذه الآية تضمنت الثلاثة شرط :

{ أراد الآخرة } الإخلاص

{ سعى لها سعيها } الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ وهو مؤمن } فهذا شرط الإيمان لأن الشرك والكفر والنفاق الأكبر محبط للعمل .

وهذه الشروط الثلاثة لا يقبل عمل إلا بها .

من أعظم أسباب تحصيل الإخلاص كثرة النظر والتفكير في الموقف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، وأن يمر على قلبه آيات الجنة والنار ، فذلك يدفعه دفعاً إلى طلب الجنة والفرار من النار ، ثم ليتذكر حبه لله عز وجل فإنه أعظم سبب ليطلب مرضاته سبحانه وتعالى ويعمل من أجله ، ولو كان محباً لغير الله سبحانه وتعالى لعمل له لا محالة ، لكن إذا كان حبه لله سبحانه وتعالى فإنه يدفعه لأن يعمل من أجله ومن أجل مرضاته ، وكذلك يعينه على الإخلاص وأن يتفكر في أن كل عمل لا يرجع إلى الله بالنية فيه عمل حابط منقطع ، وأما من يطلب منهم الثناء سوف ينقطعون كذلك بالموت أو بتقلب قلوبهم على غير ما يريد ويحب ، فلو طلب المدح من الناس ما استمر له ذلك ، بل يجري الله سبحانه وتعالى على ألسنتهم ذمّاً ويفضحه سبحانه وتعالى فيهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ومن رأى رأى الله به ومن سمع سمع الله به ) نسأل الله العافية .

رأى الله به : أرى الناس سوءاته وفضائحه

سمع الله به : جعل يصل إلى أسماعهم ويتكلمون ويتكلم الناس بمذمته وعيب فضائحه ومعاصيه ، نسأل الله أن يعافينا من ذلك .

الغرض المقصود أن من أعظم أسباب الإخلاص انقطاع الأمل في المخلوقين ، وانقطاع الرجاء منهم لأنه يعلم أنهم إلى اضمحلال وإلى فناء ، لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً ، والله الذي يملك قلوبهم ويجريها بما شاء .

من أعظم أسباب الإخلاص كذلك : كثرة التذكر لكثرة ذم الرياء في الكتاب والسنة ، فإنه كلما قرأ الإنسان الأدلة التي ذكرت في القرآن في وجوب الإخلاص وذم من يريد الدنيا . { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا الناس وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون } وغير ذلك من الأدلة التي تدم الرياء والشرك من الكتاب والسنة ، كلما تذكرها الإنسان وطالعتها بين الحين والآخر كلما كره الرياء ، وربما دعا الله عز وجل أن يعيذه منه فيصايف ساعة إجابة ، لذا نقول أيضاً من أسباب الإخلاص في العمل أن يكثر الإنسان في الدعاء كما علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عندما قالوا : وكيف نتقيه . أي الشرك الخفي . وهو أخفى من ديب النمل ، فقال : ( قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : ( وأعوذ بك من الرياء والسمعة والقسوة والغفلة والذلة والعيلة والمسكنة )

أعوذ بك من الرياء والسمعة : أي أعوذ بالله أن يطلب سمع الناس أو يطلب رؤيتهم .

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه : " اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ، لا تجعل لأحد فيه شيئاً "

فالدعاء مع تتبع وانتهاز فرصة لحظات الإجابة يغلب على الظن أن يرزقه الله تبارك وتعالى إجابة لدعائه فيخلص الله .

ثم من لا يقوى على الإخلاص في العلن ويصعب عليه وتتقلب نيته عليه ينبغي أن يدخر بينه وبين الله عز وجل عملاً لا يطلع عليه الناس ، فإن الإخلاص في السر أيسر والأعمال التي لا يطلع عليها الناس أرحى في القبول عند الصالحين ، وكان من السلف من يخفي حسناته كما يخفي الناس سيئاتهم ، وذلك لأن الإخلاص في العلن عزيز ونادر والإخلاص في السر أيسر فيجمل تدريبه على ذلك وشغل قلبه وفكره بالإخلاص لله عز وجل في السر تعويداً له على أن يكون بعد ذلك في السر والعلن سواء ، فيعمل لا يلتفت إلى الخلق ، ومن أعظم أسباب ذلك استحضار أسماء الله وصفاته خصوصاً اسم . العلي والأعلى . واستشعار فوقيته عز وجل وأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، واستحضار أن عمله يصعد إلى الله عز وجل يعرض عليه في الملأ الأعلى ، فلو استحضر هذا المعنى وحده وهو أن الله الذي يرفع الأعمال ويقبلها وأنها تعرض عليه لكان ذلك من أعظم العون له على تحقيق الإخلاص لله سبحانه وتعالى .

والرياء من أعظم محبطات الأعمال ، فالرياء كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم " الشرك الأصغر "

فهذا الرياء قد يكون في أصل العمل وقد يكون في خواطر تأتي على البال بعد بدء العمل :

فما كان من أصل العمل :

إما أن يكون يريد وجه الناس فقط ولا يخطر بباله مرضاة الرب سبحانه وتعالى ، فهذا عمله حابط بإجماع المسلمين . فإن كان هذا في قول لا إله إلا الله كان نفاقاً أكبر مخرجاً من الملة ، وإن كان فيما دون ذلك فهو محبط لذلك العمل ، ويؤمر بإعادته .

وكذلك عند جماهير أهل العلم كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة إذا كان في أصل العمل لغير الله سبحانه وتعالى ، إذا كان يعمل العمل لله وللناس . شركة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : ( أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه )

فلا يقبل الله عزوجل إلا ما كان خالصاً ، لا يريد فيه مع وجه الله عز وجل شيئاً ، لا يريد الأجر والذكر ، لا شيء له ، لا يقبل الله عز وجل منه شيئاً .

فإما إن عمل العمل على الإخلاص ولكن أثنه خواطر الرياء فيلزمه أن يدفع ذلك بكل ما يستطيع ويجاهد نفسه لتخليص النية ويفكر في وقوفه بين يدي الله ليعمل خالصاً لوجهه ، ويفكر في ضعف الناس وعجزهم وما ذكرنا من الأسباب ، فإن اندفع الرياء لم يضره بلا خلاف ، وإن استمر معه فمن العلماء من قال ينقص أجره بقدر ما وقع في قلبه من هذه الخواطر ، ومنهم من قال يجازى بأصل نيته .

والذي يظهر والله أعلى وأعلم أنه لا شك ينقص ، وإن كان لا يمنع أن يجازى بأصل نيته ، ينقص ولكن لا يكون عمله حابطاً بالكلية إلا إذا كان هو الذي يطلب هذه النيات من رؤية الناس ومدحهم ويتلذذ بذلك ولا يمتنع منه ، فرمما أحبط العمل بالكلية .

وهناك بعد العمل خطر التحديث بالعمل لطلب مدح الناس ، ونسأل الله أن يعافينا من ذلك .

وذلك أن محبطات العمل يمكن أن تكون قبل العمل بالرياء ، واثناؤه بالمخالفة ، وبعده بالتحديث به طلباً لرؤية الناس ، وكذلك بالمن الأذى إذا كان في الطاعات المتعدية .

فكما قال الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس }  
 فالذي ينفق ماله رئاء الناس أبطل عمله ، والذي يمن ويؤذي غيره قد أبطل عمله كذلك .

فالمن والأذى محبط للعمل وطلب الرياء محبط للعمل . هذا الرياء قبله والمن والأذى بعد العمل .

وكذا من يطلب أن يمدحه الناس فيقول قد فعلت كذا وكذا وأنا عندي كذا ، ولا يغرنك من هذا ما يفعله الراسخون في مقام الإخلاص من ذكر كمالات النفس ومدحهم لأنفسهم فإنك لست مثلهم ، لا يغرنك أن قال يوسف { إني حفيظ عليم } ولا يغرنك قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ) لأن الراسخون في مقامات الإخلاص الذي شهد لهم رحمهم عز وجل بالإخلاص ، فأين أنت منهم .

والسلف رضوان الله عليهم من ذكر ذلك وهو مشهود له بالجنة ، كانوا من أهل الجنة يمشون على الأرض ، فأنت علمت ما في نفسك حتى تطمئن على مدحها وتركيتها أمام الناس ، وقد علمت قول الله عز وجل { فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى }  
 نسأل الله العافية .

قد ذكرنا في أمر الرجاء في المرة السابقة الرغبة إلى الله عزوجل ، كما قال عز وجل { إنا إلى الله راغبون }  
 قال سبحانه وتعالى { ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبن الله سيرةً حسنةً من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون } [التوبة/٥٩] فالرجاء والرغبة إلى الله سبحانه وتعالى من أهم العبادات ، وقد ذكرنا أن الخوف والرجاء والحب أجنحة العبادة الثلاثة .

وقال سبحانه وتعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى رحمهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا } [الإسراء/٥٧]  
 وقال تعالى { إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم } [البقرة/٢١٨]  
 فرجاء رحمة الله تحصل مع السعي وأخذ الأسباب ، قال الله عز وجل عن آل زكريا { فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين } [الأنبياء/٩٠]  
 وأما حسن الظن بالله : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله )  
 وهذه العبادات متلازمة وبينهما تفاوت يسير ، فالرجاء مبناه على حسن الظن بالله تعالى .  
 الرجاء هو الاستبشار بحجود الله وفضله ، والرغبة إليه في كرمه ومنه ، والطمع في أحسانه وعطائه ، مع بذل الجهد وحسن التوكل .

الاستبشار بجود الله وفضله : أنت تستبشر ناظراً إلى فضل الله عليك وهو أن يقبل منك العمل رغم تقصيرك فيه ورغم ذنوبك فأنت ترجو منه القبول على العمل والبضاعة المزجاة ، وفي نفس الوقت ترغب في منه وكرمه طامعاً في إحسانه وعطائه وتبذل الجهد في طاعته { إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم } [البقرة/٢١٨]

مع حسن التوكل عليه في أمر الآخرة وفي أمر قبول العمل ، فإن الإنسان لا يدخل الجنة بعمله وإنما بأن يتعمده الله برحمته ، إن كان الرجاء وحسن الظن مع الكسل فليس رجاءً وإنما هو تمنى ، قال الله تعالى أنه يقول للمنافقين يوم القيامة { ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور } [الحديد/١٤] فهو الذي يعمل المعاصي ويقول أحسن الظن بالله ، كذب كما قال الحسن البصري : " لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل " ، فأنت كالذي يسافر من بلد إلى بلد ويأخذ إلى بلد ويأخذ بالأسباب التي توصله فيذهب في الموعد ويعد السيارة ويركب فيها ويسير في طريقه داعياً الله عزوجل ان يوصله سالماً ، أما من يركب إلى بلد ثم بعد ذلك يقول أريد أن أصل إلى بلد آخر فهذا متني وليس براج ، وهذا الذي يقع من الكثيرين بأن تغره الأماني أن له عند الله المنازل العالية ، وأن الله طالما أعطاه في الدنيا وغره ستر ربه سبحانه وتعالى عليه لا بد أن يعطى في الآخرة ، ظن أن الله طالما أجرى السنة بعض الناس بالثناء عليه أن ذلك بأنه مقبول عند الله وهو مغرور بما يقوله هؤلاء خصوصاً إذا لم يكونوا من الصالحين ، فغره الأماني ، أماني المغفرة وأماني الفوز بالجنان { ولكن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى } [فصلت/٥٠] فهو حازم بأنه لو كانت آخرة فلا بد أن يكون له الحسنى ، وهو كافر والعياذ بالله .

قال سبحانه وتعالى في صاحب الجننتين { ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تنبذ هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً } [الكهف/٣٥] فكان رغم كفره يظن أن له عند الله عزوجل خيراً منها منقلباً .

أماني المغفرة وأماني الفوز بالجنان لأنه أعطي في الدنيا ، نعوذ بالله من ذلك .

والرجاء رجاء المحسن ثواب ربه على إحسانه وهو أعظم ما يريد أن يقترب من الله عزوجل ، يرجوا لقاء الله ، وكذلك رجاء المذنب التائب قبول توبته والعفو والمغفرة .

من العبادات القلبية عظيمة الأهمية التي كثر ذكرها في القرآن : التوكل على الله عزوجل .

قال الله تعالى { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } [المائدة/٢٣] دل ذلك على أن من لم يتوكل على الله ولو ضعف التوكل ولو توكلاً ضعيفاً لم يكن مؤمناً ، إن اكتمل توكله اكتمل إيمانه وإن ضعف توكله ضعف إيمانه وإن زال توكله زال إيمانه .

قال الله تعالى { وعلى الله فليتوكل المؤمنون } وقدم الجار والمجرور للاختصاص وللإهتمام ، { على الله } أي على الله وحده مثل { إياك نعبد وإياك نستعين } فدم على الله فتوكلوا ، وعلى الله فتوكلوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون

للاختصاص أي على الله وحده

وللإهتمام : لأنه الأمر العظيم الذي ينبغي أن تعتمد عليه ، وأن تجعل التوكل على الله عملك الأرحى عند الله في تحقيق غاياتك .

وقال تعالى { وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً } [الفرقان/٥٨] وهذه الآية تتضمن إرشاد العباد إلى كيفية تحقيق التوكل ن أن يستحضر انقطاع الخلق وأنهم كما أن لهم بداية لهم نهاية ، وكانوا عدماً وأوجدهم الله ثم بعد ذلك يموتون ، فكيف تعتمد على من يموت ؟ وكيف تتوكل على من يموت ؟ فلا بد أن تتوكل على من لا ينقطع { وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده }

كثرة الفكر في جريان الموت على كل مخلوق يجعل الإنسان ينعدم أمله وينقطع طمعه في المخلوقين لأنهم ينقطعون في لحظة لا يملكون لأنفسهم فيها ضراً ولا نفعاً ، لا يملكون البقاء عن أجلهم الذي قدره الله لهم { لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون } ، فأني تعتمد عليهم .

وقال تعالى { إن الله يحب المتوكلين } فرغب عباده في التوكل عليه بأنه يحبهم سبحانه وتعالى ، فالتوكلون يحبهم الله عزوجل وهذا من أعظم ما يجعل المؤمن يتوكل على الله سبحانه وتعالى .

قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب : ( هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربحهم يتوكلون ) فهذا هو الوصف الجامع لهم ، فالذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم الذين توكلوا على الله وحققوا كمال التوكل المستحب بترك الاسترقاء وترك التطير وترك الكي ، ومنه الواجب بلا شك ، فحققوا الواجب والمستحب ، فإن ترك التطير من التوكل الواجب وترك الاسترقاء وترك الكي من التوكل المستحب والله أعلى وأعلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتعود بطاناً ) وهذا التشبيه من أنفع أنواع التشبيه لمن يتدبر ، فإن الطير من الحيوانات التي لا تدخر قوتها وليس عندها أبداً عادة الادخار ، فهناك حيوانات تدخر كالنمل مثلاً تجده يدخر لفصل الشتاء من صف الصيف ، أم الطيور فهي لا تعتمد على الادخار أبداً ، وإنما تخرج كل يوم مع أنها تنام كل ليلة . تغدوا خماصاً فارغة البطون وتعود بطاناً شعباً ممتلئة البطون ، فذلك لكمال التوكل وعدم البحث وعدم القلق وعدم الاضطراب فيما يدبر الإنسان لأمر غد ، بل يترك التدبير رأساً ، يفوض أمره إلى الله عز وجل .

حقيقة التوكل : أن يعلم العبد أن الأمر كله لله وحده وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه سبحانه وحده هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل النافع الضار من غير التفات إلى غيره في شيء من ذلك . هذا هو الجزء العلمي في أمر التوكل ، وهو كلما استحضره الإنسان كلما صغر الناس عنده ، كلما لم يعد لهم قيمة ، فهم لا يملكون لك شيئاً ، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً . لا يملكون ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فلماذا تعتمد عليهم ؟!

لا يلتفت العبد إلى من دون الله سبحانه وتعالى .

كل هذه الأسباب يملكها الله عز وجل .

ثم بعد ذلك عمل القلب وهو أن يعتمد بقلبه على ربه ويستند إليه ويطمئن إلى تديره مفوضاً أمره كله لله في جلب مصالح دينه ودنياه ودفع المضار ، وهو التوكل على الله في أمر الدين مقدماً على التوكل على الله في أمر الدنيا ، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : ( وعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته )

وقد قال سبحانه وتعالى عن أهل الجنة في قولهم { الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله } فهم لا يعتمدون على أنفسهم في الهداية وفي الثبات على الحق حتى يدخلوا الجنة ، لن يدخلوا الجنة بأعمالهم ، إنما الأعمال سبب لنيل رحمة الله وهم يتوكلون على الله في قلبهم على طاعته .

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : ( اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ) فهو لا يعتمد على نفسه في الثبات ولا طرفه علين .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين )

إذا كان خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لو تركه الله لنفسه طرفه عين لهلك فكيف بمن دونه عليه الصلاة والسلام .

إذن هو يطمئن بقلبه ويستند إلى ربه عز وجل ويعتمد بقلبه على ربه مفوضاً أمره تاركاً أمره كله لله يدبره له بالخير في جلب مصالح دينه ودنياه وآخرته ودفع المضار عنه .

والتوكل يتطلب حسن ظن بالله ، هذا التفويض التام يتطلب حسن الظن بالله .

فلن يفوض إليه إلا مع حسن ظنه به . أنت لا تعتمد على من تراه ضعيفاً ، أنت لا تعتمد على من تراه لا يملك أمراً ، أنت لا تعتمد على من تراه بخيلاً ، أنت لن تثق بمن علمت أنه يضيع من فوض الأمر إليه .

فإذا كان هذا في أمر دينك فاستحضر أضعاف ذلك في أمر آخرتك . بمعنى أنك لا بد أن تحسن الظن بالله كرماء فتعلم أنه الكريم وتعلم أنه إذا وعدك أن يكون وكيلك وهو نعم الوكيل إذا فوضت الأمر إليه فلن يضيعك أبداً ، فهو لا يخلف الميعاد سبحانه ومحمد ، وتعلم أنه القوي وأنه الفعال لما يريد ، فإذا أيقنت بذلك وفوضت الأمر إليه فعند ذلك سوف تطمئن وتستريح .

نضرب مثلاً لهذا :

من ذهب إلى رجل ذو جاه أو منزلة فقال له عندي مصلحة في المكان الفلاني فإذا به يقول هذا المكان هذا مكاني أنا وأنا أملكه وهو مصنعي أو شركتي وأنا صاحب القرار فيه وعلى أي حال دع هذا الأمر لي وأنا سوف أكفيك كل ما تريد وزيادة عليه . لو وثقت فيه وعلمت أنه كريم جداً وعلمت أنه فعلاً صاحب المكان وأنه الأمر الناهي فيه وعلمت أنه لا يخلف الوعد وعلمت أنه غني جداً ولا ينقص من ماله ما يعطيك لسترتح واطمأننت غاية الطمأنينة ولنمت قرير البال لا تبحث عما يكون من شأنك غداً ولو حتى فعل خلاف ما تظن من أنك مثلاً كنت تريد وظيفة لم يعينك في هذه الوظيفة فتقول بالتأكيد بحث لي عما هو أفضل وسوف يصنع لي ما هو أفضل .



إذا علمت أن الله أكرم الأكرمين وأنه الغني وحده على الحقيقة وأنه لا يخلف الميعاد وأنه قال { ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً } وأنه حسبنا ونعم الوكيل ، حسب المؤمنين وكافهم ونعم من يتوكل عليه .

وقال أنه وعدك بأنه يكفيك { أليس الله بكاف عبده } وهو الذي لا يخلف الوعد مع كرمه وجوده وكثرة عطاءه ، ولم يخلف وعده مع المؤمنين ولا مع أحد قط سبحانه وتعالى .

فعند ذلك سوف تطمئن ولن تعبء بوجود الأسباب أو باضمحلالها ، وإن صنع بك شيئاً خلاف ما كنت تريد أو تتوقع تيقنت أن هذا الأمر خيراً لك وأفضل . عنده سبحانه الخير كله ( الخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك ) تقول ذلك ملتجئاً إلى الله سبحانه وتعالى .

هذا حسن الظن للضرورة للتوكل ، مبني على معرفة أسماء الله وصفاته .

يشمر العبد الرضا بالله وعن الله .

الرضا به مدبراً رياً يدبر أمرك ، رضيت به وفوضت الأمر إليه ، فإذا توكلت على الله حصل لك ثمرة الرضا .

والرضا عن الله فيما فعل ، كما ذكرنا لو فعل خلاف ما كنت تظن أو ما كنت ترجوا لقلت في نفسك بالتأكيد علم أن هناك أمراً أفضل وأخير لي ففعل لي ما هو الأفضل .

فعند ذلك تطمئن وترضى وتصل إلى درجة الرضا المستحب الذي لا يجد الإنسان معه جزعاً ولا سخطاً قط بل ولا حتى رغبة في تغيير الواقع ، ولا أن يقول ليت كذا كان كذا مكان كذا . لا يقول ذلك أبداً ، فيرضى بالله مدبراً رياً يدبر أمره وعن الله سبحانه وتعالى فيما اختاره له.

التوكل يتطلب حسن الظن بالله ويشمر الرضا بالله وعن الله وهو مع ذلك باذل جهده في فعل الأسباب النافعة كما أمره الشرع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم : ( احرص على ما ينفعك واستعن بالله ) إذن لا بد أن تحرص على ما ينفعك وأنت مستعين بالله .

فالأخذ بالأسباب ليس هو التوكل ولكنه من لوازم التوكل الصحيح .

كثير من الناس يدخل الأخذ بالأسباب في التوكل وليس كذلك ، بل التوكل عمل قلبي ، لكن التوكل الصحيح لا ينافي الأخذ بالأسباب ، لذلك يأخذ الأسباب النافعة ويترك الأسباب المحرمة والمكروهة ، يطلب طلباً جميلاً ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها حتى تستوفي أجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، حذوا ما حل ودعوا ما حرم ) فهو يطلب الطلب الجميل المبني على أخذ الأسباب الحلال وترك الأسباب الحرام الذي لا يحبه الله سبحانه وتعالى ، مع كونه في ذلك لا يعتقد في الأسباب ولا يطمئن إليها ، وعلامة ذلك ألا يضطرب ذلك ويخفق عند إدبار ما يجب منها وإقبال ما يكره .

بمعنى أنه كان مطمئن لما كان عنده رصيد فعند زوال الرصيد هل طمأنينته مستمرة أم لا ؟

لو كان معتمداً ومتوكلاً على الرصيد الذي عنده مثلاً في أمواله التي يدخرها أو في العمل فهذا قلبه متعلق بالسبب ، وأما إذا كان متوكلاً على الله فلن يفترق الحال ، إقبال وإدبار الأسباب عنده سواء ، لكمال التوكل ، لا يضطرب قلبه عند إدبار ما يجب من الأسباب كأن يفقد الأسباب فتجد قلبه مطمئن لهذا المتوكل ، أو أتت أسباب مكروهة فتجد قلبه مطمئن كذلك ، لا يقلق على أمر لأن اعتماده وثقته بالله حصنته من خوف الأسباب أو دعائها أو رجائها ، مع كون الشرع قد أمر بالأخذ بالأسباب وجعل الأخذ بالأسباب واجباً أو مستحباً فلذلك قال العلماء أن ترك الأخذ في الأسباب طعن في الشرع ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أخذوا بالأسباب ، ولبس النبي صلى الله عليه وسلم درعين في حرب ، وخرج يطلب الطعام يوم جاع هو وأبو بكر وعمر فاستضافهم الأنصاري رضي الله تعالى عنهم .

فالأخذ بالأسباب في أسباب الطاعات وفي أسباب المعاش مأمور به ولا يؤمر بالتخلي عن الأسباب ودخول الخرب والصحارى بلا زاد ونحو ذلك مما يفعله من يزعمون التوكل وليسوا بالمتوكلين .

الأخذ بالأسباب أمر به الشرع ، فترك الأخذ بها طعن في الشرع ، والاعتقاد فيها طعن في توحيد العبد .

أعظم التوكل وأنفعه التوكل على الله في نصرته دينه وإعلاء كلمته زيادة الإيمان والعلم ودخول الجنة والنجاة من النار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لم يدخل أحداً عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله في رحمته - أو يتغمدني الله بفضل منه ورحمه . )

فالتوكل على الله في نصرة الدين وانتشار عبادة الله في الأرض توكل الأنبياء والرسل ، وقلقتهم واهتمامهم في هذا الباب ، ولذلك هم يتوكلون على الله عز وجل مع الأخذ بالأسباب ، وإنما يعملون لأجل أن يعبد الناس ربه .

التوكل على الله في زيادة الإيمان في نفسك { وقل رب زدني علماً } ويرغب في أن يزيد الله إيمانه ويقينه فيدعوا الله عز وجل بذلك ، فهو أعظم من التوكل على الله في أمر الأرزاق الدنيوية وأمر الأهل والعيال ، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتوكلين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

### ٣٤- الصبر

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أما بعد

من العبادات القلبية عظيمة الأهمية عبادة الصبر نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المؤمنين الصادقين الصابرين ،

قال تعالى { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقال عز وجل { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين } فأخبر بأنه أمر بني إسرائيل بالاستعانة بالصبر والصلاة وهذه الاستعانة بالصبر معقداً على الصلاة في الموضعين دليل على عظم هذه العبادة القلبية وأن الله سبحانه وتعالى جعلها عوناً للعبد على سائر الطاعات ومرة ذكر فيها فضل الصلاة عقب ذكر الاستعانة ومرة ذكر فضل الصبر فقال { استعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } ففعل الصلاة شاق إلا على من خشع فيها فصارت قرة عينه وراحة قلبه لأن يذكر الله فيها يطمئن قلبه ، ألا يذكر الله تطمئن القلوب وذكر في الآية الأخرى { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين } فذكر معيته سبحانه وتعالى للصابرين ترغيباً لعباده المؤمنين في الصبر وهذا أعظم ما يرغب فيه المؤمنون أن يكون الله سبحانه وتعالى معهم ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ( لا تحزن إن الله معنا ) وقال موسى عليه السلام { كلا إن معي ربي سيهدين } وقال سبحانه وتعالى { لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى } فمعية الله عز وجل أعظم ما يطلبه المؤمنون فذلك رغبا في الصبر لأن الله عز وجل مع الصابرين وهذه معية النصرة والتأييد والإعانة في التقوية أن يقويهم على طاعته سبحانه وتعالى وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا } فهم يصبرون على طاعة الله وعن معصيته وعلى ما يصيبهم في سبيله وهم يصابرون عدوهم ويقفون في مواجهة عدوهم ولا يفرون منهم وهم مرابطون على طاعة الله عز وجل و من أعظم ذلك المراقبة على ثغور المسلمين وقال تعالى { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } والصابرون يوفون أجورهم بلا حد ، هذا أعظم ما ذكره الله سبحانه وتعالى في ثواب الصبر بالأخرة فإنهم ممن لا يحاسبون ولا حتى يعلموا الناس بثوابهم عند الله سبحانه وتعالى { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } وذكر سبحانه وتعالى أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين فقال { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون } ذكر الله ذلك عن بني إسرائيل لما تمسكوا بالكتاب وصبروا على ما أودوا في سبيل الله عز وجل وأيقنوا بآيات الله سبحانه وتعالى وبوعده المذكور في هذه الآيات فالصبر واليقين والثقة بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه وكل ذلك داخل في حقيقة اليقين يكون الناس أئمة في الدين يجعل الله منهم أئمة في الدين فبلا صبر وبلا يقين لا يكون الإنسان إماماً وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر ) قال لما جاء مال للنبي صلى الله عليه وسلم فاستشرف له الأنصار فأتاه ناس فسألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال لما نفذ ما عنده إنه أن يكن من خير فلن أخره عنكم ومن يستعف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر فسبحان الله الصبر عطاء من الله أفضل وأوسع مما أخذ الناس لو أن إنساناً أعطي عطاءً دنيوياً وآخر حرم منه وأعطاه الله الصبر بدلاً من ذلك فعطاء الله له الصبر أعظم وأفضل وأوسع مما أعطى لغيره وهذا يدل على عظم منزلة الصبر وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر وذلك أنه على كل الأحوال يكون راضياً سعيداً مستقراً وهو بذلك يرضي الله سبحانه وتعالى وينال أعظم الأجر وقال صلى الله عليه وسلم ( والصبر ضياء ) فهذا الذي يضيء له الطريق ويعينه فهم ما أشكل عليه وعلى غيره من الناس فإن الصبر يهدي به الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ويبين لهم ما اختلف الناس فيه يضيء لهم سبحانه وتعالى به ويجعله الله عز وجل لهم ضياءً وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ) الحديث الذي يذهب أنواع الغموم والمضايق ويخفف عن كل مكروب كرياً إذا كان مؤمناً ليس ذلك إلا للمؤمن حياته سعيدة على الفقر والغنى على الشدة واليسر في العسر واليسر في الشدة والرخاء وعلى جميع أحواله يعبد الله عز وجل سعيداً راضياً عجباً لأمر المؤمن أمره عجيب ليس مثله أحد وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، الإيمان كالحول الذي يحول كل ما يدخل من هذه الناحية إلى خير تأتي سراء أو ضراء يحولها الإيمان إلى خير وذلك أنه بين نعمة يشكرها وبلية يصبر عليها ولن يخرج حال أحد في هذه الحياة عن الأمرين عن نعمة أو بلية أو الأثنين معاً بأحوال مختلفة فالصبر خير لعبد الله المؤمن الذي يرضى بالله سبحانه وتعالى مديراً معيناً وقال صلى الله عليه وسلم ( إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ) أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ) يتلى المرء على قدر دينه قال وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، كلما زاد بلاءه كلما زاد أجره ، ولو نظر المؤمن إلى هذا الأمر لكانت عليه البلايا والحنن بل لاستعذبه في سبيل الله عز وجل وحب ما اختاره الله سبحانه وتعالى له فيحصل بذلك إلى درجة الرضا لأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فهو يحبهم على إيمانهم ولا بد من بلاء { أحسب الناس أن

يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون } وهذا يبين لنا أن المحبة والرضا والسخط من أفعال الله الاختيارية بمعنى الأفعال التي تتعلق بمشيئته ويمكن أن يجبههم فإذا ابتلاهم فسخطوا سخط عليهم وإن ابتلاهم فرضوا رضي عنهم وازداد لهم حباً سبحانه وتعالى ، فهو يجبههم إذا آمنوا ولا بد أن يتمتعهم ولا يجوز أن تتصور أو تظن أنك تقول آمنت أو التزمت أو سرت في طريق الإيمان وأنت لا تتمتع بل لابد من بلية ومحنة يبتلى المرء على قدر دينه فإن كان في دينه صلابه زيد في بلاته ونسأل الله أن يعافينا وإن كان لا يشرع لنا أن نطلب الامتحان لا يشرع لنا أن نطلب البلاء والحن ولكن نسأل الله العافية والعافية لا تمتنع وجود البلاء من جهة فأنت مبتلى أحياناً بالسراء ومبتلى أحياناً بالضراء ولذا يدعوا الإنسان أن يكون من الصابرين لم يرد في ذلك فيما نعم نحي صحيح لأن هناك صبر على السراء صبر على طاعة الله عز وجل وصبر على شكر نعمه سبحانه وتعالى أكثر الناس لا يصبرون عند الرخاء ولذلك الصبر على الطاعات وعن المعاصي ليس مرتبطاً بالبلاء فإذا سألت الله أن يجعلك من الصابرين على هذا الاعتبار كان الأمر صحيحاً ،

الغرض أن العبد إذا ابتلي بابتلاء فإنه ينظر إلى أنواع العافية الأخرى وأنواع العافية في هذا الابتلاء فلو أن الله ابتلاه مع بقاء دينه ابتلاه في بدنه أو ابتلاه في نفسه أو أنه أصيب في شيء من بدنه أو ماله في سبيل الله فكل هذا مع بقاء الدين عافية من وجه وبلاء من وجه آخر ولا يخلو إنسان من البلاء هكذا الدنيا ، الله عز وجل إذا أحب قوماً لإيمانهم ولقولهم آمنا ابتلاهم فيصيبهم ببعض ما يكرهون فهو عز وجل يحب أن يستخرج منهم عبادته التي يرضى بها عنهم ويمحصهم من نفوسهم فأنت في البلاء تمحص من نفسك من إراداتك الفاسدة مما تخفيه نفسك الأمانة بالسوء عنك مما تحول أن تجعله في أعماق النفس الإنسانية من نوازع وإرادات خفية تريد غير وجه الله عز وجل فعند البلية تتمحص هذه الإرادات ولذلك قال عز وجل عما أصاب المسلمين في أحد { ولیمحص ما في قلوبهم } فكان التمحيص من داخل أنفسهم لأن منهم من كان يريد الدنيا فانكشف الأمر له وعلم أنه كانت تحده نفسه فقال الله عز وجل { منكم من يرد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة } فانتبه من انتبه وأدرك ما فاتته من ذلك كما أنه فيه تمحيص من طائفتهم أعني تمحيص ما في طائفتهم من منافقين عند البلية وعند المحنة ينجاو بالنفاق وتظهر الخصال القبيحة وتظهر الأفعال المنكرة والأقوال المنكرة التي يقولها هؤلاء يخرجون ما في أنفسهم وما يكرهونه من كراهية الحق التي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كما تظهر في هذه الأيام أقوال المنافقين وأفعالهم وكراهيتهم للكتاب والسنة وهذا كله لابد أن ينتفع به المؤمنون لأن فترات الحن فيها أنواع من الخير والتمحيص أحد هذه الأمور حتى لا يجعل من نافق بعد ذلك في أمر المسلمين وإنما أقصى أحواله إن تاب الله عليه أن يكون في آخر الناس ولا يصدر لإمامة في الدين أو في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ( من رضي فله الرض فهذا يدل على أن الصبر يقود إلى الرضا والرضا والصبر عبادتان كلاهما من باب واحد وأن الرضا أعلى قدراً ورحح كثير من العلماء أنه مستحب والفرق بينهما أن الصابر يجد ألماً ويستشعر كراهية بما وقع ومع ذلك يحمل نفسه على الصبر فيحبس لسانه عن الشكوى ويحبس قلبه عن الجذع ويحبس جوارحه عن معصية الله سبحانه وتعالى فهذا صابر كلما تأمل الإنسان حكمة الله سبحانه وتعالى وتدبر في المصالح التي جعلها من وراء الآلام والمكروهات وعلم أن الله أراد به خيراً علم أن الله قدر له خيراً فعند ذلك يذهل عن ألم المكروه فإذا وصل إلى هذا وما تمنى خلاف ما وقع ولا كره ما جرى وصل إلى درجة الرضا فيرضى الله عز وجل عنه يصيبه الله تعالى أولاً معية على صبره ثم يصيبه أعلى من ذلك رضواناً على رضاه فإذا صبر كان معه وإذا رضي رضي عنه وأعلى ما يناله أهل الجنة وأعلى من الجنة رضوان الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يقول الله عز وجل يا أهل الجنة أتريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك ألم تدخلنا الجنة وتجرتنا من النار فيقول بلى أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً ) فرضوان الله عز وجل أعلى من الجنة رضوان الله الذي لا سخط بعده ونسأل الله أن يرضى عنا رضاءاً لا سخط بعده فمن رضي إنما يصل من خلال الصبر لا يمكن أن يزول ما فطر الله العباد عليه من كراهية المولم وحب ما يلذ لكن لنكر الإنسان إلى جمال وجلال وعظمة ما قدره الله سبحانه وتعالى من الحكم فعند ذلك يسلم إلى الله ولنا عبرة في من نظر إلى جمال فأذهله عن الألم في قصة النسوة لما نظرن إلى جمال يوسف لم يشعرن وهم يقطعن أيديهم وإذا كان هذا واقعاً في الدنيا أليس يحصل في أمر دنوي أفلح يحصل لعباد الله المؤمنين فيما يكابدونه ويعانونه من ما يصيبهم في سبيل الله ؟ وهم يرون أنواع الخير والنعيم الذي ينالهم أثناء ما يصيبهم فعند ذلك قد وجد أنس ابن النضر رائحة الجنة وهو يقاتل يقول يا سعد ابن معاذ واهل لرائحة الجنة والله إني لأجده دون أحد ، يقسم أنه يجد ريح الجنة دون أحد أقرب من أحد وهم على جبل أحد وهم في وسط المعركة ولكنه وجد رائحة الجنة ولذلك لم يلتفت إلى بضعة وثمانين ضربة لم يجد شيئاً منها قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يجد الشهيد من ألم الموت إلا كمنس القرصة ) فسبحان الله أمر عجيب وكل البلاء والحن من هذا الباب لا يجد الإنسان فيها ألماً ولكن معها نعيم عجيب فيتألم متلذذاً ويبيكي فرحاً ويشكو إلى الله عز وجل راجياً فضله كما فعل يعقوب عليه السلام وقال { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } فهذا الحزن يتحول إلى راحة عجيبة لأن هناك بث وحزن في شكواه إلى الله مع حصول الصبر والرضا بالله عز وجل الذي هو أرحم الراحمين يزول ألم هذه المصائب فيصل الإنسان إلى درجة الرضا فهو يرتقي ولذلك كلمة الصبر واجباً والرضا مستحباً وكما ذكرناهما من باب واحد ولكن على حسب شهود الإنسان لكمال الأسماء والصفات وكمال عظمة الرب سبحانه وتعالى والنظر إلى حكمته وعلمه إن ربك عليم حكيم وإلى حسن فعله بعبد المؤمن وكراهته لمساته وأنه ما قدر عليه ما يسوءه إلا ما هو أحب إليه عز وجل ثم إلى عبده المؤمن منه وكما يكره مسائة المؤمن حديث ( إن الله يكره مسائة المؤمن ) ومع ذلك قدر عليه ما يسوءه لما فيه من المصلحة ويشعر العبد المؤمن بمنزلته عنده يقول عز وجل { وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسائته } فاجتمع الأمر المحبوب والأمر المكروه سماه الله عز وجل تردداً ليشعر المؤمن بمنزلته فتأمل هذا لتعلم أن الله ما قدر عليك ما يسوءك إذا كنت مؤمناً صادقاً إلا ما هو أنفع لك وأصلح لك فإياك أن تجذع وإياك أن تسخط وإياك أن تشكو إلى الناس وإياك أن تظهر الضجر والضيق مما أصابك ، الله عز وجل إنما يسئلك ليسعدك ويفرحك ويؤمك ليلذك ويسعدك ويفتح عليك من أبواب الخير فمن رضي فله الرضا ومن سخط ممن إذا أذى في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم فهو عبد فيما يرضى وليس فيما يضيق ويسخط وليس فما يضيق ويتألم عبد على حال دون حال ليس هذا الذي يحبه الله بل هذا الذي جعل فيه من خصال النفاق قال عز وجل { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين } يعبد الله على حرف الرخاء على جانب واحد فإن أصابه خير دنوي أنجبت أمرته ذكروا انتجت عبره كانت السنة خصبة قال هذا دين خير هذا الالتزام بهذا الدين طيب فيستمر عليه أطمئن به وإن أصابته فتنة أنجبت أمرته إنائاً لم تنتج إبله كانت السنة جذباء قال هذه دين سوء فيتركه والعياذ بالله ويدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه لذلك أنواع الحن تصيب أهل الإيمان

ليمحصهم الله من هذه النوعية وليسخط عز وجل بعدله على من يستحق السخط وما كان الله ليسخط عليه دون عمل منه ولكن لما سخط وتضرع وتكلم بما لا يجوز عند ذلك سخط الله عليه ،

حقيقة الصبر حبس النفس على ما تكره ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ، كما ذكرنا الأمر المؤلم المكروه للنفس فيحبسها على ذلك وهو على ثلاثة أحوال حبس القلب عن الجذع والضيق والأف ونحو ذلك وأن يكون ضجرًا جذعًا شديد الألم لا يتحمل الألم فقلبه يقول لماذا قدر الله علي ذلك ولسانه ربما ينطق وربما لا ينطق حسب درجة الجذع الذي يصيبه فهو أولاً عبادة قلبية حبس القلب عن الجذع وأن ينظر كما ذكرنا إلى الحكمة في تقدير البلاء بأنواعه حبس اللسان عن الشكوى للناس لا إلى الله أما أن تشتكي إلى الله سبحانه وتعالى فهذا يريح القلب أعظم الراحة وهي عبادة يحبها الله عز وجل ومدح أصحابها واستحباب من اشتكى له سبحانه وتعالى خصوصاً إذا كان الإنسان مظلوماً وكذا إذا اشتكى إليه من بلاء أصابه فقد اشتكى أيوب إلى ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب فاستجاب الله عز وجل له وتأمل إلى منزلة عبادة الشكوى إلى الله وجعلها الله من عبادات أنبيائه فقال عن يعقوب عليه السلام {إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله} وقال النبي عليه الصلاة والسلام في الدعاء المشهور الذي تغني شهرته عن إسناد ( اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي ) فإلى الله المشتكى فالله يتلقى عبادته المؤمنين لسمع شكواهم { فلو لا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا } لذلك نقول حبس اللسان عن الشكوى للناس الذي يقول أصابني كذا وحصل لي كذا عن من تتكلم ؟ والذي يتكلم بما يصيبه من أنواع الآلام بصيغة الضجر والضيق هذا أمر لا بد أن يحذر الإنسان على نفسه منه ويعلم أنه يشتكي الرحيم إلى الذي لا يرحم إلى الذي لا يملك لك شيئاً ، فأنت ستظل في ضيق طالما تشتكي ربك إلى الناس ولكن دائماً اذكر نعمة الله كن دائماً ساكن النفس كن دائماً متسع الصدر كلما كنت متسع الصدر كلما تتحمل كلما كانت هذه الآلام في جانب منه دون أن تشغب عليه حياته وذلك لأنه ينظر إلى النعم الكثيرة التي أصابته كما أرشد بعض الصالحين رجلاً يشتكي إليه الفقر فقال عينك تبصر بما ؟ فقال نعم فقال تأخذ عشرة آلاف دينار وتصدد عنها فقال لا فقال تسمع بأذنك قال نعم قال تأخذ عشر الآلاف وتصاب بالصمم قال لا وجعل يعدد عليه يده ورجله فقال عندك عروض بأكثر من أربعين ألفاً ثم تشتكي الفقر ؟! وفعل قل لأحد عنده فشل كلوي قوله له تشتري كلية بربع مليون سيقول نعم لو معه المال سيشتري ، تخيل أنت بكليتين وجالس والحمد لله ، فكر في هذا سوف تستريح جداً فضلاً عن النعم التي في المصائب النعم التي في المحنة نفسها حتى في الأهل والمال والولد فكل هذه تجعل الإنسان يعني يتلقى كل ما يصيبه بنفس راضية مبتسم للحياة وإن تألم لكن الله سبحانه وتعالى جعل سعة صدره شرح الله به صدره لكي يتحمل هذه الأمور وكما ذكرنا فهو لا يشتكي إلى الناس لكن يشتكي إلى الله عز وجل ،

وأما حبس الجوارح عن فعل المعصية فهو الجزء الثالث من الصبر من الحبس فيحبس الجوارح عن فعل المعصية إما المعاص التي تعبر عن السخط كضرب الحدود وشق الجيوب والدعوى بدعوى الجاهلية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ) كالحمش ونحو ذلك والدعاء بالويل والثبور والصياح والنياحة ونحو ذلك كلها معاصي تعبر عن السخط ،

المؤمن ليس عنده أصلاً سخط حتى يعبر عنه بذلك ، لا حقيقة ولا تمثيلاً كما يقولون المثلة التي مثلاً تشعر غيرها بالنياحة وهي ليس في قلبها شيء من الحرقه وإنما تفعل ذلك بمجاملة ملعونة العياذ بالله فكيف إذا كان مع ذلك سخط القلب المؤمن عنده رضاء بالله وعن الله ويسلم لقضاء الله عز وجل رضاء بالله رضاء عن الله فيما فعل وهذا هو المستحب أما الرضاء بالله ففريضة ، الرضاء بالله كما ذكرنا في مسألة الرضاء عبادة مستحبة نعي الرضاء عن المقتدرات المؤلمة أما الرضاء بالله رضاء فهو ركن من أركان الإيمان ولا يجوز أن يرضى بغير الله عز وجل رضاء ولا يجوز أن لا يرضى بالله رضاء ، لا بد أن يرضى بالله رضاء مديراً دبر أمره وفعل ما شاء سبحانه وتعالى رب فعل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأما حبس الجوارح عن المعاصي كما ذكرنا المعاصي التي تدل على السخط والمعاصي التي تلهي النفس عن ألما المصيبة فكثير من الناس عندما تصيبه المصائب يحاول أن يسلي نفسه بالمعاصي يقول مثلاً أصابته مصيبة فيسمع موسيقى هادئة أو يذهب إلى السينما أو يذهب إلى النادي لتبقى الفتيات وتلعب معهن ويذهب إلى الشاطئ لخفف عنك ويشرب الخمر ليهون عليك الأمر وعامة إدمان المخدرات يبدأ من هذا الباب أو شرب السجائر واحد مغتاض يخرج سيجارة لكي ينفخ فيها ويخرج فيها هم ونحو ذلك وهذا والله يزيد هماً وكرباً وسوءاً وحبس الجوارح عن المعصية التي يحاول البعض أن يسليه بما عما أصابه فهذا كله نقص في الصبر وربما يؤدي إلى زواله والعياذ بالله ، لو وصل إلى السخط والاعتراض على الله عز وجل إلى درجة الطعن في حكمته والسب ونحو ذلك كما يفعله كثير من الناس يتهم الله بالظلم يطعن في الرب عز وجل ويتهم ربه عز وجل بخلاف الحكمة وهذا فعل إبليس ابتلي بأن فضل الله آدم عليه فطعن في الله عز وجل وقال أنا خير منه زعم أنه ليس بحكيم وليس على مقتضى ما ينبغي وأنه كان ينبغي خلاف ذلك وأكثر الناس في نفوسهم هذا ولا ينطقوا به ملامة على القدر وأنه كان ينبغي خلاف ما وقع وأنه لو كان كذا لكان كذا وكذا وكان ينبغي على الله أن يفعل بنا كذا وقد ظلمنا ، ونسأل الله العافية ، وكلمة - أنا عملت أيه يا رب - هذا يعترض على أن الله ظلمك ؟ ونعوذ بالله من ذلك لو قال أن الله ظلمه وصل إلى الكفر والعياذ بالله بعض الشعوب ينتشر عندهم عند المصائب سب الرب عز وجل والعياذ بالله وهذا من أعظم الكفر نعوذ بالله من ذلك ، لا يتصور وجود إيمان ، فإذا كانوا يفعلون ذلك ابتداءً ووصل الحال بهم إلى أن يقولوه حتى عند المزاح فهذا أفظع أنواع الكفر

الصبر أنواع

الصبر على الطاعة وعن المعاصي وعلى أقدار الله المؤلمة ،

معناه الصبر على الطاعات لأن الطاعات تعين على ترك المحرمات ، لأن الطاعات تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال عز وجل { وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } لو أقام العبد الصلاة كما شرع الله عز وجل لنتهى عن الفحشاء والمنكر ، أعظم ما يذهب عن العبد خواطر السوء أن يملأ قلبه بخواطر الخير أن يتدبر القرآن والأذكار والتسبيح

والتهليل والتحميد الذي يفعله في الصلاة فعند ذلك يزول من قلبه إرادات السوء ولذلك هي أعظم إغاثة ، النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالصبر والصلاة ، الصلاة تحتاج إلى صبر ، لماذا تحتاج الصلاة إلى صبر ؟ لأن العبد يميل إلى الكسل يريد أن يبقى مستريحاً لا يقف على رجليه ولا يترك نومه ولا يصوم في الحر ولا يمنع نفسه رغبتها في الماء المثلج والطعام اللذيذ وهو قارء على ذلك ويجد كذلك صعوبة النفقة لأنه يحب أن يجمع المال ويعدده فإذا صبر على ذلك كله امتلأ قلبه بمحبة الله سبحانه وتعالى فزال عنه الرغبات والخواطر الفاسدة فلذلك أعظم سبب ينزل عن العبد الفواحش والمنكرات هي العبادات وأعظمها الصلاة وكذا الزكاة والصيام والحج والعمر فإنها تفتح للعبد أبواب الخير لأنها متضمنة للصبر على المعاصي وهي التي تعين العبد على الصبر على أقدار الله المؤلمة فالصبر على الطاعات أعلاها قدراً والصبر عن المعاصي بحيث يمنع النفس عنها ولا شك أن يستلزم درجة بعدها لأن النفس إذا كفت عن المعاصي ولم تشغل بطاعة سرعان ما تعود لذلك لا بد أن تهجر أرض السوء وتذهب إلى قوم يعبدون الله فتعبد الله معهم ، هكذا يمنع الإنسان عن المعصية أن ينشغل الإنسان بالعبادة والطاعة

وأما عن الصبر على أقدار الله المؤلمة ، العبد لا يخلو من ذلك والخلق لا يخلون من ذلك ،

عندك أنت ترى آلاماً الحيوانات والكائنات التي لم تكلف ومع ذلك قدر الله الآلام لحكم وهو عز وجل العليم الحكيم لعل من الحكم أن ترحمها فأنت إذا رحمت الشاة رحمتك الله فلو أنك نظرت إلى حيوان يتألم فرحمته فهذه الرحمة التي جعلها الله في قلبك يرحمك بها ويثيبك عليها الذي يرى ابنه يتألم فيرحمه يثاب على ذلك ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد ابنه نفسه تقعقع ويحتضر فبكى صلى الله عليه وسلم فقالوا ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عبادة الرءاء أو قال الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، فهذا أمر يثاب عليه والأم هذه سبحان الله أمر عجيب والله لو قدر الله ألاماً على الولد لترحمه أمه فيثيبها الله على ذلك فيجعل هذه الرحمة سبباً لرحمتها لأنه عز وجل رحمن يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الآلام المسلمين الكثيرة كلما تأملت لها ورحمتهم ورحوت عافيتهم رحمتك الله سبحانه وتعالى ، فلو نظرت إلى هذه الآلام فضلاً عن ما يتخض عنها من المصالح لو نظرت مثلاً إلى ألم الولادة يعقبه خروج إنسان إلى الحياة ، الناس كلهم يعلمون ألم الولادة لو أن امرأة لا تلد هل تبحث عن حمل أم لا رغم أنها تتألم في حملها وتتألم في ولادتها ألاماً شديداً ولكن تتطلب ذلك ، ترى مئات وآلاف النسوة يتألمن وتطلب ذلك ، وذلك لأن هذا الأمر من ورائه خير عظيم شخصية تخرج إلى الوجود تعبد الله سبحانه وتعالى تطيعه وهذا للمؤمن وأما الكفرة فيميلون إلى حب الولد الفطري على أي الأحوال هناك رغبة في هذا الأمر ورحمة وغير ذلك بأكثر بكثير مما يخطر ببالنا من أنواع الخيرات التي في الآلام ، نقول ليس هناك مخلوق يخلو عن ألم لما وراء ذلك من حكمة ، فإذا نظرت إلى أنت أيها المكلف إلى ما يصيبك من ألم لينظر الله عز وجل كيف تفعل علمت أنك لا بد أن تحمل نفسك على الصبر وأن ترضى بما قسمه الله عز وجل وأن تشغل فكرك في الحكم والرحمات المتضمنة في ضمن هذا البلاء فعند ذلك يمكن أن تصل إلى الرضا بإذن الله تبارك وتعالى وتسعد بهذا ،

وتألم في قصة سعد رضي الله عنه وهو معلوم أنه مستجاب الدعوة وقد استجاب الله لدعوته في بعض الأوقات الشديدة في لحظتها عندما خرجت الناقة التي بركت على الرجل الذي دعا عليه سعيد رضي الله عنه حتى قتلته واستجاب الله لدعوته في الرجل الذي شكاه عند عمر رضي الله عنه حت سقط حاجباه من الكبر وهو يتعرض للفتيات في الطريق ويقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد وسعد رضي الله عنه يصاب في عينيه فيأتيه أحد التابعين الصغار ويقول له له ياعمي أنت تدعو الله لغيرك فيستجيب لك أفلا تدعوه لنفسك فيرد عليك بصرك فيضحك سعد ويقول أن فقدته عينيه أحب إليه من وجودهما فسبحان الله رب العالمين لنظرت إلى الثواب وإلى الحكم المترتبة وإلى المصالح المترتبة على أنه فقد عينيه سبحانه الله نفسية عظيمة الشأن ونفسه راضية وصلت إلى هذا الحد ويضحك على صغر عقل وقلب من يقول له ألا تدعو الله أن يرد عليك بصرك وكما التفويض الذي عنده أن الله عز وجل اختار له ذلك فهو لا يرد غير ذلك ووصل إلى الرضا كما ذكرنا ولا شك أن الصبر على الآلام التي تصيب العبد في سبيل الله أعلى أنواع الصبر على الطاعات لأنها جمعت كل أنواع الصبر لأنه مستمر بالثبات على الدين من جهاد والدعوة إلى الله أو أمر بمروء أو نهي عن منكر أو التزام بطاعة الله في أي مجال فيصبر على ما يصيبه مع أنه يصاب بمحن مجرمان من وظائف معينة لأنه ملتحق لأنها منقبة حرمان مثلاً من مال أو شهرة أو م يطلبه الناس لأنه ملتزم فيصبر على ذلك فضلاً عن ما يكون أعلى قدراً من ذلك ، الذي يتحمل أن يخرج أو أن يكسر من داره أن يصاب بأنواع الأذى في سبيل الله يضرب ويعامل معاملة المهانين ويحبس كل هذا في سبيل الله يصبر على الطاعة وهو صابر عن المعصية التي يريد أعداء الإسلام أن يقوده إليها إنا أن ينافق مهم إما أن يعصي معهم إما أن يكفر معهم على درجات مما يطلبونه فيصبر على الألم ويصبر على الطاعة ويصبر على المعصية فيكون قد جمع كل ذلك لذلك الصبر على ما يصيب الإنسان في سبيل الله في سبيل الطاعة أعلى أنواع الصبر { إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون } صبر المؤمن يكون بالله قال تعالى { واصبر وما صبرك إلا بالله } { ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون سبحانه آيات عجيبة الشأن ، } وما صبرك إلا بالله { استعانة يعني من لم يصبره الله ويوفقه للصبر لم يصبر لأن بعض الناس يفتكر أن جلده وقوته وأنا البطل الذي سوف يستطيع بل لست أنت ما صبرك إلا بالله لن توفق للصبر إلا بتوفيق الله لن يكون منك صبر إلا بإعانة الله لك فأنت تسأل الله أن يصبرك ( ومن يتصبر يصبره الله ) الله الذي يصبر العبد ويكون الله عز وجل أي حباً له وإرادة لوجهه ورغبة في ثوابه لا لإظهار قوة النفس أو استجلاب الحمد من الناس ، أنت تجد بعض الشيوعيين مثلاً من لا يؤمن بالآخرة يذهب لفجر نفسه ويذهب ليتحمل أنواع الآلام لماذا يفعل ؟ ليس لله عز وجل بل يثبت لك القدرة ، الذي يلعب يوجا يجلس في أوضاع عجيبة يصبر لماذا ؟ ليثبت أنه يتحكم في نفسه ، والذي يأكل الثعابين وبربهم على ذلك مع أن هذا لا يحتاج إليه عند أهل الإيمان ، أصحاب التدريبات العنيفة يجعلونه يأكل الثعابين ويمشي في المجاري لم يكن أصلاً عندهم دافع إيماني يجعل الأفراد يتحملوا هم يريدون أن يعودوهم على التحمل فيجلبوهم يفعلون هذه الأشياء لكي يخرج متحملاً كل شيء ، أهل الإيمان ليس عندهم حاجة إلى ذلك لأن صبرهم لله يكفيهم أنه يتحمل في سبيل الله عز وجل حباً لله وإرادة لوجهه ورغبة في ثوابه لا لإظهار قوة النفس أو استجلاب الحمد من الناس والصبر مع الله ،



الصبر بالله والله ومع الله أي مع أوامره مع أحكام الله الدينية صابراً نفسه معها سائراً بسيرها مقيماً بدعوتها حيث كانت يعني هو ليس من يصبر على تعذيب نفسه في غير مرضاة الله ، الذي يصبر على أن يعذب نفسه يعني رهبان البوذيين يقولون لا يصل إلى الرهبة والدرجات الكاملة إلا مثلاً بأن يلقي نفسه في الشوك إن يجلس في قبل مع جسة محتضناً لها إلى أن تتعفن والعياذ بالله،

ويصبر رهبان النصارى يعني يقولون بقي خمسا وعشرين عاماً ما مس بدنه ماءً، أنظر إلى الصبر ، هو صبر فعلاً ، شيء غير محتملاً ولكن صبر أنه ما استنحي من بول ولا غائط ولا اغتسل مرة من المرات والعياذ بالله ، وكما قلنا صاحب اليوجا جالس في وضع عجيب جداً ، أنت ما أمرت بذلك مثل بعض الصوفية يقولون فلان الفلاني بقي كذا سنة يصلي على السطوح ، أعرفون البدوي ؟ الطريقة اسمها السطوحية لأنه كان يتعبد على السطوح في المطر والبرد والحر يتعبد دون أن يظلمه شيء فمن الذي أمرك أن تفعل ذلك ، أبو إسرائيل كان على وشك أن يسير على هذا الطريق فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم ، نذر أن يقوم فلا يقعد وأن لا يستظل وأن يصوم ولا يفطر ولا يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( مروه فليستظل وليقعد وليتكلم وليتم صومه ) هذا هو الصبر مع الله أن تبحث عن الشيء المؤلم ليس الرغبة في ألم النفس مجرداً ولكنك تصبر مع الله على طاعته عز وجل الذي أمرك الله به تفعله الذي لم يأمرك به لا تحبس نفسك عليه ولذلك الذي قال لا أكل اللحم ولا أنام على فراش أو قال لا أتزوج النساء قال ( لكني أنا أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني ) هذا دليل على أن الصبر على أمر مؤلم ليس دائماً أمر محبوب لله سبحانه وتعالى ،

أشد أنواع الصبر نكارة الصبر عن الله وهو في الحقيقة يصبر على المكروه الأعظم وهو عبادة غير الله عز وجل { وانطلق الملائمة منهم أمشوا واصبروا على آهتكم } نفوسهم تقول لهم بطلوا هذا الكلام الفارغ هذا نفوسهم تقول لهم هذا شيء مقزز الذين تعبدونهم ، ولكن ليس هناك فائدة ، يقولون { اصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد } والعياذ بالله وهذا شأن أكثر العالم يصبرون على أعظم الأمور أماً وهو أن يعبدوا غير الله وأن يشركوا بالله ونفوسهم تنفر منهم وتشقيهم هذه العبادة لغير الله ومع ذلك يستمرون والعياذ بالله من ذلك فهذا الصبر بعيداً عن أوامر الله عز وجل ليس مأموراً به بل هو الصبر عن الله عن طاعته عز وجل عن عبادته فهو صبر منهني عنه أما الصبر مع الله سبحانه وتعالى أن يكون دائراً مع أوامره الشرعية الدينية حيث أمر فعل وحيث أمر ترك نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٣٥ - الحمد والشكر

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما بعد ،

تتمة العبادات القلبية وهي من هذه العبادات الحمد والشكر وهي من أعظم العبادات وهي قلبية ولسانية وأحياناً تكون بدنية مثل { اعملوا آل داود شكراً } فتصريف النعم في مرضاة الله سبحانه وتعالى شكر بالعمل ،

أصل هاتين العبادتين وإن كان غالباً م ستعملان في معنى واحد القلب ، وإن عرف بعض العلماء الحمد بأنه الثناء بالقول على المحمود بصفات الكمال اللازمة له والمتعدية يعني على الحسن والإحسان إلا إنه لا يكون حمداً بغير عمل القلب وذلك ذكرناه في العبادات القلبية رغم انه يعرفونه بأنه الثناء باللسان بالقول لكن الحقيقة الثناء بالقول دون تعظيم القلب ومحبته لا يكون حمداً وإنما يكون مدحاً فأنت لا تمدح الله ولكن تحمد الله ، انظر إلى قلبك وأنت تذكر هذه الكلمة { الحمد لله رب العالمين } تجد فراقاً هائلاً بينها وبين مجرد المدح ، المدح هو مجرد الثناء باللسان فعلاً أما الحمد فهو مع تعظيم القلب ولذا كان الأصل في هذه العبادات هو القلب ويكفي في بيان أهمية هذه العبادة عبادة الحمد وعبادة الشكر أن القرآن بدأ فيها بفاتحة الكتاب ، القرآن كتابة أما القرآن نزولاً فبدأ ب { اقرأ باسم ربك الذي خلق } لكن كتابة فهي أول آية بعد بسم الله الرحمن الرحيم { الحمد لله رب العالمين } عند من يرى أن { بسم الله الرحمن الرحيم } ليست آية من الفاتحة يرى أو آية في القرآن كله { الحمد لله رب العالمين } والصحيح أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة ، إحدى آياتها ،

وكثير من السور بدأت بالحمد مثل قوله سبحانه وتعالى { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً } وغير ذلك من السور وهو سبحانه وتعالى جعل آخر كلام أهل الإيمان ودعواهم في الجنة وثناؤهم على الله عز وجل الحمد فقال سبحانه وتعالى { وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين } إذاً هي عبادة هي الأولى والأخيرة يظل الإنسان عليها أيضاً فيما بين ذلك يظل العبادة ويبدأ بها في أول الصلاة ويبدأ بها في أول تلاوة القرآن ويختم بها عندما يدخل الجنة { وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين } وكما قال سبحانه وتعالى { وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين }



عبادة الحمد لا بد أن يستحضرها المؤمن على الأقل سبعة عشر مرة عدد ركعات الفريضة وإلا فيمكن أن يزيد على ذلك يشهد الثناء بقلبه على الله عز وجل ويقول ذلك بلسانه في فاتحة الكتاب يشهد صفات الكمال والجلال والعظمة وصفات الجمال والجلال هي كل صفات الكمال الثابتة لله سبحانه وتعالى ، هذا على الحسن لأنه يحمده الله عز وجل على أسمائه الحسنى على الحسن والإحسان على الخلق ، على الصفات اللازمة والمتعدية

فأما الصفات اللازمة مثل الجلال وهي صفات المجد والعظمة والكمال المطلق صافت كمال العلم وكمال القدرة وكمال الغنى وكمال الحياة وهو الحي القيوم سبحانه وتعالى فيشهد كل صفات الجلال والجمال ويثني على الله بما يشهد بها ثابتة على أكمل وجه وعلى أتم معنى لله سبحانه وتعالى ، استأثر عز وجل بهذا النوع على الكمال المطلق لأن من دونه وكل ما فيه من كمال هو بالنسبة لكمال الله عز وجل نقص لذا نقول استأثر سبحانه وتعالى بذلك النوع من الحمد وكل من دون الله سبحانه وتعالى إذا حمد على صفات كمال فهو يحمده على صفات كمال نسبي بالنسبة إلى صفات الله سبحانه وتعالى نقص كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ) هو أعلم الخلق بالله ولكن علم النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم الله عز وجل قال اغفر لي خطيئتي وجهلي وكما قال الخضر لموسى وما علمي وعلمك وعلم الخالق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر وهذا يعطيك نبذة وإن كان يحمده مثلاً على غناه حتى ولو كان غناً بالله عز وجل فهو إلى الله فقير فكل الخلق فقراء إلى الله سبحانه وتعالى ، غنيهم وفقيرهم ومن استغنى منهم بالله فهو إليه فقير بالأولى والله أعلى وأعلم ،

وكذلك حكمة العبادة وكذلك قدرتهم هي بالنسبة إلى قدرة الله عجز ولا شك في ذلك وحكمتهم بالنسبة إلى حكمة الله عز وجل أيضاً كلاً شيء ،

كذلك هو سبحانه وتعالى استأثر بالحمد على الكمال المطلق فكل من دون الله إذا كان فيه كمال هو بالنسبة إلى كمال الله عز وجل نقص ومن حمد من عبادة فيما أعطاه الله عز وجل من كمالات نسبية بالنسبة إلى غيره من البشر ليس بالنسبة إلى صفات الكمال لله سبحانه وتعالى بل لو قورنت هذه الصفات بما لله عز وجل كأنها ضد فعلم البشر إلى علم الله جهل وعدلهم إلى عدل الله عز وجل ظلم بمعنى لو كان الأمر من عند أنفسهم فلو كان أعدل الناس وترك إلى نفسه فإنه يظلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ) وعلل أبا بكر أن يقول اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم ، وكل معنى من معاني الكمال التي يختصون بها كما ذكرنا مثل قدرة الإنسان إلى قدرة الله عز وجل فهي عجز وغناه بالنسبة إلى غنى الرب سبحانه وتعالى فقر فاستأثر الله سبحانه وتعالى بالحمد وله الأسماء الحسنى التي تتضمن كل صفات الكمال يشهد العبد ذلك حين يقول { الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين } هذه الأسماء تعرب بدل من الحمد لله رب العالمين هي بدل من كلمة رب العالمين فهي إذا كجمله واحدة وذلك أن المؤمن يثني على الله بربوبيته ويثني عليه أولاً بالإلهية بالحمد لله ، اسم الله عز وجل الدال على إلهيته سبحانه وتعالى ثم يثني عليه بالربوبية للعالمين كلهم لجميع المخلوقات كل خلق منها عالم وهو عز وجل رهم جميعاً ثم يثني عليه بصفة الرحمة العامة لصفة الرحمن والرحمة الخاصة لأهل الإيمان اسم الرحيم فاسم الرحيم خاص بأهل الإيمان يرحمهم رحمة خاصة رحمة بالدين رحمة بتوفيقهم لطاعته رحمة تستمر معهم إلى دخول الجنة وأما الرحمة العامة فهي لكل خلق الله سبحانه وتعالى ، وكما أن كل من دون الله فهو مخلوق فكذلك هو مرحوم أن تناله من الرحمة العامة لا بد أن يناله نصيب من الرحمة العامة فتثني على الله عز وجل وتشهد ما يسر الله لك من شهود هذه الرحمة العامة والخاصة في نفسك وفي غيرك وهو عز وجل المستحق للثناء على ذلك كله عز وجل ثم يثني عليه بصفة الملك أن تقول الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين أو ملك يوم الدين فكل هذا ثناء على الله عز وجل يشهد ملكه سبحانه وتعالى التام والذي يظهر دون منازع في يوم الدين فهو يثني على الله بكل هذه الصفات فالحمد لله وقع على ذلك أسم الله واسم الرب واسم الرحمن واسم الرحيم واسم الملك وهذه الأسماء جماع الأسماء الحسنى ومرد الأسماء إلى هذه الأسماء والله المستعان ،

أما الحمد على الإحسان فهي الكمالات المتعدية فهو الثناء عليه عز وجل بنعمه على عباده وهو الذي أنعم العالمين جميعاً لذا قالوا الحمد الثناء بالقول مع تعظيم الخلق يعنون الثناء على الحسن والإحسان على حسن جماله وكماله وجلاله وعلى إحسانه على غيره وأعظم إحسانه على عباده المؤمنين يمدونه في صلاتهم وفي كل أوقاتهم أنه وفقهم لهذا الدين وأنه أنزل على رسله كتباً وأرسل الرسل وأنزل الكتب وهدى عباده المؤمنين باتباع هؤلاء الرسل فعرفوا رهم عز وجل انتهوا إلى أسمائه وصفاته في الكون وهي كالشمس وضوحاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون نعم والله فهذه الأدلة أدلة الربوبية كالشمس وضوحاً في الكون فالخلق كلهم مربوبون لا يشك في ذلك عاقل ينظر إلى أحوالهم كانوا عدماً لم يوجد لهم أحد من آبائهم ولا أمهاتهم لم يوجدوا أنفسهم لم يوجدوا هم أرزاقهم مفتقرون تمام الافتقار إلى من يصلحهم إلى من يرهم والخلق جميعاً كذلك إنسيهم وجنهم حيهم ومجدهم كلهم مفتقرون الافتقار التام وهذا ظاهر لكل ناظر كما أن أدلة الرحمة ظاهرة جداً لولا الرحمة لما وجد إنسان لولا الرحمة أن يسر الله لنا هذه الأرض بما عليها لهلكنا من قبل أن نوجد وما تكونت حياتنا أصلاً فرحة الله بنا ، أنظر إلى درجة الحرارة إذا ارتفعت درجات والله فعلاً يكاد الناس يخنقون من الحر وهذا الذي يقع عندما يكون هناك بعض الازدحام وتأمل هذا لو أن نسبة بخار الماء زادت في الكرة الأرضية نسباً موجود في بعض الكواكب أضعافاً لو أن الحرارة زادت على الكوكب الأرض مثل ما هي مثلاً على كوكب عطارد مثلاً أو الكواكب القريبة من الشمس والحرارة ترتفع ارتفاعاً يمنع وجود الحياة من رحمة الله بنا أن جعل هذه الأرض على ذلك ويرشدنا سبحانه وتعالى في الصيف والشتاء إلى ما يمكن أن يوجد في هذا الكون ، هناك أشياء أخر أكثر ، الآلام التي تصيبنا الله يرحمنا بذلك حتى فيما يصيبنا من ألم لأننا نعلم كيف حالنا في الأوقات الأخرى بلا ألم ، رحمة من الله عز وجل ما أعطون من السمع والبصر والقدرة ، آثار الرحمة ظاهرة ما جعل الله في قلوب الآباء والأمهات من الإنس والجن والحيوان على ولده هي من الرحمة العامة ثم تتأمل الرحمة بنعمة الله سبحانه وتعالى لهذا الدين فترى أنها أعظم نعمة إذا نعم الله عليك لا تحصى وهذا يقتضي أن تثني على الله سبحانه وتعالى وثني عليه بملكه وهذه في الحقيقة أيضاً من النعم أن الله عز وجل هو الملك ليس أحد من الخلق يملك فكلهم إنما ملكوا ملكاً في حقيقته عجز وفقير وقهر مهزورون ، الله سبحانه وتعالى ملك من ملك وهو يدري أنه ليس بملك ولا بمالك في الحقيقة إنما هي عوالم مستردة هذا من نعم الله علينا فأنت في كل اسم من أسمائه الحسنى التي تثني عليه بما في الفاتحة تشهد الجلال والجمال والكمال كما تشهد النعمة عليك

فيها فإن ملك الله سبحانه وتعالى من نعم الله عليك أنه لم يجعلنا مملوكين لغيره لم يجعلنا عبيداً لغيره وتأمل لو أن الناس يعطون فقط قدرًا من المقارنة عندما يذلون لجبار وهو مؤقت ولا بد أن يزول جبروته وملكه ماذا يكونون من الشقاء وكيف يكون شقاؤهم ؟ لو تسلط هذا عليهم عمراً طويلاً لكان عذاباً لا يتصور ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يعطي الجبارين والمتكبرين والأشقياء مدة فقط يجتريهم ويختبر من تسلط عليه ، لكن من رحمة الله ومن نعم الله سبحانه وتعالى أن كان هو الملك عز وجل مالك الدنيا والآخرة ومن نعمه علينا أنه مالك يوم الدين ، أنه لا يوجد سلطان لأحد حتى ينتصر للمظلوم من الظالم حتى تعود الأمور إلى نصابها ويعتدل الميزان وإن وجد في الدنيا اختلال في بعض المواطن وظلم وعدوان لكن من نعم الله أن هناك يوم للدين والحساب وسوف ترد الأمور إلى أصحابها وينتصر المظلوم ممن ظلمه فهذا والله من نعم الله فأدلة آثار الأسماء والصفات يعني من نعم الله على المؤمنين أن انتبهوا إلى آثار أسمائه وصفاته وهي كالشمس وضوحاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهي أدلة ظاهرة واضحة أدلة الأحكام والحكمة والقدرة والقوة والعزة والقهر وكل صفات الكمال والجمال تجد آثار ذلك في الكون أمراً لا ينكره عاقل تأمل الأحكام في الذرة وفي الحجرة في جريان كرات الدم في عروق الإنسان إحكام تام وحكمة فيما يقدره سبحانه وتعالى حكيم وعلم تام علم لا يتصور كلما يتعلم الإنسان مسألة ويجد أن ما في عمق هذه الأمور ما لا يعلمه أكثر ولا يمكن أن تكون بنيت على غير العلم ولا يمكن أن تكون صنعت على غير العلم ، الكائنات مصنوعة بإحكام وعلم وقدرة لا تتصور وقوة الله جميعاً لا ينازعه فيها أحد من يتدبر القوة التي في البحر القوة التي في الريح القوة التي في النجوم والكواكب طاقة فوق ما يتصور الإنسان وهي مخلوقة كلها فلا يمكن أن يكون الذي أودعها ضعيفاً لا يمكن أن يكون الذي أودع هذه القوة ضعيفاً مستحيل ، والله أدلة كالشمس وضوحاً على صفات الكمال والعزة والقهر ، كل صفات الكمال والجمال تجد ذلك في الكون أمراً لا ينكره عاقل ولكن الناس أكثرهم لا يفكرون في هذه المعاني ولا يفكرون في هذه الآثار آثار الأسماء والصفات ، لا يفكرون في ما وراء هذه المشاهدات أن ترى آثار القهر والعزة على كل المخلوقين أنهم مهجرون وأنهم تحت سلطان عزته عز وجل يذلهم كيف شاء ملكهم ومملوكهم كلهم مهجور قد غلب على أمره لا يملك دق قلبه ولا ميلاده ولا وفاته ولا يملك نوعه ولا يملك شكله ، أحد اختار أن يكون ذكر أو أنثى أحد اختار أن يكون اسم أبيه أو أمه أو نحو ذلك ولا الأسرة التي نشأ فيها ؟ الموعد الذي جاء فيه الموعد الذي رحل منه والكل يقر بأنه مهجور عليه ، ولم يحدد له ذلك أحد من البشر حتى أمه وأبيه لن يحددا متى يأتي هذا الإنسان تزوجا ورجيا أن يكون لهما ولد وما بقدرتهما أن يأتيها به ولو كان كذلك ما وجد عقيم ولا عجز أحد أن يأتي بالولد متى شاء لكن الحقيقة كذلك أننا لم نحدد متى تأتي الأولاد متى يولد هذا الولد فأنت لم يحدد أبوك وأمك لك شيئاً من ذلك هو تزوج ورجي أن يكون لهما ولد وما بقدرتهما أن يأتيها به ولا أن يعطي له سمعا ولا بصراً ولا يداً ولا رجلاً إنما يوهب كل هذا وهو في بطن أمه ولا دخل لأحد من الخلق فضاءً عن أمه الذي هو في بطنها ولم يعطيه أحد ذلك ، سلها هل أعطيتني السمع هل أعطيتني البصر ، كل هذا من آثار القهر من آثار أن العبد فعلاً مريب مملوك لا يملك شيئاً ، الملك والمملوك والغني والفقير والوزير والخفير الكل كذلك ، فكيف يتصور بعد ذلك أن يظن أنه عزيز على القهر فوق أحد بل هو مهجور مغلوب وأمر الله نافذ عليه ، آثار القوة نافذ في الكون كما ذكرنا قوة الإنسان ضعيفة جداً بالنسبة إلى القوة المودعة في هذه الكائنات الأخرى ولا شك أن الذي خلق هذه الأنواع من القوة هو القوي العزيز سبحانه وتعالى ، فأعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان أن يشهد آثار الأسماء والصفات أن يتعرف على ربه أن يعرف الطريق إلى الله عز وجل ولا بد بالتالي أن يعبد لأنه إذا عرفه عبده ولا شك لا بد وأن يحبه ولا بد وأن يخضع له لأنك إذا علمت أنه الرب الإله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فلا بد أن تعبد يستحيل على العاقل أن يعرف صفات الله صفات الكمال ثم لا يخضع له ولا بد أن يحبه وخضع له ، إذا قلنا هذا فلو لا أن الله تفضل على عباده وأنعم عليهم بإرسال رسله لما وصلوا إلى هذه الحقيقة الواضحة الجلية ولعاشوا في الدنيا كأنهم البهائم السائمة ، فإذا قلت { الحمد لله رب العالمين } وأثبتت على الله بكل هذه الأسماء فهذا الذي تشهد به أعظم النعم تشهد الكمال وتشهد النعم التي أعظمها أن هداك لمعرفة وعبادته لو لا ما أنعم الله به على عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب لما وصلوا إلى هذه الحقيقة الواضحة الجلية ولعاشوا في الدنيا كأنهم البهائم السائمة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا ما أشرب من هواهم بالطعام والشراب والشهوة كما ترى حولك ملايين وآلاف الملايين من البشر لا يعرفون من الدنيا إلا الطعام والشراب والشهوة وأمور الإيمان عندهم والغيبات عبارة عن خرافات وخدعيات وخيالات يتخيلونها تصبح عقائد وأساطير يتلوها تصبح ديناً بعد ذلك والعباد بالله ، فالأمر كلهم عندهم سواء ، الخرافات والإيمان بالغيب ، الأمر عندهم لا يميز لديهم عن شيء على الإطلاق ولذا يمكن أن يدخل إليهم كل ضلال ، سبحانه الله ،

الأمم إذا فرغت من حقائق الإيمان سهل عليها كل شيء ،

يجبرني أحد الأخوة المرشدين السياحيين كان قبل التزامه كذلك ، لما هداه الله عز وجل جعل ينكر على زملائه أنهم يروجون بالتمايم الفرعونية يقول السياح هؤلاء ناس من أوروبا وأمريكا ويفهمون كل شيء إلا الغيب يقولون هذه سبب في الحظ وهذه سبب في الشفاء ومن كثرة أنه يريد أن يروجها يبكي فيقول له ما هذا الذي تصنعه هذه آلهة باطلة ، يقول له شغل بزنس ويبيكي ويمثل لأن هؤلاء الناس أغبية إلى درجة لا تتصور ، يفهمون في المال والذرة والطب لكن في الغيب عندهم لخبطة لا يمكن أن تتصور يعتقدون في التيممة والفرانة ويعتقدون في البقر والغنم والغيب عندهم كذلك ، فمن أعظم نعمة تحمد الله عليها وتقول الحمد لله رب العالمين أن هداك لهذا الدين ومن عليك بهذا الفضل فهم يتخيلون خيالات تصبح اعتقاداً وأساطير تصبح ديناً ، تناقضات يعلمون أنها تناقضات لكنها تورث للأجيال القادمة حتى جعلوا الإنسان المكرم عبد الحيوانات وعبد الأصنام وعبدوا العجول وعبدوا آلهة لا تخصي مع أن الله كرمهم بالعقول التي يدركون بها الحقائق فعبدوا آلهة لا تخصي ولا تعد ، عبدوا أمثالهم من البشر فنعوذ بالله ، فإذا شهد المؤمن كل ذلك قال الحمد لله رب العالمين ، أعظم نعمة أنعم الله عليه بها ورحمه بها هي نعمة الدين ونعمة الإيمان

يشهد كذلك نعمه عليه في حياته في سمعه وبصره في رزقه وما رزقه الله عز وجل من قوة وقدرة وأهل ومال وولد وعافية في أجزاء بدنه في كل لحظة من اللحظات يستحضر ذلك فيحمد الله عز وجل عليها ،

فهذا الجزء الثاني من معنى الحمد وهو الثناء على الله مع تعظيم القلب له سبحانه ومحبة فهو تعالى يحمد على النعم والإحسان كما يثنى عليه سبحانه وتعالى بالحسن والكمال  
الراجع إلى كمال إلهيته وربوبيته ورحمته وملكه سبحانه وبحمده

فأما الشكر فهو الثناء على الله سبحانه وتعالى على النعم ، لكن هو يتضمن الشكر بالقلب وباللسان وبالجوارح ، فعندما يتذكر الإنسان نعماً لله ويشهد هذه النعم التي رحمها رحمة من جنس ما رحم بها باقي الخلق وما أعطاه الله من أرزاق ونعم يحمده على رحمته بخلقه وهذا أيضاً مما يحمد عليه سبحانه وتعالى أنه يحمد على رحمته بالخلق الآخرين يستحق أن يحمد على ذلك ليس على رحمته وعدله فقط بل يحمد وتحمده على نعمه على الخلق ، هذا من أعظم ما يزيل الحسد عن قلب الإنسان فهو الرحمن الرحيم يحمده على رحمته بخلقه ويحمده على رحمته الخاصة في الهداية لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وعبادة الله عز وجل فهذا التوحيد لا يصح إلا ممن عرف الله بكماله وأنه وحده الإله الرب المستحق لكل صفات الكمال فيقول الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وهو ملك يوم القيامة وسائر الأيام لكن يوم القيامة يظهر ملكه لكل أحد بلا منازعة ولا حتى تسمي على سبيل العارية ولا يتسمى ملك يوم القيامة ، في الدنيا يسمون ملوكاً ومالكين يقول أنا مالك هذه الأرض وهناك من يقول أنا ملك هذه البلد أو رئيس هذه البلد على سبيل العارية ، الناس في الدنيا يتسمون بذلك ولكن يوم القيامة ليس هناك من يتسمى ، هذه الأنواع من الأموال والأولاد كلها عارية ليس ملكاً حقيقياً بل دليل أنه كان عارياً منها قبل ولادته وأنه يرسل أيضاً كذلك بدونها ويصير عارياً منها بعد موته وكذلك فهو في مدة من الزمن أعطي هذه الأشياء اختباراً له فأنت تأخذ هذه النعم وتأخذ هذا الملك وأنت عبد مملوك جعلت في صورة ملك متصرف وإنما تعطى أشياء تنزع منك بعد ذلك فتشهد ملك الله عز وجل وتحمده ولذلك تقول الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين ، هذا كله ذكر أوصاف الله عز وجل كما ذكرنا بعضها بدل من بعض بمنزلة العطف ، فأنت تحمده على إلهيته وربوبيته للعالمين وتحمده على رحمته العامة والخاصة وعلى ملكه يوم الدين وهي جملة واحدة كما ذكرنا وإن كان يشرع أن تفصل في القراءة لكي يقف الإنسان عند كل معنى من هذه المعاني ويثنى على الله عز وجل بها ويشهد كماله وإحسانه في نفس الوقت في كل واحدة من هذه فيها الكمال وفيها الإحسان وكل واحدة من هذه الكلمات من أوصاف الرب عز وجل فيها الكمال والحسن وفيها الإحسان إلى الخلق ،

إن معنى الإلهية أنه الإله الحق سبحانه المستحق للعبادة هذا معنى كمال هذا معنى كمال إلهيته عز وجل وفيه معنى الإلهية وفيه معنى الإحسان لأن أعظم إحسان إليك أن تعرفه إلهاً واحداً ، هذا الذي فطر الله المؤمنين الحق على أن تلذذوا به وعلى أن يجدوا السعادة فيه وعلى أن يستريحوا ويطمئنوا إليه فأعظم إحسان أن يتفرد بالإلهية بأن يجعلك تعبد غيره ، لم يشرع لك أن تذلل وتحب غيره حب العباد فأعظم إحسان أنه الإله لا إله إلا هو ذلك من فضله عليك وعلى الناس كما قال يوسف عليه السلام ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ فتأمل هذا لتعلم أنك تشكره على إلهيته على أنه أحسن إليكم بأن لم يجعلك عبداً لعبيد ووفقك أن تكون عبداً له وحده فتجد لذة وراحة في الإيمان لا تجدها في غيره أبداً ولا يجدها غيرك في أي لذة من لذات الدنيا ولا تساويها لذة من لذات الدنيا بل أعظم راحة للإنسان في أن يعبد الله تعالى ،لذة من كل جهة من جهاته فهو سبحانه أنه تفرد بالإلهية وله الحمد على إحسانه إلينا وإلى الناس أن لم يجعلنا نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، فتحمده على ربوبيته أنه الرب الخالق الرازق المدبر والمالك والسيد الآخر الناهي المطاع كل معاني الربوبية تستحضرها له الكمال فيها وله الإحسان على خلقه فيها والله نعم إن من إحسانه إلينا أنه دبر أمرنا ولم يكلنا إلى غيره لو وكلنا إلى أنفسنا لضيعناها ولو وكلنا إلى غيرنا ومن الخلق لضيعونا بالأولى إنهم ييحتون عن أنفسهم أولاً ومع ذلك فهو الذي تولى أمرنا ودبر للإصلاح وهو مالكننا عز وجل لم يجعلنا مملوكين لسواه وهو أمرنا سيدنا الذي يأمرنا وينهاها لم يجعل لنا أن نقبل تشريعاً من غيره فهذا كمال وإحسان جمال وحسن وإحسان إلينا في كل معنى من هذه المعاني فأنت إذا شهدت ذلك وأثبتت على الله عز وجل أنه متفرد بهذه الربوبية وتحمده على أنه أحسن إليك في ذلك أن عرف أنه الرب سبحانه وتعالى وجعلك تعترف له بأنه رب العالمين وكل معاني الربوبية فيها إحسان إليك ، الخلق والرزق والتدبير والعطاء والمنع والضر والنفع تفرد بذلك كله سبحانه وتعالى وهذا إحسان إليك والله أحسن إلى كل عبد من العباد ولم يجعل أمرك بيد غيرك هذه فيه أعظم إحسان إليك لم يذلك لغيره جعل عطائك ومنعك من عنده جعل حياتك وموتك من عنده جعل أمرك بيده ، تخيل عكس ذلك لو وقع لكان شقاء لا يتصور تخيل لو أن الله جعل حياتك وموتك بيد غيرك تذلل ذلك ذلاً فظيعاً وتشقى ، لو جعل عطائك ومنعك بيد غيرك أتروا شقاء الناس في العالم لأنهم ظنوا أن عطائهم ومنعهم في يد الكبراء فذلوا لهم وعبدوهم من دون الله لأنهم ظنوا أن العطاء والمنع والضر والنفع بيد الأغنياء والأقوياء فذلوا لهم نعوذ بالله ، لكن من منة الله وإحسانه أن جعل حياتك وموتك وعطائك ومنعك من عنده عز وجل ، جعل أمرك بيده فأحسن إليك غاية الإحسان وجعلك وسائر الخلق مملوكين له سبحانه فأحسن إليك إذ كان هو عز وجل الملك الحق مالكك الحق ، كرمك أعظم التكريم حيث لم يجعلك مملوكاً لغيره حتى الممالك في الحقيقة ليسوا مملوكين لغيره ، الرقيق في هذه الدنيا في حقيقة الأمر مملوكين له عز وجل فإذا كنت حراً تضاعفت عليك النعمة لأنه لا رب لك سواه فتحمده على أن أنعم عليك بأنه وحده ربك سبحانه وأنه وحده رب العالمين جميعاً وتحمده باسم الرحمن على كماله في صفة الرحمة في كل من سواه ، رحم كل من سواه كل من سواه لا بد أن يرحم هذه كمال ذاتي الله عز وجل والمخلوق يرحم لكونه مخلوقاً يستوى في ذلك المؤمن والكافر والبر والفاجر فلا بد أن تنالهم هذه الرحمة حتى الحيوانات والكائنات حتى الكفار تجد في قلوبهم وفي حياتهم ما خلقه الله عز وجل من الرحمة بهم وصلت إليهم رحمة الله من خلال ما رحمو به لو أن هؤلاء الكفار لم يرحمهم الله عز وجل في بداية خلقهم ما أعطاهم سمعاً ولا بصرًا ولا رجلاً ولا يداً تخيل إنسان بلا سمع ولا بصر ولا يد ولا رجل ولا حنان في قلب أمه ولا رغبة في رعايته من أبيه ما كان يمكن أن يكون حال هذا الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى ، الرحمة العامة لها آثارها في كل منهم ، كل من سواه يرحم بهذه الرحمة ، فتشهد هذا المعنى متفرد بالكمال بهذا سبحانه ، وأنت رحمت هذه الرحمة فتحمده على إحسانه عليك بأن رحمك ورحم غيرك فتشهد هذه النعم وتشهد الرحمة الخاصة بعباد الله المؤمنين وهو متفرد بها سبحانه فهو الذي وفقك ووفقهم لهذا الدين ومن عليهم وعليك بطاعته وتوحيده والإيمان به ما لم يكن على غيرهم ويرحمهم في الآخرة رحمة واسعة عظيمة فهو المتفرد بالكمال في نفسه وتشهد نعمته عليك وعلى إخوانك المؤمنين في إحسانه بالرحمة فتحمده على ذلك كما تحمده على كمال ملكه وأنه سبحانه وتعالى أحسن إليك إذ كان هو الذي يحكم يوم الدين ويفصل في الخصومات والله

لو كان الأمر لغيره لكان فيه من الخلل ما لا يتصور { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا } تخيل إنساناً مظلوماً وظالماً غلبه وقهره في هذه الدنيا لكنه يدرك أن الله عز وجل سيأخذ له حقه يوم القيامة لأنه الملك سبحانه وتعالى أليس في ذلك أعظم إحسان إلى هذه المظلوم إلى هذا العبد في أن الله وحده هو الملك يوم الدين وهو ملك الدنيا والآخرة إذا كان يوم القيامة يظهر ذلك لكل جليلاً فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، فيها من معاني التوحيد والإيمان ما يحتاجه العبد في كل لحظة من اللحظات ولذا شرع تكراره هذه المرات العديدة فضلاً عن الركعات النوافل وشرع الحمد في مواطن كثيرة جداً في الأذكار من ذلك ما رُود ( اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك واحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ) وهذا من أذكار الصباح والمساء رغم تضعيف بعض العلماء له إلا أن عليه نوراً عظيماً وقد حسنه بعض أهل العلم على اختلاف له جلالة معانية وكثر اجتماع المعاني فيه ومعاني الإيمان ترجح قول من حسنه من أهل العلم وفي سيد الاستغفار أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، أبوء لك بنعمتك علي حقيقة الحمد والشكر أعترف لك بنعمتك ،

كذلك من أذكار الصباح ( أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ) ( أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ) وعامة الأحاديث في الدخول والخروج وغيرها من الأذكار تقتزن بالحمد أو يظهر فيها الحمد من أعظم أذكار ختام الصلاة ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ) ذلك يوم عرفه أفضل ما قال النبي صلى الله عليه وسلم والنبون من قبله ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ) كان النبي صلى الله عليه وسلم يهليل بهذه الكلمات دبر كل صلاة مع أذكار أخرى ،

فالمغرض المذكور أن عامة الأذكار متضمنة الحمد ، في الركوع والسجود يشرع أن تقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي ، { فسبح بحمد ربك واستغفره } ( سمع الله لمن حمده ) ( ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ) يعني أنت يارب أهل الثناء والمجد هذا الذي قلته هو أحق ما قال العبد ، حق ما قال العبد الذي قلته أنفأ وهو لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد إلى آخر الحديث

فالحمد لله أفضل الدعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله ) حديث صحيح فعبادة الحمد عبادة عظيمة الأهمية يحتاجها الإنسان إذا عاش يحتاجها الإنسان على الدوام وإذا عاش فيها سعد في الدنيا والآخرة وإذا تخلى عنها وتركها عاش شقيماً في الدنيا والآخرة فالكفر قرين الشقاء ، الكفر ضد الحمد بدلاً من شكر نعمة الله كفرها نعوذ بالله ، إذا كان الكفر ضد الشكر في اللغة فالشكر والحمد كما ذكرنا قرينان أو بمعنى واحد ،

الشكر جزء من الحمد باعتبار أن بينهما عموم وخصوص كما ذكرنا لأن الشكر على الإحسان على نعم الله سبحانه وتعالى ،

فالشكر أعم من جهة كونه يقع باللسان والقلب والجوارح ، والحمد أعم من جهة أنه على الحسن والإحسان على الجمال والكمال الذاتي وعلى الإحسان على الخلق فيبينهما عموم وخصوص

فعبادة الحمد عبادة يحتاجها الإنسان على الدوام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة ليحمده عليها وإذا شرب الشرية أن يحمده عليها ) حاجة الإنسان إلى أن يعيش في الحمد حاجته إلى أن يعيش سعيداً إلى أن لا يشقى إذا لم يحمد الله على نعمه تسخط نعم الله عز وجل رءاها صغيرة ضعيفة ذليلة رأى نفسه مظلوماً رأى نفسه يستحق أكثر ظل نعيشاً شقيماً في الدنيا والآخرة ،

لذلك نقول هناك فرق بين مجرد العبادة والثناء فالحمد فيه قول مع تعظيم القلب والمحبة وشهود النعمة وشهود الكمال أما إذا كان ثناءً فقط باللسان كما عرفه المتأخرون أنه الثناء بالقول فهذا هو المدح لا يكون الحمد إلا مع حب وتعظيم وشهود الفضل والنعمة ، أما المدح فهو يصدر من معظم وغير معظم يمكن أن يمدح من يحبه ويمدح من يكرهه نفاقاً ورياءً ويسمى مادحاً ولهذا ورد ذم المدح في بعض الأحيان كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحثي في وجوه المداحين التراب فهو مدح مذموم أما الحمد فليس كذلك ،

مدح المخلوق أمر يمكن أن يكون لأجل المصلحة ويمكن أن يكون لأجل مال أو وجاهة وهو لا يعظمه في حقيقة قلبه ولهذا ينقلب ذاماً له إذا لم يعطه ما يريد لكن إذا قيل فلان محمود على صفاته فهذا لا بد أن يكون من باطنه يثني عليه كما يثني عليه من ظاهرة والله أعلى وأعلم

قال تعالى في عبادة الحمد والشكر { فاذكروني أذكركم واشكروني ولا تكفرون } أمر الله عز وجل بذكره وأمه بشكره ونهى عن الكفر فأمر الله بشكر نعمته سبحانه ، هذا الشكر أن يستحضره الإنسان بقلبه يشهدها نعمة من الله عز وجل يعظم ربه بها ويثني عليه بلسانه فيقول الحمد لله على هذه النعمة ولها الحمد وله الشكر يثني بصرف هذه النعمة بطاعة الله بجوارحه فيكون قد شكرها عملاً كما قال الله تعالى { اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور } أصل معنى الشكر أن ما يقال دابة شكور إذا ظهر عليها من أثر العلف أكثر مما يظهر على غيرها إذا علفت ، إذا علفت مثلاً نصف العلف نمت وكبرت ، الله سبحانه يغذي خلقه يعطيهم نعمه يعطيهم النعم ويهبهم النعم فإذا ظهرت آثار هذه النعم من الثناء عليه عز وجل ومن معرفته ومحبته هنا قد شكروها والله عز وجل شكور يشكر القليل من العمل ، من أسمائه سبحانه وتعالى الشكور ، الله شاكراً عليم بمعنى أنه يقبل منهم ذلك اليسير ويكافئهم عليه أضعافاً مضاعفة لأنه سبحانه وتعالى غفور شكور فهو كثير الشكر بمعنى أنه سبحانه وتعالى يقبل حمدهم وشكرهم على تقصيرهم مع أنهم

مقصرون في الحمد والشكر لكن لأنه شكور يقبل ذلك الحمد ويرضى به ويجازيهم عليه أضعافاً مضاعفة فهو يقبل القليل من العمل ويغفر الكثير من الذلل ويثيب عليه الثواب الجزيل وهذا من شكره سبحانه وتعالى ، فمن شكر الله له قبل منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( بينما رجل يسير في طريق من طرق المسلمين فرأى شوكة على الطريق فقال لأنحن هذا عن طريق المسلمين فشكر الله له فغفر له ) شكر الله له أي قبله فهنا ظهور أثر العطاء من الله عز وجل على عبده أضعاف ما فعل العبد رضي منه باليسير وقبل منه هذا اليسير وأجازه وأثابه عليه أضعافاً مضاعفة، ثم نحى سبحانه وتعالى عن الكفر فقال واشكروا لي ولا تكفروني { لا تكفروني فيقال هذا كفر بالله ،

كفر تتعدى بالباء ، وكفر تتعدى بنفسها . ولا تكفرون . ولا تكفروني . فيقال كفر النعمة لا يقال كفر بها ولكن يقال كفرها ، نعمة كفرها ، فهو لم يشكر هذه النعمة ، فالأغلب الأعم على الكفار أنهم لا يشكرون نعمة الله عز وجل بل هم كذلك سمو كفاراً لأجل أنهم لم يشكروا ما أنعم الله عليهم من نعمة النبوة والرسالة والهداية فالأغلب الأعم في لفظة الكفر أن تعد بالباء . كفر به . والأصل أنها تستعمل في الأكبر ولكن قد تستعمل في الأصغر وغالباً ما تستعمل في كفر النعم ، فأما المتعدي بحرف الباء فهو غالباً لا يكون في الكفر بالله عز وجل وأما كفر النعم فيتعدى بذاته دون حرف الجر { واشكروا لي ولا تكفرون } لو زال أصل الشكر من القلب لزال الإيمان بالكلية كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وإنما عمدة عمل إبليس على إخراج العباد من الشكر قال سبحانه وتعالى عنه { ولا تجد أكثرهم شاكرين } نعوذ بالله هذا هو ظن إبليس الذي صدق عليهم كما قال سبحانه وتعالى { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين } أي صدق عليهم ظنه بأنهم لا يشكرون لو شكروا نعمة الله لقادهم ذلك إلى الإيمان فشكر نعمة الله هي أحد أجزاء الإيمان وأحد أركان الإيمان

ولو لم يشكر الإنسان ربه عز وجل لا قبله ولا بلسانه لما كان مؤمناً

لا قبله مثل أن يرى أن الله لم ينعم عليه وأنه يستحق ذلك بنفسه وأنه كان ولا بد وأن يحصل على هذه النعم ولو لم يفعل الله به ذلك لظلمه لم يكن هذا مؤمناً أصلاً فمن لم يرى لله عليه فضلاً ونعمة لم يكن مؤمناً ولم يكن موقراً بأن الله المتفضل بالكمال والإنعام والإحسان إلى خلقه سبحانه وتعالى فزوال الشكر من القلب بالكلية زوال العبودية بالكلية وحصول الكفر بالقلب لأن الكفر ضد الشكر كما تدل عليه هذه الآية { واشكروا لي ولا تكفرون } فإذا زال الشكر بالكلية زال الإيمان وحصل الكفر الكامل المطلق والعياذ بالله ، وقال سبحانه وتعالى واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون { أمرهم الله عز وجل أن يأكلوا من الطيبات ما رزقهم وأن يشكروا نعمته فإنما رزقنا الله لنشكره وهذا من حكم الله تعالى أن خلقنا في حاجة وأعطانا ما نسد به حاجتنا وجعل ذلك سبيلاً إلى ما أعظم من تلك الحاجة ، حاجتنا إلى شكر نعمة الله بعبادته أعظم من حاجتنا إلى الهواء والماء فنحن والله لا نحصى ثناءً على الله من الأنفاس كل نفس نعمة من الله عز وجل عظيمة وكل طعام وشراب نعمة وشكرك على هذه النعم نعمة من الله عز وجل فأنت تحتاج إلى ذلك لصالح قلبك وحياة قلبك أكثر من حاجة نبدك إلى الهواء والطعام والشراب فهذا الشكر سبب لحياة القلب وشهود نعم الله سبحانه وتعالى فلو شبعنا منع الأكسوجين عن البدن يترتب عليه حياة هذا النعم فلو منعنا الشكر لامتنع سبب حياتك فأنت محتاج لحياة قلبك أكثر من حياة بدك فأنت تحتاج إلى الشكر أشد من حياتك إلى النعم ، فجعل الله عز وجل النعم حاجتك إليها سبباً يأخذك بها إلى ما هو أهم يأخذ بقلبك إلى شكره إلى نعمة أتم وهي أن تشكره سبحانه وتعالى فيعطيك المزيد لأن الله قال { وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } فمن نعم الله أن خلقنا في حاجة إذا أعطانا حاجة عرفنا أنها نعمة فنشكره عليها وشكرنا نحن إليه أعظم احتياجاً لأنه سبب لحياة قلوبنا . أكسوجين القلب . الذي بدونه يموت وإذا مات القلب ضاعت آثار النعم فمن نعم الله عز وجل علينا التي نشكره أن جعلنا في حاجة وأعطانا حاجتنا ووفقنا لشكرها فأعطانا المزيد ،

وفي الأثر الإسرائيلي أن داوود عليه السلام قال ( يارب كيف أشكرك وشكرك نعمة تحتاج إلى شكر فقال يا داوود الآن شكرتني ) أي حين يشعر العبد أنه يعجز أن يحصى ثناءً على الله كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( اللهم لك الحمد كما نقول وخيراً مما نقول لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ) فهنا تكون قد وصلت إلى الشكر يقبل الله ذلك منك

قال الله عز وجل { واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون } دليل على أن من لم يشكر نعمة الله لم يعبد الله ولذا نقول زوال الشكر بالكلية يؤدي إلى زوال الإيمان بالكلية أو هو زوال الإيمان بالكلية وزوال العبادة بالكلية والله المستعان ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٣٦- تابع ... الحمد والشكر

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،



قال الله سبحانه وتعالى آمراً عباده بشكر نعمته قال { واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون } الآية دليل على أن من لم يشكر نعمة الله لم يعبد الله واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ، من لم يشكر لم يعبد الله لذلك نقول أن زوال الشكر بالكليّة هو زوال الإيمان بالكليّة وزوال العبادة بالكليّة ولذلك قلنا أن كل أعمال القلوب لابد من وجود أصلها حتى يحصل أصله الإيمان في القلب ، وكما قال سبحانه وتعالى في الخوف { وخافوني إن كنتم مؤمنين } وكذلك من لم يشكر الله سبحانه وتعالى لم يعبد ، الله سبحانه وتعالى جعل الشكر ضد الكفر ولذا كان سبيل إبليس في الناس أن يجعلهم غير شاكرين فقال { ولتجدن أكثرهم شاكرين } زوال الشكر بالكليّة معناه أن لا يعترف الله سبحانه وتعالى بقلبه بنعمته عليه يرى أن الله لم يعطه شيئاً ولم يهبه شيئاً وأن الأمر من عنده وأن الله لا يستحق ثناءً على هذه النعمة وإنما هي من عنده هو من عند العبد ، وأنه يثني على نفسه بهذه النعمة لا على ربه عز وجل بقلبه فهو لا يعترف ولا عظم الرب بهذه النعمة ولا يثني عليه بلسانه ولا يستعملها في جوارحه في الأولى وقال سبحانه وتعالى { وسيجزي الله الشاكرين } سيجزيهم أعظم جزاء وأعظم شكر لنعمة الدين الثبات عليه سيجزي الله الشاكرين ، هذه الآية ذكرها الله عز وجل في سياق ذكر ما وقع من الصحابة في غزوة أحد عندما سمعوا بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين } فالآية في الترغيب في الثبات على الدين وعدم الانقلاب على العقب عند وفاة محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله فضلاً عن وفاة من دونه أو قتله نسأل الله أن يثبتنا على الدين ، فاعظم شكر على نعمة الدين بنعمة الله عليك بالدين أن تثبت عليه ولا تنقلب على عقبيك وسيجزي الله الشاكرين الذين ثبتوا ولم ينقلبوا وأن هذا شكر واجب لنعمة الله مع أن المقام مقام ابتلاء كان يظن مثلاً أن يقال وسيجزي الله الصابرين عند موت الرسول أو قتله لكن قال هنا وسيجزي الله الشاكرين ، ولا شك أن نزول أعظم مصيبة بالمسلمين إذا مات النبي أو قتل صلى الله عليه وسلم كما قال أبو بكر هذه الآية عند موت النبي صلى الله عليه وسلم يثبتهم بها على الدين قال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا هذه الآية وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين } فما جاء له النبي صلى الله عليه وسلم من عبادة الله هي أعظم نعمة وشكر هذه النعمة بأن تثبت عليها كما نبه على ذلك أبو بكر رضي الله عنه ، فمن انقلب على عقبيه فقد كفر هذه النعمة ولم يشكرها ولم يكن محققاً في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من العقيدة والتوحيد والعبادة لله سبحانه وتعالى ، من كان يتمسك بالدين عند وجود النبي فإذا مات النبي انقلب إذا لم يكن هو يعبد الله سبحانه وتعالى بل كان يعبد محمداً ولذا قال أبو بكر هذه الكلمة العظيمة . من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . فشكر نعمة الله عز وجل في هذا المقام بالثبات على الدين فهذا المقام فيه صبر وشكر معاً ، شكر نعمة الله أن تصبر على هذا الدين أن توحد الله عز وجل على كل حال وفي كل وقت وتثبت على عبادة الله عز وجل سواء وجدت معيماً أو لم تجد سواء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً أو قد مات ورحل عن هذه الدنيا من السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الحمد والشكر قال ( إن الله لرضى من العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمدها عليها ) رواه مسلم وغيره ، فالله جعل الأرزاق سبباً للشكر ، الله يرزقنا لنشكر { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون } جعل الله لنا الأرزاق وجعل فيها الحاجة إليها وأحب منا ورضي منا باليسير أننا نعرف أن النعمة منه ونشكره على نعمته سبحانه وتعالى فالله يرضى باليسير بعد أن يأكل العبد يقول الحمد لله وإذا شرب الشربة يقول الحمد لله ولو تأمل الإنسان كيف وصلت إليه هذه الشربة كيف نزلت من السماء في وقت لا يعلمه إلا الله هذه القطرات التي تشرّبها والتي تأتيك بكل سهولة لو فكرت من أين أتت وفي أي يوم من الأيام نزلت من السماء إلى الأرض وكم في رحلتها الطويلة ومن نقلها إليك حتى وصلت إليك هذه القطرات ربما تكون سقطت في مكان بعيد جداً عنك في أواسط أفريقيا أو في شرقها أو في غربها ثم سارت عبر الجبال والوديان لا ينقلها أحد وإنما يجريها الله عز وجل وسرت في مجرى النهر إلى أن وصلت إليك في النهاية فكل هذه المسافة الطويلة أحتجزت مدة عند العواقي والغابات ووقفت عند السدود والقناطر مدة ثم مرت بمراحل كثيرة حتى وصلت إليك نقية تشرّبها بفضل الله عز وجل ، فماذا صنعت في هذا كله ؟ أنت فقط تناولت هذا الكوب من الماء فتحت الصنبور وتناولته فلو فكرت في هذه النعمة مع أنه لو أراد الله عز وجل أن يجعلها ملحاً مرّاً نسبة الملح فيها أنت لم تحددها ولا العالم كله حدده الله عز وجل الذي جعل فيها نسبة من الملح لا تضرك لو زادت هذه النعمة أجزاء من عشرة في المائة لأصبحت كماء البحر المملح فلا تصرف من البشر يستطيعون أن يصنعوا هذا الماء قال الله عز وجل { أفأريتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولاً تشكرون } هلا شكرتم لأنها عذبة تتناسب مع تكوين الإنسان والحيوان لو زادت نسبة الأملاح نسبة بسيطة الفرق بينهما فرق يسير فإذا كانت هذه القطرات ماءً ملحاً أجاجاً لما استطعنا الحياة على وجه الأرض ، فسبحان الله لا نرتوي ولا ننتفع إلا بالماء العذب الذي أنزله الله عز وجل كذلك ، فتخيل لو أن الناس يريدون أن يصنعوا عذوبة ماء البحر كم من الأجهزة والأموال والطاقت تنفق لأجل تحلية مياه البحر ويصبح ماءً طعمه ليس كطعم الماء الذي أنزله الله من السماء والذي جرى في الأنهار ثم لا تكاد تكفي حاجة الناس ، هذه المياه التي يخلونها من البحر لا يمكن أن تكون كافية لاحتياجات البشر وتغيشهم وتقضي كافة احتياجاتهم فما جعله الله عز وجل نازلاً من المزن من السحاب كماء المطر الذي يجري أنهاراً بعد ذلك ثم يكون عيوناً في الأرض ، كل ذلك إذا فكر فيه الإنسان فشكر نعمة الله عز وجل وأقر بأن النعمة منه سبحانه وتعالى كان له في ذلك الرضا من الله سبحانه وتعالى لأن الله يرضى من العبد أن يشرب الشربة فيحمده عليها ولو نظر بعد ذلك في نعمة الله عز وجل عندنا تصل هذه القطرات إلى جوفه فهو لا يستطيع أن يصنع لها شيئاً فعلاً دور الإنسان محدود للغاية وهو في كل أموره مملوك فلو شرب الإنسان هذه الشربة بعد أن أتت إليه بلا مجهود منه وإنما في رحلة طويلة عجيبة الشأن يسرها الله عز وجل له بالنسبة التي فيها مصلحته إذا شربها هل يملك أن تمتصها المعدة تخيل إنسان عنده التهاب في جدار المعدة يقول كلما أكل حتى شربة الماء يرجع كلما أشرب أو أكل أرجعها ، لا يستطيع أن يمنع نفسه أو يكلف معدته أن تمتص الماء أو تمتص الطعام لا يقدر على ذلك ثم جريان هذه القطرات في شرايينه وعروقه إلى أجزاء يحتاجها البدن لو حصل له جفاف في الخلايا وهذه القطرات أتت تنعش هذه الخلايا مرة أخرى وتعيدها إلى الحياة وقد أوشكت على الموت أو أنها يعني قد ماتت بالفعل فغيرها يقوم مقامها لو حصل له حركة عكسية فقط في اتجاه الجهاز الهضمي أو خلل في الجهاز الدوري أو خلل في استقبال الخلايا لهذه المياه بلد ما تدخل في الخلية تخرج مثلاً ، تجعل رجله تتورم يقولون رجله فيها ماء ، الركبة فيها ماء هي فعلاً خرجت المياه إلى مابين الخلايا بدلاً من أن تنتفع بها الخلايا تركزت في جانب من الجسم دون الجانب الآخر تخيل أن الكلى عجزت عن استخلاص البول والزائدة من الماء ماذا يترتب عليه ؟ في بعض من عندهم الفشل الكلوي لا يخرج قطرة من البول لا يستطيع الكلى لا تخرج شيئاً على الإطلاق لا تستخلص هذه المياه الزائدة عن الجسم ،



تدبير هذه الشربة في جسم الإنسان آيات عديدة تحتاج إلى شكر والله عز وجل يرضى منك أن تقول الحمد لله وأنت تشكر نعمة الله حين تأكل من رزقه الواسع الطيب ،

فكل هذه الأمور في شربة واحدة بل شعور الإنسان بالعطش نعمة من الله عز وجل لأنه منضبط انضباط تام بجميع أجزاء الجسم بحيث يعطيه الشعور إلى الحاجة إلى الماء مترجم إلى عطش وجفاف في اللسان والحلق وبقيّة الخلايا تشعر بذلك لكن هذا الجزء هو الأساس المهم لكي يطلب الإنسان بالماء ،

لو اختل مركز الشعور بالعطش في مخ الإنسان فلم يطلب شرب الماء أو ظل يشرب بلا ضابط لكان في ذلك نوع من الهلاك للإنسان

حتى الشعور بالألم وهو الشعور بالعطش هذا الشعور في مصلحة الإنسان وهو شعور لكي تستمر حياته استمراراً مستقراً مناسباً ، فإذا حمد الله عند ذلك وقد شهد هذه المعاني فعندها يقول الحمد لله لا نحصى ثناءً على الله نقول الحمد لله كما تقول وخيراً مما نقول لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك والرسول صلى الله عليه وسلم يرشدنا إل مثل هذه المعاني كما يرشدنا القرآن إلى ذلك في الآية التي ذكرنا في قوله عز وجل { أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون } وكذا في الأكلة حيث قال الله سبحانه وتعالى { أفأرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو لجعلناه حطاماً فظلمتم تفكّهون إنا لمغرمون بل نحن محرمون } هذه الحبة الغذائية حبة القمح أو حبة الأرز هذه المادة التي تكوّنّها لم يخرجها أحد من البشر ، البشر وضعوا البذرة وسقوها بالماء لكن خروج النبات من تلك البذرة ونمو هذا النبات وقابليته لأخذ الطاقة من الشمس وثاني أكسيد الكربون من الجو والمواد الباقية من التربة وتحويل هذا إلى مادة غذائية نافعة لا يملك الإنسان ذلك ، أنت أكلت ولكن هل شعرت بأن هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى أنت تعجز عنها والبشر كلهم يعجزون عنها وبعض النباتات تأخذ نفس هذه المعطيات وتحوّلها إلى سموم نباتات سامة هناك نباتات سامة مبنية على أخذ الطاقة من الشمس وثاني أكسيد الكربون من الجو وبعض العناصر من التربة وتخرج لنا أفيون سام مخدرات قاتلة سموم قاتلة تبديد حياة الإنسان مباشرة ، الفرق بينها شكل الجزئي الذي تكونت منه المادة الغذائية يمكن أن تشكل في صورة أخرى من نفس العناصر الذي تكون منها لو جعله الله سبحانه وتعالى على صفة أخرى غير هذا يمكن أن يتحول هذا إلى شيء مختلف إلى حطام لا ينتفع به الإنسان ، هذا النبات يمكن أن يكون شيئاً آخر فسيحان الله كل هذه الأمور الله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى تدبرها لكي نحمده سبحانه وتعالى ونشكره شكر العاجز عن الإحاطة بنعمة الله وإحصائها كما قال سبحانه { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار } فلو استحضر الإنسان ذلك وهو يقول الحمد لله عندما يأكل الطعام ويشرب الشراب لرضي الله عز وجل منه ذلك ويثني على الله سبحانه وتعالى بذلك ، وكذلك ما أعطانا الله عز وجل من نعم خلقها فينا في الآية التي قبلها في قوله عز وجل { أفأرأيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون } هذه المعاني تدبر القرآن يدفعا إلى أن نلاحظها ونشاهدها جلية واضحة ، الرجل يجامع امرأته ولكن هل يستطيع أن يعطي هذا الحيوان المنوي وتلك البويضة شيء من السمع والبصر ؟ من الحياة من اليد من الرجل والبطن والجهاز الهضمي والدوري والبولي والتناسلي والعصبي والمخ والعظام وواحدة منها إذا تعطلت شقي الأوبان مع هذه الطفل في البحث عن علاج ما ، والله أعطاه كل ذلك فعندما يشهد هذه النعم من الله عز وجل فيشكره عليها يعرف أنه يعجز عن عدها والوقوف على حدها ، لا يستطيع عد النعم ولا يستطيع أن يقف على حدود كل واحدة منها إذا أتتك وأنت جالس كله قد حضر أمامك في مائدة الطعام يدك التي تمد نعمة حركتها نعمة حركة الطعام وتناولك إياه نعمة ، حضور ذلك الطعام وتناوله نعمة ، حضور ذلك الشراب وتكونه نعمة وكل هذه فوق أن يحصيها الإنسان ، فلولا الغفلة لما عصى الله عز وجل أحد ولما عصاه عاص ولما كفر به كافر ، لأن الإنسان ظلوم كفار حيث يغفل عن نعمة الله ، وإن تعدون نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار فالغفلة هي سبب حصول الظلم والكفر ممن لا يشكر نعمة الله سبحانه وتعالى ،

وأهل الإيمان يشكرون الله سبحانه وتعالى على هدايتهم للتوحيد والدين والنعمة به كما يشكرونه على المطعم والمشرب والملبس وقوة البدن وغيرها من نعم الدنيا ،

عامة الناس يشكرون الله عز وجل ، على نعم الدنيا فقط على أنه أطعمهم وسقاهم وهذا حالة عامة للمسلمين وكذا من يقر بنعمة الله عليه من أهل الكتاب الذين يقرون بوجود الله عز وجل فهم يعيشون حياتهم لا يشكرون نعمة الله عز وجل عليهم بالدين كل من يفكر في يوماً في شكر شيئاً من النعم لا يلتفت إلا إلى نعمة الدنيا مع أن عامتهم مشغول مع أن أنت شخصياً لو تذكرت أن تقول في أو الطعام باسم الله وفي آخره الحمد لله فأنت معدود من الملتزمين بالذكرين وأما عامة المسلمين فضلاً عن أهل الكتاب فلا يفكرون في ذلك أصلاً ويرون ذلك أمراً معتاداً لا يحتاج إلى تفكير وتدبر ، أما باقي الأمم لا تعترف بوجود الله أو يشكرون به الأوثان والأصنام والحيوانات والبشر نعوذ بالله من ذلك فلو تذكر الإنسان هذا لعلم أن نعمة الله عليه بالإيمان والدين والهدى التي جعلته يعرف نعم الله سبحانه وتعالى عليه ويشكرها أعظم نعمة أنعم بها على أحد

الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود كما ذكرنا من قبل ، قلنا هذه فيها نقص في أنها لا بد أن يكون مع تعظيم وحب وهو يثني على الله عز وجل مع محبته ومع تعظيمه فلا بد أن يحمّد الله بمعنى يثني على الله عز وجل وهو يحبه ويعظمه وينسب النعمة له وأما كما ذكرنا أن الحمد على الصفات اللازمة والمتعدية على الحسن والإحسان كما سبق شرحه وأما بالنسبة إلى الشكر فهو على الإحسان ويكون بالقلب وباللسان وبالحوارج في طاعة الله سبحانه وتعالى ،

والحمد هو الذي يسكن غضب الرب سبحانه وتعالى فالرب عز وجل يغضب غضباً شديداً يوم القيامة لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله ويستشفع الناس يذهبون إلى الأنبياء واحداً واحداً يطلبون الشفاعة منهم إلى أن يأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ( أنا لها ) فيبدأ بالحمد فيقول ( فأحمد ربي بتحميد يعلمني ) فهذا الذي يسكن عنده غضب الرب عز وجل ويقول يا محمد قل يسمع سل تعطى واشفع تشفع ، ولذلك الحمد من أعظم العبادات والثناء على الله سبحانه وتعالى من أعظم ما يرضي الرب عن عبده سبحانه وبحمده ،

فالرسول صلى الله عليه وسلم إذا أتني على الله عز وجل بثناء يفتح عليه يومئذ لم يعلمه إياه قبل ذلك عند ذلك يسكن غضب الرب سبحانه وتعالى ويفصل بين عباده ويريح عباده المؤمنين من أهوال القيامة ويدخلهم الجنة بعد ذلك ، كذا في استفتاح باب الجنة فإنه يثني على الله بثناء يعلمه إياه يقول ( فأحمد ربي بتحميد يعلمني ) هذا بالنسبة إلى عبادة الحمد وعبادة الشكر

من العبادات الواجبة التواضع لله سبحانه وتعالى

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( وما تواضع أحد لله إلا رفعه ) وهذا يشمل عدم التكبر على أمر الله سبحانه وتعالى ويشمل عدم التكبر على عباد الله عز وجل فالذي يتكبر على أوامر الله لا يتواضع لله عز وجل كإبليس فيرد شرعه سبحانه وتعالى { إلا إبليس أباً واستكبر وكان من الكافرين } فهو يرى نفسه كبيراً على أن يتمثل ويخضع لأوامر الله فهذا الكفر والشرك

أما المؤمن فهو يرى نفسه ضعيفاً عاجزاً ذليلاً خاضعاً عند الله مقهوراً لا بد أن يتمثل لأوامر الله ويخضع له مع محبته له وتعظيمه له واعتقاده أن الله تعالى أكبر وأنه هو العلي الكبير ، هذا المعنى الذي يستحضره المؤمن في صلاته مرات عديدة حين يقول في صلاته الله أكبر عدد من المرات في كل ركعة فإله أكبر من كل شيء هذا التكبير والتعظيم لله سبحانه وتعالى هو عبادة التواضع لأنك ترى نفسك صغيراً حقيراً ضعيفاً في هذا الملك الواسع ترى نفسك ذليلاً لله سبحانه وتعالى فتواضعك له تكبير الرب سبحانه وتعالى

التكبير عبادة لا تصح الصلاة بدونها وإن كان لفظاً يقال إلا إنه يعبر عن حقيقة في القلب أن التواضع لله عز وجل هو سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء وله الكبرياء تفرد بذلك ، ليس للعبد نصيب من الكبرياء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ) لو نتأمل ونتدبر أن كل الأذكار التي نقولها في الصلاة وفي العبادات المختلفة كلها تدل على عبادات قلبية أصلها عبادات في القلب يعبر عنها باللسان ، المشكلة الحقيقية عندنا أن عبادتنا تحولت إلى ألفاظ ونتمت جداً بشكلها الخارجي مع خلو الباطن أو ضعف ما يوجد فيه من تلك العبادات ،

فعبادة التواضع لله عز وجل وتكبير الرب سبحانه وتعالى عبادة لا بد لكل واحد منها ، لذلك فرد علينا أن نقول . الله أكبر . هذا التواضع لله أن يرى الإنسان نفسه كما ذكرنا ضعيفاً صغيراً يرى ربه هو العلي الكبير يعظم أوامر الله عز وجل ولا يتكبر على شرعه أبداً لذا كان التكبير على أوامر الله أغلظ أنواع الشرك والكفر والعياذ بالله ، الكثير من الناس يحاول تقسيم أنواع الكفر ويجعل بعضها أخطر من بعض ، لو كان فكفر الإباء والإستكبار أغلظ فهو كفر إبليس وهو الذي دفع إلى إضلال من أضل إبليس من بني آدم بشرك الدعاء وشرك الاستغاثة وشرك الذبح ونحو ذلك من صرف النسك لغير الله ، لذلك نتعجب ممن يجعل الذين يتكبرون على شرع الله سبحانه وتعالى ويرون أنفسهم أكبر من أن يخضعوا لهذه الأوامر ولا يعبتون لهذا الشرط ولا يعبتون لأوامر الله ولا يعظمونها بل يزدرونها ويحتقرونها يجعلهم ليسوا أعداء للدين بل يتولاها ويعاونهم على مقاصدهم وهو إما أحسن أحواله أن يكون جاهلاً في غفلة عن حقيقة هؤلاء الذي يصدون عن سبيل الله وإلا فقضية قبول شرع الله أعظم بكثير من وجود قوانين في قضايا خصوصيات أو في حدود أو نحو ذلك الباب أغلظ من ذلك بكثير أعني أن هؤلاء الذين يتكبرون على شرع الله سبحانه وتعالى أعظم الناس كفراً هم أبالسة نعوذ بالله ، القضية عندهم قضية التشريع أنهم لا يرون أنفسهم يخضعون لله عز وجل ، قضية العلمانية والتحرر من سلطان الدين لأهم يرون أنفسهم فوق الدين ، هذه قضية كيف يتصور أن تكون قضية ثانوية أو لا نتكلم فيها لأنها لا ترضي القوم أو نحو ذلك نعوذ بالله ، فالمؤمن أبداً لا يتكبر على شرع الله ودائماً يعظم أوامره وأنه هو الثاني من التواضع هو لعباد الله ،

ثمرة التواضع لله عز وجل ، يتواضع لعباد الله المؤمنين يرى أنفسهم من أقلهم ولا يرى نفسه فوقهم ولا يمن عليهم بشيء ،

الذي يمن على عابد الله هو راجع في الحقيقة أنه يرى نفسه فوقهم ومأساة المتصارعين والمتخاصمين دائماً في إرادة العلو ، والله عز وجل قد جعل الدار الآخرة لمن لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً

فالذي يظن أنه فوق الناس وأنه أعلى منهم قدراً وأنه أعلى منهم منزلة هو الذي يمن عليهم ويرى نفسه فوقهم فالتواضع للمؤمنين يكون لله عز وجل إخلاصاً له ويعامل عباد الله بذلك ، رفيق عليهم شفيق بهم رحيم في معاملته لهم كما وصف الله عز وجل { أدلة على المؤمنين أعره على الكافرين } فهو يذل عليهم أي يعطف عليهم ويعاملهم كأنه ذليل وليس بذليل كما قال تعالى في معاملة الوالدين { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } فهو يرحمهم ويعطف عليهم ويعاملهم معاملة الذليل لا هوان وذلة لنفسه ولكن رحمة بهم ، وهذه العبادة أصلها في القلب وظاهرها السلوك في التعامل بين الناس ، وكما ذكرنا أصلها تواضع العبد لله تعالى أن يرى نفسه خاضعاً لأوامر الله ولا يتكبر على شرعه سبحانه وتعالى ،

فإبليس كان من الكافرين رغم أنه مصدق لأوامر الله لأنه أباً وتكبر والعياذ بالله من ذلك فلاستكبار والإباء هما ينفيان الانقياد والقبول فلذلك كفر إبليس نعوذ بالله من ذلك

الافتقار إلى الله

ومن العبادات الواجبة الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، كما قال عز وجل { يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد } فالعبد لابد أن يشهد هذا المعنى يمثل أمر الله الذي خاطب به كل الناس { أنتم الفقراء إلى الله } فالعبد مفتقر إلى الله عز وجل ، المؤمن يرى ذلك لا يرى نفسه مفتقراً إلى الناس ولا إلى شيء من الدنيا فمن أجل ذلك من أجل افتقاره إلى الله نفذ يديه من الدنيا بطلاً أو طلباً نفذ من الدنيا لا يطمع فيها ولا ينافس عليها ولا يتعلق قلبه بها ، إذا وجدت أنفقها وإذا فقدت لم يطلبها لأنه مفتقر إلى الله وحده أكثر الناس قد افتقروا إلى الدنيا إلى شهواتها ولذاتها لا يفترون عنها منهم من افتقر إلى المال ومنهم من افتقر إلى الجاه ومنهم من افتقر إلى الأهل وهم عامة الناس يفتقرون إلى الأهل والأصحاب يضحون من أجل ذلك لدينهم في أكثر الأحيان أو على الأقل لطاعتهم لربهم كما قال الله عز وجل عن إبراهيم { وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا } فمن أجل هذه المودة كفروا نعوذ بالله ، لا يستطيع أن يخالف أهله لا يستطيع أن يخالف الأبوين هو على ملة عبد المطلب نسأل الله العافية ، من أجل ذلك باع دينه بعرض من هذه الدنيا ، من أجل شدة افتقاره إلى الأهل وشدة افتقاره إلى العشيرة باع دينه والعياذ بالله

فأما المؤمن فهو المفتقر إلى الله وحده مستعد للتضحية بكل شيء إلا دينه الذي هو أعظم شيء عنده ،

أكثر الناس يقدم هذه الدنيا ورباطها على دين الله عز وجل لأجل شعوره بالفقر إليها يبيع فطرة التوحيد التي فطره الله عليها لأجل ألا يفقد الروابط الاجتماعية ولذلك هو أشد افتقاراً إلى هذه الروابط من افتقاره إلى الله عز وجل لذلك كان الفقر إلى الله يستلزم نفذ اليدين من الدنيا بأنواع الشهوات كلها ، النساء والمال والجاه والعلاقات الاجتماعية والمسكن والتجارة التي يخشى كسادهها وغير ذلك يتخلص من البخل ويتخلص من الجبن من الشح بهذه الأشياء

من الضبط أن إذا وجدت في يده تمتع من النفقة منها ،

هل هناك نفقة من الجاه ؟ نعم إذا عرضت نفسك للخطر في وجاهتك عند الناس أن يهينك أحد أو يكلمك كلاماً سخيلاً أنك دعوت إلى الله أمرت بمعروف نهيته عن المنكر لأنك التزمت بدين الله فأنت من هنا تنفق من الجاه ،

ليس البخل من المال فقط هناك البخل كما ذكرنا بالعلاقات الاجتماعية من أجل مودة بينهم باعوا دينهم والعياذ بالله ،

وأما الحرص عندما تفقد هذه الدنيا عندما يفقد شيء منها فيحرص الإنسان إلى أن يطلبه فمن افتقر إلى الله عز وجل نفذ يديه من الدنيا بخلاً وحرصاً ، بخلاً عندما توجد مستعد أن ينفق ، حرصاً عندما تفقد لا يجري ورائها ،

فلذلك نقول أن أكثر الناس فقراء إلى الدنيا لأجل أنهم يطلبونها مع كونهم لا يحصلون منها على شيء ، أكثر الناس فقراء ، فقراء إلى الدنيا ومنها كذلك يعني يعيشون في الدنيا متطلعين إليها ومع ذلك لا ينالونها لأن الغنى فيها محدود والمملك فيها محدود ضاع منهم الأمان ولا حول ولا قوة إلا بالله لا هم تمتعوا بالشهوات لأنها مفقودة والشهوات لا تتسع لأن ينالها كل واحد فالمملك مثلاً لا يناله إلا أحد الناس لا يمكن أن يكون هناك ملك في كل بقعة أو أن يكون كل إنسان ملكاً إنما الجنة فيها كذلك كل أصحابها ملوك { وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً } أما هنا في الدنيا فلا ،

كذلك الغنى المال لا يمكن أن يكون في يد أكثر الناس ، الفقر أكثر من الغنى والجاه كذلك الشهرة والمنزلة والسلطان والأوامر النافذة لا تكون لأكثر الناس فأكثر الناس لا يستمتعون بشهواتهم ومع ذلك يحرمون تخلص قلوبهم منها لو استراح الإنسان من الدنيا لاستراح أعظم راحة المهم أن يتخلص القلب من طلبها والبخل بها فعند ذلك يتحرر منها لكن أن لا يستمتع بها وأن يحرم قلبه من التخلص منها فهذا هو البلاء ، فهو يظل يجري وراء الدنيا محروم حتى بالتمني والخيار لذلك أكثر الناس يشاهدون التلفزيون والأفلام ويقرأون القصص الخيالية وأكثر الشباب يميلون إلى ذلك لأنه يريد أن يسرح يريد أن يظن نفسه عنده كل الذي يراه ولذلك يتناول المخدرات لماذا يشرب الناس المخدرات في العالم مع أنها تقتل الشعوب ومن ضمنها شعوبنا أنت لوسرت في أي مكان لوجدت المخدرات في كل مكان سببها الفقر لا القفر الذي هو قلة المال بل الفقر الذي هو عظمة التعلق بالدنيا أنه متعلق بالدنيا أكثر من تعلقه بالله لو افتقر لاستراح راحة لا تتصور لكن هو اتعب نفسه بالجري وراء ما لا يدرك محروم من لذاتها وفي نفس الوقت محروم من الراحة منها فهو يتطلع إلى المزيد دائماً والموجود في يده لا يكفي وهذه طبيعة الإنسان الجاهل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لو كان لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولا يملئ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب ) وفي الرواية الأخرى ( لو كان له واديان لا يتغنى لها ثالثاً ) لذلك أهل الغنى غير متخلصين من الفقر من الدنيا لأنه عنده وادياً من ذهب ويريد الثاني عنده واديان من ذهب ويريد الثالث ، إذاً ظن قلبه غير متخلص ، ا

التخلص من الدنيا يكون بتخلص قلبه منها لذا كان ذلك من أعمال القلوب ولذلك هو الافتقار إلى الله عز وجل ألا يطلب المزيد من الدنيا بل يرضى بما قسمه الله له ، فأخبت الأحوال أن يجمع بين البخل وبين الحرص والطلب ولا يزال الشح يدفع الإنسان إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم )

والشح هو التطلع إلى ما ليس في يدك ، إطلاق البصر إلى العورات المكشوف من الشح ، الرشوة بسبب الشح ، السرقة والربا بسبب الشح الكبائر العظيمة بسبب عدم الافتقار إلى الله لأنه إذا افتقر إلى الله لم تشغله الدنيا ولم يطلب ما فقد منها لأنه مفتقر إلى الله وحده لا يحتاج إلى أحد ، الحزن على فوات الدنيا راجع إلى الافتقار إليها فلو امتلئ القلب افتقاراً إلى الله عز وجل دون من سواه لترك الدنيا طلباً وضبطاً لا يطلبها ولا يمسكها إذا وجدت ، قال عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه " إني إذا وقيت شح نفسي لم أزيي ولم أسرق ولم أفعل ما أفعل " نسأل الله العافية ، لذلك التطلع إلى ما ليس في يدك وإلى ما هناك الله عنه هو الشح ، تتطلع إلى ما حرم الله ، لو كان هذا التطلع في الحلال لكان مذموماً لو كان طلباً للحلال المفقود يعني يريد لكن بالحلال لكان مذموماً لأنه شغل للقلب بما غيره أنفع للعبد منه ، ثم إن عامة ذلك يجر إلى الحرام لا تنال دنيا واسعة في وسط حرام كثير بغير أن ينالك من ذلك الحرام في الأغلب الأعم إلا من رحم الله ، أن يكون واسعاً فيما عنده من الحلال من غير شبهة حرام فالأغلب الأعم أنه مليء بالنزاعات والزاعات أنت لا تدري أمحق فيها أنت أم مخطئ وأنت لا تدري بالفعل أنت أم من خالف هو صاحب الحق يوم القيامة نسأل الله العافية ، من تعود على نط معين من انماط الحياة لا يستغني عنه ولا يستطيع التضحية به فيترتب على ذلك أن يطلبه إذا فقد ويحرص عليه بأي وجه حصل بحلال كان أو حرام ويرى أن حياته تتوقف إذا لم يحصل على هذا الشيء ولم يحصل على اللذة الفلانية فيطلبها طلباً غير جميل من حلال كان أم حرام ، قال تعالى { ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض } وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها وعلمها ) هذا هو الحسد المشروع وهو الغبطة لأنه لا يجوز للمؤمن أن يتمنى زوال نعمة المال عن أخيه المؤمن ولا نعمة القرآن والحكمة وإنما يغطه على ذلك إذا معنى الحديث لا حسد مشروع إلا في اثنتين لا يستحق المدح من الغبطة إلا من غبط في هاتين فدل ذلك على أن الغبطة في أمور الدنيا ليست محمودة ، لا حسد مشروع إذا لا غبطة مشروعة إلا في اثنتين ، الغبطة في غير ذلك الغبطة في أنه عنده سيارة أو عنده بيت واسع أو عنده كذا ليست محمودة فإذا كان الحرص على الدنيا في الحلال أمراً لا يحمده فكيف بمن يحرص عليها ولو في الحرام كيف بمن شح بها وبخل بها فالبخل والشح من أمراض القلوب الخطيرة لا بد التخلص منها ، أصل التخلص من الشح والبخل هو الافتقار إلى الله عز وجل فلو افتقر الإنسان إلى الله زال عنه الافتقار إلى الدنيا لأن الافتقار إلى الله وحده لا شريك له لا بد أن يغفل قلبه عن من سوى الله سبحانه وتعالى قيمتها عندما يفتقر إلى الله قيمة الدنيا سوف يغفل عنها ولا يذكرها تكون كجدي أسك ميت أو كجنح بعوضة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، والأسك هو مقطوع الأذنين ميت أنت لم تلتفت إليه هل تلتفت إلى المذلة وأنت آت في الطريق ؟ هل عظمها قلبك أم أنك لم تشعر أين كان صندوق القمامة وأنت قادم ؟ أنت لا تنتبه لأنك لم تلتفت إليه فلو سلمت منها حين تركتها وأنت لا تشعر بقدرها فهنا تسلم منها تركاً حين تركتها كنت سالماً منها لأن الإنسان أحياناً يترك الدنيا ولا يسلم منها يترك الدنيا وهو متعظم بالزهد فيها وهو شاعر بأنه ترك شيئاً لا ينبغي أن يتركه يعني كان يمكنه أن يدركه ويأخذه فيشعر بالعة بأنه تركها فهذا لم يسلم من الدنيا لأنها مازالت ذات قدر عنده يشعر بأنه ضحى بشيء ذو قيمة هذا لا يسلم من الدنيا قال الله تعالى { اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور { فرؤية أن الدنيا متاع الغرور رؤية واجبة { اعملوا { الله أمرنا بذلك فقال { اعملوا { وقال { وما الحياة الدنيا إلى متاع الغرور { هذه النظرة للدنيا أمر لازم يترتب عليه أن يترك المسابقة عليها لذا قال بعدها { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض { فالمؤمن سلم من الدنيا طلباً وضبطاً ، لا يطلبها حين تفقد ولا ييخل بها إذا وجدت وكذلك سلم منها لا ينافس في عزها ولا يجذع من ذلها ولا يأسى على ما فاته منها ولا يفرح فرح العجب والغرور بما آتاه الله منها أن ينسب الكمال لنفسه وأنه قد حصل هذه الدنيا بنفسه كمن قال إنما أوتيته على علم عندي أو قال هذا لي أو قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ، هذه الألفاظ التي صدرت من أناس وصلت إلى الكفر بسبب هذا الأمر نعوذ بالله من ذلك فمن رأى نفسه مستحقاً وصل إلى العجب والفرح بهذه الدنيا لذلك نقول أن المؤمن يسلم من المسابقة على الدنيا لأنه يسابق على الآخرة كل ذلك لأنه امتلئ قلبه بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

### ٣٧- باقي العبادات القلبية

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

تكلمنا عن الافتقار إلى الله تعالى لا إلى الدنيا كعمل من أعمال القلوب الواجبة والزهد في الدنيا كإلزام من لوازم الأمر وأن من فرح بنفسه وأعجب بها ورأى نفسه مستحقاً فقد وصل إلى أخطر الأمراض ومنهم من وصل إلى الكفر كقارون الذي قال ( إنما أتيت على علم عندي ) ووصل إلى العجب والفرح بهذه الدنيا ( إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ) فالمقصود فرح العجب والغرور لا مجرد السرور بنعمة الله تعالى ، فرح العجب بالنفس والكبر على الخلق ، أما المؤمن فيفرح بنعمة الله وبرحمته ( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )

من العبادات القلبية الواجبة عبادة التوبة

أمر الله سبحانه وتعالى بالتوبة في مواضع من كتابه فقال سبحانه وتعالى { وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } وقال سبحانه وتعالى { التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر } فبدأ بذكر التوبة وقال سبحانه وتعالى { ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون } فعجل سبحانه وتعالى من لم يتب جعله ظالماً فالناس بين قسمين إما تائب وإما ظالم وليس ثم قسم ثالث ،

إما أن يكون الإنسان تائباً وإما أن يكون ظالماً فمن ترك التوبة فهو ظالم وهي منزلة يبدأ بها العبد بالتزامه بدين الله عز وجل قال الله سبحانه وتعالى فيمن أشرك به ونسب له الصاحبة والولد قال سبحانه وتعالى عن النصارى { أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم } نقول يبدأ بها ويستمر معها يستمر إلى ما شاء الله من المنازل قال الله عز وجل { إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً } فهذه استغفار مقرون بتوبه بدليل قوله تعالى { إنه كان تواباً }

جعلنا التوبة أو ذكرناها ضمن الأعمال القلبية لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( الندم توبة ) فهذا دليل على أن التوبة من أعمال القلوب أصلاً وهذا الندم هو أصل التوبة مع وجوب الإقلاع عن الذنب والعزم ألا يعود وكذا العزم على ألا يعود إلى الذنب هو من أعمال القلب قال الله عز وجل { والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون } وهذا دليل على أنه لا بد وأن يعزم على ألا يعود فالمصر العازم على أن يعود إلى الذنب مرة ثانية لم يتب فلذلك كانت التوبة من أعمال القلوب وأصلها الرجوع فالإنسان في أصله ملتزم بأمر الله سبحانه وتعالى مطيع له سبحانه وتعالى أسره الشيطان بالذنب الذي أذنب فيبادر بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ويفر من أسر الشيطان ويبادر بالتوبة على الفور من جميع الذنوب قال سبحانه وتعالى { يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً } فهو يبادر بالتوبة كلما أذنب وعلى الفور كلما علم وقوعه في الذنب لا يؤخر ولا يسوف فإن التسويف شجرة تضرب بجذورها في القلب كلما ازداد المدى كلما ازداد الذنب ثباتاً وإصراراً وتعمداً فيثمر الثمار المرة ولكن يقطع الأمر ويبادر إلى التوبة على الفور لذا قال العلماء أن التوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب وكل ذنب معصية الله سبحانه وتعالى صغيراً كان أو كبيراً وجب عليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى منه فوراً دون أن يؤخر ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكر باباً خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض قبل المغرب لا يزال مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس منه فالتوبة تنقطع في حق العبد بالغرغرة تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وتنقطع في حق الناس على وجه الأرض بطلوع الشمس من مغربها كما قال عز وجل { يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً } وعند نزول العذاب كذلك فهو كالمعاينة { حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين } ولم تقبل توبته قال تعالى { فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون } فلا تقبل التوبة عند معاينة العذاب ولا تقبل التوبة ممن غرغر في خاصة نفسه ،

التوبة إلى الله سبحانه وتعالى واجبة من الذنوب الظاهرة والباطنة قال تعالى { وذروا ظاهر الإثم وباطنه } ذكر مجاهد في باطن الإثم الرجل ينوي أن يعود إلى الذنب أو ينوي أن يرتكب الذنب ، فلا بد أن يفتش الإنسان في نفسه عن ذنوبه ويراجعها وأن يتذكرها يستغفر الله عز وجل ويجدد التوبة منها ويحقق الندم عليها ويعزم ألا يعود إليها ،

وإن كان في حقوق العباد فإنه يبادر إلى أدائها والتخلص منها بردها إلى أصحابها أو طلب مسامحتهم إن كان في أمر من أمور الأعراض أو الأموال أو غير ذلك إن كان له عند أخيه مظلمة في عرض أو مال فليتحلل منها هكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح أنه لا يلزم أن يعرفه بتفاصيل ما قال في حقه في أمر العرض بل يستسمح إجمالاً والله تعالى أعلم ، وإن كان بعض العلماء قد ذكر لزوم ذلك وبعضهم لم ويجبه أصلاً وقال أنه لا يعرفه أصلاً بما قال بل يثني عليه وأن يستغفر له ويذكره بالخير في المجالس التي ذكره فيها بالسوء ولكن ظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم ( من كان له عند أخيه مظلمة في عرض أو مال ) وذكر العرض وهذا يدل على أنه لا بد أن يتحلل منها ونسأل الله العافية ،

وإذا علم الإنسان أنه سوف يصل إلى غاية الخرج في أن يخبر الإنسان الذي ظلمه بما ظلمه فعند ذلك سوف يكون مانعاً من ارتكاب الذنب مرة ثانية ،

من عبادات القلب الواجبة كذلك عبادة المراقبة لله سبحانه وتعالى وعبادة المحاسبة ،

المراقبة والمحاسبة بينهما اجتماع في باب وهو أن العبد يراقب نفسه أثناء عمله ويراقب نيته ويراقب لسانه ويراقب جوارحه وأما المحاسبة تكون بعد الفعل ، المراقبة قبل الفعل وأثناءه والمحاسبة بعد ذلك ، قال الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون } الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن ننظر ما قدما ليوم القيامة وقال عمر رضي الله عنه " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية "

فهذه العبادة عبادة المحاسبة وعبادة المراقبة أن يراقب الإنسان ربه سبحانه وتعالى فيما يفعل يراقب جوارحه الله يعلم أنه مسئول فيحاسب نفسه على ما قدم يحاسب نفسه في فعل الطاعات وفي فعل المحرمات ، هل قصر فيما فرض الله عليه من الطاعة ظاهراً أو باطناً وكذلك إذا فعل شيئاً من المحرمات أو المعاصي بجوارحه يراقب كما ذكرنا قلبه ولسانه وجوارحه يراقب نيته ويجعل ذلك لله سبحانه وتعالى مخلصاً ويجتهد في تحقيق الإخلاص في كل عمل من الأعمال ويراقب قلبه ويفتش هل وقع فيه شيء من الحقد والحسد والبغضاء للمؤمنين هل وقع في شيء من الرياء والعجب والكبر ،

والمرقبة والنظر في أعمال القلب من أهم الأمور ويتأكد ذلك في أيام رفع الأعمال إلى الله ولو استشعر العبد أن كل يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله مرتين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ) ولو استشعر أن كل أسبوع ترفع الأعمال مرتين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صوم الأثنين والخميس ( ترفع الأعمال إلى الله كل اثنين وخميس فيغفر الله لمن لا يشرك به شيئاً إلا أخوين بينهما شحنة فيقال هذان حتى يصطلحا ) وكذلك رفع في السماء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان ( إنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وفيه ترفع الأعمال لله عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ) وهذا رفع خاص كما أن رفع الأسبوع رفع خاص وذلك هناك رفع للأعمال في كل يوم مرتين في الصباح والمساء في صلاة الصبح وصلاة العصر فعندما يستشعر الإنسان ذلك يراقب ربه عز وجل ويراقب سمعه وبصره ولسانه لله عز وجل كما يراقب بطنه وفرجه يراقب ماذا سمع ماذا نظر ماذا تكلم وماذا أكل ويراقب كذلك شهوة الفرج يراقب ذلك ثم يحاسب نفسه في كل يوم وليله ينظر في ذلك كيف فعل فيه حتى إذا وجد سوءاً بادر بعلاجه وبادر بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى بادر بمعالجة النقص والتقصير إذا فرط في طاعة بادر إلى قضائها إن أمكن أو الإكثار من الطاعات الأخرى ليعوض ما فاتة منها فهذا أثر المراقبة والمحاسبة ، والنفس كالشريك الخوان إن لم تراقبها وتحاسبها خانك وأكل رأس مالك ولا بد من سؤال النفس عما قدم الإنسان والأولى في ذلك أن يكون مرة بالليل ومرة في النهار وربما كان الإنسان في عمره لا يقف للمحاسبة ولا يجلس مع نفسه فترة ينظر ماذا فعل في اليوم ولا خلال الأسبوع ولا خلال الشهر ولا اليسير وهكذا دون أن يعلم وأما من يراجع كل سنة مرت فقط في رمضان أو قبله في شعبان فإنه سيفوته الكثير من أمر المحاسبة لأن الإنسان نسي لأنه كثير النسيان فخصوصاً ما يؤله من الذنوب يريد أن ينساها لذلك بادر بالمحاسبة المستمرة لأنه بعد حين يدخل الذنب بعيداً ويغمر في طيات النسيان مع أن له أثره المدمر في قلب الإنسان إذا لم يتب الإنسان منه إذا لم يكن مبادر بالتوبة إلى الله عز وجل ظل الإصرار على الذنب مع النسيان مؤثراً أثراً خطيراً في قلبه لا يدري من أين يأتيه السوء والشر والبلاء والهم فمن هنا كان واجباً عليه أن يبادر إلى المحاسبة والمراقبة والتوبة والاستغفار

من عبادات القلب الواجبة عبادة التفكير

قال الله عز وجل { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار } قال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات ( ويل لمن قرأها ولم يتدبر فيها فهذا دليل على وجوب عبادة التفكير وقال سبحانه وتعالى { أفلا تتفكرون } فالله عز وجل مدح من يتفكر ويتدبر وقال عز وجل { أفلا يتدبرون القرآن } فالتدبر والتفكير يكون في آيات الله الكونية ويكون في آياته المسموعة والمقروءة كذلك يفكر في آيات الله سبحانه وتعالى في السماء وفي الأرض وفيما يكون بينهما من آيات { إن في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون } فهذه آيات ذكرها الله عز وجل وكذلك أمرنا أن نتفكر فيما سبقنا من الأمم وأن نتذكر مصيرهم وما وقع لهم نتعظ من ذلك ونعلم أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ونتذكر هؤلاء القوم كان لهم ملك وسلطان زال عنهم فنوفن أن الدنيا لا تبقى لأحد فالتفكير في مآلات الناس وفي مآل أمر الكفار إلى الخراب والوبار وكيف آل حال المؤمنين إلى النصر والتمكين والتوفيق وهو سبحانه وتعالى أمرنا أن نتفكر فيما وقع قبل ذلك وقصه علينا وإنما قصه للتفكير وتندبر ونتذكر وجعل فيه الموعظة وجعل في أنباء ما قد سبق ما ثبت الله به أفئدة المؤمنين كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق قال سبحانه وتعالى { وكذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين } فالله عز وجل ما قص من قصص الأمم السابقة سبيلاً للتفكير ثم التفكير في آيات الله المسموعة المتلوة المقروءة أن نتفكر فيها ليستخرج كنوزها ويداوي قلبه بما فيها من شفاء ودواء وغذاء فالقلب يحتاج إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة أنبيائه ورسله وملائكته ومعرفة حقائق اليوم الآخر وشهود القضاء والقدر وأفعال الرب سبحانه وتعالى وشهود آثارها فإنما يرشده القرآن إلى ذلك إذا تفكر فيه وليس أن يمر الآيات على لسانه دون قلبه ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه "أمره على القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة" وعبادة التفكير عبادة تجعل العبد يستخرج من آيات القرآن أنواع الدلالات وأنواع الهدايات فيتهدي بالقرآن العظيم وكذا يتفكر فيما فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم ليستخرج دلالات الأحكام ويعرف ما سنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر من يشغل بعلوم الكتاب والسنة يشغل بالشكل دون الجوهر مع أنه ينبغي أن يتفكر في لفظه وفي معناه كذلك وأن يتدبر ما تضمنه القرآن والسنة من أنواع الأحكام والإرادات الواجبة التي يجب أن يوجدتها الإنسان وما ينصرف عنه وما يتعد عنه فإن القرآن إذا تدبره الإنسان وتفكر فيه جعله يعظم ما يعظمه الله ويحقر ما يحقره الله ويتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به

من العبادات الواجبة كذلك عبادة الإخبات

الإخبات المقصود به الطمأنينة إلى الله عز وجل مع ذل وخضوع كما قال تعالى { وبشر المختبين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة وما رفقاهم ينفقون } فالإخبات أن يطمئن الإنسان لذكر الله سبحانه وتعالى خاضعاً له مستكيناً له مستسلماً لأمره سبحانه وتعالى لا يطمئن قلبه إلى غيره عز وجل ولا يتطلع إلى رضا غيره سبحانه وتعالى باحث دائماً عن مرضاته إذا وجد ما يرض الله لزمه واطمئن به ولا يتطلع إلى البعد عنه ولم تحدث نفسه بالرجوع عنه إلى غيره أو بالبحث عنه إلى غيره فهو محبت ذاكر الله دائم الذكر قلبه وجل عند ذكر الله سبحانه وتعالى صابر على طاعة الله عز وجل ملازم لها صابر على ما أصابه يقيم الصلاة فيحصل فيها السكينة والطمأنينة فالإخبات من العبادات العظيمة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى وبشر أصحابها وبشر من قام بما فالله سبحانه وتعالى يحبهم ويشهرهم فهؤلاء الذين أطمأنوا بذكره { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب }



كما قد ذكرنا في أمر الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى وأنه من أعظم العبادات القلبية وأن هذا مرده إلى جملة من العبادات . من الاستغناء بالله والزهد في الدنيا . ، فرؤية أن الدنيا متاع الغرور رؤية واجبة لأن الله أمرنا بذلك فقال { اعلّموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } ، فهذه النظرة للدنيا أمر لازم مأمور به يترتب عليه أن يترك المسابقة عليها ، لذا قال الله عقب هذه الآية { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض } فالمؤمن سلم من الدنيا طلباً لا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها ولا يأسى على ما فاتته منها ولا يفرح بما آتاه الله منها فرح العجب والغرور ونسبة الكمال إلى النفس ونسبة أنه قد حصل هذه الدنيا بنفسه ، لذا قال الله عز وجل { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور } فالذي لا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها ولا يأسى على ما فاتته منها ولا يفرح بما آتاه الله منها فرح العجب والغرور ، كل هذا هو من خصال الإيمان وهي أوامر واضحة في كتاب الله ، والناس ربما دققوا جداً في الأوامر الظاهرة وأهملوا هذه الأوامر والأعمال الباطنة ،

أما من ينسب لنفسه الكمال وينسب أنه قد حصل الدنيا بنفسه فهو المختال الفخور ، كمن قال - إنما أوتيته على علم عندي - ومن قال - هذا لي - ، وكمن قال - أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً - ، هذه الألفاظ التي صدرت من أناس وصلوا إلى الكفر بسبب هذا الأمر ، فقارون كفر لأنه قال " إنما أوتيته على علم عندي " ، أنه رأى نفسه مستحقاً ووصل إلى العجب والفرح بهذه الدنيا إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين " .

هل السرور مذموم ؟ ليس السرور مذموماً ولكن الفرح هنا الفرح المذموم فرح العجب بالنفس والكبر على الخلق الذين لا يحبهم الله عز وجل ، أما المؤمن فيفرح برحمة الله وفضله { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون } الفرح بالله تعالى وبفضله وبرحمته هو سبب الاستغناء به عز وجل ، الفرح بالوصول إلى مرضاته والفرح بطاعته عز وجل ، هذا هو من العبادات العظيمة لأن الله أمر بها { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا } الفرح بفضل الله وبرحمته لازم الاستغناء بالله ، وهو عين الافتقار إليه وشدة حاجة العبد إليه إلهاً فهو يفتقر إليه وإذا عبده استغنى بعبادته ، لذلك هذه العبادات القلبية ضرورية . الافتقار إلى الله والغنى به عز وجل عن الخلق والفرح به تعالى . والفرح به تعالى بمعنى أن يجد الإنسان الطريق الموصل إلى الله تعالى فيفرح بذلك ، وأما الذي يعمل الطاعة وقلبه معرض عنها لا يرى نعمة الله بها بل يفعلها قهراً على نفسه ، يفعلها وهو متضرر منها كمن أكره عليها لأجل أوضاع اجتماعية مثلاً أو لأجل أنه نشأ في أسرة يقولون له صلي فيصلي من أجل ذلك ، أو أنه وجد نفسه في وسط مجتمع من الملتزمين يخجل أن يقوم الناس إلى الصلاة وهو لا يصلي ، فهذه أسباب الرياء في الحقيقة فإنه لا يجد لذة العبادة ولا يرى نعمة الله بالعبادة ، هذا مذموم لم يحقق هذه العبادة القلبية المطلوبة من الفرح بالله عز وجل وبفضله ، أنت حين تصلي ولا تشعر بأن الله أعطاك ما لم يعط أحد من الخلق وأن الله أنعم عليك نعمة عظيمة فأنت لم تصلي الصلاة التي يرحمك الله بها ويفضلك الله بها ، لأنه إن وجدت صلاة يفضلك الله بها ويرحمك بها فقد وجد الفضل والرحمة فعند ذلك فستفرح ، { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا } قلنا أن هذا أمر والأمر بالوجوب أن تفرح بفضل الله وبرحمته وتفرح بنعمة الإسلام ، وهو في الحقيقة سببه الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الله ، لأن الإنسان يشعر أن نعمة الله عليه في ذلك أعظم نعمه ، فلا يفرح بالدنيا فرح البطر والغرور ومدح النفس وأن يقول أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً وأن يقول ما أظن أن تبيد هذه أبداً ظاناً أن الأسباب هي كل شيء وأن المال يأتي بكل شيء وأن السلطان يأتي بكل شيء ، حتى الآخرة يظنون أن المال يشتري بها وأن الملك يأتي بالملك في الآخرة وأنه لو كانت هناك جنة فسوف تشتري بالمال { ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلاً } ، لو كان هناك سلطان بالآخرة فهو يشتري بسلطان الدنيا ، لذا عندهم أن هؤلاء الكبراء والأغنياء والملوك أول الناس مدحاً فيشتبون لهم أواع الجنان والرحاب ، عندما تجد ملك أو رئيس مات تجدهم يقولون في رحاب الله أو إلى جنة الخلد يا فلان لأنه زعيم أو ملك أو كبير فلا بد أن يدخل الجنة والعياذ بالله مع ما هو فيه من الظلم والكفر والشرك والنفاق على درجات متفاوتة .

الغرض المقصود أن يسلم الإنسان من الدنيا طلباً وتركاً فلا ينافس فيها فهو لم ييخل ولم يتطلع ولم ينافس ، لم ييخل في أنه إذا كانت في يده لم يضبطها وإذا لم تكن في يده لم يطلبها وسلم منها تركاً ، عندما تركها لم يعظم تركها ، لم يكن أن تركت شيئاً غالياً ، فهو سلم منها حين تركها لأن كمال الافتقار إلى الله تعالى جعله لا يفتقر إلى الدنيا ، فالفقير إلى الدنيا لا تزال نفسه تنازعه إليها ، لو تركها لله يرى أنه ترك شيئاً كبيراً ورأى أنه قد ضحى فنظرته تلك دليل على أنه لم يرى الدنيا كما هي عليه ، كما أن أحدنا لم يرى نفسه زاهداً إلى زهد في طائر ميت يعرض الناس عنه أو أنه زهد في جناح بعوضة ، لم يرى نفسه زاهداً ويقول متدحاً للناس كان أمامي أن أخذه وكان في طريقي وأنا تركته وكنت أستطيع أن أحصل هذا ولكن ضحيت به لله ، ضحيت بجناح بعوضة !! ، لن يقول ذلك قطعاً وإنما يقول ضحيت بكذا وبذلك كذا لأنه يرى أمراً عظيماً قد بذله ، هذا الأمر لو تكلم مع نفسه لكان ذلك دليلاً على عظم قدر الدنيا عنده ، إنما يقول كان أمامي جوهرة وتركته وليس أمامي جناح بعوضة وتركته ، لأنه إذا قال كان أمامي جوهرة وتركته لأنني أريد الوصول إلى ما هو أعلى منها ، لا يقول كما ذكرنا تركت جناح بعوضة .

فلا يمكن أن تكون الدنيا في قلبه في قدر جناح البعوضة حتى يتمدح بتركها .

إذا كنا نريد أن نعرف نظرتنا إلى الدنيا فلنقارن أنفسنا بهذه الأحاديث ( لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها كأساً ) ( الدنيا أهون من هذا . الجدي الأسك الميت . من هذا عليكم ) فلننظر ونقارن أنفسنا بهذه الأحاديث فنعرف منزلة أنفسها فلا نغتر ، نعم والله نعرف أن أنفسنا مريضة جداً ، نقول لو أن الواحد منها إذا زهد تمدح بالزهد ورأى نفسه قد زهد فيما قد تنافس فيه الناس فيرى في ذلك فضلاً لنفسه ويرى أنه قد حصل شيئاً ، أما أن يرى الناس يتنافسون كما تنافس الكلام على جيفة فهل يتنافس معهم ؟! هل يقول لماذا لا آخذ قطعة منها إلى أهلي ؟! ما زال الافتقار إلى الدنيا متعلقاً بالقلوب ، لكن لو أن الإنسان سلم منها طلباً فلم ينافس عليها وتركاً إذا تمكن من

تركها فلا يتمدح بالزهد فيها لأنه لا يرى في هذا الزهد شيئاً يستحق إنما يرى أن هذا هو الأمر الصحيح والأمر الذي يلزم كل عاقل أن يترك الجدي الأسك الميت ولا يأخذه إلى بيته بل يدفنه لئلا يتأذى الناس برائحته ولا يتأذى أهله برائحته ويشفق بالذين يتقاتلون عليه .

لو أن أناساً تقاتلوا على جدي أسك ميت ، فعلاً تنظر لهم مشفقاً وتقول أنهم أناس حالهم صعب ، أتقاتلون على جدي أسك ميت ؟ ، فلا تسول نفسك أن تأخذ منه قطعة ، لو رأى الناس يتقاتلون على ذبابه أو بعوضة سوف يشفق عليهم ويقول دعوها ، وربما لا يشعر على الإطلاق بوجودها كما لم نشعر إذا مررنا في طريقنا بذبابة ميتة ، هذا الشعور راجع إلى الإنسان إلى الدنيا النظرة التي أمرنا الله بها { اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة } إلى قوله { وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } متاع يغر به المغرور ، قيل متاع الغرور ما تتمسح به المرأة من حيضتها ، والصحيح أنه المتاع الذي يغر به المغرور والذي يغر به الشيطان الناس .

من الافتقار إلى الله تعالى أيضاً الافتقار إليه في إلهيته أي في التوفيق إلى الأعمال الصالحة وهو الافتقار إليه في أمر الهداية وعدم حصول العجب لا في الدنيا كما عند أهل الدنيا ، فالعجب يحدث بأمرين : يحدث بأمر من أمور الدنيا مثل عجب بالمال أو الجاه أو السلطان أو الوظيفة أو الوضع الاجتماعي ، عجب المرأة بجمالها عجب أهل الدنيا ، عجب الرجل بوسامته وجماله عجب أهل الدنيا وعجب الرجل ببيته الواسع المؤثث أثاثاً فاخراً والسيارة الفاخرة عجب بالدنيا ، فأهل الدنيا ليسوا سالمين من العجب ولكن بأمر تافه حقير وهو عند الله كجناح بعوضة .

وأهل الدين لم يتركهم الشيطان ولم يدعهم لأهم اختاروا الدين ، بل يدخل إليهم لأهم اختاروا الدين ، أهل الدنيا يحصل لهم عجب وكبر وغرور بسبب حصول الدنيا ، أما أهل الدين فيدخل الشيطان إليهم مدخلاً آخر يتمدحون لا بالغي ولكن يتمدحون بالفقر والزهد ، أحياناً يتمدحون بالعلم وأحياناً يتمدحون بالجهد وأحياناً يتمدحون بالكرم وأحياناً يتمدحون بالدعوة إلى الله وأحياناً يتمدحون بالقراءة وحسن الصوت وحفظ القرآن وبأنواع المدائح الشرعية التي مدحها الله عز وجل ، فالعبد المؤمن مفتقر إلى الله عز وجل ويعرف أن منازل التي يحصلها والعبادات التي يوفق لها هي محض توفيقه عز وجل ومنه فيفتقر إلى الله عز وجل بذلك ويقول {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم } فهو يشهد نعمة الله على نفسه وعلى غيره { أنعمت عليهم } بالهداية ، ويسأله الهداية ليل نهار ويعلم أن التوفيق من عند الله تعالى ، فلا يثبت بنفسه إلا أن يشته الله مقلب القلوب سبحانه ومصرف القلوب ، فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً في أمر الدين كما لا يملكه في أمر الدنيا ، فهو قد زال من قلبه إعجاب النفس بالأحوال والمقامات والصفات الدينية ، زال من قلبه إعجاب نفسه بأنه مصل وصائم وأنه مجاهد وأنه داع إلى الله وأنه عالم وأنه قارئ ، فقد زال من قلبه ذلك لأنه مفتقر إلى الله ولأنه يعلم أنه ليس له فضل في ذلك ، لأنه يعلم ويوقن أن الله الذي من عليه بذلك ، زال من قلبه نسبة هذه الأعمال إلى نفسه والتمدح بها ، هذه الأمور في حقيقتها من الدنيا ، التمدح بهذه الأمور تمدح بالدنيا في الحقيقة لكنها مغلفة بستر الدين ، وطلب المدح بها وطلب التعال بما موجود عند أهل الدين والطاعات كما هو موجود عند أهل الدنيا بالدنيا ، فالمؤمن يشهد فقره إلى الله إلهاً معبوداً وأن الله هو الذي سبق فضله إليه كل شيء ، فما كان به من خير ومن نعمة فمن الله ولا قوة إلا بالله ، وهو لم يتغير حاله إلى الطاعة وإلى الإيمان وإلى الحب وإلى الخوف وإلى الرجاء وإلى التوكل على الله وإلى الافتقار وإلى الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة بنفسه ، ولم يوفق إلى تلك الطاعات بنفسه إلا أن هداه الله كأهل الجنة الذين يقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وهذا يحصل له بأن يراجع ويطالع سيق فضل الله عليه كل سبب منه ، وأنه كان عديمًا محضاً وهيئت له في ذلك العدم أسباب الطاعات ، وركي إلى أهل المنازل العالية والمناصب السامة كتابة كتبها الله قبل أن يوجد هذا العالم . قبل أن يوجد السماوات والأرض فضلاً عن وجود أبوه أو معلمه أو شيخه . ركي إلى أهل المنازل العالية والمناصب السامة ، اجتبه الله لذلك .

لذلك لا يتعالى على الناس بعلمه ولا بعمله ولا بزهده ، هذه أمراض أخطر من أمراض أهل الغنى بالدنيا ، هذه أسباب مرض السمعة ومرض الرياء ، كيف نتخلص ؟ ، هذه أمراض لا بد أن نسعى في التخلص منها ، بماذا ؟ بمطالعة سبق الله على عبده.

فمن يرى نفسه في منزلة فوق الناس بعلمه أو بعمله أو جهاده أو دعوته أو قراءته للقرآن ويطلب مدحه على ذلك فهو من أول من تسعر به النار ، أن يكون جاهد ليقال مجاهد وجريء وأنفق ليقال جواد وكريم وتعلم ليقال عالم وقرأ القرآن ليقال قارئ ، نعوذ بالله ونسأله العافية .

هذا الأمر تابع من رؤية الإنسان نفسه لهذه الأعمال ، هذه الأمراض نبتت من رؤية الإنسان لنفسه ، فلو تخلص منها . نفسه . وافترق إلى الله تعالى وشهد أن هذا الأمر ليس من نفسه بل بتوفيق محض من الله عز وجل فإنه لم يطالع نفسه في مقام فوق الناس .

ومن يرى لنفسه فضلاً على الخلق ويرى لنفسه تفضلاً على الناس فهذا قد من والله عز وجل يقول { فلا تمنوا علي إسلامكم } فلا يجوز أن يمن على أحد بعلمه أو بعمله .

ومن الافتقار إلى ربه إلهاً أن يشهد نفسه بغير قدرة على الطاعات ولا قوة إلا بالله ، لا قدرة ولا قوة له على الطاعة إلا بالله عز وجل { رب اجعلني مقيم الصلاة } لا يستطيع أن يقيم الصلاة إلا أن يجعله الله تعالى ، { ربنا واجعلنا مسلمين لك } والله هذا أمر عظيم ، إبراهيم وإسماعيل يقولان : ربنا وجعلنا مسلمين لك !! ، حتى الإسلام يجعله الله فيك ، فلا قوة له إلا بالله ، وأن يفتقر إلى التقرب إلى الله وأن يكون قريب من الله في كل عباداته وأعماله ، فيمكن أن تؤدي العبادة ولا يحصل القرب لأنك أديتها بغير أن استعانة بالله عز وجل .

وفعلاً والله الإنسان متفاوت في علمه وعمله ، أحياناً يجد الإنسان نفسه لا يستطيع الكلام ولا يستطيع أن يقول شيء ، وأحياناً يوفق إلى شيء لم يكن يحسنه قبل ذلك ولا بعد ذلك . هذا الذي يصل إلى شهود أن الأسباب مجرد أسباب يسرها الله بما فيها الأعمال الصالحة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( وعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ) فهذا مقام الافتقار إلى الله تعالى في كل شيء حتى يرى الأسباب كاهباءة ويرى نفسه كذلك ، لا تؤثر شيئاً إلا أن يجعلها الله تعالى كذلك مؤثرة فيحقق حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ، ويحقق حقيقة { إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم } ، فإذا اكتمل له ذلك حقق كمال الافتقار إلى الله تعالى فاستغنى به عزوجل ، الغنى عن الخلق هو عين الافتقار إلى الله وهو غنى النفس وغنى القلب بالله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ) وقال : ( إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب ) حديث صحيح.

فالفقر إلى الدنيا يجعل العبد مستغنياً عن الله مفتقراً إلى غيره ، الفقر إلى الدنيا يجعله لا يريد العبادة ولا يحبها لأنه يريد غيرها ولأنه يريد الدنيا مفتقراً إلى لذة النساء وإلى لذة المال والجاه والرياسة فيموت ويقتل غيره ويقاقل على هذه اللذات ، فيجعله الله عز وجل عبداً لها ولا يذيقه طعم الحاجة إليه والفقر إليه والغنى به عزوجل ، هذا حال أكثر أهل الدنيا ممن فيهم أهل الدنيا الذين يظهرون الدين . الذين يعملون الأعمال الصالحة لأجل الدنيا لا لأجل الدين . فأما من افتقر إلى الله واقترب منه فهذا الذي ذل وخضع وسجد واقترب ، من اقترب أغناه الله تعالى ، فهو مستغن بالله بحبه عن حب من سواه ، وبالحوف منه عن الخوف ممن سواه ، وبالرغبة فيما عنده عن الرغبة فيمن عند سواه ، وبرجاءه عن رجاء من سواه ، يستغنى بالله عن كل من دونه ، ولذلك يغنيه الله بركة أو بسجدة أو بدعاء أو بآية يتلوها من القرآن ، هذا كله يقربه إلى الله ، إلى أن يستحضر معية الله تعالى في كل وقت ويستحضر تدبير الله تعالى للكون في كل وقت مع شدة وقربه من الله ، الإنسان إذا أخلد إلى الأرض رأى الدنيا كبيرة جداً ورأى أسبابها عظيمة جداً ولم يرى إلى القوى الأرضية ، أما إذا علت نفسه وارتفعت واقتربت من الله لم يشهد ذرة تتحرك في الكون إلا بأمر منه عزوجل { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } ولا يشهد ملكاً إلا ملك الله تعالى ولا يشهد غنى إلا غنى ربه عزوجل ، ويشهد كل شيء فقيراً لاي ملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ويشهد في كل حركة وسكنة في نفسه وغيره من العباد أن ذلك بتدبير الله تعالى ، { يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون } [السجدة/٥] هو عز وجل الذي يدبر الأمر { ما من شفيح إلا من بعد إذنه } وهذا أمر يقر به كل أحد ، أما أن يشهده كل أحد فهذا أمر آخر ، ليس سهلاً أن يشهد في كل اللحظات أنه ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم وأن معنى هذا أن حركة لسان هذا الشخص الذي أمامك وحركة يده وبطشه ومشيه . هذا العدو هذا الولي هذا الصديق هذا البغيض . كل ذلك بتدبير الله تعالى وأمره ، إذا وصل إلى تلك الحال استغنى بالله وحده عمن سواه وفاز بوجوده سبحانه وتعالى ، يعني وجد ربه أي وجد الطريق والقرب ووجد ما يوصله إلى ربه عزوجل ، صار بقلبه ذلك أغنى الخلق عن الناس ، صار بقلبه ذلك الغنى عن الخلق بالله سبحانه ، لأنه اقترب من الله فضعف الخلق عنده وصغروا ، رأى الدنيا ذرة لا تساوي شيئاً بكل ما فيها من قوة أو قدرة ، فالله عزوجل هو الذي يدبر الأمر ، هذا كلما استحضر ذلك دفعه إلى أن يرجوا لقاء الله { من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين } [العنكبوت/٦] هذا الذي يدفع من أطاع الله تعالى أن يطيعه ، لأنه يريد لقاءه ويحبه ويرجوه ، هذا الذي يدفع من جاهد في سبيله أن يجاهد ، لأنه يستحضر نفسه في تلك الحال يرجوا لقاء الله ويشتاق إلى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ( وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك ) فالشوق إلى لقاء الله أعظم من كل لذات الدنيا وهو رجاء لقاء الله تعالى وهو الذي يدفع المؤمن ويجدوه إلى السير في الطريق مهما كانت العقبات ،

من العبادات القلبية الواجبة عبادة المحاسبة وإليها الإشارة بقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير ما تعملون } فالإنسان ينظر إلى ما قدم لغد ويحاسب نفسه على ما قدم ويشارط نفسه على الأعمال الصالحة ، المشاركة على العمل الصالح بمعنى أن يتفق مع نفسه أن يحدد لنفسه عملاً ويجعل نفسه الأمار بالسوء كالشريك الخوان الذي يكثر الخيانة فلا يتركه صاحبه يستقل بإدارة الشركة فأنت مع نفسك لا بد أن تعاملها بأنها شريك يكثر خيانة صاحبه وسوف يأخذ لنفسه حظاً إذا تركه وشأنه فالنفس الأمار بالسوء تأخذ لنفسها حظوظاً حتى من الأعمال الصالحة فكيف بأعمال الدنيا ، تأخذ لنفسها حظاً من الشهرة والجاه وحب المحمدة من الفرار من المذمة لا تترك العمل يكون خالصاً لله لأنها نفس أمارة بالسوء تريد شيئاً من الدنيا أما الأعمال الدنيوية فهي أكثر لأن الأصل فيها الرغبة في الدنيا أما أن يجعلها الإنسان لوجه الله عز وجل كأن يتفق على أهله وعياله لوجه الله ليس لأجل الفرار من مطالبهم أو لأجل أن لا يظنه الناس على بخل أو لأجل ألا يطالبونه أمام من يحترمهم فتسوء صورته عندهم أو لأجل إرضاء الفطرة فقط مثل من يحب أن يرى أولاده في سعة مثلاً لأجل الأمر الفطري المحض ليس أنه يتفق عليهم ابتغاء وجه الله فانظر إلى هذا الأمر أنه أخطر وأصعب وهو أن يجعل الأعمال الدنيوية لوجه الله فيشارط نفسه ويتفق معها على ما سوف يفعله بالجوارح وكذا العمل الباطن يشارطها على العمل الصالح ويضع لنفسه برنامجاً يضع لنفسه طريقاً يسلكه الله تعالى ثم بعد ذلك يحاسب نفسه على ما قدمت شريك تعرف خيائته ومضطرب إلى خيائته تقول له نضع برنامج للعمل نتفق عليه سأفعل كذا وكذا وكذا ويحاسب بعد ذلك بناءً على هذا الطريق ويثني بالنوافل ويجتهد بالمواظبة عليها ويحاسبها إذا فرطت وهذا الذي يدفعها إلى التوبة والتوبة أصلها المراقبة والمحاسبة لأنه إذا حاسب نفسه وجد تقصيراً عندها ومحاولة تلافي هذا التقصير ، قال عمر رضي الله عنه " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن تزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " تزينوا ليس للناس ولا للعرض على الناس ولكن للعرض الأكبر على الله عز وجل { يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية } العبد الصالح هو الذي يحاسب نفسه صباحاً ومساءً وهذا من أهم الأمور إذا تأملنا أذكار الصباح والمساءل والنوم أدركنا أن أمر المحاسبة فيه ظاهر ( أبوأ لك بنعمتك علي وأبوأ بذني ) وهو يلوم نفسه بالتقصير في الشكر ويحاسب نفسه على الذنوب التي ارتكبها في أول كل ليلة وأول كل يوم فينبغي ألا ينام قبل أن ينظر فيما عمل في ذلك اليوم وعندما يقدم عليه الليل ينظر فيما عمل أثناء النهار ويقدم التوبة والاستغفار ويعترف بذنبه ويعترف بنعمة الله عليه وقصور شكره لها كذلك يجتهد في محاسبة النفس عندما يطلع النهار فيحاسب نفسه على الليلة الماضية ماذا صنع فيا كما صح عن

ابن عمر وروي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ( إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ) أخذها ابن عمر من قول النبي صلى الله عليه وسلم ( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) فهو أمامه وقت محدد هذا اليوم ماذا عمل فيه يشارط نفسه يشارط ويحاسب يشارط قبل العمل ويحاسب قبل العمل كل صباح ومساء

المشاركة قبل العمل تجعل العبد يحاسب نفسه على ما عزم معها عليه أو أعد نفسه للعمل الصالح في ابتداء هذه الليلة فيجعلها كأنها آخر ليلة فلو أن إنسان أن تموت غداً أو أنت محكوم عليك بالإعدام فانظر هذه اللحظات الأخيرة في دنياك ماذا يصنع الإنسان فيها فاستغل هذه اللحظات ، هذه اللحظات لو كان كل يوم يحاسب نفسه كذلك يشارطها ويحاسبها ، يشارطها قبل العمل وبعد أن مضي الوقت يحاسبها على ما فعلت فهنا يدرك الإنسان تقصيره وهنا يبادر إلى شهود عيوب النفس ويبادر إلى شروط الجهل والظلم فيعترف على نفسه بذلك ، اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فينكسر لله عز وجل ويكون أقرب إلى الله ، إذا ترك المحاسبة ظن نفسه قد أدى ما لم يؤده أحد ، إذا ترك المحاسبة ظن نفسه لم يظلم وأنه لا يستحق إلا أعلى الجنان وتغره نفسه ويترك التوبة فيكون يومه مليئاً بأنواع الفتن والذنوب والمعاصي وربما الكبائر ويرى نفسه من المحسنين نسأل الله العافية ، أما إذا راقبها وحاسبها شارطها قبل العمل قبل مجيء الوقت وراقبها أثناءه وحاسبها بعده فعند ذلك يدرك التقصير وينكسر لله عز وجل فيكون أقرب إلى الله سبحانه وتعالى كذلك يراقب ويحاسب على جوارحه كلها يراقب ويحاسب يحاسب على العين واللسان وعلى الأذن وعلى اليد وعلى الرجل على البطن على الفرج فهذه كلها جوارحه التي يؤدي بها أعماله فعند ذلك إذا حاسبها فهو يبحث في التقصير في هذه الجوانب وعند ذلك تصح توبته إن شاء الله والله عز وجل قد بين لنا المسؤولية عن هذه الجوارح بل عن القلب أيضاً قال سبحانه وتعالى { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً } فإذا علمت أنك سوف تسأل عن سمعك ماذا سمعت اليوم ماذا تكلمت ماذا نظرت فيما فكرت بما اهتم قلبك لماذا عملت هذه الأعمال هل علمتها خالصاً لوجه الله أما عملتها بلا نية أم عملتها بدوافع خفية غير ما يحب الله عز وجل يسأل نفسه كذلك عن بطنه ماذا طعمت هل طعمت من حلال هل كسبت مالاً من حلال وأنفقته في حلال أم أنه كان يكتسبه من حرام وينفق رياء الناس نعوذ بالله من ذلك ، كذلك يحاسب نفسه على الفرج فلا يكشف على من لا يحل ولا يضعه فيما لا يحل فيحفظ فرجه كما أمر الله ويحاسب نفسه على اليد والرجل فلا يبطش ولا يلمس ولا يستعمل يده إلا فيما أحله الله لا يغضب لا يسرق لا يظلم لا يؤذي مسلماً لا ينظر إلى ما حرم الله ، هل مست يده من لا تحل له كامراً أجنبية أو امتدت لتأخذ رشوة أو مالاً مغصوباً بغير حق أو تأخذ حراماً برياً أو ميسر أو غير ذلك كذلك ينظر في مشيه وإلى أين مشى فيحاسب نفسه على جوارحه كلها كما يحاسب نفسه على باطنه وأن فيه تخلي وتخلي هل تخلى عن الحقد والحسد والرياء تخلى عن الضغينة والبغضاء تخلى عن العجب والكبر والغرور تخلى عن كل هذا ؟ وهل تخلى بالإخلاص والصدق والمراقبة والحب لله عز وجل والخوف منه والرجاء يحاسب نفسه على هذه الأعمال القلبية التي تتكلم عنها إذا كان الإنسان كذلك يحاسب نفسه كل يوم ولا أقل من أن يحاسب نفسه في الأسبوع مرتين بنفس الطريقة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صيام الإثنين والخميس ( تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ) و يعلم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم مرتين قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيعرج الذين باتوا فيكم ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه ( إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه حجاب من نور يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ) فكل يوم تعرض الأعمال فيه على الله مرتين فاحرص على أن تستعرض أعمالك حتى إذا عرضت على الله وفيها نقص وتقصير بادرت إلى توبة وإلى وإلى تدارك ، نسأل الله العافية ، أحسننا من يراجع نفسه ويحاسبها كل سنة مرة في رمضان وأن أن تتذكر أعمالك كلها تلك الساعة وهل منا من يتذكر ما عمل خلال الأسبوع الماضي وكم من غيبة اغتبت إنسان بها ونظرة نظرت بها إلى عوة مكشوفة وتكلمت بما لا يعينك وأنت هل تتذكر ذلك كله ؟ ومن يحاسب نفسه في اليوم مرتين أفلتت نفسه نصيب عظيم وأخذت نفسه الأمانة بالسوء غضباً وسرقاً وغشاً من حظه في الآخرة ،

أنت تعرض عملك على الله هل فكرت في هذا الذي يعرض على الله من عملك هل حاسبت نفسك فيه فإذا وجدت فيه شيئاً خبيثاً ألقيته ولو كنت تعد شيئاً لمن تحب هل تترك فيه أنواع الخبيث والعفن وتقدمها كذلك أم أنك سوف تنتقي ما تعد لمن تحب ، تنقيه من كل مالا يحبه حبيبك وتخلصه وتلقي عنه ما كان من شيء معطوب نستغفر الله فعلاً والله لو واحد قدم للضيوف فاكهة مضروبة الناس سوف تلومه وتعدّها إهانة ، يقدم لنا فاكهة لا تصلح ، هذا أمر يتحرج هو منه أن يفعل مع الضيوف من يجهم ومن لا يجهم فتدبر لو كان يترك كل عمل يعرض على الله عز وجل بلا تنقيه ، اللهم أغفر لنا يارب وتجاوز عنا ،

يمكن لو قدم في وسط الإناء فاكهة واحدة معطوبة وخمس طيبة لكان في ذلك إهانة كان يجب أن يرميها قبل أن يقدمها ، فانظر إلى ما يعرض على ربك من عملك وانظر فإنك إذا بادرت بالتوبة كان ذلك أرضى وأحب لك عند ربك ، لو أن هناك إنساناً ليس له من الحق شيء ومع ذلك قدمت له شيئاً فاسداً أو شيئاً فيه بعض الفساد هل ذلك يقوي العلاقة بينك وبينه أم يفسدها ؟ لا شك أن لو لم تكن تهدي إليه شيئاً لكان أهون من أن تهدي إليه شيئاً فاسداً فلا أقل إذاً أن تراقب نفسك وتحاسبها كل اثنين وخميس كل أسبوع لكي تراجع ما قدمته بل ينبغي أن يكون بالليل والنهار حتى لا تفاجئ بأنه قد عرض على الله من عملك ما لا يحب وبادر بالتوبة والرجوع إلى الله عز وجل كلما وجدت تقصيراً ثم المحاسبة كذلك كل سنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام شعبان ( ذلك شهر تعرض فيه الأعمال إلى الله وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ) ينبغي أن يحاسب العبد نفسه فإنه من حاسب نفسه اليوم خف حسابه غداً ومن أهمل حساب نفسه فإنه سوف يثقل ميزان سيئاته ولا يشعر ربما رجحت السيئات على الحسنات نسأل الله العافية ،

الإنكسار

عبادة الانكسار والذل والاستسلام لله تعالى

أمر الله بما في قوله { فلا ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } وقال الله سبحانه وتعالى { ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله } أسلم استسلم ، قال الله عز وجل { فلما أسلما وتله للجبين } هذا التسلم التام والانكسار التام لله عز وجل الجبار والله هو الجبار يحب المنكسرين له والخاضعين له والذليلين له المستسلمين له ويكره المتجبرين المتكبرين وسبحانه وتعالى إذا سلم العبد له أمره جبره عز وجل ورفع وأعلى قدره وتقبل منه ولا تعبد العمل وتتعبد بالعبادة وأنت خاضع لله عز وجل منكسر له شاعر بأنك لا غناً لك عن الله عز وجل في دينك ودنياك ،

الزهد

ومن العبادات القلية أيضاً عبادة الزهد وهو عبادة قلبية في المقام الأول وليست عبادة الجوارح ، قد يكون الإنسان يلبس المرقع أو يلبس الخشن وليس بزاهد وقد يلبس الناعم من الثياب وهو زاهد لأنها عبادة في القلب يزهد الإنسان في الدنيا ويزهّد فيما في أيدي الناس وألا يتطلع إلى هذه الدنيا ولا يريد جمعها ويحقر أمرها ويعظم أمر الآخرة فهذا هو الزاهد الذي رغب فيما عند الله وقلت رغبته أو زالت في الدنيا إلى فيما كان منها يقربه إلى الله تعالى فهو يأخذ منها ويرغب فيما يقدمه إلى الله حتى ولو كان من شهواتها يحتسب في نومه ما يحتسب في قومته يأكل محتسباً يعاشر أهله محتسباً يريد ما يريد الله سبحانه وتعالى

الورع

من عبادة القلب عبادة الورع

الورع أن يخاف أن يقع فيما حرم الله ويخاف أن يقع في الشبهات

الورع الواجب هو الورع عن الحرام والورع المستحب هو الورع عن المكروه والمشتبه ، ربما تورع عن كثير مما فيه شبهة خوفاً من الوقوع فيما حرم الله عز وجل عليه كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الورع في قوله صلى الله عليه وسلم ( الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات يقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه ) فمن اقترب من الحرام أو شك أن يقع فيه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام نسأل الله العافية ،

فالورع أن يكف الإنسان نفسه عما حرم الله ، وهذا هو الورع الواجب ثم التورع عن الشبهات والمكروهات بمعنى أن يتوقف فيها ويتبعد عنها ويمنع نفسه منها ويخاف أن يقع فيها أن تكون محرمة أو يقع بسببها في الحرام

ومن صفات المؤمن الكامل أنه يضع بعضاً مما لا بأس به خوفاً مما به بأس ورد ذلك في حديث ضعيف لكن المعنى صحيح ( لم يبلغ عبد حقيقة التقوى حتى يضع بعض ما لا بأس به خوفاً مما به بأس ) الحديث الذي ذكرناه أولاً في الصحيح ( الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ) يدل عليه ،

والورع هذا إنما هو نابع من تعظيم حرمة الله تعالى وهو أمر يستقر في القلب وهو عبادة مستقلة عبادة تعظيم حرمة الله ، أن يكون الله عنده عظيماً ، أن يقع في الحرام أمر عظيم ، أن يترك الواجب أمر عظيم قد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من محقرات الذنوب فتأمل وتدبر أحوال الناس سوف تجد نفساً من يعظم حرمة الله عليه أن تفوته تكبيرة الإحرام فضلاً أن تفوته الركعة الأولى فضلاً أن تفوته الجماعة الأولى فضلاً أن تفوته صلاة الجماعة ، وهناك من الناس من يترك الصلوات أياماً وليالي ولا يشعر بشيء وهناك من يرتكب الكبائر والفواحش مرات وهو لا يشعر بشيء ،

قد قال الله سبحانه وتعالى { وتقولون بألستكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم } فالمؤمن ذنوبه كجبل يوشك أن يقع عليه وأما الكافر والفاجر فذنوبه كذباب وقف على أنفه فأشار إليه بيده هكذا ، كفر وشرك وهو يراها شيء بسيط { لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات } وبعضهم وصل في الكفر والشرك أنه لا يراها أياماً معدودات نعوذ بالله ، كأنه لا يرى أكثر من أن يقول استغفر الله وقد أتى الكبائر يقول ماذا تريد مني أنا استغفرت والأمر انتهى وأنا تبت ، وكان هذا هو الذي حقق به التوبة لأنه لم يعظم حرمة الله ولم يتورع عنها لم يحاسب نفسه ولم يندم الندم الصحيح ولم يقلع حتى الإقلاع الواجب عليه يرى نفسه قد أدى ما عليه ، يقول أنا أفعل ما أفعل ثم أعمل عمره وأغسل كل شيء يستهين ولا يعظم حرمة الله ، أنت من أدراك أنها قبلت منك وأنت لا تعظم حرمة الله ، لابد أن تنكسر لله وتذل له وتخضع وعند ذلك إذا عظمت حرمة الله ورأى الله عز وجل منك ذلك التعظيم لحرمة الله فهنا تغفر الذنوب ، لم يندم هذا الذي لم يعظم حرمة الله لم يندم الندم الصحيح ولم يقلع حتى الإقلاع الواجب عليه ويرى نفسه قد أدى ما عليه وأنه يفعل ما يفعل ثم يأتي ويصلي ويقول قد غفر لي أو يعتمر ويحج فيقول قد غسلت ذنوبي وليس عنده التعظيم لحرمة الله وليس عنده الغضب إذا انتهكت المحارم وليس عنده أن أمر الله الواجب لابد أن يقدمه على كل شيء ، تجد إنساناً يترك الصلاة وربما فرط في الواجبات العظيمة الأخرى كالصيام والصلاة وهو لا يرى نفسه قد صنع شيئاً ، يقول أنا أفضل من أناس كثير وأحسن من الذي يصلي ، أنظر هو ينظر دائماً للجزء الذي عنده من الخير وهو مدخول { يمنون عليك أن أسلموا } هم أصلاً حال إسلامهم مدخول وليس هو الإسلام والإيمان الذي يحبه الله ويرون هذا فيه منة منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم { يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم



بل الله بمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين { الذين هم إيمانهم صحيح يرون أنفسهم مقصرين يرون أنفسهم أظلم يرون أنفسهم مذنبين ظلمة عندهم من الجهل ما عندهم والمنافقون نفاق أكبر أو أصغر يرون أنفسهم قد أدوا زيادة على المطلوب والعياذ بالله أما المؤمن فإنه يعظم حرمات الله يعظم عليه أن يترك شيئاً حتى من المستحبات ولو فاتته تكبيرة الإحرام لحزن على ذلك حزناً شديداً أو فاته صيام يوم قد تعود عليه أو إدراك نافلة من النوافل فإنه لكونه يعظم حرمات الله وحقوقه فيعظم عليه ترك ذلك والله المستعان ،

ما ذكرنا جملة من العبادات القلبية الأساسية التي لا بد جملة من العبد المؤمن منها حتى يحيى قلبه بالتوحيد ويحيى قلبه بالإيمان هذا هو الجانب الإيجابي العلمي في توحدي الإلهية،

قد ذكرنا الجانب العملي في توحيد الربوبية والجانب العملي في توحيد الأسماء والصفات لأن هذه الأمور قل ذكرها في كتب التوحيد واستفضنا في هذا المقام خصوصاً الناس يقولون الأخوة يقولون لماذا لم نستأنف المنة ، الحقيقة أن هذا من أهل الأمر التي يجب أن نتم بها ،

إن شاء الله نستأنف إن شاء الله ، لكن الغرض المقصود أن هذه لما أفردت في كتب الرقائق والزهد ظن الناس أنها بعيدة عن التوحيد وهي حقائق الإيمان وليس التوحيد أن نخدم القبور على أصحابها فقط أو أن نخدر من أنواع الشرك وقلوبنا خاوية وكم من أناس فعلاً امتلأت قلوبهم بالأمراض وكلامهم كالسهم في بيان عقيدة التوحيد والتحذير من الشرك ولكن قلوبهم غير عامرة بالإيمان ولم يجدوا حلاوته ولا لذته وهذا النوع من أشق ومن أصعب الأنواع ضرراً على الطائفة المسلمة والمؤمنة لأنه يوهم أنه من أهل التوحيد والإيمان مع أن الأمر أخطر من ذلك بكثير ، في خلل ظاهر لا بد من معالجته

فمن العبادات القلبية المهمة جانب الترك وكف القلب عن المحرمات

كف القلب أن تقع أي عبودية مما ذكرنا لغني الله عز وجل كالحب والخوف والرجاء فمن أحب غير الله لذاته فقد أشرك ومن خاف من غير الله خوف العباد فقد أشرك أو خاف من غيره خوفاً محرماً فقد أشرك أصغر فلو تعلق حبه بغير الله حباً أو خوفاً أو رجاءاً أو توكلاً أو استعانة أو سكناً من سكن قلبه لغير الله وافترق لغير الله ضره ذلك أعظم الضرر فلا بد من محاسبة النفس عما فيها من أمراض لا بد أن تتخلص منها . ترك المهلكات .

هناك فعل وترك في الجوارح وأنت تفعل الواجب وتترك المحرم وكذلك في القلب تترك المحرم وتفعل الواجب ، وذكرنا الواجبات لا بد أن تترك المحرمات كالشرك بالله وتعلق العباد بغير الله كما ذكرنا وجود الأمراض القلبية لا بد أن تتركها كالحسد والغل والضغينة والبغضاء للمؤمنين والرياء وسوء الظن بالله عز وجل والإصرار على المعاصي وسوء الظن بالمسلمين ومودة الكافرين والعجب والرياء والسمة والكبر ، وننصح بقراءة ربع المهلكات في كتاب إحياء علوم الدين مع تنقيته مما وقع فيه من الآثار الضعيفة والمبالغات والمجازفات وما فيه من إشارات غير حميدة ، يمكن تهذيب موعظة المؤمنين أو مختصر منهاج القاصدين أو الاهتمام بأمر المهلكات والأمراض القلبية وهي موجود بلا شك في كتب أهل العلم في كتب ابن القيم وغير ذلك ، كل هذه الأمراض القلبية الخطيرة المدمرة هي التي تملك البشر فتتركها عبادة من العبادات ، تفتيش النفس عما علق فيها عبادة من العبادات الضرورية التي لا بد منها فعبادة القلب فعلاً وتركاً من أعظم الأمور أهمية في حياة الإنسان بدون هذه العبادات لا تحصل لقيه حياة وإنما يعمر القلب بهذه العبادات القلبية وكل منها يحتاج إلى وقفات ويحتاج إلى تدبر ومحاسبة للنفس ،

النفس الإنسانية إذا تعودت على أمر شق عليها مفارقتها وذلك يصعب معالجة أمراض الحسد وأمراض البغضاء وأمراض الرياء وأمراض الكراهية والنزاع والتقاتل على الدنيا يصعب معالجة ذلك إلا بجهد جهيد ،

فلا بد من تدبر ووقفات ومحاسبة فكذب النفس وإصلاح القلوب مبنية على بيان هذا العبادات القلبية وهناك بلا شك في هذه الكتب مخاطر أعني أنها لما فصلت عن كتب التوحيد وقع من يكتب فيها وقع في انحرافات وجعل ضمن عبادات القلوب العظيمة منازل مختزعة ما أنزل الله بها من سلطان تحتاج الأمور إلى تنقية وتمحيص ،

هذه العبادات القلبية التي ذكرنا هي التي وقعت في القرآن العظيم وهي المقامات وهي الأحوال الإيمانية التي يبحث عنها أهل الإيمان بخلاف أهل البدع ممن يبحثون عن أحوال مختزعة ومقامات مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان كالفناء والدهش والهيمن والسكر هذه منازل عند القوم ومنازل العبادة ويجعلون ما ذكرناه في مقامات العوام والمبتدئين وحذا هذا الوصف عند أهل الإيمان حقاً وبرأهم الله عز وجل من أن يدعوا فضلاً لسكر ودهش وهيمن ، لم يرد ذلك في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليبحث الإنسان عما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه العبادات فيبحث هل أداها بقلبه أم لا ويحاسب نفسه عليها ويشارطها ويجدد العزم على أداء ما افترضه الله عليه منها ويجدد التوبة فيما فقد منها أو تركها ونسأل الله العفو والعافية ،

فهذا بعض ما أردنا استعراضه من عبادات قلبية نختتم بها الكلام على ما كنا قد بيناه في توحيد الإلهية

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم



## 6-الحكم بما أنزل الله

## ٣٨-مقدمة

نبدأ بإذن الله تعالى نستكمل شرح المنة فبعدنا فصلاً في بيان الحكم بما أنزل الله وأصل من أصول التوحيد وبيان الكفر الأكبر والكفر الأصغر في هذا المقام والفرق بين الأنظمة الشرعة والأنظمة الإلهية وبين كفر النوع والعين .

هذه المسألة مسألة هي ضمن توحيد الربوبية وضمن توحيد الإلوهية وضمن توحيد الأسماء والصفات لأن الله هو الحكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي شريح لما كان اسمه أبا الحكم فقال ( إن الله هو الحكم ) وقال عز وجل في كتابه { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه }

وكما ذكرنا من معاني الربوبية الرب هو السيد الأمر الناهي المطاع كما قال صفوان لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن ، قال عز وجل { اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } وأما توحيد العبادة والقصد والطلب فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي ( ألم يحرموا عليكم الحلال ويحلوا لكم الحرام فاتبعتموهم . قال : بلى . قال فتلك عبادتهم ) فسماعها عبادة قال الله عز وجل { اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون } فمسألة الحكم بما أنزل الله مسألة عظيمة الأهمية جزء من قضايا الإيمان .

لماذا أفردناها ؟ كما أفردنا الولاء والبراء ، ليس لأنها قسم مستقل وقضية التقسيم كما ذكرنا من قبل طالما ليس من تقسيم شرعي فالأمر فيه واسع ونحن لا نقصد بذلك وجود قسم مستقل آخر بل هو كما ذكرنا جزء من التوحيد توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وقد ذكرنا الأدلة على ذلك ، لكن لما كثرت المخالف فيها في زماننا لما كان المشروع العلماني المقدم من الغرب والشرق كذلك في فترة زمنية وانتهى هذا المقدم من الشرق الآن ولم يعد إلا المقدم من الغرب مع بقاء ملايين ، ألف مليون إنسان يعيشون المشروع العلماني في الشيوعية في الصين مثلاً وبلاد وثنية كثيرة جداً ، المشروع العلماني أو النظام الذي يفصل بين الدين والحياة يفرض على ملايين البشر يقدم لنا على أنه (طريقتكم المثلى) وأن هذا أرغد ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من حياة وهذا الأمر حصل بعد احتلال البلاد الإسلامية من قبل الدول الشرقية والغربية والغربية في المقام الأول والتدمير الذي سعى إليه هذا الاحتلال عبر سنوات طويلة لتغيير وجه الحياة في المجتمعات الإسلامية ليس كما يظن الكثيرون أن ذلك متعلق بالقوانين الموضوعية فقط ، هي قضية الحكم بما أنزل الله قضية أعم من ذلك وأوسع جانب من جوانبها قضية القوانين الموضوعية ولكن هي أوسع كما ذكرنا في جوانب الحياة كلها ، العلمانية فصل الدين عن الحياة كلها في السياسة في الاقتصاد في الاجتماع في وضع المرأة في نظام الحرب والسلام في نظام الإعلام في الأمر والنهي وفي ما ينشأ عليه الأفراد من أخلاق ومبادئ واعتقادات وعادات نظام متكامل في الحياة ، كل إنسان لابد له من نظام يعيش عليه في حياته كشخص وفي حياة الطائفة كأمة ولا بد من مرجعية لأنظمة الحياة من أين تستقي ومن أين يستقي الإنسان عقيدته ، عامة الناس يستقون عقيدتهم وعاداتهم بالتقليد ويستاقون أخلاقهم من المجتمع الذي يحيط بهم وتوضع لهم نظم يعيشون بها قوانين بعضها مكتوب وبعضها غير مكتوب تنظم حياة مجتمعهم في كيف يجتمعون كيف يعلمون كيف يأمرهم وينهون على ما يحاربون من يسألون نظم متكاملة ، من يختارون من قادتهم ، كيف يعاملون المجرمون فيهم جانب التقنين أخذ جانباً ضخماً لأنه واضح المخالفة جداً جانب كيف يعامل المجرم ، من هو المجرم وماذا يستحق من عقاب ، هذا جانب من جوانب الحياة لكن القضية أخطر من ذلك بكثير لذلك تستطيع القضية ومحاولة تمرير المشروع العلماني الغربي إلى مجتمعات المسلمين بأنه لا ينافي أصل الدين ويمكن أن يعيش الناس علمانيين مع كونهم مسلمين قضية يغفل عنها من يتكلمون في هذه المسألة بغير علم ولا إدراك لا للشرع ولا للواقع أو بتبليس بحيث يلبسون على الناس في هذه المسألة ويحاولون جعل هذا من باب المعاصي والذنوب التي يبقى أصل الإيمان معها ودفاع مستميت عن العلمانية ورموزها وأقطابها ومن يقيمها وينشرها في الناس وينال أهل الإسلام من أنواع الأذى منهم من الأعوان هؤلاء والمروجين للدعاة على أبواب جهنم ما لا يناله أعداء الإسلام المعلنين بالكفر فضلاً عن المنافقين ،

قضية خطيرة ليست كما يظن البعض المسألة تسوغ فيها الخلاف بل مسألة القوانين هذه جزء صغير منها التي هي ماذا يصنعون في المجرمين من هم المجرمون ماذا يصنعون فيهم لكن على أي الأحوال بالنسبة للعقوبة في أمر الزنا سنقول مثلاً في المسلمين كم امرأة ترني واحد في المائة أو اثنين في المائة يعني لا يتعرضوا لمثل هذا الأمر إلا نسبة يسيرة لكن هناك أنظمة الحياة الأخرى تفرض ظلمها وفسادها على كل مظاهر حياة الناس تدخل علينا في بيوتنا ترني أولادنا رغماً عنا ، قضية خطيرة بلا شك ، تنشأنا وتغير أخلاقنا تغير المبادئ التي نشأ عليها المسلمون أربعة عشر قرناً أو ثلاثة عشر قرناً منذ الاحتلال الغرب لبلاد الإسلام وهي تراد أن تغير وتبدل ووضع المرأة يأخذ غالباً كبيراً وضع الاقتصاد أخذ بالفعل وكل منهم قد أخذ ووضع النظام السياسي في الإسلام كذلك ، النظام السياسي في دول المسلمين لم يعد هناك ما يشبه النظام الإسلامي إلا في الشيء اليسير لكن أقصد أن أنظمة

الحياة كلها التي تصبغ بصبغة أخرى مرجعيتها ومردّها إلى غير دين الله سبحانه وتعالى بل تأبى الرجوع إلى الشرع وترى أن الناس هم الذين لهم أن يخترعوا وينشئوا أنظمة حياتهم التي هي تشكل في الحقيقة صفات الفرد الناشئ في هذا المجتمع عقيدة وعبادة وخلقاً ومعاملة ، الشخص الذي ينشئ على إهمال الصلاة نعم ينشئ على إهمال ذلك لأنها لا تذكر في مواطن من المواطن إنما حافظ الناس بفضل الله على الصلاة ليس من خلال نظام التعليم الذي يتعلمونه وإنما حافظ من حافظ منهم على الصلاة من خلال الدعوة التي قام بها الدعوة إلى الله عز وجل وجهد العلماء الداعين إلى الله سبحانه وتعالى لكن حقيقة الأمر الأخلاق التي يكتسبها الناس من أين يأخذونها ؟ يأخذونها من الفلم من المسلسل من الكتاب الذي يدرسونه في اللغة الإنجليزية أو في اللغة العربية أو كتاب الأخلاق الذي يدرس لهم أعظم بكثير مما يقال لهم في المساجد ، من من الناس إلى الآن مازال أكثر الناس لا يعتادون المساجد ، ممكن تكون مخدوع لأنك ترى عدد كبير موجود في الدرس لكن الحقيقة هذا العدد لا يقارن بمباراة كرة واحدة وغير ذلك أمر على دروس الأوقاف أجد ثلاثة في الدرس أو أربعة ، الدرس الذي لا بد أن يقع له الشيخ ويكتبه يحضر فيه ثلاث أنفار أو أربعة ، والناس جالسين حتى ينتهي من الكلام فضلاً عن أنه لا يكون يحضرهم أصلاً فمن أين يتلقى الناس الأخلاق ؟ من مباراة الكرة ، الكرة تؤثر على الأولاد أكثر ما أنا أثّر عليهم فهذه أنظمة حياة متكاملة ، لما يرغب الناس في تعظم باب معين وإهمال باب آخر هذا نظام حياة ، قضية الحكم بما أنزل الله ليست مقصورة على الجانب القانوني ، الجانب القانوني يأخذ حجمه لأنه من أوضح المخالفات مصادمة صريحة لا تحتل ، ونيسير لأن نبين المصادمة التي تصر إلى الكفر والعباد بالله لكن الأنظمة الأخرى كذلك وأن كانت غير مسجلة ، يعني حرية الفتاة في أن تصحب من شئت وتعاشر من شئت موجود بصورة قانونية في بعض الدول الإسلامية وموجود بصورة واقعية في أكثرها ولا حول ولا قوة إلا بالله وإن كان مازال عودة الناس إلى الالتزام يمنع من انتشار هذا الأمر في البلاد لكن المقرر عندهم - أنت مالك مادام برضاها مالك أنت - بالكثير أبوها ممكن هو الذي يقول ذلك لكن أخوها كلمته ثقيلة جداً ويقولون له ليس لك شأن أنها تصاحب الأولاد وأنها تعاشر من تشاء وهذا الوضع استقر وهذا مقرر في تركيا مثلاً والذي أقره البرلمان الذي عليه أغلبية إسلامية أن الزنا ليس جريمة بالنص وأوروبا تطلب ذلك لكي تدخل تركيا الاتحاد الأوروبي طلبوا منهم إلغاء تجريم الزنا وهذا ليس جريمة ولا البغاء جريمة البغاء لكن لا بد أن يكون بتوثيق رسمي ، والناس التي من قبل الحكومة ذات البذور والجذور الإسلامية هم الذين يقنون تصريح البغاء الرسمي وهذا كان موجود عندنا قبل الثورة ، الثورة هي التي قلبت البغاء لكن أيام الملك فاروق والملك فؤاد والملكية المصرية عام ١٩٢٢ كان تصريح رسمي بالبغاء .

هذا موضوع الجزء القانوني الموجود جزء صغير من الموضوع لكن القضية نفسها قضية المشروع العلماني الذي يراد أن يفرض والغرب يدعمه بكل قوه علناً لا سراً ويقولون تصريحاً لا تلميحاً لا بد أن ندعم العلمانيين الذي يرون فصل الدين عن الحياة لا عن الدولة بل الدولة هذه جزء صغير لكن كيف يعيش المجتمع ككل .

القضية ليست صغيرة مثل ما يتصور البعض أو الاتهام بالتفكير ، واتهمونا مئات المرات بأننا تكفيريين مع أننا بفضل الله لا يؤثر عنا قط أننا نكفر شخصاً بعينه إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وغالب ذلك غير متحقق لأن الذي يتحقق من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع إما علماء يوجهون هذا الشخص أو قضاء شرعي وكلاهما غير حاصل ومع ذلك تجد الاتهام بالتكفير والخروج وغير ذلك من أنواع التهم ومع ذلك القضية لا تحتل أن نكنم شيئاً من الحق لأجل هؤلاء المعادين ، اليوم العداوة أكثر ليس مع العلمانيين ، ليس العلمانيين الذين يدافعون عن أنفسهم هم أضعف من أن يستطيعوا الدفاع وهم لا يريدون أن ينتسبوا للدين ، المشكلة مع من يدافع عنهم وينتسب إلى الدين نسأل الله العافية ،

نستكمل المسألة إن شاء الله

سبحانك اللهم وبحمد أشهد ألا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

### ٣٩- الفرق بين الحكم التشريعي والقدري

كنا قد شرعنا في بيان مسألة الحكم بما أنزل الله وهي من مسائل التوحيد والإيمان العظيمة وهي جزء من قضايا الإيمان بالله عز وجل ومعرفة شهادة أن لا إله إلا الله وهي عند التأمل ضمن توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، خاص بالذكر للذين يخالفون فيها واحتاجت لبسط الكلام ،

نقول أنها من ضمن أنواع التوحيد الثلاثة لأن المؤمن يعتقد أن من خصائص الربوبية أن من خصائص الرب اعتقاد الحكم والتشريع كما ذكرنا ذلك من معاني اسم الرب ، الرب السيد الأمر الناهي المطاع قال الله عز وجل ( اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ) إذا من معاني الربوبية أن يحلل ويحرم قال النبي عليه الصلاة والسلام لعدي ( ألم يجرموا الحلال ويحللوا الحرام فاتبعتموهم ؟ قال عدي : بلى قال فذلك عبادتهم فدل ذلك على أن من معاني توحيد الربوبية أفراد الرب تبارك وتعالى بالتشريع والأمر والنهي والحكم والسيادة على الناس ، في أمر الأسماء والصفات من أسماء الله الحكم والعدل قال الله تعالى ( ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين )

القضية ليست مختصرة على دليل واحد كما يظن البعض مثل قول الله عز وجل { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } فإن ظفر بقول ابن عباس رضي الله عنه ومن نقل عنه من السلف انه قال كفر دون كفر يقول أنه ليس هناك دليل على هذه المسألة من مسائل التوحيد أو أن هذا كفر دون كفر ، فهو كلام باطل في الحقيقة .

المسألة أكثر بيانها في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، غير النبي صلى الله عليه وسلم اسم . أبا الحكم . لأنه قال : ( إن الله هو الحكم ) فهذا من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وقد قال عز وجل { ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } وقال تعالى { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه } وهي مذكورة بصيغة الإفراد ، دل هذا على أن هذه المسألة من مسائل الإيمان والاعتقاد وليس فقط من المسائل المتعلقة بالعمل

وقال تعالى { ولا يشرك في حكمه أحداً } وفي القراءة الأخرى المتواترة وهي قراءة ابن عامر { ولا تشرك في حكمه أحداً }

الأول على الخبر أي أنه عز وجل لا يشرك في حكمه أحداً فهي تشمل الحكم القدري والحكم الشرعي ، هو لا يشرك في حكمه أحداً ولم يجعل أحداً شريكاً معه في الحكم فيما يقدر ويخلق ويوجد من الأشياء ولا فيما يشرع ، حتى الرسل الكرام ليسوا شركاء لله عز وجل بل هم مبلغون أمر الله سبحانه وتعالى . قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم { ليس لك من الأمر شيء } وقال عز وجل { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي }

قضية الأمر والنهي كما ذكرنا قضية عظيمة الأهمية ، ولمن تكون مرجعية الأمر والنهي .

اتفق أهل العلم على أن الحكم هو الله عز وجل ، الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بمنشأ للحكم من قبل نفسه ، وليس له أن يشرع للناس من عند نفسه ، بل هو يجتهد صلى الله عليه وسلم على قول من يقول أنه يجتهد ويقره الوحي ، يجتهد في معرفة حكم الله سبحانه وتعالى ، { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله } إذن ليس يرى من قبل نفسه ، وهو يحكم بمعنى ينفذ حكم الله ، فالحكام بمعنى المشرع ليس إلا الله وحده لا شريك له ، والرسول صلى الله عليه وسلم يسمى شارعاً بمعنى أنه سن لنا سنة شرعها لنا ، شرع الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أي بين لنا شرع الله ، كما أن القرآن كلام الله حقيقة ويقال هو قول رسول كريم لأنه مبلغ عن الله ، قال عز وجل { فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم } فهو قوله تبليغاً عن الله ، فكذلك في كونه حاكماً ومشرعاً عليه الصلاة والسلام ، فهو يبلغ شرع الله وحكم الله سبحانه وتعالى لأن الآيات صريحة { إن الحكم إلا لله } .

القراءة الأخرى ظاهرة في الحكم الشرعية { ولا تشرك في حكمه أحداً } هي لا يظهر منها الأمر الكوني بخلاف القراءة الأولى ، وكذا إن الحكم إلا لله { تشمل الوجهين } الحكم الشرعي والحكم الكوني بعموم الآية ، { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه } وإن كان الأظهر أنها في الحكم الشرعي لأنه عقبها بقوله { أمر ألا تعبدوا إلا إياه } فهو الذي نحى عن الشرك وشرع التوحيد وحرّم الشرع ، فهذا ضمن أوامر الله التي ينفرد بالحكم فيها سبحانه وتعالى .

هذه القراءة { ولا تشرك في حكمه أحداً } لا تحتل إلا الحكم التشريعي ، لأن أحداً في الحكم الكوني لن يشرك بالله عز وجل لأنه ليس للعباد دخل في الحكم الكوني القدري ، ولو أنه في الحكم القدري لا يقع أصلاً ، نقول لأن قراءة { ولا يشرك في حكمه أحداً } شاملة نوعي الحكم : الكوني القدري والحكم الشرعي .

وقوله تعالى { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه } ظاهر في الحكم التشريعي وتضمن الحكم الكوني القدري ، وأما قول يعقوب عليه السلام { وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون } فهو ظاهر في الحكم القدري الكوني ومتضمن للحكم الشرعي ، لأن { إن الحكم إلا لله } تكررت في موضعين في سورة يوسف :

في قوله يوسف لصاحبيه في السجن

وفي قول يعقوب لأبنائه

الذي يظهر والله أعلى وأعلم أن قول يعقوب أراد به الحكم الكوني ، وإن كان العموم يشمل الحكم الشرعي ، لماذا ؟ لأنه إما أنه خاف عليهم الحسد أو خاف عليهم أمراً يكرهونه ويكرهه هو عليه السلام عندما قال { يا بني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء } فهو لم يرد الحكم التشريعي في المقام الأول ، لأن المقام في ذكر أمر مكروه يمكن أن يقع يقدره الله عز وجل عليهم . والله أعلم .

وفي بيان الفرق بين الحكم الشرعي أو التشريعي والحكم القدري :

الحكم الشرعي مثاله : أن الله عز وجل أحل البيع وحرّم الربا

أما الحكم القدري الكوني فهو مثل : أن الله حكم على فلان بال موت أو حكم على فلان بالحياة أو أن فلان يكون ذكراً أو أن فلانة تكون أنثى ، فهذا هو الحكم القدري الكوني .

أما الحكم بأن هذا حرام وهذا حلال وهذا فرض وهذا سنة وهذا واجب وهذا مباح فهو حكم تشريعي .

من معاني الربوبية :

أن الرب سبحانه وتعالى هو السيد الأمر الناهي المطاع .

قال تعالى { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله }

كل هذه من الأدلة الواضحة على وجود أفراد الله عز وجل بالحكم ، سمى الله عز وجل من جعلوهم مشرعين شركاء ، ليس فقط سماها معصية ولكن ذكر لفظ الشرك للدلالة على أن هذا من أمر التوحيد وضده من الشرك ، من جعل غير الله يشرع من الدين ما لم يأذن به الله فهو مشرك .

وكما ذكرنا من مظاهر الشرك في الربوبية أن يعتقد الإنسان أن غير الله له أن يشرع حتى ولو لم يتحاكم إليه ولم يطلب منه أن يحكم بحكم معين ، فيكون شرك اعتقادي وشرك في الربوبية ، كما لو اعتقد أن هناك من خلق مخلوقات أخرى ، فيعتقد أن الله خلقه هو وأن هناك إلهاً للشرك خلق الشر ، هذا مشرك لأنه يعتقد مع الله عز وجل خالقاً ، فلو أن أحداً اعتقد أن لطائفة من البشر أن يشرع لهم كبرائهم ورؤسائهم وملوكهم ما شاءوا فهو حتى وإن قال أنا لم أتحاكم إلى هذا ولكن يصحح تشريع غير الله عز وجل ويصحح أن لغير الله عز وجل أن يشرع للناس بل حتى ولو شرعوا في البهائم لكان هذا من الشرك العياد بالله .

كما ذكرنا أنه شرك في الإلهية وشرك اعتقادي لو تحاكم هو إليه لأضاف إلى ذلك شركاً عملياً وشركاً في إرادة الإنسان وقصده والعياد بالله

لأن الله عز وجل قال { أم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدميت إيدهم ثم جاءوك يخلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً }

هذا في فعل الإنسان وفي التحاكم ، وهذا يتعلق بتوحيد الإلهية ، لذلك قلنا أن قضية الحكم ضمن توحيد الأسماء والصفات ضمن توحيد الربوبية ضمن توحيد الإلهية ، وقد يقع الشرك في واحدة من هذه ، وقد يقع فيها كلها .

أعني أن من يعتقد أن لنا تشريعنا الذي نأخذه من الله وأما الآخرون من البشر فتشريعاتهم التي وضعها طواغيتهم واجبة الاحترام وأنا لو ذهبنا إلى هناك لتحاكمنا إلى قوانينهم وإلى ما رآه كبرائهم وقادتهم ويرى صحة ذلك ، فهذا والعياد بالله شرك في الربوبية حتى ولو لم يسافر ولم يذهب ، فهذا إذا ذهب وفعل ذلك أو استورد هذه القوانين وطبقها على المسلمين فهذا شرك في الإلهية والعياد بالله .

ومن يعتقد أن حكم غير الله عز وجل أفضل أو مساوي أو جائز فهو شرك في الأسماء والصفات لأنه ناقض قول الله عز وجل { إن الحكم إلا لله له الحكم وهو أسرع الحاسبين } ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ؟ فإذا قال لا بل لغيره الحكم فهذا يكون جعل مع الله شريكاً في أسمائه وصفاته ، كما لو أن إنساناً قيل له الله عز وجل عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو فقال بل وفلان يعلم مفاتيح الغيب ، أليس هذا مشرك في الأسماء والصفات ؟ نعم لأنه جعل صفة العلم المحيطة وعلم الغيب لغير الله عز وجل ، وكذا من يقال له مثلاً أن الله عز وجل سميع عليم ، سميع لكل ما يقوله العباد فيقول أن الولي الفلاني أيضاً سميع عليم يعلم كل ما في نفوس العباد ويسمع كل كلامهم ، ألم يكن هذا مشركاً ؟ بل هو مشرك شرك أكبر في الأسماء والصفات ، لذلك قال الله عز وجل { ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } فيقول بعض المشركين : وفلان أيضاً له الحكم والطائفة الفلانية لها الحكم والهئية الفلانية أيضاً لها الحكم وتشرع ما شاءت والشعب الفلاني له الحكم يشرع ما شاء ولو خالف شرع الله عز وجل ويصرحون بذلك .

فالناس أحياناً يهتمون جداً بالجانب النظري ، العلمانيين يهتمون جداً بالجانب النظري ويتركزون على هذا ، يقولون أن الأشياء المتوافقة مع الشرع قد تكثر لكنهم يقولون : فإذا أراد الناس أن يشرعوا خلاف الشرع ماذا تقولون ؟ .

هذه هي المسألة عندهم ، وخصوصاً في مسائل مشهورة كإباحة الزنا مثلاً ، وقضايا تكون فيها معارك خطيرة ومن أجل مسألة واحدة يمكن أن لا تتغير الأوضاع بتغييرها مثلما وقع مثلاً في تركيا كما ذكرنا من تشريع إباحتها وهو كان مجرم ولكن بعقوبة خفيفة جداً ولكن أوروبا تشترط أنه لا بد أن يزال تشريع الزنا حتى يسمح لهم بالدخول في الاتحاد الأوروبي وأنه لا بد أن يلغى هذا التشريع وأنه لا بد أن يقرر أن الزنا إذا كان برضا الطرفين فليس بزنا وليس بجريمة أصلاً ، رغم أن الواقع التركي موجود كما هو لم يتغير منذ سنوا القوانين ، ومع ذلك فالأمر خطير عند هؤلاء ، هم يريدون القضية النظرية كما ذكرنا . هل من حق الناس أن يشرعوا ما رأوا دون أن يكون هناك مرجعة لشرع الله عز وجل ولو خالفوا الشريعة ولو أحلوا ما حرم الله سبحانه وتعالى أو حرموا ما أحل الله ؟ هذه هي القضية .

ف عند المجرمين الطواغيت أن هذا الأمر يصح لغير الله سبحانه وتعالى وأن يشرعوا ما أرادوا ولو حرموا الحلال أو حللوا الحرام .

التحاكم من العبادات التي يجب أن يصرفها العبد لله دون ما سواه ، وهو من توحيد الإلهية لأنه من أفعال العباد كما بيننا أن توحيد الربوبية هو توحيد الرب عز وجل بأفعاله هو سبحانه ، فتوحيد الإلهية توحيد الرب بأفعال العباد .

ومن الربوبية أن يعتقد أن الله له وحده أن يشرع ، وأن هذا فعل الرب كما أنه وحده هو الذي يخلق وصفة الرزق وصفة الضر والنفع كذلك له صفة الحكم وحق الحكم بالتشريع له وحده ، هذا من توحيد الربوبية .

أما سلوكنا نحن العملي بالتحاكم إلى شرعه والتحاكم إلى الطواغيت وهو كل ما يحكم بغير ما أنزل الله وبخلاف شرعه ، هذا الترك من توحيد الإلهية .

فمن العبادات التي يجب صرفها لله وحده دون ما سواه التحاكم إلى شرعه وقبول حكمه والرضا به .

قال الله عز وجل { إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون } [النور/ ٥١] فهذا ملازم لوصف الإيمان ، لا يكون مؤمناً من دعي إلى الله ورسوله ليحكم في خصومة بينه وبين غيره فيقول لا نقبل أو يقول سمعنا وعصينا أو لا نرضى بهذا الحكم والعياذ بالله .

قال تعالى { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } [النساء/ ٦٥] نفي الإيمان هنا يدل على أن هذا الباب متعلق بالإيمان كما ذكرنا ، ونفي الإيمان قد يكون نفياً لأصله أو نفياً لكماله الواجب على حسب نوع الذي لم يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فإن كان ذلك باعتقاد أن حكم غيره أولى أو مساوي له أو جائز أو واجب الالتزام به والعياذ بالله فهذا كفر ناقلاً عن الملة ويزول أصل الإيمان . أما إذا ترك التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يتحاكم إلى غيره ، فلا بد أن نفرق بين الترك المجرد وبين الترك المتضمن للتحاكم إلى الطواغيت الذي يتضمن الشرك والعياذ بالله .

فناك ترك مثل إنسان أبي أن يذهب إلى المحكمة في دولة إسلامي ويعلم أن الشريعة سوف تلزمه بأمر فيتهرب من المثل أمام المحكمة لكنه في نفس الوقت لم يرتكب شركاً بأن يذهب إلى غيره وبأن يطلب حكم الطواغيت أو يلتزم بهذا ويصحح غير شرع الله سبحانه وتعالى ، نقول أن هذا يكون تركه التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى شرع الله عز وجل دون أن يتحاكم إلى غيره ودون أن يرتكب شركاً يكون نفي الإيمان عنه نفي للإيمان الواجب والله أعلى وأعلم . فالآية تشمل النوعين في نفي الإيمان عن من لم يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفي الإيمان عمن وجد في نفسه حرجاً وعمن لم يسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ، وأما من وجد في نفسه الحرج من أصل التشريع أو كما ذكرنا اعتقد أن حكم غير الله أولى أو مساو أو جائز أو واجب ذلك ، فهذا كله والعياذ بالله من نفي أصل الإيمان لأنه ناقض ما أمر الله به من التوحيد في قوله { إن الحكم إلا لله } .

وكما ذكرنا أن تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو تحكيم الله عز وجل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكم من قبل نفسه وهو تحاكم إلى الله ، وتحكم النبي تحاكم إلى الله عز وجل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حاكم بشرع الله .

من مظاهر الشرع في الربوبية والإلهية التحاكم إلى الطواغيت .

فاعتقاد أن غير الله له أن يشرع شرك في الربوبية والتحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله شرك في الإلهية ويعد إلحاداً في الأسماء والصفات لأنه يجعل لله شريكاً في أسمائه وصفاته بصفة أن له التشريع .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ٤ - التحاكم إلى الطواغيت

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد ،،

قال الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ [النساء/٦٠] الزعم هنا هو الادعاء الباطل ، ذكر الله إيمانهم بوصف الزعم ، دل ذلك على أنهم ليسوا بمؤمنين ، ليسوا مؤمنين بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما أنزل من قبله من التوراة والإنجيل ، حيث أرادوا أن يتحاكموا إلى الطاغوت .

وهذا صحيح في تسمية من تحاكم الناس إليه دون شرع الله وهو يحكم بغير شرع الله طاغوتاً . وهو رأس من رؤوس الشياطين والعياذ بالله إنسا كان أو جنأ .

فمن أنواع الطواغيت من يحكم بغير شرع الله إضلالاً للناس الضلال البعيد ،

ومن امثل إلى الإيمان وزعمه وهو يريد ان يحكم الطاغوت فهو كاذب في دعواه ، وهو من المنافقين الذي يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي يمتنعون من التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاكم بشرع الله وسنته صلى الله عليه وسلم . فهو يحكم بشرع الله وما سنه صلى الله عليه وسلم هو من شرع الله .

الطاغوت : كهان من جهينة أو كعب ابن الأشرف ، أو أبو بردة الأسلامي .

عند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : " كان أبو بردة الأسلامي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه فتنافر إليه أناس من أسلم فأُنزل الله ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ [النساء/٦٠] " رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . وصححه السيوطي .

وقيل سبب نزول هذه الآيات خصومة بين رجل منافق وبين رجل يهودي وهذا قد ذكره غير واحد مرسلًا ، ولكن مما يستأنس به في التفسير وظاهر القرآن يكفينا عن الإسناد ، في أنه قد وقع من أناس زعم الإيمان وفي نفس الوقت إرادة التحاكم إلى الطاغوت فالمراسيل في التفسير يستأنس بما لأن القرآن يدل على صحة معناها ولذا لا يقال هذه لم تثبت مثلاً فهي نعم لم تثبت كأحاديث مستقلة .

في قصة عمر رضي الله عنه في المنافق الذي ضرب عمر رضي الله عنه عنقه لما أراد التحاكم إلى كاهن من جهينة .

القصة كما هي مذكورة وقعت في خصومة بين رجل منافق وبين رجل يهودي وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوة ، وقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه علم أنه لا يأخذ الرشوة ، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً من جهينة فتحكما إليه .

في بعض القصص في ذلك اتحما أتيا عمر بن الخطاب فقال عمر للذي لم يرضى : " أكذلك " ، قال نعم ، فخرج بالسيف وضرب عنقه .

فهذا ضعيف الإسناد لكن قد ذكره أهل العلم بالتفسير من أسباب النزول لا على سبيل الإنكار ، بل ليستأنسون به لأنه موافق لعموم القرآن .

نقول هذا الكلام ليس استدلالاً بالأحاديث الضعيفة وإنما إمرار العلماء لذلك دليل على أنهم يعلمون أن هذه المسألة من مسائل الشرك الأكبر ، ما أنكر أحد من العلماء ذلك من جهة المتن ولا قالوا أن هذا لا يصح لأن ينسب إلى عمر وأنه قتل رجلاً مسلماً بمعصية وأن هذا من جنس فعل الخوارج ، ولا أحد من العلماء الذي ذكروا هذه القصة في تفاسيرهم وقال أن هذا مذهب الخوارج ، كما يدندن من يقولون في عصرنا بأن مسألة التحاكم على تفصيلها المعروف من كلام الخوارج .

وسأتي بكلام أهل العلم من السلف والخلف على أن هذا من الاعتقاد والتوحيد والإيمان ، وأن المخالف في مسألة التحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله سبحانه وتعالى ومن يريد التحاكم إلى الطاغوت ليس مؤمناً عند أهل العلم من أهل السنة .

فهذا من ضمن الأدلة وقد ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكلامه معلوم في هذه المسألة في مواطن متعددة من كتابه ، وقد ذكره ابن كثير وقد ذكره غير واحد كما ذكرنا مثل ابن جرير ، وكلهم ذكروه على سبيل الاستئناس في هذه القصة في هذا الموطن ، لأن القرآن يدل بعمومه ، نحن نحتج بالقرآن ونستأنس بالآثار الماثورة وإن كانت مرسلة وإن كان فيها ضعف لكن القرآن يكفينا ، وفهم العلماء لذلك . لعموم القرآن . يدل على صحة ما نذكره من أن هذا تحاكم إلى الطاغوت .

ـ اتفقا على أن يأتيا كاهناً من جهينة فيتحكما إليه على عادات أهل الجاهلية والمشركين فكان هذا التحاكم إلى الطاغوت .

والشيطان رأس الطواغيت لأنه يدعو إلى عبادة غير الله . وكل من طغى وجاوز حد العبادة ونسب لنفسه صفة من صفات الربوبية أو الإلهية فقد طغى وتجاوز الحد فهو طاغوت ، ولذلك الشيطان دخل في ذلك ، لأنه يطلب أن يعبد من دون الله ويدعي أن له أن يطاع دون أمر الله .



قال الله تعالى { ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين } [يس/٦٠] فالناس يعبدون الشيطان بأن يطيعوه في الكفر ، والشيطان يدعوهم إلى ذلك فهو رأس الطواغيت .

نذكر هذا تقريراً لأن الشيطان من رؤوس الطواغيت ، لأن البعض يريد أن يقصر تفسير الطاغوت على الشيطان وهو إبليس شخصياً دون غيره ، ويقول أن الطاغوت الشيطان ليس لها تفسير إلا ذلك .

فما تصنع في قول الله تعالى { يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت } هل كانوا يذهبون إلى إبليس شخصياً ؟ أم أنهم يذهبون إلى كهاتهم وكبرائهم وسادتهم الذين أضلوهم السبيل .

كيف يراد التحكم إلى الطاغوت وهل يوجد من يقول سنذهب إلى إبليس ليحكم بيننا ؟ وهل وجد ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعده حتى يقال أن الذين يفسرون كلمة الطاغوت بغير الشيطان مخطئون أو مخالفون للأدلة ؟

نقول أن الشيطان من رؤوس الطواغيت وهو رأسهم فعلاً لأنه يدعو لعبادة غير الله .

لكن الحاكم بغير ما أنزل الله أيضاً طاغوت سواء اخترع الحكم أم أعطى لنفسه حق التبديل والتغيير على شرع الله من قبل نفسه .

نوعان قد ذكرهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في إجابته عن رؤوس الطواغيت حيث ذكر خمسة :

الحكام بغير ما أنزل الله

والمبدل لشرع الله .

الفرق بينهما كما ذكرنا من أن أحدهم يخترع الحكم صراحة وينسبه إلى نفسه ويلزم الناس به .

وآخر يقول أن الله قد جعل له حق التبديل ، فيبدل ويحلل ويحرم ، كما يعتقد اليهود والنصارى في الأحبار والرهبان . اعتقدوا أن لهم حق التبديل والتشريع .

ولا شك أن الأول أشد ، فإن بعض المعاصرين ينسب إلى أهل العلم أو ينقل عنهم أنه فرق وقال لا بد أن ينسب إلى الشرع . وهذا كلام عجيب . يظهر والله أعلم إن صح الشريط المنسوب لبعض أهل العلم في ذلك أنه كان يريد أن يمنع من الغلو في أمر التكفير ولكن عند التأمل أن من يشرع من قبل نفسه أغلظ ممن ينسب تشريعه إلى الشرع .

الذي يقول للناس ما أحلت لكم وما حرمت لكم هو حلال وهو الحرام دون الرجوع لشرع الله أغلظ في ادعاء الربوبية ممن يقول أن الله قد جعل لي ذلك ، أو أن يقول أن أنا الذي أبين تحليل الله وتحريمه . فضلاً عما يجتهد .

أعني أن من يجتهد في بيان الشرع وهو يبحث ويبدل جهده في البحث عن الحق ليس من هذا ولا ذاك .

لكن الذي عطى لنفسه حق التبديل هو في النهاية منتسب إلى الدين ، فإذا كان هذا طاغوتاً وإذا كان هذا ادعاءً للربوبية كان أغلظ وأشد منه الذي يدعي أن له أن يشرع دون شرع الله ويلزم الناس به ، وهذا مما لا يخالف فيه عالم إن شاء الله تبارك وتعالى .

فالحكام بغير ما أنزل الله طاغوت سواء اخترع الحكم أم أعطى لنفسه حق التبديل والتغيير على شرع الله من قبل نفسه كالأحبار والرهبان الذين ينتسبون إلى الدين وإلى اتباع دين الأنبياء . أو كان ممن لا ينتسب إلى الأنبياء مثل كتاب الياسق وصاحبه جنكيز خان ملك التتار ، فهذا حكم بغير ما أنزل الله من غير أن ينسب ذلك للأنبياء ، فهو مخترع للتشريع ، شرع شرائع من قبل نفسه ، وبعض الشرائع أخذها من التوراة والإنجيل وبعضها أخذها من الشريعة الإسلامية ، أخذ بعض الأحكام كما يذكر ابن كثير وسنذكر نص كلامه إن شاء الله .

الأحبار والرهبان الذين شرعوا للنصارى تحليلاً وتحريماً نسبوه إلى الدين كحل الخنزير مثلاً ، فتحليل النصارى لأكل الخنزير هو من باب تبديل الشرع ونسبته إلى الدين ، لأنه أصبح في اعتقاد النصارى حل الخنزير ، من أين وهم إلى الآن يقرأون في التوراة تحريم لحم الخنزير ويعلمون أن اليهود يعتقدون حرمة لحم الخنزير ، وهم يرون أن التوراة لازمة لهم ؟ قالوا لأن المجمع الفلاني قد قرر حل لحم الخنزير ، فهم يرون أن المجمع المقدسة عندهم من حقه أن تحلل وتحرم ، ولذا يتهمون اليهود قروناً طويلة بدم المسيح ثم يأتي بعد ذلك مجمع يقرر أن اليهود أبرياء من دم المسيح فيلزم النصارى أن يعتقدوا أن اليهود أبرياء والعباد بالله . وهكذا يجعلون تشريعات .

وكثير جداً من الأعياد يعلمون من وضعها ، هم الذي وضعوها بأنفسهم ومجامع قررتها ، فإذا كانوا يعتقدون لهم أغلظ من ذلك في العقيدة نفسها ، يرون أنهم الذين لهم حق وضع العقيدة والخلط بين ما جاء عن المسيح وما جاء عن الفلسفة ، فهم يعلمون ذلك ولا يستحيون منه ، هم يقولون دمج بين الفلسفة اليونانية وبين ما جاء به المسيح ، تعاليم المسيح متعلقة بالأعمال أما العقيدة أخذوها من الفلسفة ، وينسبون بعد ذلك إلى المسيح .

الغرض المقصود أن هذا تبديل للشرع ونسبته إلى الدين .

أم الياسقل لجنكيز خان والقوانين الوضعية فهو تشريع لا ينسب إلى الدين ، بل يقولون لا شأن لنا بالدين ، جنكيز خان لم يقل أنه نصراني ولم يقل أنه يهودي لأجل أنه يأتي بالشرائع من التوراة ، ولا قال انه مسلم لأجل أنه يأتي بالشرائع من الإسلام ، ولم ينسب هذا إلى دين ، بل قال هذا تشريع جنكيز خان .

فالنوعان : المنسوب للدين ، وغيره من الطواغيت .

والذي يتبرأ من الدين أغلظ لأنه يحاد الله عزوجل ويشاقه وينسب لنفسه صفة قد جعلها الله في كتابه حقاً خالصاً له { إن الحكم إلا لله } { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } وهذه في الثانية ، وإن كانت يمكن أن يدخل فيها الأولى أيضاً لأن كل ما دين بين الناس وحوسبوا عليه وألزموا عليه فهو دين ، ولذلك قال الله عزوجل عن نظام الملك { ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك } وهذا يوسف عليه السلام كان لا يلتزم مع أهل مصر بتشريع يعقوب لأن تشريع يعقوب ليس شريعة عامة وليس من الدين الذي أمر الله أن يلتزم به في كل البلاد وفي كل العصور ، وإنما هو أمر جعله الله عز وجل ليعقوب وبنيه ، فأما ما كان من شريعة الإسلام فلا يصح فيها مثل ذلك بحال من الأحوال لأنها لازمة للإنس والجن من يوم بعث النبي صلى الله عليه وآله وأرسل بها إلى النار كافة إلى يوم القيامة ، ففي هذا المقام كما ذكرنا أن الدين كل ما التزمه الناس ودينوا به وحوسبوا عليه وألزموا به ، فذلك نقول أن قوله تعالى { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } إذا لم ينسبوه إلى دين معين ولكن ألزموا به الناس فقد دخل في معنى الدين ودخل في معنى الشرك . فمن يبذل الشرع أو يشرع تشريعاً مستقلاً فهو طاغوت لأنه تعدى حده كعبد وهو أن يتلقى الشرع بالقبول والتسليم لا أن يشرع هو من قبل نفسه .

قال الله تعالى { يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً } [النساء/ ٦٠] فالكفر بالطاغوت هو ألا يتحاكموا إليه ، ما الذي أمرنا به ألا نتحاكم إلى الطاغوت ، فالكفر بالطاغوت عدم التحاكم إليه واعتقاد بطلان حكمه . ففيه جزء باطن وجزء ظاهر . جزء عملي وجزء اعتقادي . :

فالاعتقاد : أن يعتقد بطلان حكم الطاغوت المخالف لشرع الله ، وأنه لا يجوز أن تحكم هذه القوانين والأنظمة بين البشر

والجزء العملي : أن نترك التحاكم إلى هذه الطواغيت .

والله عزوجل ذم المشركين على تشريعهم عندما شرعوا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام . قال الله عز وجل { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون } [المائدة/ ١٠٣] هم يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، يقولون أن الله عزوجل أمرنا بذلك ، وهم كاذبون مشرعون . والله عزوجل قد ذكر الأصناف الثلاثة في سورة الأنعام قال الله سبحانه وتعالى { ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسوطاً أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون } [الأنعام/ ٩٣]

فهم أصناف ثلاثة :

قسمان ينسبان إلى شرع الله وقسم يضاحي ويدعي أنه سيكون مثل شرع الله فهو افترى على الله الكذب وقال الله أمرنا بالفواحش { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها } والعياذ بالله { قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط } فهذا افترى على الله الكذب { ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء } لأن هذان القسمين ينسبان الأمر إلى الدين ، فالذي يقول أوحى إلي ولم يوح إليه شيء يدعي أن هذا من عند الله وما هو من عند الله ، فهذا والعياذ بالله أظلم الناس وهو مشرك بالله سبحانه وتعالى

والنوع الثاني الذي عطف عليه بالواو وهو قسم آخر { ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } أي سأضع للناس مثل ما شرع الله ، فهؤلاء أظلم الناس ، وهو الكفرة المشركون والعياذ بالله .

فلا أظلم من هؤلاء الثلاثة إذن هذا الظلم الأكبر لأنه لا أظلم من هؤلاء ،

فهذا يدل على أن من قال سأنزل مثل ما أنزل الله في الوجوب وفي التحليل والتشريع وفي التحكيم بين الناس وغير ذلك فكل ذلك هو من الشرك الأكبر والظلم الأكبر لأنه لا أظلم من هذا النوع ، وهو من أشد الأمور ظهوراً في المعاملة .

أقول إذا كانت تشريعات البهائم ذمهم الله عليها ، فكيف إذا كانت التشريعات في الدماء والأعراض والأموال ، وكيف إذا كانت في الاعتقادات بأن يعتقد الناس والعياذ بالله ما يشاء هؤلاء فما يقولون أنه هو الصواب يكونه هو الصواب وما يكون هو الباطل يكون هو الباطل ، ليس في الأمور العملية فقط بل الأمور الاعتقادية كذلك ،

نقول مثلاً "ماركسولن.." من رؤوس الطواغيت ، فهم شرعوا لقومهم أن لا دين ، شرعوا لهم اعتقاد الإلحاط في وجود الله سبحانه وتعالى ، ينكرون وجود الله ويرون أن هذا هو الحق عندهم ويلزم أن يتبعوه ، وكذا من يشرعون لقومهم الإباحية فهي تشريعات متعلقة بالعقيدة والإيمان والتصور والفهم .

فليس الأمر في الدماء والأعراض والأموال فقط ، هذه أهون بالنسبة إلى التشريعات في الاعتقادات والعياذ بالله ، بل هذا تشريع بأن يسلك الناس شرعة تقول أن الناس لهم أن يعتقدوا ما شاءوا ولهم أن يعتقدوا وجود الخالق ولهم أن ينكروه ولهم أن يكذبوا الأنبياء ولهم أن يصدقوهم ولهم أن يفعلوا ما شاءوا ، هذا أشد من لو شرعوا لهم في أمر الأعراض والدماء والأموال .

لذا رؤوس البدع شر الطواغيت لأهم شرعوا للناس ما هو أخطر من الدماء والأموال وهو العقائد الفاسدة كتعطيل الأسماء والصفات وكنفي القدر وسب الصحابة رضي الله عنهم والغلو في الأئمة إلى أن يعبدوا من دون الله وكالعلمانية التي هي فصل الدين عن الحياة واعتقاد أن الشريعة غير صحيحة .

لو أن الناس وضعوا دستوراً على أن الشرع هو المزمع وقالوا هذا الذي ندين الله به وصاغوا الأحكام الشرعية في نظام مواد كأن تكون مثلاً المادة العاشرة "تقطع يد السارق الذي سرق ربع دينار فصاعداً" مثلاً ، فمثل هذا عبارة عن تفصيل أو كتابة لأحكام الشرع لهذه الطريقة ، فهذا لا يضر ، لكن الدستور الذي يتضمن خلاف شرع الله هو الذي يضر أعظم الضرر ، كأن يقول الناس مثلاً تقنين الشريعة بأن تجعل في صورة مواد ، إذا كانت هذه المواد مستقاة من الشريعة فهذا نعم ولا يضر ، لكن إذا ضمنوا هذا الدستور الذي وضعوه للناس ما يخالف شرع الله مثل أن الزاني لا يقام عليه الحد أو أي نوع من العقاب إذا كان برضا الزانية لم تكن متزوجة مثلاً وكانت فوق الثامنة عشرة ، كما تنص القوانين الفرنسية التي أخذت منها كثير من القوانين التي تطبق في تلك البلاد العربية وهو أن من واقع الأنتي بغير رضاها يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة أو المؤبدة ، فاشترطوا أن يكون بغير رضاها ويكون رضاها هذا غير معتبر إذا كانت دون الثامنة عشر أما إذا كانت فوق الثامنة عشر فالرضا معتبر .

لذا كثير جداً من قضايا الاغتصاب يدور فيها المدافعون عن المتهمين فيها حول إثبات أن الضحية كانت موافقة وأنه لا يوجد آثار تدل على المقاومة وبالتالي يحكم ببراءة الجاني أصلاً ، هذه كلمة فظيعة ورهيبة وهي أن هذا الإنسان بريء ، كلمة بريء من الجريمة لأنه لم يكرهها على الاغتصاب ، عند الأوروبيين الاغتصاب قد يقع من الزوج لزوجته الحلال ، فلو أن الرجل عاشر امرأته بغير رضاها ترفع قضية في المحكمة ، لأن القضية أنه من واقع أنثى بغير رضاها فتشمل الزوجة وغير الزوجة ، فهذا يعاقب ولا بد أن تكون راضية بتلك المعاشرة حتى ولو كانت زوجة ، فإن جامعها بغير رضاها لها أن تقاضيه لأن الرضا عندهم هو الأصل في هذه العلاقة .

هذا نقول أنه من الشرك الأكبر الذي لا يشك مسلم أنه من الكفر البواح .

ليس المشكلة أن القوانين تكون مصاغة في مواد ، فالبعض قد يقول أن هذا لا يصح ، فهو لا يصح في مسائل الاجتهاد أن يلزم بما القاضي في مسألة يرى خلاف ما ذهب إليه فيها ، لكن أن توضع المواد الملزمة لما شرع الله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة فهذا هو الواجب ، أما أن تجعل خلاف الشرع فهذا ما نتكلم عنه .

الغرض المقصود أن هذا الأمر يكثر في المنافقين . كما قال الله تعالى { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم } [المائدة/٤١] كما ذكرنا أن الأدلة كثيرة جداً من كتاب الله عز وجل على هذه المسألة ، وهي في كل المواطن تذكر من خالف فيها بوصف الشرك والكفر وليس هو فقط بوصف العصيان .

ونفي الإيمان كما ذكرنا في قوله تعالى { فلا وربك لا يؤمنون } وفي قوله تعالى { يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل } وقوله { يتحاكموا إلى الطاغوت } فسماه طاغوتاً هو الذي يعبد من دون الله وهو راض بذلك .

في هذا الآية من سورة الأنعام { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } وفي سورة الشورى { أم لهم شركاء لهم من الدين ما لم يأذن به الله } ، وقال { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه }

آيات كلها تتضمن وصف هذه القضية بأنها من صفات الرب ومن حقوقه ، ومن خالف فيها هو مشرك وكافر .

{ يا أيها الرسول لا يخزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا } [المائدة/ ٤١] والعجب أن هذا الآيات نزلت في اليهود ابتداءً ومع ذلك ذكر الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم قبل الذين هادوا ، وهذا من دلالات القرآن المهمة التي ينبغي أن نحتم بها ونتفهما .

فلماذا ذكر هؤلاء أولاً. الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ؟ المنافقون ذكروا أولاً قبل اليهود وذلك لأنهم كثيرون في المنافقين ، ولأن الخطر من المنافقين أغلظ من الخطر من اليهود ، اليهود خارج الشريعة ولن ينطلي مكرهم وخداعهم على المؤمنين لكن الخطر العظيم هو فيمن ينتسب إلى الإسلام .

قوله عز وجل { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم } [المائدة/41] مرض الأمة بمؤلاء من أخطر الأمراض ولذا ذكر الله عزوجل أن ما يفعلونه هو مسارعة في الكفر { ومن الذين هادوا } إذن اتفقت صافت المنافقين واليهود في هذه المسألة ، سبب نزول الآية يوضع هذا ، قال تعالى { سمعون للكذب سمعون لقوم آخرين لم يأتوك } فهم أعداء الإسلام خارج المدينة يستمع إليهم هؤلاء في الكيد للإسلام في التخطيط لإفساد حال المسلمين ، وتجد هذه الصفات تلازمة ،إرادة التحاكم إلى غير شرع الله عزوجل وسماع الكذب وأكل السحت والرشوة وأنواع الفساد وسماع أعداء الإسلام، كثرة سماع أعداء الإسلام الذين يحاولون فساد أهل الإسلام ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، قال تعالى { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمعون للكذب سمعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا } أي فاستمروا على ما أنتم عليه ، خذوه إن حكم به النبي صلى الله عليه وسلم ، فخذوا الجلد والتحميم وقولا حكم به نبي ، كأثمهم يحتجون به عند الله ، لأثمهم يعلمون نبوته وهو كذلك لكن قلوبهم مفتونة ،قال الله تعالى { ومن يرد فتنته فلن تملك له من الله شيئاً } فأراد الله لهم الفتنة لما في قلوبهم من الإعراض عن شرع الله عز وجل ، سبحانه الله هذه إرادة كونية فأراد الله أن يوجد في قلوبهم ذلك لأنهم أعرضوا ،قال تعالى { أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم } لوجود النجس في قلوبهم لميرد الله أن يظهرها ، دل ذلك على أن إرادة حكم غير حكم الله عزوجل كالذي اخترعه اليهود من الجلد والتحميم هو من الرجس الذي في القلوب ولم يرد الله أن يظهرها سبحانه وتعالى قال { لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سمعون للكذب آكالون للسهو } تجد صفات المنافقين واليهود اختلطت ، وهذا والله واضح وهو أن صفات المنافقين من جنس صفات اليهود ، دائماً تذكر صفاتهم مقترنة بعضهم بعضاً لا تميز بينهم ، كما ذكرت في سورة الحشر { ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لإن أخرجهم لنخرجن معكم } تأمل الصفات تجد صفات المنافقين والكفار معاً ، هذه الآيات من سورة المائدة نزلة في شأن اليهوديين الذين زنيا وكان اليهود بعد كثرة الزنا في أشرافهم تركوا الرجم الذي في التوراه ، إلى يومنا هذا لا يزال الرجم في التوراه والإنجيل . يدعون أن قوانين الإسلام وحشية ويتعجبون من حكم الرجم في الإسلام مع أن الإنجيل والتوراه فيها الرجم كما ذكرنا، إنما أنكر المسيح عليهم أنهم لا يطبقون الحد على الجميع ، أتوا إليه بامرأة زنت فقالوا : " ما تأمرنا أيها المعلم ، فقال : من كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر " إذن هذا دليل على أن الرجم بالحجر هو المشروع ، وأمر به المسيح ، ولكن بشرط أن يكون من يقيمه يقيم الحد على نفسه . بلا خطيئة . وكلمة خطيئة تطلق عندهم في الكتاب على معنى الزنا ، فمن كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر ، وهذا من جنس قول الله تعالى { وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين } فالمسيح إنما أنكر عليهم أنهم طبقوا الحد على الناس ولم يطبقوه على أنفسهم ،فهو يطلب أن تطبقوا على أنفسكم أولاً وأن تكونوا بلا خطيئة ثم تطبقون الحدود على الناس ، ولا يكون الحد مطبقاً على الضعفاء دون الاشراف ، فهذا موجود في كتابهم إلى يومنا هذا ، ومع ذلك يرون أن الرجم وحشية والعياذ بالله . فلما كثر الزنا في أشرافهم تركوا الرجم الذي هو في التوراه وبدلوه إلى الجلد والتحميم بأن يجلد الزاني والزانية ويسود وجهيهما ويضاف بهما على حمارين وهما مقبولان ويضاف بهما في الطرقات " هذا زان وهذه زانية " ، هذا معنى أنهم يفضحونهما ويجلدونهما ، فهم يعاقبون ولا يعطون حرية شخصية ، يعني القوانين الأوروبية المعاصرة والثورة الفرنسية وعرف أوروبا وأمريكا من البلاد اليوم في الزنا شر مما كان عليه اليهود الذين يسارعون في الكفر ، فهم يرون الزنا جريمة أما هؤلاء لا يرونها جريمة .

لما زنا من اليهود رجل وامرأة قالوا : " اثبتوا هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف فإن حكم لكم بالجلد والتحميم فخذوه وقولا حكم به نبي " فهم يريدون أن يضيفوا صفة الشرعية على التبديل الذي اتبعوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا، إن أصر على الرجم فاحذروا واستمروا على ما أنتم فيه وهو الجلد والتحميم أو الجلد والتحميم ، ليس هناك احتمال للالتزام الشرعية .

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم : ( ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ، فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة ، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فلما قرأ لم يقرأ بآية الرجم ، وهذا الذي سماه الله عز وجل { يحرفون الكلم من بعد مواضعه } تحريف الكلم من بعد مواضعه كان بأن نفوا أنه من الدين وهو ما زال موجوداً عندهم ، كمن يقول أن هذه القوانين المخالفة للشريعة هي من الشريعة ويقولون أن كل هذا موافق للشرع ، والقرآن يقول بقطع السارق وجلد الزاني وجلد القاذف فهذا هو الدين .

فوضع أحدهم يده على آية الرحم فقراً ما قبلها وما بعدها كما توجد غصة في وجود الكثيرين من آيات بعينها ،

قال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، قال : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، وهم يعلمون ذلك بدليل أنه وضع يده عليها ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما " روه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد ومالك والدارمي .

حذر الله في القرآن من فعلهم هذا وهو التحريف ، فقال تعالى { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم {  
[المائدة ٤١] } ذكر المنافقين أولاً ثم اليهود لأن فعلهم واحد وإن كان كل منهم منتسب إلى دينه ، فاليهود يقولون يؤمن بالتوراة والمنافقون يقولون يؤمن بالقرآن ، لكن الله عزوجل ذكر

أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلزم أن يغير اللفظ كي يكون محرفاً بل يكف أن ينسب إلى الدين خلاف أحكامه ويقول هذا هو حكم الشرع ، وكما ذكرنا أغلظ منه أن يقول دعونا من الشرع واتركو الشرع ، نعوذ بالله من ذلك .

هذه الآيات وما بعدها نزلت في شأن اليهود وما فعلوه

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ٤١ - تفسير آيات من سورة المائدة من تفسير ابن كثير

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد ،،

في قول الله عز وجل { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن واللسن باللسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون { [المائدة/٤٤] في هذه الآيات الثلاث ، هل هناك فرق بين الكافرين والفاسقين والظالمين ؟

الصحيح أن كل من الكفر والظلم والفسق في هذه الآيات الثلاث ينقسم إلى نوعين : أكبر وأصغر .

فالحكم بغير ما أنزل الله من الكفر والظلم والفسق فيه أكبر وفيه أصغر .

والكفر ينقسم إلى أكبر وأصغر

والظلم ينقسم إلى ظلم أكبر وظلم أصغر

والفسق ينقسم إلى فسق أكبر وفسق أصغر .

سوف نقرأ تفسير الآيات من أول قوله عز وجل { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من كلام الإمام ابن كثير رحمه الله ، لأن تفسير هذه الآيات يوضح لنا قضية الحكم بغير ما أنزل الله بينا .

قال : نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم أي أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه ، وهؤلاء هم المنافقون ، ومن الذين هادوا أعداء الإسلام وأهله وهؤلاء كلهم سماعون للكذب أي يستجيبون له منفعلون عنه ، منفعلون عنه يعني يتصرفون بناءً عليه ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، أي يستجيبون لقوم آخرين لم يأتوك مجلسك يا محمد ، وهم من رؤوس الكفر من اليهود وغيرهم ، وقيل المراد بأنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لم يحضروا عندك من أعدائك ، بمعنى أنهم يستمعون كلامك لينقلوه إلى أعداء الإسلام

{ يحرفون الكلم من بعد موضعه } أي يتأولونه على غير تأويله ، إذن من ضمن التحريف لكلام الله أن يفسره على غير وجهه ويحملة على غير تأويله .

{ ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون } { يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا } قيل نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلاً وقالوا تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه ، والصحيح أنها نزلت في اليهوديين الذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم ، بدلوه يعني تركوا

الحكم به وأخذوا بحكم آخر مع أن اللفظ لم يزل موجوداً في التوراة وهو إلى يومنا هذا لا يزال موجوداً ، العجب ممن يطعنون على أهل الإسلام في أحكام الشريعة وهو عندهم في كتبهم مثل ذلك . اليهود والنصارى عندهم في كتبهم الرجم ، وكما ذكرنا أمر زواج الصغيرة ، فيطعنون على الإسلام وأهله وعندهم في كتبهم مثل ذلك ، نسأل الله العافية .

يقول : وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم وهو تسويد الوجه والإركاب على حمار مقلوبين ، وهذا يعرفنا معنى التحريف لأنهم لم يغيروا النص المكتوب ولكن اصطالحوا على غيره ففهم نزلت الآيات .

قال : فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا فيما بينهم : تعالوا حتى نتحاكم إليه فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوا حجة بينهم وبين الله ، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك ، العجب أنهم يعرفون نبوته ولا يلتزمون اتباعه ، قال : وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك . وقد وردت الأحاديث بذلك فقال مالك عن نافع عند عبد الله بن عمر بإسناد أصح الأسانيد رواه مالك في الموطأ ، ورواه البخاري ومسلم في صحيحهما ، رواه البخاري في باب قول الله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وفي كتاب المناقب وأخرجه مسلم في كتاب الحدود في رجم اليهود أهل الذمة في الزنا .

عن عبد الله بن عمر قال : " إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ) فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم فأثروا بالتوراة ، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما بعدها وما بعدها ( كما يفعل والعباد بالله كثير من المنافقين في آيات معينة لا يريدون ذكرها ويقولون أليس في القرآن إلا هذه الآيات بل أقرأوا غيرها والعباد بالله .

" فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام : أرفع يدك فرفع يده فإذا بها آية الرجم فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة "

أخرجاه ، وهذا لفظ البخاري ، وفي لفظ له " فقال لليهود ما تصنعون بما ؟ قالوا : نسخم وجوههما ونخزيهما ، قال فأثروا بالتوراة فاثلوها إن كنتم صادقين "

ففي هذا الحديث دليل على أن التوراة غير محرفة الألفاظ كما احتج به البعض ، نقطع ونجزم أن التوراة التي بين أيديهم اليوم محرفة اللفظ والكتابة كما حرفوا المعاني ، لا يشك في ذلك من ينظر فيها ويعرف أنها متضمنة لمخالفة الكتاب والسنة ، لكن الحديث يدل على أن التي كانت بين أيديهم هي التوراة وقع فيها تحريف ، ولا يلزم من ذلك إثبات صحة كل الكلام الذي في التوراة التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يدل على أن الرسول أوحى إليه أن التوراة التي بين أيديهم فيها هذا الأمر . الرجم . ولا يلزم من ذلك تصحيح الكتب كلها ، ولكن فيها تصحيح هذا الأمر الذي أمر بالإتيان بالتوراة حتى تتلى ، وهو يرد على من يقول أن هذه الكتب ليس بالمنزلة مطلقاً ، لكن الصحيح أنها هي المنزلة ووقع فيها التحريف ، أما الإنجيل فالذي يظهر أن ما بأيديهم بما يسمونه الإنجيل فيه من الإنجيل وليس هو الإنجيل الذي جاء به عيسى ، فهم يقولون أن هذه الأناجيل وهي قصة المسيح وسيرته التي رواها اثنان من الأتباع واثنان من أتباع الحواريين .

فالذي يظهر والله أعلم أن الإنجيل فيه من كلام المسيح وما أوحى الله إليه ، أما الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح فليس بأيديهم اليوم .

التوراة هي التي أنزلها الله على موسى وزيد فيها ونقص منها وغيّرت عن وجهها .

قال : " فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور أقرأ ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه ، قال ارفع يدك ، فرفع ، فإذا آية الرجم تلوح ، قال : يا محمد إن فيها آية الرجم ولكننا نتكاثمها بيننا ، فأمر بهما فرجما "

وعند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال : ( ما تجدون في التوراة على من زنا ، قالو : نسود وجوههما ونحملها ونخالف بين وجوههما ويظاف بهما ، قال : فأثروا بالتوراة فاثلوها إن كنتم صادقين ، قال : فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : مره فليرفع يده ، فرفع يده فإذا تحتها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه "

وروى أبو داود عن ابن عمر قال : " أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكف فأثامهم في بيت من الدراس فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنا بامرأة فاحكم ، قال : ووضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلسوا عليها ثم قال : أتوني بالتوراة فأتوني بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها وقال : آمنت بك وبمن أنزلك ، ثم قال : أتوني بأعلمكم ، فأوتي بفتى شاب ، ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع "

كما ذكرنا هو صلى الله عليه وسلم آمن بالتوراة التي أنزلها الله وآمن بما فيها من الحق ومنه الرجم .



قال الألباني عن الحديث إسناده حسن ، لكن هو حسن بما قبله والله أعلى وأعلم .

وقال الزهري سمعت رجلاً من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ونحو عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال : " زنا رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا إلى هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت نبراسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالذين أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ، قالوا : يحمم ويحبب ويجلد . التجبیه أن يحمل الزانيان على حمال وتقابل أقيمتها ويطاف بهما . ، قال وسكت شاب منهم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم النشدة ، فقالهم : اللهم إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فما أول ما ارتخصتم أمر الله ، قال : زنا ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأحر عنه الرجم ، ثم زنا رجل في إثره من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه وقالوا لا يرحم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فيني أحكم بما في التوراة فأمر بهما فرجما ، قال الزهري فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا } فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم . رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه .

لكن فيه جهالة الرجل من مزينة ، لكن يستفاد منه كشاهد لما قبله .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ٤٢- تابع ... تفسير آيات من سورة المائدة من تفسير ابن كثير

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد ،،

استكمل ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسير قول الله عزوجل { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم } [المائدة/٤١]

روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال : مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي محمى مجلود . مسود وجهه ومجلود . فدعاهم فقال : ( أهكذا تجدون حد الزاني في كتبكم ؟ فقالوا نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتبكم ؟ فقال : لا والله ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أحررك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمع على التحميم والجلد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه ، قال فأمر به فرجم ، قال : فأنزل الله عزوجل { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } إلى قوله { يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه } يقولون اتوا محمداً فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ، إلى قوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال في اليهود ، إلى قوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون } قال في الكفار كلها " انفرد بإخراجه مسلم دون البخارين .

أذن أول قوانين وضعية قديماً وضعها اليهود وإن كان عندهم قوانين فيمن ينتسب إلى الشرائع ، أعني أن هناك قوانين وضعية وضعها الفراعنة وأمثال هؤلاء ، لكن من ينتسب إلى شرائع الانبياء من التبدل والتغيير كان اليهود أول من غير ووضعوا الجلد والتحميم ، وهو نوع من العقوبة قريبة من بعض العقوبات في بعض أنواع الزنا ، فالجلد حد من لم يحصن من الرجال والنساء ، لكنهم تركوا ذلك فكيف بمن يترك الرجم والجلد والتحميم وكل أنواع العقوبات إلى الإباحة والنص على الجواز والنص على أنه ليس بجريمة ، والعياذ بالله ، واشترط ذلك على الأمم من نشر الفساد ، سبحانه الله . الغرب كان يشترط على تركيا النص على إلغاء قانون تجريم الزنا حتى يفكر ويبحث في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي ، وبالفعل قام البرلمان التركي منذ سنة تقريباً بعمل قانون يلغي تجريم الزنا ، رغم أن تجريم الزنا كان تجريماً خفيفاً جداً على طريقة القوانين الفرنسية ، فالقانون الفرنسي ينص على أن الزنا هو أمر متعلق بالمرأة المتزوجة وما دونه حتى ولو كان زنا تام لا يسمى زنا إنما يسمى زنا ، لكن الزنا عندهم للمرأة المتزوجة وهم يحمونها أعظم حماية ، يقولون أنه لا يجوز النظر في دعوى الزنا للمرأة المتزوجة إلا بناءً على طلب الزوج ، ينصون على عدم جواز سماع دعوى الزنا ضد أي امرأة إلا من قبل الزوج، وإذا ثبت زناها فإنه تعاقب بالسجن مدة لا تزيد

على سنتين ولا تقل عن ستة أشهر ، ولزوجها أن يوقف العقوبة برضاه بمعاشرتها كما كانت ، يعني لو زوجها قال بوقف تنفيذ العقوبة تقف تنفيذ العقوبة ، لأن نظرة القانون الفرنسي على أن الزنا حق للزوج فقط وأما بالنسبة للمرأة غير المتزوجة فالوقاع المحرم عندهم هو إذا كان بغير الرضا ، لذلك يقولون من واقع أنثى بغير رضاها عوقب الأشغال الشاقة المؤقتة ، وزيد في القانون المعدل من حوالي خمس سنوات إلى المؤقتة أو المؤبدة ، وإذا كان اقترن بشهر السلاح والاختطاف وصل الأمر إلى الإعدام . لكن إذا ثبت أن المرأة لم تكن مغتصبة وكان الأمر برضاها وكانت فوق الثامنة عشر فهذا ليس بجريمة أصلاً إلا إذا كان في الدعارة ، فالدعارة معناها أنه يوجد شبكة ويوجد أموال تدفع ، أما إذا كانت بدون مقابل فليس عندهم بجريمة أصلاً ، فما فعله اليهود كان أهون .

واغتصاب الزوج لزوجته مقنن في أوروبا ، لأن هذا النص عندهم عام وهو . من واقع أنثى بغير رضاها . وهي أنثى ولم ترضى بأن زوجها يعاشرها ، فالواجب عليه قانوناً ألا يعاشرها ، ومعظم الدول الأوروبية ممكن أن ترفع قضية على الزوج بأنه جامعها بغير رضاها ، فالواجب أنه يستأذن كل مرة .

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده بسنده عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله قال : " زنا رجل من أهل فرك فكتب أهل فرك إلى ناس من اليهود في المدينة . فرك قرية من خيبر . أن سلوا محمداً عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه وإن أمركم بالرحم فلا تأخذوه عنه ، فسألوه عن ذلك ، قال : ( أرسلوا إلي أعلم رجلين فيكم ، فجاءوا برجل أعور يقال له . ابن صوريا . وآخر ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أنتم أعلم من قبلكما ؟ فقالا : قد دعانا قومنا لذلك " فهم ربنا يتواضعان أو يظهران التواضع ، " فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أليس عندكم التوراة في حكم الله ؟ قالوا بلى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأنشدكم بالذي فلق البحر لبنى إسرائيل وظلل عليكم الغمام وأنجاكم من آل فرعون وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ " . هذه الرواية مصرحة بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم قبل أن يأتي بالتوراة أن فيها الرجم وأنه لم يزل موجوداً ، وذلك يدلنا على ما ذكرناه أولاً من أن التوراة التي كانت بين أيديهم كان فيها تغيير ، لكن هذا الجزء لم يكن به تغيير ، لأن البعض يحتج بهذه الأخبار على أن التوراة كما هي لم يحدث فيها تغيير ولا تحريف ، وكما ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالإتيان بالتوراة في شأن الرجم وهو مسبقاً يعلم ذلك بوحى ، وعلى أقصى ما يمكن من الاستدلال أنه كانت هناك نسخ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة صحيحة ، لكن الظاهر من أخبار أهل الكتاب ومن طريقة تداول التوراة فيما بينهم أنها منقطعة الأسانيد وأن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتى بالتوراة فيه أن تتلى في شأنه في أمر أوحى الله إليه أنه ما زال موجوداً وهو الرجم . " قال : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقال أحدهما للآخر : ما نشدت بمثله قط ، أي ما ناشدني أحد بمثل هذا الطلب ويغلظ علي بهذا قط ، قال : نجد ترداد النظر زنية الاعتناق زنية والقبل زنية ، وهذا عندنا أيضاً وعند النصارى كذلك ، والعجب والله ، وأنه كما قال الله تعالى { وأن أكثركم فاسقين } يعني عند النصارى أن المسيح قال " من نظر بعينه فقد زنا " والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : العين زناها النظر والفم زناه القبل والفم زناها البطش . " قالوا نجد ترداد النظر زنية والاعتناق زنية والقبل زنية فإذا شهد أربعة أنهم رآه أنه يبدأ ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو ذاك ، فأمر به فرجم ، فنزلت { فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين } " صححه الشيخ الألباني بشواهده .

هذه الرواية فيها فائدة أخرى وهي أن التخيير في الحكم أو الإعراض هو في قوم في غير دار الإسلام ، لأن فرك وخيبر في ذلك الوقت لم تكن من دار الإسلام وإنما كانت في أيدي اليهود وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فإذا طلبوا منا ذلك حكمنا وأنفذنا بحكم الشرع ، ويسعنا وهم ليسوا في دار الإسلام أن نعرض عن الحكم بينهم لأنهم ليسوا تحت أيدينا حتى نقيم فيهم الحدود ، وأما من كانوا في دار الإسلام فيلزم إقامة الحدود عليهم والله أعلى وأعلم ، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كلها خمسة . إثني عشر منهم من اليهود . وهما هذين اليهوديين ، ورجم ماعزاً والغامدية وامرأة الرجل الذي زنى العسيف الأجير بها . أي أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم امرأتين ورجل من المسلمين واثنين من اليهود .

ونص أبي داود عند جابر " جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا ، فقال : اتوني بأعلم رجلين منكم فأتوه بابني صوريا فناشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالوا نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما ، قال : فما بمنعكم أن ترحموا ، قالوا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاءوا أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمهما " رواه أبو داود .

قال : فهذه أحاديث دالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكماً بموافقة حكم التوراة وليس هذا من باب الإلزام لهم بما يعتقدونه صحته لأنهم مأمورون باتباع الشرع الحمدي لا محالة ، ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك ، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقرهم على ما بأيديهم مما تراضوا على كتمانهم وجحدته وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة ، فلما اعترفوا به مع علمهم بخلافه بأن زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، وعدولهم إلى تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به . ولهذا قالوا إن إوتيتهم هذا أي الجلد التحميم فخذوه أي قبلوه وإن لم تأتوه فاحذروا إي من قبوله واتباعه ، وتأمل أن نزول الآيات كان { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } فذكر الله عز وجل ذلك الكفر منهم ، وقال { من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا } وقد سبق أن بينا الحكمة والله أعلى وأعلم في أن الآية ذكرت المنافقين أولاً رغم أن الآية نزلت في اليهود ، وذلك أن الخطر ممن ينتسب إلى الإسلام ويعمل عمل اليهود وأشد أعظم ، ولذا ورد التحذير وبيان حالهم مقدماً .

قال الله تعالى { ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب } أي الباطل { أكلون للسحت } أي الحرام وهو الرشوة ، لذلك تجد أن الحكم بغير ما أنزل الله دائماً يرتبط معه سماع الكذب وأكل السحت ، وأن تنتشر المنكرات والفساد في المجتمعات التي يقع فيها ذلك ، يقول : أن السحت هو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد ، أي ومن كانت هذه صفته كيف يظهر الله قلبه وأنى يستجيب له ؟

ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم { فإن جاءوك } أي تحاكمون إليك { فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً } أي فلا عليك أن تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل ما وافق هواهم .

قال بن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وعطاء الخرساني : " هي منسوخة بقوله { وأن احكم بينهم بما أنزل الله } "

الوجه الآخر في تفسير { وأن احكم بينهم بما أنزل الله } في سلطاننا

{ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم } إذا كانوا بعيداً عن دار الإسلام وفي دار الكفر وهم الذين طلبوا ذلك ، فلا يلزمنا أن نبحث في المسألة أصلاً ونسأل الشهود ونبحث عن ثبوت الجريمة ، بل يكون الأمر أن نعرض عنهم لأجل ألا يضيعوا الوقت معنا لأنهم ليسوا أهل اتباع للحق والله أعلم . لكن إن حكم فلا بد أن يحكم بشرع الله سبحانه وتعالى المنزل ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط { أي بالحق والعدل وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل } إن الله يحب المقسطن {

إذن هناك وجهين في التخيير :

الوجه الأول : أنه منسوخ بالإلزام بالحكم بينهم بما أنزل الله

الوجه الثاني : بالتنوع بأن هذا في حال وذاك في حال

فالتخيير في الحكم وعدمه إذا لم يكونوا في دار الإسلام والإلزام بالحكم إذا كانوا في دار الإسلام .

ثم قال تعالى منكرًا عليهم في آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الزائغة في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً ، ويقولون أن هذا كتاب لا ينسخ ، فماذا عملتم فيه إذن ، وهم يقولون ذلك والنصارى يقولون ذلك بأن التوراة لا تنسخ ولا الإنجيل ولا يوجد نسخ ، فماذا صنعتم في حد الرجم وهو موجود إلى يومنا هذا وإثبات أنه موجود في الإنجيل أيضاً قد ذكرناه ، فماذا تصنعون وأنتم تبيحون الزنا في العالم وتسعون في نشره بأنواع الفساد والعياذ بالله ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال : ثم قال تعالى منكرًا عليهم في آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الزائغة في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا عن غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم . لأنهم يعتقدون صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لكن يقولون أن ما أتى به من الشرع فيه تجديد لا يلزمنا . فقال { وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين } يزعمون أن النبي ليس برسول لهم ، وأحياناً يقولون أنه ليس بنبي ، فماذا يدفعهم أن يتحاكموا إليك .

يقول : ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى ابن عمران فقال { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا } أي لا يخرجون حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها { والريانيون والأخبار } أي وكذلك الريانيون منهم وهم العباد العلماء والأخبار وهما لعلماء { بما استحفظوا من كتاب الله } أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهره ويعملوا به . هذا دليل على أن الله استحفظهم الكتاب ، أما كتابنا فقد حفظه الله فقال { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } فهم استحفظوا الكتاب فلم يحفظوه وضيعوه ، الله تكفل بحفظ القرآن العظيم ، قال تعالى { وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون } أي لا تخافوا منهم وخافوني { ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } [المائدة/ ٤٤] فيه قولان سيأتي بيانهما .

سبب آخر لنزول هذه الآية الكريمة :

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : إن الله أنزل { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } { فأولئك هم الظالمون } { فأولئك هم الفاسقون } ، قال : قال ابن عباس أنزلها الله في الطائفتين من اليهود ، كانت أحدهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيرة من الذليلة فديته خمسون وسقاً وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيرة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فزلت الطائفتان كلاهما بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويومئذ لم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح فقتلت الذليلة من العزيرة قتيلاً فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن ابتعوا لنا بمئة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان هذا في حين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض ؟ إنما أعطيناكم هذا ضيئاً منكم لنا . ظلماً . وفرقاً منهم أي خوفاً منكم ، فأما إذا قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا

نعطيكم ذلك ، فكانت الحرب تهيح بينهما ، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، ثم ذكرت العزيرة فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطينا هذا إلا ضيقاً منا وقهراً لهم ، . يعني بعضهم يقول لبعض أن الرسول صلى الله عليه وسلم لن يعطيكم ما اصطالحتم عليه من الظلم ، كنا ظلمناهم وقهرناهم . قال : فادسوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم من يخبر لكم رأيي ، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه ، فادسوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأمرهم كله وما أرادوا ، فأنزل الله تعالى { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم } [المائدة/ ٤١] إلى قوله { الفاسقون } ففيهم والله أنزل وإياهم عنى الله عز وجل " أخرجه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

ولا تعارض بين هذا وبين الذين قبله ، فإنه يمكن أن تكون الواقعتان قد وقتا في زمن متقارب وأنزل الله عز وجل الآية فيهما معاً ، وكثيراً ما يذكر المفسرون أسباباً عدة لا تعارض بينهما ، وقد يقصد البعض أنه نزلت في كذا أنها تشمل كذا ، والله أعلم .

كما ذكرنا لا تعارض لأنه يمكن أن يكون السببان قد وقعا في زمن متقارب .

وروى أبو جعفر ابن جرير عن ابن عباس أن الآيات في المائدة ، قوله { فاحكم بينهم أو أعرض عنهم } إلى { المقسطين } إنما أنزلت في الدية من بني النضير وبني قريظة وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف بأن تؤدي الدية كاملة وأن بني قريظة كانوا يودون نصف الدية ، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية في ذلك سواء . والله أعلم أي ذلك كان

في إسناده بعض الضعف ، ورواه أحمد .

وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : " كان قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي مائة وسق تمر ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ، فقالوا ادفعوا إلينا قالوا بيننا وبينكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت { وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط } " رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ، وصححه أيضاً الشيخ الألباني .

يقول : وهكذا قال قتادة ومقاتل ابن حبيان وابن زيد وغير واحد .

وقد روى العوفي علي ابن أبي طلحة الوالدي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين الذين زنيا ، كما تقدمت الأحاديث ، وقد يكون اجتماع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم " وهذا حسن جداً من الإمام ابن كثير رحمه الله .

يقول : ولهذا قال بعد ذلك { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين } وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصص والله تعالى أعلم .

وقوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال البراء بن عازب وحذيفة ابن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء العطاردي وأبو عكرمة وعبد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم : نزلت في أهل الكتاب ، زاد في أهل الكتاب وهي علينا واجبة .

قال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها . رواه ابن جرير .

هذا يدل على أنه يدل أن من قال نزلت في أهل الكتاب أي لا دخل لنا بها كاذب ، فإنها نزلت فيهم والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والسلف الذين قالوا نزلت في أهل الكتاب قالوا هي لنا واجبة .

وروى ابن جرير عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال : من السحت ، قالوا وفي الحكم ؟ ، قال : ذاك الكفر ثم تلا { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } " إسناده صحيح عن ابن مسعود .

وهذا لا يلزم منه الكفر الأكبر وإن كان أطلقه كما أطلق القرآن تغليظاً والله أعلم ، لكنه يحتمل النوعين كما سيأتي .

وقال السدي { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } يقول ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين ، وهذا احتراز عن أن يكون حكم بغير ما أنزل الله خطأ واجتهاداً وتأويلاً فليس هذا داخل في الكفر ، رغم العموم إلا أن الأدلة العامة في رفع الخطأ في الاجتهاد تخصص هذه الآية ، وهو هنا لم يتعرض لكونه أكبر أو أصغر وإنما يذكر أن هذا الحكم إنما هو في المتعمد ، أما المخطئ أو الناسي أو الذي اجتهد فأول فهو ليس بداخل في عموم الآية .

وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق . رواه ابن جرير . إلا أنه فيه انقطاع بين علي ابن أبي طلحة وابن عباس ، ولكن المعنى صحيح ، حيث ذكر ان الجحود كفر وهذا الجحود يشمل أنواعاً كما سيأتي بيانه ، والجحود أصله النفي ، والإقرار بحكم الشرع والمخالفة في بعض الوقائع ولو كثرت هو الظلم والفسق على الاصطلاح الأغلب أن الكفر هو الناقل عن الملة والظلم والفسق هو الذي لا ينقل عن الملة ، وإن كان كل من الكفر والظلم والفسق يستعمل كتاباً وسنة في الأكبر والأصغر .

قال : ثم اختار . ابن جرير . أن الآية المراد بها أهل الكتاب أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب ، أي من فعل مثلما فعل أهل الكتاب فهو جاحد عند العلماء ، هذا هو معنى الجحود عندهم . من فعل مثلما فعل بنو إسرائيل . ، لأنهم قالوا " أو من جحد " إذن من فعل مثلما فعلوا فهو جاحد .

وعن الشعبي قال : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } للمسلمين ، قال هذا في المسلمين ، { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } قال هذا في اليهود ، { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون } قال هذا في النصارى ، هذا لا يظن البعض أنه يقصد التخصيص ، ولكن يقصد هذه نزلت في هؤلاء وعامة الآخرين والآخرى أيضاً نزلت في هؤلاء وعمت غيرهم . والله أعلم .

وروى عبد الرزاق عن ابن طاووس عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال : هي به كفر ، قال ابن طاووس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله . هذا إسناداه صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه . وهذا ذكره ابن عباس رضي الله عنه . هي به كفر . وكلام ابن طاووس في أنه ليس كمن كفر بالله تبين حتى لا يحتاج بذلك الخوارج في التكفير بالمعصية .

وقال الثوري عن ابن جرير عن عطاء قال : كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق . رواه ابن جرير .

وقال وكيع عن سفيان عن سعيد ابن مكي عن طاووس { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال : ليس بكفر ينقل عن الملة . وهذا كما ذكرنا ليس على سبيل أنه لا يدخل في الآية إلا الكفر الأصغر ، بل للدلالة على أن هناك نوعاً من الكفر داخل في عموم الآية هو من الكفر الأصغر وليس بالكفر الذي يقصد إليه من يكفرون بالمعاصي أن كل من وقع في شيء من المخالفة يكون كافراً كفاً أكبر ، ولا يعني ذلك أنه يلغي أن الآية نزلت فيمن كفروا كفاً أكبر ، فكلاهما داخل في العموم ، كما رجح ذلك ابن القيم رحمه الله .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } قال : ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنما هو يتكلم عن أناس يذهبون إليه ، فمن هؤلاء ؟ من الذين يذهبون إلى التكفير بالمعاصي في زمن ابن عباس ؟ هم الخوارج ، ولذلك قال أحمد شاكر والشيخ محمود شاكر ما سنذكره إن شاء الله . الحديث صحيح ورواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وقوله تعالى { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } [المائدة/ ٤٥] يقول : وهذا أيضاً مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه ، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمداً وعناداً ويقيدون النظري من القرطي ولا يقيدون القرطي من النظري ، بل يعدلون إلى الدية ، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المخصن وعدلوا إلى ما اصطلاحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار .

ولهذا قال هناك : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً ، وقال هاهنا { فأولئك هم الظالمون } لأنهم لم ينصفوا المظلومين من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع ، فخالفوا وظلموا وتعدى بعضهم على بعض .

نلاحظ أن كلمة الجحود التي وصف الله علماء بني إسرائيل بها كانت مع وجود من أقر بالرجم منهم ، وأنه لما رفع يده قرأ آية الرجم وقالوا صدقت يا محمد إن فيها الرجم ، ومع ذلك لما كانوا مصطلحين على خلاف هذا ذكرهم العلماء بلفظ الجحود .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين } نصب النفس ورفع العين ، خلاف قرائتنا ، { والعين بالعين } قال الترمذي حسن غريب . والشيخ الألباني ضعف إسناد الترمذي .

وقد استدلل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكى مكرراً ولم ينسخ . وهذا هو الصحيح كما هو المشهور عن الجمهور وكما حكاه الشيخ أبو اسحاق الإصفرائيني عن نص الشافعي ، وأكثر الأصحاب بهذه الآية ، حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة .

قال الحسن البصري : هي عليهم وعلى الناس عامة . رواه ابن أبي حاتم

وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسألة . مسألة شرع من قبلنا شرع لنا أم لا . ثلاثة أوجه :

ثالثها أن شرع إبراهيم حجة دون غيره . وصحح منها عدم الحجية ونقلها الشيخ أبو اسحاق الإصفرائيني أقوالاً عن الشافعي ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا .

الصحيح : أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه . وما لم ينسخ .

حكى الإمام أبو نصر ابن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية { النفس بالنفس والعين بالعين } على ما دلت عليه . وأنه خبر عمن قبلنا لكن باتفاق العلماء أن هذه الآية خصوصاً لنا .

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله جملة من الفوائد متعلقة بهذه الآية فلتراجع ثم نعود إلى ما ذكره من الآيات في قوله { وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم }

يقول : يقول تعالى { وقفينا } أي أتبعنا على آثارهم ، يعني على آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة ، أي مؤمناً بما وحاكماً بما فيها ، { وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور } أي هدى إلى طريق الحق ، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات { ومصداقاً لما بين يديه من التوراة } أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها ، إلا في القليل مما يبين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه ، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل { ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم } ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة . أقصد علماء الإسلام . أما هم فلا يقرون بالنسخ أصلاً في الشرائع ،

وقوله تعالى { وهدى وموعظة للمتقين } أي وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أي وزجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه .

هذه الآيات تدل على أن الإنجيل كتاب آتاه الله المسيح ، وليس أنه كلام الحوارين أو أتباع الحوارين عن قصة المسيح .

الإنجيل كتاب آتاه الله المسيح ويؤيد هذا أن مما نقله النصارى في أناجيلهم عن المسيح عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل : " توبوا إلى الله وآمنوا بالإنجيل " فدل ذلك على أنه يطلب منهم الإيمان بأمر موجود ، فدل على وجود الإنجيل في زمن المسيح ، خلافاً لما يقوله النصارى عن كتبهم التي بين أيديهم من أنها رواية قصة المسيح وسيرته رواها الذين شهدوه أو من شهدوا من شهدوه ، أي الحوارين وأتباع الحوارين ، فيقولون أن يوحنا ومثي من الحوارين وأما لوقاً ومرقص من أتباعهم ، فهذا يدلنا على ما ذكرنا أولاً من أن التوراة هي التي أنزلها الله وقع فيها تبديل وتحريف وأما الإنجيل الذي بين أيديهم فليس الذي أنزله الله على المسيح ، لكنه فيه بعض ما أنزله الله عن المسيح ، لأنه يحكي قصة المسيح وأقواله ، فوقع فيه بعض من هذا الحق الذي جاء به المسيح صلى الله عليه وسلم ، أما الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح فليس عندهم دعوة لذلك ، هم لا يقولون أن ما بأيدينا هو ما أنزله الله على عيسى ، ولا يعترفون بالإنجيل بهذه الصفة .

قال تعالى { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه } قرء { وليحكم } أو { وليحكم } أي وآتيناه الإنجيل فله هدى ونور ليحكم أهل ملته به في زمانه ، وقرء { وليحكم } بلام الأمر ، أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه ، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ، يعني على القرأة التي هي بمعنى الأمر وهي قراءة حفص عن عاصم { وليحكم } أمر من الله لهم بأن يحكموا بالإنجيل ، فيقال فكيف إذن والإنجيل فيه التحريف أو كما ذكرنا ليس هو الذي أنزله الله على عيسى ولكن فيه بعض ما أنزل الله على عيسى ؟

نقول هذا مثل ما ذكرنا في أن الرجم قد أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه في التوراة فأمرهم أن يأتوا بها ، فنقول البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم موجود في الإنجيل ، فهذا أيضاً مما أمروا أن يحكموا به لأنه معلوم أنه مما بقي في كتبهم من الحق ومما ذكروه من الحق ، فالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه مما زال موجوداً ، كان في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وبعده ، وإلى يومنا هذا البشارات موجودة وفيها لزوم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه حين يبعث ، فيكون معنى الآية من لزوم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن أهل التوراة عليهم أن يحكموا بما أنزل الله فيها من وجوب القصاص والعدل فيه ومن الرجم في الزنا .

كما قال تعالى { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم }

وقال تعالى { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون } [الأعراف/١٥٧] ولهذا قال هاهنا { وليحكم أهل }



الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون { [المائدة/٤٧] أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق ، وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر السياق ، وكما ذكرنا نزلت فيهم وهي عامة لغيرهم والله أعلم .

نستكمل المرة القادمة إن شاء الله .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

### ٤٣- تابع ... تفسير آيات من سورة المائدة من تفسير ابن كثير

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد ،،

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قول الله تعالى { وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } [المائدة/٤٨]

يقول ابن كثير رحمه الله : لما ذكر الله تعالى التوراة التي أنزلها الله على موسى كليمه عليه السلام ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع . أي في الزمن التي كانت فيه واجبة الاتباع أي في قبل نزول القرآن . وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه كما تقدم بيانه حيث كان سائغ الاتباع شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقال { وأنزلنا إليك الكتاب الحق } أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله مصدقاً لما بين يديه من الكتاب أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقاً عند حاملها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله ، كما قال تعالى { إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً } أي إن كان ما وعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين من مجيء محمد صلى الله عليه وسلم حقاً ، { لمفعولاً } أي لكائناً لا محالة ،

وقوله { ومهيئنا عليه } قال سفيان الثوري وغيره عن أبي اسحاق عن التميمي عن ابن عباس : أي مؤتمناً عليه أي أمين عليه بمعنى أنه يشهد لما فيه من الحق ويبين ما نقص منه أو زيد فيه من غيره ،

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : " المهيم : الأمين " ، أي القرآن أمين على كل كتاب قبله ، فإذا أخبر القرآن أنه موجود في الكتاب الذي قبله فهو أمين عليه وأدرى وأعلم بما فيه ، أي أن من علم القرآن فهو أعلم بالكتب المتقدمة من أصحابها .

وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك ،

وقال جريح : القرآن أمين على الكتب المتقدمة فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منه فهو باطل . وهذا معنى حسن جداً في معنى الأمانة لأنه يشهد لها .

وعن الوالي عن ابن عباس : " ومهيماً أي شهيداً " كذا قال مجاهد وقتادة والسدي .

وقال رفيع بن عباس : ومهيماً عليه أي حاكماً على ما قبله من الكتب .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم المهيمين يتضمن هذا كله ، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله .

ومعنى الشهادة يقتضي تصديق ما فيها من الحق والإخبار عما نقضه أهلها منها ، والشهادة على ما زاده أهلها فيها من الباطل .

وكذلك من ضمن معنى أنه مهيمن أنه يبين ما نسخ منها إنه إن خالفه بباقي الآن .

يقول : وجعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأحكمها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس فيه غيره ، ولهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها ، وتكفل الله تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وأبي سعيد ابن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم قالوا في وقله { ومهيمناً عليه } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن ، فإنه صحيح المعنى لكن بتفسير هذا بهذا نظر ، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر .

نعم المعنى صحيح بأن محمد صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن لكن ليس هذا المقصود بالضمائر هنا ، { ومهيمناً عليه } أي على الكتاب الذي قبله ، القرآن مهيمن على الكتاب الذي قبله .

وبالجملة في الصحيح هو الأول ، وهو أن القرآن شاهد وحاكم وأمين .

يقول : قال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته عن مجاهد ، وهذا التأويل أن محمد أمين على القرآن بعيد عن المفهوم من كلام العرب بل هو خطأ ، وذلك أن المهيمن عطف على المصدق فلا يكون إلا من صفة ما كان المصدق صفة له .

قال : ولو كان كما قال مجاهد لقال . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه . يعني من غير عطف ،

يقول : وقوله { فاحكم بينهم بما أنزل الله } أي فاحكم يا محمد بين الناس عرهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك كرحم الزاني المحسن ، فإنه في التوراة والإنجيل والقرآن لم يسخ .

يقول : وهكذا وجه ابن جرير بمعناه .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيراً إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى أحكامهم فنزلت { فاحكم بينهم بما أنزل الله } ولا تتبع أهواءهم { فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما في كتابنا " . كأنه يميل أن هذا التخيير منسوخ وكما ذكرنا أن الصحيح أنه مخصص بما إذا كانوا في غير سلطاناً ، لأن هذا التخيير خاص إذا كانوا في غير سلطاننا .

وقوله { ولا تتبع أهواءهم } أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول : " ولهذا قال { ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق } أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله له به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء

{ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً } روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس { لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهاجاً } قال سبيلاً ،

عن ابن عباس قال { ومنهاجاً } أي سبيلاً وسنة . وهو تأكيد معنوي .

وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأب اسحاق السبعي أنهم قالوا في قوله تعالى { شرعة ومنهاجاً } قال سبيلاً وسنة .

قال : وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعطاء الخراساني عكسه { شرعة ومنهاجاً } أي سنة وسبيلاً ، والأول أنسب أي سبيلاً وسنة . فإن الشرعة والهي الشريعة أيضاً هي ما يتبدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال شرع في كذا أي بدأ فيه ، وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء ، وأما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن أي الطرائق ، فتفسير قوله { شرعة ومنهاجاً } بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة . يعني هنا اختلاف الأديان بمعنى اختلاف الشرائع . كما هو واضح ، لأن الرسول قال ديننا واحد .

يقول : من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد ) . الأخوة لعلات أي أخوة من أمهات مختلفة وأب واحد . يقول ويعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمته كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى {

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون { وقال تعالى { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت { وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس ، وخفيفاً فيزيد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

قال قتادة : { لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً { أي سبيلاً وسنة ، والسنن مختلفة ، هي في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي الفرقان شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل الله غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل .

وقيل المخاطب بهذا هذه الأمة ومعناه أي أنه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجاً أي هو لكم كلكم تقتدون به ، وحذف الضمير في قوله لكل جعلنا منكم أي جعلنا القرآن شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد ، والصحيح القول الأول وهو { لكل جعلنا منكم { أي للأمم المختلفة جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً مع وحدة الدين ، فالدين واحد وهو التوحيد والشرائع مختلفة .

يدل على صحة القول الأول قوله تعالى { ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة { فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول { ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة { وهم أمة واحدة بالفعل . ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حده ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر التي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم الذي ابتعثه الله إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ، يقصد نسخ جميع ما خالف القرآن . وإلا فالقرآن لم ينسخ الرجم ولا قطع يد السارق ولا القصاص في القتل .

يقول : ولهذا قال تعالى { ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم {

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

#### ٤٤ - تابع ... تفسير آيات من سورة المائدة من تفسير ابن كثير

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد

قوله سبحانه وتعالى { ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون { قال ابن كثير رحمه الله إنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم وثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا في ذلك كله ، من عزم على الطاعة فله أجرها ومن عزم على المعصية إذا لم يتركها خوفاً من الله عز وجل وكانت عزيمة حازمة وأخذ الأسباب التي يقدر عليها فهو في منزلة الفاعل قال عبد الله ابن كثير { ليلوكم فيما آتاكم { يعني من الكتاب ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال { واستبقوا الخيرات { وهي طاعة الله وابتاع شرعه الذي جعله ناسخاً لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى { إلى الله مرجعكم جميعاً { أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون أي فيخبركم فيما اختلفتم فيه من الحق فيحزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة والحجج البالغة والأدلة الدامغة ،

قال الضحاك { فاستبقوا الخيرات { يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر الأول ، يعني أيها الناس أن هذا عموم الناس طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قول الضحاك أن هذا خطاب للأمة قول الأول أنه للجميع ،

وقوله تعالى { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم { يقول تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والنهي عن خلافه ثم قال تعالى واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي احذر أعدائك اليهود أن يدلوسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتر بهم فإنهم كذبة فجرة خونة ، سبحانه الله تأمل أن الله حذر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ، يعني فتنة أن يترك الإنسان بعض الشريعة فتنة أن يترك الإنسان الحكم بما أنزل الله في بعض الأمور ولا يتصور أنه يترك ذلك كله فاليهود إنما أرادوا تبديل الشرع في بعض الأمور كما ذكرنا ، فنزل التحرير من فعلهم ونزل التحذير من مثل حالهم وذلك أن من استجاب لهم فقد فتن كما قال سبحانه وتعالى { أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم { كما في أول هذه الآيات الكريمة التي ذكرنا ، فالله سبحانه وتعالى أراد فتنهم كما قال { ومن يرد الله فتنه

فلن تملك له من الله شيئاً { فمن هو المفتنون هو الذي ترك بعض ما أنزل الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى { فإن تلوا } أي عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله فاعلم أنه { يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم } أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم ونعوذ بالله ، إذاً الحرمان من تطبيق الشريعة الحرمان من الحكم بشرع الله الحرمان من إقامة أمر الله هو بسبب الذنوب وهذا دليل على أن من عقوبه السيئة السيئة بعدها ، وأنه ربما وصل الأمر بالعبد إلى أن يكفر عقوبة على سيئاته ولذا قالوا - المعاصي يريد الكفر - { لا فاعلم أننا يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون } أي أكثر الناس خارجون عن طاعة ربه مخالفون للحق ناثون عنه أي بعيدون عنه كما قال تعالى { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } وقال تعالى { وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله } روى محمد ابن اسحاق عن ابن عباس قال قال كعب ابن أسد وابن صالوبة وعبد الله ابن سوريا وشاث ابن قيس بعضهم لبعض علماء يهود ، كعب بن أسد من بني قريظة وابن صالوبة وعبد الله ابن سوريا وشاث ابن قيس بعضهم لبعض "اذهبوا بنا إلى محمد لعننا نقتنه عن دينه فأنوه فقالوا يا محمد إنك قد عرفت أن أحبار يهود وأشرفهم وسادتهم وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك " والعياذ بالله كانت فتنتهم هذه استجبت لنا بالزور والظلم واحكم لنا واقضي لنا على خصومنا وسوف نتبعك وهم لا يريدون إلا الفتنة قال فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ..... إلى قوله يوقنون } وقوله تعالى { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياساق أو الياسق هي كلمة أصلاً معربة ولذا اختلف تعريبها هي كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة ، كذا ذكره غير واحد في تفسير هذه الكلمة ، قال الذي وضع الله الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ومن أمور الياسق كان فيها تشديدات غليظة على جرائم الزنا والسرقة وغير ذلك ويعاقب بالقتل كثيراً وأخذ بعض الأحكام من الشريعة وهذا يدل على أنه لا يكفي أن يحكم ببعض الشريعة ليخرج عن وعيد نصوص القرآن بل العبرة بأن يطبق الشرع في القليل والكثير ، يقول وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ، قال الله تعالى { أفحكم الجاهلية يبغون } أي يتبعون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ؟ { ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } أي من أعدل من الله في حكمه لمن عدل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء ، روى بن أبي حاتم عن الحسن قال " من حكم بغير ما أنزل الله فحكم الجاهلية يبغون "

عن ابن أبي نجيح قال كان طاووس إذا سأله رجل أفضل بين ولدي في النحل - أي فيما ينحلهم في الهبة - قرأ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، هذا دليل على أنه أمراً ليس خاصاً بالحاكم فقط بل كل من قضى بين اثنين فهو حاكم ولذلك الآية تشتمل على كل من خالف حكم الله سبحانه وتعالى ولكن هي كما ذكرنا شاملة لأنواع من الكفر منه الكفر الأكبر ومنه الكفر الأصغر كما سنبين وكما سيأتي

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أبغض الناس إلى الله عز وجل مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرء بغير حق ليريق دمه ) أبغض الناس عند الله عز وجل مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية بمعنى أنه يريد أن يقيم بعد أن التزم الناس بالإسلام سنن الجاهلية مرة أخرى يريد أن يرددهم إلى عادات الجاهلية مرة أخرى ، وطالب دم امرء بغير حق ليريق دمه ، وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه يعني موقفاً والله أعلم ،

#### ٤٥- أنواع الحكم بغير ما أنزل الله

في بيان أنواع الحكم بغير ما أنزل الله من أفضل من تكلم في هذه المسألة الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله تعالى حيث ذكر أن قوله تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلاًئك هو الكافرون } يتضمن نوعين من الكفر ، الكفر الأكبر وهو كفر اعتقاد والكفر الأصغر وهو كفر العمل الذي لا يخرج من الملة الذي نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن نص على ذلك ، فكما ذكرنا أن كل من الكفر والظلم والفسق ينقسم إلى أكبر وأصغر وهذا كله من جهة النوع ، قال الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله بعد أن قال " إن من الكفر الأكبر المستلزم تنزل القانون اللعين منزلة الشرع المبين المنزل على سيد المرسلين بلسان عربي مبين للحكم به بين العالمين "

قال إن الكفر الأكبر نوعان

النوع الأول أن يجحد شريعة الله المعلوم من الدين بالضرورة وقيدنا أن تكون معلومة من الدين بالضرورة ، هناك بعض الألفاظ من كلامه وبعضها شرح لكلامه - جحد الشريعة المعلوم من الدين بالضرورة ،

لماذا هذا القيد ؟ لماذا قيدنا أن تكون معلومة من الدين بالضرورة ؟ لأن من قال هذا ليس من الشريعة جهلاً منه كمن يقول النقاب ليس من الشريعة فهو ليس معلوم من الدين بالضرورة كمن يقول مثلاً اللحية ليست من الشريعة لا يكفر الآن في زماننا لأن كثيراً من الناس يجهل ذلك ويظن أن ذلك أمر أحدثه المتطرفون مثلاً ،

من هذا النوع أيضاً أي من يجحد المعلوم من الدين بالضرورة من يقول لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين وأن السياسة نظام الحكم ونظام الحكم لا دخل بالدين به وأن الدين علاقة شخصية بين العبد وربّه تبارك وتعالى ويعتقد أن الدين شعائر فقط وينكر أحكام الله في الحدود والمعاملات والأموال والدماء وغيرها مثل إنكار قطع يد السارق وجلد الزاني وحرمة الربا والقول بأن هذه الأمور ليست من الدين هذا كله كفر بالإجماع لا نزاع فيه بين المسلمين ،

هل هذا النوع يدخل فيه التفرقة بين النوع والعين ؟ قضية التفرقة بين النوع والعين و النية على انتشار العلم حيث قيدنا معلوم من الدين بالضرورة لبيان انتشار الأمر وذلك تكفير نوع العين مثل دائرتين يجتمعان ويفترقان فإذا كان الأمر منتشرًا معلومًا بين الناس كلهم قد علم بالضرورة معنى بلا بحث ولا استدلال وكل الناس يعلمون ذلك فقد انطبقت الدائرتان وأصبح كل من قال بهذا القول خارجاً من الملة في باب إقامة الحجة لأن هناك شروطاً أخرى في تكفير المعين قد يدخل فرق بين النوع والعين ولكن ليس من باب انتشار العلم والجهل أو التأويل لكن يدخل مثلاً من باب الجنون يدخل من باب الصغر فمعلوم مثلاً أن إهانة المصحفة كفر ناقل من الملة لكن لو فعل ذلك مجنون هل يوصف بالكفر ؟ لا يوصف بالكفر بل يظل في حكم الإسلام يرث ويورث ويجوز أن يزوج مثلاً بمسلمة ونحو ذلك لو فعل ذلك من دون البلوغ ، هناك أنواع لا يكون الكلام فيها في التفرقة بين النوع والعين على مسألة التأويل والجهل أو إقامة الحجة عموماً ، هناك موانع أخرى قد تمتنع من التكفير كالنسيان مثلاً كالخطأ تلفظ بكلام أراد أن يتكلم بغيره فتلفظ بما يخالفه والقرائن هي التي تدل على وجود هذا الأمر كمن قال اللهم انت عبيدي وأنا ربك هذا اللفظ لا نزاع بين المسلمين أن كلا الجملة كفر وقال اللهم انت عبيدي ربك كفر ومن قال اللهم أنا ربك أيضاً كفر لكن سياق الكلام وقرينة الحال دلت على أنه أراد أن يقول اللهم انت ربي وأنا عبدك أخطأ من شدة الفرح أو من أي أمر آخر كإنسان مشغول بأي أمر آخر فتلفظ بكلام يختلف عما قصد ، هذه موانع أخرى لكن عموم القضية وارد فيها التفرقة بين النوع والعين في جميع هذه المسائل كما ذكرنا لكن في مسألة إقامة الحجة وبلوغ الأدلة ، كما ذكرنا أمر الدائرتين الأمر الذي انتشر العلم به لا يحتاج الأمر به إلى إقامة حجة لأن كلمة معلوم من الدين بالضرورة ما معنى بالضرورة بعض الناس لا يفهم هذه المسألة جيداً ويظن أن كل ما لا يسع المسلم أن يجعله معلوم من الدين بالضرورة والبعض يعرف ذلك كذلك وليس ذلك قطعاً ، معلوم من الدين بالضرورة معناه انتشر علمه ، ما لا يسع المسلم جهله بمعنى يكون آنماً إذا جهله ، يجب عليه أن يتعلمه لا يسعه أن يجهل يلزمه أن يتعلم لكن لا يلزم من ذلك أن كل ما لا يسع المسلم جهله يكون معلوم من الدين بالضرورة ، نقول مثلاً الوضوء بحيث لا يترك وموضع درهم من قدمه لا يصيبه الماء هذا لا يسع المسلم أن يجعله يجب أن يتعلم أن الغسل واجب بأن يعمم البدن الماء إذا أصابه نجاسة لكن هذه لا يسعه أن يجهل ولكن هل انتشر العلم بهذا في عموم المسلمين حتى علمه العالم والجاهل والخاص والعام وكل أحد ؟ نقول هذا أمر قد يجمله البعض وأن الشيء اليسير في الغسل ربما لا يضر في ذلك وربما البعض يجهل وجوب الغسل من الجنابة في بلاد معينة ولذلك هذا الأمر قد يتفاوت ، معلوم من الدين بالضرورة هذا أمر نسبي ، هذه القضية عظيمة الأهمية لأن التفرقة بين النوع والعين ومسألة استيفاء الشروط وانتفاء الموانع لها تطبيقاتها العملي الخطير لا بد من معرفة زمنه ولا بد من تفصيله وعموماً الذي يعين شخصاً بالكفر إنما هو إما القضاء الشرعي أو أهل العلم المعتبرين المجتهدين وليس لعامة الناس ومن لا يدري الجهل المعتبر وغير المعتبر ، التأويل المعتبر وغير المعتبر من لا يحسن الفرق بين المعلوم من الدين بالضرورة وبين الذي لا يسع المسلم جهله فمثل هذه الأمور لا بد أن يكون هناك عالم يحكم بها ، وغالباً مسائل التكفير المعين التي يبنى عليها أحكام لا بد أن يتولها القضاء أو كما ذكرنا أهل العلم ،

مسألة الاستهزاء باللحية

الاستهزاء باللحية في زماننا ليس مثل الاستهزاء بالقرآن ، لو أن واحد استهزئ بالقرآن ورمى المصحف والعياذ بالله أتجعل هذا مثل من استهزئ باللحية وقال ماهذه السوداء التي على وجهك وتجعل وجهك أسود مثلاً ؟ لا لأن ممكن يكون متصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بذلك وأن يقول هذه من صنع العادات ، في تلبس في زماننا على أمر اللحية ،

الآية التي تقول { ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونعلم قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون } إذا نقول في الثلاثة ، الشيء المقسوم بها أنها من آيات الله لذلك قلنا أنها معلومة من الدين يعني واحد يستهزئ بالقرآن وواحد يستهزئ بآية من آيات الله وآخر يستهزئ بالجنة والنار التي علم المسلمون جميعاً أنها من آيات الله لكن لو واحد قال النقاب بدعة في زماننا هذا يوجد مشايخ ومفتيين يقولون النقاب بدعة ، أتجعل النقاب مثل الاستهزاء بالقرآن مثلاً ؟ ليس كذلك ، هذا الأمر يتفاوت من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ومن شخص لآخر ربما يستثنى بعض الناس إذا وجد دليل على أنه يجهل هذا الأمر في زمنه أو في محله ولذلك هل تدخل مسألة التفرقة بين النوع والعين حتى في هذه المسائل ومسألة النوع الأول كما ذكرنا تدخل ولكن من باب آخر من باب أنه صغير أو مخطئ أو ناسي وليس من باب إقامة الحجة طالما قيدنا الأمر بأنه معلوم من الدين بالضرورة ، نحن نضع هذا القيد لأجل ألا يتوسع الناس في مسائل التكفير لكل مسألة مسائل اعتقدها من الدين فيظنون أن من خالف فهو كافر ولا يبيّن على ذلك أمر اجتهادي ، نقول هاتين الدائرتين أحياناً يكونا بعداء عن عن بقض جداً لكثرة الجهل ، إذاً فعلاً أن الحجة في بلاد معينة لا تجد أي أحد أقيمت عليه الحجة فيها ويمكن تقول ممثلين في مساحة صغيرة

جداً ويمكن يقتربوا جداً وينطبقوا على بعض مسائل انتشار العلم بها بين الجميع لذلك نقول نحن نضع هذا القيد حتى لا يتفرق الناس في كل مسألة علموها من الدين فيقولوا المخالف في ذلك كافر ، لابد من التفرقة في هذه المسائل ونضيف إلى ذلك أن مسألة النوع والعين متصورة في هذا لكن ليس من جهة إقامة الحجة في المعلوم من الدين بالضرورة ولكن من جهة موانع التفكير الأخرى وشروطه ،

لو أن واحد لم يكن قصده كلمة من الكلمات الكفرية التي تقال في السياسة ، لو أنه مثلاً قال لا تتاجروا بالدين في السياسة نقول له وهو كذلك ولكن ليست هذه القضية لو قصده كذلك لم يكن كافر ، يعني لا دين في السياسة يعني لا تدخل المتاجرة بالدين وتظهر الشعارات وأنت لا تلتزم بالدين ، لكن هذا لا يعبر عنه بهذا التعبير ، نحن نتكلم على من يعتقد أن الحدود والعقوبات الشرعية وتنظيم شؤون الأمة ليس من دين الله هذا هو الذي نقول أنه من الكفر ،

شيخ يسأل ويقول لو أن واحد قال مثلاً هذا حلال وأنكره الثاني مع أن السنة دين ، نقول هذه المسائل مما لا يكفر بها اتفاقاً لماذا ؟ لأن هذا مما لم ينتشر علمه بين المسلمين ، ماذا يعني انتشار علمه ؟ يعني لما تسأل أي أحد في الشارع حتى الرجل الذي لا يفقه شيئاً تسأله هل أهدا من الدين يقول نعم هذا من الدين ، وليس الذي أجمعه العلماء وطلاب العلم ومن يتبعون العلماء في الدروس وما إلى ذلك من الشرائط تكون طائفة خاصة علمت ذلك نقول حتى يعلمه العالم والجاهل والخاص والعام ،

المعلوم من الدين بالضرورة معناه انتشار علمه بحيث لا يجهله أحد مثل تعظيم القرآن والصلاة والجنة والنار ورمضان والحج إلى بيت الله الحرام ، لو أن واحد قال على سبيل المثال ما هذه الأحجار التي يطوفون بها من آثار الوثنية ، نقول الكفرة من اليهود والنصارى يعرفون الكعبة وأن عندهم الطواف بالكعبة هذا عبادة وأنه عند المسلمين جياً عن دين ، إذا لا يدعي واحد أن الأحجار هذه وثنية ولا يستهزئ بالحج ولا يستهزئ بالكعبة بخلاف من قال عن الآذان الثاني مثلاً أهو سنة أم ماذا لا أحد يعرف بالآذان الثاني هذا ، الناس الآن عرفوه وهي طائفة محدودة ليست هي مما انتشر العلم بها بين الناس فلا تكفير في مثل هذه المسائل باتفاق ومثل ما قلنا الدائرة أنه لا يوجد حجة أقيمت بحيث انتشار العلم بين الناس ، ليس هذا من المعلوم من الدين بالضرورة وفرض مختلف فيه بين العلماء والعلماء أنفسهم بعضهم يجهله أو يرى سنة بخلافه إما جاهل أو متأول أو مجتهد ويأخذ ثواب على اجتهاده ، نقول أن هذه المسائل ليس فيها نزاع أما المسائل الكبرى التي انتشر علمها وكما ذكرنا الفرق بينما العين من جهة باقي الشروط والموانع لأننا عندنا حديثين جمعاً ستة من الموانع قول النبي صلى الله عليه وسلم ( وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ) الحديث الثاني ( رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم والنائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يفيق ) عندنا الآن ستة وعندنا الجهل بالتأويل الناشئ عن عدم البلاغ قول الله عز وجل { لأندركم به ومن بلغ } هذا الإثنين مردهم إلى شيء واحد لكن الفرق بين واحد لا يعرف وبين واحد عرف لكن اقتنع بتفسير مخالف للحق لكن لم يصله إجماع المسلمين على خلاف ما ذكرنا ، هناك تأويل يسوغ أن يعذر صاحبه به ،

عندنا ثمان شروط

يعني النوم مانع لو أن رجل تكلم وهو نائم وقال كلاماً يكون مانع من التكفير ،

النسيان مانع والذكر شرط لابد أن يكون ذاكراً إذا كان ناسياً يعذر إذاً الشرط من كل هذه الشروط استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ،

لابد أن نبحث على كل واحد وهذا الرجل اسقطها ناسياً بخلاف واحد قال احذفوها لم نضعها ولا نريدها ولا تذكرها هذه الآيات إذا هذا يريد أن يسقطها والعباد بالله لو أسقطها عمداً ذاكراً

الخطأ مثل أن يقصد أن يقول كلمة قال خلافها هذا خلاف النسيان مثل مثلاً بدلاً أن يقول { أولئك أصحاب النار } قال أولئك أصحاب الجنة هذا الرجل لم يسقط عمداً الخطأ ،

الإكراه لو كره حتى ولو عالم وغير متأول وذاكر ولكن يكون قلبه مطمئن بالإيمان وهذا مانع من التكفير

الصغر مانع والبلوغ شرط ، الصغير لا يكفر حتى يدركه البلوغ ، حتى لو كان مميز يعرف ما يقول لكن كلامه لا يلزم منه تكفيره بعينه

المجنون أو الذي يصبه العته مجنون أحياناً ويعقل أحياناً عنده خلل في عقله ساعة يكون مجنون وساعة يكون عاقلاً ( حتى يفيق ) حتى يعقل وكما ذكرنا الجهل والتأويل

وهذه ثمان شروط ، بعض الأمور التي تخرج الإنسان الإيمان منعت ببعض هذه الموانع مثل الغضب المخرج للعقل ويجعل الإنسان لا يدري ما يقول والسكر بغير محرم وبعض العلماء يجعل السكر المحرم كذلك مانع من التفكير لكن الصحيح أنه السكر الغير محرم ، ماذا يعني السكر الغير محرم ؟ يعني واحد أخذ بنج على سبيل المثال أو أنه في عمله فنطق بكلام كفر ساعتها إذاً لا يكفر أو واحد شرب شيء يظنه عصير ولكنه خمر فأتثناء سكره الذي حدث بغير سبب مقصود منه نطق بكلام كفر فهذا أيضاً مانع ، والذي غضب غضباً شديداً أذهب عقله أصبح كالمجنون وكل تصرفاته لا يتحكم فيها ،



فهذه الأمور التي يسمونها عوارض الأهلية ما يعني ما يعرض لأهلية هذا الشخص لتحمل هذا الحكم أو تحمل الواجب لكي يوصف هذا الوصف المعين المبني على حكم ،

فقضية التفكير عموماً لا بد أن يستوفي فيها كل الشروط ويتنفي كل الموانع من هذه الشروط اتفاق الدائرتين بين النوع والعين أين يتفقوا ؟ يتفقوا عن استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وكان الأمر من الأمور المكفرة ،

مسألة الأمر المكفر هل يشترط أن يستحله الشخص أم هذا مخالف لأمر المعاصي ؟

يعني مثلاً أنهم يعبدون العزى ويروا أنا حلال ولا يعرفوا أنهم المخترعين لهذا الكلام ويكون التمثال الذي اخترعوه يكونون متأكدين أنه المربوب أو هو ما شرعه الله عز وجل ،

نحن قلنا الموانع لأجل أنها عليها أدلة وذلك أن البعض لا يفرق بين الشرك وبين ما دون ذلك في هذا الباب ،

الفرق فيما بين الشرك يشترط في تكفير فاعله أو قائله ( كلمة غير مفهومة )

أما ما دون ذلك فلا يكفر من فعلها ولو استفتت الشروط وانتفت الموانع، يعني ولو أن واحد الآن عالماً ذاكراً غير جاهل ولا متأول ولا نائم نقول أنه عاصي ، هنا لو أنه قال الزنا هذا لا بأس به والزنا هذا حلال وأنه شيء ممدوح هذا يكون كفراً ، والكفر الذي فيه استحلال هو الذي يكون فيه استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، ولذلك في بعض البلاد الإسلامية التي كان تسيطر عليها الشيوعية فسألوا أهو صحيح أن الإسلام يحرم الزنا إلا بالمسلمة ويظنون أن الزنا يكون بالمسلمة فأما الثانية محرم وهم لا يعرفون أن الزنا حرام وأن هذا الأمر ليس فيه شيء ، انتشار العلم بينهم أنهم لا يعلمون ذلك ، كان في بعض البلاد اليوم في بعض الأخوة قال لي أنهم يقولون من تعبد يقولون المسيح عيسى ولا يعرفون أسم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( حتى يأتي على الناس زمان لا يدري لا صوم ولا صلاة ولا صدقة إلا أن ناسا يقولون لا إله إلا الله وجدنا آبائنا على هذه الكلمة) هذا في زماننا الآن والنبي صلى الله عليه وسلم يخبر به في ذلك العهد البعيد وكان غريب جدا على الصحابة لكنه موجود في زماننا ، فالآن هناك أناس لا يعرفون هذه الأحكام ، فنقول من ارتكب كفراً أو قال كفراً ، لا نقول أنه كافر بل لا بد أن نستوفي الشروط وتنفي الموانع المرتبطة بعوارض الأهلية فهذا الباب لا بد أن يضبط جيدا فالإنسان إما أن يقع في إفراط أو تفريط فإما أن يحكم لكافر بالإسلام فيفضل وإما أن يحكم على مسلم بالكفر فيفضل أيضاً فكل الأمرين خطر لذلك نفصل هذا التفصيل الدقيق في هذا الباب

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

## ٤٦-تابع ... أنواع الحكم بغير ما أنزل الله

ذكرنا في المرة السابقة في أنواع الكفر الأكبر أن الحكم بغير ما أنزل الله يشمل الكفر الأكبر والكفر الأصغر ونقلنا من فتوى الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله تعالى في هذا الباب ونحن الآن نذكرها بنصها ،

هو يقول رحمه الله " إنما الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين " وقال أيضاً " فانظر كيف سجل على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسق ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه وتعالى الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً وهو لا يكون كافراً بل هو كافر مطلقاً إما كافر عمل وإما كافر اعتقاد " يقصد كافر عمل الذي هو كافر دون كفر كما ذكرنا الذي هو أحد القسمين في هذا يقول وما جاء لابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل على أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كافر اعتقاد ناقل عن الملة وإما كافر عمل لا ينقل عن الملة ،

أما الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع أحدها أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجتمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة ، كما ذكرنا هذا مبني على وجود هذا الأمر المجموع عليه المتواتر المستفيض إذا انتشر علمه بين المسلمين ، قد بينا بالتفصيل في هذه المسألة في المرة السابقة في التفرقة بين النوع والعين في هذه النقطة لكن إذا اشتربنا أنه من الأمور المعلومة

من الدين بالضرورة فقد خرج من ذلك شرط التأويل والجهل لأننا نشترط العلم نقول لابد أن يكون معلوماً فلا يصح أن يكون هو معلوم فكيف إذا كان مجهولاً ، يكون تناقض ، إذا كان مجهول فعلاً في بلد جهل أمر معين فلا بد من إقامة الحجة بعد ذلك

النوع الثاني قال ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله وحكم رسوله حقاً لكن اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً وإما بالنسبة لما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطول الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضاً لا ريب أنه كافر لتفضيه أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد ، ماذا يعني يفضل مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد ؟ يعني واحد يقول حكم غير الله أفضل مطلقاً في هذا الزمان وفي غير هذا الزمان مثل من يقول مثلاً أن أحكام القطع والرجم وحشية لا تتناسب مع إثبات حقوق الإنسان والجلد والرجم والقطع أحكام وحشية جاءت بها العصور الوسطى لتخلف الإنسان في ذلك الزمان بمعنى أنه كانت موحشة من قبل أيضاً يعني هي لا تصح الآن ولا قبل ذلك ، والأحكام التي اخترعها أحسن منها والعياذ بالله ، هذا مطلقاً

واحد آخر يقول بل هي كانت مناسبة لذلك الزمن وهي ليست أفضل منها مطلقاً ولكن أفضل في زماننا يقول زماننا لا يصح فيه بعد تقدم الزمان والأحوال تغيرت فلا يصح في زماننا الجلد والرجم والقطع ونحو ذلك من العقوبات أو أي حكم من الأحوال الأخرى يقول مثلاً حكم الجزية هذا من زمن وانتهى والعياذ بالله كان مناسباً زمان أن الآن فهو غير مناسب مثلاً أن ينكر أمر أو يفضل حكماً اخترعه الناس على ما شرعه الله سبحانه وتعالى ويراها أحسن لهذا الزمن ،

واحد آخر يراه أحسن مطلقاً وقال الله عز وجل { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } فرد لهذه الآية الكريمة ويقول بل هناك من هو أحسن من الله حكماً والعياذ بالله وأن أحكام الله عز وجل للمؤمنين ولغير المؤمنين غير مناسبة إما في هذا الزمان والآن أو في زماننا فقط

نحن ذكرنا النوع الأول الذي هو إنكار أن الشرع أتى بذلك معتذر وقوعه في الحواضر الذي هو إنكار ثبوت الشريعة بالقطع والرجم نقول كفار فضلاً أن المسلمين يعلمون ذلك الآن يعلمون أن الإسلام فيه قطع للسرقة ورجم الزاني لكن الأكثر يقول أن القوانين الوضعية أكثر وأفضل مناسبة للزمان من شرائع مضي عليها أربعة عشر قرناً ونحو ذلك بعضهم يفضل تفضيلاً مطلقاً ويقول عندما شرعت هذه القوانين في الزمن الماضي هي كانت وحشية والبعض الآخر يقول أنها غير مناسبة في زماننا هذا كانت مناسبة في العصور الوسطى أما الآن فقد تقدم الناس وقد أصبحنا في القرن الواحد والعشرين الميلادي فلا يجوز أن يحكم بقوانين العصور الوسطى المحرمة ، كلا القولين أو الذين يفضل القوانين مطلقاً أو نسبياً داخل في إنكار قوله تعالى { ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } ،

هل يتصور أن البعض يمكن أن يجهل ذلك ؟ نحن نتكلم فيمن ثبتت الشريعة ويفضل ، النوع الآخر قد يجهل البعض إذا كان في أغوار بلاد يعني ظهر عليها الكفر مدة طويلة محتمل مثل ما قلنا الناس لا تعرف أن الإسلام حرم الزنا مطلقاً مثلاً ولما يحرم الزنا يظنون أنه حرمه بالكافة فقط ويجيزه بالمسلمة ، إذا كان وصل الجهل لهذا يتصور لكن النزاع دائماً مع من ؟ مع الذين يجادلون في أمر تطبيق الشريعة ويقولون لا نريد هذا التطبيق ، فهذا بالنسبة كما ذكرنا يرد الآية صراحة كما ذكرنا ،

الأمر لابد أن يعرف فيه الفرق بين تغير الفتوى بتغير الزمان وتغير الأحكام فالأحكام نفسها ثابتة لا تتغير ولكن الفتوى هي التي تتغير ، ما معنى الفتوى هي التي تتغير ؟ أن هذا الرجل سارق أم لا أن هذا الرجل على سبيل المثال الأسعار غلت فاصبح نصاب السرقة في زماننا الربع دينا هذا يساوي كم الآن ؟ يساوي مائة وخمسة وعشرون جنيهاً مثلاً كان من عامان كان ثمانين جنيهاً وتسعين جنيهاً ونحو ذلك ، نقول هذا تغير الفتوى في ذلك الزمان ، مثلاً البلد أصابته مجاعة فأخذ الناس الأموال لأجل أن يأكلوا ويسدوا جوعهم فهذا لا يسمى سارقاً في الشرع منعاً من ذلك ، لا أن الناس من حقهم أن يوقفوا حد القطع أن قصة عمر رضي الله عنه من الأمور التي لابد أن نعلمها جيداً

وهو أن عمر رضي الله عنه لم يعطل حد السرقة وليس من حق الإمام أن يعطل الحدود لكن عمر رضي الله عنه لما رأى شروط إقامة الحد غير مستوفاه في الذين سرقوا وهم غلمان حاطب الذين سرقوا ناقة وذبحوها وأخذوها وحاطب ابن أبي بلتعة كان يبيعهم أو على الأقل كان هناك شبهة في أنه كان يجيعهم فسرقوا الناقة من أجل الجوع فهذا إنسان معذور أو آثم يستحق العقوبة لكن هناك شبهة تدرؤ الحد ، فيقولون عمر عطل حد السرقة بل ليس كذلك عمر رأى أن هذا الحد لم يستوفي شرطه في من وقع منه فلم يقيم عليه من أجل ذلك وشتان بين من يعطل الحدود مطلقاً ،

يقولون الناس اليوم كلهم لم يجدوا الأكل ، كلام غير صحيح أنت هل تقبل أن من وجد الأكل وكان غنياً وسرق من حرز وبلغ نصاباً تقطعها أم لا ، لا تقول الآن الناس لم يجدوا الأكل تمام الذي لم يجدوا الأكل لا تقطعه لكن أنت لم يكن عندك في الأصل الذي سرق واستوفي الشروط تقطعه ولذلك هناك فرق بين هذا وذاك يعني اليوم الشباب لم يجدوا الزواج والإسلام يسر الزواج وأيضاً كان هناك صحابة لم يجدوا الزواج وليس أن كل زمن سوف يجد الشباب فيه القدرة على الزواج ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ) إذاً في من لم يستطع الزواج وربنا عز وجل قال { وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً } ومن يقول أن الشباب لم يجدوا الزواج إذاً نسقط حد الزنا؟!

وجود صعوبة في الزواج لا يسقط الحد وعدم القدرة ليس شبهة في إسقاط الحد ثم إنك هل تجعل هذا أمراً عاماً بمعنى أن من كان ميسراً له الزواج وتزوج وعنده زوجة وزنى هل تقيم له الحد أم لا؟! القضية في الحقيقة أنه يحول التعرّيج ، العلمانيون الذين يحاولون التعرّيج على مسألة تحول الفتوى بتغير الزمان هذا تلاعب على النصوص الشرعية ومخالف للواقع أنه ليس من باب تغير الفتوى بتغير الزمان لذلك يقول الشيخ محمد ابن إبراهيم " حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان أو تطور الأحوال وتحدد الحوادث فإنه ما من قضية محكمة إلا وكان حكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك على ذلك من علمه وجهله من جهله وليس معنى ما ذكره العلماء من تغير الفتوى بتغير الأحوال ما ظنه من قل نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام حيث ظن أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إراداتهم الشهوانية البهيمية أو أغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخاطئة الوبية بهذا تجددهم يحابون عليها ويجعلون النصوص تابعة لها يحامون على هذه الإيرادات التابعة ويجعلون النصوص تابعة لها منقاداً إليها فيحرفون لذلك الكلم عن موضعه وحين إذن معنى تحول الفتوى بتغير الزمان والمكان مراد العلماء منه ما كان مستصحباً فيه الأصول الشرعية والعلل المرعية والمصالح التي جنسها مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المعلوم أن أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مرادهم كائنة من كانت والواقع أصدق شاهد لهذا ،

### النوع الثالث

ألا يعتقد كون ما وضعه الناس أحسن من حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالتنوعين الذين قبله في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } ونحوها من الآيات الدالة على تفرد الرب بالكمال وتنزيهه عن ماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه

ولذلك نقول أيضاً أن هذا النوع ينقض ويرد صاحبه قول الله عز وجل { ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } لأنه يقول أن حسن هذا مماثل لحسن هذا والله يقول { من أحسن من الله حكماً } وهذا يقول هو مماثل والله ليس أحسن بل هذا حسن وهذا حسن ليس الله وحده أحسن حكماً لكن هذه حسنة وهذه حسنة كمن يقول نحن في شريعتنا هذه وأنتم في شريعتكم هذه وكلامها طيب ، إن كنت في بلد يحكم بالشرع التزم بالشرعة وإن كنت في غيرها التزمت بقوانين البلد الأخرى وكلاهما طيب إذاً المهم الالتزام بالقوانين بما كانت طالما أن الناس اتفقوا عليها فهي طيبة والعياذ بالله ، هذا من الكفر الأكبر المستبين أيضاً وهؤلاء ممن يصرخوا في النار { تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذا نسويكم رب العالمين } فالتسوية رب العالمين مستوجبة للخلود في النار والعياذ بالله ،

### النوع الرابع

يقول الشيخ ألا يعتقد حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثل لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فضلاً أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه اعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه ، في هذا النوع نقول هو يعتقد أن شريعة الله أفضل يقول الله أحسن حكماً لكنها غير واجبة بل يجوز مخالفتها وتركها إلى ما يراه هو عدلاً ومصلحة ويجوز الخروج عن الشريعة ويجوز الخروج عنها ويرى أن الشريعة غير واجبة كمن يقول الصلاة طيبة لكنها ليست بفريضة حسن أن يصلي لكن ليس علينا أن نلتزم ولا أن نلزم غيرنا بالصلاة كمن يقول أن الأخلاق والآداب ألا ترين الفتاة والفتى هذا أمر طيب ينبغي أن يكون كذلك لكن لو زنيا لا نمنعهما من ذلك والناس أحرار، هذا النوع في الحقيقة كثير جداً من الناس من يراه صواباً ويرى أن الناس يجوز أن يتحاكموا إلى شرع الله ويجوز أن يتحاكموا إلى الطاغوت ،

وقد نقل الإجماع على كفر من ترك التحاكم إلى الشرع وتحاكم إلى من يراه هو عدلاً من غير رجوع إلى شرع الله

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول " ولا رب أن من رأى أنه يحكم من الناس بما يراه هو عدلاً من غير الرجوع إلى شرع الله أنه كافر " ونقل الاتفاق على ذلك منهج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرة إن المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أحكام الله وإن صلى وصام ،

### الخامس

يقول الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله الخامس هو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومضاهاة للمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنوعياً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات كما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملحق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والأمريكي والبريطاني وغيرها من القانون ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة إلى الآن فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهينة مفتحة الأبواب والناس إليها أصراب إسر أصراب يحكم حكماهم بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم فأى كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه المناقضة وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة لا يحتمل ذكر هذا الموضوع

فيا معشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى كيف ترضون أن تسري عليكم أحكام أمثالكم وأفكار أشباهكم أو من يجوز عليهم الخطأ بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصاً أو استنباطاً تدعوهم يحكمون في أنفسهم ودمائكم وسائر حقوقكم ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي لا يتطراً عليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب إلا يخضعوا ولا يرضخوا ولا ينقادوا إلا لحكم الحكيم الحميد الرؤف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذي أهلكته الشكوك والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يباؤا بنفوسهم عنه بما فيه من الاستعباد لهم والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض فضلاً عن كونه كفرةً بنص قوله تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلاًئك هم الكافرون } ،

#### السادس

ما يحكم فيه القبائل والعشائر والبودي من نحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها سلوهمهم ويتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويخضعون على التحاكم إليه عند التنازع أبقاءً على أحكام الجاهلة وإرضاءً ورغبة عن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا حول ولا قوة إلا بالله ،

في هذا النوع الخامس هذه المضاهاة بالحكم الشرعي هي في التشريع العام بخلاف حكم الله سبحانه وتعالى ، فالنوع الرابع كان يبيح مخالفة الشرع أما هذا النوع الخامس فهو يلزم بالقوانين مع أنه لو سئل لقال الشريعة أفضل لكن يجب أن نلتزم بما اتفق عليه فيلزم لسيادة القانون الوضعي المخالف للشرع ويلزم بمخالفة الشرع في التشريع العام فهذا النوع أشد من استحلال القوانين الوضعية لأن هذا إيجاب فهو فوق الاستحلال فهو يراه واجباً يقول الشيخ محمد ابن إبراهيم ذكرنا الكلام الذي ذكره حالاً نقول مع أن تأصيل أن الحكم ليس للشرع إنما هو لهذه القوانين والإزام الناس بذلك واتحيمه عليهم ،

قضية تأصيل أن الحكم ليس للشرع وإنما لهذه القوانين والإزام الناس بها واتحيمها عليهم هذا النوع يشمل الاستحلال وزيادة وهذا القول رغم أن الكثير من المعاصرين يلهج بأن المشايخ يقولون باشتراط الاستحلال ونحن نقر بذلك لكن هذا استحلال وزيادة والشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كلامه على هذه المسألة وقد ذكر أن الحكم بغير ما أنزل الله منه الكفر دون الكفر وأن الكفر الأكبر يشترط فيه الاستحلال لما علق الشيخ ابن العثيمين على كلامه هذا وقال الظاهر في مسألة الإلزام بالقانون الوضعي الظاهر أنه مستحل أقر الشيخ رحمه الله هذا الكلام وقال أنا أرى أنه لا فرق بين ما ذكرناه وبين ما ذكره الشيخ العثيمين وأنه في الحقيقة يشترط الاستحلال وهو أقر بذلك بأن من ألزم فهو استحلال وزيادة فمن قال حلال أن تخالفوا الشريعة أشد منه أن يقول يجب أن تخالفوا الشريعة ولا يجوز لكم أن تحكموا بالشريعة فهذا أغلظ ونسأل الله العفو والعافية ، وهذا كله كما ذكرنا وبيننا في الحكم العام أما في تعيين شخص بعينه فكما ذكرنا لا بد من استيفاء الشروط انتفاء الموانع ، ونقل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن ابن كثير رحمه الله إجماع المسلمين على كفر من تحكم إلى الياسق من التتار والياسق عبارة عن كتاب أحكام وضعه جنكيز خان وصار في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه في الحكم على الكتاب والسنة ومعلوم أن التتار بدأوا أمرهم عباد أوثان ومشركين وجنكيز خان ملكهم وضع لهم كتاب الياسق الذي هو بداية تكوين دولة التتار بالنظام الشديد الذي وضعه جنكيز خان وقتلوا المسلمين وقتلوا منهم ما لا يحصىه إلا الله وبعده في عهد هولاكو سقطت بغداد وبعد هزيمته في عين جالوت أسلم بعضهم لكن ظلوا يقاتلون المسلمين على ملك جنكيز خان وظلوا يحاكمون الياسق مع أبناء جنكيز خان وظلوا يعظمون جنكيز خان رغم أنهم أسلموا في الظاهر ،

قد ذكرنا نقل ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } ونقل أن من فعل ذلك منهم من قدم الياسق على الكتاب والسنة فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل أو كثير ،

ونقل نفس هذا الإجماع في البداية والنهاية نقل شيئاً من سخافات الياسق وقال كان فيه " من سرق يقتل ومن زنا يقتل " قال بعد ذلك فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحكم إلى الياسق وقدمه عليها من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين ، هذا الإجماع حجة ظاهرة جداً وقوية واضحة وهو من جهة المعنى داخل في الذي قبله كما ذكرنا ولذلك يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله " إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله عز وجل على ألسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي "

وذكر الشيخ ابن باز في كتاب نقض القومية العربية مثل هذا أيضاً في أن القوانين الوضعية على جهة الإلزام من الكفر الأكبر ومن الردة عن الإسلام وأما أثر طاووس في إنكاره على الإباضية في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله فيقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله يقول بعد أن ذكر كلام ابن كثير " أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة بل بتشريع تنقله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها إن المسلمين لم يبلوا بهذا قط فيما نعلم من تاريخهم إلا في ذلك العهد عهد التتار وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له بل غلب الإسلام التتار ثم مزجهم فأدخلهم في شرعته وصار أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم وأن هذا الحكم السيء الجائر كان مصدره الفريق الحاكم لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة ولم يتعلموه ولم يعلموه أنبائهم فما أسرع ما زال أثره "

أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي الذي صنعه عدو الإسلام جنكيز خان أُلستَم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفاً أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمن سريعاً فاندجحت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعه ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلاماً وظلاماً منهم لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في كثير من القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه شيء لذلك الياسق الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر ، هذه القوانين التي ينتسبها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين يفخرون بذلك آباءً

وأبناءً ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنق هذا الياسق العصري ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم إلى الاستمسك بدينهم وشريعتهم رجعيًا وجامدًا إلى مثل ذلك من الألفاظ البذنية بل إنهم أدخلوا أيديهم في الحكم فيما بقي من التشريع الإسلامي يريدون تحويله إلى ياسقهم الحديد بالهوية واللين تارة والمكر الخديعة تارة وبما ملكت أيديهم من السلطان تارات ويصرحون ولا يستحيون لأنهم يعملون على فصل الدولة عن الدين ، طبعاً هذا الكلام في بداية وضع الدساتير المدنية في عهود ما بعد الاحتلال والشيخ عاصر هذه الفترة وكانت كل المحاولات أن تنص الدساتير المدنية على أحقية الشيعة غير مقبولة وإتمام جعلت في المرتبة الرابعة في ذلك العهد ،

أو دستور مصري عام ١٩٢٢ بعد ثورة ١٩١٩ واتفاق على تكوين الدولة المصرية المستقلة جعل الدستور أحكام الشريعة في المرتبة الرابعة بعد الدستور وبعد القانون وبعد العرف ، فنصوص الدستور أولاً ثم نصوص القانون ثم العرف ، فإن لم يجد القاضي في هذه الثلاثة عمل بأحكام الشريعة الإسلامية لكن هذا الوضع بلا شك قد تغير مع الصحوة الإسلامية ، كثير جداً من الدساتير المدنية تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي في التشريع وهي بداية التغير كان في أول دستور مصري سنة ١٩٧٠ بعد جلاء الإنجليز والذي نص فيه كانت معركة من عاشها يتذكر هذه الأيام في سنة ١٩٧١ كانت معركة شديدة جداً على النص على الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي أو كمصدر أو كالمصدر الرئيسي أو كالمصدر الوحيد ، كان هناك أطراف متغيرة وقع اللجنة التي تضع مواد الدستور أقرت أنه يكون مصدر رئيسي فقط مصدر رئيسي يعني هناك مصادر رئيسية أخرى حتى لا يلغوا القوانين الأخرى سنة ١٩٨١ كان عناك معاهدة كامب ديفد وكان هناك أنور السادات أراد أن يعقد أستفتاء على هذه المعاهدة ليوافق عليها الشعب وأدخل ضمن هذا التعديل بأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي لأن هذا طبعاً لن يرفضه أحد وكامب ديفد في زيل هذا التعديل وتم التعديل فعلاً لما أصبح المصدر الدستور المصري الآن أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ظل هذا الأمر دلالة على لزوم أحكام الشريعة لا نزاعاً فيه ، في أحكام هيئة القضاء التي حكمت في قتل السادات طعن المحامون بأن القوانين الوضعية قانون العقوبات غير شرعية بمخالفتها فدافعت المحكمة بأن النص الدستوري يقول الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي وهذا لا يمنع من وجود مصادر شرعية أخرى ، نقول التطور التاريخي للأمر فقط ، فلا مانع من وجود مصادر شرعية في بعض القوانين جاء حكم المحكمة الدستورية العليا في أظنه ١٩٩٩ أو ١٩٩٨ بتفسير هذه المادة أن معناها أن أي مخالفة للشريعة لأحكام الشريعة المصدر الرئيسي بـ [ال] معناها أنه لا يجوز أن تخالف المصادر الشرعية المصدر الرئيسي وبالتالي فأى مخالفة لأحكام الشريعة في ما تسنه الهيئات التشريعية في المستقبل إذا خالفت الشريعة تكون باطلة ، هذا أعلى ما وصل إليه الأمر أن تفسير هذه المادة أنها إذا خالف الشريعة لا يعتد به لكنها أبت ما سبق من قوانين ، على تاريخ التعديل الدستوري لأن هذا التعديل لم يلغ ما سبق من قوانين ، البعض مازال يتكلم عن اللفظ اللغوي للنص وهو أنه يسمح بوجود نصوص شرعية، صحيح لكن التفسير الملزم له بأنه لا يجوز مخالفة المصدر الرئيسي لأحكام الشريعة ، هي صحيح فيه كلمة مبادئ لكن طبقوها في التفسير على أنها أحكام أيضاً فأى حكم المفروض قانوناً دستورياً مصرياً أن أي قانون يسنه مجلس الشعب أو الشورى أو أي هيئة تشريعية تخالف أحكام الشريعة تكون قانون باطل غير معمول به ولا يصح لأنه مخالف لأحكام الشريعة،

يبقى دور واجب وملزم ينبغي على الإسلاميين أن يجتهدوا في إلزام هذه الهيئات التشريعية بإلغاء ما سبق من قوانين مخالفة للشريعة وأنها في الحقيقة تخالف روح ما تنص عليه هذه المادة الثانية من الدستور ، المادة الثانية البعض يقول أنها ليس لها قيمة وهي مثل عدمها ، لا بل هذا فيه تأصيل مهم جداً هو أن هذه الهيئات التشريعية ليس لها أن تخالف الشرع فليست مجالس تشريعية كفرية كما كانت قبل تفسير هذه المادة بهذه الطريقة لأنه ممنوعاً أن يخالف شرع الله سبحانه وتعالى وهذه المادة كما ذكرنا لها قيمة مهمة في أن كل ما يسن بعد هذا التعديل باطل إذا خالف الشريعة فنقطة لا بد من استغلالها وبالتالي فتولي القضاء بهذا الاعتبار فيما يوافق الشريعة ليس باطلاً بطلاناً أصلياً كما يقول الشيخ أحمد شاکر طالما أنه كان في ظل الإلزام بحكم الشرع والله أعلى وأعلم ، لكن التطبيق لم يتم بعد ، لكن الكلام أنه لا بد أن يستغل هذا وهذا فعلاً فيه مكسب عظيم جداً للداعين إلى تطبيق الشريعة للمسلمين ، التطور هذا من الدرجة الرابعة إلى أن يصبح نص دستوري لا يجوز مخالفة أحكام الشريعة فيه هذا أمر بلا شك تطور ، أيام الشيخ أحمد شاکر كان الأمر فعلاً شديداً جداً وكان أسوأ ما يتصور في هذا الحال ، لذلك يقول الشيخ " أفيجوز لهذا أحد من المسلمين أن يعتقد هذ الدين الجديد أعني التشريع الجديد " أفيجوز أن يرسل أبنائه لتعلم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به علماً أو جاهلاً ، هذا المنع من جمع هذه الأمور أما من أرسل أو من تعمل هذا لا يعبثه أو ليطبقه ولا ليعمل له وإنما عرفه ليتجنب المطالبة به إذا تعلم ما يخالف الشرع من هذه القوانين ليسعى إلى إزالتها ولا يطالب بها عند التحاكم بل يأمر بموافقة الشرع مستغلاً كما ذكرنا هذه فليس هذا محرم ، الشيخ ظاهر كلامه تحريم دراسة الحقوق لكن التأمل للكلام أنه لكل هذه الأمور معاً الذي يدرس الحقوق ليعتق هذا الياسق الجديد ليطبق هذا القانون المخالف للشريعة هو داخل في هذا النهي أو داخل في هذا التحريم والمنع ، وأما من لا يعتنقه بل يدرسها ليعرف ما يقوله ويقارن بينه وبين الشرع ويدعو إلى تطبيق الشرع ويحذر من مخالفته ويحذر من مخالفته فمن يقول أن هذا محرم قد قال الله عز وجل في كتابه وحكى لنا أقوال الكفار فمجرد معرفة أقوال الكفار وأقوال من يخالف شرع الله سبحانه وتعالى لا يمنع فدراسة الحقوق ودراسة القوانين الوضعية باعتبار عدم اعتقادها واعتقاد بطلانها ومع عدم العمل بها بل السعي إلى تجنبها وكما ذكرنا هناك باب مفتوح في أن ما يخالف الشريعة يكون مخالف للدستور فهذا مع أن الشرع فوق الدستور بلا شك والناس لو غيروا هذا لا نقبله ولا نرتضيه بل لو قبلوا تغير هذه المادة يعني لو أن الناس ارتضوا أن يزيلوا حكم الشرع عنهم لما كانوا مسلمين فكان الأمر لا بد أن ينظر فيه من هذا الباب ، لذلك يقول أفيجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا الياسق العصري ويعمل به ويعمل بشريعته بدأ البينة ، لا يكون رجل مسلماً يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً ويؤمن بأن هذا القرآن أنزل الله على رسوله كتاباً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن طاعته وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة قطعية



الوجوب في كل حال ما أظنه يستطيع أن يجزم غير متردد ولا متأول لأن ولاية القضاء في هذا الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإيجاب ، نقول أنه إذا تولى أمراً يمكنه فيه أن يقيم شرع الله سبحانه وتعالى فولايته صحيحة أما إذا كان لا بد وأن يتولى خلاف الشريعة فهي كما ذكر باطلة بطلاناً أصلياً ، طالب : هل يتركوه يحكم بما أنزل الله ؟

الشيخ : في أمور متروكة وفي أجزاء موافقة للشريعة ، فالأجزاء هذه إن استطاع القاضي أن يلزم بها دون غيرها فله أن يتولى بهذا الاعتبار وكذا المحامي ونحو ذلك يطالب بما يوافق الشريعة ، نحن نتكلم على من يريد أن يلتزم ونقول ما هو الحال وما هو الحرام ، والذي يتعلمه لأجل أن يعتقد ويعمل به لا يجوز له ذلك ولا يلحقه الإحازة ولا التصحيح ،

الذي يتعلم ليعلم ما يخالف الشريعة فيتركه ويتعلم ما يخالف الشريعة فلا يحكم به ويلتزم بما يوافق الشرع فقط وعنده علم بالشرع فهذا يجوز له أن يتولى ذلك ، نقول أن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضحاً وضوح الشمس هي كفر بواح ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العلم بما أو الخضوع لها ، الخضوع لها يعني اختياراً ، أو إقرارها فليحذر كل امرئ لنفسه وكل امرئ حسيب نفسه فليصدق العلماء بالحق غير غيبيين وليبلغوا ما أمروا به غير موانين ولا مقصرين ، سيقول عني عبید هذا الياسق العصري وناصره أني جامد وأني رجعي وما إلى ذلك من الأقاويل ألا فليقولوا بما شاءوا فما عبث يوماً بما قالوا عني ولكني قلت ما يجب أن أقول ،

هذا الكلام في عمدة التفسير طبعة دار المعارف ، يقول الشيخ محمود شاكر شقيقه رحمه الله في التعليق على أثر أبي مجلد للاحد بان حميد السلوسي في قوله كفر دون كفر ، مقصد الكلام على أن هذا رد الخوارج القائلين بالتكفير بالمعاصي والذنوب يريدون أن يكفروا خلفاء بني أمية في ذلك العهد لوجود المعاصي والذنوب على أصل الخوارج في التكفير بالذنوب والكبائر فيقول رحمه الله " لم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام وبالاحتكام إلى حكم غير الله سبحانه وتعالى في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه والذي نحن فيه اليوم هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتعطيل لكل ما في شريعة الله بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة إلى أن قال أما ما كان في زمن أبي مجلد أوقبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر جاحداً لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام فذلك لم يكن قط فلا يمكن صرف كلام أبي مجلد والإباضيين إليه فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير باهما وصرهما بغير معانها رغبة في نصرة سلطان أو احتيلاً على تسويع الحكم بغير ما أنزل الله وفرضه على عباده فحكمه في الشريعة حكم الجاحد لحكم من أحكام الله أن يستتاب فإن أصر أو كابر أو جحد حكم الله ورضي بتبديل الأحكام فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين ، هذا الكلام ذكره الشيخ أحمد شاكر نقلاً عن أخيه في هذا الباب ولا شك أن هذا كما ذكرنا ونكرر أن هذا في الحكم العام أما الشخص المعين فلا بد أن تستوفي الشروط وتتفي الموانع وخصوصاً في النوعين الأخيرين لأن وجود الجهل بذلك والتأويل بأن هذا ليس هو المخالفة للشريعة أمر أكثر وروداً في زماننا مع وجود ما يدل كما ذكرنا على الإلزام بالشريعة بالجملة فلا بد أن نعلم الفرق بين هذا وذاك ، الفرق بين الحكم العام وبين تكفير شخص بعينه حاكماً أو محكوماً أو قاضياً أو محامياً لا يجوز التكفير بالعموم ولا بالأعيان إلا بعد استيفاء الشروط ، هل في فرق بين العموم والنوع ؟ العموم معناه تكفير طائفة بأعيان كل من يدخل تحتها وهذا تكفير عيني عام لكن النوع معناه أن نقول من فعل كذا فهو كافر لكن فلان الفلاني شخص بعينه لا بد أن يمثل أمام قضاء شرعي أو أمام أهل علم ينظرون في استيفاء الشروط وانتفاء الموانع قبل ذلك لا يكفر المسلم حتى تستوفي الشروط وتتفي الموانع ولا بد أن نفرق بين النظام الإداري والنظام الشرعي ،

النظام الإداري الذي يراد به ضبط الأمور واتقانها على وجه لا يخالف الشرع ، هذا أمر فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليس فيه ما يخالف الشريعة وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع لخالق السماوات والأرض كما قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله فتحكيمه كفر لخالق السماوات والأرض كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف أنهما لا بد استواءهما في الميراث وكدعوا أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة وأن الرجم والقطع كلاهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وأبدانهم كفر بخالق السماوات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه خالق الخلق لها وهو أعلم بمصالحهم سبحانه وتعالى ، هذا الكلام نقوله للطوائف التكفيرية التي تكفر من يدخل في أي نظام من الأنظمة ، يقولون الذي يعلم أولاده هذا كافر والذي يعمل في الحكومة كافر والذي يضع طابع الدفعة كافر مثل هذا كافر والذي يقطع تذكرة الترام يكون كافر ، هذا الكلام انقضى فعلاً لكن له جذور كانت موجودة وقابلة لذلك بسبب التأصيل الخطر فنقول بل هناك الأنظمة الإدارية الموجودة التي يراد بها ضبط الأمور لا بد من مراعاتها حتى لو كان البلاد المحتلة للإسلام هي التي تطبقه إذا كان فيها مصلحة للمسلمين يلتزم بها وأما المخالف للشرع فهو الذي نتكلم عنه لكن الأنظمة الإدارية وضبط الأمور ووضع مصالح المسلمين في موطن الاعتبار ومراعاة تعليمهم وصحتهم مثلاً ومصلح أعمالهم الدنيوية فمثل هذه الأمور الالتزام بما لا يخرج عن قواعد الشرع مع مراعات المصلحة العامة .....

. تكملة ما كنا قد ذكرناه في قضية الحكم بما أنزل الله

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله " اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض والذي لا يقتضي ذلك وإيضاح ذلك أن النظام قسمان ، إداري وشرعي ، أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور واتقانها على وجه غير مخالف للشرع ، هذا القيد قيد مهم وذلك أن هناك بعض الأمور تضبط على وجه مخالف للشرع مثل مثلاً تحديد مواعيد العمل والإزم الناس بما يضع الصلوات أو مثلاً مثل ما يقع في كثير من الكليات الآن تحديد مواعيد الامتحان بما يضع صلاة العصر مثلاً أو صلاة الجمعة ، البعض يسأل عن جواز الجمع بين الصلوات لأجل ذلك ، هذا ليس بعذر بل يصلي في المكان الذي هو فيه ولو وجد عدد كبير من الطلاب والمراقبين والمدرسين يؤذن



ويقيم ويصلي في لجنة الامتحان لحسبها عدة مرات قبل أن يفعلوا ذلك لكن واحد وحده يكون مسكين ويشددون عليه وأنت ماذا تفعل هنا ، لكان لو وجد عدد ضخم جداً ووجدوا الناس قائمة تصلي في الامتحان ويصلي في اللجنة ولا يخرج خارج اللجنة لكن يصلي في اللجنة فهذا سوف يكون دافعاً لذلك لابد في النظام الإداري ألا يكون مخالفاً للشرع ، بعض البلاد التي فيها قوانين إسلامية تحاول أن تجعل من الفوائد الربوية مخرجاً بأنها قوانين إدارية وأوامر إدارية ولا شك أن الربا محرم بكل حال من الأحوال سواء وضعت له قوانين إدارية أو قوانين تسمى شرعية الفائدة محرمة على أي الأحوال أما تنظيم شئون الموظفين وإدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع ولا يخرج من قواعد الشرع مع مراعاة المصالح العامة وهذا أمر لا يخرج من قواعد الشرع مردّه إلى قول الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود } فمأمور أن يفي بالعقد فأنت أيها الموظف إذا كان العقد معك على وقت معين وأجرة معينة ونظام معين في المحاسبة والثواب والعقاب فمثل هذه الأمور أمور ليست مخالفة للشرع فهذا النظام الإداري وقد يطلق في بعض الاصطلاحات عندهم التشريع الإداري أو تشريعات إدارية أو أوامر إدارية أو نحو ذلك لا يغير من الأمر شيئاً لأن لفظ التشريع هنا طالما عرف به أنه وضع نظام وسنة محددة والشرعة كما ذكرنا بمعنى المنهج والطريق فإذا وضعت طريقة لمحاسبة الموظفين أو لإلزام الموظفين أو الأعمال بطريقة معينة وعرف به الناس فمثل هذا في الحقيقة نوع من العقد وبيان شروط العقد فهذا طالما أنه ليس مخالفاً للشرع فيجب الالتزام به بين المسلم وبين من تعاقد معه مسلماً كان أو كافراً فرداً كان أو هيئة أو حكومة أو غير ذلك فهذا النظام الإداري الذي نقصده هو الذي لا يخالف الشرع أما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكمه كفر بخالق السماوات والأرض بدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف وأنه يلزم استواءهما في الميراث ،

التشريعات الوضعية التي تجعل الأنثى تراث مثل الذكر مثل الموجودة في دولة تونس وأظنها وأظن في تركيا أيضاً مردّها بلا تردد وبلا شك إلى هذا الأمر وهو أنه يرى أن تفضيل الذكر على الأنثى من المحاباة ، تفضيل الذكر على الأنثى من الاضطهاد للمرأة وهذه مازالت كل مؤتمرات المرأة مثلاً تنص عليها التي تعملها الأمم المتحدة تنص عليها في كل مرة ، والدول الإسلامية كثيراً ما تحاول الاعتراض وتحاول دس بعض العبارات للالتواء حول هذه القرارات لكنها قرارات دائمة وصريحة في أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث اضطهاد للمرأة إذا سنت أمة من الأمم تشريعاً مبنياً على ذلك كان كفراً بلا شك

وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم وكذلك يمنع منه إذا أثبت أنها عشيقية وهذا الكلام موجود في كثير من الدول والمسماة بالإسلامية أيضاً للأسف الشديد ، المنع من تعدد الزوجات مطلقاً الاحتياال الذي وقع في قانون الأحوال الشخصية المصرية على هذه المسألة هو نوع من الاحتياال وهم جعلوه ضرراً مطلقاً قالوا ويعد ضرراً للمرأة اقتران زوجها بأخرى هذا جعلوه كأنه شرط عربي في البلد كلها وهذا ليس بصحيح من أرادت أن ترفع عن نفسها ذلك تشتط في عقد النكاح ولا يلزم أن ذلك يصبح قانوناً ملزماً للناس جميعاً أما التعدد نفسه ظلم مطلقاً فهذا قوانين في بلاد أخرى تنص عليها ،

وأن الطلاق ظلم للمرأة لذلك كان في محاولات عديدة أثناء عمل قانون الأحوال الشخصية المصرية أن يجعل الطلاق للقاضي كالدول الأوروبية وأنه لا يطلق إلا القاضي وأنه لو تلفظ الزوج بألف طلاق لا يطلق إلا القاضي وهذا كلام باطل مخالف لإجماع المسلمين وهو نفس النظرة كما ذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله أنه يرى أن الطلاق ظلم للمرأة وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك فتحكيم هذا النوع من النظام وكلام الشيخ واضح للغاية ، فيتأمله بأنه تكفيري إذا قال بما يقول به الشيخ ويحاولون تحريف كلام المشايخ والأئمة عن وجهه ، يقول تحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وأبدانهم كفر بخالق السماوات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه خالق الخلق لها وهو أعلم بمصالحهم سبحانه وتعالى عن أن يكون معهم مشرع أخرى علواً كبيراً ،

ذكرنا الأنواع الخمسة أما النوع السادس فهو مثل النوع الخامس لكنه غير مسجل كقانون المكتوب وهو ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي وغيرهم من حكايات تلقوها عن آبائهم وأجدادهم يعلمون مخالفتها للشرع ويقدمونها في الحكم على شرع الله إعراضاً عن حكم الله ، مثال هذا ما يوجد في القبائل العربية في الجلسات العرفية من أناس جهلة يحفظون شرعة أولاد علي ، أنا أقصد في مصر هنا قبائل عربية كثيرة يقولون شرعة أولاد علي وبعضهم بدأ يكتبها في كتب ولكن بفضل الله انتشر وسط هذه القبائل تحكيم الشرع ورضا الناس به ودائماً هذه الشرعة لا يحترمونها ويجعلون الدية مثلاً عشرين من الإبل أو عشرة من الإبل وبعد أن يأخذوها يقتلون من القبيلة الأخرى أيضاً ولا يردون الدية يرون أن هذه الدية غير مانع أما إذا كانت الدية شرعاً مائة من الإبل فعلاً فمنع من الاعتداء بعد ذلك ويخالف أن يعتدي لكنه جرّته التشريع الباطل الذي وضع ، بفضل الله انتشر تحكيم الشرع وربما يخير بعضهم الناس إذا تخاصموا ويقولون تريدون شرع الله أم شرعة أولاد علي ؟ والعياذ بالله وهذا ظاهر جداً أن هذا النوع هو كفر ناقل عن الملة ، لأنه يقول له شرع ربنا ولا شرع أولاد علي . قانون وضعي أم شرع ربنا . وهي كذلك فمن قال له شرع أولاد علي أو قال شرع الله لا يحل المشكلة أو بعضهم يقول شرع الله يوحلنا يعني يوقعنا في الوحل والعياذ بالله هذه كله من الكفر بلا شك ، لكن هذه الأنواع التي ذكرنا والأقسام التي ذكرنا كلها نتكلم فيها إجمالاً في أنها من جهة النوع وأما تعيين الشخص فهناك فرق بين النوع والعين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٤٧ - الفرق بين كفر النوع وكفر العين

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

من النقول السابقة من كلام أهل العلم والتي تصرح بكفر من يحكم بالقوانين الوضعية أو يرضى بها أو يحتمها على الناس نقول يرضى بها وهذا الرضا لا بد فيه من التصريح أنه يرضى بذلك يعني ليس كل أحد ذهب إلى المحكمة مثل ما تقول جماعات التكفير إن أي واحد ذهب إلى المحكمة في يوم من الأيام يكون راضي بالقانون الوضعي ويكون الناس يرتضون الأحكام الوضعية والحقيقة التي لا شك فيها أن عامة أهل الإسلام لا يوجد منهم من يرضى بحكم القوانين المخالفة لشرعية وإنما يرضى بذلك المنافقون والذنادقة ويجوبون ذلك أن يظل منتشرراً لكن عامة المسلمين يريدون شرع الله حتى المجرمين منهم حتى العصاة والفسقة والسراق يقولون لو أن شرع الله طبق لكان خيراً لنا فمسألة الرضا إنا نعرف ليس بمحنة الإنسان فهذا الذي ذهب إلى المحكمة ليأخذ حقه الذي لا يستطيع أن يأخذه إلا بذلك لا يلزم أن يكون راضياً بحكم القانون الوضعي عنده ميراث مثلاً أو عنده قضية من أحكام الأسرة لا بد أن يكون موافقاً ويعرف حكم الشرع فيها وإذا ذهب ليأخذ حقه ويطالب بحقه لم يكن ذلك رضى بما يخالف الشرع ، نقول لا بد في الأنواع التي ذكرنا من ملاحظة أن هذا التكفير هو من جهة النوع أن هذا النوع من الكفر الأكبر ، يعني هل يكون هناك فائدة إذا لم تكفر المعين ؟ نعم لها فائدة عظيمة وهي أنك لا تسوغ للناس هذا ولو من جهة أنها معصية بمعنى أن تهمين شأن الأمر يؤدي إلى أن يقول طالما إننا معصية فسوف أفعلها وتكون صغيرة من الصغائر أو كبيرة من الكبائر وطالما أن هذا الأمر لا يلزم في أصل الإيمان ، يعني يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً وهو لم يغير هذا فلا علينا أن نغيره فهذه المسألة فيها خطورة وأهمية بالغة أن نقرر أن هذا من الكفر الأكبر وأما من أستوفت عليه الشروط وانتفت عنه الموانع فإنه كافر وربما لم نعلم نحن وتوقفنا وامتنعنا عن أن تكفر مسلماً لوجود مانع نتوهمه أو لعدم استيفاء شرط يحتمل عندنا أنه لم يستوفى ولا يكون نافعاً له عند الله بمعنى أننا نحكم بإسلام المنافقين والمنافق عند الله في الدرك الأسفل من النار لكن قد بلغناه أن ما يفعله ويعتقده نفاق فهذا يمثل هذا الأمر ربما نحن نحكم بإسلام إنسان لأننا كما ذكرنا لم نستوفي الشروط ولم تنتفي الموانع لدينا وهو عند الله قد بلغته الحجة قد استوفيت الشروط فحكمنا بالإسلام له لا ينفعه عند الله فلذلك لا بد من معرفة أن هذه جريمة عظيمة في شرع الله سبحانه وتعالى إذا أبلغنا الناس أن التحكيم والرضا والتحكيم للقوانين الوضعية على الناس دون شرع الله على الناس هي من الكفر الأكبر حتى ولو لم يكفر المعين ، نقول وأما من جهة المعين فالفتوى أن فلان بعينه كافراً لارتكابه هذا الكفر فإنما هو لأهل العلم بعد نظرهم في استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في مسألة التكفير من أهل العلم أو أهل القضاء الشرعي إذا كان هناك قضاء شرعي يحكم من أهل العلم أو القضاء ، حكم محكمة مثل ما رفعت قضية على أحد الكتاب المشهورين الذين اتهموا القرآن بالنقص ووجود خلل فيه ورفعت دعوى تطليق له بينه وبين امرأته والمحكمة فعلاً حكمت بكفره ، ناصر أبو زيد هذا المحكمة حكمت بالتفريق بينه وبين امرأته بناءً على رده والدفع التي دفعها في أنه رجل متأول قالوا فيها إن هذا الكلام لا يقبل منه لأنه معلوم من الدين بالضرورة عند كل أهل الإسلام أن القرآن العظيم لا يحتمل فيه الخطأ ولا يحتمل ظلم فيه ولا فساد فكونه يدعي أنه متأول أوجهل مثله لا يقبل منه ذلك فالمحكمة كانت في حيثيات الحكم في التفريق بينه وبين امرأته ، طبعاً هو لم يطبق هذا الحكم لأنه سافر إلى الخارج وما زال ، لكن العبرة في النص الذي وضعته المحكمة كانت سابقة مهمة جداً وإنها استوفت الشروط وبختم في العلم وأنه هل يتصور منه التأويل ويتصور منه الجهل في الألفاظ التي قالها أو كتبها فمثل هذا فيما رأت المحكمة أن هذا ليس فيه أي عذر يقبل حكمت برده وإن كان ليس أمامها أن تطالب بتطبيق حد الردة أو تحكم بتطبيق حد الردة لأنها حكمت بالتفريق بينه وبين امرأته لأنه صار غير مسلم ، فنقول أن هذا الأمر إما لأهل العلم أو لأهل القضاء فمثلاً من الشروط في مسألة التكفير العلم والبلوغ

العلم

بمعنى أن يكون قد بلغته الأدلة البيّنات التي يكفر المخالف لها وهذا قد يكون في أمر معلوم من الدين بالضرورة أو في أمر بلغه له العلماء بعد إقامة الحجة عليه ، بإقامة الحجة عليه ثبت أنهم يبنوا له الأمر ،

انتشار الأمر في المسلمين كما ذكرنا هذا المثال أن واحد يقول أن هذا القرآن فيه خرافات أو فيه أخطاء أو فيه ظلم أو فيه أشياء غير مناسبة لهذا الزمان ، مثل هذا لو قلت لأفجر الفجرة من المسلمين أن هذا القرآن فيه كذلك لأنكر ذلك فهو أمر معلوم من الدين بالضرورة انتشر العلم به ، هناك بعض المسائل قد تحتاج إلى إقامة حجة ، كما ذكر مثلاً في مسائل عبادة القبور أصحابها لا يقولون بعبادة القبور فلا بد من استيفاء الشروط ومن ضمننا التعلم كما يقول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله " وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينههم فكيف نكفر من لم يكفر ولم يقاتل سبحانه هذا بختان عظيم " لكنه كان يكفر بعض أناس ويقالتهم وهو يقول أنا أكفر من بلغته الحجج فردها كان يقيم الحجة ويبني على ذلك حكم بعد ذلك ،

الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ومن تبعه بعد ذلك كان ليس مجرد أنهم بلغوا الناس فقط بل قاتلوا من أجل هدم هذه القبور وأقاموا الحق في نجد وما حولها بالقوة والجهاد فنقول من الشروط العلم والبلوغ أنه يكون بلغ ( الصبي حتى يحتلم ) يعرف البلوغ بالاحتلام أو بإنبات الشعر في الشاب أو الفتاة لإنبات الشعر حول الفرج لحديث بني قريظة ويعرف ببلوغ خمسة عشرة سنة ويعرف بالفتاة بالحيض والحمل بلا شك

والعقل فالجنون ليس بمكلف فلو صدر منه كفر وردة لم يكن معيناً بهذا الكفر ولا يصح أن يكفر ، مجنون نطق بالكفر حال جنونه فإنه سواء كان جنوناً مطبقاً أو مجنوناً أحياناً ويفيق أحياناً فأثناء جنونه قال كلاماً كفرياً لا يخرج من الملة ولا يحكم عليه بالردة ،

## والقصد

والقصد هذا ليس أن يكون قصد الكفر بل قصد الفعل ، البعض عنده خلل في ذلك حتى في بعض المتأخرين من العلماء نقل أو ذكر كلاماً يفهم منه أنه لابد أن يكون قاصداً للكفر وكثير ممن نقل عنه وكلام الشوكاني خصوصاً أعنيه أنه اشتراط أن يكون قاصداً للكفر وهذا الكلام ليس هو الصحيح إنما القصد أن يكون قاصداً للفعل ، بمعنى على سبيل المثال من داس على المصحف ممكن يكون ليس قصده أن يطاء المصحف نحن نقول إنما قصده أن يسير في الحجرة ليصل إلى الباب وكانت الأشياء موجودة في الأرض والحجة مظلمة فمشى فوجد نفسه وطأ المصحف فهذا لا يكفر لأنه لم يقصد إلى الفعل بخلاف واحد يطاء المصحف يقولون له مصحف فيعاند ويطأه وبعد ذلك يقول أنا لم أريد أن أكفر وأنا لم يكن أقصد الكفر أو أنا لم أكن مستحل وانتبهوا ليس من شروط التكفير الاستحلال ، الاستحلال شرطه في تكفير صاحب الذنب أما في المكفرات في فعل الكفر فلا يلزم فيه الاستحلال لأنه لا دليل على ذلك لكن من ركب الشرك والكفر ويقول مثلاً أنه يهودي أو نصراني ويقول أنا لم يكن قصدي ، يعني أنت أخطأت في القول وقلت كلمة فخرجت غيرها ؟ مثلاً قصدت أن تقول أنا لست يهودياً فمن الغيظ خرجت أنا يهودي مثلاً هذا هو الذي نقول عليه أنه لم قصد إلى الفعل لا أنه يقول أنا يهودي ويقول أنا قصدي ذلك أن أغيظ من أمامي ولم يكن قصدي أني أكفر وأكون يهودي بجد أو قصدي أن يخرج من أمري بالمعروف أو نهي عن المنكر حتى لا يكلمني فيقول له أنا جرحس أو أنا نصراني لا أصلي ، ومن يقول له لماذا تفطر في رمضان فيقول له أنا مسيحي وهو لم يكن مسيحياً فيقولون له لماذا تقول ذلك فيقول حتى أكمل الإفطار وأريد أن أكمل الأكل والعياذ بالله فهذا خروج من الملة ، ليس هذا هو القصد الذي نشترطه لابد أن نفهم القصد هنا القصد إلى الفعل ، واحد قال كلمة فخرج كلمة أخرى مثل ( اللهم انت عبدي وأنا ربك ) هو قصد أن يقول اللهم انت ربي وأنا عبدك أخطأ من شدة الفرح وقال اللهم انت عبدي وأنا ربك ومثلها من شدة الفرح ومن شدة الحزن قال كلاماً يريد أن يقول شيئاً فقال غيره لا أن الغضب جعله يقول كلاماً يكفر به قاصداً الكلام لكن هو نادم عليه بعد ذلك ، لا بل يندم ويرجع للإسلام مرة أخرى ، يعني واحد يغضب فيكفر وواحد يغضب لم يشعر ماذا قال ، الذي نقصده الذي لم يشعر ماذا قال ،

وسب الدين كذلك وطبق عليها كل هذه الأحكام في عموم الفرق بين كفر النوع وكفر العين ، في أي مسألة حكم في أن هذا كفر ينظر في استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، القصد معناها ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ( وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ) القصد ضد الخطأ ،

سب الدين ممكن يكون خطأ لو قصد كلمة فخرجت غيرها لا أنه لم يكن يعرف أن الكلمة كبيرة ، في فرق أن واحد يرتكب الأمر مستهيناً به يظن أن يخوض ويلعب وأن هذا لا يخرج من الملة لذلك نقول أن القصد قصد الكفر لا قصد الفعل لأن بعض الناس يقول لم نقصد أن نكفر لكنه قصد الكفر فعلاً قصد الاستهزاء قصد أن يلعب بآيات الله ورسوله وآيات الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم { قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم }

الاستهزاء باللحية إذا كان يعلم أنها سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن إذا كما ذكرنا أن اللحية لم تكن معلومة من الدين بالضرورة في كثير من البلاد يظنون أن هذا من التشدد في الدين ليس هذا من الدين وليس هذا من السنن الواجبة والمستحبة بل يقولونها أنها من سنن العادة فمن هنا كانت اللحية الاستهزاء بها في بلدنا ليس بمخرج من الملة لفقد شرط العلم أن هذا من الدين الذي لابد أن يحترم أما إذا كان معلوماً من الدين بالضرورة مثل ما قال ابن حزم أنه قال أنا لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتحمياً أم لا مثلاً يعني لأنه معلوم من الدين بالضرورة يكون في هذا استهزاء بهذه الطريقة ،

## والتذكر

بمعنى أن التذكر ضد النسيان و التذكر الذي هو ضد النسيان بمعنى أنه أنكر آية من كتاب الله هو كان يعلمها ولكن نسيها الآن مثل إمام يقرأ في الصلاة وأسقط آية لو في إمام يأتي عند آية معينة دائماً ويسقطها ويأتي عند كل صلاة وفي آية معينة لا يريد أن يقولها مثل اليهودي الذي وضع يده على آية الرجم ، ففي ناس تريد أن يقرأ الناس { ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلائك هم الكافرون } فيقولون لا نريد أن نقرأ هذه الآية والعياذ بالله ، يعني لو واحد أسقطها عمداً في الصلاة وأتي عندها وعداها مثلاً فيكون هذا الأمر كفر والعياذ بالله واحد يقرأ في سورة المائدة فنسيها ويقابل الناس والحفاظ النسيان ،

طالب : وإذا ذكره بما ؟

الشيخ : إذا ذكره تذكر وأي واحد ناسي إذا ذكر تذكر لكن الكلام على واحد متعمد لأسقاط آية أو إسقاط حرف واحد

في واحد مرة من المرات قال لهم لا أحد يقرأ { قل هو الله أحد } ولا { قل أعوذ برب الفلق } بل قولوا أعوذ برب الفلق والغوا قل هذه ، انتم لم تفهموا في واحد قال للناس في بلده مثل هذا الكلام أن { قل } ليس لها معنى الآن فنحن نقول هو الله أحد ونقل أعوذ برب الفلق ونقول أعوذ برب الناس فلو ألغى { قل } من المصحف فلا يكون ناسياً وهو يريد أن يسقط { قل } لكن لو أسقطها ناسياً أو أسقط آية كاملة ناسياً ليس بكافر ، وإذا ذكر تذكر لكن لما يجادل بالباطل وأن { قل } ليس لها معنى وأنتم لم تفهموا ربنا قال { قل } إذا نقول فتأول تأويلاً مخالفاً معلوم من الدين بالضرورة التي تأتي بعد ذلك ،

التأويل يقبل متى ؟ إذا كان غير مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة وكعذر في عدم التكفير

فنقول التذكر الذي هو ضد النسيان

والاختيار من الشروط والاختيار الذي هو ضد الإكراه قال الرسول صلى الله عليه وسلم { وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه }

من الشروط عدم التأويل

عدم التأويل يعني لو كان متأولاً مثل تأويل (عثمان) قدامة ابن مظعون في الخمر تأول قول الله عز وجل وقرب العهد بزمان الشريعة ففهم { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا } فقال إذا اتقيت الله لا حرج في أن أشرب الخمر فعزم عمر وأرسل لو أصر على استحلال الخمر أن يقتل رده وإن أقر جلده الحد فأقر عثمان بعد ما ناظره عمر ومن أرسل إليه مع عمر رضي الله عنه فأقيم عليه الحد فكان تأويلاً في استباحة شرب الخمر للمعتقي ، تأويل في ذلك الزمن يقبل لقرب العهد بزمان الشريعة ،

طالب : لماذا جلد ؟

الشيخ : لأنه شرب الخمر

الطالب : ألم يكن متأولاً

الشيخ : التأويل يمنع من التكفير ولا يمنع من العقوبة ، هو استحلالها لكن بخطأ منه لكن في ذلك الزمن كان يمكن أن يحتمل الأمر الاجتهاد والتأويل ولا يمنع من العقوبة ،

مانعي الزكاة تأولوا قول الله عز وجل { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم } قالوا ما تغني عنا صلاة أبو بكر نحن نريد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر صلاته ليست كصلاة النبي إذا الزكاة ليست لأبي بكر ، فأبوا بكر قاتلهم وعامة الصحابة لم يكفروهم ، إذا القتال شيء في استحقات العقوبة ، والتأويل منع من التكفير ولم يمنع من العقوبة بما فيها القتال لمانعي الزكاة وإنما ألحقوا بالمرتدين لغلة الردة في ذلك الزمن أما الآن فلو تأول متأول ذلك بعد استقرار الأحكام وانتشار العلم بوجود الزكاة فلو قال إنسان الزكاة نظم قديمة تغني عنها النظم الحديثة في الضرائب وغيرها مثلاً ولا حاجة لنا بالزكاة ولا تجب الزكاة في هذا الزمان وإنما المقصود تنظيم رعاية اجتماعية للفقراء فنحن سوف نزعها بطريقتنا بدون الزكاة لكان كافراً ، نقول من الشروط العلم والبلوغ والعقل والقصد والتذكر والاختيار وعدم التأويل ،

من موانع التكفير الجهل الناشئ عن عدم البلاغ ، لماذا قلنا الناشئ عن دم البلاغ ؟ حتى لا يدخل فيه الجهل الناشئ عن الإعراض ، الجهل الذي هو جعل العقوبة الذي هو كجهل قوم فرعون حيث قال الله { ولكن أكثرهم لا يعلمون } وكقول الله عن المشركين { ولكن أكثرهم يجهلون } وقال ذلك { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون } فهذا العلم ناشئ عن ماذا ؟ أنه أعرض عن الحق فلم يبلغه ، إذا كان غير معرض ، إذا كان باحث لم يبلغه الحق فهذا إذا كان لم يبلغه الحق ونطق الشهادتين وقد أسلم فلا يكفر حتى يبلغه الدليل ،

قلنا الجهل الناشئ عن عدم البلاغ

والصغر دون البلوغ مانع من التكفير

والجنون مانع من التكفير ،

الخطأ الذي هو ضد القصد كما ذكرنا ،

النسيان

والإكراه

والتأويل ،

فهذه كلها من موانع التكفير فلا يصح التسرع في تكفير المعين حتى يستيقن قيام الحجة وانتفاء العذر وليس معنى ذلك في تكفير معين بالمرة ، ليس معنى ذلك أنه لا أحد يكفر أبداً ، لكن لا بد من الاحتياط بل يمكن أن يحكم على معين بالكفر والردة بعد ثبوت إتيانه للكفر الأكبر وقيام الحجة وانتفاء الشبهة كما بينا وقد يكون في الشروط وانتفاء الموانع اجتهد واختلاف بين أهل العلم ينبغي أن يكون من الخلاف السائغ ، يعني بمعنى أن بعض العلماء يقولون أن هذا الرجل أقيمت عليه الحجة والبعض يقول لا بل هذه الحجة ليست كافية ولا تعتبر حجة ، البعض قول هذه المسألة انتشر علمها في كل البلاد البعض يقول لا بل بلادنا لم ينتشر فيها هذا الأمر وبالتالي ليست الحجة قائمة ، الجهل فيها محتمل فمثل هذا التطبيق في الواقع الذي يسمى تحقيق المناط واختلاف في تحقيق المناط في أن مناط الحكم نحن مختلفين عليه لكن هل هو تحقق في الشخص الفلاني أو لم يتحقق ؟ متفقين على أن الزكاة تخرج للفقير طيب أحمد محمود علي هذا فقير أم ليس فقير واحد يقول هذا فقير وآخر يقول ليس فقير ، إذا هذا اختلاف في تحقيق المناط أما تنقيحه بمعنى معرفة المناط مثلاً الذي يطبق عليه أن هذا من أهل الزكاة أم لا ، أنه من مستحقين الزكاة الفقير هذا بنص الآية ولا يجوز الخلاف فيه ولذلك نقول اختلاف العلماء في مسائل استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ينبغي أن يكون من الخلاف السائغ وأم الحكم العام أي من جهة النوع فلا ينبغي الاختلاف فيه أبداً أي من جهة الحق بأدلته وإجماع أهل العلم ،

الذي أنكر الحجاب في زماننا الآن يكون كافر ، لكن بعد استيفاء بقية الشروط ويمكن يكون مجنون ،

نعم حدث خطأ في لساني أن الذي تأول شرب الخمر هو قدامة ابن مظعون جزاك الله خيراً وعثمان قد مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قدامة ابن مظعون جزاكم الله خيراً ،

نقول أما الحكم العام ، أي من جهة النوع فلا ينبغي الاختلاف فيه أبداً لوضوح الحق بأدلته واجتماع أهل العلم كما سبق بيانه من نقل الإمام ابن كثير رحمه الله ، فإذا فمن الذي يستطيع التعيين ؟ هم أهل العلم والقضاء الشرعي كأن يجلس أهل العلم مع شخص معين وينظروا في شروط التكفير وانطباقها وموانع التكفير وعدمها وهل قامت عليه الحجة أم لا ثم بعد ذلك يحكمون بكفره ويفتون ذلك أو بعدم كفره ، وكذا يحكم أهل القضاء بانفساخ نكاحه وعدم التوارث معه ووجوب قتله فأهل العلم والقضاء هم الذين يعينون الشخص بالتكفير أما عامة الناس فيتبعون أهل العلم في هذا الأمر

القسم الثاني من هذا الباب وهو الذي لا يخرج صحابه من الملة وهو الذي وصف ب بن عباس وغيره من التابعين حال حكام زمنهم ، الخوارج كانوا يقولون بتكفير حكام بني أمية ومن بعدهم فأبى ذلك الصحابة فمن بعدهم من التابعين فقاولوا كفر دون كفر ليس كمن كفر بالله ، هذه الصفة هي أن يحكم الحاكم تبعاً لشهوته أو هواه أو الرشوة أو غيرها في قضية أو قضايا ولو كثرت بغير ما أنزل الله يعني لا نقول له في قضايا واحدة يكون غير كافر ولو في قضايا كثيرة يكون كافراً ، أو البعض يقول في كل ما أنزل الله لا بد أن يترك الحكم بكل ما أنزل الله لا بل بإبليس نفسه لم يكن كذلك ، إبليس نفسه في بعض المسائل سيكون أقر بما بأن الله هو الذي خلق مثلاً لكن نحن نقول القضايا ليست بالكثرة ولا بالقلة بل بنوع المسألة نفسها ، يكون حكم بهواه أو بالرشوة أو بالشهوة بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق وأنه الحكم الوحيد الذي يجب أن يحكم به وأنه لا بد من تطبيقه ولا يلزم الناس بخلافه للتشريع العام

مثال ،

قاضي ملتزم بالشرعية وعنده أن الزاني يرحم إذا كان محصناً ويجلد إذا كان غير محصن ، والشرع أمر بذلك ، ثم جاء رجل فأعطاه رشوه لكي يغير الحكم في قضية زنا ثبتت فيزور مثلاً في الأوراق ويكتب أنه قد تبين لنا أن الشاهد الثالث مثلاً أو الأول أو الثاني غير عدل فيكون مجموع الشهود العدول في النهاية ثلاثة فقط لا أربعة تكون الشهادة بذلك غير مستوفية لنصائها فتثبت البراءة هذا حكم بغير ما أنزل الله لكن الأصل عنده إلزام الناس بالشرعية في التشريع العام وإن كان يخالف في التطبيق فهذا كفر دون كفر بخلاف شخص آخر يقول ثبت لدينا أن المجني عليها كانت مختارة حين زنت وتم الفعل باختيارها وأنها فوق الثامنة عشر وبالتالي فالمتهم والمتهمة بريتان لأن إنما المحرم من ذلك هو القانون عندهم هو الاغتصاب والمحرم الذي يستحق عقوبة هو الاغتصاب بالمتهم والمتهمة بريتان ولا توجد تهمة أصلاً لأن الفعل تم بالاختيار هذا هو الفرق والأخير كفر أكبر لأنه يلزم بخلاف الشرعية ويصحح ذلك أما الذي يعترف على نفسه بالخطأ والظلم ولا يلزم بمخالفة الشرعية فهذا كفر دون كفر ،

ما الواجب على كل مسلم الآن في ضوء وجود قوانين غير شرعية في القوانين الوضعية في كثير من بلاد المسلمين؟

الواجب على كل مسلم ومسلمة في أي نزاع أن يطلب من خصمه التحاكم إلى من يحكم بينهما بشرع الله من أهل العلم سواء كان في دولة تقيم الشرع أو في غيرها ، ممكن يقول له نذهب إلى القاضي الشرعي لأنه قاضي في مسألة شرعية وحاكم بشرع الله أو في مسألة نحن نعلم أن القضاء فيها في البلاد فيها محاكم شرعية ومحاكم وضعية مثل مصر قبل ١٩٥٢ أو ١٩٥٤ أو ١٩٥٤ أظن كان حتى ١٩٥٤ بعد الثورة كان هناك شرعية وهناك محاكم مدنية فكان في أن نطلب من الخصم أن نتحاكم شرعية ، فهذا كان ممكناً ، إذا لم يوجد نذهب إلى أحد من أهل العلم فلا بد أن نتحاكم إلى من يحكم بالشرع ولا يحل له أن يطلب التحاكم إلى المحكمة الوضعية التي تحكم بالقوانين التي وضعها الرجال لأرائهم ولكن لو أن خصمه رفض واضطر حتى يأخذ حقه أن يقف أمام هذه المحاكم الوضعية أو ليدفع الظلم عن نفسه كأن يقبض عليه وهو متهم ظمناً فهو مضطر لأحضار محام ليبين أنه مظلوم فهذا مضطر وهو في الحقيقة لا يتحاكم إليهم ولا يطلب منهم أن يحكموا بنظامهم ولكنه يسأل أولاً أهل العلم عن حقه الشرعي ويطلب من أولئك أن يعطوه حقه الشرعي ،

لوطلب من كفر فضلاً عن منتسب للإسلام ويقول له أعطيني حقي الشرعية أعطيني حقي هذا الذي أستحقه فهذا لا يكون متحاكماً إلى خلاف الشرع ، لا يجوز له قطعاً أن يطلب إلا حقه الشرعي وكذلك لا يجوز له قطعاً أن يطلب من هذه المحاكم أن يعطوه ما يعطيه القانون بخلاف الشرع بل لا يطلب إلا حقه الشرعي فقط الذي علمه من أهل العلم ، إذاً يسأل أهل العلم ولا يأخذ الزيادة ولا يجوز له الزيادة ، وهذا اضطرار والله حسبنا ونعم الوكيل ، إلى أن يأذن الله الفرج ،

تنبيه

في الدول التي تنص دساتيرها على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد أو الرئيسي للتشريع بحيث يعد ما خالفها باطلاً يستطيع الشخص المضطر إلى الوقوف إلى المحاكم أن يطعن في أي قانون يخالف الشريعة لكونه يخالف الشريعة الملزمة ومن حق القاضي كذلك أن يرفض الحكم بمخالفة الشريعة ويرفع الأمر للمحاكم الدستورية لإبطال هذه القوانين رفعاً للحرج عن المسلمين في وجود أمثال هذه المواد ، يعني الدستور ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد في بعض البلاد وبعضها ينص على أنها المصدر الرئيسي مثل بلادنا ، ولكن يفسرونه الآن على أنه المصدر الرئيسي بمعنى لا يجوز أن يخالف فإذا خالف المصدر الرئيسي أي مصدر آخر أبطل الرئيسي الفرعي ، إذاً يجب على القضاة ويجب على كل من استطاع أن يسعى في تفعيل هذه المادة وتنفيذها فعلياً بإلغاء المواد القانونية المخالفة لشرع الله لأنها إذا رفعت إلى المحاكم الدستورية يمكن أن تبطل هذه المواد أما ما يوافق الشريعة من القوانين فيجب موافقته لكونه من الحق الذي شرعه الله وطلب إقامته ليس تحكيمياً للطاغوت بمعنى أن واحد على سبيل المثال في مشكلة في مسألة من مسائل الميراث مثلاً وهناك منازعة بينه وبين خصمه فيقول سوف نتحاكم إلى المحكمة والمحكمة معروفة أنها تطبق الشرع في ذلك فحيث ذهب إلى هناك وطلب من القاضي حقه الشرعي لم يكن هذا تحكيمياً للطاغوت إذا هو أمر بإقامة شرع الله سبحانه وتعالى ، وهناك كثير من القوانين المعاصرة لا تخالف الشرع فالمطالبة بإقامتها وكذا الحكم بها لا يعد مخالفة للشرع ولا حكماً لغير ما أنزل الله لذلك نقول مهنة المحام أو حتى القاضي ومن كان على ذلك إذا استطاع أن لا يطلب ولا يحكم إلا بما يوافق الشرع فعمله جائز فهذا إذا كان يوافق شرع الله سبحانه وتعالى ، إذا كان لابد له أن يخالف الشرع فلا يحكم ولا يطالب بما يخالف الشرع فالحكم بها والمطالبة بإقامتها لا يعد مخالفة للشرع ولا حكماً لغير ما أنزل الله خصوصاً أنه لا سبيل للناس لأخذ حقوقهم إلا بذلك وكقوانين الموارث والزواج والطلاق بالجملة وكذا كثير من القوانين المدنية المتعلقة بالعقود والبيوع والإيجارات وما كان منها يخالف الشرع فيجب المطالبة بإبطاله ، يعني هذه المسألة من المسائل المهمة لأن بعض الجماعات التكفيرية أيضاً ، أنا لا أصفهم بالتكفير من باب السب ولكن هو وصف حالهم فعلاً ، وكل من ذهب حتى لأخذ ميراثه من أبيه إلى المحكمة وطلب أن الملك ينتقل في الأوراق حتى يستطيع التصرف فيها يجعلون ذلك كفراً ، واحد ذهب يسجل في الشهر العقاري عقد أيجار محدد المدة موافق للشريعة وعقد بيع يقولون هذا كفر ناقل عن الملة ، امرأة مثلاً إذاها زوجها وضربها حتى جرحها وشتتها واستحالت العشرة فرفعت طلباً للقاضي أن يطلقها للضرر يقولون كفر ناقل عن الملة وهذا كلام باطل قطعاً ، واحد طلب ما يوافق الشريعة كيف يقال أن هذا خروج عن الملة كيف يقال أن هذا تحكيم للطاغوت حتى وإن كان هناك من القضاة من يحكم بخلاف الشريعة لكن أنا ما طلبت إلا إقامة هذا النص القانوني الموافق للشرع وأنا ما طلبت إقامته إلا من أجل أنه موافق للشرع فمثل هذا لا يعد مخالفة للشرع ولا حكماً لغير ما أنزل الله وكثير من العقود لو واحد عمل عقد مع واحد فإذا اختصموا إلى المحاكم بالنسبة لهذا العقد لا تخالف الشرع في مثل هذا الأمر لا يكون ممنوعاً نقول إذا كان يخالف الشرع يكون المخرج هو أن يذهب إلى محكم يحكم بشرع الله سبحانه وتعالى ، هذا التحكيم هو المخرج الشرعي الوحيد في سائر الخصومات التي تقع بين المسلمين الذي يعيشون في ظل القوانين الوضعية وتحكيم المحيكم مسألة لها أصل في الشرع وفعل الصحابة رضي الله عنهم حتى في وجود الخلاف في القضاء الشرعي فقد تحاك كثير من الصحابة رضي الله عنهم إلى بعضهم وكانوا إذا اختصموا ذهبوا إلى واحد منهم ليحكم بينهم وهذا عند الشافعي وأحمد رحمهم الله حكم ملزم كحكم القاضي إذا ثبت رضا الطرفين به بالتحكيم ، هذا في وجود القضاء الشرعي كما بينه الجويني مسألة المحكم ، وهذا أمر احتجادي وعند أبي حنيفة يجوز أيضاً ولكن لا يلزم حكمه إذا خالف حكم قاضي البلاد ولا ينفذ من حكمه إلا ما وافق حكم قاضي البلد ، وعند الجمهور يلزم هذا الحكم وينفذ ولو خالف مذهب قاضي البلد ولا ينقض منه إلا من ينقض من حكم قاضي البلد المعين من قبل الإمام وهو ما يخالف نصاً من كتاب أو سنة أو إجماعاً أو قياس جلي ، يعني القاضي متى ينقد حكمه ؟ إذا خالف نصاً من كتاب أو سنة أو إجماعاً أو خالف قياساً جلياً ، فإن حكم القاضي المعين الذي عينه الخليفة ينقض إذا خالف البيئات أي النص والأجماع والقياس الجلي ، كذلك حكم الحاكم سواء كان معينا أو محكماً إذا خالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً ، وجب نقض الحكم ، أما ما كان من مسائل الاجتهادية ليس فيها نص ولا إجماع ولا قياس جلي فإن حكم القاضي لا ينقض من قبل من هو أعلى منه مثلاً فالخليفة مثلاً لا يستطيع أن ينقض حكم القاضي إذا لم يخالف البيئات مع أنه خليفة ، إذاً هذا المحكم ينقض من حكمه مثل ما ينقض من حكم قاض البلد وينفذ من أحكامه كل ما ينفذ من أحكام القاضي وبعض أهل العلم يخرج ويقص من ذلك الحدود الشرعية والحقيقة أن لزوم الحكم الشرعي إنما يرتبط بالقدرة والمصلحة ، لزوم التطبيق يعني ، يعني الحكم نفسه لابد أن يحكم به لكن من الذي يطبقه ، تطبيقه هذا مرتبط بالقدرة والعجز إذا كان الإنسان عاجز وكذا مرتبط بالمصلحة والمفسدة كما يقول أنه ما أمكن إقامة الحدود من أمير لم يحتاج إلى اثنين وإذا لم تقم إلا بعدد وعدة ومن غير سلطان أقيمت ما لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعته ، فإن وجد فساد يزيد على إضاعته لم يدفع فساد بأفسد منه ،

فإقامة الحكم الشرعي أمر وتنفيذه أمر آخر ، فالواجب على الناس إذا أمكنهم إقامة الشرع بمن هو أهل له أن يقيموه فإذا تعذر أن يقيموه فإذا تعذر ذلك ولم يقدرُوا إلا على أن يقام الشرع بغير أهله فهو أفضل من عدم إقامته بالكلية ، يعني لو نلجأ إلى واحد ظالم لكن يقيم الشرع في هذه المسألة لجأنا إليه ، لذا نقول وقد قال الإمام الجويني " أنه إذا كان التحكيم اجتهادياً في زمن وجود الإمام والقضاء الشرعي والحكم الشرعي فعند غياب الإمام يصبح أمراً قطعياً أي عند غياب النظام الإسلامي الشرعي يصبح وجوب التحكيم هو المخرج الواجب الوحيد الذي ليس للمسلمين سواه في إقامة الشرع فيما بينهم إذا لايسوغ لهم تأخير تطبيق ما يقدرُون عليه من أحكام الشرعية ، ومطالبة الغير بأن يحكم بشرع الله ، فواجب أن يطالب دائماً بإقامة الشرع حتى ولو كان الأصل عند هذا الغير خلاف ذلك وهذا لا ينطبق عليه أبداً وصف الكفر أو الرضا بالطاغوت أو التحاكم بالطاغوت ،



ذهبت إلى إنسان وطلبت منه أن يلتزم بالشرع كيف يقال أنا رضيت بالطاغوت لمجرد أني ذهبت إلى المحكمة ومجرد أن ذهبت إلى هيئة حكومية أو شهر عقاري أو التزمت بأحكام قوانين لا تخالف الشريعة فكيف يقال أن هذا رضا بالطاغوت ، مجرد استخراج بطاقة يكون رضا بالطاغوت ، هذا كلام باطل ليس بصحيح ،

لذا نقول إن من ذهب إلى المحاكم الوضعية مضطراً وطلبهم بإقامة الشرع وطلبهم بتنفيذ حكم الله الذي علمه من خلال أهل العلم فهذا لا يقال عنه قد رضي بالحكم بغير ما أنزل الله ولكن لا يجوز له أن يستفيد مما قد يبيحه له الأنظمة الوضعية من نصيب أكثر من حقه الشرعي فلا يستغل ذلك ولا يطالب به ،

مثال :

لو أن إنسان اقترض من الآخر مبلغاً من المال وكتب له صكاً أو وصل أمانة مثلاً بضمان سداد الحق في موعده فهنا أمران ، القوانين الوضعية تجعل كل من يتأخر عن السداد معسراً كان أو غير معسر مستحقاً للعقاب والسجن حتى ولو أقام ألف بينه على أنه معسر ، يقولون له أنت مضيت شيك إذاً هذا الشيك سيدخلك السجن إذا كنت عاجز عن السداد ، حتى لو أقام ألف بينه على أنه معسر وليس عنده مال مادام أنه قد وقع صكاً ولم يسدد فيجب حبسه وكلما تأخر عن السداد يجب أن يدفع فوائد نظير التأخير فجزء من هذا الأمر باطل وهو معاقبة المعسر الذي لا يقدر على السداد ، أما الغني القادر فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لي الواجب يحل عرضه وعقوبته) وقال (مطل الغني ظلم ومن اتبع على برئ فليتبّع) أحاديث صحيحة ، فمماثلة الغني والواجد للسداد الذي يستطيع أن يسدد الدين في موعده ظلم منه للدائن صاحب الدين يحل عرضه وعقوبته فلو أن إنساناً طالب شخصاً أن يسدد في موعده وهو يعلم أنه غير معسر وطلب منه الدائن أن يذهب إلى أحد أهل العلم الشرعي يحكم بينهم بحكم الشرع ويلتزم بحكمه فأبى المدين فيضطر الدائن لأن يأخذ حقه أن يأخذ دعوى مدنية أمام المحاكم الوضعية ، وإذا كان يعلم أنه غير معسر أو لم يكن يعلم أنه غير معسر جاز له أن يطالب بعقوبة هذا المدين الذي امتنع عن سداد الحق ويطالب بسجنه إما أن يعطيني حقي أما أن يسجن ، أما لو أن يعلم أن المدين معسر وبعض الناس موقناً بأن المدين الفلاني معسر ويقول أنا أعرف أنه ليس معه ولكن أنا أريد أن أشتكيه ، ولما تشكيتيه وهو معسر ولم يكن معه مال يسدد فحرام تشكيتيه ، يجوز تشكيتيه لما يكون معه ، فالجزء هذا موافق للشرع والجزء هذا مخالف للشرع ، أنت ماذا تأخذ؟ لو أنت طالبت بما يوافق الشريعة لم يكن عليك إثم ولا تكون رضيت بالطاغوت ولا تحاكت إلى غير شرع الله ، فبعض الناس يكون موقناً بأن المدين الفلاني معسر ولكن يريد أن يحاكمه فلا يجوز له ذلك وإذا طلب بغير حقه كأن يطالب بالفوائد فهذا أمر لا يجوز ، في جزء آخر أنه يطالب معه بالفائدة ويمكن الذي يطالب يطلب أصل المبلغ فقط ولا يطلب الفوائد ولا يرغم القاضي على أن يحكم بخلاف الشريعة ، يعني لو الذي رفع القضية طالب من المحامي الخاص به وطلب أنه يكتب فيها أن يضع الفوائد فالقاضي سيحكم له بالفوائد ، إذا لم يطالب فلم يحكم له القاضي بما ، فهو المطالبة بالربا لا تجوز ، إذا طالب بغير حقه كأن يطالب بالفوائد هذا أمر لا يجوز لكن يمكنه أن يطلب بما يزيل ضرره كأن يكون قد اضطر إلى دفع نفقات ليستطيع أن يصل إلى حقه فالآخر الذي أحق به لا بد أن يزيل الضرر أما إذا كان غير مماطل بل هو معسر فما أنفق المطالب من نفقات لا يحل له أن يطالب بما بعد أن تبين له أن المدين معسر ، يقول له ادفع في مصاريف المحامي يقول انت تعرف أني معسر ، إذا انت الذي تدفع للمحامي المصاريف وتدفعها لأن الله تعالى قال { وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة } لا يجوز أن يطالب بزيادة هذا المال وإنما هو الذي أنفق ماله بالباطل بخلاف ما إذا كان المدين ماطلاً كما ذكرنا فحق للدائن أن يطالب بإزالة الضرر الذي أوقعه المدين نتيجة هذه المماثلة والله أعلى وأعلم ، وهذا عند الاضطراب كما ذكرنا ، وهكذا كل برئ يجوز أن يدافع عن نفسه ليثبت برأته ويجوز أن يقف أمام هذه المحاكم الوضعية التي تحكم بغير الشرع لإثبات البراءة وأنه مظلوم لم يسرق ولم يقتل ولم يأخذ أموال الناس بالباطل مثل هذه المرافعات وإثبات الحقوق مما لا يكون رضاً بحكم الطاغوت ، فليس الأمر كما يظنه بعض الناس وهو أن كل من يذهب لتلك المحاكم حتى عند المطالبة بحكم شرعه كالموارث والطلاق المأذون فيه شرعاً أو النفقات أو نحو هذا تحاكم إلى الطاغوت بل ينظر إلى ما يوافق الشرع من ذلك ويطالب حتى ولو كنا نعلم أنهم يخالفون الشرع في غير هذه الأمور لا تجوز المطالبة إلا بما يوافق الشرع ، فإذا كان الأمر كذلك قلنا إن من طالب بما يوافق الشرع سواء أطلب عن نفسه أو بوكالة المحامي فإن هذا ليس مخالفاً للحكم بما أنزل الله أما من يطالب بحكم يخالف حكم الشرع فهذا أمر باطل ، أما بالنسبة لمن يحكم فلا شك أن كل من يحكم بحكم يخالف حكم الشرع وكذلك من يطالب بحكم يخالف حكم الشرع هذا أمر باطل والتكفير مبني على توافر الشروط وانتفاء الموانع وعلى نوع الحكم الذي يحكم به حسب درجة المخالفة كما بينا في حكم الكفر الأكبر والأصغر

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### ٤٨- تابع ... الفرق بين كفر النوع وكفر العين

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد ،،

كنا نضرب مثلاً على ما يجوز له في ظل القوانين الوضعية أو المحاكم الوضعية ، إذا وقف أمامها مضطراً فذكرنا أنه يلزمه أن يأخذ ما يوفق الشرع ويترك ما يخالفه ، فذكرنا أن القوانين الوضعية مثلاً تجعل كل من يتأخر عن السداد معسر أو غير معسر مستحقاً للعقاب ، هذا لا يجوز أن يطالب به المعسر ، لا يجوز أن يرفع قضية مثلاً في أمر شيك أو نحو

ذلك أو وصل أمانة وهو يعلم شرعاً انه معسر ، إذا أقام البينة على ذلك ، إذا كان لم يعلم إعساره أو لم يقم البينة فله أن يطالب بعقوبته حتى يثبت إعساره ، وكذلك لا يجوز له أن يطالب بالفوائد ، فالقانون الوضعي يعطيه حق المطالبة بالفوائد ولا يلزمه بذلك فلا يجوز أن يطلب الفائدة ، كما ذكرنا أنه إذا كان هو الذي تسبب في التأخير بالمطالبة لزمه أن يزيل الضرر عن صاحب الحق لأنه ألجأه إلى هذه المحاكم والمصاريف المترتبة عليها بمماطلته ، فهذا يعاقب بأن يزيل الضرر بالإضافة إلى العقوبات الأخرى ، والله أعلى وأعلم .

المال المأخوذ : نقول أن المال المأخوذ بناءً على الحكم المخالف للشرع مال محرم لا يجوز لأحد أن تناوله ولا أن يتعامل معه به لأنه أخذه بناءً على الحكم بغير ما أنزل الله .

المال المأخوذ بناءً على الحكم الذي يخالف شرع الله سبحانه وتعالى يكون هذا المال محرم على صاحبه .

أما ما يكون من نظم إدارية ولو كانت مما وضعه الناس يراد به ضبط العمل ويراد به إتقان الأمور على الوجه الأكمل . وهذا كلام الشيخ الشنقيطي الذي سبق ذكره . كنظم العمال وقوانين الأعمال فلا شك أن أكثرها لا يخالف الشرع ، لأن مبناه على العقود ، مبناه على أن هناك عقد في قوانين محددة وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ فإذا تعاقد اثنان على أن يلتزما بقوانين العمل المعمول بها وأن يفيا بالتعاقدات فمخالفة نظم العمل في هذه الحال لا تجوز شرعاً ، وبالتالي ففصل الخصومات وبيان من خالف ومن لم يخالف وهو ما يسمونه بالقضاء الإداري إذا لم يكن مخالفاً لتفاصيل معينة في الشرع ، لأن بعض الأحكام الإدارية قد تكون مخالفة للشرع لكن الجملة فيها وجوب الوفاء بالعقود ، فالعمل بالقضاء الإداري ونحو ذلك الأصل فيه الجواز إلا أن تكون هناك مخالفة صريحة لنصوص الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وهذا أمر ينبغي على المحكم الذي ذكرنا أنه المخرج الوحيد للمسلمين في مقام مخالفة النظم المعمول بها في الشرع أن يسعى إليه وهو الصلح ، فالصلح ينبغي أن يعرضه المحكم وربما وسع الخصمين الصلح قبل أن يكون هناك حكم وإلزام .

بالنسبة للقضاء الإداري أو القانون الإداري أو النظم الإدارية هناك جزء آخر غير قضية نظم العمال والأعمال ونحو ذلك غير الجزء المرتبط بالعقود ، وهو الجزء المرتبط بمصالح المسلمين ، كقوانين المرور مثلاً الالتزام بقوانين المرور . ونحو هذا من القواعد التي فيها مصالح عامة للمسلمين . فالالتزام بها مشروع بكونها مصالح للمسلمين ، فإذا تيقنت المصلحة أو تيقنت المفسدة وجب العمل بمقتضى ذلك . والله أعلى وأعلم .

مجالس التحكيم العرفية :

إذا كانت مجالس التحكيم العرفية إذا كانت مجالس صلح ليس فيها صلح يحل حراماً أو يحرم حلالاً بين المسلمين فالصلح جائز ، والصلح مبناه على تراض الطرفين بالحكم ، وليس فقط بمالحكم أو المصلح ، فهناك فرق بين الصلح وبين الحكم

الحكم لابد أن يستوفي حق صاحب الحق

أما الصلح فيجوز أن يعرضه على سبيل التراضي بين الطرفين .

الحكم الملزم لابد أن يستوفي الحق أما الصلح أوسع . باب الصلح أوسع . وهذا أوسع الأبواب للناس في وقتنا هذا وهو أن يوجد من يبين حكم الشرع ويسعى للإصلاح بين الناس بالتراضي .

أما المشكلة في المجالس العرفية فالغالب فيها الإلزام بما يخالف الشرع إذا كان من جهال أو إذا كان من عالمين بمخالفة أحكام الشريعة .

طالب : لو أن هناك مرضيين يقولون مثلاً على فلان أن يدفع كذا مقابل كذا

الشيخ : هؤلاء المرضيين إذا ألزموا في دفع مبالغ معينة فيما لا يجوز كان هذا باطلاً محرماً لا يجوز أن يحكم به .

بمعنى على سبيل المثال لو أن رجل زنى بامرأة فيأتون إلى المرضيين فيقولون الزاني يدفع لزوج المرأة مبلغ كذا . والعياذ بالله ، أو يدفع له مهر امرأة أخرى .

فمثل هذا حكم بخلاف الشريعة بلا شك . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( الغنم والجارية رد عليك ) ليس عليك هناك عقوبة مالية في الزنا .

لكن يمكن أن يكون في جريمة قتل مثلاً أو جراح فيأتي المرضي أو المحكم ويقترح صلحاً ما هو دون الدية فإذا ألزموه وقالوا لا نرضى لزم أن يحكم بمقتضى الشرع ، إذا أرضاهم على ما دون الدية أو إذا ما كان في قتل عمد فاصطلحوا على ما هو أكثر من الدية ، فالصحيح أن ذلك لا بأس به طالما أن الأمر حق مالي يمكن أن يقع تراضي بشرط رضا الطرفين

بالصلح الذي اصطلاحوا عليه وليس فقط بأنهم ارتضوه أن يحكم هو شخصياً ، فيمكن أن يرتضوه لكن عند حكمه لا يرتضوه ، لابد أن يظل أمر الصلح إلى أن يتم إلى نهايته ، أمر التحكيم يفترق عن أمر الصلح في الإلزام ، لا يكون هناك إلزام إلا بعد أن يسمع الطرفان .

حكم الشرع فيه إلزام ، إذا كان هذا المحكم يحكم بمقتضى الشريعة لابد أن يلتزم ولا يجوز مخالفته وتصح عقوبة الآخر .

التحكيم ملزم للطرفين كما ذكرنا إذا كان المحكم قد حكم ، ولهذا يجب أن يكون فيه استيعاب الحق لصاحبه أما الصلح فيجوز فيه التنازل لأنه برضى الطرفين ، فرضا الطرفين بما كون من المصلح شرط في نفاذه بعد علمهما به .

فالحكم والصلح مختلفان :

الحكم : يكفي فيه أن يرضى كل طرف بفلان حكماً أو محكماً ، فإذا حكم هذا المحكم لزم المحكم ووجب نفاذه

الصلح : يجب أن يرضيا بالحكم بعد علمهما به . وهو ليس في الحقيقة حكماً بل هو عرض للصلح ، فإن أبي أحدهما لم يلزم بأن يتنازل عن حقه ، فيعرض المحكم على الطرفين الصلح ، فيقول لأحدهما أنت تنازل عن شيء من حقتك ويقول للآخر أنت أيضاً تنازل عن شيء من حقتك ونصطليح على كذا ، فهذا أمر جائز بين المسلمين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( كل صلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً )

كما ذكرنا أن الصلح مبني على التراضي ومبني على التوسعة ، فلو كل منها أخذ شيء من حقه دون الحق كله فلا بأس أو أحد الطرفين ترك شيئاً من حقه من غير إلزام فلا بأس ، فمحال التحكيم العرفية التي تقع بين الناس إن كانت تعرض الصلح على الطرفين ولا تلزمهم بما يقوله الجالسون فيها فنعم ، بشرط ألا تكون مخالفة للشرع أيضاً . إن هناك أموراً لا يصح فيها الصلح ، فلو أن إنساناً اصطليح على عرضه بمال فيقال المال حرام عليك ، كأن يزني إنسان امرأة آخر فعرض عليه مالا للصلح فهذا لا يجوز باتفاق أهل العلم ، أما ما كان يجوز فيه التصالح على مال كالجروح والديات فأعضاء الإنسان مقدرة بديات معينة في الشرع ، فلو اصطليح على الأقل أو الأكثر فهذا لا بأس به ، فلا بد أن يكون وفق ما في الشرع ، لذلك لا يجوز أن يكون التحكيم في المجالس العرفية لأهل الجهل فإن هذا من الحكم بغير ما أنزل الله ، مثل تولية القاضي الذي لا يدري ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار : فالذي في الجنة الذي علم الحق وقضى به ، وقاضيان في النار الذي علم الحق ولم يقضى به والذي لم يعلم الحق فهو في النار سواء وافقه أم أخطأه لأنه إن وافقه فهو لم يقصد إليه وإنما قضى بجهل واتبع هوى ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار : فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ) صححه الألباني .

فالإلزام للناس بحكم هؤلاء الجهال الذين لا يعرفون ما يوافق الشرع ولا ما لا يوافقه ولا يعرفون الإلزام من الصلح أمر خطير ، لا يجوز أن يترك الفصل بين الناس هؤلاء الجهال ، بل هذا من تضييع الأمانة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ) فإذا ضيعت الأمانة فمضى هذا خراب الدنيا ، فهذا مما يتعلق بكثير من الأمور المتعلقة بقضية الحكم بغير ما أنزل الله .

فضية الحكم بغير ما أنزل الله ليست مختصرة على دائرة معينة بل هي في كل ما يقع من نزاع في حياة الناس ، يعني قضية الحكم ليست متعلقة بالحاكم والقاضي ووكيل النيابة فقط ، بل هي قضية عامة في كل نزاع بين الناس وفي كل أمور حياتهم يجب أن يطبق شرع الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ قد يظن كثير من الناس أن قضية الحكم بما أنزل الله مقتصرة على الحكام ولكن المسألة أوسع من ذلك ، فرما يقع كثير من الناس في مظاهر الشرك التي ذكرنا وهو ليس بحاكم في وظيفة في القضاء أو النيابة أو غير ذلك ، بل يمكن أن يقع ذلك في نفسه ، فمن رأى مثلاً أن أحاكم الشرع لا تصلح أو أنه عند الحكم يسوغ الحكم بخلافها ويرى أن ذلك لا بأس به أو أنه يصحح أن يلزم الناس بخلاف شرع الله في التشريع العام ، فهذا كله من ضمن مظاهر الشرك ولو لم يكن الإنسان حاكماً . هناك طوائف من العلمانيين ومن يجري مجراهم ليسوا بحكام ولكنهم ينشرون مثل هذا الكفر بالليل والنهار والعياذ بالله ، يقولون أن الشريعة لا تصلح لهذا الزمان وأن الشريعة لو طبقت فإنه سوف يؤدي إلى فساد الدين والدنيا والعياذ بالله ، وهم ليسوا بحكام ولا بقضاة ولا وكلاء نيابة ولا رؤساء نيابة ومع ذلك يقولون أنواع من الكفر والعياذ بالله . بعض الناس يعتقد أن الشريعة لا تطبق لأجل وجود كفار في مجتمعنا . نصارى أو يهود أو غير ذلك . فيقول أن الشريعة كانت الأولى عندما كان المجتمع مسلم فقط أما الآن فيوجد كفر فلا يصح أن نطبق الشرع والعياذ بالله ، كلمة . مينفعش نطبق الشرع . هذه كلمة كفرية والعياذ بالله ، وكأن هذا الشرع أتى للمسلمين فقط ، بل جاء الشرع ليطبق على كل خلق الله سبحانه وتعالى ، فهو يضمن حقوق الكفار أيضاً ، فلا يضيع حقوقهم لأنهم كفار ، بل حقوقهم ثابتة وهي التي أثبتها لهم الشرع وليس معنى أنهم كفار أنهم ضائعي الحقوق أو منتهك الحقوق ، لكن الحقوق التي ضمنها الشرع ، فكما نقول أن كل حاكم حكم بين اثنين فهو حاكم حتى لو حكم على نفسه فهو حكم عليها يأمرها وينهاها ، فلو رأى أنه يسوغ لنفسه أن يخرج عن شرع الله وأنه لا بأس بمخالفة أمر الله لكان هذا الاعتقاد كفر والعياذ بالله .

شبهة الرد عليها :

هناك شبهة يرددها بعض الناس وهي : أن عمر بن الخطاب لم يقطع يد السارق في عام الرمادة ، وأنه سأل عمر بن العاص وكان والياً على مصر : ماذا تفعل إذا أتاك الناس بسارق أو ناهب ؟ قال عمر : أقطع يده ، قال عمر وإذا أتاني الناس بجائع أو عارم لقطع عمر يدك .

بالطبع هي آثار ضعيفة .

أما قصة عدم قطع عمر ليد السارق عام الرمادة فهي صحيحة لأن عمر لم يقطع غلمان حاطب ابن أبي بلتعة الذين سرقوا لجوعهم .

مثل هذه الشبهات التي يطرحها بعض الناس حول إقامة الشريعة وهي أن عمر لم يقطع يد السارق في عام الرمادة ويحتجون بها على أنه يجوز للحاكم أن يعطل الشريعة ، وهذا اعتقاد مستقلاً يكون اعتقاد كفري والعياذ بالله ، لأنه يجوز ، وهو يتناول فعل عمر ، لكن الحقيقة أنه يعطي الحاكم أو غيره تسويغاً وجوازاً وأنه يحل له ، هذا هي الصورة التي لم يختلف فيها حتى مع من يخالفنا وهي سورة الاستحلال لأنه يقول يجوز تعطل الشريعة أو يجوز تعطل الحدود كلها لأن عمر أوقفها . هذا كلام باطل .

وجوابه : أن عمر رضي الله عنه لم يعطل أبداً إقامة الحدود وليس له ذلك ولا لغيره ، وهذا في الحقيقة اتهام فظيع لعمر ، فانخفاض مستوى المعيشة لا يبيح للناس أن يسرقوا ، كما يقول بعض الناس . ماذا يفعل الناس إذن . وكأنه يبيح لهم السرقة ، أيباح للناس السرقة لضيق المعيشة ؟! ، هذا حرام بلا شك ، لكن إذا كان جائعاً ربما منع ذلك من إقامة الحد عليه لأنه من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، لكن ليس ذلك مبيحاً للسرقة ، والصحابة في الحقيقة لم يسمحوا لأحد أن يسرق بل كانوا يعاقبون السارق ، لكن المسألة أن عمر كان يستوفي شروط إقامة الحد فإذا فقد أحد الشروط لم يقيم الحد ، وعمر رضي الله عنه لم يقل أن هذا العام لا تقام الحدود فيه ، لكن القصة التي وقعت هي أن غلمان حاطب ابن أبي بلتعة . أي مواليه . كان أصابهم الجوع فسرقوا ناقة وأكلوها لأجل الجوع ، ومثل هذا الجائع إذا أخذ المال قهراً ليأكل فضلاً عن أن يسرق فإنه إنما يفعل ذلك لضرورة وإنما يلزم بقيمة هذا المسروق ولا تقطع يده في تلك الحال لأنه مضطر والضرورات تبيح المحظورات ، وهذا على أحد القولين لأهل العلم .

هناك خطأ مطبعي في ص ١٨٦ ، فبعد سطرين كلمة . على أحد القولين لأهل العلم . هذه موضعها بعد . لأنه مضطر . وليس بعد كلمة تعطل الحدود لأنه هذا خطأ سيء جداً .

نحن نقول أن القولين :

أن الذي سرق لأنه جوعان أو أخذ المال قهراً لأنه جائع ، بمعنى أن يكون هناك من هو جائع فخطف بالقوة مال غيره ليأكل ، هل هذا يضمن إذا تيسر معه ؟ أم أنه جائز له أن يأكله دون أن يضمن ؟

على أحد القولين يضمن ، الذي سرق ليأكل يضمن قيمة الشيء المسروق ، وبعض العلماء يقول أنه مضطر فلا يضمن لأنه كان يجب على من عنده فضل أن يطعمه هذا المال أو هذا الطعام بدون مقابل ، والصحيح وهو عند الأكثر أنه يلزمه أن يطعمه إياه بالقيمة .

فوقه واقعة عين معينة لم تتحقق فيها شروط إقامة الحد ، ليست دليلاً على حق الحاكم في تعطل الحدود كأن يكون إنسان قد سرق ثم تبين أن الشيء المذكور دون النصاب وهذه أحد شروط النصاب أو تبين أنه سرق مالا له فيه شبهة في ملكة مثل السرقة من المال العام . فهذه شبهة تمنع إقامة الحد . أو خلاف بينه وبين صاحب هذا المال كأن يكون عنده شبهة ، أو مال أب أو ابن أو أخذ من مال أبيه ويقول أن أبي لا يعطيني ، أو مال الزوج ، فالزوجة تأولت ، مع أنه لا يكون لها حق ، وتستحق العقوبة لكن هذا يمنع من إقامة الحد . هذه شروط لابد أن تستوفي ، هذه أحكام الشريعة ، لا نكون بهذا قد عطلنا الشرع ، بل لابد من استيفاء الشروط ، وتبليس عظيم أن نقول أن عمر عطل حكم الشرع بل أن الواقعة التي عرضت على عمر لم تستوفي فيها الشروط كما لو أن إنسان سرق وتبين أنه دون البلوغ فهذا لا يقام عليه الحد ، وكذا في سائر الأحكام هناك شروط معينة في كل حد من الحدود المذكورة بالتفصيل في كتب الفقه .

نقول أن قول من يقول يجوز لنا عند الظروف وشدة الأحوال وتغير الأمور أن نعطل الحدود قول باطل بإسماع المسلمين ، بل هذه شبهة يدخلها الشيطان على الناس ليستحلوا مخالفة الشريعة .

هم يقولون يحل لنا أن نخالف الشريعة والعياذ بالله .

هذا يريد الشيطان أن يوقعه في الكفر ، فظن الناس أن عمر رضي الله عنه أو من دون عمر له أن يعطل أحكام الشريعة فهو من أسوأ الظن بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أنه يقود الناس إلى القول بجواز شرع الله ، وهؤلاء إذا تركوا الحدود أقاموا غيرها ، بل بعض العقوبات التي يقيمونها ربما أشد من العقوبات التي شرعها الله عز وجل كالقصاص مثلاً في القتل ، فالقصاص في الشرع مردود إلى أولياء المقتول إن شاءوا قتلوا وإن شاءوا عفو وإن شاءوا أخذوا الدية ، هذا ليس موجوداً في القوانين الوضعية بل عندهم في القوانين الغربية عموماً والفرنسية خصوصاً أن القتل من حقوق المجتمع ليس من حق أولياء المقتول أن ينتازلوا أو يعفوا أو يأخذوا مالا بل يجب معاقبة القاتل في كل الأحوال ، وهذا خلاف

الحكم الشرعي وهو أن القتل العمد المستوجب للقصاص حق شخصي في أولياء المقتول وورثة المقتول ، وبالتالي لا يجوز قتل القاتل إذا عفا أولياء المقتول أو قبلوا الدية ، فهم لا يقومون الحد لا لعدم استيفاء الشروط بل كان هذا بسبب مخالفة القوانين للشرع الذي أمر الله عز وجل به .

فهو تلييس على الناس وخصوصاً في مثل هذه الأوقات كثير من الناس يعرض في القنوات الفضائية مثل هذه الشبهات ، فمازال البعض عن قريب مازال يطرحها ويقول صراحة أن من حق الحاكم أن يعطل الشريعة والعباد بالله ، فهذا من أبطل الباطل .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

## 7-الولاء والبراء

### ٤٩ - باب الولاء والبراء

% من أهم معاني التوحيد المتعلقة بتوحيد الإلهية باب الولاء والبراء ، هذا الباب باب عظيم من أعظم أبواب التوحيد والإيمان بل لا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بتحقيقه ، قال الله ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) المائدة ٥٥ إنما أسلوب قصر أي ليس لكم ولي إلا الله والرسول والذين آمنوا هؤلاء هم حزب الله ، ما هي صفاتهم هم الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ، هذه الآيات من أولها قوله سبحانه وتعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) المائدة ٥١ .

% كما ذكرنا هذه العقيدة من أعظم أركان التوحيد وأوثق عرى الإيمان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ) رواه بن أبي شيبه وصححه الألباني وهي في حقيقتها تفسير لكلمة التوحيد كما قال عز وجل ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) الزخرف ٢٦ جعل الله كلمة لا إله إلا الله في نسل إبراهيم لا يزال في ذريته من يقولها فجعل الله هذه البراءة من الشرك وأهله ، وهذه الموالاة لله عز وجل هي كلمة التوحيد - لا إله إلا الله - إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى هي كلمة لا إله إلا الله إذا كلمة لا إله إلا الله تتضمن البراء الواجب والولاء الواجب .

% ونهى الله عن الموالاة المحرمة بقوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ) المائدة وهذه عامة في من حارب وفي من لم يحارب وذلك أن معاني الولاء معنى الحب والنصرة والطاعة والتابعة وغيرها من لوازم هذه المعاني لا تصح لكافر ولو كان معاهداً وهذه الآيات نزلت على رسول الله وهو بعد في المدينة ولم يحارب كل الكفار ، وإنما كان هناك عهود ومواثيق ومع ذلك نزلت الآية بعمومها وقد ذكر سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة أن نهاية هذه البغضاء والعدواة بشيء واحد وهو أن يؤمنوا بالله وحده وهو كما قال ( ي ) فَذَكَاتَ لَكُمْ أَسنوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخُدْهُ ) الممتحنة ٤ هذه الآيات صريحة وواضحة في أن البراءة من الشرك وأهله وهو البراء الواجب لا يزول حتى يؤمنوا بالله وحده .

% بعض الناس من المنافقين والمبتدعة يحاولون قصر هذه الآيات على المحاربين ، وأما المعاهدين فلا بأس من موالتهم عندهم وهذا قول باطل لا يشك في بطلانه عالم ، ولا يستريب في بطلانه مسلم يفهم آيات القرآن العظيم ، لأن الله حرم موالاة اليهود والنصارى والمشركين على إطلاقها .

% وجعل سبحانه وتعالى من علامات النفاق المسارعة في إرضائهم والبحث في مصلحتهم قال ( Y ) وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ) المائدة إذا الذي يسارع في مودة الكفار ومصلحتهم والحرص عليهم هو عنده مرض والعباد بالله .

%وقوله ( Y وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ) دليل على أنه إذا والى الموالاة المطلقة فهو منهم خارج عن ملة الإسلام ، لأن الموالاة المطلقة الكاملة تقتضي الرضا بما هم عليه وجبهم رغم كفرهم والعياذ بالله ، وهذا ناقض لشهادة التوحيد لأن من يصحح ويرضا بملل الكفار ويراها جائزة لا بأس بها قد نقض شهادة التوحيد ونقض شهادة أن محمد رسول الله ومن يعلم أنهم كما قال الله ( Y وَقَالَتِ الْنَصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ) التوبة ٣٠ ومع ذلك يصحح ملتهم ، يعلم أنهم يشركون بالله ، ويقولون إن الله ثالث ثلاثة ، ويعلم أنهم يقولون إن الله هو المسيح ابن مريم ، ومع ذلك يصحح ملتهم ، ويرى أنها أحد البدائل المطروحة لدين الإسلام ، بمعنى أنه يمكن أن يكون مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً ويكون عند الله ناجياً مقبولاً ويدخل الجنة إن عمل بما كانت عليه الشريعة أو حتى إن لم يعمل ، فهذا والعياذ بالله نقض لشهادة التوحيد صراحة ، لأنه حين يقول لا إله إلا الله يثبت أن كل معبود غير الله باطل ينفي الإلهية عن غير الله ويثبت الإلهية لله وحده فإذا أثبت صحة عبادة غير الله فقد نقض شهادة التوحيد .

%وكذلك إذا كان يعلم والكل يعلم أنهم يكذبون القرآن ، ويكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأين شهادته أن محمداً رسول الله وهو يصحح ملتهم ، وهو يجوز ويرضى أن يكونوا على كفرهم وتكذيبهم للنبي ، وهذا العلم لا إله إلا الله محمد رسول الله كاف في إقامة الحجة به لا يتصور إلا في من يظن أنهم لا يكذبون محمد إنما يقولون أنه نبي للعرب فقط ، هذا الذي يُتصور في هؤلاء ، وأنه يمكن أن يحتاج إلى إقامة الحجة من عموم بعثة النبي ﷺ ونحو ذلك ، أما من يعلم أنهم يكذبون رسول الله ﷺ ويصحح هذه الملة ، فهو لم يشهد أن محمد رسول الله ، لأنه يقول أنا أرحح ذلك وأصحح من يكذب ، وهو عن نفسه يشهد له بالرسالة ويصحح ملة من يكذبوه ، فأقل أحواله أنه يشك له قولان في المسألة في أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يصحح هذه ويصحح ضدها فهذا أقل أحواله الشك وهذا كفر باتفاق المسلمين .

( % وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ) المائدة دليل على أن الموالاة المطلقة داخلية في الكفر والعياذ بالله.

( % فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) المائدة كعبد الله ابن أبي ابن سلول الذي شفع في بني قينقاع من أجل أن يطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد غدرهم ونقدتهم للعهد ، من أجل أنهم كانوا حلفاؤه في الجاهلية فكان ذلك منه مسارعة فيهم ، يقول هو وأصحابه نخشى أن تصيبنا دائرة ، أن يكون لهم سلطان في يوم من الأيام فينتصروا على المسلمين ، فعند ذلك نكون قد أعتدنا العدة لمثل هذا اليوم ، فالذي يواهم لأجل انتصارهم أو لأجل سلطانهم هو مريض القلب بالنفق والعياذ بالله .

( % فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فُتُصِبْحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ) المائدة يتعجب أهل الإيمان ( أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ) هناك تناقض بين أن يكون الإنسان متنعياً إلى أهل الإسلام مع أهل الإيمان ، وفي نفس الوقت يتخذ الكافرين أولياء ، يُتعجب من ذلك ، وأخبر الله أن مولاة هؤلاء محبطة للعمل مستوحجة للحسران فقال ( حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خَاسِرِينَ ) وبين أنها مؤدية إلى الردة فقال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ) ذلك أن موالاة هؤلاء تقتضي الردة لأن الله قال ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ) البقرة ١٢٠ فهم لن يرضون إلا باتباع الملة ، ولن يرضون إلى بترك هذا الدين وترك شريعة الله سبحانه وتعالى ، وهم لا يخفون مثل هذه الأمور فمن صار في موالاتهم اقتضى ذلك متابعتهم على ملتهم أو الرضا بما كما ذكرنا فيرد عن الإسلام .

% قال ( Y فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ) المائدة عكس صفات المنافقين الذين لا يحبون الله عز وجل ، ولا يحبهم الله ، وهم في نفس الوقت أذلة للكافرين وأعزة على المؤمنين ، يبطشون بالمؤمنين أنواع البطش إذا تمكنوا منهم ، ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة وفي نفس الوقت الذل التام والخنوع والتبعية المطلقة لأعداء الله سبحانه وتعالى ، المؤمنون أشداء على الكفار رحماء بينهم ، صفات بينة وظاهرة يُعرف بها ما في دخائل النفوس ، لأن الله لم يتعبدنا بما في هذه النفوس لكن بما يظهر من الصفات والأحوال والأعمال .

% قال ( Y يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) المائدة تمتة البراء الواجب من الكفار مجاهدتهم لإبطال شركهم ، وحتى لا يبقى شرك يظهر ويعلوا ، ولا يخافون لومة لائم كما قالها سعد ابن معاذ رضي الله عنه لما حكمه النبي في بني قريظة ، وقد قال له إخوانه من الأوس : يا سعد أحسن إلى مواليك . وكانوا موالي الأوس في الجاهلية ، فأرادوا أن يحسن سعد إليهم كما أحسن عبد الله ابن أبي في موالي الخزرج بني قينقاع فقال سعد رضي الله عنه قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم من إخوانه من الأنصار من الأوس ، لم يخاف لوم الاثمين ، فلذلك لما سمعوا منه هذه الكلمة ذهبوا إلى المدينة ، ونعوا إليهم بني قريظة قالوا قتل بنوا قريظة قبل أن يعلموا حكم سعد فيهم ، لكن لأن سعد علم أنهم يستحقون ذلك ، بما نقضوا من العهد وعرضوا الدولة الإسلامية كلها والإسلام للخطر ، حين تحالفوا مع الأحزاب ، فكان جزاؤهم أغلظ لأن كفرهم كان أغلظ ولأن مكرهم كان أشد فحكم فيهم سعد بأن تقتل مقاتلتهم وتغنم أموالهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم ، فقال له النبي حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات فكان هذا من سعد رضي الله عنه علامة على إيمانه العظيم رضي الله عنه .



% قال يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ) المائدة إنما وليكم الله قصر يدل على أنه لا تتولى أبداً غير هؤلاء ، كما ذكرنا هذا يؤكد بطلان قول من يقول أننا يجوز أن نوالي الكفار المعاهدين نعوذ بالله من ذلك ، وهذا لا يقوله عالم قط بل ولا مسلم في الحقيقة ، لأن من يتوهم منكم فإنه منهم ، فكيف يسوي بعد ذلك ، ويجوز موالاة الكفار كالمؤمنين .

%والله يقول ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) المائدة حزب الله عز وجل الحقيقي ، ليس الدّعي الكاذب في دعواه - حزب الرافضة - حزب الله الحقيقي صفات العضوية فيه واضحة ، الإيمان بالله وبالرسول p إقامة الصلاة إيتاء الزكاة الركوع لله عز وجل هذه شروط عضوية غير موجودة في أحزاب الدنيا اليوم لا يوجد حزب يشترط هذه الشروط ليكون الإنسان عضواً فيه ، نريد حزبا يقوم على ذلك ليكون أهل الإيمان عموماً حزب واحد في الأرض كلها .

% ولذلك قال ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ) الممتحنة مع أن إبراهيم لم يكن معه جمع ، وإنما كان معه لوط ، ولكن هذه المعية تحصل على بعد المكان والزمان ، ولذلك الأنبياء مع إبراهيم عليه السلام كما أن إبراهيم من شيعة نوح رغم أنه ليس في زمنه قال تعالى ( وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ) الصافات ٨٣ لكنه على دينه وملته وشايعة على هذه الملة فهو معه .

% قال ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ) الممتحنة هذه أوضح دلالة على بطلان روابط القومية والوطنية ، وأن الرابطة التي يقوم عليها المجتمع المسلم هي رابطة الدين رابطة التوحيد والإيمان واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، أما رابطة القومية والوطنية فلم يقل إبراهيم والذين معه لم يقولوا للأغراب لم يقولوا الأجانب إنما قالوا لقومهم إنما قالوا لأهل وطنهم إنما قالوا لأقاربهم وأهل قبائلهم .

( % إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) والبداية ب منكم مع أن الأصل هي البراءة مما يعبدون من دون الله كما قالها إبراهيم عليه السلام ، لكن لكي يطبق هذا الأمر في واقع محسوس ، وليس أن يظل الأمر نزاعاً مع طواحين الهواء مثلاً أننا نتبرأ من أعداء وهميين ، وأما في أرض الواقع تتولى من يعبدون هذه الألهة ، بل نتبرأ منهم ومن آلهتهم إنا برؤاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، في انفصال وبغض وكراهية .

%قال ( Y كَفَرْنَا بِكُمْ ) مع أن المعتاد الكفر بالعقيدة لكن كما ذكرنا لينطبق هذا على أمر واقع محسوس ذكر كفرهم بهم ( كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ) عدواة وبغضاء ، ألفاظ في منتهى الوضوح والبيان وكما ذكرنا هذا فيمن لم يقاتل إبراهيم لم يقاتل عليه السلام ، لذلك نقول لا يلزم أن يكون الأمر للكفار المحاربين بل إبراهيم كما ذكرنا ممن لم يؤمر بقتال أصلاً بل أول نبي شرع له القتال موسى صلى الله عليه وسلم ، وأما قبل ذلك فلم يكن قتال ، ومع ذلك فالبراءة حاصلة والأسوة الحسنة في إبراهيم والذين معه هي حاصلة لأهل الإيمان القضية إذاً العدواة والبغضاء والكلام في القرآن لا يحتمل شيئاً آخر ولا تضعيف حديث ولا كلام على معاني أخرى بل في منتهى البيان غصة في حلق المنافقين .

( % وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ) أي ليس لكم فيه أسوة ( إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ) وإنما كان ذلك لأنه كان ( عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ) بموته على الكفر ( أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرُّاً مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ) التوبة ١١٤

%ولا شك أن من يعلن هذه العدواة والبغضاء والبراءة سوف يترتب على ذلك أنواع من الأذى والمكر ، فهل يتخلص منها بطريقة المنافقين بالمداينة في الدين والمتابعة لأهل الباطل ؟ لا .

% إنما يتخلص أهل الإيمان من الأذى المتوقع من أعداء الله بالتوكل على الله ( رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) الإنابة والتوبة إلى الله عز وجل ، لأن الذنوب هي السبب في تسلط الأعداء علينا ( وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) تحقيق الإيمان بالله واليوم الآخر ، لأن من آمن باليوم الآخر ، هان عليه ما يفعل به ، هان عليه أذية الكفرة وهان عليه عداوتهم وهان عليه ما يتعرض له من الأذى ، لأنه سينتهي لأنه لا بد من نهاية بالموت ، ثم إلى الله المصير فيجازى على ما صبر واحتسب ، وكذلك يدل على شدة الخوف من الله في موالاة الكفار أن يخاف أن يتولى الكفرة فيكون معهم يوم تؤول المصائر إلى الله عز وجل ، يوم يقف الناس بين يدي الله ماذا سيجيب ربه عز وجل في موالاة الكفار والركون إلى الظلمة .

( % وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ) هود ١١٣ من ركن إلى الظالمين ومال إليهم ، ومن وافقهم واتباعهم ورضي بما هم عليه ، تمسه النار كما تمسهم ، يفقد ولاية الله لأنه رضي وركن إلى الظالمين .

( % رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ) الدعاء التضرع إلى الله ألا يجعلنا فتنة للكافرين بمعنى لا تجعلهم يفتنوننا عن ديننا أو لا تجعلنا فتنة لهم إذا انتصروا علينا فيظنون أنفسهم على الحق فيكون ذلك فتنة لهم في بقائهم على الكفر .

(% وَأَعْفِرْ لَنَا رِئَا إِيَّاكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) مقتضى الإيمان بعزة الله ورحمته ، هذا الموقف الشديد في هذه المسألة .

% فالآية الأولى في قوله تعالى ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) في الولاء الواجب ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ ) المائدة في الحب والنصرة والطاعة والمتابعة والتشبه والصدقة والآية الثانية في البراء الواجب ( إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) الممتحنة .

% الولاء والبراء ضمن مسائل الإلهية الرسول p قال (أوثق أوثق عرى الإيمان الموالاتة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) رواه الطبراني وحسنه الألباني هذه الأفعال أفعال العباد ، مثل ما نقول توحيد الإلهية هو توحيد الله Y بأفعال العباد ، فنحن نجعل الحب في الله وحده ، والبغض لأجله وحده كذلك نبغض في الله أي لأجله فالولاء لله Y والبراء لأجله ، فنصرف هذه الأمور لمن أمرنا الله أن نصرفها له ، والنبي p أخبر أنها أوثق عرى الإيمان فإذا انحلت هذه العروة أصاب الإيمان خلل ، إما أن يصبه بالكلية فيضيع الإيمان أو ينقص فهذا من أمور الكفر والنفاق والفسوق والعصيان ، الخلل هذا من الكفر والنفاق أو الفسوق والعصيان التي يقع فيها كثير من الناس .

% كما ذكرنا وشرحنا الآيات في سورة المائدة ، والآيات في هذا الباب كثير جداً لعظم هذه المسألة كما بين رسول الله أنها أوثق على الإيمان وكل مسائل العقيدة الكبرى يكثر بيانها وذكرها وتفصيلها في كتاب الله وسنة رسوله .

( معنى الولاء والبراء )

الولاء له عدة معان من معانيه الحب والرضا.

% الرضا دون الحب نقول مثلاً من رضي بملة الكفر لا يلزم أن يحبها ولكن يصححها ويجوزها فضلاً عن من يحبها ومن يحب الكافرين لأجل كفرهم .

كما ذكرنا من معانيه الحب والرضا والنصرة والطاعة والمتابعة ،

% والولي نصرته قال الله ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ) أي ناصرهم ( وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ) محمد ١١ أي لا ناصر لهم .

% والطاعة والمتابعة والمعاونة والقيام بالأمر يعاونه على أمورهم ويعاونه على إصلاح شأنه والقيام بالأمر بمعنى تولى أمر الغير بالإصلاح .

% والصدقة كذلك من هذه المعاني ولوازم هذه الأمور كالتشبه والتشبه أصلاً نوع من المتابعة الظاهرة والركون إليهم الميل إليهم والمتابعة لهم في الحقيقة وإظهار مودتهم

والبراء عكس هذه المعاني ، فالبراء هو البغض والخذلان والمخالفة والمعاداة وترك التشبه ونحو ذلك .

% معاني الولاء يجب صرفها لله ولرسوله وللمؤمنين مثل الحب ، فيحب الله ورسوله والمؤمنين ، ويرضى بطريقتهم ، يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً يرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ويرضى بالمؤمنين إخواناً .

% والنصرة أن ينصر الله بنصرة دينه ، فينصر دين الله بكل ممكن ومستطاع ، فرض على الإنسان أن يسعى لنصرة الإسلام ، هذا من معاني الولاء هذا من معاني التوحيد والإيمان الواجب ، أن يكون ناصرًا للدين ليس أنه لا دخل له بهذا الإسلام ، ليس أنه قضية أخرى غير قضيته ، وأن قضيته مثلاً أرضه التي نشأ عليها ، ولا دخل له بأراضي الآخرين ، كما يحاول البعض أن يجعل قضية فلسطين مثلاً قضية الفلسطينيين وليس قضية المسلمين وكأن نصرة الدين في هذه البقعة خاصة بمن نشأ عليها فقط .

% كذلك يجب أن ينصر السنة وينصر كل مؤمن ظالمًا كان أو مظلوماً ، نصرة الظالم بمنعه من الظلم ، ونصرة المظلوم أن يمنعه من الظالم ، أن يحميه من الظالم أن يدافع عنه من الظالم هذا معنى النصرة .

% والطاعة أن يطيع الله ورسوله وأولي الأمر من المسلمين كما قال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) النساء ٥٩ وهم العلماء والأمراء الذين يقودون الناس بكتاب الله ، العلماء يعني العلماء بالشرع ، وعلماء أهل الحق والإيمان ، وليس علماء السوء والمفسدين في الأرض ، الذين هم منّا العلماء الذين يبينون الدين ، والأمراء لأنهم يقودون الناس بكتاب الله كما نص رسول الله حيث قال ( وإن تأمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله ) رواه الترمذي وصححه الألباني فأما إذا كانوا على غير ذلك بأن أمروا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة إنما الطاعة في المعروف كما قال النبي p ( السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ ) رواه البخاري ومسلم.

% المتابعة أن يتابع ما أنزل الله ( اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ) الأعراف ٣ ( وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) الأحزاب ٢ ويتابع طريقة المؤمنين طبعاً ، الاتباع يكون أيضاً باللسنة ، (عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي ) رواه مالك وصححه الألباني ويتبع طريقة المؤمنين يعني ما أجمعوا عليه ، والإجماع الذي اتفقوا عليه ، والمقصود بالطريقة ما ذكرنا من الإجماع ، والذي يجب إلا يخالفه أحد قال الله ( Y وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ) النساء ١١٥

% والتشبه كما ذكرنا هو من مسائل المتابعة ، لا يجوز أن نقول نتشبه بالله عز وجل لأن ذلك حقيقة المتابعة في الشكل والأخلاق وغير ذلك ، وهذا لا يجوز بحال ، والله ليس كمثل شيء ، وإنما شرع لنا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله أن نتخلق بها ، ما وافق ذلك من صفات الله عز وجل ، كالرحمة والله أمرنا أن نتراحم فهذا معنى حسن لكن لا يقال نتشبه بالله .

% الاتباع الذي أمرنا به أن نتبع الشرع ، وننظر إلا الصورة التي أمرنا الشرع أن نكون عليها ، نلتزم بها من الكتاب والسنة ونتشبه بالأنبياء والمؤمنين .

% والقيام بالأمر وبالمعاونة ، بأن نهتم بشأن المسلمين ، ونحتم ونصح لهم ونعاونهم على البر والتقوى ، ونتخذ منهم دون غيرهم الأصدقاء والأحلاء ، كما قال النبي (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا ) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني وقال (الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ) رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني ولهذا لا يجوز لمسلم أن يتخذ صديقاً كافراً ، ولا خليلاً كافراً بل ولا فاسقاً ، فإن مصاحبتهم أعظم أسباب الشر ، ومن معاني الولاء الواجب أنني أترك صداقة الكفرة والفجرة من البراء الواجب ، أما الولاء المحرم فهو هذه المعاني لغير المؤمنين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### ٥٠- من معاني الموالاة المحبة)

وأول هذه المعاني كما ذكرنا هو معنى الحب محبة الكافرين على ما هم عليه من الكفر.

% فمحبة الكافرين على ما هم عليه من الكفر، يحتمل معنيين :

% المعنى الأول : أنه يحبهم لأجل كفرهم ، وهذا حب للكفر والعياذ بالله ، فمن يحب من يعبد من دون الله وهو راض كالطواغيت التي تعبد من دون الله ، ويحب الشيطان ويحب السحرة والكهنة ، ومن يحكم بغير شرع دين الله أو يحب مظاهر الكفر كمن يحب الكفار لأجل أن عندهم الإباحية فهذا من الكفر والعياذ بالله ، والإباحية أن كل إنسان يفعل ما يريد ، يود أن عند المسلمين مثل هذا كي يتقدموا ، ويحب الشيوعيين مثلاً لأجل الاشتراكية التي عندهم وأنهم يسوون بين الناس مثلاً ، ويأخذون أموال الأغنياء قهراً مثلاً كما وجد والتمثيل في زمن مضى لكن كان في أزمته كثيرة أنهم يوالون من أجل مبادئ ماركس ولند ، فأنا أحب كل مؤمن على إسلامه وإيمانه وصلاته وطلب العلم ونحو ذلك.

% لو أن إنساناً أحب الكافرين لكفرهم ، فهذا خروج من الملة وحب للكفر ومنقضة للإيمان بزوال حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من قلبه قال الله عز وجل ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) المجادلة ٢٢ وهناك نفى الإيمان عند وجود مودة الكفار ، من حاد الله ورسوله وإن كان في حد ، وأمره سبحانه وتعالى ودينه وشرعه في حد وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حد بمعنى هو يحاد الله أو يحاد الرسول ، ويحاد الله يعني يخالف شرع الله ، ويكون في حد ودين الله في حد ، يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم يحاد الرسول صلى الله عليه وسلم يكون في حد والرسول صلى الله عليه وسلم في حد آخر ، يجب على المؤمن أن يكون في نفس الحد الذي فيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بمعنى طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعته ، حتى ولو كانوا من أقرب المقربين ، الذين يخالفون دين الله عز وجل ، ويحادون الله ورسوله ولو كانوا من أقرب المقربين .

% اتخاذ البطانة بمعنى أن يتخذهم أصحاب سر ، هذا من معاني الموالاة كذلك ، لأن الله عز وجل قال ( لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُمْ خَبَرًا ) آل عمران ١١٨ .

% المعنى الثاني : أن يجب الكفار على ما هم عليه من الكفر ، أي يجبههم رغم ما هم عليه من الكفر ، هي درجة أقل من السابقة الأولى ، يجبههم لأجل كفرهم والعياذ بالله ، أما الثاني فهو يجبههم ويقول ولو كانوا حتى كفاراً فكفرهم مسألة هينة لا تقتضي بغضاً ، وهذا هو الموجود عند الكثيرين أن قضية الكفر هذه قضية شخصية ، كونه يكفر بالله وبالقرآن وبالرسول عليه الصلاة والسلام أمر لا يعني في شيء على نفسه ، فالخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، هو يختلف مع الكفار لكن لا بأس بمودتهم ، والخلاف في الأديان والبغض من أجلها عند القوم من المخلفات مخلفات العصور الوسطى عندما كانوا يتقاتلون على الدين ونحو ذلك وهذا يصريح به والعياذ بالله ، يقال إن الحروب الدينية والقتال من أجل الدين والجهاد من أجل الدين والمخالفة والبغضاء لأجل الدين من الأمور التي يجب الحذر منها ، يقولون القضية العربية الإسرائيلية ستتحوّل إلى قضية دينية ، وتتحول إلى صراع ديني كأن اليهود لا يعتبرون أنفسهم دولة دينية !! ، اليهود يقولون نحن دولة لليهود في العالم لا دخل لهم بالجنسية ولا باللون وبعد ذلك يقولون لا أنتم تجعلونها خلاف ديني ؟! والخلاف من أجل الدين في الحقيقة واليهود نجحوا طوال سنين في أن يجعلوا هذه القضية بعيدة عن الدين ، ولذلك انتصروا وغلبوا وحققوا مآثرهم .

% فمن أحب الكافرين على كفرهم أي رغم كفرهم ، فهو يجبههم رغم أنهم كفار ، ويقول لا قيمة للكفر ، ولا أثر له ومسائل الدين لا ينبغي أن تكون مفسدة للود بين الناس ، هذا وذاك كلاهما مناقض لصريح القرآن كما دلت عليه الآية التي ذكرنا قال الله عز وجل ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) فنفي الله الإيمان عن من ود الكافرين .

% أما الود الذي قد يكون فطرياً ، مثل إنسان له أقارب كفار أبوه أو أمه أو عمه أو إخوته ، هذا عنده محبة فطرية لهم يجب أن تصرف هذه المحبة إلى حب إسلامهم أن يسلموا مع وجود البغض لما هم عليه من الكفر ، وما من أحد إلا ويكون عنده شفقة على أهله وكذا أهل بلده أو أهل وطنه ، هذه تقتضي مزيد النصح لهم ، تقتضي مزيد الدعوة إلى الله ، وهذا معنى الأخوة المذكورة في قول الله ( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ) الأعراف ٦٥ اقتضت ماذا هل اقتضت وداً أم اقتضت دعوة ؟ اقتضت دعوة مع وجود البغض ، حيث قال ( فَكَتِفَ أَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ) الأعراف ٩٣ ، سيدنا شعب يقول ( فَكَيْفَ أَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ) ، كيف أحزن على قوم كافرين ، كأنه يعزي نفسه في هلاكهم ، وأنه لا يأسى على القوم الكافرين ( فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) المائدة ٢٦ فإذا كان الكفر فهو أغلظ وأشد .

% نقول ما من أحد إلا عنده شفقة على أهله ، كشفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمه أنه أخذه ما يأخذ الولد على أمه ، ومع ذلك لم يستغفر لها لأن الله عز وجل لم يأذن له بذلك ، لذلك يجب أن يكون هذا الأمر مع وجود البغضاء والكراهية على الكفر هذا لوجود حقيقة الإيمان في القلب وكما لها .

% أما من رضي بملة الكفار وطريقتهم كما ذكرنا الحب ، مَنْ يُحِبُّ الكفار على كفرهم رغم كفرهم أو من أجل كفرهم ، كلاهما كفر ، وكذا ما دون ذلك من الرضا ، أعني ما يلزم أن يكون محباً لهم ممكن يكون متضايق منهم ولكن يصحح طريقتهم ، من يرضى بملة الكفار وطريقتهم ، ورضي بغير الله ربا هذه أمور ربما تكون دون المحبة فلا يلزم أن يكون محباً للكفار بل يكفي أن يكون راضياً بما هم عليه مصوباً لطريقتهم ، يرى أن طريقتهم حق كما أن الإسلام حق ، والكل سواء هذا كفر وصاحبه كافر لأنه ينافي صريح القرآن ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) آل عمران ١٩ بل هذا في الحقيقة يناقض أصل كلمة التوحيد ، وهي كلمة لا إله إلا الله ، ويناقض شهادة أن محمداً رسول الله ، لأنك لا تقول الله إله بل تقول لا إله إلا الله فإذا قال إنسان أن عبادة البوذيين حق ولا بأس بذلك ، وأن عبادة النصارى للمسيح حق ولا بأس بذلك ، وأن عبادة اليهود لعزير ولأخبارهم ورهبانهم حق ولا بأس بذلك وأن عبادة الشيوعيين بماركس حق ولا بأس بذلك ، والعبرة أن كل إنسان يختار ما يشاء ، هذا قد صرح باستحقاق غير الله بالعبادة ،

فأزال قول لا إله إلا الله ، لم يقل لا إله إلا الله بل قال : الله إله وهناك آلهة أخرى أيضاً لا بأس بها ، فهذا مناقض لأصل كلمة التوحيد .

% لذلك من يسوغ لغيره أن يعبد غير الله تعالى ولو كان هو يختار لنفسه أن يعبد الله كان كافراً ، بل يجب أن يعتقد بطلان عبادة غير الله ، ولا يرضى أن يُعبد غير الله في الأرض قال الله تعالى ( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَعْلَمُ عَلَيْهِم ) البقرة ٢٥٦ العروة الوثقى هي كلمة لا إله إلا الله ، الذي استمسك بها هو الذي كفر بالطاغوت وآمن بالله تعالى ، وأصل الكفر بالطاغوت إلا يقر عبادة غير الله وأن يعتقد بطلان عبادة غير الله ، والذي يصوب عبادة إله غير الله فهو كافر خارج من الملة .

% من هذا النوع من الضلال والعياذ بالله اعتقاد البعض أن إختانتون من الموحدين لأنه كان يعبد الشمس فقط ، وهو الذي اخترع التوحيد ، وأدخل التوحيد إلى المصريين ، وأول من قال بالتوحيد ، ما هو التوحيد هذا ؟ عندهم أنه يعبد الشمس فقط والعياذ بالله ، وهو يتغزل في عبادة الشمس ، ويقول أنه موحد ، كيف وهو يعبد إلهاً غير الله عز وجل ، ورموزاً بآمون بقرص الشمس وعبدا الشمس والعياذ بالله ، بل بلغ الضلال بأحدهم أنه قال لا يستبعد أن يكون إختانتون نبياً لم يأتي ذكره في القرآن ، وهو يعلم أنه كان يعبد الشمس والعياذ بالله ، هذا مما لا يتصور فيه الجهل ممن يعلم عبادة أهل الملل الأخرى لغير الله ، أعني أنه يقول ويكون عارف أنهم يعبدون غير الله ويقول أن عبادتهم صحيحة ،

متصور الجهل في من؟! في الذي يقول اليهود والنصارى يوحّدون الله ، ويصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويظن ذلك ، فماذا تفعل لهذا ؟ تأتي له بكلامهم وتأتي له بقول الله عز وجل ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ) المائدة ١٧ وتقول له هل هناك فريق منهم يرى غير ذلك؟ هذا هو الذي يتصور فيه الجهل .

%٠ عبادة الوثنية للأوثان ، وعبادة النصارى للمسيح إذا كان الإنسان يعلم أن النصارى يعبدون المسيح ثم قال بعد ذلك أنهم على حق ، هذا لا يتصور فيه الجهل ، لأنه عالم بالفعل وأنه يقول لا إله إلا الله وبلغته لا إله إلا الله ، الجهل هنا سيكون جهلاً بأصل لا إله إلا الله وقد بلغته ، فمن دخل في الإسلام وعرفها فلا يتصور فيه الجهل ليس لأننا لا نعذر بالجهل رغم أنهم يقولون الإله عندنا فلان ، هذه مناقضة صريحة لأصل دين الإسلام ، ولا يوجد كافر اليوم لا يعرف أن لا إله إلا الله أصل الإسلام ، بل هي كلمة انتشرت في الأرض كلها وانتشرت أنها شعار أهل الإسلام وأصل دين أهل الإسلام ، فلا يتصور أن يكون هناك رجل يجهل أنها من الدين ، أما الذي يتصور فيه الجهل هو إنسان لا يدري أن النصارى يعبدون المسيح ، ويظنهم موحدين ولا يقولون بإلهية غير الله ، وأنهم لا يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا القرآن هذا قد يكون معذوراً يحتاج إلى أن تقام عليه الحجة بأمرين :

%١ الأول : ببيان لزوم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب ذلك على الإنس والجن وتلاوة الآيات عليه بذلك ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) الأعراف ١٥٨ وقول النبي صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِي نَفْسِي مَحْمُودٌ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم.

%٢ والثاني : بيان ما عليه حقيقة اليهود والنصارى من تكذيب التوحيد ، ومن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

%٣ ومن ذلك من لا يكفر من يكذب الرسول من الكفار ، هذا أيضاً نظنه أشهر من أن يجهل ، بعضهم صرح بذلك ، قال بعضهم : إن اختلافنا ليس في أمر التوحيد . ولكن في أمر النبوة وهذا لا يقتضي المخالفة والتكفير . والعياذ بالله ، يقول أنهم مختلفين معنا في الرسول وهذا لا يقتضي الكفر ، يعني لو كذبوا الرسول لا يكونون كفاراً ، وهذا مناقض لشهادة أن محمد رسول الله ، هذا الكلام مخرج من الملة ، يقول أن النصارى ليسوا كفاراً لأن الخلاف معهم حول أن محمداً رسول الله ، وهذا لا يكفر صاحبه هذا معناه أنه يرى أن الخلاف في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يسير لا يخرج الإنسان من الملة أن يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

%٤ والحق أن الذي يصوب لأحد أو يجوز له أو حتى يسوغه ويراه مخطئاً ولكن ينفعه عند الله ، الذي يصوب لأحد أن يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول إن هذا المكذب على حق وسيدخل الجنة ، ولو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا لم يشهد أن محمداً رسول الله لأن من يسوغ أن من يكذبه ويصوب قول من يصدقه فالأمر عنده مستوي الطرفين حتى ولو كان يرجح جانب على جانب أقل أحواله أنه يشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً على أن يكون مكذباً له ، ولا شك أن من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كذب القرآن .

%٥ لذلك نقول إن درجات الرضا أو المخالفة للكفر يجب أن تكون معلومة ، فمن قال إن من خالف لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس بكافر أو أنه ناج فهو مكذب لأصل الدين خارج من الملة ، والذي يرضى بكفر الكفار إلى هذا الحد لاشك في كفره . يقول إننا ينبغي أن نحسن إليهم والنبي صلى الله عليه وسلم قدم هدية لليهودي أو أن يقول الجاهل منهم أن هذه الآيات في ذم الموالات إنما هي خاصة بالمخارين ، وليست في أهل الذمة أما أهل الذمة غير المحرّبين فتجوز موالاتهم . فلو قال يجوز جبههم على ما هم عليه من الكفر وقال إنه يرضى بملتهم فقد خرج من الملة ، ربما يكون ظن أن الحب معناه الإحسان وإحسان العشرة لا الإقرار بالكفر فهذا يبين له الأمر ويحتاج إلى إقامة الحجة .

%٦ أما المخالفة في أصل كلمة التوحيد وتصويب مخالفة الأصلين لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتصحيح ملة المكذب بهما ، فلا شك في كفره ابتداءً ، والحجة قائمة عليه ليس هنا احتمال للجهل ، هذا في الحب والرضا ، هناك بعض الأمور قد تشبهه لكن أصل الرضا بملة الكفر لا تشبهه ، هذا في الحب والرضا فهو ولاء محرم يصل إلى الكفر ، أما المعاملات المباحة مثل البر والقسط فليست من الموالات ، فمن الممكن أن أحسن إلى من أكرهه وأعاشر من أبغضه فالحب والبغض من أعمال القلوب ، وأنه يعرف بنطق الألسنة وما يكون من أعمال لا تتحمل غير ذلك بالتالي نقول أن البر والإقسط ليس من الموالات ، البر مع من لم يمارنا في الدين والقسط معه ومع كل أحد أمر أمرنا الله عز وجل به ، والعدل واجب والعدل أن أعامله بشرع الله عز وجل .

%٧ القسط والبر أن أحسن إليه وأهديه وأقبل هديته وأتعامل معه إذا كان جائعاً أطعمه ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال له أسير إني جائع قال ( هذه حاجتك ) يكسوا عورته يعالجه إذا كان مريضاً يشفق مثلاً على ابنه المريض أو يداويه ، مثل هذه الأمور لا حرج فيها ، يعطي ابنه الصغير مثلاً شيئاً من الحلوى أو نحو هذا ، هذا ليس من الحب هذا من البر وهو مع من لم يمارنا في الدين .

% والعدل كما ذكرنا ، أن أتى له بعقده ، تعاقدت مع بعقد بعث شريت أجرت ضاربت أو استودعني أمانة ، أأدي له أمانته وأعدل معه في المعاملات ، فهذا هو الواجب .

% فرض الله عز وجل الجزية صغاراً على الكفار ، وهذا هو نوع الابتلاء أن يدفعوا الجزية عند يد وهم صاغرون ، دون أن يظلموا كمن كان مثلاً عاجزاً عن الجزية ، بعض الصحابة رأوا أناساً يُعَذَّبُونَ في الجزية يعذبون في الخراج ، وكانوا يوقفهم في الشمس ، ويصبوا فوق رأسهم الزيت ، هذا هو العذاب الذي كان عند المسلمين الأوائل لأهم امتنعوا من دفع الجزية فذهب إلى الأمير وقال له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ) رواه مسلم فأمر بهم فأطلقوا ، إذاً لا يظلموا ، لا يقول أنه كافر أخذ ماله بالعقد الذي تعاقدت معه بالظلم والعدوان وأغشه فيما بعث له ، بل لا يصح ذلك ، الأمانة تقتضي ألا أظلمه وأوفي له بالعهد ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ) المائدة ١ . وليس لأنه كافر أضربه بلا وجه حق مثلاً أو إذا كان معاهداً ، إذا كان معاهداً لابد أن يراعى له حق هذا العهد .

% لو سمع رجلا يقول باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين ويظل جالس ؟ ، قال الله تعالى ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ) النساء ١٤٠ .

% يقولون الرسول صلى الله عليه وسلم تركهم يدخلوا المسجد ، نعم تركهم يدخلوا المسجد ، لكن تلا عليهم الآيات أم لا ؟ هل تلوتم أنتم عليهم الآيات ؟ ، عدي ابن حاتم لما دخل وعليه صليب من فضة الرسول صلى الله عليه وسلم قال (اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنِ) رواه الترمذي وحسنه الألباني ، إذاً لو أراد أن يدخل معهم في هذا يفعل ذلك أو يبتعد ، وتلا عليه الآية ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ) التوبة ٣١ قال : إنا لسنا نعبدكم . قال : ألم يحرموا الحلال ويحللوا الحرام فاتبعتموهم ؟ قال : بلى . قال : فتلك عبادتهم . إذا من أراد أن يكون معهم فليأمرهم بأعظم المعروف وهو التوحيد وبينهاهم عن أعظم المنكر وهو الشرك ، أما أن يشاركتهم في ذلك فلا .

( من معاني الموالاة النصر )

% من الولاء الواجب نصره الله عز وجل ، ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونصرة المؤمنين الظالم منهم والمظلوم ، الظالم بأن تمنعه من الظلم ، والمظلوم بأن تمنعه من ظلمه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( انْصُرْ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تُحْجِرُهُ أَوْ تُنْعِهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ ) رواه البخاري

% الولاء الواجب نصره الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، نصره الدين فرض على كل مسلم أن ينصر الدين بكل ممكن ومستطاع ، نصره الرسول صلى الله عليه وسلم بنصرته حياً كما نصره المهاجرون والأنصار ( وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) الحشر ٨ ونصرة دينه وسنته صلى الله عليه وسلم بعد مماته فهذا واجب على كل مسلم .

% نصره الدين قضية في روح كل مسلم لا يسعه أن يقول عن مسائل المسلمين ومسائل الدين لا دخل لي بذلك ، نعوذ بالله ، هذا يفقد ولائه بالإسلام ، نصره المؤمنين يجب أن ينصرهم في كل مكان ولو بقلبه بكل ما يمكنه يجب عليه أن ينصرهم سواء بالدعاء لهم وغير ذلك .

% فمسألة أن يكون الإنسان لا يستشعر أن هؤلاء المسلمين المجاهدين أو المستضعفين إخوة له يصيبه ما يصيبهم ، ويجب عليه أن ينصرهم مسألة تقدر في إيمانه ، وكونه يتخذ الكافرين نصراء في حريمهم ضد أهل الإسلام ، الأحكام التي دلت عليها الآيات توضح أن هذا ينافي أصل الإيمان .

% أما من نصر الكفار بأن خرج في صفوفهم ضد المسلمين ، وحارب المسلمين مع الكفار فهو مثلهم وهذا أشد أنواع النصرة ، وهذا في الحقيقة لا يكون مبنياً إلا على رغبة قلبية في انتصار الكفر ، لا يتصور غير ذلك ، فكونه ينصر أهل الكفر على أهل الإسلام ، وهم يحاربونهم لأجل الدين هذا لا يشك قارئ للقرآن ، وعالم بأسباب نزوله وبسنة الرسول عليه الصلاة والسلام بكفر فاعله .

% أنا لا أقول يشترط أن يتلفظ بلسانه ، وأن يقول أنا أحب أن ينتصر الكفار بل يكفي أن يخرج مقاتلاً في صف الكفار وتحت رايتهم ، هذه أشد أنواع النصرة وأوضحها ظهوراً .

% الخروج في جيش الكفار محارباً للمسلمين فهذا كفر في الدنيا والآخرة ، في أحكام الدنيا كافر وفي الآخرة مخلد ، قال الله عز وجل ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ) النساء ٩٧

% عن محمد ابن عبد الرحمن - أبي الأسود - قال " قطع على أهل المدينة بعث . هي من الفتن التي وقعت بين بني أمية وبين أهل المدينة . قال فاكتمت فيه . كان هناك جيش يحارب أهل المدينة فكتب اسمه مع المحاربين . قال فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي . رغم أنه حرب بين المسلمين . ثم قال اخبرني ابن عباس أن



أناس من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأمر الله عز وجل ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ) . بعض المسلمين أراد أن يستغفر لهؤلاء فنزلت هذه الآيات ، نزلت هذه الآيات في من خرج من المسلمين الشبان مع المشركين في بدر إرضاءً لأبائهم ، فأنباء كبار المشركين في قريش خرجوا في بدر محاربين للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، خرجوا مع المشركين لم يكونوا راغبين في القتال لكن إرضاءً لأبائهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قتلهم لمن تعرض لهم لأنه يعلم أنهم خرجوا غير راغبين في القتال لكن كان بعض الأنصار لا يعلمهم أو يأتي أحدهم سهم غريب فيقتل فنزلت فيهم الآيات ولم يقبل الله عز وجل عذرهم .

% في أحكام الدنيا لم يعطوا دية ، ولا صلي عليهم ، بل ألقوا مع بقية الكفار في قليب بدر مع أنهم كانوا محبين للإسلام ، وكان بعضهم قد تكلم بالإسلام كما ثبت في حديث ابن عباس أن ناساً من المسلمين ، إذا غموا في الدنيا معاملة الكفار ، وحكم القرآن بأنهم في جهنم وساءت مصيراً ، مصيرهم جهنم فمن قال يخرجون منها ويدخلون الجنة بعد ذلك هو الذي عليه أن يأتي بالدليل والآيات هناك مصرحة ، كذلك في قول الله عز وجل ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ) النساء ٨٨ وستأتي .

% نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهم لما يعلم أنهم محبون للإسلام ، وما خرجوا إلا إرضاءً لأبائهم كما ذكرنا كان منهم العباس رضي الله عنه ، وهو أسلم بعد ذلك ، ولكنه لم يقتل وكان منهم علي ابن أمية ابن خلف ومن أبناء الوليد ابن المغيرة وغيرهم فأمر الله عز وجل ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ) فمن أسر منهم أخذت منه الفدية ، ولو كان مسلماً لما حل أسرهم وأخذ الفدية منه ، ولو كانوا مسلمين لما دفنوا مع الكفار ، وحكم قتل المرتد لم يكن في ذلك الوقت ، ويمكن أن يؤخذ منه ولو كان كذلك ؟ نعم .

% العباس أسلم ولم يثبت إسلامه ظاهراً وإنما تكلم بأنه مسلماً فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( يَا عَبَّاسُ أَفَدِ نَفْسَكَ وَاتَّزِ أَحَبَّكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَتَوَقَّلْ بَنِي الْحَارِثِ وَخَلِيفَتَكَ عُثْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ أَخَذَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ قَالَ فَأَتَى وَقَالَ إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهْتَنِي قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ إِنَّ يَكُ مَا تَدْعِي حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَأَفَدِ نَفْسَكَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً ذَهَبٍ ) رواه أحمد في مسنده ، فالظاهر أنه لم يعتبره ، والظاهر أنه لو قال الأسير أنا كنت مسلماً لم يقبل قوله بل تقول له أسلم الآن وتكون مسلم الآن ، وأحكامك في الرق والفدية ونحو ذلك على ما كان قبل ذلك ، الذي يجرم على الإمام المسلم فيمن أسلم من الأسرى هو القتل ، وأن يبيعه إلى الكفار أو يرده إلى الكفار إذا كان أسلم إسلاماً صريحاً ، فلو أسير قال إني مسلم وقد تكلمت بالإسلام لم يقبل قوله وهذا الأظهر كما في قصة العباس .

% فعلى ذلك نقول " إن الخروج في صف الكفار المعلنين بالكفر كفر " هذا القيد ، لماذا نقول المعلنين بالكفر ؟ لأن الكافر إذا كان مبطناً للكفر كان من المنافقين ، وكثير من الناس يجهل حقيقتهم فإن موافقتهم على القتال حينئذ وتجنس الجيوش ، ظاهر الأمر أنه فتنة ، ليست أتمها صريحة في حرب الكفار ضد المسلمين ، فإن موافقتهم على القتال لا يلزم منها أنه يحارب الدين بل يمكن أن يكون جاهلاً بشأنهم ، ويحارب معهم على أنهم مسلمون أما من يعلم كفرهم وخرج محارباً معهم ضد المسلمين فهو كافر .

% هذه المسألة ذات أهمية بالغة ، هناك جيوش كثيرة من المعلنين للإسلام التي يجند فيها كثير من المسلمين ، بعض من خالفهم وحاربهم كانوا يحكمون عليهم بالردة مطلقاً ، وهذا غير صحيح ، مثلاً مثل جيوش محمد علي وإبراهيم باشا التي حاربت الدعوة الوهابية في أوها ، كان هناك من المشايخ من يحكم ويقول عساكر المسلمين وعساكر الكفار ، وهذا خلل بالغ وإن كان لهم أن يدفعا عن أنفسهم ولا شك في ذلك ، ولكن ليس هؤلاء العساكر بكفار لأنهم في طاعة من يعلن الإسلام ولا يلزم من كونه يحارب أهل الحق أنه كافر في ذلك لأنه جاهل أو متأول ، بين متأول أنهم خوارج ، وبين متأول أنهم خارجون على الإيمان ، وبين متأول أنهم غير ملتزمين بالإسلام ، فهذا التأويل إظهار الإسلام بمنع من إطلاق حكم الكفر عليهم سواء عساكر الدولة التركية أو عساكر الدولة المصرية في ذلك الوقت .

% يقول البعض الحجاج الذي قتل عبد الله ابن الزبير ما حكمه ؟ بل نقول الذين قتلوا الحسين ابن علي رضي الله عنه سيد شباب أهل الجنة كفر ؟ لا يلزم من قتلهم بغير حق للحسين ولعبد الله ابن الزبير أن يكونوا كفار ، الذي كفر منهم في الباطن هذا منافق وحسابه عند ربنا ، لكن قتل مسلم بغير حق جريمة عظيمة لا يلزم منها أن يكون كافراً .

% وكذلك إذا كان هناك شبهة تأويل ، هو تأول أن هؤلاء خارجين على الإمام يجوز قتلهم هذا التأويل كونه باطل وهو ظالم عند الله عز وجل لكن لا يلزم من ذلك أن يكفر .

% الحسين ابن علي قتل مظلوماً بلا نزاع ، لا يوجد أحد من أهل السنة يبرر قتل الحسين ، ولا يوجد منهم من يصرح بأن عبد الله ابن الزبير كان يستحق القتل بلا تردد ، بل عاتمهم ينص على أن عبد الله ابن الزبير كان أمير المؤمنين ، وكلهم ينص على أن الحسين قتل مظلوماً شهيداً مع أنه كان خارجاً على يزيد ، لا نزاع أنه كان خارجاً على يزيد ، ولكن لا يجوز لمن فسق إمامه أن يخرج عليه إلا إذا زادت المفسدة على مفسدة الخروج ، والحسين ظن أنه لكثرة من يطيعه من أهل العراق سوف تكون مفسدته قليلة ، ولذلك

تجربى وخرج رضي الله تعالى عنه فظهر أن الأمر بخلاف ذلك ، لكن لا يجوز لغير العدل لا يجوز للفاسق أن يقاتل إلا من خرج عليه حتى يزيل المظلمة لأن الله قال (وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ) إذاً الواجب الإصلاح إذاً هو لم يصلح ولم يزل المفساد ، فيكون ليس له أن يقول ( فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا أَلَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ) الحجرات ٩ ، إذاً من هو الباغي ؟ الذي خرج على إمام عدل ، ليس عنده مظالم يستطيع إزالتها وهو مصر عليها ، ولذلك قتل الحسين مظلوماً مع أنه أخطأ في اجتتهاده رضي الله عنه ، من مبنى أنه لم يقدر المصلحة والمفسدة والقدرة والعجز كما ينبغي ، وغرر أهل العراق في ذلك حتى ظن أن المصلحة في الخروج أولى ، نصحه ابن عمر وابن عباس وغيرهم وأن أهل العراق لم يفوا له بذلك ، وإنما لم يقولوا له أنت ستكون من الخوارج مثلاً ، وإنما قالوا له أن أهل العراق لم يفوا لك كما لم يفوا مع أبيك ، فهذا الذي دفعهم إلى أن المفسدة ستكون عظيمة ، ولذلك كلهم بكى وحزن على قتل الحسين ، الغرض المقصود أن الذين قتلوا الحسين أو الذين قتلوا أهل الحق هل هم بذلك كفار ؟ ليسوا بكفار هم فسقة فجرة قتلهم من يعلمون أنهم أهل حق ، عرضوا ترك القتال وأصروا على قتلهم .

% بالنسبة لعبد الله ابن الزبير كان هو أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، ومن كان متأولاً منهم فإنه كان معذور لتأويله ، يمنع إطلاق الفسق عليه وجود التأويل ، وأما من كان عند الله عز وجل يقتلهم لأجل أنهم أحفاد النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً ، بالنسبة للحسين أو أنه يأخذ ثأر من قتل من آباءه يوم بدر لأن بعض الآثار تذكر أبيات شعرية لكنها منقطعة الأسانيد ، فمن كان كذلك ، فكما قال ابن كثير فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إذا كان الأمر كذلك ، فنقول أنه ليس لمجرد الخروج لمقاتلة أهل الحق يكون بذلك كافراً .

نقطة مهمة:

% نقول الفرق بين الكافر المعلن لكفره ، وبين الكافر المبطن لكفره فضلاً أنه لم يكن كافراً ، فضلاً أن يكون متأولاً يمنع من تكفيره تأويله .

-قال ابن حزم رحمه الله " من لحق بدار الحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد تجري عليه أحكام المرتد كلها من انفساخ نكاحه ووجوب قتله واخذ ماله متى قُدر عليه . يقول - وليس كذلك من سكن في طاعة أهل مصر والقيروان . يقول وليس كذلك من سكن في طاعة الغالية كأهل مصر والقيروان فإنهم في حقيقة أمرهم كفاراً إلا أنهم إلى الإسلام ينتسبون وإلى الله يدعون ، وهم على كل ما هم فيه من الكفر يظهرون البراءة من كل دين سوى دين الإسلام ، ويدعون الإسلام . من هؤلاء ؟ هؤلاء هم الفاطميين الباطنية والقرامطة وأمثالهم . ابن حزم يفرق ويقول الذي يلحق بالروم والسند وبلاد الكفر كلها يحارب المسلمون فهو بهذا الفعل مرتد ، وليس كذلك من سكن في طاعة الغالية الذين هم الشيعة الغلاة الباطنية ، وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفاراً إلا أنهم ينتسبون إلى الإسلام ، إذاً انتسابهم للإسلام شبهة عظيمة وكبيرة ، تمنع من تكفير من دخل في طاعتهم .

% نقول مثال :

لو أن رجلاً هندياً مسلماً مثلاً دخل في جيش الهند ، وقتل المسلمين في كشمير لأنهم يريدون أن يتخلصوا من حكم الهندوس الظالم الكافر ، لو فعل المسلم ذلك وقتل مع الهندوس ضد المسلمين كان بهذا الفعل مرتدّاً .

% بعض العرب يأخذ الجنسية الإسرائيلية ويسمح لبعضهم بالتجنيد بالجيش الإسرائيلي . طبعاً يسمح لهم أن يكون جندي فقط والذين يسمح لهم أن يكونوا ضباط هم الدروز ، الفئة الوحيدة غير اليهودية المسموح لها أن يكونوا ضباطاً في الجيش الإسرائيلي هم الدروز ، لكن يسمح لغيرهم أن يكون جندي أو عريف أو نحو ذلك ، في بعض العمليات قتل ذلك الجندي الذي هو مسلم اسماً نقل إلى أن يقاتل في الضفة الغربية في فلسطين انقسم الناس هل يصلون عليه أم لا فريق قال نصلي عليه لأنه مسلم والبعض قال لا نصلي عليه لأنه كافر وقتل في معركة مع المسلمين تحت لواء الجيش الإسرائيلي والصحيح أنه لا يجوز أن يصلوا عليه لأنه خرج مقاتلاً للمسلمين ، واليهود يحاربون المسلمين لأنهم مسلمين لكي يقيموا الدولة اليهودية لا شك في ذلك ، فمن يتجنّد في الجيش الإسرائيلي ، ويحارب مع إسرائيل والعياذ بالله ، وكذا من يحارب مع الهند وكذا من يحارب مع كل دولة تعلن الكفر ضد أهل الإسلام فهو بهذا الفعل مرتد .

% بخلاف من يقاتل تحت راية جيش مسلم يعلن إسلامه ، وإن كان ينفذ المخططات في الحقيقة . من علم أنه ينفذ مخططات الكفار ، وأنه يحارب الإسلام فهو كافر ، وكذا كل من تجند لمنافقين يعلم نفاقهم ويعلم أنهم يحاربون الدين ليس يحاربون الإرهابيين والمتطرفين ، بل الذي يحارب الإرهابيين هذا متأول ومعدور ، بخلاف الذي يحارب الدين وهو عرف ذلك فهذا حكمه عند الله عز وجل الردة لكننا عندنا الظاهر أن هناك من يعلن اسم الإسلام .

% فرق مهم جداً أن بعض الطوائف التي تأخذ جانب الصدام تقول أن مجرد لبس العسكري أو الشرطي لملاابس الشرطة أو الجيش في أي دولة من الدول التي تحكم بغير ما أنزل الله يكون بذلك مرتداً عن الإسلام ، يباح دمه وماله لأنه أعلن بذلك الردة ، هذا خلل خطير في الفهم وهذا ليس لمجرد أنه يتخذ لمن يحكم بغير ما أنزل الله أنه يكون مرتداً بذلك ، لأن هؤلاء إلى الإسلام ينسبون وإليه يدعون ، وكفر الباطنية أغلظ من كفر من لم يحكم بما أنزل الله ، ومع ذلك أيضاً لم يكفر من حارب تحت لوائهم .

% من ضمن الأدلة هناك من يقول من العلماء أن مصر صارت دار ردة باتفاق العلماء ، - الشيخ محمد ابن عبد الوهاب - زمن الباطنية وهذا النقل ليس بصحيح ، ننقل عن ابن حزم أنه يقول وليس كذلك أنه من سكن في طاعة الغالية كأهل مصر والقيروان . هذا النقل ليس بمعلوم ، بل الصحيح أن ما جرى على مصر جرى على الحجاز وجرى على مكة والمدينة ، ومكة والمدينة لا تصيران دار كفر بأي حال من الأحوال إلى أن يزول من يقول الله الله من الأرض .

% قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْتِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْتِرُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ) رواه البخاري ومسلم يأزر أي ينضم ويلتجئ ، فالقراطة والحاكم بأمر الله من القراطة المسمون بالفاطميين ظهروا ليس فقط على مصر والقيروان ، بل ظهروا على مكة والمدينة فهل صارت مكة والمدينة دار ردة كما يزعم من يقول أنها صارت دار ردة باتفاق العلماء !!؟ لا يصح بذلك عالم ، بل لا يقوله أبداً ، هذا خطأ من قائله في حق مصر والقيروان ، كما أنه خطأ في حق مكة والمدينة ، مكة والمدينة لا يظهر عليها المرتدون المعلنون الردة لا يظهر عليها الكفار المعلنون الكفر ، يمكن أن يظهر عليها من يظهر الإسلام ويبطن الكفر لكن يكون منافقاً له حكم الأحكام الإسلامية في الظاهر .

% لذلك نقول قد يتهاون البعض في كثير من هذه المسائل ، وقد يتجند للكفار وقد يتجند لمن يعلم كفرهم وحريمهم للإسلام ، فمثل هذا إذا مات على مثل هذه الحال مات على غير ملة الإسلام .

% قال الله تعالى ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ) النساء ٨٨ نزلت هذه الآية فيمن ظاهر المشركين وعاونهم في قتالهم للمسلمين ، وكان بعض من تكلم بالإسلام خرجوا في طلب حاجة لهم ، وكان منهم من يظهر الكفار ويعاون الكفار على المسلمين فقالوا : إن لقينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فليس علينا منهم بأس فالمنافقون يظهرون الإسلام ويقولون ليس علينا منهم بأس فلم يضرنا لأننا نتكلم بالإسلام ، فقال بعض المسلمين لما علموا بخروجهم انطلقوا للخبثاء فاقتلوه ، فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم ، وقالت طائفة سبحانه الله كيف تقاتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به يعني الشهادتين من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم وأموالهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم ساكت بين الفريقين حتى أنزل الله عز وجل ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ) .

% الذي ذكر في الهامش هو القول الثاني في هذه الآيات ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ) لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجوع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ) فقال صلى الله عليه وسلم ( إِنَّهَا طَبِئَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ حَبْتَ الْفِصَّةِ ) رواه البخاري ، الظاهر والله أعلى وأعلم بعض العلماء يقولون أنها في عبد الله ابن أبي ، والصحيح أنها في أناس رجعوا ولحقوا بالمشركين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( إِنَّهَا طَبِئَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ - وتنفي المنافقين - كما تنفي النار حَبْتَ الْفِصَّةِ ) هذا الحديث يدل على أن هؤلاء لحقوا بالمشركين والله أعلى وأعلم ، أما من يقول من العلماء أنهم من أهل المدينة فمن أوضح ما يدل على أنه ليس كذلك وليس في عبد الله ابن أبي ومن معه أن الله قال ( فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ ) النساء ٨٩ فكيف يؤمرون بالهجرة وهم من أهل المدينة ، إذا هؤلاء أناس ليسوا من أهل المدينة أو كانوا من أهل المدينة ثم تركوها ولحقوا بالمشركين وهذا من أوضح الأدلة والآية تحكم بأنهم كفاراً لأن الله قال ( وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ) الآيات تصرح بوجوب قتلهم إذا لم يهاجروا ويتركوا مظاهرة المشركين ، وسامهم منافقين باعتبار أنهم مازالوا يظهرون الإسلام مع كونهم يظهرون الكفر أيضاً بمظاهرة الكفار ، ومعاونتهم في حروبهم ضد الإسلام ، لكن إظهار الكفر هنا كان بالعمل لا بأنه يصح بأنه كافر .

% فقله تعالى ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ) معناه لا ينبغي أن تحتفلوا فيهم ، وهذا والله ينبغي أن يقال لكل من يريد موافقة المنافقين وطاعتهم ومحبتهم ينبغي أن يقال له ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ) أي من حكم الله بضلاله أضله عز وجل هو فلا يمكن أن تهدوهم ولا أن تسموهم مهتدين في هذه الحالة ( وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ) ( وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ) بماذا كفروا ؟ هل نافضوا أصل النطق بالإسلام وقالوا نعبد الأوثان ؟ لو كانوا كذلك لما اختلف فيهم المسلمين ، واحد قال أنا أعبد الأوثان هل المسلمين تختلف فيه؟ هل يختلف فيه الصحابة وهلي يسميه القرآن منافق ويقول ( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ) ؟ لا ، بل إنما كان كفرهم بمظاهرة الكافرين ومعاونتهم في حريمهم ضد الإسلام هذه الآيات صريحة في هذا الباب ، أن الله قال ( فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا ) أي عن الهجرة والرجوع إلى المدينة ثانياً ( فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَتَّى وَجَدْتُمُوهُمْ ) إذا عاملهم معاملة الكفار وصرح بكفرهم ، فما هو اسم النفاق في الآية ؟ لأنهم مازالوا يقولون نحن مسلمون ، الكلام واضح جداً.

% أما إذا كانت المناصرة بنوع التجسس مثلاً أو بمعاونة بخبر دون القتل معهم في صفوفهم أو دون معاونتهم على القتال ، فهذا قد ورد في قصة حاطب ابن أبي بلتعة وذلك أنه جاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعنى أنه بلغ الكفار بعض أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أنه كان في جيش المسلمين ولم يقاتل مع الكفار ، وإنما راسل

الكفار بما يأسسهم من القتال لكن ليحتاطوا لأنفسهم ، ولا شك أن هذا مراعاة لمصلحتهم وإخبار الكفار بأخبار المسلمين جاسوسية وهي جريمة عظيمة لكن كان حاطباً من أهل بدر وشهد بدرًا والحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما استأذنه عمر بن الخطاب في قتله قال (إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ) رواه البخاري ومسلم .

% في قصة حاطب دليل على أن ما فعله حاطب ليس بكفر ليس بشرك ، لأن الله لا يغفر الشرك لو وقع من نبي فكيف بأهل بدر قال تعالى ( وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) الزمر ٦٥ ، فإذا أهل بدر أيضاً لو وقع منهم الشرك لحبط شهودهم بدر ، فدل عدم حبوط شهود بدر على أنه ما فعله حاطب ليس بشرك لأنه قال " والله ما فعلت ذلك ردة عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام " فالردة عن الدين والرضا بالكفر بعد الإسلام هو كذلك ، إذاً الجاسوس إذا تجسس نقول له ما حملك على ذلك ، فإن ظهر أنه يجب ظهور الكفر على الإسلام ، وإن ظهر منه أنه قد ارتد عن الدين وصرح بأنه يجب ظهور الكفار ، فهذا يكون مرتدًا . لكن إن قال والله ما فعلت ذلك ردة عن ديني ولا رضاً بالكفر على الإسلام ، ولكني خائف على أهلي وخائف على عيالي وأريد أن أكتسب مالا أنفق على الجوعى ، وليس عندي عمل ونحو ذلك فهذا لا يكون كافراً .

% الجاسوسية للكفار صاحبها في الحقيقة يستحق أن يقتل لكن لا يجب ولا يتحتم أن يقتل ، حكم الجاسوس المسلم فيه خلاف سائغ ، لكن الصحيح أنه يجوز قتله ولا يجب ، حسب ما يرى الإمام من المصلحة ، لو كان يجب أن يقتل كحد لأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد ، فأهل بدر لا يسقط عنهم الحدود مثل مسطح قد قذف عائشة رضي الله عنها وهو من أهل بدر فأقام النبي صلى الله عليه وسلم حد القذف ، وقدامة ابن مظعون لما شرب الخمر أقام عليه عمر الحد وهو من أهل بدر ، فالحدود تقام على أهل بدر فلو كانت للجاسوسية حد لازم لما تركها ، ولو كانت إقامة العقوبة عليه محرمة وما كان لا يجوز أن يقتل لأنه مسلم لما علل ترك العقوبة بأنه شهد بدرًا بل قال لأنه مسلم ولما قال أنه قد شهد بدرًا ، فدل ذلك على أن غير أهل بدر لو تجسسوا لنظر الإمام الحاكم فيهم هل يقتلهم أم لا ؟ حسب المصلحة ، فيجوز قتل الجاسوس المسلم إذا تجسس وليس ذلك واجباً وإنما الأمر مبني على المصلحة فيجوز قتله إذا كانت المصلحة في ذلك ، إذا قتل يقتل بأحسن طريقة كما يقتل المسلم بل الكافر فنقول هذا على الصحيح من أقوال أهل العلم على خلاف بينهم في مسألة حكم الجاسوس .

% لكن مسألة التجند للكفار مسألة أخرى أنا لا أعلم فيها خلافاً بين أهل العلم ، مسألة أن يكون مقاتل للمسلمين فهناك من المعاصرين من يجعل التجند للكفار ليس بالموالة المكفرة لهم ، وهذا من أبطل الباطل والآيات ترد هذا القول ، من يتجند للكفار المعلنين لكفرهم ، والقول الآخر على النقيض منه الذي يجعل التجند لمن عنده أنواع من الفساد وحكمه بغير ما أنزل الله مع أظهرهم للإسلام يجعل التجند لهم كفراً بلا تردد أيضاً ، ودون أن يقيم حجة ، ودون أن يراعي شبهة ، فمثل هذا أيضاً تجاوز لحدود الشرع في ذلك والله أعلى وأعلم .

% كل من يعين الكفار على أمر القتال فهو كذلك مقاتل معهم ، يقول ابن حزم " ومن كان مقيماً هناك معيناً للكافر بخدمة أو كتابة فهو كافر " يعني الخدمات النجوسية كما يسموها يعاون على قتال المسلمين بتقديم خدمات الكفار لا بد لهم منها حتى يتم القتال فمثل هذا ليس كالذي فعل حاطب ، فعل حاطب ليس بهذه الطريقة .

( من معاني الموالة الطاعة )

- فكما ذكرنا أن من معاني الموالة أن المؤمن ولي الله بمعنى أنه مطيع فمن ضمن معاني الموالة الطاعة ، الموالة الواجبة طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الأمر من المؤمنين .

% وأما طاعة الكفار فعلى نوعين :

الأول : من أطاعهم في الكفر واتبعهم عليه ، ودخل في طاعتهم فهو مثلهم ، نقول سواء كانت الطاعة في الكفر أي الكفر بعينه أو دخل في الطاعة المطلقة الكاملة ، يعني هو يقول سادتي وأهل طاعتي الذي يأمروني به سأفعله حتى لو كان كفراً ، يعني هناك صورتين في الطاعة ، الطاعة المطلقة يرى أنهم لا بد أن يطاعوا ولو أمروا بالكفر وهذا والعياذ بالله موجود حتى في أناس منتسبين إلى الإسلام ، عندهم لو أن فلانا أمرهم بالكفر لكفروا فهذا وحده عبادة وهذا شرك والعياذ بالله قبل أن يكفر طالما عزم على أنه لو أمره بالكفر كفر لكان هذا والعياذ بالله كفراً ناقلاً عن الملة .

% لو تصورنا أحوال الكفار وأمرهم في دائرة كبيرة تشمل الكفر والمباحات ، الكافر قد يأمر بمباح أو كفر أو محرم ، فمن أطاعه طاعة كاملة يكون لازم أن يطيعهم في الكفر قال كل ما يأمروني به فأنا متابع لهم فيه وأنا ملتزم بكلامهم حتى لو أمروني بالكفر لكفرت ، وإن لم يفعل فإنه من لحظة قوله ذلك أو من لحظة اعتقاده صار كافراً وكثيراً من الناس يعزم على ذلك وليس من أهل الكفار فقط بل عنده أن صاحبه أو رئيسه أو ملكه لو أمره بالكفر لكفر بمعنى أنهم لو أمره أن يذبح لغير الله أو يسجد لغير الله فيفعل ذلك للتخلص من مهمته دون إكراه معتبر أو لتحصيل المصالح كالذي دخل النار في ذباب ، يعني هو عنده الكفار لو طلبوا منه أن يقرب ذباباً إلى أصنام لقرب ، أو أنه مستعد أن يجارب الإسلام فيفعل ، ويأمرونه أن ينشر الكفر في الناس فيفعل يقول ليس لي دخل أنا أنفذ ما أمروا به ، وهذا مثلاً لمن ينشر التنصير :

% أحرني بعض الأخوة أنه قرأ أو سمع بعض القساوسة المنصرين في أندونيسيا أنه ركب الطائرة فأخبره فقال له أنا أبي وعمي وكلمه في الإسلام فناظره لأنه ظنه أنه متحمس للتنصير فقال له أنا أبي وعمي مسلمين وجدي وأنا أخذت وأنا صغير وأخذوني مع الفئات المنصرة صغير ابن تسع سنين وصرفوا عليه فتنصر فقال أبي عندك خذه واصرف عليه وأنا أريده أن يكون مسلماً لكن وفر له الحاجات الأساسية والعياذ بالله هو نفسه ليس مقتنع النصرانية لكن ماذا يفعل ؟

% ينشر النصرانية والعياذ بالله لأنه يريد المال ، هذا هو عبد الدرهم فعلاً ولا نصراني في نفسه مقتنع بما لا بل لكنه في حكم الظاهر كذلك وفي شرع الله هذا عبد الدرهم وعبد الدينار باع دينه بعرض من الدنيا يقول للمسلمين خذوا ابني واجعلوه يأكل ويشرب على ما يرام ويجد الاحتياجات الأساسية الخاصة به ، واجعلوه مسلماً وأنا ليس عندي مانع والعياذ بالله ، فانظر إلى هذا الحال ، هذا حال من أمره أن ينشر الكفر في الناس قالوا له اتفق معنا وانشر وسط الناس أن هذا القرآن فيه أخطاء لأن الأمة هذه متخلفة بسبب القرآن ، فأنت لابد أن تحاول تساعداً أننا ننشر أن القرآن فيه أخطاء ، يرجع من عندهم يقول القرآن هذا شعر ويقول هذا القرآن أنا أمسك القلم الأحمر وأصلح فيه ، والناس تأتي عليه يقول لا بل أنا مسلم ، هذا هو من ينشر الكفر في الناس ، الذي يتهم الوحي مباشرة أنه ليس من عند الله بل من الشعر الذي قاله محمد وهذا من الشعر الذي كان في الجاهلية وأما الشعر الآخر فمصطنع ، والشعر الجاهلي الحقيقي هو القرآن والعياذ بالله ، وواحد يتفقوا معه أنهم يطلبوا منه أن يقول للناس بنشر الإباحية ، لدرجة أنه يصل أنه يقول في يوم من الأيام أنني أتمنى اليوم الذي يأتي وتدخل فيه البنت الشرقية . المسلمة يعني . مع الصديق الخاص بما البيت وتدخل به أمام والدها حجرة النوم وتقول هذا البوي فرند الخاص بي ، مثل ما تفعل الفتاة في الغرب ، ويتمنى اليوم الذي يصل فيه كذلك والعياذ بالله ، وهذا لن يحصل إن شاء الله ، لكن في بعض الطبقات يحدث فيها ذلك ، أنا أتكلم على نوع هذا الرجل الذي يقول أنا سأسمع كلامكم ولو في نشر الكفر والعياذ بالله ، يتابعهم في الكفر والعياذ بالله .

% الذين هم يطالبون بالحرية ومن ضمن الحرية الطعن في الدين ، مثل كل من طعن في الإسلام في بلاد المسلمين تجد الغرب كله يقف للحماية - ونسرين تسلمية - مؤلفة الرواية التي على رواية آيات شيطانية لسلمان رشدي ، التي هي على نسق في الحقيقة أولاد حارتنا ، والثلاثة واحد في الطعن في الدين من أصله ، في أناس يطالبوهم أنهم يتبعوا الدين ، لكي يجعلوه كبيراً عند الناس عظيماً وأديباً يأخذ الجوائز ويعلم أنه في المقدمات وهو يطيعهم في نشر الكفر البواح والعياذ بالله ، يطيعهم في نشر الكفر الذي لا خفاء فيه وهو لا يطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم فقط بل يطعن في سيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا إبراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم على رأس المطعون فيهم والإسلام نفسه ورننا سبحانه وتعالى ، فمن يأمرونه أن ينشر الكفر فيفعل ذلك !!؟

% الكفار قد يأمرونه أن يحارب الدين بصفته مسلماً يطلبون منه أن يعد أبحاثاً عن الدين تتضمن الكفر لصد الناس عن الإسلام ، وهذا واقع بالفعل وكثير من الناس من أجل المال والمنصب والوجاهة يؤلف روايات مثلاً فيها كفر ليزلزل عقائد المسلمين أو يؤلف كتباً أو أبحاثاً لينسبها إلى الدين لينشر الكفر في الناس أو ليصد الناس عن الالتزام بالإسلام أو كما ذكرنا لو أمره أن يسجد لصنم فيسجد للصنم ويقول وما فيها أنا أجبر عندهم والعياذ بالله أو أمره أن يعلق الصليب ، علق هذا الصليب يقول حاضر ، ويعلق الصليب فوق رأسه وهذا أكثر والعياذ بالله وفي أناس تعظم الصليب حتى يشفى ابنهم والعياذ بالله ، يقولون له ضع هذا الصليب فوق رأسك وأنت نائم فيضع الصليب فوق رأسه لكن هذا يحتاج إلى إقامة حجة وما هي الحجة ، ( وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ ) النساء ١٥٧ وأنه يبين له أنه صليب لأنه ممكن يقول أنا لم أراه ولا هو واضح أنه صليب ، مثل أناس قالوا لا أنا لم أنتبه إلى هذه أنها بداخلها صليب وهذا وارد ، وتجد شباب يرتدون أشياء ولم ينتبهوا أن بداخلها صليب هذا بلا شك أنه لم ينتبه ، وفي قرائن تدل على احتمال الجهل بذلك ، فمثل هذا لا يكون مكفراً ، لكن تعظيم الصليب وهو يعلم أنه صليب والعياذ بالله وغير ذلك من الأمور ينظر في الفعل ، الفعل نفسه إذا كان كفراً وأطاعهم فيه بغير إكراه معتبر شرعاً فإنه يكون كافراً ، وكذلك لو أطاعهم الطاعة المطلقة ، وكذا لو اتبعهم على الكفر ، قال الله تعالى ( وَلَا تُطِيعُوا مَنْهُمْ أَيْمًا أَوْ كُفُورًا ) الانسان ٢٤ قال الله تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّبِعِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ) الأحزاب ١ وقال تعالى ( وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ) النساء ١١٥ قال عز وجل ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطَطُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَفَّ عَنْهُمْ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ) محمد ٢٦ إذا كانت طاعتهم في بعض الأمر كذلك لأهم قالوا للذي كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ، فكيف بمن يطيعهم في كل الأمر فكيف بمن يطيعهم الطاعة المطلقة .

% الثاني : من أطاعهم في المعاصي وهو على حالين:

%الحال الأول : أن يطيعهم في المعصية ، وهو يعلم ويقر على نفسه بالمعصية وأنه مذنب ، فهذا له حكم أصحاب الذنوب ، يعني واحدة أوروبا ويسمحون بالتبرج فهي تتبعهم على التبرج ، ويقولون للمرأة اخرجي وخذي حقلك فهي أخذت حقلها فتبرجت وصاحبت من شئت وخرجت مُفسدة في الأرض ، تقول لها ماذا التبرج ؟ تقول معلنش لماذا البنات كلهن متبرجات وأنا لم أتزوج بذلك إذاً هي مقرة على نفسها أنها عاصية ومذنبه فمثل هذا له حكم أصحاب الذنوب .

%الثاني : أما إذا تبعهم في المعصية يرى أنها حلال ولا بأس بما وأن فعلها تقدم وحضارة ، هذا كفر لأن استحلال المعصية في حقيقة الأمر كفر بخلاف المعاصي .

%فالاستحلال أين نشترطه ؟ في المعاصي ، أما المكفرات فيشترط فيها استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، لا يشترط أن يقول أنا أنشر الكفر وأنا غير مستحل والذي يقول هذا ضال مضل والله العظيم ، يعني الذي يقول لا بل لابد أن يقول لكي يكون كافر ولو سب ربنا وسب النبي صلى الله عليه وسلم ولو سب القرآن ولو قال أنا لا أستحل نشر الكفر

ولكن أنا أنشر ذلك مثل القسيس الذي نشر الكفر وهو يقول أنا غير مستحل إذا هذا ليس كافر؟ لا بل هو كافر والذي لم يكفره كذلك لأنه جاهل ضال ، لأنه من أبشع أنواع الضلال أن يشترط مثل هذا الأمر ، الذي يقول لم يكن كافراً لو نطق الكفر حتى يستحل الكفر .

% نحن نقول استيفاء الشروط وانتفاء الموانع لأنه ممكن يكون مجنون ممكن يكون مكروه ممكن يكون صغير لم يبلغ ممكن يكون عنده في مسألة لم يعلم أنها كفر عنده جهل أو تأويل لكن لا يشترط الاستحلال في مثل هذا ، الاستحلال يشترط في المعاصي .

%الذين لا يفرقون بين الشرك وما دون ذلك على جهل وضلال وبدعة منكرة ، لأن الله فرق بين الشرك وبين ما دون ذلك ، فالذي يفعل ما دون الشرك لا يكفر حتى يستحل مثل ما قلنا المتبرجة ، والذي يكفر المتبرجة يكون ضال ، ومتى تكفر المتبرجة؟ لو قالت التبرج حلال وتقدم وأنا أعلم أن الإسلام فرض الحجاب ، هذا هو الكفر ، لكن أن يشترط للشرك والسجود لغير الله وسب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون مستحلاً؟! .

%نقول إذا تبعهم مثلاً في فعل الفواحش ، فعل الفواحش عند الغرب حرية ولا بأس بما من استغل الفرصة وذهب إلى بلاد الغرب أو هو في بلاد المسلمين ووجد الفرصة متاحة أن يجد الفواحش إذا قلت له الزنا وشرب الخمر محرمان ، أو أن أحد يعمل في القرى السياحية الفاسدة ويقول ماذا أفعل أنا والله أنا متضايق من الذي أنا فيه لكن أنا لم أجد الطعام ، ولم أجد العمل عندنا ومن أين أتزوج ومن أين أسكن ، هذا يكون عاصي مع أنه يقول أنا سأستمر في العمل ، لكن لا يقول هذا الكلام إباء ورد للشرعية لكن حرصاً على المعصية ، لذلك هناك فرق بين التكرار وبين الإباء والاستكبار ، الإصرار والتكرار شيء غير الإباء والاستكبار ، الإباء والاستكبار يقول لا يلزمني الشريعة والعياذ بالله ، ويقول الشريعة هذه تخلف ورجعية والعياذ بالله لكن ثبت الشريعة ولكن يرى أنها لا تلزمه الشريعة ، والتكرار يقول أنا لا أستطيع أن أقنع والمصر يقول أنا ناوي أفعلها مرة أخرى لأجل المعصية ولذتها والمال مازال لم يكتمل وأنا لم أجد فرصة أخرى تعوض المال الذي يأتي من فندق السياحة الذي فيه مخور ماذا أفعل أريد الزواج وأريد سكن ، هذا إنسان عاصي مصر على معصيته ولو على الكبيرة ، الذي تكرر منه يعملها ويتوب ويرجع أو يتوب ويفعلها ويتوب ويعملها مرة أخرى ، التكرار ممكن يكون مع الإصرار وممكن يكون مع عدم الإصرار ، ممكن واحد يذنب الذنب ويتوب ويرجع ويفعله مرة أخرى ويتوب يكون تكرر ، مصر ولو ذنب فعله مرة واحدة ، لكن ناوي يفعله ثانية عندما تأتي الفرصة أمامه وممكن يكون هو مازال فاعلاً للذنب الآن .

%وأما إن كان مستكبر وعنده إباء واستكبار يقول لم أكن لأسجد لم أكن لألتزم للشرعية لم يكن يلزمني الحلال والحرام والعياذ بالله ، الله حرمه بجرمه ولا يلزمني والعياذ بالله ، هذا كافر وعنده إباء واستكبار وهذا كفر إبليس ، الذي لم يكفره يكون مبتدع ضال إن لم يكن كافراً والعياذ بالله .

بعد ذلك الاستحلال:

%والاستحلال هذا في المعاصي والذنوب ، يقول الشرع لم يحرم الزنا هذا يُنظر فيه إذا كان على علم ، وينسب ما يقوله إلى الشريعة ولكن يقول أنه مخالف للشرعية ، ويكون معلوم من الدين بالضرورة يكون هذا يكفر بذلك بعد إقامة الحجة عليه .

%فنقول أن من قال أنا مذب فهو عاصي حكمه حكم أصحاب الذنوب والمعاصي ، والمعاصي يريد الكفر والكبائر أشدها ، بخلاف من يقول هؤلاء الأجانب متقدمون جداً عندهم الحرية تصل إلى هذا الحد ياليت المسلمين يكون عندهم كذلك ، ويرى أن هذا تقدم وحضارة بفعل الفواحش والدعوة إلى العقائد المنحرفة ، وإنكار وجود الله والتمرد على المجتمع المسلم والتجرد من القيم والأخلاق ، الحرية هذه عندهم التي يروج لها من يريد ، بما فيها حرية الكفر هو والعياذ بالله ممن يستحل هذا.

%مثال لذلك:

- نقول امرأة متبرجة حدثها عن الحجاب فقالت أنا مخطئة ، هذا بخلاف الأخرى المتبعة إلى الغرب التي تقول أنتم ما زلتُم تعيشون في مخلفات العصور الوسطى وعصور الحجاب ونحو ذلك ، أنا غير مقتنعة بالحجاب والحجاب تخلف ورجعية ، الأمر كما ذكرنا الطاعة في المعصية مع اعتقاد أنها معصية تكون معصية ، أما باعتقاد أنه لا بأس بالمعصية مع استباحة المعصية مع إباء الطاعة والتكبر على شرع الله كفر ، كذا من تشبه بهم مع علمه بخطئه له نصيب في الشرك الأصغر إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني .

طالب : ماذا في صنع الصليب يا شيخ؟

الشيخ : صنع الصليب مثل تعظيم الصليب ، لكن وارد فيها الجهل ، وارد فيها أن أحد يصنع توابيت لدفن النصارى ، أو حداد قالوا له اصنع لنا باب بيت فعمل لهم باب فيه صليب حرام ، عليه ذلك ولو يعلم الحكم الشرعي وعظم الصليب فهو كافر .



أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٥١- من معاني الموالاة الصداقة

من معاني الموالاة التي يجب صرفها للمؤمنين ويحرم صرفها للكفار معنى الصداقة ، وقد ذكرنا أن من معاني الولي الصديق ، فاتخاذ الكفار اصدقاء وأخلاء لا يجوز لقول الله تبارك وتعالى وَيَوْمَ يَعْصُ الطَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا الفرقان ٢٧ وهذه معصية قد تصل إلى الكفر لو تضمنت تصحيحاً لمذهبه وحجاً له على كفره أو رضاً بكفره كما ذكرنا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا ) رواه الإمام مالك في الموطأ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ) رواه أحمد وحسنه الألباني ، وهذا دليل على تغليب أمر الخلّة والصداقة والصحة ويجب أن يكون ذلك في المسلمين والأتقياء الصالحين ، ( لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا ) المقصود بأكل الطعام أن يكون معه أثناء الطعام وقال عز وجل وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا الإنسان ٨ ولو كان له عبد كافر لكان واجب عليه أن يطعمه ولكن لا يأكل معه لأجل ألا يكون تأنيساً له ، وإنما يأكل مع الذي تحصل صحته وهو المؤمن الصالح ، وقرناء السوء من أعظم أسباب الفساد على الإنسان وكان سبب موت أبي طالب على الكفر القرناء السوء ، أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية عندما قال له قبل موته أترغب عن ملة عبد المطلب ، وقد أوشك أن يقول لا إله إلا الله فسيحان الله قرناء السوء سبب فساد الإنسان حتى الفسقة المسلمين لا ينبغي أن يصحبهم ولا يجوز أن يصحبهم لأن ( لا تصاحب إلا مؤمناً ) معناه أن مصاحبته للفاسق وهو ناقص الإيمان يصح أن يقال عنه ليس بمؤمن كشارب الخمر ومدمن المخدرات والمصر على التدخين وسماع الأغاني والموسيقى ، من كان مصراً على المنكرات صحبته تضر أعظم الضرر فليتنظر كل إنسان في من يصاحبه .

### من معاني الموالاة النصيحة والمعونة

فمن نصح للكفار وعاونهم على باطلهم فقد اتخذهم أولياء قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ المائدة ٥١ فلو عاونهم على إقامة الكفر لكفر ، كمعونة النصر بالقتال كمن ينصرهم في قتالهم ويعاونهم على قتل المسلمين ، وأما من عاونهم على معصية فهو عاص .

وهناك المعونة والنصيحة لهم ، وليس المقصود بالنصيحة هنا أن ينصحهم بالإسلام مثلاً وقد قال شعيب وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ الأعراف ٩٣ وقال نوح أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ الأعراف ٦٢ وإنما نعني بها مراعاة مصلحتهم وبقائهم على الكفر أعني أنه لا يريد إلا تحقيق الخير الديني لهم دون أن ينظر في أمر دينهم ، كما ذكر الصحابة مالك ابن الدخشم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بالنفاق قال ألا ترى إلى نصيحته للمنافقين ؟! فلما كان ناصحاً لهم بأنه يرشدهم على ما يتحايلون به على الدين وكان هذا مما يذكر عن مالك وليس بصحيح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت أنه قد قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، لكن كما ذكرنا من نجده ينصح للمنافقين وللكافرين ينصحهم مثلاً بما يظهرون به على المسلمين ينصحهم بأن يسعى في مصلحتهم دون مصلحة المسلمين .

البيع والشراء من الأمور الجائزة لكن تجد أحياناً من يسعى في مصلحة الكفار كمن يشتري منهم صفقات لأنقاذ اقتصادهم مثلاً لكي لا يصيبهم شيء مع كون هذا الأمر يحتاجه المسلمون مثلاً ، لو الوقود مثلاً يُحرّمه المسلمون الذين هم أصحاب الحق فيه ويعطى مثلاً بما يكون في الحقيقة نصحاً لأعداء الله يكون هذا من باب الموالاة ، مع أن الباب أصله من باب البيع والشراء والأمور الجائزة لكن إن كان يعقد الصفقات معهم لأجل مصلحتهم دون نظر إلى مصلحة المسلمين فمثل هذا يدخل في هذا الباب بالنية وإن لم يكن الفعل نفسه .

طبعاً الموالاة الواجبة في هذا هي نصيحة المؤمنين ، النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( الدِّينُ النَّصِيحَةُ ) متفق عليه فالواجب أن تنصح للمؤمنين وأن تعاونهم على البر والتقوى ولا تتعاون مع أحد على الإثم والعدوان ، المعونة من معاني الموالاة فلا بد أن تنظر حتى المسلمين

العصاة حتى من يرتكب إثماً وعدواناً لا يجوز أن تعاونه على الإثم والعدوان ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ المائدة ٢ كل ما يعين على معصية الله فهو معصية لا يجوز للإنسان أن يعملها ولو كان أصله مباحاً كتجارة أو بيع لكن إذا كان يعلم فيستعين بهذا على معصية الله لم يجز له ذلك ، ولذا نهى عن بيع السلاح في الفتنة ونهى عن بيع العنب لمن يتخذه خمراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( مَنْ حَبَسَ الْعَنْبَ أَيَّامَ الْقَطَافِ، حَتَّى يَبِيعَهُ مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ خَمْرًا، فَقَدْ تَفَعَّمَ النَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ ) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي " الْأَوْسَطِ " بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وقال الألباني حديث باطل وهذه بعض الطرق والألفاظ .

#### من معاني الموالات المشاركة في الأعياد والتهنئة بها

من معاني الموالات المشاركة في الأعياد والتهنئة بها وذلك لأن هذا تشبه ومتابعة كما ذكرنا ، ولي فلان فلاناً إذا تبعه ، المتابعة موالاة ، ومن يتبعهم على الكفر كفر، ومن يتبعهم على المعصية مع اعتقاده أنها معصية فهو عاص فمن أعظم متابعتهم التشبه بهم فيما هو من خصائصهم ، وهذا الأمر في الأعياد خصوصاً هو من أعظم الخصائص لأنه يجمع معنى ديني ومعنى دنيوي فإذا كانت المعاني الدنيوية المحضة كالتياب الخاصة بهم لا يجوز أن يتشبه بها ، فكيف بمن يجمع الاعتقاد الديني والأمر الدنيوي ، ولا يجوز أن يشاركهم في شيء من ذلك ولو في الأمر الدنيوي بالتوسعة على الأهل والعيال واللعب واللهو والسماح به في مثل هذه المناسبات لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهاهم عن اللعب في اليومان اللذان كانا يلعبان فيهما في الجاهلية حيث قال ( قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ ) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني فدل ذلك على أنه لا يؤذن باللعب في أيام أعياد المشركين ، وأوضح هذه المناسبات عند عموم الناس شم النسيم وعند خاصة المتشبهين بالغرب رأس السنة والكرسمس ، لكن شم النسيم عند الناس عيد بالفعل وليس مجرد محاولة للتشبه مثلاً ، وإن كان الكثيرون الآن يحتفلون برأس السنة ونسأل الله العافية ، كما ذكرنا التشبه محرم لأنه متابعة والمتابعة موالاة ، والمشاركة في العيد كذلك .

أما لو تضمنت المشاركة إقراراً بصحة اعتقاداتهم الباطلة في الأعياد كاعتقاد النصارى في موت المسيح وصلبه وهو عندهم الرب ، وهو يهنئهم معتقداً صواب ذلك فلا شك في كفر من فعل هذا ، وكذا مسألة الميلاد لو اعتقد صحة ميلاد الرب والعياد بالله أو ولادة الرب هذا أقطع لفظ وأقبح من التهنئة بالزنا وشرب الخمر والعياد بالله لو اعتقد صحة ذلك لكفر ، أما لو شاركهم من باب المجارة أو من باب حسن العشرة فهذا جهل عظيم وضلال مبین ، ولا شك أنه عظيمة من العظائم والكبائر خاصة لو انتسب إلى الدين والدعوة ، فكثير من الاتجاهات المنحرفة المنتسبة للعمل الإسلامي تبادر إلى مشاركة الكفار في أعيادهم وترسل وفوداً للتهنئة بأعياد الكفار وتشهد ما يسمونه قداساً وهو ليس تطهيراً فأى دنس ونجس أعظم من الشرك بالله والاحتفال بموته وقيامته من الأموات يسمونه قداساً والقدس هو الطهر أفيكون ذلك تطهيراً أم تدنيساً ؟ فلا شك أن كل من حضر قد تنجس بطنه بالسكوت على ما يقال من هذا الكفر والعياد بالله بالميلاد أو بالموت والعياد بالله والصلب وهذا تكذيب للقرآن صريح لأن الله قال وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ النَّسَاءُ ١٥٧ وتعظيم للوثنية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لعدي ابن حاتم لما رآه قد علق صليلاً قال ( ألق عنك هذا الوثن ) فسمى الرسول صلى الله عليه وسلم الصليب وثناً ، فمن يراه يعظم الأوثان ويصرح صراحة يقول باسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد آمين ، ونحو ذلك من الكلمات التي يقولونها في هذه المناسبات أيجوز لمسلم أن يشهد ذلك ويسمعه ساكناً مقرأ قائماً معهم حيث قاموا جالساً معهم حيث جلسوا ، وربما يكون في ذلك نوع من التعظيم لكلمات كفرية يقولونها حينذاك ، لا يجوز تهنئة الكفار بذلك أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها .

وعندما يترأس منهم رئيس مثلاً ويصير طاغوتاً هناك من يرسل له التهنئة بذلك وكما يحدث عندما يترأس الكثير من الكفار في بلادهم نعي أن هناك رئاسة دينية وهناك رئاسة دنيوية وكلاهما من الطغيان فالذي يهنئه بأنه صار مثلاً كبيراً ساقفتهم أو كبير باباوتهم أو نحو ذلك فضلاً عن من يترحم على من مات منهم من أجل ما قدمه لدينه فنعوذ بالله هذا في الحقيقة لا يصدر من مسلم يعي ما يقول وإنما أحسن أحواله أن يكون غائباً عن الوعي ، أحسن أحوال من يترحم على كافر منهم من أجل أنه كان يدعو إلى الكفر أنه غائب عن الوعي نسأل الله العافية ، وهذا من أبطل الباطل وكما ذكرنا أهون منها وإن كانت في مثلها كما ذكرنا التهنئة على الولايات الدينية الباطلة التي هي ترأس في الكفر والعياد بالله ، أهون منها وإن كانت من جنسها التراس للولايات الدنيوية لكنها ولايات ليست لمن يستحقها وإنما يكونون كبراء قومهم في الصد عن سبيل الله وفي أذية المسلمين وفي انتهاك حرمتهم فلا يجوز أن نهى كافر برئاسة أو مُلكٍ تملكه ، ومثل هذه من المناسبات لا يصح أن يقال مجاملات لا حقيقة لها بل لها حقيقة أنه يفرح بولاية فلان وملك فلان ورياسة فلان وتهنئته على الولايات الظالمة من الأمور المنكرة المحرمة بل هذا في المسلمين أيضاً لأن هذا كما ذكرنا من الرضا ، فلا يجوز لك في مسلم يعصي الله سبحانه وتعالى في ولاية تولاه أن تهنئه على ذلك وأنت تعلم أنه يعصي الله أو أنه ينافق أو أنه يظلم المسلمين ككل الولايات الظالمة التي يتولاها البعض بغير عدل وبغير أمانه وبغير كفاءة وبغير أمانة ليس قويا ولا أميناً وتهنئه على ذلك ؟ فأنت ترضى بهذا وتفرح به هذا من معاني الموالاة المحرمة والعياد بالله .

التهنئة على الولايات الظالمة المنكرة المحرمة ، لو أن أحداً هنئ ظالماً على ولاية يعلم أنه ظالم فيها ، لو هنئه على منصب يتولى ظلم الناس فيه لكان هذه موالاة محرمة كمن هنئ شخصاً لأنه صار طاغية يحكم بغير ما أنزل الله أو أنه صار مطالباً للحكم بغير ما أنزل الله أو صار ممن يطب أحكاماً تخالف شرع الله فيظلم الناس أو يضربهم أو يؤذيهم فالناس يتبادلون التهنئات بمثل ذلك وهذا لا يجوز .

إنما الذي يجوز في أمر التهنئة للكفار هو ما كان من أمر مشروع كمن تزوج مثلاً فلو أن نصرانياً تزوج فقلنا له هنئاً لك بالزواج فهذا مما لا يحرم ، قد ذكر ابن القيم رحمه الله ذلك في حقوق أهل الذمة يقول : هذا من حسن العشرة والبر الجائز والمشروع لأن الزواج أمر مشروع وكذا لو أنه شفي من مرض فدعى له بالهداية والمغفرة أو دعا الله أن يوفقه لشكر نعمته فهذا أيضاً مما لا يحرم. إنسان منهم فعل شيئاً حسناً ولو كان مثلاً كافراً أو مسلماً ظالماً لكنه فعل شيئاً حسناً كفى أذى عن مسلم فيمدح على ذلك كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ( لو كان المطعم ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء المتني لأطلقتهم له ) يقصد أسرى بدر فكان يثني على المطعم ابن عدي من أجل أنه هو الذي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم فمثل هذا إذا قيل له جزاك الله خيراً أو أحسن الله إليك ولو كان كافراً فضلاً على أن يكون مسلماً ظالماً أو منافقاً يظهر الانتساب للإسلام فمثل هذا لو دعا له بالهداية والتوفيق لشكر النعمة فهذا مما لا يحرم .

ولابد أن تكون التهنئة بصيغة إسلامية لا تهينة مجردة بل تكون صيغة موافقة للشرع ، أعني لا تكون تهينة بأنواع تدل على الموافقة على ما هو عليه من الفساد الآخر ، قد كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول ( يهديكم الله ويصلح بالكم ) ولم يكن يقول لهم ما كان يقوله للمسلمين فهذا مما يفرق فيه بين المسلم والكافر ، الكافر إذا عطس وحمد الله نشمته بأن نقول له يهديكم الله ويصلح بالكم - مع أن الدعاء بالرحمة للكافر الحى مشروع - لكن من باب التفرقة بينه وبين المسلم ولإلا يتوهم أن الدعاء له بالرحمة للحى كما ذكرنا يقتضي أنه على حال حسن يمكن أن يرحم وهو عليها خصوصاً إذا لم ينتبه السامعون إلى أن الدعاء بالرحمة والمغفرة معناه أن يتوب الله عليه من الكفر وأن يرده إلى الإسلام فهذا في الحقيقة أمر الرحمة لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إعراضاً عن يرحمكم الله قال لليهود ( يهديكم الله ويصلح بالكم )

فأما الإستغفار للميت فقد قال الله عز وجل مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ التوبة ١١٣ ومثله الترحم عليه فإن يستغفر لكافر ولو كان أباً أو أما أو عمّاً أو خالاً أو ابناً أو أي قريب فضلاً أن يكون رأساً من رؤوس الطواغيت أن يترحم عليه وأن يقول له في التعزية غفر الله لميتك وأن يقول في المتوفى فلان الكافر رحمه الله أو المرحوم فلان أو أسكنه الله فسيح جناته أو أن يقال الشهيد فلان من الكفار ، من الضلالات المبينة التي يدرسونها للأولاد أن يقولون أول شهيد في التاريخ واحد من الفراعنة اسمه سكلنر وأول شهيد في التاريخ واحد من عباد الأوثان المصريين لأنه مات في حرب الهكسوس والعياذ بالله كذب وزور وباطل والعياذ بالله ، يمكن أن يقول أول شهيد هابيل الذي قتل ابن آدم الأول الذي قتل ظمناً وفي الإسلام معلوم لكن مثل هذا أن يقال عنه الشهيد ، مثلاً عصر الشهداء النصارى الذين قتلهم الرومان منهم من كان مثلاً يعتقد صلب المسيح ويعتقد أولهية المسيح فمثل هذا لا يمكن أن يسمى شهيداً وإنما الشهداء من المسلمون الموحدون الذين قتلوا في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فمن قتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد أما من مات على الكفر ودافع عن الكفر فكيف يقال له يرحمه الله ، لذلك نقول لا يجوز أن تكون الصيغة في التعزية والتهنئة مجردة دون أن تكون موافقة للشرع .

وكذلك السلام فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا راسلهم بدأهم بنوع من التحية في الحقيقة ليست تحية فكان يقول في الرسالة ( السلام على من اتبع الهدى أو سلام على من اتبع الهدى ) كمقدمة للكلام فالذي يشرع أن نقول له مثلاً وفقك الله في شكر نعمته في الشفاء وأعانكم الله على معرفة فضله عليكم في العافية ونحو ذلك على أنه دعاء بالهداية ، والصحابة رضي الله عنهم يقولون إن الإنسان قد يكون سبباً في هداية غيره كلما ناوله شيئاً قال غفر الله لك هداية الله ونحو ذلك مما هو دعاء له بالهداية وبالدخول في الإسلام لأنه لن يغفر الله له ولن يبارك فيه إلا إذا أسلم فلا بركة بغير الإسلام ولذلك أسلم كثير جداً من أسرى المسلمين ربما يسبب دعوة دعا بها أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد المسلمين فاستجاب الله له وهذا الأثر " لعله أن يكون سبباً لهدايته " ماثور عن حذيفة رضي الله عنه .

الغرض المقصود أن التهنئة بمظاهر الكفر والشرك أمر من أعظم أمور الموالاة خطراً ، وقد ثبت نهى عن النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار عن اللعب في يومين من أعياد الجاهلية وقال ( قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَوْنَ فِيهِمَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ ) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني .

الزواج خير من الزنا والزواج مشروع شرعه الله للأنبياء جميعاً والصحيح أن التهنئة بالزواج هو مما يُشرع لأنها من فروع الشريعة التي يوافقون عليها ، بغض النظر عن أنهم يتنجسوا بكفار حتى ذكر ابن القيم رحمه الله مسأله أنه يهنئه على الولد للجزية ، لكن الظاهر عموماً أن النعم يكون الدعاء فيها للتوفيق لشكرها ، من قال له في الولد الذي يولد له وفقك الله لشكر نعمته لهذا الولد لكان ذلك مشروعاً والله أعلى وأعلم .

التعزية في الميت أن يقول له البقاء لله أو أتقي الله واصبر ونحو ذلك ، للكافر يقول له اتق الله واصبر الأمر بتقوى الله للأولين والآخرين والصبر خير من الجذع ، فلو أنه كافر صبر لكان خيراً من الكافر الذي قال لماذا تفعل ذلك يارب ظلمتني يارب ، كفر فوق كفر لكن إذا صبر كان خيراً له كان أهون شراً كان أقل سوءاً ممن جذع عندما أصابته مصيبة ،

ولا يأخذون ثواباً على الصبر لأن الثواب شرطه أن يكون مسلماً أن يكون موحداً لأن الله قال وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ الزمر ٦٥ لكن كما ذكرنا أقل شراً ثقل عليه العقوبة بدلاً من أن يرتكب المنكرات والفواحش .

كما ذكرنا لو زنا أو تزوج ؟ الزنا زيادة في العقوبة لو أنها سترت عورتها أو انطلقت في الطرقات متبرجة كاشفة عورتها بالنسبة للمرأة الكافرة لكان سيرها مستورة أهون شراً من أن تسير متبرجة.

واتباع الجنائز في زماننا لا ينبغي أن يختلف فيه لأنها لا تخلوا من صلبان ومن مظاهر الكفر الأخرى ومن الكلمات الكفرية التي يقولونها وأحياناً موسيقى جنائزية تتبعهم ، ومثل هذا لا يجوز وإنما الاختلاف إذا لم توجد هذه المظاهر فلا يتولى دفنها إذا كانت حتى زوجته أو حتى قريبته يتعد عنهم إذا ولوا أمرها لكن إذا وجدت مظاهر الشرك لم يجز له أن يحضر في أي من هذه المناسبات .

لو دعاه للزواج في الكنيسة التي يظهرون فيها أنواع الشرك والكفر ويتلون المراسيم ويرفعون الصلبان وهذا معلوم أنه لا يخلوا عقد زواج ولا ماتم يخلوا من هذه الأمور ، فهذا لا يجوز حضوره لكن يمكنه أن يزوره في غير هذا المكان ويهنئه على الزواج أو يقدم له هدية كما سيأتي فيما يجوز .

وزواجهم ليس زناً ، زواج الكفار على الصحيح موافق للشريعة معتبر .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٥٢- صور ليست من الموالاة)

% يبقى في مسألة الموالاة أن تكلم عن مسائل مهمة ليست من الموالاة ، هذه الأمور كالبيع والشراء والإجارة مع الكفار فيما يحل مثله بين المسلمين من غير مهانة للمسلم ، الإجارة التي ليس فيها مهانة للمسلم حيث لا يعمل مسلم مثلاً كاسحاً للكنف - الحمامات - ، لا يعمل في الخدمة لكافر أما ما فيه مهانة للمسلم وإذلال له فلا يجوز أن يعمله .

% وكذا الأمور التي ليست من الموالاة البر والإقساط لمن لم يقاتلنا في الدين ، وهناك فرق بين البر والصلة والعدل معهم بشرع الله ، وبين المحبة والموالاة التي هي من أعمال القلوب أصلاً .

% من الأمور الجائزة أيضاً قبول الهبة منهم وإهداؤهم تأليفاً لهم أو دفعاً لمفسدتهم أو لمصلحة أخرى ، أما أن يراد من الهدية الموالاة والمحبة فيمنع من قبولها ومن إهدائها ، وكذا إذا كانت الهدية تعبيراً عن مناسبة في الدين كإهدائهم بمناسبة العيد فإن هذا لا يجوز لأنه من المشاركة في الأعياد والتهنئة عليها .

% ومنها عبادة مريضهم ، عبادة المرضى لكي تدعوهم للإسلام ، وقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو مريض وعاد اليهودي ودعاهما إلى الإسلام .

% ومنها تزوج الكتابية مع بغضها على دينها ، فإن هذا الأمر وهو تزوج الكتابية يهودية أو نصرانية على خلاف قسم في النصرانية التي تقول أن عيسى ربما لكن الصحيح بل الصواب عند عامة العلماء أنهم مع كفرهم يجوز الزواج منهم ، وأما ابن عمر رضي الله عنه فهو الذي يمنع من ذلك من النصرانية ويجوز الزواج من اليهودية فقط ، أما النصارى الذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة فيمنع ، لكن الصحيح أنهم وإن كانوا كفاراً بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانوا كفاراً بقولهم عزيز ابن الله والمسيح ابن الله لكن الآية خصت أحكاماً ، الآية التي في سورة المائدة خصت من ضمن الأحكام حل الذبائح والزواج ، هذا لا يلزم منه الإقرار على دينها وهناك بعض المشركين لهم أحكام خاصة ومن هذه الأحكام الخاصة حل الذبيحة وصحة الزواج من المرأة الكتابية مع الشرط الذي ذكرنا وهو بغض لها على الدين .

% ومنها الاستعانة بهم في مصالح المسلمين دون أن يكون لهم سلطان على المسلمين ، وكل ذلك فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم كما ستأتي أدلة على ذلك .

% هذه الأنواع ليست من الموالاة لا لغة ولا شرعاً ، لأننا بينا أن الموالاة اخبة والنصرة والطاعة والمتابعة والصداقة والمعاونة والقيام بالأمر ونحو ذلك من المعاني التي بينها ولم يرد في كتاب الله عز وجل ولا سنة رسول الله ولا حتى في لسان العرب ما يدل على أن البيع مثلاً أو الشراء أو الإيجارة أو الشركة أو المضاربة أو العدل مع الإنسان في المعاملة أن ذلك من الموالاة ، نقول متى تدخل في الموالاة ؟ لو أعانة على محرم أو أعانة على كفر لو أعانة على معصية الله أو كان في بيعه ذلك وشرائه منه ناصحاً له دون المسلمين ، ويريد إقامة أمره دون أمر المسلمين .

% في هذه المعاني لابد من معرفة أمرين :

% أولاً : أن هناك طائفة تغالي في أمر الموالاة وتدخل فيها ما ليس منها ، وتحرم على المسلمين معاملة الكفار بأنواع المعاملات الجائزة التي ورد الشرع بها ، وتجعل من فعلها موالياً لهم ، فتسمع كثيراً عن دعاوى المقاطعة مثلاً بزعم أن الشراء من الشركة الفلانية موالاة لليهود أو من الشركة الفلانية موالاة لدولة الفلانة ومن اشترى منها فقد اتخذهم أولياء ، وكثير من الناس بعضهم من المنتسبين للعلم وبعضهم منتسب للدعوة ربما يستعمل آيات الموالاة للنهي عن البيع والشراء والإجارة مع الكفار وهذا بلا شك تجاوز عظيم ، ولا يجوز أن تُحمل الآيات والأحاديث ما لم تحمل من كتاب ولا سنة ولا تفسير السلف ولا في لغة العرب ، ولقد باع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه واشتروا من الكفار ، وتركوا ذلك أيضاً ، يعني أحياناً كانوا يقاطعون وأحياناً يشترون ويبيعون ، وقد قاطع ثمامة بن أثال مشركي مكة في منعهم القمح إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال : والله لا يأتيكم منها - من اليمامة - حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أسلم ثمامة بن أثال واطلقه النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه فقال والله لا يأتيكم من اليمامة وكان هو سيد أهل اليمامة لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حبة قمح حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن يرسل لهم النيرة وهي الطعام لما ناشدوه الله والرحم ، أكلوا الوبر والعلهز أكلوا وبر الجمال وأكلوا الجلود ونحو ذلك من شدة الجوع فراسلوا النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم أن يطلب من ثمامة أن يرسل لهم النيرة فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، فالمقاطعة أمر تابع لمصلحة المسلمين ومضرة للكافرين ، ولا يجوز أن نجعل البيع والشراء أمراً عاماً من الموالاة فيقال بحرمته مطلقاً ، بل يفعل ويترك حسب مصلحة المسلمين ، فكما ذكرنا هناك فريق يغالي في أمر الموالاة ويدخل فيها ما ليس منها كالبيع والشراء .

% ثانياً : هناك فريق آخر يجعل ما ثبت من صور المعاملة الجائزة وسيلة يحتج بها بالباطل ليتوصل بذلك إلى جواز الموالاة المحرمة ، فيحتج بالأدلة التي وردت في صور جائزة من المعاملة على جواز ما لا يجوز ، فيقول قد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم لجاره اليهودي ويقول قد باع النبي صلى الله عليه وسلم واشترى واستأجر ونحو ذلك ليستغل بذلك على ما يريد الوصول إليه من المعنى الباطل وهو جواز حب الكفار وموالاتهم وطاعتهم ونصرتهم ومتابعتهم وتهنئتهم بأعيادهم ، والعجب أن كثيراً من الناس على حسب هواه يجمع أحياناً بين هذه وتلك بين الإفراط والتفريط فإذا وافق هواه أن يمنع من البيع والشراء قال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ) المائدة ٥١ وإذا أراد أن يهني الكفار بأعيادهم ويشاركهم فيها يقول بيننا وبينهم كل محبة ومودة ويستدل بقوله تعالى ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ) الممتحنة ٨ وهذا من العجب أن يقع ذلك من شخص واحد أو من طائفة واحدة يحتجون بكل من الآيتين في غير موضعها ويخالفون ما ثبت شرعاً من الأمور الجائزة ويخالفون ما ثبت شرعاً من الأمور المنوعة، بل قد تصدر الفتاوى من بعض من ينتسب إلى الفتوى ممن يعد أي تعامل مع أي منتج أنتج في بلاد الكفر أن ذلك موالاة محرمة وخيانة للأمة ونحو ذلك بدليل الموالاة وفي نفس الوقت ربما يشارك في تأسيس معابد الكفار ، وبنائها ويساهم بالمال ، وهذا والله خطر عظيم لذا لابد من تحديد النوع الجائز من المعاملات كما بينا مالا يجوز ، والأحاديث قد بينت ما يجوز وما لا يجوز .

% فمن ذلك في أمر الجواز البيع والشراء وكما ذكرنا ليس معنى والى باع أو اشترى بأي حال من الأحوال ، قال البخاري رحمه الله في صحيحة - باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب - ثم ساق بسنده عن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما قال ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء رجل مشرك مشعان - شعره طويل - طويل بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيعاً أم عطية فقال : لا بل بيع . فاشترى منه شاة ) فالشراء من المشركين ثابت بهذا الحديث حتى لو كان من أهل الحرب لأن ذلك فيما يظهر كان في الهجرة والله أعلى وأعلم أو كان في أي وقت لكن لم يرد نسخه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يتهب منه شاة أو يشتريها النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وهذا دليل على جواز قبول الهبة من الكفار بل وإذا جرت العادة في قوم معينين بالإهداء فلا بأس أن يسألهم أتبيعون أم تهدون ؟

% وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في الهجرة مروا بغنم رجل من المشركين صديق لأبي بكر يعني كان صديقاً له في الجاهلية ، فحلب أبو بكر الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا نوع من الاتهاب أي قبول الهبة ، وثبت في حديث توبة كعب ابن مالك قال : فبين أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة وهذا يدل على جواز البيع والشراء مع الكفار الحريين لأنه كان أتى برسالة من أحد ملوك الكفار المحاربين يحض كعب ابن مالك على أن يلحق به ويترك النبي صلى الله

عليه وسلم فدل ذلك على أن الحربيين كانوا يدخلون بأمان ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد أهل الشام بعد وإنما كانوا يعطون الأمان ليدخلوا للتجارة بيعاً وشراءً ، وكل هذا يدل على جواز البيع والشراء مع الكفار .

% يشترط في ذلك - البيع والشراء - ما يشترط مع المسلمين فإذا كان الأمر يحرم مع المسلم حرم مع الكافر لأن الله عز وجل حرم علينا بيع الميتة والخنزير والأصنام والخمر حديث رواه مسلم وغيره وأجمع العلماء على حرمة بيع هذه الأشياء الأربعة فهذه لا تجوز مع مسلم ولا مع كافر .

% فعلى سبيل المثال لا يجوز لمسلم أن يبيع للنصارى خنازير ولا يجوز أن يبيع لهم خمرأً فضلاً عن أن يسقى خمرأً والعياذ بالله ويكون ملعوناً ، وأن يبيع لهم خمرأً بزعم أن ذلك من البيع والشراء كالفنادق السياحية والتي تكون في معاملات مع الكفار يبيعون لهم الخمر ويبيعون لهم الأصنام والتماثيل الفرعونية وغيرها ويبيعون لهم الصلبان أحياناً كبعض محلات الذهب يبيعون لهم شعار الكفر من الصلبان لا يجوز أن يفعل ذلك بزعم أن ذلك من البيع والشراء بل هو أمر محرم لأن النهي على العموم .

% ولا يجوز أن يتبايع معهم البيوع الربوية ، ولا أن يتتاع منهم شيئاً من ذلك كالقرض بفائدة ربوية أو البيع بأصناف ربوية محرمة لأنه إذا حُرِّم البيع حُرِّم الاشتراء لأنه لا يتم إلا به وما لا يتم ترك المحرم إلا بتركه فتركه واجب ويحرم التعامل فيه .

% لذا نقول إن ما يجوز التعامل به مع الكفار لا بد أن يكون في حدود ما يجوز التعامل به مع المسلم ، ومن ذلك الممنوع كل بيع أعان على معصية الله عز وجل لأن فيه تعاون على الإثم والعدوان .

% ولذلك لا يجوز بيع السلاح للكفار ليقاتلوا به المسلمين ، بل لا يجوز بيعه لهم أصلاً لأنه يمكن أن يقاتلوا به المسلمين كما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع السلاح بالفتنة ونهي عن بيع العنب لمن يتخذ خمرأً ، فلا يجوز لسلم أن يبيع للكفار عنباً وهو يعلم أنهم يتخذونه خمرأً رغم أن الكفار يستحلون الخمر إلا أن هذا من الإثم والعدوان والنهي عن بيع العنب لمن يتخذ خمرأً نهي عام ولعن النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرأً قال أنس ابن مالك رضي الله عنه ( لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها . عاص العنب ومعتصرها يعني الذي يطلب العصر لكن يعلم أنه سوف يأخذ هذا العصير ليدخله مصنع الخمر . وشاربها وحاملها . إذا سائق السيارة التي تحمل الخمر هو حامل الخمر ، الذي يحمل الخمر يوصل له الزجاجة كذلك ، إذا ركب إنسان مثلاً وسيلة مواصلات فركب رجل كافر معه زجاجة خمر فقال احمل عني لا يجوز له أن يحمل عنه ولا يجوز له أن يساعده على ذلك ولو لحظة . وحاملها والمحمولة إليه ، المحمولة إليه ملعون أيضاً ولو كانت تحمل إليه ليسقيها لغيره أو ليوصلها لغيره . ولعن ساقياها وبائعها وأكل ثمنها . يعني واحد مشترك في تجارة فقط ، شركة له أسهم فيها مثل شركات الخمور يشتري أسهمها ولا يبيع هو ولا يتولى البيع وإنما يتولى أكل الثمن ، وكذا ثمن المخدرات وكل تعامل في الخمر فهو في المخدرات لأن المخدرات خمر ملعون من يفعل ذلك ، وزارعها كذلك ساقى الحشيش الذي يزرع في الأرض وساقى البانجو الذي يسقي له مزرعة في البانجو مثلاً والحشيش داخل في هذا . وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له كلهم ملعونين ، هذا دليل على أن كل واحدة من الكبائر والعياذ بالله .

% فلا يجوز لمسلم أن يعمل في بلاد الكفار ساقياً للخمر حتى لو كان يبيع ويسقي الكفار فلا يجوز ذلك ، ولا يجوز له أن يغسل الآنية التي يشربون فيها الخمر ليعاد الشرب فيها مرة أخرى ، وكذا الأطباق والأواني التي يطبخون فيها الخنازير ويأكلون فيها الميتة فإن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان لأن هذا محرم في شرعنا وهو ملزم لهم في حقيقة الأمر ولذلك لا يجوز أن يعانوا عليه ، وكذا لا يجوز التعاون على الزنا أو الفجور أو الفحش أو التبرج فلا يجوز لمسلم أن يبيع ملابس فيها تبرج للكافرات فضلاً عن بيعها للمسلمات لأن الله حرم الزنا على الكل وهذا من زنا الأعضاء والجوارح ومن أسباب سخط الله عز وجل ولذا لا يجوز للمسلم أن يعين على ذلك .

% شرط البيع والشراء مع الكفار أن يكون فيما يحل مثله بين المسلمين ، ففرش الحجرات التي يفعل فيها الزنا وإعداد أماكن للحفلات التي تفعل فيها الفواحش وإعداد الألات والحفلات الموسيقية والأماكن التي سوف تفعل فيها هذه المنكرات كل ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان .

% من الأمور الجائزة الإجارة ، فكما لا يحرم بيع الأعيان ولا شرائها من الكفار إذا كانت حلالاً لا يحرم بيع المنافع وهو الإجارة ، فالإجارة بيع منفعة فيجوز للمسلم أن يؤجر كافرأً وأن يؤجر نفسه لكافر بمعنى أن يعمل عنده أجيراً ، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ( استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدير . قبيلة تسمى بني الدير . وهادياً خريطاً . يعني ماهراً يعرف الطرق . وهو على دين كفار قريش ودفعاً إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالي براحتيهما صبح ثلاث ( وروى البخاري في صحيحه عن خباب قال ( كنت رجلاً قيناً يعني حداداً يصنع الحديد فعملت للعاص ابن وائل فاجتمع لي عنده . يعني أصبح يداينه بمبلغ . فأتيته اتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقلت أما والله حتى تموت ثم تبعث - ثلاث . يعني ليوم القيامة لن أكفر به . قال : إني لميت ثم مبعوث ؟ قلت : نعم . قال : فإنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك . إذا سأعطيه لك يوم القيامة والعياذ بالله ، فأنزل الله عز وجل ( أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ) مريم ٧٧ والعياذ بالله



% فهذا دل على جواز أن يعمل له في أمر حلال ، والآيات مكية دليل على جواز أن يؤجر المسلم نفسه فيعمل عند كافر في دار الكفر فيما يحل عمله لأن الإجارة بيع منفعه وإذا جاز البيع جازت الإجارة بشرط إلا أن يكون فيها مهانة للمسلم ، وأن يكون فيما يحل أيضاً من العمل فكما سبق لا يجوز أن يعمل ساقياً للخمر أو عاصراً لها ومعنى ألا يكون فيه مهانة للمسلم كأمr الخدمة لأن الله قال ( وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ) النساء ١٤١ فلو عمل خادماً عنده لكان ذلك من السبيل وكان ذلك من المهانة ، مع خلاف بين أهل العلم في مسألة جواز أن يعمل خادماً لدى الكافر فمنع منه الإمام أحمد والجمهور وأجازة الشافعي في إحدى الروايتين عنه .

% أما أن يعمل عملاً معيناً هو في النهاية مصلحة للكافر ، الخادم هو الممنوع لأن فيه مذلة ، أما أن يعمل حراساً على ماله مثلاً أو منزله فهذا ليس فيه تسلط عليه وهو منفعه مباحة ، كما يجوز أن يخطط له ثوباً ولكن لا يكون ثوباً محرماً ، ولا يجوز للمسلم أن يبيع عبده المسلم لرجل كافر ولا يتعقد ولا يصح ذلك البيع لأن فيه تسليط للكافر على ذلك العبد المسلم يتصرف فيه مع أن ذلك لا يتضمن حبس ذلك العبد وربما يتفق معه على ضريبة يؤديها وبعد ذلك هو حر في وقته ومع ذلك لم يجز فأولى ألا يجوز حبسه في مدة معينة يتصرف فيه كما يريد ، الحر لا يجوز أن يعمل خادماً .

% يمكن ضرب مثال آخر لقضية المهانة ، وهو أن يعمل كما ذكرنا منظفاً للكنف يكسح فضلات الكفار عمالاً يزيل نجاستهم أو عامل أحمية في زماننا ، فهذا مما يحتمل أن يكون من المهانة وإن كان العلماء لم ينصوا إلا على مسألة الخدمة لكن العلة التي ذكروها هي المهانة فلا يجوز أن يعمل عملاً فيه مهانة .

% وكما ذكرنا أن كل ما كان فيه تعاون على الإثم والعدوان كأن يعمل بناء بيبي لهم كنيسة أو معبداً فإن هذا من إقامة الكفر والتعاون على إقامته وكذلك أن يجرسها لهم أو يجرس ما يلعبون فيه من القمار والميسر أو شرب الخمر فإذا كان هذا مما لا يجوز بين المسلمين فهذا لا يجوز مع الكفار.

% أما من أكره على ذلك فننظر في شروط الإكراه هل هو فعلاً مكره على ذلك أم لا ، إن كان مكرهاً زال عنه الإثم .

#### (شروط الإكراه)

% الشرط الأول : وشروط ذلك ألا يكون قادراً على التخلص منهم ولو بالفرار، فالموالاتة تجوز مع الإكراه المعتبر أقصد الموالاتة الظاهرة قال الله تعالى ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) النحل ١٠٦ فدل ذلك على أن الإكراه يبيح الموافقة باللسان بل الصحيح أنه يبيح الموافقة بالفعل أيضاً إذا لم يكن فيه تعدي على مسلم أو على معصوم في الأصح ، يعني الأصح إن كان فيه تعدي على كافر ذمي أي لو قيل له اقتل هذا الكافر الذمي أو ازني بهذه الذمية وإلا قتلناك لم يجز له ذلك ، فالإكراه له شروط معتبرة أن يغلب على ظنه أن المكره يوقع ما يهدد به ، لكن إذا قال هو مجرد كلام فقط دون أن ينفذ هذا لم يكن مكرهاً .

% الشرط الثاني : أن يكون المكره قادر على إيقاع ذلك ، يعني لو رجل عجوز يرتجف يقول لو لم تفعل ذلك سأقتلك لا يكون مكره لأنه عارف أنه لو دفعه سيبعده عنه .

% الشرط الثالث : أن يكون المكره عاجزاً عن الدفع يعني هو عنده مثلاً ما يدفع به ذلك ، يعني دولة لها جيوشها مثلاً لو أتوا الكفار سنقاتلهم فلا يقول أنا مكره ، طالما أنه قادر على الدفع ولو كان قادراً على الدفع بالفرار أو يهرب منه لكان غير مكره

% الشرط الرابع : أن يكون قلب المكره مطمئناً بالإيمان .

% الشرط الخامس : أن يكون تنفيذ الإكراه فورياً .

% في مسألة الفورية في التمثيل يستثنى منها ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً أو جرت العادة أنه لا يخلف مثله يعني لو قال له إن لم تفعل ضربتك غداً أو قتلناك غداً هذا لا يكون مكرهاً حتى يأتي الغد لكن إن كان متيقناً أنه سيفعل هذا ولا يخلف وأنه سوف ينفذ فهذا يكون إكراه .

% من شروط أن لا يكون له انتهاك حرمة مسلم أو معصوم ، فقد أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أو انتهاك حرمة لم يجز له ذلك ، ولم يجز له أن يفدي نفسه بأخيه نقل الإجماع على ذلك الإمام القرطبي ونقله أيضاً الشيخ الشنقيطي رحمه الله ، قال القرطبي " أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمة بجلد أو غيره مثل انتهاك العرض مثلاً ويصبر على البلاء الذي نزل به ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

% فلو أكرهوه أن يزني بامرأة معصومة أو حتى يكشف لها ثوباً لم يجز له ذلك ولو ضرب أو سجن أو فعل به ما فعل لأن ذلك فيه انتهاك لحرمة معصوم ، والإكراه إنما يكون فيما بينه وبين الله ويصبر على ما سوى ذلك.

% بعض العلماء يمنع عن الإكراه بالفعل مطلقاً يقول " الأفعال كلها لا اعتبار للإكراه فيها إنما يجوز الاعتبار في حال الإكراه على القول فقط والصحيح أنه يجوز في الفعل أيضاً لقوله تعالى ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) النور ٣٣ فدل على اعتبار الإكراه في الزنا من المرأة وهو فعل .

% وبعض العلماء يقول في حق الرجل لا اعتبار بالإكراه على الزنا في حقه ، وبعضهم يقول لا اعتبار على أكراهه على السجود لصنم وذلك فيما بينه وبين الله .

% والصحيح ما ذكرنا أنه يجوز أن يسجد ناوياً السجود لله ويجوز للمرأة المعذورة أن تستسلم إذا غلب على ظنها أنها تقتل أو تعذب فإذا كان الذي يفعل به معصوماً يأبى ذلك فله حق أيضاً فلو أكره على الزنا بامرأة مسلمة أو ذمية أو مستأمنة لم يجز له ذلك مراعاة لحقها لأنها معصومة ويجب مراعاة عصمة البضع .

% أما لو كانت امرأة كافرة حربية أو أنها هي التي تكرهه على فعل الزنا هذا الذي اختلف فيه العلماء فمنهم من منع ومنهم من أجاز والصحيح الجواز حال الإكراه المعتبر من قتل أو ضرب شديد .

% أما السجن فلا يعتبر الإكراه به على الزنا بحال ، وهناك إجماع على أن من أكره على الزنا بالسجن لا يعد مكرهاً بل يصبر لأن الله عز وجل ذكر قصة يوسف حين قال ( وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) يوسف ٣٣ فدل ذلك على أن من أستجاب للزنا عند الإكراه عليه بالسجن فهو من الجاهلين ، لذلك نقل القرطبي الإجماع على أنه لا يعتبر الإكراه على الزنا بالسجن ولو سجن سنين لأن يوسف عليه السلام سجن بضع سنين ولم يقبل الزنا .

% قال القرطبي - رحمه الله - : أكره يوسف عليه السلام على الفاحشة بالسجن وأقام خمسة أعوام وما رضي بذلك لعظيم منزلته وشريف قدره ولو أكره رجل بالسجن على الزنا ما جاز له إجماعاً .

% فإن أكره بالضرب فقد اختلف فيه العلماء ، والصحيح أنه إذا كان فادحاً فإنه يسقط عنه أثم الزاني وحده ، وقد قال بعض علمائنا أنه لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فإن الله تعالى لا يجمع على عبده العذابين ولا يصرفه بين بلائين فإنه من أعظم الحرج في الدين ، قال تعالى ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) الحج ٧٨ .

% وهذا بخلاف ما إذا سجن من أجل أن يُقَرَّ بمال أو يطلق امرأته فإنه لو فعل حين ذلك لكان مكرهاً إكراهاً معتبراً ولم يلزمه ذلك الإقرار ولم يلزمه ذلك التطبيق ، وكذلك لو طلب منه أن يتكلم بكلام وكذا أمر الثقة فإن شرطه أن لا يكون على مسلم بفعل ولا يدهم على عورات المسلمين قال الله تعالى ( لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ) آل عمران ٢٨ من وإلى الكافرين فقد برء من الله والله بريء منه إلا أن يكون المسلم في سلطان الكفار ويخافهم على نفسه فيدريهم باللسان مع طمئينة القلب بالإيمان بالقدر الذي يدفع به شرهم من غير أن يعينهم على مسلم بفعل ولا يدهم على عورات المسلمين ولا ينتهك دماً حراماً ولا مالاً حراماً ، وأمر المال عند الإكراه يحتمل فيه تقدم حرمة نفسه على مال أخيه وهذا هو الصحيح بخلاف حرمة البدن والعرض فلا نزاع أنه لا يجوز له انتهاكهما .

% أما المال ففيه احتمال إذا قالوا له إما أن تفسد مال أخيك وإما تقتلك فالأظهر والله أعلم أنه يجوز له إفساده ويضمنه بعد ذلك لأنه إذا كان مضطراً إلى مال أخيه وهو جائع جاز له أن يأكل منه اتفاقاً والجواز في ضمانه أو عدم ضمانه فأولى بذلك إذا كان مضطراً تقياً أو إكراهاً ، إما ما كان في بدن أخيه أو عرضه ونحو ذلك فإنه لا يجوز أن ينتهك حرمة أخيه بضرب أو قتل أو جلد أو انتهاك عرض أو نحو ذلك مما فيه أذى للمسلم .

% وعند الإكراه على حراسة كنيسة ونحو ذلك ننظر في شروط الإكراه، إذا استوفيت شروط الإكراه فهو معذور وإن لم يكن مكرهاً وكان يمكن التخلص من ذلك وترك هذا الأمر بأي وسيلة فإنه لا يكون مكرهاً .

% مما يجوز أيضاً من المعاملات مع الكفار وليس من الموالاة البر والإحسان ، كالإطعام والسقيا والكسوة والهبة والإهداء كل ذلك من الإحسان والبر ، البر بالكافر الذي له بعض الحق كالقريب والرحم والجار أن يكون باراً به لطيفاً معه ، والإقساط هو العدل ، قال الله تعالى ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) الممتحنة ٨ نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لما قالت : يا رسول الله إن أمة قدمت عليا وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها ، وكانت أمها في زمن الحديبية جاثت زائرة لابنتها أسماء رضي الله عنها راغبة في صلتها أن تعطي لها شيئاً وكانت أنت أيضاً ببعض الهدية لها وهي راغبة في أن تتيبها على تلك الهدية .

% وفي الإطعام قال الله تعالى ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ) الانسان ٨ والأسير في دار الإسلام في ذلك الوقت لا يكون إلا كافرًا ونحن قلنا في ذلك الوقت لماذا؟ لأنه لم يكن هناك قتال أهل بغي حتى يقال يمكن أن يكون أسيرًا من أهل البغي ، أول ما صنف القتال أهل البغي في زمن علي ابن أبي طالب فيمكن أن يتصور أسير مسلم ، لكن وقت نزول الآية وإلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد أسير مسلم ، فدل ذلك على أنه أسير كافر ومع ذلك يُطْعَم ، وقد ثبت أن أسيرًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد يا محمد فأتاه فقال ما شأنك فقال إني جائع فأطعمني وظمان فاسقني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( هذه حاجتك ) الحديث رواه مسلم وأبو داود وأحمد فأطعمه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطعم الأسرى ، ويسقيهم حتى ولو كان مازال مخيرًا في قتلهم ، لأن من ضمن ما يخبر فيه الإمام في الأسير الحربي أنه يقتله لأن الله عز وجل قال ( مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِرَ فِي الْأَرْضِ ) الأنفال ٦٧ فكان المشروع في أسرى بدر الأحب إلى الله أن يقتلوا لكن قد وعد النبي صلى الله عليه وسلم بالفداء وأمضى الفداء لأنه أحد الخيارات للإمام يختار المصلحة بين المن مجاناً والفداء بعوض يمكن أن يكون مالا أو خدمة أو أسرى من أسرى المسلمين أو القتل أو الاسترقاق كأن يجعلهم رقيقاً أو أن يضرب عليه الجزية ، فرى المصلحة في أي أمر يفعله ولقد فتح المسلمون عامة البلاد ولم يسترقوا كل من كان فيها وإنما استرقوا المحاربين وذرايعهم ونسائهم وأما عوام أهل البلاد فجعلوهم ذمة والله أعلى وأعلم .

% والمن نفسه أصلاً من الإحسان وقد من النبي صلى الله عليه وسلم على ثمانية ابن اثال ، روى البخاري عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءوا برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة ابن اثال ، فرطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندك يا ثمامة . فقال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت

، إن تقتل تقتل ذا دم يعني يستشفى لقتله بمعنى يقع قتله عظيمًا في قومه ، وذلك أن ثمامة سيد بني حنيفة قال :فترك حتى كان الغد ، ثم قال له : ما عندك يا ثمامة . قال : ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك وإن تقتل تقتل ذا دم تكلمة الحديث لكن بدأ في المرة الثانية بالإنعام ، طمّع في حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فتركه حتى إذا كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة . فقال : عندي ما قلت لك ، لم يرغب في أن يسلم في الأسر رضي الله عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، أنظر إلى أثر الإحسان والبر وفراصة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته البالغة في إطلاق ثمامة مجاناً ، وكان يمكن أن يأخذ ما شاء من المال من موازين المادية يمكن أن يقال لينتفع به فقراء المسلمين ، والحقيقة أن إطلاق ثمامة مجاناً كان أفضل لفقراء المسلمين وسراجاً عبر التاريخ في حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف تقلب قلب ثمامة من أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أبغض وجه إليه والدين الإسلامي أبغض دين إليه والمدينة المنورة أبغض بلد إليه ، تحول كل ذلك إلى العكس تماماً ، لما رأى خلال الثلاثة أيام من حسن الأخلاق من حسن العبادة من مظاهر الإيمان ثم كان الإحسان الزائد وهو المن والإطلاق مجاناً ، فهذا من الإحسان للكافر وهو كافر لكن النبي صلى الله عليه وسلم توقع أن يسلم وأن وجهه قد تغير . قال : وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل صبوت ؟ كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة صابئة يعني ترك دين آبائه ، قال لا ولكنني أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

% ذكرنا أن البر والقسط والإطعام السقيا للأسرى ولو كان كما ذكرنا يمكن أن يقتلهم بعد ذلك لكن لا يقتلهم إلا بأحسن قتلة ، لا يجيعهم ولا يعريهم ولا يجوز للمسلمين أن يعاملوا أسرى الكفار الحربيين ولو عزموا على قتلهم إلا المعاملة الحسنة ، إلا بكفائتهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم ، فكشف العورات محرم في الإسلام للمسلم والكافر ، ولا يجوز أن تنتهك مثلاً عورات كافر أو كافرة أمام الناس ولو كانت ملك يمين جارية فهي في ملكه ومع ذلك لابد أن يخاف على عورتها أن تكشف فما فعله الأوروبيون في حروبهم ولقنوه للذنادقة والمنافقين ومن شابههم فيما يفعلونه في البلاد إذا دخلوها لا يعرف أبداً عند أهل الإسلام ، وما عرف في الإسلام قط أن المسلمين دخلوا مدينة فنهبوا أهلها أو أنهم استباحوا بيوتها أو استباحوا عورات النساء وأن يجمع من كان وقع في الأسر والسي وجعل بعد ذلك مقسماً ولا يكشف لأحد منهم عورة ولا في حبس ولا في سجن إلا أن يقع في ملك مسلم ، إذا وقعت جارية في ملك مسلم فهي ملك يمين يتصرف معها بما شرع الله سبحانه وتعالى .

% وأما إطعام الجائع وسقي الظمآن وكسوة العاري فمثل هذه من حقوق الأسرى في الإسلام (هذه حاجتك) لا يجوز حتى ولو عزمنا على قتله بعد ذلك ، ولا يجوز ضربهم بغير سبب أو تعذيبهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ) رواه مسلم إلا أن يكون هناك سبب يقتضي ذلك شرعاً مثل أن يكون كاتماً لحق عليه فيعامل بذلك حتى يؤدي الحق الذي عليه .

% قال الله عز وجل ( فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ) محمد ٤ فالمن أن يمن عليه بنفسه يهبه نفسه مجاناً مع أنه يمكن أن يأخذ منه الفداء أراد الأنصار أن يتركوا شيئاً من فدار العباس فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ما معه من المال وذلك يدل على الجواز جواز أن يمنوا وقد أرادوا ذلك إكراماً للرسول صلى الله عليه وسلم وأراد هو عليه الصلاة والسلام مساواة عمه مع غيره من الكفار فالمن هو ترك شيء من الفداء مما يجوز في معاملة الكفار وقد من النبي صلى الله عليه وسلم على ثمانية بن أثال وأطلقه مجاناً بغير فداء كما ذكرنا والآيات والأحاديث في ذلك أن في الإحسان بين الناس في حسن العشرة في إطعام الطعام يشمل حتى إطعام الكافر الجائع . وأطعموا الجائع وفكوا العاني ولو أعتق رقبة كافرة فله ثواب ولكن عتق الرقبة المؤمنة أكمل .

% وأما الإهداء للكافر دل عليه أن عمر بن الخطاب أهدى حلة لأخ له بمكة يتألفه بها ، روى البخاري عن عبد الله ابن عمر أن عمر ابن الخطاب رأى حلة سيرة عند باب المسجد حلة حرير فقال يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة ) ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حلل فأعطى عمر بن الخطاب منها حلة فقال عمر يا رسول الله كسوتنيها وقد قلت في حلة عطار ما قلت !؟ يعني كأن عمر ظن أنه منهم وأنه لا خلاق له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لم أكسوكها لتلبسها فكساها عمر بن الخطاب أحاً له بمكة مشركاً ، يعني كساها لا ليلبسها بل ليلبسها النساء لأن البعض قد يقول كيف يهديه حلة وهو كافر والكفار مخاطبون بفروع الشريعة ومن فروع الشريعة حرمة لبس الحرير ، الرسول صلى الله عليه وسلم قال إني لم أكسوكها لتلبسها وهو أيضاً يعلم أن أخاه هذا غالباً ما يحتاج مثل هذه الحلل للنساء فيلبسها من نسائه هذا كله من البر والإحسان .

% وأما الإتيان وقبول الهدية فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية وجارية معها من مقوقس مصر عظيم مصر وقيل بغلة من أكبير دومة الجندل وقال للرجل المشعان أبيعاً أم هبة ، فدل ذلك على جواز قبول الهدية من الكافر .

% وأما الحديث في أن النبي صل الله عليه وسلم أهدى له رجل مشرك هدية فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( نهي عن زبد المشركين ) رواه أبو داود والترمذي وقال الألباني حسن صحيح وسياقي الجمع أن هذا فيما يراد بالهدية الموالاة والمودة وما كان فيها من شعار الكفار وأما ما كان من هدية يتألف بها قبولاً وإعطاءً فهذا الذي يشرع .

% وأما العدل فالذي مضى من إطعام الجائع وسقي الظمآن وكسوة العاري كل هذا من الإحسان والظاهر والله أعلى وأعلم أيضاً أنه من العدل كذلك ، والمن من الإحسان ، العدل شرعه الله عز وجل وهذا شرع الله الذي لا اختلاف فيه مع أحد والعدل والقسط الذي أمر الله به ، وإنما أنزل الله الكتب على الرسل ليقوم الناس بالقسط ، فالقيام بالقسط هو أمر واجب سواء كان هذا كافراً أو مسلماً ، يمكن ألا أحسن إلى كل الكفار ولكن لا بد أن أعدل مع كل مسلم وكافر ، والعدل هو ما شرعه الله ، أعني ليس العدل هو المساواة يعني المساواة بين المختلفين ظلم ، إنما يساوى بين ما شرع الله تعالى فيه بالمساواة ، قال الله عز وجل (وَأِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) المائدة ٤٢ هذا مع الكفار والأدلة في القسط عامة تشمل عدل المسلم مع المسلم ومع الكافر الحربي والمستأمن والمعاهد وجميع الخلق .

% هناك فرق بين البر والصلة والعدل مع الكفار بشرع الله وبين المحبة والموالاة ، لماذا نقول العدل مع الكفار بشرع الله ؟ لأنه لو قتله بغير شرع الله لكان هذا عدلاً وإن لم يكن إحساناً إلا في صفة القتل فقط ، كما ذكرنا لا يتركه جائعاً إلى أن يموت ولا يتركه عطشاناً إلى أن يموت وهو قادر على طعامه وسقيه ، إن أراد أن يقتله فليقتله بالسيف ( فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ) رواه مسلم وهذا من الإحسان الواجب فليس كل الإحسان مستحب ، هناك من الإحسان ما هو واجب .

% هناك فرق بين البر والصلة والعدل مع الكفار بشرع الله وبين المحبة والموالة التي هي من أعمال القلوب أصلاً ، وهي أصلاً وفرعاً تظهر على الأعمال ، هناك أعمال هي أعمال موالة مثل ما قلنا الخروج في القتال مثلاً لكن مبناه على عمل قلبي وهو نصرة الكفر بالقلب ، لما نصروا الكفار من داخلهم خرجوا في جيشهم مقدمين لمحبة آبائهم وطاعتهم على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

% نقول هناك فرق بين البر والصلة وبين المحبة والموالة ، لذلك لا يجوز التمثيل بالإهداء وقبول الهدية مثلاً على الموالة ، من الممكن أن أعطي من أكره ويمكن أن أقبل الهدية والمحبة من أبغض وأعادي فإن ذلك ليس بلازم .

% ورد النهي عن قبول الهدية إذا كان الكافر يتوصل بذلك إلى الموالة كما ثبت في سنن الترمذي بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رد هدية كافر، عن عياض بن حمار أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية له أو ناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( أأسلمت ؟ قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلاني نحييت عن زيد المشركين ) يعني عن عطائهم ، وفي الجمع بين هذا الحديث وبين الذي تقدم من أن النبي صلى الله عليه وسلم اتهم وقبل هدية من كفار كما قال للرجل المشرك ( أبيع أم هبة ) وبعث صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب وأهدى له بغلة . صاحب أيلة ليس أكبير . قال أهدى له بغلة بيضاء فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأهدى له برداً إثابة له على الهدية ، والحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد والدارقطني ، وقبل هدية المقوقس مارية القبطية ، كلمة القبطية يعني المصرية لا أنها مازالت نصرانية ، هي أم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وليست زوجة ولكنها أسلمت كما هو مشهور ومعلوم ، لكن كلمة قبطية بمعنى مصرية ، القبط هم سكان مصر والحيشة هم سكان الحبشة ، العرب سكان الجزيرة العربية ، هذا جنس وليس دين ، كلمة القبط أو القبط يذكرون ذلك عن فرعون ، يقول خرج من القبط ، كلمة القبط يعني المصريين .

% فالرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهبات من الكفار وقبل بعضها ولم يقبلها ، الجمع أن الذي يريد من الكفار بهديته الموالة يتمنع المسلم من قبول هديته ، ولو أرد المسلم أن يؤلف قلبه ويرجوا إسلامه بقبول الهبة أو الهبة له فيشرع له أن يهبه ويقبل هبته فالأمر يختلف باختلاف الأحوال .

% وكذلك يمكن أن يكون ذلك تقليل الشر يمكن أن يهب قليلاً للشر يمكن أن يهب بيباً للإحسان والسماحة فهناك مصالح ، يمكن أن يهب ليقول الضرر على المسلمين لكن فيما يجوز ، أما من يهدي ما لا يجوز كمن يهدي الكافر سيفاً ومن يهديه تمثالاً وهذا محرم وأنه لا يجوز للمسلم أن يهدي ولو معنوياً سيفاً يقاتل به سلاح يعطى لكافر يذم أهل الإسلام وهو أمر معنوي لم يستعمل صحيح في القتال حالياً لكنه معنوي أن هذا أداة قتال لو استعملت في يوم من الأيام ، فلا يجوز أن يهدي الكافر سيفاً ولا يجوز له أن يهدي تمثال حيوان فإن ذلك أمر من المحرمات في الإسلام أن يملك المسلم أصلاً تمثالاً لما فيه روح وأن يهديه لكافر نعوذ بالله فضلاً أن يكون طاغوتاً من طواغيت ورؤس الكفر الذين يطعنون في الدين وقد قال عز وجل عنهم ( وَإِنْ نَكُنُوا أَتْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ) التوبة ١٢ فمن يطعن في الإسلام هو من أئمة الكفر فإهداء وقبول هدية منه نوع خطير ، يؤدي إلى حصول الموالة ويؤدي إلى اللبس على الناس فضلاً عن التحريم في ذات الفعل .

% وأيضاً لا يجوز للمسلم أن يقبل الهدية التي يهديها المشرك له في يوم عيد الكفار لأن ذلك تعظيم للعيد واحتفال به ، أما إذا أهدى له هدية بمناسبة زواج أو عيد المسلمين مثلاً فيجوز قبولها بشرط ألا يكون ذلك دافعاً للمسلم أن يهدي له في عيده ، أعني : في عيد الفطر جارك النصراني أحضر لك هدية فلا تقول أنا يوم عيده سأعطي له هدية ، لا بل أنت في يوم عيد الأضحى للمسلمين أهدى له هدية وليس في عيد القيامة تعطي له هدية ، هو يحتفل بموت ربنا والعياد بالله وقيامته من الأموات تذهب وتقول له كل سنة وأنت طيب !؟ أتهنيه على الكفر والمعصية !؟ والعياد بالله .

% وكذا الإهداء بمناسبة التراسل للكفار أن يكون رئيساً للكفار أو يكون رئيساً دينياً لهم ونحو ذلك ، فمثل هذه التهاني على أن صار طاغوتاً أمر لا يجوز بحال من الأحوال ، لكن يمكن أن يتزوج الكافر فتهديه هدية شيء في البيت مثلاً . مروحة ، دفاية . فيجوز كما ذكرنا .

% قال بعض العلماء من أهدى لهم ظهره في عيدهم فقد كفر ، هذا الكلام وإن كان شديداً جداً لكن الغرض منه التشديد على من يهدي لهم في العيد عيد الكفار هدية فهو من التشبه والفرح بعيدهم وتعظيمهم والمعاونة عليه ، الإمام الذهبي له كتاب ظريف العنوان اسمه - تنبيه الخسيس على حرمة التشبه بأهل الخميس - وهو أصلاً كان في مصر لأنه أيضاً في

أهل مصر مسألة خميس العهد الذي يسبق عيد القيامة عندهم خميس اسمه خميس العهد ، وهو أن المسيح عَهِدَ فيه للحواريين قبل صلبه ، فوجد أن المسلمين يحتفلون معهم بهذا العيد ويُخرجون أولادهم فألف هذا الكتاب . تنبيه الخسيس على حرمة التشبه بأهل الخميس .

% فالغرض التشديد على من يهدي لهم في العيد هدية وأنه من الفرح بعيدهم وتعظيمه والمعاونة عليه وهو من المتابعة على الباطل فدخل في الموالاة المحرمة ، لو اعتقد صحة هذا العيد لكفر ، لو اعتقد موت الرب لكان كافراً لو اعتقد صلب المسيح لكان كافراً لو اعتقد أن المسيح صلب ثم قام من بين الأموات لكان كافراً لأن الصلب مناف لصريح القرآن ، أما إذا كان بعيداً عن أعيادهم فليس بمحرم ، فهذا الباب - باب البر والصلة - خطير جداً للافتراق الذي يقع بينه وبين الموالاة .

% قال تعالى ( وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) لقمان ١٥ فانظر كيف جعل الطاعة محرمة وقال فلا تطعهما ، وهذا ليس في الشرك فقط بل في الشرك والمعاصي وكل محرم ، وأمر بالصحة بالمعروف والصحة بالمعروف والإحسان والصلة مأمور بها ، أما الطاعة فمنهي عنها والخلط بين الأمرين خطر كبير .

% قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتموهم في الطريق اضطروهم إلى أضيقه ) رواه مسلم وأنه ليس له أن يكون عزيزاً في بلاد الإسلام ، أما أن أحسن إليه فما المانع وهذا أمر محدد أن أضطره إلى أضيق الطريق ما أمكن ذلك ولا أبدأه بالتحية لأن ذلك إعظام وتكريم ، أما رد تحيته فقط فلا تعارض ، رد التحية لا تعارض الإحسان إليه وعدم الإعجاب وهذا فعل وهذا فعل آخر .

% البدء بالتحية لا يجوز ، رد التحية واجب لعموم قوله تعالى ( وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ) النساء ٨٦ ما لم يكن فيها مانع كما ذكرنا أن البعض يعد من التحية أنه هنأه بالعيد الإسلامي فيقول أعيد التحية بأن أهنته بالعيد الكفري لا يجوز لأنه من المتابعة على الباطل من موافقة وتعظيم لشعار كفري ، أطعمه كما ذكرنا إذا كان جائعاً أقرضه إذا كان محتاجاً أعالجه إذا كان مريضاً ، منقول عن صلاح الدين أنه كان يمرض بعض الأسرى ولم ينكر العلماء في زمنه ولا زماننا ذلك ، مسألة أن يمرضه مثلاً يعالجه هذا ليس بممنوع بل هو يريد استبقاء الكافر لمصلحة فكما أنه يجوز المن عليه بدلاً من قتله فكذلك يجوز أن يعالجه مريضاً ليس هناك تعارض ، الظاهر والله أعلم أنه لا يجوز البدء بالتحية مطلقاً لا بتحية الإسلام ولا بغيرها وإنما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يقولوا والسلام على من اتبع الهدى ، وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا راسل ملوك الكفار قال سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، ولم يسلم عليهم ولم يبدأهم بتحية الإسلام ولا بغيرها ، وهذا دليل على أن التحية تكون على من اتبع الهدى وهو الإسلام ، وأن التحية تكريم وتعظيم فلا يجوز أن يكون الكافر أهلاً لذلك .

% إذا كان قبول الهدية يؤدي إلى دفع مفسدة ظالم مثلاً ولو لم أقبل هديته ظلمي وظلم غيري من المسلمين فلا مانع من تحصيل هذه المصلحة كذلك .

% مسألة : هل يجوز أثناء الحروب مع الكفار رعاية بعضهم وحماية بعضهم من بعض ؟

الجواب :

% أن ذلك حسب مصلحة المسلمين فلو أن قائداً كافراً شديداً العداوة للمسلمين قاتل قائداً آخر فيه مودة وميل للمسلمين لو تغلب الشديداً العداوة لأضر بالمسلمين فلا مانع من أن تساعد ذا الميل للمسلمين عليه حسب مصلحة المسلمين في ذلك ، لكن دون أن نقاتل في رايتهم .

% مسألة : إلقاء السلام على جمع فيه مسلم وكفار أو مسلمين وكفار ؟

الجواب

% يجوز إلقاء السلام على جمع من الكفار فيه مسلم وينوي بذلك المسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المشركين والمسلمين وأهل الكتاب فسلم عليهم وذلك قبل إسلام عبد الله ابن أبي بن سلول فدل ذلك على جواز إلقاء السلام على المجموع ، ولذلك لو وجدنا مسلماً بينهم جاز لنا التسليم وننوي بذلك المسلم ، أما إذا كان الجميع كفاراً فلا يجوز لعموم ( لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ) رواه مسلم والمشركين أولى من اليهود والنصارى بترك البدء بالسلام بل ندعهم يبدأونا بالتحية ثم نرد نحن سواء دخلنا أو كان هو القادم علينا أو نقول سلام على من اتبع الهدى ، أما كيف أنت فمن المحتمل أن تكون تحية ، الأولى أن يجتنب ذلك - إزيك - مثلاً كيف أنت ، كيف الحال ، ويمكن أن يبدأ بالكلام في الموضوع الذي يحتاجه عموماً .



٥٠% مما يجوز أيضاً من المعاملات عيادة المريض الكافر لدعوته إلى الإسلام أو لأي مصلحة شرعية راجحة ، فيجوز أن أعود مريضهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم عاد اليهودي ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعاد عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام فلم يسلم ، فيجوز عيادة المريض الكافر وذلك من الإحسان والبر .

% روى البخاري عن أنس قال كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له ( أسلم ) فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول ( الحمد لله الذي انتقذه من النار ) .

% وروى البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال ( لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة فقال ( أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب ) وأبي أن يقول لا إله إلا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( والله لأستغفر لك ما لم أخفى عنك ) فأنزل الله ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ) التوبة ١١٣ وأنزل الله في أبي طالب ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) القصص ٥٦ .

% مما يجوز أيضاً تزوج الكتابية مع بغضها على دينها ، فيجوز للمسلم أن يتزوج اليهودية والنصرانية مع بغضها على الدين بقول الله تعالى (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) المائدة ٥ قال ابن كثير أي وأحل لكم نكاح الحرائر العفاف من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ) أراد بالمحصنات الحرائر دون الإماء ، حكاه ابن جرير عن مجاهد عندما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه فيحتمل أن يكون أراد بالحررة العفيفة ، كما قاله في الرواية الأخرى، وهو قول الجمهور هاهنا وهو أشبه المحصنات العفيفات وإن كانت الأمة الكافرة لا يجوز أن يتزوجها لأن الله قال ( وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ) النساء ٢٥ ، الأولى في الأولوية المؤمنة الحررة العفيفة ، فإن لم يجد فيتزوج أمة مؤمنة أفضل من أن يتزوج حررة كافرة ، ويجوز أن يتزوج حررة كافرة إن لم يجد امرأة حررة مؤمنة .

% فأما أن تكون المرأة عفيفة فهذا شرط في صحة الزواج حررة وعفيفة ، قال لثلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية ويتحصر زوجها على ما قيل في المثل . حشفا وسوء كيلة . الحشف أرض التمر وسوء الكيل يعني مظلوم في الكيل يعني بيع تمرأ رديفاً وبكيل ناقص ، يقول والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى ( مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحَاتٍ ) إذا كانت المسلمة لو غير محصنة لما جاز أن يتزوجها ، لأن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان مشرك فكيف بالكافرة شر فوق شر .

% اختلف المفسرون والعلماء في قوله ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ) قد يعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حررة أو أمة حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف ممن فسر المحصنة بالعفيفة، وقيل المراد بأهل الكتاب هاهنا الإسرائيليات وهو مذهب الشافعي في تفسير الآية ، وإن كان النقل هذا أظن فيه خلل في كلام ابن كثير رحمه الله لأن مذهب الشافعي جواز أن يتزوج الإسرائيلية وغير الإسرائيلية ، كلمة إسرائيلية يعني يهودية من بني إسرائيل ، والبعض يخص ذلك وهو ابن عمر يمنع من زواج النصرانية المثلثة يقول : " لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول المرأة ربي عيسى " لكن جماهير أهل العلم على جواز زواج اليهودية والنصرانية .

% قيل المراد بذلك الذميات دون الحربيات لقوله تعالى ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) التوبة ٢٩ ومع أن هذا ليس بظاهر من الآية ، أعني اشتراط أن تكون ذمية في دار الإسلام ، لكن يمكن أن يتزوج حربية عفيفة في دار الكفر لكن لا ينجب منها ما استطاع من أجل ألا يغلبوه على أولاده ، وإن عجز فلا يتزوج .

% قد كان عبد الله ابن عمر لا يرى التزوج للنصرانية ويقول لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى وقد قال الله تعالى ( وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ) البقرة ٢٢١ الصحيح أن هذا عام خُصص ، المشركات على عمومها نعم وخُصص منها اليهودية والنصرانية ، وإلا فاليهودية التي تكذب النبي صلى الله عليه وسلم مشركة ولو كانت إسرائيلية لكنها لا تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لو صدقت أنه رسول الله وليس إلى الناس كافة لكانت أيضاً كافرة مشركة ، فبذلك نقول أن الآية قد خصصت .

% روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ( وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ) فحجز الناس عنهن حتى نزلت التي بعدها ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ) فنكح الناس من نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ) ، فجعلوا هذه مخصصة للآية التي في البقرة ( وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ) إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها وإلا فلا معارضة بينها وبينها لأن أهل الكتاب قد يفصل في ذكرهم عن المشركين في غير موضع ، كما قال الله تعالى ( لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ) البينة ١ وقال ( وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ) آل عمران ٢٠ كوزهم أهل كتاب لا يعني أنهم ليسوا مشركين ولكن خص لفظ المشركين بغير أهل الكتاب هذا الكلام الذي ذكره ابن كثير .

% والصحيح أنهم دخلوا في عموم المشركين وهم داخلين بإجماع في قوله تعالى ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ) النساء ٤٨ فالذين كفروا من أهل الكتاب إن ماتوا على كفرهم لا يغفر الله لهم لأنهم ماتوا على الشرك وقوله تعالى ( وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ) مُحْصَص بأهل الكتاب ، والمقصود بالشرك هنا غير أهل الكتب أو كما ذكرنا عام وخصص .

% الكتابيات مشركات لكنهن مستثنيات بآية المائدة فهي تخصص آية البقرة فآية البقرة عام أريد به الخصوص أو الأقرب أنه عام مخصوص ، عام مخصوص وعام قد خصص ، ما الفرق ؟ أن العام الذي أريد به الخصوص من البداية لم يدخل فيه غير أهل الكتاب ، عام أريد به الخصوص يعني عند الإطلاق الأول كان يراد به طائفة بعينها أما عام مخصوص عام خصص منه بعد ذلك ، والأقرب أنه عام مخصوص خصص بآية المائدة وشرط ذلك أن يكون الزواج بدار الإسلام فلا يتزوج مسلم كتابية في دار الحرب ، وإن اضطر عزل عنها حتى لا يتجنب منها إن أمكنه ذلك .

% لكن الأصل المنع من الزواج في بلاد الكفار هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله لأنهم يغلبونه على أولاده ، ويترب على ذلك أن يفن أولاده عن دينهم ويتسلط عليهم الكفار وهم يغلبونه على أولاده منها رغماً عنهم ولا يتمكن من تخلص أولاده منهم فالزواج في بلاد الكفار من الكتابيات فيه خطر كبير وهو في الجملة مكروه حتى لو كان بين المسلمين يعني زواج الكتابية التي تعيش وسط المسلمين مكروه لأن زواجها يجب أن يكون مع بغضها على دينها لأن الزواج معاشرته يمكن أن يكون فيها إحسان عشرة فهو من باب البر ويجب أن يكون فيه بغض لوجوب البراءة من الكفرة وينبغي أن يظفر بذات الدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاظفر بذات الدين تربت يداك ( فما ينبغي أن يتزوج يهودية أو نصرانية فهذا مكروه لا على سبيل التحريم لأنه يلزمه أن يظل مبغضاً لها يحسن عشرتها وأكثر الناس لا يستطيعون الجمع بين هذا وذاك .

% الاستعانة بالكفار لصالح المسلمين أيضاً من الصور الجائزة بشرط ألا يكون له سلطان على المسلمين وهو في الحقيقة هذه الاستعانة نوع من الاستئجار ، يمكن أن يكون نوعاً من قبول المنفعة منهم وكذا الانتفاع بما عندهم من العلوم الدنيوية أو الخبرات للمسلمين هو على سبيل الاستئجار لهم كما ننتفع مثلاً بأنواع الصناعات التي عندهم والخبرات العلمية والطب والكيمياء والهندسة وغير ذلك من أنواع العلوم والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استأجر هادياً خريطاً أي دليلاً ماهراً يده على الطريق أثناء هجرته صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم ، العيبة ما يوضع فيه الثياب ، عيبة النصح يعني كل ما عندهم نصح ، كل الذي عند قبيلة خزاعة من أجل القرابة التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم قديماً يجوز الرسول صلى الله عليه وسلم وينصحون له وإن لم يؤمن بعضهم ، وبذلك دخلوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية ولأجل القرابة كانوا يرغبون مصلحة النبي صلى الله عليه وسلم فكان منهم عيون وجواسيس للنبي صلى الله عليه وسلم وربما كان ذلك فيه مصلحة أكبر لأنهم يكونون وسط الكفار فيأتون بأخبار أكثر وشرط ذلك ألا يكون فيه سلطان على مسلم فلا يجوز أن يعين كافر قائد للجيش ولا أن يعين قاضياً ولا أن يعين محتسباً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لأنه ليس أهلاً لذلك وهذا من السبيل وقد قال الله تعالى ( وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ) لأن الذي له سلطة الأمر والنهي يكون له سبيل على المأمور المنهي والكافر عنده منكر أشد وأعظم فلا يكلف بذلك في ولاية مسلمين

% وكذلك لا يجوز أن تولى ولاية الشرطة التي فيها سلطان على المسلمين ولا الكتابة التي فيها تحكم فيما يعطى ويمنع من المسلمين ، الكتابة كتابة أعطية الناس مثلاً وقد أخذ أبو موسى كاتباً نصرانياً فأرسل إليه عمر يمنعه من ذلك وقال لا تعزهم وقد أذلهم الله ولا تقرهم وقد أبعدهم الله .

% يمكن الاستعانة بهم في بعض الأمور كمن يأتي مثلاً بمهندس بتزول أو أهل الخبر في صناعة ما أو علم ما مثل تعليم فنون الحرب والقتال وهذا دل على جواز أدلة الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم وشرط الاستعانة ألا تكون لهم القيادة للمسلمين ولا المشاركة في القتال .

% أما المضاربة والشركة فنوعان من المعاملة الجائزة قياساً على البيع والشراء وأيضاً هناك آثار فيها مقال أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك العاص ابن الربيع وهو في النهاية مثل البيع والشراء لا يزيد عن ذلك ، ولو علمنا أن ماله كله حرام أو يتجر في الحرام امتنعنا من ذلك لكن إن كان في ماله شيء من الحرمة مختلط بغير تحديد مال مختلط جاز التعامل معه فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير هذا مع قوله تعالى ( أَكَالُونَ لِلْسَحْتِ ) وقوله ( وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نَحُوا عَنْهُ ) ( وأكلهم أموال الناس بالباطل ) وذلك أنه إذا اختلط المحرم بالحلال وكانت هناك حاجة بالتعامل معه دون التعامل في عين الحرام جاز ذلك ، يعني لا يجوز أن أشتري منه خنزير أو أبيع له خنازير وفي ماله ثمن خنازير وفي ماله ثمن غنم وإجارة يجوز أن أتعامل معه في الحلال ، أشتري منه خبزاً أشتري منه دقيقاً لا أشتري منه خنزيراً ، يكره التعامل مع من في ماله خلطة بلا حاجة إذا كانت هناك حاجة زالت الكراهة وجاز التعامل .

% إذا كان الشراء من الكافر يؤثر على اقتصاد المسلمين ويدمره مثلاً بأن يرخص الأسعار بأن يدمر تجارة المسلمين ثم بعد ذلك يكون هو المنفرد الوحيد بالتجارة مثلاً فالضرر لابد من دفعه وهذه قضية عامة ومدار الأمر على مصلحة المسلمين وقضية المقاطعة هل هي من الموالات أم من البراءة أم لا ؟ الأصل أن البيع والشراء من الأمور الجائزة لكن إذا كان هناك مصالح للمسلمين فلا بد من مراعاة المصالح ودفع المضار فلو باع واشترى ناوياً النصح للكفار و المعاونة لاقتصادهم كان ذلك من الموالات

٥٠% فرق بين من يشتري لمصلحة نفسه وبين من يشتري لنقد الشرك الكافرة من الإختيار فمن مصلحتنا مثلاً رفع أسعار النفط والبتروك فمن يخفض أسعاره مراعاة لمصالح الكفار مثلاً لا يجوز ،

% أما لو كانت النية خوف الفساد على أموالنا حتى لا يترتب خلل ونحو ذلك فنعم فالأمر مداره على مصلحة المسلمين لا على مصلحة الكفار .

% ولا بد في مسألة المقاطعة أن يكون الأمر عاماً ليس من آحاد الناس ليس في القلة من الناس لأن التأثير في الكفار يكون عندما يكون الامتناع عاماً بأن يتمتع المسلمون كلهم من بيع ما يستعين به الكفار على إقامة أمورهم كما حدث في أمر البترول في حرب ١٩٧٣ لاشك أن البترول لو منع منهم لما استطاعوا أن يديروا تلك الأجهزة التي يستعينون بها في الحرب ولا شك أن هذا كان أمراً عاماً فيه مصلحة للمسلمين فلا بد من مراعاة تلك المصلحة وينبغي أن يضر الكفار بما أمكن .

% وعموماً فالبيع والشراء من مسلم أولى وأنفع لكن لا يكون الأمر من آحاد الناس فقد لا يتأثر شركات الكفار وإنما المسلمون هم الذين يتأثرون فلو أجمع كل علماء المسلمين أو عامتهم أن المصلحة تقتضي مقاطعة الدولة الفلانية ولو رآه أولي الأمر من المسلمين ففعله طاعة لأولي الأمر سواء العلماء أو الأمراء الذي يقودون الناس بشرع الله فهذا مشروع أما آحاد الناس الذين يخرجون بدعاوى يدعون الناس إليها وينهونهم عن خلافها مما يضييق على المسلمين ولا يكون فيه ضرر في الحقيقة على الكفار بل على المسلمين ، وضرر الكفار لا يكاد يذكر لاتساع تجارتهم في ذلك فمثل هذا الأمر لا بد فيه من نظر إلى أي الأمرين أعظم مصلحة ، هل مصلحة الكفار هي الحاصلة أم مصلحة المسلمين ، خلاصة الكلام في المقاطعة أنها ليست من الموالاتة ولكن نبي على المفاسد والمصالح انتهى الكلام في والولاء والبراء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### -8- الملائكة

#### ٥٣- الإيمان بالملائكة

الحمد لله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم . .

أما بعد :

الأصل الثاني من أصول الإيمان الإيمان بالملائكة قال الله تعالى { كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } البقرة ٢٨٥ وقال النبي . صلى الله عليه وسلم . { الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ } رواه البخاري ومسلم الإيمان بالملائكة يشمل التصديق بوجودهم ومحبتهم وتوليهم .

التصديق بوجودهم يشمل في معنى وجودهم أو التصديق بهم معرفة صفاتهم وأعمالهم التي وردت في الكتاب والسنة وهي كثيرة نصوص كثيرة وأعمال كثيرة وردت في الكتاب والسنة لا يصح إيمان مؤمن بلغته إلا بتصديقها والإيمان بها .

الملائكة عباد الله . عز وجل . مخلوقون ، هذه أول مسألة تتكلم في الإيمان بالملائكة والتصديق بوجودهم أنهم عباد الله مخلوقون ، ليسوا آلهة كما يعتقد النصارى في الروح القدس ، ولا بنات الله كما كان يعتقد مشركوا العرب فيهم .

ذكر الله . عز وجل . الإنحراف في الاعتقاد في الملائكة في قوله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْكَ بَئِزٌ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } الانبياء ٢٦ وهذا الأخير على سبيل

الفرض والاحتمال لا على سبيل التحقيق ، ولا يمكن أن يقع ذلك منهم وأن يقول أحد منهم إني إله من دونه أو معه ، لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كما ذكر الله . عز وجل . { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ } هم عباد إذا ليسوا فيضاً فاض .

ثلاث اعتقادات في الملائكة عند طوائف من الناس وانحرافات ، منهم من يعتقد أنهم الفيض الأول الذي فاض من واجب الوجود ، ويسمون جبريل العقل الكلي ، والملائكة عندهم هي العقول التي فاضت من ذلك العقل الذي فاض من واجب الوجود ، وعندهم أن كل هذه ليست مخلوقة وإنما نظرية الفيض عند الفلاسفة من اليونان ومن انتسب منهم إلى الإسلام سمي العقيدة اليونانية بالأسماء الإسلامية ، مع اعتقاده لهذه العقيدة الفاسدة ، هو يعتقد بنظرية الفيض ما يرويه من الفيض الذي فاض من واجب الوجود أولاً إلى بداية كما يفيض من الشمس شعاعها ، وعند المعرفة أن خروج الضوء من الشمس له وقت لأن الشمس خلقت ، وبدأ ضوءها عندما صارت متوهجة وخلق الله فيها هذا الضوء ، يعني لا يوجد شيء اسمه بلا بداية بفيض الضوء منها لكن لأجل استمراره نحن لا ندرك بداية أو ونهاية له لكن هي عقلية ثقيلة وأمر مقطوع به أنها بدأت في لحظة معينة تضيء .

المتكلمون في الفلك ونحو ذلك يقولون أنها نجم استنار لوجود تحول في الطاقة من المادة إلى طاقة هي التي تخرج هذا الضوء ، فلا يوجد شيء اسمه فاض بلا بداية ، هذه العقيدة أركز عليها لأنها واضحة التأثير جداً على عقيدة النصارى لأنهم قالوا ذلك في الابن وفي الروح القدس ويقولون أنه الابن المولود من أبيه قبل كل الدهور ، مع إن كلا الكلمتين متناقض كما ذكرنا ، مسألة الفيض هذه التي يشبهوها بشعاع الشمس وهي متناقضة أنك تثبت أصل فاض منه غيره وفي نفس الوقت بلا بداية ، هذا باطل بلا تردد ، ويقولون في الروح القدس الإله المحيي المنبثق من الآب ، النصارى عقيدتهم تجزم بأنها مأخوذة عن عقيدة اليونان الفلاسفة اليونانية ، ولنا الذين نجزم وحدنا بل هم يصرحون ويقولون الديانة المسيحية المعاصرة عبارة عن مزج بين تعاليم المسيح والفلسفة اليونانية ، طاغوتهم الكبير الباب الأخير هذا يصرح بذلك أمام الناس كلها علناً يقول هذه ليست تعاليم المسيح كلها ولا أنها عقيدة المسيح عليه السلام بل هي فلسفة يونانية أضيفت إليها الفضائل التي دعا إليها المسيح ، الغرض المقصود أن هذا من الكفر وهو مسألة نظرية الفيض .

نحن نثبت أن الملائكة عباد ليسوا عقولاً ليسوا أموراً معنوية وليسوا مجرد أعراض ، بل مخلوقات كائنة لها كينونتها أجسام نورانية أو مخلوقات نورانية كما قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ) رواه مسلم . فإله . عز وجل . وصفهم فأنكر اتحادها ولدأ وقال عنهم عباد مكرمون أكرمهم . عز وجل . بطاعته وعبادته لا يسبقونه بالقول لا يقولون قولاً قبل أن يعرفوا قوله . عز وجل . ، وقبل أن ينفذوا أمره سبحانه لا يقترحون شيئاً ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، إذاً لا يعملون عملاً من أهواء أنفسهم لا يعملون عملاً إلا بأمره سبحانه وتعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } يعلم كل شيء عنهم ، ويعلم ما أمامهم وما خلفهم وما قبلهم وما بعدهم { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } .

وهذا رد على المشركين الذين قالوا هم بنات الله ، قالوا ناسب الجن فأنجب الملائكة فقال الله سبحانه وتعالى { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } الصفات ١٥٨ فقالوا أنه ناسب الجن فأنجب الملائكة وولد الملائكة ، وهذا من كذبهم وزعموا بناء على أنها بنات الله أنها تشفع لهم عند الله ، واتخذوا الأوثان ترمز بهذه الملائكة البنات ، فاتخذوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ، زعموا أن هذه المؤنثات بنات الله ثم جعلوا الأوثان في الأرض رموزاً لها ، يقربون القربان لكي تشفع لهم عند الله قال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } وهم أهل التوحيد والإخلاص أهل لا إله إلا الله ، من أسعد الناس بشفاعتك قال النبي . صلى الله عليه وسلم . لما سأله أبو هريرة بذلك قال ( مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ ) رواه البخاري فليسوا يشفعون في هؤلاء المشركين ليسوا يشفعون في من أشرك بالله لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون مع طاعتهم الكاملة وأنهم لا يفترون عن الطاعة ولا يعصون الله ما أمرهم مشفقون خائفون وجلون من شدة إيمانهم بالله . عز وجل . وعلمهم بشدة عقوبته سبحانه وتعالى .

وهذا دليل على وجود الأفعال الباطنة والظاهرة منهم ، وهذه الأفعال طالما نسبت إليهم فذلك إثبات أن لهم إرادة وقوة كما قال . عز وجل . { ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } التكوين ٢٠ . ومعنى ذلك أن لهم إرادة لكن لا تتجه إلا إلى الخير .

وأما صفة خلقهم فقد قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ) رواه مسلم المارج هو طرف النار أو لسانها الذي فيه اختلاط بين أنواع اللهب ويكون فيه عدة ألوان مختلطة فهو مارج والفعل مرج أي اختلط ، وخلق آدم مما وصف لكم أي من الطين ، وهذا رد على من يزعم أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . خلق من النور ، وذلك أنه من بني آدم عليه الصلاة والسلام وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه بشر قال { إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ } الكهف ١١٠ . وقال . عز وجل . { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ } التأكيد بالمثلية يؤكد على أنه مخلوق مما خلقنا منه من الطين مما خلق منه آدم .

وليس كما يزعم الصوفية وبعضهم أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . خلق من النور الحسي والمعنوي أما أنه نور عليه الصلاة والسلام فلا يشك مؤمن أنه كذلك نور للقلوب كما قال . عز وجل . { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } الأحزاب ٤٥ هو السراج المنير . صلى الله عليه وسلم . لا نشك في ذلك ، ولكن لا يلزم من ذلك أنه خلق من غير الطين لا يلزم من ذلك أنه مخلوق من النور الحسي ، وإنما هو نور للقلوب عليه الصلاة والسلام وكذلك قول الله { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } المائدة ١٥ مع أن الصحيح أنه عطف بيان لاختلاف الصفات وأن الكتاب هو النور أن القرآن هو النور والكتاب المبين .

فالنبي . صلى الله عليه وسلم . بشر رسول قال . عز وجل . { قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } الاسراء ٩٣ والذين يريدون أن يجعلوه ملك رسولاً كذابون مفترون على الله الكذب وعلى رسوله . صلى الله عليه وسلم . ، وليسوا معظمين للرسول عليه الصلاة والسلام ، لو عظموه لاتبعوه على ما قال وعلى ما أمر الله . عز وجل . أن يقول { هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } .

أما النصارى فيعتقدون في الروح القدس أنه أقنوم من الأقانيم الثلاثة لله . عز وجل . ، أي شخصية من الشخصيات التي يبدو فيها الإله ويظهر تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، مع أنهم يجعلون كل أقنوم من الأقانيم له أحوال خاصة يحددون أن الأقنوم الثالث مثلاً مبثق من الأول وأن الثاني موجود من الأول ، مع أن هذا يتفاوت ويدل على اختلاف منزلة هذه الأقانيم وأنها لا تصح أن تكون شيئاً واحداً قال الله تعالى { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } النساء ١٧٢ فهم لا يتكبرون ولا يأنفون من عبادة الله . عز وجل . .

اعتقاد الإلهية في الملائكة من العقائد القديمة التي انتشرت في الأمم الكافرة والعباد بالله ، ومن الناس من يعتقد أن الملائكة تعاون الله . عز وجل . أو أن الله ترك لهم تدبير الكون تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، هذا الاعتقاد اعتقاد فاسد وإن كان بعض المسلمين يظن لأجل أعمال الملائكة التي وردت يظن أنهم يعاونون الله والله . عز وجل . قال { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذَرْوَةٌ فِي السَّمَاءَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } سبأ ٢٢ أي معين { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } سبأ ٢٣ إذاً لا معينين ولا شفعاء بغير إذنه سبحانه وتعالى ، فالملائكة لا يملكون مثقال ذرة فما فوقها ولا يشاركون الله في الملك ولا يعاونون الله . عز وجل . ، لأنه لا يحتاج إلى أحد سبحانه وتعالى ، بل هو سبحانه المستعان هو الذي أعانهم ووقفهم ، وهو سبحانه وتعالى الذي قواهم على ما يفعلون ، ولا يشفعون إلا لأهل التوحيد والإيمان .

عقيدة المشركين في الأصنام أنها ترمز للملائكة كما ذكرنا قال الله تعالى { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } النجم ١٩ أي جائرة { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهَا أَنْثَىٰ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } النجم ١٩ أي من حجة { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } في الاعتقادات ظنون وفي الإرادات والأعمال أهواء ضلال وغي ، ضلال في جهة الاعتقادات والتصورات وغي في جهة الإرادات والشهوات { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى } أي ليس له ذلك ليس له ما تمنى كل ما تمناه يجعله لنفسه يجده ؟ لا ليس كذلك ، الله هو الذي يجعل ويرزق من يشاء بما يشاء كيف شاء .

{ فَلِلَّهِ الْأَخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاءَاتِ لَا تُعْطِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتَهْزِئُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ وَإِنَّ الظَّلَّ لَا يُعْطِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } النجم ٢٦ دلت الآيات الكريمة على أن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي من تسمية الكفار للملائكة بتسمية الأنثى ، وأنهم عبدوا هذه الأوثان على أنها صور للملائكة رموز لها التي هي عندهم بنات الله التي يتشفعون بها عند الله ، ويعبدونها لتقرهم إلى الله زلفى .

قال الله . عز وجل . { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَهَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } الصافات ١٥٨ فقد جعل الكفار بين الله وبين الجنة نسباً فقالوا ناسب الله الجن وأنجب الملائكة ، فجعلوا الملائكة بنات الله وأمهاتهم ثروات الجن أي أشرف نساء الجن أي سادات النساء أمهات الملائكة ثروات الجن أشرف نساء في الجن فرد الله عليهم بقوله تعالى { بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } الانبياء ٢٦ الله . عز وجل . أكرمهم بطاعته { لَا يَسْتَفْهِئُونَ بِالْقَوْلِ } الانبياء ٢٧ أي لا يقولون قولاً قبل أمره سبحانه وإذا أمر

الله تعالى أمراً نفذوا أمره { وَهُمْ بِأَمْرِ يَعْْمَلُونَ } لا يعصون الله ما أمرهم { يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } فهم يشفعون بإذنه . عز وجل . والله لم يأذن أن يشفع في كافر لينجوا من العذاب ، يعني التخفيف عنه في أبي طالب ليس شفاعته نافعة له من كل وجه قال تعالى { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } الانبياء ٢٧ فأثبت الشفاعاة الشرعية ونفى الشفاعاة الشركية ، الشفاعاة الشرعية تكون بإذن من الله . عز وجل . في الشافع في من أذن الله أن يشفع فيه ، إذا الشافع نفسه مأذون فيه والمشفوع فيه من أهل التوحيد والإخلاص ويستأذن الشافع أولاً لِيُظْهَرُ بِقَرَرٍ أَنَّ الشفاعاة ملك لله . عز وجل . كما قال { لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا } الزمر ٤٤ قال تعالى { وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } فهم يخافون الله خوفاً عظيماً قال . عز وجل . { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } النحل ٥٠ .

الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم قال الله تعالى { عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } التحريم ٦ قال تعالى { وَهُمْ بِأَمْرِ يَعْْمَلُونَ } الانبياء ٢٧ فدل ذلك على أن الملائكة لها قوة وإرادة وفعل ، فنسبة الفعل إليهم دليل على أن لهم إرادة وأن الفعل إذا نسب إلى الفاعل فظاهاه في الحقيقة ولا بد من وجود إرادة وإلا فالفعل بلا إرادة لا يسمى فعلاً إلا مجازاً وقد ذكر الله تعالى أنهم يفعلون ما يؤمرون .

فهم يتكلمون يفعلون ويسجدون ويقومون وقد قال الله . عز وجل . عن جبريل أنه ذو قوة قال تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } التكويد ٢٠ عند الله ذا مكانة ، جبريل ذو قوة والملائكة ذو إرادة وقوة ، ذي عند ذي العرش مكين يعني له مكانة عند الله ، قال . عز وجل . { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } النجم ٥ أي ذو خلق حسن في تفسير آخر ذو قوة والأول أصح ، ذو مرة يعني ذو خلق حسن جميل ، رأى النبي . صلى الله عليه وسلم . جبريل له ستمائة جناح يتهوأي يتساقط منه الدر والياقوت من أجنحته ، فالملائكة ذو قوة وقدرة لكن لا تتوجه إلا إلى الطاعة لا يفترون عن طاعة الله سبحانه وتعالى أبداً ، ومن هنا لا ينامون لأن الله قال { يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } الانبياء ٢٠ ليس هناك فتور والنوم يقتضي أكثر من الفتور فإذا كانوا لا يفترون فهم لا ينامون فهم لا يتركون عبادة الله لحظة ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهم أعمالاً وكلهم بها ، وهو الذي أعانهم وأقدهم وقواهم على تلك الأعمال .

ومنهم الموكل بالوحي قد جعل الله . عز وجل . له أمر الإيحاء ، الوحي والإعلام في خفاء وهو جبريل عليه السلام وقد يأتي ملائكة آخرون غير جبريل يوحى ، ولكن جبريل عليه السلام هو الموكل به كما أن جبريل هو الموكل بأشياء أخرى كما قاتل عليه السلام في غزوة بدر هو وميكائيل ، وقاتل في بني قريظة وزلزل قلوبهم وأقدامهم وزلزل حصونهم في الحديث الصحيح وراه النبي . صلى الله عليه وسلم . وإن على ثنياه لنقع الغبار على أسنانه أتى في صوة إنسان وعلى ثنياه أي على أسنانه نقع الغبار لمشاركته في القتال رواه أحمد وحسنه الألباني ، وورد أيضاً في إهلاك قري قوم لوط أن جبريل عليه السلام رفع قراهم على طرف جناحه ، وهذه أخبار إسرائيلية لكن لها شواهد حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديوكلهم ثم أهواها إلى الأرض فأسقطهم .

اليهود قالوا للنبي . صلى الله عليه وسلم . ذاك جبريل عدونا من الملائكة إنه يأتي بالعباد ملك يأتي بالعباد ، فهذا الشاهد كما ذكرنا من الآثار الموقوفة على السلف هي أخبار إسرائيلية وورد أن جبريل صاح في ثمود صيحة أخطأهم ، هذه أخبار تدل على أن الله سبحانه وتعالى يجعل الملائكة فيما أراد .

حديث أن غير جبريل يأتي بالوحي ، حديث رؤيا منام النبي . صلى الله عليه وسلم . ( جاءني رجلان فأدخلاني إلى أرض مقدسة ) حديث ( أنا جبريل وهذا ميكائيل ) ( قال فأخبراني { رواه البخاري إذا كلاهما كان يوحى إليه ، عن ابن عباس قال ( بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . سَمِعَ نَقِيسًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَتَزَلَّ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبَشِرْ بَنُورِينَ أَوْتَيْتُهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتَّخَذَ الْكِتَابَ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ ) رواه مسلم فهذا دليل على أنه قد يأتي بالوحي ملك آخر غير جبريل عليه السلام ولو أخبر بجزء ، لكن معظم ما أخبر به النبي . صلى الله عليه وسلم . من الوحي أتى به جبريل ، القرآن كله أتى به جبريل ، لأن الله قال علمه شديد القوى وقال { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } إذا القرآن كله من الوحي الذي جاء به جبريل عليه السلام .

وجبريل موكل بالوحي قال . عز وجل . { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل ١٠٢ روح القدس يعني روح الطهر الروح المقدس جبريل روح لا نعرف كيفية هذه الروح قال . عز وجل . { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } معناه أن قوله مبلغاً عن الله وفي الحديث ( إذا تكلم الله بالوحي فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيوحي الله إليه من أمره ما شاء ) رواه ابو داود فدل ذلك على أن جبريل هو الذي يسمع الوحي من الله سبحانه وتعالى .

ميكائيل موكل بالقطر عن المشهور حديث حسن ( أن النبي . صلى الله عليه وسلم . سأل جبريل على أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر ) ذكره ابن حجر في الفتح وسكت عنه ، وقد يأتي بالوحي كما ذكرنا أنه أتى مع جبريل في حديث سَمَرَةَ في منام الرسول . صلى الله عليه وسلم . .



وقد خص سبحانه بالذكر جبريل وميكائيل لشرفهما عند الله . عز وجل . قال الله . عز وجل . { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } البقرة ٩٧ لذلك كما ذكرنا أن الإيمان بالملائكة يشمل محبتهم ومودتهم ، فاليهود الذين نزلت فيهم هذه الآيات قالوا للنبي . صلى الله عليه وسلم . بعد أن سأله عن أدلة نبوته وكانت أمور لا يعلمها إلا النبي فأقروا له بالنبوة ، ثم سأله من يأتيك من الملائكة قال جبريل . قالوا ذاك عدونا لو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لاتبعتناك والحديث رواه البخاري ، وهذا من كفرهم وضلالهم .

إذا هم أقروا بوجود جبريل عرفوا وصدقوا بوجوده لكن أبغضوه وعادوه فكفروا فإن من عادى ملك من الملائكة فقد عاد الذي أمرهم بالأعمال والطاعات والعبادات التي يأتون بها ، فجبريل عليه السلام لم ينزل بأمر نفسه وإنما نزل بأمر الله ، فمن عاداه فقد عادى الله لذلك حكم الله سبحانه وتعالى بكفر اليهود لأنهم قالوا عن جبريل أنه عدو له وقد قال تعالى { وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } مريم ٦٤ وهذه الآية على لسان جبريل عليه السلام وعلى لسان الملائكة ، وإنما يعادي اليهود جبريل عليه السلام لأنه زعموا أنه ينزل بالعذاب والهلاك ، وليس هذا من قبل نفسه ، وإنما أمره الله أن يهلك من أراد الله تعالى إهلاكه .

ومن الملائكة الذين ورد ذكرهم في السنة إسرئيل الموكل بالنفخ في الصور على المشهور ، لأن هذا فيه حديث فيه ضعف ، ولكن عامة العلماء يذكرون ذلك ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . في ذكر اسمه (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه مسلم والنفخ في الصور قد ذكره غير واحد من أهل العلم أنه عمل إسرئيل والحديث الموكل بالنفخ في الصور هو قول النبي . صلى الله عليه وسلم . ( كيف أنعم وقد إنتم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه وانتظر أن يؤمر بالنفخ فينفخ ) والحديث صحيح رواه الترمذي وحسنه أحمد وصححه الألباني ، النبي . صلى الله عليه وسلم . يخبر عن صاحب القرن ، حديث الصور الطويل فيه ذكر أن إسرئيل هو النافخ في الصور لكن حديث الصور الطويل حديث ضعيف .

معنى قول النبي . صلى الله عليه وسلم . ( كيف أنعم ) يعني كيف أتتكم وأتلتذ ( وقد التقم صاحب القرن القرن ) دليل على قرب قيام الساعة لأنه قد مضت الدنيا إلا يسيراً كما قال عتبة ابن غزوان رضي الله عنه " إن الدنيا قد أذنت بصر وولت حذاء " أذنت بانقطاع ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ) رواه البخاري ليس بينه وبين الساعة شيء إلا يسير ، وصاحب القرن بالفعل قد التقم القرن وحنى جبهته مصغياً إلى العرش ، وأصغى سمعه منتظراً متى يؤمر ، والأمر وشيك جداً نسأل الله العافية ( كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر بالنفخ فينفخ ) حسبنا الله ونعم الوكيل .

ومنهم ملك الموت من الملائكة ملك الموت وأعوانه ، ولم يصح حديث في أن اسمه عزرائيل وإنما هذا منقول عن أهل الكتاب والله أعلم باسمه ، الوارد عندنا أن اسمه ملك الموت ، قال الله . عز وجل . { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } السجدة ١١ أما أن له أعوان من الملائكة بيض الوجوه يقبضون أرواح المؤمنين وآخرون سود الوجوه يقبضون أرواح الكفار ، فقد دل على وجود الأعوان الكتاب ودل على صفتهم السنة ، قال الله . عز وجل . { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } الانعام ٦١ إذا هم رسل وجماعات ، الملائكة هم رسل الله وأصل الألوة الرسالة الملائكة أصلها من الألوة وهي الرسالة ، فهم رسل الله ينفذون أوامره .

قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة . هو الطيب الذي يوضع للميت . هذا استعداد لتكفين الروح . قال حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب الذي كنت تعمريه .... الحديث ) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني ذكر احتضار الميت كاملاً وأن ملك الموت يخرج روحه ثم إذا قبضها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط .

ثم ذكر احتضار الكافر وقال ( إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح . ثياب سود . فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول اخرجي أيتها الروح الخبيثة في الجسد الخبيث كنت تعمريه ) نعوذ بالله من ذلك .

من أخطر الأمور في مسألة ملك الموت أن الناس يظنونهم عزرائيل ويسبونهم ويستهزئون به ويعادونه وهذا من الكفر والعياذ بالله ، لأن معاداة أحد من الملائكة كفر { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } البقرة ٨٩ فمن يعادي ملك الموت ومن يكرهه ويبغضه فهذا والعياذ بالله يخشى عليه أن يكون كافراً ، كراهية الموت أمر ، وكراهية ملك الموت أمر آخر ، لكن كثر عند الناس وضع النكات على ملك الموت ، وهذا من الخطر العظيم والكفر الشنيع نسأل الله العافية ، كراهية الموت نعم لأن هذه فطرة في البشر ، لكن إذا نزل به الموت ، وعلم ما أعد الله له أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضَرَّ نَزْلُ بِهِ ) متفق عليه .

أما منكر ونكير فقد ثبت في صحيح ابن حبان وغيره اسمهما وهما فتانا القبر أي الفتانان اللذان يسألان الناس في قبورهم ، ويفتنونهم أي يمتحنونهم ، في حديث صحيح ابن حبان قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( فيأتيه ملكان شديد الانتهاز يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان له من ربك وما دينك وماذا تقول في الرجل الذي بعث فيك ) صلى الله عليه وسلم ، حسنه الشيخ الألباني ، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير والظاهر أنهما إسمان ، وهما الموكلان بسؤال القبر وعذابه .

ويظهر والله أعلم أن لعذاب القبر ملائكة آخرين أيضاً لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال في الكافر فيضربانه برمذبة من حديد والمردبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيصير تراباً ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة فيسمعه كل شيء إلا الثقلين ، فالملائكة منكر ونكير يضريان ذلك الكافر ويعذبانه في قبره ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، اختلاف الأضلاع يعني أضلاع الصدر اليمين في اليمين والشمال في الشمال تختلف - شبك بين أصابعه - اليمين تذهب إلى الشمال . الواحد منا لو ضاق عليه الضلع سنتي متران فقط ربما يخرج نفسه . فعلاً لو ضغط أنثان سنتي فقط على ضلوعه لا يستطيع أن يستمر . تخيل أن الشمال تأتي في اليمين واليمين تأتي في الشمال نسأل الله العافية .

روح المؤمن تأتي بعد أن يأمر الله أن تكتب في عليين ترد إلى القبر مرة أخرى ، بعد أن تفتح لها أبواب السماء إلى السماء السابعة ترد إلى الأرض مرة أخرى ، قال الله تعالى في ذكر آل فرعون هذا إثبات أن عذاب القبر هناك ملائكة تتولى عذابهم قال . عز وجل . { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } غافر ٤٦ فيظهر من ذلك أن الملائكة تتولى عذاب الكفار والعياذ بالله ، وكذلك تجعل الملائكة السود الوجوه روح الكافر في حنوط وفي أكسية سود مسوح أكسية سوداء ويجعلونها في تلك المسوح ، إذاً بداية عذاب القبر من عند الاحتضار .

ومن الملائكة مالك خازن النار ، وورد في اسمه حديث صحيح قال النبي . صلى الله عليه وسلم . في حديث جبريل وميكائيل حديث المنام الطويل ( أن النبي . صلى الله عليه وسلم . رأى رجلاً كرهه المرأة - كرهه المنظر - كأكره ما أنت راء رجلاً مرءاه وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها يغذيها ويوقدها فسأل عنه جبريل فقال إنه مالك خازن النار ) لو ضحك منذ خلقت النار لضحك للنبي . صلى الله عليه وسلم . لكن لم يضحك أبداً نسأل الله العافية ، وفي حديث الإسراء قال النبي . صلى الله عليه وسلم . لجبريل ( مالي لم آتي أهل سماء إلا رحبوا وضحكوا إلي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد عليا السلام ورحب بي ولم يضحك إليّ قال يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ) ذكره ابن حجر في الفتح وصححه الألباني .

طالب : هل رضوان خازن الجنة ؟

الشيخ : نعم لكن اسمه لم يرد في حديث صحيح وورد في حديث ضعيف أما أنه خازن الجنة فقد ثبت .

قال سبحانه وتعالى عن الكفار { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكِ قَالِ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ } الزخرف ٧٧ إذاً اسم مالك ورد في الكتاب وورد في السنة وهو خازن النار وله أعوان رؤسهم تسعة عشر لماذا قلنا رؤسهم ؟ لأنه ثبت أنهم أكثر من ذلك ، قال . عز وجل . في النار { عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ } المدثر ٣٠ وله أعوان آخرون قال الله تعالى { وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } المدثر ٣١ قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ . لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا ) رواه مسلم هذا العدد تسعة عشر عدد على ظاهره حقيقة لا تحتاج إلا تأويل ولا تصرف عن ظاهرها ، ولكن كما ذكرنا هؤلاء رؤوس أعوان خازن النار فهؤلاء خزنة النار والله أعلم بأعوان مالك الآخرين قال الله . عز وجل . { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّقْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } غافر ٥٠ .

منهم رضوان خازن الجنة ورد اسمه في حديث ضعيف أما تسميته بخازن الجنة فتأبى لا شك في ذلك قال النبي . صلى الله عليه وسلم . في ذكر الشفاعة ( آتي باب الجنة يوم القيامة واستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك ) رواه مسلم .

ومنهم الكرام الكاتبون قال سبحانه وتعالى { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } الانفطار ١٠ وهم الذين يحصون على الناس أعمالهم أما رقيب وعتيد فهما صفتان لكل واحد من الملائكة الذي يكتبون أعمال الإنسان كما قال تعالى { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ق ١٨ فلم يجمع بينهما ولم يقل رقيب وعتيد فهما صفتان وليس اسمين ، وهما صفتان لكل من الملكين ، لأن عموم ما يلفظ من قول يشمل الخير الذي يكتبه ملك الحسنات والشر الذي يكتبه ملك السيئات ، فكل منهما رقيب مراقب عتيد معتد معد لذلك ينتظر ما يفعله العبد ، هما صفان وليس اسمين ، ونحن لا نعلم اسمهما ، وكل واحد منهما رقيب يراقب العبد وعتيد معتد لذلك فينتظر ما يفعله العبد ، فملك الحسنات يكتب الحسنات وملك السيئات يكتب السيئات ولم يثبت أن اسمهما كذلك .

بالنسبة لأعوان ملك الموت البعض يقول ما الدليل على أنه تكفين للروح ؟ لأن الحديث نص على ذلك قال ( فإذا قبضها لم يدعوها في يده طرفة عين فيضعونها في تلك الأكفان ) يضعونها في ذلك الكفن ، لا يصح أن يكون في تكفين للبدن فالحديث قال الروح فالملائكة تأخذ روحه وبدنه مازال في الأرض يكفنه أهل الأرض .

طالب : هل ثبت أن هاروت وماروت ملكان ؟

الشيخ : نقول هذا ظاهر القراءة وهذا هو الصحيح ، أن هذه القراءة قراءة الجمهور المشهورة أن هاروت وماروت ملكان ببابل يُعَلِّمَانِ الناس أشياء من جنس السحر لا نعلم أكثر من ذلك هم يقولان قبل التعليم إنما نحن فتنة فلا تكفر ، ماورد من أنهما كلفا فما أمسيا حتى زنيا وشريا الخمر وقتلاً ، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاراً عذاب الدنيا فهما معلقان معذبان ، فهذا من الإسرائيليات التي رواها من رواها من الصحابة والتابعين ، لكن ليست ثابتة فهي من رواها رواها على سبيل الخبر في الإذن عن الرواية عن بني إسرائيل لكن لا على سبيل التشبيث ، فنحن لا نعلم أكثر من أنهما ملكان ببابل كما ذكر الله . عز وجل . قال { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } البقرة ١٠٢ هذا هو الصحيح الظاهر في تفسير الآيات .

ومن الملائكة الملائكة المعقبات الذين يتعاقبون على العباد ، قال الله تعالى { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } الرعد ١١ أي بأمر الله هم يحفظونه ، يحفظونه من أمر الله أي بسبب أمر الله لهم يحفظه فهم يحفظونه ، وغيرهم كثير وما يعلم جنود ربك إلا هو .

منهم الذين هم ركوع أبداً ، ومنهم الذين هم سجود أبداً ، ومنهم الذين هم قيام أبداً ، ومنهم الذين يأتون البيت المعمور كما قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم { أخر ما عليهم بمعنى لا تعود نوبتهم إلى يوم القيامة ، كل يوم سبعون ألف ملك جدد ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . في إثبات الركوع والسجود قال ( أظنت السماء وحق لها أن تنطق ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راكع أو ساجد ) رواه احمد وصححه الألباني أو كما قال النبي . صلى الله عليه وسلم .

ومنهم حملة العرش ، ونحن نعلم منهم أربعة على الأقل إن صح الحديث في ذلك وهم لم يصح أنهم اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية حديث ضعيف ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة ) هذا حديث الصور ضعيف ، نتوقف في هل هم اليوم أربعة أم ثمانية ؟ لأن المفهوم ليس بظاهر والحديث ليس بصحيح ، وإنما ذكر أربعة - رجل ونسر وليث وثور - وحديث ( صدق أمة في شيء من شعره ) جود ابن كثير إسناده وإن كان الشيخ الألباني ضعفه لكن جود ابن كثير إسناده ، الصحيح أننا نتوقف في هل هم اليوم أربعة أم ثمانية ، الوقف هو الصحيح لا ندري أما يوم القيامة فهم ثمانية بنص القرآن قال الله . عز وجل . { يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } الحاقة ١٧ الأسماء أربعة منهم - رجل وثور ونسر وليث - وهي ليست صفات لهم بل هي أسماء ، بمعنى أنه ليس رجل وثور ونسر حيوانات يعني لا ، بل نحن لا ندري عن ذلك أسماء هؤلاء الملائكة قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( صدق ) والحديث رواه أحمد وجوده ابن كثير وضعفه الألباني .

قال أمة بن أبي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( صدق ) ويبدو أن هذا كان معروفاً أو مأخوذاً عن أهل الكتاب .

قال . عز وجل . عن الملائكة { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } الصافات ١٦٥ وقال سبحانه وتعالى { يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } الانبياء ٢٠ هذا دليل على أن الملائكة لا تنام وقال . عز وجل . { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ } الأعراف ٢٠٦ .

في حديث الصور الطويل ذكر فيه موت الملائكة جميعاً بمن فيهم ملك الموت وإسرافيل حامل الصور ، ويشهد بصحة المعنى عموم قول الله . عز وجل . { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } آل عمران ١٨٥ كل نفس وهذه نفوس فعموم قوله تعالى { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } وهذه نفوس فيدل على موت الملائكة قبل يوم القيامة ثم يحيمهم الله بما شاء ، كل من سوى الله يموت .

ويجب حب الملائكة وتوليهم وإكرامهم بإبعاد المسلم نفسه عن المعاصي هذا من التبعيد لله سبحانه وتعالى في أمر الملائكة .

من التبعيد لله سبحانه وتعالى في أمر الملائكة :

أولاً نعرف عظمة خلقهم وقدره الله . عز وجل . العظيمة ونعلم أنه سبحانه لا يحتاج إلى أحد ، وأنه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا معصية العاصين ، لو أراد أن يجعل خلقه جميعاً ملائكة لفعل ، لو أراد أن جعل بدلاً منهم ملائكة في الأرض يخلفونه لفعل ، ولكنه سبحانه وتعالى حين خلقنا على هذه الحالة وأراد منا أن نتعبد له بأحوالنا لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يعبد بأنواع آخر من العبادات بأنواع من العبادات في وسط المدافعة وغير ذلك ، فإذا علمنا شدة عبادة الملائكة أحببناهم على طاعتهم وتوليئناهم ولم نعاديهم ، ونكرمهم بإبعاد أنفسنا عن أماكن المعاصي وعن شهودها لأنهم سوف يكونون معنا فنستحيي منهم أن نشهدهم المعاصي والذنوب .

وكذا نحاول التشبه بهم في طاعتهم الله . عز وجل . قال النبي . صلى الله عليه وسلم . (أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُصَوِّفُ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ) رواه مسلم .

كما ذكرنا معاداة أحد الملائكة ولو كان مصدق لوجودهم من الكفر كما دلت عليه الآيات الكريمة فهذا فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة أسأل الله أن يرحمنا أجمعين ، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## 9- الإيمان بالكتب

### ٥٤ - الإيمان بالكتب

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم .

أما بعد :

أنزل الله . عز وجل . على رسله صلوات الله عليهم وسلامه كتباً ، ضمنها كلامه ، دل على ذلك أن الله قال في القرآن { وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } التوبة ٦ وقال الله . عز وجل . { وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } آل عمران ٣ وعلى هذا إجماع العلماء أن الكتب التي أنزلها الله فيها كلامه ، ولذلك قلنا الإنجيل المعاصر فيه من الإنجيل ، وليس أنه الإنجيل ، لأن الإنجيل الذي بين أهل الكتاب اليوم لا يقولون ولا يخبرون بأنه وحي الله إلى عيسى ، ولا أنه كلام الله بل يقولون صراحة أنه سيرة المسيح التي رواها تلاميذه وتلاميذه تلاميذه ، ف لوقا ومرقس ليسا من التلاميذ فإذاً نقول فيه من الحق فيه من كلام المسيح ما أحواه الله إليه ، وإما أن التوراة هي التي أنزلها الله حصل فيها زيادة نقص وتبديل وتحريف .

أنزل الله على رسله صلوات الله وسلامه عليهم كتباً ضمنها كلامه ، ذكر منها في القرآن التوراة التي أنزلها الله على موسى والإنجيل أنزله على عيسى والقرآن على محمد . صلى الله عليه وسلم . والزبور أنزله على داود { وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } النساء ١٦٣ وصحف إبراهيم وموسى أنزلهما عليهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

هل الصحف صحف موسى صحف فيها التوراة ؟ الذي يظهر والله أعلى وأعلم أنها شيء آخر ، لأن الله كتب التوراة لموسى بيده في الألواح ، فالصحف الذي يظهر أنها شيء آخر ، ومما يدل على ذلك أيضاً قول الله . عز وجل . { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا (٣٥) قُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا } الفرقان ٣٦ فالكتاب هنا والله أعلى وأعلم غير التوراة ، لأن التوراة أوتيتا موسى بعد هلاك فرعون ، ولا يظهر أنها صحف موسى .

هذه الكتب التي أنزلها الله . عز وجل . هي من كلامه كما قال الله . عز وجل . { وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } والله . عز وجل . جعل في هذه الكتب شرائعه حفظ الله منها القرآن قال الله تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر ٩ أما الكتب السابقة فقد استحفظها الله . عز وجل . أهل الكتاب فطلب منهم أن يحفظوها ، فلم يقوموا بذلك قال الله . عز وجل . { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ { المائدة ٤٤ أما القرآن فقد وعد الله بحفظه ، لأنه الذي تبقى شريعته إلى آخر الزمان ، وجعله مهيمناً على ما قبله أي شاهداً لما فيها من الحق ، وشاهداً على ما زاده أهل الملل السابقة عليها مما ليس فيها ، وشاهداً على ما نقصوه وبدلوه وحرفوه .

بعض مسلمي أهل الكتاب ذكر عن أبيه نقلاً لا أدري مدى صحته أنه كان من القساوسة ، وأن بابا الفتيكان أن بعد بعثة النبي . صلى الله عليه وسلم . أمر بجمع جميع نسخ التوراة والإنجيل ، وهي كانت عدد محدود جداً وحذفوا منها ما ظنوه أو حذفوا النصوص المصروفة بنبوته عليه الصلاة والسلام لكن بقي أشياء لم يستطيعوا حذفها من إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام لكن بلا شك قد كتبوا نقصوا وزادوا ، قال الله . عز وجل . { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ } المائدة ٤٨ ومهيماً عليه فهو شاهد مهيم بمعنى شاهد على ما نقصوه وبدلوه عنه ، مصدق لما فيها من الحق ولذلك ما وافق القرآن من هذه الكتب فنحن نجزم بصحة معناه أنه من كلام الله ، ولا نجزم بصحة الألفاظ ، لأنهم غير متقنين في الحفظ لكننا نجزم بصحة المعاني مثل الشهادة لله بالوحدانية والشهادة للأنبياء بالنبوة والرسالة ، وذكر ما وافق أخبار الأمم في القرآن مثل ذكر نوح والطوفان وإغراق أهل الأرض من الكفار وذكر السفينة وذكر موسى مع فرعون ونحو ذلك من القصص ، والتي فيها موافقة للقرآن ومصدق لما فيها من الحق ، وكذلك النهي عن القتل والزنا والسرقة والربا والظلم وتحريم الخنزير وبعض الحدود مثل أن النفس بالنفس وأن العين بالعين الذي ذكره الله . عز وجل . فهذه أشياء مصدقة .

ومهيماً أي شاهد عليها يشهد لما فيها من الحق ويؤكد ويؤيده ويشهد على ما زادوه فيها مما ليس منها من أباطيل ، لا يشك من اطلاع على الكتب الموجودة في أيديهم أنه زيد وغيره وجهه مثل اتهام الأنبياء بفعل الفواحش ، ومثل اتهام الرب . عز وجل . بالنقص الذي كذبهم الرب . عز وجل . فيه مثل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء أو إن الله ضعيف أو إن الله صارع يعقوب فأمسك يعقوب بحقوه حتى صارع حتى سماه إسرائيل أي أسرع إيل أي الذي صرع الرب أو ما زعموه من صلب المسيح وقد قال . عز وجل . { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ } النساء ١٥٧ وغير ذلك من أمور كذبها القرآن .

فهذا دليل على أنهم زادوا في الكتاب ما ليس منه ، ومن قال من العلماء المتقدمين من السلف أنه لا يقدر أحد على تغيير كتاب الله . عز وجل . هذا عند الله سبحانه وتعالى ، محمله أن يغيره الذي هو عند الله أما ما بأيدي أهل الكتاب ، فلا شك أنهم غيروا وبدلوا ، إذا كان هذا قد وقع في القرآن لكن لم ينتشر أعني وجدت نسخ حاولوا فيها التحريف ، لكن بفضل الله لأنه وعد أن يحفظ كانت هذه النسخ تترك وتحضر منها ولا تنتشر بين الناس ، بل لا يزال القرآن حرفاً محفوظاً بلا نكير ولا نزاع ، لكن أن يكتبوا هم أشياء في كتبهم قد وقع ذلك وهذا مما لا نشك فيه ، يمكن أن يكون في الزمن الأول أنه كانت هناك نسخ اطلع عليها هؤلاء السلف يرونها صحيحة وإن كنا لا نستطيع الجزم بذلك أيضاً أن ابن عباس رضي الله عنه قال كيف تسألون أهل الكتاب وعندكم كتاب الله أحدث الكتب عهداً وقد أخبر الله . عز وجل . عن تحريفهم ونهى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عن سؤالهم لأنه إما أنه نصدق بباطل أو نكذب بحق ، لا نسألهم لأنه قد لا يتضمن ذلك وهذا كل دليل على أنهم حرفوه .

فالقرآن شاهد لما فيها من الحق يؤكد ويؤيده ويشهد على ما زادوه فيها مما ليس منها وما نقصوه وحذفوه وبدلوه وحرفوه وهذا الأمر كما ذكرنا لا شك موجود في الكتب التي بين أهل الكتاب اليوم وظاهر الأدلة تدل على أن التوراة التي كانت بأيديهم أيام النبي . صلى الله عليه وسلم . هي التوراة التي أنزلها الله لكن وقع التبديل في أشياء منها وليست كتاباً مخترعاً بالكلية ، بعض المناظرين المعاصرين يقولون عن هذه الكتب أنها مخترعة بالكلية ، وهذا ليس بصحيح على الأقل إلى زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، الدليل قال الله . عز وجل . { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } آل عمران ٩٣ إذاً سماها الله التوراة وأتوا بها وقالوا يقرأ حتى أتى على آية الرجم فوضع يده عليها والحديث متفق عليه هذا دليل على أن الأصفار التي كانت بين أيديهم سميت التوراة أما كونها وقع فيها التحريف فسيأتي بيان ذلك وليست هي التي أنزلها الله كما هي تماماً .

أما الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم ، فالذي يظهر أن ما قاله النصارى أنه سيرة المسيح ، وهذا أيضاً في نفس الأناجيل الأربعة أنها قصة المسيح رواها هؤلاء وليست أنها الوحي المنزل على المسيح مع أنه يذكرون من كلام المسيح نفسه " توبوا إلى الله وآمنوا بالإنجيل " وهذا من أوضح الأدلة على أن المسيح هو الذي أخبر بالإنجيل فكيف يمكن أن يكون الإنجيل هو السيرة التي كتبها هؤلاء بعد المسيح من خمسة عشر إلى ستين عاماً من رفع المسيح فهذا الذي يؤكد أن الإنجيل كتاب آخر غير الكتاب الذي بين أيديهم ، لكن كما ذكرنا فيه من كلام المسيح ومتضمن لكلامه عليه السلام مما أحواه الله إليه ، فهذه السيرة كتبها الحواريون وأتباعهم أو غيرهم ، لأن البعض يطعن في إنجيل يوحنا مثلاً أنه هل هو يوحنا الصياد حوارى المسيح أم أنه كاتب متفلسف في العصور المتأخرة بعد المسيح بأكثر من قرنين على قول بعضهم ؟ أيا ما كان ، ولذلك نقول أو غيرهم وفيها بلا شك من الأنواع ما نجزم بأنه ليس من كلام الحواريين ، لأن الحواريين مؤمنون ومسلمون بنص القرآن ، فلا يصح أن ينسب إليهم الكفر الذي يخالف ما وصفهم الله به .

إنجيل برنابا في التصريح بنبوته النبي . صلى الله عليه وسلم . ، وطبعاً إنجيل برنابا موجود بلغة أسبانية يعني بلغة متأخرة ، هو غير معروف بلغة متقدمة لكن الأناجيل الأخرى كذلك الأناجيل أقدم نسخ معروفة باليونانية وليست معروفة بالعبرانية التي تكلم بها المسيح عليه السلام ، فالعبرانية التي كان يتكلم بها بنو إسرائيل زمن نزول الإنجيل لا يوجد إلا نسخ مترجمة من اليونانية ، فليس إنجيل برنابا الأسباني اللغة بنابع أن يقبل معناه كما قبلت الأناجيل الأخرى مع عدم معرفة النسخ الأصلية لهذه الأناجيل ، ثم إن هذه النسخ مترجمة مع جهالة المترجم ، فمن أدرانا أن المترجم كان على إتقان ، وهم يقولون ذلك أن المترجم مجهول ، فمن الذي ترجم هذه إلى النسخ من العبرانية إلى اليونانية ثم انتشرت بعد ذلك إلى اللغات الأخرى .

نحن نجزم بنزول الوحي على المسيح ، وأنه آتاه الله الإنجيل ، نقول هذه السيرة كتبها الحواريون وأتباعهم أو غيرهم ولم يقولون إن هذا هو الكتاب الذي أنزله الله على المسيح ، لكن فيها من كلام المسيح مما أوحاه الله إليه ودلوا ما بأيديهم من هذه الكتب أن المسيح أخبر بوجود الإنجيل وطلب منهم أن يؤمنوا به وقال " توبوا إلى الله وآمنوا بالإنجيل " هذا يدل على وجود كتاب من زمن المسيح يسمى الإنجيل يجب الإيمان به ، هم يقولون الإنجيل معناه لغة البشارة ، هم لا يثبتون ذلك لا يثبتون كتاب نزل على المسيح ، ولا يقولون بوجود الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح من كلام الله تعالى ، يقولون تلاه المسيح على الناس .

الذي يظهر أن الإنجيل الذي بين أيديهم فيه من الإنجيل الحق وليس هو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ووقع فيه تبديل يعني نقول هو خلاف التوراة ، بل التوراة هي التوراة ووقع فيها التبديل الإنجيل ليس هو لكن وقع فيه من كلام المسيح مما أوحاه الله إليه ، طبعاً هذا مهم جداً لماذا ؟ هذه المقدمة لما في أيديهم من أجل صحة الاحتجاج بمعاني ما ورد في هذه الكتب ، لأن القرآن مصدق لهذه الكتب كلها فليس لهم أن يمنعوا المسلمين بأن يحتجوا عليهم بكتبهم ، وليس لهم أن تحتجوا بشيء من القرآن ، لأنهم لا يصدقون بالقرآن جملة لكننا نصدق أن المسيح قال الحق ، ونصدق أن موسى قال الحق ، فلا مانع أن نحتج بما رووه من الحق عن موسى وعيسى مما يوافق القرآن .

فهذه المقدمة مقصود بها صحة احتجاج أهل الإسلام بما رود في الكتب المتقدمة إذا وافقت الحق ، لأن فيها ما يوافق الحق ، ولذلك لا يجوز إهانة هذه الكتب جملة رغم أننا نعلم أنها ليست التي أنزلها الله خلاصاً ، ومع ذلك فيها من الحق ما يمنع من إهانتها ، وأن فيها ذكر الله ، وفيها من التوحيد أضعاف مضاعفة مما فيها من الشرك أو النقص ونسبة النقص لله . عز وجل . .

الذي يظهر أن الإنجيل الذي بين أيديهم فيه من الإنجيل الحق وليس هو الذي أنزله الله على عيسى ، ووقع فيه تبديل وهو متضمن لبعض الكلمات التي من الإنجيل الحق ، هم يسمون هذه الأناجيل أربعة إنجيل يوحنا وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل مرقس ، يقرون بأن هذه أناجيل كتبها الحواريون وأتباع الحواريون ، ومتى ويوحنا هم الحواريون لوقا ومرقس ليسوا من الحواريين لم يدركوا المسيح ، وإنما أخبروا عن من أخبرهم عن خبر المسيح ، قالوا الذين رأوا الكلمة أخبرونا وأضافوا إلى ذلك جمل من الرسائل التي كتبها الحواريون إلى الأقاليم إلى الناس يدعونهم وهذا مختلف فيه لم يقر من كل الكنائس ولا كل المجامع لكن كثير منها مقر عندهم ، رسائل الحواريين رسائل بطرس ورسائل بولس ، وهذا ليس من الحواريين ولا من تلامذتهم ، بل هو أصلاً كان عدواً للمسيح عليه السلام وظل على هذه العداوة إلى بعد رفع المسيح . صلى الله عليه وسلم . ، ثم بعد ذلك ادعى أنه ظهر له المسيح في طريق وأنه أمره أن يدعو إلى المسيحية ، وبولس في الحقيقة هو مؤسس النصرانية المعاصرة على عقيدة التثليث وعقيدة صلب المسيح ، فبولس هو الذي غير دعوة المسيح عليه السلام ، بخلاف الرسائل الأخرى ورسائل الحواريين وغيرهم إلى الناس إلى البلاد المختلفة .

وقد أدخلت في الكتاب المقدس عندهم - المقدس عندهم - وليست أنها في أصله ، الأناجيل الأربعة هي التي أخذت شهرة لأنها هي التي أقرت ابتداءً في مجمع نيقية الأول ، لأنه هو الذي أقر العقيدة النصرانية ، من حيث سند هذه الأناجيل فهناك أنواع من الطعون في ذلك السند إلى كل واحد من هؤلاء الأربعة بل لا يثبت إليهم إسناد أصلاً وفي العهد الأول كان هناك ما يقرب من الستين أو السبعين إنجيلاً قرر مجمع نيقية الأول الذي قرر عقيدة التثليث اعتماد هذه الكتب الأربعة على أنها الكتاب المقدس فهذا يدل على مدى التحريف الذي وقع في كتاب النصارى وهو أشد من التحريف الذي وقع في كتاب اليهود .

والتوراة التي في أيدي اليهود اليوم فيها ما يجزم معه كل من اطلع عليها ويقطع بأنه وقع فيها من التحريف شيء كثير حتى إن النصارى الذين يعتقدون أن الكتاب المقدس يتضمن العهد القديم من التوراة وما شابهها من الزبور والتي يسمونها المزامير ورسائل أخرى نبوات الأنبياء نبوة أشعياء نبوة حبقوق نبوة دانيال نبوات الأنبياء يكتبونها ويدخلونها في العهد القديم ، العهد الجديد هو الإنجيل التي هي الأربعة ورسائل الحواريين ، قرر مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٧٥ نصاً أن العهد القديم يتضمن شيئاً من البطالان ويصرحون أصلاً ويعتقدون بالتحريف ويقرر مجمع الفاتيكان الثاني أن العهد القديم حدث فيه نوع من التحريف هذا ما لا شك فيه مع التناقضات الكثيرة التي لا يمكن الجمع بينها ، العهد الجديد أيضاً الذي بين أيديهم فيه من التناقضات ما يجزم معها بوقوع تحريف وهم لا يعرفون لها حلاً بدءاً بنسب المسيح .

نسب المسيح مختلف اختلافاً قطعياً بين الأناجيل لا يجدون له حلاً ينسبونه أولاً إلى يوسف النجار خطيب مريم ثم في نسب يوسف هذا يجعلونه مختلفاً تماماً وعدد الأجيال التي بينه وبين آدم وعدد السنين المختلفة في كل جيل وغير ذلك مما لا يحتمل إلا القول بالتحريف وهم يقولون بذلك ويحاولون تأويله واحتاروا بالجمع بين ما ورد في إنجيل وورد في آخر وما ورد في العهد القديم وما ورد في العهد الجديد والجمع بين ذلك مستحيل .

وهناك مواضع يشهد القرآن على بطلانها مثال ذلك ذكر صلب المسيح وهذا من التبديل وأن الله . عز وجل . قال { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنَّ شُبُهَٰهُ هُكِّمَ } النساء ١٥٧ التبديل معناه أدخل في هذا ما ليس منه وما تبع ذلك من ذكر قيامته من الأموات لأنه لم يمت أصلاً وإن كان النصارى يقولون بأنه لم يشهد صلب المسيح على زعمهم أحد من كتاب الأناجيل بل يقولون أنهم تركوه وهربوا وأنهم أنكروا المسيح فلم يشهد أحد منهم واقعة الصلب بل هي حكاية مرسله باعتبار مصطلح أهل الإسلام يعني أهل الإسلام يسمون هذا الحديث حديث مرسل لأنه لم يرى الواقعة ومثله ما وقع في التوراة من ادعائهم صفات النقص لله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ومن هذا ما هو مذكور في كتاب العهد القديم أن الله بعد أن أغرق الأرض بالطوفان ندم وبكى حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة وهذا من الكفر الذي لا شك فيه ويجزم بأن هذا مما وضعته أيديهم .



ومن الدلالات اليقينية على وجود التديل عندهم أن التوراة التي هي في العهد القديم التي هي الأصفار الخمسة المنزلة على موسى فيها ذكر أحداث بعد وفاة موسى عليه السلام فكيف تكون قد أنزلت على موسى بعد وفاته ويسرد أحداث وقعت بعد وفاة موسى عليه السلام ؟ هذا يدل على وقوع التديل في الكثير في هذه الكتب ، وكذلك اعتقادهم صفات النقص في الرب وجائر عليه النقص والعياذ بالله ويعتقد النصارى أنه اتخذ صاحبة وولدا ، وهذه مسبة ، وعندهم لا بأس بهذه المسبة وعندهم أن الله كالبشر لأنهم مشبهة اليهود خصوصاً فكما أن الواحد من البشر يندم ويكي ويجهل بعض الأشياء فعندهم أن هذا يجوز على الرب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وهذا من فساد الاعتقاد الذي يتعجب منه .

كما ذكرنا كان هناك خلاف بين المتقدمين من أهل العلم في أنه هل ما بأيديهم هو مجرد تحريف معاني أم تحريف كتابة ؟ فالبعض يقول لا يستطيع أحد أن يغير لفظ كلام الله والحق أنه لا شك أنه في وقوع التحريف لفظاً ومعنى ، وليس هناك دليل على أن الله حفظ هذه الكتب من التديل بل الأدلة قائمة على أن الله استحفظهم بإياها ثم إن القرآن مهيم على هذه الكتب شاهد عليها فعلى أي شيء يشهد إن لم يكن هناك ما يحتاج إلى شهادة ، هو شهيد عليها وريب عليها ، وذلك دليل على أن فيها حق وفيها غير الحق ، الذي يقرأ هذه الكتب يقطع ويجزم بأن فيها ما يستحيل أن يكون من كلام الله ، لما فيه من الاختلاف الكثير ، لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ثم ما فيه من المخالفة الصريحة لعقيدة أهل الإيمان بالله .

مما ذكرنا من ذلك مصارعة يعقوب للرب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ومما يجزم بطلانه أن الرب يقول يعقوب ابنه البكر وعنده أن آدم ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وهذا موجود في الإنجيل أيضاً وهذا كله من الكفر فكيف يقال أن هذه الكتب لم يقع فيها تحريف .

ثم إن نصوص الكتاب والسنة تدل على التحريف الذي وقع :

النوع الأول : من التحريف الذي وقع في الكتب المتقدمة تحريف الكتابة ، قال الله تعالى { قَوْلًا لِلَّذِينَ كَتَبُوا الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلًا هُمْ بِمَا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } البقرة ٧٩ فهذا النوع أن يكون الكتاب نفسه محرماً لأنهم كتبوه ونسبوه إلى الله ونص الآية واضح وصريح ، أن في الكتاب نفسه ألفاظ مكتوبة زعموا أنها من عند الله وأنها من كتاب الله وليست منه وليست من عند الله . عز وجل . وهذا كما ذكرنا موجود في كتبهم التي بين أيديهم مثل نسبة الأبناء إلى الله . عز وجل . نسبة العجز والهزيمة والمرض والندم والجهل إلى الله . عز وجل . نسبة الفواحش إلى الأنبياء والشرك والكفر نعوذ بالله من ذلك ، وجود ما كذبه القرآن مثل ذكر صلب المسيح فكل هذه وإن زعموا أنها من عند الله فهذا ليس من عند الله . عز وجل . وهو تحريف كتابة وهو موجود في كتبهم ، لذلك نقول الخلاف القديم في أن هل ما بأيديهم تحريف معاني فقط أو تحريف كتابة خلاف غير سائغ على الكتب الموجودة الآن يمكن أن يكون في الزمن الماضي اطلع البعض على نسخ صحيحة لكن الظاهر أن هذا أيضاً كان خطأ في ذلك الزمن لأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . غضب على عمر رضي الله عنه عندما أخذ صحيفة من التوراة وقال ابن عباس رضي الله عنهما كيف تسألون أهل الكتاب وعندكم أحدث الكتب عهداً بالله . عز وجل . فأحبركم الله . عز وجل . أنهم حرفوا وبدلوا فصحيح أنه هذا الخلاف من أيام الصحابة والقرآن شاهد لأنهم فعلوا ذلك من أيام الرسول . صلى الله عليه وسلم .

بل تاريخهم يؤكد أن كتابة هذه الصحف عبر التاريخ تعرض لأنواع من التديل والتغير بل من بدايتها ليست التي أنزلها الله في بعضها كالإنجيل ، الأنجيل الأربعة ليست الوحي إلى المسيح وإنما فيها مما أوحى الله إلى المسيح فكتابتها بهذه الطريقة تدل على ما ذكرنا من أن الخلاف قديماً كان مرجوحاً أما الآن فغير سائغ يعني هل أحد اليوم يقول أن التوراة التي في أيدي اليهود والنصارى وكذا الإنجيل كتب الله كما أنزلها ؟ كاذب بلا تردد لا يمكن استحليل ذلك .

النوع الثاني : تحريف لسان فيما يقولون ويدعون على الله ، قال الله تعالى { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران ٧٨ وهذه الآية أيضاً نص واضح في أنهم يحرفون بألسنتهم ويؤمنون كلاماً يقولون إنه من الكتاب المقدس ومن عند الله وما هو من عند الله ، تحريف المعاني وهو أن يظل اللفظ موجوداً لكنهم يحرفون معناه ، قال . عز وجل . { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } النساء ٤٦ لماذا ذكرنا هذه الآية خصوصاً ولم نقل الآية الأخرى { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } ؟ لأن هذه الآية ثابتة في آية الرجم والتي هي موجود بالتوراة بلفظها ، وادعى اليهود أن عندهم في الزنا بعد الإحصان الجلد والتحميم كما سبق في بيان مسألة الحكم بغير ما أنزل الله .

قال عبد الله ابن عباس يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم . صلى الله عليه وسلم . أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب خالص لم يضاف إليه غيره وهذا تعريض بكتبهم وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم الكتب قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً رواه البخاري هذا كلام صريح واضح ولأن الكتب أيام الصحابة رضي الله عنهم أيام النبي . صلى الله عليه وسلم . كان فيها تديل وقال النبي . صلى الله عليه وسلم . لعمر ابن الخطاب عندما وجده يقرأ في بعض هذه الكتب ( أَمْتَهُوْكَوْنُ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِمَا بَيَضَاءُ نَقِيَّةٍ ) رواه احمد وحسنه الألباني تعريض بالكتب الأخرى يفهم منها بمفهوم المخالفة أن غير القرآن غير شرعة الإسلام ليس أبيض ولا نقياً وإلا لما غضب النبي . صلى الله عليه وسلم . عندما رأى في يد عمر صحيفة من صحف

أهل الكتاب قد استنسخوها وأراد أن يتعلم منها ، والله . عز وجل . قد أخبرنا كما أخبرنا الرسول . صلى الله عليه وسلم . أن ما بأيديهم ليس نقياً وليس أبيض وليس كما جاءت به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فإن قال قائل كيف إذاً قدر الله أن يبدل الناس كلامه والجواب أن الله جعل هذه الكتب مؤقتة بزمن وكل نبي يأتي ليقود قومه بما أوجب الله عليهم في هذه الكتب وهو . عز وجل . لم يعد بحفظ هذه الكتب كما أنزلت إنما استحفظها أحبارهم ورهبانهم ، وحفظ القرآن الكريم الذي تبقى شريعته إلى آخر الزمان فحاجة الناس إلى كتاب متضمن لشريعة محفوظة من التبديل والتحريف بوعد الله قد تحققت بوجود القرآن وهم في الحقيقة لم يغيروا كلام الله الذي هو كلامه وإنما خدعوا أتباعهم بأن كتبوا وقالوا للناس إن هذه هي التي أنزلها الله وأدخلوا في الكتب ما ليس منها وأما الذي أنزله الله وتكلم به فهو عنده . عز وجل . لا تبديل فيه ولا تحريف فلا تبديل لكلمات الله التي تكلم الله بها وأنزلها كما قال . عز وجل . { لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يونس ٦٤ هي عند الله . عز وجل . كذلك هي عند المؤمنين كذلك الذين سمعوها وآمنوا بها في وقتها أما ما بأيديهم اليوم فمن قال أن هذا هو كلام الله ؟ هذا الذي نحن بصدد النزاع فيه كما أن بعض الناس قد أخطأ في كتابة بعض المصاحف هل عندما يأتي إلى خطأ يجد نفسه يده تتحرك بالصواب ؟ أم أنه يمكن أن يقع بالخطأ ؟ وكذلك ليس وعد الله أن أحد لا يمكنه أن يحاول كتابة المصحف بطريقة محرفة قد حاول اليهود والأمريكان كتابة مصاحف محرفة لكن فضحهم الله فلم تنتشر ونحن نجد أحياناً بعض الأخطاء كما ذكرنا بغير قصد وهم فعلوها بقصد لكن هل وجدوا أنفسهم أيديهم تكتب الصواب بدلاً من الباطل ؟ لا هذا ليس بصحيح .

لكن القرآن له خاصية وهو أنه لا يمكن أن ينتشر في الناس ذلك المخرف أو الذي فيه خطأ ، سوف يظهر المؤمنون والعلماء عليه ويعرف أهل الدنيا كلها القرآن الصحيح ، بمعنى يكون محفوظاً يصل إليه من أراده كل من بحث عنه وجده كالماء والهواء كل من أراد أن يصل إلى الحق وصل إلى القرآن ، مبدولاً في كل مكان في العالم ، وفي تفسير آخر { لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يعني الكونية التي يكون الله بها الخلق لا تبدل سوف يقع ما أخبر الله أما أن ينتشر بأيدي الناس من الكتب التي ليست من كلام الله ويقال أنها من كلامه هذا أمر آخر لا تدل الآية على عدم وقوعه ف { لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } الكونية ولا تبديل كذلك لكلماته الشرعية التي أنزلها . عز وجل . ، وإلا لكان ذلك يعني استحالة وقوع خطأ في بعض نسخ القرآن مع أن هذا يقع فليس هذا تبديلاً لكلام الله قد توجد نسخة فيها أخطاء مطبعية واليهود قد حاولوا ذلك التحريف مرات في القرآن وخصوصاً في البلاد غير العربية فهم يحاولون إيجاد مصاحف فيها تبديل ، والشيعية عندهم طوائف حاولت إضافة سورة سميت سورة الولاية ولا شك في كفر هؤلاء ولا يعد ذلك تبديلاً لكلمات الله .

ولكن الفرق بين القرآن وبين هذه الكتب أن النسخ التي وقع فيها التحريف أو الخطأ من نسخ القرآن لا يمكن أن تنتشر دون أن يدري الناس بها لأن الله قيض لهذا الكتاب من يبين ما منه وما ليس منه وقد تعهد سبحانه بحفظه فسوف يظهر أي تحريف أو تبديل أو تغيير أو خطأ في نسخ القرآن ولا يمكن أن ينتشر وسط الناس أنه القرآن ، القرآن بحمد الله قد تواتر بالمشارق والمغرب وفي بلاد العالم كله وصار تغيير حرف في الرسم نفسه غير ممكن بحمد الله لكن الكتب السابقة هذه التي وقع فيها التحريف يمكن أن تنتشر ويقال للناس هذا الذي أنزله الله ويكون كلام الله الحقيقي في هذه الكتب مختلفاً أو غير ظاهر وهذا يستحيل أن يقع في القرآن .

يبقى أن نتكلم عن الشرائع التي في هذه الكتب مما أخبرنا الله به وما ينقلونه هم ، ما وقع في هذه الكتب من الشرائع مما يخالف شريعة القرآن فهو منسوخ لا يجوز العمل به . إذاً عندنا لو صح وثبت أن هذا ما شرعه الله لهم بكتابنا أو بنجر نبينا . صلى الله عليه وسلم . مع مخالفته للوحي المنزل على محمد . صلى الله عليه وسلم . في القرآن والسنة لكان منسوخاً مثل قوله تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ } الانعام ١٤٦ فهذا مما يخالف القرآن هم يذكرون أشياء آخر تخالف القرآن مثل زعمهم أن المسيح حرم الطلاق مثلاً هذا مما لو ثبت لكان منسوخاً فكيف أنه لم يثبت ، الذي نتكلم أنه منسوخ هو ما ثبت وما لم يثبت لو كان ثابتاً فهو منسوخ ولا يعتد به أصلاً أما ما وقع فيها من الشرائع مما يوافق شرع الله بالقرآن فهذا يجب العمل به على الصحيح كما قال . عز وجل . { وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسَّكَّنَ بِالسَّكَّنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ } المائدة ٤٥ فهذا مما يوافق القرآن .

نقول على الصحيح أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه ، هذه المسألة فيها مرتبتين :

الأولى : أن يأتي بموافقة شرع الله والنبي . صلى الله عليه وسلم . قد قال ( يا أُنْسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقَصَاصُ ) لما قال والله لا تكسر ثنية ربيع فقال ( يا أُنْسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقَصَاصُ ) رواه البخاري فهذا يدل على أن القرآن فيه القصص والقصص ثبت بالخبر عن شريعة التوراة ولم يثبت أن الله أنزل علينا ذلك لكن هذا مما وافق الشرع فيه .

وما لم يوافقه ولم يخالفه لكن ثبت بشرعنا أنه كان مشروعاً لهم فالصحيح أنه شرع لنا ما لم يرد في شرعنا بخلافه .

يمكن الاحتجاج بأفعال الأنبياء وأقوال الأنبياء التي ورد في الكتاب والسنة أما ما يخالفه كتعظيم السبت قد قال الله تعالى { إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ } النحل ١٢٤ وأمرنا النبي . صلى الله عليه وسلم . بتعظيم يوم الجمعة دون تعظيم يوم السبت فهذا يوم علم نسخه ، مما علم نسخه ما ذكرنا في قول الله تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَفْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ } النحل ١١٨ وقال تعالى { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ } آل عمران ٩٣ حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها هذا كان شرعه أباح الله له أن يحرم على نفسه وهذا مما حرم الله على بني إسرائيل ثم قال . عز وجل . { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَفْنَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ حَزَفْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الانعام ١٤٦ هذا كله مما علم نسخه .

لذلك نقول إن ما خالف القرآن فهو منسوخ لا يجوز العمل به تعبدًا ولا اعتقاد ثبوته لأنه ما دام أنه قد نسخ فهو مما أزيل العمل به فأصل النسخ الإزالة ، لماذا قلنا تعبدًا ؟ يعني لو أن واحد لا يريد أن يأكل الدهن لأن عنده دهون عالية في الدم لا نقول له حرام عليك أن تتبع شريعة التوراة وهو لا يتبع شريعة التوراة بل ترك الشحوم صحة تركها لا تعبدًا .

وقوع النسخ بين الكتب مما ينكره أهل الكتاب وينكره المبتدعة في زماننا ووجود النسخ ثابت في القرآن قال الله . عز وجل . { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة ١٠٦ ووقع النسخ في القبلة أمر مشهور ومعلوم بل متواتر أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان يصلي إلى بيت المقدس ، ثم صلى إلى الكعبة ، ونزلت في ذلك الآيات صريحة قال الله . عز وجل . { قَدْ تَرَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } البقرة ١٤٤ وكذا قوله تعالى { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } البقرة ١٤٢ وهذه الآية مدنية وهي دليل على أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان يصلي إلى بيت المقدس قبل ذلك ، والأحاديث في هذا معلومة فالقرآن قد وردت فيه آيات ثم نسخت .

وهذه المسألة النزاع فيها غير سائغ ولا يوجد عالم ينكر النسخ ، إنكار النسخ ضلالة وبدعة منكرة ربما كان أشد من ذلك ، أما إنكار أهل الكتاب فهم ينسخون بأنفسهم كما ذكرنا يوم السبت ، النصراني ليس لهم أن يحجوا على ذلك بشيء لأنهم تركوا تعظيم السبت وتحريمه وصاروا يعظمون الأحد وتركوا تحريم الخنزير وصاروا يستحلونه وهي في الحقيقة اخترعوها من عند أنفسهم ،

كان الطلاق في شريعة التوراة وهم تركوا هذه الشريعة وحرّموا الطلاق فكيف يزعمون بعد ذلك عدم النسخ وبإجماع المسلمون واليهود والنصارى أن آدم زوج أبناؤه من بناته وأنه كان ذلك بشريعته مع اتفاق شريعة التوراة والإنجيل والقرآن على تحريم زواج الأخت وهذا مما لا يجدون منه مناصاً .

فالقرآن قد وردت فيه آيات ثم نسخت منها ما نسخ تلاوته وبقي حكمه ومنها ما نسخ حكماً مع بقاء التلاوة ومنها ما نسخ تلاوة وحكماً فإن كل هذا وقع في القرآن ومن الأولى أنه وقع فيما خالف القرآن من الكتب السابقة والشرائع التي فيها .

#### أمثلة النسخ

من أمثلة النسخ في القرآن ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته مثل قول عائشة (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من نسخ بقوله خمس رضعات معلومات يحرم من ) في صحيح مسلم هذا نسخ تلاوة وحكماً ، أعني عشرة رضعات معلومات يحرم نسخ تلاوة وحكماً وأما ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته فقوله { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ } الأنفال ٦٥ وهذا فيه وجوب ثبات الواحد أمام عشرة منسوخ بالآية التي بعدها { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ } الأنفال ٦٦ وهذا فيه وجوب صبر الواحد أمام اثنين فهو الواجب ونسخ ما تضمنته الآية التي قبله من وجوب ثبات الواحد أمام العشرة ، وكذا ما نسخ حكمه وبقي تلاوته { وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا } النساء ١٥ والبعض قد ينزع في أن هذا يسمى نسخاً لأن الله قال { أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا } إذا الآية أفتت بوقت فهذا ليس نسخاً والصحيح أنه خلاف لفظي فقط وأنه نسخ فعلاً لأن الحكم كان ثابتاً بوجوب الإمساك في البيوت ثم زال الإمساك في البيوت وأصبح الجلد والرحم .

أما ما نسخ تلاوة وبقي حكماً فمثل الرجم للشيخ والشيخة { والشيخ والشيخة إن زنيا فارجموهما البتة }

أما شرائع أهل الكتاب التي لم يرد في القرآن ولا في السنة إثبات ولا نفي لها فلا يعمل بها أيضاً فلا ندري ما شأنها .

أخبار أهل الكتاب وشرائعهم ثلاثة أنواع :

ما وافق الكتاب والسنة يعمل به .

ما خالف الكتاب والسنة لا يعمل به .

ما لا يوافق ولا يخالف ليس فيه إثبات ولا نفي فلا يعمل به أيضاً ولا يصدق ولا يكذب في باب الأخبار لا ندري ما شأنها وليس هناك احتياج إليها لأن هذه الشرائع كما ذكرنا منسوخة ونحن نتعبد بما نجاهد في كتبهم .

إنما الذي تكلم عليه العلماء من أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه هذا إذا ورد في شرعنا ما يدل على أنه من شرعهم وهذا لا أن نأخذ من الكتب التي بين أيديهم ونقول هذا شرع لهم فهو شرع لنا إنما يأتي ذلك من خلال إخبار القرآن وإخبار النبي . صلى الله عليه وسلم . أن الله شرع لهم كذا كما ذكرنا أن الله . عز وجل . أوجب عليهم الرجم وأوجب عليهم الصيام { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } البقرة ١٨٣ ونحو ذلك ، ونقول إنما يأتي ذلك من خلال إخبار القرآن وإخبار النبي . صلى الله عليه وسلم . أن الله قد شرع لهم كذا ولا يخبرنا عن تغير هذا الحكم في شرعنا أو أن يخبرنا النبي . صلى الله عليه وسلم . عن نبي من الأنبياء أنه فعل كذا يقول (يُنَمَّا أُيُوبُ يَعْتَسِلُ عُزَيَّانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ حَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ) رواه البخاري إذاً دليل على جواز الاغتسال عريانا في الخلوة إذا كان الإنسان وحده وذلك لأنه فعل نبي من الأنبياء أو أنه شرع له كذا فهذا إقرار من النبي . صلى الله عليه وسلم . أن هذا شرعهم فلم يغير عندنا أو لم يرد عندنا ما يخالفه هذا هو الصحيح في هذه المسألة المختلف فيها بين العلماء ،

مثال لذلك:

ما ذكرنا أن الله . عز وجل . قال { وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ } المائدة ٤٥ ولم يرد في القرآن أن الله قال شرعت لكم يا أمة محمد أن السن بالسن ومع ذلك عندما كسرت الربيع ثنية امرأة أخرى قال النبي . صلى الله عليه وسلم . (يا أُنْسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ) فليس في كتاب الله أن السن بالسن إلا هذه الآية وهي أخبرت أن الله كتب عليهم في التوراة ذلك فشرعنا موافق لشرعهم في ذلك وهو مأخوذ من أن الله سبحانه كتب ذلك عليهم في التوراة ولم يرد ما يخالفه وذكرنا مثال (يُنَمَّا أُيُوبُ يَعْتَسِلُ عُزَيَّانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ حَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَحَجَلٌ يَحْتَنِي فِي ثَوْبِهِ فَتَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أُغْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ ) رواه البخاري فيقول العلماء في جواز اغتسال الإنسان عريانا في الخلوة وهذا القول بناء على أن اغتسال أيوب عريانا والذي أخبرنا بذلك هو النبي . صلى الله عليه وسلم . .

والقرآن كلام الله :

والقرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه بل والصحيح كما ذكرنا من قبل كلام أهل السنة أن التوراة والإنجيل والذين أنزلهما الله هما كذلك كلام الله والقرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف هو محفوظ حروفاً ومعاني فلم يروى بالمعنى بل لم تغير ألفاظه روي باللفظ والمعنى وهي لا تحتل التغيير كالحديث القدسي

الحديث القدسي :

الحديث القدسي من كلام الله . عز وجل . من حيث المعنى أما اللفظ فهو من ألفاظ النبي . صلى الله عليه وسلم . ولا يلزم أن يكون الله قد تكلم بهذه الألفاظ بعينها ، يعني يمكن أن يكون هذا الحديث القدسي من الكتب المتقدمة نزل في كتاب قد سبق وصار يروى بالمعنى وليست هذه الألفاظ بل تكلم الله هذا المعنى بالعبرانية مثلاً وعندما وصلنا من كلام النبي . صلى الله عليه وسلم . بالعربية ولذا جاز أن يروى بالمعنى ولذلك تجد الأحاديث القدسية تتغير ألفاظها إنما نجزم أنه قد تكلم الله بالقرآن حروفه ومعانيه فالفرق بين الحديث القدسي وبين القرآن ما ذكرنا ،

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

وأما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي أن الحديث النبوي معناه من الله وحيًا لكن لا يلزم أن الله تكلم بهذا الكلام فقد يكون ألقاه في روع النبي . صلى الله عليه وسلم . كما في الحديث ( إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها كما تستوفى أجرتها ) رواه الحاكم والبغوي وصححه الألباني هذا لا شك أنه من عند الله لكن لا يلزم أن يكون قد تكلم الله بهذا الكلام ، يمكن أن يكون ألقاه في روع النبي . صلى الله عليه وسلم . أو أوحاه بطرق الوحي ولا يلزم أن يكون الله قد تكلم بهذا الحكم الشرعي قد يلهم النبي . صلى الله عليه وسلم . أن هذا أمر أمر به يراه في المنام مثلاً أو يجتهد فيقره الوحي يكون حكماً شرعياً ثابتاً ويكون سنة ويكون حديثاً عن النبي . صلى الله عليه وسلم . نبوياً ولكن لا يلزم أن يكون قد تكلم الله به لا يلزم يعني ممكن يكون تكلم الله به ويمكن أن يكون أوحاه بطرق أخرى غير الكلام .

وأما قول النبي . صلى الله عليه وسلم . قال الله . عز وجل . مثلاً في الحديث القدسي ( يَا عِبَادِي إِنِّي خَزَنَتُ الظُّلُمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا ) رواه مسلم فلا بد أن الله قد تكلم بهذا الكلام لكن لا يلزم أن تكون هذه الحروف بعينها بل ممكن أن تكون ترجمة عن كلام الله ولذا تجوز رواية الحديث القدسي بالمعنى أما القرآن فلا يجوز روايته بالمعنى .

طبعاً رواية الحديث بالمعنى لمن يتقن الألفاظ ويعرف اللغة من أهل العلم ويعرف الفروق بين المعاني للألفاظ .

الثابت عن الصحابة أنهم رووا الأحاديث القدسية كما رووا الأحاديث النبوية واختلفت ألفاظهم فيها فيما أن يكون النبي . صلى الله عليه وسلم . هو الذي تكلم بالحديث بألفاظ متعددة أو أن الصحابة رووها بألفاظ متعددة وهذا أظهر .

القرآن كلام الله حقيقة ليس مجازاً وليس حكاية عن كلام الله ولا عبارة عن كلام الله ، والذين يقولون أن هذه الحروف حكاية أو عبارة عن كلام الله لأنهم لا يشبثون أن الله يتكلم بحرف كالأشاعرة .

القرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه ، والدليل أن القرآن كلام الله حروف قول النبي . صلى الله عليه وسلم . ( مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ ) رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما وصححه الألباني إذاً القرآن حروف والقرآن كلام الله ، نقول القرآن كلام الله حقيقة هذه الكلمات وهذه الحروف وهذه الألفاظ العربية تكلم الله بها وكلامه غير مخلوق لأن كلامه صفة من صفاته ، معنى كلامه غير مخلوق يعني لم يكون معدوماً ثم وجد فالإنسان يكون عاجزاً عن الكلام ثم يتكلم فهو لم يكن متكلماً ثم صار متكلماً وكلامه حادث ومخلوق بعد أن لم يكن أما كلام الله فليس مخلوقاً فالله . عز وجل . لم يزل متكلماً إذا شاء والكلام لا يكون بغير متكلم فالكلام صفة من صفات الله وفعل من أفعاله . عز وجل . صفة فعلية فهو . عز وجل . يتكلم بما يشاء .

قد فرق سبحانه بين الخلق وبين الأمر فقال { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } فالأمر غير الخلق ، قال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس ٨٢ فالأشياء يكونها الله بكلمة كن فكلمة كن ليست مخلوقة لأنها من كلام الله وإنما يخلق الله الخلق بأمره كما قال { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } الاعراف ٥٤ والأمر يخلق الله به الخلق وقال . عز وجل . { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } الشورى ٥٢ إذاً القرآن من أمر الله ، يعني القرآن من أمر الله وأمره غير خلقه وهو . عز وجل . يخلق الخلق بكلامه الكوني ألا وهو كن فالله يكون الأشياء بكلامه والقرآن كلامه . عز وجل . وهو من علمه قال تعالى { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأُبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } آل عمران ٦١ فقد جعل الله . عز وجل . القرآن من العلم ، وعلم الله صفة من صفاته غير مخلوقه ، علم الله غير مخلوق ليس مستحدثاً ، الإنسان كان جاهلاً ثم تعلم وعلم الإنسان حادث ، أما الله لم يزل بكل شيء عليمًا { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } الاحزاب ٤٠ .

والقرآن من الله بدأ بمعنى أن الله هو الذي تكلم به ابتداءً وكل من نسب إليه القرآن بعد ذلك أنه من قوله وإنما قاله مبلغاً مؤدياً عن الله . عز وجل . قال الله تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } التكوين ١٩ قول رسول كلمة رسول متضمنة بالقرينة أنه قول ليس من عند نفسه بل قاله الرسول مبلغاً ، المقصود أنه قول جبريل عليه السلام أن جبريل قاله مبلغاً عن الله ، فليس كما قال الكفار أنه مخترع من عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بل هو وحي رسول كريم .

ومعنى أنه قول جبريل أي قاله جبريل ، وإنما هو من الله سبحانه وتعالى ابتداءً ، قاله جبريل مبلغاً عن الله والكلام في الحقيقة ينسب إلى من قاله متكلماً به لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً الرسالة إلا إذا كان على سبيل الرسالة فيقال هنا قوله { لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } على سبيل المجاز، نقول كقول القائل قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ) وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى ( رواه البخاري فهذا في الحقيقة كلام النبي . صلى الله عليه وسلم . وإنما قاله القائل تبليغاً ، يعني الكلام الذي صدر أثناء تكلم الإنسان بالحديث إنما الأعمال بالنيات نقول هو قول المتكلم لكن على سبيل التأدية والتبليغ عن الرسول . صلى الله عليه وسلم .

وقال الله . عز وجل . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . { تِلْكَ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ } الحاقة ٤٠ فالرسول الكريم هنا هو الرسول . صلى الله عليه وسلم . وقد نسب القرآن إلى النبي على أنه قوله لكن على سبيل الرسالة فقولنا منه بدأ وإليه يعود ، منه بدأ أي أن الله هو الذي تكلم به ابتداءً ، إليه يعود ثبت في الأحاديث أن القرآن

يعود إلى الله يوم القيامة يسرى به من المصاحف ومن الصدور بحيث لا يقدر الناس على آية منه ولا حرف ولا يبقى في الأرض شيء منه كما قال النبي . صلى الله عليه وسلم . (أكثرُوا تلاوة القرآن قبل أن يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال ؟ قال يُسْرَى عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول ) رواه الدارمي وذلك قبل قيام الساعة وأنه لا تقوم الساعة وفي الأرض أحد يقول الله الله ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( لا لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ ) رواه مسلم

#### مسألة خلق القرآن

ومسألة خلق القرآن قضية وقعت بسبب فتنة المعتزلة الجهمية الذين نفوا صفات الرب . عز وجل . ومن ضمن ما نفوه صفة الكلام فقالوا عن القرآن إنه مخلوق من المخلوقات التي خلقها الله فهذا في الحقيقة فيه نفي لصفة الكلام عن الله فهو يعني أن الله ليس بمتكلم تعالى الله عن قوهم علواً كبيراً وهم ينفون كل الصفات الفعلية بل ينفون الصفات كلها ويوجدون أسماء بلا حقائق ، هذه الفتنة هي التي ابتلي بها الإمام أحمد وثبت فيها على اعتقاد أهل السنة والجماعة حتى أبطل الله . عز وجل . به فتنة المعتزلة .

من الأدلة على أن القرآن غير مخلوق أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال (مَنْ نَزَلَ مِنْزَلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَنْزِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) رواه مسلم ومعلوم أنه لا يستعاذ إلا بالله أو بصفات الله . عز وجل . أو بأسمائه وأنه لا يستعاذ بمخلوق فالنبي . صلى الله عليه وسلم . أمرنا أن نستعيذ بكلمات الله فقال من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله ، هذه الكلمات هنا هي الكلمات القدسية الكونية لأن في بعض الروايات ( التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ) رواه أحمد والطبراني وغيرهما وصححه الألباني الكلمات الشرعية يجاوزهن الفجرة ويتخطون حدود الله فيها ويتعدون حدود الله فيها الكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي الكلمات الكونية قال الله . عز وجل . { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } الفلق ١-٢ فهذا يدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق لأنه لا يستعاذ بمخلوق .

المقصود بذلك الاستعانة على الغيب أما الاستعانة بالمخلوق الحاضر الحي فيما يقدر عليه من أمور الدنيا فذلك جائز كما في حديث أبي مسعود الأنصاري كان يضرب غلاماً له بالسوط فجعل الغلام يقول أعوذ بالله فلما رأى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال أعوذ برسول الله . صلى الله عليه وسلم . وقال اعلم أبا مسعود إن الله . عز وجل . أقدر عليك منك على هذا الغلام فقال يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال لو لم تفعل لمستك النار .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### 10- الإيمان بالرسول

#### ٥٥- الفرق بين النبي والرسول ومسألة عصمة الأنبياء

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم .

أما بعد :

الإيمان بالرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو الأصل الثالث من أصول الإيمان هو الحقيقة الرابع " الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله " الأصل الرابع .

والمقصود بالإيمان بالرسول التصديق بالرسول والأنبياء ، طبعاً ليس المقصود التصديق فقط بل المقصود التصديق والحب والمتابعة لكن الغرض المقصود كلمة الأنبياء هنا لأن الكفر بالنبي كالكفر بالرسول ، من كذب رسولاً ومن كذب نبياً كلاهما كافر وعموماً كما ذكرنا هو التصديق الانقيادي والتصديق مع الحب والتعظيم والتوقير وليس معرفة مجردة ، قد قال الله . عز وجل . عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة { يَغْرِفُونَ كَمَا يَغْرِفُونَ أَبنَاءَهُمْ } البقرة ١٤٦ فعلموا ولم يؤمنوا فليس التصديق تصديق العلم المجرد .



ما الفرق بين الرسول والنبى ؟

الرسول هو نبي أمر بإبلاغ شرع جديد وهذا على الراجح مسألة خلافية خلاف سائغ في تعريف الفرق لكن القرآن يدل على الفرق لأن الله قال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ الحج ٥٢ . بعض العلماء يقيده بأنه أمر بالإبلاغ فقط يقول هو نبي أمر بالإبلاغ، والذي يظهر أن الخلاف لفظي لأنه لا نزاع بين أهل العلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ شرع الله لازم لكل أحد فرض على كل من قدر على ذلك فكل رسول نبي لأنه بلغ منزلة النبوة وأمر بالتغيير وليس كل نبي رسولاً لأنه يمكن أن يكون هناك نبي تابع لشرع رسول سبقه .

يعني نقول هو الذي أمر بالإبلاغ فقط وهل يتصور أن أحد العلماء يقول أن النبي يرى المنكرات أمامه ولا يتكلم ؟! لئلا يكون مبلغاً إذا كان هذا في حق أحاد الناس إذا كان الشرع يلزم هذا الرسول بشرع من قبله من الرسل فبذلك نقول أن الصحيح أنه خلاف لفظي ليس خلافاً حقيقياً .

يعني الذي قال هو نبي أمر بالإبلاغ قصده إبلاغ شرع جديد وليس أنه يقول أن النبي يصح ألا يبلغ شيئاً وممكن أن يكون نبياً فيما بينه وبين الله . عز وجل . بلغ منزلة النبوة ولم يكن مصاحباً للناس قد يتصور نظرياً لا نعلم مثلاً عملياً على ذلك .

مسألة كل رسول نبي :

لأنه يأتيه النبأ من السماء وبلغ منزلة النبوة فلا يمكن أن يكون رسولاً يؤمر برسالة إلا إذا كان قد أتاه النبأ نبأ الوحي الذي أصبح به نبياً ثم أمر بإبلاغه لذلك إذا قيل أن محمداً . صلى الله عليه وسلم . خاتم الأنبياء فهو بالقطع واليقين خاتم الرسل أيضاً خلافاً للطائفة الضالة المرتدة القديانية الذي يقولون أن محمد خاتم الأنبياء وليس خاتم الرسل وأما الكذاب الضال المفترى غلام قديان فهو خاتم الرسل من الضلالات ووالله إن وجهه لوجه كذاب ، القناة الخاصة بهم والذي ينظر في وجهه يعرف أنه وجه كذاب هو وأمثاله ممن يدينون بدينه النحرف .

الدليل على التفرقة قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ فالنبي الذي أتته نبأ السماء نبأ الوحي والرسول من أرسل برسالة وشرع جديد .

والرسل بشر من بالبشر جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه في إبلاغ شرعه والدليل على أنهم بشر قال الله . عز وجل . خير رسول أرسل على الإطلاق محمد . صلى الله عليه وسلم . ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ الكهف ١١٠ وهذا يقتضي أنهم خلقوا مما خلق منه البشر قال الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ المؤمنون ١٢ . وعلى هذا فاعتقاد أن الرسل مخلوقون من النور اعتقاد باطل ، والأحاديث الواردة في أن الرسول لم يكن له ظل إذا مشى على الأرض من خدعيات الصوفية وأما حديث أتدري أول ما خلق ربك يا جابر فقال لا فقال نور نبيك يا جابر ، فهو حديث أيضاً باطل والنبي . صلى الله عليه وسلم . نور نعم لكنه للقلوب لذلك الرسل نور للقلوب يهدون إلى الصراط المستقيم قال الله . عز وجل . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴾ الاحزاب ٤٥ هوالسراج المنير . صلى الله عليه وسلم . وهذا لا ينافي فيه أحد من أهل السنة ، المنازعة في من يزعم أنهم خلقوا من مادة أخرى في من ينفي عنهم البشرية فيمن يجعلهم نوعاً آخر من البشر في مادة خلقهم ، لا شك أن الرسل بشر من البشر قل إنما أنا بشر مثلكم فلا بد من المماثلة في أصل الخلقة لكن في هو يفارقهم في مجيئ الوحي .

وأما قوله سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ المائدة ١٥ فالآية لها وجهان أن النور هو الكتاب ﴿ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ فهو عطف للبيان لأن الصفات متغيرة كما تقول هذا رجل شجاع وكرم وحسن الخلق فهذا عطف الصفات والموصوف واحد فالنور هو الكتاب إذاً هو كتاب لأنه مفروض على العباد متابعتة يكتب يفرض ، ونور لأنه ينير القلوب وهو مبين يبين لمن اطلع عليه أنه الحق ، بين أنه الحق مبين بمعنى بين بائن وظاهر ، وهو مبين كذلك للحق ، مبين بمعنى بين في نفسه ومبين لغيره مبين للحق يبين الحق ، هو متضمن الحق يبينه .

التفسير الثاني أن النور هو الرسول وأن الكتاب هو القرآن وهذا خلاف الظاهر لأن الله قال ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾ المائدة ١٦ ، ﴿ يَهْدِي بِهِ ﴾ أي جعله مفرداً ولم يقل يهدي بهما الله ، وحتى لو قلنا أن الرسول نور فهو نور للقلوب يهدي الله به قلوب العباد لا أنه ليس من البشر ولا لأن خلقته خلاف خلقة البشر كما قال . عز وجل . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴾ الاحزاب ٤٥ فهو السراج المنير يبين للناس الحق ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد كما قال الله تعالى ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾ المائدة ١٦ أما الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها من يقولون أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كانت مادة خلقه من النور أو من يزعمون أن الرسول كان يمشي فلا يرون ظله على الأرض وأنه قال أتدري أول ما خلق ربك قال نور نبيك يا جابر هذا موضوع .

أما حديث متى كتبت نبياً ، عن ميسرة قال قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً قال . صلى الله عليه وسلم . وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني وقال . صلى الله عليه وسلم . ( إني لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام جندل في طينته ) رواه احمد وابن ماجه وغيرهما بمعنى لم يزل في طينته لم يصح روحاً ولم تدب فيه الروح ، جندل هذا

بمعنى غير متحرك ، نقول هذا حديث صحيح وهو أن الله كتب نبوته كما كتب مقادير الخلائق قبل وجودهم ولا يدل على أنه . صلى الله عليه وسلم . كان نبياً في ذلك الوقت فالنبي . صلى الله عليه وسلم . من بني آدم وليس أول مخلوق .

أول مخلوق هو القلم على الصحيح من أقوال أهل العلم وبعضهم قال العرش وبعضهم قال الماء وليس عند أهل السنة أحد يقول أن أول مخلوق هو الرسول . صلى الله عليه وسلم . فمن يقول في الثناء والمدح . يا أول خلق الله . كلام فاسد بل أو خلق الله القلم لقول النبي . صلى الله عليه وسلم . ( إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ) رواه احمد وغيره وصححه الألباني في رواية في السنة ( إن أول شيء خلقه الله القلم ) رواه الحاكم وصححه الألباني هذا لا يحتمل لا ظرفاً ولا غير ذلك وهو رد على من يقول بأن المخلوقات لا أول لها ، لأن الحديث صريح واضح في أن القلم هو أول مخلوق واختلاف العلماء في أول مخلوق دليل على اتفاقهم في أن هناك مخلوق أول لم يكن قبله مخلوقات وليس ذلك مقتضى لتعطيل صفة الرب . عز وجل . الخالق فهو الخالق قبل المخلوقين والرازق قبل المخلوقين فهو خالق كل شيء ومن ضمن الأشياء الأشياء التي لم تولد الآن فهل وصفنا الله . عز وجل . الآن أنه خالق كل شيء منها الأجيال الآتية بعد سنين هل ذلك تعطيل إذا قلنا هذه الأشياء غير موجودة الآن هل هذا تعطيل لصفة الخالق أو لتعطيل لصفة أنه خالق كل شيء يكون كلام باطل ، هو خالق كل شيء الآن ويحي الموتى يوم القيامة وباعث الناس يوم القيامة وهو سبحانه وتعالى ديان الناس يدينهم يوم القيامة يوم الدين وكل ذلك لم يقع بعد وهو موصوف به الآن .

فأول خلق الله من البشر آدم أما أولهم بمعنى أقربهم منزلة فنعم لكن لا يقال أول بذلك المعنى الفاسد باعتقاد أنه أول المخلوقات .

الغرض المقصود أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . وسائر الرسل بشر بنص القرآن { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ } الكهف ١١٠ وإنما أسلوب قصر جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه في إبلاغ شرعه

لماذا نتكلم كثيراً في هذا الموضوع ؟

نتكلم فيه ونثبت بشرية الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأجل منع الغلو لأن الكثير يبدأ بهذه المسألة ليثبت أن الرسول نور وأن النور منتشر وبالتالي يثبت لقائه بقطة ومناماً في كل وقت ولو بعد وفاته وأنه عليه الصلاة والسلام لم يمت ويفتحون باب شر عظيم ،

والرسول . صلى الله عليه وسلم . بشر من البشر ولد ومات عليه الصلاة والسلام { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } الزمر ٣٠ فإنه مثل البشر .

قولنا أنهم جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه في إبلاغ شرعه بمعنى أنهم ليسوا واسطة يعبدون من دون الله أو يقربون الناس إلى الله زلفى بعداتهم لهم ، هم يقربون الناس إلى الله بدلاتهم على الطريق الحق لكن ليسوا أنهم يعبدون لقربهم إلى الله كما يعتقد كثير من الناس يعتقدون فيهم أنهم وسطاء تصرف لهم العبادة ويتوكل عليهم حتى يتقرب الإنسان إلى الله هذا اعتقاد المشركين الذين كانوا يعتقدون في الملائكة والملائكة رسل الملائكة من الألوكة من الرسالة معناها أصلاً ولغةً من الرسالة فهم رسل يرسلهم الله . عز وجل . إلى من شاء من خلقه ولعمل ما شاء في خلقه .

كان المشركون يعتقدون أن الملائكة وسطاء بين الناس وبين الله في التوكل عليهم ودعائهم والاستغاثة بهم يدعونهم ويعبدونهم ويستغيثون بهم ليصلوا بذلك إلى الله أو ليشفعوا لهم عند الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

لكن الرسل وسطاء بين الله وبين خلقه في إبلاغ الشرع { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف ١١٠ والله . عز وجل . جعله سفراء بينه وبين خلقه كي يبلغوا شرعه وكلامه وأوامره ونواهيه كما قال . صلى الله عليه وسلم . في تحريم الغلو فيه ( لا تطرون كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ) . صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري ومسلم ، فلا بد من الإقرار بعبوديته ورسالته فهي رسالة من الله إلى الخلق ، لذلك نقول هم عباد الله لا يعبدون ولا يجوز أن تصرف لهم العبادة من دعاء أو ذبح أو نذر أو حلق أو طواف بالقبور أن نحو ذلك مما يفعله عباد القبور والمغالون في الرسول . صلى الله عليه وسلم . أو في غيره ولا يجوز أن ينسب لهم ما ليس لهم كأن ينسب لهم علم الغيب كما قال الله . عز وجل . أمرأ نبيه . صلى الله عليه وسلم . أن يقول { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الاعراف ١٨٨ هذا يخالف تماماً قول القائل في مدح النبي . صلى الله عليه وسلم . مخاطباً له " فمن فيض جودك ذي الدنيا وضررتها . يعني هذه الدنيا . ومن علومك علم اللوح والقلم " كلام البصري في البردة المشهورة جداً عند الناس في المدائح النبوية من فيض جودك يعني جزء من فيض النبي . صلى الله عليه وسلم . الدنيا وضررتها يعني والآخرة ، يعني من فضل عطائك يا محمد الدنيا وضررتها وهي الآخرة . ومن علومك علم اللوح والقلم .

هذا غلو بلا شك علم اللوح والقلم الذي كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم ذلك مع قول الله للنبي عليه الصلاة والسلام { وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ } الاعراف ١٨٨ هو لا يملك لنفسه . صلى الله عليه وسلم . نفعاً ولا ضرراً فكيف يملك لغيره وكيف يملكه بعد وفاته . صلى الله عليه وسلم . لكن

الجهل والتأويل دائماً عند أهل البدع والضلال يطل معاني النصوص عندهم فيقولون هذا تواضع فقط . يعني يريد أن يقول أن الله أمره أن يقول ذلك تواضعاً فقط لكن ليست هذه الحقيقة نعوذ بالله ، مع أنه . صلى الله عليه وسلم . مأمور أن يقول ذلك وليس هو الذي يقوله من قبل نفسه بل الله سبحانه أمره أن يقوله إذاً كيف يكون تواضعاً ؟

أمره الله أن يقوله ، قال الله تعالى { وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ } الانعام ٥٩ وقال النبي . صلى الله عليه وسلم . لفاطمة يا فاطمة بنت محمد سلني ما شئت من مالي فإني لا أغني عنك من الله شيء ، قال الله . عز وجل . { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } آل عمران ١٢٨ القرآن تجد فيه توازناً عظيماً بين الإيمان بالرسول وبين بشريتهم وعبوديتهم لله . عز وجل . وتجنب الشرك وتجد الخرافات والخذعيات تحالف صريح القرآن ، خرافات الصوفية والرافضة والفرق المنحرفة هي الأخرى التي هي أشد خرافاً في الأولياء والأنبياء ، القرآن صريح في أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . ليس له من الأمر شيئاً { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } آل عمران ١٢٨ هذا كله يدل على أنه عبد مربوب لله سبحانه وتعالى فأهل الإسلام وسط في اعتقادهم في نبيهم وفي كل الأنبياء ليسوا كاليهود الذي قتلوا الأنبياء وكذبوهم وأيضاً وصفوهم بأقبح الصفات وعندهم والعياذ بالله من التهم للأنبياء بالجرائم الفظيعة بالزنا والقتل وأكل الباطل والعياذ بالله ما لا يقبله عاقل فضلاً عن مؤمن .

أهل الإسلام ليسوا كاليهود الذين قتلوا الأنبياء وكذبوهم ولا كالنصارى الذين أبلغوا نبيهم ورفعوه فوق منزلته .

إذاً أهل الإسلام وسط في ذلك يقولون عن الرسل هم عباد ورسل ويطيعونهم كرسول لا يعبدونهم ولا يصرفون لهم شيئاً من العبادات .

من صفات الرسل أنهم معصومون من ارتكاب المعاصي أما الشرك فبالإجماع أنهم معصومون عنه فالرسل لا يشركون بالله شيئاً وعامة أهل العلم أن ذلك قبل البعثة وبعدها مع خلاف في تفسير قصة إبراهيم عليه السلام عن قوله عن الكوكب هذا ربي ولكن قد صح الحديث أنها من الكذبات التي كذبها في ذات الله ، والصحيح أن إبراهيم كان منظرًا وأما قول الله . عز وجل . { وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ } يوسف ٣ أي الغافلين عن تفاصيل الوحي أو معرفة الغيب الذي أوحاه الله . عز وجل . إليه وكذلك { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } الضحى ٧ كان ضالاً عن التفاصيل التي أوحاها الله . عز وجل . في العلوم والأعمال والأحوال ، لا شك أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كان لم يكن يعلم ذلك كما قال { مَا كُنْتُ نَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } هود ٤٩ وهو لم يكن يعلم ولم يكن ضالاً عن توحيد الله . عز وجل . وكذا قول موسى عليه السلام { فَعَلَّيْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ } الشعراء ٢٠ مع كونه كان موحداً أي أنه كان بالنسبة إلى ما صار بعد الوحي إليه حين كلمه الله . عز وجل . كان ضالاً عن تفاصيل هذا الوحي فهو كان بالنسبة وهو ضلال نسبي وليس ضلالاً مطلقاً فيه عدم التوحيد .

فالرسل لا يشركون بالله شيئاً كذلك لأن الله . عز وجل . اصطفاهم واجتباهم وهداهم والشرك ينافي ذلك ، وكذلك إجماع من يعتد بهم من أهل العلم منعقد على عصمتهم من الكبائر الظاهرة والباطنة ، الظاهرة الزنا والسرقه وكل ما فيه حد وما ختم بلعنه أو عذاب أو نار ، الباطنة كالخسد والكبر والعجب .

موسى قتل الذي قتله خطأ وليس أنه قتل مؤمناً عمداً وكذلك الإجماع منعقد على عصمتهم من الصغائر المذرية كسرقه حبة أو قبله لامرأة لا تحل فإن هذه من الصغائر المذرية التي تذري لمنصبهم فلو أن إنساناً عرف عنه ذلك لاذري منصبه ولكن ذلك طعن فيه ،

أما الصغائر غير المذرية فهذا الذي وقع فيه الخلاف من أهل العلم وهو خلاف سائع وإن كان الخلاف في الكبائر قد نقل فيه ولكنه غير معتد به ، قد نقل فيه خلاف .

طالب : مثال للصغائر غير مذرية ؟

الشيخ : صغائر غير مذرية ككذبة غير مقصودة مثلاً مثل التي ذكر إبراهيم والصحيح أنها تعريض .

والوقائع كلها متفق عليها ، الوقائع مثل إعراس النبي . صلى الله عليه وسلم . عن الأعمى والصحيح أن ذلك كان اجتهداً لكن الوقائع نفسها أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . قبل الفداء والصحيح أنه كان اجتهداً ، عند من لا يقبل هذا التأويل يقول هي صواب .

والراجح والله أعلى وأعلم عصمتهم من جميع المعاصي عموماً بمعنى أنهم معصومون من تعمد ارتكاب المعصية أما إنهم وقع منهم ما يسمى معصية وذنباً فهذا لا نزاع فيه لأن الله . عز وجل . قال { لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } الفتح ٣ وقال . عز وجل . { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } طه ١٢١ وقال . عز وجل . عن موسى { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } القصص ١٦ وقال كذلك عن يونس { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الانبياء ٨٧ وغير ذلك كثير أن الأنبياء وقع منهم ما ذكره الله . عز وجل . في كتابه وسماه ذنباً ومعصية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة عن عيسى عليه السلام ( أتتوا محمداً عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ) رواه مسلم وقال . صلى الله عليه وسلم . ( يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة ) رواه مسلم ، فما الذنب الذي وقع الأنبياء إذاً ، أثبتنا أن هناك ما يسمى ذنباً في حقهم ،

هل هناك تعارض في قولنا أنهم معصومون من ارتكاب المعاصي وبين وقوع هذه الذنوب ؟

نقول إن ذنوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين نعتي أنها في الحقيقة ليست سيئات وإنما هي بالنسبة إلى علو شأنهم وارتفاع منزلتهم عند الله . عز وجل . قد يؤاخذون بأشد مما يؤاخذ به غيرهم وترك الأفضل في حقهم يسمى ذنباً والخطأ والنسيان يسمى في حقهم ذنباً والفتور عن الذكر يسمى ذنباً ويستغفرون الله . عز وجل . يتوبون إلى الله من هذا .

والدليل على ذلك ما ذكر من الذنوب التي ذكرها الله عن الأنبياء قال الله . عز وجل . { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } طه ١١٥ ونسي هذه مفسرة بالنسيان الذي هو ضد الذكر وذكرت بالنسيان الذي هو الترك والأول هو الظاهر { فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } فمعصية آدم كانت نسياناً وسماها الله معصية قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } طه ١٢١ مع أنه نص على أنه نسي إلا أنها عدت معصية في حقه لأنه ما كان ينبغي له أن ينسى كما ينسى باقي الناس خصوصاً في هذا المقام .

وكما قال ربنا . عز وجل . عن موسى { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } القصص ١٦ وقال النبي . صلى الله عليه وسلم . (وَلَمَّا قَتَلَ مُوسَى الْقَتْلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطِئاً) رواه مسلم ونص النبي . صلى الله عليه وسلم . على أن القتل الذي وقع من موسى لم يكن بقصد القتل إنما كان يريد دفعه عن المسلم مع أنه كان قتلاً لكافر ولكنه لم يؤمر بقتله في ذلك الوقت قال موسى عليه السلام (إني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني وذلك يوم القيامة يذكر خطيئته ويذكر ذنبه وكفي هنا (ويذكر خطيئته التي أصاب) متفق عليه وفي رواية (وذكر ذنبه) رواه احمد وغيره ، فخطيئته وذنبه أنه قتل نفساً لم يؤمر بقتلها نفس كافر قتله خطأ ، دل ذلك على خطايا الأنبياء وذنوبهم إنما هي من باب الخطأ لا العمد .

وكما عاتب الله النبي . صلى الله عليه وسلم . الخطأ المذكور في { عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } فإن النبي . صلى الله عليه وسلم . تولى عن الأعمى من أجل انشغاله بالدعوة إلى الله . عز وجل . دعوة رؤساء قريش الذين يرجوا في إسلامهم قوة للإسلام فكان اجتهداً منه . صلى الله عليه وسلم . أخطأ فيه عليه الصلاة والسلام وكذلك في فداء أسرى بدر وإنما نزل العتاب عليه { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْجِرَ فِي الْأَرْضِ } الانفال ٦٧ إنما فعل النبي . صلى الله عليه وسلم . اجتهداً ولم يكن يريد عرض الحياة الدنيا إنما وقع التخويف في حق من أراد الحياة الدنيا أما النبي . صلى الله عليه وسلم . فلم يرد الدنيا قال تعالى { تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأُخْرَى } الانفال ٦٧ كان هذا في من أراد في قبول الفداء رغبة في الدنيا أما النبي . صلى الله عليه وسلم . لم يرد الدنيا وكذا أبو بكر لم يرد الدنيا وإنما أراد أن ينتفع بالمال على حرب الكفار فكان هذا من باب الخطأ في الاجتهاد ، وبعض العلماء يقول بل هذا هو الصواب وليس بخطأ والصحيح أنه خطأ .

ومثل الفتور في الذكر قال النبي . صلى الله عليه وسلم . (إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) رواه مسلم والغين الفتور عن الذكر بين أنه يستغفر الله ويتوب إليه عن الذكر في أوقات يقل فيها الذكر بحكم البشرية بشريته عليه الصلاة والسلام ،

وأما إبراهيم فخطيئته التي أصاب هو ما قال النبي . صلى الله عليه وسلم . (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ . عز وجل .) متفق عليه عند التأمل نجد أنها من التعريض وليست كذبات صريحة وأن اثنتين منها للدعوة إلى الله ، قول إبراهيم { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ } الانبياء ٦٣ على التفسير أنها معلقة على قوله { إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ } إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم إذاً هذا شرط والمعلق عليه الشرط لم يقع فهذا أيضاً لم يقع ، وقوله عن الكوكب { هَذَا رَبِّي } الانعام ٧٦ وقوله أيضاً { إِنِّي سَقِيمٌ } الصافات ٨٩ .

هي أكثر من ثلاث بعضها يسمى كذباً وبعضها يكون تعريضاً والبعض يكون من اجتهد بض الرواة في تحديد هذه الثلاث ولو قيل لم يكذب إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله يفهم منه عدم الزيادة والنص على الزيادة منطوق يقدم على المفهوم لكان جمعاً

قوله إني سقيم بمعنى سأسقم أو أتي سقيم منكم أو قلبي في ألم وضيق مما تعبدون .

وقوله عن الكوكب هذا ربي على سبيل التنزل مع الخصم فمعنى الكلام نفترض أن هذا ربي فهل يصلح أن يكون رباً أو على حذف أداة الاستفهام أهذا ربي ؟ ، والأول أظهر والله أعلى وأعلم أنه على سبيل التنزل مع الخصم أنه كان مناظراً ولم يكن ناظراً لم يكن باحثاً عن الله كما يقولون وإنما كان مجادلاً لقومه يريد أن يقيم عليهم الحجة .

وإما الثالثة فهي التي لم تكن للدعوة وإنما كانت عن سارة للدفع عن نفسه وقوله عن سارة أنها أخته كان يقصد أنه أخته في دين الله ليس من مسلم في أرض مصر في ذلك الوقت غيره وغيرها ليتخلص من القتل وهذا نوع جائز لاشك لأحد الناس ، لو علموا أنها زوجته والملك يريد أخته فثم أخذها فكانت المصلحة في أن يقول أنها أخته فإذا أخذها الملك دفع الله . عز وجل . عنها وبقي إبراهيم ينتظرها حتى ينجا بها ويخرج من هذا البلد الظالم أهلها .

فمثل هذا جائز لأحد الناس ولكن لعلو شأن إبراهيم عليه السلام سماه خطيئة وسماه ذنباً فيذكر خطيئته التي أصاب وذنبه الذي أصاب وذلك أنه كذب ثلاث كذبات وأن شتين منهما في ذات الله

وأما نوح عليه السلام :

فكانت خطيئته التي أصاب أنه دعى على قومه وليست هذه في الحقيقة بخطيئة في حق أحد الناس ولكن كان أحب إلى الله تعالى أن يصبر ولا يدعوا عليهم هذا الدعاء الشديد كما صبر النبي . صلى الله عليه وسلم . على قومه ولما دعا عليهم أنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فترك الدعاء عليهم لأن ذلك هو الأفضل والأكمل ،

سيدنا نوح عليه السلام يقول في خطيئته التي أصاب يقول إني كنت لي دعوة دعوت بها على قومي .

اختار الله . عز وجل . لنبيه الأكمل ولذا لما اختار الفداء واختار عمر القتل في أسرى بدر قال النبي . صلى الله عليه وسلم . لأبي بكر (إن مثلك يا أبا بكر كمثلي إبراهيم عليه السلام قال فمن تبغني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وإن مثلك يا عمر كمثلي نوح قال رب لا تذكر على الأرض من الكافرين دياراً ) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني ، فإبراهيم عليه السلام أعلى قدراً من نوح . صلى الله عليه وسلم . .

الغرض المقصود أن نوحاً عليه السلام في أحد الوجهين في تفسير خطيئته التي أصاب أنه دعا بدعائه المذكور على قومه .

والوجه الثاني قال كما جاء في حديث الشفاعة ( إني سألت ربي ما لم يكن لي أن أسأل ) وهذا الحديث صحيح ، يعني قوله { رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } هود ٤٥ وهذا في الحقيقة سؤال عن حكمة إهلاكه رغم أنه من أهله في ظنه عليه السلام فهو يسأل عن الحكمة وهذا في الحقيقة ليس بذنب ولا معصية فالملائكة قد سألو الله . عز وجل . { أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة ٣٠ مع أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ويونس عليه السلام نص القرآن على أنه إنما وقع فيما وقع فيه ظناً منه أن ذلك يجوز له وهو خطأ في الاجتهاد ، قال الله . عز وجل . { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } الانبياء ٨٧ فقد ذهب مغاضباً لقومه على الصحيح من الأقوال فظن أنه لن يضيق الله عليه فانصرف عن قومه بلا إذن وظن أن ذلك يجوز قد دعاهم إلى الله ولم يستجيبوا فظن أنه يجوز ألا ينصرف ، { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } ظن ألا تضيق عليه وليس معناه القدرة وليس معناه فظن أن لم يقدر الله بالقدرة عليه ، هذا لا يمكن أن يظنه نبي أبداً ، مثل قول الله سبحانه وتعالى وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ { الفجر ١٦ يعني ضيقه عليه .

أما يوسف عليه السلام ففي قوله { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } يوسف ٢٤ فهذا الهم هو حيدث النفس على أصح أقوال أهل العلم وحديث النفس الذي يكون مع وجود رغبة في المعصية فيتركه الإنسان لله يثاب عليه ولا يعد ذنباً وأما قوله . عز وجل . { وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَفَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } يوسف ٥٣ فأصح الأقوال أنه قول امرأة العزيز وليس قول يوسف

فيتبين من هذا أن معاصي الأنبياء تسمى ذنوباً ومعاصي وخطايا لا شك في هذه التسمية لكن ذلك ورد في الكتاب والسنة ، لكن من باب الخطأ والنسيان والفتور عن الذكر وترك الأفضل وهذا يسمى في حقهم ذنباً .

الدليل على أن الأنبياء لا يتعمدون المعصية قد رجحنا أن الأنبياء معصومون مطلقاً من الذنوب والمعاصي وتعتمد ذلك ولا نزاع أنهم يفعلون ما يسمى ذنباً ومعاصي ، الخلاف في ما هي الذنوب والمعاصي في حقهم ؟ الجواب ما ذكرنا أن الذنوب والمعاصي في حقهم هي الخطأ والنسيان أو فعل خطأ غير مقصود مثل قتل موسى الذي قتل خطأ والنسيان كمعصية آدم وما كان من تعرض كفعل إبراهيم عليه السلام والفعل خلاف الأولى مثل إعراض النبي . صلى الله عليه وسلم . عن الأعمى وكل هذا خلاف الأولى والفعل خلاف الأولى الفتور عن الذكر الخطأ النسيان يسمى في حقهم ذنباً ومعاصي لا شك في تسمية بعض ما وقع منهم ذنباً { لِيُعَذِّبَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } الفتح ٢ قال . عز وجل . { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } طه ١٢١ . ولكن كانت نسياناً كما ذكرنا وقال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص ١٦

لكن الكلام في مسألة تعمد فعل المعصية وهو يعلم ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . للذي قال له إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله أو قال اتق الله واعدل فقال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( ويحك فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِنَّ عَصِيَّتَهُ ) رواه مسلم دليل على أنه إن عصى الله النبي لما أطاعه أحد مفهوم المخالفة من يطع الله إن عصيته يعني لن يطيع الله أحد وهذا لا يقع ، مفهوم الحديث أنه إن عصى النبي ربه لم يطع الله أحد وهو استفهام للإنكار يعني كيف طيع الله أحد من الناس إن عصاه النبي وهذا لا يقع ولا يوجد لأن الله قال { وَمَنْ

حَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ { الاعراف ١٨١ } فدل ذلك على أنه لا بد أن يوجد في الخلق من يطيع فإن عصاه النبي لم يوجد أحد يطيع وهذا غير واقع إذاً النبي لا يعصي

ومثل هذا قوله . عز وجل . عن صالح عليه السلام { فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ } هود ٦٣ إن عصيته أي معصية ، فعل في سياق الشرط يعم المفعول المطلق ، يأخذ المفعول المطلق إن عصيته معصية أي معصية فمن هنا كان هذا الفعل في سياق النفي وفي سياق الشرط دليلاً على العموم ، عموم أي معصية يعني لو أن الرسول عصى الله لانتصر الله منه ولما وجد من ينصره { فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ } ينتقم الله منه ولا يجد من ينصره ولن يقع قط أن الله انتصر من رسول أو عاقب رسولاً أن عذبه وإنما انتصر لهم ودمر أعدائهم ولذلك عجلهم الله قذوة للعباد لكونهم لا يعصون الله عمداً كما قال سبحانه { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِرْ } الانعام ٩٠ فهذه الآية من أدلة العصمة لأنه كل هداهم يقتدى به ، طيب ماذا في النسيان وفنور الذكر ؟ ماذا نفعل عندما ننسى ؟ ماذا نفعل عندما نفتر عن الذكر ؟ نستغفر ونتوب فشرع الاقتداء بهم في كل أفعالهم حتى هذه ، فإذا كان كل من هداهم الله يقتدي بهم فهذا يدل على أنهم لا يتعمدون المعصية أما السهو والنسيان والفنور عن الذكر فإن ذلك يقع منهم لكي يتعلم العباد منهم كيف يتوبون إلى الله ويستغفرونه فإذا علموا أن الأنبياء يستغفرون علموا أنهم أولى بالأنبياء بالاستغفار ولم يروا لأنفسهم الكمال حتى لا يظن العبد أنه استكمل حق الله عليه أو أنه أدى ما عليه كاملاً بل لا بد للعبد أن يرى نفسه دائماً مقصراً كما ذكرنا .

الخلاف بين أهل العلم في مسألة وقوع الصغائر غير المذرية من الأنبياء خلاف سائغ بين أهل السنة ، شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح وقوع الصغائر من الأنبياء ويذكر خلافاً في الكبائر لكن الصواب أن الخلاف في الكبائر غير معتبر وغير سائغ بل الإجماع ممن يعتد به أنهم لا تقع منهم الكبائر أبداً ، ولذلك يعني من أكبر القبائح أن ينسب إلى نبي من الأنبياء الزنا أو القتل أو الفواحش هذا مما يفتره اليهود على أنبياء الله

الإجماع المنعقد هذا بعد البعث وأما قبل البعثة فهو الصحيح أن ما يزي بمنصبتهم وينفر الناس عن متابعتهم هم أيضاً منه معصومون ، موسى قتل خطأ أما أن يقتل عمداً فهو معصوم ، مثل ما ينسب اليهود لداود عليه السلام ، سنكلم عن القتل أنه يتحايل عليه إلى أن يقتله ليتزوج امرأته مثلاً التي زنا بها نعوذ بالله هذا مما لا يقبل تحائلاً ولا يطلق أنه يقتل عمداً بغير حق يقتل معصوماً ، موسى قتل نفساً لم يؤمر بقتلها خطأ ما قصد القتل وإنما وكزه موسى ففرض عليه وكان هذا الرجل غير معصوم وكان كافراً حربياً معتدياً ولكن لم يكن القتال قد شرع لئلا تستأصل الأمة الإسلامية المؤمنة في ذلك الوقت .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٥٦- الإيمان بالرسول جميعاً

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم . : أما بعد .

يجب الإيمان بالأنبياء والرسول جميعاً ، معناه أنه لا يفرق بين أحد منهم وإن كنا نعلم عدد منهم نعلم خمسة وعشرين رسلاً لكن يجب أن نؤمن بهم إيماناً جَمَاحاً لأن الله . عز وجل . قد أخبر نبيه . صلى الله عليه وسلم . فقال { مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } غافر ٧٨ وهناك رسل لم يقص الله خبرهم على نبيه . صلى الله عليه وسلم . فيجب الإيمان بهم إجمالاً ويجب أن نؤمن تفصيلاً بالخمسة والعشرين نبياً الذين جاء ذكرهم في القرآن ، يعني أسمائهم هي التفصيل في قول الله سبحانه وتعالى بعد ذكر إبراهيم قال { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نُجَزِّي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } الانعام ٨٤ هؤلاء ثمان عشرين أليس كذلك وهود وصالح وشعيب ومحمد . صلى الله عليه وسلم . ، وذو الكفل وآدم لم يذكر في آية الأنعام وإدريس ، فيجب أن نؤمن تفصيلاً بالخمسة وعشرين نبياً الذين جاء ذكرهم في القرآن ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً وكفر بالذي أرسلهم .

هذه القضية من أخطر القضايا خطراً ، الكاتب الزنديق الذي يقول أن الأديان لا ينسخ بعضها بعضاً وأنها كلها متكاملة والعباد بالله وهو قد قال كفراً بواحاً والعباد بالله إن كان مجنوناً فينذر لكن لا جهل في هذه المسألة أن يعلم أن اليهود والنصارى يكذبون محمد . صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك يقول بأنهم مؤمنون وأن دينهم صحيح وأن دينهم معتبر عند الله . عز وجل . وكذا الذي يقول إن الخلاف بيننا وبين اليهود والنصارى خلاف في مسألة النبوة فقط وليس في التوحيد وهذا اختلاف لا يفسد للود قضية وهذا خلاف لا يقتضي التكفير ، كفر ناقل عن الملة نوعاً وعيناً أعني هذا القول بأن تكذيب الرسول . صلى الله عليه وسلم . ليس بكفر كفر ناقل عن الملة ، الذي يجوز تكذيب الرسول ويراها خلافاً لا يفسد للود قضية مع أنه باطل في كون أن الخلاف ليس في التوحيد فقد قال . عز وجل . { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا آبَاءَهُمْ رُتَبًا ابْنُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة ٣٠ كلام لا يحتمل ولذلك نقول كفر ناقل عن الملة ولا يعد شبهة من يحتج ببعض الشبهات من عنده لأن هذا معلوم من الدين بالضرورة .



تصديق النبي . صلى الله عليه وسلم . والشهادة له بالرسالة من أساسيات هذا الدين لا يشك فيه مسلم عالم ولا جاهل خاص ولا عام ، كونه يحرف آيات عند وجهها مثل قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } الآية ٦٢ ولیم يذكر الرسول لم يكن مؤمن بالله حين يكذب كلام الله . عز وجل . ، لا يكون مؤمن بالله قد شهد الله لحمد بالرسالة فقال { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ } الفتح ٢٩ فإذا قال ليس برسول يكون كذب الله إذا كيف يؤمن بالله وهو يكذب الله في ما قال فهذا قول ناقل عن الملة بلا شك ، ينظر في شروط التكفير الأخرى كما ذكرت من جنون وصغر وبعض يقول مجانين وأنا أشك في جنونهم فإنهم يكتبون كلام العقلاء المكلفين ونسأل الله العافية ، هذا الكلام يجب التحذير منه .

كذا من كفر بأي واحد منهم مثل من يجوز الطعن في الأنبياء والاستهزاء بالأنبياء الآخرين ، مثل واحد ينقل عنه أنهم قالوا له إنهم يستهزئون بسيدنا عيسى قال هو نبينهم وهم أحرار فيه والعياذ بالله إن صح ذلك وإلا هذا الكلام " نبينهم وهم أحرار فيه " هذا كلام ناقل عن الملة وكفر ناقل عن الملة ، يقول نبينهم وهم أحرار ؟! يسبون النبي ونقول أنهم أحرار ؟! سيدنا عيسى عليه السلام ناس تشتمه ونقول هو حر ؟! نعوذ بالله يجوز يشتمه وليس لنا دخل ؟! نعوذ بالله بل هو نبينا نحن سيدنا نحن نبينا مثل نبينا . صلى الله عليه وسلم . وسيدنا موسى وسيدنا إبراهيم سيدنا نوح وسيدنا آدم كلهم أنبيائنا نؤمن بهم جميعاً ، نبينا محمد . صلى الله عليه وسلم . الذي تتبع شريعته وليس معنى ذلك أنهم ليسوا بأنبيائنا بل أنبياء نؤمن بهم ، ذلك من كفر بالتكذيب أو كفر بالاستهزاء فقد كفر بهم جميعاً وكفر بالذي أرسلهم والكفر بالأنبياء والرسول كفر بالله . عز وجل . ، هذا أمر لا نزاع فيه بين أهل الإسلام .

تكذيب الرسل والكفر بهم ليس معصية صغیر ولا كبير فقط بحيث يمكن أن يظل الإيمان مع وجودها بل الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل ، ما كان كفر تكذيب وجهل يعني بعد بلوغ الحجة جاهل بأنهم رسل الله حقاً يعتقد كذبهم في باطنه بمعنى أنه يقول أنهم كاذبون أو كفر معادة وبغض أو كفر إباء واستكبار أو استهزاء لأن هذا الاستهزاء هو من الإباء والاستكبار كاليهود الذين كفروا بالرسول . صلى الله عليه وسلم . كفر معادة كما كان كفرهم بجبريل كفر معادة هم لم يكفروا بجبريل تكديماً بوجود جبريل بل قالوا هو عدونا من الملائكة لم يقولوا أنه لا يوجد ملك اسمه جبريل ولم يحسدوا وجود جبريل بل أثبتوا وجوده وأنه ينزل بالوحي ولكنه عدوهم وهؤلاء كفار بلا شك فهو في الحقيقة كفر بالله الذي أرسلهم . عز وجل . فمن يكره ما شرعه الله فكراهيته هذه كراهية لله ومن يكذب الرسل فإنه يكذب الله لأن الله . عز وجل . قال محمد رسول الله وشهد لموسى وعيسى عليهما السلام بمثل ذلك فمن كذبهم أحد فقد كذب الله ولا يحصل الإيمان بالله لمن كذب الله ، قال . عز وجل . { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُقَرَّبُونَ أَنْ يُفَرَّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكَفِّرُ بِبَعْضٍ وَيُؤْيِدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } النساء ١٥٠ هذا لا نزاع فيه بين المسلمين .

فالتفرقة بين الله ورسله أن يقولوا نؤمن بالله ولا نؤمن بالرسول فاليهود يزعمون أنهم يؤمنون بالله ولا يؤمنون بمحمد . صلى الله عليه وسلم . والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله ولا يؤمنون بمحمد . صلى الله عليه وسلم . وكذلك لا يؤمن اليهود بعيسى عليه السلام فيقولون نؤمن بالله ولا نؤمن بالرسول الفلاني وكذلك المشركون كانوا يقولون ذلك ففي أثناء كتابة معاهدة صلح الحديبية كتب على للنبي . صلى الله عليه وسلم . " هذا ما صارح عليه محمد رسول الله أهل مكة " فأمسك سهيل ابن عمر بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسولاً ، أنظر يزعمون أنهم لا يعادون الله بل قال أبو جهل اللهم إنه آتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فهو يدعو ويستفتح يدعوا قبل بدر على من كان يأتي بما لا يعرف يظن أنه على الحق وأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . هو الذي آتاهم بما لا يعرفون يقول " اللهم كان أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة " فقتل هو ، قال الله . عز وجل . { إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقِتْحُ } الانفال ١٩ قال سهيل لقد ظلمناك إن كنت رسولا أكتب في رسالتك ما نعرف اكتب محمد ابن عبد الله فهم يقولون إنهم لا يشهدون بذلك ولو شهدوا لاتبعوك .

عندما جاء أبو سفيان ليسلم شهد أن لا إله إلا الله ثم قال له العباس اشهد أن محمد رسول الله فقال أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له أسلم قبل أن تضرب عنقك فشهد وحسن إسلامه بعد ذلك ، هذه القصة مشهورة في السيرة وإن لم يكن سندها متصل .

الغرض المقصود أن كثيراً من الكفار يقرون بوجود الله وربما يقر كثير منهم بوحدانيته وهم رغم ذلك كفرة بالله . عز وجل . إذا كفروا برسله وكذلك هم مشركون ، كيف مشركون وهم يقولون بالتوحيد ؟ لأنهم عبدوا الشيطان والأحبار والرهبان والرؤساء الذين أمروهم بتكذيب الرسل وتكذيب الله الذي شهد للرسول بالرسالة ،

أقول هم كفروا بالله ورسله لأنهم يفرقون بين الله ورسله فيقولون نؤمن بالله ولا نؤمن بالرسول فهذا كفر ،

فمن يجوز تكذيب أي رسول فهو كافر خارج عن الملة كالذي يقول إن النصارى ليسوا بكفار رغم تكذيبهم للرسول . صلى الله عليه وسلم . ، مثل هذا لا يتصور فيه الجهل لماذا؟ لأنها مقتضى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ولذلك نقول أنه لم تبلغه محمد رسول الله فالذي يقول ينفع يكذبوا يكون صح ، إذاً معنى ذلك أن شهادة أن محمد رسول الله محل شك لأنك تصحح الذي يقول أنه رسول وتصحح من يقول أنه كذاب ، فتكذيبه عندك لا يقدح فتكذيبه عندك ممكن أن يدخل معه الجنة ، إذاً تكذيب الرسول محل شك عندك ، أنت لا تصدق أنه رسول الله ، لو

صدقت أنه رسول الله وأنه دعا الناس كافة بالقرآن لأن يؤمنوا به وأنت تجوز أن يكذبه الله وتجوز وترى أنه لا بأس أن يتركوا متابعتهم ويعبدوا الله على طريقتهم بالتثليث والصلب واتباع أهوائهم نعوذ بالله .

نقول هذا الأمر لا يتصور فيه الجهل ، لا نقول أنه لا يعذر فيه بالجهل ، لأنه ليس أنه لا يوجد جهل فيه ، بل واصل محمد رسول الله ، لأنه لا بد أن يشهد أن محمد رسول الله فمن قال الذي يشهد أن محمد كذاب إن قوله واعتقاده لا بأس به أيضاً فهذا أقل درجاته أنه ارتاب في صدق الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأنه يصحح تكذيبه كما يصح تصديقه وكلاهما عنده حق فهذا كفر ناقل عن الملة ، فالذي لا يكفر من يكذب بالنبي . صلى الله عليه وسلم . فهو كافر خارج عن الملة ذلك لأنه يعلم أنهم لا يصدقون النبي . صلى الله عليه وسلم . ومع ذلك يصوب مذهبهم ويراه خطأ يسيراً مثل معصية صغيرة من الصغائر هذا نص القرآن يدل على أنه كفر لأن الله قال { وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ } فإيمانهم ليس صادقاً قال الله عنهم { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } ولماذا أيضاً يحكم بكفرهم ؟ لأن الله دعوا دعوة واحدة ، دعوا إلى عبادة الله . عز وجل . وكيف يعبد الله من يكذبه سبحانه ويكذب من أرسلهم وقد أمر الرسل أيضاً أن يؤمن الناس بكل الأنبياء فمن كذب محمد . صلى الله عليه وسلم . فقد كذب موسى عليه السلام لأن موسى أخذ العهد على قومه أن يؤمنوا بالنبي الأمي كما قال . عز وجل . { وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَاءَ ثَبَثُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ الطَّبِيبُ الْحَنِيفُ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } الاعراف ١٥٦ إذاً موسى وعيسى كلا منهم قد أخذ العهد على قومه أن يؤمنوا بمحمد . صلى الله عليه وسلم . وقد قال عيسى { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } الصف ٦ لما لم يؤمنوا بأحمد وبمحمد . صلى الله عليه وسلم . كفروا بموسى وكفروا بعيسى وكفروا بالتوراة وكفروا بالإنجيل لأن التوراة والإنجيل فيها الأمر بالإيمان بالأنبياء وبمحمد . صلى الله عليه وسلم . خصوصاً فإذا كنتموا ذلك وكذبوا به فقد كفروا بالتوراة وكفروا بالإنجيل وكفروا بموسى وكفروا بعيسى وكفروا بالله . عز وجل .

إذا زعم البعض أنهم يؤمنون بالرسول كرسول إلى العرب فقط فإنما ننتقل بهم مباشرة إلى درجة تالية بناء على أنه يؤمن بأنه رسول وصادق في كل ما يقول ففيما قاله عن الله لأن الرسل لا تكذب قال الله . عز وجل . { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الاعراف ١٥٨ وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سبأ ٢٨ فالرسول . صلى الله عليه وسلم . أخبر عن الله أنه أرسله إلى الناس جميعاً فمن كذب بذلك فقد كذب الله فلا بد أن يقر بأن محمد رسول إلى الناس كافة ومعلوم أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . حارب جميع الأمم الذين لم يصدقوه ، حارب اليهود والنصارى رغم أن كثيراً منهم شهد له بالرسالة لكنهم لم يتبعوه فجعلهم كفاراً بذلك .

□ وسعنا في هذه المسألة لكثرة الشبه حولها في زماننا مع أنها مسألة من أوضح ما يتصور وأنها المسألة الثانية بعد لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مع أن اليهود والنصارى ينازعون في لا إله إلا الله والنصارى خصوصاً .

ما معنى عدم التفريق بين أحد من الرسل ؟

قال الله . عز وجل . { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } البقرة ٢٨٥ ليس معناه عدم التفضيل بين الرسل لكن معناه عدم التفريق في الإيمان بأن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، إذاً الذين يفرقون بين الرسل هم الذين يقولون يؤمن ببعض ونكفر ببعض ، معنى عدم التفريق بين أحد من الرسل أن تؤمن بهم جميعاً ، والذين فرقوا بين الرسل هم الذين جعلوا دعواتهم متناقضة ،

ألم نقل أن الإسلام يناقض النصرانية واليهودية ؟ نعم لكن ليست هذه هي دعوة الأنبياء ، سيدنا موسى وعيسى لم يدعوا إلى ما هو موجود الآن عند اليهود والنصارى وإنما دعوا إلى لا إله إلا الله وإلى اتباع التوراة والإنجيل .

□ فالذين جعلوا دعوات الرسل متناقضة وجعلوا الإيمان ببعضهم يجزئ عن الإيمان بالبعض الآخر كاليهود والنصارى فإنهم فرقوا بين الرسل إذ زعموا أن عيسى عليه السلام دعا إلى عبادة نفسه وأن موسى دعا إلى عبادة الله وأن محمد . صلى الله عليه وسلم . لم يدعوا إلى التوحيد أصلاً لأن عندهم غير مقبول أن يتبع الإنسان محمد . صلى الله عليه وسلم . ، هذا التفريق بين الرسل وكوّنهم كفروا ببعض الرسل ولو برسول واحد فإن ذلك يقتضي أنهم فرقوا بين الرسل .

ليس معنى ذلك عدم التفضيل بين الرسل فإن هناك فرقاً بين التفريق والتفضيل ، لا نفرق ليس معناه لا نفضل لا يجوز في ظن البعض أن نقول أيهم أفضل بل هذا خطأ قد قال . عز وجل . { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } البقرة ٢٥٣ فالتفضيل حاصل بأمر الله . عز وجل . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي فضل ، أما حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تفضلوا بين أنبياء الله ) رواه البخاري ومسلم ، معناه لا تفضلوا بالهوى والرأي وكذلك لا تفضلوا بطريقة فيها تنقيص المفضل لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال ( لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَائِ اللَّهِ ) متفق عليه عندما جاءه يهودي يشتكي صحابي لطمه عندما قال له اليهودي والذي اصطفى موسى على البشر قال الصحابي تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي . صلى الله عليه وسلم . بين أظهرنا ؟ فالتبني . صلى الله عليه وسلم . مصطفى ولكن هذا لا ينافي اصطفاؤه الله سبحانه موسى عليه السلام برسالته وبكلامه فأراد النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يبين أن التفضيل التي يقتضي التنقيص من المفضل لا يجوز وكذلك التفضيل بمجرد الرأي والهوى ولذا قال النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يقول ( أنا خير من يونس ابن متى ) متفق عليه ، ما معنى هذا الحديث ؟ إنه فيه قولان

إما أن يقصد المتحدث نفسه فيقول عن نفسه أنا خير من يونس ابن متى فقد يظن البعض أن يونس عليه السلام ظالم لنفسه وأنه من الظالمين أما هو على ظن نفسه فلم يظلم نفسه ، هذا الظن لا يجوز بني من أنبياء الله فإن أي نبي من الأنبياء أفضل من جميع الأولياء ، ويونس قد قال إني كنت من الظالمين نعم ظلم نفسه كما ذكرنا بالخطأ في الاجتهاد أما أنت فظالم نفسك أشد منه فأنت مهما بلغت أيها العبد لم تبلغ منازل الأنبياء الذين اصطفاهم الله ومن فضل ولياً على نبي فهو من أضل خلق الله .

أما التفسير الثاني للحديث ، لا ينبغي لأحد أن على النبي . صلى الله عليه وسلم . خير من يونس ابن متى بمعنى التقيص من يونس ابن متى عليه السلام ، أما الوجه الثاني أن النبي . صلى الله عليه وسلم . أفضل من يونس ابن متى فهذا لا نزاع فيه وهو أفضل من كل الأنبياء وهذا التفضيل لا يعني تنقيصاً للمفضول بذكر الفاضل ، أفضل الأنبياء على الإطلاق محمد . صلى الله عليه وسلم . بل هو أفضل الخليقة ، قال عليه الصلاة والسلام ( أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ) متفق عليه مع قوله . عز وجل . { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ } البينة ٧ إذاً هو سيد خير البرية وسيد الناس جميعاً إذاً هو خير البرية ، فنعلم من مجموع ذلك أن النبي . صلى الله عليه وسلم . خير الخلق على الإطلاق ، أفضل من جبريل عليه السلام وبعد النبي . صلى الله عليه وسلم . إبراهيم عليه السلام ، فعن أنس ابن مالك قال جاء رجل إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال له يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم عليه السلام فخير البرية بعده عليه الصلاة والسلام إبراهيم إنما قلنا بعده لأن إبراهيم من ولد آدم والنبي . صلى الله عليه وسلم . قال ( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ) وإنما قال النبي . صلى الله عليه وسلم . للذي قال له يا خير البرية فقال له ذاك إبراهيم إما تواضعاً لأبيه إما قبل أن يوحى إليه أنه سيد ولد آدم ، والذي يظهر والله أعلم أن هذا القول الثاني أن ذلك أوحى إليه بعد ذلك حين أوحى الله إليه { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } الفتح ٢ ومحتمل أن يكون في البداية لأن أمر الإسراء كان مبكراً قبل الهجرة

وقد رفع . صلى الله عليه وسلم . فوق إبراهيم وفوق موسى وأهل العلم يذكرون أفضلية الرسول . صلى الله عليه وسلم . ثم إبراهيم ثم موسى عليه السلام ذلك لقول الله { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } الاعراف ١٤٤ وتكلم المتأخرون على تفضيل عيسى ثم نوح وهذا الترتيب لأبي الحسن الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي رجع فيه إلى مذهب أهل السنة وذكر أن أهل السنة يذكرونهم على التفضيل محمد . صلى الله عليه وسلم . ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح ، وهم أولي العزم من الرسل وأما من سواهم من الأنبياء فتتوقف في التفضيل بينهم بل الأظهر والله أعلم التوقف بعد موسى عليه السلام .

نقل ابن كثير رحمه الله عن أهل العلم بأفضلية موسى . صلى الله عليه وسلم . بعد إبراهيم وهذا مأخوذ من حديث الإسراء إن لم يكن صريحاً في التفضيل ففيه أن موسى عليه السلام بكى وقال رب لم أظن أن يرفع علي أحد رواه البخاري أي ممن أتى بعده فلما رفع النبي . صلى الله عليه وسلم . تبين أنه أفضل من موسى وموسى عليه السلام بعد إبراهيم لأن إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة وموسى عليه السلام في السماء السادسة ، أما عيسى عليه السلام فذكر الأشعري عن أهل السنة تفضيله ثم نوح عليه السلام لكن هذا ليس عليه دليل صريح وإن كان عيسى عليه السلام لم يذكر ذنباً في جميع روايات حديث الشفاعة لكن هذا لا يقتضي التفضيل مطلقاً فنحن نتوقف بعد ذلك ،

فأفضل أولي العزم من الرسل محمد ثم إبراهيم ثم موسى صلوات الله وسلامه عليهم ثم نتوقف في المفاضلة ، وعيسى ونوح من أولي العزم ، يجب بالإيمان بالخمس والعشرين نبياً المذكورين أسمائهم بالقرآن

أولهم آدم . صلى الله عليه وسلم . كلمه الله فهو نبي مكلم كما ثبت في الحديث الحسن (أن رجلاً قال يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال نعم مكلم ) ، وكما قال الله تعالى { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } البقرة ٣٥ الحديث الماضي هذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألباني ،

قال . عز وجل . { فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ } البقرة ٣٧ فأبونا آدم عليه السلام جاءه الوحي وتلقى كلمات من الله . عز وجل . ، من يزعم أن آدم ليس أباً البشر فرجل ضال كذاب على شفى الهلكة والكفر والعياذ بالله .

نوح عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض على الصحيح من قال إن إدريس هو أخنوخ وأنه جد لنوح عليه السلام فلا دليل على ذلك ، اخنوخ هذا عند أهل الكتاب ونحن لا ندري عن نبي اسمه أخنوخ .

الذي يظهر أن إدريس عليه السلام من أبناء نوح لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . عندما لقيه في المعراج قال له مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح أما آدم وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح فدل ذلك على أن إدريس مجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جدتهما نوح عليه السلام لأنه لو كان جدلاً لنوح لكان من آباء النبي . صلى الله عليه وسلم . ولقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح كما قال آباؤه آدم وإبراهيم .

ومسألة أن إدريس هو أخنوخ المذكور عند أهل الكتاب ليست مما يلزم تصديقه خاصة مع مخالفتها الأحاديث الصحيحة وفي حديث الشفاعة الحديث المشهور أثنوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .

كما ذكرنا أول الأنبياء آدم عليه السلام ثم ذكر القرآن خمسة وعشرين نبياً منهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وهؤلاء الأربعة مع محمد . صلى الله عليه وسلم . أولوا العزم من الرسل .

قال . عز وجل . { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } الاحقاف ٣٥ بعض العلماء يقول كل الرسل أولي عزم والأظهر أن من للتبعيض على بابها من الرسل للتبعيض ولأن الله قال { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِيٍّ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً } طه ١١٥ فهذا دليل على أن بعض الرسل أولوا عزم .

الذي يظهر والله أعلم أن هؤلاء الخمسة هم أولوا العزم قال الله . عز وجل . { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } الاحزاب ٧ وقال سبحانه { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى } الشورى ١٣ دائماً ذكر الله هؤلاء الخمسة وهم الذين يذهب الناس إليهم يوم القيامة في الشفاعة بعد آدم ، يأتون آدم لأنه كان في الجنة ولأنه أبو البشر فيأتون آدم ثم إبراهيم ثم نوحاً ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً . صلى الله عليه وسلم . وآدم ليس من أولي العزم بالآية والخمسة الباقون من أولي العزم فهم أعلى الأنبياء قدراً والله أعلى وأعلم .

أما بقية الخمسة والعشرين فهم اسحاق ويعقوب وداوود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وهود وصالح وشعيب وذو الكفل وإدريس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهناك رسل غيرهم لم يذكرهم القرآن بأسمائهم قال سبحانه وتعالى { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ } النساء ١٦٤ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### ٥٧- مسائل مهمة

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم . : أما بعد .

فصل اتباع محمد . صلى الله عليه وسلم . فرض على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة إذا بلغته رسالته وخصوصاً محمد . صلى الله عليه وسلم . ، اتباع محمد . صلى الله عليه وسلم . ليس مجرد تصديق بنوته فقط وإنما أتباعه أي لزوم شريعته التي أتى بها فرضاً على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة إذا بلغته رسالته قيدنا بهذا القيد وهو بلوغ الرسالة لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . أي أمة الدعوة . يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم فالذي لم تبلغه الرسالة لا يكلف بهذا ، قال الله تعالى { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة ٢٨٦ وقال { لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الانعام ١٩ قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا } الاسراء ١٥ فإذا بلغته الرسالة فكذب بها أو لم يتبع النبي . صلى الله عليه وسلم . أو قال عنه هو نبي العرب فقط فهو كافر .

فلو أن اليهود والنصارى قالوا هو رسول الله لكن إليكم أنتم فقط لكانوا أيضاً كفاراً خارجين عن الملة فلا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا بالإيمان به . صلى الله عليه وسلم . قال عز وجل { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الاعراف ١٥٨ ومن قال بعد ذلك إنه ليس رسول الله أو أنه رسول لبعض الناس دون بعض فقد كذب الله وأشرك بالله لأنه عبد إبليس الذي أمره أن يكذب الله . عز وجل . وأطاعه في الكفر ، ومن قال عن النبي . صلى الله عليه وسلم . أنه نبي الأميين ولا يلزم اتباعه أو قال إنه ليس برسول أصلاً فهذا أشد كفراً .

هل يمكن أن يوجد من لم تبلغه الرسالة ؟

يمكن ذلك ، في بعض الآحاد من الناس ، الدجال نفسه مصدق بأن محمد . صلى الله عليه وسلم . نبي الله ولكن يقول هو نبي الأميين ، في حديث تميم الداري يقول " وهل بعث نبي الأميين " فهو يشهد له بالنبوة وبالرسالة ، كذلك له ابن صياد الدجال اليهودي قال له النبي . صلى الله عليه وسلم . ( أتشهد أني رسول الله قال أشهد أنك رسول الأميين ) رواه البخاري ومسلم ، فهذا دليل على أن كبار الدجالين من اليهود يشهدون للنبي . صلى الله عليه وسلم . بالنبوة والرسالة حتى الدجال الأكبر وهو من أكفر الكفرة يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وهو لم يتبعه فكيف بمن لا يشهد له بذلك ، المسلمون هم أتباع كل الأنبياء كما يشهد بذلك كل عصر المسلمين لأن دين الأنبياء واحد فلا يظن أحد أن دين اليهود اليوم أتباع موسى وأن النصارى اليوم أتباع عيسى فإن اتباع موسى عليه السلام مسلمون وأتباع عيسى عليه السلام مسلمون كما قال . عز وجل . { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس ٨٤ وقال . عز وجل . عن الحواريين { آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران

٥٢ ونحن معشر المسلمين أتباع موسى وعيسى عليهم السلام وأتباع كل الأنبياء فلا يصح أن يسمى اليهود موسويون ولا يسمى النصارى مسيحيون إنما هم نصارى وصليبيون وليسوا مسيحيين ، لأنهم لم يتبعوا المسيح ، فالمسيح دعا إلى عبادة الله وحده وإلى تصديق الرسل وتصديق أحمد فهم لم يوحداوا الله ولم يصدقوا الرسل ولا صدقوا أحمد .

الذي نزل من السماء دين واحد أما وقوله سبحانه { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون ٦ فمعناه البراء من أديانهم فدين الإسلام هو السماوي الوحيد وبقية الأديان غير سماوية ، لفظ الأديان السماوية غير صحيحة ، شرائع سماوية نعم أديان سماوية لا ، دين سماوي واحد .

زالة الأديان التي معناها أن الأديان كلها متشابهة ومتساوية وكلها لا بأس بها هذا كفر فهم يقولون أنهم زملاء في دعوة واحدة وهي بالفعل دعوة واحدة ودين واحد كما قدمنا لكن ليس هو الذي عليه اليهود والنصارى اليوم ، وليس هي الدعوة الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى اليوم ، والذي يقول أن الله ثالث ثلاثة أو أن الله ثلاثة أقانيم أو من يكذب عيسى من اليهود وتحمونه وأمه بالبهتان العظيم كما قال تعالى { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْثَمٍ بُهْتَانًا عَظِيمًا } النساء ١٥٦ من كان كذلك لا يمكن أن يكون مؤمناً ولا متبعاً للأنبياء فهذه ليست دعوة واحدة إنما الدعوة الواحدة دعوة الأنبياء أنفسهم لا من ينتسبون إليهم .

فاليهود يقولون إن الذي هم عليه دعوة موسى ولكن في الحقيقة ليست هي دعوة موسى النصارى يقولون إن الذي هم عليه هي دعوة عيسى وليس كذلك لأن الرسل دعوتهم واحدة كما قالوا جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قال الله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل ٣٦ وقال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } آل عمران ١٩ فهي دعوة إلى التوحيد وهذا موجود بين أيديهم إلى يومنا هذا وهم مع ذلك يشركون بالله .

فالغرض المقصود أن دعوة الأنبياء واحدة وأتباع الرسول . صلى الله عليه وسلم . فرض واتباعه اتباع لجميع الرسل ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع محمد . صلى الله عليه وسلم . كما كان الخضر مع موسى يعني لا يلتزم بشريعته لأن له شريعة أخرى فهو كافر بالإجماع .

وبقيت مسألة في المرة السابقة هي مسألة ما عند اليهود والنصارى اليوم وليست دعوة الأنبياء وإنما دعوة الأنبياء هو دين الإسلام فالنصارى عندهم في الإنجيل الموجود بين أيديهم الآن أن رجلاً سأل المسيح عليه السلام فقال أيها المعلم أي الوصايا هي أو الكل قال كما هو مكتوب الرب إلهنا رب واحد رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأن تحب الرب إلهك بكل عقلك وقلبك وفكرك فقال ثم أي الوصايا بعد ذلك فقال أنت تحب خليلك ما تحب لنفسك هذه وصايا موسى عليه السلام والوصايا العشر التي موجودة في التوراة والمسيح لم يقل من عند نفسه لم يقل شيئاً غير ما قيل لموسى وهو دعوة التوحيد .

أول الوصايا هي دعوة الكل أول الوصايا العشر قبل لا تسرق ولا تزني ولا تقتل كانت أول الوصايا الرب إلهنا إله واحد وكرها عيسى عليه السلام ثانية لما كرر لهم بقية الوصايا لم يقل فيها إني أنا الله أو أنا ابن الله وإنما قال أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، عجباً والله لا يوجد أعجب من عقيدة النصارى أنهم يجعلون النجاة على ما لم يقله المسيح أصلاً في أي وصية من الوصايا ،

عندما سأله أي الوصايا هي أول الكل قال الرب إلهنا رب واحد أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك لا تسرف لا تقتل لا تزني إذاً هي الوصايا التي هي موجودة في التوراة فلماذا يجعلون النجاة بغيرها ؟

من يعمل بهذه الوصايا فهو ناج عند الله حسب كلام المسيح عليه السلام ولا شك أن الإيمان به فرض لكانه لم يدعوا الناس كما يقول النصارى من أن دعوته تثليث الأقانيم وهذه ليست دعوته عليه السلام بل دعوة بولس المسمى بولس الرسول وهو رسول الشيطان ليس من الخواريين ولم يؤمن بالمسيح طيلة فترة وجوده المسيح على ظهر الأرض وإنما كان يهودياً زعم الإيمان بالمسيح بعد رفعه ودخل في دين النصارى ليفسده وقد نجح في ذلك عند أكثرهم وأفسده لدى الكثيرين .

أما مسألة الخضر وموسى فمسألة غاية في الأهمية :

فالخضر فيه خلاف بين أهل العلم هل هو من الأنبياء أم لا ؟ وهذا من الخلاف السائغ لأن النصوص ليست قاطعة ولا ظاهرة فيه مسألة اعتقادية مما يسوغ فيه الخلاف ، هل كل مسائل الاعتقاد يسوغ فيها الخلاف ؟ نعم هناك من مسائل الاعتقاد ما لم يكن عليه نص من كتاب أو سنة أو إجماع فليس يقطع فيه بأمر ولو كان مسألة علمية اعتقادية ، لو شك إنسان في نبوة موسى لكفر ، وكذا لو شك في نبوة محمد . صلى الله عليه وسلم . أو عيسى ، وأما لو شك إنسان في نبوة الخضر فهي من جهة النوع مسألة اعتقادية ولكن لا خلاف أن من شك في ذلك لا يكفر ، من قال بإثبات نبوته لا يقال عند من أنكر نبوته أنه نسب النبوة إلى غير أصحابها ، نحن نكفر القديانية والبابية لماذا ؟ لأنهم يقولون بنبوة قدياني الذي هو غلام أحمد قدياني والبابية والبهائية لأنهم يقولون بنبوة هؤلاء كفار نوعاً وعبثاً لأجل أنهم أثبتوا نبوة لمن ليس بنبي ومع ذلك فلا تعامل قضية الخضر بمثل هذا ، لا نقول لمن أثبت نبوته عند من ينفيها أنه أثبت نبوة لغير نبي ولا يقول الذي أثبت نبوته أنكر نبوة نبي على الآخر ، بل المسألة مسألة خلاف سائغ بين العلماء لأجل أن النصوص فيها ليست قاطعة .

الذين احتجوا بالنبوة احتجوا بقوله تعالى { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } الكهف ٨٢ نحن نقول أن الصحيح التوقف في ذلك ولا تثبت النبوة لا نفيها ، لأنه محتمل أن يكون قوله تعالى { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } أنه أتاه أمر من الله مباشرة فيكون وحياً ويكون نبياً ويحتمل أن يكون أمراً من الله لأحدة الرسل في زمن الخضر ثم أمر الرسول به الخضر والرسول في ذلك الوقت ونحن لا نعلم لأنه كانت هناك رسل أخرى ولأن النبي . صلى الله عليه وسلم . لم يخبر عن نبوة الخضر ولا ذكره الله سبحانه ضمن الأنبياء المذكورين وإنما ذكر الله . عز وجل . أنه عبد أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً من عنده ، هذا التعليم محتمل أن يكون مباشراً ومحتمل أن يكون بواسطة ، فقوله تعالى { مِنْ لَدُنَّا } الكهف ٦٥ يعني من عند الله .

فالعلم اللدني هو علم من عند الله . عز وجل . ، علم الكتاب والسنة علم لدني وأتينا نجزم أنه من عند الله ، بل لا نجزم بالعلم اللدني إلا إذا كان عليه دليل من الكتاب والسنة ، فهم يؤتية الله عبداً للقرآن ، فالعلم الذي من عند الله هو الكتاب والسنة وقد يكون عند الأولياء علم لدني من غير وحى ، وقد يكون هذا العلم اللدني الذي من عند الله بوحى مباشر لنبي ، لذلك نقول العلم اللدني هو علم من عند الله لا أنه علم يخالف ما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . كما يزعم الصوفية ، يقولون الخرافات والخزعبلات وبعد ذلك ينسبها للعلم اللدني ، يقول العلم اللدني هو علم غير ظاهر من الكتاب والسنة بل هذا كلام باطل ، لا يمكن أن يكون من عند الله ويكون مختلفاً { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء ٨٢ فكيف يكون كلاهما من عند الله ويكون مختلفاً فنحن نجزم أن الكتاب والسنة من عند الله لا يمكن إذاً أن يخالفهما أحد إلا ويكون من عند غير الله ، لا يمكن أن يكون علماً لدني يخالف به الكتاب والسنة فلذلك قال أئمة القوم من أهل السنة علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فما خالف الكتاب والسنة الذين هم أئمة الصوفية العدول الثقات يقولون علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، ما لم يأتي عليه دليل من الكتاب والسنة يهدر ويطل كالجنيد وغيره ، من أتى بما يخالف الكتاب والسنة وزعم أنه علم لدني فهو من لدن الشيطان ليس من لدن الرحمن لأن ما كان من لدن الرحمن لا يختلف .

الغرض المقصود أن نتوقف في نبوة الخضر وهذا هو الراجح لا تثبت نبوة ولا نفيها ، فالقرآن لا ينفي نبوته وإنما أخر عنه بالفضيلة ، والذين احتجوا أنه ليس بنبي قالوا أن الله ذكره بالعبودية قال { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } الكهف ٦٥ أهذا ينفي النبوة ؟ لا ينفي النبوة ، مثل ما نفوا نبوة مريم قالوا أن الله ذكرها بالصدقية وفي الحقيقة أن ذكرها بالصدقية لا يلزم منه نفي النبوة ولا شك في نفي الرسالة لأن الله ما أرسل رسلاً إلا رجالاً فمريم ليست رسولة ، لكن نبوتها أيضاً يتوقف فيها والله أعلى وأعلم ، مع أن نقل العلماء عن الأكثر فيها اختلاف فالمغاربة ينقلون عن أكثر أهل السنة أنها نبيه والمشاركة ينقلون عن أكثر أهل السنة أنها ليست نبيه .

الخلافاً في نبوة النساء واقع عند أهل السنة وهي مسألة من مسألة الخلاف السائغ أيضاً ، نبوة مريم فيها خلاف بين أهل السنة لأن جبريل كلمها فمن أثبت نبوتها قال جبريل كلمها ولا يلزم من ذلك إثبات النبوة ولا يلزم من كونها صديقة نفي النبوة ، والأدلة ليست قاطعة ،

طالب : من هم العدول من الصوفية

الشيخ: العدول من الصوفية مثل الجنيد مثل سهل التستوري مثل الفضيل ابن عياض .

طالب : سؤال عن كون مريم رسولة أم لا ؟

الشيخ : نقول لا نزاع أنها ليست رسولاً لأن الله قال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ } يوسف ١٠٩ نفي الرسالة مقطوع به ، لكن الكلام على نفي النبوة بغير الرسالة .

إذا كان النبي . صلى الله عليه وسلم . قد توقف في نبوة تبع ولم يأتي فيه نص فقال ( لا أدري أنني أم لا ) وفي رواية ( ألعين أم لا ) والرواية الأولى أصح ، فالنبي . صلى الله عليه وسلم . توقف في نبوة البعض ، { أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ } الدخان ٣٧ .

هل قوم تبع مثل قوم فرعون أم مثل قوم هود ؟

قوم تبع ناس كفرة أليس كذلك ، لكن الإضافة هنا من جنس إضافة قوم فرعون ويكون هو رئيسهم في الكفر أم من جنس إضافة قوم هود أنه نبيهم وهم كفروا به ، لذلك من أجل أن القرآن لم يبين على وجه القطع أنني هو أم لا ألعين أم لا ، أنه محتمل الأمرين فهذا توقف النبي . صلى الله عليه وسلم . ، فنحن أولى أن نتوقف فيمن لم نعلم نبوته فلا تثبت ولا نفي لأنه لم يأتي ما ينفي نبوته ، ولقد كان موسى . صلى الله عليه وسلم . على شريعة أخرى غير شريعة الخضر والخضر خرق السفينة وأصلح الجدار هذان الأمران يحتمل أن تأتي شريعتنا بمثلهما كارتكاب المفسدة اليسيرة لدفع المفسدة الأكبر في حالة السفينة وإكاليحسان إلى من أساء إلينا في حالة الجدار ، أما قتله الغلام فهذا غير محتمل في شريعتنا نهائياً



، لذلك في كلام لشيخ الإسلام قد يفهم منه جواز مثل ذلك لكن هذا مما لا يعلم على وجه الإطلاق ، أن هذا الغلام لما يكبر أحد الناس يقول أنا أتوقع أن يكون رجل فاجر لأنه رآه مثلاً مشاغب ويؤذي غيره ، حتى لو قتل وهو صغير ، هذا لا يجوز أن تقول نقتله الآن .

نقول هذه مما لا تحتملها شريعتنا لأن شيخ الإسلام يقول كل ما فعله الخضر مما يوافق الشريعة الإسلامية ، والصحيح أن الأولي يمكن فيها ذلك أن أناس عندهم شيء ممكن يخربوا في جزء لا يهلكهم وفي نفس الوقت لا يأخذها الملك الغاصب مطلقاً ، ممكن أفسد شيء مثل أن الناس تخرب شيء في ملكها لكي يراها الناس لا تصلح فيتركوها .

فلا يحتمل في شريعتنا أن يقتل رجل طفلاً صغيراً ويقول أنا أعلم أنه سوف يكفر إذا كبر ، هذا الأمر لابد أن يكون بوحى قاطع لا يصح أن يكون مجرد إلهام لولي ، نحن نثبت الإلهام والإلهام حق ومن كرامات الأولياء أنهم يلهمون كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلُوهُ مِنَّا الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص ٧ نقل الإجماع على عدم نبوة أم موسى لكن الظاهر أن فيه خلاف لكن الأكثر على أن أم موسى ليست نبيه ، وهذا إلهام لها .

ولكن أهذا الإلهام مما يصح مثله في شريعتنا أن ممكن أم تلقي بابنها في البحر؟ إذا كان في مثل ما ذكرنا أنهم يدخلون ليقتلوه جزماً ويقبئاً سيقتل فلو ألقته في البحر في صندوق ربما نجا فلا شك أن مثل هذا يمكن أن تأتي به شريعتنا .

ولذلك قالوا لو أن سفينة احترقت والنار تقترب وهو لا يحسن السباحة فلو ألقى بنفسه في اليم بدلاً من أن يصبر أن يأتي عليه الحرق وربما أنقذه منقذ فيفعل ذلك ، إذاً الأولي أنه يلقي بنفسه في البحر طالما أن الحرق قد أتى عليه ووصل له الحريق وهو لو صبر لقتل حرقاً فيلقي بنفسه في اليم ويمكن أن ينجا بعد ذلك ، وورد عن أم موسى أنها كانت تربطه تربط الصندوق بجبل فإذا فتشوا في البيت لم يجدوا شيئاً فإذا انصرفوا سحبت الصندوق ومرة فلت الصندوق ونسيت أن تربطه ، إذاً هي أخذت بالإسباب تماماً ، لذلك نقل أنه ليس أي شيء يلهمه الإنسان يفعله ، لابد أن يضبط ذلك بما يوافق الشريعة لأن الإلهام للأولياء حق ولكن لا يجوز به بمعنى أنه لا يستعمل فيما يخالف الشرع يوفقه الله . عز وجل . لأمر ينجا به دون أن يكون مخالفاً للشرع .

يعني لا يأتي رجل أو امرأة والأوضاع سالمة وأمنة ويلقي ابنه في البحر من الملك ويقول أتاني إلهام أن هذه المركب ستغرق !!! نقول له أنت قتلت هذا الولد ويقتص منك إذا كان غير ابنه وهذا يعتبر قتل عمد بهذه الطريقة أن يلقى في البحر ويقول أتاه إلهام ، لا يجوز له ذلك ، نقول لابد أن يكون موافقاً للشريعة .

الإلهام والكشف أمر للأولياء ليس قطعاً ، الخلاف بين أهل السنة والصوفية في الإلهام والشكف ، أن الصوفية يقولون أنه نبأ يقع وحياً قاطعاً ، الإلهام عند الأولياء لا يحتمل وهو أمر قاطع لأجل ذلك يشعرون به ويستحلون به المحارم ويفعلون به المنكرات ويقولون أتاه إلهام أن هذه حلال له ، ولذلك لو رأوا الفواحش تفعل يقولون بل هذا الشيخ كشف له شيئاً وأن هذه المرأة حلال له مثلاً كان متزوجها وهو صغير أو والده زجها له وهم أطفال ويقولون أتاه بالكشف ، بل هذا كلام باطل قاطعاً وبقيناً ، نحن نثبت الكشف والإلهام لكن تبع أدلة الشريعة وليس مخالفاً لأدلة الشريعة .

طالب : الفرق بين الكشف والإلهام ؟

الشيخ : الإلهام : أمر يقع في القلب لا يلزم منه انكشاف أمر غيبي

الكشف : كشف عن غيب أو كشف عن أمر ملتبس مثل الكشف عن الحق في مسألة اختلف فيها أهل العلم مثلاً ،

الكشف كذلك مثل الإلهام حق من كرامات الأولياء لكن كما ذكرنا لا يجوز به ولا تترك الشريعة من أجله فإذا قلنا إن الخضر ليس بنبي فقد كشف الله له عن مستقبل هذا الغلام وأنه سيكون كافراً كما كشف له أن هناك ملكاً ظالماً يأخذ كل سفينة غصباً .

الصحابه كشف لهم عن الملائكة وسمعوا صوتها ورأوا جبريل عليه السلام في صورة بشرية ورأى بعضهم ملائكة في صورة نورية مثل أسيد ابن الخضير لما رأى مثل الصربا تنزل من السماء تسمع قرائته ، وكما في حديث أن أسيداً بينما هو في ليله يقرأ في مبرده إذ جالت فرسه . اضطربت . فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أخرى أيضاً قال أسيد فخشيت أن تطأ بحجي . كان ابنه نائم بجوار الفرس . فقمتم إليها مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فغدوت على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الله أقرأ في مردي إذا جالت فرسي فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ( اقرأ ابن خضير ) قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ( اقرأ ابن خضير ) قال فانصرفت انصرف من الصلاة وكان بحجي قريباً منها خشيت أن تطأ فראيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ( تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم ) رواه مسلم ، هو رآهم في صورة نور فالكشف والإلهام حق لكن الأولياء غير معصومين والفرق بيننا وبين مبتدعة الصوفية في هذه القضية أننا وإن كنا لا ننفي الإلهام بالكلية ليس مثل بعض المتسننة يزعمون الإلتزام بالسنة يقولون لا يوجد شيء اسمه إلهام ولا يوجد شيء اسمه كشف ، بل يوجد الإلهام والكشف ولكن نحن

لا ننفي كذلك الإلهام ولا الكشف بالكلية ولا نقول عنهما أنهما أباطيل بل نقول هما حق وهما من أنواع العلوم والمكاشفات لكنهما عندنا ليس على سبيل الجزم والقطع وهما عند الصوفية حق ونبأ قاطع ووحى قاطع لا يحتمل عندهم أن يكون خطأ أبداً .

الهروي يقول في الإلهام " إن الإلهام لا يخطئ أبداً " هذا كلام خطير لأنهم بذلك يثبتون العصمة لغير الأنبياء ويقول قائل منهم جائي إلهام أن هذا الحديث غير صحيح وآخر يقول جائي إلهام أن هذه الفعلة ليست بدعة ، وعندهم أن هذا قاطع بالحق فهذا هو الفرق المهم ،

مبتدعة الصوفية دائماً يحتجون بقصة الخضر على قولهم بمخالفة الحقيقة للشرعية ، يقولون موسى صاحب الشريعة والخضر صاحب الحقيقة ، الحقيقة التي هي العلوم الباطنة العلوم الدنية ، والشرعية أصحاب العلوم الشرعية ، فدعوا أصحاب الحقيقة يا أصحاب الشريعة لا دخل لكم بهم لو رأيتموهم يفعلون المنكرات لا تنكروا عليهم لذلك تأسس عندهم أنه لا حرج أن الولي الفلاني يأتي البغلة في الطريق وإن منعه شيخ البلد تحجر مكانه وثبته مكانه ويفعل بما ذلك ، ويكون شيخ البلد في غاية الحياء إذاً شيخ البلد يستحي وهذا الرجل الذي يدعي الكرامة لا يستحي ، لو خطب على المنبر وقال أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس . صلى الله عليه وسلم . عندهم أن هذا من الكرامات ، مهما رأى من صاحب الحقيقة فلا يتكلم عليه ولو رأى الكفر والعياذ بالله وهذا من الكفر والعياذ بالله .

لذلك نقول أنه من اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع محمد . صلى الله عليه وسلم . كما كان الخضر مع موسى سواء قلنا بنبوته أو لم نقل فيكون غير ملتزم بشرعية محمد . صلى الله عليه وسلم . نقصد طوائف كثيرة من الصوفية يعتقدون أن الشيعة للعوام أما الخواص فهم أهل الحقيقة وخواص الخواص أكثر وهؤلاء ينكشف لهم ويلهمون أشياء لا يعرفها الناس وكل الآيات والأحكام عندهم إنما هي خاصة بالعوام هذا كفر ناقل عن الملة قائله يعتقد أن الشريعة ليست للخواص كيف هذا والنبي . صلى الله عليه وسلم . قد قال ( والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعته إلا أن يتبعني ) حسنة الألباني وسيدنا موسى نفسه بل عندهم موسى ليس من الخواص أيضاً وعند كبيرهم الأمر كذلك ، أن خاتم الأولياء عندهم فوق الأنبياء أو فوق الرسل والعياذ بالله ، فلو كن موسى . صلى الله عليه وسلم . حياً لاتبع شريعة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولو كان الخضر حياً لاتبع شريعة محمد . صلى الله عليه وسلم . { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الاعراف ١٥٨ أيقول أحد هذا للعوام دون الخواص ؟ يكون كافراً مكذباً لرسالة محمد . صلى الله عليه وسلم . ، إذا الإلهام عند أهل السنة للأولياء يقبل الخطأ والصواب وكذا الكشف يقبلهما فيكونان حديث نفس أو وسوسة شياطين تقع للأولياء ولا يعرفها ذلك الولي في تلك اللحظة فكان أن سيد الملهمين في هذه الأمة عمر الذي قال النبي . صلى الله عليه وسلم . عنه ( أنه قد كان فيما مضى من الأمم قبلكم محدثون وإنه إن كان في أمي هذه منهم فإنه عمر ابن الخطاب ) متفق على صحته ، إذا كان عمر قد وقع مع ذلك فيما وقع فيه يوم الحديبية ، وعمل لذلك أعمالاً وقال ما شككت إلا يومئذ فهو يومها قد يشك أن النبي صلى الله عليه وسلم على خطأ ، لا أنه شك في نبوته ولكنه شك أنه اجتهد وأخطأ في هذا المقام وجعل يتردد بينه وبين أبي بكر محاولاً عدم إتمام الصلح قال فعملت لذلك أعمالاً ليكفر عن سيئاته يوم الحديبية ،

طالب : لم يشك هو في النبوة

الشيخ : لم يشك في النبوة ولكن شك أن هذه الأمر يكون اجتهد لأن الرسول يمكن أن يجتهد ومنتظر الوحي والصحابة منتظرين ولا يريدون أن يخلقوا بعد ما أمرهم الرسول بالخلق ماذا ينتظرون؟ ينتظرون وحي يتنزل يمكن أن يغير الأمر ، كانوا يتمنوا ألا يتم هذا الصلح مع أن هذا الصلح كان فتحاً مبيناً لكن ظنوا أن الرسول اجتهد فأخطأ والوحي لم يأتي بعد فهذا الذي شك فيه عمر وكان باطلاً وهو ملهم ومع ذلك تاب إلى الله . عز وجل . وعمل لذلك أعمالاً ليكفر الله عنه ذلك ، فهو الملهم ومع ذلك اختلط عليه الأمر وحدته نفسه أن الصلح خطأ مع أن الصلح كان فتحاً مبيناً بنص الآية ،

والصديق رضي الله عنه عظيم التصديق والصدق ولا تكاد رؤياه تخطئ ولا يكاد تأويله للرؤيا يخطئ ، من أعظم الصديقين ؟ أبو بكر الصديق أليس كذلك ، أعظم الصديقين بعد الأنبياء أبو بكر الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم جعل أمر الصديق مرتبطاً بتصديق الرؤيا ومع ذلك (فعندما تأول الصديق يوماً رؤيا قال له النبي . صلى الله عليه وسلم . أصبت بعضاً وأخطأت بعض ، الصديق نفسه يقول له النبي . صلى الله عليه وسلم . أصبت بعضاً وأخطأت بعض ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني الذي أصبت من الذي أخطأت ، فقال النبي . صلى الله عليه وسلم . لا تقسم ) متفق عليه .

تركه . صلى الله عليه وسلم . دون أن يبين له موضع خطئه في التأويل لتظل المسألة أن أعظم الصديقين بعد الأنبياء يمكن أن يخطئ ، فلا تكونوا أنتم أعلى من الصديق نفسه .

وبالتالي قضية أن الصديق أفضل الصحابة ثم عمر ثم عثمان ثم علي هذه قضية مرتبطة بكثير جداً من المسائل والآخرين الذين يقولون أن هؤلاء ليسوا بأفضل الصحابة لذلك تجد الصوفية والشيعة بينهما وشائج في إنكار فضائل الصحابة رضي الله عنه .

دل خطأ عمر يوم الحديبية وخطأ أبي بكر في تأويل الرؤية على عدم عصمة أحد بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . ولا حتى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع أنه لا أحد أفضل منهما في أصحابه بل وفي أمته إلا عيسى . صلى الله عليه وسلم . .

فلذلك نقول أنه لا يجوز لأحد أن يجزم بصحة الإلهام والكشف وإنما يستأنس بهما أما ما يجزم به وقطع به فهو الكتاب والسنة والإجماع .

الكشف والإلهام من الأدلة المرجحة ليس من الأدلة التي يستدل بها استقلالاً ، هما إنما يكونا الاثنان مرجحين عند من صدق إسلامه وإيمانه وإحسانه وأخلص قلبه حقاً لله . عز وجل . فيستأنس بهما فإن خالف النصوص فلا بد أن يرد ويعرف صاحبهما أنهما إلهام شيطاني وكشف شيطاني وليس رحمانيين .

الغرض المقصود أن خروج أحد عن الشريعة لا يجوز ولا خلاف أصلاً بين الحقيقة والشريعة لأن الخضر لم يكن يبني عمله على مجرد إلهام له كولي فقط فقد قدمنا أنه يمكن أن يكون نبياً وقد يكون متبعاً لشريعة نبي آخر غير موسى لأنه من غير المحتمل أن يأتي إلهام لأحد الأولياء لأن يقتل غلاماً صغيراً لأن هذا محرم في كل الشرائع ، لكن حدث في شريعة الخضر ، وشريعة الخضر التي يلتزم بها سواء كانت شريعة مستقلة أو شريعة نبي آخر أو رسول آخر في زمنه غير موسى ، حدث في شريعة الخضر خصوصاً بوحى فيه تعيين ذلك الغلام بالذات أن يقتل فلا يتصور أن يقول قائل أنا قد عرفت بالإلهام أن هذا الطفل الصغير سوف يكون كافراً إذا كبر بل يجب عليه أن يرد ذلك ويصرفه عن نفسه فقتله للغلام لا بد أن يكون وحياً لنبي لا يصلح أن يكون إلهاماً لولي .

نقول قتله للغلام إما أن يكون وحياً لنبي إما الخضر نفسه أو نبي آخر بلغ الخضر أمر الله . عز وجل . أن يقتل الغلام الغلاني في اليوم الغلاني في الساعة الغلانية لأنه سوف يكون كافراً إذا كبر ولا يستطيع ولي أن يجزم أن هذا أمر الله ، قد قال الخضر نفسه { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } وقال { فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ } الكهف ٨٢ { فَأَرَادَ رَبُّكَ } يخبر عن إرادة الله . عز وجل . وقال { فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِيَهُمَا رُؤُوسَهُمَا وَنَحْنُ بِهِمْ وَأَكْرَبُ مِنْهُمْ } الكهف ٨١ وذلك أن يرزقهما الله ولداً صالحاً كما ذكروا .

الغرض المقصود أن الخضر خرج عن شريعة موسى عليه السلام لأنه كان في زمن موسى . صلى الله عليه وسلم . الذي كان نبي بني إسرائيل وشريعته ملزمه لبني إسرائيل أما في زماننا بعد بعثة النبي . صلى الله عليه وسلم . ومنذ بعثته إلى الناس كافة إلى يوم القيامة فشريعته ملزمة لجميع الخلق ، قال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } فعلى القول بحياة الخضر الآن وهي مسألة فيها اجتهاد مع أن الصواب فيها أنه قد مات .

من أهل العلم من أهل السنة من يثبتون حياة الخضر والراجح أنه ليس بحي الآن حتى لو قلنا بحياته لا يجوز أنه صاحب حقيقة يخالف الشرع يأتي بالبدع والضلالات ويترك الصلوات ويترك صوم رمضان ولا يلزمه اتباع الشريعة لأنه صاحب حقيقة ، من قال ذلك فهو كافر حتى لو قال ذلك عن الخضر لأن شريعة النبي . صلى الله عليه وسلم . غير شريعة موسى عليه السلام فشريعة موسى عليه السلام وشريعة موسى خاصة ببني إسرائيل ولذا طلب موسى من فرعون أن يؤمن ويرسل معه بني إسرائيل ولم يطلب منه الالتزام بالأحكام وإنما ألزم موسى عليه السلام بني إسرائيل بالأحكام وكان للخضر علم آخر وقد قال الخضر لموسى عليه السلام ( يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ) فالخضر عليه السلام كان عنده علم هو مأمور به وهذا أمر غير ممكن في شريعة الإسلام لأن الخروج عن شريعة محمد . صلى الله عليه وسلم . معناه استحلال الواجبات المعلومة من الدين بالضرورة واستحلال المحرمات كقتل النفوس مثلاً ، ولهذا رد ابن عباس على نجدة الحواري معجراً له عندما سأله عن قتل الغلمان نجدة من الخوارج أرسل يسأل ابن عباس عن قتل الغلمان فقال " كتبت تسألني عن قتل الولدان وتقول إن العالم صاحب موسى قد قتل الغلام فلو كنت تعلم من الولدان مثل ما كان يعلم ذلك العالم قتلت ولكنك لا تعلم فاجتنبهم فإن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قد نحى عن قتلهم " رواه أحمد والإسناد صحيح ، قال إلا إن تعلم ما علم الخضر ما علمه من الغلام ، يقصد أن علم ذلك مستحيل ومن ادعى علم ذلك فهو يدعي علم الغيب مع أنه ليس برسول .

فلذلك نقول مثل ذلك من اعتقد أن أصحاب الحقيقة الذين وصلوا إلى اليقين في ظنهم متأولين قول الله تعالى { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر ٩٩ أنه وصل إلى اليقين ولا تلزمهم العبادة ، من يعتقد أنه وصل اليقين وهو شهود القدر ليس عليه أن يعبد الله فهو خارج عن الملة وإن صلى وصام زعم أنه مسلم .

اليقين في الآية بإجماع المفسرين هو الموت حتى تموت تظل تعبد الله ، فعلى قولهم الذين يقولون أن اليقين هو شهود القدر فالرسول . صلى الله عليه وسلم . عاش عمره وما وصل إلى اليقين لماذا ؟ لأن الرسول ظل يعبد الله حتى مات ، وانتم عندكم أن من وصل اليقين يترك العبادة ، فعل الرسول ترك العبادة ؟ إذاً الرسول لم يصل إلى اليقين !؟ نعوذ بالله كفر فعلاً والعباد بالله ، فإذا كان الرسول لم يصل وهم وصلوا قد قال قائل منهم الذي هو التلمساني . ليس صاحب الأخوان . بل التلمساني رجل له سبع أو ثمان قرون يقول خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله والعباد بالله ، الأنبياء لم يتعلموا العوم وهو خاضه والعباد بالله ، وقال سلطان عاشقيهم ابن الفارض وكل عاشقين رعبتي ، يقول كل الذي يحبون تحت أمرتي أنا يعني الأنبياء والأولياء والرسول كل عاشقين رعبتي ، يعني أنه كان يملك كل معاني العشق ويستطيع أن يبينها ، والعاشقون بعد ذلك تبع له

ويقول كذلك

وما كان ليصلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدى كل ركعتي

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري

أنظر إلى الكفر والذي يسمونه سلطان العاشقين

ولم تكن صلاتي لغيري في أدى كل ركعة

التي هي في نظم السلوك والتقية المشهورة .

ومنهم من يقول

سبحاني سبحاني ما أعظم شاني

ومنهم من يقول

لا إله إلا الله ما في الجبة إلا الله

فلا شك في كفر هؤلاء وخروجهم من الملة نعوذ بالله ،

طالب : وما الراجح يا شيخ

الشيخ : أنا كاتب الراجح وهو أننا لا نعرف ، الراجح التوقف

فصل ادعاء النبوة بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . ،

قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ( لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون قرييون من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ) متفق على صحته .

بل هذا المعنى متواتر عن النبي . صلى الله عليه وسلم . أعني أن كل من ادعى بعده النبوة غير عيسى ابن مريم فهو كاذب ومكذب للرسول . صلى الله عليه وسلم . ولذا هذه المسألة مجمع على التكفير بها ، أعني أن من ادعى النبوة بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . أو صدقه أحد في ذلك فهو كافر ومن صدقه فهو كافر ، لأن المسألة معلومة من الدين بالضرورة ليست الأحاديث وفقط بالنقل المتواتر المستفيض الذي لا يشك فيه مثل نقل الصلوات الخمس ورمضان أنه خاتم الأنبياء والرسول ،

الطائفة الأحمدية الكافرة المرتدة التي تزعم أن غلام قدياني هو المسيح الموعود والمهد المنتظر والنبي الجديد الذي نسخ شريعة الإسلام فالطائفة كلها خارجة من الملة وجعلوا لها قناة فضائية هذا للتبليس على الناس وهم عملاء للاستعمار طبعاً ومعروف أن القديانية والبهاية كلاهما عملاء الغرب والاستعمار الإنجليزي هو الذي بث هذه الأفكار ونشرها وساعد على نشرها ووالله إن وجوههم لوجوه الكذابين ، أحضروا صورهم ووالله من ينظر إليها يعرف أنهم كذابين ، ونسأل الله العافية ،

يعني لا يكتفي فقط أنه نبي بل يدعي أنه المسيح والعياذ بالله ، يعني الذي يقتنع أنه نبي يقول هو المسيح ، كذاب كذب فظيع والعياذ بالله

المهم أن الأحاديث كلها لا ينطبق عليه شيء منها فطبعاً قرارات المجامع الكبرى بما فيها الأزهر الشريف ومجامع البحوث الإسلامية وهيئة كبار العلماء ورابطة العالم الإسلامي كلها في مسألة الطائفة الأحمدية التي هم تابعة لغلام قدياني كلها على التكفير نوعاً وعيناً كفار نوعاً وعيناً لادعاء النبوة ،

قد وقع في عهد النبي . صلى الله عليه وسلم . ادعاء النبوة لمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطلحة الأسدي ، ومنهم من تاب كطليحة ومنهم من قتل على الكفر كمسيلمة وكل من ادعى النبوة بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . فهو كافر ومن صدقه فهو كافر وهذا معلوم من الدين بالضرورة قال الله تعالى { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } الأحزاب ٤٠ العجيب أن من يزعمون ويؤمنون برسالة ونبوة بعده يؤمنون أنه رسول الله وأن ما أخبر به صدق وأن القرآن حق ثم يقولون نبوة أنبياء آخرين بعده وهم يقولون خاتم النبيين وليس خاتم الرسل فكلام دال على الجهالة المبينة لأن كل رسول فهو نبي لا بد أن يأتيه النبأ من الله . عز وجل . حتى يرسل ، لا حول ولا قوة إلا بالله والله . عز وجل . يقول { وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } لقد قررنا أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً فلو قلنا ختمت النبوة بمحمد . صلى الله عليه وسلم . ولا نبي بعده بالأولي لا

رسول بعده لأنه لا يكون رسولاً إلا إذا كان نبياً والنبوة منتفية بعده ، أن هؤلاء الكذابون متأولين تأولاً فاسداً { وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } يعني أفضلهم مثل الخاتم أو خاتم النبيين ليس الرسل كلاهما كافر ، هذا التأويل لا يعتد به تأويل مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة يكون تأويل يكفر قائله ،

بناء على ما قدمنا فطوائف البابية والبهائية والقديانية الموجودة حالياً كلهم كفار ، قال النبي . صلى الله عليه وسلم . ( لا نبي بعدي ) وقال ( وختم بي النبيون ) وقال ( وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبيه وأنا العاقب ) والعاقب الذي ليس بعده نبي وفي رواية ابن مسلم ( وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد )

فصل في ادعاء النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله ( لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ) وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ( لا نبي بعدي ) قال . عز وجل . { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) وقال . صلى الله عليه وسلم . ( أنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبيه وأنا العاقب ) والعاقب الذي ليس بعده نبي وفي رواية ابن مسلم وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ) فهو . صلى الله عليه وسلم . خاتم الرسل بنص القرآن وشريعته إلى يوم القيامة باقية وسارية وكل ادعاء للنبوة بعده كفر وكل من صدق ذلك كفر والصحابة أجمعوا على قتال الكذابين من أتباع مسيلمة الكذاب والأسود وغيرهم وقتلهم المرتدين بلا نزاع بينهم ، أجمعوا على ردحهم وعلى قتالهم وهم مرتدون بإجماع المسلمين ، والبابية والقديانية من هذه الفرق المرتدة عن الإسلام ، البابية وهم أصل البهائية ظهوروا في العصر المتأخر وأصلهم رجل يدعى المرزى علي محمد من مواليد شيراز في إيران سنة ١٨٢٠ أعدمته الحكومة الإيرانية رمياً بالرصاص سنة ١٨٥٠ .

مرزى لقب علمي عند الشيعة الإمامية الذي يسمونه الآن . آية . يقولون آية الله كذا ، وكان يسمى مرزا علي محمد ، هذا الرجل استغل حديثاً موضوعاً يقول . أنا مدينة العلم وعلي باهما . فقال أنا علي المدعى وادعى أنه باب مدينة العلم هذا وهو اسمه علي فقال علي باهما فقال أنا الباب ولا يستطيع أحد أن يصل على علم الرسول إلا من خلاله ثم تجرأ بعد ذلك وادعى أنه أوحى إليه كتاب سماه البيان ألفه بالعربية والفارسية وضاهي به القرآن ونشر هذا الكتاب ومازال موجوداً لمن أراد أن يصل إليه كتاب البيان ، موجود كتاب البيان العربي والبيان الفارسي ، وهو يحاول نضاهة القرآن فيه بأكاذيب مكشوفة مفضوحة وادعى أن الشريعة البابية نسخت الشريعة المحمدية ثم ادعى هو وأتباعه الإلهية بعد ذلك ، بعد موت علي هذا كان قد أوصى بالدعوة من بعده إلى رجل يدعى . صبح أزل . وظل البابية موجودين ولكنهم قلة ويعدون البيان هو الكتاب المقدس .

وقت صراعات بين . صبح أزل . وامرأة كانت معه انتهت بمقتل صبح أزل هذا وعدم وجود من يتابعه ،

الذي برز بعد ذلك في هذه الدعوة هو رجل اسمه حسين علي ابن عباس ادعى أنه البهاء وسمى نفسه البهاء وسمى نفسه بهاء الله وادعى الإلهية وتوفي في الخامسة والسبعين من عمره يقال أنه جن آخر حياته ويتجه البهائيون في صلاتهم إلى عكا حيث دفن البهاء يجعلون قبلتهم ويسجدون عند قبره وهو عندهم إله ،

تهدف البهائية والبابية إلى إضعاف شأن المجتمع المسلم وعمدت البهائية وفق مخططات رسمتها لهم الصهيونية العالمية ودول الاستعمار الكبرى كبريطانيا وأمريكا وروسيا كان الحكم البريطاني في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين يشد أزر البهائيين ويقدمهم في الوظائف والمناصب وهو مات في عكا وذلك ليكون عوناً لليهود على تأسيس ما يريد اليهود دولتهم لإضعاف المسلمين ،

أسس هذا المسمى بالبهاء الذي هو الحسين ألف كتاباً آخر سماه . الأقدس . وقيل أنه نسخ البيان ونسخ البيان العربي والفارسي الذي ألفه الأول الذي كان هو مرزا علي محمد ، والأقدس هذا مطبوع وموجود ، والطوائف البهائية منتشرة في إيران لهم مركز كبير في شيكاغو وتجمع لهم أموال طائلة ، يقال أن السنة تسعة عشر شهراً والشهر تسعة عشر يوماً ، لذلك الرجل صاحب رقم ١٩ هذا متأثر بهؤلاء الذي يقول معجزة الرقم ١٩ وحروف بسم الله الرحمن الرحيم عددها تسعة عشر لما تعدها لا تجدها تسعة عشر على أي وجه كانت لم تجدها ويحاول أن يخترع معجزات حول رقم تسعة عشر تأثراً بهؤلاء ،

طالب : هم أكفر من اليهود والنصارى ؟

الشيخ : هم أكفر من اليهود والنصارى ، ويقولون أن الصلاة منسوخة ومتفقين جميعاً على إبطال الجهاد ، وهذا أهم شيء يدلك على أنهم عملاء الاستعمار . الانسحاب الإنجليزي . هم اتفقوا مع الأحمدية القديانية على ذلك في إلغاء الجهاد ، هم يقولون أن الصلاة منسوخة كان بدء أمرهم في إيران ثم هاجر البهاء منها بعد ذلك ، اليهود يعظمون هذه الطائفة البهائية ويحمونها حماية شديدة ولا يزال الدفاع عن البهائية في محافل العالم ، والبهائيون أخذوا حكم مؤخراً بأن تترك الخانة فارغة من أجل أنهم كانوا يصرون أن تكتب بهائي لكن الحكومة المصرية كانت ترفض وتأتي إلا أن تكتب مسلم أو نصراني أو يهودي ولا تقبل بأي ديانة أخرى فأخر حكم تحت الضغوط العالمية من أجل عدم الاضطهاد الديني فهم وصلوا إلى أن تكتب الخانة فارغة ، والحقيقة أن هذا ليس تراجعاً ، الحقيقة أنهم بلا دين أولى وهم مرتدون ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مسلمين لكن المشكلة في إثبات حقهم في ذلك أنه ممكن أن يأخذ بطاقة ويمشي بها وليس له ديانة وهذا يجب قتله شرعاً يجب قتل هؤلاء واحداً واحداً هم كفار نوعاً وغيماً بالعموم لأن ختم النبوة معلوم من الدين

بالضرورة وهم يدعون صراحة أن هذا البهاء مظهر الإله فضلاً أنه أولاً ادعى النبوة وهو العياض بالله بعد أن ادعى النبوة ادعى الإلهية ، فكتابه الأقدس كل من يقرأه يجزم ويقطع أنه رجل كذاب كافر لا يتصور فيه غير ذلك وكذا الطائفة الأحمدية ،

بلا شك أن المرتد يجب قتله ، أنت لو قتلته تدخل السجن ، هو شرعاً مهدور الدم عند الله والذي يقتلهم ليس عليه شيء لكن عليه عند الحكومة أنه يدخل السجن ،

ومن ادعى النبوة في العصر الحديث محمد غلام قدياني ادعى النبوة في باكستان والهند وتبعه طوائف قديانية المسماة بالأحمدية ، للأسف أنهم الآن أصبح لهم قناة فضائية ينشرون كفرهم وضلالهم على العالم الإسلامي ، وهذا الترويج في الحقيقة دائماً من ورائه اليهود ، تجد الأحمدية هذه ليس لها وجود في العالم العربي نهائياً وإنما هي في بلاد الأعاجم والبهاية كذلك ، يعني وجودها في العالم العربي بمجرات ومحاولات يعني أن تغرس في وسط المسلمين وتدعم بقوة عجيبة وتفقات هائلة من أجل أن تنشر فكرها ، يقولون عن محمد غلام قدياني أنه المسيح الموعود وهو يدعي النبوة صراحة لا يخفى ذلك وأنه المهدي المنتظر ، وهذا الرجل من نظر في وجهه علم أنه رجل كذاب ، وصورة التي يضعونها على هذه القناة العجيبة التي ينشرونها تفضح والله أكاذيبهم وكفرهم معلوم من الدين بالضرورة بذلك ، تتبع طوائف القديانية الموجودة في باكستان والهند وأوروبا وأمريكا ولهم مساجدهم يعتقدون أن القرآن حق وأن الشريعة منسوخة بنبو غلام قدياني ، والبهاية كذلك يقولون أن القرآن حق ، كيف يكون حقاً وقد قال الله . عز وجل . { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } لكنهم يخدعون الناس يقولون خاتم يعني كالذي يوضع في الإصبع أو بعضهم يقول خاتم النبيين وليس خاتم الرسل ، كلام يجزم كل عاقل أنه من ما يخالف علم الأمة المتواتر جيلاً عن جيل المعلوم بالضرورة أن تفسير هذا الكلام أنه لا نبي بعده ونصوص السنة المتواترة أنه لا نبي بعده . صلى الله عليه وسلم . أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وإذا كان كذلك فهو خاتم الرسل لأن كل رسول فهو نبي لا بد أن يأتيه نبي الوحي من عند الله عزوجل فلا يكون رسولاً دون أن يكون نبياً ،

أيضاً فرقة خطيرة فرقة مسماة بأمة الإسلام الموجودة في أمريكا مؤسسها يدعى إليجا محمد ادعى النبوة وادعى أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كان زنجياً وهذا من الخدعيات ويريد إيقاظ روح الحمية السوداء ضد البيض فادعى أن النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . كان زنجياً وهذا والعياض بالله من الضلال ومن الكفر أيضاً لإثارة تعاطف الزنجي كلهم لأن عصبية الزواج عندهم من القضايا الشديدة وادعى أن الرسول من الزواج ثم ادعى النبوة بعد ذلك ، بعد أن مات أنكر ابنه كون أبيه نبياً ولكن المتزعم لهذه الطائفة الآن وهي أمة الإسلام أسمه - لويس فرقان - يسمونه فاراقان ،

ولويس فرقان هذا تبع المدعي النبوة أولاً ويقر أن إليجا محمد كان نبياً والقذاف استقبله من عدة سنوات على أنه زعيم مسلم ، أبنته خير منه ابنه عضو في الكونغرس الأمريكي لبعض السنوات ولكن قال أن أبيه كان مخطفاً وكان يجب أن يقول كان كافراً لأن ادعاء النبوة ليس خطأ فقط ولكن ابنه أظنه رجع إلى الإسلام ابن إليجا محمد هذا لكن لويس فرقان مازال على ادعاء نبوة إليجا وخارجه عن الإسلام أيضاً هذه الفرقة لا اعتقادها نبوة أحد بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . ،

قضية ادعاء النبوة تجدها منتشرة في الدول الأجنبية في حين أن من ينطق بالعربية لا يكاد يقبل مثل هذا ولا يجد هذا الإدعاء رواجاً بينهم على الإطلاق أما الأمم الأعجمية فيمكن خداعها بأن الخاتم بمعنى الذي يلبس في الإصبع أو كما ذكرنا خاتم الأنبياء وليس الرسل بزعمهم ، كأكثر الفرق الموجودة الآن مثل البهاية والقديانية ،

لكن الحقيقة أن انتشار هذه المسألة حتى في وسط الأعاجم معلوم من الدين بالضرورة أن كل المسلمين يتناقلون جيلاً بعد جيل حتى الأعاجم منهم أن محمد . صلى الله عليه وسلم . خاتم الأنبياء ،

الجو الشيعي بلا شك هو الذي يسمع أكثر بهذه المسألة لأن عندهم من الغلو في الأئمة ما يوصلهم إلى مراتب الأنبياء وما فوق الأنبياء فمن اعتقد أن للأئمة أحوالاً لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل يسهل عليه أن يدعي فيهم النبوة ، لذلك نقول انتشار هذه المسألة وكونها معلومة من الدين بالضرورة يجعل هذه الفرق البهاية والقديانية مرتدة عن الإسلام ، هؤلاء القديانية كانوا منتسبين للسنة والبهاية كانوا منتسبين للرافضة ،

وكل هؤلاء لا يعذرون بالجهل في ذلك لأنه معلوم من الدين بالضرورة وقد بغلهم القرآن وفيه قوله تعالى { وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } والتأويل هنا مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة فهو تأويل باطل لا يعذر به صاحبه ،

حتى نقول التأويل أي تأويل الذي يعذر به صاحبه ولا يكفر ؟ الذي لا يخالف المعلوم من الدين بالضرورة ، أما تأويل ما يخالف المعلوم من الدين بالضرورة تفسير يخالف المعلوم من الدين بالضرورة تأويل باطل لا قيمة له وهم يعيشون وسط أهل الإسلام وأهل الإسلام يرمونهم بالكفر ليلاً ونهاراً وقد قتل الباب الذي هو . مرزا علي محمد . وقتل غلام قدياني والبهاء مات في عكا ، وتبين أن المسلمين يلفظونهم لفظاً تاماً ويعلمون كفرهم فالحجة قائمة على كل أحد فالباي والبهاية والقدياني وجماعة أمة الإسلام السالفة للذكر كلهم كفار بأعيانهم وكل هذه الفرق خارجة عن الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين .

طالب : لا يحتمل وجود مجالاً للعذر ؟



الشيخ : لا يَحْتَمِلُ ذلك ، لأنهم كما ذكرنا يقولون بصحة القرآن ويقولون القرآن حق ، ويقولون أن الفرق بيننا وبين المسلمين أن المسلمين يقولون كذا ونحن نقول كذا فهم يقولون أنه لا نبي بعد محمدا . صلى الله عليه وسلم . .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## 11- الإيمان باليوم الآخر

### ٥٨ - الإيمان باليوم الآخر

الركن الخامس من أركان الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر

كثيراً ما يقرن الله سبحانه وتعالى ويذكر الله عز وجل الإيمان بالله مقترباً بالإيمان باليوم الآخر ، كثيراً ما يقرن سبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ { التوبة ١٨ } وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ { البقرة ٦٢ } وهذا تعظيم لأهمية هذا الركن لأنه لا يحصل للعبد إيمان إلا به وهذا يتضمن ثباتاً لمسائل كبرى

المسألة الأولى : الإيمان بالجنة والنار وأحوال القيامة وهو أعظمها ، هذه المسألة أعظم قضية الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بيوم القيامة والمقصود بيوم القيامة البعث والنشور وما يكون فيه من حساب وعقاب وثواب ،

المسألة الثانية : الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وحياته البرزخ ،

المسألة الثالثة : الإيمان بأشراط الساعة ،

الإيمان باليوم الآخر تدخل فيه هذه المسائل الثلاث

من أعظم المسائل في الإيمان بالله واليوم الآخر مسألة الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من أنواع النعيم والعذاب فهذه المسألة الأولى تتضمن ثلاث مسائل كبرى .

المسألة الأولى : أن كليهما مخلوقتان الآن ، الجنة والنار مخلوقتان الآن ،

المسألة الثانية : أنهما لا تغنيان ولا تبديدان ،

المسألة الثالثة : أن النعيم في الجنة والعذاب في النار حسي ومعنوي ،

النعيم الحسي والمعنوي في الجنة والإيمان بأنواع العذاب الحسي والمعنوي في النار ،

أما المسألة الأولى أنهما موجودتان الآن قال الله سبحانه وتعالى عن الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ { آل عمران ١٣٣ } فهي الآن معدة موجودة الآن ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( دخلت الجنة فوجدت فيها قصراً قصيراً فلعل لمن هذا فقالوا لعمر ابن الخطاب فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك فبكى عمر وقال أي رسول الله أوعليك يغار ) رواه البخاري ومسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم ( رفعت إلى السدرة . سدرة المنتهى . فإذا بأربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ، فأما الظاهران النيل والفرات وأما البطنان فنهران في الجنة ) رواه البخاري والنيل والفرات أصلهما عند سدرة المنتهى ونقلتا أجزاء منهما إلى الأرض ولذلك هذه الأنهار إن لم تكن أكثر الأنهار بركة فهي من أكثرها بركة وهي لا تغنى في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في عنقود العنب الذي أراد أن يتناوله في صلاة الكسوف قال ( لو تناولته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ) فالنيل والفرات ، وسيحون جيحون من أنهار الجنة لكن اللذان ينبعان عند سدرة المنتهى من أصل السدرة أو عند أصلها ،

طالب : هذا النيل الخاص بنا

الشيخ : نعم النيل هذا ،

وعن مسروق قال سألت عبد الله ابن مسعود عن هذه الآية { وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } آل عمران ١٦٩ فقال عبد الله ابن مسعود أما إن قد سألنا عن ذلك فقال أي سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ( أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تؤوي إلى تلك القناديل ) أيضاً حديث صحيح رواه مسلم ، فهذا دليل أن الشهداء الآن في الجنة أرواحهم في حواصل طير خضر فهو يدل على أن الجنة موجودة الآن وقال عز وجل عن النار { أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ } البقرة ٢٤ أعدت إذا فهي مخلوقه الآن معدة وقال عز وجل عن قوم نوح { مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذْجَلُوا نَارًا } نوح ٢٥ فأدخلوا أي بعد غرقهم أدخلت هذه الأرواح النار دليل على وجود الأرواح الآن في النار ودليل على وجود النار الآن ، ويوم القيامة تسلك الأرواح في الأجساد ثم تسلك جميعاً في نار جهنم والعياذ بالله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث كسوف الشمس ( ما من شيء توعده الله إلا قد رأيته في صلاتي هذه لقد جئني بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها من وهجها وحتى رأيته فيها صاحب المحجن يجر قصره في النار . يجر أمعائه في النار . كان يسرق الحاج بمحجنه ، المحجن العصا الملتوية . يعلقها على متاع الحاج ويسير ، فإن فطن له قال فإنما تعلق بمحني وإن غفل عنه ذهب به ، وحى رأيته فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض . من هوام الأرض . حتى ماتت جوعاً ثم جيئت الجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مدت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي ألا أفعل ) رواه مسلم وفي رواية في الصحيح ( فتقاصرت يدي عنه ) فلما تقاصرت بدا له أن يترك ولا يحاول الطلب ، فالجنة موجودة الآن في السماء والنار كذلك موجودة ، قال الله عز وجل في الحدث العبد الفاجر والكافر ( أكتبوا كتاب عبيدي في سجين في الأرض السفلى ) رواه احمد وغيره وصححه الألباني والله أعلم أين النار إلا أنها ليست في السماء ،

هل سجين هذا من النار ؟

هي من السجين والضيق وكلما سفلى كلما ضاق والله عز وجل أعلى وأعلم ،

الجنة في السماء بلا شك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم رآها في المعراج عندما عرج به إلى السماء وهذا الحديث حيث الكسوف وكذا حديث عبد الله ابن مسعود الذين قتلوا في سبيل الله كما يدل على وجود الجنة والنار الآن يدلان على عذاب ونعيم البرزخ لأنه عذاب الكفار أرواحهم مصورة في صورة أجسادهم وأما أرواح المؤمنين فهي في حواصل طير خضر ، لتتمتع بالحياة الكاملة روح في جسد ، ١

المسألة الثانية :

أنهما لا تغنيان ولا تبيدان ولا فناء لهما على الدوام أبداً ، خلافاً للجهمية الذين يقولون بفناء الجنة والنار وانعدام الخلق مرة أخرى ، قال سبحانه وتعالى عن النار { كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } الاسراء ٩٧ فلا يمكن أن تحبوا أبداً لأنها كلما خبت زادها الله سعيراً ،

ولم تدل الأحاديث على فنائها أما الأحاديث التي احتج بها ابن القيم رحمه الله التي استدلت بها على أن النار تكون خالية وأنها يأتي عليها زمان ليس فيها أحد فهذه الأحاديث ضعيفة السند وهي محمولة على فناء الطبقة العليا منها طبقة عصاة الموحدين بل لا تدل على فنائها بالكلية تدل على وجودها خاوية ليس فيها أحد لأن الأحاديث التي احتج بها آثار موقوفة ( يأتي على جهنم زمان تصفق فيها أبوابها ليس فيها أحد ) قاله بن مسعود رضى الله عنه . وفي الحديث الآخر ( لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه ) قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كلها تثبت وجودها وخروجهم منها وبقيائها خالية وليس أنها تفتى ، ابن القيم أراد أن يقول بفنائها من أجل أن يتخلص من أن الآيات صريحة في أنهم خالدين فيها أبداً ، فكيف يخرجون فاحتج بهذه الأحاديث الضعيفة وحملها على فناء النار وقال لم نقل بخروجهم وإنما هي فتى . التي ذكرتها تدل على وجودها خالية ، إذاً هي ليست إن صحت في من هم خالدين فيها أبداً ، هي في من يخرج منها وهم عصاة الموحدين ، فقول ابن القيم بفناء النار قول باطل ، ذلة من ذلته رحمه الله ، فهو لا يقول بفناء نار الموحدين وطبقاتها فقط ولكنه في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وكتاب شفاء العليل يقول بفناء النار كليةً ويتوقف في أهلها أين يذهب بهم وهذه ذلة كما ذكرنا وهي بدعة ضلالة بلا شك ، نقول بدعة ضلالة على القول نفسه وله كلام آخر في أن النار لا تفتى أيضاً ولكن هذا الذي انتصر له بالأدلة وهذا الكلام قاله بعد موت شيخ الإسلام لأنه في . حادي الأرواح . يقول قد سألت شيخنا قدس الله روحه عن هذه المسألة فقال هي مسألة عظيمة وظل يحتج بعد ذلك على فناء نار الكفار الكافرون كفرة أكبر ، نقول هذا معناه في النهاية انقطاع عذاب الكفار وهذا مما يخالف صريح القرآن وقد تأول بعض الآيات كما ذكرنا { إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ } هود ١٠٧ لكن هناك آيات لا تحتمل فأنه عز وجل قال { كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } فكيف يقول أنها تحبوا نهائياً هذا فيه إبطال لهذه الآية وقال تعالى { فَذُوقُوا فَلَئِنْ نَزِدْكُمْ إِلَّا عَذَابًا } النبا ٣٠ فلو تصور أن النار طفت فلا بد أن يكون هناك عذاب من نوع آخر لأن الله قال { فَالْآنَ نَرِيكُمْ إِلَّا عَذَابًا } فكيف يقال بعد هذا أن عذابهم ينتهي ؟ وقال عز وجل { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا } (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } الاحزاب ٦٤ وقال عن أهلها وعذابهم { لَا يُقَفَّرُ عَنْهُمْ } الزخرف ٧٥ وأنت تقول يغنى بالكلية والله يقول { لَا يُقَفَّرُ عَنْهُمْ } لا يحصل فتور فقط في العذاب وهم فيه مبلسون فلا يفنون ولا يخفف العذاب عنهم ، لا هم يفنون لأن الله قال { وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ } الزخرف ٧٥



بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، إذا { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ } الكهف ١٠٥ من هؤلاء ؟ اليهود ، لأنهم كفروا بالقرآن وكفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولقائه النصارى كفروا بلقاء الله عز وجل بالجنة ، والحقيقة أن كلا منهما كافر بآيات الله وكافر بلقائه لكن اليهود أخص بذلك والنصارى أخص بذلك فالذين كفروا بالطعام والشراب في الجنة قد كفروا بالجنة ، والصوفية أيضاً عندهم نوع من إنكار بالرغبة في النعيم الحسي والمعنوي في الجنة ولهم كلمات باطلة ،

كقولهم . النعيم المعنوي غير نعيم بالله عزوجل . حتى قال قائلهم اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك طمعاً في الجنة فاحرمني منها وإن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من النار فأدخلني فيها . منسوب لرابعة العدوية والله أعلم هل قالته أم لا ، لا يشغلنا القائل بقدر ما يشغلنا التحذير من هذا الكلام الفظيع ، قال عز وجل عن آل زكريا وقيل عن جميع الرسل { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (٩٠) { الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } { الاسراء ٥٧ إذا جمعوا بين إرادة القرب من الله بالوسيلة والقرب من الله بالرحمة والخوف من العذاب { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } { الاسراء ٥٧ وقال تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (٢٧) { إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ } (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } { المعارج ٢٧ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ( كيف تقول في الصلاة قال أتشهد وأقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولهما دندن ) رواه ابو داود وابن ماجه وغيرهما وصححه الألباني وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ( ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ) رواه البخاري فلا يجوز أن يقال أنه لا يطلب النعيم الحسي والمعنوي ولا يتصور الانفصال بين النعيمين بالله بالنظر إلى وجهه وسماع كلامه والقرب منه وبين النعيم الحسي ولا يصح أن يقول قائل إني لا أريد الجنة وإنما أريد الله أو قول القائل في قول الله تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } { الكهف ١١٠ يقول والجنة أحد وأنا لا أريد أن أشرك به أحداً ، لا يصح قول القائل إن من الشرك طلب الجنة هذا ضلال مبين ، هل يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يشركون إذا أم آل زكريا مشركون بل هذا كلام كفر وليس هناك انفصال بين الأمرين فلن يتنعم أحد بالنظر إلى وجه الله إلا إذا كان من أهل الجنة وقد جعل الله تعالى في الجنة جميع أنواع النعيم الحسي كالفاكهة ولحم الطير والماء المسكوب والطعام والشراب والنساء وسائر ما ذكر الله عز وجل من النعيم الحسي وأعلى نعيم أهل الجنة النظر إلى وجهه الله تعالى قال تعالى { وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ } (٢٣) { الْقِيَامَةُ ٢٢ وَأَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ قَالَ تَعَالَى { سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ } يس ٥٨ وأن يقربوا منه عز وجل { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ } (١١) { الواقعة ١٠ فالقرب منه أعظم نعيم أهل الجنة وقد أخبر الله عز وجل بتفاصيل ذلك في كتابه ومن أصدق من الله قيلاً ،

فإذا أخبرنا الله عز وجل عن أنواع النعيم وأنواع العذاب فلا يمكن أن يكذب بذلك أحد وإن كانت كيفية النعيم والعذاب من الغيب الذي لا يمكن أن يقول البشر أن تدركه بطبيعتك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة ( فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) رواه مسلم مصداق ذلك في كتاب الله { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قِزَّةٍ رَغَاءٍ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } { السجدة ١٧

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٥٩- الإيمان بالنفخ في الصور ... الحوض ... الصراط

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما في القيامة من أمور وردت في شرع الله سبحانه وتعالى فيجب الإيمان بالحوض والميزان والصراط والكتب أي بوجودها وأنها تؤخذ بالإيمان والشمال يعني باليمين والشمال ، والإيمان بالشفاعة وكل ذلك استفاضت به الأحاديث ، ويجب الإيمان بالبعث والنشور أي بعث الأجساد وهو مما لا نزاع فيه بين أهل الإسلام أن الأجساد تبعث وتعود إليها الأرواح مرة ثانية وكلها جملة في ما يدخل بالإيمان باليوم الآخر والنفخ بالصور أول هذه الأشياء

يجب الإيمان بالنفخ في الصور لأنه ذكر في كتاب الله عز وجل { يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ } الانعام ٧٣ والإيمان بأن الله يأمر إسرائيل أنه ينفخ في الصور نفختين

تسمية ملك صاحب الصور بإسرائيل ورد في أحاديث فيها مقال لكنها كثيرة في الحقيقة وهذا هو المشهور عند أهل العلم يذكر أن إسرائيل هو الذي ينفخ في الصور ، وورد في حديث الصور الطويل لكنه ضعيف ولكن الذي ثبت بالنفخ في الصور قول النبي صلى الله عليه وسلم ( كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ) رواه الترمذي وصححه الألباني فسماه صاحب القرن ، فلو قلنا أن الله سبحانه وتعالى يأمر صاحب الصور أن ينفخ في الصور نفختين نفخة الفزع والصعق ونفخة القيام والترحيل لهذه المسألة أهما نفختان

الأولى فزع وصعق ومن العلماء من يقول ثلاث نفحات ، نفخة فزع ونفخة صعق ونفخة القيام لرب العالمين والصحيح أن إطلاق الأحاديث يدل على أنهما نفختان،

في حديث الصور الطويل أنهما ثلاث نفحات بين نفخة الفزع وبين نفخة الصعق مدة طويلة ولكن الحديث كما هو معلوم حديث ضعيف الإسناد والأحاديث الصحيحة تدل على أن الأحوال المذكورة في آيات القرآن إنما تقع بعد نفخة القيام مثل تكوير الشمس وانكدار النجوم وتعطيل العشار { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمُؤَوَّدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ } التكوير ١ ظاهر هذا أنه إذا وقت هذا علمت النفوس ، هذا بعد القيام وإنما يعلم الناس بعد القيام ، حديث الصور الطويل يجعل هذه الأحوال تقع قبل نفخة الصعق ، يجعلها بين نفخة الفزع وبين نفخة الصعق على تطويل المسافة وأنه يوم التناد تند الشياطين غاربة إذا وقعت هذه الوقائع بعد نفخة الفزع وأن الملافة تنز كذلك ، والزلزلة { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا } الزلزلة ١ أيضاً كذلك أنها أيضاً بين نفخة الفزع والصعق وهذا ليس بصحيح بل ظاهر القرآن وظاهر السنة أن هذه الأحوال العظيمة إنما تكون بعد قيام الناس لرب العالمين .

المؤودة إنما تسأل بعد أن تحيا { وَإِذَا الْمُؤَوَّدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } التكوير ٩ ليس أنها تسأل قبل القيام ، فتكوير الشمس إذاً كذلك ، وانكدار النجوم كذلك ، وكذا تسجير البحار { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) } الانفطار ١ كل هذه الأحوال إنما تقع بعد القيام ولذلك نقول أن النفخ الأولى نفخة الفزع والصعق معاً ، والأحاديث الصحيحة الثابتة تدل أن الساعة تقوم وقد نشر الرجال الثوب يتتاعانه فلا يطويانه وقد انصرف صاحب اللقحة بلفحته فلا يطعمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ولتقوم الساعة والرجل يلبط حوض إبله فلا يسقيها ) هذا معنى الحديث ، إذا هناك حياة مستقرة ( ولتقوم الساعة وقد رفع الرجل لقمته إلى فيه فلا يطعمها ) وكلها ثابتة في الصحيح وتدل على أن هذه أحوال الناس قبيل القيامة مباشرة والحديث الصحيح أيضاً أنه ينفخ في الصور فيكون أول من يسمعه رجل يلبط حوض إبله فإذا سمعه أصغى ليتاً ورفع ليتاً ، الليت هو جانب العنق ثم يصعق ويصعق الناس حوله ، هذا دليل على أن النفخ أو ما يسمع يصعق بعده مباشرة ، ينفخ أولاً ثم يصعق ولو كان هناك مسافة طويلة بين النفختين نفخة الفزع والصعق وأنها نفختان مستقلتان وحدثت كل هذه الأحوال بعد نفخة الفزع فكيف هناك في هذا الفزع من يلبط حوض إبله كيف من يتبايع الثوب وقد رأى الناس النجوم قد انكدرت والسماء قد كسحت والبحار سحرت والوحوش حشرت والنجوم تساقطت والشمس كورت كيف يبيعون ويشترون ، هذا غير متصور والله أعلى وأعلم ، بل الظاهر أن الناس في غفلة شديدة إلا أن يفزعوا فإذا فزع الرجل الذي يلبط حوض إبله يصلح حوض إبله هذا دليل على عدم تعطيل العشار إذا العشار عطلت متى ؟ بعد النفخة الثانية التي هي نفخت القيام والله أعلى وأعلم ، نقول حديث هذا الرجل أو من يسمع النفخ في الصور رجل يلبط حوض إبله فإذا سمعه أصغى ليتاً ورفع ليتاً ثم أمال . الليت هو جانب العنق يتصنط . فيصحق هذا دليل على أن النفخة الأولى نفخة فزع وصعق ، وابن كثير رحمه الله دائماً يذكر أنهما ثلاث نفحات وقول النبي صلى الله عليه وسلم ( بين النفختين أربعون ) متفق عليه دليل على أنهما نفختان إذا أطلقت وكذا أطلق القرآن { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ } الزمر ٦٨ إذا هي نفخة يصعقون فيها ثم في نفخة ثانية أخرى ، إذاً بين نفخة الفزع والصعق وكذلك { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ } النمل ٨٧ أتوه داخرين بعد ذلك بعد النفخ ، { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } النمل ٨٨ هذا بعد أن يقوم الناس على الأرض المبدلة التي سيرت فيها الجبال ونقلت عن أماكنها فالذي يظهر الله أعلى وأعلى أن نفخة الفزع والصعق نفخة واحدة أنها تبدأ بفزع وتنتهي بصعق لذلك قلنا أن إسرائيل يؤمر أن ينفخ في الصور نفختين نفخة الفزع والصعق ونفخة القيام لرب العالمين ، وبين النفختين أربعون وهو الحديث الصحيح في حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ( بين النفختين أربعون قبل يا أبا هريرة أربعون سنة قال آيت قبل أربعون شهراً قال آيت قبل أربعون يوماً قال آيت ) آيت أن أقول لأنه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال بين النفختين أربعون فأدأها كما سمعها ، أبي أن يقول التمييز وكم يكون بينهما خلال فترة ما بين نفخة الفزع والصعق ونفخة القيام تنبت أجساد الناس وتبدل الأرض وتغير فيقوم الناس على أرض مبدلة يقوم الناس محشورين إلى الله عز وجل على أرض مبدلة هذه الأرض بدلت صفاتها واختلاف العلماء في هذه المسألة بعضهم يقول أرض أخرى تماماً والصحيح أنها هي مبدلة { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ } إبراهيم ٤٨ كقول كعب رضي الله عنه ( وتغيرت لي الأرض فما هي التي أعرف ) يعني هي المدينة تغيرت أحوال أهلها فكأنها أرض جديدة وليست التي يعرفها ، لماذ نقول ذلك ؟ لأن الله يقول { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } الزلزلة ١ هذا بعد القيام وتحدث الأخبار وتشهد الأرض على الناس بما عملوا من خير وشر لأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتاً إذاً هذا اليوم الذي وقع فيه بعد الأربعين وبعد أن بدلت الأرض بالفعل أي بدلت صفاتها شهدت بما وقع فيها ،

في الحديث الصحيح ( تقيى الأرض افلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول في هذا قتلت ويجئ السارق فيقول في هذا سرقت وقطعت يدي ويجئ القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي فيتركونه فلا يأخذوا منه شيئاً ) رواه مسلم أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا الحديث يدل على أن هذه هي الأرض التي كانوا عليها إذا يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات هي كذلك هي هي هذه السماوات لكن تبدلت أحوالها يوم تكون السماء كالمهل أي الزيت المغلي وتكون الجبال كالعهن فهي هذه الجبال لكن تغيرت أحوالها وكانت أولاً كثيباً مهيباً رمالاً منهاراً ينهال إذا أخذت منه ثم بعد ذلك صارت أضعف من ذلك كانت كالعهن المنفوش والصوف المنتوف ، ثم بعد ذلك صارت كالسحاب ينقل من أماكنه ، { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } النمل ٨٨ يوم القيامة وليس كما يقول بعض المولعين بالتفسير العلمي أن ذلك في الدنيا بل هذا عند عامة السلف يوم القيامة ، أن الجبال تنقل عن أماكنها سير السحاب ثم بعد ذلك تكون سراباً { وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا } النبأ ٢٠ ثم تكون الأرض مستوية تماماً لا أثر فيها للجبال إطلاقاً { لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا } طه ١٠٧ قال سبحانه وتعالى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا } طه ١٠٥ لأن المراحل التي ذكرنا تجعل الجبال كالتراب والغبار { فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا } الواقعة ٦ ينقل كسير السحاب ترور بالكلية ، قال { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا

صَفَصَفًا { طه ١٠٥ أرضاً مستوية القاع المستوى على الأرض ، الصفصف الأملس لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً يعني لا انخفاض ولا ارتفاعاً لا وادي ولا رابية ، لا أرض منخفضة ولا أرض مرتفعة ، كقرص نقي كالرغيف ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض مستوية تماماً ، نسأل الله العافية ،

{ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَتَبَرُّوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم ٤٨ هذه الأرض تبدل صفتها وتمد وتبسط . توسع . حتى يحشر عليها جميع الخلق وتنزل الملائكة من السماوات أيضاً نسأل الله العافية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء . العفراء الأبيض غير النقي غير الواضح البياض الذي فيه نوع من الكدرة . على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي . كرغيف الخبز المصنوع من القمح . الذي هو كما ذكرنا ليس شديد البياض والقمح كما ذكرنا فيه نوع من الصفرة والكدرة . ليس فيها علم أو معلم لأحد ) متفق عليه ليس فيها علم ارتفاع ولا انخفاض ولا علامة لأحد ، قد غيرت هذه الأرض ، والنقي هو الدقيق المصنوع من القمح فهي بيضاء لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ، { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا } طه ١٠٥ وهذه الأرض أرض المحشر التي يحشر الناس عليها تسمى . عرصات القيامة .

العرصة هي الأرض المتسعة التي ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض

وعرصات القيامة يعني عرصات الأرض المتسعة المستوية يسمعون الداعي وينقدهم البصر ، بصر الرحمن سبحانه وتعالى ،

وفي هذه الأرض أرض العرصات يكون حوض النبي صلى الله عليه وسلم حيث يجد المؤمنون إلى النبي صلى الله عليه وسلم للشرب منه نسأل الله أن نشرب منه شربة لا نظماً بعدها ، عدد آنيته كعدد نجوم السماء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً يصب فيه ميزابان من الكوثر ، كل هذه ثابتة في الأحاديث الصحيحة ، والكوثر هو النهر الذي أعطاه الله للرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة والأحاديث في الحوض متواترة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية . الليلة المظلمة تظهر فيها كل النجوم التي يمكن رؤيتها لأن الليلة المقمرة القمر يطفى ضوء كثير من النجوم فلا ترى والمصحية التي ليس فيها سحب وذلك لأن السحاب قد يعوق النجوم الكثيرة فهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة . إذا آنية الحوض من الجنة . من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه . يعني إلى الأبد . يشخب فيه ميزابان من الجنة ) والحديث رواه مسلم

الشخب يعني صوت الماء الذي يخر يشخب فيه ميزابان من الجنة لم يظماً . عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ، وأيلة في أرض فلسطين وعمان وليس عمان والله أعلم ،

ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وعرضه في الأحاديث الصحيحة عرضه شهر وطوله شهر ، إنما يرد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أهل البدع كما قال عليه الصلاة والسلام ( إني على الحوض انتظر من يرده عليا منكم فليقطعن رجال دوبي فلاقولن يا رب أمتي فيقال لي إنك لا تدري ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم ) متفق عليه وهذه الأحاديث في نوعين المرتدين ولو كانوا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض الأحاديث ( أصحابي أصحابي ) فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى بعضهم ولم يكن يعلم عليه الصلاة والسلام أنهم يرتدون بعده ، فهذا في المرتدين فيمن قال أصحابي ومات وهم لم يرتدوا ، وهؤلاء لم يكونوا من المهاجرين ولا الأنصار رضي الله عنهم وإنما الذين ارتدوا على أعقابهم مازالوا يرجعون على أعقابهم هم كانوا من الأعراب ومن القبائل البعيدة الذين أتوا في الوفود فمنهم من رأى النبي صلى الله عليه وسلم لكن ارتد بعد ذلك فأكثر العرب وقعت منهم ردة إما ردة كاملة باتباع مدعي النبوة وبعضهم رجع إلى عبادة الأوثان ومنهم من رجع عن الزكاة ومنع الزكاة فقط فقاتل المهاجرون والأنصار الناس على الردة الكلية والجزئية ، فهذا النوع الأول الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابي ليس فيه حجة ولا حتى شبهة للرافضة في أن الصحابة قد ارتدوا وإنما قاتل الصحابة المرتدين رضي الله عنهم فالذين ارتدوا على أعقابهم وتركوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليس المهاجرون والأنصار وإنما شرذان من القاتل والأعراب الذين أنزل الله فيهم { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } الحجرات ١٤ وهؤلاء وأمثالهم هم من وقعت منهم الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

ونوع ثاني :

هم أهل البدع في قول النبي صلى الله عليه وسلم ( أمتي أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ) فكل من أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم داخل في عموم ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم بأنهم غرل محجلون من آثار الوضوء ، وأهل البدع هؤلاء بعضهم يكون عنده أصل الإيمان ففي حديث البخاري فلا ينحوا منهم إلا مثل همل النعم تقليلاً لمن ينحوا منهم ( ويؤخذ منهم ذات الشمال فلا ينحوا منهم إلا مثل همل النعم ) الإنعام إذا كانت مع بعضها فهناك المريضة والعاجزة وهي قليلة لو كانت كلها مريضة سارت كلها سيراً بطيئاً لكن إذا كانت سليمة وتأخر بعضها لمرض فهي التي تكون في المؤخرة وهذه دائماً تكون قلة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يؤخذ بهم ذات الشمال لا ينحوا منهم إلا القليل الذين هم في قتلهم مثل همل النعم ، الأنعام المهملة في مؤخرة القطيع فهذا دليل على خطر البدع وأن هناك من البدع ما يؤدي بصاحبه إلى الردة ويبقى نوع أو قلة ليسوا من أهل الكفر وإن وقعوا في البدع لكنهم قلة في الحقيقة فإن البدع بريد الكفر وذريعة من ذرائع وأخطر من المعاصي في هذا الباب ،

لذلك قلنا الأحاديث وردت بلفظ أصحابي وفي لفظ أمتي ، وهو عرف من أمته بآثار الوضوء ممن لم يأتي بعده وعرفهم بآثار الوضوء وهؤلاء أهل البدع من بعده ،



وأما أصحابه فمنهم من كان من الذين ارتدوا وهو إنما يحكم بعلمه صلى الله عليه وسلم ،

والصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك ، النبي صلى الله عليه وسلم مات وبعض أصحابه الذين رأوه ولقوه ماتوا وهم لم يكونوا صادقين أو ارتدوا بعد ذلك فليسوا بالصحابه في اصطلاحنا ، عندما نقول الصحابة الذين نشترط أنهم ماتوا على التوحيد والمهاجرون والأنصار رضي الله عنهم أحق الناس بوصف الصحبة وأما الذين ارتدوا فهم من مسلمة الأعراب ونحوهم ،

وأيضاً من المنافقين ، فقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُذْ تَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التوبة ١٠١ فالخوض المورود يعني الذي يرده المؤمنون ، كلمة مورود الذي يرده ويأتيه المؤمنون للشرب منه ويعرف النبي صلى الله عليه وسلم من لم يره من أمته من أثر الوضوء ويأتون غزلاً محجلين من آثار الوضوء ،

قال ( ويؤرد الناس من غير أمته عن حوضه كما تزد الإبل الغربية ) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( والذي نفسي بيده لأزودن رجالاً عن حوضي كما تزد الغربية من الإبل عن الحوض ) متفق عليه والذي يظهر أن هذا نوع آخر ، الأمم الأخرى من أتى منهم لم يرد حوض النبي صلى الله عليه وسلم وأما المبتدعون والمتردون فهم يردون رداً كاملاً بحيث يؤخذ بهم ذات الشمال ،

في خطأ مطبعي الذي يأتي الآن ،

والذي يظهر والله أعلم أن الحوض بعد الصراط لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( فمن شرب منه لم يظماً بعده أبداً ) وهناك من يعذب على الصراط وهناك من يتساقط في النار أثناء المرور على الصراط ، إذا الكلام أن الحوض قبل الصراط ولذلك بدأنا في أرض العرصات عرصات القيامة يكون حوض النبي صلى الله عليه وسلم لأن الحوض بعد الصراط لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( من شرب منه لم يظماً بعده أبداً ) وهناك من يعذب على الصراط وهناك من يتساقط في النار أثناء المرور على الصراط ، يظهر من ذلك أن هؤلاء الذين عذبوا لم يشربوا من حوض النبي صلى الله عليه وسلم لماذا الحوض بعد الصراط ؟ لأن هناك من يعذب على الصراط وهناك من يتساقط لكن ليس في هذه الأحاديث أن هؤلاء ممن شرب من حوض النبي عليه الصلاة والسلام ، الذين أخذ بهم ذات الشمال كيف يؤخذ بهم ذات الشمال وقد مروا على الصراط ، ( ليدودن قوم عن حوضي ويؤخذ بهم ذات الشمال ) فكيف يكون الحوض بعد الصراط وهناك من يقع في النار ،

لو كان الحوض بعد الصراط لما أمكن أن يؤخذ أحد ذات الشمال ، من نجا من الصراط نجا ، لكن الذين يعذبون على الصراط ويتساقطون في النار أثناء الصراط إما أنهم لم يشربوا من حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومنعوا منه أو أنهم لا يعذبون بالظماً وهذا ليس بظاهر وهذا خلاف ،

المكتوب هنا خطأ سبق قلم في الجملة ،

الحوض بعد الصراط حجة من يقول ذلك أنه من شرب لم يظماً وهناك من يظماً على الصراط ،

لكن الصحيح أن الحوض قبل الصراط لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( ألا ليدادن أقوام عن حوضي فيؤخذون ذات الشمال ) فلو كان الحوض بعد الصراط لكانوا قد نجوا من النار فلا يؤخذون ذات الشمال والله أعلم وأعلم ،

ابن القيم يرجح أنه قبل وبعد وهذا ليس بظاهر ، لأن الحديث (تطلعون منه على أظماً ناهلة قط ) فيقول لو هم شربوا قبل الصراط إذا كيف يطلعون بعد الصراط عليه وهم ظمنا ويقول من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً ؟ الأدلة الظاهرة على أنه قبل الصراط ، والذين عذبوا على الصراط وتساقطوا في النار ممن لم يشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم ،

الصراط غير القنطرة ،

القنطرة التي بين الجنة والنار غير الصراط ، القنطرة بعد الصراط وهي خاصة بالمؤمنين ،

القنطرة يؤخذ حقوق بعضهم بعضاً هؤلاء المؤمنون الذين نجوا من النار يؤخذ الحقوق بينهم بالחסنات والسيئات من غير أن يدخلوا النار ،

حديث القنطرة اقتصر على حقوق كانت بينهم في الدنيا فإذا حقوا أذن لهم في دخول الجنة وهذه تنقية داخلية بين المؤمنين الكامل ، لدرجات مرتفعة أو منخفضة بالحسنات والسيئات لحقوق بين بعضهم البعض ،

أما الذين يلقون في النار في الأحاديث الأخرى فهي فيمن يدخل النار فمن نجا من الصراط نجا ، لأن الله قال { ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا } مرت ٧٢ إذا من نجا من الصراط نجا من النار من التقيين إطلاقاً ،

في الصحيح والله أعلم أن الحوض قبل الصراط وأما حوض النبي صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظماً بعدها أبداً مع أن هناك من يعذب على الصراط وتتساقط في النار أثناء المرور على الصراط فهو ممن لم يشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم ،

كما ذكرنا الحجة في أن الحوض قبل الصراط هو قول النبي صلى الله عليه وسلم فيؤخذ بهم ذات الشمال ، يؤخذ بهم إلى النار ، وفي الرواية الصحيحة ( فأقول أمي فأقول إلى أين فيقال إلى النار والله ) فمن سقط في النار ليس هذا ممن مر على الصراط إذا مر على الصراط نجا ،

الحساب يكون قبل ذلك ، هناك حساب آخر يكون بين المؤمنين الكامل لحقوق كانت بينهم ممن نجا على الصراط حساب خاص على القنطرة ، أما الحساب الآخر فيقضى بين الناس أو ما يقضى في القيامة ، أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة يقضى في الدماء وهذا الكلام قبل المرور على الصراط ولذلك من يؤخذ فيلقى في النار مباشرة والعياذ بالله ، ليس بعد أن ينجوا من الصراط يلقى في النار أحد ، من نجا من الصراط نجا ،

أما الصراط فهو طريق على ظهر جهنم أو على متن جهنم والمتن هو الظاهر أو بين ظهري جهنم وهذه الروايات التي وردت فيها كلها وهي بمعنى واحد ، بين ظهرانيها يعني على ظهرها ، يمر عليه الناس بأعمالهم وقد ورد في حديث أبي سعيد قال (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف ) متفق عليه ونسأل الله العافية ، يمر الناس عليه بأعمالهم فممنهم من يمر كالبرق وممنهم من يمر كالبصر وممنهم من يمر كالطير وممنهم من يمر كشد الرجال يعني كجري الرجال وممنهم من يمشي خطوة ويعطر خطوة وتلفحه النار خطوة وممنهم من تعلق رجل وتنحوا رجل إلى أن يأذن الله له بالنجاة وعلى الصراط كالليب أي خطاطيف من نار تحطف الناس بأعمالهم فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس على وجهه في نار جهنم ،

في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمر أولكم بالبرق قال أبو هريرة قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفه عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال كما ذكرنا جريهم تجري بهم أعمالهم ونيكم قائم على الصراط يقول ري سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً نسأل الله العافية ، تصور من يذحف على ما هو أحد من السيف لكن يرحوا النجاة على ذلك ، لأن النار أشد نسأل الله العافية ، وجهنم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يؤتي يوم القيامة بالنار لها سبعون ألف ذمام مع كل ذمام سبعون ألف ملك يجرونها ) رواه مسلم فكم طول الصراط إذا كانت الشمس والقمر في جهنم ثوران عقيران ، الشمس التي هي أضعاف الأرض كما يذكرون والله أعلم فإذا كانت هذه في النار والنار أكثر من الكرة الأرضية ومع ذلك فالناس يحتاجون إلى أن يبروا على ظهرها على ظهر جهنم ، قال ( وفي حافتي الصراط كالليب خطاطيف معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار ) رواه مسلم ناج مسلم هذا الذي يسلم أولاً دون أن يחדش وهناك من تחדشه الخطاطيف تجرحه ولكن لا توقعه من على الصراط وهناك من يكس على وجهه في نار جهنم ، قال والذي نفس أبو هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً ) رواه مسلم ، نسأل الله العافية ،

قال الله عز وجل { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } مرت ٧١

وقوله يمر أولكم كالبرق وقوله وأكون أنا وأمتي أو من يجيز دليل على أنه لا ينجوا من أهل الجنة أحد إلا بعد أن يمر على الصراط ، ( أكون أنا وأمتي ) إذا الرسول صلى الله عليه وسلم يمر على الصراط والأمة تمر على الصراط والأنبياء كذلك يبرون على الصراط وأممهم تمر (وأكون أنا وأمتي أول من يجيز ) أول من يمر ، فتبين بذلك ما ذكرنا معناه وهو أن لا ينجوا من أهل الجنة أحد إلا بعد أن يمر على الصراط ،

أن الصراط مضروب على النار أي فوقها ويمر الناس على الصراط على قدر تفاوتهم في الأعمال وهناك شفاعاة على الصراط وهي شفاعاة فيمن استحق أن يدخل النار ألا يدخلها ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ) متفق عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم وأمتة أول من يمر على الصراط وأما الكفار فإنهم يتساقطون في النار وإنما يمر على الصراط أهل الإسلام الموحدون من كل الأمم لأن الأنبياء أيضاً يبرون بأممهم لكن أمة الإسلام أول من يمر على الصراط وهم يتبعون الرب عز وجل

قال (فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط على ظهر جهنم ) متفق عليه

والفصل بين الناس يكون أولاً في أمر العبادة وتتبع كل أمة ما كانت تعبد فإن الصراط يضرب بعد أن يأتي الرب عز وجل للقضاء بين الناس والفصل بينهم ثم يبعث الله عز وجل منادياً ينادي للتبع كل أمة ما كانت تعبد ،

عن أبي سعيد الخدري ( أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صحوماً ليس معها سحاب أيصبكم ضرر تضارون وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوماً ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله ، قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ) متفق عليه الضبط الآخر لتضارون تضارون أي لا يصبكم ضرر أو مشقة، وفي القول الآخر هل تضامون أي تحتاجون إلى الضم ؟ والضبط الآخر هل تضامون يصيبكم ضيم بمعنى هل بعضكم يرى وبعضكم لا يرى فلا يكونون مستوين ، قال صلى الله عليه وسلم ( إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن للتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا تساقطون في النار ) رواه مسلم

في رواية الصحيحين ( يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ولك من يعبد الطواغيت كالأصنام وغيرها من طواغيت البشر وطواغيت الأحجار والأشجار والجن ،

قال صلى الله عليه وسلم ( فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى لم يبقى إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، من يعبد الله من المسلمين من بر من الأبرار وفاجر أي الفجرة والمنافقون ، وغير يعني بقايا أهل الكتاب الذين كانوا على التوحيد ، غير بقايا أهل الكتاب ، غير يعني يبقى أهل الكتاب ، قال فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون . ألا تردون للشرب يعني . فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فيها ،

اللفظة التي سبقت أنهم غير أهل الكتاب الذي كانوا على التوحيد لأن هذا المقصود في الحديث الآخر الذي فيه (إن الله نظر إلى أهل العرب فمقتهم عرهم وعجمهم إلا غير أهل الكتاب) يعني بقاياهم التي كانت على التوحيد ،

سبق في تفسير غير هنا على أنها بالقايا على التوحيد بل غير أهل الكتاب يعني من بقي من أهل الكتاب ، لأنهم ليسوا على التوحيد بنص الحديث ، ( يدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله ) صريح بأنهم مشركون قال ( ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبقى إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها . هذا بعد تميز الأمم وقد رأوه قبل ذلك قبل أن تميز الأمم حين كانوا مختلطين بالناس وذلك أن الصحيح أن أهل الموقف جميعاً لكن رؤية المؤمنين رؤية تكريم وشوق ورؤية الكفرة والمنافقين رؤية العبد الأبق لسيده الغاضب عليه لأن الحديث فيه ( هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال عنهم صلى الله عليه وسلم قال فيلقى أحدهم ربه فيقول أي قل ألم أزوجك ألم أسودك ألم أسخر لك الخير والإبل وأدرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ) وهذا في الكفرة وقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة عقب سؤالهم عن رؤية الناس ربهم فيلقى أحدهم ربه فدل ذلك على أنهم يرونه ثم يحجب عن الكفار وليست رؤية تنعيم ولذلك قال هنا ( يأتيهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها ) إذا كانت رؤية في العرصات حين كانوا مختلطين بالناس ، قال ( فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كان تعبد ، قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . يعني كنا في الدنيا فقراء إلى الناس محتاجين إليهم ومع ذلك لم نتبعهم لأجل أننا فارقناهم في الدين فكيف نتبعهم اليوم وهم يذهبون إلى النار يتوسلون إلى الله بمفارقة الناس في الدنيا مع الحاجة لأننا كنا غرباء يتوسلون إلى الله بأنهم كانوا محتاجين لمنافقة الناس لينالوا من الدنيا ومع ذلك خالفوهم في كل ما يخالف الدين فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثة حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بما فيقولون نعم فيكشف عن ساق . يعني قول الله عز وجل ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ { القلم ٤٢ } ، ساق الرب عز وجل وهذا فيه شدة أمر العظيم ليس أن الشدة والأمر العظيم تنافي إثبات الصفة . قال فيكشف عن ساق وفي رواية البخاري فيكشف الله عن ساقه قال فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة . هذا دليل على أنهم بعد السجود يرفعون رؤوسهم فيرون ربه في صورة هي الصورة التي رأوه فيها أول مرة التي هي في أرض المحشر فدل ذلك أنهم يرونه في القيامة ثلاث مرات على صورتين . فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون . أي الرسل . اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال ضحذ مذلة

ضحذ : تضحذ فيه الأقدام

مذلة: تذل فيه الأقدام ، تأكيد معنوي ، يعني هو أدق من الشعرة وأحد من السيف وأيضاً ضحذ مذلة ، قال فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد

حسك : شجرة شوك بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، وفي الرواية الأخرى غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل وكالركاب فناج مسلم ومخدوش ومرسل ومكدوس في نار جهنم ، هذا المرور على نار جهنم هو المرور المذكور في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ مريم ٧١ ويحتمل أنهم يدخلون في وسط النار لأن المرور عليها يحصل منه الدخول في بجانها ولكن تكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، هذا محاولة الجمع بين القولين ،

هل المرور الورود أم الورود الدخول ؟

نقول يحتمل أنه بذلك دخلوا وسط النار لأن المرور عليها يحصل منه الدخول ، ولذلك فكلام العلماء في الورود إما المرور عليها أو الدخول وهي باردة بالنسبة للمؤمنين ، كما كانت على إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، وهما في الحقيقة غير متعارضين ، المؤمنون إذا مروا عليها وجدوها باردة فإن الإنسان لو مر على نار فإنه يتعرض لها وتلفحه فكيف بنار جهنم التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم ( يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ) فهي هائلة جداً فمجرد المرور عليها عذاب إلا من يسره الله ،

وكذلك من يمر على الصراط فأحدهم بطأ الجمرة من النار حتى يقول حس فيقول أوئلة ، في حديث لقيط ابن عامر ،

فهناك عذاب على الصراط وهناك من ينجوا وهناك من يخذش وهناك من يقع في النار بسبب الأعمال نسأل الله العافية

البعض يسأل يقول قلت أن النار ليست في السماء فما الدليل على ذلك ؟

الجواب : قول النبي عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبيدي في سجين في الأرض السفلى ، أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى مناظر في النار ليس فيها أنه رآها في السماء ،

هو صلى الله عليه وسلم حتى لو ثبت في المعراج فإنه ينظر إليها من بعد ويرى من فيها ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٦٠ - الإيمان بالميزان

من أمور الاعتقاد في اليوم الآخر من أمور الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان ،

قال الله عز وجل ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ الانبياء ٤٧ موازين ، لكل واحد ميزان يوزن به فقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ النساء ٤٠ مثقال ثقل ذرة والذرة هي حبة الغبار التي ترى في الضوء أو أن الذرة هي النملة الصغيرة ، وهذا يدل على أن أعمال العباد توزن ،

هذا الميزان يوزن به الحسنات والسيئات وهو يختلف عن موازين الناس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة قال اقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ الكهف ١٠٥ ) متفق على صحته ،

وهناك من لا يزن عند الله جناح بعوضة مع ثقل وزنه في الدنيا ، كان عظيماً سمياً كان ذا جاه ومنزلة ومع ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة ، هناك من لا يزن عند الله جناح بعوضة مع ثقل وزنه في الدنيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما ضحك بعض أصحابه من دقة ساقى عبد الله ابن مسعود ( قال مما تضحكون قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه قال والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد ) حسنه الألباني ،

أما الشيء الذي يوزن ففي ذلك ثلاثة أقوال لأهل العلم والحقيقة أنها كلها صحيحة يعني لا تعارض بينها وكل قد دل عليه الدليل فهي كلها ثابتة ،

## القول الأول أو الشيء الأول الذي يوزن

العمل أو ثواب العمل ، إما أن العمل نفسه يأتي في صورة محسوسة أو ثوابه يأتي في صورة محسوسة تصلح لذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ) رواه البخاري فالكلمات ترون والعمل يوزن قال الله عز وجل { اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } النساء ٤٠ أي من عمل صالح ،

## القول الثاني أو الشيء الثاني الذي يوضع في الميزان

الشخص نفسه كما ذكرنا { فَالَّذِينَ هُمْ يُؤْمِنُ الْقِيَامَةَ وَرَأَى } الكهف ١٠٥ وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ( إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن . هو نفسه لا يزن . لا يزن عند الله جناح بعوضة )

وحديث ابن مسعود أن ساقيه أثقل عند الله في الميزان من جبل أحد ، ( والذي نفسي بيده لساقاه أثقل في الميزان من أحد ) رواه احمد وقال شعيب الارنؤط صحيح لغيره

## القول الثالث أو الشيء الذي يوزن

كتاب الأعمال يوضع في كفة الإنسان كما ذكرنا حديث البطاقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( يصاح برجل من أمي يوم القيامة على رؤوس الخلائق وينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول الله عز وجل هل تنكر من هذا شيئاً - يعني تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب كتب فيها ذنوبه كل سجل منها ممتد إلى امتداد بصر الإنسان - ثم يقول الله عز وجل هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول لا يا رب فيقول أظلمت كنياتي الحافظون فيقول لا ثم يقول ألك عن ذلك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى أن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله قال فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء ) الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وصححه الألباني ،

إن قيل هذه بطاقة مع كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وقد ثبت في الأحاديث المتواترة بدخول بعض عصاة الموحدين النار ثم خروجهم منها خلافاً لبعض أهل البدع والضلال الذنادقة المكذبين للأحاديث الذي يظهرون في بعض الفضائيات ممن يكذبون البخاري ومسلم وينكرون دخول عصاة الموحدين النار وغيرهم ممن يدين بدين الخوارج والمعتزلة القائلين بأن من دخل النار خلد فيها ، نقول أنه ثبت في الأحاديث المتواترة بدخول بعض عصاة الموحدين النار ثم خروجهم منها ، قيل هذا الرجل قالها بإخلاص ويقين تامين ثم مات على ذلك فرجحت الشهادة كل سيئاته فنقول بإخلاص تام ويقين تام فهذا مستلزم للتوبة من الذنوب ، لما نقول هذا الرجل بإخلاص تام ويقين تام فقولنا بإخلاص تام ويقين تام ومات على ذلك مقتض ومستلزم بالتوبة من الذنوب الماضية إجمالاً ، لماذا قلنا إجمالاً لأننا لو قلنا تفصيلاً لبقيت ذنوباً ، ولذلك كانت توبة إجمالية ، ولذلك بقيت الذنوب مكتوبة لكن ظهر أثر هذه التوبة عند الميزان ، خفت السجلات وطاشت وثقلت كلمة لا إله إلا الله ، مع أن ممن يقولها يخف لإيمانه بالعمل ، ومن خف ميزانه دخل النار ، يعني تاب ذنوب لم يعلمها وتاب ذنوب لم يحفظها فاستغفر الله منها أو تاب إلى الله توبة إجمالية وهذا هو الإخلاص ، نوى أن يعبد الله بكل ما يقدر عليه بعد ذلك ومات على ذلك ،

بقيت الذنوب مكتوبة لأنه لم يتب توبة تفصيلية منها فظهر أثر التوبة عند الميزان ، يعني لماذا رآها مكتوبة ؟ لأنه لم يفصل فيها ولكن التوبة الإجمالية هذه نافعة ؟ نعم لكن سيظهر أثرها عند الميزان مثل ما أنت إجمالية متأخرة ، ولو هو يتابع نفسه وكل ذنب يتوب بعد مباشرة لكان ذلك يحى مباشرة لكنه أخر التوبة فيظهر أثر التوبة متأخراً ، يعني أثر التوبة هذه لم يظهر أول ما يجد نفسه في عرصات القيامة بل سيخرج له تسعة وتسعين سجل ، يكون خائف منها ، من تاب إلى الله كل ما أذنب تاب محيت ونظر الملك قبل أن يسجل ذلك إذا تاب الإنسان بسرعة ويادر إلى التوبة لم يكتب الملك أو محي من صحيفته ذلك ،

وهناك قول آخر في هذا الحديث أنه بيدل مكان السيئات حسنات ، كما قال الله تعالى { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } الفرقان ٧٠ أو عندما يعرض كتابه تمحي السيئات بعد أن يقرر بها ، يعني يريد أن يقول كل واحد منا حتى لو كان مباشرة تكتب عليه سيئة ثم بعد ذلك حتى يسوء له ذلك تكتب له سيئة حتى يسوءه عملها وبعد ذلك تبدل حسنة فيفرج ، يعني يعرض أولاً على الله عز وجل وتعرض عليه سيئاته ثم بعد ذلك تبدل حسنات ، فيقول أنه لا تمحي نهائياً ولكن يظهر أثر التوبة بعد أن يعرض على الله عز وجل ثم يأمر الله أن تبدل سيئاته حسنات فعند ذلك يظهر أثر التوبة ،

نعم ( بلى إن لك عندنا حسنات ) أو حسنة كلاهما صحيح ، فإن حسنة تقوم مقام الحسنات الحسنة بعشر حسنات ،

العرض قبل أخذ الكتب ، يعرض على الله ثم إذا بدلت سيئاته حسنات أخذ كتابه بيمينه فيقول لأصحابه { هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ } الحاقة ١٩ فإنما يلقي كتابه بيمينه بعد أن تبدل السيئات حسنات ، أو عندما يعرض كتابه تمحي السيئات بعد أن يقرر بها ثم توضع الحسنات فمآل الأمر إلى التبديل فهي مراحل مختلفة في وقت يراها سيئات ثم بعد ذلك تكون

حسنات فقد غفر الله لهذا الرجل لكن أثر المغفرة ظهر عند الميزان، وأناس آخرين سيظهر أثر المغفرة قبل أخذ الكتاب يغفرها الله له وتبدل حسنات ثم يعطى كتابه بيمينه ، ثم يوضع هذا الكتاب بعد ذلك في الميزان ، حسب سرعة التوبة وقد التوبة وحسن التوبة يظهر أثرها يوم القيامة وإلا فالسيئات تسوء الإنسان ،

أثر حسن الظن بالله

أثر حسن الظن بالله ممن لم يعمل خير واستحق دخول النار ولكن كان عنده حسن ظن بالله يظهر في آخر لحظة ، في أثر الإيمان الضعيف متى يظهر أثره ؟ عند بعض الناس بعد ما يدخل الناس النار ، ظهور أثر الحسنات متفاوت على حسب قوة هذه الحسنات فالإيمان الكامل يظهر أثره منذ دخول الإنسان قبره وعند خروجه من قبره وفي عرصات القيامة وعند ورود الحوض وهناك من ضعف إيمانه فلا يظهر إلا بعد أن يدخل النار وهناك من يظهر أثر إيمانه وتوبته لأنه بادر إليها فيظهر أثرها مبادر يظهر أثرها سريعاً يعرض عليه فقط أثناء عرضه على الله عز وجل ثم يبشره الله وليس بينه وبينه ترجمان بأي قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتابه بيمينه ، ومنهم من ينحوا قبل آخر لحظة الذي يقول بعد أن يأمر الله عز وجل به إلى النار فيقول ما كنت أظن ذلك بك فيقول الله عز وجل اذهبوا به إلى الجنة ، هذا حسن ظن ولكن حسن ظن كان ضعيفاً لم يكن قوي إلى درجة يمنع أن يعرض للخطر هذا ، ويكفي والله هذا الموقف أنه يؤمر به إلى النار بل والله يكفي أن يظن أنه قد هلك في ساعة العرض والله العظيم إن هذا لبلاء عظيم ، يعني تخيل أنه واقف بين يدي الرب سبحانه وتعالى ويعرض الله عليه سيئاته حتى يظن أنه قد هلك في لحظة الرب هذه هائلة أن تعرض عليه سيئاته ويقول أنا دخلت النار ، ولا يسمع من الله إذهبوا به إلى النار لكن سيقع في قلبه أنه ذاهب إلى النار ، الدنيا قصيرة جداً لكن أثرها خطير جداً لذلك إذا بادرت بالتوبة ظهر أثر هذه التوبة سريعاً في الآخرة وإذا سوفتها ظهر أثرها مؤخراً وعلى درجات والبعض كما ذكرنا يأتيه أثر إيمانه وهو في النار ، عندما يأذن الله عز وجل لأهل الشفاعة بأن يخرجوا عصاة الموحدين من النار فيقول أخرجوا من قد عرفتم ، يعرفونهم بماذا ؟ يعرفونهم بالصلاة بأثر السجود ، إذا هذه الصلاة متى ظهر أثرها ، عند أول نوعية تخرج من النار ، وبعد ذلك يقول أخرجوا من كان فيه قلبه مثقال دينار ثم مثقال نصف دينار ثم مثقال ربع دينار ثم مثقال ذرة فإذا أثر الإيمان يتفاوت حسب قوة هذا الإيمان وأثر التوبة كذلك ، هذا الرجل الذي ظهر أثر إيمانه وتوبته عند الميزان ولم يظهر قبل ذلك أنه ظن أنه هلك فعلاً ، إذا الذي يظهر عندما عرض على الله عز وجل وعندما أخذ كتابه لأن كتابه موجود وكتب السيئات أخذها وإذا وضعت في كفة السيئات نسأل الله العافية ، والحسنة ظهر أثرها، حسنة لا إله إلا الله ظهر أثرها عند الميزان ، وهناك من يظهر أثر إيمانه عند الصراط لأنه يكاد أن يقع فعمله ينجيه تجري بهم أعمالهم فنسأل الله العافية،

هي مراحل مختلفة بالنسبة للسيئات في وقت يراها سيئات ثم بعد ذلك تكون حسنات ، وقد غفر الله لهذا الرجل لكن أثر المغفرة ظهر عند الميزان ومادامت السيئات قد كسبت فلم تمحى بمعنى أنها لا تزول بالكلية فلا بد أن يسأل عنها وعن كل شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه . يارب ارحمنا يا رب ، لحظات العمر سوف يسأل الإنسان عنها - حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه ) رواه الترمذي والداري وصححه الألباني ، وفي رواية ( لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه فيما عمل فيه ) رواه الطبراني في المعجم والبيهقي في الشعب وصححه الألباني ، ماذ عمل في علمه فالإنسان يسأل عن كل التفاصيل حتى عن الطينة يفتها بإصبعه هذه ورد فيها أثر ، ثم مآل الأمر بعد ذلك بمغفرة للسيئات التي تاب الإنسان الله منها نسأل الله أن يتوب علينا ،

فالميزان توضع فيه أعمال الناس { فَأَمَّا مَنْ تَفَلَّتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةُ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) } القارعه ٦

قال ابن عباس من رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار ، يقول أي استحق دخولها ،

ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف وأن مآله إلى الجنة ،

لماذا قلنا تفسير دخل النار . استحق دخولها . ؟



لأن هناك شفاعاة على الصراط ،هناك من استحق أن يقع فيدعوا الرسل اللهم سلم سلم وهو لم ينجوا بعمله ، من نجا بعمله نجا ، ولكن من كان يمكن أن يقع فدعت الرسل اللهم سلم سلم فتقبل الله شفاعتهم فسلم سلم ليس بعمل ولكن شفاعاة ، دل ذلك على أنه كان ميزانه أخف ولا يلزم دخوله النار بعينه لكن يلزم دخول طائفة ، لأن الأحاديث والأخبار لا يمكن أن تخلف ، الأحاديث المتواترة بخروج عصاة الموحدين من النار إذا قد دخلوها فيلزم من ذلك دخول عصاة الموحدين النار ،

من تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف كما ورد ذلك في تفسير أصحاب الأعراف بعد أن ينجوا المسلمون من النار بمرورهم على الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار يقتض منهم لحقوق كانت بينهم فيقتض بعضهم من بعض حتى هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، هذه حسنة كبيرة وقد يعوض ربنا عز وجل المظلومين من عنده سبحانه وتعالى ، يعني لهم حسنات كبيرة يؤخذ من بعضهم لبعض هي حسنات لم تؤدي إلى دخولهم النار ، كانت حسناتهم أكبر ونجوا من على الصراط ووقفوا على القنطرة لموازنت في منازلهم في حقوق بين المؤمنين بعضهم بعضاً إنما يقتضون بالحسنات والسيئات،

وتطائر الكتب يكون بعد العرض ،العرض على الله عز وجل ، قال الله تعالى { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةَ { الحاقه ١٨

العرض قد قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل من نوقش الحساب عذب فقالت (له عائشة رضي الله عنه وقالت له إحدى أزواجه فما قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُجَاسَبُ جِسَابًا يَسِيرًا { الانشقاق ٨ فقال إنما ذلك العرض) كما قال عليه الصلاة والسلام ( وما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم - أشأم يعني أيسر - وينظر أمامه فلا يرى إلا النار اتقوا النار ولو بشق تمرة )

قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةَ { الحاقه ١٩ فإذا نودي عليه ونال كتابه بيمينه قال للناس اقرأوا كتابية ،

هؤلء يعني ها أنا ذا أو قريباً من ذلك، هؤلء اقرأوا كتابيه ،لما اطمن أن كتابه فيه الحسنات ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمر لما سئل عن النجوى فقال ( يدي الرب عبده فيلقي عليه كنفه . اي ستره . فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك يقول الله عز وجل له فياني قد سترتها عليك في الدنيا وإني سأغفرها لك اليوم ) متفق عليه فعند ذلك يلقى كتابه ويؤتى كتابه بيمينه فيذهب إلى أصحابه الذين لم يعضوا فيقول هؤلء اقرأوا كتابيه إني ظننت . أي أيقنت . أي ملاق حسابية ، كان موقناً بالحساب إني ظننت أي ملاق حسابة فهو في عيشة راضية ، وصف العيشة بأنها راضية ليس هو فقط أنه راضي بل يدل على أن الأشياء التي حوله تحبه فهو في علاقة عظيمة بينه وبين الكائنات التي حوله حتى الجمادات ، الكون كله يحبه فهو راض عنه وهو راض عنه ما حوله ، فهو في عيشة راضية يكون بالأولى هو راض عنها ، إذا كان الذي هو أقل إدراكاً منه راض عنه فكيف بإدراكه هو ؟ هو أعظم رضاءً ، { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ { الحاقه ٢٤ وقال عز وجل { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُجَاسَبُ جِسَابًا يَسِيرًا { الانشقاق ٧ وذلك هو العرض { وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا { والعرض عرض الحسنات والسيئات تعرض عليه أعماله فيما بينه وبين الله تعالى يقال له ألم تعمل كذا يوم كذا أم تعمل كذا فيقول بلى فيقول الله عز وجل أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، اللهم اغفر لنا يا رب واسترنا في الدنيا والآخرة ، ثم يعطى صحيفة حسناته قد محيت منها السيئات وقال عز وجل { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةَ { الحاقه ٢٥ وهو يؤتى كتابه بشماله من ورائه ظهره تلوى يده الشمال حتى يأخذ كتابه من وراء ظهره ، قال عز وجل { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا { الانشقاق ١٣ سوف يدعوا بالويل على نفسه والهلاك يتمنى لو هلك يدعوا بهلاك يقولوا واثبورا { وَيَصْلَى سَعِيرًا { الانشقاق ١٢ يحرق بالنار ، { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا { إنه كان متكبراً معجب بنفسه مسروراً بنفسه راض عن أفعاله الخبيثة { إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ { ظن أن لن يرجع ليقف بين يدي الله فيدعوا على نفسه بهلاك يقول يا ويله يا هلاكه فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وتلوى يده كي يأخذه ، سمي أصحاب الشمال بذلك لأنهم يؤخذ بهم ذات الشمال أي في أرض المحشر ويؤخذ بهم إلى النار كما في الحديث ( ألا وإنه ليحاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال) متفق عليه ولأنهم يؤتون كتبهم بشمالهم فأما أهل اليمين فيأتون كتبهم بأيمنهم ويؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ،

الشفاعة

الشفاعة من الأمور التي يلزم اعتقادها ضمن الإيمان باليوم الآخر والشفاعة حق ثبتت بالكتاب والسنة منكرها بالكلية كافر إذا قال لا شفاعاة بالكلية بخلاف من ينكر بعض الأنواع ،

الشفاعة أنواع بعضها قبل الصراط وبعضها على الصراط وبعضها بعد الصراط ،

منكر الشفاعاة بالكلية كافر لإنكاره ما ثبت في الشفاعاة الشرعية بالقرآن قال الله عز وجل { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ { البقرة ٢٥٥ فلا بد من إثبات الشفاعاة التي تكون بإذن الله ، وأصل الشفع لغة الزوج وذلك أن من طلب شيئاً يذهب إلى من له نفس طلبه ليصير طلباً مزدوجاً فالناس يذهبون يوم القيامة إلى من يشفع لهم أي يطلب نفس

طلبهم فيكون طلباً مزدوجاً ، وحقيقة الأمر أن الله عز وجل هو الذي يتفضل ويغفر ، تفضل على أهل التوحيد والإخلاص ويغفر لهم عن طريق دعاء من أذن له أن يشفع عنده ليكرمهم بذلك وينال المقام المحمود ، فهي تكرمه للشافع ومغفرة للمشفوع فيه برحمة الله تعالى وإذنه

#### أنواع الشفاعة

منها الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهي الشفاعة في الإراحة من هول الموقف وهي التي يتراجع عنها الأنبياء واحداً بعد واحد ، آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا لها أنا لها ، ثم يشفع صلى الله عليه وسلم إلى أن يأتي الله عز وجل ليفصل بين عباده ويريحهم من هول الموقف ، وهم واقفون في أرض المحشر مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم في حر شمس دانية من الرؤوس قدر ميل إلا من كان في ظل الله عز وجل فهم يحتاجون أن يفصل الله بينهم حتى يمروا بعد ذلك على الصراط وتوزن أعمالهم ويؤتوا كتبهم

#### الشفاعة باستفتاح باب الجنة

والشفاعة باستفتاح باب الجنة أيضاً من الشفاعة الخاصة للنبي صلى الله عليه وسلم فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم ويأخذ بحلقة باب الجنة ويسأله الخازن من أنت قال صلى الله عليه وسلم ( فأقول محمد فيقول بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك ) رواه مسلم ،

فهو أول من يستفتح باب الجنة فيذهب أولاً فيسجد تحت العرش فيقول الله عز وجل يا محمد ارفع رأسك سل تعطى واشفع تشفع قال فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب ، فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . وهذا واضح في أنه في الشفاعة في استجباب باب الجنة ويتراجع عنها أولوا العزم من الرسل أيضاً يتراجع عنها آدم ثم باقي أولوا العزم ثم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، يقولون استفتح لنا باب الجنة فيقول اذهبوا إلى غيري يقول آدم وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ثم إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الشفاعة أيضاً من المقام المحمود الذي يتراجع عنه كل الناس حتى الأنبياء وهذا الحديث متضمن أيضاً بشفاعة في دخول أقوام من الأمة الجنة بغير حساب ولا عذاب وهو النوع الثالث من الشفاعة يدخلون من الباب الأيمن لا يدخل غيرهم وهم شركاء الناس في باقي الأبواب الثمانية وهي للنبي صلى الله عليه وسلم ( أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ) متفق عليه واضح من الحديث أنه لا يشاركهم فيه أحد لأنه قال ( وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ) هؤلاء الأقوام صفتهم أنهم لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى رحم يتوكلون ( كما ثبت في الحديث الصحيح

#### الشفاعة في الإراحة من هو الموقف قبل الصراط

#### الشفاعة في استفتاح باب الجنة بعد الصراط

#### الشفاعة في دخول أقوام من الأمة الجنة بغير حساب ولا عذاب بعد الصراط ،

#### منها من أنواع الشفاعة الثابتة على الصراط ،

وهي الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم عند ذكر المرور على الصراط ولا يتكلم يومئذ إلا الرسول ودعوى الرسول يومئذ اللهم سلم سلم وهذه الشفاعة لمن استحق دخول النار ألا يدخلها لأنه لو كان ينحوا من غير هذه الشفاعة أي بحسناته التي رجحت لنجا لكنها لم ترجح فاستحق دخول النار وإنما ينحوا بدعاء الرسول يا رب سلم سلم فيسلم بدلاً من أن يقع ،

#### النوع الخامس

#### الشفاعة في خروج عصاة الموحدين من النار ،

وهي للأنبياء والملائكة والمؤمنين والصالحين ، هذه التي أنكرها المعتزلة والخوارج والمرجئة أيضاً لأنهم متفقون على تناقضهم في أن من دخل النار لا يخرج منها ، المرجئة يقولون عصاة الموحدين لا يدخلوا النار أصلاً لا يضر عندهم مع الإيمان ذنب ولذلك دخلوا الجنة لأول وهلة وهذا قول باطل

وأما الخوارج والمعتزلة فيقولون بتخليد العصاة في النار فهذا القسم الذي أنكره أهل البدع غالباً

فهو للأنبياء والملائكة والمؤمنين والصالحين ، ثم يخرج أرحم الراحمين أقواماً من النار ويدخلهم الجنة بغير عمل علموه ولا خير قدموه ممن يقول لا إله إلا الله ، فالأحاديث في هذا متواترة والذي ينكرها ضال مضل ،

وثبت في الصحيح قال فيخرج من النار أقواماً لم يعلموا خيراً قط ، فيدخلهم الله الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل علموه ولا خير قدموه ،

ثم هناك شفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة كما قال عز وجل { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } الطور ٢١ أي ما أنقصناهم من عملهم من شيء ، ورد في تفسيرها أن المؤمن يقول يا رب أين أمي أين أبي أين إخوتي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فقول يا رب كنت أعمل لي ولهم فيرفع الأدنى إلى الأعلى فيجعلون معاً وكما أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه في الجنة وعملهم ليس كعمله قطعاً فيرفع الأدنى إلى الأعلى وإن لم يلزم أن يكون في القرب سواء بل يظل المقرب مقرباً لأن أنوا النعيم لا تخطر على ذهننا فذاك أنواع لا يدري البشر كيفيتها ولم يسمعوا عنها فضلاً عن رؤيتها ،

وهناك شفاعة وردت في حق أبي طالب لا ندري أهى خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم في أبي طالب كما قال بذلك بعض العلماء أم هي لغيره ،

قد وردت في ذلك بعض الآثار الموقوفة في التخفيف من عذاب بعض الكفار دون الخروج من النار لذلك نتوقف لأن الآثار الموقوفة لا تصلح أن تكون دليلاً مستقلاً لكن التخصيص لا بد له من دليل أصرح مما ورد ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذاباً أبوا طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ، وهو أهون أهل النار عذاباً ،

الآثار الدالة على التخفيف أن العباس سأل النبي صلى الله عليه وسلم إن أبا طالب كان يحوطك ويمنعك هل نفعته بشيء فيقول نعم جعلته في دحضاح من نار دحضاح هو الماء الرقيق غير العميق ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٦٢- الإيمان بعذاب القبر ونيمة

الإيمان بعذاب القبر ونيمة ، الله المستعان ، نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار ونعوذ بالله من عذاب القبر ،

في المسألة الثانية من مسائل اليوم الآخر ، الإيمان بعذاب القبر ونيمة ،

بعد سؤال الملكين ، وحياة القبر هي فترة البرزخ ، البرزخ بين الدنيا والآخرة ، والوجود في القبر هو الغالب في تلك الفترة يعني المقصود بعذاب القبر لا يلزم أن يكون قبر ، يعني لو واحد أكلته السباع أو غرق في البحر ،

لذلك نقول لو أن إنساناً أكلته السباع أو حرق وذر في البر والبحر أو غرق في الماء فهذا أيضاً يناله النعيم والعذاب فكلمة القبر المقصود بها الأغلب من حال الناس في البرزخ لكن لو كان في غير قبر فهو يناله من النعيم والعذاب أيضاً ما شاء الله بعد سؤال الملكين له من ربك وما دينك وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم

وقد استفاضت الأحاديث في ذلك بل لو قلنا تواترت صح ذلك ، العبارة الأصح نقول تواترت ، الصحيح فقط منها عن أكثر من بضع وثلاثين صحابياً غير الأحاديث الضعيفة ، يعني ثابت عن أكثر من ثلاثين صحابياً إثبات عذاب القبر وعند الجمع أكثر تكون أكثر من ذلك ، ولو جمعنا الضعيف أيضاً كطريقة العلماء في عد المتواتر يجمعون الصحيح مع الضعيف كما في الإسراء والمعراج جمع كل الطرق الصحيحة والضعيفة ، فيكون أكثر من ذلك العدد ،

وذلك من علم هذه الأحاديث قامت عليه الحجة ومن لم يعلمها فهو مقصر في طلب العلم إن أنكر عذاب القبر فهو ضال مبتدع ، لكن إن أنكره بعد العلم بالأدلة القطعية فهو كافر ، وهذا الأمر حسب انتشار العلم به زماناً ومكاناً

لكن عامة العلماء في إنكار عذاب القبر على طريقة المعتزلة فيه التبديع إلا بعد إقامة الحجة ،

قال الله عز وجل { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } إبراهيم ٢٧ وثبت أن ذلك في سؤال القبر كما ثبت في الآية الكريمة ،

عن البراء ابن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } قال نزلت في عذاب القبر ويقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } ) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجة ،

القول الثابت هو لا إله إلا الله ثبت الله المؤمن عليه في الحياة الدنيا وثبته عليه في الآخرة والقبر أول منازل الآخرة فهو إذا سئل عن لا إله إلا الله محمد رسول الله قال ذلك في القبر فهذا التثبيت في الآخرة وكذلك يقال للناس يوم القيامة ماذا كنتم تعبدون ماذا أحببتهم المرسلين فثبت الله الذين آمنوا في القول الثابت في الآخرة أيضاً ويضل الله الظالمين أي الكافرين والمنافقين في هذه الآية ، فهذا الذي يقول ها ها لا أدري وكذلك يوم القيامة يضلهم الله فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله وكنا نعبد عزيز ابن الله وكانوا يعبدون الطواغيت فيتساقطون في النار ، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ونعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون ،

وقال عز وجل { بِمَا خَطِئْتُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } نوح ٢٥ أغرقوا فادخلوا ناراً ، قال ابن كثير رحمه الله أدخلت أرواحهم النار في البرزخ ثم يوم القيامة تسلك الأرواح في الأجساد ثم تدخل في نار جهنم والعياذ بالله نعوذ بالله من النار ، ظاهر هذه الآية أن إثبات القبر في السور المكية لكن للكفار ، السور المكية تضمنت إثبات عذاب القبر ولكن كان في الكفار

ولذا لما قيل هل عذاب القبر ثابت في السنة أم ثابت بالكتاب والسنة ؟

هو ثابت في الكتاب والسنة لكن في الكتاب عذاب الكفار فقط وأما بالنسبة لفتنة المؤمن وعذاب بعض المسلمين فهو ثابت في السنة فقط ، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قالت اليهودية لعائشة رضي الله عنها أعاذك الله من عذاب القبر فارتاع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ( إنما تعذب يهود ثم قال لعائشة أما شعرت أنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم نحواً أو قريباً من فتنة الدجال ) رواه البخاري فدل ذلك على أن الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأمة تفتن في قبورها كان متأخراً ، وأما ما كان قبل ذلك فهو من أدلة عذاب الكفار والله أعلى وأعلم ،

وقال عز وجل عن آل فرعون { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } غافر ٤٦ نعوذ بالله ، ومن عذابهم قبل يوم القيامة النار يعرضون عليها أول النهار وآخره ،

ومن الأدلة من القرآن أيضاً قال الله عز وجل { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } الانعام ٩٣ اليوم تجزون عذاب الهون وهي من أصرح الأدلة في أن عذابهم من يوم موتهم وباسطوا أيديهم أي بالضرب ، فالملائكة تضربهم حين خروج أرواحهم

وكذا قوله عز وجل { وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْذَابُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } الانفال ٥٠ فهم يذوقون عذاب الحريق من ساعة احتضارهم من يوم موتهم نعوذ بالله من ذلك ،

ومن الأدلة على حياة البرزخ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من عذاب القبر حين قال تعوذوا بالله من عذاب القبر ، نعوذ بالله من عذاب القبر ، هذا الحديث تواتر عن جماعة من الصحابة قولاً وفعلًا ، أعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من عذاب القبر ويأمر بذلك ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا تشهد قال ( اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة الحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال ) متفق على صحته ،

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بقرين فقال ( إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما - وفي الرواية الأخرى بلى إنه لكبير- أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ) متفق عليه

وذكر صلى الله عليه وسلم في حديث البراء ابن عازب أن المؤمن في قبره يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من نعيمها وأن الكافر يفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ،

عن البراء ابن عازب قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا من القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأننا على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض - يعني جلسوا صامتين - فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال استعبدوا بالله من عذاب القبر - نعوذ بالله من عذاب القبر

- مرتين أو ثلاثة - نعوذ بالله من عذاب القبر نعوذ بالله من عذاب القبر - ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة - انقطع من الدنيا في آخر دنياه وإقبال من الآخرة لأنه يقبل على البرزخ وهو أول منازل الآخرة - قال نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس - يعني من النور الذي فيها - معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة - الحنوط هو الطيب الذي يوضع للميت وهذا دليل على أن الروح تكفن وتحنط كما تنحط أهل الإسلام البدن ويكفنونه - قال صلى الله عليه وسلم نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء - يعني بسهولة ويسر كما تسقط حبة الماء من فم القرية - فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملك من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - يعني كل الألقاب الحسنة التي كان يسمى بها يقال عنه - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبيدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض - عليين من العلو وهو في أعلى الجنان يكتب اسمه في أسماء أهل الجنة وتعاد روحه إلى الأرض - قال فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ولا يلزم من ذلك بقاء الروح في الأرض فإنه بعد أن تعود يفتح لها باب إلى الجنة يمكن أن تدخل الجنة بعد ذلك ولذا لا تعارض بين هذا وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم ( نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ) رواه ابن ماجه والنسائي وصححه الألباني الروح لها أحوال وانتقالات إن كانت حرة - قال صلى الله عليه وسلم فتعاد روحه في جسده - يعني باتصال آخر غير الاتصال التي كانت عليه في الحياة وذلك بعد أن تدفن الجنازة فحين كانت الجنازة تعد كانت هناك جنازة للروح في السماء يشيعه من كل سماء مقربوها ثم تعاد روحه إلى الأرض في جسده الذي صار في قبره تتصل به اتصالاً خاصاً أشبه ما يكون بالاتصال عند النوم لكن ليس مثله بكيفية لا نعلمها لكن لما كان النوم أخو الموت وهو موت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ( الحمد لله الذي أحياي بعد ما أماتني وإليه النشور ) رواه احمد وصححه الأرئوط فذكرنا هذه التشبيه للتقريب لا للتكيف ، ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقول له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي منادي من السماء أن صدق عبيدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها - من راحتها ونعيمها - فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيئ بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ،

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح - ثياب سوداء - فيجلسون منه مد البصر ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب - نعوذ بالله - فتفرق في جسده - تفرق تفزع وتفرق في جسده تحرب - فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول - السفود الشوك أو الخطاف الذي يعلق فيه اللحم - كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح يخرج منها كأتان ريح حيفة وجدت على ظهر الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملك من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم { لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } الاعراف ٤٠ فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى - نعوذ بالله - فتطرح روح طرحة ثم قرأ { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } الحج ٣١ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ها ها لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول ها ها لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول ها ها لا أدري فينادي منادي من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها - السموم هي الريح الساخنة - ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه - تختلف الأضلاع تصبح اليمين شمال والشمال يمين ، والأضلاع متباعدة أصلاً لو أن إنسان ضم حتى تلاصقت الضلوع تكسرت وتكسرت عظامه فتخيل أنه يضيق صدره حتى تختلف الأضلاع ويشعر هو باختلاف الأضلاع - ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيئ بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول ربي لا تقم الساعة - نسأل الله العافية من شكل في عذاب القبر ونعيمه أو جعله مما لا فائدة فيه ويقول لماذا نتكلم في مسائل ليس ورائها عمل ؟ نعوذ بالله من الضلال وأي عمل أهم من عمل القلب وأي قول أهم من الاعتقاد الصحيح ، من شك في عذاب القبر ونعيمه أو أن الكلام فيه لا ينبغي فهو ضال ولو أقيمت عليه الحجة وأصر بعد قيامها عليه فهو كافر لكن هذه المسائل مما يجهلها كثير من المسلمين فلا بد من إقامة الحجة ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الإيمان بأشراط الساعة علامات الساعة أي علامات قربها ، علامات القيامة وهناك أشراط قد حدثت ومضت وأخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم لأننا في آخر الزمان منذ بعث عليه الصلاة والسلام ، بل في آخر الزمان قبل ذلك ، في حديث داوود وحديث آدم وعرض ذريته عليه أنه سأل عن داوود فقيل له هذا رجل في آخر الزمان من ذريتك يقال له داوود

فمن أيام سيدنا داوود ونحن في آخر الزمان ، والأمر نسبي وهو بالنسبة فعلاً إلى ما اكتشف من آثار إنسانية منذ ما يذكرون من سبعمائة وخمسين سنة والله أعلم ليس بمستبعد يكون آخر ثلاث آلاف وسبعمائة وخمسون وربما أكثر إلى مليون سنة مثلاً إذاً آخر ثلاث آلاف سنة يكونون في الآخر فعلاً يعني أربعة في الألف ليست بنسبة ،

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأشراط كبعثته وموته وفتح بيت المقدس والفتنة التي وقعت بين الصحابة بعد مقتل عثمان ثم اجتماع الأمة بعد ذلك ومنها قتال الترك ومنها فتح القسطنطينية ، كل هذا قد مضى ومن غير ذلك ،

ومن الاشرط ما يقع ويزداد من جنس الأمور المعتادة مثل الفتن فيكثر القتل ويكثر الزلازل ويقل العلم ويكثر الجهل وتنتشر المنكرات والفواحش ونحو ذلك ومنها الأشراط الكبرى ،  
الأشراط ثلاث أنواع ،

منها ما مضى وانقضى كما ذكرنا أمثلة ،

ومنها ما وقع يزداد وتصل بالأشراط الكبرى

ومنها الأشراط الكبرى ،

أولها ظهور المهدي وهو رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اسمه كاسمه كاسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه كاسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم واسم محمد بن عبد الله وهو يكون من أولاد فاطمة من نسل الحسن رضي الله عنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، هذا ثبت فيه الأحاديث ، خلافاً للرافضة الذين يجعلونه من نسل الحسين ويجعلونه طفلاً صغيراً دخل السرداب منذ أكثر من ألف سنة وهو المسمى بمحمد ابن الحسن العسكري وهو من نسل الحسن ابن فاطمة الحسن ابن علي ابن فاطمة وليس من نسل الحسين كما يزعمون ، بل الصحيح أن العسكري هذا ليس له نسل ، ولم يعرف له ولد وإنما هو خدعة خدع بها الرافضة عبر التاريخ ، والسرداب في مدينة سامراء أو سر من رأى ، وكانوا إلى عهد قريب لا يزالون يذهبون بالحميز إلى باب السرداب كل يوم انتظاراً لخروج ذلك المهدي المزعوم ويذكرون أن غيبته صغرى وغيبة كبرى ، الغيبة الصغرى الفترة التي كانوا يحدعون أتباعهم فيها بذكر الأخبار عن هذا المهدي وفيها ألف الكتاب المضل الكافي ، بزعم أن الكليني أو أحدهم كان يأخذه عن ذلك الإمام ثم لما عرفوا الكذبة قد فضحت فقالوا غاب غيبة كبرى فصار لا يكلم أحداً ولا يعرف له مكان في الأرض ولا حتى داخل السرداب ، ممكن أحد يدخل السرداب ويبحث ويخرجه بعد أن أصبحت له مملكة مرات عديدة . سبحان الله . لو لم يبق من الدين يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث المهدي من أهل بيتي اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، الظاهر من يملأ الأرض يملأ أرض الإسلام ، لأن عيسى عليه السلام هو الذي يقتل الدجال واليهود وأما الروم فالملحمة قبله ،

الذي يظهر من مجموع الأدلة أن المسيح ابن مريم ينزل ويصلي خلف المهدي ولكن ليس هناك نص قاطع في ذلك ، والحديث فيقول إمامهم إذا نزل عيسى عند الشرقي بدمشق فيقول إمامهم تعالى صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أئمة تكرمه الله لهذه الأمة فيصل عيسى ابن مريم خلفه ، الذي يظهر أنه هو المهدي وبعض العلماء يقول فيقول إمامهم المهدي لكن يظهر هذا في التفسير ، قد ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية جملة من الأخبار في المهدي وأحاديث المهدي متواترة ومن أنكره أنه جاهل أو مبتدع وأحسن أحواله أنه جاهل لأن الأحاديث لا يمكن إنكارها ،

طبعاً والكتب القيمة في ذلك كتاب فضيلة الشيخ محمد ابن إسماعيل كتاب المهدي حقيقة لا خرافة ،

لوثة الرد على الرافضة بإنكار كل ما يقولون دفعت البعض إلى أن ينكروا عليهم وجود المهدي أصلاً ونحن لا نرضى هذا المسلك فالشيعة الرافضة غلاة في الكذب والضلال وفي الغلو في أئمتهم ومن ذلك زعمهم أن محمد ابن الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر عندهم دخل السرداب منذ أكثر من ألف ومائتي سنة ولم يخرج إلى اليوم وهم ينتظرونه ويعدلونه المهدي المنتظر ويزعمون أنه لا يجب ألا تقام الخلافة ولا أي شيء من ذلك انتظاراً من الواجبات انتظاراً للمهدي لأن الإئمة عندهم إثني عشر إماماً لا يصح أن يكونوا ثلاثة عشر ، اخترع أنه المهدي أيضاً من الضلال الذي ضلوا في هذا جماعات كثيرة ومن أكفرهم محمد غلام قدياني الذي في الحقيقة ادعى المهديّة وأنه المسيح فقال إنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود وادعى أنه يوحى إليه فكفر بادعاء النبوة كفوفاً بواحاً لاخفاء فيه ،



## المسألة الثانية

من مسائل أشرار الساعة الكبرى

ظهور الدجال

والأحاديث في ذلك مستفيضة بل لو قلنا متواترة لم يبعد ومن العجب أن ينكره بعض أهل الفضل المعاصرين لكنها ذلة من الذلات الهائلة ، الشيخ رشيد رضا ينكر الدجال ونزول المسيح عيسى ابن مريم رغم ما عرف من سلفيته لكن هذه المسألة ليس سلفية ، وهذه من الذلات الخطيرة بلا شك

الأحاديث في ذلك مستفيضة وهو رجل من بني آدم فيما يظهر لأن ابن صياد قال إني لأعلم اسمه واسم أبيه ، أعور العين اليمنى كأنه عينه عنبة طافية يعني مطفوفة ليس فيها نور عليها ظفرة فهي مطموسة والأخرى الشمال ناتئة بارزة ، والصح هنا أن نقول كأن عينه عنبة طافية يعني مطفوفة لا نور فيه ، والأخرى ناتئة بارزة فهو عور في عينيه واليمن مطموسة تماماً ، مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مؤمن ولو لم يكن قارئاً وهو موجود الآن كما أخبر تميم الداري النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فصدقه فهو مولود في إحدى جزر البحر من جهة المشرق في بحر من البحار الشرقية من حتى المحيط الهادي جزيرة مهجورة ممكن في الهندي في الهادي في بحر العرب الله أعلم لأن تميم لما لعب الموج بسفينتهم شهراً لم يدروا أين هم إلا أنهم كانوا في بحر المشرق لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من قبل المشرق مكبل بالحديد كما في حديث تميم الداري في مسلم ومن أمره أنه يطأ الأرض كلها إلا مكة والمدينة ويبدأ أمره بأن يقول إنه رسول الله وأنه المسيح ثم بعد ذلك يدعي الإلهية وهو يهودي وأعوانه من اليهود ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطبالسة ) رواه مسلم وفتنة الدجال فتنة عظيمة هي أعظم أمر بين خلق آدم إلى قيام الساعة فهو يكون معه جنة ونار التي يراها الناس جنة هي نار تحرق والتي يراها الناس ناراً هي ماء عذب أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع الإنسان في الذي يراه ناراً ، يأتي بخوارق عظيمة يفتن بها الناس يتبعه كثير منهم ويسلط على رجل واحد مؤمن من أهل المدينة يشهد أنه الدجال فينشره الدجال يقطعه قطعتين ويمشي بينهما ثم يقول له قم فيحيه الله فتنة للناس ويسأله الدجال هل تؤمن بي فيقول والله ما ازددت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالخ - معهم أسلحة وحرس ، مساليح الدجال - فيقولون له أن تعمد فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج فيقولون له أو ماتؤمن برنا فيقول ما برنا خفاء رنا يعلم أنه ليس فيه صفات النقص كالغور فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نحاكم ريكهم أن تقتلوا أحداً دونه فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر الدجال به فيشبح - يجعل على بطنه - فيقول خذوه وشجوه - يضربوه حتى يقطعوه - فيوسع ظهره ويطنه ضرباً فيقول أو ماتؤمن بي فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فؤشر بالمؤشار - ينشر بالمنشار - من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائماً ثم يقول له أتؤمن بي ؟ فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس فيأخذ الدجال ليدبحه فيجعل بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ، فيأخذ بيديه ورجليه ويقذف به فيحسب الناس أنما قذفه في النار وإنما ألقى في الجنة فهذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين ) رواه البخاري ومسلم وأحمد

نزول المسيح عيسى ابن مريم

من الأشرار الكبرى نزول المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، ينزل المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، هذا دليل على جواز اتخاذ المناثر دليل لأن عيسى عندما نزل لم يهدم المنارة البيضاء وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم تكن دمشق فتحت ولا بها مسجد له منارة وإنما وقع ذلك بعد موته عليه الصلاة والسلام ،

ينزل ويصلي مع المسلمين خلف إمام منهم والظاهر إنه المهدي حيث كانوا يصفون الصفوف لقتال الدجال وأيضاً يصفون الصفوف للصلاة ثم يطلب المسيح عيسى ابن مريم المسيح الدجال ، فيدركه عند باب لد بقرب باب المقدس فيقتله فتقوم الملحمة الكبرى مع اليهود عقب الدجال ،

الأحاديث الواردة في الملاحم الكبرى يعني المعارك الكبرى قبل القيامة ملحمة مع الروم مع النصارى قبل الدجال يعقب الملحمة الكبرى مع الروم فتح القسطنطينية مرة ثانية ثم ظهور الدجال ، والملحمة الكبرى مع اليهود عقب الدجال وهذا دليل على أن هاتين الملتين تبقيان إلى آخر الزمان إلى زمن عيسى صلى الله عليه وسلم ، يعني لا يمكن إبادة اليهود بالكلية ولا إبادة النصارى بالكلية إلى أن ينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، قال وتقوم الملحمة الكبرى مع اليهود عقب الدجال فحينها يقتل المسلمون اليهود فيختبئ

اليهودي وراء الحجر والشجر ويقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ، والله معجزات ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، يعني اليهود أمة أساساً هم الآن ستة ملايين في العالم ومع ذلك أمة باقية ولها شأن ، كم من الملل اندثرت وانتهت وأعدادها أقل بكثير من أعداد اليهود ، مثل المجوس اليهود ، المجوس أعدادهم اليوم أعداد معدودة في العالم كله وكانت أمة لها ملك وسلطان لكن المجوس ليس لهم ذكر في أخبار أشراف الساعة الكبرى ولا لهم شأن مع أنها كانت أمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بالملايين ، واليهود طيلة عمرهم قلة وهم إلى يوم القيامة لهم بقاء ، ولذلك الصراع معهم واضح أنه صراع له شأن ، أعني أن أمر اليهود قد اندثر اندثاراً شديداً دون أن يزول وجودهم بعد قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وبني قينقاع وبعد خيبر فلم يكن لهم شأن وظل حالهم كذلك أيضاً مستضعفين في أرجاء العالم ولكن الأحاديث تثبت أن هلم قبيل الساعة شأنًا خطيراً وأن شأنهم عظيم لأن الدجال منهم وملك الدجال ملك اليهود ، فعودة السلطة إلى اليهود من أشراف الساعة في الحقيقة يعني المقدمات للأشراط الكبرى والله أعلى وأعلم ،

فالذي ينظر إلى تاريخ اليهود يتعجب أن أمرهم ظل مستكيناً ومطموساً منذ أن قضى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في خيبر وما تلاها وظل أمرهم مضمحلاً ليس بزوالهم بالكلية إلى زماننا هذا ، محاولات مستميتة للعودة ومع ذلك ما صارت لهم عودة إلا منذ ستين سنة ، فسبحان الله هذا رغم أنه مؤلم لأهل الإسلام إلا أنه من علامات اصطفاؤه الله لهذه الأمة فمن اختاره الله لمقاومة اليهود بجميع أنواع المقاومة لا شك أن لهم قدر عند الله عز وجل كهذا الرجل الذي يخرج للدجال خير الشهداء عند الله مع أنه يقتل ويقطع جزئين ومع ذلك خير الشهداء عند الله فمن اصطفاؤه الله عز وجل لمقاومة اليهود ديانة ومنهجاً وبالسلح كذلك فالله عز وجل قد اختارهم بفضائل عظيمة ، ولذلك لا يصح أن نتنازل أبداً عن هذه الفضيلة بالاعتراف بحق اليهود في أمر ليس لهم بحق ، اعترافهم بحقهم الأبدي في أرض فلسطين والسلام إلى الأبد مع دولة إسرائيل والعياذ بالله ، سلام مؤبد إلى نهاية العالم !! أيوقن بكتاب الله من يقول ذلك !! أن يقول أن آخر الحروب هي حرب ١٩٧٣ !! وأنها انتهت وأن السلام سيحل إلى الأبد في هذه البقعة !! ألا يعلمون الأحاديث المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قتال اليهود وفي عداوة اليهود مع أهل الإسلام وماذا يصنعون مع القرآن ؟ فقد نص على عداوتهم وهم لا تنقطع عداوتهم ، والذي يقول زالت العداوة يكذب القرآن ، نسأل الله العافية ،

عندما ينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، وكما ذكرنا دليل على أن الصليبان سوف تكون موجودة إلى زمن المسيح صلى الله عليه وسلم ، صحيح أن الملحمة الكبرى كسرت النصرى قبل الدجال إلا أن لهم وجود ، ولذلك قال عز وجل { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } النساء ١٥٩ على تفسير أبي هريرة وهو الأقرب قبل موت المسيح صلى الله عليه وسلم ، { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } يهود أو نصارى { إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ } بعيسى قبل موته ، اليهود يؤمنون بأنه نبي والنصارى يؤمنون عبد ورسول ، فهو يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، والخنزير لا يشرع قتلها في زماننا يمكن أهل الذمة من بيعها وشراؤها مع أنفسهم نحن لا نبيع ولا نشترى منهم ولكن يمكن من ذلك ، أما إذا نزل المسيح فهذا زمن قتل الخنزير ، ويضع الجزية أي لا يقبلها فلا يقبل إلا الإسلام فمن يزعم كاذباً مزوراً مكذباً لنصوص الكتاب والسنة بأن الجزية في ذمة التاريخ يكذب بهذه الأحاديث يزعم أن الجزية قد وضعت وانتهى أمرها - في ذمة التاريخ يعني ماتت - أحكم الله يموت !!؟ حكم ربنا يظل باقياً إلى أن ينزل المسيح صلى الله عليه وسلم فهو الذي في شرع الله عز وجل ينتهي في زمنه زمن الجزية أما أن يكون هناك زمن قب المسيح لا يشرع فيه ضرب الجزية على الكفار بمن فيهم اليهود والنصارى فلا ، هذا من الزور والباطل وهذا الحديث بشارته بأن الجزية سوف تكون موجودة ، فالمسلمون أيضاً سيكون لهم شأن يعني هذا الذل والهوان المستمر منذ سنوات طويلة سوف يكون له نهاية قبل أو سوف يزول شيء منه قبل الملاحم الكبرى قبل ظهور الدجال وقبل نزول المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، وبشائر ذلك عودة الالتزام إلى أجزاء من الأمة الإسلامية بفضل الله سبحانه وتعالى ورغم ضعفها الشديد ورغم التفاوت الهائل في القوة بينها وبين أعدائها يحارون معها ولا يعرفون ما الحل مع أنهم يجتمعون عليها بأقطار العالم يعني الأمم تجتمع على أمة الإسلام على من يقومون بهذا الدين ومع ذلك فلا يستطيعون أن يحيلهم عنهم وتحكم الأرض بشرية النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ) إذاً سيكون عيسى حاكماً بشريعة الإسلام والقسط الذي شرعه الله عز وجل في القرآن العظيم وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم لذلك قال ( فأحكم منكم ) يأحكم بكتاب الله يقودكم بكتاب الله ( حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ) حديث متفق على صحته ،

في الحديث حديث ملحمة اليهود قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تقول الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله إلا الغرقد فيأبى من شجر اليهود ) أيضاً رواه البخاري وسلم رحمهما الله ،

خروج يأجوج ومأجوج

خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم وهما قبيلتان من بني آدم والدليل أنهم من بني آدم لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يقال يا آدم أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار فيقول من كل كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم منكم واحد ومن يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ) يعني دليل

على أن يأجوج ومأجوج من بني آدم ، عظيمنتان جداً في العدد ، أين هم الآن ؟ لا نعلم ، وهذا بالضبط كذلك لا بد أن نعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم ( ليوشكن أن ينزل فيكم ) ويوشك هذا للتقريب لكن لا حد له ، يعني لا يأتي من يقول أن هذا زمنه إلى ١٤٠٠ أو ١٥٠٠ أو ١٥٥٠ إلى خمسة قرون من أيام السيوطي حتى ولو قال السيوطي ذلك ، هذا كلام باطل بلا شك ، الذي يحدد تاريخاً محدداً لحصول هذه الملاحم قوله باطل بلا تردد وإن زعم من زعم أنه إلى خمسة قرون إلى عشرة قرون ، هذا أمر نسبي بالنسبة إلى ما مضى من عمر العالم فهو قريب ولكن قد يكون ذلك ثلاثة آلاف أربعة آلاف بالنسبة إلى مليون من السنين يكون أمراً سييراً خمسة في الألف أو أربعة في الألف ، من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ألف وخمسمائة عام بالنسبة إلى عمر الأرض وحياة الإنسان عليها يكون شيئاً يسير بل كما ذكرنا من زمن داوود عليه السلام إلى زماننا نحن في آخر الزمان ، فكما أن حديث آدم عليه السلام حين عرض الله عز وجل ذريته عليه فإذا رجل أعجبه وبيص ما بين عينيه من النور فقال من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم يقال له داوود هذا دليل على أن من زمن داوود عليه السلام يعني أكثر من ألفين وخمسمائة من الأعوام تقريباً وربما زيادة ونحن في آخر الزمان ، فليس لأحد أن يقول بقية سنة ٢٠٢٤ أو ٢٠١٣ وكم من المخرفين الذين ظهر كذبهم وباعوا كتباً بالملايين وريخوا بل خسروا أنفسهم حين نشروا هذا الضلال المبين ، يقولون ، ١٩٩٤ سيظهر المسيح الدجال ، والآخر يقول أن المسيح الدجال هو فلان الفلاني الموجود بالمكان الفلاني وأن المعركة مع الأمريكان في الخليج هي هربمجدون الموجودة في التوراة ، والتوراة نحن نصدق ما فيها مما لا يرد تصديقه في كتاب الله فضلاً عن تفسيراتهم لها واعتقاداتهم الباطلة وتظهر الكتب وتختفي الناس سرعان ما ينسون وأنهم نسوا كتاب - زلزال الأرض العظيم - ونسوا كتاب هربمجدون ونسوا كتاب - المسيح الدجال يغزو العالم - وكل الخرافات والخزعبلات هذه مما يظهر كذبهم وتظهر فضائحهم ومع ذلك ما زال يوجد من يقبل مثل هذه الترهات ،

نقول تحديد وقت الغيب لا يعلمه إلا الله مع كون الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عنها إلا أن وقت ظهورها لم يخبر عنه صلى الله عليه وسلم فهي مازالت غيباً فلا يوجد عالم يجزم بتاريخ محدد لا بد قبله أن تظهر هذه الملاحم فأيضاً قضية يأجوج ومأجوج وأين هم الآن وأيضاً من الأمور التي لا نجزم بها والبعض يقولون هم الصينيون ولا يجوز الجزم بذلك يمكن أن يكونوا الآن أمماً مطمورة قليلة العدد ثم يكثران جداً قبيل ظهورهما والأمم أصلاً تتفاوتت تفاوتاً كبيراً في مسألة التناسل السكاني ، أمم تصغر وأمم تكبر وأمم تكاثر بسرعة شديدة وأمم يقل ذلك الأمر فيها ، لذلك نقول أن ذلك الأمر لا يصح الجزم به ، يمكن أن يكون من الأمم كما ذكرنا غير التي له شأن في زماننا تصبح كثرتهم قبيل خروجهم أمراً واقعاً ثم يقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ،

يقول فيملأن الأرض فساداً وفجوراً ، حديث النواس ابن سمعان يتضمن ذلك ، قال النواس ابن سمعان في الحديث الذي رواه مسلم وغيره ، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع ، خفض صوته ورفع ، قال فخفض فيه ورفع لكي ينتبه الناس حتى ظنناه في طائفة النخل ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حذرهم من قرب ظهوره فظنوا أنه سوف يخرج عليهم من النخل القريب ، مثل لو أنك حدثت إنساناً فظل يفكر كثيراً في قضية معينة فيقول سيخرج الآن من كثرة تفكيره ، ظنوه في طائفة النخل يعني بالقرب وتقريب النبي صلى الله عليه وسلم بشأنه قال فرحنا إلى آخر النهار وهو ذكره في غداة يعني أول النهار لما راوحا آخر النهار عرف ذلك فينا ورأى وجوههم متغيرة فيها قلق واضطراب فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليه يعني يخاف من غير الدجال أشد يخاف الشرك الأصغر وخطره على الأمة أعظم من الدجال ، قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر سئل عنه فقال هو الرياء ، والأئمة المضلون ، قال إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، الأئمة المضلين هؤلاء هم أحبار السوء ورهبان السوء وملوك السوء ، كما قال عبد الله ابن المبارك رضي الله عنه وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها ؟ ،

علماء السوء وعباد السوء وملوك السوء والعياذ بالله لأهم أئمة والناس يتبعونهم بالملايين والناس تبع للملوكهم وعلمائهم وعبادهم ،

العباد إذا كانوا منحرفين مثل الصوفية أو علماء منحرفين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم والعياذ بالله ، وأمراء السوء وملوك السوء والعياذ بالله الذي يقودون الناس بغير كتاب الله عز وجل ،

ف ( غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ) رواه مسلم يعني النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم وقت خروج الدجال ،

احتمل الأمر عنده أن يكون خروج الدجال في زمنه صلى الله عليه وسلم ولذا كان يشق في ابن صياد ولكن لما حدثه تميم الداري بأن الدجال مقيم في إحدى جزائر البحر أخبر بذلك وصدقه وظهر بذلك أن ابن صياد غلام يهودي كان يشك النبي صلى الله عليه وسلم أنه الدجال وكان في صغره يدعي أنه رسول الله ولكن لأجل أنه كان غير مكلف لم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم ولما كبر أسلم وأظهر الإسلام ثم اختفى اختفاءً مريباً وكانت له أحوال من خوارق العادات ، ضربه ابن عمر رضي الله عنه حتى انتفخ وملء الطريق وسد الطريق من الانتفاخ واختفى وفقد في بعض المواقع ولم يعرف له أثر ولكنه حج واعتمر وتزوج وولد له والدجال لا يولد له والدجال يهودي وأما ابن صياد فقد أسلم لكن قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ) يعني سوف يتولى الحجة دون المسلمين ، سوف يتولى محاجة الدجال ،

قال ( وإن يخرج وليست فيكم فامرء حجيج نفسه ) كل إنسان عليه أن يكون معه حجته ومسئول عن نفسه ( والله خليفتي على كل مسلم ) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم توكل على الله في شأن أمة الإسلام واحداً واحداً أن يكون الله عز وجل هو الذي يرعاهم ويوفقهم ويسدد حججهم ،

( إنه شاب قطط ) شاب شديد جعودة شعر الرأس ، وسوف يكون شاباً حين خروجه ولا مانع أن يكون مجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك يظل على شبابه أو يجدد له شبابه لأنه هناك خوارق وعادات كثيرة تجري على يديه بقدرها الله ،

( عينه طافئة ) طافية وطافته ، رويت باللفظين ، والظاهر أن عينه اليسرى طافية بمعنى بارزة ناتئة وعينه اليمنى طافئة النور مطموسة لا ضوء فيها فهو أعور ، وهو قبيح الشكل والعياذ بالله ، مجموع الأدلة كما ذكرنا تدل على أنه يدعي النبوة أولاً وأنه المسيح ثم بعد ذلك يدعي الربوبية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مسالح الدجال ( يقولوا أوليس قد نحاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ) فهم يعتقدون أنه ربهم ، سبحانه الله كأن الدجالين يشتركون في هذه الخصال جميعاً ، يعني الباب والبهاء والقدياني كل منهم يدعي أنه رسول ويدعي نوعاً من الإلهية أيضاً، يعني البهاء هذا بعدما ادعى الرسالة وألف كتاب الأقدس قال أنه بهاء الله ونوره وأن ربنا حل فيه وكذا الدجال الآخر قدياني الذي يقول عن نفسه انه المسيح الموعود والمهدي المنتظر ويدعي أنواعاً أيضاً من الحلول ، شيء عجيب في أن الدجل والكذب يشتركان والشيطان يوسوس نفس أنواع الوسوسة لهؤلاء ويخضع بها ووالله الناظر إلى اشكالهم المرسومة والمصورة ليحزم أنهم وجوه كذابين ، الذي ينظر إلى القناة الأحمدية هذه التي تأتي بصور الغلام أحمد قدياني الذي ينظر إلى وجهه والله العظيم يقول كذاب ، يعني أي واحد عنده شيء من البصيرة والنور لابد أن يقول هذا رجل كذاب جزماً وقيناً وكل ما ينسبه إلى نفسه من الكذب والزور لكن سبحانه الله خصال متقاربة أنه يدعي النبوة والرسالة ثم يدعي شيئاً من الإلهية وهذا يدعي الإلهية صراحة مع قبح الشكل ،

قال صلى الله عليه وسلم ( كأني أشبهه بعبد العزى ابن قطن ) رواه مسلم للرد على مصطفى محمود وأمثلة الذين يقولون أن المسيح الدجال هو الحضارة الغربية لأنها عوراء تنظر إلى المادة ولا تنظر إلى الروح ، أعبد العزى ابن قطن شبه الحضارة الغربية ؟! يعني شخص بيعنه نقول أنه شبه الحضارة الغربية ، نسأل الله العافية ،

من الخزعات التي جناها بحث العقول في غير مجالها وتحكيم العقول في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، والكلام في منتهى الوضوح والبيان أنه شاب قطط شديد جعودة الرأس لا يصح أن يؤول هذه الكلام ،

عبد العزى ابن قطن رجل مات في الجاهلية ، قال من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إذا ما يعصم به المؤمن من المسيح الدجال حفظ سورة الكهف ، قراءة عشر آيات من فواتح سورة الكهف وقد وردت خواتيم أيضاً ولكن هذه الحديث يرجح رواية فواتح فليحفظ المسلمون سورة الكهف إذا قرأوها فإن الله يعصمهم بقراءتها من الدجال ،

قال ( إنه خارج خلة بين الشام والعراق ) يخلو الطريق من بداية ظهوره وهذا لا ينافي أنه الآن في إحدى جزائر البحر لأنه يظهر في ذلك الوقت بفتنته وأما الآن فهو مستكين محبوس ، خلة طريق بين الشام والعراق ، ( فعاث ميمناً وعاث شمالاً ) أفسد ميمناً وأفسد شمالاً ، ( يا عباد الله فاثبتوا ) يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات وعاث ميمناً وعاث شمالاً توضح بأحاديث أخرى بأنه ينزل الأرض كلها لا يدع قرية إلا وطفها إلا مكة والطيبة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( هذه طيبة يعني المدينة )

( قلنا يا رسول الله وما ليته في الأرض قال أربعين يوماً يوم كسنة ويوم كشهري ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ) هذا دليل على أن النهار يختلف في ذلك الزمان ، يوم كسنة سوف تشرق الشمس وتغرب بعد سنة أو تشرق وترى اليوم واللييلة كسنة ، يعني ربما الليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر ، وهذا ليس بمستبعد إذا كان اليوم الدائرة القطبية نهارها ستة أشهر وليلها ستة أشهر يعني الشمس تخرج ولا تغرب إلا بعد ستة شهور ، فليس بمستبعد والناس في أيامنا قد أدركوا أياماً هي أقل من ذلك ، وربما كثرت والذي في المراكب الفضائية ربما يدور حول الكرة الأرضية تشرق الشمس عليه وتغرب في اليوم عدة مرات فهذا قد حصل لبعض المسلمين ولا نقول فقط الكفرة بعض رواد الفضاء مسلمين وشهدوا ذلك ووقع لهم ، ( يوم كسنة ويوم كشهري ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيها فيه صلاة يوم ؟ قال لا أقدر له قدره ) رواه مسلم وهذا دليل على العمل بالحساب عند تعذر العمل بالشمس والعمر ونحو ذلك ومقتضى الكلام أن يصوموا بذلك شهر رمضان أيضاً فالصلاة والصيام بإجماع واحد ، ( قلنا يا رسول الله وما إسرائه في الأرض ) طبعاً هذا فيه عمل القياس لأن الصحابة سألوه عن اليوم الذي كسنة ولم يسألوه عن الذي كشهري ولم يسألوه عن الذي كجمعة ومع ذلك فالحكم واحد عند عامة العلماء يلزمهم أن يقدروا له قدره وأن يصلوا خمس صلوات لكل مدة يوم وإن لم يكن الشمس لا غربت ولا أشرقت ،

( قلنا يا رسول الله وما إسرائه في الأرض قال إسرائه في الأرض كالمطر إذا استدبرته الريح ) يعني تسوقه ، يعني تجد المطر هنا بعد ربع ساعة تجده في دمنهور ويمكن أقل من نصف ساعة يكون المطر في القاهرة ، وهو سرع شديدة وهذا بالنسبة إليه سرعة هائلة قد علمنا في زماننا مثل هذه السرعة يعني ممكن المسافة من هنا للقاهرة في ربع ساعة بالطائرة وفي طائرات حديثة تدرك مثل هذا أو قريباً منه وهذا ليس بمستبعد والصحابة تلقوا هذه القبول رغم أنه بعيد عن عقولهم فنحن نتلقاه بالقبول سواء وافقت العقول أم جهلته ، ( قال فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ) وهذا من الفتنة وخوارق العادات ، الله الذي ينبت الأرض ويجعل السماء تمطر عند قوله ذلك ، يقتن قوله بما أمر الله عز وجل ليكون فتنة للناس ومع وضوح أمره عظمت الفتنة يعني يقولون الفتنة عظيمة جداً لأن الآية في كذبه عظيمة أيضاً ، مكتوب بين عينه كافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ( فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت زرى وأسيغه دروعاً وأمدد خواصر ) زراها ، زروة البعير سنام أقصى طرفه فترتفع أحجامها وتكبر وتمتلى دروعها باللبن والخاصرة مؤخرة ظهر البهيمة تكون ممتدة عظيمة جداً يعني طابت وكبرت كأنه علامة على البركة لكن فتنة لمن يستجيب له ،

( ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محللين ) المحلل العاجز الذي ليس لديه شيء ، ليس بأيدهم شيء من أموالهم ، إذا الأرض لا تنبت والبهايم تموت والأموال تضيع الفقر يحل لأهم لم يستجيبوا للدجال في الظاهر والحقيقة أنه ابتلاء ومحنة ،

قال ( ويمر بالخرية فيقول لها أخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ) كذكور النحل يعني مجرد أمره بالخروج يخرج الذهب والفضة والدنانير كأنه تطير وراءه ،

( ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جذلتين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك يعني ظهر للناس أنه يحي الموتى أنه يميت ويحي فيبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم صلى الله عليه وسلم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهودتين - ثوبين - واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا تطأ رأسه قطر - نزل منه ماء - وإذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ . يعني لما يرفع رأسه ينزل منه حبات من حبات الماء كالؤلؤ . فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات فنفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه) الكافر يموتون براحة نفس المسيح لا يحتملون راحته صلى الله عليه وسلم ، كل الكفرة اليهود والنصارى إذا شموا رائحته ماتوا ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه إذا نظر إلى الأفق أو إلى مرمي البصر ما يبلغه بصره تدرك رائحته هناك ، فحول عيسى عليه السلام دائرة من الإيمان لا يحل للكفار أن يوجدوا فيها إن وجدوا فيها ماتوا ،

قال ( فيطلبه حتى يدركه في باب لد ) باب لد من قرب القدس (فيقتله ) وفي حديث آخر ( فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانداب ولكن يقتله بجرته لأنه كافر فهو لا يحل له أن يجد ريح عيسى إلا مات فيذوب تدريجياً لكن عيسى يدركه فيقتله بجرته ،

قال ( ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ) وفي آخر قوماً يعني إما هو يأتي إليهم وإما هم يأتوا إليه قد عصمهم الله من الدجال فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدراجتهم في الجنة لأهم صبروا على الفتنة العظيمة ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة ،

( فيبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى ابن مريم عليه السلام إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتلهم فحرز عبادي إلى الطور ) رواه مسلم قد أخرجت عبداً لي هنا ليسوا عباد بمعنى العابدين بل عباد بمعنى المملوكين المخلوقين ، مثل { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا } الاسراء ه ليس بمعنى العباد ، لأن البعض يحاول أن فسرها برأيه على أنهم عباداً مثل عباد الرحمن بل العباد بمعنى المملوكين لأهم دمروا المسجد كما قال الله عز وجل { وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا } الاسراء ٧ وهم دمروا كل ما علوا عليه تدميراً ومن ضمن ما علوا عليه المسجد فأهل الإسلام هل يتصور أن يدمروا المسجد الأقصى ، لذلك لما دخلوا فلسطين في زمن عمر وفي زمن صلاح الدين ما نال المسجد إلا كل تكريم وأما الذين دمروا المسجد فكان يختصروا والرومان ، فإذا بأجوج ومأجوج عباد بمعنى مملوكين وهم من أهل الفساد ، لكن لا قدرة لأحد بقتلهم ولذلك لا يشرع قتالهم مع أن المسلمون يعدون العدة لقتال الدجال وجنوده ويقتلون جنود الدجال من اليهود إلا أنهم لا يشرع لهم قتال بأجوج ومأجوج لأنه لا قدرة لأحد بقتلهم فلا يشرع القتال إلا مع القدرة ، ومن هنا قلنا أن هذا الحديث دليل على أنه إذا عجز المسلمون على القتال لم يؤمروا بالقتال بل في زمن العجز يكون الواجب تحريز عباد الله المؤمنين ( حرز عبادي إلى الطور ويبعث الله أجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون ) يخرجون خروجاً ليملاؤا الأرض ، ( فيمر أحدهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ) وهذا دليل على أن ما فيها يقل ويكون قليل الماء لأن الدجال قال في حديث تميم الداري فسأله عن بحيرة طبرية فقال هل فيها ماء قل نعم قال يوشك ألا يكون فيها ماء ، وأنه سوف يقل ماء بحيرة طبرية حتى يشربها أجوج ومأجوج ، قال ( فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بمكة مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور بأحدهم خير من مائة دينار ذهبي ) سبحانه الله الفتن متتابعة وكثيرة الأحوال متغيرة يعني المسلمين في زمن الدجال في كرب شديد جاء عيسى ابن مريم فيشربهم ورأوا الفرج ثم يقع كرب شديد أيضاً وهو أن يكون رأس الثور من قلة الطعام خير من مائة دينار لأحدهم اليوم ، مائة دينار يعني نصف كيلو ذهب ، ولحمة الرأس رخيصة ومع ذلك تكون أفضل من مائة دينار ،

قال ( فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النعف في رقابهم ) إذاً العلاج في هذه الحالة الرغبة إلى الله والدعاء والتضرع ، (فيرسل الله النعف دود في رقابهم فيصحبون فرثي موتى كموت نفس واحدة يموتون في لحظة واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملئه زهمهم وتنهم) يعني لا قدرة على إزالة هذه الأجساد الميتة المنتنة هم أصلاً عدد قليل وأجوج ومأجوج بمئات الألوف ، فماذا يصنعون وكيف يدفنون كل هذه الجثث وكيف ينتفعون بالأرض وعليها هذه الجثث المنتنة (فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتترحمهم حيث شاء الله ) كأعناق البخت الإبل ، ( ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ) مطر يدخل جميع البيوت ( فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلق ) كالمرآة ( ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك ) إذا الأرض فيها بركة منعت بسبب عدم تطبيق الشريعة فإذا طبعها المسيح صلى الله عليه وسلم وظهرت في الأرض كلها ردت الأرض البركة وتكفي الناس وتزيد وليس بها ما يزعمون من أن الأرض لا تحمل الكثافة السكانية العالية والأرض فيها أنواع من البركات ،

(فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقعرها ) قعر الرمانة قشرة الرمانة ، يعني من كبر حجم الرمانة الجماعة تأكل منها ويستظلون بالقشر وبيار في الرزق . في اللبن - حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، الفئام يعني عدة قبائل اللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس جزء من القبيلة ، فيبينما

هم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتأخذ روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة ) يعني يتسافدون في الطرقات كالخمير ، عليهم على شرار الخلق تقوم الساعة ،

أما الملحمة الكبرى مع النصارى فهي تسبق ظهور الدجال وتكون بالشام ،

#### الخسوف

الخسوف من علامات الساعة أيضاً يكون خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، زلازل عظمى يحصل فيها انخساف يعني انخيار عظيم بالأرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إنها - يعني الساعة - لن تقوم . حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة ) رواه مسلم هذا دليل على أن الدخان الذي ذكره ابن مسعود في قوله تعالى { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } الدخان ١٠ أنه قد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عندما دعا على قريش بسنين كسنتين يوسف فكانوا يرون كأنما ما بين السماء والأرض كهيفة الدخان من شدة قلة المطر . الظاهر أنه سوف يقع لأنه ذكره من الأشراف الكبرى دخان آخر يكون قبل القيامة ، (فذكر الدخان والدجال والدابة ) الدابة التي ذكر الله سبحانه وتعالى سالفاً ( وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ) وهذا الحديث لم يربطها لأن زمن المسيح عليه السلام زمن تقبل فيه التوبة لأنه يضع الجزية ويدعو الناس للإيمان فيؤمن أهل الكتاب وهذا دليل على قبول التوبة في زمن المسيح ، وطلوع الشمس من مغربها يمنع قبول التوبة ، إذاً هذا بعدها قال ( ونزول عيسى ابن مريم وأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ) الذي هو جمع الناس في أرض القيامة قبيل الشام أول الحشر ، يعني قبل القيامة يحشر الناس ،

الملاحم الكبرى والأحداث العظمى تكون بالشام فالناس يدفعون بنار تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وتدفعهم نحو الشام ،

#### الدخان

قال الله تعالى { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } الدخان ١٠ والحديث الماضي كما ذكرنا وقد فسره غير واحد أنه يأخذ المؤمن كالذكمة ويتغشى الكافر ، يعني يأخذ المؤمن بالذكام ويتغشى الكافر بغضيه ، والظاهر والله أعلى وأعلم أن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في تفسير الدخان لا ينفي أن الدخان سوف يكون قبل القيامة حتى لو صح تفسير ابن مسعود بأن الدخان قد مضى تكون الأحاديث التي ذكرنا دال على وجود دخان قبل يوم القيامة ،

#### الدابة

قال الله عز وجل { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ } النمل ٨٢ ورد في تفسيرها لا يفر منها هارب ولا يدركها طالب ، تسم الناس أي تعلمهم تجعل عليهم أعلام بأعمالهم حتى ينادي الناس بعضهم بعضاً يا مؤمن يا كافر يصبح ما في القلوب ظاهراً ،

#### طلوع الشمس من مغربها

أما طلوع الشمس من مغربها من آخر الآيات والدابة فأخرهما كانت قبل أختها فالأخرى على أسرها كما ثبت في الحديث ( إذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ) وكل هذا في الصحيح ،

#### هدم الكعبة

يهدمها ذو السويقتين من الحبشة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة والظاهر أن ذلك بعد زوال الإسلام من الأرض فلا يستحق الناس وجود بيت الله الحرام لأن الكعبة قيام للناس ، قوام الناس واستمرار حياتهم بوجود الكعبة ، فلو هدمت الكعبة قامت الساعة

وآخر ذلك نار تحشر الناس إلى أرض المحشر ، كما ذكرنا لا يدرك المسلمون هذه العلامة لأن الناس يومئذ لا يكون فيهم مسلم حيث أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ،

كل ما ذكرنا من قبل من الآيات والأشراط قد استفاضت بالأحاديث ولذا فالتكذيب شيء منها ضلالة وبدعة ولا خلاف عند أهل السنة في ذلك وإذا أقيمت الحجة على إنسان بتكذيب شيء منها كان كافراً ، مع كل هذه الأشراف فلا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب ولا نبي مرسل قال الله عز وجل ( إن الله عنده علم الساعة )



أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## 12- الإيمان بالقضاء والقدر

### ٦٤- القضاء والقدر

هذا الباب الذي نبدأ شرحه اليوم باب القضاء والقدر والإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، عقيدة ضرورية لكل مسلم ومسلمة ويجب أن يتعلمها كل مؤمن بنصوصها من الكتاب والسنة وهي تحتاج إلى فهم دقيق لأنها مرتبطة بأنواع من العبادات التي لا يصح الإيمان إلا بها .

قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان قال ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ) قال ابن عمر رضي الله عنهما في سياق ذكره للحديث جبريل هذا عندما ذكروا له معبداً الجهنى الذي كان يظهر الزهد والعبادة وطلب العلم ولكن يقول لا قدر والأمر أنف ، فقال ابن عمر رضي الله عنها إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأهم براء مني والذي يحلف به ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم ساق الحديث ، ساق حديث جبريل أساساً من أجل إثبات الإيمان بالقضاء والقدر ، وهذا دليل واضح على بطلان عمل من لم يؤمن بالقدر وهذا أمر صحيح لا شك فيه كل أصول الإيمان كذلك ،

من لو كان عنده مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ثم كفر برسول من الرسل ما قبله الله منه حتى يؤمن به ،

لو كفر باليوم الآخر ، لو لم يؤمن بالملائكة ، فإنه لا يقبل الله عز وجل من حتى يؤمن بالملائكة واليوم الآخر ، وذلك في كل أصول الإيمان

عقيدة القضاء والقدر وجد أن لا يمكن أن يتقبل عمل نظر الإنسان فيه إلى نفسه على أنه صاحب النعمة والمنة به وأن الله لم يوفقه والعباد بالله ، هذا والله جدير بأن يرد في وجهه ، من جهة المعنى لا دخل لله به ولن يهديني الله لذلك أنا الذي اهتديت بنفسي وأنا الذي خلقت هذا العمل وصنعتة وما توفيق من الله بي أنا الذي لي الفضل في ذلك ، أترى مثل هذا الإنسان يمكن أن يقبل له عمل ؟ هو في الحقيقة فعلاً ليس بمسلم لكن هذا لازم الكلام ولازم من يقول لا قدر والأمر أنف ، يرى أن الهداية ليست من الله والعباد بالله ، هذا لازم قوله وظاهر كلام ابن عمر كان يكفر هؤلاء ، لذلك نقول على تكفير الصحابة من أنكره جملة وقال لا قدر والأمر أنف أي مستأنف جديد ليس هناك علم الله سابق على وجود الأشياء أو كتابة له ،

القدرية النفاة على مراتب

منهم من ينكر القدر جملة يقول لا قدر وهؤلاء المتقدمون منهم الذين كان منهم معبد الجهنى ، وقضية القضاء والقدر منشرة في الكتاب والسنة ، منتشر علمها بين المسلمين على وجود اختلاف بينهم فإنكارها جملة تكذيب المعلوم من الدين بالضرورة ،

الذي يقول لا قدر جملة والأمر أنف مستأنف ليس هناك أمر سابق لا علم ولا كتابه ولا إرادة ولا مشيئة ، هذا نفى المعلوم من الدين بالضرورة ولذا كان غلاة القدرية وأوائلهم هم الذين كانوا من هؤلاء الغلاة يصرحون بنفي القدر ، يعني لو نظرنا للمعتزلة المتأخرون يثبتون القدر ولكن يؤولون ويحرفون ، يقولون القدر معناه علم الله فقط ، لكن الغلاة من المتقدمين كانوا ينكرون علم الله عز وجل وعلم الله سبحانه وتعالى من الصفات المعلوم من الدين بالضرورة ، ولذا كان غلاة القدرية خارجون من الملة نوعاً وعيناً لماذا؟ لأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة ،

غلاة القدرية النفاة ، لماذا نقول النفاة ؟ لأن في قدرية إبليسية هم قدرية مثبتين للقدر لكن غلوا فيه حتى جعلوه حجة للعباد على الله ،

كلمة القدرية النفاة لأن من العلماء من يقول هناك القدرية الإبليسية أو القدرية المشركين ، القدرين الذي يقولون لو شاء الله ما أشركنا أو الذي يقولون بما أغويتنا فلننعلن ، والعباد بالله ، لو ربنا لم يهدنا سنرتكب الفواحش والمنكرات بما أنك لم تهدنا فلم نتهدي والعباد بالله ، يجعلون هؤلاء أيضاً من القدرية المثبتين ، لذلك قلنا القدرية النفاة ،

غلاة القدريّة النفاة الذين ينفون القدر جملة ممن يقول صراحة لا قدر أو ينفي علم الله عز وجل هؤلاء خارجون عن الملة نوعاً وعيناً باتفاق أهل السنة وليسوا من أهل القبلة أصلاً وإن كان هؤلاء قد انقضوا لتواتر نصوص الكتاب والسنة بوجوب الإيمان بالقدر لكن آثار مذهبهم الباطل مؤثرة في مناهج أهل البدع المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ،

من أكثر المسائل التي فيها انحراف عند الناس في الطرفين مسائل القضاء والقدر ، حتى على كثير من الأفاضل ممن يظن به التدين والإلتزام لكنه في هذا الباب يزل قدمه لعدم رسوخه في العلم في هذا الباب ،

الإيمان والقدر كما دل عليه الكتاب والسنة على أربع مراتب

المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله تعالى الأول

العلم الأول السابق على وجود المخلوقات ،

لماذا قلنا الأول أو القديم ؟

لأن الأول أقرب إلى ألفاظ الكتاب والسنة ، ولو قلنا القديم فلا بأس أيضاً فإن المقصود به أنه علم أزلي ، يقصد به الأزلي كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإيمان بأن الله تعالى علم أن خلقه عاملون بعلمه القديم الموصوف به أزلاً ، لكن اللفظ الأول أصح أن يقال بعلمه الأول أو السابق ،

وإن لم يكن هناك مانع من الإخبار باللفظ الثاني ،

الله عز وجل قد علم بعلمه القديم يعني الأزلي ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، قال الله تعالى { إن الله كان بكل شيء عليماً } أي كان ولم يزل سبحانه تعالى فلفظ كان يثبت أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة بوقوع الأشياء ، فالله كان بكل شيء عليماً ، وقال تعالى { وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمه ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } فهذه الآية بينت مرتبة العلم ومرتبة الكتابة لأن الله عز وجل جعل تفصيل هذه الكائنات في كتاب مبين حتى سقوط حبة أو ورقة من شجرة إلى الأرض ، كم مرة تتقلب حتى تصل إلى سطح الأرض وما مستقرها بعد ذلك وحبات النبات سواء ما وضعه الناس في ظلمات الأرض وما لم يضعوه ، ما كان من أشجار تسقط هذه الحبات من ثمارها فتدفن في باطن الأرض وتصبح بعد ذلك أشجاراً جديدة وما يبقى رطباً حياً وما يبس ويموت والأشياء الحية والميتة والجمادات وسائر الكائنات ، الله عز وجل قد علم ذلك كله ،

الحي رطب والميت يابس وهذه كلها دخلت في عموم الآية ، وهذا حديث الطريقة القرآنية في تفكير تذكر العباد وتعليمهم طريقة التفكير في آثار صفة العلم الإلهي من أعظم ما يحيي القلب الإنساني ويستشعر به عجزه وضعفه وجهله ، فعند ذلك يقول كما قال الخضر " وما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من البحر "

الطريقة القرآنية طريقة لا مثيل لها في إصلاح عيوب الإنسان ،

الإنسان ظلوم جهول وأكثر الناس يظنون أنفسهم أعدل وأعلم ما يمكن أو أعدل ما يكون وأعلم ما يكون وكم من الناس يعطي لنفسه صفة العلم وهو من أجهل الجهلاء ، فالإنسان يحتاج إلى أن يتواضع لعلم الله سبحانه وتعالى ، ما الذي يدفعه إلى هذه ؟ أن يتفكر في مثل هذه الآيات ويفكر من من البشر يعلم سقوط الأوراق مثلاً من الأشجار في غابات الدنيا ، ومتى تسقط وكيف تستقر ، من من البشر يعلم تفاصيل ما في البر وما في البحر والعوالم الأخرى كلها في السماوات وفي الأرض ، من من البشر يعلم ذلك ومن من المخلوقين يعلم ذلك ويحيط به ، وكلها أمور حاصلة في عالم الشهادة لدينا لكنها غابت عنا نحن ، أعني أنها أمور مما وجد وليس فقط مما سيوجد وليس فقط مما لو كان كيف يكون ،

فلو تفكر الإنسان في علم الله سبحانه وتعالى فيما كان وما سيكون وما لم يكون لو كان كيف يكون وتفكر في علم الخلائق جميعاً لأدرك أنه لا يمكن إلا أن يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ،

مشكلة الإنسان في زماننا ادعاء العلم ، العلم فتنة هذا الزمان ، العلم تقدم وأحاط بالأشياء مع إن كل أهل فن يدركون أن ما يجهلون من هذا الفن أضعاف ما يعلمون ، يعني الأطباء يعلمون أنهم يعلمون قشرة وأن ما زال الكثير لا يعلم ، أصحاب الفلك يعلمون أنهم يعلمون أهم أقل من القشرة وأقل من الذرة وأن أضعاف أضعاف ما يعلمون لا يعرف بعد ، أصحاب الجولوجيا يعلمون أن المعلوم ضعيف جداً بالنسبة إلى المجهول ، والجهل الذي ليس في الفن يقول إنهم اكتشفوا اكتشافات لم تحدث ، وأنتم تتكلمون على عصور الجهل ونحن الآن في عصر العلم والذي جعل واحد مثل نجيب محفوظ يقول أن عرفة قتل الجبلاني وهو أتي بعرفة خصوصاً عرفة من المعرفة وليقول نحن في عصر العلم وعصر العلم

والمعرفة أنهي الحاجة إلى وجود الإله والعباد بالله ، القصة التي أخذ عليها جائزة نوبل والتي حتى مات وهو لم يتب منها بل يفتخر بها والعباد بالله ، نسأل الله العافية والله أعلم بحالة ، لكن يدعي أنه لا يقصد نفي الدين لا بل صرح بأن الجبلاوي الذي قال كل الأوامر لجميع الرسل واحد واحد هذا هو عنده أنه الأصل الكبير الذي لا يعلمه أحد الذي طرد أميمة وأدهم من القصر لما خانوا وحاولوا يعرفوا السر وبعد ذلك إدريس الذي هو إدريس وأدهم هو آدم وأميمة أمنا وإدريس هو إدريس ، وهي قصة معروفة ، وبعد ذلك أتى بجبل وهي قصة سيدنا موسى بالتفصيل والمعركة مع فرعون وغرق فرعون ولكن أتى باسم آخر ، وبعد ذلك أتى برفاعة وبعد ذلك أتى بقاسم ، رفاة الذي رفع وقصة سيدنا عيسى بالضبط ، وبعد ذلك قصة سيدنا محمد وأتى بغزوة بدر وأحد والموضوع كله بالتفصيل حتى أتى بالفاظ أحاديث وسط القصة ، وبعد ذلك كلهم ماتوا وبعد ذلك جاء عرفة وعرفة هو الذي تسلسل ليلاً وقتل الجبلاوي في الخفية وانتهى الجبلاوي والناس خرجت تقول مات الجبلاوي ومشوا في الجنائز والعباد بالله ، وهذا الموضوع عند المعاصرين قضية مرضية والعباد بالله ،

فما الذي يجعل الإنسان يعرف قدر نفسه ويعرف فعلاً أنه جاهل ؟ يتدبر طريقة القرآن ، لما الكل يعرف أنه لا يحيط علماً بما في البر وما في البحر ولا هو ولا الناس كلهم ،

المعلومات البشرية لو أن أحد يعرف الموجود على شبكة الإنترنت من المعلومات البشرية التي لا يحيط بها أحد ولكن البشر في مجموعهم يعلمونها ويتضح أنها في الآخر جزء من ملايين الأجزاء بالنسبة إلى ما هو في الكون والوجود ، الشيء الذي حدث فضلاً عن التي ستحدث فضلاً عن ما كان يمكن لو لم يقع هذا وهذا في الحقيقة احتمال من ملايين الاحتمالات ، ونحن كل واحد فينا احتمال واحد من ملايين الاحتمالات ، كان من الممكن أن تكون شخصية أخرى ثانياً لو ولدك تزوج غير ولدتك أليس كذلك ولو جدك تزوج غير جدتك وهكذا إلى ما شاء الله بل أصلاً لو حيوان منوي من الملايين التي كانت حول البويضة كان واحد آخر غيرك وكان واحد آخر غيرنا والنصف الآخر كان يصبح شخصية أخرى ، يعني أنت وأخوك لستم مثل بعض وكل واحد له صفات شخصية وبدنية ونفسية مختلفة تماماً ، هو فيه تشابه لكن مختلفين ويتعاركون مع بعضهم ، ومع ذلك فنقول نحن احتمال من ملايين الاحتمالات التي كانت ممكنة تقع والله علم ما لم يكن لو كان كيف يكون ، تخيل لو كان حيوان منوي أنثوي هو الذي سبقك انت والحمل هذا كان أنثى كانت حياتك كلها من أولها إلى آخرها كانت شيء آخر ولو الأنثى هذه كانت ذكراً كان كل شيء تغير ، سبحان الله ، فالإنسان لما يفكر يتوضع ويخضع ويعلم أنه لا يدري وأن الله سبحانه وتعالى هو بكل شيء عليم ، ففي عبودية مهمة جداً في مسألة الإيمان بعلم الله عز وجل ، وكما ذكرنا التواضع لعلم الله يمنع من جبروت الإنسان وتكبره بالعلم والله عز وجل عاتب على موسى وهو في زمنه من أعلم أهل الأرض عندما قالوا له من هو أعلم بالله منك أو هل تعلم أحداً أعلم بالله منك قال لا فعاتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه وقال بلى عبدنا الخضر هو أعلم منك ، فعلمه هذه المسائل لكي يعلم ولكي يزداد علماً بأنه لا يجوز له أنه أعلم أهل الأرض أو أنا أعلم بالله سبحانه وتعالى من غيري أو لا أعلم أحداً أعلم بالله مني ونسأل الله العافية ، فإذا كان هذا في حق موسى وهو كليم الله الذي سمع كلام الله بلا واسطة فكيف بمن دونه ، لذلك الإنسان كلما تعلم كلما يقترب من الله عز وجل فيعلم أن علمه في الحقيقة بالنسبة إلى علم الله جهل ، ولذا يقول أعلم الخلق بالله صلى الله عليه وسلم وقد قال أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ويقول ( اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ) فهذه من الدرجات المهمة من درجات الإيمان بالقضاء والقدر ، وقوله تعالى { وعنده مفاتيح الغيب } هذه المفاتيح بينتها الآية الأخرى قال عز وجل { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس بما في أرض تموت إن الله عليم خبير } هذه المفاتيح الخمس التي استأثر الله عز وجل بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عندما سأله عن الساعة فقال ( ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أماراتها ) وليس هذا المقصود ، الرواية الأخرى التي في الصحيح قال ( ما المسئول عنها بأعلم من السائل سأخبرك عن أماراتها إذا ولدت الأمة رها وإذا تطاول رعاة الإبل البهل في البنين في خمس لا يعلمهن إلا الله ) ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } وهذا دليل على أن هذه الخمس بما فيها الساعة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل لأن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم نفى علمه لها ونفى عن جبريل الروح الأمين علمه بهذه الخمس فقال ( في خمس لا يعلمهن إلا الله ) أي سأخبرك عن الأمارات ومع ذلك تبقى الساعة ضمن الغيبات الخمس التي لا يعلمهن إلا الله فتبين بذلك أن كل ما يمكن الإخبار عنه أو كل ما يمكن أن يعلم عن هذه الخمس لا يخرجها عن وصفها أنها مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، يعني سوف نعرف بعض الأشياء لكن لا يمكن أن نعلم كل الأشياء ولا يمكن أن نجزم بذلك ، هذه الخمسة إما سنعلم بأشياء منها مجزوم بها ولكن مجهول وقتها أو كيفيتها مثل أضرار الساعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مما يكسبه الناس غداً وهي دخل في الخمس ، والساعة نفسها لا يعلمها إلا الله والأشراط داخلية فيما يكسب الناس غداً لكن بقيت الأشياء التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم مجزوم بها ولكن لا ندري متى تقع ، متى ينزل عيسى ابن مريم متى يظهر المسيح الدجال متى يخرج يأجوج ومأجوج ، لما يوحى ربنا سبحانه وتعالى إلى عيسى ابن مريم أني قد أخرجت عبداً لي لا قبل لأحد بقتالهم يعني الذي هو مرتبط بهم ارتباط لصيق والذي هم هلاكهم على يده لا يعرف أنه سيخرجون إلا لما ربنا عز وجل يوحى إليه ،

إذاً القضية أن هناك أجزاء تجزم بوقوعها مثل قيام الساعة نفسها نحن نوقن بقيام الساعة وبوجود الحساب والميزان والصراط والجنة والنار ونجزم بذلك ولكن متى تقع ؟ لا يعلم ذلك إلا الله ،

وكذلك كل ما يمكن أن يعرف بهذه الخمس إذا كان مجزوماً به مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ومما علم بالشرع أنه سيقع فيبقى جزء من الصفات مجهولة أو إذا كانت التفاصيل معلومة فهي معلومة على جهة التعليق على المشيئة بمعنى أنها يمكن أن تبدل ، علم جميع المخلوقين في هذا الباب لو كان علم تفصيلي فهو مردود إلى المشيئة ، وإذا شاء الله أمضاه وإن شاء غيره

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في خمس إلا الله وتلا الآية ومن ضمنها { وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت } إذا كان جبريل لا يعلمها إذاً الملك الذي يكتبها لا يعلمها ،

الملك يكتب تفاصيل عمل الإنسان ويكتب عمله وشقي أم سعيد ويكتب أجله كذلك ؟ فكيف عرف بأي أرض تموت ؟ لكن هذا كله معلق على مشيئة الله يقول ربك ما شاء ويكتب الملك ، ممكن يمضى هذا الأمر ويمكن يمحي ، هذا الكتاب الثاني الذي غير الكتاب الأول ، قد قال الله عز وجل { يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } فالكتاب الأول أم الكتاب هو الذي لا محو فيه ولا إثبات لأنه قد رفعت الأقلام وحفت الصحف أما الكتب الثانية فهذه يمكن أن يحو الله منها ما شاء ويثبت ما شاء فيكون علم الملك معلقاً على المشيئة وكذا إن شاء الله عز وجل أمضاة وإن شاء لم يمضه سبحانه وتعالى ومحاه وجعل غيره مكانه فبقي هذا الأمر غيباً حتى بالنسبة للملك لا يعلمهن إلا الله والله أعلى وأعلم ، فبالنسبة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الغيبات هو إخبار ببعضها لا إخبار بكل الأشياء أو بكل التفاصيل ، ولم يعلم صلى الله عليه وسلم كل الأشياء بحيث تصبح الأمور خارجة عن مفاتيح الغيب وإنما أخبر ببعض تفاصيل عنها وإذا أخبر بشيء بقي شيء آخر كإخباره بأمارات الساعة ويبقى وقت قيامها لا يعلمه إلا الله ،

إذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تفاصيل بعض الأمور التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها كوقت موت فلان وموضع موته ، الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ) نقول { وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت } إذا التوقيت للأجل لا يعلمه إلا الله وبأي أرض تموت لا يعلمه إلا الله ، نقول إذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تفاصيل ذلك فإنه يخبر به معلقاً على المشيئة ، كما حدث في غزوة بدر فقال قبل يوم بدر هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ( والحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد ، فأخبر بمصارعهم على جهة التفصيل والوقت وحدث ما قال صلى الله عليه وسلم ما تجاوزوا مصارعهم ولكنه كان معلقاً في المشيئة مثل ذلك ما يكتبه الملك مما أخبر الله عز وجل به عن الجنين وهو في رحم أمه ما عمله وما أجله وما رزقه وشقي أو سعيد وكل هذا من تفاصيل ما سيقع في المستقبل ، هذا أيضاً كله معلق على المشيئة مما أشار إليه الحديث فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك وما يكتبه الملك في هذا قابل للمحو والإثبات إن شاء الله أن يمضيه أمضاة وإذا شاء أن يحويه محاه ولذلك نجد جبريل عليه السلام عن فرعون يا محمد لو رأيته وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة إذاً جبريل عنده احتمال أن مصير فرعون يكون شيء آخر وممكن تدركه الرحمة ويتغير كل ما نراه على نهجه أنه هالك على الكفر وهذا جبريل عليه السلام وهو الذي ينزل بالوحي وهو القوي الأمين ومنزلته في الملائكة من أكبر الأماكن وهو أكبرهم على الإطلاق ومع ذلك فكان لا يدري على ما يموت فرعون مخافة أن تدركه الرحمة حين قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين معظماً لكلمة لا إله إلا الله ، فهذا دليل على أن أحداً لا يدري كيف تكون نهاية الإنسان وعاقبة أمره فجبريل عليه السلام خشي أن يقع خلاف ما يعلمه هو من مصير فرعون فهذا دليل على أن العبد أيما كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا لا يعلب علم الغيب علماً تفصيلياً مجزوماً به ، ما علم علماً تفصيلياً معلق على المشيئة فلا يعلم تفصيله من كل وجه إلا الله والمجزم به لا بد أن يقع قطعاً ، والقرآن والسنة إذا جاء فيهما أن الله قد شاء أمراً فلا بد أن يقع يبقى في هذا الأمر شيء غير معلوم ويظل به من مفاتيح الغيب ،

هناك أشياء نجزم بوقوعها كالديجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج والنفخ في الصور وقيام الناس حفاة عراة غرلاً هذه الأشياء غير قابلة أن نقول فيها إن شاء الله أن يغيرها غيرها لا تقع بل هذه أخبار مجزوم بها مقطوع أنها ستقع وقد شاء الله ذلك ويستحيل أن يقع خلاف ما أخبر ، يعني لا أحد يقول لو شاء الله أن لا يبعث الناس ويلغي القيامة والحساب أحد يقول ذلك ؟ يكون كافراً ، لو أنه يجعل ذلك لأنه لا بد أن يجزم بأن الله يقيم القيامة ويبعث من في القبور لأن الله قد أخبر وخبره لا يحتمل الكذب ومع أنه عز وجل قد أعلمنا ذلك علماً جازماً إلا أن هذه الأشياء ما زالت في الغيب لأننا لا نعلم لها تاريخاً محدداً ، أما التي حدد لها تاريخ معين كعمر الإنسان الذي يكتبه الملك والجنين في رحم الأم فهذا معلق على المشيئة فتظل مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ،

قد تكلم بعض أهل العلم في مسألة العلم واستثنى منه ما أطلع الله عليه بعض أنبيائه ورسله ولكن الأدلة الصريحة أن هذا مما لا استثناء فيه أو أن الاستثناء كما ذكرنا معلق على المشيئة أو أنه يخبر ببعض التفاصيل دون باقيها ستظل غيباً ، لأن البعض أطلق أن الرسل قد علموا الغيب والرسول صلى الله عليه وسلم قال في خمس لا يعلمهن إلا الله ، إذاً لا بد أن يكون الأمر كذلك ، قال عز وجل { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً } هذا الإخبار الذي يخبر به الرسل لا يناقض أن الله سبحانه عنده علم الغيب ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو لأنهم لا يخبرون عن هذه الخمس على جهة الجزم مع التفصيل الكامل بلا إجمال ،

إما على جهة الإجمال وفي بعض التفاصيل مجهولة وإما على جهة التعليق لا الجزم ،

إذا أخبر بتفاصيل تكون غير مجزوم بها وتكون معلقة على المشيئة ،

إذا جزم بأن هذه مشيئة الله ولا بد أن تقع فهذا لا يخبر بكل التفاصيل بل يبقى شيء من الإجمال أي عدم التفصيل ويبقى معه الأمر غيباً لا يعلمه إلا الله أو يخبر بتفاصيل معلقة على المشيئة ، قال الله تعالى { لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء عليم } فعلم الله علم بالكليات والجزئيات بكل التفاصيل لا كما يزعم الفلاسفة

ابن سينا وأمثاله ممن سار على طريقة اليونان أن علمه عز وجل بالكليات دون الجزئيات ، كلام سخيّف جداً فهمه أصلاً محتاج مجهود ، ماذا يعني الكليات يقولون لا يعلم تفاصيل الوقائع التي تقع في العالم ، واجب الوجود عندهم إذا كان يعلم فهو يعلم أن الظلم قبيح وأن العدل حسن كليات فقط ،

والذي حدث في ذلك ظلم أم عدل ؟ يقولون ما شأنه وما شأنها والعياذ بالله ،

هو أشبه شيء عند الفلاسفة يتكلمون به الآن الطبيعة الصماء التي يسمعونها والعياذ بالله ،

تقدموا من زمن وقالوا واجب الوجود الذي هو الله عند المسلمين ، وأصحاب الطبيعة يرفضون وجود الله والعياذ بالله ،

فمثل هذه من موروثاتهم والعياذ بالله ، والله عز وجل علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، علم ما وقع ومتى يحدث ومتى يقع وعلم الأمر الذي لم يحدث لو كان يحدث كيف يكون صفاته وأحواله ،

ذكر من ذلك أمثلة متعددة في القرآن كل ماجاء فيه لو ولولا فهو من هذا الباب ، قال الله تعالى { ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه وإنهم لكاذبون } فلو رد الله الكافرين للدنيا كما طلبوا أو كما يطلبون يوم القيامة ، هذا الرد لن يحدث ، هم طلبوا الإخبار عن المستقبل بصيغة الماضي لكونه مجزوماً به ، { لعادوا لما نهو عنه } فهم يطلبون الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا وعلم الله عز وجل أنه لو ردهم لعادوا إلى الكفر ، فهذا أمر لم يكن علم الله أحاط به ، قال عز وجل { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون وليبوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً } قد علم الله عز وجل أنه لو جعل لكفار سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون وليبوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً يعني ذهباً لو جعل ذلك لكان كفر الناس كلهم وكانوا أمة واحدة على الكفر ، الله لم يجعل ذلك ، جعل الغنى والفقر متداول بين المسلمين والكفار ، ليس أن كل كافر يكون غنياً وكل مسلم يكون فقيراً لو فعل ذلك لكفر الناس جميعاً لكنه أرحم بعباده عز وجل وقال تعالى { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً } وهذا لم يقع ، علم الله لو كان كيف يكون ،

وقال عز وجل { ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة } هذا لم يقع بل لا يزالون مختلفين والآيات كثيرة جداً في إثبات أن الله علم ما لم يكن لو كان كيف يكون منها كذلك قوله عن الغلام الذي قتله الخضر { وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً } قد علم عز وجل أن الغلام لو كبر لكفر ولتابعه والداه فأرهقهما طغياناً وكفراً ، فرحم الله الوالدين والظاهر أنه رحم الغلام بموته صغيراً دون البلوغ فمات مسلماً على الفترة لأبوين مسلمين ولو كبر كفر ولأرهق والديه طغياناً وكفراً ، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً ، فهو ليس كافراً في تلك اللحظة لكنه لو كبر لكان كافراً ، أما وهو صغير فهو على الفترة لم يبلغ الحنث كما قال موسى صلى الله عليه وسلم وإنما أنكر عليه الخضر عدم صبره عن معرفة الحكمة التي من أجلها شرع الله له قتله في تلك الحال فالله عز وجل علم ما كان وما سيكون ، لكن هذا العلم الأول من علم السابق على أفعال العباد لا يحاسب الله العباد بناء عليه فهو لا يحاسبهم إلا على ما وقع منهم من أفعالهم التي فعلوها باختيارهم ، إذا في علم بعد ذلك علم بما قد كان علم بما وقع من أفعالهم غير العلم الأول ، فهو لا يحاسبهم إلا ما وقع منهم من أفعالهم التي فعلوها باختيارهم ولا يعاقبهم على أفعالهم قبل أن تقع منهم فهو عز وجل علم أن الكفار سيكفرون ويقتلون المؤمنين يحاربون الرسل ومع ذلك لم ينزل بهم العقاب ولا أنزله بقوم قط قبل أن يكفروا وقبل أن يرسل إليهم الرسل قال تعالى { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً } وما كنا معذبين ما عذب أحداً حتى بعث إليه رسولاً وما أهلك الله عز وجل أمة وما عذب قوماً إلا بعد أن كذبوا وبعد أن كفروا وبعد أن ظلموا قال تعالى { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمراً متريفاً ففسقوا فيها فحق القول فدمرناها تدميراً } إذا أردنا أن نهلك قرية ، هذه إرادة إهلاك لقوم يجعلهم الله عز وجل يفعلون بإرادتهم ما يستحقون به الهلاك وهذا إنما يقع في الأمة ككل إذا كان الكبراء والمترفون يفعلون ذلك فيتأجهم الناس ، والترف من أعظم أسباب فعل الفسق والفجور ، أمرنا أمر قادراً كونياً على أصح الأقوال ، هذه الآية فيها وجهان لأهل التفسير والحقيقة عند التأمل أنهما تلازمان وإن كانا مختلفان إلا أنهما ملتزمان على الوجه الظاهر من الآية أن الله أمر المترفين أمراً كونياً قادراً من نحو قوله للمنافقين { اقعدوا مع القاعدين } خلاف الأمر الشرعي الذي كان لهم وهو { انفروا خفافاً وثقالاً } لم يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم وقال للمنافقين اقعدوا ، بل نفرهم فلم ينفروا لكن كره الله انبعاثهم لأنه لم يكن انبعاثاً خالصاً ولم يكن لنصرة الدين ولم يكن إلا لإفساد المؤمنين فثبطهم وقعدهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ثبط همهم وأضعفها عن الخروج وأمر أمراً قادراً كونياً بأن يقعدوا مع القاعدين فمن جنس هذا أمر الله المترفين بالفسق ، أمر أصحاب الترف بأن يفعلوا الفواحش قادراً وكوناً ولا يمسي فسقاً إلا إذا وجد أمر شرعي يخرجون عنه لأن الفسق هو الخروج عن الشرع ، خروج عن شرع الله فلا يقال فسقوا إلا إذا وجد أمر شرعي فسقوا عنه ، هذا بيان وجه التلازم مع التفسير الثاني الذي يقول أمرناهم شرعاً بالطاعة ففسقوا ، يقول أمرته فعصاني ، أنا أمرته يعصني بل أنا أمرته بالطاعة فعصاني ، فهذا يقول أمرناهم أي بالطاعة ففسقوا ، هو في الحقيقة ملازم للوجه الأول لكن ليس هو ، نحن نفسر على وجه والوجه الثاني ملازم له ، وهم بلا شك على وجه أمرناهم بالطاعة ففسقوا لا يصلح أبداً أن يكون خارجاً عن أمر الله الكوني بل لا بد أن هذه أيضاً قدره الله والله أعلم لكن أقرب إلى السياق والله أعلم أن الأمر هنا أمر قدري كوني لأن الأمر الشرعي يعم المترفين وغير المترفين ، يعني الأوامر الشرعية تأتي للأغنية فقط أم لأهل البلد جميعاً ؟ للأمة كلها فهذا خص أنه أمر قدري كوني ففسقوا فيها فلما فسقوا حق عليها القول حق القول بالعذاب فدمرناها تدميراً عدلاً منه عز وجل ،

متى حق عليه القول ؟ لما فسقوا ، فالعلم الثاني أن فلاناً سيعصي أو سيكفر أو سيظلم ، هذا العلم لا يحاسب الله عز وجل أحداً عليه ولا يحاسبه أنه لو أعطاه كذا لكفر فيعاقبه على ذلك مقدماً ، لا يحاسبهم على ما لم يحدث ،

نحن قلنا علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ما لم يكون لا يحاسب الناس عليه ، لذلك قلنا الغلام الذي طبع كافراً هل سيعاقب على الكفر ؟ إنه لم يكفر لأنه مات صغيراً وكذلك ما سيقع لم يعاقب الله أحداً بأنه سوف يفعل ، حتى الذين ماتوا في الفترة أو الذي جأته الإسلام وهو أصم أو أحمق أو هرم ، يوم القيامة ينتج ويقول أهل الفترة ما أتاني لك من رسول والأصم يقول لقد جأني الإسلام ولا أسمع شيئاً والأحمق والهرم يقول يارب قد جأني الإسلام وما أعقل شيئاً فلا يوجد أحد أن الله قد علم أنك كنت ستكفر فهو يعاقبك على علمه بما كنت ستفعل بل يأخذ الله عليهم العهود والمواثيق ليطيعه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخل سحب إليها ، إذاً لماذا يسحب إليها ؟ لأنه عصي ، أحد يقول أن هذا تكليف بما لا يطاق أن الناس يلقوا أنفسهم في النار ؟ نقول لا بل هذا مما لا يشق فقد كلف الله عز وجل من المؤمنين في الدنيا أن يفعلوا مثل قصة أصحاب الأخدود ، قال يا أم اصبري فإنك على الحق وألقت بنفسها في النار ، فإذا كان الأمر كذلك مع أنه عالم غيب ، نحن الآن الآخرة بالنسبة لنا غيب ومع ذلك وجد من المؤمنين من ألقى نفسه في النار طاعة لله ، فلما يأتي الناس يوم القيامة ويروا الحساب والجزاء والأهوال العظيمة يرونها عياناً أمام أعينهم إذاً لابد أن يتناسب مع ذلك تكليف شديد وأنه لا يكون تكليفاً مما لا يطاق لكنه تكليفاً مما يشق ، ما يتناسب مع أن الغيب صار شهادة ، لذلك من لم تبلغهم دعوة رسول من الرسل فالله عز وجل يعلم ماذا كانوا سيعلمون لو جأتهم دعوة الرسل ومع ذلك يمتحنهم يوم القيامة فلا يعذبهم بما علم أنهم كانوا سيفعلونه لو أتاهم الرسول ، وكذلك الصبيان الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين وليس معنى ذلك أنه يحاسبهم على علمه بما كانوا سيفعلون لو كبروا وإنما الذي تثبته أن الله أعلم بما كانوا عاملين لا أنه يحاسبهم على ذلك العلم الثاني ،

من هنا نفهم قوله تعالى { ولنلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم } لأن البعض يظن أن الله لا يعلم حتى يختبرهم فالله عز وجل كان يعلم من سيجاهد ومن سيصبر ولكن هذا العلم لا يحاسبهم عليه وإنما فسر أهل العلم قوله حتى نعلم المجاهدين قالوا يعلم علماً يحاسبهم عليه ويعلم أنه سوف يقع بعد علمه أنه سيقع وينتقل من علم الغيب إلى علم الشهادة ، فعلم الله عز وجل قبل وشهود الشيء ووقوع الحدث علم غيب وعلمه بعد وقوعه علم شهادة ، عالم الغيب والشهادة ، بعد ما رآه الناس وشاهدوه أصبح هذا العلم علم شهادة هو الذي يحاسب العباد عليه ، أما المخلوقون فعلمهم مقصور على ما بعد الوقوع أما قبل أن يقع فهو ظن وليس بعلم أما علم الله فهو علم بالشيء علماً جازماً قبل أن يقع وبعده ،

لكن على أي العلمين يكون الحساب ؟

يكون على العلم الذي بعد وقوع الفعل وهو علم الشهادة ، قال الله تعالى { وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين } لعلم ذلك علماً يحاسبهم عليهم،

قد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى { وليعلم الله } أو { ولنعلم } وهذا هو معنى علم الشهادة ليرى الله وهو يعلم الشيء قبل وقوعه ولكن قال { حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين } يعلم الذين آمنوا الذين وقع منهم الإيمان الذين وقع منهم الصبر ، يعلم المجاهدين الذين وقع منهم الجهاد بالفعل ليس لأنه لا يعلمه قبل وقوعه ولكن لا يحاسب العباد على ذلك العلم لا يحاسبهم إلا على العلم الذي بعد الوقوع ،

لكن لأنه يحاسب العباد على ذلك العلم الذي بعد الوقوع

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٦٥ - المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر

تكلمنا بحمد الله تبارك وتعالى عن المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر وهي مرتبة الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى الأول السابق على علمه المخلوقات وأن الله علم بعلمه القديم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم آجالهم وأرزاقهم ومصائرهم وما منهم من أهل الجنة وما منهم من أهل النار ،

المرتبة الثانية هي مرتبة الكتابة الإيمان بكتابة المقادير



الإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ وما يتبعها من كتابة تشمل الكتابة في اللوح المحفوظ وما بعده من كتابات .

قال الله تعالى { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذي يبخلون ويأمرون الناس بالبخل { تجد في هذه الآيات الكريمة الإيمان العظيم بعقيدة القضاء والقدر مع الآثار الإيمانية لهذه العقيدة ، قال الله عز وجل { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب { هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ ، محفوظ عن التبديل والتغير والنحو والإثبات ،

كما قال ابن عباس رضي الله عنه " الكتاب كتابان كتاب يحو الله منه ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب " فمفهوم من الكلام أن أم الكتاب لا نحو فيه ولا إثبات ، وهذا نص الأحاديث كما سيأتي

{ إلا في كتاب من قبل أن نبرأه {

على ثلاثة أقوال ،

من قبل أن نبرأها أن نبرأ النفوس أو من قبل أن نبرأ الأرض أو من قبل أن نبرأ الخليقة أو من قبل المصيبة ، والصحيح من قبل أن نبرأها هو الخليقة كلها كما ذكر ابن كثير رحمه الله ، إما عائد إلى الأرض أو النفوس أو الخليقة كلها ،

الضمير نبرأها أي نخلقها ، { إن ذلك على الله يسير { وذلك أن الإيمان بالقدر إيمان بقدرة الله أنه لا يعجزه شيء فهو يسير عليه سبحانه وتعالى أن يكتب وأن يخلق وأن يقدر عز وجل ،

قال الإمام أحمد ، القدر قدرة الله والقدر راجع إلى الإيمان بقدرة الله والله على كل شيء قدير ، دخل في هذه الأشياء ذوات العباد وأفعال العباد ،

فالإنسان إذا تدبر أنك كل الأمور مقدرة في اللوح المحفوظ مكتوبة قبل أن يخلق الله الخليقة علم سعة قدرة الله عز وجل أنه لا يعجزه شيء وتصاغر عند ذلك ولم يتكبر وتواضع الله سبحانه وتعالى لأنه يسير على الله أن يكتب كل هذه الأمور { إن ذلك على الله يسير {

ثم ذكر سبحانه وتعالى الثمار العظيمة النابعة من هذه العقيدة فقال { لكي لا تأسوا على ما فاتكم { لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم ولا تفرحوا فرح الإعجاب بالنفس وفرح الفخر والاختيار ، هذه الأمراض القلبية الخطيرة ، الحزن والعجب والفرح المذموم الفرح الذي يقول إنما أوتيته على علم عندي ، الفرح الذي يقول صاحبه هذا لي ، الفرح الذي يقول أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ، هذا الفرح الذي يؤدي إلى الكبر والاختيال على الخلق الافتخار عليهم ، ثم البخل بالدنيا إذا وجدت في يد الإنسان وحث الناس على هذا البخل لكي لا يتميزوا عنه بالكرم وكل ذلك من الأمراض المدمرة للمجتمع ، المدمرة للإنسان أولاً ومدمرة للمجتمع ثانياً ،

تزول هذه الأمراض وتعالج بالإيمان بالقدر فمن أين لك وأنت عدم وأنت مجرد خير قد كتب في اللوح المحفوظ من أين لك أن عندك كذا أو لك كذا ، هذا لي أوتيته على علم عندي أي علم كان لك ؟ أنت وهبت هذا في اللوح المحفوظ وأنت عدم قبل أن توجد ، قبل أن توجد الخليقة كلها ، فمن ذا الذي شفع لك في الأزل حيث لم تكن شيئاً مذكوراً حتى يكون لك ذلك الخير من أين لك أن تعجب بنفسك ؟

وأما إذا كان شراً أذاك أو كان أمراً قد فاتك فأنت الذي يزيل عنك الحزن والكآبة والذي يمنع من العمل ومنع من الانطلاق في المستقبل ومنع من الحرص على الطاعة ويدخل الإنسان في دائرة التسخط واليعاذ بالله الذي يمنعه من ذلك هو الإيمان بالقدر ، مهما كان من أمر فقد وقع قبل أن توجد وقبل أن تولد وقبل أن توجد على الأرض والخليقة كلها قدر الله هذه المصيبة فما كان يمكن أن يقع سوى ذلك ، كي لا تأسوا على ما فاتكم ، لكي لا تحزن على ما فاتك من الدنيا

{ ولا تفرحوا بما آتاكم { والقراءة الأخرى { بما آتاكم { آتاكم يعني أعطاكم وهذا تذكير بمعنى مهم من معاني معالجة مرض البخل ومرض العجب كذلك وهو أن الله الذي آتاك ، وعلى القراءة الأخرى بما آتاكم أي بما حصل لكم فمرده إلى الإيمان بالقدر أنك هذه الذي آتاك الله قدر أنه يأتيك ، وآتاكم على قرائتنا المشهورة فيها معنى جازز وأعلى في تأكيد أن العبد ليس من نفسه شيء ولا يقدر على شيء فختتم الآية بقوله عز وجل { إن الله لا يحب كل مختال فخور { الذي يختال على الناس لأنه رأى لنفسه ذلك ، لأنه فرح بما أعطي وهذا يشمل العطية الدينية والعطية الدنيوية ، فالذي يختال على الناس ويفخر عليهم بدينه جاهل بعلمه الديني أو بعمله يرى نفسه فوق الناس فهذا عمله أقرب إلى الحيوط لا يحبه الله عز وجل

والله لا يجب كل مختال فخور والبخل ناشئ أيضاً عن أن هذا ملك لي وهذا لي هذا الذي يدفعك أن تبخل به لو علمت أنك لم تكن تملكه وإنما شيء أعطيته وأن عدم وسوف يؤخذ منك بعد ذلك فلماذا تبخل والله قد أمرك وهو مالك هذا الشيء وفي الحقيقة جعله عارية عندك وأمانه لديك وقال البعض في هذا لو تعاملت بهذه النفسية مع ما لديك من مال ،

أولاً كما ذكرنا لا تأسى على ما فات صاحبه قد أخذ منه شيئاً ،

ولن تبخل به إذا أمرت صاحبه أمرك أن تضعه في المكان الفلاني ،

مثل ما شبهنا قبل ذلك وقلنا أن واحد جالس على خزانة بنك وهو رجل عامل فقير وهو أهل رجل عامل على الخزانة وأتى مدير البنك أو صاحب البنك ، وصاحب البنك نفسه أو مالك البنك وقال له هات المال الذي هنا سيقول له تفضل له مصلحة أنك خففت عني المسؤولية أو قال له هذا توقيعي والذي يأتي لك بشيك أدفعه ، ما شعوره وهو يخرج من نفسه مثل واحد فينا لو قالوا له اخرج من جيبك بلا شك شعوره وهو يخرج للرجل الذي جاءه وعنده توقيع صاحب البنك شعوره أنه حقه وماله أو أنه صاحب التوقيع صحيح وهذا الرجل يريد أن ينتهي من المال الذي عنده حتى يقول ما في شغل ، هذا صيغة التي أخذه كعارية فعلاً لا يملكها ، هذا الكلام من أين يحدث ؟ من شهود القدر شهود الأولية شهود الكتابة السابقة والعلم السابق ، لو حصل ذلك لزال عنه الشعور بأنه يريد أن يمسك بأنها ملكه هو بل ليست ملكه هي عارية لديه ،

انظر إلى هذا المعنى العظيم الذي فهمته أم سليم لما قالت لأبي طلحة يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ثم أرادوا أخذ عاريتهم ألهم أن يمنعهم ؟ قال لا ، شعور عالي جداً وهو ابنها ومات فقالت واروا الصبي وتزيت لزوجها وأطعمته ونال منها ثم قالت له هذا الكلام ، أرأيت أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فأرادوا أخذ عاريتهم ألهم أن يمنعوا ؟ قال لا ، قالت فاحتسب ابنك ، فالرسول صلى الله عليه وسلم مدح فعلها ذلك واستحسن منها لعمق إيمانها بالقدر لأن هذا الولد عارية لدي ، وهذا الولد لو حصل له أمر ونظر هذه النظرة استطاع أن يطبق هذا الإيمان ، وإنا إليه راجعون ، إنا لله هذه هي التي رأته ، وحققت لما أصابتها بذلك حققت إنا لله ، مملوكين لله وأخذ ملكه وأخذ ما أعطانا عارية فلماذا نخزن ولماذا نبخل ولماذا نفتخر ولماذا نختال على الناس وكنا في تلك اللحظة الغني والفقير الكل كان عدماً محضاً في لحظة قبل خلق الخليقة كنا سواسية تماماً ، المالك والمملوك والصغير والكبير لحظة كنا فيها كنا عدم ، والتفكر في هذه اللحظة وفي هذه الكتابة في ذلك التاريخ البعيد جداً ما يجعل الإنسان تزول عنه هذه المراتب يزول عنه الشعور بالملك والملك الذي يجعله منازعاً في الربوبية في الحقيقة وكثير جداً ينازع من حيث لا يشعر ويقترح من حيث لا يشعر ومثل ما تكلمنا على الإيمان بصفة العلم أن الإنسان لو استحضر علم الله تبارك وتعالى يتصاغر ويتواضع ولا يقول أنا أعلم فضلاً أنه يقترح على الله ويقول كان يحصل كذا ويحصل كذا وكيف صنع كذا ولماذا والعياذ بالله ، فهذه مثلها في قضية الملك والشعور بالفقر التام ومشاهدة هذه اللحظة { من قبل أن نراها } وإن الأمر في قدرة الله وهو يسير على الله عز وجل قال { لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا على ما آتاكم والله لا يجب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد } مرده أنك تشعر بالصفيتين هاتين من أهم الصفات في قضية القضاء والقدر ،

أن الله هو الغني إذا أنت الفقير ، أنت تحتاج إلى الله كل لحظة والله عز وجل غني عنك ، الذي أتى لك والذي ذهب منك ، أنت فقير إلى الله عز وجل فيه هو يفعل كيف ما شاء وأنت لا تظن نفسك غني عن الله عز وجل ، ولكن أنت دائماً إليه فقير ،

ثم هو حميد عز وجل إياك أنت تظن فيما فعل أنه ظلم أو أنه وضع الأشياء في غير موضعها أو أنه يخس حقك وأنت كنت تستحق غير ذلك ، بل هو حميد عز وجل فيما أعطى وفيما منع ، فيما آتاك وفيما فاتك ، بل هو الذي قدر ذلك فله الحمد الحميد الذي له الحمد سبحانه وبحمده ، الغني الحميد ،

هذه الآية لو جمعها مع التي قبلها وما بعده لظهر لك الأمر في منتهى الوضوح ، التي قبلها قوله عز وجل { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } هذه في الحقيقة مقدمة ضرورية لكي يسهل عليك أنك لا تأسى على ما فاتك ولا تفرح بما آتاك ، متاع الغرور يعني ماذا فاتك لكي تحزن عليه هكذا،

والصراع الدنيوي القتال مبني على تعظيم الدنيا ، لو أن الإنسان استحضر أنها متاع زائل يغر به المغرور { متاع الغرور } هل سيسابق عليه ؟ لا ، لا يسابق عليه بل يسابق على الآخرة، لذلك قال بعدها { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض } يعني الذي تحرص عليه وتسابق عليه ليست هذه الدنيا التي لا تساوي ، وأنت ماشي في هذه المسابقة سيصيبك أشياء ما يكون علاجها ؟ يكون علاجها في { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } ، والآيات التي بعدها في شهود الشرع { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط } إذا تؤمن بالقدر وتعمل بالشرع ، والشرع جاءت به الرسل وهذه حقيقة { إياك نعبد وإياك نستعين } حقيقة إياك نعبد عمل بالشرع قيام بالقسط عمل بما جاءت به الرسل وإياك نستعين إيمان بالقدر فالإنسان إذا استحضر هذه المعاني صار في الصراط على الطريق المستقيم ، هو فعلاً تجدد انحراف الناس عن الصراط المستقيم كأنه مثل الشعرة ، الانحراف هو الذي يشقيهم والشرع هو الذي يقيمك على الصراط

المستقيم الذي هو مثل الشعرة ، تأتي يمين أو شمال تشقى لو فرضت في الأولى وأن الدنيا كبرت عندك وتفاخرت فيها ستشقى لأنك انخرفت ، لو أنك تسابقت على الدنيا ولا تتسابق على الآخرة انخرفت ، لو أنك تركت الإيمان بالقضاء والقدر على حقيقته ستحل بك الأمراض المختلفة أمراض في الفقر وأمراض في الغنى ،

أمراض في الفقر السخط والحزن والكآبة والعجز والشقاء المستمر في الفقر ، والأمراض في الغنى هو الغنى المطغي الفخر والاختيال والعجب بالنفس والعياذ بالله ، هذه كلها أمراض بسبب عدم الإيمان بالقضاء والقدر ،

لو واحد استغرق بالإيمان بشهود القدر دون أن يضبط بالشرع يقع في ضلالات الصوفية المنحرفة والعياذ بالله ،

فالذي يسيرك على الصراط المستقيم الذي إذا سرت عليه تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة لكن ستستطيع السير عليه إذا كنت من أهل الطاعة ، كذلك في الدنيا ،

لذلك الانحراف عن كتاب ربنا سبحانه وتعالى هو الذي يحصل به الفساد العريض ، كل فساد يحصل بسبب البعد عن هذه العقائد الإيمانية التي هي النور الحقيقي للإنسان فهذه من أعظم ما يثبت الإيمان بالكتابة ،

والله العظيم شيء ليس له نظير ، الإيمان بالقضاء والقدر قارن هذه الآيات بطريقة المتكلمين، افتح صفحة مناظرة بين قدري وسني أو بين جبري وسني في شفاء العليل وانظر كيف يتكلمون في هذا الموضوع ، والله العظيم ستجد فرق ما بين السماء والأرض بل ممكن تقول إنها قليلة ، ما بين أثر الإيمان بالقضاء والقدر في القرآن العظيم والثمار الإيمانية التي تغير سلوك الإنسان في نفسه وفي معاملاته مع الناس تجده إنسان غير مختال غير حزين يرضى بالغنى ويرضى بالفقر ينفق إذا كان غنياً لا يأمر الناس بالخل ليس بخيلاً ، كريماً ليس مختالاً فخوراً لا يسخط على الله عز وجل لا يستغني عن الله ،

الاستغناء عن الله هذا مرض ، ولا أقول كل أغنياء العالم إلا من رحم الله ، وذم الله سبحانه وتعالى بدلاً من حمده وعدم شكره مرض أكثر العالم من الفقراء هم كذلك وأغنيائهم وكلهم يقترح على الله خلاف ما كان مع أن هذا قدره وهو يستحق عليه الحمد لأنه مقتضى أسمائه وصفاته ثم يلتزم بالشرع بعد ذلك، نقول بين الأثر على المؤثرين على سبيل الشركة أم على سبيل البدل أم على سبيل الاستقلال ، وهذا كلام المتكلمين ، كلام أصلاً من فهمه يكون من أفذاذ العالم ، مع إن العبارات هنا سهلة وجميلة جداً يفهمها العالم والجاهل يفهمها كل من وقف وتدبر يجده يسير جداً وألفاظ سهلة وواضحة فلا بد من أننا نهتم بمسألة معرفة آثار هذه العقائد الإيمانية من خلال الكتاب ومن خلال السنة وبيان القرآن في الحقيقة في هذه الطريقة ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ( يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يفعلوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف )

هذه ذكر قضية القلم والصحف الأولى المكتوب فيها لكن ذكرت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم بنفس الطريقة القرآنية ، أعني بذكر الثمار المترتبة على ذلك ،

قلنا القرآن بين زوال الأمراض القلبية الناشئة عن الفقر أو الغنى وعن تعظيم الدنيا وغير ذلك ، السنة أرشدت إلى نفس المعالجات إلى أمراض قلبية تحدث للإنسان ،

أولاً أحرص على ما ينفعك واستعن بالله قال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك إذاً العمل بالشرع ، نتيجة ذلك أن يتحرى شرع الله في دينه ودنياه ، احفظ الله تجده أمامك في الرواية الأخرى بمعنى أن ثمرة طاعتك لله سبحانه وتعالى سوف تجد عاقبتها والله عز وجل تجاهك وأمامك يحفظك ويعينك ويقدر لك الخير ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، فأنت تنزل حاجتك بالله سبحانه وتعالى لأن الله هو المالك الحقيقة لكل ما في هذا الكون ، وإذا استعنت فاستعن بالله وهذا شهود الإيمان بالقضاء والقدر أنني أحتاج إلى الله عز وجل وأنا لا أملك لنفسي ولا أقدر بنفسي ولكن أنا أقدر بإقдар الله لي وإيعانة الله لي فأنت تفعل ولكن الله يعينك والله يقدرك والله يجعل لك القدرة والإرادة والمشية ،

إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، حل المشكلة القديمة الحديثة في تصور العلاقة بين إرادة الإنسان وقدرته وبين إرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعني العبد وهو الذي يوفقه وهو الذي يخلق فيه ذلك، والله عز وجل قد فطرنا على فهم هذه العلاقة وإن لم ندري كيفيتها، الحقيقة التي نفهمها تفهم بوضوح وأنت تجدها من نفسك أنك تستعين بالله فيعينك وتقول كيف حدثت ؟ بغير بحث عن كيف ماذا حدث في النفس الإنسانية لكي توجد فيها الإرادة والقدرة ونحو ذلك ؟ الله عز وجل الذي يفعل ذلك ، تجدها من نفسك كما يجد الإنسان نفسه يعرف الأكل ويعرف الشبع وإن كان لم يعلم كيف شبع ، يمكن الطب عرفنا بعض الأشياء بوجود مركز للشبع ومركز للجوع وفي كذا وكذا ،

لكن الحقيقة التي نفهمها جيداً أننا لما نأكل سنشبع وهذا الموضوع لا يحتاج إلى دراسة الطب لكي ندركه ، بل كيفية تأثير القدرة الإلهية في القدرة الإنسانية مجهولة ، لكن الله عز وجل خلق العباد وخلق لهم قدرة وإرادة ومن هنا كانت الاستعانة، لو كان الإنسان مستقلاً لما احتاج إلى من يعينه لما قال استعين الله أو إياك نستعين ،

ثم قال واعم أن الأمة والخلق جميعاً لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، فلا تظن أن الناس هم الذين أعطوك ،

إن من ضعف اليقين أن تحمد الناس على رزق الله وأن تدمهم على ما لم يأتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كراه ، إذاً لا تحمد الناس على أنه مصدر الرزق وأنه مصدر النعمة ، يقول فلان ولي نعمتي بل ولي النعمة هو الله ، الله هو الذي أعطاك من خلاله ، فلان هذا عبد من العباد وسيلة من الوسائل ، تفرق كثير جداً أن واحد ينظر هذه النظرة لأنه آمن أن الله هو الذي قدر لك هذا الرزق قبل أن توجد وكتبه الله لك ، تفرق كثير أن واحد يعلم أن الله أعطاك من خلاله وبين أن فلان هذا هو الذي أعطاني وفلان هذا هو كل شيء بالنسبة لي ،

فلان هذا مصدر كل شيء إذاً أنت عبد عنده وكم من الناس يبيع دينه لأجل أن فلان هو سيده ولأجل أن فلان هو ولي نعمته ولأن فلاناً هو القائد الكبير لو أمرهم بالكفر لكفروا وهم يقررون ذلك ويصرحون به والعياذ بالله ، كم من الناس مستعدون في أنفسهم لهذه الطاعة المطلقة ، لأجل أن قائده وسيده وملكه ورئيسه هو ولي نعمته ، بخلاف لما تشعر أنه صغير مثلك تماماً وإن ربنا هو الذي أعطاه لك هو والعالم كله صغار مثل ما أنت صغير ، وأن الله هو الذي أعطاكم كل ذلك ، أعطى هذا من خلال هذا وأعطى هذا من خلال الآخر ، وأمر أن تشكره إذاً يستحق أن يشكر ولكن على سبيل السببية والوساطة لا على سبيل أنه هو مصدر النعمة ، ( لا يشكر الله من لا يشكر الناس ) { أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير } لكن تشكره على أنه هو المصدر بل الشكر هذا إرضاء للمنع ، وأنت تكفر بالله أو تعصي الله لأنه أمرك ؟

لذلك كانت قضية الطاعة إنما تكون في المعروف ، مرتبطة بقضية القضاء والقدر مرتبطة بمصدر النعمة ، كيف تستشعر ذلك ، تستشعرها بأن الله هو الذي أعطاك في ذلك الغيب البعيد ،

( واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك )

وذلك لا تعتقد أن الناس سينفعونك بل سينفعونك بما نفعلك الله به بما كتبه الله لك ، إذاً لا تعاملهم على أنهم مالكين للنفع ، وتقول ماذا أفعل من غيرهم وماذا أفعل لو منعوني وماذا أفعل لو أطعت الله في معصيتهم سأضيع ، لا بل لن تضيع أبداً ، لن يفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،

( ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك )

إذاً هم مجرد وسائل لإيصال قدر الله عز وجل لك ، إذاً هم سيغرون جداً ولا يكبرون وبالتالي لم ترجوهم ، وتعمل بالخوف والرجاء لله وحده لا شريك له ،

الأمراض القلبية الناشئة عن رجاء الناس وخوفهم ، أمراض مهلكة للإنسان مدمرة تجعل الإنسان عبد عند غير الله سبحانه وتعالى ،

قال ( رفعت الأقلام وجفت الصحف ) شيء ينزل كالبرد والسلام على القلب تذهب عنه حر خوف الناس وحر رجائهم ،

هي عذاب أن الإنسان يرجو الناس ويخافهم إن الناس تكبر عند العبد وتكون هي التي فوقه وحاسمة على قلبه ، بل هو يتحرر ويعلوا ويراهم صغار مثل ما كانوا عندما كتبوا في اللوح المحفوظ عندما رفعت أقلامه وجفت صفحه وانتهى الأمر وكتب ما هو كائن هو نفس المعنى ، طريقة مختلفة تمام الاختلاف عن طريقة تناول معظم الأمم لطريقة القضاء والقدر ،

قضية القضاء والقدر عند بعض الناس متناولة من آلاف السنين ، أنهم وضعوا الألعاب بناء عليها وطريقة تفكيرهم مبنية عليها ، يعني الشطرنج والطاولة مبنية على عقيدة القضاء والقدر أليس كذلك ،

### تكملة الدرس

الشطرنج هذا واحد يصنع كل شيء ، والطاولة تأتي له مصيبة تنزل فوق رأسه أو كنز يفتح له ، مثل ما أنه يرمي شيء لا يعرف عنه شيئاً لأنها تعبر عن ..... لدى البشر في الحقيقة وكلاهما منحرف لأن واحدة تمرض من جهة والأخرى تمرض من جهة أخرى ،

الذين يلعبون الطاولة كثيراً في الغالب جريين ودائماً على المقاهي والعياذ بالله ومستسلمين بلا الأخذ بالأسباب ودائماً

والذين يلعبون الشطرنج معجبين بنفسهم إعجاب فوق الطاقة ،

وهذه الألعاب ليست محرمة للهو فقط ، بل لأنها تسبب أمراض كثيرة جداً في قلب الإنسان وفعلاً من يجرب شيئاً منها ويتمن الله عليه بالبصيرة يعرف أنها تأتي بأمراض متعددة تمرض قلب الإنسان من الإعجاب وخصوصاً الشطرنج مثلاً يسبب الإعجاب وأنه قادر على كل شيء وأنه يستطيع أن يفعل فإذا كسر حصل له ذل وهوان ونسأل الله العفو والعافية .

الغرض أن الذي يقول طريقة الأمم في تناول هذه القضية قضية الفلاسفة لم تنزل مبحوثة أيام أرسطو وأفلاطون وغيرهم إلى ابن سينا إلى المتكلمين المعاصرين ، والناس تتكلم في قضية القضاء والقدر وتجد أن الكتاب والسنة مثل الشمس والثانية مثل الظلمات لا أنها شمعة مثلاً لا بل لا يوجد ضوء هي مظلمة تماماً والعياذ بالله ،

أخبر الله عز وجل بوجود الخبر السابق وبكتابة المقادير في كتاب ، كما قال سبحانه وتعالى ي سورة الأنعام { وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } يبين لمن ؟ يبين منه أنه قد أحاط بتفصيل كل شيء فقال سبحانه وتعالى { وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } وهو أم الكتاب إمام مبين يبين منه كما ذكرنا تفاصيل كل شيء ،

وقال تعالى { بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ } فالقرآن قد كتب في اللوح المحفوظ وقد جعله الله عز وجل مجيداً فهو فوق كيد الكائدين ومكر الماكرين ، لو تدبرت قبلها من الآيات { هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ } ، السورة من أولها إلى آخرها في الصراع بين الحق والباطل وأن الباطل قد ينتفش أحياناً وأن الباطل قد يظن البعض أنه قد ظهر ولكن القرآن قد جعله الله مجيداً في اللوح المحفوظ فمهما كان من انتفاش الباطل مدة ومهما كان من جنود هل أتاك حديثهم عرفت مآلهم فرعون كيف كان ماله ثمود كيف كان ما لهم وقد جندوا الجنود الكثيرة للصد عن الحق لنشر الباطل ونصرة قال { بل الذين كفروا في تكذيب } بهذا القرآن { والله من ورائهم محيط } الإحاطة التامة قدرة وعلماً ، الله عز وجل قد أحاط بهم { بل هو قرآن مجيد } فهذا يعني مهما عملوا من عمل للكيد بالإسلام وأهله فذلك عمل حابط والتكذيب الذي يكذبون به القرآن رغبة في إذلال من آمن به أو إذلال هذا القرآن لا أثر له بل { هو قرآن مجيد في لوح محفوظ } فكونه قد كتب في اللوح المحفوظ مجيداً وظاهراً وعالياً فلا يمكن أن يزول هذا الأمر ،

نكرر كذلك كما قال عز وجل { وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم } فمحاولات الكفار كلها من إهانة القرآن أو إذلال القرآن محاولات دائماً أبداً تبوء بالفشل لأنه عند الله في أم الكتاب علي عالي مرتفع صبيغة مبالغة من العلو ، علي حكم محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

كل هذه الآيات تدل على إثبات أم الكتاب ، قال الله عز وجل { يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } كما ذكرنا تفسير ابن عباس يدل على وقوع الحو والإثبات في غير أم الكتاب وهذه الآية تدل على عدم صحة الدعاء اللهم إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقياً فامحني واكتبني سعيداً ، وهذا أثر ضعيف والذي روي " إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً " هذا أصح منه دون لفظ أم الكتاب ، فلا يصح أن يدعوا بما لم يرد وبما يتناقض مع ما ثبت في الكتاب والسنة من أن اللوح محفوظ وأن الكتاب الأول لا محو فيه ولا إثبات بل لو كان من محو وإثبات في كتب أخرى لكان هذا مما يكون فيكون مكتوباً في اللوح المحفوظ ، فلا يتصور محو وإثبات في اللوح المحفوظ خصوصاً قول النبي صلى الله عليه وسلم ( جف القلم على علم الله ) فالقلم الأول غير الأقلام التي تكتب بها مقادير أخرى أو كتابات أخرى ، القلم الأول جف على علم الله ، لا يحتمل اللوح المحفوظ محواً وإثباتاً ،

وقال تعالى { ما فرطنا في الكتاب من شيء } على أرجح الأقوال ما فرطنا في اللوح المحفوظ من شيء وإنما سمي محفوظاً لأنه لا محو فيه ولا إثبات فهو محفوظ عن التبدل والتغيير ، جفت صحفه ،

وفي الحديث الصحيح أن عبادة ابن الصامت قال لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الحقيقة لما قال لابن عباس ما ذكرنا ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، هذا يصب عن الإنسان الحزن ويزيل عنه العجب كذلك ،

ما أصابك لم يكن ليخطئك : يزيل عنك العجب لأنه لا بد أن يقع ويزيل عنك الحزن إذا كان أمراً مكروهاً ،

ما أخطأك : شيء فاتك من الخير لم يكن ليصيبك فاتك وانتهى الأمر الله عز وجل قدر ذلك ،

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال ربي وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني ) وأصح أقوال أهل العلم أن القلم هو أول مخلوق ومن العلماء من يقول العرش ومنهم من يقول الماء وابن القيم

يرجع أنه العرش لأنه يرجح الرواية الثانية أول ما خلق الله القلم قال له اكتب لكن الصحيح أن الروايات ورواية ( أول ما خلق الله القلم ) وفي رواية ( أول شيء خلقه الله القلم ) تؤكدان صحة ما ذكرنا أن القلم هو أول مخلوق أما شكل القلم وكيفيته فالله عز وجل أعلم به،

الروايات الثابتة مثل ما قلنا ( إن أول ما خلق الله القلم ) فيها . إن . وإن تدخل على الجملة الاسمية ، يكون أول أسم إن القلم خبر إن صريحة في أن القلم هو أول المخلوقات وخصوصاً رواية ( أول شيء خلقه الله القلم ) والروايات هذه ثابتة في السنة لابن أبي عاصم ، الروايات صريحة وثابتة ،

في ضبط آخر لبعض الروايات ،

( أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ) مثل ما نقول أول ما جاء أحد أعطيته درهماً هل هذا يدل على أن أحمد هو أول واحد يدخل المكان ؟ ، ممكن يكون محمود دخل قبله لكن أول ما دخل أحمد أعطيته درهم ، إذاً أول يكون ظرف وتكون الجملة جملة فعلية عندما دخل أحمد يكون أصل الكلمة . دخل أحمد فأعطيته درهماً . أول ما دخل أعطيته درهماً . وتكون أعطيت أحمد درهماً أول ما دخل وتكون جملة فعلية ، لذلك قلنا دخول إن تثبت أن الجملة جملة اسمية أليس كذلك لأن إن لا تدخل على الجملة الفعلية ، ولا تكون . أول . ظرف لأنها مبتدأ ، لأن الجملة الفعلية هي التي تكون فيها أول ظرف ،

فضبطوا أول ما خلق الله القلم ، ضبطت بالرفع على أنها مبتدأ والذي ضبطها بالفتح على أنها ظرف لذلك نقول أن دخول . إن . عليها تثبت رواية الرفع ، تفصيل ذلك أن الجملة إذا كانت . أول ما خلق الله القلم .

فأعربوها

أول :مبتدأ

ما : موصولة في محل جر مضاف إليه ،

خلق الله : فعل وفاعل والجملة صلة الموصول

القلم : خبر المبتدأ مرفوع بالضمه

معناها أول شيء خلقه الله القلم أو القلم أول ما خلق الله من الأشياء

على الضبط الآخر تكون الجملة هكذا ، أول ما خلق الله القلم قال له اكتب

إعرابها :

أول :ظرف زمان مضاف إلى الجملة التالية متعلق بالفعل

ما : مصدرية ،

خلق الله : فعل وفاعل

القلم : مفعول به ،

فقال له اكتب قال فعل ماضي تعلق به الظرف أول ،

الجملة فعلية ويكون معناها . عندما خلق الله القلم . أول ما خلقه قال له اكتب ، هذه الرواية الثانية لا تفيد أن القلم أول المخلوقات ،

وإنما تفيد أنه أمر فوراً بكتابه ما هو كائن إلى يوم القيامة ،



كقولك أول ما دخل محمد رحبت به وأعطيتيه درهماً ن

الرواية الأولى هي الصحيحة ، وهي تدل على أن القلم هو أول المخلوقات بداية ، أي أول مخلوق والدليل على أنه الصحيح رواية ابن أبي عاصم رواية ( أو شيء خلقه الله القلم ) وهذه الرواية ( إن أول ما خلق الله القلم ) دخول إن على الجملة تدل على أن أول مبتدأ لا ظرف ، هذه تفيدنا في مسألتين وشيخ الإسلام ابن تيمية وتبعاً له ابن القيم رحمه الله يرجحان رواية ( أول ) إعرافاً عن الروايات الصحيحة ،

يمكن تكون لم تبلغهم أو ظنوا أنها غير صحيحة وهي روايات ثابتة ،

في مسألة أن الترجيح في أن العرش والقلم أول المخلوقات ، طبعاً هو يرجح لأن في رواية صحيح مسلم ( كتب الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ) فيقول أن وقت الكتابة كان العرش موجود ، فيقول العرش أولاً والصحيح أن - الواو - لا تقتضي الاقتران ، تقتضي مطلق العرش حتى لو قلنا أن ساعة الكتابة كان العرش موجوداً على الماء فلا مانع من أن يخلق الله الخلق وهذا أول ملحق ثم قال الله أكتب بعد ذلك ، لأننا قلنا أن أول ليست ظرف ، بل إثبات أن القلم أول المخلوقات وبعد ذلك خلق العرش والماء وعند الكتابة كان العرش على الماء ، هذا لو سلمنا أن الواو تقتضي الاقتران ، اقتران ساعة الكتابة وبين وجود العرش على الماء ،

الحديث يقول عطف جملة على جملة ، وكان عرشه على الماء ، إثبات أن العرش على الماء مع إثبات كتابة المقادير ،

لو ثبت لم يكن دليل على أن العرش كان موجوداً أولاً ،

النزاع بين السلف الذي نقله ابن القيم رحمه الله في إن العرش أول المخلوقات أم القلم ، أم كما زاد ابن حجر في رواية أخرى أن الماء هو أول المخلوقات ،

هذا الاختلاف يدل على اتفاق السلف على وجود أول مخلوق ، ويدل على وجود مخلوق أول ويدل على بطلان مسألة التسلسل الأول في البداية ، أنه ما من مخلوق إلا وقبلة مخلوق بلا بداية ،

وبعض العلماء يقول عليها ويسميتها جنس المخلوقات يقول جنس المخلوقات القديم بمعنى أن كل واحد منهم كان عدماً وبعد ذلك خلق لكن بلا بداية ويفهم من كلام شيخ الإسلام هذا الكلام الذي نقله صاحب الطحاوية وكأنه منتصر لذلك ومن المعاصرين من المشايخ المعاصرين من يصرحون بهذه المسألة ، وهو دائماً ، هي مسألة حوادث لا أول لها ،

في مخلوقات لا أول لها في النهاية بلا نزاع بمخلوقات لا أول لها مثل الجنة والنار وأهل الجنة وأهل النار وأنواع النعيم وأنواع العذاب المستمر لأبد الآباد ، وكلها ينتهي واحد ويأتي بعده وأهل الجنة باقون لكن يتجدد لهم الأنواع مثل الطعام والشراب والنعيم حتى أفعالهم وما يقع لهم من أنواع اللذات إذا أنتهى حل محله نوع آخر سواء معنوي أو حسي ،

فبلا نهاية هذه المخلوقات باقية بلا نهاية ، والله يبقئها سبحانه وتعالى ، هي باقية بإبقاء الله لها ، الله هو الباقي سبحانه ، خالدين فيها بإذن رحمهم ، إذا البقاء ليس بأنفسهم ولا بذواتهم وإنما هو بإذن رحمهم ، الله الذي أبقاهم ،

هل في في البداية مثل ذلك ؟

شيخ الإسلام كلامه يتحمل شيئين يحتمل المعنى أنه في في البداية ذلك ، هذا الكلام الظاهر والذي حاول صاحب الطحاوية أن ينتصر له ويقول فيه تسلسل في النهاية مثل تسلسل البداية ، ولذلك ضعفوا رواية البخاري ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) لأنها نص صريح قاطع في أن الخلق جميعاً كانوا عدماً أنه بعد ذلك خلق الله الخلق ، وإن الذي يحتمل من حوادث لا أول لها هي أفعال الرب لأن أفعال الرب تسمى حادثة وهذا أحسن محمل لكلام شيخ الإسلام ،

ابن تيمية لا يصرح بمخلوقات لا أول لها لكن صرح بحوادث لا أول لها

والإمام البخاري نص على ذلك ، إثبات أن أفعال الرب تسمى حوادث وبالتالي فلا أول لها لأن الله لم يزل فعالاً لما يريد لأن الله عز وجل ليس معطلاً عن الفعل ، ولا يلزم من كل فعل من أفعال الله أن يترتب عليه خلق ،

إذاً الجواب كيف تثبتون أن الله لم يزل فعالاً لما يريد وتنكرون أن الخلق لم يزلوا مخلوقين ، وأن جنس المخلوقات كان أزلياً ،

يقول لم يزل فعالاً لما يريد ليس معطلاً عن الفعل إذاً يلزم من ذلك وجود خلق،

نقول لا في أفعال لا يترتب عليها وجود خلق قال الله { بسم الله الرحمن الرحيم } قال الله { الحمد لله رب العالمين } هل يترتب على ذلك وجود خلق ؟

بسم الله الرحمن الرحيم لا يلزم بوجود خلق ، الحمد لله رب العالمين يوجد منها خلق ، العالمين بعد ذلك ،

إنما يوجد الخلق بـ ( كن ) فيكون وليس بكل كلام يتكلم به الرب سبحانه وتعالى ، هناك خلق يتكون بكن وهناك كلام يتكلم الله به فلا يوجد به خلق ، يفعل الله ما يشاء سبحانه وتعالى ويتكلم كيفما شاء ،

فمخلوقات لا أول لها هذه قالوها بعض أهل العلم في بعض مؤلفات المعاصرين مثل كلام الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية وانتصر لهذا القول وكثير جداً من مشايخ السعودية يرجحون هذا القول لأن شيخ الإسلام انتصر له وهو قول باطل لا نشك في بطلانه مصادم للأحاديث الصريحة الصحيحة ،

ابن حجر يقول هذه أشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية ، وهي في الحقيقة مسألة شنيعة فعلاً أن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق هذه باطلة ، أن جنس المخلوقات قديم هذا يشبه كلام الفلاسفة ،

ثم عندنا أحاديث صريحة وصحيحة كيف نتركها ، عندنا حديث يقول ( إن أول شيء خلقه الله القلم ) عندنا حديث يقول ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) في البخاري ، كيف تضعف هذه الرواية بمجرد التوهيم ، أن الراوي وهم أن الله كان ولم يكن شيء قبله لأن قبله ليست صريحة في نفي المخلوقات مثل ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) رواية غيره صريحة في نفي وجود المخلوقات وهذه فطر البشر في الحقيقة وفطرة أهل الإسلام والإيمان ، وهذه أحاديث صحيحة صريحة لا مطعن فعها فسر بعضها بعضاً قبله تفسر بغيره تماماً وإن التسلسل غير وارد في البداية كما هو حاصل في النهاية ، النهاية لأن الله هو الذي أبقاهم أما البداية فكانوا عدماً محضاً ( كان الله ولم يكن شيء غيره ) لا نشك في ذلك ،

أن القول أن المخلوقات لا أول لها قول باطل بلا تردد ، القول بجوادم لا أول لها نقول بذلك لكن ما هي الحوادث لتي لا أول لها ؟ أفعال الله عز وجل لم يزل فعال لما يريد ، حدثه لا يشبه حدث المخلوقين ، تسمى حوادث لكن ليست بمعنى أنها مخلوقة ، أفعال الله ليست مخلوقة وهي حادثة بمعنى أنها تقع حين يشاء يفعل ما يشاء حين يشاء ، كما قال الله عز وجل عن كلامه { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } قال البخاري حدثه لا يشبه حدث المخلوقين ، فكلامه ليس بمخلوق وحادثة بمعنى أنه كان في الوقت الذي شاء وهو سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً به ،

كونه كان في الوقت الذي شاء مثلما قال شيخ الإسلام في تكليم الله لموسى يقول أن أهل السنة أنهم يقولون أن الله كلم موسى حين كلمه ولم يكن كلمه قبل ذلك ، خلافاً للأشاعرة الذين يقولون أن الكلام لم يزل قديماً ولكن أزيلت الحب عن موسى فسمع كلام الله عز وجل في ذلك الوقت فقط ، لكن نص القرآن يثبت غير ذلك ،

قال { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه } { فلما أتاه نودي } إذاً النداء متى ؟ لما أتاه ، فكيف تقول أن أنه ليس في ذلك الوقت ، ولأنهم أصلاً لا يثبتون الحرف والصوت ونحن نثبت الحرف والصوت بنص الحديث ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( من قرأ حرفاً من القرآن فكان له بكل حرف عشر حسنة لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ) ، لماذا هم لا يثبتون الحروف ؟ لأنه عندهم لو أثبت الحروف يلزم إثبات تعلق فعل الرب بالزمن لأن لازم الباء بعده سين حتى تطلع بس بسم الله ، والباء وبعده سين وبعده ميم ، ساعة الباء لم يكن سين وبعدها جاءت السين ولم تكن الباء ولذلك نقول أفعال الرب متعلقة بزمن ونصوص القرآن تعلق الرب بالزمن ، خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهذا حقيقة ليس فيه نزاع عند أهل الإسلام ،

عند التأمل والتدبر أن الله عز وجل متى يحيي الخلق ؟ يوم القيامة يوم تقوم الساعة يوم يفصل الله بين العباد يوم الفصل أفعاله هو عز وجل ، من الذي يفصل ، هو خير الفاصلين عز وجل ،

فكل أفعال الرب عز وجل ، وأفعال الرب عز وجل متعلقة بالزمن ،

يقولون ربنا هو الذي خلق الزمن ؟ وما المشكلة أن أفعال الرب تتعلق بمشيئته أن تقع في زمن معين ، ومن هنا سميت حادثة ليست بمعنى مخلوقة أنها حدثت حادثة مثل حوادث المخلوقين ولكن بمعنى أنها وقعت في زمن معين ،

لا يلزم أن الحادث يسمى مخلوق ، بل حادث يقع في زمن معين ،

## فالحوادث نوعان

حوادث بمعنى مخلوقة وهذه لها أول

حوادث غير مخلوقة وهي أفعال الرب ، ونحن نقول أن الله يفعل ما يريد قبل أن يخلق الخلق ، ما هي الأفعال ؟ لا نعلم ، لم يزل فعالاً لما يريد وهو موصوف أزلاً قبل أن يخلق الخلق بأنه يخلقهم كما نص عليه الطحاوي في أول الطحاوي لما يقول " أنه ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق وكما أنه محي الموتى من بعد ما أحيا ، هو محي الموتى من بعد ما أحيا وهو استحق اسم محي الموتى قبل إحيائهم فكذلك اسم الخالق قبل إيجادهم "

وهذا الذي يقوله أهل السنة أن الله تعالى محي الموتى متى يحيها ؟ يوم القيامة وهو الآن محي الموتى وهو سبحانه وتعالى خالق قبل المخلوقين ورازق قبل المرزوقين سبحانه وبحمده ،

لذلك نقول ابن القيم مع أنه يميل إلى شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية قلنا أنه محتمل في الحقيقة ، والذي صرح بالكلام المنكر معاصرون بعد شيخ الإسلام فهموا كلامه ونصوا عليه ، وهو كلامه يفهم منه ذلك ويمكن يفهم منه الثاني الأحسن الذي لا يخرج به عن عامة أهل العلم سلفاً وخلفاً ولا عن النصوص وهو أن يقول أن أفعال الرب حوادث لا أول لها ،

أما أنك تقول مخلوقات لا أول لها كلمة شنيعة فظيعة فعلاً ومناقضة للأحاديث الصحيحة الصريحة ،

فالمعاصرين الذين صرحوا بذلك ينبغي أن يراجعوا النصوص ، لأنها نصوص صريحة ،

ولا نضل نتكلم في مجادلات التسلسل وأن في النهاية في البداية وهل هذا ممكن أم واجب أم جائز ،

أنهم يقولون التسلسل في البداية ممكن ونتوقف عن وجوده وبعضهم يصرح بأنه كان موجوداً ، التسلسل الذي هو ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق ، مثل التسلسل في الآخر ما من مخلوق إلا وبعده مخلوق ، الذي نثبت نحن فعلاً للخبر ،

والجهمية طبعاً ينفون التسلسل في النهاية وقالوا الخلق يعودون إلى العدم محضاً والجنة والنار فانيتان فقلنا هذا كلام باطل قلنا في الجنة والنار باقيتان إلى الأبد ، أبد الأبد لا نهاية لهما ولا لأهلها ولا تفنى النار ولا الجنة ، فنقول أن هذه الكلام يحتاج إلى مراجعة ،

هذه في الآخر مع أن شتان بين نصوص الكتاب والسنة والثمرة المتخذة المستفادة منهما وبين المسائل التي خاض الكلام فيها بسبب علم الكلام ، سد الله عن المسلمين علم الكلام ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٦٦- تابع المرتبة الثامنة من مراتب القضاء والقدر

ذكرنا في الإيمان بالقضاء والقدر ومرتبة العلم الإيمان بمرتبة العلم ، العلم الإلهي أن الله علم يعلمه القدم الأول الموصوف به أزلاً ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ،

فذكرنا مرتبة الإيمان بالكتابة وتكلمنا عن الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ ،

وذكرنا أن القلم هو أول مخلوق وأن أول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب فقال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ،

وذكرنا الخلاف بين العلماء في أول مخلوق هل القلم أو العرش أو الماء ،

نذكر من نازع من الصوفية في حديث الذي يذكرونه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أتدري أول شيء خلقه الله نور نبيك يا جابر وهذا حديث باطل مخالف للأحاديث السابقة ،

والله سبحانه وتعالى خلق النبي صلى الله عليه وسلم من الطين والماء فقال سبحانه وتعالى { إني خالق بشراً من طين } والرسول صلى الله عليه وسلم بشر بنص القرآن { قل إنما أنا بشر مثلكم } والبشر خلق من طين ،

ومن قال أن الله خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من نور وجهه فهو يفترى على الله الكذب فنور وجه الله صفة من صفات الله سبحانه فكيف يقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق من نور وجه الله الذي هو صفة من صفات ربنا ، هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة من صفات ربنا؟! هذا الغلو الذي يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله ،

كمن يقول أن عيسى عليه السلام صفة من صفات الله وذلك كفر وإنما قوله تعالى عن عيسى { فنفخنا فيه من روحنا } أي الروح المخلوقة التي نسبها الله إلى نفسه تشريفاً كقول الله تعالى { طهرا بيتي للطائفين } فهذه إضافة تشريف ومثله في آدم في قوله تعالى { ونفخت فيه من روحي } فهذه إضافة تشريف منسوبة إلى الله تعالى تشريفاً وتكريماً ،

عيسى عليه السلام كلمة الله بمعنى أنه كان بكلمات من الله ، خلقه الله بكن وليس عيسى هو كن فصفات الله ليست مخلوقة ، وهذا هو الفرق بيننا وبين النصارى في هذا الموضوع ، أنهم يقولون عن المسيح أنه أقنوم من الأقانيم مثل صفة من الصفات أو أقرب ما يقربونه إلى الناس ،

لما كانت قضية الأقانيم عندهم مشكلة ، لا يريدون أن يقولوا صفة إنما جعلوا للصفات كياناً مستقلاً وسموه أقانيم ،

ونحن نقول عيسى مخلوق من المخلوقات ،

فالذي يقولون يا نور عرش الله ، وهؤلاء أهون من الذين يقولون أن الله خلقه من نور وجهه ،

أيضاً الرسول صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه خلقه من نور عرشه ، وإنما هو عليه الصلاة والسلام نور وسراج منير بمعنى أنه ينير البصائر بالوحي الذي أنزله الله عز وجل عليه كتاباً وسنة يبين للناس الصراط المستقيم وليس أنه نور بمعنى أنه خلق من مادة غير مادة البشر أو أنه لم يكن له ظل عندما كان يسير بل كان يستظل عليه الصلاة والسلام من الشمس ويريد أن يقف في الظل وكان في سائر أمور البشري كما قال الله عز وجل { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي }

تكملة الأحاديث الواردة في ذكر القلم في صحيح مسلم في ذكر اللوح المحفوظ والقلم في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ( واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ) فذكر الكتابة له وعليه ، كتبه الله لك وكتبه الله عليك وذكر القلم وأنه قد رفع وذكر الصحف وأنها قد جفت ،

وذكر القلم أيضاً بالجفاف في الحديث وهو حديث رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( جف القلم على علم الله ) هذه الرواية من أهم الروايات ، وهو أن اللوح المحفوظ لا محو فيه ولا إثبات ، لأن هذا علم الله وعلم الله لا يتغير ، هذا اللوح المحفوظ لا محو فيه ولا إثبات ، لأن المكتوب هو علم الله الذي لا يمكن أن يتغير أما ما كتبه الملائكة بعد ذلك فهو محتمل للتغير ،

اللوحة المحفوظ كتب الله فيه ما سيكون إلى يوم القيامة وما هو كائن حتى لو أن كتاباً آخر محي فيه شيء وأثبت شيء آخر لكان هذا مكتوباً في اللوح المحفوظ لعموم ( اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ) إذاً لو أمر الله أن يمحي من كتاب فلان شيء ويكتب شيء آخر ويثبت شيء آخر لكان لازماً بعموم اكتب ما هو كائن أن يكون هذا موجوداً في اللوح المحفوظ أن يمحي من كتاب فلان كذا وكذا ويثبت فيه كذا وكذا ولا محو ولا إثبات في اللوح المحفوظ رفعت الأقلام وجفت الصحف ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة ( يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق ) ، بما أنت لاقى بما تلاقيه يعني ، رواه البخاري

وقال تعالى { يحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب } وهو اللوح المحفوظ ،

قال ابن عباس الكتاب كتابان كتاب يحو الله منه ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب ،

نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الكتاب مقترناً بآثاره العظيمة وهو أن يئأس العبد من الناس رجاءاً وخوفاً فقال واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك فلماذا ترجوهم ؟ وكيف تظن أنهم يملكون لك نفعاً وقد كتب الله لك ذلك قبل وجودهم ولماذا تعمل من أجلهم ؟ لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ؟ فلماذا إذاً تخافهم ،

العبد إذا استحضر ذلك فلن يرجو الناس ولا يخافهم ولم يعجب بنفسه أن ينسب الفضل إليها ولم يقول إنما أوتيته على علم عندي ، بل سيؤمن أنه رزق كتبه الله له قبل أن يوجد السماوات والأرض وكذلك العمل الصالح من الله به عليك فلا تعجب بنفسك ولا تفرح فرح الغرور والكبر بما أتاك الله من دين ودنيا ، وكذلك لا تأسى أسى اليأس والجدع ، لا تحزن حزن اليأس والسخط على ما فاتك من الدنيا وذلك أن الأمر مقدر قبل أن توجد كما قال تعالى { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور } فالاختيال والتكبر والفخر على العباد كل ذلك مرجعه إلى عدم شهود القدر ، فلو شهد العبد أن الله كتب ذلك قبل أن يوجد العباد وأن العباد أضعف وأعجز من أن يقدروا على شيء إلا ما أقدرهم الله عليه وأن الله سبحانه ابتلى العباد بما أعطاهم وما منعههم لينظر كيف يعملون لا لكي يفتخر بعضهم على بعض ويغيي بعضهم على بعض وكذا صفة البخل فلماذا يبخل العباد الذي يوقنون بالرزق ، إنما يبخل بالرزق من لم يوقن برزق الله الذي كتبه الله له قبل أن يخلقه ، ولو أيقن أن الله عز وجل كتب له رزقاً محدداً مقدراً وأمه أن ينفق في سبيله فهل يبخل بما أوجبه عز وجل عليه ؟ فهذا البخل راجع أيضاً إلى رؤية الملك يرى العبد نفسه أنه الذي يملك ولو استحضر العبد الكتابة السابقة على وجود السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لأيقن أنه لا يملك شيئاً وأنه أعطي كل ذلك في ذلك الغيب البعد فلماذا إذاً يبخل ، إذا أيقن الإنسان أيضاً كتابة الرزق فكيف يطلبه من حرام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها كما تستوفي أجلاًها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم ) حديث صحيح ، قال أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم خذوا طلباً جليلاً ، لا أنك تأخذ بالأسباب ولكن اطلب الطلب الجميل ، خذ ما أحل الله لك واترك ما حرم الله عليك فالرزق مقدر كما أن الأجل مقدر ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينهك عن الطلب ولكن لا تطلب إلا طلباً جليلاً ، لا كما يقول الناس وماذا نفعل إذا لم نأكل الحرام كالربا والسرقة والغش والرشوة والميسر فلو أنهم اتقوا الله لأتاهم رزقهم ولأتاهم رزقهم كما يطلبون هم الرزق ولكن من حلال ، يأتيهم الزرق ، قال وأتته الدنيا وهي راغمة ، الدنيا تأتيه حتى تكون بين يديه ، بل نعلماً في رجليه صاغرة ذليلة رغماً عنها وعن أهلها وعن من يجيها ، لو أراد الله بعبد نفعاً ما استطاع الناس أن يضروه لو أراد الله بعبد عطاءً ما استطاع الناس أن يمنعهوا يصغرون ويصغر كل شيء في الدنيا لأن الله أمر أن كون ما شاء سبحانه وتعالى ،

تتبع هذه الكتابة الأولى عدة كتابات ،

الكتابة الأولى هي اللوح المحفوظ تتبعها كتابات أخر وتقديرات أخر منها التقدير يوم القبضتين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فقال قال يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال على مواقع القدر ) وفي رواية ( أخذ قبضة بيمينه فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وأخذ قبضة بشماله وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي ) والصحيح إثبات لفظ الشمال لوجوده ف جملة من الأحاديث الصحيحة صحيحة الأسانيد ، ذكر الشمال لا ينافي قولها يمين حتى يقال هذه رواية شاذة ، بل هذه اليد الشمال يمين في البرك ، يمين مباركة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( وكلتا يدي ربي يمين مباركة ) ليس فيها ما في شمال العباد من النقص كما أن الشمال أنقص من اليمين ،

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قال ( هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ) لا يبياني معناه أن الله لا يبياني بطاعة الطائعين ولا بعضية العصاة ولا يزيد في ملكه طاعة طائع ولا ينقص من ملكه معصية عاصي ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على اتقى قلب رجل مهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً لأنه هو الذي قدر ذلك وهو الذي جعله كذلك ، وقال ربنا سبحانه وتعالى ( يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً )

وهو يحتمل معنى آخر ( هؤلاء في الجنة ولا أبالي ) بمعنى أعطيتهم وليس عطاؤهم الجنة كثير من الله عز وجل { وذلك على الله يسير } والله عز وجل يعذب أهل النار في النار ولا يبيالي بهم ولا يشق عليه يؤوده عذابهم ولا ماكانوا فيه من ملك الدنيا والله أعلى وأعلم ،

وهذا الحديث نص في أن الله أخذ الخلق من ظهر آدم وقدر يومئذ مقادير المكلفين من ذريته بين أهل الجنة وأهل النار وهذا مما لا يعارض ما ثبت من أحاديث أخرى موافقة لظاهر الآية الكريمة من أن الله أخذ عليهم الميثاق ،

فقد وقع يوم القبضتين أمران

تقدير العباد من ذرية آدم إلى فريقين جعلهم فريقين كما قال { كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة } فوقع التقدير ،

والأمر الثاني وقع الإشهاد كما قال { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين } أي أخبرناكم بهذا لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون فليس لكم حجة لأنكم وآبائكم وأجدادكم في تلك اللحظة كنتم سواء وكلمكم أخذ عليه العهد وإنما تم العهد بالإخبار عنه وإنما صار حجة بالخبر الوارد في الكتب المنزلة وليس أن العهد الأول حجة مستقلة دون بعثة الرسل ليس في الكتاب والسنة ذلك بل كما تم بالأخبار من الصادق من أن العهد قد تم وأنه قد أخذ على الناس العهد ويظهر أثر هذا العهد في الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها يرغبون في التوحيد ويميلون إليه ،

وجعل ذكر التقدير معارضا لذكر أخذ الميثاق عجب من قائله فإنه لا تعارض أصلاً بين الأمرين بل هناك توافق فالله قد شرع للجميع ألا تشركوا به شيئاً وجعل قدر العباد بين مؤمن وعاص وبر وفاجر كما هو مشهود في واقع الحال ، في واقع الحياة أن الله أمر الجميع بطاعته ونهاهم عن معصيته وما خلقهم إلا لذلك ولكن جعل الناس فريقين كما قال تعالى { كما خلقكم تهودون فريقاً هدى } وتأمل في هذه الآية الكريمة تعرف نعمة الله على عباده المؤمنين وعدله على الكافرين فإنه ذكر في المؤمنين هدايته لهم { فريقاً هدى } هو الذي من وهو الذي تفضل وهو ذو الفضل العظيم ، وأما في الكفرة فقال { وفريقاً حقت عليهم الضلالة } وهو الذي أضلهم عز وجل كما قال { يهدي من يشاء ويضل من يشاء } كما قال { من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } ولكن لا يضلهم بالظلم ، إنما بالحق أضلهم وبين علة ذلك { ذلك إنهم اتخذوا الشياطين أولياء } قال { وفريقاً حقت عليهم الضلالة } وجبت عليهم بالحق والعدل لا بالظلم لم يظلم الله عز وجل أعظاهم الله عز وجل سمعاً وبصراً وأفئدة وعقولاً يدركون بها وبلغتهم دعوة الرسل فاتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهم يحسبون أنهم مهتدون ، ففعلهم ولفعلهم أضلهم الله سبحانه وتعالى عدلاً منه وحكمة بالغة منه عز وجل ، إذ لا تعارض بين أخذ الميثاق على جميع العباد وهو مثل ما أمروا به من عبادته على ألسنة الرسل موافق له ، وما بين تقسيم الناس إلى فريقين ،

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الصحابة بكتابين في يده فقال (أتدرون ما هذان الكتابان فقالوا لا يا رسول الله إلا أن نخبرنا فقال الذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ثم قال الذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال الصحابة ففيما العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه فقال سدودا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل ) وفي رواية قال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ) رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني ،

ذكرنا هذان الكتابان في هذا الموضع لأنه حديث يوافق حديث القبضتين في ذكر أهل الجنة وذكر أهل النار ، وإن لم يكن صريحاً في أن هذا الكتاب كتب في ذلك الوقت لكنه موافق له في المعنى والله أعلى وأعلم ، فهناك كتب كتب فيها أسماء أهل الجنة وأهل النار كما قبض الله عز وجل أرواحهم وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال فيمن أخذهم بشماله هؤلاء في النار ولا أبالي وفي موضعين نص النبي صلى الله عليه وسلم على العمل على مواقع القدر ، قالوا على ماذا نعمل ؟ قال على مواقع القدر ، بل هذا من القدر لابد أن تؤمن به ، ونص على العمل ليس أن القدر يمنع العمل بل يزداد المؤمن عملاً لأنه لا يعلم ما كتبه الله عز وجل له ولأنه يعلم أنه لن يدخل النار إلا بعمل فليجتنب العمل الذي يدخله النار وليجتهد في أن يكون من أهل طاعة الله ليختم له بطاعته لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وقد أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن الأمر قد فرغ منه كما أتاه رجلاً من جهينة فقال يا رسول الله أرايت هذا الذي يعمل الناس فيه ويكدحون أمر قد فرغ منه من قدر قد سبق أم فيما يكدح الناس فيه ويعملون ؟ فقال بل أمر قد فرغ منه من قدر قد سبق قال فعلمنا العمل ؟ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وتلا قول الله عز وجل { ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من ذكها وقد خاب من دساها } فقد أفلح من ذكا الله نفسه لأن هذه الآية فيها إيمان بالقدر وليس فيها فقط إثبات عمل العباد ، فكل ميسر لما خلق له ، فقال اعملوا إذاً وجب العمل وتأكد العمل بالإيمان بالقدر ليس أن الإيمان بالقدر يؤدي إلى الاتكال وترك العمل بل بالعكس الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بالقدر وقال عقبه اعملوا فكل ميسر وهذه هي أحسن إجابة على السؤال المشهور هل الإنسان مسير أم مخير ؟ نقول أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل وبين أو وجود السابق لا يعني ترك العمل لأن الله تعالى كتب المقادير بأسبابها فقال هؤلاء في الجنة ويعمل أهل الجنة يعملون وقال هؤلاء في النار ويعمل أهل النار يعلمون ، أيضاً هذا حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وليس هذا أمراً مكتوباً بلا أسباب إذاً عليك أن تأخذ بالأسباب لأن الله عز وجل خلق لك قدرة وإرادة ليقع بها فعلك ولكن ذلك لا يعني الخروج عن القدر وهذه هي المسألة التي حيرت البشرية وجوابها في هذا الحديث الذي لا يتجاوز السطر ، بل هو أقل من السطر ( اعملوا فكل ميسر ) أن الناس تعمل وكل ميسر لما خلق له

فالإنسان ليس مسيراً فقط ولا مخيراً فقط لأن كلمة مسير يعني بها أنه لا اختيار له كالسيارة التي يقودها صاحبها ويوجهها بلا اختيار منها ،

وكونه مخيراً بمعنى أنه لا سلطان لأحد عليه فكلا الأمرين باطل ، لأن كلمة مسير أو مخير بمعنى له اختيار مخلوق بمشيئة الله لكان معنى صحيح ، لكن كلمة مخير لما وضعت في مقابلة مسير أصبح معناها ضد القدر بالكلية وإثبات أن العبد مختار بلا سلطان عليه وبلا أثر لمشيئة الرب عليه ، لذلك نقول مذهب الجبر ومذهب الاختيار ،

فلما نقول الإنسان مختار صحيح هو مختار لكن ليس الاختيار الذي هو ضد إثبات القدر ، ولكنه اختيار بتيسير الله عز وجل له ، إنما يجمع بين الأمرين



فالإنسان له اختيار ومشية جعل الله له قدرة وقدر له قدرة والصواب في التعبير هو ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ( اعملوا فكل ميسر لما خلق هل ) فلا يلزمنا أحد بلعبتين كالألها خطأ أو باطلة فيقول لك الإنسان مسير أم مخير ؟ كأنه يقول خمسة وخمسة بتساوي تعسة أم أحد عشر ؟ نقول كلتا الإجابتين خطأ والصواب لا تسعة ولا أحد عشر ، لا مسير فقط ولا مخير فقط بل هو ميسر ، الصواب ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( اعملوا فكل ميسر لما خلق له ) فكلمة اعملوا قالها مع إثبات القدر ، قال ( خلق له ) أنت خلقت بأحد المنزلتين الجنة أو النار ،

إثبات القدر لا يعني ترك العمل فقال اعملوا فأثبت العمل فكل مسير لما خلق له لا تعني أنه يدخله النار بغير عمل إلا أن بعض أهل الجنة يدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء لكن النار لا يدخلها أحد إلا بعمله ولا يدخلها أحد إلا بعدل الله سبحانه وتعالى ،

قضية عظيمة الأهمية ولا بد أن يستوعبها المؤمن بأن الله أعانه ووفقه وتفضل عليه ولم يظلم الكفار ولا الظالمين ، بل هم الذي فعلوا وهم الذي كفروا وظلموا وفجروا بإرادتهم المخلوقة التي خلقها الله لهم فهذه مسألة الجمع بين القدر والعمل ، بين القدر والشرع ومن هنا وجب العمل على الناس ،

ومن الكتابات أيضاً

الكتابة والإنسان جنين في بطن أمه ، الكتابات التابعة هذه هي المرتبة الثالثة ،

هي الثالثة بالنسبة للوح المحفوظ وهي على الظاهر كتابتان كتابة عند الأربعين وكتابة عند المائة وعشرين ، وهذا أصبح كنت أقول ذلك وأما الآن فأنا أقول حذيفة ابن أسيد هو أصح ، والحديث الآخر متفق على صحته حديث ابن مسعود ، حديث ابن مسعود رضي الله عنه حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ( أما خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلة ثم يكون علقه مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ) متفق على صحته ،

نقول هذه الرواية في هذا الحديث ، في رواية مسلم في بعض روايته ( ثم يكون في مثل ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في مثل ذلك مضغة مثل ذلك ) فلو رددناها إلى رواية أسيد أن حضير خصوصاً مع ضبطها في الثنتين والأربعين ، حديث في صحيح مسلم من حديث حذيفة ابن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ) خلق يعني شكل وصور ، الله هو الذي يقدر الملك يقدر الملك على ذلك ، ( ثم يقول يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول رب ما أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ) ، ذكر في هذا الحديث ذكر أم أنثى ولم يذكرها في الحديث الآخر إذا بلغت النطفة مائة وعشرون يوماً ، ومثل ما قلنا أن حديث ابن مسعود ليس صريحاً في بعد المائة والعشرين ، بل يمكن حمله على حديث حذيفة ابن أسيد ويكون الحديثان بمعنى واحد والله اعلم ،

بلا شك أن خلق العظام والسمع والبصر والجلد واللحم وذكر أم أنثى يبدأ من الثنتين والأربعين ليلة وهذا الذي وافق العلم الحديث ظهور الأعضاء التناسلية وسائر بدايات خلق هذه الأعضاء بدايات تشكيل الأجهزة تكون في الثنتين والأربعين يوماً ، بالضبط في بداية الأسبوع السابع ،

قبل المائة والعشرين بكثير يكون قد تشكل تشكلاً تاماً ، بل يتم التشكيل في الحقيقة طبيياً وهذا مثبت بالصور والسقط الذي يسقط بعد هذه المدة يتم تشكيله من الأسبوع السابع ، ومن هنا رجعت إلى ترجيح الجمع بالطريق الآخر ،

في طريق الجمع يقول أن له كتابه عند الأثنين والأربعين ونفع الروح يتم عند المائة العشرين لكن الذي يرجحه الآن أنه عند الإثنين والأربعين ، ونفخ الروح يكون عند الإثنين والأربعين وذلك لأنه يتحرك الجنين حركات إرادية بعد تشكيل الأعضاء ، أعني إرادية من جنس حركة الحيوان وهو يتحرك بخلاف الحركات اللاإرادية التي تظل تحدث فينا ونحن على وجه الأرض يعني انقباض المعدة وانقباض الأمعاء وانقباض القلب وانقباضه حركات لا إرادية قطعاً ، لاإرادية بمعنى لا إرادة لنا فيها ،

أما تحريك اليد والرجل هذه نوع من العضلات ، والعضلات الأخرى عضلات ملساء اللاإرادية ، أما العضلات المخططة عضلات يحركها الإنسان بإرادته يده ورجله ورأسه وجذعه هذه عضلات من نوع آخر وتكون تكونت في هذا التوقيت ، ولذلك بعد الشهر الثاني والثالث يبدأ تحريك أجزاء يعني في الشهر الثاني وبداية الثالث بعد الأجنة تتحرك حركة فعلية حركة إرادية وهو طبيعياً لم يحس ولكن هي نوع إرادي ، الطفل لما يولد نجده يحرك رجله وهذا نوع خلاف انقباض المعدة وخلاف دق القلب ، هذه من نوع آخر وإن كنا ليسنا مدركين ما الذي يدفعه ويجعله يتحرك هذه الحركات ، لماذا يصرخ والصراخ هذا عبادة عن أشياء معينة لها تعلق بإرادة الإنسان ويصدر أصوات معينة فهذه كلها حركات إرادية فهذه الحركات الإرادية تبدأ قبل المائة والعشرين ، وكما قلت طبيياً ثابت تخلق الجنين تخلقاً واضحاً جداً وهو صغير جداً ،

يعني نمو الجنين كما ذكرت أن حجمه حجم الصابع الصغير وفيه عينان ويدان ورجلان وسائر الأعضاء ولكن مغلقه وبعد ذلك يكون نمو حجمي من الأسبوع التاسع إلى الشهر التاسع ، يعني حوالي سبع شهور متواصلة عبارة عن نمو حجمي واستكمال باقي الأجهزة في الداخل أما في الحقيقة فقد تكون خلال هذين الأسبوعين بعد أن يأمر الملك أن يصوره ويعطيه شكله فعلاً ، يبدأ التخليق في الأسبوع السابع ويكمل في التاسع ويستمر من الأسبوع التاسع يعني شهرين إلا قليلاً ستة وخمسين يوم إلى تسعة أشهر نمو حجمي للجنين ، ولذلك نرحب عدم جواز إسقاط الجنين بعد ثنتين وأربعين ليلة ، ونقول أن حديث المائة والعشرين ليس صريحاً في أنها المائة والعشرين بل يفهم من بعض الروايات ويمكن في جمع روايات هذا الحديث ثم يكون في مثل ذلك مضغة مثل ذلك هو في نفس المدة التي هي أربعين يوماً والله أعلم ، ثم شكل الجنين المتكون خلال الاثنان والأربعين يوماً فعلاً يكون كالعلقة مثل الدودة التي تعلق ،

والعلقة هذه دودة من نوع عام يوضع على الجلد يمص الدم بدلاً من الحجامة والعرب كان عندهم العلقه هي دودة صغيرة تعلق وتمص الدم وهذا فعلاً الذي يحدث في هذا التاريخ وهو إن الخلايا المتكاثرة تلتصق بجدار الرحم وتبدأ في امتصاص الدم وهي فعلاً علقه ،

ثم يكون مضغة مثل ذلك ،

المضغة قطعة من اللحم الذي يمزج بين الأسنان وسبحان الله إن الصور الحديث تثبت أنه قبل تمام تشكيل الأعضاء يعني قبل الأربعين يوم يكون شكل الجنين بعد ما تكون أجزاء معينة كأنها فعلاً قطعة لحم قد مضغت أثرت عليها الأضرار بالضبط ، لذلك علم الأجنة المعاصر وأساتذة كبار فعلاً أسلموا بسبب سماعتهم بهذه الأحاديث والتقديرات الحادة المحددة جداً كونها أثنتين وأربعين ومثل هذا الكلام لا بد أن يكون بإعجاز ظاهر معجزة ظاهرة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالمغيبات ، ففعلاً أساتذة كبار أسلموا لما سمعوا هذه الأوصاف لكلمة علقه ومضغة والتحليلات بمشي يتم تشكيل أعضاء الجنين والنص على خلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظام كلها تحدث في وقت واحد في بدايات خلق ذلك بدايات تشكيل هذه الأجهزة وتسمى بعلم الأجنة وتكوين الأعضاء ، بدايات خلق الخلايا العظيمة وهي تبدأ قبل الخلايا العصبية ،

وعلى أي الأحوال المسألة فيها اجتهاد والذي ذكره هنا في الكتاب سابقاً كان على ترجيح الإمام ابن القيم رحمه الله وهو أنهما كتابتان وهو نفخ الروح يكون عند المائة والعشرين ،

والأظهر والله أعلم أنه فيه حركات إرادة تدل على وجود الروح ، حركة الشجر ليست كحركة الجنين في بطن أمه ، الشجر تحركه الرياح وتحرك العصارات داخل الشجرة مثل حرجة الأمعاء وحركة الدم في عروقنا ، ليست مثل حركة الأعضاء اليد والرجل ، فوجود الحركة الحيوانية هذه دليل على نفخ الروح والله أعلم ،

طالب : الدجاجة بعد الذبح تنتفض

الشيخ : نعم هذه حقيقة لأنها حركة ناشئة عند عدم خروج الروح ،

الشجر ليس له روح لكنه له حياة ،

في فرق بين الحياة النباتية والحياة الحيوانية بلا شك ،

صدق ابن عباس حين قال إن كنت لا بد فعلاً فاصنع الحجر والشجر وما لا روح فيه ، ففي روح ممكن تخرج ويكون مات وبقيت فيه أجزاء فيه حياة نباتية ، ما معنى الحياة النباتية ؟ يعني تشبه حياة النبات ، هذه المرحلة ممكن تمتد إلى أوقات طويلة لتجهزي معين لحفظ حياة هذه الخلايا

مثلاً لو مريض مات وأخرجوا منه قلبه قرنية عينه مازالت حية يأخذوا القرنية ويضعوها في محاليل معينة وتحمم لدرجة حرارة معينة تظل القرنية حية يضعوها في عين واحد ترجع تعمل مرة أخرى وتكون خلايا حية لو ماتت هذه الخلايا لا يرى بها ،

وكذلك في المرحلة مرحلة الحياة النباتية تكون الروح انتهت فيأخذ الكلى ويكون هذا الإنسان مات وتأخذ الكلى وتوضع في وقت معين يمكن أن توضع في إنسان آخر ،

طالب : جائر يا شيخ

الشيخ : لا أنا لا أتكلم على الجواز ولكن أنا أتكلم في مسألة نقل الأعضاء وأنا لا أعلم

لكن أنا أتكلم في نوع الحياة نفسها وهذا دليل على أن خلق الروح يتم بعد وجود الحركة الإرادية هذه التي هي الحركة الحيوانية في الجنين قبل مائة وعشرين يوماً طبياً يؤكد أن الروح نفخ فيها قبل ذلك ،

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوجود كتابة سابقة والإنسان جنين حين ينفخ فيه الروح وفي حديث حذيفة ( فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ) هذه الأعضاء السمع والبصر والعظام تبدأ في التكوين في الأسبوع السابع بعد أن يقدر الله الملك على تخليقه وأمره بالكتابة ، عند المائة والعشرين يوماً يكتمل قبل الكتابة ، نقول يكتمل قبل هذا التاريخ .

ثمرة الإيمان بذلك أن العبد لا يخاف الموت ،

الأربع مسائل كتابة رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ،

ثمرة الإيمان بأن الأجل مكتوب أن العبد لا يخاف الموت لأن أجله مقدر فلا يمتنع من واجب وجب عليه من أجل أنه يخاف الموت ،

خالد ابن الوليد رضي الله عنه يقول للروم جنتكم يقوم يحرسون على الموت كما تحرسون أنتم على الحياة ،

الخوف على الأجل يؤدي إلى أن الناس تتبع دينها ، الخوف على الأجل وعلى الرزق ، أن الإنسان يخاف الموت فيفر مما وجب عليه من الجهاد في سبيل الله خوفاً على حياته { ولتجدنهم أحرص الناس على حياة } ولو آمن الناس بالأجل لضحى بنفسه في سبيل الله عز وجل فيكتب الله عز وجل له الحياة في دنياه وأخراه ،

وكذلك لا يخاف الفقر ولا يطلب الحرام لأن رزقه مكتوب ، يكتب رزقه ، فالرزق وأنت في بطن أمك مكتوب ، أذاً لماذا تقدر أنك سوف يحدث لك شيء أو لا يحصل ، ولو الطلبة في الامتحان يفكرون في هذا الحديث يرتاحوا راحة عظيمة جداً ولا يخافون أبداً ، لأن رزقك مكتوب ستكون مهندس محاسب مزارع مكتوب وهذا الرزق يأتيك وليس مرتبطاً بهذا العمل في كثير من الأحوال ، فالأمر مقدر لو أن الإنسان يستحضر ذلك لما طلب الرزق بالحرام ولما قلق على الرزق ، وذلك خوف الفقر يحبه الشيطان ، أعني خوف الفقر الديني ،

وكذلك الإيمان بكتابة العمل ، فعملك قد كتب فأنت لك أن تعجب بعملك ، عملك مكتوب قبل أن تولد ووهبت هذا العمل فمن أين لك أن تقول أنا عملت بمجهودي وعلم عندي وكل شيء عملته تفتخر به على الخلق من دين أو دنيا فهو راجع إلى نقص الإيمان بالقدر ، لو آمن العبد أن عمله توفيق من الله وهبة من الله قبل أن يوجد كما قال الله عز وجل الإنسان يتأمل هذه الآيات من سورة الفتح ويعلم أن الصحابة أعدهم الله قبل وجودهم وأعمالهم هذه كتبت في التوراة { قال محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة } من قبل أن يخلقوا هم وآبائهم وأجدادهم صفتهم مكتوبة وأعمالهم مكتوبة فسبحان الله أمر مقدر ومكتوب على العبد ومقدر له فمن أين يعجب بعمله إذاً ،

إياك أن تقول عملي وعلمي إياك أن تقول أنا الذي عملت أنا الذي فعلت إنما تقول أحسن لي إذا فعل أحسن الله بي أذ وفقني ، أعاني الله فعملت كذا ،

فكذلك الشقاء والسعادة

الشقاء والسعادة واللذة والألم في الدنيا والآخرة أيضاً مقدرة فلا يرجع الفضل إليك ولا لأحد من الخلق إلا من جعله الله سبباً لوصول فضله لك و

وكذلك تصور الخلق والبشر والسمع والجلد واللحم والعظام كل مبتلى لو تأمل هذا الحديث والله لكان عليه ، أنا وأنت كل منا قدرت له قوة معينة في عقله وسمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وهو جنين في بطن أمه ،

قوة النظر التي ترى بها مكتوبه ومسجلة وتكونت وأنت في بطن أمك بجينات معينة مقدرة من ذي قبل ، أن الولد هذا لما يخرج ويكبر سيكون شكله كذا وستكون قوة إبصاره بالدرجة الفلانية ، شيء ورثه والوراثة هذه كان فيها أشياء لا يعلمها إلا الله مثلاً أنا وأخي لا يشترط أن نكون مثل بعض متكونين من نفس الأب والأم فالاحتمالات لا يحصيها إلا الله ويقدرها كما شاء سبحانه وتعالى ،

والآن يبحثون على جينات السرطان لما واحد يكون عنده خمسين سنة سيمرض بالسرطان وهو مولود بها في بطن أمه قبل أن يولد وهو مقدر عليه ومعد أنه مهية أنه يتحول خلاياه بعد خمسين سنة إلى خلايا سرطانية ، في أشياء أخرى مثل السكر والبنكرياس مهية أنه بعد ستة وثلاثين سنة سيمرض بالشكر ويتوقف عن العمل أو يضعف عن العمل ،

والطب الحديث يثبت هذا الكلام إثبات مبهر وأن هذه الأشياء أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بها مقدرة للإنسان قبل أن يولد والعوامل الأخرى مؤثرة تأثير جزئي وإلا فالاستعداد الذي ولد به أكثر تأثيراً عليه من سائر التأثيرات الأخرى ،

أكثر الناس تفتخر بذكائها ، ذكائك هذا هبة محضة وأنت الـ iq الخاص بك أنت مولود به من قبل أن تولد وتشكل المخ وهو أصلاً يقدر فيه نسبة الذكاء ،

أتوا باثنين توائم لكي يثبتوا أن التعليم لا يؤثر على نسبة الذكاء مهما كان ، وهذه هبة محضة ، وجدوا اثنان توائم منهم واحد تربي في الشوارع والثاني تربي في بيت مرفه جداً وبعد عشرين سنة هذا تعلم تعليمه والثاني لم يكن متعلم وبعد ذلك عملوا لهم الـ iq الخاص بهم لتحديد نسبة الذكاء فكانوا مثل بعض تماماً وأهم كانوا توائم ، فالتعليم لا يؤثر بل يؤثر بنسبة واحد في المائة أو اثنان في المائة في الحقيقة ليست مؤثرة على الذكاء بل باختبارنا نحن الأشياء هي التي تختلف ،

يعني اختبار الذكاء لطفل عمره سنتين نفس الاختبار لطفل عشرة سنين ، والخمسة وعشرين سنة هو هو ، مهما كان تعليمه لا تفرق ،

والذي عنده امان لا يعرف القراءة والكتابة ويعمل له اختبار ذكاء ويحسب النسبة ، نحن أحياناً لا نعرف حساباتها ولا نعلم رد فعله ما يكون ، وعملنا له اختبار فلم يستجيب لنا فلذلك نؤجلها وفي الآخر تحسب وتكون واحد في المائة واثنان في المائة ، لكن هي هي ،

فالإنسان لما يبتلى استعداد معين ، والله العظيم أشياء عجيبة ، شرايين المخ تجد عائلة مثلاً شرايينها منهم شريان عنده استعداد يضيق في سن الخمسين مثلاً عند أبوه وأمه ومولود بها ومن أول ما خلق هذا الشريان وهو استعداد للضيق وتأثر بنسبة الدهون التي تترسب على جدرانها هو الذي ولد بها من أبوه وأمه ، نفس الأشياء متصلة ، فعلاً أشياء الإنسان لما يشعر أن هذه الأمور قدرت عليه وهو في بطن أمه ووهبت له ،

الجينات خلقت والمملك وجدها وتؤخذ جينات معينة وتوضع وكان ممكن تكون جينات أخرى ،

وتركيبتنا هذه احتمال من عدة مليارات من الاحتمالات من عدد الجينات وتكوينها وترتيبها بحيث يكون شكلنا ولحمنا وعظمنا وأجزاءنا هذه من ملايين الاحتمالات ، كان من الممكن أن يكون أي شيء آخر فضلاً عن أصل الأمر وهو أن الحيوان المنوي هذا واحد من حوالي خمسمائة مليون في الضغط الواحدة من الجماع فيها أربعة سنتي أو خمسة سنتي من المني في حوالي من مائة مليون إلى خمسمائة مليون ، ونحن كنا واحد من هذا الاحتمال تكون بهذه الطريقة ، والجينات الداخلية الأخرى احتمالات لا يحصوها إلا الله كلها تترك ويمكن أن تشكل بطرق مختلفة وتوضع هذه قبل هذه ،

الكروموسومات هذه عجيبة والناس مازالت تكفر بالله سبحانه وتعالى لولا الطمس على العقول ، لأن فعلاً ربنا أخبر به الضبط تماماً وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به تماماً ويكتشفوه ولا يمكن أن يحدث أي شيء آخر وهذا الذي قدره الله سبحانه وتعالى ،

ثمرة أخرى من الإيمان بالقضاء والقدر في قول النبي صلى الله عليه وسلم ( فإن أحذكم لعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينها وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ويدخل النار ) عدم الأمن من مكر الله وعدم اليأس من رحمة الله فلا بد أن ترجوا وتخاف فمهما عملنا من صالحات فلا تأمن من سوء الخاتمة ومن رحمة الله عز وجل وله الحمد أن أكثر الخلق أن يموت الإنسان على ما عاش عليه ، لكن حدث أن عاش أناس حياتهم على الالتزام والطاعة حتى كادوا يدخلون الجنة ولم يكن بينهم وبينها إلا ذراع وختم لهم بالسوء ، لا تقل أنهم كانوا سوء من الأول ، هو من الصحيح أن فيهم شيء سوء من الأول فيهم مرض داخلي لكن هم أعمالهم كانت أعمال صالحة فعلاً لم يكونوا مرائين على الصحيح ، بعض العلماء فسر هذا الحديث يقول أنه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس أنه الرياء ، بل الرياء هو من عمل أهل النار لا يقال أنه من عمل أهل الجنة ، فيما يبدو للناس يعني بالنظر إلى الخواص ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل وإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ) يعني بالنظر إلى الخواص لا يدري الناس ،

فيما يبدو للناس أنهم لا يعلمون الخاتمة ولكن إذا رأيت نفسك صادقاً فيما بينك وبين الله وشعرت بأنك تحب الله وتخلص له ولكن أحذر على نفسك لا تأمن مكر الله عز وجل { فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون } لا تقول أنا لست مرائي فرنا لا يدخلني النار بل قل أرجو الله ألا يختم لي بخاتمة السوء ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ،

ولكن هو بلا شك في شيء مستكن ممكن يكون في الداخل أخفى من علم الإنسان ، الإنسان في دوافع داخلية عميقة جداً في نفسه ، الله عز وجل أعلم بما والله عز وجل أقرب إليك من نفسك وأعلم بك من نفسك ، { يعلم السر وأخفى } أخفى من السر ، السر يشمل ما كان بين اثنين وما أسرّه الإنسان في نفسه كما قال عز وجل { فأسرّها يوسف في نفسه } فما علمه الإنسان وأسرّه يسمى سر أما ما هو أخفى فهو مما لا يدركه الإنسان وهذه دوافع أحياناً يكون الإنسان جاهل بها يمكن أحياناً في بعض الاختبارات مثلاً طبيب معالج نفسي مثلاً يبحث في دوافع المريض ويحاول أن يكتشف الدوافع الحقيقية وممكن ينفع وممكن لا يعرف ، ممكن يكون المريض اقدر على الاختفاء من نفسه وغيره فعلاً بالأولى والله عز وجل أعلم بما في نفسه ،

إليس كان في قلبه من الكبر ما فيه وهو مستكن لا يظهر فابتلي فظهر ، ابتلي بالسجود لآدم فظهر الكبر المستكن وظهر الاعتراض على أمر الله وظهر ادعائه أنه أعلم بالحكمة من الله ، أنظر إلى أين وصل الكبر لما يقول أنا خير منه لا أسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ،

هذه الاختبار أظهر كل ما في باطنه المختفي ، وهو كان قريباً من الله وكان له عبادات كثيرة جداً لأنه كان في المنازل العالية وكان مع الملائكة وذلك قيل له اهبط منها ، كان في منزلة رفيعة دليل أن أعماله كانت عبادات فعلاً ولكن كان في قلبه كبر ،

لم يظلمه الله عز وجل لكن اختبره فأظهر هذا الكبر ، فظهر وعمل به فكفر نعوذ بالله من ذلك ، فيخشى على كل صالح أن يختم له بسوء

وكل منا لا يدري والله عز وجل مقلب القلوب ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول ( يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك )

قال الله له { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً }

لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً أنظر الرسول صلى الله عليه وسلم ثبته الله مع أنه كان أن يركن وهو لم يركن ولكنه كاد أن يركن ،

ولو تأمل الإنسان قول النبي صلى الله عليه وسلم ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ) قال مؤمناً ولم يقل مسلماً ، ويمسي كافراً أتاه اختبار خلال النهار والآخر أتاه اختبار خلال الليل ضاع إيمانه كله والعباد بالله

وذلك لا تطمئن إلى نفسك ولا تأمن مكر الله ، { فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون } وفي نفس الوقت إن كنت من أهل الذنوب لا تيأس من رحمة الله ولا تئس الناس ولا تجرم لهم جنة ولا نار لأنك لا تدري خواتيم أعمالهم ، لا تتكبر على أهل المعاصي بمعاصيهم في، هناك فرق بين أن تبغضهم وبين أن تتكبر عليهم ، أن تشعر أن هؤلاء المحتقرين ربما كان بعضهم مكتوباً له النجاة فأنت لا تدري وربما كنت أنت الذي تهلك ،

أنت لا تدري بماذا يختم لهم ، أنت تبغضهم ولا تتكبر ، الكبر لا يحبه الله أبداً ، أنت تعلوا بإيمانك ، { أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } أنت لست متكبر بنفسك ولا بعملك ،

هذا الاستعلاء بالإيمان معناه أنك تعلي الحق ولست تتكبر على الناس ، الرسول صلى الله عليه وسلم أعلاه الله ودخل مكة ورأسه يكاد يمس رأس راحلته تواضعاً لله عز وجل ، وحين دخل صلى صلاة الفتح ، { وادخلوا الباب سجداً } لا يدخل صلي لا يدخل أن يفتخر ، أنظر إلى بوش لما دخل العراق ظل يقف فوق حملة الطائرات لكي يفتخر بالنصر الذي حققه وهي خيبة والعباد بالله ، وسوف يعلم ما الذي مآل به الأمر ، عذاب فوق العذاب والعباد بالله إلا أن يتوب الله على من شاء

الغرض أن الإنسان لا يتكبر على أهل المعاصي والعلو بالحق يختلف عن الكبر ، علو الحق إعلاء للحق وإزهاق للباطل مع التواضع التام لله عز وجل ،

لذلك هذه أشياء مثل الشعرة في نفس الإنسان أنه فعلاً يتعالى لنفسه ويحتقر الآخرين ويذمهم لأجل أن ينتصر هو عليهم ويعلو هو عليهم أم أنه يذم الباطل الذي عندهم ويذل المنكر الذي لديهم ويجعل السوء في الأسفل كما هو في شرع الله عز وجل ،

شعرة ما أن الصراط كان أدق من الشعرة ،

أنت لا تدري بماذا يختم لأهل المعاصي فلعل الله عز وجل يهديهم وقد أحبط الله عمل الذي قال والله ليغفر الله لي ،

رجل كان عنده أخ له على المعاصي فقال له اتق الله فقال له في مرة أبعثت على رقيباً دعني وربي فقال والله لا يغفر الله لك ، فقال الله عز وجل ( من ذا الذي يتآلى علي ألا أغفر لفلان فإني قد غفرت له وأحبط عمله ) لأنه تكبر وظن لنفسه بعمله الصالح أن له أن نزل الناس الجنة والنار ويخبر بأن الله يغفر لهم أو لا يغفر لهم ، فقد غفر الله لهذا العاصي ، ولعل في قلبه من الإنكسار من المعصية ما غفر الله له بسببه ،

قد غفر الله لبغي من بغايا بني إسرائيل لأنها سقت كلباً فلا تتكبر على أحد يمكن أن يكون لهذا العاصي أعمال صالحة أنت لا تعلمها وأنت لا تدريها ولو سقي كلب فضلاً أن تكون سقياً إنسان فضلاً أن تكون إرضاع طفل فضلاً أن تكون إرضاع طفل فضلاً أن يكون بر والدين يمكن أن يكون له عمل صالح لا تدريه ، يمكن أن يكون ذل وانكسار والشعور بالحرمان يكون أعلى بكثير من أناس ظهر منهم أنواع الطاعات الظاهرة وهم يدلون بما على الله عز وجل ، يدلون أي يشعرون بالدلال وأن لهم منزلة وأن لهم أحوال ونحو ذلك ،

لا تتكبر على أحد في فرق بين إنكار المنكر وبين التكبر على الخلق ، ولا تبتسئ الناس من رحمة الله ولا تأيس بآيات الله من أحد مهما عمل ، قد قال عز وجل { إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق } قال الحسن أنظروا إلى هذا الكرم فتنوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة لأنه قال { ثم لم يتوبوا } فلا تقل عن الذين يفتنون المؤمنين هؤلاء لا بد أن يدخلوا النار لأن الله عز وجل قال { ثم لم يتوبوا } فلو تابوا لغفر الله لهم ، وهو عز وجل يفعل ما يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم ( إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس أي بأهم لا يعلمون الخاتمة لا بأهم مراعون والدليل أيضاً من نفس الرواية ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهذا لا يحتمل الرياء فلا يوجد من يعمل المعاصي وهو في الباطن مطيع إلا ما كان من إكراه أو خطأ أو تأويل وهذا لا يقال عنه أنه يقترب من النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع كما أن الرياء لا يقال عنه اقترب من الجنة ، والحديث يقول حتى ما يكون بينه وبينها إذا ذراع ، يتقرب إلى الجنة فعلاً ولكن يكون فيه شيء يؤدي إلى حبوط العمل نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار ،

ذكرنا في مراتب الكتابة وأنواع الكتابات ، ومنها الكتابة في اللوح المحفوظ ويتبعها الكتابة والإنسان جنين في بطن أمه

والتقدير الثالث والكتابة الثالثة التقدير السنوي في ليلة القدر

قال الله تعالى { فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين } فكل أمور السنة تقدر تقديراً آخر في ليلة القدر وهذه كتابات وتقديرات قد تكون منسوخة يعني من اللوح المحفوظ فكتب الله ما يشاء في ليلة القدر من يحج ومن يموت ،

الملائكة تكتب بأمر الله سبحانه وتعالى { فيها يفرق كل أمر حكيم } والتفسير السابق لها في الكتابة ،

ومنها التقدير اليومي

قال تعالى { كل يوم هو في شأن } ( من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويخفض آخرين ) رواه ابن ماجة

ومما يدل على وجود كتابه في هذا النوع من التقدير والله أعلى وأعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج ( فظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ) إذاً هناك أقلام تكتب وليلة المعراج لم تكن في رمضان فدل ذلك على وجود كتابات كل يوم ، يفعل الله عز وجل ما يشاء { كل يوم هو في شأن }

هناك كتابة أخرى خاصة بعصية آدم عليه السلام وإهباطه إلى الأرض قبل خلق آدم بأربعين سنة حديث متفق على صحته قال النبي صلى الله عليه وسلم ( احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحاج آدم موسى ) حجه يعني غلبه في الحجة ، ( قال موسى أنت آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخيليتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي أصفاك الله برسائله وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فعل وجدت فيها { وعصى آدم ربه فغوى } قال نعم قال آدم أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاج آدم موسى كررها ثلاثاً )

فهناك كتابة قبل خلق آدم بأربعين سنة من ضمنها فعصى آدم ربه فغوى

فإن قيل كيف يحتج آدم بالقدر على المعصية ؟ قلنا هذه معصية تاب آدم منها وصارت بمنزلة المصيبة والقدر إنما يحتج به في المصائب ، المصيبة التي لا يقدر الإنسان على إزالة شيء منها ولا أسبابها ولا نتائجها ولا قدرة له على ذلك فهو غير مسئول عنها ، نقول المعصية لها شقان شق متعلق بعمل الرب وشق متعلق بالقدر ، فإذا تاب العبد من ذنبه سقط الشق المتعلق به وبقي الشق المتعلق بالقدر فصارت بمنزلة المصيبة التي لا تقع إلا بالقدر المجرد عن عمل العبد كالزلازل والأمراض والموت ونحو ذلك بمعنى المصائب هذا أمر ليس فيه دخل للعبد ، كان له دخل في المعصية فتتاب إلى الله فأصبحت المعصية الماضية بعد التوبة بمنزلة المصيبة ،

أما المعائد التي هي الذنوب فلا يجوز أن يحتج بالقدر لأنه مكلف بأن يزيل أثر هذا الفعل وما زال الباب مفتوحاً للتوبة ولو مات وأغلق عنه باب التوبة فقد تعلق أثر الذنب به تعلقاً لا ينفك ، وأثر الذنب هو استحقاق العقوبة لذلك نقول معصية آدم تاب منها وهذا هو أصح الأقوال في صحة احتجاج آدم بالقدر في هذا الموضوع بخلاف الذنب الذي لم يتب منه العبد لأن الذنب ما زال موجوداً وما زال مكلفاً بأن يزيل آثار الذنب ، بمعنى أنه يستطيع أن يعمل فلا يصح أن يحتج بالقدر وهو مصر على الذنب فهذه حال الكفار وحال إبليس أيضاً وهو يقول { فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم } ، وهو إما أن تحذف قال أو يكتب قال الله عز وجل ، وهذه المشكلة في معظم الكتب ويشترط أن توضع الآيات من رسم المصحف فيضعوا الآية حتى ولو فيها جزء من مقولة ، فهذه أخطاء مطبعية ،



فهو يعاند ربه ويصر على الكفر وعلى أضلال بني آدم وتكفيرهم والسعي في كفرهم والسعي في أن يجعلهم غير شاكرين ويقول { فيما أغويتني } كذلك الكفار الذين يقولون { لو شاء الله ما أشركنا } وهم مصرون على الإشراك ،

يعني هؤلاء نوعان

الذين يحتجون بالقدر نوعان

قدرة مشركين يحتجون على شركهم أنه مشروع بأن الله قدر ذلك ،

وآخرون كإبليس يعلم أن فعله غير شرع ويقر بأنه مخالف ولكنه يحتج بالقدر عليه كأنه لا دخل له به وكلاهما من أبواب الكفر والعياذ بالله ،

الجزيرة الإبليسية أو القدرة الإبليسية لأنهم يحتجون بالقدر فهم أبالسة شاكحوا إبليس حين قالوا ما ذنبنا ؟ لا ذنب لنا نعم هي مخالفة ومعصية وكفر ومع ذلك فلا ذنب لنا ونحن معذورون " ألقاه في اليم مكتوفاً وقال إياك إياك أن تبطل بالماء "

ولهم آثار كفرية في هذا الباب ، أشعار في الكفر والعاندة لله عز وجل كما قال إبليس ،

وأما النوع الثاني فهو يرفض الشرع ويزعم أن ما عليه شرع يزعم أن الله قدر ذلك فعندهم الشرع يعرف بوجود الشيء مقدراً طالما أن الله تركه يفعلفه فهو حسن وهذا الشرك مشروع لا بأس به وهذا الضلال مشروع وهذه المعاصي مشروعة فهم شر من النوع الأول يتقربون إلى الله بمضادة أمره والعياذ بالله ، يقول أنه يأخذ الثواب على ذلك ، يقول أنه طالما شهد القدر فهو يثاب على الذنوب والمعاصي وهذا حال كثير من الصوفية المتأخرين والعياذ بالله من ذلك لذا عدوا من ضمن الكرامات أنواع الفواحش وأنواع الكفر وتجد في كتابات الشعرا في كتابات الصوفية من ذلك ما الله أعلم به ، يزعم أن الولي الفلاني كان من كراماته أن يأتي البغلة في الطريق وينزل شيخ البلد من عليها وإن أبي تسمر مكانه ولم يتحرك والعياذ بالله ، وآخر خطب عرياناً وقال أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس صلى الله عليه وسلم فقال الناس كفر كفر فسل السيف ولا أعلم كف استله وهو عريان الله أعلم ونزل فهرب الناس من المنزل يقولون وفعل ذلك رضي الله عنه في ثلاثين مسجداً في نفس الجمعة والعياذ بالله ، هذا من الكفر البواح والله العظيم ، كفر بواح أن يقول فعل ذلك رضي الله عنه ، وهو يكفر بالله عز وجل ويعد ذلك من الكرامات وليس يعدها من الأمور المعذورة فيها ، إبليس يقول أنت أغويتني وسماها غواية وهذا يجعلها كرام وليست غواية ، وهذا أفضح ما يتصور ، وهؤلاء الذين عقيدتهم تدمر الأمة تدميراً ، وتفتح أبواب الشر والفساد وترك الجهاد يمثل هذا الإعتقاد لأن الله قدر علينا ذلك وهو يرضاه ، قدر علينا تسلط الأعداء ، والإنجليز في الهند خرجوا غلام قدياني يقول هذه الكلام ويقول هم ولاة الأمور لأن الله قدر علينا أن ينتصروا علينا فلا بد من طاعتهم ويحرم جهادهم ، فإذا كان هذا يخالف الدين فلنخترع ديناً جديداً نعوذ بالله من الكفر من كلام هؤلاء ، هؤلاء شر من إبليس وهم على طريقته ولكنهم شر منه ، كذبهم الله عز وجل حيث قالوا { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندهم من علم فتخرجوه لنا } تخرجوا لنا أن الله شرع ذلك أو تخرجوا لنا أنكم تعلمون ما قدر الله عليكم في المستقبل فإنكم لا تعلمون أن الله كتب الله عليكم ذلك إلا بعد أن يقع والشرع يطالبكم بالعمل في المستقبل يأمركم بأن تتبوا مما مضى وأن تعملوا في المستقبل وأنت تصر على الاستمرار في المستقبل على الشرك المعاصي وتقول أن ذلك يرضاه الله عز وجل هل عندك من علم بأن الله يرضى ذلك ، الشرع إنما يعرف بالوحي المنزل لا يعلم بأن الله قد قدر وجود هذه الشيء ، ليس كل شيء قدر الله وجوده يحبه ويرضاه وهذا الأصل العظيم المهم في الفرق بين أهل السنة والجزيرة والأشاعرة المتكلمين من هؤلاء الذين يجعلون الإرادة والمحبة معنى واحد وأنهم ينفون المحبة أصلاً ويأولونها بالإرادة ويجلون أن الله طالما أراد ذلك فقد أحبه وهذا باطل وقد أراد الله وجود إبليس وهو لا يحب إبليس وقد وجود كفر إبليس وهو لا يحب ذلك ولا يرضاه ففرق بين المحبة والرضا وبين الإرادة والمشية فهؤلاء والعياذ بالله حجتهم داحضة عند رحم لا يقبلها الله وهم لا يزالون يحتجون بمشيئة الله إلى أن يدخلوا النار ولا يخرجون منها ، احتجوا وقالوا لو شاء الله ما أشركنا وهي كلمة حق يراد بها باطل لأن الله قال في آخر الآيات { ولو شاء الله لهداكم أجمعين قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهدائكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا } إذاً الشرع يعرف من أين ؟ من الشريعة والوحي المنزل أن الله أنزل كذا وليس أن الله وجد هذا الشيء وأنه ترك الناس يفعلون ،

مثل ما تقول اليهود والنصارى كفروا يقولون أليس الله هو الذي خالقهم ؟! الله سبحانه وتعالى خلقهم كفار ولا يرضى عن فعلهم كثير من الناس يحتج بهذه الآية وهو لا ينتبه أنه قول مشركين لو شاء الله ما أشركنا ،

هم يقولون لو ربنا أراد أن يهديهم لهداهم ، هل يعني ذلك صحة دينهم ، فكذلك المجوسي والهندوسي وعابد الوثن فلا معنى لإرسال الرسل والواصلون منهم لهذا الاعتقاد أن الرسل لا معنى لإرسالهم أصلاً وأن من شهد هذه المسألة فلا تلزمه الشريعة والعياذ بالله ولذلك كان هذا فيه استحلال كل المحرمات واستحلال ترك الواجبات ووجود الفرائض لمن شهد القدر ، قالوا { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } من وصل إلى اليقين لم يعبد الله ، كفر ناقل عن الملة ينكر المعلوم من الدين بالضرورة من تحريم المحرمات ووجوب الواجبات ، فشتان بين حال هؤلاء جميعاً بين القدرة الإبليسية والقدرة المشركين لكن منهم من يحتج بالقدر على معصيته وكفره والآخر يحتج على أن الكفر مشروع وأن الله قدره ، شتان بين حال هؤلاء وبين حال آدم عليه السلام الذي كان قد تاب وقبلت توبته فالذي يقول وهو مصر على المعصية لو شاء الله أن يهديني لهداني هذا إبليسي الطريقة وهذا خلاف من يلومونه

على ذنب فعله وتاب الله منه وأصابته على ذلك مصيبة فقال هذه قدر الله ، هذا يشبه أباه آدم بعد ما تاب إلى الله وقطعت يده بالسرقة يده بعدما تاب وحسنت توبته يقولون أنت الذي قطعت يدك وأنت السبب فيقول والله أنا تبت إلى الله وإنا أذنبت فعلاً ولكن قدر الله عز وجل ذلك كما قالها كعب ابن مالك رضي الله عنه يقول ( فهمت أن أرتحل فأدركهم ) في قصة توبته من تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فيقول ( فهمت أن أرتحل فأدركهم فياليتني فعلت غير أنه لم يقدر لي ذلك ) فكلمة يا ليتني فعلت دليل على كمال التوبة لأن الندم مازال موجوداً والندم توبة والتوبة صادقة ولا يزال إلى آخر عمره نادماً ولا تزال توبته توبه صحيحة مقبولة لكن يعزي نفسه ويسليها بأن الأمر قد قدر ( غير أنه لا يقدر لي ذلك ) فيهبون على نفسه حتى لا يدخله الندم في اليأس فذلك احتج بالقدر بعد توبته المقبولة فالذي يحتج بالقدر هو من تاب من الذنب لله سبحانه وتعالى ، فاحتجاج من تاب من الذنب فعوتب على مصيبة أصابته فاحتجاجه هذا يعتبر صحيح لأنه تاب إلى الله وهذا هو التوجيه الصحيح لحدث آدم وموسى عليها السلام

وفي توجيه آخر احتج به شيخ الإسلام ابن تيمية يقول أن هذا الحديث في الاحتجاج على المصيبة يقول آدم لم يحتج بالقدر على الذنب وإنما احتج به على المصيبة حيث قال أهبط الناس بخطيئتك للأرض أهبط الناس إلى الأرض وتأمل طرق الحديث يجزم بخطأ هذا التوجه ،

أولاً الحديث يقول ( أهبط الناس بخطيئتك ) فهو يلومه على الخطيئة ، نص هذه الرواية التي روينها وهي رواية مسلم ( فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ) قال ( فكيف تلومني على أن علمت عملاً كتبه الله عليه ) ما هو العمل . عصى . إذاً سيدنا موسى كان يلومه على ماذا ؟ على . عصى . ليس على الهبوط إلى الأرض فقط فمسألة أن آدم عليه السلام احتج على المصيبة المجردة بلا شك أن موسى كان يلومه على المعصية ، وشيخ الإسلام يقول موسى أعلم بربه من أن يلوم آدم على ذنب تاب منه ، وموسى مجوح عليه السلام وحجته مغلوطة في هذه الموقف فيمكن أن يرد عليه ويقال فموسى أعلم بربه من أن يلوم آدم بمصيبة أصابته كما يقبح جداً أن يقال مثلاً لرجل ضرير كيف أنت ضرير ، لا يقال عملت هذه المصيبة بل هذه المصيبة أصابته طالما لم يكتسب شيئاً فيها فالذي فر منه وقع في أشد منه وهو أنه زعم أنه لاهمه على مصيبة مجردة ، موسى عليه السلام لا م آدم على معصية أدت إلى مصيبة وهو يقول أهبطنا بخطيئتك إلى الأرض ، كلمة بخطيئتك ، ثم قال ( وهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ) قال كيف تلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي ، ما هو العمل ؟ أنه عصى وغوى ، فهذا لا يصح أن يقال في ذلك ولكن يقال موسى عليه السلام أخطأ الحجة في أنه لا م آدم على ذنب قد تاب منه وهو ناظر إلى المصيبة التي حصلت فهو يلومه على مصيبة حصلت بسبب الذنب والخطيئة وليس أنها مصيبة مجردة ولا أنه التفت إلى التوبة وعلى أي الأحوال أخطأ موسى ، فحج آدم موسى فغلبه في الحجة وثبتت حجة آدم عليه السلام ،

هذه الكتابات القدريّة التي ذكرنا لا تنافي وجود كتابة أخرى بعد أن يعمل العباد عملهم وليست هذه من الكتابات القدريّة بل هذه كتابه من المحاسبة ،

هذه كتابة تكتب عليهم بعد أن يعلموها قال الله عز وجل { وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون } وقال تعالى { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } هذه كتابة ليست قدريّة إنما هي كتابة بعد وقوع الأمر ، بعد وقوع الأفعال ،

وكما ذكرنا أن صفات الله العلم السابق وهو يعلم الأشياء بعد وقوعها أيضاً ، العلم الذي يحاسب العباد عليه ، كما في قوله { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلا أخباركم } أي نعلمه قد وقع ، على الجهاد واقعاً ، هو يعلمه قبل أن يقع أنهم سيفعلونه أما بعد أن يقع فقد علم أنهم فعلوه ، وضرينا مثلاً نقل مثلاً أنا أظن وهذا في حقنا ظن أن أصلي المغرب مثلاً في مسجد التقوى هذا قبل أن يقع فإذا صليتها علمت أنني قد صليتها في هذه المسجد ، الله عز وجل يعلم الأشياء قبل أن تقع وبعد أن تقع أيضاً يعلمها ، لأن البعض قد يقع شيء ولا يعلمه بعد أن يقع فنحن علمنا قاصر ، الله عز وجل علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لكن أي العلمين يحاسب الله العباد عليه ، هل العلم بما سوف يفعلونه ؟ هل يحاسبهم على أنهم كانوا سيفعلون كذا فعاقبهم أم أنه كان يحاسبهم على ما فعلوه فاستحقوا العقوبة ، وما لم يكن كيف يكون ، لا يحاسبهم على كيف يكون ،

فكذلك هم يحاسبون على كتاب أعمالهم الذي أملوه بأنفسهم وكتبته الملائكة من أعمالهم وتوضع كتب الأعمال تلك في ميزانهم وإن كان هذا نسخة من اللوح المحفوظ ، نعم { إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون } نسخة من اللوح المحفوظ تكتب ومطابقة لكن ليس يعني ذلك أنهم يحاسبون على اللوح المحفوظ قبل أن يفعلوه ولا على الكتابات الأخرى قبل أن يفعلوها ،

الله عز وجل حكم عدل لا يحاسب العباد إلا على أفعالهم ، قال تعالى { وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً }

مرتبة العلم ومرتبة الكتابة منكرهما كافر كغلاة القدريّة الذين كفرهم الصحابة رضي الله عنهم لأنه هذه من المعلومة من الدين بالضرورة ،

جملة الكتابة وجملة صفة العلم لا يكاد يقبل دعوى الجهل فيها لانتشار هاتين الأمرين بين المسلمين وكون ذلك صار معلوماً من الدين بالضرورة وكالأمر القدري إجمالاً أعني وجود شيء اسمه قضاء وقدر واسمه قدر ، لذلك كفر الصحابة رضي الله عنهم على ظاهر ما ينقل أنهم قالوا كما قال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء الذين يقولون أن لا قدر وأن الأمر أنف

قال إذا ليت هؤلاء بأخبرهم أي يرى منهم وأهم برؤاء مني والذي نفسي بيده لو انفق أحدهم مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم ذكر حديث جبريل ،

والذي ينكر القدر جملة ينكر ضمن ذلك علم الله وكتابة المقادير ، أما القدرية المتأخرون فحقيقة أمرهم يقول إلى هذه ولكنهم لم يلتزموا من التزمه هؤلاء من نفي العلم ونفي الكتابة فلذلك يكفرون بعد إقامة الحجة ،

كما قال عمر ابن عبد العزيز ناظرنا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا ، ناظرنا القدرية بالعلم ، الذين يثبتون علم الله وينكرون مشيئته وقدرته وخلقه لأفعال العباد ، ناظرناهم وقولوا لهم هل علم الله قبل أن يخلق إبليس وقبل أن يخلق أبا جهل وفرعون أنهم سيفعلون ذلك فإن قالوا لا يعلم كفروا وإن قالوا بل يعلم نقول فلم خلقهم وهو يعلم أنه يفعلون إذاً أنه لابد أنه يريد ذلك وأنه يشاء سبحانه وتعالى لحكم عظيمة ولم يخلق إبليس رغماً عنه سبحانه وتعالى ولا فرعون ولا أمثاله قادر على عدم خلقهم كان ولم يزل سبحانه وتعالى قادر على خلق من شاء وعدم خلق من شاء هم يقررون بخلق الله للذوات يقولون خلق الله ذوات هؤلاء نقول أليس خلقهم بقدرته لابد أن يقولوا نعم إذاً يثبتون قدرة الله على ذوات العباد ولا يثبتون قدرته على أفعالهم فنقول مشيئته في خلق إبليس أهو الذي شاء أن يوجد أم لا إذاً لابد أن يقولوا بأنه هو الذي خلقه وهو الذي شاء وجوده لأنه يعلم أنه سوف يفعل ذلك ،

إذاً لابد أن يكون قد شاء أفعاله تلك وقدرها فإن أقروا بالعلم وقالوا يعلم خصموا وغلبوا بالحجة لأنه لابد أن يقولوا بالمشيئة لأنه لو أراد ألا يعصى ما خلق إبليس لو أراد ألا يكفر فرعون لما خلقه ابتداءً فهو لا يعصى كرها ولا يعصى جبراً عليه سبحانه وتعالى لا يقهر على المعصية نعوذ بالله أن نقول ذلك ، أن يقول أحد أن إرادة الله في الطاعة وإرادة العبد في المعصية والكفر فغلبت إرادة العبد إرادة الله نعوذ بالله ،

الشاهد منه أن السلف كفروا من أنكروا ذلك وهؤلاء غلاة القدرية وغلاة القدرية النفاة للعلم وللقدر جملة كفار نوعاً وعيناً للانتشار العلم بهذه المسألة بين المسلمين ،

لو تصور جهل شيء من ذلك فهو في التفصيل لا في الأجمال ، يمكن أن يتصور البعض أن بعض الأفعال قد تخفى على الله هذا الذي يحتمل من الجهمية وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية مع أنه غير ظاهر في حديث عائشة رضي الله عنها ( ومهما يكن الناس يعلمه الله قالت نعم ) ابن تيمية يحتاج بما على جواز العذر بالجهل ويقول أن عائشة وفي صغر سنها ظنت أن كل شيء يكتمه العبد حتى أعلمها النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح أن ذلك كان على سبيل التقريب منها والروايات مصرحة أنها قالت نعم فهي الذي قالت نعم وكأنها هي التي تقرر على نفسها حاولت كتمان شيء فلم تستطع وأظهره الله عز وجل فمهما يكن الناس يعلمه الله نعم ، ليس على سبيل الاستفهام من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن نتكلم على الاحتمال الذي ذكره شيخ الإسلام فلا نرجحه في الحديث ولكن نقول أن شيخ الإسلام يقول ذلك ، شيخ الإسلام يجوز هذا النوع من الباب ولا يجعله معلوم من الدين بالضرورة ويمكن أن يتصور شيء من ذلك في جهال دخلوا في الإسلام دون أن يعلموا تفاصيل الآيات ، أما من ينكر علم الله جملة كالفلاسفة وغلاة القدرية كما ذكرنا الذين لا يقولون بعلم الله بأعمال العباد إلا بعد أن تقع فهؤلاء ليسوا بمسلمين في الأصل والله أعلى وأعلم

وكذا في أمر الكتابة فإن اللوح المحفوظ مذكور في القرآن الكريم معلوم عند عامة المسلمين ، أمر الكتابة في الجملة لكن إن وجد من يجهلها علم ، وخصوصاً في الكتابات التابعة لكتابة اللوح المحفوظ ، يعني ما كان من كتابات تفصيلية لاشك أن هذا يكون للتعلم ونحن نتكلم على الكلام إجمالاً وليس أن من أنكروا مثلاً الكتابة والإنسان جنين في بطن أمه يكون كافراً إنما نتكلم على من أنكروا الكتابة جملة بما فيها اللوح المحفوظ بما فيها ما علمه العالم من المسلمين ، لو وجد في بعض البلاد من يجهل ذلك كالبلاد التي ولد فيها المسلمون فلم يعلموا القرآن ولم يعلموا السنة حتى جهلوا تفاصيل ذلك عذبوا بالجهل حتى يعلموا ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

### ٦٧ - المرتبة الثالثة

الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

مشيئة الله النافذة التي تنفذ فيما يتعلق بأفعال العباد خيرها وشرها وقدرته الشاملة بأفعالهم الاختيارية والإضطرارية خيرها وشرها ، وهما المشيئة والقدرة صفات من صفات الله عز وجل ذلك أن ما في الكون من حركة ولا سكون ولا خير ولا شر ولا كفر ولا إيمان ولا أفعال اضطرارية ولا اختيارية للمخلوقين إلا بمشيئة الله وقدرته ،

ما معنى الأفعال الاضطرارية والاختيارية وقلنا أن الإنسان لا نقول عليه مخير ولا ميسر ،

الأفعال الاضطرارية هي التي تجري في الإنسان من غير إرادة منه كدق القلب وجريان الدم في العروق وهضم المعدة للطعام وكونه ولد وكونه يموت فلو قيل مثلاً مات الرجل أتعرف فاعلاً للفعل مات ،

مات فعل ماض والرجل فاعل وهو في الحقيقة ليس فاعلاً حقيقياً وإنما هو فاعل مجازياً وهو في الحقيقة منفعل ، يعني وقع عليه فعل غيره والله أماته فهو قد مات ، سقطت الورقة وحقيقة الانفعال أن الفعل وقع على الشيء فصار الشيء محلاً للفعل أو بالأصح محلاً للإنفعال به ولم يقع بإرادته فهذا هو الفعل الإضطراري هو محل للفعل في الحقيقة ،

هو صار محلاً منفعلاً بفعل الرب ، فهذا هو الفعل الاضطراري كقوله انكسر الزجاج ، سقطت الورقة ، ولدت المرأة ، كل هذه الأمور ليس فيها اختيار من الإنسان ،

أما الفعل الاختياري فهو كالصلاة والصوم فعل الطاعات وكشرب الخمر والقتل وسائر المعاصي والإيمان والكفر ، الإيمان طاعة والكفر معصية وسائر الحركات الإرادية التي تقع من الإنسان بإرادته ، صام سرق قام شرب ، فعل شيئاً بإرادته وهذا معنى اختياري

الأفعال سواء الاختيارية أو الاضطرارية كلها تقع بمشيئة الله وقدرته عز وجل ، كلها تقع بمشيئته وهي تحت قدرته فالله قادر على أفعال العباد والله على كل شيء قدير ، والله على كل شيء يشمل ذوات العباد وأفعالهم ، وأفعالهم هذه تشمل الخير والشر وهذا معنى أن تؤمن بالقدر الله خيره وشره ،

ما هو خير القدر وشر القدر ؟ الشر ليس إلى الله عز وجل ولكن الخير الذي قدر الله وجوده والشر الذي قدر الله وجوده ليس أن فعل الله شر ولكن خلق الله الشر وقدر وجود الشر وهو قادر على أفعال العباد قادر على أن يجعلهم يفعلون ذلك وقادر على أن يمنعهم وقادر على أن يجعلهم يفعلون غيره ولكنه شاء وجود الخير وشاء وجود الشر

والنزاع دائماً في مسألة هل الإنسان مسير أم مخير يكون مقصوداً على النوع الاختياري في الأفعال فلا نزاع أصلاً بين العقلاء على الأفعال الاضطرارية فضلاً على أن يكون هناك نزاع بين المسلمين ، يعني لا يوجد واحد يقول أنا مخير أم مسير في دق القلب أو أنا مسير أو مخير في أنني ولدت في التاريخ الفلاني ، لا يوجد عاقل ينزع في ذلك ، والناس ينسبون هذه الأفعال إلى الناس على سبيل المجاز اتفاقاً ، مات الرجل ومرض المريض ونحو ذلك كلها أفعال مجازية بلا نزاع وليس فيها محل اختلاف حتى يقال في إجابة السؤال مسير أم مخير مثل ما أجابه بعض المشاهير فقال مسير في الأفعال الاضطرارية ومخير في الأفعال الاختيارية والإرادية ، في الحقيقة هذا اختيار لقول القدرية النفاة الذين يقولون أن الله لا دخل له في أفعال العباد الاختيارية والاختيار ضد مسير وهو اعتبر ذلك توسط في القضية وليس توسطاً لأن المسير في الأفعال الاضطرارية ليس فيها احتمال ولا كان عليها السؤال ، أحد يسأل هذه السؤال ؟ أن أنا مخير أم مسير في دق القلب أو في جريان الدم في العروق في كوني ذكر أم أنثى في كون أصبت بالمرض الفلاني ؟ لأ ينزع في ذلك عاقل فضلاً عن مسلم وإنما الكلام على الأفعال الاختيارية ، فكونك تقول على الأفعال الاختيارية مخير تكون أسقطت إرادة الله عز وجل وزاد الأمر وضوحاً في بيان العقيدة غير الصحيحة بالمثل الذي ضرب الاستاذ والتلميذ ليبين أمر الكتابة ويبين أن مشيئة الله عز وجل ليست في الأفعال الاختيارية ،

قال المدرس عارف مستوى التلاميذ جيداً وقبل أن يعقد الامتحان سجل درجات يتوقعها لكل تلميذ فرق بين المدرس وبين الله تعالى في المثل أن علم الله يقين أو قطع وعلم المدرس ظن ، يقول أن المدرس عمل الامتحان والتلامذة أجابوا وصحح الامتحان خرجت النتائج التي أتوا بها هي نفس النتائج التي كان يتوقعها ونفس الدرجات التي كان قد وضعها ، فيقول ولكن المدرس لم يجعل هؤلاء التلامذة يكتبون في الامتحان شيئاً لا خطأ ولا صواب .

هذا المثل منتشر للأسف وكثير من الدعاة يستعمله تبعاً للشيخ المشهور الشيخ الشعراوي رحمه الله وغفر له ،

فيقول أن هذا المثل يستعملونه على سبيل إثبات العدل وأن الله لم يظلم الناس شيئاً يتضمن خطأين خطرين للغاية ويتضمن إثبات الكتابة والعلم معاً ولكن في نفس الوقت يجعل أن الإرادة إرادة شرعية فقط

لأن المدرس الذي عقد الامتحان يريد من جميع الطلاب أن يكتبوا الإجابة الصحيحة ليس أنه قسمهم فريقاً يكتب خطأ وفريقاً يكتب صواباً

ثم الأمر الثاني أن المدرس لا قدرة له على الطلبة أثناء الكتابة يعني نفى المشيئة ونفى القدرة وبالتالي نفى خلق أفعال العباد

هذا المثل في منتهى الخطورة لأنه جعل الإرادة لله إرادة شرعية فقط لأن المدرس الذي هو المثل للرب عز وجل تعالى الله أنه إنما يريد إرادة واحدة لا يريد قسم الطلبة إلى قسمين ،

الله عز وجل أراد قسم العباد إلى قسمين { كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة } الله هدى من شاء بفضله ورحمته ومن أضله قال { حقت عليهم الضلالة } بالعدل حقت لم يظلمهم ، أعطاهم قدرة وإرادة وسمع وبصر وعقل وبلغهم الشرع وكلهم فاختاروا المعصية وكل ذلك أثر من آثار إضلاله عز وجل لمن لم يوفقهم سبحانه

وتعالى { ولو شاء لهداهم أجمعين } فقد رتبه عز وجل على أفعال العباد الاختيارية أثناء فعلهم وقبل فعلهم وكذلك في إرادته أن يوجد فريقان وإرادته سبحانه وتعالى أن يوجد فريق في الجنة وفريق في السعير سابقة ونافذة في العباد،

إذاً نقول مشيئة الله النافذة هو الذي شاء أن يوجد خير وشر لحكمة بالغة ولم يظلم أهل الشر وإن كان قد تفضل على أهل الخير ولا يلزم من ثوابه الفضل ولا يوجد عاقل يأمر بالمساواة في الفضل بل صاحب الفضل يتفضل وهو إذا كان قد وضع الفضل في مواضعه لا يذم على ذلك بل يحمّد إنما يذم من وضع الفضل في غير موضعه

وقد ضربنا لذلك مثلاً ، صاحب الأرض الطيبة عنده أرض طيبة وأرض غير طيبة يعلم مرات قد جربها وضع فيها البذرة طيب فلم تنبت وأفسدت ووضع البذرة في الأرض الطيبة فأنبتت نباتاً طيباً ، فلو أنه وضع البذرة الطيب في الأرض الخبيثة لكان مذموماً ، الله عز وجل له المثل الأعلى ، يضع الشكر في مواضعه يضع الرسالة في مواضعها { الله أعلم حيث يجعل رسالته } { أوليس الله بأعلم بالشاركين } والله أعلم بالظالمين ، فلا يصح أن يقال لماذا هدى هؤلاء وضل هؤلاء كأنه يرى وجوب التسوية بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين فرعون وأبي جهل بين موسى وبين فرعون ، والفرق بينهما الله عز وجل أعلم به وقد أعلم به عبادته صفات مختلفة تماماً فكيف يمكن أن يوضع هذا الفضل عند الخبيث { ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون } فلم يجعل فيهم الخير لأنهم لا يستحقونه ولا يناسبهم والله أعلم بهم ، يقولون هو بذلك ظلمهم ؟ بل لم يظلمهم بل أعطاهم قدرة وإرادة بما تقع أفعالهم وبلغهم الشرع وأعطاهم العقول وأعطاهم الحد الأدنى ولم يعطهم الزيادة والله عز وجل أعلم بهم حيث خلقهم ، لم يظلمهم ، يقول بذلك لم يسوى بينهم ؟ ومن الذي يسوي بين الطيب والخبيث ومن الذي يوجب عليه أن يسوى بين الخير والشر وبين الصفات الطيبة والصفات الخبيثة بين الأرض الطيبة والأرض الخبيثة ، وهو أعلم بهم قبل أن يخلقهم وهو سبحانه وتعالى بين لهم مرات واختبرهم مرات وجعلهم يفعلون ما يستحقون به أن يعاقبوا ولن يظلمهم ،

لذلك نقول هذا المثل الذي هو إجابة مسير أم مخير أنه يجب أن الأفعال الاضطرارية مسير فيها والاختيارية مخير فيها ويزيدها كما قلنا وضوحاً أنه يقول أنه مثل المدرس والتلميذ كتب وعلم وليس له دخل بما يكتبون فهذا في الحقيقة تأكيد لمذهب القدرية ،

والشيخ الشعراوي في كتاب القضاء والقدر هذا كلامه لكن له كلام آخر في تفسير الآيات معتقد أهل السنة حتى لا نغتاب الرجل ،

في تفسير الآيات { ولو شاء الله ما أشركوا } تكلم فيها كلام حسن على الطريقة الصحيحة ، لكن كتابه الذي يتكلم فيه عن القضاء والقدر يتكلم فيه بهذا المثل وعنه انتشر ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

ومثله مثل آخر ضربه أيضاً قال " واحد بعث خادمه يأتي بزجاجة وأعطاه النقود وقال أنا أعلم أن هذا الولد ضيع النقود وصرفها " ولذلك تأخر ولكن هو يقول ليس له دخل به وهو تركه يذهب ، لا بل الله سبحانه وتعالى هو عز وجل خالق أفعال العباد خيرها وشرها وهو الذي قدر ذلك ، بل الرجل الذي قال له هات زجاجة كذا أن هذا هو الأمر الشرعي أليس كذلك ، الأمر القدري الكوني أنه ضيعها وهو في الحقيقة لم يأمر به ولا قدره ولا له دخل به والرجل لم يقله له ولا قدر على فعل شيء ولكنه علم أنه ضيعها ، بل هذا نفس العقيدة غير الصحيحة وهو إثبات العلم دون إثبات المشيئة والقدرة وهذه هي المسألة التي يظهر في الفرق جلياً بين أهل السنة وبين أهل البدعة ،

نقول إثباتنا في هذا القسم للأفعال الاختيارية والاضطرارية ، يعني أثبتنا نوع من الأفعال التي هي الأفعال الاختيارية لأنها تقع بأرادة الإنسان وإرادته ، نثبت للإنسان قدرة وإرادة بما يقع فعله ،

الثلاث نقاط مهمين جداً لأن فيها قدرة وإرادة وبما يقع الفعل ذلك سميناهم أفعال اختيارية خلافاً للجبرية ومن وافقهم الذين ينفون وجود قدرة للإنسان وإرادة أو من أقل منهم درجة الذين يثبتون قدرة وإرادة بلا أثر في الفعل ، الذين يثبتون قدرة وإرادة مقترنة بالفعل دون أن يكون لها أثر ،

تجد هذا الكلام في كتاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية ، نقول هذا الكلام للعلم وليس في الطعن في الناس حتى لو أحد وجد الكتاب ، وكان يراد تدريسه في بعض المعاهد العلمية ، فهذه القضية موجودة في هذه المسألة مسألة الاقتران وأن الأفعال كلها في الحقيقة اقتران بين المشيئة الإنسانية والفعل من غير أثر ، يقول لا تقطع بل السكين يخلق الله القطع عند مرورها ، أهل السنة يقولون لا بل السكين يجعلها الله تقطع ، وهو يضرب مثال حتى يقيسها على الإنسان ، أنت فعلك وإرادتك وجدوا مع وجود الفعل غير أن هذا الفعل يكون له أي ارتباط بالقدرة والإرادة الإنسانية إلا أنهم يقعون في وقت واحد ، لا بل الإنسان فعل ، لذلك شيخ الإسلام يقول " والإنسان فاعل حقيقة والعبد هو المصلي والصائم والبر الفاجر والراكع والساجد أو الزاني والسارق " العبد فاعل حقيقة العباد فاعلون حقيقة ، تفرق عن فاعلون مجازاً ، فاعل مجازاً هذه مثل سقطت الورقة وقلنا فاعل مجازاً ، ضربة يده في الرجل بالطلم كأنها تحركت وضربته مثلما سقطت الورقة ؟ لا بل قطعاً ليس كذلك ، والذي لطم الآخر وضربه بالرصاص في قلبه يختلف تماماً عن أنهم ألقوه عليه فمات ، هذا وإن كان هو الذي تسبب في موته لكن فعل الآخرين وليس فعله هو ولا شك أن كل العقلاء يفرقون بين هذا وذلك ، وغلوا فظيع في إنكار الأسباب أن يقول أن السكين لا تقطع وأن النار لا تحرق وإنما يخلق الله الحرق عند وجود النار وهذا منفصل عن هذا ، بل النار جعلها الله تحرق وهو قادر على أن يجعلها لا تحرق ، فكذلك جعلك الله مقيم للصلاة { رب اجعلني مقيم الصلاة }

سندكرها بالتفصيل أكثر ،

نحن لما نقول أفعال اختيارية نكون أثبتنا أنه في اختيار للإنسان وأنه فعله فعلاً حقيقياً وإن كان مخلوقاً لكن حقيقي وليس مجازاً ، هناك فرق بين دق القلب وبين ضربه على وجهه ، بين سرق وزنى وبين مات ومرض لاشك أن هناك فرق ، والله عز وجل قد أثبت أن العباد فاعلون ، قال { بما كنتم تعملون } والله جعلهم فاعلين وهذا لا يناقض أنهم فاعلين حقيقة ، كون أنه مفعول لا يناقض أنه فاعل ، وفعل الله غير فعل العبد ،

طالب : يسأل عن { وما رميت إذا ميت ولكن الله رمى }

الشيخ : هذا شيء آخر . { وما رميت } أي أوصلت هذه الرمية إلى عيون الكفار { إذ رميت } أي حين رميت ، والفعل باليد ، { ولكن الله رمى } أي هو الذي أوصل هذه الحبات إلى عيون الكفار ، ولذلك وقع النفي على معنى والإثبات على معنى وليس أن أفعال العباد تصلح جملة للنفي ، بل أفعال العباد التي فيها أمر لا يملكونه هو الذي الذي يصلح أن ينفي عنهم { ولم تقتلوهم ولكن الله قتلهم } لأنهم كانوا يقتلوهم والله عز وجل يمكنهم منهم فليس أن ذلك سبيل أو فيه معنى أو فيه دلالة لنفي كل أفعال العباد ، وهذا ما يحتاج به أهل البدع على نفي أفعال العباد والله قد أثبتنا { فقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } أثبت أنه كفر بمشيئته وآمن بمشيئته وذلك بمشيئة الله ،

ومثل ما ضربنا المثل قبل ذلك مثل الفرق بين الفريقين بين أهل السنة، الفعل الإنساني متولد من القدرة والإرادة مثل الأب والأم تولد منهما الولد والله خالق الثلاثة لكن خلق الولد من الأب والأم بفعلهما تزوجاً فأنجبا الولد ، قادر عز وجل ألا ينجبا لكنه جعلهما ينجبان وقدر خلق الثلاثة ولكن خلق الولد من خلال الأب والأم ، لذلك نقول خلق الفعل من خلال القدرة والإرادة الإنسانية ، والكون كله بقدرة الله ومشيئته ، القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية فوق قدر الإنسان وفوق إرادة الإنسان ولكن العبد فعل يعني فعل بقدرة وإرادة ، فعل حقيقة ،

والذي يقول فعل مجازاً يقول عند وجود الفعل وجدت القدرة الإرادة ، يقول مثل الأخ وأخوه الإثنان وجدا بنفس التوقيت من مصدر واحد ، ليس هذا سبباً في وجود هذا ولا ذاك سبب في وجود هذا ، مثلاً أحمد وعمر أخوان ، والإثنان وجداً في زمن واحد وأسرّة واحدة ، توأم وليس أن أحدهما كان سبباً في الآخر ، هذه علاقة القدرة الإنسانية والإرادة الإنسانية بالفعل الإنساني عند الأشاعرة ، يشبّهون وجود قدرة وإرادة ليس لها أثر في الفعل ، والجبرية الغلاة يقولون ليس هناك قدرة ولا إرادة أصلاً ، يقولون لا يوجد غير فعل مجازي ، لا قدرة ولا إرادة للإنسان ، والآخرين يقولون يوجد قدرة وإرادة ولكن ليس لها أثر ولكنها اقترنت عند الفعل ، أخ وأخوة توأم أو ثلاث توأم وجدوا في نفس التوقيت ،

نحن نقول لا بل أب وأم وولد ، إن شاء الله تكون فهمت

السؤال حول الإنسان مسير أم مخير :

إنما السؤال والنزاع دائماً متجه نحو الأفعال الاختيارية ، هذا يعبد الله وهذا يشرك به ، هذا يذهب للمسجد وهذا يذهب للمعبد والكنيسة ، هذا يصلي ويصوم وهذا يسرق ويزني ، هل هو مسير في هذا أم مخير ، هل له اختيار أم أنه منعدم الاختيار ؟ وهل قدرته مطلقة أم لا ؟ ، موجودة مقيدة ، نعم بنص القرآن { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } ،

بعض الناس عند الإجابة على هذا السؤال يجيب بأن الإنسان مخير في الأمور الاختيارية ومسير في الأمور الاضطرارية ، هذه الإجابة في الحقيقة وإن كانت تزعم الوسطية إلى أنها في الحقيقة انتهت بأن الطرف القائل بأن الإنسان مخير فحسب ، وذلك إنما شأن جميع العقلاء عندما نتكلم عن الأمور الاضطرارية ، إنما نتكلم عن الأفعال الاختيارية ، وهو قد أجب بشأها بأنه مخير وهذه في الحقيقة إجابة قدرية ، وهي أن الإنسان مخير في أفعاله يعنونه بذلك أنه ليس لله عليه سلطان ولا قدرة ولا إرادة ، هذا هو الجزء الباطل في الإجابة ، يعني كلمة مخير هذه متضمنة بأن لا سلطان لله عليه ، وهذا كلام القادرية النفاة ، وهذا الباطل ، لأنه فاعل نعم وأن له اختيار لكن تحت سلطان الرب عز وجل وتحت مشيئة الرب ،

لا يصح أن نقول الإنسان مخير مطلقاً بل لابد أن يقال الإنسان مخير بمعنى أن له اختيار وإرادة وقدرة ومشيئة ولكن ذلك كله تحت مشيئة الله وقدرته لقوله تعالى { لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } ، إذن أثبت في الآية مشيئة العبد وأثبت الاستقامة منسوبة للعبد ،

يستقيم : من فاعل الاستقامة ؟ العبد استقام ،

من الذي أقامه ؟ الله عز وجل أقامه ،

لكن يستقيم فعل العبد ، فأثبت الفعل مرتبط بمشيئة العبد ، أن الفعل تم بالمشيئة ، شاء أن يستقيم ، استقام لأنه شاء أن يستقيم ولكن ذلك بمشيئة الله { وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } وفي الآية الأخرى قال { وما يذكرون إلا أن يشاء الله } إذن أثبت في الآية أن المشيئة الإنسانية هي بمشيئة الله ، وفي الآية الثاني أثبت أن الفعل الإنساني هو بمشيئة الله أيضاً ، ففعل الإنسان وقدرة الإنسان وإرادة الإنسان كل ذلك بمشيئة الله وقدرته ، لذلك نرى أن هذه الإجابة التي ذهب الكثيرون عن الإجابة بها على سؤال هل



الإنسان مسير أم مخير ، بما خلل كبير وفيها توجيه إلى عقيدة القدرية النفاة وإن كانت مستترة ، إنما الإجابة الصحيحة المحيية بما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم ( فكل مسير لما خلق له ) فالإنسان له قدرة وإرادة ، وذلك بمشيئة الله وتحت قدرته ويحتمل أن يجب بأن الإنسان مسير مخير ، نقصد بالمخير أن له إرادة واختيار ، { لمن شاء منكم } وإرادته تحت إرادة الله ومشيئته { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } وكلمة { وما تشاءون إلا } تثبت مشيئة العبد ولكن تحت مشيئة الرب ،

قال الله تعالى { من يشأ الله يضللّه ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } فهذه الآية تثبت أنه عز وجل يشاء ويضلّل ويجعل ، وهي فيها إثبات المرتبتين ، المرتبة الثالثة هذه التي فيها المشيئة النافذة والقدرة الشاملة ، والمرتبة الرابعة التي هي مرتبة الخلق والجعل ، لأنه قال { ومن يشأ الله يضللّه } إذن يفعل في مشيئتهم أفعاله ،

يقولون ما معنى مشيئة الإنسان إذن؟

المشيئة موجودة مثل الأب والأم موجودين ولهم أثر في وجود أبنهم أم لا ؟ يقولون ربنا هو الذي خلقه ؟ صح ربنا هو الذي خلقه ولكن هل خلقه مجرداً عن أب وأم ؟ لو أراد أن يفعل لفعل ولكنه أراد أن خلق من أب وأم هذا الولد

فلا يأتي الأب والأم يقولون نحن لا نتزوج والله لو كتب لنا أن يكون لنا ولد منا سيخلقه منا من غير فعل منا ، سيضحك الناس منهم بل لابد أن تتزوج حتى يخلق الله منك ،

صحيح مثل واضح جداً ، ليس معنى أنه مخلوق أنه ليس لك أثر ، هو الله خلقه وأوجده منك لكن أنت لك أثر ، أنك فعلت فعلاً ترتب عليه وجود الولد في قدرة وإرادة بها وجد الفعل ، فلا تقل ما معنى مشيئتي تحت مشيئة الله ، نقول ما معنى زواج الأب والأم وتسببوا في وجود الولد والكل في مشيئة الله ، هذه أسباب ، والله أراد خلق الخلق من خلال الأسباب فلا يجوز أن يعطلها أحد فلا يجوز أن يعطلها أحد ، فالآية تثبت { من يشأ الله } إذن أثبتت المشيئة { يضللّه } إذن فعل فعلاً فيه وأضله بعدله ولم يظلمه ، ولما يأتي الشيطان يوسوس ويقول لماذا أضله ؟ وما ذنبه ؟ نقول ذنبه أنه فعل لأنه كان عنده قدرة وإرادة وكان عنده عقل وسمع وبصر ، فلم يعطه الزيادة بل أعطاه الحد الأدنى الذي سيسأله عنه ، { ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } من وتفضل سبحانه وتعالى { من يشأ } إذن هنا مشيئة ، لذلك نقول أن مثل الأستاذ والتلميذ خطأ لأن هنا ربنا أراد وجود طائفة ضالة وأراد وجود طائفة على صراط مستقيم ، { من يشأ الله يضللّه ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } في منتهى البيان والرد الحاكم القاطع الجازم على ذلك ، ولذلك من أوضح الأدلة ولا يقدرها أن يؤولوها ، ولا يقدرها أن يقولوا { يهدي من يشاء ويضل من يشاء } فالحرفين يقولون يهدي من يشاء أن يهتدي ويجعل فاعل يشاء العبد ، وفاعل يشاء الخاصة بالضلال من ؟ هو العبد ، فهذا قطعاً وبقيناً لذلك هذه الآية لا تحتمل ، { من يشأ الله } ليس فيها احتمال بل الفاعل واضح وبين ، المشيئة مشيئة الله الإضلال فعل الله والضلال فعل العبد ، والمشيئة مشيئة الله والجعل على صراط مستقيم فعل الله والكون على صراط مستقيم فعل العبد ،

نقول المشيئة مشيئة الله ، والإضلال فعل الله والضلال فعل العبد ، الصلاة فعل من جعله الله على صراط مستقيم وجعله مقيماً للصلاة فعل الرب ، وفعله تم بمشيئته عز وجل ، شاء الله أن يجعله مستقيماً ، شاء الله أن يجعله مقيماً للصلاة ، { رب اجعلني مقيم الصلاة } إذن أثبت للعبد أنه أقام الصلاة ، إقامة الصلاة فعل العبد ، إقامته في الصلاة فعل الرب عز وجل ، العبد صلى والله أقامه يصلي ، العبد صام والله جعله يصوم ، جعل خلق ،

وقال تعالى { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } ، نصوص قاطعة والله من تدبرها لا يمكن أن يبقى عنده شبهة ، وفي الحقيقة لو تدبرها بعقله سيجد أن هذا هو الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعرة ، ولا يوجد عقل إنساني يقبل غير ذلك عند التأمل لأن الإنسان إمكانياته بلا شك رغم أنها موجودة إلا أنها محدودة ، رغم أنها موجودة إلا أنه غير مطلقة في قدرة ومشيئة ، مشيئته تتأثر بأنواع من العوامل لا يملكها الإنسان ، وقدرته كذلك مقيدة بأمور وعوامل لا يملكها الإنسان ،

الإنسان مشيئته تتغير تغير هائل بالبيئة التي ينشأ فيها وهو لم يختار هذه البيئة لا زماناً ولا مكاناً ولا أسرة ، وبلا شك أن هذا أثر ،

لماذا أعداء الإسلام يسعون إلى أن يخربوا التعليم ؟ لماذا يثيوا الشبهات في الناس ؟ لماذا يستعلمون الإعلام ؟

لأن هذه الأشياء لها أثر في اختيارات الناس ، واحد نشأ في بيئة فاسدة ، من الأغلب الأعم أنه يكون فاسد ، لكن حتى لا يقول أحد أنا مكره على الفساد الله قدر أن في وسط الفساد يكون أناس صالحين ، حتى لا تقول أنا مكره أنا مجبور أنا لا دخل لي أنا غير مسئول ، لا بل أنت مسئول ، رغم أنك موجود في بيئة فاسدة لكن أكثر أهل البيئات الفاسدة ينشئون نشأة فاسدة ، والهندوس منذ آلاف السنين يلدون هندوس ، لا أقصد ساعة مولدهم يكونوا هندوس بل يكونون مسلمين لكن يجعلونهم بعد ذلك هندوس وتتوارث الأجيال ، واليهود يلدون مسلمين ثم يهودانه أو مجسانه ،

وهل الإنسان اختار والديه ؟ بل لا يختار أباه ولا أمه ولا الزمن ولا البلد ،

واحد نشأ في وسط بيئة في منتهى الانحلال وهو صغير يعلمونه الفواحش ويجعلونه يشاهد الأفلام القذرة والأخذ بالأعم يخرج من هذه البيئة والعياذ بالله ، ويؤاخذ على هذه الأفعال إلا أن الله قد يقدر له الهداية ، وقد فعل سبحانه وتعالى حجة على الآخرين ، في وسط اليهود يخرج مسلم ، وفي وسط النصارى يهديه الله ، وفي وسط القساوسة والربان ويسلم ، وفي وسط الهندوس يخرج مسلم أيضاً ، وفي وسط الفساد ، وأعلم أناس نشئوا في أسوأ البيئات وهداهم الله عز وجل ، حجة الله على عباده حتى لا يقول أحد أنه غير مسئول ، بل أنت مسئول ، وهل أنت تقدر أن تنكر أن هناك أثر لهذا ؟ كل العقلاء يقولون يوجد أثر للتربية ، لذلك نحن مأمورين أن نعلم الأولاد الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفي أثر للتربية السوء لذلك الساحر قال للملك أبعث لي غلاماً أعلمه السحر ، حتى يكون صغيراً وينشأ على السحر في قصة أصحاب الأخدود ، وهو يعلم أنه يوجد أثر للتربية السيئة ، وهل يوجد عاقل ينكر أثر التربية وأن الإنسان ينشأ على ما نشأ عليه أبوه في الأغلب الأعم ،

فهذا العامل يؤثر في إرادة الإنسان وهو غير قادر على اختياره ، لذلك نقول إرادة الإنسان ومشيتته موجودة لكن ليس مطلقة ولا يتحكم فيها مائة في المائة ، لذلك نقول العقل الإنساني لو تأمل فقط لا يجد غير هذا الإيمان الذي ذكره الله سبحانه وتعالى { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن ضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء } الحرجة هذه الشجرة وسط الأشجار لا يوصل إليها ، فالإيمان لا يصل إلى هذا القلب ، كأنما يكلف الصعود في السماء ، فلا يمكن أن يقدر وعلى التفسير في الإعجاز العلمي مقبول أيضاً أنه يصعد يعني يتكلف الصعود فيضيق صدره ، والثاني لا يضييق ابتداءً وهي درجات فعلاً ، واحد يحاول بصعوبة والثاني لا يقدر أصلاً ، يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ، أنظر وصفهم بفعلهم ، فهم لم يؤمنوا فجعل الله الرجس عليهم ، وهذه لحظة في حياة كل إنسان ، واختياره فيها مسئول عنه وممكن يستمر إلى ما شاء الله بل إلى أن يموت ، اللحظة التي اختار فيها الكفر على الإيمان أول ما تبين له ، لم يظلم الله أحداً من الخلق ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ظهر الحق لهم مرة فقال ماذا أفعل سأترك أبي وأمي وهل أترك المجتمع والشهوات ، والإسلام وضع له والحق وضع له ولكن المودة بينهم في الحياة الدنيا منعتهم ، { وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا } لحظة تأتي فيختار الباطل رغم أن الحق ظاهر له ، فبعد ذلك يعمرى عن الحق والعياذ بالله ، فيضيق صدره ولا يطيقه ، أنظر إلى الكفرة وكراهيتهم للإسلام وللشريعة تجد حقد غير محتمل ، لا يطيقون الشرع أبداً ، ولا يطيقون أن الناس تطيع ربنا سبحانه وتعالى ، بل سيموتون من الحقد ، وانظر إلى حقدهم مع أنهم يتعذبون عذاباً شديداً ، انظر إلى الرجل الذي حرم الخمر في الفنادق فهم سيموتون منه يقولون كيف يحرم الخمر في الفنادق ، والرجل الناشر الخاص بنوال السعداوي الذي ينشر لها ، فبعد ما طبع الكتاب - الإله يقدم استقالته - فالرجل والله اعلم ربنا هداة والله أعلم قال أنا أخسر ربنا ؟ فأعدم الكتاب فسيموتون وتسمع في لندن وتسمع الحوارات فما الذي جعل هذا الرجل يفعل ذلك وطيلة عمره يطبع لطفه حسين وطيلة عمره يطبع لعلي عبد الرزاق وكل الكتب الفاسدة ، وهذه المرة مع نوال السعداوي وقال نخرق الكتاب ونعدم الكتاب ، فسيموتون من الغيظ ، وكلموا الرجل فقال أنا أخاف من الله ، يقولون هل أنت لم تخف أي أحد يعني المتطرفين لم يمنعوك ، وقولون له هل انت لم تشعر بقسوة شديدة في إعدام الكتاب ، يقول أنا أخاف من ربنا ، يقولون والكتب التي طبعها قبل ذلك يقول لا هذه كانت فيها احتمال لكن هذا يقول الإله يقدم استقالته ، يعني هي تشتم ربنا وأنا تخيلت أني سأموت فماذا أفعل وكيف أقابل ربنا ؟

يعني حوار مستغفر لكن يدل ذلك على مدى الحقد الشديد لا يقدر أن يستحملوا الإسلام { ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء } لا يتحملوا أن الناس تلتزم بالدين ،

وبالأمس كان هناك قس في الفاتيكان نائب البابا يقول العالم مهووس بالإسلام ، يقولون لا نعرف ماذا نفعل ، هناك أديان أخرى في آسيا محترمة أيضاً وجيدة ، ويقول أنا ذاهب إلى آسيا حتى أقول أن الأديان كلها واحدة ، والإسلام دين واحد وهناك أديان متعددة لماذا هذا ؟

في الحقيقة أن العالم مهووس بالإسلام والرجل لا يتحمل ، فماذا يفعل ؟

ويقولون بعد خمسة عشر عاماً سيكون المسلمون أغلبية ، سيموتون من الغيظ ، جعل الله صدورهم ضيقة والآيات بينه والأمر واضح والأدلة في منتهى البيان ومع ذلك يستحيل لأن الله جعل الله صدورهم ضيقة ، الحق وضع ولكن هو اختار ، ماذا اختار ؟ اختار مودة بينهم ، المركز والكرسي ، ولذلك ربنا أضله حتى يقول الإسلام هذا باطل ويكون عنده استعداد يموت من أجل محاربة الإسلام ، وهو أضله الله ، لماذا ؟ لأنه لم يؤمن فجعل الله الرجس على قلبه ولم يظلمه الله ، { إن الله لا يظلم الناس شيئاً } أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

## ٦٨- تابع المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

، قال الله تعالى { ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذا يجعل الله الرجس على الذي لا يؤمنون } ، في إثبات إرادة الله سبحانه وتعالى في هداية البعض وإرادته في إضلال البعض { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } يوسعه حتى يقبل هذا الدين ويحبه وينشرح له ، {

ومن يرد أن يضلّه { وهذا عدل منه عز وجل فهو لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون } { يجعل صدره ضيقاً حرجاً } كالشجر التي لا يمكن الوصول إليها ، فيجعل صدره ضيقاً حرجاً لا يوصل إليه ، لا يصل إليه الإيمان والإسلام ولا يصل إلى قلبه ، ومثل آخر كأنما يصعد في السماء كأنه يكلف الصعود في السماء فهو يكلف ما لا يقدر عليه مع سلامة الحواس بالنسبة إلى تكليف إيمانه ، قال عز وجل { كذلك يجعل الله الرجس } { يخلقه في قلوبهم يجعله عليهم ، لماذا ؟ لأنهم لا يؤمنون } { على الذين لا يؤمنون } وهذا بيان أن الطبع والغل والخضم وجعل الرجس إنما يكون بعد الإعراض عن الحق أول مرة ، كما قال عز وجل { ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلهم الله وحشرنا عليهم من كل شيء ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون } { قال سبحانه وتعالى } ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فنذرهم في طغيانهم يعمهون { هذه الآية بنفس معناها } ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون { فمن لم يؤمن جعل الله الرجس على قلبه ، والخطر العظيم على الإنسان أن يؤثر الباطل على الحق ، لا يدري ما يفعل الله عز وجل به من عدله ، لو عامله بعدله في هذا الموقف لهلك ، ونسأل الله أن يثبت قلوبنا على الحق .

وبعد الذين لا يؤمنون هداهم الله عز وجل وهذا من فضله وأما الأخرى فمن عدله وهو أعلم بمواضع فضله ومواضع عدله ، ولا يقال لماذا لم يسوي بينهما ، لم يظلم الذين جعل الرجس عليهم وتفضل على الذين من الله عليهم بالهداية ،

من المشركين من مات كافراً ولم يهتدي ومنهم من ظل كأبي سفيان مثلاً بل كان هو وأبو جهل بمنزلة قريبة في حرب الإسلام ومات أبو جهل بيد كافراً وعاش أبو سفيان إلى أن أسلم بعد ذلك وأسلم الله سبحانه وتعالى ، فلم يظلم أبو جهل بل أبو جهل هو الظالم المجرم وأبو سفيان أعطاه الله ما لم يعط أبا جهل وأبو سفيان من الله سبحانه وتعالى عليه ما لم يمن على أبي جهل ولم يظلم أبا جهل ، والذي يريد المساواة في ذلك كما ذكرنا يريد أمراً لا يحيط هو به علماً ولا يعرف أن هذه الأمور المختلفة لا يحسن أن يسوى بينها ، فنفس الأبرياء غير نفوس الشياطين ونفوس الصالحين غير نفوس الكافرين ، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمن يهديهم ، فأياك واقتراح الاقتراحات على الله عز وجل ، إياك أن تجعل نفسك فوق أمر الله سبحانه وتعالى تنظر في صحته وبطلانه وعدله وظلمه لظنك ، فإن هذا الأمر فوق طاقة الناس ما يعلمون ، عليهم أن يقولوا { وأفوض أمري إلى الله } { عليهم أن يعلمون قول الله لا يسأل عما يفعل وهو يسألون ، لأنه لا يفعل شيء إلا بحكمة وعلم وعدل ، لا يظلم الناس شيئاً ، بين الله أنه يقلب القلوب والصُدور ويجعل صدر من يشاء منشراحاً بفضله ويجعل صدر من يشاء ضيقاً بعدله وما ظلم العباد سبحانه وتعالى ،

وقال سبحانه وتعالى { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله } فهذه الآيات خصوصاً تناولت الأفعال الاختيارية حتى لا يقول البعض أن مشيئة الله متعلقة بالأفعال الاضطرارية ، كذب من قال ذلك ، بل هي متعلقة بالاضطرارية والاختيارية وهذه نصوص في الاختيارية خاصة ، في الهداية والضلال وانسراح الصدر وضيقه والإيمان والكفر { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً } { نثبت قدر الله على قلوب العباد ومشيتته أنه شاء وجود طائفة مؤمنة طائفة كافرة ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة } { قال أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } { إذا كان خالقهم لم يكرههم فكيف تكرههم أنت ؟ ولا يكون هذا إيماناً ، أعني الإيمان الناشئ عن الإكراه ، والله عز وجل قادر أن يجعلهم مؤمنين اختياراً فلم يكرههم على الإيمان ولم يجعلهم كذلك باختيارهم لأنه له الحكمة البالغة في ظهور أنواع المصالح والحكم في تقدير وجود الخير والشر والإيمان والكفر ،

فتكون الآيات التي بعدها { وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله } { هذا هو الإذن الكوني وإلا فالإذن الشرعي في الخلق جميعاً في الإيمان ، لكن أذن الله كوناً أن تؤمن طائفة وألا تؤمن الأخرى ، أنت تؤمن نفوساً ولا تؤمن أخرى } { وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله } { فهذا في الأفعال الاختيارية الدينية التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، نصوص واضحة لا تحتل فقال تعالى { ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد } { فلم يكن فعلهم هنا رغماً عنهم } { ولو شاء الله ما اقتتل الذي من بعدهم } { من بعد الرسل } { من بعد ما جاءهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد } { إذن فعل الله وقع عليهم وهو أنه جعلهم يقتتلون فكيف يقال أفعال الله لا تتعلق بأفعال العباد الاختيارية وهم لم يجدوا أنفسهم يتجهون إلى السيوف رغماً عنهم أو إلى الأسلحة وأنهم يتحركون في ميدان القتال رغماً عنهم بل كل طائفة هي التي تفعل بقدرتها المخلوقة ومشيتها المخلوقة ما قدر الله أن يقع ، { ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد } فهذا المشيئة في وجود الاقتتال وفعل الرب بهم وإثبات الإرادة ،

ففعل الرب هي الدرجة الرابعة ولكن الله يفعل ما يريد بهم ، وتقدير القتال عليهم ، لذلك لم يكن قتالهم رغماً عنهم ولم يجدوا أيدهم تتحرك بالسيوف والأسلحة بل كان اقتتالهم بإرادتهم قطعاً ، ولكن هذه الإرادة داخلية تحت مشيئة الله { ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد } { ففعله أنه جعلهم يقتتلون ، الجهل التي هي المرتبة الرابعة في مراتب الإيمان بالقضاء والقدر ، { يفعل ما يريد } هذه إرادته وفعله بهم ،

المرتبة الرابعة هي فعل الله في العباد فيما يتعلق بأفعالهم الاختيارية فهو سبحانه جعلهم يفعلون ، فالله خلق فعلهم وخلقهم لفعلهم هو فعله عز وجل وخلق الله للأفعال هو فعل الله ، خلق القدرة وخلق الإرادة وخلق المشيئة للإنسان ، هذه كلها أفعال الرب بالخلق ، هذه الأشياء القدرة للمشيئة والقدر بالإنسان ، والقدر هذه عبارة عن سلامة الآلات وإن كان لا تقع بها الأفعال ، والقدرة مع المشيئة تقع بهما الفعل ،

أما إثبات القدرة الإلهية وشمولها ففي قوله تعالى { والله على كل شيء قدير } ، فهذا في قدرة الله الشاملة كما ذكرنا في المرتبة الثالثة تضمن أمرين ، مرتبة الإيمان بمشيئة الله والإيمان بقدرة الله ، والمشيئة والإرادة الكونية بمعنى واحد ، قال تعالى { وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحى } وهذه في الحقيقة أولى أن تجعل في المرتبة الرابعة ، هذه الآية يستدل

بها على الدرجة الرابعة وهي متضمنة لإثبات قدرته لأنه كما قدر عز وجل على أبدان العباد وأشياءها وإماتتها وأنه هو أمات وأحيى ، فهو عز وجل قادر على أفعالهم الاختيارية ، فقال وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى ، أمات وأحيى لا قدرة للعباد عليها ، نحن نموت ونحيا رغماً عنا ، ونحن نضحك ونبكي بإرادتنا ، لما تقول لأحد لماذا تضحك يسكت عن الضحك ويمكن يتوقف عن البكاء ، إذن الفعل اختياري ولكن يجعل فيه ، الله أضحك وأبكى والله أمات وأحيى ، هذا دليل على قدرته على أفعال العباد الاختيارية كما هو قادر على أفعال العباد الاضطرارية كما هو قادر على ذواتهم ، وهذه الآيات دليل على الإيمان بخلق أفعال العباد كما هي دالة على قدرته عز وجل ودالة على خلق أفعال العباد ،

إذا نظرنا إلى ما ورد في المشيئة وجدناها وردت غير مقسمة لأنواع لم ترد إلا بالمعنى الكوني فقط ، فلا يصح أن يقال مشيئة قدرية ومشيئة كونية لأن ذلك لم يرد ولو لمرة واحدة في أن شاء بمعنى شرع ، لكن أراد بمعنى شرع وردت ، الإرادة وردت على نوعين ، وكذا الإذن ورد على نوعين ، وكذا الأمر ورد على نوعين وكذلك التحريم ورد على نوعين وإن كان أكثره التحريم الشرعي ،

الإرادة قال الله سبحانه وتعالى { إنما أمره إذا أرد شيئاً أن يقول له كن فيكون } فلأجل أنها إرادة تكوين سميت إرادة كونية ، إرادة أن يكون شيئاً أن يوجد يعني ، { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } فهذه تشمل كل الموجودات خيراً وشرها ما أحب الله منها وما أبغض ، ما مدحه وما ذمه ، كل شيء وجد بإرادة الله ، إذن كل الموجودات داخلية في { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } وهذه الآية تضمنت الإزادة وتضمنت الأمر ، الأمر الكوني لما يقول له كن فيكون ، إذن الإرادة الكونية تلزم تكوين أشياء ، وأمر تكوين أشياء بخلاف { أقيموا الصلاة } هذا أمر شرعي ، لو كان أمر أقيموا الصلاة من جنس كن فيكون لكان الناس عند الأذان تجدهم كلهم يذهبون طلقائياً ، تجدهم يتوضأون بلا إرادة منهم ويقفون في الصفوف ويكبرون ويصلون ، وهذه ليست كذلك ، نقول ، هذه الآية تشمل كل الموجودات ، خيراً وشرها ما أحب الله منها وما أبغض وما مدحه وما ذمه ، تشمل كل شيء وجد بإرادة الله ، فهو سبحانه أراد وجود إبليس وإبي لهب ووجود الشر وهو يبغض كل ذلك ، كما أنه الذي أراد وجود الملائكة والأنبياء والمؤمنين وكل الخير وهو يحب ذلك ، فخلق ما يرضاه وما لا يرضاه وما أراداه شرعاً وما نهي عنه شرعاً ،

الله نهي عن الكفر والفسوق والعصيان وخلق الكافرين والفساقين والعاصين ، وخلق فعلهم من الكفر ، خلق ما يرضاه وما لا يرضاه ، فهو لا يرضى عن إبليس وهو الذي خلقه ، وهو لا يرضى عن أبي جهل وهو الذي خلقه ، وخلق سبحانه ما أراداه شرعاً من الإيمان والهدى ، خلق المؤمنين وفعلهم وخلق ما نهي عنه شرعاً من الكفار وكفرهم ، وخلق كلاً لحكمة يعلمها ، فلو سأل سائل لماذا خلق الله ما لا يحب ؟ نقول خلق هذه الأشياء لحكمة يعلمها وقد يطالع بعض خلقه على بعض حكمه ، كما أطلعنا في كتابه ، قال عز وجل { وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين } وبين الله عز وجل لماذا قدر سبحانه أن يقتل المسلمين في قتالهم مع الكفار ، كما وقع في غزوة أحد وهي سبب نزول الآيات ، { وتلك الأيام نداؤها بين الناس } فאלله الذي يداول ، ليشهد الناس ملكه ويعلم أهل الإيمان والخلق جميعاً ، من رقد في غفلة أن هذه الأمور بيده عز وجل ، كما أنه يقلب الليل والنهار فكذلك يداول الأيام بين الناس ، ليس من عند الناس ، ليس بقدرة البشر دون أن يكون أمره سبحانه وتعالى ، فهذا من أعظم الأمور في أن يتعلق قلب المؤمن بالله سبحانه وتعالى دون م سواه ولا يرجو ولا يخاف الناس ولا يعمل من أجلهم ولا يبيع دينه بعض من الدنيا لأنه علم أنها أيام متداولة والله الذي يداولها ، كما تطلع الشمس ويظهر النهار بعدة الليل وليس أن فعل المجرمين أهل الليل هو الذي يغشي الليل ، الليل يبقى إلى لحظة معينة ، أهل الفساد يحبون الليل ليذكروا فسادهم فيه ويستغلون الفرصة ، لكن ليس بأيديهم أن يمنعوا طلوع النهار ، فكذلك إذا وجدت فترات من الليل والظلمة والظلام والظلم في الصراع بين الحق والباطل ، فترات عتم الأرض فيها يعمها الظلم والظلام فهل بقاء هذا الظلام بسبب قوة الكفار وكيد الكفار ، هو أهل الظلام وهو في الحقيقة يستغلون فترة الظلام ليفسدوا في الأرض لكن بقاء الظلام ليس مرتبطاً بقوتهم ، بقاء الظلام هي المدة التي قدرها الله عز وجل ، عندما يأتي وقت طلوع النور تتغير الموازين ، يستخرج الله سبحانه وتعالى أقواماً يصلحهم ويستخلصهم ويمكن لهم ، الله عز وجل أخلص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أصلاب أبناء وأمهات ظلوا على الشكر قروناً وما كان منهم من أحد في جاهليته يصلح لشيء إلا أن الله عز وجل أصلحهم وهداهم سبحانه وتعالى ، وتغيرت موازينهم بهذه الفئة التي آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وطلع النور رغم كل محاولات إبليس وجنده ، فلو سمعنا قول الله { وتلك الأيام نداؤها بين الناس } إذن الهزيمة والنصر ليست من صنع الناس ، وكما قال سبحانه وتعالى { إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده } إذن أنت في الحقيقة في فترة الظلام تستشعر بقوة أن الفجر طالع وأن النور ساطع وأنه سيأتي الوقت بإذن الله تبارك وتعالى الذي يظهر فيه شمس الإسلام ، فلماذا ؟ لأن الله هو الذي قدر ذلك ، هو الذي يداول الأيام بين الناس وليس أن قوة والكفرة وأسلحتهم النووية والكيمياوية وخططهم ومكرهم هو الذي تستمر به فترة الظلام بل أيام متداولة والله عز وجل يأخذ واحد منهم بعد الآخر أخذ عزيز مقتدر سبحانه وتعالى ، كما أخذ فرعون في لحظة ، وأخذ غيره أمامنا ، آيات مشهودة بينة كما رأى الناس هلاك فرعون في لحظة رأينا هلاك أمثاله في لحظة ، يؤخذ سمعه وبصره وعقله في لحظة ، جاء انفجار في المخ ، ثلاث سنوات حتى الآن شارون يموت ، أخذه الله عز وجل ، يعجز الكفرة ربح سبحانه وتعالى؟ والله لا يعجزوه ، كما أخذ هذا يأخذ هؤلاء ويذلهم ويهينهم ، قادر سبحانه وتعالى على مداولة الأيام ولكن العبرة فينا لمصالح عظيمة ، بين الله أولاً أنه يداول الأيام بين الناس قال { وليعلم الذين آمنوا } يعلم الله الذين آمنوا ، أي يعلم علماً يحاسبهم عليه ، ليعلمك الله مؤمناً ، أنت تتزين للناس لأنهم يعلمون عنك كذا والكبير عنك يعلم عنك الخير ، ويجب ذلك منك وأنت تريد منزلة عنده ، فإذا علمت أنه يعلم حالك زينت ذلك الحال ، الطفل الذي أصبح عنده شيء من الإدراك يسعى إلى إرضاء أبيه وأمه ، لما يرويه وعالمين بأحواله يحاول أن يذكر جيداً ويجتهد في المطلوب منه ويؤدي ما عليه لكي يرضى عنه أبوه وأمه لأنه علم أنهم يعلمون أحواله ، فلو علمت أن الله يعلم وهو يختبر لفترة الظلام والقتل والهزيمة والانكسار للمسلمين ليعلم الذين آمنوا ، إذن وقتها ماذا تفعل ؟ تجتهد لتحقيق الإيمان ، إذن هذه هي فترة تحقيق الإيمان ، ولعلمهم الذين آمنوا ، تغليظ عظيم في أن تؤمن ، في أن تتزين عند ربنا بالإيمان ، بدلاً من أن تتزين عند الناس مثل الطالب الذي يكتب في ورقة الامتحان ، وهو

يريد أن يجعل المصحح يعطي له درجة نهائية فيجتهد جداً أنه يفعل الصبح ، هذا الطالب جالس في الامتحان ويبدل كل جهده لكي يجابو صح ، اجعل نفسك هذا الشخص في الامتحان ، أنت في فترة الامتحان وفي فترة سؤال صعب أحياناً ، بل يكون السؤال الصعب أنفع للطالب المجتهد أليس كذلك ، لأنه هو الذي يتميز فيه ، لذلك فترة الظلام أحسن من فترة الإشراق ، الامتحان السهل كله يمشي فيه وهو سبحانه الله ، والامتحان السهل غالباً ما يقع فيه تفریط بالتساهلة وعدم أخذ الحيطه وقد جعل الله عز وجل السبق لمن سار في الدجلة ، من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، فمن سار في وقت الظلام ، من أسلم والناس منشغلون عن الإسلام ، من أسلم وأطاع الله في فترة عدم الالتزام سابق إلى الله عز وجل ، سبق المهاجرون العالم ، سبقوا الأنصار لأنهم ظلوا في الإسلام ثلاثة عشر عاماً ، ثم سبق الأنصار مع المهاجرين لأنهم كانوا هم المؤمنين في المدينة والعالم كله يحاربهم ، فلما دخل الناس في دين الله أفواجاً ، ف { لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا } إن علم الله الذين آمنوا ، قلنا ، يعلم علماً يحاسبهم عليه ، لكن هذا في تغليظ في تحقيق الإيمان في فترات الضنك والشدة ، وفي الحقيقة نقول لماذا يخلق الله ما لا يحب ؟ ليوجد منه ما يحب ، لتوجد من خلال الفترة التي فيها انتشار ما لا يحبه يوجد ما يحبه ،

كما قال الله عز وجل { وما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً } إذن هذه فترات زيادة الإيمان والإسلام ، فترات زيادة الإيمان لأنه يقع فيه تفويض وتوكل ورجاء وخوف وتضحية واستعداد للبدل فيما لا يقع في غيرها ، لأن الناس فعلاً في فترات الرخاء الترف عليهم أشد ، لأن الترف يجد الإنسان التمسك بالدنيا ، الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( ما الفقر أحشى عليكم ولكن أحشى تفتح عليكم الدنيا ) ولذلك الذي يتمنى أن تفتح عليه الدنيا جاهل ، والذي يقول أن الدنيا لو أتت لنا سنفعّل فيها خيراً ، إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته الذين رباهم سنين تربية مباشرة لا يخاف عليهم الفقر ولكن يخاف أن تفتح عليكم الدنيا ، قال ( فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم ) فالترف دائماً يجر صاحبه إلى أنواع الضرر وأنواع الفساد ،

كما ذكرنا خلق ما لا يحب ليوجد ما يحب ، ما يحب من الإيمان والإسلام ، فترات الضنك هذه تجعل الناس تصلي وتصوم وتزكي وتعمل الصالحات ، لما يكون في رخاء أكل كثيراً وشرب كثيراً ولم يحس في أزمة ، الأزومات هذه هي التي أخرجت الصحابة ، ولتعلم الذين آمنوا ، يعني ترغيباً في أن الله يعلمهم فانتبه أن في امتحان ، الأمر ليس بلا حكمة ولا غاية ، بل فيه حكم بالغة ، قادر أن يغير الموازين ، قادر أن يجعل الناس كلهم مؤمنين ، في لحظة واحدة تجد الدنيا كلها آمنت ، { لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً } الكفر هؤلاء يكونون مسلمين ، والذين يمشون بالليل والنهار يكونون نصرة للدين ويدخلون الناس في دين الله أفواجاً ، وأنت مختبر في ذلك وذاك ، مختبر في الشدة ومختبر في الرخاء ،

قال بعد الصحابة ، ابتلينا بالسراء والضراء ، ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ، نسأل الله العافية ،

{ ولتعلم الذين آمنوا } ، مثل قوله { والله بما تعملون بصير } ، { والله بما تعملون خبير } إذن تزين الله بدلاً من أن تتزين للناس ،

وكما قلت لك هل الطالب الذي يجابو في الامتحان هل هم الطالب الذي يجواره يوافق على إجابته أم هم المصحح يوافق على إجابته ؟ المصحح طبعاً الذي يقرأ الورقة ، أما لو قصد الطالب يكون هذه حقيقة المرائي ، يريد أن يقول له أنت تجابو جيداً ، طيب وماذا فعلت بكلمته ، وما يقدر أن يعطيك درجة بل هو الآخر مبتلى ومختبر ، لماذا تبحت عن رضاه وسخطه عما أجب ، أنت تعمل على من سيعطيك الدرجة ،

ولتعلم الذين آمنوا ، هذا ترغيب في تحقيق الإيمان في فترات الشدة خصوصاً ، { ويتخذ منكم شهداء } فإله سبحانه وتعالى يحب أن تبدل الأرواح والأموال في سبيله وأن يوجد الذي ضحوا في سبيله شهداء ، فكيف يمكن وقوع ذلك إلا بعلوا الكافر يقاتلون المسلمين لما يقتلونهم ، ويمكن الله عز وجل الكفار من قتلهم ويتلى عز وجل عباده المؤمنين بأن يسلط عليهم في وقت من الأوقات الكفار فيقتلهم فيكون شهداء عند الله تعالى ، الله يحب من عباده البذل ، الله يحب من عباده أن يبيعوا أنفسهم وأموالهم له بأن لهم الجنة ، فهذا من أعظم الحكم أن يوجد الشهداء ، { ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين } تنبيه حتى لا يظن أن تسليط الظالمين على المؤمنين أن الله يحبهم ، لا بل المحبة ليست مرتبطة بالوجود ، المحبة مرتبطة بالشرع ، قلنا يخلق ما لا يحب ، سلطت الكافرين على المؤمنين وهو لا يحبهم ، فإياك أن تظن أن الله يحب الظالمين ، كما يظن الكافرون يقولون ربنا يحبنا ولو لم يكن يحبنا لم يجعلنا نفعل فيكم هذا ، والعياذ بالله ، ولو أنتم كنتم أولياء الله لم يسلط الله عليكم السجن والإهانة ، أو تقتل أو يفعل فيكم هكذا ،

وهل سيدنا يوسف من أولياء الله أم لا ؟ قطعاً وبقيناً ، وامرأة العزيز مجرمة وقومها مجرمين ، ويرمونه هو بريء ويدخلوه السجن وهم يبغضهم الله وكفرة ولو ظلمة يمكنهم أنهم يرموه في السجن ويؤذوه ويبقى بضع سنين في السجن ، وهو في الحقيقة تغير كثيراً في السجن ، وصل إلى مراتب عالية جداً لدرجة أنه ضحى في أن يدخل السجن ، وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، كان امتحان عظيم جداً ونجح فيه وبامتياز ، ولما دخل ارتفع أكثر ، وتراه وهو يدعو إلى الله عز وجل وفي آخر دعوته يقول للرجل اذكرني عند ربك ، لما قال لصحابه في السجن وظن أنه ينجا وأنه يقابل الملك فقال له اذكرني عند ربك ، وتأمل حاله وهو بعد بضع سنين وهو يقول له ارجع إلى ربك ، فسأله ما بال النسوة ، لأنه بعد السجن كان أرفع ، هو قبل السجن كان على حال وبعد السجن كان على حال أكمل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( رحم الله أخي يوسف ما أحلمه وما أصبره ، لو كنت مكانه لأجبت الداعي ) تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم ، لو كنت مكانه لو أنه في السجن وفتح الباب سيخرج من السجن ، وهو يبين له فيقول ارجع إلى ربك ، وليس المهم عندي أن أكمل سنين أخرى أم لم أكمل ، لا أطلع حتى تثبتوا براءتي ، ولذلك خرج بصورة أعلى بكثير مما كان عليه ، تخيل خروجه بواسطة واحدة خمار ، وأليس ساقى الملك هو الذي نجا ، { قال أحدهما إني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه } تخيل أنه يكون خروجه بواسطة واحدة ساقى خمر وبين خروجه العزيز



المكرم الذي اختاره ربنا ، وسيدنا يوسف كان يختار لنفسه أن يخرج بهذه الوساطة ، وربنا اختار له أن يخرج عن طريق أن الملك هو الذي يستدعيه ويتعزز على الملك ، وهو الذي يقول له ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتي قطعن أيدهن إن ربي بكيدهن عليهن ، أنا ربي يعلم كيدهم وربك أنت لم يعلم وهو في الملك سبع سنين أو خمس سنين وهو لا يدري عن كيدهن شيئاً ، والملك يعترف ويضحك ويفتخر ويأتي ويقول أتوني به ، أول مرة قال أتوني به ، وهذه المرة قال أتوني به استخلصه لنفسي ، تجدد والله أنها فعلاً تضحية عظيمة ، ولذلك نقول أنها ليست علامة أبداً على أن سيدنا يوسف ليس ولي ، بالعكس بل كانت ولاية عظيمة جداً ، ولذلك والله لا يحب الظالمين ، ليس أنه أعطاهم إذن يجبههم ، ليس أنه أوجدهم في الملك والسلطان يكون راضي عنهم ، والله لا يحب الظالمين ، آيات عظيمة الشأن في سورة آل عمران في أمر القضاء والقدر ، في بيان لماذا يخلق الله ما لا يحب ، لماذا يقدر الله عز وجل الأمور المكروهة له سبحانه وتعالى ، وإلا فسفك دم امرئ مسلم أعظم عند الله من الكعبة ، يقول ابن عمر رضي الله عنه للكعبة ما أعظمك وأعظم حرمتك وأعظم منك حرمة عند الله دم امرئ مسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ( فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ) ومع ذلك قدر الله أن يوجد قتل المسلم ، وقتل من قتل الحمزة وقتل مصعب ابن عمير ، الواحد منهم بأمة واحدة ، ، قدر الله ذلك والله لا يحب الظالمين ،

فوائد أخرى ، ولیمحص الله الذين آمنوا ، ولیمحق الكافرين ، ولذلك تجد أن حكمة الله عز وجل في تقدير ما يفعله ربما تراها أضعاف في تأويل الحكمة ، فهو له حكمة هنا وهنا ، والمؤمنين يحتاجون إلى تمحيص وأن النفس الإنسانية لا تستمر على حال ، وتقلب في حيرة وتأنيها أمراض كثيرة وأحياناً هذه الأمراض تدفن داخل أعماق النفس ، فتأتي مواقف تستخرجها ، وتظهر لصاحب هذه النفس حقيقة ما في نفسه فيستدرجها بالعلاج بدلاً من أنها مدفونة بالداخل وتخفى عليه ، لأن فعلاً الله عز وجل يعلم السر وأخفى ، أخفى من السر أن ما يحدث الإنسان به نفسه سر ، كما قال سبحانه وتعالى { فأسرها يوسف في نفسه } إذن شيء لم يتكلم بها ولكنها في ذهنه فهي سر ، وما أخفى من ذلك ؟ الشيء الذي لا تنتبه إليه وأن في دوافع وإرادات ورغبات داخل الإنسان ، داخل نفسه ، والنفس لها التواءات ورغبات تدفن هذه الإرادات بالداخل ، ولو ظلت تكون مثل إبليس ، ولو ظلت موجود مستكنة وتمكنت من الداخل تماماً ودمرت مع أنها مستترة بقشرة من الخارج ، قشرة خارجية من إظهار العبادة وهو في الحقيقة خاوي من الداخل ، فيبتلى بموقف فيخرج ما يكن ، تراه في السماء وهو عنده هذه الأشياء ، عنده { أنا خير منه } عنده { لم أكن لأسجد } ويتهم ربنا سبحانه وتعالى بأنه يقول أن الذي أمرت به هذا خطأ والصح أن يكون هو الساجد لي ، خلقتني من نار وخلقتني من طين ، { أأرى هذا الذي كرمت علي } شيء فطيع جداً كان مستكن وموضوع ، والله أعلم بما سبحانه وتعالى فالمؤمن يحتاج تمحيص من نفسه ويحتاج مواقف لتخرج أشياء من هذا لكي ينظفها وليطهرها { ولیمحص الذين آمنوا } تمحيص من داخلهم ، تأتي هذه المواقف ، وأحد الصحابة يقول "ما كنا نظن أن أحد منا يريد الدنيا " لم يعلموا أن أحد منهم يريد الدنيا حتى أنزل الله سبحانه وتعالى { منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة } والصحابة رضي الله عنهم كان أمر مؤلم لهم جداً ، أنهم ضحوا في العزيمة يفروا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنصفوه حين تركوه مع المشركين ، ولما وقع منهم ذلك كان درساً عظيماً ومقاومة لأرادة الدنيا ، واجتهاد وبذلك عظيم بعد ذلك في تمحيص هذه النفوس ومرات عبر مرات ، وقلنا النفس الإنسانية ليس لها اختبار واحد ، لا تقول لأنك اخترت مرة فنحجت فيها أن الأمر انتهى ، لا بل هناك أمور كثيرة لأن الصحابة رضي الله عنهم مثلاً في أحد ، والأحزاب خير ومؤتة فتح مكة ، وتبوك ، والحديبية كانت قبل فتح مكة وخير ، كانت ابتلاءات حتى تبوك وأأس ككعب ابن مالك شهد بيعة العقبة ومع ذلك كان هناك ابتلاء في غزوة تبوك شديد جداً ليستخرج الله عز وجل تلك الأضغان لتزول بعد ذلك ، أعني يستخرجها يعني تظهر للمؤمنين فتمحص بعد ذلك ، وتمحيص آخر للمؤمنين وهو يحصهم من المنافقين الذين هم لو استمروا في الاختفاء يمكن أن يتصدروا ولو تصدروا لأفسدوا أعظم الإفساد ، كما نرى حال العالم الإسلامي اليوم وقد تكبر فيه من لا يستحق ، فهناك ابتلاءات لأن تصدر المنافقين في علم أو فنيا أو جهاد أو تعليم أو ولايات يؤدي إلى خراب ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ) فكيف يعرف الناس ؟ يعرفون من هذه المواقف ، مواقف تظهر الناس ، فيبين الجلاء بعد الفتنة وامتحان والثبات في الأمر يتضح الأمر ، تأتي هذه المحن ، ولیمحص الله الذين آمنوا ، ثم الكفار لا يظلمهم عز وجل يريد أن يعذبهم بعدله ، يستحقون العذاب بما طمعوا ، فتخيل حالهم وقد قتلوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا الإسلام فقتلهم الله عز وجل ومحققهم بعدله عز وجل ، { ويمحق الكافرين } ، سبحانه وتعالى ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان حكمة وقع الأمور المكروه له سبحانه وتعالى من عباده ، قال ( لو لم تدنوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويسغفرون الله فيغفر الله لهم ) فهنا يظهر آثار الأسماء والصفات والله عز وجل يحب أن يغفر ، فكيف يغفر لمن لم يوجد منه ذنب ، إنما الأمر مرتبط بوجود الذنوب وهذا يخاف عليه كل ما تراه ، فظهور آثار الرحمة وظهور آثار شدة العقاب ، وظهور آثار العزة ، وظهور أنه ذو انتقام سبحانه وتعالى ، وأنه ينتقم من المؤمنين ولا ينتقم من المؤمنين الذين أطاعوه ، وهذا بعض من معاني حكمته عز وجل وهي كثير جداً في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكثر أنواع من الحكم الكونية كما يكثر بيان أنواع من الحكم الشرعية ولكن لا يحيط علماً بحكمته عز وجل إلا هو سبحانه وتعالى ، ولكن فعلاً تدبر هذه الحكم عظيم القدر ، كل ما في لام تحليل في القرآن توقف عنده لتعلم وعندها ستستريح راحة عظيمة حتى في احتمال البلاء ، حتى في الأوضاع المؤلمة ، حتى في الأحوال غير المرضية التي تجعلك يضيق صدرك بما يقولون ويفعلون ولكن عنده تلجأ إلى التسبيح وإلى العبادة وإلى الذكر ، { فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وعبد ربك حتى يأتيك اليقين } يرتفع العبد منازل في فترات انتشار ما لا يحبه الله ، وكما قال سبحانه وتعالى في بيان حكمته في وجود بني آدم حيث قال ربنا سبحانه للملائكة لما قالوا { أئجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } فسرها غير واحد من السلف قالوا أعلم بوجود الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين ، يعلم أنه سيوجد من بني آدم من يعبد ربه رغم وجود سفك الدماء ورغم وجود الفساد وحبه سبحانه لهذه العبادة أعظم من حبه لعبادة من يحبه في وسط الخير وتعظيم الحرمات وأنواع الطاعات ، ولذلك كان مؤمنوا الإنس ومؤمنوا بني آدم أكمل عند الله عز وجل وأفضل من الملائكة في الآخرة ، عندما يكتمل إيمانهم وعندما يزول خبثهم ويتطهرون طهارة كاملة يكونون في الجنة الملائكة تتشرف بالسلام عليهم ، { يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار } ، عبدوا الله في وسط الفساد ، الملائكة يعبدون الله ولكن في وسط من لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، البشر يعبدون الله في وسط سفك الدماء



وهم معرضون لسفك الدماء ويعبدون الله، والملائكة ليسوا كذلك ، ومؤمنوا البشر يعبدون الله عز وجل ونفوسهم تنازعهم إلى المعصية ، عنده شهوة وقد نازع وجاهد حتى انتصر ، لذلك إذا نجا فعلاً ، نسأل الله العظيم أن ينجينا ، لكن أنه المشكلة أن الأكثر يستسلم لنفسه وشهواته لكن من ينتصر فعلاً على نفسه ، وعنده رغبات شديدة ويقاومها والملائكة لا تحدثهم أنفسهم بأنهم يعصون الله عز وجل لا تحدثهم بالمعصية ليس عندهم إلى إرادة الخير ، السماوات و الأرض تطيع الله بلا اختيار ، احتارت في الأول مرة واحدة ولم تختار أن تستمر كل مرة على امتحان ، قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين ،

أما مؤمنوا الإنس إلى آخر نفس عندهم اختيار بين الخير والشر ، نسأل الله أن يلحقنا بالصالحين ،

هذا النوع الأول من الإرادة الكونية ومذكورة في قوله { إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } ،

#### النوع الثاني من الإرادة الشرعية

وهو ما يأمر الله به من الطاعات وما ينهى عنه من المعاصي ، ما يريد شرعاً ، قال الله تعالى { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } { والله يريد أن يتوب عليكم } هذه الإرادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه فقط ، سواء أن وجد أو لم يوجد ، فقله تعالى { والله يريد أن يتوب عليكم } هذه إرادة شرعية ليست من جنس { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } لو كان من جنس كن فيكون لكان الناس كلهم مؤمنين تائبين ، مؤمنهم وكافرهم وطائعهم وعاصيهم تائبين في كل لحظة من اللحظات ، لأن الله قال { والله يريد أن يتوب عليكم } لو كانت هذه من جنس كن فيكون لكانوا كلهم تابوا ،

لكن معلون أنه في تائبين وفي ظالمين ، { ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون } ، إذن في تائبين وفي ظالمين ، { والله يريد أن يتوب عليكم } ليست إرادة كونية وإنما إرادة شرعية ، شرع الله لكم أن تتوبوا ، فمن الناس من يتوب ومنهم من لا يتوب إذن هذه متعلقة بما يحبه الله ويشعره سواء وجد من التائبين أو لم يوجد من الظالمين ،

من الناس من يتوب ومنهم من لا يتوب والله يريد التوبة من الجميع شرعاً ولا يردها كوناً إلا من بعضهم ، فالتوبة التي حدثت من بعضهم متعلقة بإرادة الله الكونية ، حدثت ووجدت وأنها داخلية ضمن ما أراد الله وجوده ، والإرادة الكونية متعلقة بكل ما يوجد مما يحبه وما لا يحبه والتوبة عمل يحبه الله ، فهذه دخلت في الجزء المتقاطع بين الدائرتين ،

لو مثلنا يعني الإرادة الكونية والإرادة الشرعية بدائرتين متقاطعتين ، تكون الدائرة الأولى تقطع الدائرة الثانية بجزء مظلّل أليس كذلك ، فنحن نقول الإرادة الشرعية تشمل ما يحبه الله مما وجد المظلّل ومما لم يوجد وهو الغير مظلّل ، الذي هو لم يرد الله وجوده ، مثل توبة أبي جهل ، أحدثت ؟ لم تحصل ، أين توضع ؟ توضع في المراد شرعاً والغير مراد كوناً في الجزء المتقاطع في الدائرتين ، الجزء المتقاطع بين الدائرتين هذا إيمان المؤمنين ، توبة كعب ابن مالك أين نضعها ؟ مرادة كوناً ومرادة شرعاً ،

الدائرة الثانية التي هي الإرادة الكونية ، أراد أن يكون عدم توبة أبي جهل ، تكون إرادة كونية ، هل كفره يشرع ؟ لا ربنا قال له تب ولم يتب ، إذن تكون خارج الإرادة الشرعية لأنها خارجة عن الإرادة الشرعية ولكن داخل إرادة الله الكونية ،

ارسم الدائرتين واجعلهم متقاطعين تجد أشياء وجدت يحبها الله وجدت تكون في الجزء المظلّل وفي أشياء يحبها الله لم توجد تكون في الإرادة الشرعية ، هذا الكلام صعب ؟ هو ليس صعب ولكن فكر فيها ،

إرادة التوبة إرادة شرعية قد يحدث كلها أو بعضها فمن المؤمنين العصاة من يتوب ومنهم من لا يتوب ، هذه الإرادة الشرعية تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الجميع ، من المؤمنين ومن الكافرين ، الذي عملوه والذي لم يعملوه ، هي تشمل الجزئين ، جزء وجد من المؤمنين وجزء لم يوجد من الكفار والعاصين ، بعضها وكلها هذه يعني حدث توبة العاصي أو حدثت كلها من توبة كاملة ،

توبة أبو جهل أو إيمان أبو جهل في داخل الدائرة التي فيها الإرادة الشرعية لكن خارج الإرادة الكونية ، يعني غير مراد كوناً ، إيمان أبو جهل مراد شرعاً لكن غير مراد كوناً ،

إيمان الصديق مراد كوناً وشرعاً ،

كفر أبي جهل مراد كوناً وغير مراد شرعاً

كفر من لم يكفر من المؤمنين غير مراد شرعاً ولا مراد كوناً ،

نقول هذه الإرادة الشرعية تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الجميع من المؤمنين والكافرين ، لكن لماذا لم يجعلها الله بإرادته الكونية ، لماذا الإرادة الشرعية هذه لم يجعلها الله إلا للمؤمنين ؟ نقل لوجود حكمة ومصلحة من وجودها ، هناك شيء يحبه الله لماذا لم يخلقه ولماذا لم يرد وجوده كوناً مع أنه يحبه ؟ الجواب أن في ذلك حكمة ومصلحة يترتب عليها محبوب آخر الله يحبه أكثر من المحبوب الذي أحبه ،

يعني إيمان أبي جهل محبوب من وجهه لكن كان سترتب عليه ضياع خير كثير محبوب لله أكثر من لو كفر ، لأن أبو جهل هذا أذى المؤمنين ، تحمل المؤمنين للأذى هذا ، مثل سمية لو كان آمن أبو جهل من البداية كيف تصل ، وياسر كيف يصل وعمار كيف يصل ، أبو جهل هو الذي أهانهم ، أبو جهل هو الذي عذبهم فرفهم الله منازل لم يكونوا لبلغوها ،

بلال رضي الله عنه عبد حبشي أكان يصل إلى هذه المنازل لولا أنهم عذبوه هذا العذاب وصبر هذا الصبر ، فالله يحب هذا الصبر من بلال وأصبح مثلاً إلى يومنا هذا وأجسامنا نقشعر لما نتذكر موقف بلال ، هذه عبوديات كانت ممكن تختفي لو كان أبو جهل آمن من بدايتها ، فنقول هناك محبوب آخر الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى { ولو أردوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين } أليس خروجهم مأمور به شرعاً ومحبوب شرعاً لله فلماذا لم يقدره الله وهو يحبه ؟ لأنه لو قدره لفات محبوب آخر أحب إلى الله منه وهو أن يكون مجتمع المؤمنين الذي خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مجتمع أنقى ما يكون مجتمع أنقى ما يمكن ، لأن الله قال { لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً } لأنهم لو كانوا خارجين لم يخرجوا إلا بالإخلاص وبعد ذلك طبائعهم فيها ما لا يحتمل التأويل ، سيفتنون المؤمنين ، في أناس طبيعتهم هكذا ، أينما وجد يفعل المكائد ويكلم هذا ويوقع بين هذا وذاك ، ويؤدي إلى الخذل والعياذ بالله ، { لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ، ولأوضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة } هم يريدون يوقعوا الفتنة ، نفوس مريضة والعياذ بالله ، يبيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، أي في أناس يقبلون كلامهم ، يصدقون أن المنافقين يريدون مصلحتهم ، وأنت تجدهم وتجذب هذا الموضوع لما ينتشر يجلب ضرر بالغ والله العظيم ، تجد أناس ملتزمين وأصحاب علم ومع ذلك تجدهم يسمعون للمنافقين وينفذون كلامهم ويمدحونهم حتى يقولوا لهم هاجموا الآخرين ، واهجؤهم واحذروا منهم ، وهم يسمعون ، أيحدث خلل أم لا ؟ والله العظيم يحدث خلل أكثر من خلل المنافقين أنفسهم ، ولذلك لا بد أن الناس تنتبه ، لأن المنافقين لما تأتي إلى المواقف التي تبين على حقيقتهم يمكن بعض الناس السماعين ينتبه ويعلم أن الدعاة على أبواب جهنم والعياذ بالله ، بدلاً من أنه يصفهم بأحسن الأوصاف ، ويصفوا المؤمنين بأبشع الأوصاف ، نتيجة أنه سماع ونتيجة عدم علمه ، { وفيكم سماعون لهم }

نقول مثال لذلك:

لماذا لم يجعل الله يتوبون قبل أن يقاتلوا المسلمين ويقتلوهم ، لأن وجود الشهداء ووجود الجهاد أحب إلى الله تعالى ، هؤلاء الكفر لو تابوا قبل أن يقاتلوا المسلمين لما وجد الجهاد ولما استشهد الشهداء ولم يحص المؤمنين ، وهذه عبادات لا توجد إلا بوجود ما يضادها ويقاومها ، بخلاف عبادة الملائكة التي تحدث بغير مقاومة فلا أحد يحاربهم في التزامهم ولا في طاعتهم لله عز وجل والله سبحانه وتعالى يحب وجود عبادات من عباده المؤمنين تحدث رغم وجود شياطين وكفار ومنافقين فهو عز وجل يحب أشياء ولم يوجد لها لأن هناك أشياء أحب إليه يترتب وجودها على فوات المحبوبات الأقل أو حدوث ما يكرهه شرعاً ،

فنقول إرادة الله الكونية تشمل كل ما قدر الله وقوعه في الكون ، وهو لا بد أن يقع حتماً ، هذا منه ما يحبه الله عز وجل ومنه ما لا يحبه ، ولكن قدر وجوده لمصلحة وحكمة بالغة ،

إرادة الله الشرعية تشمل كل ما شرعه الله لعباده في الشرع ، وكله من جنس ما يحبه الله ويرضاه ، وهذا منه ما يقع ومنه ما لا يقع ، قدر الله ألا يقع لمصلحة وحكمة بالغة ، والحساب والثواب والمدح والذم والحب والبغض ودخول الجنة ودخول النار ، كل ذلك بناء على هذه الإرادة الشرعية على موافقتها وعلى مخالفتها ،

لا شك أنه بناء أيضاً على الإرادة الكونية لأن الله أراد أن هذا يدخل الجنة وهذا يدخل النار ، لكن لا يسألون عن الإرادة الكونية إنما يحاسبون على الشرعية ، يقال لأهل الجنة أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ، ويقال لأهل النار { هذه النار التي كنتم بها تكذبون } { وما كنتم تفسقون } { بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون } { بما كنتم تكفرون } يعني بمخالفتهم شرع الله سبحانه وتعالى ،

من وافق شرع الله الشرعية وعمل بما كان من أهل الجنة ومن خالفها كان من أهل النار ،

شرحنا ذلك من قبل أن الإرادات الشرعية والكونية يجتمعان بإيمان المؤمن فهو مؤمن بتوفيق الله ومشيئته للإيمان هذه إرادة كونية ، وفي نفس الوقت يعمل بطاعة الله وما أراده الله منه وهذه إرادة شرعية ،

فإيمان المؤمن مراد كوناً وشرعاً يفتقان في كفر الكافر فهو مخالف لإرادة الله الشرعية ، خارج الدائرة اليمينية ولكن داخل الدائرة الشمال ومخالف لإرادة الله الشرعية المخالفة للشرع فكفر الكافر مراد كوناً لا شرعاً ، وإيمان الكفار مراد شرعاً لا كوناً وكفر المؤمن لا مراد شرعاً ولا كوناً ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ٦٩ - المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

يثبتون الإرادة الشرعية وينفون الإرادة الكونية ، فكل من الجبر الذي هو الإكراه على الفعل والاختيار المطلق باطل كما أوضحنا .

تكلمنا عن مراتب الإيمان بالقضاء والقدر الثلاثة

مرتبة العلم ومرتبة الكتابة ومرتبة القدرة والإرادة وتكلمنا عن أنواع الإرادة . الإرادة الشرعية والإرادة الكونية . وقلنا أن المشيئة لم ترد في الكتاب والسنة إلا بمعنى القدر الكوني

أما المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر فهي الإيمان بخلق أفعال العباد . خلق الله لأفعال العباد وقدرتهم ومشيتهم خيرها وشرها . وهذا هو معنى نؤمن بالقدر خير وشره فنسبة الشر إلى القدر نسبة إيجاد الله له وخلق له أي خلقه لفعل العبد للشر وقدرة العبد على الشر وخلق له مشيئة العبد للشر ،

الله خلق قدرة العبد للشر ، خلق فعل العبد وخلق قدرته على الشر وخلق مشيئته للشر ، لكي نجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم ( والشر ليس إليك ) وهنا قال ( نؤمن بالقدر خير وشره ) يعني ما قدر الله وجوده من الخير وما قدر الله وجوده من الشر ، لا يقال أن الله خلق فعل الخير فقط والعبد خلق فعل الشر ، من هنا سمي القدرية مجوس هذه الأمة ، شبهاً منهم للمجوس الذي قالوا بإلهين خالق الشر وخالق الخير ، فهم قالوا أن كثير منهم قالوا خلق الله الخير وخلق العباد الشر ، وأهل الإيمان يقولون نؤمن بالقدر خير وشره ، خلق الله الخير والشر وخلق الله للشر هذا الإيجاد وخلق الله للشر ليس شرّاً ، أن من خلق قدرة العبد ومشية العبد وفعل العبد للشر ، هذا الإيجاد من الله سبحانه وتعالى ليس شرّاً ، لأن أفعال الله ليس فيها شر ، وليس في تقديره شر ، هناك فرق بين فعل الرب وهو التقدير وبين المقدر ، التقدير فعل الله والمقدر هو المخلوق ، قدر الله وجود الشر ، تقدير الله وفعله صفة من صفاته ، ليس من صفاته الفعلية سبحانه وتعالى ، فخلق الله للشر ليس بشر ، تقديره للشر ليس بشره ، لأن فعل الله صفة من صفاته والله الخير كله في يديه والشر ليس إليه ( بيد الخير إنك على كل شيء قدير ) ليس معنى ذلك أن الشر خارج عن يديه سبحانه وتعالى ، ( الخير كله إليه والشر ليس إليه ) لا ينسب إليه فعلاً ولا صفة ولا ذاتاً ولا شرعاً ، إن الله لا يأمر بالفحشاء ، ليس في أفعاله شر ، ولا في صفاته شر ، وخلق له للشر ليس بشر لماذا ؟ لأنه لحكمة بالغة ، لأنه يترتب عليه من الخير ما لا يمكن أن يوجد إلا بهذا الشر ،

ففعله القائم به سبحانه وتعالى أنه خلق الشر ولكنه لم يفعل الشر ،

مثال :

فعل السرقة ، من الذي سرق ؟ العبد الذي سرق ، لا يمكن أن يوصف الرب بهذا الفعل ، لا يقال الله سرق ، لكن الله خلق الفعل ، مكن العبد من السرقة ، خلق له قدرة وإرادة وجسماً وآلة وفعلاً هو تلك السرقة ، الفعل هو تلك السرقة ، الله خلق الفعل ولم يفعل الفعل ، في فرق بين فعل الله وفعل العبد ، ففعل الله خلق ، خلق السرقة وخلق السارق وممكنه ، وفعل العبد أن سرق ، فعل العبد أن صلى ، فعل الرب أن جعل العبد مقيم الصلاة ، ففعل الله غير فعل العبد ،

لذلك قال إبراهيم عليه السلام { رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء } فقد سأل الله فعل نفسه هو ، لأن الله هو الذي يجعل ، يسأل الله أن يفعل به ذلك ، سأل الله أن يجعله مقيماً للصلاة ، سأل الله أن يجعله يفعل الفعل البشري ، أن يجعله يفعل ، فعل الله هو الجعل وفعل العبد هو الفعل ، هو الصلاة أو الصوم أو السرقة أو الزنا أو غير ذلك ،

هذه المرتبة أكثر استعمالها في القرآن بلفظ الجعل ، واستعملت في مواضع بلفظ الخلق ، أحياناً نصّاً على الأفعال أو ظاهراً فيها وأحياناً الأفعال داخلية في عموم الأشياء ،

الدليل على خلق الله لأفعال العباد :

الدليل على خلق الله لأفعال العباد قوله تعالى { والله خلقكم وما تعملون } وهذه الآية لها تفسيران كلاهما دال على خلق أفعال العباد ، د

التفسير الأول أن . ما . مصدرية يكون منها ومن الفعل المضارع الثاني لها مصدر ويكون منها ومن الفعل المضارع الثاني لها مصدر . تفسيرها والله خلقكم وعملكم ، على هذا التفسير تكون الآية نصاً في خلق أفعال العباد ، وفي الحديث المرفوع وهو حديث حسنه ابن حجر رواه البخاري في خلق أفعال العباد وصححه الشيخ الألباني ( إن الله يصنع كل صانع وصنعه ) إن الله يصنع كل صانع بمعنى يخلق كل صانع وصنعه ، إذن الصنعة نفسها مخلوقة .

التفسير الثاني أن . ما . موصولة ، بمعنى الله خلقكم وخلق الذي تعملون ، يعني الأصنام ، إبراهيم عليه السلام يقول لهم والله خلقكم وخلق الأصنام التي تعبدونها ، تكون الآية على التفسير الثاني دالة على خلق أفعال العباد من جهة أخرى ، من جهة أن الصنم الذي يعبدونه مكون من شيئين حجارة وعمل بشري وهو النحت ، لم يسمى صنماً حتى جعل فيه الفعل الإنساني ، هذا المكتب اسمه خشب أم اسمه مكتب ؟ متى تقول عليه مكتب ؟ لما وضع الخشب فوق بعضه من خلال فعل النجار وضم حتى صار مكتباً ، قبل أن يكون مكتب كان اسمه خشب ، مثل ما نقول هذا أسمى لما ننظر للأسمى والحديد ، أن نقول هي عمارة ، متى تكون عمارة ؟ لما يعمل فيها البشر ويضعوا الأسمى والحديد والظلل والظوب وتكون عمارة ،

ولما نقول الله خلق هذه العمارة ، والله خلق هذا المكتب ، لم يكن اسمه مكتب إلا بالأتنين ، لم يكن اسمه صنم إلا بالمادة الخام الذي هو الصخر والحجر وفعل العبد ، فالله خلق الصنم أو خلق ما يعمل العبد ، إذن خلق جزئها ، والأتنين دخلوا فيها ، الجزء الأول المادة الخام وعمل الإنسان إبراهيم قال { وما تعملون } أي الذي تعملون ، هذا الشيء كله مصنوع مخلوق ، المادة الخام والعمارة والعمل البشري الذي هو النحت ، ومنبر المسجد الذي عبارة عن خشب بالإضافة إلى صنعة النجار ، والبناء الشامخ يكون من طوب وأسمى ، فلا بد من عمل البنائين ، فعندما نقول الله سبحانه وتعالى خلق هذه البناية الشامخة دخل في ذلك عمل العباد بالإضافة إلى مادة البناء ، فدللت في التفسير الثاني دلالة ظاهرة ، والتفسير الأول يكون نص ، نص على خلق أفعال العباد ، إذن الآية أما نص الله على خلق أفعال العباد بلفظ الخلق وقال تعالى { الله خالق كل شيء } كلمة كل شيء شملت أفعال العباد وقدرة العباد ، يقولون والله خلق نفسه ؟ أناس سخيفة ، لأن الله عز وجل بأسمائه وصفاته خالق كل شيء سواه عز وجل ، يقولون يحتج بها المعتزلة على خلق القرآن ؟ نقول الله عز وجل بصفاته وقد دخل فيها كلامه خالق كل شيء سواه سبحانه وتعالى ، فدخل في كل شيء سواه قدرة العباد وأفعال العباد ، معنى ظاهر جداً لأن الإنسان نفسه كان عدماً ، ولم يوجد نفسه ولا أوجد لنفسه القدرة ولا الإرادة فهذه الأشياء موجودة قطعاً وليس الإنسان خالقها قطعاً فالله هو خالقها ، وهذا التدبر من أهم ما يحتاج إليه العبد في كل أحواله ، التفكير في العدم الذي كان فيه ، هو فعلاً قبل أن يوجد كان عدماً ، { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً } ثم أوجده الله عز وجل عاجزاً ، { الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة } فالحقيقة أن هذه أدوات القدرة إنما أصبحنا قادرين مع كوننا وجدنا عاجزين بسمع وبصر ونحو ونوقن بأننا لم نعطي أنفسنا ذلك ، كم من طفل يولد أعمى يولد مشلولاً يولد أصم لم يعطه أبوه وأمه ذلك ، لو كان بقدرة الأم والأب لما وجد في الكون ناقص ، لأن كل أم وأب يقرران لأبنهم نظر ستة على ستة ، وإعطاء سمع خارق للعادة وإعطاء ذكاء فوق كل عقول البشر ، لكن الولد يولد وأبوه وأمه لا يملكون له شيئاً ، مع إن الذكاء من يوم مولده حتى يتخرج من الجامعة أو سار في الطريق لا يتعلم شيئاً هو نسبة الذكاء الذي خلقها الله له ، وهذه في الحقيقة تؤثر على إرادته بلا شك ، لذلك قلنا إن إرادة الإنسان وقدرة الإنسان متأثرة بأشياء مخلوقة ،

الطفل يولد غير قادر على الكلام ولا الفهم ولا الإمساك بشيء ، حتى لا يعرف أن يمسك شيئاً ، الإمساك هذا بعد حين ، تتكون القدرة تدريجياً على هذه الأشياء وتنمو له الأفعال الإرادية ، لما يولد لا يعرف الفرق بين الورقة وبين الورقة التي مائتين جنيه ، ولا يعرف حب التملك ولا يعرف أن يقول حقى وملكي ، في خلال سنة أو سنتين يقول ملكي ، ويكره من يأخذ ما له ، لكن قبل ذلك كانت عدماً هذه الإرادة ، مثل ما أنه يولد ليس عنده رغبة جنسية ثم بعد ذلك توجد بعد خمسة عشر سنة أو ثلاثة عشر سنة تتولد هذه الرغبات للجنس الآخر ، بلا شك أن هذه الرغبات تتولد فيه رغماً عنه لا يختار أن توجد أو لا توجد ، وهي تؤثر هذه الرغبات على إرادته يجد في نفسه رغبة فتحركه لكي يفعل وهو يستطيع أن يمسك نفسه أو يطلقها ومع ذلك كلف مع إن هذه الإرادات حصلت بغير اختيار منه ، وجد نفسه يجوع ويعطش ووجد نفسه يجب أن تكون هذه الأشياء ملكه ، وجد نفسه يميل إلى الجنس الآخر ، هذه الأشياء وجدت فيه فعلاً لم يخلقها ، فكيف أيضاً أحد بعد ذلك أن أسباب الإرادة وأدوات الإرادة بعد أن يقر بأنها كلها مخلوقة يقول لا هذه إرادتي أنا التي أصنعها ! .

والله جاهل من يقول ذلك ، بل تدبر وتأمل في حال الطفل والحيوان المنوي وهو يجري حول البويضة ويرى إرادة الإنسان أين هي ، وقدرته أين هي ، شهواته ورغباته ، والرغبات هذه التي تحركه ومع ذلك فهو عاجز عن أن يصنعها في نفسه أو بوجودها ، لذلك تجد مثلاً بعض الناس ولد غير مؤهل مثلاً للرغبة الجنسية ، لا يوجد هرمونات مثلاً في الخصية أو في المبيض ، ويظل هكذا لا ينمو جنسياً مثلاً ، رغباته لم تتجه إلى هذه الأمور نهائياً ، عقله لم يصل إلى إدراك أمر الملك مثلاً لأن معامل الذكاء منخفض جداً ، الطفل الذي ذكائه مثلاً ٢٠% من معامل ذكائه ، هذا لا يستطيع أن يفعل شيئاً نهائياً ، الذي عنده ٧٠ . ٨٠ يستطيع أن يتعلم بعض الأشياء ويجب التملك وربما كان كامل الرغبة الجنسية ونحو ذلك ، هذه أشياء لا يصنع فيها الإنسان شيئاً ، وهو أدوات ووسائل وأسباب القدرة والإرادة ، فكيف يزعم بعد ذلك أنه هو الذي يتحكم مطلقاً في هذه الأشياء وكانت عدماً ؟!

لما نقول أن الأفعال الإرادية في حب التملك واختيار نوع الطعام وحب اللعب بعد مدة ثم بعد مدة يريد الشهوة ، تزداد اختيار قدرته بالتدريج ، وكونها توجد بالتدريج فهذا قطعاً دليل على أنها مخلوقة ولم يوجد لها لنفسه وإلا لأعطى الناس لأنفسه أعلى درجات القدرة والإمكانات ، والقدرة والإرادة يوجد من مجموعهما الفعل ، فالفعل أيضاً قطعاً مخلوق ، لأنه تولد من مخلوقين كانا عدماً ، والإنسان مخلوق بقدرة وإرادته بالله عز وجل ، قدرته وإرادته تحت قدرة الله عز وجل ، فأفعاله المتولدة منه ومن قدرته وإرادته لا بد أن تكون مخلوقة

لله عز وجل ، هذه محاولة لتقريب الأمر عقلاً واسترشاداً بإرشاد القرآن لها ، { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً } وقوله سبحانه وتعالى { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً } إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتيه فجعلناه سمعياً بصيراً { قلنا في أدوات القدرة وأدوات الإرادة ، وإلا هو لم يجعل نفسه كذلك ،

فعند التأمل نجد أن العقل الإنساني لا بد أن يصل إلى نفس النتيجة التي جاء بها الشرع ، وهي { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } { وما يذكرن إلا أن يشاء الله } فلا يفعل العبد ولا يريد إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى ، فكما ذكرنا هناك عوامل كثيرة جداً تؤثر على قدرة الإنسان ورغباته التي تخلق فيه رغماً عنه ، الإنسان يجوع قبل أن يحب الأكل أليس كذلك ، الإنسان يولد وبعد فترة يبكي طلباً لثدي أمه وهو لا يدرك أن هناك مصلحة في الأكل ولا أن هناك أنواع من الأطعمة بل وجد في نفسه الجوع والعطش ، وجد فيه ذلك فمال إلى ثدي أمه وجعل يمص قبل أن يدرك شيئاً على الإطلاق ، فلذلك نقول هذه الأشياء خلقت في الإنسان جزءاً وبقية ،

كما ذكرنا عوامل كثيرة لا يملكها ، أصل الرغبات لا يملكها ، فلا بد وأن يقر ولا بد وأن يجزم بأن إرادته مخلوقه وقدرته مخلوقه وما يتولد عنها من الأفعال كذلك مخلوق ، وكونه مخلوق ليس معناه أنه لا دخل له به ، كون الأفعال مخلوقه ليس معناه أنه ليس مسؤولاً عنها بل هي مخلوقه فيه وهو قد فعل بقدرة وإرادة خلقها الله له فهو مسئول ، كما أن الأب والأم لم يخلقوا الولد وهما مسئولان عنه ، لو ألقياه في الطريق وقالاً لم نخلقهم فليرزقه الذي خلقه أمّا ولا مهما الخلق جميعاً ولا مهما كل عاقل وقال بل أنتم المسئولان عن هذا الولد لأنكما أنجبتماه وليس لم يخلقاه ، نعم لم يخلقاه ، وكم من رجل يعاشر امرأته ولا تلد ولا يخلق في رحمها شيء ، وكم من حمل لا يستمر ويكون هناك حرص شديد على الاستمرار ولا يستمر ، وكم من رجل وامرأة يرغبان أن يوجد منهما ولد ولا يقع ،

ولذلك نقول أن هذا دليل على عجز الإنسان ومع ذلك هما مسئولان فلا بد أن يعلم الإنسان أن خلق الله لأفعال العباد لا يعفيه من المسؤولية ، ولذلك نقول أن هذه مرتبة أن الله خالق أفعال العباد وقدرتهم ومشيئتهم وأن للعباد قدرة ومشئته بما يقع فعلهم ، والعباد فاعلون حقيقة ، هذه نصوص في هذه المرتبة لا بد من ذكرها ،

نحن لا نثبت في هذه الرتبة خلق الله لأفعال العباد فقط ، بل نثبت أفعال العباد الحقيقية وليست فقط أفعالاً مجازية ،

هذه المرتبة الرابعة كما قلنا تسمى خلق أفعال العباد والخلق يشمل عموم كل شيء لكن الأفعال الواردة في القرآن غالبها وردت بلفظ جعل ، قال الله تعالى { وكذلك جعلنا في قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ولا يملكون إلا بأنفسهم وما يشعرون } الله الذي جعل ، دائماً تجد آيات القرآن تذكر هذه المعاني مع ثمارها الإيمانية وليس فقط أنها تثبت مسألة نظرية ، المؤمن ينظر فيرى مجرمين كانوا في القرى ، في كل قرى وفي زمنه يرى مجرمين كباراً ، أكابر المجرمين ، وإن كانوا عند الناس هم السادة وأكابر الأغنياء وأكابر الملوك والرؤساء ولكن كثير منهم يكون عند الله أكابر المجرمين وأخبر أنه جعلهم ليمكروا وبين هذا أنه ما يمكروا إلا بأنفسهم لأن الله من روائهم محيط وكما ذكرنا هذه الثمرة الإيمانية لهذا الأمر وهو أن تعلم أنه بيد الله سبحانه وتعالى ، ولو شاء الله ما أوجدهم ولو شاء الله ما مكروا ولو شاء الله سبحانه وتعالى لمنعهم من ذلك ابتداءً بسلب وسائل القدرة ووسائل الإرادة ، الرغبة كما ذكرنا تولد في الإنسان لو نزعته منه أو لم تخلق فيه أصلاً لما وجد من يحرص على المكر ليحافظ على الملك والرياسة والجاه والمنزلة ، فإذا استخلصت ذلك علمت أن العباد لا يملكون شيئاً وأن عاقبتها في النهاية يجعلها الله عز وجل مكرراً بأنفسهم لأنهم لا يمكنهم أن يضادوا أمر الله فالله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا غالب على أمره سبحانه وبجمده { وما يمكروا إلا بأنفسهم وما يشعرون } المجرم ذات وفعل ، الفعل هو الإجماع والله خلق ذواتهم وجعلهم مجرمين حال الإجماع فعلهم هم ، { جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها } جعلهم الله مجرمين بحكمته البالغة ليظهر حكمته البالغة ، لأن الذي كثيراً ما أجمروا وكثيراً ما مكروا سيظهر لهم في النهاية أن مكروا بأنفسهم ، وتظهر قدرة الله العظيمة وإرادته النافذة ، فهم أجمروا كل هذا الإجماع ومكروا كل هذا المكر حتى ظنوا أنهم أحاطوا بأهل الإسلام والحقيقي أن الله من روائهم محيط ، في الحقيقة أن الله إنما جعلهم يمكروا بأنفسهم وما يشعرون ، وقال سبحانه وتعالى { وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن } قال سبحانه وتعالى قبلها { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } { ولو أنا نزلنا على الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً } كما جعلهم الله لا يؤمنون كذلك جعل لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون } هذه الآيات تحتاج إلى وقفات فعلاً حتى يتبين أن كلها فيها تعليل لفعل الرب سبحانه وتعالى ، وبيان حكمته البالغة ، وأخبر عز وجل أنه لو نزل إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشر عليهم كل شيء يقابلهم ويدعوهم للإيمان أن آمنوا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، هذا يجعل العبد المؤمن الداعي إلى الله يأس من نفسه ولا يرجو إلى رحمة الله ، ولا يتعلق قلبه بأسباب لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرغب أحياناً في نزول الآيات فيخبره الله سبحانه وتعالى بأن الآيات لو جاءت ربما لم يؤمنوا وأنه لو شاء سبحانه وتعالى لجعلهم مؤمنين فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، عليك أن تعمل ولا تنظر في النتائج ، نفسك لا تنفق فيها ، لست بالذي يحملهم على الإيمان وليس وجود الآيات بسبب يقودهم إلى الإيمان بل لو وقع كل ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون { وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن } فالله هو الذي جعلهم أعداء الأنبياء حتى لا تظن أن العداوة من عندهم خلقت ، ولا أن الشيطان هو الذي يحرك الأمور ولا هو المسيطر على العالم ، نعم هو الذي يحنثهم على الفساد ولكن ليس هو الذي يخلق ، بل الله عز وجل هو الذي قدر أن هؤلاء يعادون الرسل وأولياء الله ، فعندما تزداد العداوة هل تلجأ لهم أو تخضع لهم ؟ أو تظن أن الأمور بأيديهم ؟ ما أكثر من يفكر بهذه الطريقة ، يجد أن الأسباب في أيدي الأعداء ، القوة في أيدي الأعداء فيقول ليس لنا مصير إلا أن نكون في فلانهم ليس لنا وسيلة إلا متابعتهم سوف نهلك إذا لم نتبعهم ولو أيقنت أن الله هو الذي جعلهم ليختبر كيف تفعل { ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبولوا بعضكم ببعض } عندما تزداد العداوة والمكر هل تلجأ لهم أو تخضع لهم ؟ أو تظن أن الأمور بأيديهم أم تلجأ إلى الله الذي خلق وجعل ويصر هؤلاء عندك تحت الأقدام فلا تجعلهم فوق الرؤوس أبداً { وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً } يشير بعضهم إلى بعض بالقول المزخرف المزين الباطل ليغر بعضهم بعضاً به

{ولو شاء ربك ما فعلوه} إذا أيقنت بذلك {فذرهم وما يفترون} إذا أيقنت بأنه لو شاء ربك ما فعلوه فلا تشاركهم فعل الافتراء بل اتركهم وما يفترون ولا تعبي بهم ، {ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة} اللام هنا للتعليل لبيان الحكمة الكونية القدرية من خلق هؤلاء وجعلهم أعداءً ولكونهم يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف ويغري بعضهم بعضاً به ، {ولتصغى} اللام هنا لام التعليل بفعل الله عز وجل ، لماذا قدر وجود شياطين الإنس والجن أعداء الرسل ؟ لتميل إلى ذلك الباطل أفئدة قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لتميل إلى هذا الباطل والزخرف والغرور قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، يجعلهم الله كذلك يحاسبهم على أفعالهم بعدله ، ولكي لا يدخلهم النار بلا عمل ولا جرعة فالله لا يظلم الناس شيئاً ، هناك باطل موجود في القلوب يظهره الله ليحاسبوا عليه ، فلا بد أن يوجد أناس يزخرفون الباطل وتنجلب إليه قلوبهم تنجلب قلوب من يؤمنون بالباطل ولا يؤمنون بالآخرة ، {لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه} ليضروا بالباطل فإذا وقع ذلك واقترب ما هم مقتربون وعملوا ما هم عاملون فسوف يعذبهم الله بعدله سبحانه وتعالى، أراد الله أن يوجد هذا الصراع بين الخير والشر وأراد الله أن يقسم الناس بين فريقين ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون أفغري الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليك الكتاب مفصلاً فهو كما أنه الحكم في الأمور الشرعية فهو الحكم في الأمور القدرية ، الله في النهاية هو الذي سيحكم ، فالحكم الحكم الكوني القدري لله والحكم الشرعي وكذا الجزائي لله عز وجل ، {أفغري الله أبتغي حكماً} وهو الذي أنزل إليك الكتاب مفصلاً فأنا لا أبتغي فيما بيني وبينكم حكماً إلا الله ، كما أني لا أرى أن أتخذ حكماً في التشريع يحكم بالشرع إلا الله لأنه هو أنزل الكتاب مفصلاً ، فهذه من أهم المواضع التي تبين حكمة الله سبحانه وتعالى ، وتأملها من أهم الأمور للمؤمنين في صراعهم مع الباطل لتعلم أن الأمور من عند الله سبحانه وتعالى ليست بأيدي البشر ، الله هو الذي جعل أكابر المجرمين ، الله الذي جعل لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ، كما قال سبحانه وتعالى {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً} {ظهر آثار الهداية رغم أن الأعداء المجرمين يصدون عن سبيل الله ويلبسون الباطل ويجمعون على الحق ومع ذلك يهدي الله من شاء وهذا والله أمر ظاهر يراه المؤمنون ، يرون أنفسهم عاجزين عن هداية الخلق ، والأمر قد أحاطت بهم ثم بعد حين تجد القلوب كلها قد أقبلت ،

الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة لا يملك حتى الدفاع عن أصحابه وينالهم سوء العذاب من الكفار بأنواع البلاء والمحنة ثم بعد حين فتح الله قلوب من شاء ، مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبائل شتى لم تستجب ، قذف الله في قلوب الأنصار الإيمان ، تمكن الإيمان من قلوبهم ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم تكونت دولة الإسلام ، حصلت الحرب والمنازعات والغزوات ، دخل الناس بعد ذلك في الإسلام أفواجاً وصار مع النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف في حجة الوداع أو يزيدون فانظر {وكفى بربك هادياً} {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً} وفي لحظات كان عاجزاً عن نصرة أصحابه لا يأمرهم إلا بالصبر ، يقول صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، ويصبر بلال وعماراً وسائر المعذبين ويشهرهم بالجنات العلا ويأتي نصر الله سبحانه وتعالى ، الكفار أحاطوا بكل الوسائل بالمجرمين ليهزمهم ثم يأتي نصر الله سبحانه وتعالى ، {وكفى بربك هادياً ونصيراً} فمهما حاول الكفار إضلال الناس فالله سيهدي من شاء ، ولو حاولوا هزيمة الإسلام فالله ينصر المسلمين ، وكفى بربك هادياً ونصيراً ، وقال عز وجل في الأنبياء ، آل إبراهيم وآل يعقوب ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، فهو عز وجل جعلهم أئمة يهدون بأمرهم جعلهم أئمة للهدى وجعل أولئك شياطين الإنس والجن أعداء الأنبياء ، كما قال عن فرعون {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون} سبحانه الله ، هذا الأمر تستفيد منه أعظم الاستفادة في أنك إذا وفقت للطاعة واتبعت الناس عليها إياك أن تقول أنا القائد أنا الكبير أنا الزعيم ، الله الذي جعلك إماماً تهدي بأمره إن كنت كذلك ، إن ظننت أنك الذي فعلت من قبل نفسك بغير تصريف الله فعملك أولى أن يكون مردوداً ، أولى أن يلف كخرقة بالية منتنة ترد ف وجهك حين تظن نفسك الكبير والزعيم والقائد ،

الرسول صلى الله عليه وسلم أدخله الله مكة فاتحاً منتصراً متواضعاً لله عز وجل غاية التواضع ، يكاد ظهراً يمس ظهر راحلته ، ويدخل ساجداً ، أول ما دخل مكة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات ، اغتسل صلى الله عليه وسلم ثم صلى صلاة الفتح ، يدخل ساجداً راکعاً لله منحنياً متواضعاً ساجداً لله سبحانه وتعالى ، فهذا المعنى لأن الله هو الذي جعل ، هذا معنى لا بد من حصول الإنسان قد تكبر عنده نفسه ويظن نفسه هو الذي صنع ذلك من عنده وبقوته وقدرته فيهلك مثل من قال هذا لي ويهلك مثل الذي قال أوتيته على علم عندي نعوذ بالله ، فلذلك إذا تذكر الإنسان {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين} تعلم أنه بتوفيق الله كما يقر أهل الجنة بذلك يقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فيظهر في هذه الآيات فعل العبد وفعل الرب ، فعل الله الهداية فعل العبد الاهتداء ولا تحصل الاهتداء من العبد إلا بأن يهديه الله عز وجل {وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} فدخلوا الجنة بتوفيق الله لهم ، فعلوا الصالحات بتوفيق الله لهم ، فعبدهو بإعانتة ، قضية القضاء والقدر موجودة في الفاتحة ، {إياك نعبد وإياك نستعين} ، هدانا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين {فلولا أن الله أنعم على من أنعم عليهم بالهداية لما اهتدوا ، وهم يسألونه الهداية التي هي فعله بهم سبحانه وتعالى ، يسألونه أن يهديهم ، يسألونه شيئاً يملكه عز وجل ، وهم يسيرون على الصراط المستقيم يفعلون العبادة مستعينين بالله يطلبون منه هداية البيان أولاً ليعلموا الحق من الباطل وهداية التوفيق ليحبوا ذلك الحق ويريدوه ويفعلوه ، ولا يقدر على شيء من ذلك إلا بالله ، وليس فقط أنهم يسألونه الهداية بمعنى التبيين ، التبيين أول الدرجات أن يبين لهم وإلا فالناس يختلفون وكل يدعي أنه صاحب الحق ، وكل يقول أنا الذي على وفق مراد الله ، فالبيان من الله عز وجل والبصيرة التي يقذفها في قلب العبد حتى يرى الحق حقاً والباطل باطلاً أول درجات الهدايات من فعله سبحانه وتعالى

وتم بعد ذلك يجعله هداية التوفيق بأن يجعلهم يحبون ذلك الحق ، وإلا فكم من أناس ظهر لهم الحق بأبعضوه ، علموا أنه الحق ، وفي أناس ضلوا ابتداءً ، والضالون ضلوا ، رأوا الحق باطلاً والباطل حقاً ، والمغضوب عليهم رأوا الباطل حقاً ومع ذلك أبغضوه وحاربوه ، وبذلوا عمرهم في محاربه ، كما قال حيي لصاحبه عندما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم أهو النبي الموعود ؟ فقال هو هو والله ، فيقول ماذا تفعل فقال أعاديه ما حييت ، والعياذ بالله ، فانظر إلى هذا النوع من البشر الذي غضب الله عليهم ، المغضوب عليهم لأنهم علموا الحق واختاروا خلافه ، لم يهديهم الله الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق والإعانة وحب الحق ثم إرادة فعله بعد ذلك وإلا فكم من إنسان محب



لالحق يتمنى أن يخلق في قممه وهو في سفح الجبل ، ليس عنده عزيمته ليس عنده رغبة قوية في فعله ، يقول الله أنا أحب أن أمشي في الصح ولكنه لا يفعل لا يريد ذلك ، يحب ولكن لا يفعل ، حبه مجرد آمال، ليس هناك عزم صادق حتى يصعد ، حتى يخلق في هذه الأجواء ، فإذا وفقه الله عز وجل وعمل وأراد ففعلاً وصل إلى هذه الأعمال الصالحة وازداد منها يحتاج إلى هداية الثبات وهداية الزيادة من ذلك القدر ، فإنه لا يملك قلبه ربما تقلب حاله ، فهو يطلب من الله الهداية إلى الصراط المستقيم ، إيمان بالقضاء والقدر ، وهذا لا يقبل عمل بدونه ، لأنه بدون هذا سوف يكون في الإنسان كل الأمراض ، بدون الإيمان بالقضاء والقدر لأن الله الذي هدى والله الذي وفق ، فعل الله في العبد ، وخلق له فعل العبد ، الهداية من الله خلق الهدى في قلب العبد ، تثبيته على ذلك وإلا فكم ممن كان على الحق ثم أعرض والعياذ بالله ، وعمل الحق مدة حتى وصل إلى الدرجات العلا وأوشك نفسه الجنة ، (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة حتى يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيكون من أهلها ) إبليس مثال وآية من آيات الله ، والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها قال { وتلوا عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لفرعناه بها { إذن أنت ارتفعت حين عملت ، لو شاء الله عز وجل أن يتركك كالكلب والعياذ بالله ، كالذي آتاه الله آياته ففعل الإنسلاخ فعل لن يفعله الله به وهو الرفع بالآيات ففعل هو الإنسلاخ والغني ، فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، وهو أيضاً فعل أشياء أخرى لأن الله لم يرفعه لأنه قال { ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه { انظر أفعال كثير نسبها لذلك العبد وسببها أن الله لم يرفعه ، أن الله علمه الآيات وجعله يراها ومع ذلك ابتعد وكذلك يحذر المؤمن على نفسه لأنه يعلم أن قلبه بيد الله وأن الهداية منه ، أن يكون هذا كالذي ضرب الله له المثل ، { أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات { هذا إنسان يعمل أنواع الصالحات ، حنته في العمل الصالح فيها من كل الثمرات وتجري من تحتها الأنهار ، أي مصادر الخير موجودة وهو يتلذذ بهذا الخير ، نسأل الله العافية ، نسأل الهدى ، وفي هذه الحالة أصابه الكبر والله ذرية ضعفاء فيحتاج جداً إلى استمرار هذه الجنة { وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت { ضاع كل ذلك، أصابه إعصار أصابه شيء من قبل نفسه عامله الله بعدله أعجب بنفسه غر بنفسه فتن على كبر فضاعت الجنة ، ضاع الخير الذي كان عنده وضاعت مصادره ، كذلك قال { فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون { فالإنسان إذا استحضر أن الله هو الذي جعل الأئمة أئمة يهدون بأمره ، جعلهم أئمة للمتقين ، هدى من شاء سبحانه وتعالى وأضل من شاء فهنا يتواضع لله ولا يعجب نفسه ولا يصيبه الكبر والغرور والعياذ بالله ،

قد يسأل البعض لماذا جعل الله عز وجل ذلك ؟ لماذا جعل آل إبراهيم وآل يعقوب أئمة يهدون بأمره وجعل آل فرعون أئمة يهدون إلى النار ؟ نقول لأنه عز وجل بحكمته فعل ذلك ، وضع كل شيء في موضعه فلا يمكن أن يتساوى الفريقان فليس العدل بالمساواة وإنما العدل وضع كل شيء في موضعه كما قد ضربنا المثل في المرة السابقة ، لو أن الزارع عنده أرض باثرة تفسد كل بذر طيب يوضع فيها وعنده أرض طيبة تثمر كل بذر طيب يوضع فيها فوضع البذر الطيب في الأرض الطيبة كان ذلك عدلاً وحكمة فهل لأحد أن يسأل هذا الزارع لماذا أن تقسم البذر الطيب على الأرضين ؟ أو يقول له أنت ظلمت الأرض الحبيثة إذ لم تعطها بذراً طيباً ، من يقول هذا فكأنما يقول بالسفسه ، وهذا اقتراح جاهل ، إذا كان هذا في حق العبد الضعيف فالحق عز وجل وضع الأشياء في مواضعها ، ولا بد أن نوقن بذلك ، ولم نسأل لماذا لم يجعل فرعون مثل موسى ، هو إنسان سفیه وجاهل وظالم حيث يطلب هذه المساواة وحاله كحال الذي قالوا لم تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، هذا مرض ظاهر جداً من كلماتهم تلك ، لم تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهؤلاء والله يستحقون أن يضع فيهم الكفر ، والله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته وقال سبحانه وتعالى في المؤمنين { وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا { انظر إلى الكبر الذي في قلوبهم يستكبرون أن يكون المؤمنون ممنون عليهم من بينهم ، الله أعلم بالشاكرين ووضع كل شيء في موضعه ، ومن يقل غير ذلك ، فهي متماثلة وإن واحد شيء من التفاضل فيها أيضاً ، هذا كله يجعل العبد يتوضع للعبد سبحانه وتعالى ، ويعلم أن فعل الرب سبحانه وتعالى كله علم وحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ما من قلب إلى بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ) هذا فيه إثبات مشيئة الرب وفيه إثبات فعله سبحانه وتعالى ، فعله هو الإقامة أو الإزاعة ، الله أقام هذا على الهدى وأزاع هذا في الضلال ، وفعل العبد هو القيام بالحق ، وفعل العبد الآخر الزيف ، فلان زاع ، فلان كان من الغاوين ،

قال صلى الله عليه وسلم ( اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ) هذه كلها في مرتبة أفعال الرب عز وجل ، خلق أفعال العباد ، تثبت قلوبهم ، إقامة ما شاء من قيمة ، إزاعة ما شاء من زيفة ، جعل شكر عند الشاكرين جعل الظلم عند الظالمين ، جعل فرعون إماماً يدعو إلى النار جعل آل إبراهيم أئمة يهدون بأمره ، فهذه المرتبة من مراتب الإيمان بالقدر لا بد أن تثبت قدرة العباد ومشيتهم التي خلقها الله لهم وبها تقع أفعالهم حتى لا يظن أحد أن إثبات خلق الله لأفعال العباد وقدرتهم ومشيتهم يعني الإلغاء لقدرتهم ومشيتهم ، يقول مثلاً وهم ليس لهم شيء ؟ بل هم فعلوا ، الله خلق والعبد فعل ،

كما أثبتنا في المرتبة الثالثة نوعي الإرادة الشرعية والكونية وأثبتنا مشيئة الله في الأفعال الاختيارية والاضطرابية ، لا بد أن تثبت في مرتبة خلق أفعال العباد قدرة العباد ومشيتهم ، فللعباد قدرة ومشية بما تقع أفعالهم ، كلمة . بما . مهمة جداً ، دليل عليه قوله تعالى { اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير { إذن أنت تعمل بمشيتك ، وليس أعمل وشاء منفصلة ، فأثبت الله مشيئة للعباد ، دليل على أن علمهم مبني على تلك المشيئة فقال { اعملوا ما شئتم { . ما . موصولة ، مفعول به ل اعملوا ، فالعبد يفعل فعله بمشيتته ، أي عملوا بمشيتكم ، هذه المشيئة أثرت في الفعل في العمل والله خلقهم وخلق مشيتهم وهم لا يشاءون إلا أن يشاء الله ، وهو خالق قدرتهم كذلك ، كلامها والله بين بالعقل كما هو بين بالشرع ،

مثل ما قلنا الطفل . الرغبات التي تولد والتي تحركه طوال عمره أنه يريد أن يأكل ويريد أن يملك ويريد أن يشعر بنفسه ويريد بعد ذلك أن يجد الرغبة الجنسية ، ويريد أن يكون هو المستحوز على اهتمامات الآخرين ، خلقت فيه وهو يحتاج إلى تقويم هذه الرغبات ،

نقول قدرته وإرادته مخلوقه ، خلق الله أفعال العباد لا يعني إلغاء قدرتهم ومشيتهم وقدرتهم قوله { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } وقوله { وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } لا يعني أنه لا مشيئة للعبد وإنما ثبت أن للعبد مشيئة لكنها تحت مشيئة الله وفي الوقت نفسه كونها لها أثر ، يعني لا نقول مشيئة ليس لها أثر ، بل مشيئة لها أثر ، مشيئة لمن شاء منكم أن يستقيم ، أن تشاء الاستقامة وتستقيم لمشيئتك ولكنها ليست مستقلة التأثير ، كما أنها ليست ملغاة ، بل هي تحت مشيئة الله ، موجودة مخلوقة ، ليست مطلقة ولا ملغية ، موجودة مخلوقه ، مشيئة الله تنفذ فيهم من خلال ما يفعلونه بأنفسهم ومشيتهم ، مشيئة العباد لها أثر في أفعالهم ، وبها تقع تلك الأفعال وهذا معنى الكسب ، قال تعالى { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } معنى الكسب فيه ثلاث مذاهب

مذهب أهل السنة أن العباد يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم وفعلهم ، هذا مذهب أهل السنة ، أفعال العباد تقع بمشيئتهم والقدرة الإنسانية والمشية الإنسانية لها أثر في وجود الفعل ، هذا الأثر ليس خلقاً وإيجاً للفعل ، مثل أثر الأم والأب في ولادة الولد ، لهم أثر لكن ليسوا هم الخالقون ، ليس خلقاً وإيجاداً للفعل ، لأن خالق القدرة والمشية والفعل هو الله ، وهذا الفعل يقع من خلال قدرته ومشيتته مثل الطفل الصغير له أب وأم لهما أثر في وجود الطفل ، ولابد من وجودهما لوجوده ولكن هذا الأثر ليس خلقاً للطفل إنما الله هو الذي خلق الولد وخلق أباه وأمه ، ولا يتصور أننا لإيماننا أن الله هو الذي خلق الطفل أن نقول لا لزوم للأب والأم ، هذا باطل لابد منهما ولابد من أثرهما لأن الذي خلق شاء أن يولد الطفل من الأب والأم ، من هذا الأب ومن هذه الأم ، أراد أن يخلقه منهما ، لو قال القائل لو أراد الله أن يخلقه من غيره أبيه وأمه لفعل ، صح ، هل يصلح أن يستدل على أن الأب لا داعي لوجودهما ، نقول لا ، هذه كلمة حق أريد بها باطل ، لو أراد الله أن يخلقه من غير أبيه وأمه لفعل صح ، معنى ذلك أن الأب والأم ليس لهما داعي ؟ خطأ ، إذن لابد من وجودهما من وجود الطفل ، فلذلك لأن الخالق أراد ذلك ،

لو قال قائل لو أراد ربنا أن يهديني لهدائي ، نقول له كلمة حق أريد بها باطل ، يقصد أنه لا شأن له بضالته ، يعني أنا ليس لي دخل ، أنا ضللت غصب عني ، وأنا تكلمت بالباطل رغماً عني ، أنا قتلت فلان رغماً عني ، وهو قتله عمداً ، بل هو يريد أن يقول كل شيء رغم عني ، أنا كفرت رغم عني ، أنا وجدت أبي وأمي نصارى أنا وجدتهم مجوس ، أنت أين عقلك أين أراذك ، أين قدرتك ؟ موجودة ، فنقول لو أراد الله لهداك كلمة حق أريد بها باطل ، لأنك فعلك من خلال قدرتك وإرادتك ، فكذلك تحتج على هذا براءة ذمتك من المسؤولية كقول القائل لا لزوم للأب والأم لإيجاد الطفل ومثل الوالدين الذين ألقيا ابنهما في الطريق وقالوا نحن ما خلقناه والذي خلقه يرزقه ، فلا يكون هذان إلا مجرمين ، هذه كلمة حق أريد بها باطل وهي أن الله يرزقه ، لكنها سببان للرزق ، كذلك الذي يسرق ويذبح ويقتل ثم يتنصل من عمله ويقول كل هذا الذي وقع إنما خلقه الله في ، هذا حق لكن خلقه فيك من خلال إرادة أم رغماً عنك ، أنت مسفول عن فعلك ، لأنك فعلته بالقدرة والمشية والعقل الذي فهمت به الشرع ، الشرع أمرك ونهاك ، هذا مذهب أهل السنة في الكسب وهو وجود الفعل الإنساني بالإرادة ، بالإرادة الإنسانية والقدرة الإنسانية مع أن الله خلق الأشياء الثلاثة .

#### مذهب الجبرية

مذهب الجبرية ينكرون أصلاً قدرة للإنسان والإرادة ، يستوي عندهم جريان الدم في العروق والسرقة ، يستوي دق القلب والقتل المعصوم ، كل الأفعال مثل بعضها ، يستوي دق القلب وجريان الطعام في المعدة بالزنا ، الزنا مثل الولادة ، والصلاة والصوم مثل الأفعال اللا إرادية ، هؤلاء يرد عليهم العقل والشرع ، العقل بعد الشرع ، قال تعالى { اعملوا ما شئتم } وقال { لمن شاء منكم أن يستقيم } كل أفعال العباد نسبت إليه وهم في الحقيقة معاندون ، لو كان كلامهم صحيحة لما أكلوا وما شربوا وما كسبوا مكاسب الدنيا ، صحيح لو أراد الله أن يرزقك طعاماً وشراباً وأنت في البيت ، يرزقك ، أتفعل ذلك أم لا تقول هذا الكلام ؟ !

لو أراد الله أن يكسبك المال والملك لحصل ، لكنك ماذا تصنع ؟ تذهب للعلم وتتناول اللقمة وتكتسب المكاسب وباحث عن كل مصلحة لك دينوية ، لابد أن يمد أيديهم للطعام بأفواههم الجائعة ، لم يقولوا لم يريد الله أن نأكل فلم نأكل ، ويتناولون الماء ليشربوا ، ولو طبقوا مذهبهم فعلياً على أفعال الدنيا وعلى معيشتهم لما اتوا واسترحنا منهم ،

هناك صنف من الجبرية المستترين وهم الأشاعرة يقولون إن للإنسان قدرة ومشية لكن لا يقع بهما الفعل بل يقع معهما ، الاقتوائية الذين يقولون باقتوائية القدرة والمشية من غير أثر ، يقترون وجود القدرة والمشية من غير أثر في الفعل ، لا يمثلون كما قلنا بالأب والأم والولد ، يصلح مثلاً لقولهم بالتمثيل بالأخ وأخيه ، فالقدرة والمشية والفعل الإنساني مثل ثلاثة أخوة ، وجدوا في أسرة واحدة من غير أن يكون لأي واحد منهم أثر في وجود الآخر ، تكون القدرة والإرادة بلا أثر ، فالفعل عندهم يخلق مع القدرة والإرادة بلا أثر منهما على الفعل ، وهما في الحقيقة على هذا القول لا معنى لهما ولا قيمة ولا يمكن أنت تسمى مشيئة وهم الأشاعرة مبالغون في نفي الأسباب فيقولون أن الله يخلق القطع عند مرور السكين فالسكين يمر في الهواء والقطع يحصل أثناء المرور ، ليست السكين التي تقطع ،

أهل السنة يقولون الله يخلق القطع بالسكين ، الأشاعرة يقولون قتله الله عند مرور السكين ، عند مرور السكين عند رقبته ، أو عند رميه بالسهم ، أهل السنة يقولون قتله الله بالسكين أو بالسهم ، الأشاعرة يقولون الله يخلق الإحراق عند وجود النار ليست النار هي التي تحرق ، أهل السنة يقولون يخلق الله الإحراق بالنار ، النار تحرق لأن الله جعلها تحرق ، لذلك ففي الحقيقة مذهبهم مثل مذهب الجبرية ، الفرق أنهم أثبتوا قدرة ومشية ونفى الجبرية قدرة ومشية بالكلية ، لكن أثبتوا قدرة ومشية بلا أثر ، فذلك يقول العلماء العقلية كسب الأشعرية ، يستحيل عقلاً قبوله ، يعني وجود قدرة ومشية بلا أثر كلام متناقض في بعضه ، يخالف للشرع كذلك ، الله لم يقول اعملوا وشاءوا ، ولكن قال اعملوا ما شئتم ، وقال { لمن شاء منكم أن يستقيم } فالعبد إذا أراد أن يستقيم فمشيئته لها أثر في فعله ،

## المعتزلة المذهب الثالث في الكسب

يقولون أن للإنسان قدرة ومشية يخلق الإنسان بها فعله مثلهم كمثل من يقول الأب والأم يخلقون الولد وهذا باطل قطعاً ، يقولون أن إرادة الله لا دخل فيها لأفعال العباد ولا في مشيئتهم ، قدرته ليس لها دخل في أفعالهم ولا مشيئتهم ولا قدرتهم ، القدرة الإلهية والمشية الإلهية في خلق الذوات فقط ، فيقولون خلق الله ذوات العباد ، وتركهم بلا سلطان له عليهم ، يثبتون الإرادة الشرعية وينفون الإرادة الكونية ، فكل من الجبر الذي هو الإكراه على الفعل والاختيار المطلق باطل كما أوضحنا .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٧٠ - مسائل مهمة

ذكرنا في المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر مرتبة الإيمان بخلق أفعال العباد وقدرتهم ومشيتهم ، أنه يلزم أن يذكر فيها أن للعباد قدرة ومشية بما يقع فعلهم الاختياري ، فهناك بعض الأمثلة في هذا الباب يضرها أو قد ضرها بعض المتحدثين من يفهم المثل والمقصود منه يعلم أنه يريد نفي خلق الله لأفعال العباد وجعلهم يفعلون ، يريد أن ينفي أن الله يجعلهم يفعلون ، وقد تعرضنا لهذا المثل قبل ذلك ، الذي هو مثال المدرس والتلاميذ ، يضربونه بهذه الطريقة وهو أن المدرس يعلم مستوى التلاميذ تماماً ودرس لهم المنهج ثم أجرى لهم في النهاية امتحاناً وقبل أن يجري الامتحان وضع للتلاميذ درجاتهم ثم أجرى الامتحان وقيم الدرجات فكانت الدرجات موافقة كالتالي وقعا وقدرها ، فنقول الفرق الوحيد في هذا المثل بين علم الله وتقدير المقادير هو أن علم الله حزم وقطع وعلم البشر ظن وتخمين ، هذا كثير الناس يتصور صحيح التمثيل في قضية القضاء والقدر وليس الخطأ في ضرب المثل ، البعض يقول لا يوجد أمثلة في العقيدة ، بل هناك أمثلة والله المثل الأعلى ، المثل إذا كان صحيحاً كان صحيح ، لكن الخطأ أن هذا المثل باطل ، والسبب أنه يمثل عقيدة المعتزلة الذين يثبتون علم الله وكتابة المقادير وينفون قدرة الله ومشيتته في الأفعال الاختيارية فضلاً عن خلقه لهذه الأفعال ، يقولون أن الفرق الوحيد في هذا المثل أن علم الله قطع ويقين وعلم المدرس ظن وتخمين ، وليس هذا هو الفرق فقط الذي يجعل المثل باطلاً ، الذي يجعل المثل باطلاً هو :

أولاً أن المدرس ليست له إرادة في أن يجعل التلاميذ فريقين فريق ينجح وفريق يرسب ، ولا هو الذي جعلهم فريقين ، إذن المدرس يريد منهم كلهم النجاح ، يأمرهم جميعاً بالإجابة الصحيحة لا يجعل بعضهم يجيب إجابة صحيحة وبعضهم يجيب إجابة باطلة أو إجابة خاطئة ، فالمثل في الحقيقة أثبت الإرادة الشرعية فقط ، حيث أن المعلم طلب منهم أن ينجحوا وليست له إلا إرادة واحدة وهي أن يجيب التلاميذ بالصواب وطلب منهم أن يجيبوا الصواب التي هي مثل الأوامر الشرعية ، وهو يجب أن يجيبوا جميعاً ، لم يجعلهم فريقين ، طلب منهم أن يجيبوا الصواب وهم في الحقيقة ينفون الإرادة الكونية ، هذا المثل الذين ضربه ينفون الإرادة الكونية وأن الله بإرادته الكونية قدر أن يوجد فريقان قال الله تعالى { فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة } قال { من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } إذن ربنا سبحانه وتعالى أراد أن يوجد فريقان ، أن يجعل فريقاً في الجنة وأن يجعل فريقاً في السعير ،

ثانياً في أخطاء هذا المثل :

أن المدرس ليست له قدرة على ما يكتبه التلاميذ ولا هو الذي وجه كتاباتهم أثناء إجابتهم ، إذن ينفي المشية الكونية وينفي القدرة على أفعال العباد ، لأن المدرس نقول أنه ليس له قدرة أن يجعل هذا يجيب صح وهذا يجيب خطأ ، وليس له تأثير على التلاميذ ، لا يستطيع أن يصنع شيئاً لهذا التلميذ فيجيب إجابة صحيحة ، ولا لذلك فيجيب إجابة باطلة ، وأقصى حاجة أن يغششه ، يعني يقول له وبين له تكون هي هداية البيان التي هي عند المعتزلة فقط وليس عندهم هداية التوفيق ، المعتزلة تقول أن الله بين للناس وفصل لهم وكرهم لهم البيان ، هذا أقصى ما عندهم التغشيش أعنى في المثل يكون كذلك ، استغفر الله ، وهو أن المدرس بين له مرة أخرى ، يقول له يابني الصح هكذا ، يبين فقط ، لكن لا يقدر أن يجعله يجيب ، فهذا المثل خطير للغاية ، رغم كثرة من يستعمله ، ينفي الإرادة وينفي القدرة الإلهية على أفعال العباد ،

ثالثاً أنه ينفي جعل الله وخلق لأفعال العباد ، فالمدرس ليس له سلطان على الطلاب ولم يخلق كتابتهم ولا إجابتهم ولا يقدر على أن يجعل هذا الطالب يكتب صواباً ولا الآخر يكتب غير الصواب ، بالإضافة كما قلنا أنه لا يريد أن يجعلهم أصلاً فريقين ، الله عز وجل أراد أن يجعل العباد أصلاً فريقين من البداية كما بدأكم تعودون في الضلال قال فريق في الجنة وفريق في السعير ، قبض قبضة يمينه وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض قبضة شماله وقال هؤلاء في النار ولا أبالي ، فهنا الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أن الله أرد وأن الله

يقدر ، ولو أراد أن يكونوا أمة واحدة لفعل ، { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً } ، لكن هو الذي شاء أن يوجدوا فريقين وجعلهم كذلك وخلق أفعالهم ، هو الذي أراد أن يهدي قوماً فشرح صدورهم للإسلام ، وأراد أن يضل قوماً فجعل صدورهم ضيقة حرجة وهو يقدر أن يجعل هؤلاء مؤمنين ، { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً } وله سلطان عليهم وقدرته حتى أثناء فعلهم ، وما كفر الكافر وما آمن المؤمن إلا بقدرته ومشيئته سبحانه وهو الذي جعلهم كذلك ، والله سبحانه وتعالى لم يظلمهم بهذا ، حتى لا يأتي قائل يقول - هو الذي جعلهم كذلك - إذا لماذا يحاسبهم ؟ نقول يحاسبهم على ما أعطاه لهم ، أعطاهم قدرة وإرادة بما يقع فعلهم ، أعطاهم عقل وسمع وبصر ، هو عز وجل لا يظلم الناس شيئاً ، ذلك لأنه سبحانه جعل لهم قدرة وإرادة بما تقع أفعالهم فالنتيجة كانت لا بد أنت تحدث لكنها حدثت بقدر قدره الله وهو كسب العبد ، إذن الله قدر كسب العباد وهو الذي أراد أن يفعلوه بإرادتهم ، كسب العبد الذي له أثر في الفعل ، كسب العبد بإرادته وقدرته التي لها أثر في الفعل ، وهذا السبب لا يغفل ولا يهدر ، وما حال من قال إن هذه الأحداث والأقوال كانت لا بد أن تقع حتماً إلا كحال الذي ألقى ابنه في الطريق وقال لا بد أن الله سيرزقه حتماً ، والحق أن الله سيرزقه ، لكن كتب له أن يرزق من خلالك أنت ، من خلال الأب ، فذلك الاحتجاج باطل ، وهو احتجاج المشركين الذين قالوا { أنظعم من لو يشاء الله أطعمه } الفقراء والمساكين لو كان الله أراد أن يطعمهم كان أطعمهم إذن يجوعوا ، لا يريدون أن يلتزموا بالشريعة التي فيها إطعام الطعام وسقيا العطشان وإطعام الجائع ، فإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا { أنظعم من لو يشاء الله أطعمه } يزعمون أنه طالما أن الله لم يطعمهم بمعنى الأمر القدري الكوني وهو لا يدرون ماذا في المستقبل ، يعني هذه إجابة ثانية يقول { هل عندكم من علم فتخرجوه لنا } هؤلاء يريدون ترك الشريعة بزعم أن هذا أمر قدري ، يقولون هؤلاء الفقراء لو أن الله يريد أن يطعمهم لأطعمهم فاتركوهم جوعى ، ما قالوا ذلك إلا هروباً من الالتزام بالشريعة ، وهي كلمة حق يريدون بها باطلاً ، وهو التخلص من المسؤولية ، فالذي يريد أن يلغي مسؤولية العباد يقول أنهم ظلموا وهم قطعاً لم يظلموا لأن الله جعل لهم قدرة وإرادة بما تقع أفعالهم ، أما لماذا لم يعطوا إرادة الخير بدلاً من إرادة الشر ، بعد أن يصل إلى هذه المرحلة يقول لماذا ربنا لم يجعل فريق واحد ؟ الجواب أن الله هو الرب وهو أعلم بالشاركين وهو أعلم بالظالمين ، ووضع الأشياء في مواضعها فكيف تقول لما لم يعطي أباً جهل الرسالة كما أعطاهها محمداً صلى الله عليه وسلم ، هذا جهل عظيم ، هو عز وجل وضع الأشياء في مواضعها وما ظلمهم ، قد تفضل على البعض وعدل مع الجميع ، وما ظلم أحد بل عمهم بهدايته وهي هداية البيان وهو درجة من درجات الهداية ، وإن كان خص بعضهم بهداية التوفيق ، لذلك الكلام على الهداية ضمن مسألة الإيمان بالقضاء والقدر ،

المعتزلة يثبتون هداية البيان فقط ، وهي المذكورة في قوله تعالى { وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى } لو كانت هذه الهداية من جنس هداية { فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } لما كان استحب ثمود العمى على الهدى ، استحبوا العمى على الهدى ، هديناهم هنا بمعنى بينا لهم ، لو كانت هذه الهداية من جنس الأخرى لكان صدره انشرح للإسلام ، لكنها هداية غير تلك الهداية ، هداية ثمود كهداية كل الأقوام وهداية كل المكلفين وهي هداية بيان أما هداية { من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم } هي هداية توفيق ، والله بين للجميع ولو أراد أن يهدي الجميع هداية التوفيق لهداهم ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً واختص بالهداية والتوفيق من شاء منة ونعمة منه وفضلاً ، فهذا عدله وحكمته وهو العليم الحكيم وذلك فضل الله ورحمته يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقال عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم { إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين } ، أن من يشأ الله أن يهديه ، لا كما يقول بعض الناس ولكن الله يهدي من يشاء أن يهتدي ، يجعل فاعل يشاء العبد وهو كلام باطل بلا شك ، لا يجوز فيه { من يشأ الله يضلله } يعني لو حرفوا المعنى في الضمير المستتر لا يتمكنوا من جعله في الاسم الظاهر ،

، { فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة } وقال { ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقاً حرجاً } لا يجوز أن يحمل هذه على مشيئة العبد ، { لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } هذه أوضح في الرد عليهم أن مشيئة العبد في الاستقامة تابعة لمشيئة الرب سبحانه وتعالى ،

ودرجات الهداية المعلومة ، الهداية العامة للخلق جميعاً ، { قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } ثم هداية البيان للمكلفين فلا بد أن يبين لهم { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً } وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فإذاً بعد أن يبين للجميع هدى طائفة هداية التوفيق وهي الدرجة الثالثة ، ثم الهداية إلى طريق الجنان في الجنة وهداية الكفار إلى صراط الجحيم وهذه هداية في الآخرة ،

الجبر طعن في التشريع ونفي مشيئة الله طعن في التوحيد ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أعملوا فكل ميسر لما خلق له ) معنى الجبر طعن في التشريع ، الجبر سواء كان منه الجبر الصريح الذي يقول ليس للعباد قدرة ولا مشيئة على أفعالهم وأن أفعالهم مثل حركة المرتعش ، حركة يد المرتعش أو حركة الإنسان الساقط من الأرتفاع هي حركة لا إرادية كل الأفعال كذلك ، أو الجبر غير الصريح وهو الذي يثبت قدرة ومشيئة بلا أثر كقول الأشاعرة بلا أثر في الفعل ،

لماذا قال طعن في التشريع ؟

لأنه إلغاء في مسؤولية الإنسان وإلغاء لعمله وأثره فليس هناك معنى لهذا القول لأن يؤمر الإنسان وينهى وتشريع له التشريعات فهذا طعن في التشريع ، فهذا نوعان :

نوع رأى أن الناس مظلومون وأن الله ظلمهم حين شرع لهم التشريعات وسوف يعذبهم على ذلك ظلماً وعدواناً ، نعوذ بالله ، والذي يصرح بذلك يكون كافراً ، كالذي يقول قدر أحق الخطى سحقت هامتي خطاه ، الذي يقول هكذا خارج من ملة الإسلام لأنه يطعن في عدل الرب سبحانه وتعالى المعلوم من الدين بالضرورة ، ويتهم القدر بالحق والظلم ، ونعوذ بالله من ذلك ،

ونوع آخر يقول بل كلهم مطيع وليسوا معذبين ، يقول من كان عاصياً لشرعه فهو مطيع لإرادته الكونية ، ويقول إن مشاهدة العدل للقدر لم يجعل له استحسان حسنة ولا استقبح سيئة ، الكل سواء ، هذا كلام الهروي ، فهذا الكلام يرى به عذر الخليفة ، يرى أن الخلق معذورون في المعاصي والذنوب والكفر والفسوق والعصيان وأنهم لهم الحجة على الله ، نعوذ بالله من ذلك ،

ومن هؤلاء طائفة خصت هذا الأمر لمن شهد المشهد ، يعني قولون المعذور هو الذي وصل لهذا القدر ، والآخرين غير معذورين ، الذي يصل إلى درجة اليقين عندهم وشهود القدر يصبح معذوراً مرفوعاً عنه التكليف ، وتجد أن كل طائفة من هذه الطوائف تطعن في التشريع في الحقيقة ، واحد يقول هذا التشريع ظلم ، نعوذ بالله ، لأنه ألقاه في اليم مكتوفاً وقال إياك إياك أن تبطل بالماء ، يقول وضع اللحم على البزاة على ذروة الجبل فلو أرادوا صيانتني ستروا عني وجهك الحسن .. لم أحفظ البيت ،

فيقول يعني أنه يشبه نفسه ورأى امرأة أعجبته فيقول مثل ما وضعوا اللحم للطائر حتى ينزل ويأخذها لكي يصطادوه ، فيشبه أن الله فعل به ذلك لكي يوقعه في الفاحشة ، فيقول لو هو أراد صيانتني لكان لم يجعلني أرى وجهها ، لو أرادوا صيانتني ستروا عني وجهك الحسن ، يريد أن يبرر لنفسه أنه لما وقع في الفاحشة ، حتى يقول هو يريد مني ذلك ، فواحد يقول الله ظلمي ، والآخر يقول بل أنا مطيع لله حين أفعل الفواحش ، والصوفية لهم في ذلك كلام فظيع جداً ، وبعضهم يخصه بالأولياء الذي وصلوا إلى اليقين ، ولذلك يعدوا من الكرامات أن يصل في النهاية إلى الإباحية ، إما للناس جميعاً ، أن كل الأشياء مباحة طالما أن هناك قدر فالخلق معذورون ولا لزوم للتشريع أصلاً ، وبعضهم يجعلها للذي يصل إلى القضاء والقدر ويكون من أولياء الله الصالحين { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } إذا وصل إلى اليقين يكون وصل للعبادة ولذلك قلنا أنهم عدوا من ضمن الكرامات الفواحش ، فيقول أنه رآه يزني ففر فرآه يمشي على الماء فسأله فقال له ولي ويزني ما المشكلة أنت تتخيل أنه يزني وهو يفعل شيء آخر تماماً ، وبعضهم حتى من المعاصرين ألف كتاب في الأحاديث القدسية وذكر فيه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( والله لا يغفر الله لفلان ) قال إن العبد ليس عليه أن ينكر ما يراه ، لأنه ممكن يكون أن هذا من أولياء الله الصالحين ومغفور له لأن الرجل غفر الله له وقال ( والله لا يغفر الله لك ) إذن أنت ممكن تنكر على واحد وهو أفضل منك ، إذن أنت لا تنكر على الناس ، وهذا الكلام في منتهى الخطورة والفساد في إفساد المجتمع ، ولذلك الجبر هذا في الحقيقة إذا وصل إلى درجة الإباحية فهو كفر ، الإباحية يصلون كثيراً من خلال باب الجبر ومن خلال باب الإرجاء كما سيأتي ، الذي يصل من الإباحية إلى أن العمل ليس من الإيمان ولا يلزم العمل بل مجرد أن يعترف بوجود الصلاة ولا يصلي ، ويعترف بالزنا ولا يزني ، المهم أنه يقول أن الزنا حرام وافعل ما تشاء ، والسرقه حرام وافعل ما تشاء ، الاثنين الذين يصلون إلى الإباحية وإنكار الشريعة وجوباً في الواجبات وتحريم المحرمات ليسوا مسلمين

وأما نفي مشيئة الله عز وجل فطعن في التوحيد لأن معناه نفي الربوبية لله سبحانه وتعالى ، لأنك جعلت رباً للأفعال غير الرب عز وجل ، الناس أرباب أفعالهم هم الذين يخلقون تلك الأفعال ، نفي مشيئة الله طعن في التوحيد لأنه معناه نفي ربوبية الله وخلق لأفعال العباد وإرادته سبحانه وتعالى ، كل هذه من معاني الربوبية ، والأخذ بالأسباب واجب والاعتقاد فيها شرك ، كلها مسائل هامة في هذا الباب وهو متعلق بهذا الباب المسائل السابقة .

نقول اعتقاد الإنسان في الأسباب ، لأن الأسباب مستقلة في الإيجاد وهو عقيدة المعتزلة وهو أن هذا السبب هو كل شيء كمن يعتقد أن وظيفته هي التي تجلب له المال فيصير عبداً للوظيفة فلا يقدر أن يستغني عنها ويتصور أنه سيموت جوعاً بدونها فلا بد أن تعتقد أنها مجرد سبب ، أن الله عز وجل هو الذي يرزقك ولو ذهبت هذه الأسباب فسيرزقك الله غيرها بفضلته وتوكل على الله لا على السبب ، فالتوكل على الأسباب شرك والأخذ بها واجب ، والأخذ بالأسباب يعني الأسباب المباحة في الجملة ، نعتي واجب في درجة معينه وإلا فلو ترك الأكل والشرب حتى يهلك لكان عاصياً ومات وقد قتل نفسه ، فهناك درجات هي دون الوجوب لكن هناك قدر واجب منها مثل ما قلنا الأكل والشرب فيه قدر واجب أن يقيم الإنسان نفسه فيما أمره الله به ، يعني الذي يعمل إضراب عن الطعام والشراب حتى يصل إلى مرحلة أنه لا يستطيع الوقوف في الصلاة يبدأ في الإنهم ، إذا عجز عن بعض المستحبات يكون دخل في المكروه ، إذا ترك الأكل والشرب حتى مات يكون فعل الكبيرة ، إذن يكون في قدر من الأسباب الأخذ بها واجب ، فمن يتصور تركها جملة أولاً هو مخالف للشرع لأن الأنبياء أخذوا بالأسباب وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وتكسب موسى عليه السلام برعي الغنم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ما من نبي إلا ورعى الغنم ) وتاجر النبي صلى الله عليه وسلم وباع واشترى ليحلب قوت أهله وادخر لنفسه قوت سنة ، فأخذ بالأسباب صلى الله عليه وسلم ولم يمتنع منها ، فإذا من يقول جملة أنا لا آخذ بالأسباب مخالف للشرع ثم هو مخالف للضرورة والعقل ويكذب في كونه لا يأخذ بالأسباب ، لأنه لابد أن يمد يده بالطعام حتى لو أتاه الطعام من عند الله فلا بد أن يمد يده إليه ، فلماذا لم يقل أنا أتوكل على الله وأترك الأخذ بالأسباب فليدخل الطعام إلى فمي والشراب إلى فمي ؟ لذلك الذي دخل الخربة فكان يأتيه رزقه فيها ما الفرق بينه وهو يأكل في الخربة ومد يده إليها وبين الذي ذهب إلى السوق ، هذا أخذ بالأسباب وهذا أخذ بالأسباب ، فكونه قد رزق وهو في الخربة ، وبعض الناس كان يدخل خرابة أما الآن فتكون هذه الأشياء يعني ... والتراث الصوفي مرشح للعودة أنه يرجع ، فالناس لو رجعت ستجد أشياء بهذا الشكل ، فيمكن البعض أن يظن أن هذا من الدين ، فقد يرى أنه يترك الأخذ بالأسباب بالكلية ، فكما ذكرنا الذي دخل في الخربة وإن رزقه الله عز وجل فهي إنما رزق بسبب من أسباب أخرى ، إما امتحان للبعض وإما استدراجاً لهذا العبد وإما لأن له عمل صالح آخر غفر الله له خطأه وذلك في ترك الأخذ بالأسباب ورزقه بحبه الله عز وجل بما ظن أنه الشريعة فغفر الله خطأه وأثابه عليه رباً . لكن في الجملة لابد أن يقال هذا خطأ وهذا بدعة منكر ، كالذي يدخل الصحراء بلا زاد وقد قال عز وجل { تروودوا فإن خير الزاد التقوى } فيدخل الصحراء بلا زاد ولما يجوع يقول أنا آكل ورق الشجر



وتكون بذلك أخذت بالأسباب ، الذي وقع في بحر فخطر له أن ينادي أغيثوني فقال بل أتوكل على الله ولا أسأل الناس فمد أحد إليه بجبل فأخذ بالحبل ونجا ، فيضربونها مثال على من ترك الأخذ بالأسباب فوفق ، موضوع التداوي قريب من هذا الباب ، لكن كثير من العلماء يقول به من أجل أنه هذا النوع من الأسباب خلاف الأولى وقالوا أنه مباح فقط ، والصحيح أنه كما ذكرنا مستحب ، فقنا الرجل الذي ألقي إليه الحبل أن يمسك بالحبل ويتسلق ؟ وهو لما مسك بالحبل أخذ بالأسباب فلا بد أن يأخذ بالأسباب في الحقيقة وإلا لهلكوا واستراح الناس من هذه البدعة ، لو أخذوا بالأسباب فلا أكلوا ولا شربوا ولا تناكحوا ولا تناسلوا ولا علموا الناس ولا جادلوه ولا ناقشوههم وكما ذكرنا لاسترحنا من هذه البدعة ، لكن الحقيقة أنهم لابد أن يأخذوا بالأسباب لدرجة ما ، فلماذا لا يأخذون بالمباح ؟ المشكلة أن الأخذ بالأسباب يطغى على الإنسان فيعتقد فيها ثم لابد وأن يتنولها وإن كانت من حرام ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم في حسم هذه القضية في مسألة الإيمان بالقدر قال ( إن روح القدس نفس في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها كما تستوفي أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم ) هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس هناك ما أجمل ولا أحسن منه ، فكما أن الأجل لابد أن تستوفيه فلا تخف من الموت ولا تخف من أحد أن ينقص أجلك ، كذلك رزقك لابد أن توقن بأن رزقك يأتيك وفي نفس الوقت فماذا تفعل ؟ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، أملك أن تطلب طلباً جميلاً ، ما هو الطلب الجميل ؟ أن تأخذ ما حل وتترك ما حرم ، لم يقول لك لا تأخذ من الأسباب شيئاً ولا تطلب رزقك وإما أملك أن تطلبه بالحلال وتترك الحرام ، وأنت موثق بأنه مقدر ، فلا تعتقد في الأسباب ولكن تأخذ به لأن الله عز وجل أملك بذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ) أحرص على ما ينفعك . أخذ بالأسباب . واستعن بالله إيماناً بالقدر وعدم اعتقاد في الأسباب ، الأسباب ربما لا تؤدي إلى النتائج ، العبد فاعل منفعل ، هذه القضية كما ذكرنا في الكسب ، العباد فاعلون حقيقة بمشيئتهم وإرادتهم يفعلون أفعالهم التي خلقها الله وهم يفعلونه بالإرادة والقدرة المخلوقة التي خلقها الله لهم ،

ما معنى منفعل ؟

أي وقع عليه فعل الله عز وجل ،

فاعل أي له قدرة ومشية بما يقع فعله ، منفعل أي أن الله يفعل ويخلق في العبد ما أراد ، وهذا في كل عمل اختياري للإنسان ،

الأفعال الاضطرارية الإنسان فيها فاعف مجازاً فقط ، فاعل لغة أو مجازاً في الأفعال الاضطرارية ، مثلاً جريان الدم في العروق ودق قلبه فعل مجازي ، مثل مات الرجل ، إنما هو أميت ، ولدت المرأة ، إنما جاءها المخاض فخرج الولد رغمًا عنها ، ولا تستطيع أن توقف المخاض ، ومثل دق القلب ، الإنفعال وقع بفعل ربنا الذي جعله يقع كذلك ،

والأفعال الاختيارية لا نقول فيها العبد منفعل فقط ، الذين يقولون أنه منفعل فقط الجبرية ، والذي يقول فاعل فقط معتزلة ، والذي يقول فاعل أي ليس هناك فعل لله فوق مشيئته وقدرته ، وليس يفعل الله بهم شيئاً ، الله بلغهم الشرع وكتب المقادير ، الذي يقول منفعل فقط قول الجبرية.

أما أهل السنة يقولون العبد فاعل منفعل ، والناس فيه هذا مذاهب منهم من يقول نحن منفعلون فقط فأفعالنا الاختيارية كالاضطرارية ، وقع علينا فعل الله من غير أن نصنع شيئاً ، وهناك من يقولون نحن فاعلون فقط ولا سلطان لأحد علينا ، وأهل السنة يقولون الإنسان فاعل منفعل في الأفعال الاختيارية وهو قد فعل الفعل وفي الوقت نفسه وقع عليه فعل الرب ، فهو صلى وصام والله جعله مقيم الصلاة صائماً ، وهو اهتدى والله جعله مهتدياً والله هداه ، فعل الرب أن جعل العبد مهتدياً وقع على العبد فاعل العبد منفعل به فاهتدى ، فاعله جعل العبد فعل ، ويفعل فعله ويفعل الله فيه ما أراد ، فاعل العبد مهتدي والله هداه ، والعبد مصلي وصائم والله أقامه بين يديه يصلي ، ووقفه للصوم طاعة له سبحانه وتعالى ، { رب اجعلني مقيم الصلاة } من الذي يقيم الصلاة ؟ العبد ، من الذي جعله يقيمها ؟ الرب ،

فرعون خرج في طلب موسى وبني إسرائيل والله أخرجه كما قال تعالى { فأخرجناهم من جنات وعيون } وهو خرج كما قال ربنا { فأتبعوهم مشرقين } { فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً وجاوزنا ببني إسرائيل البحر في الضمائر هنا ؟ ربنا ذكر { وجاوزنا ببني إسرائيل البحر امتناناً وتشريفاً ، وهم الذي جاوزوا البحر ، لكن ربنا ذكر هذا في بيان الامتنان عليهم ، وذكر { فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً } يذكر عدله وأن فعل فرعون كان معصية وظلماً وبغياً وعدوان ، فمن على من شاء وعدل مع الجميع ، عدل مع من عذبهم وأهلكهم لأنهم خرجوا بغياً وعدواً قال { فأخرجناهم من جنات وعيون } وهذا فعل الرب وهو خرج كما قال { فأتبعوهم مشرقين } فما فائدة أخرجناهم ؟ حتى يستحضر المؤمنون أن الذين يطلبونكم هؤلاء لا يخافونهم ، ولو أراد الله عز وجل أن يكفهم لكفهم ، وهو الذي أخرجهم ، ولذلك لما قالوا { إنا لمدركون } قال موسى عليه السلام { كلا إن معي ربي سيهدين } لأنه يعلم أن ربنا أخرجهم سبحانه وتعالى ، وشهود القدر في هذا يجعل العباد يؤمنون بأن الله هو المالك فلا يخافون من أحد ولا يرجون أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، لا يرجون ولا يخافون إلا الله ، قال تعالى { فأتبعوهم مشرقين } ففرعون هو وجنوده فعلوا ، اتبعوهم أو أتبعوهم ، فهم لم يخرجوا رغمًا عنهم بل كانوا خارجين بإرادتهم ومع ذلك قال ربنا { فأخرجناهم } وذلك للتنبيه أن هناك فعلاً للعبد وفعلاً للرب ، فعل العبد العبد هو الخروج وفعل الرب هو الإخراج ، وعلى مذهب الجبرية فالإنسان في أفعاله الاختيارية منفعل فقط ، على مذهب المعتزلة فالإنسان فاعل فقط ، على مذهب أهل السنة فالإنسان فاعل منفعل ، خرج وأخرج ، ليس الأمران متعارضان أصلاً لأن كل منهما له فاعل ، ففاعل خروج العبد وفاعل الإخراج هو الله والله عز وجل لا يظلم عباده شيئاً أبداً ، ولا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم ولا يهلكون إلا بذنوبهم ،



قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته له خيراً من أعمالهم ) ، إذن نقول في هذا الكلام أن الله لا يظلم الناس شيئاً ،

قضية معلومة من الدين بالضرورة أن الله لا يظلم الناس شيئاً ، الذين يتهمون الله بالظلم صراحة يكفرون ، ومن يعتقدون ذلك فهم منافقون ، وأما من توسوس له نفسه فلا بد أن يدفع الوسوسة ولا بد أن يقاوم هذه الوسوسة ، يقول لا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم وهذا من عدله عز وجل ، إذن لا حساب إلا على الأعمال ، لا حساب قبل الفعل ولا حساب على من لم يكن لو كان ، ولا يهلكون إلا بذنوبهم لأن الله لو عذب أهل السماوات وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، كما قال سبحانه { لو أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها } أحسن تفسير لهذا الحديث الآية الكريمة ، لو أراد الله أن يعذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ،

الأشاعرة يقولون في هذا الحديث أن معناه أنه يعذبهم على الطاعات لأن الرب يتصرف في ملكه ولو عذبهم على الطاعات لكان عدلاً وإحساناً ، وأهل السنة يقولون بل لو عذبهم وأراد أن يعذبهم يجعلهم يفعلون ما يستحقون به العذاب ، وهو منزّه عن أن يعذب المطيع على طاعته أو أن يثيب الكافر على كفره ،

هم يقولون يجوز في العقول ويجوز في صفات الرب أن يعذب أطوع المطيعين وأن يثيب أكفر الكافرين ، ولكن ورد الخبر بأنه لا يفعل ، ولو فعل لكان غير ظالم ، نقول بل الله سبحانه وتعالى قال { وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلنا مصلحون } إذن فسمى إهلاك المصلحين ظلماً ما كان الله ليفعله ، وإنما لو أراد أن يعذبهم لعذبهم على ذنوب عملوها ،

كلام ابن القيم يطيل جداً في شرح هذا الحديث وخلاصته أن حتى الأنبياء عندهم تقصير ، ولو وقع العذاب لوقع على ذلك ، والصحيح تفسير هذا الحديث بالآية ، لأن الأنبياء وهم مقصرون معترفون بالتقصير ، ليس أنهم يفعلون الذنوب ويرون أنفسهم بلا ذنوب على اختلاف ما يسمى ذنباً في حق الأنبياء ، الآية التي تفسر هذا الحديث { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها } إذن متى يعذبهم ؟ عندما يحق عليهم القول بالفسق ، حق عليهم القول ، وجب عليهم العذاب بالحق والعدل عندما فسقوا وخرجوا عن شرع الله ،

إن قال قائل كيف يعذب أهل السماوات وأهل الأرض وفيهم الملائكة الذين لا يعصون ؟ الجواب لو أراد أن يعذبهم لجعلهم يفعلون باختيارهم ما يعذبون به ، وكذلك الخلق كلهم لو أراد الله أن يعذبهم لجعلهم يفعلون باختيارهم شيئاً يخالفون به الشرع ويعذبون بسببه ، لكن الله لم يرد أن يجعلهم كذلك ، لأنه عز وجل لا يهلك أحداً إلا بذنبه ولا يعذب أحداً إلا بعدله لكنه يفضل على من يشاء فقد عمهم بالرسالة عدلاً والله يدعو إلى ذلك بالسلام وخص بذلك من يشاء فضلاً وقال { والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } وجعل الكل المؤمن والكافر واختص بفضله من شاء فضلاً منه ، والدليل على ذلك قوله تعالى { وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون } فلم يهلكهم إلا وهو ظالمون ، لو أراد الله أن يهلك أحداً لجعله يظلم فيهلكه ،

يقال لو جعله يظلم ، هو الذي جعله ، فهو الذي جعله يفعل بإرادته ،

{ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً } إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً { من أسمائه الحسنی سبحانه وتعالى الحكم العدل فمن مقتضيات ذلك أنه لا يظلم أبداً ومن اتهم بالظلم فهو كافر ، فالعقيدة الجبرية التي تقول أن الله يظلم الناس ويعذبهم على فعله هو بهم من غير جرعة منهم مآلها إلى الكفر والعباد بالله ، اتهم الرب بالكفر أو الإباحية كما ذكرنا الإباحية الآخرين الذين يقولون المطيع والعاصي مثل بعضهم والمؤمن والكافر مثل بعض .

طالب : بعض الناس يقولوا - ليه يا رب كدة ؟-

الشيخ : الذي يقول - ليه يا رب كدة - على شفا الهاوية والكفر إن لم يكن قد كفر بالفعل . الذي يقول ظلمتني يا رب . يصبح كافر ،

الطالب : ممكن يكون جاهل ؟

الشيخ : لا جهل في ظلم الرب عند المسلمين ولا في غيرهم ، كل واحد يعتقد وجود الرب سبحانه وتعالى يعني يعرف عدله ، لا يهود ولا النصارى ولا المسلمين يشكون في عدل الله ،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت .

## ٧١- فيما يتعلق في مسائل متناثرة في القضاء والقدر

نقول القدر يحتج به في المصائب لا في الذنوب والمعائب ، يحتج به في المصائب التي لا قدرة للإنسان فيها ولا اختيار ولا يحتج به على الذنوب والمعائب ما يعيب الإنسان لأن الذي يحتج به في الذنوب يلغي مسئولية نفسه، فاحتجاجة بالقدر حينئذ كلمة حق أريد بها باطل ، بخلاف الذي صدمته سيارة مثلاً فقال قدر الله وما شاء فعل أي هذا قدر الله وما شاء فعله ، قدر الله وما شاء فعل .

والذنوب بعد التوبة بمنزلة المصيبة ، الذنب بعد التوبة بمنزلة المصيبة إذا لا طاقة للعبد لردعه بعد وقوعه إلا بالتوبة وقد فعل ولا يستطيع أكثر من ذلك لأنه لا يستطيع أن يعيد أمس أو الوقت الذي حدثت فيه المصيبة المعصية ليتجنب وقوعها ، يعني لو قلنا له رجع الزمن لا يقدر على ذلك ، بل يقدر يتوب وهو تاب ولذلك صار بعد التوبة بمنزلة المصيبة ولا قدرة له أكثر من ذلك ، إنما يستطيع الإنسان أن يمحو أثر المعصية بأن يتوب إلى الله ويستغفره ويندم ويتغير فيما يستقبل من عمره ، يعني بمعنى أنه يعمل الصالحات مكان السيئات ، فلو فعل ذلك فهذه توبة نصوح ، لأنه أسقط توبته الشق المتعلق بعمله من المعصية وبقي شق القدر الذي لا يستطيع تغييره وصار الذنب والمعصية بعد التوبة كأنهما بقدر محض ، أو كأنهما بقدر محض ، مجرد عن قدرة العبد شأن المصائب والكوارث المجردة عن عمل البشر وكسبهم ولولا أنهم أخذوا على ما كسبت يده بالأمس يقول له إني تبت إلى الله وقد قدره الله علي فأسأل الله أن يغفر لي ، ومن علامات صدق توبته أنه لا يزال نادماً ، فمن من علامات أنها توبة نصوح يقول ياليتني لم أفعل المعصية وبإيتني فعلت الواجب ولكن لم يقدر لي ذلك كما فعل كعب ابن مالك رضي الله تعالى عنه عندما قال ( فعزمت أن ارتحل فأدركهم فياليتني فعلت غير أنه لم يقدر لي ذلك ) وانظر إلى أن هذا كان بعد سنوات طويلة من وقوع هذا الذنب مني وهو التخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ولكن يواسي نفسه ويعزيها بالقدر والندم مازال قائماً لأن هذا من علامات التوبة النصوح أنه لا يزال نادماً لأنفسه مستهناً لها بالذنوب والمعصية وراجياً عفو الله عز وجل ، وكعب رضي الله عنه ممن علم قبول توبته ، نزل فيه القرآن ، كحديث احتجاج آدم وموسى لأن القرآن قد نص على قبول توبة آدم ، فأما نحن الذي لا نعلم صدق التوبة فينبغي أن نظل حريصين على استيفاء شروطها وأركانها وإن كان من يلوم بعد ظهور علامات التوبة النصوح من تغيير الحال من وجود الندم من الإقلاع عن الذنب من العزم على عدم العودة من رد الحقوق لأصحابها ، إذا ظهرت العلامات ظننا وغلب على ظننا أن التوبة قد قبلت ومن هنا صح الاحتجاج بالقدر على من يلومه على ذلك الذنب .

لو علم أن التوبة قد قبلت وأنها توبة نصوح ، وقلنا من أين يعلم ؟ يعلم بنزول نص { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } ونزل في آدم نص { فتاب عليه وهدي } ، فنص على قبول توبته أن الله قد تاب عليه ، وبالنسبة لمن لم يرد فيه نص نقول فيه استيفاء شروط التوبة يغلب على الظن ذلك ، ومع استمرار الندم يرجى له قبول هذه التوبة فلولا أنه حاج أحد على ما حديث صح له الاحتجاج ،

حديث احتجاج آدم وموسى من حديث أبي هريرة رواه البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ( احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ) فظاهر هذا الكلام بعد موتهما ويمكن أن يكون ذلك إخبار عما يقع في الآخرة ويمكن أن يكون على ظاهره قد وقع فعلاً ،

قال صلى الله عليه وسلم ( فحج آدم موسى ) حجه أي غلبه في الحجة ، ( قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض ) هذه رواية مهمة جداً وهي في صحيح مسلم وهي أولاً ذكر فضائله ومنزله عند الله وهو أن الله خلقه بيده بخلاف غيره الذي قال له كن فكان ونفخ فيك من روحه أي من الروح المخلوقة التي شرفها الله ونسبها إلى نفسه ونفخ من روحه في آدم فكان هذا التشريف ، وأسجد لك ملائكته أمرها أن تسجد وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض ، كان النص على قول أهبط الناس بخطيئتك ، فلا يجوز أن يقال بعد ذلك موسى يلوم على المصيبة ، المصيبة مجردة أنه أهبط ، وهنا يقول له أهبط ، نقول هذا الكلام لأن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن الجواب على احتجاج القدرة الغلاة أعني المشركين الجبرية يعني في الاحتجاج بالقدر يكون من هذا الوجه ، شيخ الإسلام يقول الجبرية يحتجون بهذا الاحتجاج بالقدر على الذنوب ، واتفاق أهل السنة على الرد عليهم وبطلان قولهم وأن القدر لا يحتج به في الذنوب والمعاصي إلا بعد التوبة كما ذكرنا ، فشيخ الإسلام يبيّن وجه الاحتجاج على الجبرية من أن موسى يلوم آدم على المصيبة ، مع أن هذا خلاف ظاهر الحديث بل خلاص نص هذه الروايات لأنه قال أهبط الناس بخطيئتك ، يقول أهبطت يعني تسببت في إهباط الناس ، ( فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا ) دليل على أن الألواح كتب فيها التوراة { وكتبنا له في الألواح من كل شيء تفصيلاً وموعظة } قال فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ، قال موسى بأربعين عاماً ، قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم ، قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ) هذا نص صريح في أن آدم يحتج بالقدر على { عصى آدم ربه فغوى } على المعصية والغواية ، وليس على المصيبة فكيف يقال بعد ذلك أن هذا لوم على المصيبة دون المعصية ودون الخطيئة ، شيخ الإسلام له منزلة عظيمة لكن يظهر ويبدو أنه لم يتدبر جميع طرق الحديث ، لو تدبر طرق الحديث كلها لما قال الذي قال في أن موسى يلوم آدم على المصيبة ، هو يقول موسى أعلم بربه من أن يلوم آدم على ذنب تاب منه ، نفس الجواب على كلامه نقول موسى أعلم بربه من أن يلوم آدم على مصيبة مجردة ، ثم يقال موسى محجوج بنص الحديث ( حج آدم موسى ) فموسى عليه السلام محجوج عليه السلام ، وقع في نفسه غلبة على فكره وغلبة على مشاعره ما حدث للناس بسبب هذه الخطيئة فكان ناظراً إلى وجه غاب عنه وجه آخر والنسيان جائز على الأنبياء وليس هذا بأمر يستحيل على الأنبياء أعني النسيان أو الخطأ في الاجتهاد ، أن ينسى أن الله عز وجل قد غفر لآدم وقتياً فقط وقت الحاجة ، نسي آدم فكان احتجاجاً في غير موضعه ، كان لوماً لآدم في غير موضعه.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فحج آدم موسى ) أي غلبه في الحجة ، وموسى عليه السلام لأمه كما تدل الروايات على أمرين: على أن عصى وعلى أن المصيبة التي سببتها المعصية وهي الإخراج من الجنة ، يلومه على المصيبة ( أهبطت الناس بخطيئتك ) إذن الإيهام إلى الأرض كان بسبب الخطيئة ، معناه مصيبة تسبب هو فيها وإلا فموسى لا يلومه على مصيبة مجردة ، كما يقول شيخ الإسلام إن لومه كان على المصيبة ولذلك كان موسى محجوجاً ، كلام شيخ الإسلام هذا فيه نظر لأن موسى لم يكن يلومه على المصيبة وحدها مجردة ، وإنما على مصيبة تسبب آدم فيها ، ونص الحديث يقول ( أقتلوني على أن عملت عملاً كتبه الله علي ) فموسى عليه السلام كان يلومه على المصيبة قطعاً ، وآدم عليه السلام احتج بالقدر على المعصية ، لكن ذلك احتجاج كان بعد أن تاب هو وموسى واحتجا عند ربهما هو وموسى وكان الله قد قبل من قبل توبة آدم ،

ابن القيم رحمه الله في البحث في هذا الباب رجح هذا القول ، وإن مال أولاً إلى كلام شيخ الإسلام لكن رجع إلى هذا القول في نهاية البحث ،

نقول يحتج بالقدر في المصائب والذنوب بعد التوبة بمنزلة المصيبة وموسى قد لأمه على الذنب والمصيبة معاً ، على المصيبة التي ترتبت على الذنب ، والذنوب قد تاب منه والمصيبة لا قدرة له عليها فصح احتجاجه بالقدر ،

أما من يحتج بالقدر قبل التوبة ويرفض التزام الشرع فكلمته كلمة حق يراد بها باطل وهو إبليسي الطريقة تابع لإبليس الذي قال فيما أغويتني ، فهو لم يتب ويصر على معاندة أمر الله ومحاربة شرعه ويقول يا رب أنت أغويتني من فعل فعله فهو إبليسي الطريقة ، يقول ماذا أفعل وقد كتب الله الضلال علي ولم يكتب لي الهداية ؟ نقول له تب إلى الله وأنت لا تدري ماذا كتب الله لك ، متى تقول هذا الكلام ؟ إذا مت ، ولو مت وأنت مكتوب عليك هذا تكون داخل النار بلا رجعة فاختار لنفسك ، فهذا الذي يحتج على المعصية بالقدر إبليسي المنهج يكون مع إبليس ، لذا سمو القدرية الإبليسية الذين يحتجون على ذنوبهم بالقدر ، أيضاً مشاهدة للمشركين القائلين { لو شاء الله ما أشركنا } فيحتجون بالقدر على شركهم وهم مصرون على الاستمرار في الشرك ويقولون هذه مشيئة الله ، ويردون الشرع الذي جاء به الرسول احتجاجاً بالقدر ، حالهم مختلف تماماً عن حال آدم وقد أبطل الله حججهم في الدنيا والآخرة وقال تعالى { قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا } فليس عندهم علم وليس هذا شرع شرعه الله أبداً ، ولا هم يعلمون مشيئة الله بالمستقبل ، فنحن نعلم مشيئة الله فيما مضى يعني فيما اطلعنا عليه ولا نعلم ما سيحدث بعد قليل بل علمنا بما حدث بالأمس ليس على التفصيل الكامل ، ويلاحظ أنهم أطلقوا المشيئة على ما مضى { لو شاء الله ما أشركنا } ماض لم يتكلموا على المستقبل ونحن نعلم متى يحدث بعد قليل ، بل علمنا بما حدث بالأمس ليس على التفصيل الكامل بمعنى أننا نطالبهم الآن في الآتي أن تسلموا وأن تتركوا الشرك ، وأنتم تقولون { لو شاء الله ما أشركنا } ونحن نطالبكم بالآتي ، أنعرف ما يأتي غداً ، هل تعلم مشيئة الله في الغد ؟ لا تعلم ، فنحن نبغك أن الله عز وجل أمرك أن تطيعه .

هل يدل أن الله تركهم في الماضي يشركون وخذلهم فوقعوا في الشرك يدل على مشروعية ذلك ؟

ليس هناك تلازم بين الشرع وبين القدر ، أعني ليس كل ما قدره الله يكون مشروعاً ، وجود الشرك لا يرضاه الله كما قال { ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم } فهو يرضى الشكر وإن لم يقع من الناس ولا يرضى بالكفر وإن وقع من الناس ،

وقوله تعالى { قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا } لوم لهم لأنهم تكلموا بغير علم بل بالظن والخرص ، فهل عندكم من علم أن الله شرع ذلك ، أو هل عندكم من علم بأن الله شاء ذلك لكم فيما تستقبلون ؟ ، ودائماً ، نفرق بين شاء له وأراد منه ، إراد له : قدر ، إراد منه : شرع ، وهي الإرادة الشرعية ،

فهم يريدون الاحتجاج بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية ، يقولون هذا الشرك مشروع ، وهؤلاء يختلفون عن إبليس ، وهم طائفتين اجتمعوا في الاحتجاج بالقدر ،

الأبالسة ، إبليس ومن يوافقه يقر بأن ما هو عليه غواية ولكن يحتج بأن الله قدر ذلك فيريد بأن يلغي مسؤوليته ، وينفي أنه مذنب لأنه مجبور ،

وأما الإبليسية يقولون نحن نعلم أن هذا يرضاه الله لأنه شاء وجوده فيحتجون بالقدر على الشرع ، وكلاهما مضل وكلاهما كافر ،

فالذين يقولون لا ذنب لنا وإن وقعت منا ذنوب وإن كنا غاوين وإن كنا مخالفين للشرع لكن لا دخل لنا ولا مسئولية علينا فهو من القدرية الإبليسية ، وأما الذين يقولون ما وقع فهو الذي شرعه الله وهو الذي يحبه ويرضاه لأنه أوجده فهذا من القدرية الشركية ، أو من الجبرية المشركين ، الذين يقولون قول المشركين لو شاء الله ما أشركنا ، فلينظر ذلك الذي يحتج بالقدر من سلفه ، إذا رضي بأن يكون سلفه إبليس أو هؤلاء المشركين فهو معهم يوم القيامة وأما إن تاب واحتج بعد ذلك بالقدر فمن شابه أباه ما ظلم ، المشكلة أنه تاب أو لم يتب ؟ ، فإذا تاب ورجع إلى أمر الله سبحانه وتعالى فهو على طريق آدم وعلى سبيل آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

بعض العلماء أو بعض الناس يحتج بدم النبي صلى الله عليه وسلم في الخوض في القدر ، ( لا تزال أمتي بخير ما لم يتكلموا في الولدان والقدر ) ، على مقال في هذه الأحاديث ، فبعضهم يقول لا نتكلم ولا نخوض في القدر ، ماذا يعني بهذه الكلمة ، نحن نتفق في أننا لا يجوز لنا أن نخوض في القدر بأدلة العقل البعيدة عن الوحي وبمجرد الآراء والأقوال والفلسفة وعلم الكلام ووجهات النظر الشخصية أما أن نتكلم في القدر بما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة فهذا مما لا شك في وجوبه لأن هذا ركن من أركان الإيمان ، البعض

يتكلم بهذا ليقول لماذا تتكلمون تعلمون الناس القضاء والقدر والرسول صلى الله عليه وسلم نهي ذلك ؟ هذا جهل عظيم ، ليس هذا الذي نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، أينهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول { لمن شاء منكم أن يستقيم } { وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } أينهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم { أن نقول من يشأ الله بضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } أينهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول { وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها } أو أن نقول { والله خلقكم وما تعملون } ؟ لا يمكن ، كيف القرآن قد ملئ بهذه الأدلة وكثيرة جداً ولها ثمارها الإيمانية ، والبعض يقول هذا كلام لا عمل وراءه ، ماذا تقصد بذلك ؟ أولاً العقائد هي في ذاتها إيمان بني عليها عمل أو لم يبنى والحقيقة أنه ما من عقيدة إلى ويبنى عليها عمل على الأقل عمل قلبي والتصديق نفسه من العبادة والإيمان ، لذا مطلوب أن نصدق بالكتاب والسنة

لذا نقول الخوض في القدر دون أدلة الشرع منهي عنه ، بمعنى واحد تكلم في القضاء والقدر على هواه والعياذ بالله ويقول ويتكلم ويقترح على ربنا والعياذ بالله ، ويقول لماذا جعل الله الكافر كافر ، لماذا جعله كافراً وهو كان يقدر أن يجعله مؤمناً وأن يجعل هذا المؤمن كافراً فلماذا فعل ذلك ؟ ، كأنه يسأله الله عز وجل عن فعله ، وهو من أجهل الجاهلين وهو لا يدري حكمة الله سبحانه وتعالى وقد بين الله بعض حكمته وحكمته على كمالها هو أعلم بما سبحانه وتعالى ،

بعض أسباب ما قدره بينه لنا سبحانه وتعالى لأنه هو العليم الحكيم ، ليس لنا أن نخوض بهذه الطريقة ، لذا نقول الخوض في القدر دون أدلة الشرع منهي عنه ، قد يقول بعض الناس لا نريد أن نخوض في القضاء والقدر ، يحتاجون بأدلة تفيد أن الخوض في القدر مذموم فيظن بعض الجهلة أن معنى ذلك ألا يذكر أحد القضاء والقدر مطلقاً ، ولا أحد يتكلم مع الناس في مسائل الاعتقاد بل كلموهم في الجنة والنار ولا أحد يتكلم في القضاء والقدر . بل لابد أن نفهم هذه المسألة ، وهي أن الخوض في القدر بدون الشرع منهي عنه ، وهذه هي تفسيراها ، أن الخوض في القدر بالقدر دون الشرع مذموم منهي عنه ، والواجب بيان العقيدة وليس معنى النهي عن الخوض في القدر ألا نعتقد العقيدة الصحيحة ، وإلا فكل الآيات والأحاديث التي تكلمنا عنها هي من القرآن والسنة ولا بد أن نعتقد ، فلا يصح أن نقول عن معرفة صفات الله ولا عن القدر لا داعي أن نتكلم في هذه الموضوعات ونشغل الناس في شيء نافع ، فهذا من أعظم النفع ، هذا الموضوع شغل البشرية ككل من قدم الزمان وجاء القرآن بالفصل في ذلك وجاءت السنة بأعظم بيان ، فكيف يقول قائل لا نخوض في القدر ويقصد ألا نذكره ولا نبينه للناس ولا نذكر إلا اسم القضاء والقدر يعني نقول للناس نؤمن بالقدر بغير أن يقول ما معنى نؤمن بالقدر فنؤمن بالقدر عند بعض الناس أننا نحتاج بالقدر على الذنوب والمعاصي ونؤمن بالقدر عند بعض الناس أننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى علم ما الخلق عاملون وكتب ذلك دون أن يشاء ودون أن يريد ومنهم من يؤمن بالقضاء والقدر على المراتب الأربعة ، فيقول لا أحد يتكلم ولا نذكر ذلك .

بل ليس هذا هو الخوض المنهي عنه ، أعني بيان الكتاب والسنة ليس هو الخوض ، إنما الخوض معناه أن يخوض المتكلم بالباطل وبلا علم ، أما أن نقول قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان مراتب الإيمان بالقضاء والقدر الأربعة وبيان مشيئة العبد ومشيئة الرب وأن مشيئة العبد تحت مشيئة الرب ، وبيان الآيات بيانا واضحا ونفسرها وتندبر فيها ونفكر في معانيها هذا واجب لابد أن نعلمه وليس هذا هو الخوض المنهي عنه ،

آخر ما نختم به هذا الباب أن الله قال { لا يسأل ما يفعل وهم يسألون } سبب الختم بهذه المسألة هو أن كثير من الناس قد يختلط عليه الأمر ويظل في حيرة ويوسوس له الشيطان ، فنقول له في الآية مفزع تفزع إليه ، فوض إلى الله سبحانه وتعالى واعلم أن الله لا يظلم الناس شيئا ، هذه الآية سبب للراحة العظمية لكل مؤمن إذا وسوس له نفسه أو وسوس له الشيطان بقوله لماذا قسم الله الناس فريقين ، ولماذا أراد ذلك ، لابد أن تؤمن أن ذلك بحكمة وعلم ، بعلم وحكمة إذا لا يسأل عما يفعل تقولها بمعنى أنك لا تقدر أن تتكلم على الظلم الموجود الذي يقول هذا يفترى على الله الكذب ، مثل بعض الناس يكون في ظل حاكم جائر ولا نقدر نتكلم ، فبعضهم يقول ذلك يظن أن هذا معنى الآية المقصود ، يعني لا يسأل عما يفعل فيفعل الظلم ونسكت ، والعياذ بالله ،

مثل الشاعر الجرم الذي يقول

تناقض ما لنا عليه إلا السكوت

يد بخمس ..... ما بالها في نصف دينار قطعت

تناقض لما لنا عليه إلا السكوت ، ونعوذ بمولانا من النار

واحد زنديق يقول اليد التي ديتها خمس مائة دينار وتقطع في ربع دينار هو يقصد أن في الشريعة تناقض ولا يقدر أن يتكلم ، وهو تكلم في الحقيقة ، ولما واحد يقول ماذا نفعل هي كانت مكتوبة علينا ومضطرين ومسحوقين والعياذ بالله ، إذن هو يقول هذا وهو { لا يسأل عما يفعل } عنده معناها أنه لا يقدر أن يتكلم حتى لا يتهم بالزندقة لكنه معتقدها ، الذي يقول لابد أن نعتقد اعتقاداً جازاً أن الله عليم حكيم ، { إن ربك عليم حكيم } ، { إن ربك حكيم عليم } فحكمته وعلمه ثابتان له سبحانه وتعالى ، يضع الأشياء في مواضعها ، الحكمة من الأحكام والحكمة من وضع الأشياء في مواضعها والحكمة من فعل ما ماله الخير في الجنة والصالح وأفعاله كلها حسنة والعلم أنه سبحانه وتعالى عليم بأفعال العباد عليم بأحوالهم ووضع الأشياء في مواضعها ، فهو لابد أن تؤمن أن ذلك بعلم وحكمة وإن غابت عنك الحكمة فسلم الله العليم الحكيم ،

بخلاف الأبالسة الذين طعنوا في حكمة الله وقالوا كان ينبغي كذا وكذا ويقترح على الله ، مثل إبليس الذي قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من حمأ مسنون ، إذن هو معترض على الحكمة هذا إبليس يقول كيف أكون أنا دون آدم كيف أسجد لبشر خلقته من حمأ مسنون ، جهله وغباؤه وهلاكه لنفسه أنه نسي ما بينه الله له أن آدم خلقه الله بيده ، يقول { فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } { قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي } ولذلك بين له صفات آدم وأن الله خلقه بيده سبحانه وتعالى ، وهو مصر أنه مخلوق من الطين ، غائب عن أسباب التفضيل ، والطين والنار ما مقتضى التفضيل ، لماذا النار أفضل من الطين ؟ ولكن جهل والعياذ بالله وطعن في حكمة الله سبحانه وتعالى ،

فهؤلاء الأبالسة الذين يقولون فرعون هو فرعون وموسى هو موسى ، لماذا لم ينزل الوحي على فرعون والعياذ بالله ، وفرعون قال هذا قال { أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين } لم يكن معه مال إذن الوحي ينزل علي لأنني معي مال ، والعياذ بالله ، إذن هو حاقده على سيدنا موسى ويطعن في حكمة الله عز وجل في اختياره ، ولما تتأمل في الصفات تقول لا يمكن أن يصلح إلا أن يكون الوحي لموسى والهلاك لفرعون ، صفات فرعون كلها صفات قبيحة جداً ، وواحد يقول ولماذا خلقه الله هكذا ؟ لأنه لابد أن يكون هناك فرق بين أهل الحق وأهل الباطل لأن هناك مصالح عظيمة جداً من وجود فرعون وأمثاله من الفراعنة ، كما قال عز وجل { وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون } { وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين } ففي مصالح عظيمة من وجود أمثال فرعون لأنه سبحانه وتعالى قسم البشر الإنس والجن إلى فريقين لظهور أنواع من العبودية هو بحبها سبحانه وتعالى لا تظهر إلا مع وجود ما يضادها ، مثل ما قلنا قبل ذلك أن هناك عالم الملائكة أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعالم السماوات والأرض والجنال قالتا أتينا طائعين ولم يختارا التكليف وفي عالم آخر مكنت فيهم الشهوة والرغبات المختلفة واحتملوا للصفات المتضادة ووجد فيهم من يعص الله ويفسد فيها في الأرض ويسفك الدماء ويكفر به ووجد فيها الأنبياء والصالحون والمجاهدون ، فهذه عبودية تختلف عن عبودية الملائكة وعن عبودية الكائنات الأخرى مثل السماوات والأرض والجنال ، فهو عز وجل أحب إليه هذه العبودية ، تجدها والله الحكمة البارزة ، أن هذا النوع البشري المطيع لله سبحانه وتعالى هو خير الخليقة على الإطلاق ، وعبوديته لله سبحانه وتعالى مع مقاومته لنفسه ومجاهدته لنفسه ورغباتها الشهوانية والحيوانية ومجاهدته لأمرضها الإليسية والعلو والكبر والرياء والسمعة ويقاوم ذلك ويداويها بالقرآن ويقاوم في نفس الوقت أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين الذين يملئون الأرض فساداً والعياذ بالله ، وخصوصاً إذا كانوا مسيطرين ، لذلك المهاجرين سبقوا ولذلك من أدلج بلغ المنزل ، أقول المهاجرين سبقوا لأنهم التزموا في جو شديد الكراهية للدين ، أطاعوا الله وآمنوا واتباعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمع يحارهم من كل وجه فأخذوا الثواب الأعظم في ذلك ، لولا أبو جهل ووجود أبو جهل وأبو لب وأمثالهم لم يظهر من المهاجرين هذه العظائم والعبادات العظيمة التي تدل على شدة الحب لله والانقياد التام والاستسلام الكامل والبذل والتضحية في سبيل الله عز وجل والبذل والرغبة في الدنيا والتضحية بالأهل والمال والوطن والجاه والمنزلة لله سبحانه وتعالى ، هذه عبادات ما وقعت من أحد من الخليقة ، لذلك كان الأنبياء ثم الأولياء أسبق إلى الله عز وجل ، ولذلك نقول من عبد الله في وسط الظلمات أحب إلى الله ممن عبده في وسط النور ، كما قال عز وجل { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا } وإن كان يؤدي النفس فعلاً ويتأذى الإنسان بما فطر الله البشر على كراهته والألم به من أنواع الأذى بالكلام أو بالفعل أو بسفك الدم أو بالتعذيب والضرب أو بالحبس ، الأمر يؤدي ويؤلم ومع ذلك صبروا ففازوا عند الله عز وجل ، فإذا وجد الإنسان نفسه في وسط جو مليء بالمنكرات ومليء بالفساد بأنواع الأذى والتعدي وهو بفضل الله موفق لمزيد من الطاعات فهذا لا يحزنه ، لا تحزن إن الله معنا ، فترتب على ذلك ارتفاع درجاته عند الله سبحانه وتعالى ، وعبادات لم يمكن أن تظهر في جو فيه الإعانة على الطاعات ، إذن فعلاً هذا النوع الإنساني المطيع لله عز وجل لا يمكن أن يبلغ ما بلغ إلا بوجود إبليس ، فلما يأتي الشيطان يقول لك لماذا إبليس كان إبليس ؟ فلا بد أن يكون إبليس هو إبليس وربنا خلقه هكذا ولم يظلمه ، ولما يأتي يقول لماذا ظلم ؟ نقول لم يظلم لأن عنده قدره وإرادة وعقل وشرع بلغه ، عنده إدراك وعنده حواس ، هو الذي اختار لم يكن مظلوم ولم يكن من أهل الفضل ، الله ما ظلمه ولكن ما تفضل عليه ، الله سبحانه وتعالى تفضل عليك أنت أيها المؤمن فأنت تريد أن تجادل وتقول لماذا ، إذن أنت تريد أن تمشي في سكة إبليس ، احذر على نفسك ، ما الذي يردك ؟ { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } .

لما تقول لا أعلم لماذا اختار هذا واختار هذا ؟ هو أعلم سبحانه وتعالى ، وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار ، يختار ليس معناها يريد ، يختار يعني يجتبي ، يختار من يشاء ،

كما اختار أماكن ، يعني مثلاً هل تقول أن مكة المكرمة هل تكون مثل أماكن الكفر والشرك والفساد ؟ لا يمكن ، أو أماكن الفجور والفسق والمعاصي ، أ تكون هذه مثل هذه ؟!!؟؟

مكان ربنا طهره فعلاً والفرق بينهما عظيم ، فالذي يريد الاقتراح على الله جاهل ، فليس له أن يقترح ، لما يعجز العقل عن التفكير إذن هو ليس مستوعب أن هناك حكم بالغة وإن كان ربنا بين لنا بعضها ، حيث قال الله عز وجل { إني أعلم ما لا تعلمون } فتفوز وتلتزم بالطاعة وعند ذلك يفتح الله لك من أبواب العلم ما لا تحيط به حتى فيما يؤمك ويؤذيك ، فالمؤمن يفوض الأمر لله ، ولا يقول بلسانه فقط عن ربه لا يسأل عما يفعل وحال قلبه فيه اعتراض الذي عجز لسانه عن إخراجه بقوله ، يعني لا يقول بلسانه فقط { لا يسأل عما يفعل } بل يقوها بقلبه الذي يواطي لسانه يقول بقلبه { لا يسأل عما يفعل } لأنه عليم حكيم ، وهم يسألون لأنهم أعطوا سمع وقدرة وبصر وإرادة وعقل وحواس وبلغهم الشرع ، إذن يسألون ، ليس الذي يقول بلسانه فقط عن ربه لا يسأل عما يفعل وحال قلبه الاعتراض الذي عجز اللسان عن إخراجه بقوله ماذا يمكن أن أفعل ، لابد أن أقول الله لا يسأل عما يفعل ، وهو يريد أن يقول أنا مظلوم مثل الزنديق الذي قال

تناقض ما لنا إلا السكوت له ونعوذ بالله مولانا من النار

عسجد أي دينار

بخمسة مئة أي بنصف دية الرجل الكامل ،

وديت أي الدية

هو كذاب ، هذه اليد إذا قطعت فإن ديتها تدفع فيها خمسمائة دينار من ذهب وذلك نصف دية إنسان فكيف تقطع هي في نصف دينار ، يقول تناقض ما لنا إلا السكوت له ، فهو يتهم الشرع بالتناقض ، لكن ماذا عساه أن يفعل ؟ لا يملك إلا السكوت ، سكوت اللسان مع أنه لم يسكت حقيقة وطعن في الشريعة ، ثم دفعه الخجل إلى أن يقول نعوذ بالله مولانا من النار ،

رد عليه أحد المسلمين وقال عز الأمانة أغلاها وأبحسها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري ،

عندما كانت يداً أمينة كانت غالية وعندما ذلت وصارت يداً خائنة عوقبت على خيانتها ولو في ربع دينار .

المشكلة أن بعض الناس يحتج بقوله تعالى { لا يسأل عما يفعل } على وجود ظلم في الدنيا لكنه غير قادر على الاعتراض بل لا بد أن نقول لا يسأل عما يفعل موقنين لأن الله عز وجل ما فعل شيئاً إلا بحكمة وعلم وقدرة ومشئته وهي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر ،

لا بد أن توفن بحكمة الله وهذه الحكمة والعلم أعلى وأعظم من أن يدركها البشر إلا من أطلع الله عليه من شاء .

في فصل كامل في شفاء العليل في بيان الحكمة والتعليل لأفعال الله عز وجل وقضائه وقدره ، بالإضافة إلى الشرع ، فالشرع له علل وأحكام وحكم والقدر كذلك ، وإن كانت متفاوتة .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

### 13- قضايا الكفر والإيمان

#### ٧٢- مقدمة في مسائل الإيمان والكفر

مسائل الإيمان والكفر من أهل مسائل العقيدة عند أهل السنة الجماعة وإن لم تذكر في حديث جبريل نصاً عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ( الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ) رواه مسلم ذكر ستة أركان ،

لماذا أدخل العلماء مسائل الإيمان والكفر ومسائل الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم ضمن مسائل الاعتقاد وجعلوها من أهم أبواب العقائد والتي يفارق فيها أهل البدع ؟

نقول هي أولاً ضمن حديث جبريل تضمنت لأن هذه المسائل مسائل الإيمان والكفر تتعلق بإيمان المؤمن وإيمان الكافر وبما يدخل الإنسان في الإسلام وكيف يخرج منه ، هل يخرج بالذنوب هل يخرج بالشرك ، ما شروط الخروج من الإسلام والردة وما هي الموانع من ذلك ونحو ذلك ،

ومسألة أن الإيمان يزيد وينقص وأسباب الزيادة والنقصان



نقول هذه المسائل داخلية في الإيمان بالله سبحانه وتعالى وداخلية في الإيمان بالكتب والرسول واليوم الآخر من جهات متعددة ،

نقول لأن من حكم برده ليس بمؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، إذن معرفة من هو المؤمن ومن هو الكافر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل ،

من ضمن معاني الإيمان بالله سبحانه وتعالى ولوازمه ، الحب في الله والبغض في الله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان ) رواه بن أبي شيبه والبيهقي وحسنه الألباني ولا يتحقق إيمان المؤمن إلا بالبراءة من المشركين ، فلو أن رجلاً يتبرأ ممن يعتقدهم مشركين وليس مشركين ألا يكون ذلك قادحاً في حبه في الله لإخوانه المسلمين وكذا يكون قادحاً في بغضه إذا أبغض المؤمنين لأجل عقيدتهم الصحيحة وكذا إذا أحب الكافرين لأجل ظنه أنهم مؤمنون ، كالمرجئة مثلاً الذين يقولون الإيمان هو المعرفة ، بل لو أن إنسان قال عن إبليس أنه مؤمن وليس بكافر لكان كافراً بالله عز وجل ، لأنه لم يكفر هذا الكافر المجمع على كفره المعلوم من الدين بالضرورة كفره ،

هذا للكلام الذي ينسب لبعض الدعاة المشهورين أنه لم يكفر إبليس ، ولا شك أن هذا كفر ، لكن الحقيقة أن الرجل نشر كلامه حتى أخذ بعض اللفظ دون بقية اللفظ الذي يوضحه ، حيث أنه ما قصد أن إبليس لم يكفر مطلقاً هو قصد أنه لم يكفر بالتكذيب ولم يكفر بإنكار وجود الله وإنما كفر بالإباء والاستكبار ، لكن الجزء الأول من العبارة خانه ، والجزء التالي يوضحه ، فلا يجوز أن يحكم عليه بأنه لا يكفر إبليس ،

الغرض المقصود أن الحكم على إنسان بأنه كافر يقتضي بغضه في الله والحكم عليه بأنه مؤمن يقتضي حبه في الله وهذا من أوثق عرى الإيمان ومن ضمن معنى لا إله إلا الله ، البراءة من الشرك وأهل من معاني لا إله إلا الله ، والخارج يطبقون هذه على أهل الإسلام ، يتبرأون منهم فوقعوا في أعظم المنكرات ، ولذا كان جزء من بعض هذه العقائد ، أو نقول بعض هذه العقائد المخالفة لأهل السنة ككفرهم في الحقيقة ربما أخرج من الملة ، مثل مثلاً من يقول كما ذكرنا من غلاة المرجئة الذين لا يكفرون الكفار المجمع على كفرهم وحقيقة قول الخوارج وكفرهم أيضاً تكفير من نص القرآن والسنة على إيمانه وهذا في حقيقته من الكفر ،

ولذلك نقول أيضاً هو داخل في الإيمان في الكتاب ، لأن الكتاب هو الذي أوضح لنا وبين لنا من هو المؤمن ومن هو الكافر ، وكيف يزداد الإيمان وكيف ينقص وأسباب ذلك وكيفية زيادة الإيمان وكيفية تحصيل هذا الأمر المطلوب شرعاً ، وهذه المصطلحات المؤمن والكافر والمسلم والمنافق والظالم والفاسق كلها مصطلحات استعملت في القرآن وفي السنة ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بعث ليبين ذلك ، وإنما بعث ليكون الإكرام لأولياء الله المؤمنين والإهانة لأعداء الله الكافرين ، فهذا من الإيمان بالكتاب ومن الإيمان بالرسول ، ومن هو المؤمن ومن هو الكافر وما هو الإيمان الذي يدعى إليه ، وشهود ذلك بالقعيدة والعمل والسلوك حتى لا يظن أن دعوتنا وما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وما يجب على كل مسلم أن يدعوا إليه أنها قاصرة على نوع معين أو على جزء معين من الدين أو نحو ذلك ،

ثم مصائر الناس يوم القيامة في أن المؤمنين في الجنة وهم أهل الجنة وأن الكفار هم أهل النار ،

من الإيمان باليوم الآخر أن نعرف من هو المؤمن ومن هو الكافر ، لأن الحكم على تخليد إنسان في النار هو من الإيمان باليوم الآخر ، واليهود والنصارى كفار باليوم الآخر رغم إقرارهم بوجوده لأنهم قالوا عن المؤمنين أنهم أهل النار ، لا يكون مؤمناً باليوم الآخر من حكم على أهل الإيمان بالخلود في النار ومن حكم لأهل الكفر بدخول الجنة ، لا يكون مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر ، لذا لزم أن نعلم من هو المؤمن ومن هو الكافر وأن نحب المؤمنين وأن نبغض الكافرين لا يتحقق إلا بمعرفة ما هو الإيمان وما هو الكفر في هذا الباب ، فدخل في مسائل الإيمان والكفر دخل في مسائل الإيمان بالله وبالكتاب وبالرسول صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر كذلك ، فهو جزء في الحقيقة من أجزاء عقيدة المؤمنين فهو جزء من حديث جبريل في الحقيقة والتضمن وإن لم يكن مستقلاً .

وكذلك الإيمان بالصحابة واعتقاد عقيدة الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت وفي الإمامة ، هذه المسائل موجودة في كتاب الله عز وجل ، مدح الصحابة رضي الله عنهم وحبهم ورضي الله عنهم وتوليهم والامتناع من القدح فيهم هذا كله من الإيمان بالقرآن ، وهو في الحقيقة من الإيمان بالله أيضاً لأن الحب في الله أوثق عرى الإيمان فمن أحب المؤمنين فهو مؤمن ومن أبغضهم فهو منافق كما قال علي رضي الله عنه { والذي نفسي بيده والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يجني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق } رواه مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ) رواه أحمد وصححه الألباني فلذلك من يبغض الصحابة رضي الله عنهم منافق ولم يؤمن بالله عز وجل الإيمان الصحيح ، ولم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤمن بالقرآن العظيم المتضمن لملاح الصحابة وحبهم وخصوصاً أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، لم يؤمن بالسنة وكذا في ضمن الإيمان باليوم الآخر ، فدخلت هذه المسائل ضمن مسائل الاعتقاد مع أنها ليست منصوفاً عليها في حديث جبريل ولكنها متضمنة فيه ثم أنها وقعت فيها أنواع البدع أول ما وقعت ، هذه المسائل الإيمان والكفر أول بدعة كبرى وقع فيها خلاف بين المنتسبين للإسلام ، ثم كان بعد ذلك مسألة الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنه وأفضلهم وقعت في عصر الصحابة رضي الله عنهم كذلك ،

ثم وقعت مسائل الإيمان ووقعت مسائل القدر ووقعت مسائل الأسماء الصفات ، ووقعت في أزمنة متأخرة مسائل الشرك المتعلقة بتوحيد الإلهية ، ف وقعت بعد ذلك مسائل الشرك المتعلقة بالحكم وبالولاء والبراء ، عبر التاريخ وقعت انحرافات متعددة عن عقيدة الإيمان وعند عقيدة أهل السنة ، كما ذكرنا كان آخرها وقوعاً ما يتعلق بسائر توحيد الإلهية لأجل أن

كلمة لا إله إلا الله عنوان الإسلام فصعب على أهل البدع أن يخرقوا هذه الكلمة وإن وقع منهم في الأزمنة عبر التاريخ أنواع يستلزم القدح في هذه الكلمة لكن كما ذكرنا بعد العصور المتقدمة ،

أول بدعة ظهرت كانت بدعة الخوارج :

مسائل الخلاف مع أهل السنة مردها إلى مسائل الإيمان ومسائل الاعتقاد في الصحابة وآل البيت ومسائل القدر ومسائل الأسماء والصفات أو الاعتقاد في الله سبحانه وتعالى جملة لو أدخلنا في باب الاعتقاد في الله مسائل توحيد الألوهية والولاء والبراء الحكم الذي تأخر كما ذكرنا ، ليس تأخراً شديداً لكن تأخر انتشارها في الأمة ، هي وقعت من أزمنة بعيدة لكن انتشارها في الأمة ما وقع إلا بعد تسلط الأعداء عليها ، يعني ما كان يوجد في الزمن الأولى ، يمرر لنا لماذا لا يوجد في الكتب المتقدمة مسائل الولاء والبراء مع كثرة أدلتها في الكتاب والسنة ، لماذا لم يوجد فيها قضية الحكم مع كثرة أدلتها في الكتاب والسنة؟ لأنه لم يكن يتصور وجود ذلك في العهد الأول ، عندما وجد من يدعي الإلهية في غير الله قتلهم وحرقتهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وكذلك في المسائل الكبرى لم يوجد من يقول بالبدعة فيها وهو ينتسب إلى الإسلام ، من فعل ذلك بادر أهل الإسلام إلى تكفيره وإخراجه عن حظيرة الإسلام فلم تنتشر أما المسائل الأخرى فكثير انتشار من يقول فيها بالباطل وهو ينتسب إلى الدين ، فلذا قالوا أن معظم رؤوس البدع هذه المسائل ، وكل من هذه المسائل فيها إفراط وتفریط ،

أعني البدع المتعلقة في مسائل الإيمان والكفر على إفراط وتفریط ، هناك من يقولون بقول الخوارج وهناك من يقولون بقول المرجئة ،

وكذا في عقيدة الصحابة هناك ناصبة يغالون في شتم آل البيت وهناك رافضة يغالون في تعظيم آل البيت وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،

وكذلك في القدر هناك جبرية وهناك قدرية

في الأسماء والصفات هناك ممثلة وهناك نفاة معطلة ،

وفي كل باب يوجد فيه كما ذكرنا طريفي نقيد من أهل البدع ،

كما ذكرنا هذا الباب وقع فيه خلاف بين المنتسبين إلى القبلة ، ولكونه أول خلاف عقدي في كون كبير من أصول الدين بينه النبي صلى الله عليه وسلم قبل حدوثه وحذر ممن يقعون في الفتنة فيه ، فقد تواترت الأحاديث عنه بالتحذير من الخوارج وبيان بدعتهم وضلالهم فقال عليه الصلاة والسلام ( تمرق مارقة عند فرقة بين المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق ) في الصحيح ،

تمرق مارقة : المروق هو الخروج

عند فرقة بين المسلمين : ما كان بين أهل الجمل وصفين ، بين علي وبين أهل الجمل والصفين ،

علي رضي الله عنه خالفه أولاً طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ووقعت واقعة الجمل وانتهت بمقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما ورجوع عائشة مكربة معززة إلى المدينة ، وانتهى هذا الأمر لكن استمر بعده مخالفة معاوية وعمر ابن العاص ومن معهم رضي الله عنهم لعلي ،

فكانت هذه هي الفرقة ، بعد أن وقعت صفين وقبول علي للتحكيم ظهرت فرقة الخوارج ،

أصل خروج الخوارج : رفضهم ما قبله علي رضي الله عنه من التحكيم الذي قبله لما وجد أكثر أصحابه يقبلونه فرأى المصلحة في ذلك ، وهو كان يرى لصحة استدلاله ورسوخ علمه أنه كان لا يحتاج إلى التحكيم وإنما كان يريد قتال الطائفة الباغية إلى أن ينتهي بغيتهم ، ومعه في ذلك الأدلة مع البيعة ،

الأدلة من قول النبي صلى الله عليه وسلم ( تقتل عمار الفئة الباغية ) متفق عليه وقد قتل عمار في صفين ، والبيعة فقد بايعه أهل الحل والعقد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينزعوا بيعته ، لكن وجد عامة أصحابه يميلون إلى قبول التحكيم لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح ، ووجد نفسه مضطراً إلى ذلك ، لمراعاة المصلحة ، فخرج الخوارج حين ذلك ، وقالوا لا حكم إلا الله { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ } الانعام ٥٧ ، لجهلهم استدلالهم بقول حق على ما أرادوا به من معنى باطل وهو أن هذا التحكيم تحكيم لغير الله ، وليس كذلك بل الحكمان مأموران أن ينظرا فيما يوافق الشرع ويحقق المصلحة الشرعية ، وليس أنهما يحكما في مسألة بأهوائهما بدون رجوع إلى شرع الله فكانت كلمة حق أريد بها باطل ، وليس معنى ذلك أن كل من يقول { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ } الانعام ٥٧ يكون خارجياً ، كما يحلوا للبعض أن يقول ، فهذه آية في كتاب الله عز وجل يتلوها المسلمون بالليل والنهار { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } يوسف ٤٠ فلا يجوز أن نقول من يطالب بهذا خارجياً على الدوام ، من أراد بها باطلاً كان على طريقتهم ، من كفر

بما المسلمين الذين يدعون إلى تحكيم حكم يحكم بشرع الله ويوافق الشرع فهو المبطل ، كما ناظر علي رضي الله عنه الخوارج برجل وامرأة ، قد قال الله عز وجل في اختلافهما ﴿ فَاَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ النساء ٣٥ فكيف يأبون أن يكون في فرقة عظيمة بين المسلمين من يبعث للتحكيم وينظر فيما يوافق الشرع ،

الغرض المقصود أن الخوارج رجح أكثرهم بعد المناظرين مع علي رضي الله عنه وعبد الله ابن عباس رضي الله عنه ، وبقي كثير منهم لأجل أنهم أهل أهواء ولا يقبلون الحجة وعندهم رياء و

إظهار بأنهم مضحون بأنفسهم في سبيل الله وقد قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم ( إنهم قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ) عندما قال له الرجل اتقي الله وأعدل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ويحك فمن يعدل إن لم أعدل وقال أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله وقال وقد خبت وخسرت إن لم أعدل فستأذنه بعض أصحابه حين ولّى أن يقتله فقال دعه فإنه يخرج من ضياض هذا أقوام تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ) وقال في صفتهم ( يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يبرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ) حديث متفق على صحته ، فهذا كان في صفاتهم كما ذكرنا غلوا في العبادة مع جهالة وعاطفة قوية يزعمون بما أنهم يريدون نصره الدين وإقامة الحكم لله عز وجل والتضحية بالنفس في سبيل الله فلما بقي من بقي منهم بعد المناظرة على بدعته وأصروا على تكفير علي رضي الله عنه وتكفير باقي الصحابة الذين قبلوا التحكيم قال لهم علي رضي الله عنه أن لهم ألا يمنعهم مساجدهم وأن لا يمنعهم الفئى ما قاتلوا مع المسلمين وألا يقتلهم ما لم يسفكوا الدم الحرام ،

فلما قتلوا بعض أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويكروا بطن أم ولده وكان هذا من غلوهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ) فعزم علي رضي الله عنه على قتالهم ، أرسل إليهم بأن أفيدوننا بقتال عبد الله فأرسلوا أن كلنا قتله فعزم رضي الله عنه على قتالهم وقتلهم جميعاً قتلهم ذريعاً ، ورامهم الناس بالرمح ولم ينحوا منهم إلا أحاد منهم ووجدوا فيهم المخدج الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من علاماتهم الذي فيه خلق ناقص على عضدته مثل حلمة الثدي وقطع من اللحم على عضده وجدوده تحت كومة من القتلى ، فظهر أن علي رضي الله عنه هو الحق في ذلك ، وظهر أن قتل هؤلاء لحفظ الدين وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم في حين رغب في ترك قتال أهل البغي حين كانت المصلحة في ذلك ، لمدح الحسن ابن علي رضي الله عنه حيث قال ( إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ) رواه البخاري فمدح الحسن رضي الله تعالى عنه في ترك قتال معاوية وأهل الشام ، وذلك لما صارت المفسدة راجحة والمقتلة عظيمة بين المسلمين ولا يرجى إيقاف هذا الأمر بحسم الصراع لأحد الطرفين ، حتى قال معاوية لعمر ابن العاص حين استقبله الحسن بكتائب كالجبال وذلك بعد مقتل علي على يد الخوارج بعد مقتل عمار انضم أكثر الصحابة إلى علي وبعد قتال الخوارج انضم الكثيرون أيضاً إلى عسكر علي إلا أنه ظهر أن علي هو أولى الطائفتين بالحق ، وبعد مقتل علي بويع الحسن ابن علي رضي الله عنه بالخلافة وكان هو خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين فقال معاوية فمن لي بأهل الإسلام إذا قتلنا هؤلاء ، يعني لو تصور أن تقتل كل هؤلاء لنتصّر عليهم فمن يقوم بأمر أهل الإسلام فراسل الحسن ابن علي في الصلح بل الحسن أصلاً كان يميل للصلح وكان يرغب أباه في قبول الصلح وكان الحسين هو الذي يرغب أباه في استمرار القتال ، وكل منهم كانت له طبيعته رضي الله عنهما جميعاً ، وكل منهم كان له اجتهاده ، فالذي وقع كما ذكرنا أن الحسن بادر إلى الصلح وبالتنازل عن الخلافة منعاً لسفك دماء المسلمين ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فدل ذلك على أن قتال أهل البغي ينظر فيه يمكن أن يترك أهل البغي إذا كانوا عدولاً ، إذا كانوا يقومون بأمر الإسلام يتنازل لهم عن الأمر إذا كان الأمر فيه المصلحة في حين أمر بقتال الخوارج ولم يؤمر بتركهم بل قال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أدركتهم لأقتنهم قتل عاد ، قتل ذريع يستأصل ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدركهم وأدركهم علي فقتلهم قتلاً ذريعاً كما ذكرنا لم يبق إلا أحاد منهم فرقمهم علي رضي الله عنه في القبائل ولم يقتل أحادهم بعد وقعة النهروان وقعت حاروراء الأولى التي سمي الخوارج حارورية بسببها ، أنهم كانوا ببلدة تسمى حاروراء سمي حارورية من أجل ذلك ،

كما ذكرنا لم ينقض الخوارج بعد قتال علي لهم بل كانت الفرق تخرج فرقة بعد أخرى ولم يزل أهل السنة يقاتلونهم في عهد الأمويين مرة بعد مرة وإن تدرثوا أحياناً بالتقية ويدسون دعوتهم سراً وبقيت فرقة منهم مستمرة رغم انقراض الفرق الأخرى كالأزارقة وغيرهم أتباع الأزرق ، وانقرضوا ولكن بقي أتباع عبد الله ابن إباح ، الإباضية ، ويذكرون أن الإباضية أنه كان هناك رجل آخر لكن عبد الله بن إباح كان داعية هذا المذهب فنسبوا إليه ، ولكن كان هناك استمرار لهذه الفرقة في عمان إلى يومنا هذا لم يزل الإباضية ينتشرون وكذلك في بعض بلاد إفريقيا ، ليبيا وتونس ينتشر الخوارج على مذهب الإباضية ولهم مؤلفاتهم في الفقه وفي العقيدة وفي غيرها وغلبة عليهم الاعتزال في باقي أصول الاعتقاد فهم ينكرون أن القرآن كلام الله ويقولون هو مخلوق ، وينكرون الرؤية ، يقولون بقول المعتزلة في عامة المسائل ويصرحون بتكفير مرتكب الكبيرة وكان هؤلاء هم الذين يفرقون بين الكفر والشرك فيجعلون المخالفين كفار وليسوا بمشركين وهذا من ضلالاتهم ،

كانت فتنة الخوارج وبدعتهم أول بدعة ضلالية ظهرت في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم وكانت تتعلق بقضايا الإيمان واعتقاد الخوارج في ذلك أن مرتكب الكبيرة كافر ومخلد في النار كما ذكرنا ، بداية الأمر كان في مسألة التحكيم ثم تطرق الأمر عند الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة والحكم بخلوده في النار ،

مسائل الإيمان تتعلق بما نوعان:

مسائل الإيمان والدين ، من المسلم ومن الكافر ومن المنافق ومن الفاسق لأحكام الدنيا

ومسائل الوعد والوعيد بمعنى حكم الناس في الآخرة ، وما حكم نقصان الإيمان وزيادته في الدنيا وما حكم نقصانه وانعدامه في الآخرة ،

مسائل الإيمان والدين ومسائل الوعد والوعيد

مسائل الإيمان والدين في الأحكام ومسائل الوعد والوعيد في الآخرة ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

### ٧٣- المسألة الأولى . الإيمان قول وعمل ونية .

أول المسائل أن الإيمان قول وعمل يعني به قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح ، هذه خمسة اقسام ويمكن أن نقول أربعة ، إذا ضم عمل اللسان إلى عمل الجوارح ، وفي الحقيقة القول أصلاً لكن لماذا خص قول اللسان الذي هو نطق الشهادتين بقسم ؟ لاختلافه في الحكم ، للاتفاق بين أهل السنة على أن ترك النطق بالشهادتين مع القدرة إباء وترك نطق الشهادتين كفر والعياذ بالله ، فالكافر إذا لم ينطق الشهادتين وأبى أن يقول لا إله إلا الله كان كافراً في الدنيا والآخر بخلاف غيرها من الأقوال ، فلا يلزم أن يكفر خلاف الصلاة معروف وهي أقوال بالإضافة إلى الأعمال ، أما مثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما إذا تكلم بلسانه بكلام يخالف وكان محرماً لا يزول إيمانه ما لم يكن كفوفاً ،

فجعلوا قول اللسان الذي هو النطق بالشهادتين حكماً مستقلاً رغم أنه في الحقيقة حركة اللسان كسائر الحركات باختلاف حكم النطق بالشهادتين عن باقي المسائل ، فقول القلب معناه الاعتقاد والتصديق واليقين والمعرفة بالله ، هذه الألفاظ الأربعة معانيها متقاربة تستعمل استعمالاً واحداً وإن كان التدقيق في الفرق بينها يمكن أن يكون له وجه لكن في حقيقتها بمعنى واحد ،

أعني أن الأصل عقد القلب تشبيه له بالعقدة التي تربط لأن القلب يربط على هذه المسائل في العقيدة ومسائل الإيمان ولا ينفك عنها لأنها لا تزول وهو التصديق أيضاً وهو تصديق بالقلب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه ) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني فهو مصدق .

واليقين أعلى درجات الصديق ، اليقين تصديق لا يأتيه وسوسة ولا شك ،

المعرفة بالله سبحانه وتعالى هو المعرفة وهو أيضاً مبني على أن يعرف الإنسان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى ،

عند التدبر أن هذه الألفاظ إن اختلفت في معانيها اللغوية إلا أن حقيقتها في القلب متلازمة أو هي مترادفة أو قريبة من الترادف ،

في الله سبحانه وتعالى هو أهل الإيمان ، معرفة الله هو أصل اليقين بالله والتصديق بالله عز وجل ، ما يتفرع عن ذلك الإيمان بالله من باقي أصول الإيمان من الصديق واليقين والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره ،

هذه الألفاظ ، العلم والمعرفة والاعتقاد والتصديق واليقين رغم تفاوت يسير بينها شبه مترادفة ، فالإنسان يعلم أن لا إله إلا الله ويعلم ويؤمن بالملائكة ويؤمن بوجودهم وصفاتهم وحقيقتهم وحقيقة عبوديتهم لله عز وجل ، ويؤمن بالكتب ويصدق بما يعلم في قلبه أن الله أنزل كتباً وضمنها كلامه وأنها حق ويعلم صدق الرسل ويؤمن بصدقهم وهذا قول القلب ، هو شرط في أصل الإيمان بلا تردد ، شرط في أصل الإيمان بالاصطلاح المعاصر الواسع لكلمة الشرط ، لا يعني أنه شرط في أصل الإيمان أنه خارج عن ناحية الإيمان ،

كلمة الشرطية لهما معنى اصطلاحى لدى الأصوليين ولهما معنى لغوي وشرعي أوسع من هذا المعنى الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لدى المتأخرين هو أن الشرط يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ،

أما في اللغة والشرع فيستعمل في كل ما كان جزءاً من الماهية أو ليس من الماهية لكن تزول ماهيته بزمانه

أعني قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ) رواه بن ماجه وصححه الألباني لا يعني بذلك صلى الله عليه وسلم عند عامة أهل العلم وتفسير الحديث ما كان خارجاً عن أركان العقد بل دخل في ذلك من أركان العقود الباطلة فلو اشترط عقدين وجعل ركناً في أحد العقدين عقداً آخر فهو شرط ليس في كتاب الله كالشعار مثلاً ، إذا زوج ابنته لفلان على أن يزوجه ابنته فهذا في الحقيقة عند التأمل أهما عقدان كل منهما دخل في الآخر من جهة الأركان ، الإيجاب والقبول كل منهما دخل في الآخر وهذه أركان بالاصطلاح ،

الركن في الاصطلاح هو ما يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم

الشرط لا يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم .

الركن جزء من الماهية والشرط خارج عن الماهية ،

الماهية يعني حقيقة الشيء

لو قلنا الوضوء بالنسبة إلى الصلاة استقبال القبلة بالنسبة إلى الصلاة ، هذه شروط أما الفاتحة والركوع والسجود فهي أركان لكن كما ذكرنا الاصطلاح الأصولي شيء والاستعمال اللغوي والشرع شيئاً آخر ،

والرسول صلى الله عليه وسلم عندما نفي عن شرطين في بيع دخل في ذلك عند عامة العلماء عقدين في عقد واحد ما كان متعلقاً بالأركان ، ولذلك نقول عندما نقول أن هذا القول قول القلب شرط في أصل الإيمان لانعني أنه خارج عن الإيمان ، نحن نقول هو أصل الإيمان حتى عند غلاة المرجئة أنه من الإيمان ، لكن نستعمل كلمة الشرط بمعناها اللغوي والاستعمال الشرعي كذلك لا الاصطلاحي ، فلا يقول قائل أخرجتم قول القلب من الإيمان أو أخرجتم قول اللسان حيث قلت أنه شرط ،

ولم يزل العلماء يتكلمون كثيراً عن الشروط الصحيحة والباطلة في كثير من الأشياء ، لما قال ابن حجر مثلاً في هذه المسألة قال أن أهل السنة يقولون أن الإيمان قول وعمل ولكن هل هو شرط كمال أو شرط صحة في الإيمان ؟ فيذكر هذه المسألة والصحيح أنها شرط كمال والفرق بين أهل السنة والخوارج أن الخوارج يقولون شرط صحة ،

في الحقيقة لا يستعمل معنى الشرطية على المعنى الاصطلاحي حتى يقال هذا رجل من الأشاعرة المرجئة ، أبداً بل هو ينص على أن الإيمان قول وعمل ، ولا يصلح بعد ذلك أننا نأخذ كلامه ونقول أنه وافق في ذلك قول المرجئة بإخراج العمل من الإيمان حيث سماه شرطاً ، بل نقول هذا علما المعنى اللغوي والشرعي ، كيف تأخذ من كلامه ما يفهم ضد كلامه قبله بسطر واحد ، هو يصرح بأنه قول وعمل ، الأعمال من الإيمان فلا يصح أن يقال أن قوله شرط يخرجها من الإيمان .

الغرض المقصود بكلمة شرط عندنا هنا بمعنى أنه الركن ، بمعنى أن اعتقاد الإنسان في الله عز وجل ركن في الإيمان ، ومعرفته بأن لا إله إلا الله ركن في الإيمان في أصل الإيمان يزول الإيمان بزواله ، وإذا وجد في القلب وجد شيء من الإيمان لكن لا يلزم وجود الإيمان كله ، ولا حتى أصله كله ،

سيأتي بيان أن هناك من عمل القلب ما هو ركن في أصل الإيمان ،

بمعنى أن وجود الإيمان يتوقف على وجوده وينعدم الإيمان بزواله فهمها عمل الإنسان من عمل لا يكون مؤمناً ما لم يوقن بقلبه ، لا بد من يقين القلب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ) رواه مسلم ، إذن من مات وهو قد نطق بالشهادة وصلى وصام لكن في قلبه يشك لم يكن مؤمناً أو في قلبه يعتقد خلاف ذلك ، منافق نفاق أكبر والعياذ بالله لاعتقاده خلاف الحق ،

أما قول اللسان هو نطق الشهادتين ، أن ينطق العبد ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، نقول دائماً مع القدرة لأجل أن الأحرص إذا أشار قبل منه ذلك ، حتى لو عجز عن الإشارة لم يكن ذلك قادحاً في إيمانه ، أو أنه عاجلته المنية فم يقلها ولكنه اعتقدها اعتقاداً جازماً ، جاء ليقولها عاجلته المنية أصابته رصاصة مثلاً ، جاء يقول أشهد قتله الكفر ، فهذا وإن لم يحكم بإسلامه عندنا إلا أنه مسلم عند الله سبحانه وتعالى ، لأننا لا نعلم هل قالها أم لا ، لا نعلم إلا بالظاهر أما في باطن الأمر فهو إذا عجز عن قولها فهو عند الله مؤمن ،

أصل الإيمان في هذا القول شهادة أن لا إله إلا الله ، نقول أصل الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله ، يعني ممكن يكون في إيمان إذا علم لا إله إلا الله ولم تبلغه دعوة الرسل ولم تبلغه دعوة رسول معين ،

إذا بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، من بلغه أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لزمه أن ينطق بذلك ، وإلا لم تقبل منه شهادة أن لا إله إلا الله ،

ولكن يتصور وجود شيء من الإيمان إذا نطق الإنسان بشهادة لا إله إلا الله واعتقدها طبعاً نحن نقصد أنه اعتقدها وهو لا يعلم أن محمد رسول الله لعدم بلوغ خبره ، كأن يكون ذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم مثلاً ، هذا الإنسان الذي شهد أن لا إله إلا الله ومات ولم يبلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك يكون مؤمناً عند الله وعنده أصل الإيمان لأنه نطق بكلمة التوحيد واعتقدها بخلاف من أبي أن يشهد أن محمد رسول الله وقد بلغته فهو كافر أو لم تبلغه وكان مشرك بالله ويصرح بعبوديته لغير الله ، يعني نقول واحد لم ينطق بالشهادة أو لم يعتقدها ولم تبلغه دعوة الرسل ، يكون كافر غير معذب ولكنه كافر لأنه لم يقل ولم يعتقد أن لا إله إلا الله ، يعني أصل الدين لا إله إلا الله لابد منها باطنياً وظاهراً ، كونه معذور أو غير معذور هذه مسألة أخرى بناءً على بلوغه دعوة الرسل { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا } الاسراء ١٥ ، لكن هل يتصور أن يكون مؤمناً ولم يقل لا إله إلا الله لا بقلبه ولا بلسانه ؟ لا يتصور ذلك ، نحن نستثني في النطق العاجز فقط ، من عاجلته المنية أو كان أحرص ، لكن الاعتقاد الباطن لا يتصور ، إذا اعتقد صحة عبادة غير الله أو عبادة الملائكة أو عبادة المسيح هذا مشرك ابتداءً إما كان سواء أكان معذور أم غير معذور ، بلغته الدعوة أم لم تبلغه لكن يتصور في محمد رسول الله أنه لم تبلغه دعوته ويكون مؤمناً عند الله ، والكافر الذي يعبد غير الله لم يأتي به إلا إله إلا الله كافر وكونه معذب أو غير معذب بناءً على بلوغ الدعوة أو عدم بلوغها ،

لذلك نقول من لم تبلغه وكان يشرك بالله ويصرح بعبوديته لغير الله ، لماذا نقول يصرح ؟ لمسألة اللوازم ، من كان يعبد غير الله بلازم حاله وقوله ، يعني يدعوا غير الله ولما تأتي تقول له أنت تعبد غير الله ؟ يقول لا أعبد غير الله ، تقول له الدعاء عبادة يقول أعوذ بالله أنا لا أعبد إلا الله ، أنا لا أعبد البدوي ولا الدسوقي ، بخلاف واحد يقول أنا أعبد اللات والعزى لتوصلني إلى الله ، الذي يعبد الدسوقي والبدوي لم يقل ذلك ، بل يقول أنا لا أعبد البدوي والدسوقي ومن هنا نقول يصرح ، لأن الذي يعبد باللوازم ، لازم حاله وهي عبادة البدوي والدسوقي أنه يصرف له العبادة ولم يسمه إلهاً ، لا نسمه كافر أصلي ولا نجعله كافر ليس عنده أصل الإيمان بل هو في الحقيقة عنده لا إله إلا الله إجمالاً ولذلك كان مسلماً معذوراً ، كان عند أصل الإيمان ويمكن أن يغفر له ما جهله لذلك

لماذا نقول يصرح بعبوديته لغير الله ؟ يقول أنا أعبد المسيح أو أنا أعبد الدسوقي والبدوي إذا صرح يقول أنا أعبد اللات والعزى لأن هذه صريحة في نقض لا إله إلا الله

لذلك نقول لم تبلغه دعوة الرسل ولم تبلغه دعوة محمد رسول الله ولم تبلغه دعوة رسول آخر وكان يشرك بالله ويصرح بعبادة غير الله كمن يعبد الملائكة أو المسيح أو الأصنام ولو لم تكن دعوة الرسل تداركته فهو كافر ليس بمؤمن وإن كان غير معذب حتى تبلغه دعوة الرسل

الذي نقول عليه معذور بالجهل فيمن نطق كلمة التوحيد واعتقد أن لا يعبد إلا الله وجهل أن الدعاء عبادة وجهل أن الحكم عبادة وجهل أن موالاة الكفار تكفره أو أنها محرمة أو أن هذه موالاة أو أن هذا النوع يخرج من الملة أو أن هذا النوع حرمه الله ، من جهل هذه الأشياء وهو عنده أصل لا إله إلا الله ، هل هذا كافر غير معذب في الآخرة ؟ لا لأجل وجود لا إله إلا الله في قلبه وعلى لسانه هو مؤمن ناقص الإيمان ،

طالب : ولو صاحب بدعة مكفرة ؟

الشيخ : صاحب البدعة المكفرة لو بلغته الأدلة كان كافراً خارج من الملة بعينه ،

دعاء غير الله وموالاة الكفار موالاة مكفرة والحكم لغير الله هذه أشياء مكفرات ، ولكن الذي نطق بالشهادة وكلمة التوحيد وهو يعتقد أن لا يعبد إلا الله ويقول ذلك بلسانه ولكن يقول لسنا نعبدكم لابد أن تقام عليه الحجة أولاً فالحكم في الآخرة هذا حكمه في الدنيا مسلم مرتكب بدعة قبل أن تقام عليه الحجة لا يكفر لم يخرج من الإسلام بيقين ، لم يمكن تكفيرهم حتى يقام عليهم الحجة الكتابية وإن كانت لا إله إلا الله محمد رسول الله التي عندهم تنفعهم في الدنيا والآخرة ، ويوم القيامة يستحقون العقوبة لتقصيرهم في طلب العلم ، من كان من مفرطاً ويستحق العذاب ودخول النار لكن لا يخلد فيها ، كالرجل الذي أم يحرق نفسه كما سيأتي الاستدلال بذلك ،

الرجل الذي أمر بحرق نفسه أتى بكافرين :

أتى بشكك في قدرة الله وشكك في البعث ،

ومع كونه كان يعتقد أن لا إله إلا الله وفعل ذلك خشية لله غفر الله له وأخرجه من النار وفي بعض طرق الحديث أنه آخر من يخرج من النار ،

نقول هذا الكلام لوجود بعض المشايخ من أيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فما بعده يجعل هذا الصنف من الناس ، بعضهم يجعله كافراً في الدنيا والآخرة وبعضهم يجعله كافراً في الدنيا وغير معذب بل من أهل الاختيار في الآخرة ،

بعضهم يكفره في الدنيا ويستحل دمه وماله ويعامله ككافر ويجعله يوم القيامة من أهل الامتحان ، بعض المعاصرين يقول ذلك وكثير من الكتب والدراسات الماجستير والدكتوراه وغيرها التي تقدر في هذه الأوقات وخصوصاً في السعودية كثير منها يبدو على هذه الأقوال لبعض المشايخ التي ليس لها نظير عند أهل السنة من المتقدمين في الحقيقة ،



لذلك أنا أقول الذي يصرح بعبوديته لغير الله غير الذي يقول أنا أعبد الله وحده لا شريك له وهو في نفسه يعتقد ألا يعبد إلا الله ، لذلك نقول هذا ليس بخارج من الملة وإن أتى بكفر ، ولا أن ذلك في أصل إيمانه أنه لا يعلم أن هذه تقدر فيها ، وهو لم يعلم أن هذا الشيء عبادة لغير الله وهو يأبى أن يعبد غير الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الشرك أخفى) من ديب النمل فقالوا يا رسول الله كيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل قال ( فقولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ) رواه احمد وصححه الألباني في الأدب المفرد عموم هذا الحديث دليل على أن ما لا يعلم من الشرك يمكن أن يغفر ، ولذلك قلنا أن هذا النوع من الشرك وإن كان في حقيقته شركاً أكبر لكن صاحبه لم تقم عليه الحجة فلا يكون كافراً ولا مخلداً في النار إذا لم تقم عليه الحجة ، وعنده أصل كلمة التوحيد عنده لا إله إلا الله ، يعتقدونها ويوقن بها وينطق بها فهذه المسألة دليلها الظاهر القريب لكلامنا هذا قصة الرجل الذي أمر بحرق نفسه كما ذكرنا أتى بشيء من الشرك والكفر في موضعين ومع ذلك خرج من النار ونفعه خوفه من الله عز وجل لوجود أصل الإيمان عنده لا إله إلا الله ،

فهنا مسألتان :

مسألة الإيمان والدين ومسألة الوعد والوعيد ، ولا يشترط أن يكون هناك تلازم تام بينهما فقد يحكم على إنسان بالكفر وذلك لأنه يشرك بالله وإن لم يبلغه عن الله وعن رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين النهي عن الشرك ولم يأتيه رسول ومات على ذلك إذن هذا كافر بلا نزاع ، لم يأتي بالتوحيد ، ثم إنه يمتحن يوم القيامة ، ولا يدخل النار حتى يمتحن قال الله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الاسراء ١٥ فلا يحكم له بالإيمان لأنه لا يعلم أنه لا إله إلا الله ولم ينطق به لا إله إلا الله ، لكن لم تأت دعوة رسول فلذا يمتحن يوم القيامة بأن يأمره الله بدخول النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخل سحب إليها ،

هذا بالنسبة إلى اعتقاد القلب وقول القلب ،

نقول هذا الكلام لأجل التفريق بين أصل الدين وأصل لا إله إلا الله ، و. لا إله إلا الله . اعتقاداً ونطقاً هي أصل الدين وبين لوازمها ، لأن ما يقع من شرك في كثير من أهل زماننا هو مرده إلى مسألة اللوازم ، هي من حقيقة لا إله إلا الله ،

نقول هناك فرق بين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط وبين من صرحوا لموسى وقالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، الرسول صلى الله عليه وسلم شبههم وقال ( قلتهم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني هذه الكلمة مثل هذه ولكن هؤلاء كانوا يريدون متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قصدهم أن يلتزموا بما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا قد جهلوا أن هذه الكلمة تنافي لا إله إلا الله فلم يعاملهم النبي صلى الله عليه وسلم كمرتدين ولم يعاملهم كأصحاب مسيلمة الكذاب ، ولكن نبههم وغلظ عليهم وأقسم أن هذه الكلمة تناقض لا إله إلا الله ومع ذلك لم يعاملهم كمن نقضوا لا إله إلا الله ، أفهمنا ؟

ولذلك نقول أن هذه المسألة ، مسألة ما يقع من الشرك في زماننا مع نطق من يقع فيه بكلمة التوحيد ، لا يحكم عليه بالشرك والكفر لأجل الجهل أو التأويل أو غير ذلك من الموانع ، ويكون هذا النطق بكلمة التوحيد مع اعتقادها مانعاً للخلود في النار وكونه يدخلها أو لا يدخلها بناءً على المشيئة عند الله عز وجل ، لكن إن دخلها لم يخلد في النار ،

ونقول ليس هذا من أهل الامتحان بل هذا من أهل الإسلام الذين عندهم أصل كلمة التوحيد ، لا نعي بذلك أن كل من قال لا إله إلا الله واعتقدوها يسظل على ذلك ولو فعل ما فعل ، لكن إذا بلغه شيء من لوازمها وعلم حقيقة العبادة بنوعيتها فأصر على صرفها لغير الله كان ذلك شركاً ناقلاً عن الملة كما ذكرنا في من لم تبلغه محمد رسول الله ، فبلغته محمد رسول الله فأبى أن يقوها يكون نقض لا إله إلا الله ، أصبح محمد رسول الله هنا في حقه ركن في الإيمان ، لا يقبل لا إله إلا الله بدون محمد رسول الله إذا بلغته ، لا يقبل لا إله إلا الله محمد رسول الله إذا بلغه القرآن حتى يؤمن بالقرآن آية آية إذا بلغته وإجمالاً إذا بلغه كله ،

لو أنه بعد أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صدق بالفاتحة ثم جاء عند آية من آيات البقرة فقال إنما لا تعجبه أو أنه لا يصدق بها لكان ذلك ردة عن الإسلام وخروجاً من الملة ، لو بلغه خبر رسول من الرسل أو كان يعتقد مثلاً كاليهود في سليمان أنه كان ملكاً وليس برسول وأنه كان يعبد الأوثان ونحو ذلك فبلغه ثناء القرآن عليه فأبى ذلك وكذب سليمان أو كذب عيسى ، كيهودي ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم طالما أنه لم يقل بأن عيسى هو الله أنه يقول قوهلم في عيسى فلما بلغه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يمدح في عيسى كفر بعيسى لكان ذلك نقاضاً لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، يعني كل ما يبلغه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم قطعياً يصبح ركن في الإيمان في حقه ، لذلك هذا التصديق يزيد وينقص من جهة الكمية من هذا الباب ، من جهة أنواع ما يؤمن به ، لو بلغه اسم من أسماء الله ورد في القرآن فكذب به لم يكن مؤمناً ، انتقض أصل إيمانه مع أن أصل الإيمان هو لا إله إلا الله ، لكن هل هذا الأصل يختلف من شخص إلى آخر ؟ نعم حسب ما بلغه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بدون لا إله إلا الله لم يكن مؤمناً بحال من الأحوال لا في الدنيا ولا في الآخرة بل كافر بدون لا إله إلا الله اعتقاداً ونطقاً لا يكون مسلماً ولا مؤمناً في الدنيا ولا في الآخرة يكون كافر لكن لا يعذب حتى يمتحن ، بخلاف واحد نطق الشهادة وارتكب شركاً أو كفرأ منع من حكم الكفر عليه مانع من الموانع الجهل أو التأويل أو الإكراه أو الخطأ ،

واحد أتى وقال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك من شدة الفرج ، لما أتى يقول اللهم لك الحمد أنت ربّي وأنا عبدك فأخطأ وقال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك ، هذه الكلمة كفر بلا شك ، اللهم أنت عبيدي كفر والثانية أيضا كفر ، لكن لما نطبق الكفر عليه نجده أخطأ ، فهذا الرجل ما حكمه عند الله مؤمن وعندنا كذلك ، لأنه مؤمن ، لأن خطأه منع من تكفيره مع أنه ارتكب شركاً أكبر وكفراً أكبر نطق به بلسانه ، لو قال ذلك معتقداً ولم يكن مخطئاً ، لو قال ذلك قاصداً لكان ذلك ناقضاً لإيمانه .

نرجو أن يكون الكلام قد فهم .

فهناك فرق بين أصل الدين الذي يثبت به أصل الإيمان هو النطق بالشهادة مع اعتقادها وهذا قد يزيد في حق بعض الأشخاص كلما بلغه شيء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم لزمه أن يصدق بها ، إذا كذبه صار كافراً بعد أن يبلغه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ،

تكلّمنا عن أن الإيمان قول وعمل ، ذكرنا فيه قول القلب وهو اعتقاده وتصديقه وبقينه ومعرفته بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكذلك ذكرنا قول اللسان ونطق الشهادتين أن ينطق العبد ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل الإيمان بذلك نطق شهادة أن لا إله إلا الله ولمن بلغه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتصور وجود من لم يبلغه محمد رسول الله فيكون مؤمناً بـ لا إله إلا الله ، دون هذه الكلمة وبدون أن يقر بـ لا إله إلا الله باطناً وظاهراً لا يكون مؤمناً سواء كان معذوراً أو غير معذور ، غير معذور لأنه بلغته دعوة الرسل ، ومعذور لأنه لم تبلغه دعوة الرسل ، لكن يكون كافراً معذوراً أو مشركاً معذوراً طالما لا يأتي بـ لا إله إلا الله ، أما محمد رسول الله فيتصور أن يكون مؤمناً بـ لا إله إلا الله معذوراً في كونه لا يشهد أن محمد رسول الله لأنه لم يبلغه ولم يسمع به عليه الصلاة والسلام ، فلا يكون من أهل الاختبار ، أما الكافر المعذور فهو من أهل الاختبار ، يجب أن يكف عنه في الدنيا لا يقتل حتى يبلغ ، ولكن لو قتل فقد قتل كافراً ، عمد من قتله محرماً لكنه على الكفر لا يعتد بأنه قد أسلم لأنه لم تبلغه الدعوة بل هو كافر معذور لأنه لم يعتقد أن لا إله إلا الله ولم ينطق بأن لا إله إلا الله ،

أما عمل القلب فهو حب الله عز وجل والإخلاص له والحب لأجله وفيه وكذا البغض لأجله ، ورجاء الله عز وجل الدل له والتوكل والشكر والصبر وسائر أعمال القلوب التي بعضها واجبه وركن ومنها ما يكون مستحباً كالرضا بالمصيبة مثلاً فالصبر واجب والرضا مستحب ، هناك من أعمال القلوب ما يكون مستحباً ككمال درجات التوكل ، كل هذه الأعمال له أصل وكمال واجب وكمال مستحب ، فهذه الأعمال القلبية شيء زائد على مجرد التصديق والعلم

نضرب مثلاً :

نقول كون المرء يعلم أن فلاناً هو أحمد أو محمد ، هذا شيء يعرفه ، كونه يحبه أو يبغضه هذا شيء آخر ، فنحن نعلم تماماً ونوقن بكفر أبي جهل وفرعون وبغضهم ، الإقرار بكفرهم شيء وعمل القلب وهو بغضهم شيء آخر ، يعني علم وعمل ، العلم أن نعلم أنهم كفار ، إذن لو أن إنساناً كذب بهذا يكون مكذباً للقرآن ، ولو أن إنساناً أحبهم يكون مع كونه مصداقاً بأن القرآن أحبر بكفرهم وصدق بذلك كمن يدافع عن إبليس مثلاً كمن يجب إبليس وأبي جهل ويراه قد عمل ما ينبغي أن يعمل فهذا كفر ليس راجعاً إلى التكذيب ولكن راجع إلى انتفاء عمل القلب ، وهو أنه لا بد أن تبغض من أبغض الله ، فهذا يجب من أبغضه الله ، وكذا أن يبغض من أحب الله يعني من أبغض نبياً من الأنبياء ، من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أبغض شيئاً من الدين ، فهذا والعياذ بالله يكون كافراً ، لذلك عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من نواقض الإسلام من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار ) رواه البخاري فمن أبغض الأنصار لأجل نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يكون منافقاً النفاق الأكبر ، لو صرح بلسانه زاد على ذلك أنه أصبح كافراً صرح بالنفاق ، لكن في باطنه أنه يبغض الأنصار لأجل نصرتهم ولأجل هذا الوصف فضلاً عن من أبغض ما جاء به القرآن ، قال الله عز وجل { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ } محمد ٩ فكراهية ما أنزل الله عز وجل من كتابه وكراهية ما أنزل الله من حب أنبيائه وملائكته ورسوله فهذا كله من الكفر قال عز وجل { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } البقرة ٩٧ نزلت بإجماع أهل التفسير في اليهود الذي قالوا عن جبريل بعد أن شهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي وسألوه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه من الذي يأتيك من الملائكة فقال جبريل فقالوا هذا عدونا من الملائكة لأنه يأتي بالعذاب والهلاك ولو كان غيره الذي يأتيك لاتبعناك فأبوا أن يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم مع تصديق الباطل وتصديق أن جبريل ملك وأنه هو الذي يأتيه ولم يقولوا أن كاذب في ذلك بل جزموا بصدقه وأصبحوا موقنين بصدقه ولكن أبغضوا جبريل فأنزل الله { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } قضية كبيرة جداً قضية أعمال القلوب لأن البعض يظن ألا كفر إلا بتكذيب وجحود ، والحقيقة أن هناك من الكفر ما يكون بالبغض والكراهية أو بانتفاء أعمال القلوب الواجبة مثل انتفاء الحب وليس انتفاء القدر الواجب فقط بل انتفاء أصل الحب الواجب ، لو أنه لا يجب الله قد ولا يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمناً أبداً كما قال الله عز وجل { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة ١٦٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين } الواجب للواجب والأصل للأصل ، أعني انتفاء الإيمان هنا لا يؤمن إيماناً واجباً إلا بأن يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ،

فلو انتفى أصل حب الرسول صلى الله عليه وسلم إذن انتفى أصل الإيمان أيضاً كذلك ، لذلك نقول يكفر من أبغض الرسول صلى الله عليه وسلم ويكفر من لم يحبه ،

لو احد عنده لا حب ولا بغض لا يكون مؤمناً ، من لا يحب الله عز وجل ولكن لا يكره ، عنده الأمر سواء والعياذ بالله فلا يكون مؤمناً لابد أن من وجود عمل القلب من حب القلب وخضوعه كذلك ، لو زال من القلب أصل الانقياد والخضوع والذل والاستسلام ، التي هي قول الله عز وجل { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَاجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء ٦٥ قال ويسلموا تسليماً لأنه أصل الإسلام أن يسلم لله قلبك ، لم يقل أن يعرف وجود الله فقط ، أو أن يصدق بأنه لا يعبد سواه فقط ، بل لابد أن يسلم ، الذي هو الإذعان والانقياد والذل ، لذلك ذكر العلماء أن معنى لا إله إلا الله هي كمال الحب مع كمال الذي ، فلو زال أصل الحب من القلب وزال أصل الذل أو سميه الاستسلام إن شئت أصل الإسلام ليس عنده انقياد لله عز وجل قط ، لا يرى أن الله هو الذي يأمر وينهى لا يرى أنه يلزمه هذا الشرع والعياذ بالله فهذا لم يكون مؤمناً أصلاً بل لم يحقق قلبه لا إله إلا الله ولم يعمل قلبه لا إله إلا الله ، وإن صدق بها بلسانه ، بل حقيقة ذلك نقض أصل الدين عند من تدبر ، ينفي أعمال القلوب في كونها أصل الإيمان ويقول يخرج من النار من كان ناطقاً بلسانه فقط ولو لم يحب الله عز وجل طرفه عين ، ولو لم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا انقاد الله سبحانه وتعالى ولا أسلم له ، فهذا نقض لدين الإسلام في الحقيقة ، بعض كتب الجاهل وإن قدمها بعض المشاهير في زماننا يوجد فيها هذا الخيل والضلال المبين والعياذ بالله يصحح حتى من كان عنده أصل الإيمان فقط ، ضلال مبين من لا يحب الله قط ولا يرجو قط ولا يسلم قلبه لله قط وإنما نطق واعتقد فقط ، قول غلاة الإرجاء والعياذ بالله ، نسأل الله العافية ،

لذلك هذه القضية لا نزاع فيها كتاب وسنة وإجماع ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ) رواه البخاري قال ( إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ) متفق عليه فلا بد أن يبتغي بذلك وجه الله ، لأن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، أما أنه يقول لا إله إلا الله لا يبتغي بها وجه الله ، الجاهل الضال الذي يقول هذا الكلام يقول أنه لابد أن يوجد ضد ، يقول إذا رأى فقط أشرك أما إذا لم يرائي ولم يرد وجه الله فيكون مؤمناً والحديث يقول يبتغي بذلك وجه الله ولم يقل لابد وأن يبتغي غيره ، يعني يشترط هذا الجاهل وهو قدم له من قدم أن يكون أتى بالصد حتى يكفره أو يبغض الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ليس كذلك ، زوال الحب فقط كافي لزوال الإيمان ، زوال أصل الشكر وإبليس يقول ولا تجد أكثرهم شاكرين ، ليس أنه لابد أن يحصل الكفر أن يكون جاحد للشكر لله ويكون نافي للشكر وساحط على الله عز وجل ، بل يكفي أن يزول الشكر من القلب ، لو زال أصل الشكر حل الكفر ، بمجرد زوال الحب ووقف في المرحلة المتوسطة يقول لا أحب ولا أكره يكون كافر والعياذ بالله مع زوال أصل هذه الأعمال ،

فنقول نحن نوقن نبوة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هذا قول القلب نقر ونعلم أنهم رسل الله ، هذا قول القلب ونحبهم ، حبهم أمر زائد على مجرد التصديق ، فلو أن إنسان لم تكن عنده هذه الأعمال القلبية لم يكن مؤمناً ، قال تعالى عن آل فرعون { وَحَدِّثُوا يُحَا وَاسْتَبَقْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغْلًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } النمل ١٤ فكان عندهم يقين في الباطل وهنا تسمية علمهم يقيناً ، كفروا من أجل كراهية الحق الذي جاء به موسى من أجل زوال حب الله عز وجل والانقياد له ، التي هي زوال أصل العبادة ، بل هم لم يحققوا لا إله إلا الله ابتداءً ، لأنه لا حب ولا إسلام ، لا حب ولا انقياد ، لا حب ولا ذل ، إذن لا يوجد لا إله إلا الله ، وإن نطقوا وإن اعتقدوا ما يقوله صحة المسلمون ، لكن لم يعبدوا الله قط وأبوا أن يعبدوه سبحانه وتعالى ، واستكبروا على عبادته لما قال { ظُلُمًا وَعُغْلًا } وحسدوا بماذا ، مع نطقهم باللسان بتكذيب موسى صلى الله عليه وسلم ، إذن كفروا بعدة أسباب والواحدة منها تكفر ، لذلك المنافقين الذين يبغضون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وإن نطقوا بلسانهم كفار أيضاً عند الله سبحانه وتعالى ،

النفاق الأكبر نوعان :

نفاق واحد يجحد في باطنه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ونفاق آخر يعلم صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اضطراباً ويكرهه لأجل دنياه التي يؤثرها ،

واحد يجحد وهو منافق وهو ينطق الشهادتين وينتسب للإسلام ولكن في باطنه أنه يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال عز وجل { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } المنافقون ١ هذه نوعية تشهد وهي لا تشهد ، تشهد بلسانها ولا تشهد بقلبيها ،

هناك نوع آخر { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد ٢٥ إذن يحبط العمل أن يكره يسخط الإنسان ما يرضي الله سبحانه وتعالى أو أن يوافق من يكره ما أنزل الله عز وجل وكذلك قوله { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد ٩ في أول السورة ، فهذا التعليل كرهوا ما أنزل الله ، دليل على أن كل من كره ما أنزل الله فقد كفر والعياذ بالله ،

وكما ذكرنا زوال الحب كفر أيضاً لأن الله قال { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة ١٦٥ ونفى الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عن من لم يحبه صلى الله عليه وسلم أكثر من أهله وماله وولده ،

وكما ذكرنا هذا النفي للإيمان الواجب لمن ترك الحب الواجب ونفي لأصل الإيمان لمن ترك أصل الحب ،

قضية فرعون وإبليس وعلماء اليهود من أهم المسائل الفارقة بين أهل السنة وبين الجهمية والمرجئة ، والجهمية أصلاً هم غلاة الإرجاء لأنهم يجعلون الإيمان هو المعرفة ، وللأسف أن كثيراً من المتأخرين لأجل متابعتهم وتقليدهم لمذهب الاشعري قبل تغييره ،

الأشاعرة المتكلمون يقولون بأن الإيمان هو المعرفة ، وهذا خطر عظيم وهو موجود في بعض الكتب للمنتسبين إلى السنة أيضاً لكنهم في هذه المسألة خالفوا . ككتاب الدين الخالص . ذكر أن الإيمان هو المعرفة ،

قال تعالى عن آل فرعون { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظْمًا } النمل ١٤ وقال عز وجل عن موسى وحطابه لفرعون { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ } الاسراء ١٠٢ لقد علمت ، إذن ربنا وصفه بالعلم ووصفه باليقين ، عنده يقين أن موسى على حق ، وأن موسى أتى من عند الله عز وجل ،

قال عز وجل عن موسى { وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } الاسراء ١٠٢ أي هالكاً ، فكفر فرعون كان لانتفاء عمل القلب بالإضافة إلى انتفاء قول اللسان لأن فرعون أبي أن ينطق بـ لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل إلا عندما عاين العذاب ولا ينفعه ذلك ،

أما إبليس فعنده اعتقاد القلب ونطق اللسان ، لأنه قال { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ } الاسراء ٦٢ إذن نطق بلسانه أن الله كرم آدم ، إذن هو ليس جاحد لأمر السجود ، إبليس لم يجحد أن الله أمره بالسجود ، ولم يقل يا رب أنا لست من الملائكة ولم يتركه تكاسلاً ، كما يحلوا للبعض أن يحتج بفعل إبليس على كفر تارك العمل ، كفر إبليس كان من إباء واستكبار ، لأنه قال { لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ } الحجر ٣٣ لم يكن للسجود ،

فريقان في هذا الباب على خطر :

من يسوي بين الآدميين والأبالسة لأن آدم ترك الأمر الواجب فعل الأمر المحرم ، الأمر الواجب كان أن يكف عن الشجرة والكف والفعل متلازمان ، والأكل من الشجرة مستلزم لترك الكف عنها ، أليس كذلك ، لأنه كان يجب عليه أن يكف عنها ويحرم عليه أن يأكل منها فهنا فعل ما حرم الله عز وجل ، لكن قال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا } الاعراف ٢٣ إبليس رد الأمر وقال { لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ } الحجر ٣٣ إبليس لم يجحد فنقول هناك فريق يسوي بين الأبالسة وبين الآدميين ، الذين يقولون كلاهما تارك والخارج يقولون أن كل من ترك ما وجب عليه إبليس ، بل لا يجوز ذلك ، هذا كلام باطل ، وفريق آخر يجعل أن من أقر بما أقر به إبليس مؤمناً والعباد بالله ، الذي يقول أن إبليس مؤمن لا يكون مسلماً في الحقيقة ، حتى الأشاعرة الذين يقولون أن الإيمان هو المعرفة يزعمون أن إبليس لما كفر زال من قلبه المعرفة بالله عز وجل وهذا من أبطل الزعم عند التأمل لأن إبليس كافر وهو يقول { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } الاعراف ١٤ قال { خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } الاعراف ١٢ كل هذا يقر بعد كفره ، إبليس كفر عندما امتنع من السجود ، عندما أبي واستكبر ، من هذه اللحظة هل زال علمه بوجود الله ؟ هل زال علمه بأن الله أمره ؟ بل هو موقن بأن الله أمره للسجود لآدم وبعد أن توعد الله بأنواع الوعيد قال { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَغْتَرَّ بِهٖ أَخْرَجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْضِنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا } الاسراء ٦٢ فإذا إبليس يقر بأن الله أمره ، عنده نطق اللسان ، يقر بوجود الله وأن الله خالقهم ، فقال خلقتني من نار وخلقته من طين ، ويقر باليوم الآخر والذين يرون الدين واسعاً ويرون أننا نتكلم في أشياء كثيرة لا تغضب الناس عنا لهم أن يمدحوا إبليس إذن ، الذين يقولون ألا يوجد كلام إلا في القضايا التي تغضب أهل القوة والسلطان مثلاً لأجل ألا تتكلم فيها ، والدين فيه أشياء كثيرة فتكلموا فيها ، نقول إذن تتكلم عن فضائل إبليس ، كما أن بعض الناس يتكلم عن فضائل الكفار والمنافقين والزنادقة والظالمين ، يتكلم عن فضائلهم ، فتكلم أيضاً عن فضائل إبليس فهو عنده إقرار بوجود الله وبخلق الله له ولآدم ، ويقر بأن هناك يوم آخر وأن الله هو الذي يبعثه ويحييه لأن الإنذار ملك لله عز وجل وتكلم عن فضائل إبليس نعوذ بالله من ذلك ، فكل الفريقان على ضلال والعباد بالله ، الذين يجعلون الأبالسة كالآدميين وكذلك الذين يجعلون إبليس من المؤمنين لأنه أقر أو يجعلون كل من أقر مؤمناً لأنهم يلزمهم ، الذي يلتزم هذا اللازم يكون خارج من الملة ، الذي يلتزم أن إبليس مؤمن يكون خارج من الملة ، والأشاعرة الذين قالوا إن الإيمان هو المعرفة قالوا إبليس ليس مؤمن ، لماذا ؟ قالوا إنه زال من قلبه المعرفة ، التزموا التناقض وردوا الدليل لكن لا يستطيعوا أن يلتزموا أن إبليس ليس مؤمن ، الذي يقول على إبليس مؤمن يكون غير مسلم ، لأن كفر إبليس نص القرآن ومعلوم من الدين بالضرورة ، ولعنه على كل لسان مسلم ويهودي ونصراني ، حتى عباد إبليس يرون إبليس والعباد بالله ويقولون إننا نعبد مدهنة ،

إبليس عنده اعتقاد القلب ونطق اللسان لأنه فيما بينه وبين الله لم يكن ينكر وجود الله تبارك وتعالى ولا إلهيته ولا ربوبيته وإنما كان كفره أنه أبي واستكبر وكان من الكافرين ، كلمة أبي تساوي رد شرع الله ، كلمة استكبر تنافي الذل والانخضاع والانكسار لله ، كان ترك الإسلام وكان زوال الإسلام والانتقياد والخضوع للذل لله عز وجل ، فكفر إبليس كان بزوال عمل القلب ،

ولم يقل الله قط إنه كذب أمر الله بالسجود لآدم فضلاً عن أن يكذب بتوحيد الله عز وجل مثلاً ، بل ظل بعد كفره { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } الحجر ٣٦ { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي } الحجر ٣٩ قال { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } الحجر ٤٠ فهو يقر باليوم الآخر ويقر بأن الله خلقه يقر بأن هناك عباد الله مخلصين أحلصهم الله له ، يقر بأفعال

الله عز وجل يقر بقدر الله السابق لكن محتج به على كفره ، وقال { خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } الاعراف ١٢ فهو لم يكفر بزوال المعرفة ولا بزوال الصديق الباطن ، بل كان التصديق الظاهر يقولوه ولكن كان يزيد على ذلك النطق بخلاف فيما يأمر به من الكفر ، إنما كفر بإبائه واستكباره ،

فالإباء والاستكبار ترك لعمل القلب وهو ركن واجب لا يصح الإيمان إلا به ، كلمة ركن بمعنى جزء من الإيمان يزول الإيمان بزواله ، يزول أصل الإيمان بزوال أصل عمل القلب ، ويزول كمال الإيمان الواجب بزوال كمال الإيمان المستحب بزوال عمل القلب المستحب ،

فالإباء والاستكبار ترك لعمل القلب الذي هو القبول والخضوع ،

والاستسلام هو الانقياد ، فإذا ترك عمل القلب الذي هو ركن واجب لا يصح الإيمان إلا به كان الإباء والاستكبار من أعمال الكفر القلبية ،

أما عمل اللسان والجوارح فهما قسم واحد ، وارتباط كل منهما في الغالب كما في الصلاة أقوال وأفعال ، والصلاة في الحقيقة فيها كل أجزاء الإيمان لأن فيها تصديقاً باطنياً ونية لا تصح إلا بها ، إخلاصاً لله عز وجل وفيها عمل اللسان من التكبير والقراءة والتسبيح وغير ذلك من الأذكار ، وفيها قول اللسان من الشهادتين من التشهد وفيها عمل الجوارح من القيام والركوع والسجود والجلوس وأداء الركعات بطريقة محددة ، وعمل اللسان والجوارح أيضاً كما يشمل الصلاة يشمل الزكاة والصيام والحج والجهاد والبذل والعطاء في سبيل الله والنفقة في سبيل الله والصلة ، صلة الأرحام وصلة الخير والإحسان إلى الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب واليد واللسان ، طبعاً هنا بالجوارح يكون باليد واللسان ، وغير ذلك من أنواع الجوارح ،

وأعمال للسان التي تشمل الأقوال غير الإقرار بالشهادتين يعني ضمن عمل اللسان التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار ، إنما لم ندخل قول اللسان مع عمل اللسان ، لماذا لم نقل الشهادتين ضمن عمل اللسان ؟ والشهادتين عمل في الحقيقة ؟ ولما تتفكر تجد أن اللسان يتحرك وهو عمل فلماذا جعلنا له قسماً مستقلاً وقلنا عمل اللسان مع أهم شيء واحد وهو يتحرك ويقول لا إله إلا الله ويتحرك ويقول سبحان الله أليس كذلك ، فالأثنان شيء واحد ولكن لأجل اختلاف حكم النطق بالشهادتين عن حكم غيرها من العبادات ، نقول لم ندخل قول اللسان مع عمل اللسان مع إنه مثله لأن قول اللسان وهو الإقرار بالشهادتين ركن من أركان الإيمان فلو أن إنساناً لم ينطق كلمة لا إله إلا الله لم يكن مؤمناً أصلاً ، طبعاً المقصود بأن ينطق بها مع كونه كان كافراً قبل ذلك ، لكن لو ولد مسلماً ومات قبل أن ينطق ، قبل أن يجب عليه النطق أو أنه حتى وجب عليه النطق ولكنه مازال معتقداً ، بلغ مثلاً في الصباح ومات بعد أن بلغ ولم ينطق الشهادة ، قام ولادته لأبوين مسلمين مع كونه يعتقد اعتقاد الإسلام باطنياً قام ولادته مقام النطق بالشهادتين ،

ولد تم ولادته لأبوين مسلمين أو أحدهما ثبت إسلامه وبلغ في الصباح ومات في الظهر ولم ينطق الشهادة ، هذا حكمه حكم الإسلام عند الله وفي الظاهر مع أنه لم ينطق الشهادة ، لكن قامت ولادته مقام النطق مع كونه يعتقد ذلك باطنياً ولكن لم يأبى أن يقول ، ولكن أسعفته المنية ولم يأت الوقت الذي يطلب منه أن يقول فلم يقل من أجل ذلك ، المسلم لا يأبى أبداً ،

لكن نقول واحد كافر لم يقل لا إله إلا الله أبداً لم يكن مؤمناً عند الله ولا في أحكام الدنيا ، فلو أن إنساناً لم ينطق لا إله إلا الله لم يكن مؤمناً أصلاً وكان كافراً ، بخلاف من ترك مثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بخلاف من ترك الذكر ، فهذا عاص أو تارك للمستحب حسب درجة ذلك الفعل ، الذي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب يكون ترك واجب ، أو ترك قراءة الفاتحة في الصلاة يكون ترك واجباً ، وأما من ترك الذكر فقد ترك مستحباً بخلاف من ترك النطق بكلمة التوحيد وهو قادر على ذلك وكان قبل ذلك كافراً ،

نقول مع وجود خلاف في حكم تارك المباني الأربعة الصلاة والزكاة والصيام والحج كما سيأتي إن شاء الله ،

يعني في بعض النطق يختلف فيه ، عمل اللسان وأعمال الجوارح متعلقة بالأركان الأربعة فيها خلاف سائق عند أهل السنة ،

من أهل السنة من يكفر من ترك هذه المباني ولو تكاسلاً ومنهم من لا يكفره وأشهر المسائل في ترك الصلاة وستأتي تفصيلاً ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فقول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل اللسان والجوارح كل من هذه الأمور يزيد وينقص فالزيادة بقول القلب تكون بالكمية والكيفية ، زيادته بالكمية التي أنواع ما يصدق به وأنواع من يعمل به ، يزيد بالكمية بزيادة ما يعلمه الإنسان فلا شك أن علمه ومعرفته متفاوتتان تتفاوت في الشخص نفسه وتتفاوت بينه وبين غيره ،

يعني كلمة يزيد وينقص هذه بالنسبة للشخص نفسه وبالنسبة له بالنسبة لغيره ،

يعني لها فائدتان :

أها يزيد وينقص في خاصة نفسه

وأن أهل الإيمان يتفاضلون ، بعضهم أزيد إيماناً من بعض وبعضهم أنقص إيماناً من بعض ،

فهذا معنى أن الإيمان يزيد وينقص ،

فزيادته زيادة قول القلب بالكمية بزيادة ما يعمل به الإنسان ، لا شك أن علمه ومعرفته متفاوتة تتفاوت في الشخص نفسه وتتفاوت بينه وبين غيره ، وهذا معنى الزيادة والنقصان ، فالإنسان نفسه إيمانه يزيد وينقص وفيما بين الناس بعضهم أكمل إيماناً من بعض وبعضهم أقل من بعض ،

طبعاً المقصود بالناس هنا أهل الإيمان ، الزيادة والنقصان في أهل الإيمان أنفسهم لأن معدوم الإيمان لا يقال أن الإيمان عنده يتفاضل ، لكن في الكفر يتفاضل ، نعم بعضهم أكفر من بعض وبعضهم أشد كفرة { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } النحل ٨٨ { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا } التوبة ٣٧ فذاك من يكفر بأنواع من متعددة ويزداد كفرًا كما وصف الله سبحانه وتعالى مشركي قريش وكذلك وصف اليهود { قَبَّأُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ } البقر ٩٠ والعياذ بالله ،

فزيادة الكمية في قول القلب أنه كلما علم الإنسان شيئاً من الشرع لم يكن يعلمه وبالتالي لم يكن يصدق به فإذا علمه فصدق ازداد بذلك إيماناً ،

مثال :

إنسان لم يكن يعلم بعض أسماء الله تعالى أو يعلمها ولكنه لا يفهم معناها ، أو أنه أعجمي عرف اسم الله عز وجل المقيت أو الرحمن الرحيم ، لكنه لا يدري ما معنى الرحمن الرحيم وفسرت له باللغة الخاص به يفهم معناها ، هذا من جهة العلم قد ازداد إيماناً ، أو أنه عربي لكن لا يعرف ما معنى مقيت فسرت له ما معنى مقيت { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا } النساء ٨٥ ما معنى مقيتاً ؟ يعني شهيداً رقيباً ، فيعلم هذا مع أنه كان قبل ذلك مقر وحافظ سورة النساء وحافظ اسم الله عز وجل المقيت ، لكن المقيت عنده كلمة لا يدري معناها فإذا علم ازداد بذلك علماً وإيماناً ، فإذا علمها وآمن وصدق بعد أن كان جاهلاً وفهم معناها ازداد بذلك إيماناً ، هذه المعرفة من باب الإيمان والتصديق الباطن ، وإنسان لم يكن يعلم أن من أسماء الله تعالى المقيت ، سمع قول الله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا } فصدق وآمن أن من أسماء الله عز وجل المقيت وهو لا يدري معنى المقيت ، علم بذلك أن معناها الشهيد والرقيب ازداد بذلك إيماناً

كل المسلمون تقريباً يعلمون أن الله هو الصمد ، وكل المسلمين يحفظون { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ } الاخلاص ١ مثلاً ، أكثرهم لا يعلم ما معنى الصمد ، فإذا علم الإنسان ما معنى الصمد الذي يصمد إليه ويرجع إليه في الحوائج ، يصمد إليه في الحوائج وتلجأ إليه عند حاجتك ، تصمد إليه وتلجأ إليه وأنه هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، في سيادته ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعلم الذي قد كمل في علمه ، وأنه له كل صفات الكمال ، هذا معنى آخر من معاني الصمد أن له صفات الكمال التي اكتمل في كل صفات الكمال ،

طالب : الإيمان يزداد بطلب العلم ؟

الشيخ : الإيمان يزداد بطلب العلم بلا شك ،

ومن معاني الصمد أنه هو الذي لا يأكل ولا يشرب ، إذا علم ذلك ازداد معرفة وبالتالي ازداد إيماناً ،

وكذلك في باب الإيمان بالملائكة ، قد لا يعلم الإنسان أسماء الملائكة ويكون عنده إيماناً بـ لا إله إلا الله ابتداءً بما يثبت به أصل الإيمان والدين ،



ابن تيمية يقول قد لا يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه ملك ولا أنه جاء بكتاب ، بل دخل في الدين على أن محمد رسول الله ولم يعلم بعد أن جبريل هو الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا علم أن جبريل هو الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الإيمان ازداد الإيمان ، إذا علم أن هناك ملك اسمه ميكائيل ، إذا علم أن هناك ملك اسمه إسرافيل ازداد بذلك إيماناً ، إذا علم طبيعة خلق الملائكة ازداد إيماناً بأنها خلقت من النور ، إذا علم أعمالهم ازداد إيماناً ، هذا كله من باب المعرفة غير أنه يجهم بعد ذلك ، فيكون في زيادة من جهة عمل القلب ،

نقول قد يكون عنده إيمان بـ لا إله إلا الله ابتداءً بما يثبت به أصل الإيمان والدين ولا يعلم مثلاً من الملائكة الذين وردت أسمائهم في القرآن ولا يعلم أعمالهم ، ربما لا يدري ذلك ولا يعلم ما اسم الملك الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام ، وهو لا يعلم ما عمل ميكائيل مثلاً الموكل بالقطر ولا يدري ما اسم خادم النار مالك ، ولا يدري ما صفات الملائكة ولا أعمالهم التي يعملون ، فكلما ازداد معرفة ازداد إيماناً وتصديقاً ،

وكذلك في باب الإيمان بالكتب والرسول :

فمن يعلم أسماء الخمسة والعشرين رسولاً ويصدق بهم واحداً واحداً ويصدق بهم في القرآن ويعلم أن هناك رسل آخرين لم يقصصهم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن فيؤمن بهم إجمالاً يزيد إيمانه بالأنبياء عن شخص آخر لا يعلم إلا أن محمداً رسول الله ولا علم الرسل الآخرين أو يؤمن بهم إجمالاً ولا يعرف أسماءهم من وردت أسماءهم في القرآن ، فهناك تفاوت بين الناس وبين الإنسان نفسه في أحوال مختلفة ، فحالته حين لم يكن يعلم يختلف عن حاله حين يعلم ، فأصل الإيمان في باب قول القلوب هو التصديق بـ لا إله إلا الله ، أصل الدين أن يعتقد أن لا إله إلا الله ، والأشياء الأخرى كلما بلغه شيء صار واجباً عليه بل صار ركناً فيما يتعلق بالإيمان بالكتب والرسول واليوم الآخر ، كل شيء يبلغه عن الله لو كذب بما بعد أن بلغته عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم قطعاً ، بلغته قطعية بغلته بحيث لا يتردد في الناقل ، لو كذبها أو لم يصدق بها لكان كافراً ، ولكن أصل الدين يثبت بالتصديق بـ لا إله إلا الله ، أما سوى ذلك يصير شرطاً أو يصير ركناً في أصل الإيمان إذا بلغ الإنسان علمه والأصح في الاصطلاح صار ركناً ،

هذه مسألة مهمة جداً :

وهي أن أصل الإيمان في ذلك هو ما قال الله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله ، فلو أن إنسان لا يعلم أن لا إله إلا الله فهو لا يكون مؤمناً أصلاً بل يكون كافراً ، وكونه معذب أو غير معذب بعد بلوغ الحجة ، أما إذا علم أنه لا إله إلا الله ولم يعلم أن محمد رسول الله ولم يعلم أن جبريل ملك من ملائكة الله موكل بالوحي ولم يعلم أن موسى رسول من عند الله ولم يعلم أن التوراة من الكتب التي أنزلها الله ولم يعلم بأن القرآن أنزله الله ولم يبلغه ذلك بعد هذا ليس بكافر بل هو مؤمن بإيمانه بـ لا إله إلا الله ، فإذا بلغه بعد ذلك أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أو بلغه أن محمد رسول الله أبي أن يصدق وكذب أو بلغه أن جبريل ملك من الملائكة فأبى أن يصدق وكذب ، أو أن جبريل ينزل بالوحي فكذب بذلك أو بلغه القرآن فكذب به فهو كافر ، نقض بذلك لا إله إلا الله ، لكن كل ذلك لم يصبح شرطاً أو على الأقل ركناً من أركان الإيمان إلا عندما بلغ ذلك الإنسان ، ليس شرطاً ابتداءً ،

ما هو الركن ابتداءً ؟ فاعلم أنه لا إله إلا الله

لا يكون شرطاً ولا ركناً إلى بعد بلوغه للإنسان ، بخلاف شهادة لا إله إلا الله التي بعث بها كل الرسل ودعوا إليها ، إذا لم تبلغ الإنسان لم يكن مؤمناً ، إذا لم توجد في قلبه لا إله إلا الله لم يكون مؤمناً حتى إن كان غير معذب ، من بلغته وآمن بها وإن لم يبلغه شيء آخر ولا آمن بشيء آخر لأنه لا يعرف غير لا إله إلا الله فهو مؤمن ناج عند الله تعالى ، تنجيهم من النار ، هؤلاء الذين يأتي عليهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يأتي على الناس زمان لا يدري فيه صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن قوم يقولون لا إله إلا الله يقولون وجدنا آبائنا على هذه الكلمة فنحن نقولها ) يقولونها معتقدين لها ، فقال حذيفة فما تغني عنهم لا إله إلا الله ؟ قال ( تنجيهم من النار ) رواه بن ماجه وصححه الألباني الظاهر أنها تنجيهم ابتداءً لأنه لم يجد عليهم شيء منها ،

فلا يكلف الإنسان إلا بما بلغه ، هذا الأصل مهم جداً لأن البعض يشترط في حقيقة الإيمان تفاصيل معينة في كلمة التوحيد وفي الانقياد ونحو ذلك والبعض من أهل البدع يقولون لا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا علم تفاصيل هذه الكلمة وشروط الكلمة ، انتبه فهو يجعل الشروط عنده تفصيلية أيضاً ، لا أنها تكون في قلبه اليقين والحب إجمالاً بل لابد أن يعلم تفاصيلها ، يقول أهل البدع لا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا علم تفاصيل هذه الكلمة ولا تكفي المعرفة الإجمالية بها ولا بد أن يعرف أنواع الشرك ولزام كلامهم أن يدرس التوحيد من أوله إلى آخره لنحكم له بأصل الإيمان ، فحقيقة كلامهم لزوم معرفة الإنسان أنواع الشرك المختلفة . شرك النسك ، وشرك الحكم ، وشرك الولاية . على حد قولهم ، نرد عليهم قائلين ولماذا اشتراطهم الأنواع الثلاثة فقط ، بل يلزمك على كلامك اشتراط معرفة الشرك في الربوبية لأن الشرك في الربوبية أيضاً ، لو جعل مع الله خالقين يكون مشرك أم لا ؟ لو جعل مع الله رازقين ؟ لو جعل مع الله مدبرين ضارين نافعين ؟ يكون كل هذا شرك ، لو جعل مع الله عز وجل مالكين ، أو ملوكاً يأمرون وينهون ؟ لو جعل مع الله سادة يشرعون ؟ كل ذلك شرك في الربوبية ، أما لو جعل مع الله شريكاً في أسمائه وصفاته ، يعتقد سمعاً محيطاً له كسمع الله ويعتقد بصراً محيطاً كبصر الله ويعتقد علماً محيطاً كعلم الله ويعتقد قدرة تامة كقدرة الله ، لو أن واحد وصف مخلوق بواحدة فقط من هذه الأوصاف يكون مشرك ، فماذا أنت اشتراطت الثلاثة ؟

كلام عبد المجيد الشاذلي في كتاب - حد الإسلام - لماذا الثلاث أنواع من الشرك ، لماذا أهملت النوع الرابع الذي هو انداد المحبة والتعظيم ، لماذا لم تدخله ، الذي هو عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الحميص ، الذي هو يبيع دينه بعرض من الدنيا ، لماذا لم تشترط هذه الأنواع من الشرك أن الذي لا يعلمها لم يكن مسلم ، إذن أنت لابد أن تعلم الناس جميع أنواع الشرك في الأسماء والصفات وفي الربوبية وفي الإلهية وأن يقرؤا بتركها واحدةً واحدةً وهذا لا يقوله عالم قط ولا أحد لا من أهل السنة ولا من أهل البدع قديماً ، أن واحد يمتحن في كل مسائل التوحيد ، ويلزمه في الحقيقة كل مسائل الدين لأن كل مسألة من مسائل الدين لو بلغت الإنسان هذه المسألة فكذب بها وهي بلغته قطعياً ، لو أن واحد بلغه قول الله عز وجل { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ } النساء ١١ إذن أن واحد بلغه عن الله عز وجل في الموارث أن الأم ترث السدس عند وجود إخوة للميت ووجود أب فكذب بذلك يكون ماذا ؟ يكون كافر ، فلماذا لم تشترط أن يوقف على كل آية آية ، ستحتج بأن هذا واجب ؟ يقول أفراد الله بالنسك واجب ، نقول وتصديق هذه الآية واجب ، ستقول أن الذي يقع في نسك يكون مشرك ، نقول له من كذب بهذه الآية فهو مشرك ،

ماذا جنا عليه هذا التقسيم المخترع ، نحن لا ننكر أن يكون في أقسام لكن لا تجعل لبعضها حكماً مستقلاً وتقول فيه أنه لا يكفي فيه الإجمال ولا بد فيه من التقسيم ، لا تقول هذا الحد بالدين بدون هذا الحد لا يكون هناك دين لا يكون هناك إسلام لا يكون هناك إيمان ، لابد من أن تقر بكفاية الإجمال وتشترط التفصيل فيما بلغه التفصيل وإلا لزمك في كل مسألة أو آية آية يقف عندها ويقرر إن لم يقر كان كافراً ، يلزمك أن تقره بالقرآن آية آية لأنه لو بلغته آية وكذب بها صار كافراً ، أنت ستحتج على إن هذه هي أركان الحج من أين ؟ من أدلة وجوبها ، نقل تصديق القرآن آية آية واجب ، تحتج أن هناك أدلة ذكرت أن هذا شرك ، وأنا أحتج بأن الذي يكذب آية من القرآن يكون مشركاً

فلماذا لم نشترط معرفة هذه الأنواع في أصل الإيمان ؟

نقول في الرد على من يزعم اشتراط أركان محددة وتفصيل محددة ، نقول لماذا لم تشترط ذلك ضمن أصول الإيمان في تفاصيل أخرى والمراد بها أصلاً ما لا يثبت الإيمان إلا به ، وأن من لم يعرفها فهو كافر جاهل ، يقول أن من لم يعرف الثلاثة . النسك والولاية والحكم . يكون كافر جاهل

طبعاً هذا كلام باطل ، الذي لا يعرفها ولا يعلمها طالما أنه أقر جملة بأنه لا إله إلا الله لأن الله قال { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } محمد ١٩ لو علم أنه لا إله إلا الله وقال لا إله إلا الله ثبت له أصل الدين ، وأصل الدين في كلمة لا إله إلا الله ،

يقول لا يعلمون معناها ،

نقول هل لا يعرفون معناها إجمالاً أم تفصيلاً ؟

لو أنه لا يعلم معناها إجمالاً يعني إنجليزي أتوا له بحروف ورتبوها بالإنجليزي lalah وقالوا لا إله إلا الله بالإنجليزي وقالوا له إنطق فنطق ولم يعلم معناها نهائياً لم يدخل في الدين ،

لكن لو قالوا معنى كلمة إله بالإنجليزي الذي تصرف له العبادة وأقر بأنه لا إله إلا الله ثبت إسلامه وثبت إيمانه عند الله عز وجل في الظاهر والباطن ، الحق في ذلك كما قلنا أن الأصل في الإيمان أن يعلم لا إله إلا الله ثم يزداد ذلك فيما بعد فيما يبلغه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من العقائد الواجبة وتفصيل الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، بحيث يصبح ما بلغه من ذلك شرطاً في أصل الإيمان أو على الأقل ركن من أركانه لو أنه كذب به لكفر وهذا هو الوجه الأول من وجوه الزيادة وهو الزيادة بالكمية ،

الزيادة بالكيفية نشرحها المرة القادمة ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٧٥- تابع المسألة الثانية

تكلما في المرة السابقة عن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وقلنا أن الإيمان يزيد وينقص في قول القلب واعتقاده بالكمية والكيفية ،

تكلما عن الزيادة بالكمية بمعنى زيادة ما يعلمه الإنسان من تفاصيل الإيمان بالله عز وجل بأسمائه وصفاته وحقوقه على عبادته والإيمان بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره فتفاصيل ذلك كلما تعلمها الإنسان كلما ازداد بها إيماناً هذا اعتقاده فيما يوافق الحق .

أما الزيادة بالكيفية نقول فزيادة اليقين التي تكون بتظاهر الأدلة ، تظاهرها يعني اجتماع الأدلة وزيادة ظهورها ،

قال الله تعالى لإبراهيم { أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي } البقرة ٢٦٠ إذن ثبت حصول الإيمان قبل أن يرى إحياء الله للموتى ، لما رأى ازداد إيماناً و يقيناً زيادة اليقين تعني نوعية التصديق بنفسها ، نوعية التصديق مختلفة ومتفاوتة في كل أصل من أصول الإيمان الستة ،

هناك درجات :

قد يزول التصديق بالكلية وهذا الكفر والعياذ بالله ، زوال التصديق إما بشك أو تكذيب بمعنى ألا يعتقد في أي أصل من الأصول في وحدانية الله عز وجل أو في وجود الملائكة أو في جبريل عليه السلام مثلاً وينكر وجوده ، أو في رسول من الرسل أو في كتاب من الكتب ، مثل لو أنكر وكذب رسول من رسل الله وكذب موسى أو كذب عيسى أو محمداً صلى الله عليه وسلم ، أو شك في نبوة أحد منهم وكذلك في كل مسائل الإيمان كلها ،

زوال التصديق هو الكفر والعياذ بالله ، إما كما ذكرنا بشك ، الأمر عنده محتمل ،

والأمر الثاني التكذيب وهو أشد من الشك ، أعتقد خلاف الحق في نفسه ، قول القلب في هذا أن يقول خلاف الحق ويعتقد خلاف ما جاء به الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أي مسألة من المسائل ، أو يشك والشك هنا هو الشك المستوي الطرفين ، فصاحبه لا يدري أحقاً لا إله إلا الله أم يعبد غيره معه ، فلذلك قلنا أن من يصحح ملة غير ملة الإسلام ويعلم أن غير المسلمين يعبدون غير الله ويصحح ذلك أقل أحواله أن يكون شاكاً في أنه لا إله إلا الله ، لأنه يقول عمن يعبد المسيح على أنه إله هذا على حق ، فكيف أن تقول لا إله إلا الله ، أقل أحواله أنه يكون شاكاً لأنه يصحح عبادة غير الله ، وكذا من عنده احتمال أن محمد رسول الله واحتمال أن يكون رجلاً كاذباً ، لذلك قلنا من يصحح ملة أو يصبو رأي من يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول نحن وهم سواء ، والكل من أهل الإيمان وهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بل يطعنون فيه ، تراهم يكذبونه وأنت تشهد أنه رسول الله وتقول كلانا سواء وكلانا على حق ، إذن أقل أحواله أن يكون شاكاً والعياذ بالله هذا ليس مصداقاً أنه رسول الله لأنه يصحح خلاف ذلك ، يجوز أن يكون رسول الله ويجوز أن يكون خلاف ذلك ، فهذا ناقض لشهادته ، ولذلك نقول أن هذا الأمر لا يتصور فيه الجهل لأنه متعلق بأصل لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يعني لو لم تبلغه لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يكن مسلماً ، لكنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويبقى أنه لو ظن أنهم يعبدون الله وحده ولا يعبدون غيره لكن لو علم أنهم يعبدون المسيح ولو علم أنهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ويطعنون فيه ثم يصحح مذهبهم ويراهم على طريق الحق مثله كان كفاراً والعياذ بالله ،

هذا أيضاً إذا قال نعم إنه رسول الله ولكن يظن أنهم يقولون بنبوته خصوصاً بالعرب فهذا محتمل أنه يحتاج إلى بيان ويحتاج إلى تعلم وتلقى عليه الآية { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الاعراف ١٥٨ ويبين له قول النبي صلى الله عليه وسلم ( وبعثت إلى الناس كافة ) رواه البخاري فإذا صحح مذهبهم وملتهم بعد ذلك كان كافراً ،

فالشك الذي هو استواء الطرفين عنده احتمال أن يكون لا إله إلا الله واحتمال أن يكون معه آلهة أخرى واحتمال أن يكون محمد رسول الله واحتمال أن يكون رجلاً كاذباً وهو يشك في ذلك وليس عنده يقين في أحد القولين ولا يدري هل القرآن حق أم أنه كتاب مختلق ولا يدري هل يبعث الناس يوم القيامة أم ليس هناك قيامة ولا بعث ولا نشور ونحو ذلك في كل مسائل الاعتقاد كما ذكرنا ،

هذا الإنسان زال من قلبه التصديق بسبب ذلك الشك ، قال الله تعالى عن المنافقين { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } البقرة ١٠ قال ابن عباس في قوله { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } قال شك ، وهؤلاء المنافقون أناس نطقوا بالشهادتين وصلوا وصاموا ولكنهم منافقون لأنهم في ريب ، كما قال تعالى { فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ } التوبة ٤٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه ( اذهب بنعلي هاتين فمن لاقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه فبشره بالجنة ) رواه مسلم فلكني ينحوا العبد يوم القيامة لابد أن يكون مستيقناً ولكي يكون مؤمناً عند الله وعنده حقيقة إيمان لابد أن يكون عنده يقين ولا يجوز أن يكون عنده شك بل الشك والريب يزيل الإيمان وأقطع من الشك والريب التكذيب الذي هو ضد الإيمان ،

نضرب مثال :

نقول لو أن واحد يريد أن يبني بناء على أرض ، وهذه الأرض أول ما يرتفع فوقها بناء يكون هذا بداية التصديق ، أصل التصديق لكن لو هدم ولم يكن هناك شيء على الأرض يكون هذا هو الشك ، مستوى لا فوق الأرض ولا تحتها ، واحد آخر عنده حفر ولا بد لأن يبني أن يردم أولاً ، هذا المكذب الذي عنده سلب وعنده ناحية عكسية عكس التصديق ، الشك هو استواء الطرفين أما التكذيب أن يعتقد في باطنه خلاف الحق ، والذي عنده شك ليس عنده أصل الإيمان

لو شبهنا الإيمان بالبناء فالذي عنده شك أرضه مستوية لا شك فوقها من البناء ولا شيء نازل عنها ، أما المكذب فمثله كمثل حفرة تحت الأرض كالذي يعتقد أن الله ثالث ثلاثة أو يعتقد أن المسيح إله ، فهذا لا يشك هل الله واحد أو ثلاثة ، ولا يشك هل المسيح رسول أم إله بل هو معتقد بالكفر بخلاف الذي يشك وكذلك الذي يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مكذب بخلاف الذي يشك هل هو رسول أم لا ولكن لا يكذبه ، الذي عنده تكذيب أفضح من صاحب الشك وكلا الأمرين ينتفي منهما أصل الإيمان ،

وكل هذا التفصيل إنما قصدنا منه بيان أن نوعية التصديق نفسها تختلف ، يعني هناك فرق بين التصديق وبين الشك ثم بعد ذلك أول التصديق ،

أول درجات التصديق :

التصديق الباطن الذي هو قول القلب : زوال الشك وبالتالي زوال التكذيب بالأولى فبداية الإيمان هي لا إله إلا الله ، وذلك إن لم تبلغه الأدلة القطعية بنبو محمد صلى الله عليه وسلم ،

المنافقون بعضهم عنده شك وبعضهم عنده تكذيب وهم أشد درجات المنافقين ، كما قال عز وجل { إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } المنافقون ١ لكاذبون في قولهم نشهد فهم لا يوقنون بذلك ، لأن الشهادة أصلاً تعبير عن قول القلب وتصديقه ، فهم بين مكذب للرسول صلى الله عليه وسلم وبين شاكك وبين مبغض كذلك ، لأننا نتكلم عن المنافقين في هذا الجانب ، أن بعض المنافقين كما ذكرنا حصل عنده اعتقاد ضروري بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه يبغضه فالمنافقون بين مراتب وشاك ومكذب ومبغض للرسول صلى الله عليه وسلم ولدين الإسلام ، والكفار منهم مكذبون ومنهم شاكون ومنهم من لا يكذب في الحقيقة إنما هم عندهم استكبار فزال عمل القلب من قلوبهم ، والمنافقون كما ذكرنا كذلك بعضه مستكبر أن يتبع رجلاً من قريش أو مستكبر أن يتبع رجلاً وقد أوشك أهله أن يضعوا على رأسه التاج ، عبد الله ابن أبي ابن سلول شرك ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أوشك أهل المحلة أهل المدينة أن يتوجوه بالعصاة ويجعلوه ملكاً على المدينة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فتركوا ذلك ، فشرك فأبغض النبي صلى الله عليه وسلم ،

الكفار قد ينضموا إلى استكبار القلب وزوال العمل أو حصول التكذيب بالقلب والتكذيب باللسان ، فهم يكذبون بلسانهم وإن كان بعضهم يعلمون أنهم كاذبون فيما يقولون ، كما قال تعالى عن مشرك قريش { فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الانعام ٣٣ ، إذن في حقيقة بواطنهم يعلمون أنه رسول ولكنه يجحدون وينفون ، والجحود والنفي كان بلسانهم بخلاف ما في صدورهم ، بعض علماء اليهود كانوا يصرحون للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، قالوا نشهد أنك نبي ومع ذلك ظلوا على كفرهم ، لأن عندهم عدم الانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبغض ما جاء به النبي صل الله عليه وسلم أي زوال عمل القلب ،

المنافقون كانوا نوعين ، كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بلسانهم لكن عندهم عنده شك أو تكذيب هذا نوع زوال قول القلب بشك أو تكذيب ، وبعضهم عنده كراهية لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وكراهية للدين وكراهية له صلى الله عليه وسلم مع علمه بأنه رسول الله وتصديقه في باطنه بذلك كفرعون كان ، لكن فرعون طبعاً لم يتكلم لكن الكفر الموجود في قلبه من هذا الباب ، كفر العلو والاستكبار ،

نقول أن أول درجات الإيمان هي تصديق القلب وهي زوال الشك أي لا يكون عنده شك في لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، هل يجوز أن يكون عنده أصل الإيمان بـ لا إله إلا الله فقط ويكون مؤمن وغير ممتحن ؟ نعم إذا لم يبلغه محمد رسول الله ولم يبلغه خير الرسول صلى الله عليه وسلم وكان موحداً ، هذه أولى درجات الإيمان ، ولكن قد يكون هناك من لا يشك الآن ي ذلك لكن لو أحد شككه وفتنه فإنه يشك ويفتن ، الذي هو حقق أصل التصديق وليس عنده كمال التصديق الواجب ، ليس عنده التصديق الواجب ، نقول إما عنده ضد تصديق أو ليس عنده تصديق ولا تكذيب أو عنده أصل التصديق لكنه ناقص عن القدر الواجب أو عنده التصديق الواجب أو عنده التصديق المستحب الذي هو أعلى من ذلك . الصديقية . فبالنسبة إلى التصديق الواجب لابد أن يكون بحيث لو شككه أحد لما شك ، لو فتن لم يفتن ، قال الله عز وجل { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ } العنكبوت ١٠ فإذا أُوذِيَ . أفتن . يشك إذا حصلت له فتنة إذا ابتلي بتسليط غيره عليه ونسأل الله أن يثبت قلوبنا عليه ، وقال الله عز وجل { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (١١) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ } (١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ } الحج ١١ كان بعض الأعراب يدخل في هذا الدين فإن وجدت امرأته ذكوراً وأنتجت إبله وأمطرت السماء في تلك السنة قال هذا دين خير ويظل مسلماً ، وإن أنجبت امرأته الإناث ولم تنتج إبله وأمست السماء يعني أمسلك الله المطر قال هذا دين سوء ويتشاءم به وينقلب ، هذا الرجل حاله بعد أن ينقلب معروفاً أن خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى { يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ } الحج ١٢ أما حاله قبل أن يفتن وينقلب أنه كان عنده أصل الإيمان لأن الله أثبت أنه كان يعبد الله على حرف يعبد الله إذن كان عنده عبادة الله فإيمانه ناقص وتصديقه ناقص ليس شكاً ولا تكذيباً بخلاف الذي ليس عنده أصل الإيمان ولم يدخل في الدين بعد ، فالذي يعبد الله على حرف لو لم يكن لديه أصل الإيمان لما قال الله عز وجل { انْقَلَبَ } انقلب معناها تحول ورجع ورجع معناها أنه كان على شيء فكان على عقيدة ولكن كان إيماناً ضعيفاً كان مثل مسلمة الأعراف الذين قال الله تعالى فيهم { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا فَلَنْ نَدْعُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } الحجرات ١٤ وهم على الصحيح من أقوال العلماء كان عندهم إيمان ضعيف لو شككوا لشكوا ، لو لم يشككوا لظلوا على إيمانهم الضعيف ، حققوا قدراً ناقصاً عن القدر الواجب ليسوا كالشاكين ابتداءً ،

مسلمة الأعراب : العلماء فيهم على قولين ، { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } قول يقول هم منافقون ومعنى أسلمنا قولوا أسلمنا أي استسلمنا فوق السيف وليس عندهم أصل الإيمان ، { وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } الحجرات ١٤ معناها نهائياً لم يدخل ليس الإيمان والواجب بل أصله ، مع أن الله قال { وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِفَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا } إذن نرجح القول الثاني وهو أن مسلمة الأعراب معهم إيمان ضعيف ،

والذي يفسر الآية على أنهم منافقون يقول { وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } بالإيمان بأن تؤمنوا الآن لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، لكن ظاهر الآية أنهم لهم أعمال ، فلو أنهم أطاعوا الله ورسوله لم ينقصهم من أعمالهم شيئاً ، ولذلك نرجح كما رجع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله التفسير الثاني وهو أن مسلمة الأعراب قوم معهم أصل الدين لكن ليس معهم اليقين الواجب والتصديق الواجب لو شككوا لشكوا ولو افتتنوا فتنوا ، لو أنهم أنتهم مصيبة انصرفوا عن هذا الدين { يَتَّبِعُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ } فقوله { انْقَلَبَ } دليل على أنه قبل الفتنة كان عنده أصل الإيمان لكن إيمانه هذا ليس هو الإيمان الواجب والقدر الواجب من الإيمان هو الذي يدخل صاحبه الجنة لأول وهلة ، ما معنى لأول وهلة ؟ يعني دون أن يعذب في النار ، ممكن يحبس في عرصات القيامة ويمر على الصراط قطعاً ، ولكن لا يعذب في النار فلو مات هذا الذي ليس عنده الإيمان الواجب وعنده أصل التصديق وليس التصديق الواجب لو مات على تلك الحال قبل أن ينقلب ويفتن لمات وعنده أصل الدين فلا يخلد في النار ولكن لا يلزم أن يدخل الجنة لأول وهلة بل يمكن أن يعذب في النار لكن لا يخلد فيها ، نشبه ذلك أيضاً بمسألة البناء بشخص إيمانه ضعيف أقل من القدر الواجب مثل مثلاً الجدار حديث البناء لم تحف مواد وتصلح فلو دفعه أحد أو اتكأ عليه لخر ، لو أنك دفعت بناء حديث البناء لوقع ، فلو دفعت عمود من عواميد المسجد ؟ لا يقع ، بل لا أحد يفكر أصلاً في دفعها ، الذي يدفع بناء حديث صلب لكن ينزع صحبه يكون عنده وسوسة وهي الدرجة التالية ، نقول هذا الشخص لو شككه أحد لشك ، لو أحد دفعه بناء لوقع ، لو فتنه لافتتن ، قال الله تعالى في بعض المنافقين { وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا } الأحزاب ١٤ أي من نواحيها { ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ } أي الشرك { لَأَتَوْهَا } لأعطوها وعلى القراءة الآخرة { أَتَوْهَا } يعني لأتوا الشرك { وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا } الأحزاب ١٤ وما توقفوا عن إعطائها وإعطاء الفتنة والشرك { إِلَّا يَسِيرًا } هؤلاء لم يكونوا كفاراً في الأصل وإلا لفرحوا عند دخول المشركين المدينة وإنما هم يترددون يسيراً ثم يشركون لو دخلت عليهم المدينة ، كلمة { ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا } الأحزاب ١٤ دليل على أنهم لا يريدون الكفر ، إذن هم ليسوا كفار لكن لما يطلب منهم قالوا ماذا نفعل الكافر غلبوا ، هذا دليل على أنهم كفار في الأصل ، لو كانوا كفاراً في الأصل لفرحوا بقدوم الكفار وما توقفوا بل يبادرون ، لكن وصفهم الله بأنهم لو سئلوا الفتنة لأتوا الفتنة أي الشرك وما توقفوا عن إعطائها إلا يسيراً فهذا دليل على أنهم سيتوقفون توقفاً يسيراً عن إعطاء الفتنة ويقول الباطل دليل على أنهم كان عندهم أصل الإيمان ، يأتيه فتنة فيرجع عن الإيمان ولذلك قلنا أن أولى درجات الإيمان هي زوال الشك ، كثير من الناس يكون إيمانهم أنه زال شكه لكن لو شكك لشك ، يأتيه فتنة فيرجع عن الإيمان فنقول إن أولى درجات الإيمان هي زوال الشك لكن لا يشترط في أصل الإيمان هذا أن يكون ثابتاً عند الفتن بحصول أصله ، ما هو الشرط الذي فيه الثبات ؟ الإيمان الواجب ، الإيمان الواجب لو شكك لما شك ، لو أذاه شيطان يوسوس له قال وسوسة أعوذ بالله منها ، لو طلب منه أن يكفر لما كفر إلا مكراً وقلبه مطمئن بالإيمان ، لكن في أناس عند الإكراه قلبه يتزلزل ، إذن الله اشترط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان مثل الرجل الذي دخل النار في ذبابة ، الظاهر أن قلبه لم يكن مطمئناً بالإيمان حين طلب منه أن يقدم أو يقرب ذبابة ، وكلمة قرب دليل أن قلبه غير مطمئن ، لو كان قلبه غير مطمئناً بالإيمان لما ضره الكفر الذي عند الإكراه ، ويحتمل أنه لم يكره بل مجرد أنهم ما طلبوا فقط لم يتوقف إلا يسيراً ثم قدم ، يمكن أن يكون الرجل الذي قرب ذباب مثل حال من وصف الله { وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا } الأحزاب ١٤

من بعد ذلك ؟ هناك من جف بناؤه وجفت مواده وتماسكت فإذا دفعوا البناء لم يخر ولم يتزلزل ، هذا الذي حقق القدر الواجب من الإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة لأول وهلة ، إذا فتن لم يفتتن ، إذا جاءته مصيبة في ماله صبر ، إذا جاءته مصيبة في بدنه ومرض لا يقول هذا الدين يبدو أنه خطأ نعوذ بالله ، هو إذا فتن لم يفتن وإذا شكك لم يشك ، لكن الشيطان لم ييأس منه ومازال يوسوس له وسوسة الصبر فيأتي الشيطان فيوسوس له في الوجدانية وفي النبوة وفي القرآن وفي أشياء كثيرة وهو يكره ذلك ويضيق به ذرعاً وليس عنده شك وإلا لما ضاق بالوسوسة ولا ما كره الوسوسة ، كونه يطارد الشيطان ويقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويسأل أهل العلم ليزيلوا عنه وسوسه التي يضيق بها هذا دليل على أنه لا يشك ،

البعض يجهل الفرق بين الشك والوسوسة ، لذلك ابن عباس لما جاءه رجل وقال أشيء من شك ، فرق بين الشك وبين الوسوسة قال هي شيء من شك تشبه الشك من وجهة أنه يأتيه ما يحاول أن يشككه لكنه يكره ذلك ، وهذا اختلاف خطير يقع به البعض بحالة مرضية أو بوسوسة من الوسواس الخناس الذي يكون عند كل الناس ، كل إنسان يكون عنده وسواس خناس يخنس إذا ذكر الله ويوسوس إذا ترك الذكر وهناك من عنده مرض مثل الوسواس القهري كما يسمونه أو قل الوسواس المتكرر وهو إنسان عنده إيمان يكره ذلك ويبحث عن العلاج ومثل هذا لا يضره ذلك ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة عندما شكوا إليه وقالوا إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أو قد وجدتموه ؟ ) قالوا نعم قال ( ذاك صريح الإيمان ) رواه مسلم ،

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي تأتيه الوسوسة فيردها فهو مؤمن كامل الإيمان الواجب ، لأن الرسول قال ( ذاك صريح الإيمان ) ب . ال . فهو المطلق ، الإيمان المطلق هو الإيمان الواجب الكامل ، ذاك الذي في قلبكم وإن وجدت الوسوسة معه هو صريح الإيمان ، إذن الوسوسة لا تنافي الإيمان الواجب ،

ما الذي ينافي الإيمان الواجب ؟

الذي لو شكك لشك ، الذي لو فتن افتتن ، قد الإيمان عنده ليس راسخاً ، أما الذي يوسوس له الشيطان وهو يكره الوسوسة ويتعاضم أن يتكلم به فهو مؤمن قد حقق الإيمان الواجب ،

بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي تأتيه الوسوسة ويضدها مؤمن كامل الإيمان الواجب ، قلنا إن عنده القدر الواجب ولكن الشيطان مازال يوسوس له وعنده أمل أن يهدم جداره الذي صلب وتماسك وهو يدفع فيه لكن هو لا يهدم ، المؤمن مادام يقاوم فهو كامل الإيمان القدر الواجب ،

نحن نقول ذلك من أين ؟

من قول النبي صلى الله عليه وسلم ( ذاك صريح الإيمان ) الإيمان الصريح ،

لكن هناك الأعلى منه :

وهو الذي لا تأتيه الوسوسة مطلقاً ، مثل ما قلنا هذا الذي عنده المستحب هذا مقام الصديقية ، الذي لا يأتيه وسواس في أمر من الأمور ، ودرجة إيمانه المستحبة أعلى ودرجات تصديقه أعلى وهي التي سألها إبراهيم عليه السلام ،

إبراهيم قبل أن يرى إحياء الموتى كان مؤمناً كامل الإيمان سأل أن يعاين بنفسه لأنه ليس المخبر كالمعاين فأراد أن يصل إلى المعاينة في الدنيا في أمر إحياء الموتى ، وقد كان قبل ذلك مؤمناً ومصداقاً وليس عنده شك قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( نحن أحق بالشك من إبراهيم فكمما توقنون أني لا أشك فأيقنوا أن إبراهيم لم يشك ) متفق عليه كلمة نحن أحق بالشك من إبراهيم ليس معناه أنه يشك ونحن نشك أيضاً بل معناه أنه نحن لم نشك وأنتم على يقين من ذلك فإبراهيم أيضاً لم يشك ، لكن كان يريد أن يرى بعينه لأن عين اليقين أكمل من علم اليقين بغير الوسوسة ، يعني ممكن الوسوسة والإيمان موجود وفي علم اليقين ليس فيه وسوسة وفيه أعلى منه وهو المعاينة أن يرى بعينه ولذلك قال الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } النجم ١٨ وقال { أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى } النجم ١٢ إبراهيم طلب الرؤيا في مسألة واحدة وهي مسألة إحياء الموتى أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم رؤية بالبصر لأشياء كثيرة أعلى من ذلك في المعراج فقال { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } النجم ١٧ وقال { أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى } النجم ١٢ { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } النجم ١٨ ورأى الملائكة في البيت المعمور في السماء ، رأى بعينه صلى الله عليه وسلم ورأى نور الحجاب ، حجاب الرب عز وجل وقيل له هل رأيت ربك قال ( رأيت نوراً ) وقال ( نور أنى أراه ) رواه مسلم فأراه الله عز وجل من الأشياء مالا يحتمل معه ورأى معاينة وحصل له عين اليقين بغير طلب منه عليه الصلاة والسلام وهذا أعلى ما حصل للإنسان ،

إبراهيم عليه السلام كان يريد أن يرى بعينه لأن عين اليقين أكمل من علم اليقين بغير الوسوسة فكان يريد أن يعينه ليطمئن قلبه قال تعالى { أَوْمَرُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي } البقرة ٢٦٠ أي في قضية إحياء الموتى ،

ونبي الله موسى عليه السلام رجع إلى قومه غضبان أسفا وكان يعلم بإخبار الله له أن قومه قد فتنوا وأنهم عبدوا العجل ربنا قال ي { قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } طه ٨٥ وهو راجع وحامل الألواح وهو غضبان وأسف لأنه حزين ويعلم أنه ذاهب لهم وهو يعلم أنهم أشركوا لكن لما رآهم على عبادة العجل ماذا فعل { وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ } الاعراف ١٥٠ فهذا دليل على أنه ليس المخبر كالمعاين وربنا الذي أخبره بذلك ، لكن لما رآهم بعينه لم يملك إلا أن يلقي الألواح ويجر أخاه إليه ، ولم يلقي الألواح إهانة لها نعوذ بالله وهذا مستحيل لكنه ليتفرغ بإمسك أخيه وجره لكي يظهر ما في نفسه من الغضب على ما وقع وقد ظن بأخيه التقصير ولم يكن أخوه قد قصر فاستغفر موسى له ولأخيه فكان يعلم بإخبار الله له أن قومه قد فتنوا وأنهم عبدوا العجل وقد رجع إليهم حزناً غاضباً وهو ليس عنده وسوسة في خبر الله تعالى بل عنده يقين من حيث نوعية التصديق لكن عندما رآهم بعينه يعبدون العجل ألقى الألواح مع أنهم كان عائدات حاملاً للألواح عارفاً بنفسه ماذا يفعلون لكن لما رآهم ألقى الألواح وازداد غضباً مع أنه كان مؤمناً بخبر الله لكن نوعية التصديق تختلف ،

مثل آخر في الأمور المحسوسة :

إذا أخبر الناس أن في المكان الفلاني حريف وصدقه على ذلك ثم أتى آخر فقال ليس هو حريقاً إنما هو بعض الدخان فبعض الناس قد يتزحج التصديق عنده ويقول ممكن أن يكون خطأ هذا الثقة ، ولكن هم يصدقون الثقة الذي أخبرهم بالحريق وبالتأكيد أن هناك فرق بين الاثنين ، واحد تزحج تصديقه والثاني لم يتزحج فإذا أخبر من الثقات اثنان أو ثلاثة أو عشرة لم يكن من الممكن أن يتزحج اليقين حتى لو قال مائة ثقة ثم رآه بعينه هذا أكمل تصديقاً وهذه هي المعاينة ،



يعني لو واحد أتى وقال هناك حريق فصدق وأتى آخر وقال بل هو ليس حريق هو شيء من الاحتمال لكن الثقة عنده أوثق من الرجل الذي قال له لا حريق هناك ، فحاول الثاني أن يشككه لكنه لم يشك وبعد ذلك أتاه اثنان وثلاثة وأربعة أنه هناك حريق فعلاً يكون متأكد وبعد ذلك ذهب ورأى الحريق بنفسه ، فهذه درجات في زيادة التصديق ،

قال الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم { أَفْتُمَاؤُنَّ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ } النجم ١٢ فالرسول رأى بعينه ، قال تعالى { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ } النجم ١٧ رأى جبريل ورأى سدره المنتهى ورأى الجنة والنار ورأى نور الحجاب رأى كل ذلك بعينه وهو أكمل درجات الإيمان والتصديق ،

مثال في قضية نوعية التصديق بين الصديق وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهم في مسألة فرعية وهي مسألة صحة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وقبول هذه الشروط :

قال عمر رضي الله عنه ما شككت إلا يومئذ ، هو ليس شكاً بمعنى تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لكنه وقع له وسوسة في خطأ النبي صلى الله عليه وسلم في اجتهاده في قبول هذه الشروط وكان الصديق رضي الله عنه ليس عنده وسوسة في هذا الباب فقال عمر لم يشك إلا يوم الحديبية يعني لم يشك في حياته قط من يوم إسلامه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخطأ إلا يومئذ وهو بالقطع لم يشك في رسالته وهو موثق بذلك لأنه لما قبل أليس رسول الله قال بلى وقال أبو بكر فالزم غزوه فإنه على الحق ، فعمر رضي الله عنه كان عنده يقين بأن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله لكن شك في صحة اجتهاده في خطاه ، وهذا الشك كما ذكرنا يسمى وسوسة ، يسمى شكاً باعتبار مشابته للشك فهو موثق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم دائماً وإنما الشك جاءه باحتمال أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخطأ في هذه المسألة في قبول الصلح على تلك الشروط وكانت هذه وسوسة من الشيطان فعلاً لكن كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتلغم ولم تأتبه وسوسة في أن الرسول قد يكون قد أخطأ في ذلك ولم يوسوس له الشيطان من يوم أن آمن لذلك درجة الصديقين أعلى مقاماً من درجة عامة المؤمنين الذي قد تأتت لهم الوسواس ويدونها فمقال الصديقين مقام لا تأتبه وسوسة أصلاً سواء في أصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره أو في فروته ، وكم من المؤمنين تأتبه وسواس في القدر وتنازعه نفسه وتجعله يتردد وآخر تأتبه الوسواس فيما دون ذلك من الوسائل العملية التي يوسوس له الشيطان فيها ،

وعمر رضي الله عنه عنده صديقية في مقامات آخر لكن نحن نقارن الآن بين صديقية عمر وصديقية أبي بكر ، أن صديقية عمر في يوم الحديبية نقصت والصديق صديق لأنه الصديق الأكبر ولم يشك قط ولم يوسوس له الشيطان قط ،

كما قلنا في مقام البناء ، لا تجد رجل أتى على عمارة متينة ويهدمها بيده لو حاول أن يهدمها بيده قلنا عليه مجنون أو مدينة كاملة يقول مثلاً أنا أريد أن أهدم إسكندرية مثلاً نقول عليه مجنون ، فالشيطان لا يعبأ بأن يهدم بناء قد ترسخ بلا شك فلا يوجد وسوسة ، لا في التفاصيل ولا في الأصل ، فالوسوسة لا تنافي الإيمان الواجب ، لأن بعض الناس يتألم ألماً شديداً بسبب هذه المسألة ويظن أنه قد ضاع إيمانه ويظن أنه قد كفر ويظن أنه قد شك وهو في الحقيقة إنما هي وسوسة لا تضره كلما ظل مطارداً للوسوسة كان ثواباً يثاب عليه ويؤجر على ذلك ولذلك قال ( الله الذي رد كيده إلى الوسوسة ) أو ( الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة ) فإذا قال هذه وسوسة شيطان كان ذلك علامة على إيمانه يمكن أن يصل بإذن الله إلى مرتبة الصديقية في كل المسائل أو في بعضها ودرجات الصديقية كما قلنا متفاوتة أيضاً لأن صديقية عمر كانت أقل من صديقية أبي بكر في كل المسائل ودرجة الصديق أيضاً ،

كما قلنا أن واحد عنده عمارة والثاني عنده مدينة ، الإيمان ممكن أن يكون مثل المدينة المتكاملة وقد يكون مثل العمارة العالية البناء العالي ،

من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ووجد من ينازعه ويؤذيه له أجر خمسين من الصحابة رضي الله عنهم ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا ليس في كل الأعمال لأن الذين شهدوا النبي صلى الله عليه وسلم أكمل إيماناً في هذه الجزئية من غيرهم فإن كان إيمان غيرهم بالغيب إيماناً عظيماً لكن فطرة الله التي فطر الناس عليها أن عين اليقين أكمل من علم اليقين ولذلك ألد نعيم عند أهل الجنة أن يروا ربه عز وجل بأعينهم ،

الغرض المقصود أن الإيمان بالغيب بالرسول صلى الله عليه وسلم والمعاينة ، الصحابة أكمل إيماناً في أخص عاينوا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان بعضهم سيؤجر أجراً على بعض الأعمال مضاعفة خمسين ضعفاً لكن لا يلزم من ذلك أن إيمانه كإيمان الصحابة في كثير من الأمور ولا يلزم أن كل الصحابة كانوا في درجة واحدة فكل هذه تفاوت في درجات التصديق ،

نقول إن زيادة قول القلب بالكمية والكيفية أن معناها في كيفية التصديق وكميته ، يصدق مسألة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع فيزيد معرفة وبذلك نقول قول القلب يزيد وينقص ،

مسألة زيادة التصديق بالكيفية فيها خلاف عند المتأخرين وعامة أهل السنة يثبتون الزيادة في الكيفية كذلك ، كما ذكر الإمام النووي رحمه الله هذه المسألة ،

بعض العلماء يقول لو نقص التصديق لصار شكاً وهذا الكلام باطل في الحقيقة ، ليس كل نقص في التصديق يكون شكاً بل نقص يكون وسوسة ونقص يكون واجب ونقص عن الصديقية وهذا أعلى ، أما قول اللسان فيتصور فيه الزيادة والنقصان أيضاً فالزيادة قول اللسان في شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بلغه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم طالما قلنا أن أصل الإيمان هي لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله بقلبه ولسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولو لم يبلغه خبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو غير مشرك ، يعن مثلاً لو من أتاه خبر موسى صلى الله عليه وسلم فصدق بموسى ونطق بأن موسى رسول الله ولم يعلم بخبر عيسى عليه السلام أنه رسول الله فلم ينطق بذلك كما أنه لم يصدق فالذي صدق عيسى صلى الله عليه وسلم على أنه رسول الله ونطق بذلك أكمل ممن لم ينطق بلسانه أن عيسى رسول الله والآخر مؤمن لأنه لم يبلغه خبره وكذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، من صدق ونطق بلسانه أن محمد رسول الله أكمل إيماناً ممن قال لا إله إلا الله ولم يقل أن محمد رسول الله لأنه لم يبلغه خبره ولذلك أمة الإسلام أكمل أمة في هذا الباب لأنها آمنت بجميع الرسل اعتقاداً وقولاً { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة ١٣٦ ولذلك نقول أن هناك تصور في الزيادة والنقصان في قول اللسان ، فمن شهد أن محمد رسول الله بلسانه أكمل إيماناً ممن لا يقول ذلك ، وكذلك في كل تفصيل من تفاصيل الدين يبلغ العبد من الشرع فيقر به بلسانه يزداد إيمانه ، لذلك الذين أقرؤا نبوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربه ، الذي يعلم الخمسة وعشرون رسلاً ويصدق بلسانه والكتب التي أنزلت ويصدق بما أكمل فيما نطق به بالإضافة إلى ما كان من زيادة في التصديق بقلبه فليس كل المسلمين يعرفون كل هؤلاء الأنبياء ولكن لو كذب شخص مسلم بواحد من هؤلاء الأنبياء بعد أن بلغه خبره فهو كافر لكن لو كان شخص آخر لا يعلم واحد منهم ثم عرف فصدق فإزداد إيمانه ، فكم من المسلمين يعرف معنى الأسباط ؟ بعض الناس يظن أنهم أولاد يعقوب الاثني عشر وبعضهم وهو الصحيح يعلم أنهم أنبياء بني إسرائيل في القبائل المختلفة من أبناء يعقوب عليه السلام ، فبعض الناس يظن أن الأسباط هم أخوة يوسف وهذا قول غير صحيح والصواب أن الأسباط هم أنبياء بني إسرائيل وموسى وعيسى عليهما السلام من أنبياء بني إسرائيل لكن لهم خصوصية ، يعني لماذا ذكر موسى وعيسى بعد الأسباط ؟ لأنهم أعظم رسل بني إسرائيل ، فسموا أسباطاً لأنهم في أبناء يعقوب في الجملة وأخوة يوسف لم يثبت دليل على أنهم أنبياء ، يعني عندنا يقين أنهم أنبياء ولكن لم يأتينا دليل يدل على نبوتهم والأسباط ليس صريحاً على أنهم هم في أشخاصهم هم الأنبياء ، لذلك نستصحب الحال الأول لأنهم حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وعاهدوا فغدروا وخاصموا ففجروا واتمنا فخانوا ، كل هذه الصفات كانت موجودة فيهم ، كذبوا على أبيهم وقالوا { أَكَلْتُ الدُّبُّبَ } يوسف ١٤ وكذلك أؤتمنوا على يوسف فخانوا الأمانة وخاصموا يوسف وظلوا يفجرون في خصمتهم حتى أن قالوا { قَالُوا إِنَّ يَهْرُوقَ فَقَدْ سَرَقَ أَحَدٌ لَّهُ مِنْ قَبْلِ } يوسف ٧٧ يعني الحقد مازال موجوداً وهذه الصفات لا يمكن أن توجد في الأنبياء وهي أعظم الصفات تنفيراً ولذلك لا تصح أن تنسب إلى الأنبياء فنحن نستصحب هذا الحال ، نقول الأسباط ليس لهم دليل على أنهم أخوة يوسف بل هم أنبياء بني إسرائيل . يعقوب . فصلح حالهم بعد توبتهم من الله لكن لم يثبت في نبوتهم شيء فنستصحب الأصل والله اعلم .

فهذا مثال على أن الإنسان عندما يعلم هذا ويصدق به يكون أكمل إيماناً ممن لا يعلم وكذلك من يقول بلسانه طاعة الله تعالى { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ } البقرة ١٣٦ حين يطلب منه ويعلم هو يقول والاسباط معنى هذه الكلمة أكمل إيماناً ممن لا يعلم ولا ينطق ، فهذا بالنسبة إلى تفاوت قول اللسان .

أما أعمال القلوب فتفاوتها أعظم من أن يذكر ، الحب والإخلاص { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة ١٦٥ وتفاوت الخوف كذلك أمر معلوم يتفاوت ومشهود تفاوتاً عظيماً ، الإخلاص والحب والخوف والرجاء بل تفاوت القلوب هو الذي يكون عليه تفاوت الناس يوم القيامة أعظم ، وكما ذكرنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ) متفق عليه دليل على تفاوت الصلاح والفساد في أعمال القلوب وكذلك أعمال اللسان والجوارح تزيد وتنقص فلا شك أن من صلى ركعتين ليس كمن صلى عشرة ، ومن صلى ركعتين خفيفتين ليس كمن أطال القيام ، وهناك من يصوم يوماً ويفطر يوماً وهذا أفضل وهناك من لا يصوم إلا في رمضان ، هناك تفاوت في أعمال اللسان والجوارح ، فهذا بالنسبة إلى تفاوت أعمال القلوب وتفاوت أعمال الجوارح ،

لماذا فصلنا كثيراً في مسألة تفاوت الإيمان وزيادته ونقصانه وكما ذكرنا نقصان وزيادة في حق الشخص نفسه وفيما بينه وبين الناس الآخرين تفاضل أهل الإيمان فيما بينهم ؟

لأن هذه المسألة مسألة تفاضل أهل الإيمان هي فاصلة بين المرجئة وبين أهل السنة ثم هي الفصل في الرد على أهل الجوارح والمعتزلة ومن جرى مجراهم فيمن يفعل أن من ترك شيئاً من الإيمان ترك الإيمان كله ، وهذه القضية الخطيرة التي دخل منها أهل البدع على الفريقين ، أعني ، الفريقان يقولان الجوارح والمعتزلة من جهة والمرجئة والجهمية من جهة يقولون الإيمان شيء واحد إذا زال كله وإذا وجد وجد كله لكن المرجئة قالوا الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والجهمية قالوا هو المعرفة بالقلب فقط إذا وجدت فهو مؤمن كامل الإيمان داخل الجنة من غير أن يعذب في النار ، الجوارح والمعتزلة قالوا الإيمان هو القول والعمل ، لكن الفرق بينهم وبين أهل السنة أنهم جعلوا كل الإيمان لا يتجزأ إذا زال بعضه زال كله ، ليس عندهم تفاضل ولا تفاوت ، إذا زال بعض الإيمان زال كله ، ليس عندهم نقص ، لا يتصورون وجود نقص في الإيمان .

يبقى بعد ذلك الفرق في قضية أعمال الجوارح وهي مسألة كثر الخلاف فيها في زماننا خلاصتها أن المرجئة والجهمية أخرجوا أعمال الجوارح لأن المرجئة أخرجوا أعمال القلوب وأخرجوا بالأولى أعمال الجوارح ومن المرجئة من يشترط أعمال القلوب لكن عامتهم أو أكثرهم كما يقول ابن القيم رحمه الله " ينكرون دخول أعمال القلوب في الإيمان " يرون أن الإيمان هو التصديق فقط ، فالجوارح والمعتزلة جعلوا كل الأعمال ركناً في الإيمان إذا زال شيء منها زال الإيمان وبعضهم يجعل ذلك في ترك الفرائض وفعل الكبائر وأهل السنة مجمعون على أن الأعمال الظاهرة من الإيمان لكن يختلفون في بعضها ويتفقون في غير هذا البعض ، يختلفون في المباني الأربعة . الصلاة والزكاة والصوم والحج . خلافاً سائغاً بينهم ، منهم من يرى ترك أحد هذه الأركان ولو تكاسلاً كفوفاً ناقلاً عن الملة ومنهم من يرى أن ترك هذه الصلاة . الصوم والصلاة كفر دون كفر لا يخرج من الملة ، الخلاف في غير الصلاة

ضعيف عند عامتهم والخلاف في الصلاة معتبر قوي لكن خلاف سائع ، وأكثرهم يرجح أن هذا كفر دون كفر ، لكن من يجعل الأعمال دون استثناء ركناً في الإيمان يزول الإيمان بزوالها يلزمه أن يقول بقول الجوارح ، وأما من يقصر الخلاف على مسائل الإيمان الأربعة فهذا خلاف سائع عند أهل السنة ، ما سوى الإيمان الأربعة لا يختلف أهل السنة على أنه من الإيمان لكن لا يزول الإيمان بزواله ، هو من الإيمان ولكن ليس بمعنى ركناً فيه بمعنى أن يكفر من ترك واجباته ،

يرون الخلاف سائغاً في المسائل الأربعة لا في غيرها ،

وسنذكر تفاصيل ذلك في المرة القادمة إن شاء الله وقدر .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٧٦- نقول في مسائل الإيمان

### أعمال الجوارح من الإيمان

ذكرنا أن الإيمان قول وعمل وذكرنا أن الإيمان قول القلب وقول اللسان وعمل القلب واللسان وعمل الجوارح وعمل اللسان والجوارح ، الجوارح المقصود بها باقي أعضاء الإنسان غير اللسان ، كلامها عمل اللسان سوى نطق الشهادتين وعمل الجوارح من الإيمان عند أهل السنة والجماعة .

والدليل على أن تسمية عمل الجوارح إيماناً :

قول الله تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ } البقرة ١٤٣ اتفاق المفسرين أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، مات أناس ولم يصلوا إلى القبلة كانوا يصلون إلى بيت المقدس فتكلم بعض الصحابة لما نزل تحديد القبلة في شأنهم فأنزل الله { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ } أي صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً ،

وهذا تبويب الإمام البخاري . باب الصلاة من الإيمان وباب صيام رمضان من الإيمان وباب قيام رمضان من الإيمان وباب أداء الخمس من الإيمان ،

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تصريحاً حيث قال ( أمرك بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ، وأما صيام رمضان فقد قال البخاري في هذا الباب . باب صيام رمضان من الإيمان . ذكر فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال باب قيام رمضان من الإيمان وذكر حديث ( من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ) فأعمال الجوارح تدخل في مسمى الإيمان وهذا موضع نزاع كبير بين أهل السنة والمرجئة ، والمرجئة عكس الجوارح هم غلوا في جانب الرجاء ، أو أخرخوا العمل وأرجأوا العمل حتى أخرجوه من الإيمان ، هم في الحقيقة يجتمع فيهم الوصفان على خلاف بين العلماء في تسميتهم لماذا سموا مرجئة والصحيح أنهم فعلاً غلبوا جانب الرجاء وأخرخوا العمل حتى قالوا لا يضر مع الإيمان المعصية كما لا ينفع مع الكفر ذنب وهذا كلام باطل فإن المعاصي تنقص الإيمان وهو بريد الكفر وربما أزالته قبل الموت وربما أدى به فعل المعاصي والفسوق إلى أن يقع في النفاق والنفاق والبدع بريد الكفر وربما وقع في الكفر بعد ذلك ،

سموا مرجئة من الإرجاء وهو التأخير فقد أخرخوا العمل فهم يقولون الإيمان هو التصديق فقط بالقول واللسان ، والغلاة منهم وهم الجهمية المرجئة يغالون في الإرجاء يقولون الإيمان هو المعرفة ،

جهم جمع كل العقائد الفاسدة:

قال في الأسماء والصفات بالنفي والتعطيل وقال في القضاء والقدر بالجبر وقال في الإيمان بالغلو في الإرجاء والتصديق القلبي فقط أن يعرف بوجود الله وأن يقر بوجود الله في نفسه ولو تكلم بالكفر ولو قتل الأنبياء ، يرون أنه يمكن أن يكون كامل الإيمان والعباد بالله وهو يكذب الرسول ويسبه ويلعن الرسل ويطعن فيهم ويتكلم بالكفر أنواع مختلفة بل ويسب الله عز وجل ويكون مؤمناً وهذا يلزمه إيمان إبليس وإيمان فرعون فإن إبليس ظل يعرف ربه قبل كفره ، قال عز وجل { إِلَّا إِلِيلَيْسَ آتَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } البقرة ٣٤ وقال عنه { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } الاعراف ١٣ وقال { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } الحجر ٣٦ وقال عن فرعون وقومه { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغْلًا } النمل ١٤ فكيف فقط معرفة وجود الله بل معرفة إبليس أن الله ربه خالقه وأن الله هو خالقه وأنه هو خالق آدم وأنه هو الذي كرم آدم ، ظلت معرفته بتكريم الله لآدم ، وظلت معرفته بأن الله أمره أن يسجد لآدم وكان مصدقاً ، فكان تصديقه هذا في باطنه لأن الله أمره لذلك موجوداً بعد كفره ، لكن كان كفره لزوال

الانقياد من قلبه لزوال تعظيم أمر الله وزوال عمل القلب والتصريح بلسانه بقوله { لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِيَسْخَرِ خَلْقَتُهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حِمَا مَسْنُونٍ } { الحجر ٣٣ } والعياذ بالله ، واعتراضه بقوله { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ } لأن هذا مقتضاه الطعن في حكمة الله عز وجل والطعن فيما شرع ، فمن التزم ذلك منهم كان كافراً ، من التزم ذلك منهم وإن كان لا يعرف شخص بعينه مشهور التزم ذلك إلا الزنادقة المناقذين أمثال الذين يدافعون عن إبليس مثل سلمان رشدي ويوسف العظمي هذا أديب سوري له مؤلفات بيان الحاجة عن إبليس وأن إبليس هو المؤمن حقاً ، وأهل الحلول والاتحاد أيضاً يقولون أن فرعون كان محقاً ابن عربي وأمثاله الذين يقولون أن فرعون كان محقاً عندما قال أنا ربكم الأعلى ، فلا شك أن من التزم إيمان فرعون وإبليس كان كافراً ، وبعض الناس وكثير من الناس في زماننا يقولون اليهود والنصارى مؤمنون لأنهم يعلمون أنه لا إله إلا الله ويعلمون أن الله خلقهم ، بمعنى أن عندهم لا إله إلا الله أي أنه لا خالق إلا الله ، ويقولون أنهم يعرفون ربنا ويؤمنون بالله وكما نقل عن بعضهم أنه قال لأحد طواغيت الكفار وهو في حفل معه { الْأَجْلَاءُ يَوْمَئِذٍ يَعْصُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } { الزخرف ٦٧ } وهو يشير على رأس من رؤوس الكفر والعياذ بالله على أنه من المتقين وعلى أنه ليس عدواً له ، وهذا إن صح من الكفر البواح أن يجعل اليهود والنصارى المثلثين واليهود المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم وهم جميعاً مكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ويجعلهم مؤمنين مع أنهم يصرحون بعبادة المسيح ، واليهود قد ذكر الله عنهم أنهم يعبدون عزيزاً ويقولون عزيز ابن الله ويعبدون الأحبار والرهبان ، فهذا القول كفر بواح ، من قال أن اليهود والنصارى مؤمنون فهو كافر بعد بلوغ الحجة ، بلوغ الحجة قد بينا من قبل أنها في حق من يعلم شركهم أنها كلمة لا إله إلا الله بمعنى يعلم أنهم يعبدون غير الله ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان يعلم ذلك وقد وصلته لا إله إلا الله محمد رسول الله فقط قامت عليه الحجة لأن من يصحح دين وإيمان من يقول إن الله ثالث ثلاثة لم يقل لا إله إلا الله بل يقول الله عز وجل إله من الآلهة يصح أن عبادته وحده ويصح عبادته مع غيره ويصح عبادة المسيح والروح القدس لأنه يقول هم مؤمنون والعياذ بالله وهذا وحده كفر ، وكذا من يكذب النبي صلى الله عليه وسلم ويصحح إيمانه فهو لم يشهد أن محمد رسول الله بل يجعل شهادة أن محمد رسول الله محل شك يمكن أن يكون رسول الله ويقتل أيضاً من كذبه وقال عنه أنه مدع على الله ومفتر على الله ،

القضية لها شبهة من الإرجاء ، عدة شبهات دخل الشيطان لهم من جهات متعددة من ضمنها جهة المرجئة وهو أن الإيمان هو المعرفة ، وللأسف أنه هناك فرقاً كثيرة ترجح قول جهم في الإيمان أنه هو المعرفة منها :

الأشاعرة المتكلمون ، والأشاعرة ليسوا على طبقة واحدة واتباع المذاهب الفقهاء منهم من تأثر بالمذهب الأشعري على درجات مختلفة ، المتكلمون منهم هم الذين يصرحون بأنه المعرفة والخفية يقولون بقول مرجئة الإرجاء وأما عامة الفقهاء وشرح الأحاديث من الشافعية فإن كان عندهم بعض الكلام في علم الكلام في مسائل الصفات إلا أن نصوص الإمام الشافعي متواترة عنه في أن الإيمان قول وعمل فلذلك ينصون على أن الإيمان قول وعمل فتجد الإمام النووي وابن حجر رحمهم الله يؤكدون ذلك ولا يأخذون بقول الأشاعرة في قول قضاياء الإيمان لأن البعض يحلو له وتهاون باتهام هؤلاء الغلاة بأنهم مرجئة لأنه خالفه في فهمه في مسألة أن الإيمان قول وعمل لأنهم يريدون جعل الإيمان يشترط فيه العمل شرط صحة بمعنى أنه ركن كالنطق بالشهادتين وهذا يلزم منه أن كل الأعمال تكون كذلك فإن الأعمال التي هي من الإيمان هي كما ذكرنا تشمل أداء الخمس وتشمل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وتشمل قيام رمضان فهل يجعلون كل عمل من هذه الأعمال ركناً أم يجعلون العمل جزء منه ركن وجزء منه ليس بركن ،

فنقول ما هو الجزء فاختاروا مسألة جنس العمل ، أي أي عمل من العمل من الأعمال فقالوا أي عمل محدث لم يقم به أحد من أهل العلم قبلهم وهو اشتراط جنس عمل بمعنى عمل من الأعمال ولو كان رد سلام ، فبعضهم يرى العمل الواجب فيقول شيء من العمل الواجب وبعضهم يفسر بأن كل جنس عمل واجب لا بد أن يؤديه مرة في العمر وهذا كله لأجل الاصطلاح الحادث الذي ما ورد في كلام أهل السنة والجماعة قبل بزوغ هذه المسألة في العصر الحديث ،

الغرض المقصود أن بعض الناس يحاولون اتهام الإمام النووي وابن حجر وغيرهم ممن لا يوافقهم في فهمهم في مسألة ما معنى أن العمل من الإيمان فيتهمهم بأنهم أشاعرة مرجئة وهذا ليس بصحيح فابن حجر ينص على أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وكذا الإمام النووي رحمه الله ويرجح أن التصديق نفسه يزيد وينقص وهذا ليس عند الأشاعرة المتكلمين ،

المتكلمون من الأشاعرة هم الذين يقولون الإيمان هو المعرفة ويوجد من يقول بذلك في زماننا ، صاحب كتاب الدين الخالص يرجح ذلك ،

كان هناك كتاب طبعه الأزهر بعد مقتل السادات بقليل للرد على الجماعات المتطرفة بزعمهم فرجحوا فيه في الرد على مسألة الحكم بغير ما أنزل الله أن الإيمان هو المعرفة ، ووجدوا هذا المخرج يعني كيف يقول أن الحكم بغير ما أنزل الله ليس كافراً فيقول الإيمان هو المعرفة ، هذا كلام باطل بلا شك ، الكتاب والسنة يدلان على أن العمل من الإيمان وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وليس هو المعرفة ، ومن أعظم الحجج مسألة كفر اليهود المصدقين بالنبي صلى الله عليه وسلم وكفر إبليس وفرعون ولا يكفي حتى النطق باللسان مع عدم الاتباع والانقياد ونعني بذلك أنهم يأبون أن ينقادوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد صرحوا بذلك فاليهود قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد أنك نبي والله عز وجل قد قال عنهم { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرِبُونَ كَمَا يَغْرِبُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } { البقرة ١٤٦ } وفريق لا يكتمه بل يصرح أنه نبي وشهد له بالنبوة ولم يكن مسلماً لأنه لم ينقاد له وليس لأنه ترك العمل فقط ، ليس الترك المجرد بل الإباء والاستكبار ،

إبليس في كل المواضع التي ذم فيها يدل أنه أبي ، أبي أن يكون مع الساجدين استكبر أبي { أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } وليس فقط أنه ترك ، لو كان ترك فسئل فقال تأخرت وسوف أسجد ، تخيلوا لو كان هذا هو الجواب أو ظلمت نفسي حين تركت السجود ، هل يكون هذا هو مصير إبليس ، إبليس إنما كان كافراً بسبب أنه قال لم أكن

لأسجد ، من أجل أنه رد أمر الله سبحانه وتعالى ، من أجل أنه أبي واستكبر وكان من الكافرين فزال أصل الانقياد وأصل القبول لشرع الله عز وجل ، لكلامه وتصريحه وذكر القرآن له بذلك ،

وكما ذكرنا أن فرعون كان موقناً وقد قال عز وجل عن موسى في مخاطبته لفرعون قال { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ } { الاسراء ١٠٢ } إذن هناك علم ومعرفة ويقين عند فرعون وملائه ومع ذلك فهم كفار ،

صاحب كتاب الدين الخالص كما ذكرنا ينشر ويقول هذا الكلام وهذه احد المزالق الخطيرة عند كثير ممن ينتسب إلى منهج هذا الشيخ المؤسس الجمعية الشرعية ، وإن كان كثير جداً من المشايخ الأفاضل المنسبين للجمعية الشرعية يقولون بقول أهل السنة ، نحن تكلم عن كتاب وقع كاتبه في سقطه ، وهناك كذلك من يقولون بقول جهنم في اللوازم فيمن يلتزم أن من سب الله عز وجل لا يكون كافراً حتى يقصد الكفر ويحتجون للأسف بعض الناس تعامل كلام العلماء كأنه نصوص فيأخذون بلوازمه وعمومه ويعاملون ذلك على إطلاق من قلدوه واتبعوه فيجولون كلامه بمنزلة الآيات والأحاديث فيجربونها حتى عن السياق التي ذكرت فيه ، وكثير منها ذكر في سياق مناقشات ومجالس ، لا يمكن أن معامل كلام العامل على أنه نص ، فبعض المشايخ في مسألة الساب مثلاً قد ذكر انه لا بد أنه من إستيفاء الشروط وانتفاء الموانع وأنه لا بد أن يقصد الكفر ، والحقيقة أن الكلام سياقه ممكن أن يحمل على قصد الفعل ولا اشتراط قصد الكفر ، فإن اشتراط قصد الكفر كلام باطل بلا شك ، وسب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم سواء علم أن هذا كفر وقصده أم لم يعلم طالماً قصد الفعل وقصد القول نطق به قاصداً أن يقوله فهذا يعرف بالسياق وهذا الكلام كيف يكون ، أعني أن سياق السب يكون في موطن معين لا نزاع بين أهل السنة أن هذا كفر ناقل عن الملة دون أن يقصد الكفر ، فقد قال عز وجل { قُلْ أَلِلَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ { التوبة ٦٥ } وقد قال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به الطريق قالوا لم نقصد أن نكفر ، ولكن لا شك أن من علم تحريم ما يكون أن الله قد نهي ولا يتصور جهل عابد لمعبود بأن عبادته تقتضي أن يعظمه ولا يسبه ، فلا يحتمل أن يكون جاهلاً بتحريم ذلك ، الذي يحتمل هو أن يكون غير عالم بأن هذا يكون كفراً ، يظن أن هذا صغيرة من الصغائر أو مكروه من المكروهات فقط أو أنه حرام حتى كبيرة ولكن لا تبلغ به الكفر فهذا الكلام بلا شك ليس بمعبر وليس هذا هو العذر المعبر الذي يمنع التكفير ، فهو عذر المنافين إذن الذي حاولوا الاعتذار به وقد قال الله عنهم لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم وهو في الحقيقة لا يصدر من معظم لعابده أبداً ، الذي يعبد بقرة أتراه يرى جواز سب البقرة ؟ حتى يجوز لطوائف من الشعوب المنحرفة تعودت على سب الله عز وجل والعياذ بالله في الخصومات فيسبون الذي خلقه وهناك من الجهلة المقلدين الذين يقولون لهم لا يكفرون بذلك فيجربونه على مثل هذا الفعل والله نخشى عليهم خشية عظيمة في أن يضيع إيمانهم بسبب ذلك ، لأنهم يجربون الناس ويهونون عليهم سب الله عز وجل ، شعوب كثيرة جداً في فلسطين والأردن وسوريا وغيرها تعودوا على سب الله وكون الناس تعودوا عليه تجد خزعبلات يقولها البعض ، يقولون هذا مما عمت به البلوة ، والكفار والهندوس عمت به البلوة ، فما معنى كلمة عمت به البلوة أي كلمة توضع فقط ؟ عمت البلوة بالكفر والعياذ بالله ، وانتشر الكفر هل يكون عذراً ، يعني عباد البقرة وملايين يعبدون البقر والآلاف الملايين يعبدون بوذا ، فعل نقول أنه مما عمت به البلوة ؟ ، من يسب الله عز وجل هل تلتمس له عذراً ؟ ،

بعض المشايخ كلامه كما ذكرت يحتمل أن يحمل على ما ذكرت على معتقد أهل السنة ومحتمل أن مخالفتها ،

فممن يقول أنه يشترط به قصد الكفر فالكلام سياقه على اشتراط قصد القول ، هناك فرق بين قصد القول وقصد الكفر ، قصد الكفر يعني هو يريد أن يكفر ، والذي لا يريد أن يكفر لكن نطق الكفر ، مثلاً واحد قال أنا كافر لكي يغيظ من أمامه لقد صار كافراً باتفاق العلماء ولا دخل لنا بباطنه في أنه قصد ذلك أو لا ونحن لا نعرف باطن الإنسان لكن لنا ظاهرة وهو عند الله كافر ظاهراً وباطناً ، لأنه لا يمكن أن يصدر من مؤمن يؤمن بالله عز وجل وسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلفظ بالكفر لإغاية فلان ، أبيع دينه بعرض من الدنيا ؟ ، لكن الكلام لو أنه أراد أن يتكلم بلفظ فخرج غيره يكون هذا لم يقصد القول ولا يقصد الفعل مثل الذي قال له اللهم أن عبدي وأنا ربك، فهو أراد أن يقول من السياق الواضح جداً أراد أن يقول اللهم أنت ربي وأنا عبدك فأخطأ من شدة الفرح فقال العكس وكلامها كفر ، ومن الأدلة العذر بالخطأ والجهل وضرورة استيفاء الشروط والموانع ،

أنا أتكلم على الصلاة لا يختلفون في أنه كافراً ، لأن الرسول قال ( العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) رواه ابن ماجه والترمذي والنسائي وصححه الألباني وكثير من العلماء يطلق ذلك على باقي المباني ولكن هذا الاتفاق على التسمية أما على الحكم فعندهم خلاف سائغ فيه لا يبدع فيه المخالف ، لا الذي يكفر يبدع من لا يكفر ولا الذي لا يكفر يبدع من يكفر ، والمسألة هذه مسألة خطيرة لأن هناك من المعاصرين من يرى أن من لم يكفر تارك المباني فهو مرجئ ومنهم من يقول من كفر تارك المباني فهو خوارج وكلا الفريقين مضلل وكلامه ليس من كلام أهل العلم وأهل السنة عندهم هذه المسألة من مسائل الخلاف السائغ يعني من كفر يعذر من لم يكفر ومن لم يكفر يعذر من كفر ، لكن باقي الأعمال لا يتنازعون فيها ، لا نزاع بين أهل السنة في غير المباني الأربعة ، الذي ينقل الخلاف إلى غير المباني الأربعة مبطل كذلك ، يأتي ببدعة ،ومن يبدع من لم يكفر كلاهما أيضاً مخالف لأهل السنة ، كلاهما في الحقيقة قد أتى ببدعة منكورة ،

جمهور أهل السنة يرونه كافراً دون كفر لا يخرج عن الملة ، بمعنى أن حكمه في النهاية حكم العصاة ، حكمه حكم مرتكب الكبيرة لكنه أشد منهم ظلماً وأشد في العقوبة وكونه يسمى كافراً لا يخرج عن الملة ، وهذا خلاف سائغ كما قلنا بين أهل السنة والجماعة ، أما أن هذه الأعمال من الإيمان فلا نزاع فيها ،

فالقضية في مسألة الأعمال ينبغي أن توضح كالتالي :



هناك أعمال متفق على أنها من الإيمان وليست ركناً فيه وهو ما سوى المباني الأربعة ، وهذا الركن بالمعنى الاصطلاحي بمعنى أن من تركها لا يخرج من الملة ، على سبيل المثال من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً من ترك بر الوالدين مات حياته عاصياً عاقاً لوالديه وكذا في التروك من شرك الخمر من زنا من سرق من قتل ، هذه لا يختلفون فيها أن فاعل الحرم وتارك الواجب لا يكفر ولا يخرج من الملة ولا يخلد في النار ،

قسم آخر مختلف فيه :

وهو الأركان الأربعة وأشهرها خلافاً الصلاة ، والخلاف في غيرها ضعيف والخلاف فيها قوي وإن كان لا يبدع المخالف على أي حال بل لا يبدع الذي يكفر ولا الذي لا يكفر ، فهذه المسألة لا بد أن تسعنا كما سنختلف ، القائلون بتكفير تارك الصلاة منهم من سفيان ومنهم اسحاق ابن راهوي والإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايات عنه وطوائف من أهل العلم ، وكثير جداً من التابعين والذين لا يكفرون منهم عمر ابن عبد العزيز والزهري ومالك والشافعي والإمام أحمد رحمه الله في الرواية التي رجعها ابن بطة بل وقال هذه هي الرواية وليس في المنهج غيرها ورجحها ابن قدامة في المغني . رواية عدم التكفير . والإمام أحمد كان يختلف قوله في هذه المسألة وشيخ الإسلام ابن تيمية على الحقيقة لا يكفر إلا من أصر على الترك فقط ، الذي يجمع كلام شيخ الإسلام في المواطن المختلفة لأن في أناس لا تدري قول شيخ الإسلام في المسألة لعدم فصلة لكنه صرح بأنه إنما يكفر في الحالة التي يجب قتله فيها وهو إصراره على الترك فيعرض على القتل فيقتل ، فهذا عنده كافر بلا شك ، وهذه هي المسألة التي قال عنها شيخ الإسلام أن الذين قالوا بأنه ضرب عنقه على ترك الصلاة وصبر على ذلك كان مسلماً في الباطن أو كان مسلماً في الظاهر قال هذه هي المسألة التي دخلت على من قالها شبهة الإرجاء أو شبهة التي دخلت على المرجحة ولا يقول أنهم مرجحة لأنه لا يجزأ شيخ الإسلام ابن تيمية أن يقول على الشافعي ومالك أنهم مرجحة ولكن يقول الفقهاء الذين التزموا ذلك دخلت عليهم شبهة التي دخلت على المرجحة من أنه يمكن أن يوجد الإيمان كاملاً في القلب ولا يظهر على الجوارح بأي عذر من الأعذار يقول هذا غير متصور ، هم يقولون الإيمان ممكن يكون موجود في القلب ويصبر على القتل فكيف تأتي هذه ، وهي نفس شبهة للمرجحة الذين يقولون أن الإيمان كان كاملاً في القلب ولم ينطق بالشهادتين ، فهذا معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، لكن شيخ الإسلام لم يقل الذي لم يكفر مرجحة هذا خطأ بلا شك وشيخ الإسلام يذكر الخلاف في المسألة مرات عديدة وهو يرجح أن الذي يصلي أحياناً ويترك أحياناً ليس بكافر وهو يجعل حداً ليس أنه يقول يصلي بالكلية بل لا بد أن يضع حد ، ثلاث صلوات أو صلاتين مجموعتين يعرض على بعدها على السيف ، أي واحد يعرض على السيف فيصبر على القتل بلا عذر لا يجوز مسلماً عند شيخ الإسلام وهو الذي نقوله ، وأما بالنسبة إلى من لم يعرض على القتل هل يكون كافراً ؟ لا يكون كافراً ولو بقي سنيماً لا يصلي طالما لم يجحد وجوب الصلاة ، نعي الكفر الناقل عن الملة وهو كافر كفوفاً لا ينقل عن الملة ، نحن نسميه كافراً ابتداءً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من تركها فقد كفر ) والمسألة مشروحة بالتفصيل في شرح معارج القبول الماضي في شرح كلام الإمام ابن القيم رحمه الله والرد على الأدلة التي يستدل بها في مسألة تكفير تارك الصلاة ، والذي يعرف كلام ابن القيم يجزم جزماً قيقناً ، وأنا أقول أن عمر ابن عبد العزيز والإمام الزهري ممن يقول بعدم تكفير تارك الصلاة وأنا أحضرته من كلام ابن القيم لا من كلام أحد يجهل كلام العلماء مثلاً وليس عالم بأقوال العلماء ، وابن قدامة نقل عن ابن مسعود عدم تكفير تارك الصلاة أيضاً ، في مسألة الغلام الذي لا يصلي وذبح الشاة فأكل منها ابن مسعود رضي الله عنه ،

طالب : هل التكاسل ممكن يكون سنين ؟

الشيخ : ممكن يكون سنين ليس وممكن يكون لحظات ولا أحد يحدد ذلك ، لا بد أن من يحدد يكون ترك صلاتين أو ثلاثة ، نقول متى تكفره إذا لم تحد حداً ؟ ، رجل بلغ صباح هذا اليوم وقام جنباً هو شاب من الشباب الضائع وقام جنباً ثم نزل بعد شروق الشمس وترك الصبح والظهر وصدمة سيارة ما عمر تكليفه ؟ ساعة أو ساعتين ترك خلالها الطهارة الواجبة والصلاة الواجبة ، من يقول بتكفير تارك الصلاة يقول بتكفيره ، من يقول بعدم تكفيره يقول بعد تكفيره ، لا أحد يقول إذا كان تركها بالكلية وهو كذلك تركها بالكلية لأن عمره التكليفي ساعة فلا بد أن تحدد صلاة أو اثنتين أو ثلاثة أما أن تقول يصلي أحياناً ويترك أحياناً ، كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي في هذا الموطن يحمل على كلامه في الموطن الآخر ، لأنه في الحقيقة لا يكفر إلا من وجب قتله وهو من عرض على السيف فصرير فالذي لم يفهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يقول شيخ الإسلام متردد ، وهو في الحقيقة قد يفهم منه ذلك لكن هذا مذهبه ، مذهبه أنه يكفر من أصر على القتل حتى قتل ، من يحمل كلامه على المواطن الثلاثة تجده كذلك ، وكلمة لا يصلي بالكلية عنده ليس بمعنى أنه يظل سنين لا يصلي وهو نفس الوضع لم يعرض على القتل ، يمكن أنه ضائع سنوات طويلة ثم يهديه الله عز وجل ولم يكن قبل ذلك كافراً ، ممكن واحد يكون ظل سنوات طويلة لا يصم رمضان وهذا الأمر واضح ، الأصل أن الصلاة والزكاة باب واحد ، أولاً القرآن والسنة وأقوال الصحابة جعلتهم باب واحد { فَإِنْ تَأْتُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } التوبة ٥ والرسول صلى الله عليه وسلم قال ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) متفق عليه والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قال فيمن من بخل بالزكاة ( فمن منعها فإن أخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربك ) رواه أحمد وإبي داود وصححه الألباني هذا دليل على أن الباخل في الزكاة ليس بكافر لأنه سيأخذ نصف ماله ويترك نصف ماله ولم يقتله ولو كان مرتداً لقتله ومن أدلة ذلك أنه قال عليه الصلاة والسلام ( ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي حقها . وفي رواية زكاتها . إلا جعلت له صفائح يوم القيامة فيكوى به جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ) رواه مسلم دليل صريح جداً في أن ممكن أن يكون سبيله إلى الجنة والصلاة والزكاة من باب واحد وأقسم أبو بكر على استواء حكمهما ، أليس كذلك ، قال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فماذا تفرقون أنتم وأنتم تقولون أبو بكر قاتل المرتدين ؟ نعم قاتل المرتدين الذين هم أتباع مسيلمة وقتل المرتدين عن بعض الدين وإن لم يكونوا عن كل الدين فهذا فيمن قاتل يقاتل حتى يستسلم ، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر في الصيام وقد جعله من أركان الإسلام ، من آخر يوم في رمضان أمره بالقضاء والكفارة فدل ذلك على أنه لم يكن كافراً وقد فعل ذلك بشهوة ، دل ذلك على أن ترك الفرائض بشهوة دون جحود ودون إباء واستكبار لا يكون كافراً خارجاً عن الملة ،



سبحانك اللهم وبحمدك

طالب : يا شيخ والذي قيل له الزنا حرام ،

الشيخ : هل قال سأزني لأني لا أستطيع أن أمتنع أم قال أنا أزني لأني لا يهمني الحرام ؟

لا يهيمه أنه حرام ولا عبرة بالحرام ، الذي يقول لا عبرة بالحرام ولا يلزمنا ما شرعه الله يكون كافر كفر خارج من الملة ،

الذي يقول أنا أزني لأني لا أقدر على الزواج والحياة صعبة وأنا مخطئ ولكني لا أستطيع أن أنتهي لا يكون كافر ،

الكرامية يقولون الإيمان هو النطق باللسان فقط فقالوا المنافقون مؤمنون كاملوا الإيمان لكنهم لم يلتزموا أن يدخلوا الجنة ، فأما التزم دخول الجنة من المنافقين الكافرين في الباطل بنطقهم بالشهادتين ظاهراً فهذا القول كفر والعياذ بالله ،

نقول أما عمل القلب فليس من الإيمان عندهم أو عند عامتهم ،

هناك بعض فرق المرجئة وليسوا مشهورين أنهم يدخلون عمل القلب في الإيمان ، ومرجئة الفقهاء كلهم يدخلون عمل القلب في الإيمان ، ويلتزمون أن أعمال القلوب ركن في الإيمان ، لكن عامة المرجئة على أن الإيمان هو تصديق القلب وتصديق اللسان وغلاهم الجهمية يقولون هو المعرفة فقط بالقلب دون اللسان حتى ولو نطق بالكفر وفعل الكفر ، وهناك الكرامية فرقة من فرق المرجئة يقولون الإيمان هو النطق باللسان فقط ومرجئة الفقهاء يقولون أن العمل من ثمرات الإيمان وليس من الإيمان لأن الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان ولكنهم يقولون بأن أعمال الجوارح من لوازم الإيمان أو من ثمراته وأن من تركها أو فعل المحرمات استحق العقوبة ويثبتون دخول عصاة الموحدين النار ومن هنا قرب جداً الخلاف بينهم وبين أهل السنة وشيخ الإسلام يراه خلافاً لفظياً في الحقيقة ، وهذا دليل على أن من التزم أن عصاة الموحدين يدخلون النار ثم يخرجون منها لم يكن من المرجئة المبدعين بدعة غليظة وإن كان لفظه خطأ بلا شك ، أن يكون العمل ليس من الإيمان خطأ من قائله ،

عمل القلب هو موضع الخلاف الأساسي مع المرجئة بالإضافة إلى عمل الجوارح، عندهم أن الذي يؤمن يكون إيمانه بأن يصدق أن لا إله إلا الله حتى لو لم يحب الله ولم ينقاد له يكون مؤمناً كامل الإيمان ،

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر فضل لا إله إلا الله ذكرها مقيدة بالأعمال القلبية فقال ( من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ) فأعمال القلوب شرط أو الصحيح نقول أنها ركن كما ذكرنا من قبل مسألة الشرط والركن اصطلاحاً غير الاستعمال اللغوي والشرعي فيمكن أن تستعمل بهذا الفهم أنها بمعنى الركن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ) فإذا ذكر شرط الإخلاص قال ( من قال لا إله إلا الله يتغي بذلك وجه الله ) فأما من يقول من قالها لا يتغي وجه الله عز وجل دخل الجنة أيضاً فهذا ضال والعياذ بالله من أضل الناس ،

فأعمال القلوب شرط في الإيمان أو كما ذكرنا ركن منها ما هو أصل ومنها ما هو كمال الواجب ومنها ما هو كمال المستحب يعني كل عمل من أعمال القلوب لابد أن يوجد أصله في القلب ، لابد من أصل الحب وأصل الانقياد وأصل الإخلاص وأصل الشكر وأصل الخوف وأصل الرجاء ، لو زالت كل ذرة من هذه الأشياء ولو واحدة فقط ، لا يجب الله قط ولا يرجوا الله قط ولا يخاف الله قط لا يكون مسلماً لا يكون مؤمناً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، بالنسبة إذا صرح بلسانه لا يكون مسلماً في الدنيا وإذا كنتم في قلبه ونطق بلسانه خلاف ذلك كان منافقاً وقد ذكر النووي رحمه الله وغيره في كتاب الردة " من قال لا أخاف القيامة كفر " لو واحد قال لا أخاف الله ونطق بلسانه بزوال الخوف يكون كافر بذلك ، ولو زال الخوف من قلبه وزال بالكلية ليس فقط أنه ضعف بل زال بالكلية فما كان مؤمناً عند الله عز وجل .

طالب : من قال لا أخاف الله ؟

الشيخ : لا أخاف الله هذه لا أظن مسلماً يجهلها ،

لو أن إنسان ليس عنده أصل حب الله فضلاً على أن يكون يبغض الله ، يعني لا يلزم أن يكون وصل لدرجة البغض ، بل ممكن يكون لا يحبه ولا يكرهه يكون ليس بمؤمن ، أو ليس عنده حب للرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أن يبغض الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا لا يكون مؤمناً أصلاً بل هو كافر ،

وهناك إنسان آخر عنده حب الله وحب رسول صلى الله عليه وسلم لكن هذا الحب ضعيف فإذا جاءت شهوة قدم حب الشهوة على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهذا عنده إيمان ناقص ، إنسان آخر عنده حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم يقدمه على كل ما تحبه نفسه فالله ورسوله أحب إليه مما سواهما فهذا هو المؤمن الإيمان الكامل الواجب الذي كمل القدر الواجب ، بمعنى أن القدر الذي هو أقل من الواجب مستحق للعذاب ، القدر الأقل من الواجب الذي قدم حب الدنيا وشهوات الدنيا على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع وجود أصل الحب العبادي لله في القلب وحب الرسول صلى الله عليه وسلم في القلب وحباً في الله ولأجله فهذا مستحق للعذاب ولكن لا يخلد في النار ، من قدم حب الشهوة على حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم فيفعل ما تحبه نفسه وهو يعلم أن الله لا يحب هذا الشيء فهذا حبه لله ضعيف وهكذا كل عاص لإيمانه ناقص ويستحق العقاب لكن لا يخلد في النار ، طبعاً رجحان الحسنات على السيئات يزيل السيئات ، يعني لو رجحت بحسنة واحدة دخل الجنة ، لكن الذي قل حبه لله وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فعل المعاصي التي زادت عن حسناته استحق دخول النار وإن دخلها لا يخلد فيها فلو زال أي عمل من أعمال القلوب بالكلية لزال الإيمان بالكلية ،

سنتكلم هنا على حقيقة الإيمان عند الله عز وجل :

وكيف نعرف نحن ؟ ليس لنا أن نشق عن قلوب الناس إذا تكلم الإنسان بكلام عمل بمقتضاه ، إذا هو قال لا أحب الله ولا أخاف الله هذا الذي يكفر ، لا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يكفر ، أما لو لم يتكلم فهو على حاله والله عز وجل أعلم بما في قلبه ، لا يشرع لنا أن نمتحن الناس في شروط لا إله إلا الله ، السبعة أو الأكثر منها على الصحيح ، لا يشرع لنا أن نقول للناس هل تقولوا ابتغاء وجه الله هل تقولوا وأنت تحب الله هل تخاف الله هل تشكره ، لا يشرع هذا ، بل هذا بدعة بلا شك ، ولذلك نقول زوال أي عمل من أعمال القلوب الكلية يزول الإيمان بالكلية ، وزوال أحد أعمال القلوب لا نستطيع أن نعرفه في الدنيا إلا لو قال صاحبه بلسانه بأنه لا يحب الله أو كمن قيل له اقرأ القرآن فقل إنه لا يحب القرآن أو عمل عملاً يدل دلالة ظاهرة على زوال عمل القلب كمن يلقي المصحف ، وهل يتصور الخطأ في ذلك ؟ نعم يتصور الخطأ في ذلك وعد القصد بإهانة المصحف ، واحد أتى من مكان بعيد فألقى المصحف من بعيد فوقع المصحف وهو يريد أن يضعه على المنضدة وهي منخفضة مثلاً وهو عالي فألقاه فوضعه ، مثلاً يتعارك مع أحد الناس وكان في يده المصحف فلكي يمسك الخصم ويضربه فألقى المصحف هنا في قرينة تدل كما فعل موسى عليه السلام حين ألقى الألواح ليحر أخيه غضباً لله عز وجل وليس أنه إهانة للألواح التي فيها كلام الله عز وجل ، مثلاً رجل النور قطع فوقف فوق شيء وعليه المصحف أو كتاب شرع فوطأه وهو لا يدري فاستنار فوجد أنه وطأ المصحف ، هذا لا يخرج من الملة ، بخلاف الطلبة عند الامتحانات وعنده حفظ قرآن في الأزهر أو في غيره فيضع المصحف في الجيوب أو الحذاء والعياذ بالله أو تحت رجله هذا كافر خارج من الملة إن كان سيصبح شيخ أزهر بعد ذلك ويعبد الله وإن كان سيصبح إمام للمسجد فيكون فعلاً خارج من الملة لأنه يعرف أنه مصحف ويستعين به أن يضعه في دورة المياه حتى ينجح في الامتحان ويقول لا يقصد ، كيف يكون بدون قصد وهو يعلم أنه مصحف ويضعه في الخراء والعياذ بالله ، وبعضهم من أجل جهلهم وضلالهم ليس جهل { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } الانعام ١١١ لا بل هو بعد الانتهاء من الامتحان يلقي بالكتب مثل أطفال الابتدائي الذي يلقي كتب الجغرافيا والتاريخ ويلقي الكتب الشرعية التي فيها اسم الله واسم رسوله صلى الله عليه وسلم يلقها ويطأها لأنه يغتاظ من المادة أو المدرس التي صعب الامتحان والعياذ بالله ، هذا خروج من الملة والعياذ بالله ، الذي يطأ آيات الله عز وجل وضعها تحت قدمه إهانة لها لأنه يغتاظ من الأستاذ ، هذا كما ذكرنا عمل عملاً يدل دلالة ظاهرة على زوال عمل القلب والتعظيم لكلام الله ، هذا كفر ونحن لا نعلمه من قلبه وإنما علمناه من لسانه عندما قال إنه لا يحب الله أو عندما ألقى المصحف والعياذ بالله ، وهو من أول ما قال ذلك وأول زوال حب القرآن من قلبه ومن وقت زوال حب الله في قلبه فهو كافر عند الله إنما علمنا نحن حين نطق ،

كمن يقول إنه لا يخاف الله أو لا يخاف القيامة أو أنه منذ أسمى لا يخاف الله لم يكن مسلماً ابتداءً ، يعني من وقت إسلامه وهو أسلم من أجل فلانة ولم يكن يريد وجه الله بذلك ، وهو من وقت إسلامه لم يسلم عند الله لكن عندنا نحن مسلم لكن لما يقول أنا لم أسلم إلى لأجل فلانة وأنا لست مقتنع بالإسلام هو كفر في هذه اللحظة ظاهراً وهو كان قبل ذلك منافقاً ،

الذي يقول أنه لا يخاف الله كافر لأن الله سبحانه وتعالى قال { وَخَائِفُونَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران ١٧٥ فمن لا يخاف الله ليس بمسلم ، قال تعالى { وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة ٢٣ فأصل التوكل ركن في صحة الإيمان ، وأصل الحب { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة ١٦٥ أصل الحب في صحة الإيمان ،

لو واحد يقول أنا لا أحب السنين يختلف عن الذي يقول أنه لا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يكرههم لأشخاصهم ويراهم متشددين وضاق ببعض أفعالهم بسبب أناس نصبوا عليه واحذوا أمواله من الملتحين فقال أنا لا أحب الملتحين لكنه لو قال أنه لا يحب السنة أو لا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر ، كمن قال لا يحب الشرع ويكره الشرع ويكره القيود الفظية عنده من تحريم الزنا وتحريم الاختلاط المحرم كالعلمانيين الذي يكرهون الشرع ويتمنون أن يترك الناس ما يسمونه خزعبلات القرون الوسطى وهو يعلم ويصدق في باطنه أن هذا من الدين ولسانه يقول ذلك أنه من الإسلام فعلاً لكن يقول هذا الكلام لا يليق الآن ولكنه يكره الدين ، ولو أن إنسان يكره المؤمن لإيمانه والمصلي لصلاته والملتزمة بسبب حجابها وهو يعلم أن هذا من الدين فهو يكره الدين نفسه فيغض الطائع لأنه أطاع الله لو قلنا ما سر العداوة بينه وبينه نجد أنها لأنه يصلي أو يصوم فيصبح محل استهزائه وعداوته وعقوبته وإذا تمكن منه ناله ، إذا تمكن من عقوبته نال أنواع العقوبة لماذا ؟ هو لم يكن بينه وبينه شيء إلا أنه رآه يطيع الله فهذا كافر كفر ناقل عن الملة والعياذ بالله ، لكن نحن من أين نعرف هذا الكلام ؟ نعرفه إذا صرح بلسانه لماذا هذه العداوة لأنها ممكن تكون شخصية مثل مثلاً ( آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار ) وقال علي رضي الله عنه " والذي خلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلي لا يجني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ) وفي أنا أبغضته مثل النواصب وفي

أناس كفروه لأجل تأويل لأجل جهل لأجل خصومة على الملك في ظنهم فأما من أبغض علياً لأجل نصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الأنصار لأجل نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بذلك كافر منافق النفاق الأكبر يكره الدين والعباد بالله فما أن بعض من قتل الحسين يذكر عنهم أشعار أنهم إنما قتلوه لينتقم لآبائه الذين قتلوا يوم بدر فإن كان كذلك فهو كافر لأنه إنما هو يغيظه أن قتل المشركون ويريد أن ينتقم من أبناء من قتل آباءه . من الرسول صلى الله عليه وسلم . إذن هو يعاديه لأنه ابن الرسول صلى الله عليه وسلم ولأنه حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن كان كذلك كان كافراً والعباد بالله ، لأن هذه العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم كمن يعادي المصلي لصلاته ويعادي الصلاة أي يعادي الشريعة ويعادي شرع أي يعادي الله عز وجل يكون كافراً يبغيض الله عز وجل ، يبغيض الذي شرع الصلاة ،

طالب: الحجاب يا شيخ ؟

الشيخ : الحجاب نقول واشترطنا أن يكون يعلم أنه من الدين لأنه لا يظن أن هذه طاعة كما يكره شخص أي ملتحج أو منقبة يرى أنهم متطرفين أتوا بالأشياء الفارسية وجعلوها من الدين يكون إنسان جاهل يعلم ، قد يظن أن هذا ليس من الدين ويظن أن المتطرفين هم الذي جعلوه من الدين بخلاف من يقول أنه يعلم أن اللحية من السنة ومع ذلك يكره من يكون ملتحجاً حتى ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا خارج من الملة بزوال عمل القلب ، هذا يعلم أن الرسول كان ملتحجاً فيقول ولو أن الرسول كان ملتحجاً فأنا أكره ذلك ، هذا خارج من الملة ، الذي يكره أهل الإيمان لإيمانهم خارج من الملة وإن كان في الظاهر ينطق الشهادتين فهو منافق في الحقيقة ولو قال بلسانه أنه يكرههم لأجل إيمانهم لأنهم ملتزمين بالدين فهو كافر في الظاهر أيضاً ، يعني الخيمة في موضوع النقاب هذا ممكن يتصور فيه الجهل لأن كثيراً من مشايخ السوء يقولون النقاب هو عادة فارسية ويقولون عادة جاهلية ليس من الدين فيتصور البعض أن هذه الخيمة هي من مخلفات العصور الوسطى وليست من الإسلام لكن لو علم أن هذا زي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ثم استهزئ به بعد ذلك كان كافراً ثم استهزئ به كان كافراً ، إذن موضع الخلاف بين المرجئة وأهل السنة في قضية عمل القلب ، عند أهل السنة لا بد أن يكون له أصل موجود ويجب أن يستكمل الواجب منه لينجوا من النار ويجتهد في رفع الدرجات بالاستحباب ،

المرجئة يقولون حتى لا يوجد أصل عمل القلب ، لأنه عندهم لا زيادة ولا نقصان في ذلك، لذلك لو زال بالكلية لم يكن كافراً ،

والمسألة الخلافية الثانية بين أهل السنة والمرجئة بعد عمل القلب هي في عمل اللسان والجوارح ، هم يقولون إن عمل اللسان والجوارح ليس من الإيمان كما أن عمل القلب عندهم ليس من الإيمان ،

أهل السنة يقولون أن عمل القلب واللسان والجوارح جزء من الإيمان ، قال الله تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ } البقرة ١٤٣ أي صلاتكم لصلاة المقدس فسمى الصلاة إيمان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ( لما أمرهم بالإيمان وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ) فسمى أعمال الجوارح إيماناً ، قال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون أو بعض وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ) متفق عليه الحياء عمل من أعمال القلوب ولا إله إلا الله نطق باللسان وإمالة الأذى عن الطريق عمل من أعمال الجوارح وكل هذا من الإيمان ، وقال تعالى { لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ } الفتح ٤ وهذا دليل على زيادة الإيمان ، وأصل عمل القلب شرط في أصل الإيمان كأصل اليقين والانقياد القلبي والحبية ،

وهناك خلاف سائغ عند أهل السنة في بعض أعمال الجوارح ، وهي المباني الأربعة مع إجماعهم على أن كلها من الإيمان ، أعمال الجوارح كلها من الإيمان ، الخلاف في أعمال الصلاة والزكاة والصوم والحج في مسألة هل يعد بعض أعمال الجوارح ركناً من أركان الإيمان يزول الإيمان بزوالها ويصبح الإنسان كافراً لو تركها حتى لو أقر أنها فريضة ؟ يقر بقلبه ولسانه أنها فريضة ومع ذلك يتركها تكاسلاً يتركها انشغالاً يتركها متهاوناً بشأها مع إقراره بالمعصية ، هذا فيه خلاف سائغ بين أهل السنة ، بعض أهل السنة يجعل هذه المباني الأربعة من أركان الإيمان بمعنى أن الذي يتركها تكاسلاً يكون كافراً حتى لو أقر بفرضيتها لا يختلف أهل السنة أن من أبي واستكبر كان كافراً ، نحن نتكلم على من قال أنا مخطئ أنا آثم أنا ساءلي أنا أدعوا الله أن يغفر لي أنا انشغلت عن الصلاة أنا ظلمت نفسي حين تركت السجود هذا الذي يختلف فيه أهل السنة أما الذي يقول لا تلزمنا الصلاة أو هي فرض ولن نطيع والعباد بالله فهذا لا يكون مؤمناً أو لم أكن لأسجد ، الذي قال ذلك إبليس أبي واستكبر فنعوذ بالله من ذلك ،

جمهور أهل السنة يرونه كافراً كافر دون كفر ، لا يختلفون في التسمية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه كافراً ، تسميته كافر تسمية صحيحة بنص النبي صلى الله عليه وسلم قال ( العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) وكثير من العلماء يطلق ذلك على باقي المباني ولكن هذا الاتفاق على التسمية أما على الحكم عندهم خلاف سائغ فيه لا يبدع فيه المخالف لا الذي يكفر يبدع من يكفر ولا الذي لا يكفر يبدع من يكفر ، هذه المسألة مسألة حساسة وخطيرة لأن هناك من المعاصرين من يرى أن من لم يكفر تارك المباني فهو مرجئ ومنهم من يقول من كفر تارك المباني فهو خوارج ، وكلا الفريقين مبطل وكلامه ليس بكلام أهل العلم وأهل السنة عندهم هذه المسألة من مسائل الخلاف السائغ ، من كفر يعذر من لم يكفر ومن لم يكفر يعذر من كفر ، باقي الأعمال لا يتنازع فيها ، لا نزاع بين أهل السنة في غير المباني الأربعة ، الذي ينقل الخلاف إلى غير المباني الأربعة مبطل كذلك يأتي ببدعة من القول ومن يبدع من كفر ومن يبدع من لم يكفر كلامها أيضاً مخالف لقول أهل السنة ، كلاهما في الحقيقة قد أتى ببدعة من القول

جمهور أهل السنة يرونه كافراً كُفراً دون كفر لا يخرج عن الملة بمعنى أن حكمه في النهاية حكم العصاة حكمه مرتكب الكبيرة لكنه أشد منهم ظلماً وأشد في العقوبة وكونه يسمى كافراً لا يخرج عن الملة وهذا الخلاف خلاف سائغ كما قلنا بين أهل السنة والجماعة أما أن هذه الأعمال من الإيمان فلا نزاع فيها

فالقضية في مسألة الأعمال ينبغي أن توضع كالتالي :

هناك أعمال متفق على أنها من الإيمان وليست ركناً فيه وهو ما سوى المباني الأربعة ، وهذا الركن بالمعنى الاصطلاحي بمعنى أن من تركها لا يخرج من الملة ، على سبيل المثال من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً من ترك بر الوالدين مات حياته عاصياً عاقاً لوالديه وكذا في التروك من شرك الخمر من زنا من سرق من قتل ، هذه لا يختلفون فيها أن فاعل المحرم وتارك الواجب لا يكفر ولا يخرج من الملة ولا يخلد في النار ،

قسم آخر مختلف فيه :

وهو الأركان الأربعة وأشهرها خلافاً للصلاة ، والخلاف في غيرها ضعيف والخلاف فيها قوي وإن كان لا يبدع المخالف على أي حال بل لا يبدع الذي يكفر ولا الذي لا يكفر ، فهذه المسألة لا بد أن تسعنا كما سنختلف ، القائلون بتكفير تارك الصلاة منهم من سفيان ومنهم اسحاق ابن راهوي والإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايات عنه وطوائف من أهل العلم ، وكثير جداً من التابعين والذين لا يكفرون منهم عمر ابن عبد العزيز والزهري ومالك والشافعي والإمام أحمد رحمه الله في الرواية التي رجحها ابن بطة بل وقال هذه هي الرواية وليس في المنهج غيرها ورجحها ابن قدامة في المغني . رواية عدم التكفير . والإمام أحمد كان يختلف قوله في هذه المسألة وشيخ الإسلام ابن تيمية على الحقيقة لا يكفر إلا من أصر على الترك فقط ، الذي يجمع كلام شيخ الإسلام في المواطن المختلفة لأن في أناس لا تدري قول شيخ الإسلام في المسألة لعدم فصله لكنه صرح بأنه إنما يكفر في الحالة التي يجب قتله فيها وهو إصراره على الترك فيعرض على القتل فيقتل ، فهذا عنده كافر بلا شك ، وهذه هي المسألة التي قال عنها شيخ الإسلام أن الذين قالوا بأنه ضرب عنقه على ترك الصلاة وصبر على ذلك كان مسلماً في الباطن أو كان مسلماً في الظاهر قال هذه هي المسألة التي دخلت على من قالها شبهة الإرجاء أو شبهة التي دخلت على المرجحة ولا يقول أنهم مرجحة لأنه لا يجزأ شيخ الإسلام ابن تيمية أن يقول على الشافعي ومالك أنهم مرجحة ولكن يقول الفقهاء الذين التزموا ذلك دخلت عليهم شبهة التي دخلت على المرجحة من أنه يمكن أن يوجد الإيمان كاملاً في القلب ولا يظهر على الجوارح بأي عذر من الأعذار يقول هذا غير متصور ، هم يقولون الإيمان ممكن يكون موجود في القلب ويصبر على القتل فكيف تأتي هذه ، وهي نفس شبهة للمرجحة الذين يقولون أن الإيمان كان كاملاً في القلب ولم ينطق بالشهادتين ، فهذا معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، لكن شيخ الإسلام لم يقل الذي لم يكفر مرجحة هذا خطأ بلا شك وشيخ الإسلام يذكر الخلاف في المسألة مرات عديدة وهو يرجح أن الذي يصلي أحياناً ويترك أحياناً ليس بكافر وهو يجعل حداً ليس أنه يقول يصلي بالكلية بل لا بد أن يضع حد ، ثلاث صلوات أو صلاتين مجموعتين يعرض على بعدها على السيف ، أي واحد يعرض على السيف فيصبر على القتل بلا عذر لا يجوز مسلماً عند شيخ الإسلام وهو الذي نقوله ، وأما بالنسبة إلى من لم يعرض على القتل هل يكون كافراً ؟ لا يكون كافراً ولو بقي سنياً لا يصلي طالما لم يجحد وجوب الصلاة ، نعي الكفر الناقل عن الملة وهو كافر كُفراً لا ينقل عن الملة ، نحن نسميه كافراً ابتداءً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من تركها فقد كفر ) والمسألة مشروحة بالتفصيل في شرح معارج القبول الماضي في شرح كلام الإمام ابن القيم رحمه الله والرد على الأدلة التي يستدل بها في مسألة تكفير تارك الصلاة ، والذي يعرف كلام ابن القيم يجزم جزمًا قيقناً ، وأنا أقول أن عمر ابن عبد العزيز والإمام الزهري ممن يقول بعدم تكفير تارك الصلاة وأنا أحضرته من كلام ابن القيم لا من كلام أحد يجعل كلام العلماء مثلاً وليس عالم بأقوال العلماء ، وابن قدامة نقل عن ابن مسعود عدم تكفير تارك الصلاة أيضاً ، في مسألة الغلام الذي لا يصلي وذبح الشاة فأكل منها ابن مسعود رضي الله عنه ،

طالب : هل التكامل ممكن يكون سنين ؟

الشيخ : ممكن يكون سنين ليس وممكن يكون لحظات ولا أحد يحدد ذلك ، لا بد أن من يحدد يكون ترك صلاتين أو ثلاثة ، نقول متى تكفره إذا لم تحد حداً ؟ ، رجل بلغ صباح هذا اليوم وقام جنباً هو شاب من الشباب الضائع وقام جنباً ثم نزل بعد شروق الشمس وترك الصبح والظهر وصدمة سيارة ما عمر تكليفه ؟ ساعة أو ساعتين ترك خلالها الطهارة الواجبة والصلاة الواجبة ، من يقول بتكفير تارك الصلاة يقول بتكفيره ، من يقول بعدم تكفيره يقول بعد تكفيره ، لا أحد يقول إذا كان تركها بالكلية وهو كذلك تركها بالكلية لأن عمره التكليفي ساعة فلا بد أن تحدد صلاة أو اثنين أو ثلاثة أما أن تقول يصلي أحياناً ويترك أحياناً ، كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي في هذا الموطن يحمل على كلامه في الموطن الآخر ، لأنه في الحقيقة لا يكفر إلا من وجب قتله وهو من عرض على السيف فصر فالذي لم يفهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يقول شيخ الإسلام متردد ، وهو في الحقيقة قد يفهم منه ذلك لكن هذا مذهبه ، مذهبه أنه يكفر من أصر على القتل حتى قتل ، من يحمل كلامه على المواطن الثلاثة تجده كذلك ، وكلمة لا يصلي بالكلية عنده ليس بمعنى أنه يظل سنين لا يصلي وهو نفس الوضع لم يعرض على القتل ، يمكن أنه ضائع سنوات طويلة ثم يهديه الله عز وجل ولم يكن قبل ذلك كافراً ، ممكن واحد يكون ظل سنوات طويلة لا يصم رمضان وهذا الأمر واضح ، الأصل أن الصلاة والزكاة باب واحد ، أولاً القرآن والسنة وأقوال الصحابة جعلتهم باب واحد { فَإِنْ تَأْتُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } التوبة هـ والرسول صلى الله عليه وسلم قال ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة ) والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قال فيمن من بخل بالزكاة ( فمن منعها فإن آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربك ) هذا دليل على أن البخل في الزكاة ليس بكافر لأنه سيأخذ نصف ماله ويترك نصف ماله ولم يقتله ولو كان مرتدًا لقتله ومن أدلة ذلك أنه قال عليه الصلاة والسلام ( ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي حقها . وفي رواية زكاتها . إلا

جعلت له صفائح يوم القيامة فيكوى به جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ( دليل صريح جداً في أن ممكن أن يكون سبيله إلى الجنة والصلاة والزكاة من باب واحد وأقسم أبو بكر على استواء حكمهما ، أليس كذلك ، قال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فمأذا تفرقون أنتم وأنتم تقولون أبوا بكر قاتل المرتدين ؟ نعم قاتل المرتدين الذين هم أتباع مسيلمة وقتل المرتدين عن بعض الدين وإن لم يكونوا عن كل الدين فهذا قاتل فيمن قاتل يقتل حتى يستسلم ، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر في الصيام وقد جعله من أركان الإسلام ، من آخر يوم في رمضان أمره بالقضاء والكفارة فدل ذلك على أنه لم يكن كافراً وقد فعل ذلك بشهوة ، دل ذلك على أن ترك الفرائض بشهوة دون جحود ودون إباء واستكبار لا يكون كفراً خارجاً عن الملة ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

### ٧٧- مات على التوحيد دخل الجنة

نقول في من مات على التوحيد دخل الجنة

نقصد بمن مات على التوحيد كان عنده أصل الإيمان وأصل الإيمان هذا يتضمن ما ذكرنا من قبل من قول القلب واعتقاده وعلمه وهو بمعنى واحد ونطق اللسان بالشهادتين وهو وأصل عمل القلب ، أي ذرة من ذلك أن يكون مخلصاً في لا إله إلا الله

فما الدليل على أصل عمل القلب ؟

الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ) فالإخلاص في لا إله إلا الله شرط في صحة الإيمان أو قل في الحقيقة ركن ، وأما إخلاصه في الأعمال الأخرى فهذا كمال الإخلاص الواجب ، فهذا ليس بدعة من القول كما يقول بعضهم بل هذا الكلام دل عليه هذا الحديث بوضوح شديد ، أن الإخلاص في لا إله إلا الله شرط في صحتها أو في الحقيقة ركن في قبولها لا تقبل بدون الإخلاص وأما ما سوى ذلك من الأعمال فواجب من الواجبات ، عمل القلب واجب لا يعمل إلا بنية ( إنما الأعمال بالنيات ) متفق عليه

الغرض المقصود أن من مات على التوحيد وعنده أصل الإيمان أي ذرة من إيمان أدنى أدنى مثقال ذرة من خير أو من إيمان دخل الجنة يوماً من الدهر أصابه قبل هذا اليوم ما أصابه ،

وكما ذكرنا أصل الإيمان يشمل قول القلب أي تصديقه وأصل عمل القلب ،

لماذا قلنا أصل عمل القلب ولم نقل عمل القلب ؟

لأن عمل القلب يتفاوت ،

وقد أوضحنا أيضاً تفاوت عمل اللسان وهو نطق اللسان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والتفاوت كما ذكرنا بين نطق الشهادة . شهادة أن لا إله إلا الله . فيمن يبلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي من بلغه فنطق فاكتمل إيمانه عن الأول ، وإن كان كلاهما لمن بلغه ركن في الإيمان لا يصح إيمانه إلا بذلك ،

نقول ويشمل كل ما صار شرطاً من الإيمان وركناً من أركان الإيمان فيكون لازماً لأصل الإيمان مثل من بلغه شهادة أن لا إله إلا الله يكون حقق أصل الإيمان ، ثم بلغه أن محمد رسول الله فلا بد حتى يكون عنده أصل الإيمان أن يشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا إذا بلغه القرآن العظيم لزمه أن يؤمن بالقرآن العظيم ، إذا بلغته آية لزمه أن يؤمن بها ، أصل الإيمان في حقه سيكون أكمل من أصله في حقه قبل أن تبلغه أو في حق من لم يبلغه هذا التفصيل ، كلما ازداد علماً بأمر معين كلما لزمه أن يؤمن به كذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ) وفي صحيح مسلم ( فيخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط ) والحديث الآخر ( من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم . وأن عيسى عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ) الحديث رواه البخاري ومسلم ، على ما كان من العمل يعني مهما عمل من عمل على ظاهر الحديث ، وقال بعضهم على ما كان من عمل أي على الدرجة التي يبلغها عمله ، ولكن كلمة ( على ما كان ) الظاهر في الحديث يعني مهما عمل والله أعلى وأعلم ، والعلماء يذكرون هذا الحديث في فضل التوحيد

ويحتج به والذي قبله من يقول بعدم تكفير تارك الصلاة فهو يحتج به على عمومه لأنه لا يصح به الاستدلال إلى على القول بعمومه وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه . تارك الصلاة . في حجة من لا يكفر تارك الصلاة هذا الحديث ، هذا والذي قبله وهو دليل عندهم بعمومه الذي قبله لأنه لم ينص على الصلاة فيه ولو لم يكن حجة بعمومه لما صح له الاستدلال به ، ولذلك جمهور أهل السنة يرون صحة الاحتجاج بهذا الحديث لأنهم يقولون بعمومه بخلاف من يزعم أن هذا قول المرجئة وهذا قول باطل ، الزعم بأن الاحتجاج بهذا الحديث هو من كلام المرجئة كلام باطل ، المرجئة ينكرون هذا الحديث من أصله لأنهم ينكرون التفاضل في الإيمان ، لا يرون أن الإيمان يمكن أن يكون مثقال ذرة أو أكثر أو أقل إنما يرون الإيمان شيئاً واحداً لا يتفاضل فالحديث حجة على الخوارج وعلى المرجئة لأنه يدل على تفاضل الإيمان والحديث حجة عليهم لأنهم لا يرون مسلماً يدخل النار ، لا يرون أن من عنده شيء من الإيمان يدخل النار ،

المرجئة يقولون من عنده التصديق الظاهر والباطن يدخل الجنة ابتداءً ولا يعذب في النار والخوارج والمعتزلة يقولون من ترك ما وجب عليه من الأعمال وارتكب الكبائر ومخلد في النار ولا يوجد عندهم من يدخل ثم يخرج ، فلذلك حجة هؤلاء الجمهور إنما هو الاحتجاج بعلوم الحديث

فلذلك نقول من مات على التوحيد وترك الشرك وهذا في الحقيقة عمل عند الكثيرين أو عند الأكثر يرون أن الترك فعل وهذا الذي ينبغي أن يقبله من يقولون بمسألة جنس العمل أعني أنهم إذا قبلوا أن يكون جنس العمل هو ترك الشراكات أولى بهم من أن يدعوا أنه لا بد أن يسع تسبيحة حتى يكون مؤمناً أو أن يسلم على مسلم أو أن يرد سلاماً ، فإنهم مضطربون اضطراباً كبيراً في تحديد ماهية جنس العمل فلو أنهم فسروه بترك الشرك كما فسر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مقتضى لا إله إلا الله ، أن من يعمل بمقتضاها أن يترك الشرك فهذا هو أحسن التفسير لذلك الشيخ رحمه الله في حديث ( من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ) قال في مسائله علمت أنه ليس قولها باللسان لأنه يدل على عمل القلب وكما ذكرنا أنه لا بد أن يترك الشرك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ) فهذا هو الذي ينبغي أن يقال في هذا ويكون الخلاف لفظياً إذ بمعنى أن نقر بأن هذا الترك للشرك الذي هو عمل عند الجمهور بالخوارج وبالأقوال شرط في أصل الإيمان لا ننازع في ذلك ،

ترك المكفرات ترك الشراكات لا بد منه ، هذا أمر دلت عليه النصوص ، لا بد أن يكفر بالطاغوت ويكفر بما يعبد من دون الله ، لا بد أن يترك ما يكفره وما يجعله من المشركين لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ف (مهما عمل من عمل ) أو ( على ما كان من العمل ) تشمل ترك ما وجب أو فعل ما حرم الله عز وجل وإن كان ترك الأركان أغلظ ليس بمنزلة فعل المحرمات من جهة غلظ هذا الأمر ولا يلزم من ذلك اختلاف الحكم ومن جهة الخلاف الساتع فيها ،

يعني ترك الفرائض أغلظ من فعل الكبائر ، ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج أغلظ من فعل الزنا والشرب والسرقه وإن كان كلاهما منفي الإيمان ، لكن ترك الفرائض أغلظ بل يشك أهل الإسلام في إسلام من ترك هذه الواجبات كما ذكر الذهبي رحمه الله في من أفطر عمداً في رمضان أنه شر من الزاني وشارب الخمر ، قال بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال ، لماذا يشكون ؟ لأنه اختلف العلماء فيه اختلافاً سائغاً مع أن عامة أهل العلم أن المفطر عمداً في رمضان مع إقراره على نفسه بالذنب دون إباء ولا استكبار مسلم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الذي جامع أهله في رمضان ومن أفطر عمداً في رمضان أن يعتق رقبة أو يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكيناً وهو دليل ظاهر على أنه ليس بكافر ومع ذلك فمراعاة الخلاف في المسألة وأن من كفر المفطر عمداً ومانع الزكاة بخلاً بها والمقاتل للإيمان عليها فضلاً على الخلاف الأشهر في ترك الصلاة أو من عزم على أن لا يحج إلى أن يموت متكاسلاً مع إقراره بفرض الحج وعدم إيبائه إياه فهذا الذي مراعاة الخلاف في تكفيره جعل العلماء يشكون في إسلامه يرون هذا الأمر ظنياً ، لو كان قطعياً لبدعوا المخالف لكن لكونهم يظنون ويرون الأمر في تكفيره وعدم تكفيره ظنياً لم يبدعوا المخالف ، لذلك نقول كلمة ( أدخل الله الجنة على ما كان من العمل ) تشمل ترك الواجبات وفعل المحرمات وإن كان ترك الفرائض الأربعة أغلظ من فعل المحرمات ،

نقول من مات على التوحيد دخل الجنة أصاب قبل هذا اليوم ما أصابه ، نقول من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( من قال لا إله إلا الله دخل الجنة يوماً من الدهر أصابه قبل هذا اليوم ما أصابه ) فهذا دليل على أن من مات على التوحيد مؤمناً كما ذكرنا لا يلزمه من أصل الإيمان يدخل الجنة يوماً من الدهر

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

٧٨- من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً

وأما من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً .



هنا عدة قيود ، أول هذه القيود أن من مات مشركاً والمقصود به الشرك الأكبر ، إذا اطلق الشرك والكفر في الكتاب والسنة أو في كلام العلماء فالأصل فيه الأكبر المناهض لأصل التوحيد وليس مجملاً لأن القرآن مبين فلا يجوز أن تحمله على الإجمال ، قد أنزله الله لبيان الأحكام وبيان الحق من الباطل فكيف يزعم زاعم انه لا بد من أن يبينه غيره وأننا نتوقف في ألفاظه لا نستبين منها شيئاً حتى يأتي دليل مستقل من خارجها؟! فلو أن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر أن من فعل كذا فهو كافر أو فقد كفر أو فقد أشرك فالأصل في ذلك أن يحمل على الأكبر حتى يدل دليل على أنه في الأصغر ، لا ننفي وجود الأصغر ولكن نقول هذا عندنا لإطلاق لأن الله أطلق فقال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء ٤٨ فهو عند إطلاقه الشرك الذي لا يغفره الله ، ولذلك ذكرنا أن عامة أهل العلم على أن الشرك الأصغر ليس داخلياً في عموم { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } بل داخل في عموم { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } لأن الإطلاق يقتضي ذلك ، أن الشرك الأصغر قيد ، والآية أطلق { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } وعند أهل العلم أن الشرك الذي يمكن أن يغفر هو ما كان من الشرك الأصغر لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ) بل والحديث يدل على أن من كان موحداً في الأصل ووقع منه شرك أكبر لا يدري أنه شرك ولا يدري أنه محرم لا يعرف أنه خلاف الدين أنه يمكن أن يغفر كذلك وهذا الذي ندين الله عز وجل به في مسألة العذر لعدم البلاغ أن من كان موحداً ووقع في أمر من الشرك وهو لا يدري لا يدري نهي الشرع عنه ولا يدري أنه من الشرك وهو لا يريد عبادة غير الله لكن يجهل أن هذا الأمر عبادة فعموم حديث ( ونستغفرك لما لا نعلمه ) دليل على أنه يكون حكمه كالشرك الأصغر في جواز المغفرة ، فالشرك الأصغر يمكن أن يغفر والشرك الأكبر إذا كان صاحبه لم يبلغه الحجة يمكن أن يغفر وهذا كلام أهل العلم في هذه المسألة وكلام شيخ الإسلام وغيره من العلماء في هذا الباب ، كما نص الشافعي على أن من جهل شيئاً من أسماء الله وصفاته لن تبلغه به الحجة لم يكفر ويعذر بالجهل لأن علم هذا لا يدرك بالعقل وإنما بالوحي ، فمن لم يبلغه شيء من أسماء الله وصفاته لم يكفر وأما إذا بلغه فكذب وجحد كان كافراً والعباد بالله ،

لذلك نقول أول القيود:

أن من مات على الشرك فلو أشرك إنسان ثم تاب إلى الله وأسلم فلا يكون مخلد في النار ، القيد الأول أنه مات ، فأما لو أنه أشرك ثم تاب يخصص به عموم الآية ، إذن الآية لها مخصص لأنها خصصت التائب ، الأدلة خصصت التائب ، عموم الأدلة أن الله لا يغفر أن يشرك به ، يعني لو واحد ارتكب الشرك الأكبر ثم تاب إلى الله عز وجل وما على التوحيد فإن الله يغفر له ، { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر ٥٣ . ومعلوم أن كل الرسل جاءوا إلى أقوام مشركين ودعواهم إلى التوبة وقد قال عز وجل لمن دعا له الصاحبة وولدا قال { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } المائدة ٧٤ وقال { وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } المائدة ٧٣ إذا انتهوا عما يقولون لم يمسه العذاب الأليم وقد قالوا إن الله ثالث ثلاثة وإن الله هو المسيح ابن مريم وغير ذلك من أنواع الكفر ، وأما أدلة قبول توبة المشرك فأكثر من أن تحصى ، فلذلك نقول لو أشرك إنسان ثم تاب إلى الله وأسلم لا يكون مخلداً في النار فالعبارة بالخواتيم ،

القيد الأول أن يموت على الشرك ولا يوجد نزاع فيما أعلمه عند كل أهل الإسلام أن من كان مشركاً وتاب من الشرك فإن توبته تقبل ولا يعقاب على أنه أشرك في حياته قبل توبته فالإسلام يجب ما قبله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص ( أما علمت أن الإسلام يجب ما قبله . يهدم ما قبله . وأن التوبة تجب ما قبلها وأن الحج يجب ما قبله )

القيد الثاني بعد بلوغ الرسالة والحجة :

من مات على ذلك بعد بلوغ الرسالة فوعيد من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة الخلود في النار أبداً للآية كما ذكرنا { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء ٤٨ في أحاديث الشفاعة قال النبي صلى الله عليه وسلم ( فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ) حديث رواه البخاري ومسلم ، أي وجب عليه الخلود بلا نهاية وجب الخلود للكافر في النار لقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } فهذا القيد الثاني قيد بلوغ الرسالة هو الذي فيه المنازعة مع من لا يشترط إقامة الحجة ، نقول أن الأصل في هذه المسألة عند أهل السنة دون المعتزلة والخوارج أنه لا بد من بلوغ الحجة لا بد من بلوغ الرسالة إجمالاً أو تفصيلاً على حسب الأحوال ، فمن بلغته الرسالة إجمالاً فكذب بها إجمالاً فقد لزمته الحجة بها ، من بلغه أن محمداً رسول الله وبلغته لا إله إلا الله محمد رسول الله فكذب بها إجمالاً لزمته الحجة ، وأما من صدق بها إجمالاً ولم يعلم بعض التفاصيل فلا يقال قد بلغته الحجة حتى تبلغه تفصيلاً ، الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل برسالة كاملة من صدقه إجمالاً لا يقال قد خرج عن هذا التصديق أو هذا الانقياد والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا بلغه تفصيل ما جاء به عليه الصلاة والسلام فكذب به ، فمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الإسلام ممن نطق بالشهادتين وجاء مسلماً يجعله بذلك مسلماً ولا ينتظر أن يعمل كل ما جاء به بل يحكم بإسلامه بمجرد النطق بالشهادة ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا علمه التزم به بعد ذلك ، وبعض أصحابه قتل ولم يعمل شيئاً وبعضهم لم يعلم ، لم يعلم كذلك تفاصيل ما جاء به من الآيات ، بل في مجلس واحد علم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مثل أركان الإسلام مثلاً الشرائع اللازمة له ولم يؤمن تفصيلاً بكل آية ولم يتكلف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره مثلاً ، بل اكتفى بالإجمال ولو كان شرطاً في صحة إيمانه أن يؤمن بكل آية تفصيلاً لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فلما لم يفعل علمنا أنه نفعه الإجمال ويلزمه كل تفصيل يبلغه بعد ذلك ، فمن لم تبلغهم الرسالة إذن وماتوا على الشرك مات مشركاً دون أن تبلغه الرسالة فهو من أهل الامتحان في عرصات القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة ) رواه ابن حبان وصححه الألباني الأصم الذي لا يسمع شيئاً كذلك ولا يفهم

فأما إذا بلغته الدعوة بالإشارة كالكتابة مثلاً وكان يحسن الفهم بالكتابة فقد بلغته الحجة والرسالة أو إذا كان يفهم لغة الإشارة فأفهم علم أصحابه ومن كان مثله ومن كان يحسن لغة الإشارة أن هذه اللغة قد وصلته أن هذه الإشارة قد وصلته فهذا ليس يحتاج لكن الأصم الذي لا يسمع شيئاً لا يفهم لا كتابة ولا إشارة فهو يحتاج يوم القيامة،

ورجل أحمق أي مجنون ، ورجل هرم وبلغ في السن الخبر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً ، ورجل مات في الفترة ، في وقت فتور الوحي بين الرسل أي هي فترة انقطاع الوحي قبل أن يبعث رسول ،

قال ( فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحزفوني بالعر . الصبيان من عاقتم أنهم يسرون وراء المجانين يحذفونهم بعبرات العبير أو الحجرة . قال وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول ، فيأخذ موثيقهم لطيعه فيرسل لهم أن ادخلوا النار فالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ) وفي رواية ( من دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخل سحب إليها ) الحديث رواه أحمد وابن حبان ورواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع وصححه غير واحد من العلماء ،

هؤلاء كفار ماتوا على الشرك لكن لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم وهو لا يعقلون فهؤلاء لا يعذبون حتى يمتحنوا ،

أحاديث الامتحان وإن أنكرها بعض العلماء إلا أنها ثابتة صحيحة والحجة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

البعض يقول الآخرة ليست دار امتحان ، الأحاديث في الامتحان صحيحة ، هذه القاعدة إنما هي في الأغلب الأعم أن الآخرة ليست دار عمل لكن بالنسبة إلى هؤلاء دار عمل ،

لماذا قلنا هؤلاء ممن يحتاجون بعدم بلوغ الإسلام أو لعدم عقولهم حين بلغهم الإسلام ؟ نقول لأنهم لو كانوا على التوحيد لما احتجج إلى امتحانهم ، لما كان هناك ما يقتضي امتحانهم لأنهم ماتوا على الشرك فاحتجوا بذلك ، وأما من مات موحداً فهو يحتاج بالتوحيد ، ولا إله إلا الله مقبولة من كل من أتى بها ، فلذلك قلنا أن من مات على الشرك ولكن لم تبلغهم الحجة ،

والأدلة على بلوغ الحجج على اشتراط الرسالة منتشرة مستفيضة في أدلة الكتاب والسنة ، قال الله عز وجل { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الاسراء ١٥ بعض الجبهة يقول قد بعث الرسل فقامت الحجة على كل أهل الأرض ، من لم تبلغه ليس مكلفاً بهذه الرسالة التي بلغته ولذلك يمتحن ، قال عز وجل { لَقَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء ١٦٥ أي أنها تبلغهم كذلك دعوة الرسل ، قال تعالى { وَأَوْحِيْ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الانعام ١٩ فم بلغه القرآن فهو المنذر ، من لم يبلغه القرآن فليس بمنذر وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد ) وليس أنه قد أرسل فقد قامت الحجة على من سمع ومن لم يسمع إنما قال ( والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار ) رواه مسلم

و المسألة كما ذكرنا مذكورة متكررة في القرآن العظيم وهي حجة على الخوارج والمعتزلة الذين يرون العقل حجة قائمة والحقيقة أن الذين ينكرون أصل هذه المسألة ويرجحون قيام الحجة في التوحيد بالفطرة أو بالميثاق الأول فهم على قول المعتزلة والخوارج الذين يرون عدم لزوم بعثة الرسل في إقامة الحجة والقرآن يرد عليهم ، الخوارج والمعتزلة يقولون بأن التحسين والتقيح العقليين كافيان في إثبات الحجج وغير هؤلاء الألفاظ فقط حين قالوا الفطرة ، والفطرة ثابتة وهي أحد الحجج لكن لا تكون حجة إلا بعد التكدير بها من قبل الرسل وقد قال الله أيضاً عن الميثاق الأول { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } الاعراف ١٧٢ أي أخبرناكم بذلك لئلا تقولوا . أن . بمعنى لئلا هنا ، { ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } فمنعهم الله من هذا الاحتجاج يوم القيامة الذي أخذ عليهم وأبلغتهم به الرسل وإنما تمت الحجة بالميثاق الأول وبالفترة لبعثة الرسل ،

الله عز وجل يحب العذر وهذا نص الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم ( وما من أحد أحب إليه العذر من الله ) متفق عليه من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب ، هو عز وجل من حبه للعذر لم يجعل الميثاق الأول حجة مستقلة بغير بعثة الرسل ولا الميثاق الثاني وهو الفطرة حجة مستقلة لغير بعثة الرسل من أجل أنه يحب العذر أرسل الرسل وأنزل الكتب ليذكروا الناس بالعهد الأول وليذكروهم بفطرتهم وليوقظوا فيهم الفطرة فإن الله أخبر في كتابه فقال { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الروم ٣٠ إذن الله أخبر في كتابه أن هذه فطرة وإلا فمطموس الفطرة ينانع في أن الفطرة كذلك ، يقول فإنه يجد في نفسه أن الحق غير ما تقولون يزعم ذلك لكن إنما تتم الحجة عليه بالفطرة وبالميثاق الأول ببعثة الرسل لذلك من يرجح ممن يقول لا عذر بالجهل لعدم البلاغ وإلا فليس كل جهل يكون عذراً ، إنما نعني بالجهل الناشئ عن عدم البلاغ فمن يرجح أنه لا يكون عذراً ولو لم يبلغه هو يرجح قول المعتزلة وهناك كتب ترجح ذلك ككتاب . العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي . وإن قدم له من قدم من المشايخ إلا أنه ينص صراحة على أن العهد الأول . الميثاق الأول . كافية في إقامة الحجة دون بعثة الرسل وهذا والله قول المعتزلة وليس قول أهل السنة وإن كان المعتزلة يسمون ذلك العقل فلكن لو غيرت الكلام وقلت بمضمون الأمر وهو أن دعوة الرسل ليست لازمة في إقامة الحجة فقد قال بقول المعتزلة وليس بقول أهل السنة والجماعة وقضية التوحيد مع كونها عظيمة إلا أن الله لا يعذب أحداً في أمر من الأمور إلا بعد أن تبلغه دعوة الرسل كما نص في كتابه عز وجل .

لذلك نقول من بلغته الرسالة لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا بد أن يصدق بما فلو لم يبحث عنها وظل على كفره بعد أن بلغته هذه الكلمات لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو كافر مخلد في النار باتفاق المسلمين ، من خالف في هذه المسألة فهو ضال مبتدع ، المخالفين الذين يقولون أنه لا تلزم بعثة الرسل ، والمخالفين الذين يقولون أيضاً وإذا بلغتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله لا بد وأن نناقشهم في التفصيل مثلاً أو أنهم يكونون معذورون بعد هذه ،

مثل البعض الذين يقولون أن من كانت عنده شبهات عن الإسلام وظل عليها ولم يبحث في ردها أو لم يبحث عن الدين فمات مات معذوراً ، لذلك نقول هناك من يشترط أن يكون من بلغته الرسالة معانداً لكي يحكم بقيام الحجة عليه ،

يعني نقول المخالف لهذه المسألة نوعان :

نوع يقول لا تلزم دعوة الرسل ، ونوع يقول لا إذا كان يظن نفسه على الحق بشبهات يكون معذوراً ، لا يرى أن إقامة الحجة كافية بوجود الأدلة ووجود دعوة الرسل بل يرى أنه لا بد أن يكون مقتنعاً في باطنه فإذا كانت عنده شبهات منعت هذا الاقتناع كان معذوراً ،

لذلك نقول يشترط أن يكون معانداً لكي يحكم بقيام الحجة عليه يعني يكون عارف فيه نفسه أنه مبطل فيكون الإسلام قد بلغه في صورة الإسلام مشوهة ، فإن بلغته صورة الإسلام مشوهة فهو معذور عندهم لأن الإسلام الحق لم يبلغهم ، لأن قسرى وقيصر لم يقولوا لأتباعهما إن الإسلام دين حق ودين خير ولكن لا تدخلوا فيه وإنما كان يشوهان صورة الإسلام دائماً يشوهون صورة الإسلام ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لهرقل (أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ) متفق عليه لماذا عليه إثم الأريسيين ؟ لأنهم يتبعونه على الباطل كما قال تعالى حكاية عن الاتباع يوم القيامة { بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَثْدَادًا } سبأ ٣٣ فقد كانوا يزينون لهم السوء ولو يكونوا يظهرهم الإسلام بصورة حسنة بمعنى يوجد كافر جاهل ، في فرق بين قيام الحجة وبين فهمها لا يلزمنا أن يفهموا أنهم على باطل طالما قد بلغتهم الحجة بلسانهم بلغتهم الرسالة بلسان يفهمونه يفهمه من هو مثلهم فإن أعرضوا فقد قال الله تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } السجدة ٢٢ وقد قال عز وجل { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } الكهف ١٠٣ وقال ربنا سبحانه وتعالى { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمُ فَأَصْبَحْتُمْ } فصلت ٢٣ فكونه ظن السوء بالله سبحانه وظن الجاهلية لم يكن عذراً له عند الله بعد أن بلغه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

مسألة الصورة المشوهة هذه عن الإسلام وشبهات حول الإسلام هو مأمور بأن يبحث إذا ترك البحث وأعرض عن هذا الدين بعد أن بلغه كما ذكرنا أصله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقبل ما قالوا أنه رجل كذاب ، فقد كان أبو جهل يقول للناس هذا محمد رجل صادق فلا تتبعوه ؟! أم كان يمر خلفه في الأسواق ويقول ساحر كذاب ؟ كانوا يقولون ساحر كذاب ، وهذا التشويه كان عذراً للناس في أن يظلوا على الشرك بعد أن يسمعوهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ؟ هذا لا أثر له لأنه لا بد أن ينظروا وقد نظر من نظر فأسلم بحمد الله تبارك وتعالى وأعرض من أعرض فكفر ، وأن الله جعل أدلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم كالماء والهواء يجدها كل من طلبها كأدلة التوحيد كالماء والهواء كل من طلب أدلة التوحيد والرسالة وجهدها لذلك لا نفترض أنه يمكن أن يبحث فلا يجد بل نقول من بحث وجد لا يكون هناك جهالة بعد بلوغ الحجة إلا بسبب الإعراض عنها لأن الأدلة كافية بفضل الله عز وجل لكل أحد والرسول الكرام قد أيدهم الله بمعجزات باهرة من الدعوة الحق والشرعة العظيمة والمعجزات الحسية والمعجزات العقلية والحسية ما يمنع من بلغته من الاستمرار على كفره ،

فمسألة أن الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام معذورون اليوم لأن قادتهم ووسائل إعلامهم تشوه لهم الصورة كلام باطل وإن قال به من قال ،

يمكن أن نعذر بعض المشايخ الذين يظنون أن هذا قول أهل السنة أو أخطأوا في هذه المسألة لكن أما أن القول نفسه محدث وبدعة فهو لا شك فيه ، وأن النصوص صريحة في أن هناك من الكفار من هو ليس بمعاند من يظن نفسه على الهدى من يعتقد أنه على الحق ويظن بالله ظن الجاهلية وظن السوء هذا الذي يريده فلا يلزم أن يكون معانداً في باطنه كال فرعون الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم أو كأبي جهل وأقرانه وأمثاله ممن يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يطبقون اتباعه كما قال الله فيهم فإهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، فلا يلزم أن يكون كل الناس كذلك ، بل كما ذكرنا هناك من يظن أنه يحسن صنعا ويظن نفسه على الحق .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

ونذكر بعض النقول في الجهل الناشئ عن عدم البلاغ ، وكذا الأدلة قال الله تعالى حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم { وَأَوْجِيْ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الانعام ١٩ فمن بلغه القرآن فهو المنذر ومن لم يبلغه أو شيء منه لم تقم عليه الحجة فيه ، يعني فيه جزء لم يبلغه من القرآن ولكنه صدق القرآن جملة ، إذن الذي بلغه القرآن جملة وبلغه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه جملة إجمالاً دون أن يعلم ما جاء به لا نقول قد بلغته هذا الجزء من الرسالة لم تقم به الحجة حتى يبلغه هذا الجزء الخاص طالما صدقه إجمالاً ، من كذبه إجمالاً كفر بلا نزاع ، حتى ولو كان يظن نفسه على الحق ، قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الاسراء ١٥ أي ويبلغهم خبر الرسول لأنه لابد أن تصل خبر الرسول ، والآيات في ذلك كثيرة وقد ذكرنا جملة منها { لَقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء ١٦٥ قال { أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ } الانعام ١٥٧ فهم يحتجون بأنهم لم يأتيهم رسول أو يأتيهم كتاب وكما قال سبحانه وتعالى { وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } القصص ٤٧ وغيرها كثير ، كلها تدل على أن العذاب إنما يكون بعد بلوغ الحجة والندارة التي جاء بها رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ( والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ) رواه مسلم لذلك نقول أهو سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم أم لا ، أما الذي سمع عن محمد أنه رجل يدعو إلى عبادة نفسه مثلاً أو أنه رجل مصلح اجتماعي ولم يبلغه أن محمد رسول الله ، فلو بلغه أنه يدعو لعبادة نفسه بدلاً من المسيح إذن لم يبلغه أنه لا إله إلا الله ، ولم يبلغه أن محمداً رسول من عند الله يدعو أنه لا إله إلا الله ، الذي تبلغه هذه تكون بلغته الرسالة ،

فمن لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور ومن آمن به صلى الله عليه وسلم ثم لم تبلغه بعض أخباره وأوامره فهو معذور كذلك من هذا الحديث ،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( كان رجلاً يسرف على نفسه فلما حضره الموت فقال لبيته إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الرياح فوالله لأن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحد فما مات فعل به ذلك فأمر الله عز وجل الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال الله عز وجل ما حملك على ما صنعت قال يا رب خشيتك فغفر له ) رواه البخاري ومسلم ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين الذي فيه الرجل الذي قال فإذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لأن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين .... الحديث ، قال فهذا رجل شك في قدرة الله في إعادته بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ،

الأولى والثاني التي هي الجهل بالقدرة والجهل بالبعث ، أو أنه اعتقد خلاف البعث ، اعتقد أنه يمكن أن يضل الله ، كما في رواية ذكرها ابن حجر قال أن هذا الرجل قال ( لعلني أضل الله ) ، كان عنده احتمال أن بعض الناس لا يعنون ، فشك في القيامة وشك في قدرة الله عز وجل ، فاعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ، وهذه ليست في أمور خفية كما يدندن البعض في كلمة الأمور الخفية كبعض مسائل الصلاة ، فنقول لهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد ابن عبد الوهاب الذي يقول " وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر البدوي لأجهل جهلهم وعدم منهم بنبههم " فيقولون الشيخ يعذر في الأمور الخفية ، الشيخ يقول في الصنم الذي على قبر البدوي وشيخ الإسلام يتكلم في الشك في قدرة الله والشك في البعث والقيامة ومع ذلك تقول في الأمور الخفية ؟!

أولاً لما خفيت على هذا الرجل ، لو سلمنا أنا خفية ، وخفيت على هذا الرجل ، التفاوت هذا خفاء نسبي ، خفي على هذا لأنه لم يبلغه ولم يخفى على غيره فمسألة الأمور الخفية هذا يكون في بلد في بيئة معينة يخفى أمر معين ، يخفى أن الدعاء عبادة والذي يدعو غير الله يقول لا أعبد غير الله فقد خفي عليه أن هذا عبادة ، وخفي على عدي ابن حاتم أن النصراني كلهم يعبدون الأبحار ويتخذونهم أرباباً ومع ذلك فهو إلى الإجمال إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلى أسلم تسلم واسلم يؤتاك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأسيليين ، و { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ } آل عمران ٦٤ ولم ينص في الرسالة إن لابد أن تقروا بأن اتباع الأبحار والرهبان في التشريع عبادة لهم من دون الله ، إنما اكتفى بالإجمال هو كلام واضح وبين والله العظيم ، بعض المشايخ الذين يقولون في الأمور الخفية كلامهم باطل ، وكما ذكرنا أي خفاء متفق على أنه لا يتفاوت ؟ هذا أمر يتفاوت في خفاء لقوم يختلف عن قوم آخرين ، فمسألة أن يقصرها على عموم الصلاة في الوضوء ، العلماء ينصون على ذلك أو بدعوا شيخ الإسلام وقولوا أن ابن تيمية لم يعلم والشيخ محمد ابن عبد الوهاب لا يعلمها وتختصر الطريق ، لو قلتم ذلك كما قال واحد في التفسير أحد المرات أقول له لو أتينا بكلام هؤلاء المشايخ في العذر بالجهل صريحاً أعتقد كفرهم ؟ قال نعم لو شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب قال ذلك سأعتقد أيضاً ، قوتل انتهى الأمر لأنه لا يوجد عند كلام تأتي به في مسائل التوحيد غير كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأدلة على ذلك ، سنتكلم في الأدلة نحضر الأدلة من الكتاب والسنة في بلوغ الرسالة وبلوغ الرسالة فهذا الجزء من الرسالة لم يبلغه إذن لابد أن تبلغه هذه الرسالة التي هي جزء من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ } يونس ١٠٦ لابد من بلوغ هذه الآية فبلغته بلغة أخرى من واحد صيني لا يعرف عربي فنقولها بالصين واحد فلاح لا يعرف نترجمها باللغة الدارجة له حتى يفهم ، { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } إبراهيم ٤ لذلك يقول الفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة ، العبرة أنه تدين له إذن تخاطبه بلسان يفهمه مثله ، هو نفسه يفهمها أم لا هذا شيء لله سبحانه وتعالى لا يملكها أحد ويمكن أن يعتقد العقيدة الفاسدة كما بين له العباد بالله ، كما قال عز وجل { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا } محمد ١٦ لا يسمعون ماذا كان يقول ، ولا يفهمون تخائفاً بل يلقي الشيطان في أفهامهم وأسماعهم خلاف ما نطق به النبي صلى الله عليه

وسلم ، يسمع الوحي يسمع شيء آخر من شدة تسلط الشيطان عليه ، ويفهم شيء آخر كما في قصة الغرابيق التي هي إن كانت ضيفة سنداً لكن إن صحت أو وجه تأويلها إن صحت هو ما قال الله عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ { الحج ٥٢ } إلى إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته بمعنى أنه يلقي في أسماع الكفار شيء ليس أنه يلقي على لسان الرسول ، في قراءته في وسط القراءة يلقي أشياء من كلام الشيطان في أفهام وأسماع المتسلط عليهم الشيطان ، فيزل الله ما يلقي الشيطان بالوحي المحكم ﴿ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ { الحج ٥٢ } ليس أن الرسول تلفظ بتلك الغراميك العلا ، يمكن أن الشيطان ألقى في أسماعهم ذلك ، أو ألقى في أفهامهم ذلك وظنوا ذلك هذا ليس بمعتبر ، العبرة أن يكون قد بلغهم بلسان قومهم ، الحجة بينت لهم ، كلام شيخ الإسلام يقول " هذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك "

إذن هذا كفر وقع من هذا الرجل ، لذلك هذا الرجل ارتكب شرك أكبر ، الكفر هذا من وحي الشيطان والرجل قد اتبعه وظن الظن المهلك وكفر باتفاق المسلمين والكفر والشرك متلازمان ومع ذلك غفر له لأنه كان عنده أصل الإيمان ومع ذلك يخرج من النار وقد ورد في رواية أبي بكر الصديق في هذا الحديث في الحديث الطويل وهو حديث حسن أن هذا الرجل من آخر من يخرج من النار ، إذن عوقب هذا الرجل على ما فرط من واجبات وعلم وعلى ما اعتقد العقيدة الفاسدة بتقصير منه ولكن منع من تكفيره الكفر الناقل عن الملة هو خشيته لله أنه كان جاهلاً مع وجود أصل الإيمان في قلبه ، لذلك قلنا أن هذا مما يحتمل المغفرة ، الذي هو الشرك لمن لم تبلغه الرسالة ، كما صح أن ( من دخلها كان عليه برداً وسلاماً ) هذا النوع من الناس مات مشركاً أليس كذلك ويحتجون يوم القيامة ومع ذلك غفر له شركه لأنه لم تبلغه الرسالة يقول ما أتاني من رسول ، ما دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها ، إذن واحد مات على الشرك واحتج بحجة وكلف بتكليف يوم القيامة واستجاب لأمر الله وأطاع الله فدخل النار فكانت عليه برداً وسلاماً فكان من أهل الجنة ،

وقال أيضاً شيخ الإسلام رحمه الله كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي قال " إن أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لأن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين " قال بعد أن ذكر الحديث قال " فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له " فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك أنه لا يبعثه كل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يريده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعدته ووعدته فخاف من عقابه فغفر الله له من خشيته فهذا يدل على خطأ قول من يقول من المشايخ من المتأخرين وبعض المعاصرين أن من مات على الشرك ولم تبلغه الحجة وكان من الجهال فهو ممتحن في الآخرة حتى ولو كان معه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الذين يقولون أن المسلمين الذين يدعون القبور وأصحاب القبور وعندهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ويعتقدون ألا يعبد إلا الله لكنهم يجهلون أن ممد يا بدون عبادة يقولون أن هؤلاء يمتحنون يوم القيامة ،

الصحيح أنهم من أهل النجاة لا من أهل الامتحان وإن دخلوا النار وعذبوا فيها لكن لا يخلدون فيها وليسوا من أهل الامتحان ، أهل الامتحان الذين ماتوا على الشرك ولم يكن معهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ،

قال ابن حزم رحمه الله وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً لم يعمل خيراً قط فلما حضره الموت قال لأهله إذا أنا مت فأحرقوني ثم ذروا رمادي في يوم راح . يوم شديد الريح . نصفه في البحر ونصفه في البر فوالله لأن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من خلقه وإن الله جمع رماده فأحياه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يارب وأن الله تعالى غفر له بهذا القول

قال أبو محمد هذا إنسان جهل إلى أن مات لأن الله تعالى يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له بإقراره وخوفه فقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه أن معنى لأن قدر الله علي . إنما هو لمن ضيق الله علي . كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ { الفجر ١٦ } أي ضيق ، قال أبو محمد فهذا تأويل باطل لا يمكن بأنه كان يكون معناه حينئذٍ لمن ضيق الله علي ليعيقني علي ، وأيضاً لو كان هذا لما كان لأمره لأن يحرق ويذر رماده معنى ولا شك إنما هو أمر بذلك ليفلت من عذاب الله ،

وفي الحقيقة حملة البعض على الخطأ ولا مخرج لهم ، أعني أنه زهل فقال كلاماً مثل الذي قال المهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ، ولا شك أن أهل السنة أيضاً يقولون أن من أخطأ في هذا الحال لم يعاقب عند الله عز وجل ويفغر له هذا القول الكفري لأنه قاله على سبيل الخطأ ، فنقول إذن سلمتم أن هذا القول شرك وكفر . اللهم أنت عبدي وأنا ربك . وغفر له لأنه قاله خطأ فكذلك فقولوا في الجهل ،

يبقى أن هذا الرجل هل هو زاهل بمعنى أنه قصد قولاً فوق غير نقول الكلام ظاهر جداً في أنه بنى أموراً على أمور ، أمر يحرق نفسه ليصعب الأمر على الله عز وجل على ظنه ، وليس أنه أراد كلاماً فوق غيره ،

قال الإمام الشافعي رحمه الله " لله تعالى أسماء وصفات جاء به كتابه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بما فيما روى عنه ، فإن قال كذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدود بالجهل لأن علم ذلك لا



يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بما أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بما فنبت هذه الصفات ونفني عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ { الشورى ١١ } " ذكره ابن حجر في فت الباري

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أن مانعي الزكاة على الحقيقة أهل أهل بغي ، مانعوا الزكاة على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد ذكرا تفصيل الكلام عليهم في شرح مسلم في كتاب الإيمان واختلاف العلماء في كونهم مرتدين أم أهل بغي أم طائفة ثالثة والتزجج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنها طائفة ثالثة هم والخوارج ، فمانعوا الزكاة كانوا في باب العمل والخوارج كانوا في باب الاعتقاد ، ومانعوا الزكاة كان عندهم أيضاً شبهة في إنكار استنكار فرض الزكاة ، لم ينكروا أصل فرضها ولكن أنكروا استمرارها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشبهة أنهم استدلووا بقوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ { التوبة ١٠٣ } فقالوا نحن نريد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فما تغني عنا صلاة أبي بكر قالوا والحال قد اختلف ، وهذا تأويل باطل لا شك فيه ، ولا يمنع من عقوبتهم ولكن يمنع من تكفيرهم ، سمو مرتدين لأنهم دخلوا في غمار أهل الردة ولأنهم ارتدوا عن بعض الدين ، فهو مرتد عن جزء منه وليس عن أصله ومن العلماء من يرى تكفير مانعي الزكاة وأن من قاتل الإمام عليها فهو كافر ،

وذكر ابن حجر رحمه الله في مانعي الزكاة أنه انعقد الإجماع بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم يعني بعد عهد أبي بكر على أنهم لا يكفرون ، إلا أنه إجماع ظني في الحقيقة حيث قال في مسألة سبي نسائهم ، نقل أن عمر رضي الله عنه ، وهو عمر ابن عبد البر الذين نقل أن عمر رد سبيهم إليهم قال " وانعقد الإجماع على ذلك إلا أشهد من المالكية أو غيره . أنا لا أذكر النص . فإنه ظل على القول الأول فعد بالندرة المخالف ،

الغرض المقصود أن كلام الخطابي رحمه الله أنه يرجح قول من يقول أنهم أهل بغي ،

قال " فإن قيل كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذكرت وجعلتهم أهل بغي وهي إذا أنكرت طائفة من المسلمين فرض الزكاة وامتنعوا عن أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي قلنا لا فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين والفرق بين هؤلاء وأولئك أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان منها قرب العهد في زمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين وكان عهدهم بالإسلام قريباً فدخلتهم الشبهة فعذروا "

عذروا في ماذا ؟ عذروا في التكفير ولم يعذروا في القتال ولم يعذروا باستحقاق العقوبة في الدنيا والآخرة ولكن ليست كعقوبة الكفار حتى من يرى قتالهم كالكفار يستثني سبي النساء فإن طائفة من العلماء ترى إنه إن منعت طائفة الزكاة قوتلت كالمتردين أي في صفة الارتكاب وإن لم يجعلوهم كذلك وكما ذكرنا عاتمتهم يستثنون سبي النساء بل وجهور العلماء يستثنون أيضاً أخذ الأموال ولكن المسألة فيها اجتهاد أكثر من السبي ، سبي النساء والذراري لا يكاد يقول به أحد في الخوارج ومانعي الزكاة والطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة ، أما قسمة الأموال كغنيمة فشيخ الإسلام يرجح قسمة أموال هذا النوع من المقاتلين على أنها غنيمة بناء على ما نقله أو ما صح أو ما رجحه هو في النقل عن علي من أن علياً خمس ما أخذ من الخوارج ، والصحيح أن علياً لم يثبت عنه أنه خمس ما أخذ من الخوارج ، الإسناد منقطع ، بل السند المتصل أنه لم يخمس ما أخذ من الخوارج ، وكذلك لم يقتل علي رضي الله عنه من بقي منهم وكانوا قلة بل فرقهم في قبائلهم

وقتل علي للخوارج من جنس قتال أبي بكر لمانعي الزكاة وكل من الفريقين قد قال وعمل ما هو من الكفر لكن لا يكفرون بالعموم ولا المعين منهم لعدم استيفاء الشروط وانتفاء الموانع للفرق بين النوع والعين فالخوارج قتلوا أحد أبناء الصحابة رضي الله عنه مستحلين لذلك يرون أنه لا حرج عليهم في دماء المسلمين لأنهم كفروهم والاعتقاد نفسه كفر والفعل بهذه الطريقة كفر ،

ومانعوا الزكاة منعوا الزكاة يرون أنها ليست فريضة في عهد أبي بكر وما بعده لأنهم تأولوا هذا الحكم كما ذكرنا فهذا الاعتقاد وهذا الفعل أن يقاتلوا الإمامة عليها مستحلين عدم الأداء أو في الحقيقة جاحدين للوجوب منكرين لوجوب الكفر لكن لماذا عذروا في التكفير ؟ لأجل أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين وهنا قال بأمور الدين وهو في أمر كما ذكرنا لو وجد في زماننا لكان كفراً بالاتفاق لانه في شيء معلوم من الدين بالضرورة لذلك يقول " فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام وفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشترك فيه العالم والجاهل فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها " يعني ممكن يتأول لكن تأويل باطل مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة فيكون تأويل غير معتد به ، إذن التأويل والجهل إنما هو فيما لم ينتشر علمه ، في هذا الكلام نعرف معنى المعلوم من الدين بالضرورة وهو أنه شاع واستفاض في المسلمين علمه بالشيء سواء كان أمراً علمياً أو عملياً ، التفرقة في مسائل الاعتقاد عن مسائل العمل في الحقيقة قول محدث في هذا الباب إنما هو من كلام المعتزلة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فهناك من مسائل الاعتقاد ما يعذر فيه المخالف ولا يكفر مهما كان الخلاف فيه بالاتفاق لا بل يبدع ، أعني مثلاً أنه ذكر مثلاً هو الخلاف في هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج أم لا واختلاف المسلمين في أفضلية علي عثمان وعثمان على علي ، فهذه مسائل لا يضل فيها ولا يبدع فضلاً عن التكفير وهو مسألة اعتقادية بل أكثر مسائل التفسير المختلف فيها مسائل اعتقادية علمية ومع ذلك لا يكفر المخالف ، وذكرنا أمثلة أخرى غير ما ذكره شيخ الإسلام مثل الاختلاف في نبوة الخضر ، لو شك إنسان في نبوة موسى لكفر ولو شك في نبوة عيسى لكفر ولو شك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكفر ، وأما أن يكون أن الخضر ليس بني فعند من يقول بنبوته هل يكفره ؟ لا يكفره ، وكذلك لو أثبت نبوة من أجمعوا على عدم نبوته مثل من أثبت نبوة مسيلم كان كافراً بالإجماع ومرتداً بإجماع المسلمين ، أو نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فلو قال أحد بنبوته



الخضر ما حكمه عند من ينفي نبوته ؟ مجتهد أو متبع لمجتهد أو مقلد ، الأمر فيه اجتهاد في مسألة اعتقادية محضة مما يكفر في مثلها لو كان الأمر بناء على التفريق بين مسائل الاعتقاد وبين مسائل العمل ، ولا يوجد حتى في كلام حتى أهل البدع من جعل مسائل التوحيد مستقلة عن بعض مسائل الاعتقاد ، المعتزلة واشباههم يجعلون كل مسائل العقيدة يكفر فيها المخالف ، والعمل لا يكفر فيه وليس هذا بطريق أهل السنة ،

طريق أهل السنة النظر في انتشار العلم في المسألة سواء كان في مسألة علمية أو عملية بل الحقيقة عند التأمل أن اعتقاد وجوب الزكاة ووجوب الصلاة هي مسائل في الحقيقة علمية لأنه يعلم وجوب الزكاة وينطق بذلك ويقول به فنقول إذن معنى المعلوم من الدين بالضرورة هو ما انتشر عليه واستفاض في المسلمين حتى عرفها الخالص . العلماء . والعلم الذي هو عوام الناس ، واشترط فيه العالم والجاهل مثل لو أنك أتيت إنساناً اليوم وقلت له عن القرآن يقول إنه كلام الله الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وأن كله حق ، فلو أن أحداً في زماننا قال أن القرآن فيه أخطاء أو أنه ينظر في إمكانية وقوع الخطأ في القرآن أو التحريف كان كافراً حراجاً من الملة بلا تردد بلا شبهة ولو تأول كما لو أن إنساناً تأول في وجوب الصلوات الخمس ووجوب سائر التكالييف ، تأول مثلاً قول الله { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } { الحجر ٩٩ } أن من أتاه اليقين فترفع عنه العبادة سقط عنه وجوب الصلوات الخمس وسقط عنه وجوب صوم رمضان وسقط عنه الزكاة هذا كافر بالإجماع ولو كان متأولاً وهذا الفرق بين الجهل الكافر والكافر المعاند ، هذا كافر جاهل وإن كان يظن نفسه على الحق لكن أنكر معلوم من الدين بالضرورة ، الذي يعذر في مثل هذا لا يعرف مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي يعذر مثل هذا الذي يستحل مثل الصلوات الخمس والغسل من الجنابة ويستحل الفطر في رمضان أو ينكر وجوب الزكاة لأنه قد وصل إلى اليقين أو بعض الأمة لا يلزمها ذلك خارج من الملة لا يعذر بتأويل يتأوله في إنكار ما أنكر لماذا ؟ لأن العلم بوجود هذه الأشياء قد انتشر حتى علمه العام والخاص والعالم والجهال ،

هناك فرق بين فهم الحجة بين قيام الحجة ،

الذي يناقشه الناس يقول لهم أنتم جهلة ولا تعرفون الحقيقة التي تخالف الشريعة ، الحقيقة أن من وصل إلى اليقين وشهد الحقيقة الكونية شهد توحيد الربوبية وشهد ملك الله عز وجل زال عنه التكليف لأن العبادات وسيلة لا غاية ، وهو يتهمهم أنهم جهلة وناقشوه وهو مصر على اعتقاده يكون خارج من الملة ولو كان لا يفهم لأنهم خاطبوه بطريقة يفهمها مثله ، في الحقيقة هو ليس محتاج إقامة حجة لأن هذا الأمر معلوم من الدين بالضرورة ، كونه متأول فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكاره ، لذلك لا نقول ليس كل التأويلات تقبل ، في تأويلات تقبل ، تأويل الخوارج قبله علي مع كونه تأويل باطل قطعاً { إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ } { الانعام ٥٧ } لما كفروا علي رضي الله عنه لكن قبله في منع تكفيرهم ، قال قوم كانوا معنا فبغوا علينا فقتلناهم ، أو قاتلونا فقاتلناهم ، لكن علي رضي الله عنه لم يسر فيهم سيرة الكفار بل قال من الكفر ففروا ، وطريقته فيهم المنقولة من طرق متعددة أنه لم يعاملهم معاملة الكفار وابن ملجم الذي قتله قال انظروا حتى إن عافاه الله حتى يمضي الله فيه أمره ، وإن كفره لقتله من ساعته بل لما مات قتل قصاصاً ، دل ذلك على أن الأمر لم يكن في أمر الخوارج وقتلهم ممن تأول مثل هذا التأويل قبله علي بمعنى أنه جعله مانعاً للتكفير ولم يجعله في كونه مانعاً من القتال لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتلهم وحث على ذلك ورغب فيه رغم أنه لا يلزم كفرهم ،

وقد ذكرنا جملة من أحاديث الخوارج في شرح مسلم وذكرنا ما يدل على عدم خروج جميعهم من الملة حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في بعض الروايات ( فيتماري في فوقة ) فهناك التماري وبقي شيء في آخر هذا السهم الذي مرق من الدين ( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في النصب فلا يرى شيئاً فينظر في الغطاف لا يرى شيئاً فينظر في الريش فلا يرى شيئاً فيتماري في الفوقة ) رواه البخاري التماري في الفوقة هو الشك في آخر جزء من الريش من السهم ، فهذا يدل على أنه قد يوجد عنده ذرة من الدين جعلت أهل السنة في مجموعهم يتوقفون عن تكفيرهم بالعموم ، لا يجعلونهم كالدرز ، لا يجعلونهم كالمرتدين أتباع مسيلمة الكذاب ، لم يجعلوا الخوارج كأتباع مسيلمة ، لم يجعلوا الخوارج كالشرك من اليهود والنصارى و لذلك دل هذا على أنه يمكن أن يبقى بعض الدين عند بعضهم منع من تعميمهم بالكفر ،

في فرق بين التكفير بالنوع وبين التكفير بالعموم ، هذه مسألة يخطئ فيها الكثيرون ،

التكفير بالنوع معناه أن نقول فعله وقوله واعتقاده كفر أما هو فلا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع

بخلاف لما نقول بالعموم ، العموم معناه أن الطائفة كلها خارجة من الملة ،

فالبهائية على سبيل المثال : طائفة كافرة بالعموم أم بالنوع ؟ بالعموم ، كل واحد بمائتي فهو كافر ، كل قدياني فهو كافر وهكذا كل درزي فهو كافر ، كل من يدين بدين الغلاة من الرافضة ممن يعتقدون ألوهية أحد غير الله عز وجل كالعلويين والنصيرية الذين يقولون بألوهية علي والدروز الذين يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله ، ومن يقولون بتحريف القرآن كما ذكرنا ومن ينكرون أو يجعلون نبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أو خطأ الوحي لا نزاع أن هؤلاء بالعموم كفار نوعاً وغيماً وكل من انتسب إليه فهو كافر بخلاف أننا نقول هذا الاعتقاد ، الرافضة على سبيل المثال الذين ليسوا بغلاة أعني الذين يسبون الصحابة ويكفرونهم كذلك عقيدتهم كفر بلا تردد ، الذي يكفر أبو بكر وعمر شر من كفر علياً رضي الله عنه وغلوهم في أئمتهم أيضاً ووصفهم بإيهم بصفات لا تصلح إلا لله عز وجل أيضاً من الكفر ولكن فرق بين من يقول فلان هو الله وبين من يقول فلان يعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، فلان عنده علم الجفر ، فرق بين من يقول أن علياً والأئمة هم الله وبين من يقول وبين أن يقول لهم سلطان على كل ذرة من ذرات الكون ،

ما الفرق ؟

الأولى كفر نوع وعين وأي واحد ينطقها يكون خارج من الملة ،

وأما الثانية فهذا إذا كان في بيعة جاهلة يرى أن هذا من باب الشفاعة ، وهي عقيدة كفر بلا شك ، الذي يقول أن لهم سلطان على كل ذرة من ذرات الكون ، فلا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في هذا النوع والله أعلى وأعلم ، لأن هذا الكلام قد يكون وسط جهال لم يعرفوا الآيات وهكذا .

نرجع لكلام الخطابي وأنه يقول " وأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض بالمسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشترك فيه العالم والجاهل فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها ، وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا "

نفهم من ذلك أن هناك علم مجمع عليه منتشر العلم وهناك أشياء لم ينتشر العلم بها وسنشرحها بالتفصيل ،

يقول " إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر ، يعني هناك استثناء مع أنه خلاف القاعدة . الأمور التي انتشر علمها لا يقبل دعوى الجهل بها إلا بقرينة بخلاف أمور أنا أعلم أنها لم تنتشر وأن الجهل بها عام ، تكون ليست معلومة من الدين بالضرورة ، إذن أنا أنوقف عن التكفير فيمن أنكرها حتى يثبت أنه أقيمت عليه الحجة بخلاف المنتشر عليه من الدين كافر حتى يتبين أنه معذور بقرينة من القرائن . يعني لو واحد يقول الصلوات الخمس ليست فرض سأقول هذا كافر مبدئياً لا شك في كفره إلا لو تبين أنه عاشر عمره في القطب الشمالي مثلاً وعاش عمره في بلاد القوقاز الذي احتلها الروس وأذهبوا الدين منها أو في الصين التي يجمع الدعوة فيها ولا حتى جواز المصحف وهو ليس بجائر عندهم ، ولا يعرفون شيئاً من الدين إلا أسم الإسلام وكلمة لا إله إلا الله فمثل هذا إذا تبين له قرينة بهذا جاء من هذه البلاد إذن هو لا يعرف وجوب الصلاة ، بخلاف لو أن رجل قال مدد يا بدوي في بلد مثل بلادنا عندهم الشيخ فلان والعالم الفلاني الأزهري والمفتي أم غيره يطبع لهم كتباً يقول أن هذا توسل وهذا التوسل مختلف فيه والراجح جوازه وأن مخاطبة الأموات كالأحياء وأن هذا كاستغاثة بالحي وشبهات كلها ضلالات واستحازت دعاء غير الله من الكفر قطعاً وبقيناً لكن كيف تعرف المسألة ؟ تسأل رجل من عامة الناس أو كذا واحد من عامة الناس إذا كان العلم منتشرًا فنحن كما ذكرنا يحكم بالكفر ما لم يكن هناك قرينة لأنه شيء الناس كلهم يعرفونها ، أم شيء الناس لا تعرفه وأنت تعلم ذلك فلا تكفر حتى تعلم أنه بلغت الحجة واستوفيت الشروط وانتفت الموانع مثل ولذلك نقول المخالفة مع طوائف المخالفين في مسائل الإيمان ممن يقول أنه يعلم أن الناس جهال ومع ذلك يكفروهم فهذا لا نراه خلافاً سائغاً ، يعني هناك فرق بين شيخ من المشايخ الأفاضل العلماء يقولون أن مسائل التوحيد لا يعذر فيها ، لماذا ؟ ليس لأصل المسألة لأهم يرون أن العلم قد انتشر ، بينون ذلك أحياناً على أوضاع عندهم في بلادهم ، يقولون الشيخ فلان قال أنه لا عذر في هذا الباب ، بيني فتواه على ماذا ؟ ، يقولون أن مصر الآن فيها أنصار سنة وهو متصور أن أنصار السنة نصرنا العلم في كل مكان من ثمانين سنة فيقولون أن العلم انتشر والحقيقة التي يعرفها كل منا أن العلم لم ينتشر وأن أنصار السنة طائفة موجودة في بعض المساجد ونحو ذلك لم ينتشر العلم بالمسألة حتى نقول أن هذه المسألة علمها العالم والجاهل والخاص والعام فلا يعذر أحد في خلافها ،

كما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما نشر الدعوة في كل مكان وقاتل الناس على ذلك حتى علم الناس كلهم ماذا يريد الشيخ وماذا يدعوا إليه ، فانتشر العلم ولما قامت الدولة أيضاً كان الأمر كذلك واضحاً وضوح الشمس فهذا الأمر يختلف عن بلادنا فبالتالي أنا اختلف مع من ؟ مع من يقول أنا أعلم أنا الناس جهال ومع ذلك فلا يعذرون إذن ندخل في تفصيل آخر ، أنت لا تتأني من شجرتنا بل تأتي من شجرة الخواارج والمعتزلة الذين يقولون أن الحجة قائمة بدون بعثة الرسل ، فعلاً اقتربت الفروع وشيخ من أهل السنة يقول كلام مثل ذلك لكن يأصلها تأصيل آخر وأنت تعلم أن التأصيل الآخر ليس هو الموجود الآن ، وانت تعلم أن العلم لم ينتشر فأنت تأصلها وتقول لا لأن الحجة الرسالية لا تلزم وأنه لا يلزم دعوة الرسل في دعوة التوحيد في أي مسألة من مسائل التوحيد وليس في لا إله إلا الله ، أليس أن الناس يقولون لا إله إلا الله معتقده إياها وليست كلمة يجهلون معناها بالكلية إنما هو في دخول بعض الأنواع في عموم لا إله إلا الله أنها تنفي الشرك بكل أنواعه ، رجل لا يدري أن مدد يا بدوي تنافي لا إله إلا الله كما لا يدري من قالوا أجعل لنا ذات أنواط أنها تنافي لا إله إلا الله خفي عليهم ذلك فهذا الأمر يتفاوت الناس في مثله ، ولذا لم يكفر من قال أجعل لنا ذات أنواط ولا من قال مدد يا بدوي في زمن انتشر في الجهل ، لأن الحجة الرسالية لم تبلغ بخلاف من يقول بل انتشر علمه ،

لو الخلاف في أنه انتشر علمه يكون الخلاف هنا في تحقيق المناط ، في توثيق الواقع ، أما مع الآخرين ففي تنقيح المناط ، أنت تجعل مناط التكفير على بلوغ الحجة الرسالية أم تجعله لأن أن العقل في الحقيقة أثبت ذلك الذي أنت تحاول أن تغير الكلمة حتى لا تكون متهم بالاعتزال صراحة بل العقل تقول الفطرة والميثاق الأول ، وإلا فكلام المعتزلة الذي يقول أن العقل حجة قائمة بنفسها دون بعثة الرسل ، وأنت تقرر ذلك في الحقيقة لما تقول أن ميثاق الفطرة كافي ، والله عز وجل يحب العذر وكما ذكرنا لم يجعل الفطرة ولا الميثاق الأول كافياً بمجرد حتى ذكرت بذلك الرسل ، حتى تبلغه الحجة الرسالية ، عندما تأتي الحجة الرسالية تقول عليه حجة الفطرة وتقوم عليه حجة الميثاق الأول ، لأن الرسل جاءت بالتذكير لهذه الحجج ، فقامت الحجج ببعثة الرسل ، ولم تقم الحجة عند الله سبحانه وتعالى بالفطرة فقط أو العهد الأول دون بعثة الرسل لأن الله يحب العذر ، هو سبحانه وتعالى يحب العذر من أجل ذلك أرسل الرسل ،

نعود إلى كلام الشيخ ،

يقول " إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيء منها جهلاً به لم يكفر ، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه ، فأما ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق الخاص من تحريم المرأة على عمتها وخالتها وأن القاتل عمداً لا يرث وأن للحدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام فأما من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العام "

فما هي علة العذر ؟ عدم استفاضة العلم ، إذن ليست العلة أنها مسائل عملية كما ينقل الكثيرون من المتأخرين أو أنها مسألة من المسائل الذي يسميها البعض خفية ، هي في الحقيقة لأجل خفائها نعم وهذا الخفاء نسبي فعلاً ، إذا خفت مسألة مثلها فتجعل نفس الأمر ، ليس أنها خفائها في الدليل ، لأن البعض يجعل هذا الخفاء معاناه أنها مسألة من مسائل الطهارة والصلاة مثلاً وتفاصيل الأحكام ، بعض مشايخ الدعوة الوهابية في أزمنة مضت كان عندهم هذا التفريط يقولون هذا الكلام في المسائل الخفية ، فما المسائل الخفية عنده ؟ ليست هي التي خفيت على العامة ، بل المسائل الخفية عنده هي التي لها تفاصيل دقيقة في الأعمال ، وهذا الكلام خطأ وغير صحيح ، الكلام مبني على أن هذا خفي على الناس حتى صار لا يستفاض العلم بها في العامة ؟ نعم ، إذن تكون مسألة خفية حتى لو كانت من مسائل التوحيد ،

نخلص من هذا الكلام الحسين النفيس للإمام الخطابي بعدة فوائد :

منها :

تفاوت الظهور والخفاء بالنسبة لأحكام الشريعة من زمن إلى زمن ،

زمن مانعي الزكاة كان أمر وجوب الزكاة خفي ، ليس كذلك ، لأنهم عذروا ولم يعذر الناس إلا في هذا الزمان وبعده لأجل أن العلم قد انتشر الآن ولم يكن قد انتشر في ذلك الوقت ، ومن قوم إلى قوم ، مانعي الزكاة كانوا قوم حديث عهد بإسلام ، ولم يكن أحد يعيش في المدينة ، ولم يكن أبو بكر يعذر أحد في المدينة وسط المهاجرين والأنصار ، لكن هؤلاء نشأوا بعيداً وكانوا جهالاً بأمور الدين وكان عهدهم قريب ، العبرة في ذلك بانتشار العلم واستفاضته في العام

فائدة ثانية :

الأمر المجمع عليها نوعان :

أحدهما ما انتشر علمه في الأمة : وهو ما لا يعذر أحد بتأويل يتأوله فيها ،

الثاني ما لم ينتشر علمه فيعذر المخالف في عدم التكفير لا في استحقاق العقوبة لأن مانعي الزكاة الموصوف حالهم عذروا في عدم التكفير وهم مستحقون للعقاب في الدنيا والآخرة وسبب ذلك يرجع إلى تقصيرهم في طلب العلم الواجب عليهم وعدم رجوعهم للعلماء من الصحابة وفعل عمر رضي الله عنه في الرجل الذي زنا جاهلاً بحرمته الزنا وليس فقط جاهلاً بحرمته الحد ، الرجل الذي زنا بجارية امرأته فجلبده ولم يرحمه ، أظن أن في خطأ بل هي امرأة التي زنت بدرهمين ، ظنت أنه دفع أجرة فيكون حقها ، فأما الثاني فالنص ثابت ونصه البخاري معلقاً بمجزم ما به في رجل بلغ أمره إلى عمر رضي الله عنه أن امرأته أباحت له وطأ جاريته وهو رجل محصن فوطأ هذه الجارية ، ظن أن إباحت امرأته له من غير أن يملكها يجوز أن يطأها وهو زان وأنجب منها طفلاً صار مولاً له وفي نفس الوقت صار ابناً له فأرسل الصحابة رضي الله عنهم إلى عمر رضي الله عنه في شأنه ، ماذا يصنعون فيه ؟ ، رجل في الحقيقة زان شرعاً وهذا كان جاهلاً بجرمة ما فعل وأن هذا لا يجوز ، فأمر عمر بجلده مائة ومحو سهمه من المسلمين فلم يرحمه ، لماذا امتنع عمر من إقامة الحج عليه ؟ لأجل الجهالة ، ليس جاهلاً قدر الحد ، ماعز كان جاهلاً قدر الحد ، ماعز قال يا قوم ردوني فإن قومي غروني وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بقاتلك فكان يظن أن الحد يكون مثلاً ضرب أو يكون حبس أو أي شيء ليس القدر فاعترف وكان جاهلاً بحد الزنا كيف يعاقب ورحم على ذلك ،

واحد زنا وقامت عليه البينة ، يعاقب بعقوبة الزنا أيّاً من كان ، طالما يعلم حرمة الزنا ، أكثر الناس لا يعرفون حدود الشريعة ويعاقبون على ما هي عليه في شرع الله عز وجل طالما علم التحريم

الفائدة الثالثة :

الأصل فيما انتشر علمه بين المسلمين تكفير منكره إلا أن تدل القرينة على عدم علمه ، وما لم ينتشر علمه لا يكفر قبل قيام الحجة عليه ، نبقى اسم الإسلام على من أنكر ما لم ينتشر علمه وإن كان إنكاره كفرةً ونحكم بالكفر على من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة وانتشر علمه بين المسلمين حتى ولو احتمل الأمر لكن لا بد أن تأتي قرينة تجعلنا نتوقف ،

ذكر أهل العلم للبادية البعيدة ، أحداث العهد بالإسلام ليس على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ، الذين يقولون أن القوم كانوا جهالاً وكان عهدهم بالإسلام قريباً للشبهات والشبهة ، إذن المسألة ليست مبنية على البادية البعيدة ، العبرة بعدم استفاضة علمها بين العامة ، العبرة انتشار العلم ، وليس أن هذا حصر للمسألة ، والبعض مثلاً يقول أن الموجودين في بلاد المسلمين لا يعذبون مطلقاً ، وبلاد المسلمين اليوم أكثرها صار فيه شبهات لا تحصى كثيرة ، شبهات كثيرة مما يجعل استفاضة العلم غير حاصل فهذا الأمر لا يصح أن يقال أنها ليست بادية ، العبرة أنها صحراء ؟ العبرة أنها قرية أو مدينة ؟ ، ليس هذا باعتبار ، ليس هذا وصف مؤثر ولذلك نقول لو أن أناس من أهل البادية في بلادنا أنكروا وجوب الصلاة الخمس ، أنقول يعذبون لأنهم بادية ؟ ، اليوم وجوب الصلوات الخمس معلوم في البادية وفي الحضر ، وحداثة العهد بالإسلام ، واحد له ثلاثين سنة مسلم من مسلمي الصين أو القوقاز ومع ذلك لا يدري ،

وأحد الأخوة حكى لي وكنت أسأله عن مسألة العلم بحدود الشرع قال لي كمثال أنهم يقولون في بعض البلاد التي انتشر فيها الشيوعية سنوات طويلة ، يقولون له لما رأوا منه الالتزام والتدين ، قالوا أصبح الإسلام يحرم الزنا إلا بالمسلمة ؟! ، وعندهم انتشار الزنا عادي جداً فقالوا لابد أن تكون مسلمة ليزني بها حتى تجوز ؟ ، وقالوا أنتم متشددون وتقولون أن الزنا بالمسلمة فقط وحرام أن يزني بنصرانية أنتم متشددون ، بل يجوز الزنا بأي واحدة ، أصبح أن الإسلام فيه أن الزنا لا تحل إلا بمسلمة ؟ ، ويستغربون أن الزنا حلال للمسلمة فقط ،

هم لا يعلمون حرمة الزنا مطلقاً طالما أنه لا يوجد أغتصاب عندهم ، إذا كان الأمر وصل إلى ذلك ، ولهم ثلاثين سنة مسلمين ،

بل لا فرق أنه حديث عهد بإسلام أم له ثلاثين سنة في الإسلام ، العبرة أنتشر العلم أم لا ؟ ، فهذا لا عبرة بالبادية الجديدة وحداثة العهد بالإسلام ليس على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ، والكلام واضح جداً ،

الغرض إثبات القرينة لوجود عدم البلاغ .

قال ابن قدامة في المغني " لا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها . الصلاة . جاحداً لوجوبها ، إذا كان ممن لا يجهل مثله ذلك ، " لماذا لم يقولوا إذا كان ممن يجهل ذلك ، لماذا قالوا مثله ؟ للنظر في البيئية التي نشأ فيها ، لا يلزم أن يكون هو نفسه الذي يجهل ،

كما قلنا لو أحد نشأ في بلادنا ويعرف وجوب الصلوات الخمس وكل الناس ومع ذلك قال الصلاة ليست فرض لأنها وسيلة ليست غاية ،

الذي مثله في بيئته يعرف أن الصلاة فرض أم لا ؟ يعرف ، إذن مثله لا يجهل ، هو نفسه معتقد في باطنة أن الصلاة ليست فرض طالما أنه وصل إلى اليقين ، وتأول الآية ، وقلنا أنه تأويل مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة ، يقول الصلاة وسيلة ليست غاية وأنا وصلت للغاية فلا أحتاج إلى الوسيلة ، إذن الذي مثله يجهل ذلك ؟ لا يجهل وجوب الصلوات ، الكل يعلم وجوب الصلوات ، إذن هذا الرجل والعياذ بالله لأن مثله لا جهل ذلك حتى لو كان هو جاهلاً ،

كما قلنا واحد يجهل بعد إقامة الحجة ، هو لا يريد أن يفهم ، يسد أذنه ، إذن قامت عليه الحجة لأن الذي مثله يفهم ، توضح له بطريقة يفهمها مثله ، بلغ بلسان قومه وأصر على عدم الفهم { الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُجْسَبُونَ صُنْعًا } الكهف ١٠٤ لذلك قلنا إذا كان لا يجهل مثله ذلك ،

قال " فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث عهد بإسلام " . هذه الكاف للتشبيه يعني أمثلة وليس هو السبب الوحيد بل العبرة إذا كان لا يعرف الوجوب ، كحديث الإسلام والناشيء بغير دار الإسلام أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره وعرف ذلك وتثبت له أدلة وجوبها فإن جحدتها بعد ذلك كفر ، وأما إذا كان الجاحد نشاء في الأمصار بين أهل العلم فإنه يكفر بمجرد جحدتها مباشرة ،

: الذين يجمع وجوب الزكاة لأن الضرائب بديل عن الزكاة يمكن أن ينظر في إقامة الحجة عليه ،

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله " وهذا مع أي دائماً ومن جالسي يعلم ذلك أي من أعظم الناس خيماً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسق أخرى وعاصياً أخرى " الكلام مهم جداً للرد على الغلاة في الترجيح والتعديل ، لا نقول هذا في التكفير فقط ، بل ليس في التكفير فقط بل في التبديع أيضاً لأنه يستلزم التفسير ، لأنه لابد من إقامة الحجة في التبديع أيضاً ، عالم من العلماء أخطأ في مسألة وقال البدعة من القول ، لا يلزم أن تقول هذا رجل مبتدع ضال لأجل أن هذه العالم معلوم أنه سبقت له من المحاسن والفضائل ونشر السنة والعلم ما يمنع أن لا ينظر في مسألة إقامة الحجة في مسألة وقع فيها بقول البدعة ، لابد أن ننظر ، وغالب الظن أن هذا العالم أخطأ في هذه المسألة وإن قال ببدعة من القول لأنه لم يبلغه النقول التي تدل على أن هذا إجماع أهل السنة ،

كما ضربنا مثال قبل ذلك في مسألة فناء النار

ابن القيم يقول في المسألة قولان لأهل السنة ونحن نجزم والله ونقطع بأنه لا قول لأهل السنة في فناء النار والنقول واضحة جداً والأدلة صريحة جداً ومع ذلك ابن القيم رأى أن المسألة فيها قولان ، فهل هذا يدل على أن الأمر لم يبلغه ، تأول كثيراً من النصوص ،

فيقول " إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى ، فإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخيرية القولية المسائل العملية ،

إذن لا فرق بين المسائل التي تسمى مسائل الأصول لا عذر فيها المخالف ، ومسائل تسمى الفروع يعذر فيه المخالف ، قلنا الصلاة عند أصحاب هذا التقسيم عندهم من الفروع لأن الفروع عندهم الأمور العملية ولا يعذر فيها المخالف ، ونبوة الخضر من الأمور الأصلية الاعتقادية يعذر فيها المخالف ،

يقول أيضاً " ليس كل من تكلم بالكفر يكفر حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذ "

وقال أيضاً " وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين من أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهات "

وقال أيضاً " وإذا عرف هذا بتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم عليهم الحجة الرسالية التي ثبت بها أنه مخالفون للرسول وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر "

وقال أيضاً " فإن هذا فيه من تعطيل صفات الله وحجده كماله ماهو من أعظم الإلحاد . تكلم في مسائل الاعتقادية . يقول وهو قول الجهمية الذين كفروهم السلف والأئمة تكفيراً مطلقاً وإن كان الواحد المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها "

وقال أيضاً " ومن قال إن لقول هؤلاء سراً خفياً وباطناً حق - يتكلم على الحلولية والاتحادية والإباحية من الصوفية - من قال إن هؤلاء قولاً خفياً وباطناً حق وأنه من الحقائق التي لا يطلع عليها إلا خواص خواص الخلق . وهو كلام ابن عربي في إن فرعون كان محقاً في قوله أنا ربكم وقوم نوح ، أغرقوا عن أنفسهم فأدخلوا ناراً أحرقت ما سوى الله في قلوبهم ، وأن موسى كان نكر على هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا أي تاهوا في عظمة الله حيث عبدوا العجل وعرفوا أن الله عز وجل هو كل المخلوقات ، وبالتالي لا فرق بين الخالق والمخلوق ألا تتبع على ما أنا عليه من ذلك أفعصيت أمري حين أنكرت عليهم ؟! ، كفر بواح والله لا شك في ذلك ، الذي يقول أن سيدنا موسى كان يشد هارون ليقول له لماذا تنكر عليهم وهم وصلوا للحقيقة والعياذ بالله ،

فيقول " فهو أحد الرجلين ، من قال أن هؤلاء سراً خفياً ، واحد لا يكفر ابن عربي في الفتوحات ، يقول لا بل هو له تأويل فيكون أحد الرجلين إما أن يكون من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والاحمال وإما أن يكون من كبار أهل الجهل والضلال ، يعني عنده احتمال أن يكون هذا الرجل ليس بزنديق ولكن جاهل ، فالزنديق يجب قتله الجاهل يعرف الحقيقة للأمر فإن أصر على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله "

وقال أيضاً " ونحن نعلم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحداً من الأحياء ولا الأموات ولا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعانة ولا بغيرها - هو يتكلم على مسألة دعاء الأموات والنصوص واضحة في قضية الدعاء ، يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحد من الأحياء ولا الأموات الأنبياء ولا الصالحين ولا بغيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعانة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا إلى ميت ، . الفرق أن السجود للميت أنه يسجد له والآخر يقول هي قبله وأنا بسجد لله . قال بل نعلم أنه نهي ذلك كله وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم "

والله لا يحتمل كلاماً غير هذا الكلام في منتهى الوضوح والبيان ، لا أحد يقول بعد ذلك أن شيخ الإسلام يقول أن لا عذر في الجهل في التوحيد . توحيد الإلهية . لكن لا تقول أنك تقول كلام شيخ الإسلام ولا أن شيخ الإسلام لا يقل هذا ، شيخ الإسلام هذا كلامه بلا شريك ولا تردد ،

لما يقول الشيخ فلان خالف ، نقول الشيخ فلان يخالف شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولما نرى التقليد لو أنك من أهل التقليد ننظر الأرجح مع من ، ولو أنك من أهل العلم وطلاب العلم وتريد الأدلة ننقاشك في الأدلة ، أما أنك تقول الشيخ فلان يقول فقط وكأن الشيخ فلان هذا من الأئمة الأفاضل كلامهم كالنصوص وكلامهم أدلة ، بل لا ، شيخ الإسلام ابن تيمية مقدم على الأقل عندك وعند من تعلمت منه وعنده الشيخ المقدم هذا ممكن يكون عنده أقصى شيء له كتاب وممكن لم يكن قرأه ، أو فاته منه جزء ، هذا لو صرح

بلسانه بخلاف الكلام ، لا تقول أنه فاهم كلام ابن تيمية ، بل كلام ابن تيمية نص قاطع ، أنا أتكلم في أن هذا مذهب شيخ الإسلام ، وأدلته نحضرها ، وذكرناها { لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الانعام ١٩ وكل الأدلة ، حديث الرجل الذي ذر نفسه ، قول أنك تخالف شيخ الإسلام ووقتها نفهم أننا نكلم واحد متفق أم مختلف ، وقول أن شيخ الإسلام رجل مرجئ وجهمي ولا يعرف التوحيد وأجاز الشرك ولم يكفر المشركين لأنك تكفري على ذلك ، وانت تكفر أهل السنة على أنهم لا يكفروا المشركين ، ومن هم المشركين التي عندك هم عوام الناس الذين لا تعلم عنهم شيئاً ،

أنا أقول لك نحن نتفق على واحد سمعته يقول مدد يا بدوي نتكلم فيه بعد وقت ، لكن أنت تكفري لأني لم أكفر عامة المسلمين وتبدعني لأني لا أكفر عامة المشركين وعندك أنهم مشركين كفار وتكفر شيخ الإسلام ،

لا تجد أحد يأتي لك بأدلة لمسائل التوحيد إذا كبرت شيخ الإسلام على أنه من الشرك ، هو الذي أتى بالأدلة من الكتاب والسنة ، فتقول أنه على علم وكافر !!؟

قال شيخ الإسلام أيضاً " والتحقيق في هذا أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة لكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر فيطلق القول لتكفير القائل كما قال السلف من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة "

وقال في الرد على البكري أيضاً " ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش كنت أقول لهم أنا لو وافقتكم كنت كافراً لأني أعلم أن قولكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال "

العلم واضح في المسألة الاعتقادية في الأسماء والصفات ،

هذا نقل واضح في المسألة عن شيخ الإسلام،

في مسائل الأصول في العقيدة في توحيد الإلهية والأسماء والصفات ونعرف خطأ من قال إن العذر باجهل مقصور على المسائل التي قد تخفى مثل مسائل المعاملات وبعض شئون الصلاة . كلام الشيخ أبو بصير غفر الله له ورحمه . وغيره كثير من مشايخ الدعوة في وقت معين ، خالفوا كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وخالفوا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، ظنوا أنه كلام أهل الضلال لأنهم لم يطلعوا على النقول الواضحة ، ويمكن أن يكونوا علماء كبار ولهم فضل ولكن أخطأوا في مسائل لا لأن الشيخ فلان قال إذن لابد أن نقول كلامهم ولو كان من علماء الدعوة ولو كان ممن له فضيلة في العلم ،

يقول " مقصور على المسائل التي قد تخفى "

كذلك من يجعل الناس من إفريقيا ونحوها ممن دخل في الإسلام وأتى بشيء من هذه الشكيات معذوراً بمعنى أن حكمه حكم أهل الفترة الذين يمتحنون في القيامة ، يعني يجعله مشرك في أحكام الدنيا وفي يوم القيامة ليس عنده أصل التوحيد وهذا كلام خطأ وإن قاله فضلاء ،

يقولون أن عباد القبور مشركين في أحكام الدنيا وفي أحكام الآخرة وهم لم تبلغهم الدعوة ، هذا ليس قول أهل السنة

يقولون أنهم يوم القيامة من أهل الامتحان ، هذا الكلام كلام باطل في الحقيقة ليس كلام أهل العلم ولا كلام شيخ الإسلام

لأنهم ألغوا أثر كلمة لا إله إلا الله ، التي يقولونها معتقدين عمومها وشمولها لكن لا يدرون أن - مدد يا سيدي فلان وأن الطواف حول القبر يخالف لا إله إلا الله ،

لو علموا لما خالفوا ، هم يقولون أنه لا يعبد إلا الله ولا يتبع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

نقول بل المنصوص عليه من كلام أهل العلم التفرقة بين من دخل في الإسلام وصدق الرسول إجمالاً وبين من لم يدخل فيه أصلاً ممن لم تبلغه الدعوة ،

فالأول الذي صدق الرسول إجمالاً ودخل في الإسلام عنده أصل الإيمان،

والثاني كافر معذور لعدك بلوغ الرسالة وقد أوضحنا أن خفاء الأمور وظهورها نسبي لا نقصد بأن هذا الأمر نسبي أن كل الأمور كذلك ، لما يأتي من يقول أن هذا القرآن فيه أخطاء - الذي يقول أنا أعلم في القرآن بالقلم الأحمر - يقول أن القرآن هو الشعر الجاهلي . يقول أن ربنا ظلم إبليس لما طرده وإبليس كان على حق والعباد بالله ، والأنبياء كان شاربين حاجة وهم يقولون أنهم سمعوا كلام ربنا - قالوا يا جبل أنت كنت سكران لما قولت هذا الكلام قال لا أنا سمعت الجبلاوي بنفسه - والعباد بالله ، ويقولون له أنت كنت زودت



عيار الحشيش، تعرفون نتكلم على من طبعاً، على موسى الذي سمع كلام ربنا القصة كاملة وذهب إلى فرعون الذين هم أولاد الحارة الثانية وضربوه وغرق بعد ذلك ،، هي قصة سيدنا موسى ،، لا يوجد عاقل في العالم إلا ويقول إنها قصة سيدنا موسى ، وأتى بقصة سيدنا موسى بالتفصيل وقتل الرجل وذهب بعد ذلك وأتى من الحارة المجاورة وفتح عليهم القنطرة وغرقهم وكل التفاصيل بالتفصيل قصة سيدنا موسى ، لما قال لهم أنا سمعت الجبلاوي وقال لا بد أن ترجع إلى الحارة الأخرى حتى تخرج المظلومين الذين فيها من تحت الفتوات ، فيقولون أنت كنت زودت العيار في الشرب والعياذ بالله ،

ويأتي بقصة سيدنا محمد وسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القصة موجودة بالتفصيل وكلمات من كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم وكلمات من عائشة ،، أقول يمكن أنه يكون لا يعلم !! أقول لا ،

ليس الخفاء النسبي معناه أنك تدعي أن الرجل قرأ القرآن وقرأ السنة وعارف السيرة ويطبقها بالتفصيل على هذا الكلام ليس بجاهل ، هو جاهل جهل العاقبة يجوز ، جاهل جهل الإعراض عن الحجة جاهل جهل الكفرة الذين يطعنون في الدين ، أما تقول أن هذا الرجل رحمه الله كان أديب رائع ، لما يتوب إلى الله ، لو قال أنا تبت إلى الله عز وجل وهذا الكلام كلام أنا راجع عنه وأنه كلام منك في حياتي ونقطة سوداء في حياتي وقتها نقول نعم ، ذلك نقول لا نقصد أن الأمر نسبي أن كل الأمور كذلك ،

إذن هناك ما يقطع كل أحد بانتشاره بين المسلمين ، أن التعظيم الأنبياء منتشر بين المسلمين ، تعظيم القرآن منتشر بين المسلمين ، الذي لا يقبل دعوى الجهل فيه إلا بقرينة ما أوضحنا ، فمن كان ناشئاً اليوم في بلادنا ثم جحد وجوب الصلاة مثلاً أو قال عن أحكام الإسلام أنها من نفايات القرون الوسطى الوحشية ، أو قال بجل الزنا والخمر والحرية ، لاشك في رده من ساعته ، لأن الحجة في ذلك قائمة على كل أحد .

هكذا في مسائل عبادة القبور في بعض البلاد في المملكة العربية السعودية مثلاً لأن هذه الأمور انتشراها لا شك فيه هناك ، في كثير من المسلمين ينتسب للجهل ومن تلبس علماء السوء على العوام وخاصة في مسائل العبور ومسائل الحكم على الشريعة ونحو ذلك ممن لا شك فيه ممن خالط هؤلاء الناس ، فلا يمكن تكفير أعيانهم حتى تبلغهم الحجة الرسالية التي يكفر منكرها .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٨٠- تابع \_ بعض النقول في العذر بالجهل الناشئ عن عدم البلاغ

نحن مازلنا نذكر بعض النقول في مسألة العذر الناشئ عن عدم البلاغ بعد أن ذكرنا جملة ن الأدلة في هذا الباب ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه . الإيمان . وهؤلاء يعني من معهم إيمان مجمل يثابون على إسلامهم وإقرارهم بالرسول مجملاً ،

يعني أصل الإسلام هو شهادة التوحيد والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم إجمالاً ،

يقول " هؤلاء يثابون . يعني من معهم إيمان مجمل ، بعض الناس يؤمن إجمالاً ولا يعرف التفصيل ، يتبع الرسول إجمالاً ولا يعرف ما جاء به ، يقول أن الذين معهم إيمان مجمل في التوحيد الإجمالي لا يعرف أنواع العبادات ولا يعرف تفاصيل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يثابون عليه ، ليسوا كفاراً لأنهم تركوا ما لزمهم من علم العقيدة أو العمل الواجب ، حتى لو تركوا الواجب فهم آثمون لكن معهم إيمان مجمل يثابون على إسلامهم وإقرارهم بالرسول صلى الله عليه وسلم مجملاً وقد لا يعرفون أنه جاء بكتاب ، وقد لا يعرفون أنه جاءه ملك ، ولا أنه أخبر بكذا ، وانتبه أن هذا في القرآن ، يقولون هو يفترض أنه صدق الرسول ولا يعرف أنه جاء بكتاب ، ولا يعرف القرآن أصلاً ، وكيف تقام الحجة !! الحجة تقام بالآيات أليس كذلك ، نحن نقيم الحجة على الناس بالآيات ، إذن قامت عليه الحجة الرسالية ، في واحد يقول أنه لا يعلم بوجود القرآن أصلاً ، نفترض ذلك وللعلم هذا الكلام وارد في بعض البلاد البعيدة وفي أناس مسلمين ورثوا الإسلام أو دخلوا في الإسلام ولا يعرفون شيئاً إلا لا إله إلا الله ، أو لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويقول لا يعرفون أنه جاءه ملك ، ولا يعرف معنى ملك أصلاً ولا يعرف أن هذا الوحي جاء به ملك ولا أخبر بكذا ، وإذا لم يبلغه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لم يكن عليه الإقرار المفصل به ولكن لابد من الإقرار بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه صادق في كل ما يخبر به عن الله ، ولم يكن عليه اعتقاد مفصل طاملاً لم يبلغهم بدون تقصير منهم ، ولو قصروا يكونون آثمون ومعهم الإيمان المجمل ،

فانظر كيف افترض شيخ الإسلام هذا الفرض البعيد للغاية الذي لا يكاد يوجد حتى في الكفار ، يعني الكفرة اليوم يعلمون أن الرسول جاء بالقرآن ، مسألة أنه جاء عن طريق ملك يمكن تغيب عن الكفار ،

لكن العالم كله يعلم أن المسلمين يعتقدون أن الرسول جاء بالقرآن ،

نقول هذا الفرض افترضه شيخ الإسلام مع أنه بعيد للغاية وهو عدم المعرفة بوجود القرآن أو نزول جبريل عليه السلام فضلاً عما يحتويه القرآن من العقائد والأعمال ، فأخبر أن من أقره إجمالاً من الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه يثاب على ذلك ،

تخيل إنسان لا يعلم وجوب القرآن أصلاً ألا يمكن أن يقع في أنواع من الشرك والمخالفة لما دل عليه القرآن ، والجهل بأنواع العبادات المختلفة ؟ بلا شك أن هذا هو الأصل ، الذي لا يعلم أنه جاءه ملك أو وجود الكتاب لأنه مسائل اعتقادية جهلها هذا الشخص وبالتالي فهو معه ما يثاب عليه من الإيمان وإن لم يكن عنده الإيمان المفصل ، فائدة مهمة للغاية لأنه يتكلم فيما يثاب عليه عند الله يوم القيامة وهذا الكلام من عموم الأدلة أنه لو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة وأن لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يلقى الله عبد غير شاك فيها فيحجب عن الجنة ، والأحاديث العامة في فضل الشهادتين تدل على ما ذكره شيخ الإسلام ،

لماذا نقول هذا الكلام ؟

لأن بعض المشايخ والعلماء يجعلون من ترك العلم الواجب عليه مع كونه عنده الإقرار الإجمالي بوحداية الله عز وجل وأن لا يعبد إلا الله ظاهراً وباطناً والإقرار بالرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً وارتكب أنواع من الشرك جاهلاً يجعلونه يوم القيامة من أهل الامتحان ، كافراً في الدنيا وإن كن معذوراً بمتحن يوم القيامة ، هذا ليس بصحيح ، لا نسوي بين من صدق الرسول إجمالاً ووحيد الله إجمالاً وبين من كذبه إجمالاً ولم يؤمن به إجمالاً لك شك أن هذا تسوية بين مختلفين ، يجعلون هذا مثل من مات مشركاً لم تبلغه الدعوة ؟! هذا بلغه خبر الرسول فصدقه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، كيف تلغي هذه الكلمة تجعله يوم القيامة مشركاً ممتحناً كمن لا يشهد قط في حياته أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ومات يعبد الأوثان لأنه لم يبلغه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ممتحناً بمتحن في عرصات القيامة أتجعل الذي شهد الشهادتين مثله ؟! كلام مخالف للأدلة الصريحة الواضحة لأن هذا الرجل ارتكب شركاً لا يدرى أنه شكر ولا يقصد عبادة غير الله ، وهو يريد أن يعبد الله وحده لا شرك له وأن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن لا يدرى أن هذا عبادة لا يدرى أن النذر عبادة لا يدرى أن الطواف عبادة لا يدرى أن الذبح عبادة لا يدرى أن الدعاء عبادة وهو في الجملة يقول لا أعبد إلا الله كيف تسويه مع من عبد غير الله ولم ينطق بالشهادة ويريد أن يعبد غير الله ويريد أن يتخذ آلهة من دون الله ويقصد ذلك ،

نقول هذا الكلام أن الذي يأخذ كلام هؤلاء المشايخ لأن البعض طبعاً سيخرج لنا فتاوى من فتاوى اللجنة الدائمة وفتاوى الشيخ ابن باز وفتاوى الشيخ بن العثيمين قديماً ، كلام الشيخ بن العثيمين مؤخراً يتكلم على العذر بالجهل على طريقة شيخ الإسلام ، كلام الشيخ ابن باز أكثره على خلاف طريقة شيخ الإسلام ،

نقول وقتها أن كلام المشايخ مخالف لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ؟! نعم نقول ذلك ، لا نقول أننا لا تفهمون كلام شيخ الإسلام ، أو أن المشايخ يقولون كلام شيخ الإسلام بل هم يخالفون كلام شيخ الإسلام ،

أعني في من مات مرتكباً للشرك الأكبر جاهلاً ،

في فتاوى كثيرة كما ذكرت يقولون أنه من أهل الامتحان ، هذا ليس كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، كلام شيخ الإسلام واضح ومحدد ، وأنه لا يكفر هؤلاء ويبقى مهم أصل الإسلام الذين يثابون عليه عند الله ، هؤلاء يعاقبوا على تقصيرهم في طلب العلم الواجب إن كانوا مقصرين وإن لم يكونوا مقصرين فلا يأثمون أصلاً وتنفعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله التي اعتقدوها إجمالاً ونطقوا بها بألسنتهم ،

كما نقول أنت تريد أن تقول أن المشايخ يقولون كلام آخر ؟ ، نعم قول وانظر في الأدلة ،

كما قلنا الأدلة عامة في فضل الشهادتين ، لا تقول هو نطقها مطلقة ، لأنه كما ذكرنا أننا نقول الذي ارتكب هذا الشرك جاهلاً دلت الأدلة على أنه ناج عند الله عز وجل مثل حديث الرجل الذي أمر بحرق نفسه والأدلة التي ذكرناها وأن القدر التي أتى به من الإسلام مع اعتقادها باطناً لا بد وأن يعتبر ، وأن كلمة التوحيد لها أثر عظيم والإقرار الإجمالي بها وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنه يفرق بين المسلم والكافر ، كيف تسوي بينهم وتجعله كافراً في الدنيا ومعذوراً يوم القيامة ؟ ! يعامل معاملة الكافر في الدنيا ، كلام غير صحيح نحن نعامله كمسلم في الدنيا ونقول معه إيمان مطلق يثاب عليه يوم القيامة كما يقول شيخ الإسلام ،

يطفون حول المشايخ ولو قلت لهم أنتم تعبدون غير الله والشيخ البدوي إلهك يقولك امشي يا رجل يا كذا ، لأنه يرفض أن يعبد غير الله ، لا يرضى أن يعبد غير الله ، فنقول معهم إيمان بحمل والشرك الذين ارتكبوه جاهلين يجعل هذا قابل للمغفرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ونستغفركم لما لا تعلم ) والذي لا يعلمه لم يتب إلى الله منه لأنه لا يعرفه ، لو كان هذا الاستغفار غير نافع لكان لا أثر له ،

الحديث ورد في الشرك الأصغر وفيما لا يعلمه من الشرك الأكبر ، أنتم تقولون أن الله يغفر الشرك الأكبر ، نقول أن الله قد يغفر الشرك الأكبر لمن لم يبلغه قط عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم كما أثبتتم أنه يمكن أن يغفر لمن دخل النار يوم القيامة . المحتنين . قد يكون في المحتنين هكذا الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ) هو مات مشركاً لم ينطق الشهادتين وأمره الله أن يدخل النار يوم القيامة وامتنح في العرصات فدخلها إذن نجى أم لا ؟ ،

إذن عندنا أدلة تقول يمكن أن الشرك الأكبر يغفر إذا كان لم يبلغه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغه عن رسل الله فيحتجون لله عز وجل يوم القيامة ،

إذن { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء ٤٨ بعد بلوغ الدعوة والحجة الرسالة ، فإذا بلغته الرسالة كان غير معذور ، بلغته الرسالة إجمالاً فصدق إجمالاً إذن لابد أن يبلغه التفصيل كما ذكر شيخ الإسلام ، وعوام الشيعة من هؤلاء ،

عوام الشيعة الذين لم تبلغهم الحجج الرسالية وكثير من شيوخ الضلال عندهم بمنزلة العوام ، شيوخ ضلال لا يعرفون شيئاً ، لا لأنهم وضعوا العمدة الكبيرة قامت عليه الحجة بالعمدة ، بل الحجة لا تقام بالعمدة ، الحجة تقام بالأدلة ، حتى لو لبس عمدة سوداء ، لأن هناك أخوة تكفر بالشبه ، يقولون لا تقف بجواره لأنه شيعي ، لأنه يلبس لبس معين أو شكله إيراني لا يلزم وهناك إيرانيين من أهل السنة ، وعندنا أنهم أناس يصلوا معنا إذن فيهم الإسلام ، وأهل القبلة عند عامة العلماء ويفرق بين النوع والعين ،

وقائدهم كفر لا نشك في ذلك ، قائد الرافضة مليفة بأنواع الكفر ؟ نعم لا نشك في ذلك

يقول شيخ الإسلام أيضاً وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وإن أخطأ التأويل كائناً ما كان خطؤه ،

هذا الكلام بمناسبة الرافضة أن جمهور أهل العلم يجعلهم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهذا كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ، يقول في الرد على الرافضة والجهمية وبعض أهل العلم قد أخرجهم من الثنتين والسبعين ، لكن جمهور العلماء يجعلون الجهمية والرافضة من الثنتين والسبعين فرقة ، الذين خرجوهم هو غلاة الرافضة ، غلاة الرافضة الذين يصرحون بالوهمية غير الله ، هناك واحد كما قلت تقول له السيد البدوي إلهك يضربك ويرفض ذلك ، وهناك واحد يقول علي هو الله ، هناك فرق بين الاثنين ، أو يقول الحاكم بأمر الله هو الله ناسوت ولاهوت فرقة الدروز ، الإسماعيلية الذين يقولون الإله يحل في الإيمان ، والإيمان هو ربنا والعباد بالله هؤلاء كفر بلا شك نوعاً وعيناً ، هؤلاء خارج الثنتين والسبعين فرقة ، أما الرافضة فمن ضمن فرق الأمة عند الجمهور والخلاف في ذلك سائغ معنا ،

غلاة الجهمية نفاة النصوص يقولون أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يستوى على العرش كفار نوعاً وعيناً ،

يقول " أما من كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وإن أخطأ التأويل كائناً ما كان خطؤه وقد يكون فيه شعبه من النفاق ولا يكون فيه النفاق الذين يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار .. إلى أن قال بل قلبه . الذي هو واحد من هؤلاء ، من وجوب تفاضل الإيمان أن الرجل قد يكون مكذباً بأمور لا يدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بها ولكن قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ، قلبه جازم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق ، ثم يسمع الآية أو الحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً ، وهذا تصديق جديد وإيمان جديد ازداد به إيماناً ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً " كلام في منتهى الوضوح ، يكذب بأمور لا يعلم أن الرسول أتى بها ولكن قلبه جازم بأن الرسول لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق ، يبين له الآية والحديث وتدبر ويفسر يصدق بما كان مكذباً ، إذن كان مكذب ، لو بعد بلوغ الآية وظل على التكذيب ماذا يكون ؟ كافر بالإجماع ، ولكن قبلها كان ماذا ؟ كان مكذب بأمر لا يعلمه فصار جاهلاً لا كافراً ، كلام واضح لشيخ الإسلام ابن تيمية ،

قال ابن حزم رحمه الله ،، نقول ابن حزم في مسائل الإيمان يوافق أهل السنة وهو ناقل هذا الكلام عن أئمة أهل السنة ، ونقله معتد به بلا شك ولا يختلفون بذلك ، الذين يقولون ابن حزم جهمي ابن حزم قال بقول الجهمية في بعض مسائل الصفات أما في القدر وفي الإيمان فهو موافق لقول أهل السنة ولذلك ينقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ويوافقه في ذلك ، ولا يعارضه ويثني عليه في هذا الباب ، فلا يأتي واحد ويقول أنه وافق قول الجهمي يكون جهمي في كل المسائل ، قالوا جهمياً حتى في مسائل الإيمان وهو يصرح مثلاً أن الإيمان يزيد وينقص وأن الإيمان قول وعمل ، لكن لما خالف أعمالهم في مسألة تارك الأعمال كلها لما خالف قولهم قالوا جهي وما هو جهمي والله ،

ابن حزم ليس جهمياً في هذا الباب ، وكلامه موافق لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مسألة العذر ، هذا الكلام ذكره في فصل من يكفر ومن لا يكفر ،

يقول " وذهبت طائفة إلى أنه لم يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا " بعدما ذكر كلام المعتزلة في التفريق بين الاعتقادات والفتاوى ، قالوا أن المسائل العقائدية كل من خالفنا فيها كافر والمسائل العملية مجتهد ،

وابن تيمية يقول هذا التفريق لا يعرف إلا عن المعتزلة ، أما عن السلف فلا ،

فابن حزم ينقل نفس الكلام بالضبط يقول لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، في أناس قالوا الذين يخالفنا في أي شيء يكون كافراً ، وفي أناس قالوا من يخالفنا في الأصول الاعتقادية يكون كافر ولو في المسائل الفرعية العملية لا يكفر ،

يقول طائفة ثانية تقول اعتقاد أو فتيا لا يكفر طالما كان قد اجتهد أو أنه لا يعلم ، ذهبت طائفة بأنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال طالما اجتهد ، يعني بذل جهده في معرفة الحق ، لم يقصر في طلب العلم ، عامة المبتدعة قصروا في طلب العلم ، وتركوا النصوص من أجل أهوائهم لذلك هم أهل بدعة وضلال يستحقون العقوبة في الدنيا والآخرة أمثال الخوارج والرافضة والمعتزلة وأمثالهم ، لكن الذي بذل جهده في معرفة الحق مع أنه مأجور على كل حال إن أصاب الحق فأجر وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري ودาวود ابن علي رضي الله عنهم جميعهم وهو قول من عرفنا وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً لا نعلم عنهم في ذلك خلافاً أصلاً ، إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمداً حتى خرج وقتها ، هذا دليل على أن هناك نقل في خلاف تكفير تارك الصلاة عن الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم ،

أما الاتفاق الذي نقله أن أصحاب محمد لا يرون أي أمر يكون كافراً إلا الصلاة؟؟ هذا الكلام في التسمية ، لا نزاع في التسمية ، إجماع الصحابة على تسمية تارك الصلاة كافر أما الحكم عليه بأحكام الردة فهذا فيه خلاف ، والمنقول عن الصحابة كله في التسمية لم نجد أحداً منهم ، اسمه كافر لكن حكمه كافر هذه مسألة أخرى ، نحن نسميه كافر مثل من أبق من مواليه فقد كفر ، نحن نقول عليه كافر ، ولكن ليس كالذي كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، الحكم بغير ما أنزل الله على سبيل الهوى والشهوة دون إلزام بخلاف الشريعة ، دون تبديل الشريعة ، نحن نسميه كافراً وإن لم يكن كافراً كفوفاً ناقل عن الملة ، كل ظلم وعدوان وفسق هو حكم بغير ما أنزل الله ، الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله بأنواع الظلم والفساد ويبدل الشريعة هو كافر ونسميه كافر وترك الصلاة كافر ،

يقول إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمداً حتى خرج وقتها أو ترك الزكاة أو ترك الحج أو ترك صيام رمضان أو شرب الخمر ، شرب الخمر في الحقيقة لا خلاف فيه إلا إذا ترك الصلاة ، أو بعضهم إذا مات سكران وتاركاً للصلاة فهو كافر عند طائفة من العلماء الذين يكفرون تارك الصلاة ، والخلاف أيضاً فيمن شرب الخمر في الرابعة بعد إقامة الحج عليه ثلاث مرات ، والراجح عند عامتهم عدم التكفير ولو كان بعد الرابعة حتى من رأى قتله قال يقتل حداً لا ردة ، إذن ابن حزم ينقل هذا القول وعدم التفرقة بين الاعتقاد مسائل الأصول وبين العمل مسائل الفروع عن الصحابة جميعاً ، إلا الخلاف في المباني الأربعة ونحن والله نقول ذلك ، الخلاف معروف في المباني الأربعة مشهور لا خلاف في غير ذلك ،

وقال أيضاً " وكذلك من قال إن ربه جسم فإنه إن كان جاهلاً أو متأولاً فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه ويجب إقامة الحجة عليه من القيام والسنة فخالف ما فيهما عناداً فهو كافر يحكم عليه حكم المرتد ، وأما من قال إن الله هو فلان بعينه ، والذي يقول فلان هذا هو الله بعينه مثل من يقول علي هو الله والحاكم بأمر الله هو الله وعيسى هو الله ، أو أن الله تعالى يجلب بجسم من أجسام خلقه وهم الباطنية الذين يقولون أنه يجلب في جسم الإيمان ، أو أن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً غير عيسى ابن مريم مثل كل اتباع مدعي النبوة فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره بصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ، لا لأن هذه المسألة ليس فيها عذر بالجهل أو لأنها مسألة أصلية ، بل لأن الحجة فيها مقامة على كل أحد ، المشايخ الذين يقولون أنه يعذر في المسائل الخفية ولا يعذر في المسائل الظاهرة من مسائل التوحيد يقول الظهور ماذا يعني به ؟ خفي على الناس أم خفي بمعنى أنه مسألة فرعية ؟ إذا خفي على الناس لانتشار الجهل وقلة العلم وأثار الرسالة ماذا تقول ؟ هو يقصد طبعاً ما خفي من مسائل المعاملات ونحو ذلك ، عنده أنه يقر بأن فلان جاهل فلم تبلغه الحجة ويكفره وهذا القول قول باطل غير صحيح ، الذي يقر على فلان بالجهل ويعرف أنه لم يبلغه وعنده جهل ناشئ عن عدم البلاغ ثم رغم عدم بلوغ الحجة كافر خارج من الملة لأن المسألة التي خالف فيها هي من مسائل الأصول فهذا يقول بقول المعتزلة وليس بقول أهل السنة لأن التقسيم إلى مسائل أصول وفروع إنما هو حادث من عند المعتزلة ، يقول بعضهم يفرق بين مسائل توحيد الإلهية وبين مسائل الأسماء والصفات وهذا من أعجب العجائب ولا قول المعتزلة حتى ، لأن الكل عنده تقديم مسائل الأسماء والصفات لأنها أصل توحيد الربوبية وأصل توحيد الإلهية ، لأن معرفة الله بأسمائه وصفاته أصل عبادته ،

يقول " ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا - بأن ربنا فلان - لم يبلغه قط خلافه ولم يسمع عن الرسل خلاف ذلك لم يتم تكفيره حتى تقام الحجة ، وهذا الكلام لا يكفر ولا يفسق المسلم ، لا بد أن يكون ثبت إسلامه ، وإلا فيقولون اعدوا اليهود والنصارى ، نقول والله هذه خطة ما جعلها الله لأحد دونه ، التكفير والتفسيق والتبديع والحكم في النار ولا يدخل النار أحد ولا يدخل الجنة أحد إلا الله ، ربنا يدخل النار الجنة والنار ، فنحن نعذر من نعذر بالأدلة لا بهوان ،

المقصود بالجهل عند أهل العلم هو الجهل الناشئ عن عدم البلاغ لا عن الإعراض عن الحجة البينة كتاباً وسنة ، فإذا بينت لها الحجة التي يفهمها مثله ، لماذا لم نشترط هو لأنه بلغته بلسان قومه وهو معرض ولا يريد أن يفهم ، هو الذي يقول { مَاذَا قَالَ أَنفَا } محمد ١٦ يسد أذنه فليس لنا دخل لأن الحجة وصلته ، هناك فرق بين قيام الحجة بين فهم الحجة لذلك نقول الحجة التي يفهمها مثله يعني تم تبليغه بوسيلة مثله يفهمها ، كونه لم يفهمها نتيجة إعراضه أو نتيجة أنه لا يعجبه من يتكلم ومعتقد أنه رجل جاهل ومعتقد أنه رجل ليس عظيم { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } الزحرف ٣١ لو كان هذا القرآن نزل على رجل آخر قبلناه ، إذن هذه ليست حجة ، أنك ترى هذا الرجل متشدد أو ترى أن هذا الرجل منهجه وهابي إذن لا تقوم به الحجة ؟ بل تقوم به الحجة ، إذا بلغ الحجة عالم بها بالآيات والأحاديث المتواترة المستفيضة الصحيحة فهذا قد قامت عليه الحجة ، إذن الجهل الناشئ عن عدم البلاغ هو العذر وليس الجهل الناشئ عن الإعراض ولا جهل العقابة ،

نقول فإن من بينت له الحجة التي يفهمها مثله من قبل أهل العلم وإزيلت شبهاته وأصر على شركه فهو من قال الله فيهم { هَلُمُّ قُلُوبَ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا } الاعراف ١٧٩ وقال تعالى { أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ } يونس ٤٢ وقال { إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } الاعراف ٣٠ إذن أنا لا أشرت العناد في كل أحد ولا سبيل لي إلى ذلك ، إنما نشترط قيام الحجة ، هناك كفار جهال قامت عليهم الحجج أعرضوا عنها وقلدوا غيرهم في تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرفعوا رأساً لما جاء به ولم يلتفتوا إلى شيء وقال لهم سادتهم وكبرائهم كذاب ساحر مجنون فقبلوا ذلك وتركوا البحث فهم كفار بلا نزاع ، الذين هم الطبقة السابعة عشر عند ابن القيم في طبقات المكلفين التي ذكرها في آخر طريق المجترين التي يحتج بها أهل التكفير دائماً يقولون الطبقة السابعة عشر وهذه الطبقة التي ينص ابن القيم على أنهم مقلدي الكفار من نسائهم وعبيدهم وخدمهم والمتابعون لهم ، ولم ينطقوا بالشهادتين أصلاً ولا اتبعوا الرسول أصلاً بل كذبوه إجمالاً وكذبوا القرآن إجمالاً ولم يبحثوا عن الأدلة ومعتقدين أنهم على صحتهم ، هذا الجهل ليس بعذر كما قال عز وجل { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } قال عن قوم فرعون { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } يونس ٥٥ ودخلوا النار وهم لا يعلمون ، وقال عز وجل عن الكفار { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } الانعام ١١١ وقال { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } الروم ٥٦ لذلك نقول كلمة الجهل وعدم العلم لا بد أن يفهم منها عدم العلم أو الجهل الناشئ عن عدم البلاغ ، وليس كل جهل وليس كل عدم علم ،

هناك نوعية من الجهل ليست عذراً وهو جهل الإعراض وجهل العقابة { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } السجدة ٢٢ { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا } محمد ١٦ هم لم يفهموا ماذا قال إذن بلغتهم الحجة أم لا ؟ بلغتهم ، فهموها أم لا ؟ لم يفهموها أليس كذلك ، لأنهم يقولون ماذا قال أنفأ ولم يفهموا ماذا قال ، لم يفهم ولكن في مخه آلية الفهم وعنده العقل وعنده السمع الآلة وعنده البصر الآلة وليس عنده سمع الفهم والاستجابة ، ولذلك نقول قامت عليه الحجة وإن لم يفهمها لأنه يفهمها مثله بلسان قومه ليبين لهم ، بين لهم فأصروا على الكفر وأصروا على عدم الفهم إذن محجوبون ، فرق بين قيام الحجة وفهم الحجة .

نكمل كلام ابن حزم :

قال ابن حزم رحمه الله " وقال قائلهم - أي المخالفون له - في مسائل التكفير فإذا عذرتهم المجتهدين إذا أخطأوا فاعذروا اليهود والنصارى وسائر الملل فإنهم أيضاً مجتهدون قاصدون الخير فجوابنا وبالله التوفيق أننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفارنا من كفارنا بآرائنا وهوانا وهذه خطة لم يأتيها الله أحداً دونه ولا يدخل الجنة والنار أحد بل الله يدخلها من يشاء فنحن لا نسمي بالإيمان إلا من سماه الله تعالى به ، كل ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يختلف اثنان من أهل الأرض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير ملة الإسلام التي تبرا أهلها من كل ملة حاشى التي أتاهم بها عليه الصلاة والسلام فقط ، فوقفنا عند ذلك "

ابن حزم يقول لا يختلف أهل الأرض ، الكفرة متفقين معنا إلا أهل زماننا من المنافقين فإنهم لا يتفقون مع أهل الأرض أيام ابن حزم لا يتفقون أن الرسول قطع بالكفر على كل من دان بملة غير ملة الإسلام ، سبحان الله أصحاب زماننا المنافقين الزنادقة يقولون لا بل اليهود والنصارى وكل أصحاب الملل مثل أهل الإسلام وليسوا كفرة ، يقولون كيف يكونوا كفار ويقولون بوجود الله ، نعوذ بالله ، نقول الكل يقطع أن الرسول قطع بالكفر على كل أهل الملل غير ملة الإسلام الذي تبرا أهلها من كل ملة لا يكون مسلم الذي لا يتبرا من الملل الأخرى لأنه ينقض أصل لا إله إلا الله ويقول يعبد غير الله عادي صح ، أيكون هذا قال لا إله إلا الله بل هو قال الله إله ، يقول لو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عادي ،

طالب : النصراني والمشرک الملحد كفرة

الشيخ : نعم ولكن هذا كتابي وهذا مشرك ،

الطالب : أينفعه عند الله أنه كتابي ؟

الشيخ : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } البينة ٦ لكن ممكن يكون درجات مختلفة ،

طالب : الذي ولد نصراني يا شيخ ما ذنبه ؟

الشيخ : ذنبه أنه نشأ عنده عقل وعنده الشرع وأبنته هذا لا يسأل حتى يعقل ويصل إلى سن البلوغ وتبلغه الحجة ،

فيقول " لا يختلف اثنان من أهل الأرض ولا نقول المسلمين بل من كل ملة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير ملة الإسلام الذي تبرأ أهله من كل ملة حاشا التي أتاهم بها . يعني إلا التي أتاهم بها . عليه الصلاة والسلام فقط ، فوقفنا عند ذلك ، ولا يختلف اثنان أيضاً في أنه عليه الصلاة والسلام قطع باسم الإيمان على كل من اتبعه وصدق بكل ما جاء به وتبرأ من كل دين سوى ذلك فوقفنا عند ذلك ولا مزيد " يقول أثبت الإسلام بالنص والإجماع فمن جاء نص في إخراجهم عن الإسلام بعد حصول اسم الإسلام له أخرجناه منه ، أجمع على خروجه أو لم يجمع ، وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه من الإسلام فواجب اتباع الإجماع في ذلك ، لذلك نقول كلام صريح وواضح ،

يقول إذا واحد ثبت له الإسلام ودخل فيه لا نخرجه من إلا بنص أو إجماع ، سواء أجمعوا أو لم يجمعوا لأن النص كفاية والإجماع أيضاً حجة كذلك ، لو لم يكن نص ولا إجماع إذن هذا الرجل داخل دائرة الإسلام ، لذلك نقول الذي ارتكب الشرك جاهلاً جاء نص بإخراجه عن ملة الإسلام ؟ لا بل ثبت له الإسلام بالولادة ، يقولون هم ليسوا مسلمين أصلاً ، نقول لا بل ولدوا مسلمين ، لو تكلم في هذه نقول له من متى كفر الناس أي تاريخ بعده الناس صاروا كفار ؟ لا يقدر أن يحدد إذن هذه الناس ولدت على الإسلام ، يقول لم يعلموا معنى لا إله إلا الله نرجع نقول له لا إله إلا الله تثبت بالنطق بها ونحن تثبت في ظاهر الحكم النطق بها كاف في ثبوت حكم الإسلام وباطناً يكفي العلم الإجمالي في ثبوت أصل الملة ، الذي ثبت له الحكم للإسلام اختلف فيه وليس فيه نص إذن دعنا داخل دائرة الإسلام نحكم له بالإسلام ،

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في . كشف الشبهات . هذه الكتاب ليس فيه نزاع في أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو مؤلف هذا الكتاب بخلاف بعض الناس يحاول يطعن في الكلمات الصريحة التي نقلناها عنه قبل ذلك حيث يقول إذا كنا لم نكفر من عبد الصنم الذي على قبر البدوي لأجل جهلهم ، البعض يقول أين هذا الكلام وهو موجود ، والآن المؤلفات كلها مطبوعة ولا أحد يستطيع أن يجادل ،

كشف الشبهات صريح ، يقول فهذه القصة تفيد بأن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحيز ومعرفة أن قول الجاهل " التوحيد فهمناه " من أكبر الجهل ومداخل الشيطان ، هناك بعض الصحابة جهلوا بعض مسائل التوحيد أتقول أنت التوحيد عرفناه ؟! يقول لا فائدة من تعليم التوحيد وهو مفهوم ، إذا كان أيام الصحابة كان هناك أناس لا تعرفه فهل الناس تعرفه الآن ؟! ، وتفيد أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فهنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين فعلوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا عندي نظر في مسألة ما فعل بنو إسرائيل ، الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدموا لا إله إلا الله ، بنو إسرائيل سألوا هدم لا إله إلا الله { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } الاعراف ١٣٨ لا تحمل التأويل ،

يقول " كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ،

وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلب عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

طالب : { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ } المائدة ١١٢ أهذا جهل عذرو به ؟

الشيخ : نعم { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ } جهل عذرو به لكن { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } نقدت لا إله إلا الله

على أي الأحوال هذه مسألة فيها اجتهاد ،

هل بنو إسرائيل كفروا ثم تابوا إلى الله لما نبههم موسى أم أنهم لم يكفروا لأنهم جهال ؟

الحقيقة أن الجهل يؤثر على لا إله إلا الله بأصل الكلمة نفسها غير معتبر ، يجعل الإنسان كافراً والله أعلم ،

هذا الكلام الأخير الذي هو " يغلب عليه الكلام تغليظاً شديداً " هو معنى قوله في باب من تبرك بالحجر والشجر في كتاب التوحيد في المسألة السابعة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله ( الله أكبر إنما السنن لتركن سنن من كان قبلكم ) فغلظ الأمر بهذه الثلاث ، وليس المقصود لم يعذرهم أي العذر في التكفير ، الشيخ يرى العذر في الأكبر في كشف الشبهات ، وفي كتاب التوحيد يجعل هذا كفر دون كفر وشرك أصغر ويجعله لم يعذر فيه بمعنى غلب عليه وإن لم يكفر ،

ظاهر قول المصنف في كشف الشبهات أنه يجعل المسألة من الشرك الأكبر وهم لم يكفروا لأنهم جهال ، وحدثاء عهد بشرى ،



هذا الذي وضع الشيخ حمدي الفقي رحمه الله وهو الصحيح والظاهر أن { اجعل لنا ذات أنواط } شرك أكبر لكن عذرنا لأجل الجهل حتى ولو كان طلباً من غير فعل ، لأن طلب الكفر كفر والعزم عليه في المستقبل كفر ولو لم يفعله الآن وإن كان فعله أشد ، ولقد حلف النبي صلى الله عليه وسلم على مساواة هذا القول على من قال { اجعل لنا إلهاً كما هم إلهة } ولا شك أن هذا القول كفر أكبر وهذا النقل الصحيح من كشف الشبهات يوضح لك مذهب الشيخ في مسألة العذر بالجهل وهو عدم التكفير إذا كان الشخص مثله يجهل ذلك ، حتى في مسائل التوحيد خلافاً لمن يتوهم عنه خلاف ذلك وقد صرح رحمه الله في رسائله وأبناؤه من بعده يقول في رسالة مطبوعة في المجلد الرابع من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ومنقول أيضاً في كتاب منهاج أهل الحق والاعتدال ، يقول وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر البدوي من العوام لأجل جهلهم وعدم من بينهم فكيف نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، يتهموه يقولون أنك لم تكفر من لم يكفر المسلمين وتكفر من لم يقاتل معك ، فيقول إذا كنا لا نكفر العوام العباد للقبور عباد الصنم فكيف نكفر من لم يكفر أو كيف نكفر من لم يقاتل معنا سبحانه هذا بمقتضى عظيم ،

إذن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتبرأ من تهمة تكفير عوام المسلمين ،

الذين لا يكفرون مثل . التكفير . فلماذا لا يكفروننا ونحن نعتقد عقيدتهم في عدم عبادة القبور وإن هذا شكر أكبر ونعتقد عقيدتهم في الحكم بما أنزل الله ونعتقد عقيدتهم في الولاء والبراء ، فماذا تكفروننا ؟ يقولون لأنكم لا تكفرون الكفار ولا تكفرون فلان الفلاني ، لأنكم لا تكفرون عوام المسلمين وتتركوهم يصلون بجواركم ، نقول هذا امتنعت من تكفيره لعذر ، هؤلاء الذين يتبرأ منهم الشيخ محمد ومن طريقته ، لأنه يقول هذا بمقتضى عظيم نحن لا نكفر من لم يكفر ، لماذا ؟ لأنه يعتبرهم جهال ويعتبر أخطأوا وليس أنه يحكم بالإسلام للكفار ، نفس النص لحفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ كما نقله الشيخ ابن حجر البطامي في كتاب الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته السلفية نقلاً عن طريق نجد ، يقول وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام ، هذا اللفظ - الصنم الذي على قبر البدوي - يقول إذا كان لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم وعدم من بينهم فكيف نكفر من لم يكفر ونقاتل ، سبحانه هذا بمقتضى عظيم ،

هذا كله موافق لمذهب السلف في هذه المسألة ،

في أناس من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أتى بعد ذلك عندهم غلوا في هذه المسائل ؟ نعم في بلا شك وليس معنى أنه من شيوخ الدعوة الوهابية أن كلامه معصوم ، ولو كان من أفاضل المشايخ الذين يأخذ كلامهم في مسائل أخرى ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٨١- فصل مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يحكم بخلوده في النار

المسلم الذي يرتكب الكبائر ويصر عليها أي لا يتاب منها لا يكفر بفعلها فضلاً عن أن يرتكبها ولا يصر ،

والأمر الثاني وهو أنه لا يخلد في النار ، هذه المسألة هي الفرق بين أهل السنة وبين الخوارج والمعتزلة فالخوارج يجعلون مرتكب الكبيرة فاجراً ومخلداً في النار ،

وهما مسألتان مسألة حكمه في الدنيا واسمه وعند الله عز وجل ، والمسألة الثانية حكمه في الآخرة ، حكمه في الدنيا يعني كيف نعامله في حلة الدم والمال وعصمة الدم والمال ، ثم في حكمه عند الله هل زال إيمانه بالكلية وانعدم وأصبح كافراً عند الله حتى ولو حكم بإسلامه كالمنافق أم مازال عنده أصل الدين وهو مازال فاسقاً ملياً . ملياً يعني من أهل الملة ؟ الجواب عن هذا هو أن المسلم المرتكب الكبيرة ولو أصر عليها لا يكفر وهو مازال من أهل الملة ما لم يستحلها ثم الحكم في الآخرة أمر آخر ،

الخوارج والمعتزلة اختلفوا في اسمه في الدنيا واتفقوا على حكمه في الآخرة ، اختلفوا في اسمه فقال الخوارج مرتكب الكبيرة كافر وقالت المعتزلة فاسق واتفقوا في أن الإيمان قد زال من قلبه بالكلية فهو عند الله ليس بمؤمن ولكن فاسق المعتزلة قالوا ليس بكافر وهو في منزلة بين المنزلتين ، ليس بمؤمن ولا بكافر ، لم يكن عندهم حد فاصل بل عندهم مساحة فاصلة وطبقة فاصلة بين الإسلام والكفر ، وأهل السنة ليس عندهم مساحة بل عندهم خط من يخرج من الإسلام يقع في الكفر والذي يخرج من الكفر يقع في الإسلام ولا يوجد منزلة بين المنزلتين ، لا يوجد أحد ليس بمؤمن ولا بكافر ، ممكن يكون ليس بمؤمن الإيمان الواجب لكن ليس بمؤمن ليس عنده أصل الإيمان ولا بكافر هذا ليس عند أهل السنة والجماعة ، والنصوص الشرعية تؤكد مذهب أهل السنة وأن الإيمان يزيد وينقص وأنه قد يبقى منه ذرة وإن دخل النار ،

أما في الآخرة فاتفق الخوارج والمعتزلة على تخليد مرتكبي الكبيرة لانعدام الإيمان بالكليّة من قلبه واتفقوا على أن من دخل النار لم يخرج منها أبد الآبدين ، فليس عندهم فريق يخرج من النار ، ليس عندهم من هو من عصاة الموحدين الخارجين من النار الذين يدخلونها ثم يخرجون منها ،

نبدأ في تفصيل المسألة الأولى:

وهي أن مرتكب الكبيرة لا يكفر :

نقول هناك أولاً مسألة الإصرار ، ما معنى الإصرار ؟ هناك عدة اصطلاحات قد يحصل فيها خلط عند البعض ، هناك فرق بين الاستحلال وبين الإصرار وبين التكرار وبين الاستكبار وبين الاتسهاء ، لابد نميز بين هذه المصطلحات التي وردت في الكتاب والسنة ورد بعضها أو معناها ،

هناك فرق بين الإصرار والاستحلال فالمسلم لا يكفر بمجرد ارتكابه المعصية الصغيرة أو الكبيرة ولا حتى بتكرارها ، يعني وقع منه الذنب مرة والتكرار يقع منه مرة ثانية والتكرار يقع منه مرة ثالثة وأما الإصرار فهو العزم أن يعود عليها ، الإصرار هو ألا يتوب منها بل ينوي بقلبه ويصرح بلسانه مع ذلك أنه سوف يعاود هذا الذنب ، فهذا ليس باستحلال :

الاستحلال أن يعتقد أنها حلال ، هذا أصل معنى الاستحلال وهو يدخل فيه عند كثير من العلماء والسلف الإباء والاستكبار وهو أن يأتي شرع الله وإن أقر أنه شرع وإن قال نحن أمرنا بالسجود ولكن لم نكن لنسجد ولكن لا يلزمنا أن نفعل لا نلتزم بهذه الشريعة فيأتي شرع الله { إِلَّا إِلَيْسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } البقرة ٣٤ خلاف من يفعل المعصية ويقر على نفسه بالمعصية ولو قال أنا لا أستطيع أن أتركها وهو قادر على تركها بلا شك لكن يقول أنا سوف أعود لأني احتاجها جداً وغير قادر على الإقلاع عنها أو أنا لا أريد الإقلاع عنها الآن ، ولكن هو في نفسه آثم وفي نفسه ظالم وفي نفسه مستحق للعقوبة ولا يرد الشريعة ولا يكذب بها ، فكما ذكرنا الإصرار معناه أن يعزم على العودة إلى الذنب وقلبه عازم ولو قلت له أنت ستشرب السحائر مرة أخرى أو تسمع الموسيقى مرة أخرى أو تمشي مع البنت التي تحبها مرة أخرى ؟ يقول نعم سأفعل ، فتقول له أنت على خطأ ؟ يقول نعم أنا على خطأ ، غير واحد يقول أنا حر أنا لا يلزمي هذا الكلام ، طالما هي راضية أنت ليس لك دخل ولا الشرع له دخل في هذا ، والعياذ بالله ، طالما في تراضي بيننا ، واحد يقول هذا خلاف من يقول أنا مذنب أنا أعترف أن هذا الزنى حرام وليس أنه يرد شرع الله ، صحيح أن التراضي حاصل بين الطرفين لكن ليست الحجة في التراضي ، المشكلة أنه يرد شرع الله عز وجل بحجة التراضي بمعنى أنه يأتي أن يلتزم بهذه الشريعة ،

الإباء والاستكبار على الشرع غير مجرد فعل الذنب وتكراره والعزم على معاودته

وغير المجاهرة ، إذن هناك أمر آخر وهو المجاهرة ، ليس كل مجاهر مستحل ولا كل مجاهر مستهزئ ولا شك أن قطاع الطرق يجاهرون بذلك ولا ينتهوا بل يقولون أنه شرف يرفع الناس إلينا أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن نقول (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) متفق عليه وقال (ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إلينا أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن) متفق عليه إذن هذا مجاهر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (كل أمي معاني إلا المجاهرون) رواه البخاري فجعلهم ضمن الأمة وليس معافون من العقاب فدل ذلك على استحقاقهم العقوبة ولكن لم يخرجوا من الأمة بمجرد المجاهرة ، بعض المشايخ يجعل كل مجاهر مستهزئ ويجعله مستحلاً وهذا خطأ من قائله ، قد يفهم من كلام بعض الأكابر هذا وليس المقصود أنه يقول أنه يجعل الذين يتحدثون عن معاصيهم كلهم مستحلين ، هذا كلام غير صحيح أن واحد يقول أنا عملت كذا وكذا وشريت من الخمر كذا وكذا لا يلزم من ذلك أن يكون مستهزئاً ، السياق في الكلام هو الذي يعرف من الإباء والاستكبار والاستهزاء ، لابد أن يكون الكلام دالاً على الاستهزاء بالشريعة وليس أنه يريد أن يثبت لقرنائه في الجريمة أنه عريق في الجريمة أنه يحسن أن يأتيها فكثير من الناس عنده أن الجاه القدرة على الاغتصاب مثلاً جاهه في وسط المجرمين أنه يعرف أن يحتطف مثلاً فتاة ويغتصبها وهو لو سألته فيما بينك وبينه يقر بالذنب والمعصية فهذا ليس بخارج من الملة وليس بمستهزئ ، الإباء والاستكبار كما ذكرنا رد الشريعة أن يأتي الانقياد لشرع الله ليس أنه يترك الانقياد ، فرق بين مجرد ترك المحرم ولو مع التكرار والإصرار وبين الإباء والرد ، الإباء والرد تعرف صفته من فعل إبليس ، لأن الله قال { قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ } الاعراف ١٢ هذا السؤال دليل لاستخراج ما في باطنه ، ممكن يكون سوف أسجد بعد حين أو أنا تأخرت عن السجود بل هو كان قال { لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ } الحجر ٣٣ والعياذ بالله ، لم أكن لأفعل وهذا معروف عند من لا يلتزمون بالدين من العلمانيين وأمثالهم ممن يرون أن هذا الدين في الحقيقة من القرون الوسطى التي لا ينبغي أن يلتزم بها الآن ، وهو يرون أن هذا مما جاء به الإسلام ، يعني تحريم الزنا عند العالم الغربي كله من المسيحية أم لا نعم عندهم من المسيحية لكن هم يرون أن الناس الآن يسعهم أن يتركوا هذا التحليل والتحريم ، يرون أن هذا الأمر وإن لم يحجده لم يقولوا المسيح لم يأتي بتحريم الزنا ولا قالوا المسيح أحل الزنا بل قالوا المسيح حرم الزنا لكن ما شأننا وشأن المسيح الآن ؟ فالناس الآن تقول مالنا وللدين نحن في القرن الواحد والعشرين بل الناس تفعل ما تختار ما تريد ما تشتهي وهذا الذي نفى الله عنه الإيمان { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } الاحزاب ٣٦ يرى لنفسه الخيرة بعد ما قضى الله ورسوله أمراً ويصرح بذلك ، لو رآها باطناً فهو منافق ولو رآها ظاهراً فهو كافر ، هذا هو الآبي المستكبر يقول أنا ألتزم بهذه الشريعة ؟ أنا أضع رأسي تحت إستي والعياذ بالله كما يقول في السجود مثلاً ؟ أنا ألتزم بهذه الأحكام التي مضى عليها أربعة أو خمسة عشرة قرناً ؟ هل نحن نبي دولتنا على كتاب يبحث في التين والزيتون هذا كمال أتاتورك الذي قال هذا قال تركيا الحديثة لا تبني على كتاب يبحث في التين والزيتون ، فمادام يكون

هذا ؟ هذا الاستكبار على شرع الله ، وكتاب يبحث في الدين والزيتون هذا كتاب الله ، فهو عنده يستكبر على كتاب الله عز وجل ، فمثل هذا الأمر هو الاستكبار والإباء الذي هو عند طائفة كبيرة من العلماء داخل الاستحلال وعند كثير من الاصطلاحات فهو نوع آخر من الكفر غير الاستحلال بأنه لم يصرح ويقول أنا أستحل ، بعض الجهلة يظن أن كلمة الاستحلال لابد أن يقول صراحة الزنا حلال في الشريعة ، وهذا لا تجده حتى عند اليهود ، ولا عند النصارى أحد يقول بهذه الألفاظ ، سيقول نعم هو في الشريعة وسنجعل الناس تفعله ولا دخل لأحد في ذلك ، ونحن لا نبين مجتمعنا الحديث على نصوص دينية ، كم من القائلين بذلك ؟ والله الكثير نسأل الله العافية ، يصرحون بأنهم في العصر الحديث لا حاجة بهم إلى نصوص الدين ولا تلزمهم هذه النصوص ولا تلزمهم طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يقولون من أراد أن يطيع الله فيطيعه ومن لا يريد أن يطيع فليس عليه أن يطيع وهذا في الحقيقة لما تتدبره تجده استحلال لما يقول ليس عليه أن يطيع ولا يلزمنا ذلك ، ولذلك العلماء الذين أدخلوا هذا في الاستحلال لهم وجه لكن المتأخرون الجهلة هم الذين ظنوا أن كلمة الاستحلال أنه لابد أن يقول بلسانه أنا استحل ، وهذا كما ذكرنا لا يوجد لأنه معلوم من الضرورة كما قلت أن النصارى يعلمون بالضرورة عن ديننا أنه يحرم الزنا واليهود يعرفون ذلك ونحن نعرف ذلك بالضرورة أيضاً أن كل الأنبياء حرموا الزنا ومع ذلك فالقوم الذين يأبون التزام ذلك ويستكبرون عليه ويرون أن هذه من مخلفات القرون الوسطى ومن وحشية العصور الوسطى وأن هذا من مخلفات الإسلام لأنه لم يكن قد تطور بعد إلى الرقي الحضاري الذي وصل إليه الآن من الحرية والمساواة واختيار ما يختار ، والمواثيق الدولية التي ينصون عليه في الإباحية ونحو ذلك كل هذا من الكفر لكن لا تجعل هذا مساوياً لمن يصر ولمن يقول سوف أعود إلى المخدرات تقول له انتهى يقول والله ما أقدر تقول له بل تقدر يقول له صعب علي وأنا مخطئ ومع ذلك سأعود ، فهذا من الإصرار عدم التوبة ، والذي يكفر بعدم التوبة هم الخوارج والفرق بين أهل السنة وبين الخوارج في قضية الإصرار لأن الكل متفق على أن التائب مغفور له ، الخوارج والمعتزلة وأهل السنة متفقون على أن من تاب من الذنب مغفور له إذن الخلاف معهم في ماذا ؟ في تكفير مرتكب الكبيرة أم في جعله فاسق ، فيمن يقول لن أتوب وسوف أعاود الذنب ومع ذلك هو مقرر على نفسه أن هذا ذنب ، في ممكن يكون إصرار مع تكرار وفي ممكن يكون إصرار بدون تكرار ، واحد يجب واحدة واتفق معها إلى فعل الفاحشة وهو لم يفعل هذا الأمر إلا مرة واحدة فقط ولم يتكرر فبعد ذلك أهلها اكتشفوا فوضعوا الحواجز أو لم يتمكن من الوصول إليها وهو ناوي أنه أول ما يراها يقع معها في الفاحشة فماذا يكون هذا ؟ مصر وليس عنده تكرار ، وواحد يعمل الذنب ويتوب ويعمل مرة أخرى ويتوب ويعمل مرة أخرى وهو نفس الذنب ؟ هذا عنده تكرار وليس عنده إصرار ، وتكرر منه الذنب مرة بعد مرة ولم يصر وأما المجاهر كما ذكرنا هو المجاهر بالذنب ويعمله علناً والعياذ بالله ، وهو في الحقيقة الزنا لما ثبت بأربعة شهود هذا لا يحدث إلى في العلن وهذا جريمة أخرى فوق الجريمة الأصلية وهو الجهر بالمعصية ، لكن لا يلزم من الجهر أن يكون مستهزئاً ولا مستحلاً .

نقول هناك فرق بين الإصرار والاستحلال فالمسلم لا يكفر بمجرد ارتكابه هذه المعصية الصغيرة أو الكبيرة ولا حتى بتكرارها ولا حتى بالعزم على أن يعود إليها مرة ثانية وهذا معنى الإصرار وهو العزم أن يعود إليها مرة ثانية وهو ليس بمستحل لها أي لا يقول أنا حلال ولا بمستكبر أي لا يتكبر على التزام ترك المعصية إنما هو معترف على نفسه بالذنب والتقصير لكن نفسه ضعيفة لا يستطيع أن يثبها عن شهواتها بل هي تغلبه أن يقع في المعصية وهو يعلم أنه لا يترك هذه المعصية لعدم عزمه على التوبة فنقول لا يكفر بفعلها في الدنيا ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة مادام لم يستحل المعصية ،

لماذا نقول ذلك ، لماذا نقول لا يكفر ؟

لأن الشرع قد جعل حدوداً للكبائر وإن تكررت ليست بحد الردة ونقول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( يدخل الجنة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وإن زنا وإن سرق ) رواه أحمد وقال الله عز وجل { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء ١١٦ المعتزلة يقولون لمن يشاء أي لمن تاب فنقول لا ، لو كانت في من تاب لكان الشرك غير مغفور لأن التائب من الشرك مغفور له ، لو كانت فيمن تاب إذن ما دون الشرك يغفر بالتوبة فالشرك لا يغفر أبداً ، إذن مفهوم الكلام يلزم منه ذلك ، ومعلوم أن هذا باطل باتفاق فلزم أن يكون أنه يغفر مادون ذلك لمن لقي الله بهذا الذنب ومن لقي الله بالذنب هو من مات مصراً على ارتكابه ،

الاستحلال في اصطلاح العلماء يقصد به أحد أمرين :

الأمر الأول وهو المشهور أن يعتقد أن هذه المعصية حلال ، يعني يقول أن الزنا حلال أو يقول أنه حرية شخصية مثلاً كما يقولون أنه مادام حدث بالتراضي فإنه لا حرج منه هذا الاستحلال تكذيب للشرع وانتفاء لقول القلب ومعرفة القلب لأن قول القلب يزيد وينقص كما قلنا فقول القلب في هذه المسألة اعتقاده تحريم ما حرم الله ووجوب ما أوجبه الله ، وعرفنا ذلك منه بقول اللسان أنه لما قال أن هذا حلال نحن عرفنا أن هذا قول القلب ، لا نعي بذلك أننا لابد أن نشق عن قلبه وإنما نعرف ذلك بكلامه وهذه مناقضة لتصديق أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله الذي صرح بلسانه بأن الخمر حلال وأن الزنا حلال وأن السرقة حلال وأن الصلاة ليست واجبة وأن الصيام ليس بواجب ، وبالتالي عاد ذلك على أصل الإيمان بالنقض في هذا التفصيل الجزئي الذي بلغته فيه حجته وكما ذكرنا أن كل تفصيل يبلغ الإنسان يصبح التصديق به شرطاً أو ركناً في الإيمان بحيث أنه لو كذب به بعد أن بلغه فقد نقض ذلك أصل لا إله إلا الله التي صدق بها كما ذكرنا ، من قال لا إله إلا الله ثبت إسلامه وإيمانه ثم أنه إذا بلغه أن محمد رسول الله فلم يصدق فذكر ، ولو صدق أن محمد رسول الله ثم بلغه أن جبريل هو الذي كان يأتيه بالوحي فكذب بذلك فقد كفر كذلك نقول من بلغه أن الصلوات الخمس فرض فكذب بذلك فقد كفر وإذا بلغه أن الزنا حرام ثم كذب بذلك فقد كفر ، مع أن التصديق بذلك ابتداءً ليس شرطاً في ثبوت أصل الإيمان إنما يشترط ذلك بعد أن يبلغه بعد بلوغ الحجة ، التفصيل يشترط بعد بلوغ التفصيل أما الإجمال فالتصديق الإجمالي أن رسول الله لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق شرط في أصل الإيمان ، أو في الحقيقة ركن من أركانه ،

طالب : السنة يا شيخ

السنة يقصد بها طريقة النبي صلى الله عليه وسلم لو كذب بالسنة إجمالاً مثل أن يقول ليس عندنا أن الظهر أربع ركعات لأنه ليس في القرآن فهذا مكذب بالمعلوم المتواتر من السنة فيكون كافراً ،

نقول فإذا كذب الإنسان فيما بلغه من المعلوم من الدين بالضرورة أم بلغه بأن قرأ الآية أو بين له الحديث فعلم أن الشرع الإسلامي فيه أمر الله ، لأن المعلوم من الدين بالضرورة معلوم بدون بحث وبدون اجتهاد ، معلوم ضرورة بأن الكل يعرفه حتى علمه وانتشر علمه حتى استوى عند العالم والجاهل والخاص والعام ، وقد شرحنا هذه المسألة قبل ذلك ، والكل قد علم أن هذا من الدين بل إن وجد في بلاد المسلمين من الكفار قد وصلهم هذا العلم لانتشاره لأنه ضرورة من الضروريات لا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه منها فهو مضطر إلى أن يكون قد علم لأن الخبر قد وصل كما أن هذا الأمر وهو انتشار العلم لا يحتاج إلى أن يكون مسلماً أو غير مسلم ، هذا أمر واقع ، فالنصارى الذين يعيشون في بلاد المسلمين بل وغيرها يعلمون تعظيم المسلمين للقرآن ويعلمون أن الصلاة الخمس فرض مع أنهم كفار لكن يعلمون أن هذا من الإسلام للضرورة ، يعلمون ضرورة أن الدين الإسلامي يأمر بصوم رمضان بل اليوم في أوروبا وأمريكا يعلمون أن المسلمين يصومون رمضان وذلك لانتشار العلم بذلك ، لذلك نقول أن كلمة معلوم من الدين بالضرورة لا يشترط أن يكون مسلم الذي يعرفه بل هو ضرورة مضطر إليه ، فمن علم أن الشرع الإسلامي فيه أمر الله بكذا وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء بكذا ثم كذب بذلك واستحل ما حرم الله فهو مكذب في الحقيقة لا إله إلا الله انتفى بذلك قول القلب عنده وعلمنا ذلك بقول اللسان وصار كافراً ،

الأمر الثاني المقصود بكلمة الاستحلال وهو الإباء بمعنى أن يقول نعم أنا أعلم أن الشرع أمر بكذا لكن لا يلزمي هذا الأمر ولا ألتزم بشرع الله فتكبر على شرع الله ، هذا التكبر عمل في القلب نحن لا نعلمه بأن نشق عن القلوب ولم نعلمه بأن يصرح صاحبه بلسانه ، كأن يقول كما قال إبليس لم أكن لأسجد ، أو أن لا يلزمي أن أفعل كذا فهو يأبى ويستكبر ويقول أنه أرفع من أن يتحكم فيه تشريع فهذا الإنسان يصرح بأنه استكبر على شرع الله ، هذا الإباء والاستكبار انتفاء لعمل القلب ، وانتفاء للانقياد الباطن وانتفاء للذل والخضوع لله لأن الإنسان الذي يخضع لا بد أن يذل لله تعالى العبودية حب وذل والتكبر على أمر الله ينافي العبودية لله إذن لذلك قلنا نقض لا إله إلا الله ، هذا الشخص متكبر في الحقيقة لا يقول لا إله إلا الله وهذا إنما يعرف كما ذكرنا بالتصريح ،

والإباء والاستكبار فعل إبليس وإلا فواضح جداً أن إبليس لم يكذب أن الله أمره بالسجود فضلاً عن أن يكون مكذباً بوحداية الله تعالى أو أن الله هو الخالق أو أن الله هو الرزاق أو أن الله هو الذي يبعث الناس يوم القيامة ، فإبليس لا ينكر بذلك ولم ينكر أن الله أمره بالسجود ولم يقل يا رب لم تأمرني ولا قال متأولاً أن الأمر كان للملائكة ولست منهم لم يقل ذلك قط وإنما قال لم أكن لأسجد ، فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، هذا الإباء والاستكبار أن يقول نعم الشرع حرم كذا أو أوجب كذا ولكن لا يلزمنا هذا الكلام من أراد أن يعمل ومن لم يرد فلا يعمل ولا أحد يلزمنا حتى ولو كان شرع الله أو يقول دع شرع الله جانباً أو يقول ليس لي شأن بالشرع واليعاذ بالله حتى لو كانت المعصية صغيرة من الصغائر المعلوم من الدين بالضرورة أو معلومة لهذا الشخص كالقبلة من أجنبية أن يقبل الرجل امرأة أجنبية هذا من الصغائر فلو أنه أبى أو استحلهما أو أنه التزم بتركها وقال وماذا في ذلك لماذا الشرع يحرم علينا هذا الأمر فهذه رجعية ، وهو يعلم أن هذا الأمر من الشرع وهو يعلم أنه موجود بالقرآن ومع ذلك يأبى ويستكبر ويتهم الشرع بالرجعية والتخلف فهو كافر كفاً ناقلاً عن الملة بلا نزاع .

طالب : أهو ممكن يأبى ويستكبر في قلبه ؟

الشيخ : نعم ممكن يأبى ويستكبر في قلبه لو هذا الكلام موجود في قلبه وليس في لسانه فهذا كافر عند الله منافق في الدنيا أحكامه في الدنيا أنه مسلم وهو كفار عند الله في النار ، يعني واحد يقول أنه في نفسه أنه تخلف ورجعية لكن لا يتكلم فيكون منافق في الدرك الأسفل من النار ،

نقول فمن يتهم الشرع بالرجعية والتخلف فهو كافر كفاً ناقلاً عن الملة بلا نزاع أما النوع الذي ذكرنا في أول الفصل فهو المسلم الذي يصر على ارتكاب الكبيرة وهو مقر بخطئه ، كالمدمن على سبيل المثال ، إذا قلت له اتق الله قال لك أنا مخطئ وأسأل الله العظيم أن يتوب علي وقد مضى عليه خمسون عاماً وأنا على هذا الذنب لا أستطيع أن أتركه فادعوا الله أن يهديني ، هذا الذي يزعم أنه لا يستطيع أن يتركه وهو غير مستحل ولا مستكبر بخلاف من يقول الشرع لم يحرم الخمر ، مسألة التفريق بين المصير والمستحل وقع فيها خلل كبير عند كثير من الناس حتى عند بعض الدعاة ، فعقيدة أن المصير على العصية كافر عقيدة الخوارج بلا نزاع فيها بين أهل السنة ولا بد من إدراك الفرق بين الإصرار وهو ترك التوبة أو العزم على التوبة وبين الاستحلال والإباء ، هذا الفرق في المسألة هو الفرق بين الفكر التكفيري في القيدة ، وهو أيضاً فكر من ينتسبون إلى التوقف والتبين الذين يقولون أن من يعزم ألا يفعل فعلاً واجباً أبداً فهو كافر ،

بداية أصل قضية ترك العمل كانوا يقولون أن الذي ترك واجب وناوي ألا يعمل حتى يموت يكون خارج من الملة ، الذي عمل معصية وناوي أن يظل عليها حتى أن يموت يكون كافر خارج من الملة ، وهذا في كتاب حقيقة الإيمان عند الجماعات الإسلامية ، الكتاب صدر سنة ١٩٧٠ كاتبه مجهول يقول فيه أن الذي يعزم أن يظل تاركاً للواجب يعني واحد مثلاً يقول والله لم أذهب إلى أقاري حتى الممات يقولون له هذا قطع للرحم يقول سأظل مقاطعهم حتى أموت هذا عنده كافر ، في الحقيقة هو فكر الخوارج ، أو الذي يقول لن

أفعل الطاعة حتى أموت فهذا من المعاصي الذنوب يصير عليها لكن لا يخلد في النار ، الذين يقولون أن من يعزم على أن لا يفعل فعلاً واجباً أبداً فهو كافر مثل من يعزم على ألا يصل رحمه ويجب عليه وصفها فيقول والله لا أصلها حتى أموت ، فتقول له أن الشرع يأمر بصلة الحرم يقول وأنا أعلم وأنا مخطئ ولكن لا أستطيع أن أذهب حتى أموت ، يقولون هذا كافر واخترعوا كلمة تارك جنس العمل الواجب ، والحمد لله هذا المذهب أصبح مهجوراً عند من يقول ترك جنس العمل ، الذين يقولون ترك جنس العمل أصبحت عندهم العمل ككل ، لكن أصل الكلام ترك جنس العمل الواجب كل عمل واجب لو أنه لم يؤد منه حتى لو مرة واحدة في حياته يكون كافراً ، يعني لو عاش عمره كله ولم يجاهد في سبيل الله أو عاش عمره لم يبر والديه أو عاش عمره لم يصل الرحم ، وطبعاً كونه لا يصلي أو يزكي هي في الحقيقة أن الخلاف فيها أنه لو عاش عمره لم يصل الأمر ليس يحتاج إلى عمره ، الخلاف فيها عند السنة على قولين واحد يقول لو ترك صلاة أو صلاتين أو ثلاث صلوات على الخلاف الذي بينهم في هذه الجزئية ولو كان عاش عمره يصلي والذي كفر كفر على ترك ثلاث صلوات على أقصى تقدير وليس له دخل ولا يقول واحد منهم لا بد أن يكون قضى عمره ولم يصلي ، لا بد من حد إذا تركه يقال عنه تارك للصلاة فلو كان عاش عمره يصلي ثم ترك الصلاة عند من يكفر يكفره بترك الصلاة كما ذكرنا بترك ثلاث صلوات باتفاق عندهم والذي لم يكفر لا يكفره ولو ظل عمره ولو ظل عمره لا يصلي ، وهذه المسألة خلاف سائغ عند أهل السنة التي هي التكفير بترك أحد المباني وأشهرها الصلاة والجمهور من أهل السنة على عدم التكفير وهذه المسألة لا يبدع ولا يضل فيها المخالف ، خلافاً مع غيرنا فيها في مسألة التبديع للمخالف واتهامه إياه بالإرجاء لأن هذا يتهم عامة أهل السنة بالإرجاء ، هذه التي لا نرى فيها سوغ الخلاف ،

أما فعلاً أن تارك العمل بالكلية فيه خلاف نقر بذلك أن هناك من يكفره ولا نقول لمن كفر تارك العمل بالكلية يكون من كلام الخوارج ، بل نحن نعلم أن هناك من قال لو أنه لم يصلي فقط فهو كافر ، إذن بالأولى لو أنه لم يصلي ولم يزكي ولم يحج ولا اعتمر ولا صام رمضان فالأولى يكون كافر ، هذا قول عند أهل السنة وإن كنا لا نختاره وإن كنا لا نقول به ولكن لا نبدع من يقول به بالأولى أليس كذلك ، نقول لو أن واحد قال هذا صلى عشر سنوات وبعد ذلك ترك ثلاث صلوات فهو خارج من الملة نقول له يسعنا قولك ، ونحن لا نختار هذا القول ولا نراه صحيحاً ولكن مما يسع فيه الاجتهاد ، ولذلك إذا ترك العمل كله بالأولى فقد دخل في ترك الصلاة أليس كذلك وكذا الزكاة ولكن المشكلة في المخالف الذي يقول نحن نبدع من لا يكفره ، الذي يقول أن الذين يكفرون هؤلاء مكفراية وأصحاب تكفير يكون إنسان منحرف عن عقيدة أهل السنة والجماعة والذي يقول الذي لم يكفره يكون مرجئ يكون منحرف عن منهج أهل السنة والجماعة أن أهل السنة عندهم هذه المسألة خلاف سائغ كما ذكرت بداية فكر هؤلاء الذين يقولون بداية ترك العمل الواجب ، كل عمل واجب لا بد يؤديه ولو مرة في حياته حتى لا يكون ترك جنسه وبعد ذلك لما وجدوا أن هذا القول في الحقيقة لا يقوم عليه الحجة ولا دليل فوسعوا الأمر ولو يسبح تسبيحة أو يرد سلاماً واجباً فقالوا لا بد أن يأتي بشيء واجب وبعضهم قال يأتي بعمل ما هذا في الحقيقة قول محدث أن إنسان يقول لا إله إلا الله لا تقبل حتى يضيف إليها سبحان الله أو يضيف إليها عليكم السلام لو واحد قال عليكم السلام فبذلك لا نبدع من لا يكفره وأما إذا لم يقل عليكم السلام مرة في حياته فيكون ترك العمل الواجب فلا بد أن تكفره ، هذا قول يقوله أحد من أهل العلم ؟ والله لا يستطيع أحد أن يقول ذلك أبداً .

وإنما ترك الأعمال كما ذكرنا ، الأعمال قسمين ، قسم متفق عليه أن تاركه لا يكفر الذي هو ما سوى المباني الأربعة وقسم مختلف فيه وهو المباني الأربعة الصلاة الزكاة الصيام الحج ،

قسم من جنس الأعمال في الحقيقة الذي هو نطق اللسان بالشهادتين وهذا لا نزاع عند أهل السنة في أن من تركه مع القدرة عليه خارج من الملة ، الذي يأتي أن ينطق الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فهذا من جنس الأعمال الظاهرة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه عملاً ، ( أي العمل أفضل قال شهادة أن لا إله إلا الله ) فشهادة لا إله إلا الله من العمل في الحقيقة ، ولكن لأجل الاختلاف في الحكم قسمت ،

فنقول أن العمل الظاهر فيه قسم متفق عليه وفيه قسم مختلف فيه ، والمختلف فيه اختلاف سائغ عند أهل السنة لا يبدع ولا يضل فيه المخالف ،

أما الكلام السابق القديم لأصحاب الفكر التكفيري أنهم يقولون أن من ترك العمل الواجب . كل عمل واجب . لا بد أن يأتي فيه مرة ، والمعاصي لا بد أن ينوي أن يتوب منها قبل الموت ، ولو ظل مصر على أنه يقول سأفعل المعصية حتى أموت ، فمن عزم ألا يفعل الواجب حتى يموت أو من قال أنا أقر بأنها معصية ولن أتركها لأني قد أدمنتها فهو عندهم كافر كفرةً ناقلاً عن الملة ناقضاً لأصل الإيمان عندهم ، هذه بدعة ضلالة منكورة ،

وهذا القول موجود في كتب قديمة لأصحاب منهج هذه الطريقة ممن تأثر بهذا الفكر ، إذا حصره في المباني الأربعة فنحن معه أن هذا خلاف سائغ بشرط عدم تبديع المخالف .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

مسألة تارك جنس العمل التي تكلمنا عنها إجمالاً في المرة السابقة يقصد بها من أطلقها طبعاً العمل الظاهر وليس عمل الجوارح في الجملة وإن كان يمكن حمل بعض كلام أهل العلم على عمل الجوارح وعمل الباطن عمل القلب لكن هذا مما لا نزاع فيه ،

أيضاً مما لا نزاع فيه حتى نحدد موطن النزاع في المسألة وما هو المقصود بالاختلاف فيها ،

كما ذكرنا عمل القلب ليس مما فيه نزاع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( من قال لا إله إلا الله يتغي بذلك وجه الله حرمة الله على النار ) رواه مسلم ولا نزاع بين أهل الإسلام وبين أهل السنة أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد قالوا لا إله إلا الله لكن لم يكن عنده يقين أو لم يكن عندهم حب وانقياد لشرع الله عز وجل إما فوات عمل القلب وإما فوات قول القلب ، فلا نزاع أن عمل القلب دلت عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على شرطيته وأن قول لا إله إلا الله دون اعتقاد ودون تعظيم لله عز وجل في الحقيقة لم يعمل به لا إله إلا الله بقلبه بمعنى أنه لم يعبد الله بقلبه حيث رأى أنه لا يحب الله ولا يخضع له ولا ينقاد لشرعه فليس هذا بإيمان عند أحد عند أهل السنة والجماعة وإنما هذا عند الكرامية من المرجئة أو من وافقهم عند الجهمية الذين يقولون الإيمان هو المعرفة فقط أو أن الإيمان هو النطق فقط ،

أيضاً مما لا ينافي فيه أن الترك للشرك وهو عمل عند كثير من الأصوليين أن الترك فعل لو قيل عنه عمل فهذا مما لا نزاع فيه في شرطيته أعني أو في ركنيته بمعنى أن من قال لا إله إلا الله ولم يترك الكفر والشرك والردة عن الإسلام فهو ليس بمؤمن لا أصل الإيمان ولا كماله بالأولى بل يكون كافراً والعباد بالله طالما استوفت الشروط انتفت الموانع ،

ف نقول من قال لا إله إلا الله ليس مجرد قولها باللسان بل لابد من ترك الشرك ، وأنا أقول أن هذه المسألة لو فهمها من فهمها وفهمها المخالفون وقبلوا مثل هذا الأمر أعني أن العمل يدخل فيه الترك عند كثير من الأصوليين ، يسمون الترك عملاً ويرونه عملاً ونحن نشترط ترك العمل فهذا لا ننازع فيه ومن قصد بذلك أو قال ترك جنس العمل يشمل الترك فنحن نقول أنه لابد إذن من هذا العمل الذي هو ترك الشرك ، ولا يصح إسلام أحد دون أن يترك الشرك ، فلو أنه نطق بالشهادتين ثم وقع في الشرك التي قامت عليه الحجة لم تنفعه الشهادتين ولم ينفعه ما عمل من أعمال أخرى حتى ، ونقول هذا أولى من أن يشترط تسبيحه أو يشترط رد سلام أو يشترط سجده في عمره حتى يقول ليس بمرجئ أو هذا ليس بكافر أعني الذي ترك العمل كله .

سادساً : من المسائل التي ينبغي الانتباه لها وهي أن الأركان الأربعة محل خلاف سائغ بين أهل العلم لذلك نقول وأما من كفر تارك العمل لأجل أنه قد ترك الصلاة أو ترك الزكاة أو ترك الصوم أو ترك الحج فنحن نعيد اختلافنا معه إلا أننا نرى أنه داخل دائرة أهل السنة فلذلك نقول أن من رأى تكفير تارك العمل بالكلية لأجل ما أصل من أن الأركان الأربعة أو أحد هذه الأركان الأربعة وأشهرها الصلاة تركه كفر ناقل عن الملة ، فهذا مما لا ينافي فيه وهذا النزاع مع تبديعه للمخالف ، إذن المنازع فيه من قال أن تارك العمل بالكلية كافر نقول هذا مختلف معه اختلافاً سائغاً ، نحن لا نقول بقوله لأننا نرى قول جمهور العلماء من أن ترك الصلاة تكاسلاً فضلاً عن غيرها من المباني هو كفر دون كفر وكفر ناقل عن الملة ، والأدلة المذكورة في مثل هذا الموضوع وقد ذكرنا وستأتي في مكانها ،

لكن الخلاف مع من يقول إذا لم تكفروا تارك المباني فأنتم المرجئة أو إذا لم تكفروا تارك الأعمال بالكلية ولو لم تكفروا تارك المباني فأنتم مرجئة ، فنقول هذا الكلام محدث وهذا الاتهام لأكثر العلماء الذين لا يكفرون تارك المباني وتارك العمل كذلك ، لأن لا يوجد من أهل العلم من يقول يشترط في عدم تكفير تارك الصلاة أن يكون قد سبح في عمره تسبيحه ، لا يوجد من يقول من أهل العلم أنه يشترط في عدم تكفير تارك الصلاة أن لا يكون قد رد السلام على مسلم في حياته ، نقول هذا الكلام كلام محدث أن نقول لابد أن يأتي بشيء من العمل حتى لا نكفره ونحن نقول بأن تارك الأركان ليس بكافر كقوله ناقل عن الملة ، فإذا حصرنا الخلاف نحصره في من يقصد بالعمل الظاهر عمل الجوارح زائداً على الشهادتين وإلا فنطق الشهادتين قد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم عملاً وسماه إيماناً وسئل إي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فسمى هذا الإيمان عملاً لكن الخلاف مع من يقول لابد من شيء زائد على النطق بالشهادتين من أعمال الجوارح واجباً كان أو مستحباً يقول إذا لم يوجد هذا كان الكفر متفق عليه بين أهل السنة ومن خالف فيه فهو مبتدع هذا الذي نخالفه فقط ، أما سائر من يقولون بتكفير تارك العمل إذا كانوا يقولون تارك العمل هو من لم يترك الشرك أو تارك العمل هو من ترك عمل القلب أيضاً أو تارك العمل من ترك الأركان الأربعة ونحن نقول بتكفير تارك الأركان الأربعة مع معرفة أن هذا خلاف سائغ ، هذا الخلاف معه يكون سائغاً وتنفع معهم في مسائلين وهو أن من ترك العمل القلبي كافر وأن من لم يترك الشرك فهو كافر بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، فإذا حصرنا العمل في هذه الطائفة التي تبدع من يوجب شيئاً زائداً على الشهادتين حتى يسع الخلاف من الأعمال الظاهرة كما ذكرنا خلاف الأركان الأربعة وهو لا يرى الخلاف مشروع في الأركان الأربعة ، لذلك قولهم تارك جنس العمل نكرر هذا الكلام قد يقصد به تارك العمل ككل يعني تارك كل الأعمال وهذا الإطلاق لا يصح أو هذا لا يصح أن يعبر عنه بكلمة العمل مطلقة لأن تكفير تارك الصلوات الخمس أو تارك الصيام أو تارك الزكاة أو تارك الحج وهو عازم ألا يفعلها هذا التكفير فيه خلاف سائغ بين أهل السنة ولا يصح التعبير أن جنس العمل لأن هذا خلاف سائغ بين فريقين ، المقصود إذن هنا التعبير في هذا الكلام لأننا نقول أن هناك خلاف ثابت في ذلك وبالأولى أن لو واحد ترك الأربعة كلها فهو كافر عند بعض العلماء لكننا نقول لا يبدع المخالف لا نقول أن من لم يكفر تارك جنس العمل فهو مرجئ فهي القضية في هذه المسألة في التبديع ،

ف نقول الخلاف في هذه المسألة بين فريقين :



الفريق الأول يقول بتكفير تارك أي واحد من المباني الأربعة ولو أدى هذا التارك كل المباني الأخرى كان عندهم كافراً ، فهذا ليس بتارك لجنس العمل لأنه يناسب كل الأعمال ومع ذلك كفر بترك واحد من المباني الأربعة ، فلو كان المقصود أنه لو صلى صلاة أو صام يوماً في حياته لكان غير تارك لجنس العمل فهذا لا يقوله أحد لا هذا ولا ذاك ، بمعنى أن من يكفر تارك الصلاة فهو يكفره بترك صلاة واحدة أو صلاتين أو ثلاث صلوات ، ليس هناك اختلاف بينهم في أكثر من ذلك ، كل من ترك أربع صلوات عنده فهو كافر ، وليس يوجد من يقول من صلى صلاة صلاة في عمره لم يكفر وأما من لم يصلي قط فهو كافر ، ثم نقول هذا متى تعلم أنه ترك الصلاة بالكلية حتى يقال هذا قد كفر ،

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " أنه لا يصح أن يكون مؤمناً بوجوب الصلاة ثم لا يسجد في حياته سجدة واحدة " نقول هذا الكلام الذي فيه نزاع أقصاه أن شيخ الإسلام يرجح هذا القول ثم هو قد نص فيه شرح العمدة على أنه لا بد من حد في تكفير تارك الصلاة واختار هو صلاة أو صلاتين مجموعتين إلى آخر وقت الثانية وهو قال أيضاً أنه إنما يكفر في الوقت الذي يجب قتله فيها ، وهذا نصه إن شاء الله أو قريب من نصه في شرح العمدة ، بمعنى أنه متى يكفره شيخ الإسلام ؟ في الحال التي يجب قتله فيها ، متى يجب قتله ؟ إذا عرض على السيف وأمر بالصلاة فأبى أن يصلي ، وهذا نقول به في الحقيقة ونحن نقول أن من أبى أن يصلي وقد عرض على السيف وقال اقتلوني ولا أصلي هذا لا يوجد مؤمناً بوجوب الصلاة أصلاً ، ليس مصادقاً فضلاً عن الانقياد لشرع الله عز وجل أن يفضل القتل على طاعة الله التي يعلم أن الله يعاقبه على تركها أعظم العقاب ، وهذه المسألة متصورة وليست واقعية ، بل هو يقول شيخ الإسلام بل عامة من يترك الصلاة لو عوقب بأي عقوبة بحبس أو ضرب فإنه يبادر إلى الصلاة مع إثبات الخلاف في هذه المسألة وإن كنا لا نقول بقول من قال من العلماء بأنه ليس بكافر ولو قتل قتل حاداً ، لكن المسألة فيها خلاف بين أهل العلم ، فلذلك نقول كلمة تارك جنس العمل يقصد به تارك جنس العمل ككل ؟ هو يرى يعني من يقول بتكفير تارك أي واحدة من المباني أو الجمهور الذين قالوا بتكفير هذه لا يشترط أن يكون تاركاً لها بالكلية ، بل يرون أن من أدى الزكاة سنين ثم منعها بعد ذلك ، مانعي الزكاة الذين قاتلهم أبو بكر هل هم تاركون لجنس الزكاة ؟ ليسوا كذلك بل قد أدوا الزكاة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ليس بتارك لجنس العمل الواجب الذي هو الزكاة لأنهم قد أدوا من جنسه سنين ، قبل أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك قد قتلتم أنتم كفرهم الصحابة ونحن نقول بل قاتلهم الصحابة ، الإجماع على قتال مانعي الزكاة وليس على تكفير مانعي الزكاة ، مانعوا الزكاة مرتدون باعتبارين ، ليسوا مرتدين باعتبار أنهم كأتباع مسيلمة والأسود العنسي وأمثال هؤلاء ، نقول بل مانعوا الزكاة مرتدون باعتبار أنهم دخلوا في غمار أهل الردة ، والأكثر في القتال كان للمرتدين الذي رجعوا إلى الشرك ومتبعي أدعياء النبوة فهؤلاء مانعوا الزكاة دخلوا في الغمار فسموا مرتدين لأجل أن الأغلب كان قتال مرتدين ، أو لأنهم مرتدون عن بعض الدين ، كانوا يادونه ثم تركوا تأديته فهذه ردة جزئية ، هذا كلام الخطابي في تسمية مانعي الزكاة بالمرتدين ، أما القول الثالث فهو من يقول بأن من ترك الزكاة فإنه إن قاتل عليها الإمام كفر ، فهو قول طائفة من أهل السنة رواية عن الإمام أحمد رحمه الله ، وهذا قول معتبر في الاجتهاد وإن كنا لا نقول به لكن نقول بقول الجمهور وأنه حتى لو قاتل الإمام عليها لم يكفر بذلك ولكن يجب قتاله اتفاقاً ، حتى ولو لم يكن كافراً فهذا القول قول اجتهاد سائق في وصف حال مانعي الزكاة ، لكن على أي الأحوال مانعوا الزكاة لم يكونوا تاركين لجنس العمل ، بل أدوا أعمالاً أخرى وأدوا حتى من جنس هذا الواجب الذي نتكلم عنه وهو منع الزكاة ، فهذا لا يصح أن يقال أنه تارك جنس العمل ،

هذا الفريق الذي يكفر تارك الصلاة فيه مثلاً يكفره بترك صلاة واحدة أو صلاتين أو ثلاث صلوات ، لم يقل أحد من هذا الفريق أن من صلى صلاة واحدة في حياته لم يكفره بعدها لأنه ليس تاركاً لجنس العمل بل كلهم يقول يعرض على السيف إن كان يرى وجوب قتل تارك الصلاة أو يحبس عند من يقول بعدم قتله ولم يكفره بالأولى ومن يكفره كشيخ الإسلام عند القتل يقول ولو صلى بعد ذلك عرض على القتل فأبى أن يصلي قتل كافراً ، وهذا كلام شيخ الإسلام كما ذكرنا ، لأن كلام شيخ الإسلام في الحقيقة محمله على هذه النعمة ، نرد كلامه المحتمل ، لأن كلام شيخ الإسلام في مسألة الصلاة هو ينقل دائماً الأقوال وقد يفهم من كلامه بعض المواضع ما يحتاج إلى تبين ، فأحسن ما يبين به كلامه في الموضوع الآخر ، وكما ذكرنا كلامه في شرح العمدة أنه متى يكفر ؟ قال في الحالة التي يجب قتله فيها ، متى يجب قتله ؟ إذا عرض على السيف فأبى أن يصلي فهذا في الحقيقة في الإباء وليس في الترك المجرد ، الإباء شيء زائد على مجرد الترك والإباء هو الامتناع مع الرد لشرع الله سبحانه وتعالى يعلم ذلك بأن يقول اقتلوني ولم أصلي ولو قتلتموني لم أصلي ،

الفريق الثاني الذي لا يكفر تارك الصلاة يقول لو ترك كل الصلوات مادام لم يستحل ولم يأبى فهو مازال عنده أصل الإسلام وعنده لا إله إلا الله ولو لم يعمل خيراً قط ،

أما من يقول لو صلى صلاة في حياته هذا لا نكفره فهذا لا يوجد من يقول هذا بين أهل العلم ، يعني أعني الذي يقول أن الذي صلى صلاة في عمره لم يكفره إلى آخر الدهر ، هذا لا من هذا القول ولا من هذا القول ، الذي لا يكفر لا يكفر ولو عاش سنين

طالب : الذي يصلي العيد فقط

الشيخ : الذي يصلي العيد يصلي نافلة وقد يصلي فريضة أحياناً يصلي الجمعة على سبيل المثال وهذا حال كثيرين ،

نقل الذي يكفر تارك الصلاة يكفره والذي لا يكفره لا يكفره حتى لو لم يصلي العيد ولا الجمعة ولا يكفره حتى لو بقي سنين لأن الحد الذي سماه عندهم هو أقصى شيء ثلاث صلوات ، فلا يصح أن نقول على شخص أنه تارك لجنس العمل ويكون صام يوماً أو صلى يوماً ، فلا أحد يقول بها ، لا هذا الفريق ولا ذاك ، فهذا قول مستحدث ، أعني الذي يقول نحن لا نكفر من صلى صلاة في عمره أو صام يوماً في عمره أو ركب شيئاً من ماله في عمره فهذا لا نكفره وأما الذي نكفره فهو الذي ترك ذلك بالكلية ويقول هذا في مسألة الأركان الأربعة خلاف القولين ،

القول الذي يقول بالتكفير يرى أنه بثلاث صلوات يكفر ولو صلى عشر سنين قبل ذلك والقول الثاني الذي يقول بعدم التكفير يقول ولو ظل عشر سنين لم يصلي طالما لم يعرض على السيف أو حتى لو عرض هناك من يقول يقتل حداً ،

الذي يقول يقتل حداً جماهير الشافعية والحنابلة أيضاً عندهم هذا مرجح والحنفية لا يقولون بقتله والمالكية يقولون هذا يقتل حداً وليس هذا مرجح عند أحد من أهل العلم إلا عند كلام شيخ الإسلام يقول " وقد دخل عليهم من الشبهة التي دخلت على المرجئة حيث ظنوا وجود إيمان تمام في القلب دون عمل ظاهر " وهذا فرق لما يقول دخلت عليهم الشبهة التي دخلت على المرجئة في مسألة معينة وبين أن يقول هم مرجئة ، يقول دخلت عليهم الشبهة التي دخلت على المرجئة في تصور إيمان كامل في القلب من غير أن يكون هناك عمل ظاهر ،

هذا الكلام في المسألة حين اختلف العلماء لكن لا يلزم أنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على هؤلاء أن يكون هو قائلاً بقولهم ،

طوائف ممن يقول الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص يقولون أن تارك الصلاة إذا قتل قتل حداً وهم من أهل السنة لا من أهل البدعة وإن كنا لا نرجح ذلك ،

قد يقصد بقولهم تارك جنس العمل أن يترك أي عمل واجب بالكلية ، يعني يقول لم ير والديه قط ولا جاهد في سبيل قط ، ترك ما وجب عليه من صلة الأرحام مثلاً وهو يقول لن أفعل ذلك ، يقولون له زور والدتك يقولون لن أذهب لها حتى تموت ، ويقولون له أبوك مريض يقول لن أذهب له حتى يموت ، فهذا ترك جنس بر الوالدين ويعزم ألا يعود إليه ومن يصر على المعصية إلى جانب الترك ويعزم أن يظل على فعلها فهذا تارك جنس العمل الواجب ، هل يقصدون ذلك ؟ الحمد لله أن هذا القول شبه ينقض حالياً ، وهو تم تأليف الكتاب أول مرة وتم شرحه وكان هناك من يقول بذلك أن كل عمل واجب يكفر من ترك هذا العمل الواجب جملة ولكن أصبح عامتهم لا يقولون ذلك لأن هذا ظهر بوضوح أن هذا من فكر الخوارج فعلاً ، وهو أن من يصر على المعصية إلى أن يموت كافر أو من يقول أنا أفعل الواجب غير الأركان الأربعة يقول لن أفعله إلى أن أموت مثل الذي يقول أنا لن أذهب إلى أبي حتى يموت يكون كافر هذا من كلام الخوارج ،

الإمام ابن تيمية قال دخلت عليهم الشبهة التي دخلت على المرجئة وهو يقول أنه ليس كلام الأئمة ، يقول هذا كلام اتباعهم وإن كان هذا الكلام فيه نظر ، أتباعهم هؤلاء هم كبار أصحابهم ،

الخلاصة :

أن تارك جنس العمل أصبح يراد به أحد أمرين في الوقت الحاضر ،

ترك جنس العمل الواجب ويجعل أي عمل واجب إذا عمله الإنسان قد خرج عن كونه تاركاً لجنس العمل كما ذكرنا لو رد السلام على مسلم فهذا قد أدى واجباً لأن ترك السلام واجب فهذا قد خرج عن ترك جنس العمل فيقبل الخلاف في عدم تكفيره ،

أو من يقول ترك جنس العمل بالكلية ودخل فيه المستحبات فلو سبح تسبيحه لم يكن تاركاً لجنس العمل فلا يرى بأساً من عدم تكفيره وهذا قول لا أعلم أحد أن يقول به من أئمة العلم ،

الخلاف بين أهل العلم هو في المباني الأربعة .

قول الإمام الشافعي رحمه الله أن الإيمان قول وعمل الإجماع على ذلك ، أن الإيمان قول وعمل ونية وأنه لا يجزئ أحدها دون الآخر وهذا بلا شك كلام صحيح مثل كلام الآجوري ، وليس معناه أنه لا يصح إسلام إنسان ولا إيمانه بأن لا بد أن يأتي بالعمل كله فإنه عندهم جميعاً الإيمان قول وعمل ، أي عمل ؟ كل الأعمال الواجبة المستحبة داخلية في قول الإيمان قول وعمل وكل النيات الصالحة داخلية في هذا ، فهل ترون أو تقولون أن من ترك شيئاً واجباً فقط بطل كل إيمانه وعمله ؟ هذا لا يقوله لا الإمام الشافعي ولا غيره ، كما ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله في تفسير هذا الكلام للإمام الشافعي رحمه الله حين ذكر استشكال الرازي لهذا الكلام لأن ظنه يلزم منه مذهب الخوارج ؟ فقال والجواب عن هذا سهل فإنه يحمل على الإيمان الواجب وهذا يقوله الشافعي رحمه الله أعني كلام أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ أحدها دون الآخر إنما قاله ردّاً على المرجئة إنما قالوا يجزئ الاعتقاد والقول عن العمل ونحن لا نقول ذلك وهذا قول باطل أنه يجزئ جزء القول والاعتقاد عن العمل لا يجزئ عنه كما لا يجزئ الصلاة عن الزكاة ، لا يجزئ بعض العمل عن العمل بل يجب أن يؤدي الواجب كله ولكن الكلام هنا على بطلان القول والاعتقاد بل وجوبه بالكلية إذا ترك العمل ، هذه مسألة أخرى ليست التي ذكر العلماء أو التي يروجون بها ويقولون هذا إجماع من سبق فانظروا في كلامهم وهم أهل العلم في شرح حديث خروج عصاة الموحدين من النار والبعض يقول هذا من المتشابه ، نقول هل عدده العلماء من المتشابه وهم يردون به على أهل البدع ، يردون به على كلتا الطائفتين على الخوارج والمعتزلة ويردون به على المرجئة لأن المرجئة لا يقولون بأن أحداً من أهل الإيمان يدخل النار ، والخوارج والمعتزلة يقولون ذلك أيضاً يقولون من دخل فيها لم يخرج منها فعدوا هذه الأحاديث التي فيها لم يعمل خير قط والتي فيها بغير عمل عملوه ولا خير قدموه من كلام النبي صلى الله عليه

وسلم عدوا هذه ردوداً على أهل البدع فكيف يردون على أهل البدع بالمشابهة ، بل عدوها من النصوص المحكمة التي ترد على كلتا الطائفتين وأما من يقول يجزئ القول والاعتقاد أو الاعتقاد فقط عن العمل فهذا مردود عليه ، لا يجزئ عنه ولكن ما معنى لا يجزئ عنه ؟ هل يبطل بالكلية ؟ أم أنه لا يجزئ عن الواجب عليه الذي يستحق صاحبه دخول الجنة دون أن يعذب في النار ، هذا موطن الخلاف بيننا وبينكم ثم أنكم كما ذكرنا قلتم قولاً لم يقله أحداً من أهل العلم وهو أن من سح تسبيحه فهو ليس بكافر ولو ترك المباني الأربعة ولو ترك الأعمال الواجبة أو من رد السلام على من سلم عليه فهو ليس بكافر لأنه لم يترك العمل الواجب وأن من لم يفعل ذلك وعاش عمره لم يؤدي شيئاً من الواجبات مع كونه مقر ومعتزف على نفسه بالتقصير وظالم لنفسه يقولون هذا لا بد من تكفيره وإلا كنتم من المرجحة من أهل البدع ، قولوا نحن نقول بتكفير تارك المباني سوف يسعنا الخلاف ، يقولون أن من ترك عمل القلب كفر نحن نقول بذلك ونوافقكم على ذلك ، بعضهم يقول لا يتصور وجود إيمان أصل الإيمان لم يترك العمل بالكلية ، نقول متى يحكم عليه بذلك ؟ نتصور معاً إنساناً بلغ صباح هذا اليوم من الشباب الضائع النائم أنتم ترون الخلاف وعامتهم الآن بفضل الله يرى الخلاف في ترك الصلاة خلافاً سائغاً أو في ترك المباني كلها ويرى أن هذا خلاف بين أهل السنة ، بداية هذا القول كان يرى أن هذا من المرجحة أيضاً ، نقول أن إنسان بلغ صباح هذا اليوم استيقظ كما يستيقظ كل ليلة بعد شروق الشمس عازماً على ترك صلاة الصبح خرج من بيته لم يغتسل وصدمة سيارة على باب المنزل ، عمره الذي يحاسب عليه ساعة واحدة أو ساعتين ، من بعد الفجر ترك الصلاة وكان في يوم رمضان ولم يصم أو كان في غير رمضان ولم يصم رمضان ولم يركي كذلك ولم يحج ولم يعتمر هذا متصور أم غير متصور ؟ متصور أنتم تصورتهم في بداية المسألة لأنكم ترون على الأقل من لا يكفر هذا لأنه قبل أن يموت ترك صلاة واحدة وتعلمون من يقول لا بد من ثلاث صلوات فقد يكون معتبر ، وترون أن من لم يكفر تارك الصلاة أيضاً قول معتبر ، فنقول هذا الشاب ترون عدم تكفيره قولاً معتبراً إلى لحظة وفاته ، فمتى كفر هذا الرجل عندهم ؟ إذا كان ليس بكافر إلى آخر لحظة في حياته لأنه ترك صلاة واحدة لم يترك صلاتين ولا ثلاثة وعلى قول الجمهور هو تارك للصلاة تاركاً لم يغتسل الغسل الواجب ولم يعمل شيئاً من الواجبات بل نزل ليأتي المعاصي مع أصحابه وليشرب المخدرات مع أصحابه فصدمة سيارة فمات في ساعته ، قلنا عمره الواجب ساعتين أو ثلاث ساعات أو أقل أو أكثر ، هذا الذي وجب عليه لم يؤديه يتصور أم لم يتصور أن يكون الإيمان في قلبه ضعيف جداً لم يظهر أثره كما اتفقتم أن الخلاف في عدم تكفيره سائغ قبل أن يموت ، إلى اللحظة التي لم يموت فيها ترون أنه لم يكفر على قولنا أو على قول جمهور العلماء الذين لا يكفرون تارك الصلاة ؟ نعم ترونه كذلك ، ترونه بالفعل على الأقل خلاف سائغ فلماذا كفرتموه إذا مات ، إذا كان قد كفر فلا بد من حد يكفر عنده وليس أنه يكفر لأنه قد مات على ذلك ، هو لو كان كافراً فقد كان كافراً قبل أن يموت أما أن موته دل على كفره فهذا كلام لا بد من لحظة انتقل فيها من الإيمان إلى الكفر وأنتم لا تحدّدون حداً لذلك ، ولا تستطيعون أن تجعلوا حداً لذلك ، لأن تارك جنس العمل هذا إلى متى يسمى تارك جنس العمل ؟ نحن نقول يشترط أولى بكم قول جنس العمل لأنه ترك الشرك وعمل ودان الله عز وجل بأنه عاص ودان الله بأنه يلتزم بالشرعية جملة وإن لم يعمل ، وأنه عنده حب لله ورسوله لكن حب ضعيف لن يدفعه إلى العمل ، فمثل هذا تكفيره اجعلوه مما يسوغ فيه الخلاف عند أهل السنة والجماعة ، أما أن تقطعوا بتبديع من لا يكفر هذا الشاب وتقولوا لا يتصور وجود من لا يعمل خيراً قط ، كيف والرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ، والرسول قد قال ( بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ) متفق عليه وإن كان وجوده نادراً جداً ، أعني أن من كان حاله كذلك ، ممكن هذا الشاب قبل أن ينزل من البيت قبل يد والدته فعندكم قد بر أمه فيكون ليس تاركاً لجنس العمل وترون أن هذه القيلة منعت من تكفيره ورأيتم الخلاف سائغاً في ذلك ولا ترونه سائغاً إذا لم يقبل يدها ، نتعجب ممن يقول بهذا القول الذي نقول أنه يبدع جمهور علماء الأمة الذين يرون عدم تكفير تارك المباني ،

لذلك نقول تكفير من يصر على المعصية أو يترك عملاً واجباً غير الأركان الأربعة ويعزم ألا يفعله مثل من ترك بر والديه أو ترك صلة الأرحام إلى أن يموت تكفيره هو من قول الخوارج ، فإن قيل ما الدليل على أن المصير على الكبيرة لا يكون كافراً ؟ وإن أصر وإن عز أن يعود إليها مرات ؟ الجواب الدليل هو الآية { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء ١١٦ وهذا رجل لم يشرك وكذلك الرجل الذي قتل مائة نفس لم يكن كافراً بل دعي إلى التوبة ، يقول هل لي من توبة إذن هو مازال لم يتب ، وكذلك دليل آخر الرجل الذي كان يشرب الخمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يجلد كل مرة حد الخمر وفي مرة قال له أحد الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تلعنوه فإنه ولا ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله ) رواه البخاري رغم وجود المعصية لكن كان حياً ضعيفاً أدى إلى وجود المعصية منه ، والآية نص واحد أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء وهو نص في غير التائب إذن هي نص في المصير ، لأن الشرك إذا تاب منه الإنسان غفره الله له وإن مات على الشرك يخلد في النار ، أما الذي اشرك وتاب مثله كمثل أكثر الصحابة كانوا مشركين وتابوا ، فقله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } المقصود به إن مات الشخص المشرك على ذلك ، ليس معناه أن أي إنسان أشرك في حياته ولو مرة أنه مهما تاب بعدها لا تنفعه توبته ، هذا لا يقبل وليس هذا معنى الآية ، الآية نص في التفرقة بين الشرك وبين ما دون ذلك ، فما دون الشرك يمكن أن يغفر للمصير في مشيئة الله ، إن شاء الله أن يغفره غفره وإن شاء عذبه عليه عذبه ولم يخلده في النار ، من مات على الشرك وأصر على الشرك إلى أن مات هذا الذي لا يغفره الله ،

الذي لم يتب من الشرك يكون مخلد في النار ، وإن لم يتب فيما دون ذلك يكون في المشيئة ،

وكذا قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا } البقرة ١٦١ إذن ما هو الشرط ؟ أن يموت وهو كافر ، إذن قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } فيمن مات على ذلك أيضاً ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لمن مات على ذلك وإلا لو تاب لم يكن اسمه مات على ذلك ، وإلا كان ما دون الشرك أعظم من الشرك وهو يلزم المعتزلة والخوارج أن ما دون الشرك أعظم من الشرك لماذا ؟ لأن الشرك يغفر بالتوبة وما دون الشرك لا يغفر بالتوبة ، لأنه لو قيل عما دون الشرك لا يغفر لكأن ما دون الشرك أعظم من الشرك ، فلا بد أن يحمل الكلام على من مات مصراً على ما دون الشرك لأنه إذا كان الشرك يغفر بالتوبة فإن ما دونه أولى بأن يغفر بالتوبة وهذا واضح والآية لم تنزل بالمغفرة لمن مات مصراً على ما دون الشرك بل ذكرت أنه في المشيئة والتفصيل كالاتي :

من مات مصراً على الشرك فهو مخلص في النار

من تاب من الشرك غفر الله له

من مات مصراً على ما دون الشرك فهو في المشيئة وإن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له وإن عذبه لا يخلد في النار

من تاب مما دون الشرك غفر له الأول

لو لم يتب من الشرك لابد أن يعذب في النار ، يقول { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ } قاضية على الآيات التي فيها ذكر التوبة ، هذه الآية نص في أن المصير على المعصية التي دون الشرك إن مات على ذلك فهو في المشيئة وهي رد على الخوارج والمعتزلة وهي في غير التائب كما ذكرنا ، يدل على ذلك أيضاً حديث أبي ذر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلياً ثوب أبيض وهو قائم ثم أتيتته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وإنا زنا وإن سرق ؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم وإن زنا وإن سرق ، قلت وإن زنا وإن سرق قال وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذر ( تكرار النبي صلى الله عليه وسلم ( إن زنا وإن سرق ) رواه احمد وقال عدة مرات يعني وإن زنا وإن سرق مطلقاً يعني ولو تكرر ذلك منه عشرات المرات ، فمن شرب الخمر مائة مرة وهو يقول أن الخمر حرام وأنا مخطئ ومقصر لكي لا أستطيع أن أتوب فهذا لا يكفره أحد من أهل السنة لكن إيمانه ينقص بمعصيته وكسبه والخطر في الحقيقة على المصير على الكبيرة أن إيمانه ينقص ويظل يتناقص حتى أن يصير إلى حافة الكفر ويسهل عليه أن يكفر لكننا لا نكفره حتى يكفر بمعنى أنه يوجد خطورة عليه ، تجد مدمن المخدرات يسب الدين فيكفر بذلك ومدمن الخمر يستهزئ بالشرع فالمعاصي تسهل عليه أن يرتكب الكفر ، أنا لا أقول أن كل مدمن يفعل هذا لكن هذا واقع مشهود لأن كثير جداً من المدمنين يفعلون ذلك يرتكبون الحرمات إلى حد الاستهزاء بالشرع إلى حد السخرية من الدين إلى حد السب لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ولدينه ، لكن لو لم يفعل لا نكفره حتى يفعل ، المعاصي تسهل عليه أن يرتكب الكفر لأن إيمانه ناقص فيسهل عليه أن يقتحم الكفر لكن مادام لم يقتحمه بعد فلا يكفر لكن ينقص إيمانه بمعصيته واستهزائه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ) والنفي هنا لنفي الإيمان الواجب وليس نفياً لأصل الإيمان باتفاق أهل السنة ، يعني الذي يقول في ( لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن ) كافر يكون مبتدع ويكون خوارج ، إن قيل مات مصر على المعاصي سواء كانت صغائر أو كبائر ما حكمه في الآخرة ؟ نقول أن الصحيح في ذلك هو الموازنة فنوزن حسناته توزن سيئاته كما دلت عليه الآية والأحاديث الواردة في الميزان قال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } الانبياء ٤٧ إذن الكلام هنا على أنه توزن حسناته وسيئاته إن رجحت الحسنات حتى وإن كان في سيئات مات مصراً عليها ممكن يكون هناك حسنات أعظم تحموا هذا وتتفل فإن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة وإن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة استحق دخول النار ، دخل النار يعني استحق دخول النار وهو في المشيئة ، يمكن أن يشفع فيه يمكن أثناء مروره على الصراط وهو يستحق أن يقع يشفع فيه الرسل فينجوا يرحمه الله عز وجل الله يفعل ما يشاء ، من استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف مألهم إلى الجنة دون أن يدخلوا النار .

ومن مات على المعاصي صغائر كانت أو كبائر حكمه في الآخرة هو الموازنة فلا يلزم أن يدخل مرتكب الكبيرة النار ربما كانت له حسنات ماحية أو مصائب مكفرة فترجح حسناته على سيئاته قال الله تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء/٤٧]

وفي حديث البطاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مدل البصر ثم يقول أنتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتيبتي الحافظون ، فيقول : لا يارب ، فيقول الله تعالى : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول الله تعالى : بلى أن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء ) اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث مع ثبوت أحاديث الوعيد لأصحاب الذنوب ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فكل مسلم معه ما في هذه البطاقة من الشهادتين ، وأصح الأقوال في ذلك أن هذا الرجل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بإخلاص تام ويقين تام ومات على ذلك ، فهذه التي تثقل كفته وهذا يلزم منه العزم على العودة إلى طاعة الله عز وجل وترك الذنوب ، وإلا فالإخلاص التام في . لا إله إلا الله محمد رسول الله . يقتضي أنه لا يعبد بحق إلا الله وأنه هو وحده الإله المعبود وحق الإله المعبود أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويجتنب ما نهي عنه ، وحق محمد صلى الله عليه وسلم فيمن شهد له بالرسالة أن يتابعه فإذا عزم على ذلك وإن لم يكن تاب تفصيلياً من هذه الذنوب ولم يتذكرها ولم يعزم على عدم العودة ويستحضر الندم في كل ذنب منها ولذا بقيت في سجلاته ، لكن لإخلاصه التام وبقينه التام وعزمه في الإجمال على أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى في المستقبل ويطيع الله عز وجل جعل كلمة لا إله إلا الله في حقه تثقل أمام هذه السجلات ، وإلا فكل من معه التوحيد ممن يدخل النار معه مثل ذلك ومع ذلك يخف ميزانه ، لذلك نقول : فكل من يموت على التوحيد معه لا إله إلا الله محمد رسول الله ومع ذلك فكثير منهم يخف ميزانه ويدخل النار ، لكن هذا الرجل قالها بيقين تام وإخلاص تام ، وتعالى أعلى وأعلم .

بعض العلماء يقول أن هذه قبل فرض الواجبات ، وهذا ليس بصحيح ولا دليل على ذلك ، بل وجود هذه السجلات من ترك الواجبات وفعل المحرمات دليل على أنه قد تأخر إلى أن فرضت الواجبات ، من قال لا إله إلا الله دخل الجنة تشمل من في هذه الأمة ومن قبل ذلك ، فهناك أناس قبل هذه الأمة أيضاً قالوا لا إله إلا الله واتبعوا رسلهم وأنبياءهم ،

فمناط التوحيد على لا إله إلا الله ، وأما من كان في هذه الأمة ف لا إله إلا الله معناها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لما يلزمها ، لأن من لم يشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة بعد أن بلغه خبره كفر بالله وأشرك به ولا تنفعه لا إله إلا الله ، نقول فعمل هذا الرجل الذي قالها يبين تام وإخلاص تمام عمل القلب من الإخلاص واليقين رجح على تسعة وتسعين سجلاً من السجلات .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " يجاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله تعالى { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون } ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون { [المؤمنون/١٠٣] ثم قال الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ، وقال من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف " وهذا ذكره ابن كثير رحمه الله .

فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة فضلاً عن أكثر من واحدة دخل الجنة لأول وهلة من غير أن يعذب في النار ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف كما دلت عليه سورة الأعراف ، ومآلم إلى الجنة لأن الله عز وجل قد أطعمهم في الجنة فقال عز وجل { لم يدخلوها وهم يطمعون } وأما الكفار فهم لا يطمعون { أولئك يمسوا من رحمتي } فمن لم يئس الله من رحمة فليس من المخلدين ، لأنهم لم يدخلوا النار وهم طمعوا في الرحمة ، قال الله عز وجل للكفار { قال اخسأوا فيها ولا تكلمون } وقال { أولئك يمسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم } وقال { لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون } المبلس : اليأس .

أما المؤمنون الذين لم يئسوا من رحمة الله وعندهم أصل الإيمان ولم يدخلوا النار بسبب أعمال صالحة منعت من دخولهم النار ، ولم يدخلوا الجنة لأنهم عملوا معاصي منعتهم من دخولها ولتقصيرهم في الواجبات كذلك ، وقد قيل في مثل أصحاب الأعراف وتمثيل لهم هم أناس خرجوا للجهاد بغير استئذان والديهم فمنعهم الجهاد من دخول النار ومنعهم عقوب الوالدين من دخول الجنة إلى أن يأذن الله في دخولهم بعد ذلك ، لأنه إذا كان الذين دخلوا النار من أهل التوحيد سوف يخرجون منها فبالأولى أن يكون مآل الأصحاب إلى الجنة ، وأما من رجحت سيئاته على حسناته فقد استحق دخول النار وهو من عصاة الموحدين ، وقولنا استحق دخول النار هو مقصود ابن مسعود رضي الله عنه من قوله دخل النار أي استحق دخولها لأن الله عز وجل قال { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } فالآية نص أنه في المشيئة ولذلك قلنا أنه مستحق لدخول النار ، ولكن لا يلزم أن يدخلها ، يمكن أن يغفر الله له ، لأن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ، كما في أحاديث الشفاعة على الصراط ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ) فهذه الشفاعة على الصراط دليل على أن بعض هؤلاء الذين استحقوا أن يقعوا في النار يسلمون بدعوة الرسل وشفاعتهم ، سلم : لها فائدة ومستحابة من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، على الأقل في حق بعضهم لمن شاء الله عز وجل ، فمن شفعت فيه الرسول فقبل الله شفاعتهم سلم ونجا مع أنه لولا فضل الله بهذا الدعاء بالتسليم لما سلم ، ولماذا كان حاله كذلك ؟ لأن حسناته أقل من سيئاته فاستحق دخول النار ودعت له الرسل فسلم ، لولا فضل الله بالدعوات التي دعا بها الرسول لوقع في النار ، ما الذي أوقعه في النار ؟ أن سيئاته أكثر من حسناته ، ولذلك قلنا أن دخل النار أي استحق دخول النار .

لو كانت حسناتهم هي التي تمنعهم من دخول النار لأنها رجحت على سيئاتهم لما كانوا من الذين شفعت فيهم الرسل فسلموا بذلك ، بل هم أناس كانوا يستحقون الوقوع فدعت لهم الرسل فسلموا بسبب دعوة الرسل لا بسبب حسناتهم ، ولذلك قلنا أن بعض هؤلاء الذين استحقوا دخول النار سيئاتهم رجحت بحسناتهم ينجون وبعضهم يقع ، فهناك من إن شاء الله عذبه ومن إن شاء الله غفر له .

هذا الحديث وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ) وهم على الصراط يدل على أن من الناس من يستحق الوقوع فلا يقع ، كما يدل عليه هذا الحديث .

ويدل على ذلك أيضاً حديث الكبائر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( فمن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ) من أصاب من ذلك : أي من الكبائر وهي { لا يسرق ولا يزني ولا يقتل أولادهم ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهم وأرجلهم } وهي بيعه النساء بايع عليها الرجال ثم قال : ( فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ) هذا في غير التائب ، لأن التائب من الشرك مغفور له فالتائب من المعصية أولى .

قال الله تعالى { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم { [الزمر/٥٣] فهذه في التائب بدليل قوله تعالى { وأنبياء إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون } [الزمر/٥٤] وهو شرك حتى يغفر الله الذنوب جميعاً أن ينيبوا ويسلموا ، { واتبوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون } فأمرهم أن يسلكوا طريق الحق ، وهؤلاء التائبين قوله تعالى { إن الله يغفر الذنوب جميعاً } لمن تاب ، وأما من دون ذلك فهو الذي ستر الله عليه ، كلمة { ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } للذي ستر الله عليه ولم يعاقب به في الدنيا ولم يتب ، فلو أن إنسان ارتكب كبيرة وعوقب عليها فهو كفارة له ، ولو ارتكب كبيرة وتاب إلى الله توبة نصوحاً فهو مغفور له ، ولو ارتكب كبيرة ولم يعاقب عليها ولم يتب إلى الله ، فهو في المشيئة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، كما قلنا أن منهم من يسلم ولا يدخل النار ، فلكذلك منهم قطعاً من يدخل النار . يعني عصاة الموحدين نجزم بأنه يوجد طائفة من الموحدين تدخل النار . لأن الأخبار وردت بذلك ، وهذه الأخبار لا يصح أن تخلف ، ولا يصح أن يقع شيء خلاف ما أخبرت به الرسل ، فدل ذلك على أنه ليس أن كل من كان في المشيئة يحتمل أن ينجا جميعاً ، فهل يمكن هؤلاء الذين كانوا في المشيئة أن ينجا جميعاً ولا يعاقب الله أحداً ؟ بمعنى هل يمكن أن كل عصاة الموحدين لا يدخلون النار أصلاً ؟ نقول لا لأن الخبر قد ورد بخروج عصاة الموحدين



، وهي أخبار لا تحتمل النسخ ولا تحتمل الخلف ، ولذلك نقول قد ثبت حديث الشفاعة ، وهي أحاديث متواترة في خروج عصاة الموحدين من النار ، وهذا دليل على أنهم دخلوها قبل ذلك ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( يخرج من النار من قال لا إله إلا الله في قلبه وزن ذرة من خير ) فهؤلاء دخلوا النار لأن سيئاتهم أدخلتهم النار لأنها أكثر من حسناتهم ، كما في أحاديث الشفاعة المتواترة والمستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتب السنة في كل دواوين الإسلام أن الله عز وجل يشفع عنده المؤمنون في إخوانهم الذين في النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، هؤلاء صلوا وصاموا وحجوا ومع ذلك دخلوا النار ، فيقول الله عز وجل : أخرجوا من عرفتم فترحم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، وفي رواية : يعرفونهم بأثر السجود .

وبعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة المؤمنين والملائكة ، يقول الله شفعت الملائكة وشفع المؤمنون ولم يبق إلى أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، فلم يعلموا خيراً قط وهم ممن يقولون لا إله إلا الله ممن مات على التوحيد ، وهذا أقوى دليل لمن لم يكفر تارك المباني الأربعة . الصلاة والزكاة والصوم والحج . كفوراً أكبر ناقلاً عن الملة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( لم يعمل خيراً قط ) وقال هؤلاء عتقاء الرحمن دخلوا الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، والبعض يقول : هذا فيمن لم تبلغه وجوب الصلاة مثلاً أو هذا فيمن يكون في آخر الزمان الذين أدركهم كلمة لا إله إلا الله وهم لا يعرفون غيرها من الدين وقد درس الإسلام كله ، نقول هذا ليس بصحيح ، فإنه لو كان كذلك لما كانت الصلاة واجبة عليهم أصلاً وما دون الصلاة لأن آخر ما يدرس من الدين الصلاة ، فكيف يكونون قد أذنوا حتى دخلوا النار وحتى يقولوا في النار إلى آخر من يخرج من عصاة الموحدين وهم لم يجب عليهم شيء إلا التوحيد ، فماذا اجترأوا من الذنوب وهم لا يعرفون ولا يتمكنون من العلم ؟ ثم إن حديث صلا عن حذيفة إنما هو صريح وظاهر في أنهم لم يدخلوا النار أصلاً ، حيث قال : " يأتي على الناس زمان لا يدري فيه ما صلاة ولا صوم ولا صدقة فيقول : غير أن قوماً يقولون لا إله إلا الله ، فقال صلة : وما تغني عنهم لا إله إلا الله بلا صلاة ولا صوم ولا صدقة ، فقال حذيفة رضي الله عنه : تنجيهم من النار "

فهذا صريح في أنهم نجوا من النار ولم يدخلوها أصلاً وهذا ظاهر في أنه لا تدري ما الصلاة وبالأولى ما دون ذلك ، كل الأشياء الأخرى مجهولة ولا توجد في الأرض ولا يوجد علم بها في الأرض فكيف يقال هؤلاء مكلفون بذلك وستحقون الوعيد على ذلك ، وعذبوا على الذنوب وعلى ترك الواجبات ثم يكونون من آخر من يخرج من النار ؟ الحديث يقول تنجيهم من النار ، وهو غير مكلفين بهذه الواجبات ولا بترك هذه المحرمات لأنها درست ولم يعد هناك علم ، والتمكن من العلم شرط في التكليف باتفاق ، فهؤلاء لم يقصروا لأنه لم يعد هناك علم في الأرض ، وآخر ما يفقد من الدين الصلاة فإذا بقي العلوم الأخرى حتى الفواحش ربنا يكون العلم بتحريمها قد زال ولا يدري شيء ، لأن العلم بالصلاة مقدم ، كما ذكرنا أنه في بعض بلاد المسلمين اليوم من لم يدري أن الزنا حرام . يقولون أن المتشددين يقولون أنه يجوز بالمسلمة فقط ويرون هذا تشدداً ، فبعض الأخوة من البلاد الأخرى يسألونهم هل صحيح أن الزنا بالمسلمة فقط هو الجائر ولا يجوز غيرها ؟ ، هم يسألونهم فعلاً والناس بالفعل لا تعرف ولكنهم يسمعون من الإشاعات أنه لا بد أن يزني بالمسلمة فقط فيرون هذا تشدد ويظنون أن الزنا هي البغي التي تأخذ أجر ويظنون أن اتخاذ الأخدان ليس هذا هو الزنا عندهم ، فهذا متصور ، إذا كانت الصلاة قد ضاعت فبالأولى ما دونها ، وآخر ما يفقد من الدين الصلاة وبالتالي فهذا يدل على ما ذكرنا من أن حديث حذيفة رضي الله عنه لا يصح أن يطبق على الخارجين من النار ، قد يقولون حديث البطاقة يحمل على من قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ومات على ذلك .

حديث البطاقة : لما رجحت حسنات هذا الرجل ماذا حدث له ؟ دخل الجنة ، لأن السجلات طاشت ، فهناك حسنات محت هذه الذنوب ، رجحان الإخلاص واليقين في قلبه وقول لا إله إلا الله وموته على ذلك رجح بهذه السجلات ، فمن رجحت موازينه تدخلونه النار وتجعلونه النار وتعملونه النار ؟ هذا كلام باطل بلا شك ، فمثل هذا الكلام لا يصلح فيمن لم تجب عليهم الصلاة ولا يصلح فيمن لم يتمكن من العمل بعد توبته الصادقة أو بعد الإخلاص التام واليقين التام ، وإنما هذه فيمن وجبت عليهم العبادات وتركوها وفعلوا المنكرات وهم على علم بها ،

فبعض العلماء يقولون أنه لم يعمل خيراً قد أي إلا الصلاة :

نقول : لو كان كذلك فنص الحديث في أوله وهي كلها روايات صحيحة ففي أول الحديث يقول الله عز وجل : أخرجوا من قد عرفتم فيعرفونهم بأثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، من الذي يخرج المصلين ؟ الأنبياء والمؤمنون والملائكة ، فنقول في الحديث أن الذين يخرجون المصلين والذين عملوا الواجبات هم أهل الإيمان وعرفوهم بأثر السجود ، لو كان هناك أثر للسجود من هذا الإنسان لأخرجه المؤمنون والأنبياء والملائكة يقولون : ربنا قد أخرجنا من أمرتنا به ، إذن من كان عنده أثر السجود عرفه المؤمنون ، ثم بعد أن يشفع الملائكة والنبون والمؤمنون يقول أرحم الراحمين : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ويقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، فهذا دليل واضح لجمهور أهل العلم على عدم تكفير تارك المباني الأربعة وتارك العمل الظاهر بالكلية .

أثر السجود يعرف في القيامة ، وليس أثر السجود بأن يكون رجل عنده سواد في جبهته ، لا يقطع له بذلك ، نحن لا نجزم بأنه مات على التوحيد لأن في وجهه بقعة سوداء ، الأمر ليس كذلك .



أثر السجود أي يعرفونهم بأن أماكن السجود لا تحرقها النار، ومواضع السجود - دارات الوجوه، فمن كان عنده سجود لله عز وجل وله فيه أثر سجد لله لم تحرقه النار، فيعرفه الملائكة ويعرفه النبيون ويعرفه المؤمنون فيخرجونه، ثم بعد ذلك يخرجون من كان في قلبه مثقال دينار ثم مثقال نصف دينار ثم مثقال ريع دينار ثم مثقال ذرة ثم يقول الله عز وجل: ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، وهؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه.

وأما قوله تعالى { ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين } وقوله { وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون } هذا حال الكفار من ضمن عذابهم يكون عذابهم على أنهم لم يكونوا من المصلين بدليل الآية بعدها قال الله عز وجل عنهم { وكنا نخوض مع الخائضين كنا نكذب بيوم الدين } فدخلوا على المجموع ويعذبون على كل واحدة من هذه الجرائم التي من ضمنها ترك الصلاة وإلا فلو أن إنساناً لم يطعم مسكيناً فهل يخلد في النار؟ يعني لو أنه وجب عليه أن يطعم مسكيناً كأن يكون مسكين مر به وعنده كفاية والمسكين جائع، فهل كل من لم يطعم مسكيناً يخلد في النار أم لأنه ضمن المجموع؟، مجموع من ضمنه { وكنا نكذب بيوم الدين }، وكذا كل خائض في الباطل، فهل كل من خاض في الباطل وجلس مع قوم يخوضون فخاض معهم هل يخلد في النار بذلك؟ لا يوجد من يقول ذلك، لم يؤدوه على الوجه الأكمل لكان عندهم خير خرجوا به قبل ذلك، فهذا التأويل في الحقيقة:

أولاً هو خلاف قول جمهور العلماء الذين قالوا بهذا الحديث مستدلين به، وابن القيم لما يتكلم في تارك الصلاة وحكمه يأتي بقول الجمهور ويستدل بهذه الأحاديث عن الجمهور، فجمهور العلماء يقول لو أن هذه الأحاديث لو لم تكن تدل على أنه تارك للصلاة فكيف يحتجون بها، وهم احتجوا بالظاهر، ظاهر الأحاديث أنه لم يعمل خيراً قط، فالذي يأتي بتأويل مثل أن يقول: لم يعمل خيراً قط إلا الصلاة أو إلا قليلاً هو الذي يحتاج إلى أن يأتي بدليل.

نحن نقول أنه لم يعمل خيراً قط وعمل عمل القلب لأننا عندنا الدلائل الأخرى وهو إجماع أهل السنة وهو أن المنافق الذي أبغض ما جاء به الرسول مخلد في النار، وأنه ليس يكفي قول لا إله إلا الله دون اعتقاد ودون عمل القلب، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من قال لا إله إلا الله يتغي بذلك وجه الله حرمة الله على النار) واتفاق العلماء على أن الإخلاص في لا إله إلا الله والصدق فيها واليقين فيها شرط في قبولها أو في الحقيقة هو ركن من أركانها، لا يصح قبول لا إله إلا الله من منافق ليس عنده إخلاص في قوله، فإن لم يخلص في قوله بل قالها رياءاً واتقاء مذمة الناس أو موافقة لهم. نسأل الله العافية.

وكما ذكرنا أن هذه المسألة - مسألة تكفير تارك الملباني - خلاف بين أهل السنة، ولكننا لماذا نرجح هذا القول رغم أنه أمر موافقة الناس في مثل هذا سهل وهي مسألة خلافية، فهناك مشائخ كبار يقولون ذلك فلنوافقهم إذن؟ القضية لا بد من أن نعلم أن أمور الاعتقاد وأمور العمل وأمور الدين عموماً أن نلقى الله عز وجل بما قاله سبحانه وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم وأحب إلينا من أن نلقاه بقول الشيخ فلان، هذا لا يغنينا عند الله عز وجل. قول الشيخ فلان - ولو كان من من البشر، لأن نلقى الله بكلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أن نلقى الله بقول فلان، التقليد للمشايخ المعاصرين ليس أولى بالتقليد من المشايخ المتقدمين، وإذا قلنا نقول بل نحن متبعون إنما نأخذ الأقوال بدليلها وإنما نأخذ من أقوال العلماء ما رجحه الدليل، فمثل هذا لا يصح أن يقال أنتم تخالفون قول فلان، فلان على العين والرأس ولكن لا يلزم من ذلك أن نأخذ بكل كلامه وأن يكون الترجيح بمجرد أن الشيخ فلان قال، أو أن بعض المشايخ ومجموعة مشايخ قالوا ورجحوا، فهل انتهت القضية؟ ليس كذلك بل العبرة بالدليل، ولو كان شيخ الإسلام ابن تيمية ولو كان الشيخ ابن القيم ولو كان من بعدهم ومن قبلهم، إذا كانت الناس تتجراً الآن على الإثمة الكبار مثل الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة، ومن السهل جداً أن يتهم البعض بعض الأئمة بأنواع التهم، يعني الإمام أبو حنيفة يوجد من يسبه سباً عنيفاً، وهو عالم مجتهد من أئمة أهل السنة، ويتجراً على الإمام مالك ونحو ذلك، ثم لو أن أحد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأدب بالغ وجم ولكن خالف قوله يقولون كيف ذلك وكيف تخالف شيخ الإسلام أو الشيخ ابن باز أو الشيخ ابن عثيمين، فعلى العين والرأس هؤلاء العلماء، العبرة بالدليل، نحن متبعون وليسنا مقلدين، الاتباع معناها أننا نأخذ القول بدليله، فإذا كان جمهور الأمة على قول ومعه الأدلة وقلنا بهذا القول مع أننا نعذر من خالفنا، لكن من خالفنا هو الذي لا يعذر، هذه هي القضية، من خالفنا يتهم بأن من يقول ذلك مرجئ وجهمي أحياناً ومبتدع وضال وهذه هي البدعة في الحقيقة، نحن ننكر اتهام علماء الأمة عبر العصور. ثم من قال بأن تكفير تارك الصلاة كفر دون كفر وأنه لا يخرج من الملة؟ عن من نقله ابن القيم؟ نقله عن عمر ابن عبد العزيز وعن الزهري وعن أبي حنيفة لكن عندهم أن أبا حنيفة ملغي من القائمة لأنه عندهم من المرجئة، فذكر أيضاً عن مالك الشافعي ورواية عن أحمد رجحها ابن بطه بل قال أنها المذهب ولا يصح لأحمد في غيرها خلاف، وابن قدامة رجح هذا القول، أبعد هذا تقولون أن هذا القول قول مرجئة؟، من هم أهل السنة إذا لم يكونوا هؤلاء؟، فيقولون أنه لم يصح عنهم، نقول نرجح للكلام ثم نجد كتبهم وكتب أتباعهم تنص على ذلك نصوص واضحة صريحة وهذا منقول عنهم في كتبهم، ثم من ينقل هذا الكلام؟ أهل جهلة بنقله المذاهب؟ ابن القيم جاهل لا يعرف مذهب الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة؟ وهل أبو عمر ابن عبد البر لا يعرف مذاهب هؤلاء حتى يقولون أن هؤلاء ممن يقولون بأن الإيمان قول وعمل ويقول بعدم تكفير تارك الصلاة وتارك الملباني؟.

وأما بقية الأدلة في المسألة فالمسألة فيها أدلة كثيرة يمكن أن تبين لكن ليس غرضنا ذلك لأن هي القضية وإن كانت من مسائل الاعتقاد. مسألة التكفير. هي مسألة اعتقادية لكن مما يسع فيه الخلاف عند أهل السنة ولا يبدع ولا يضل فيه المخالف كما سيأتي ذكره إن شاء الله على تفصيل أكثر.

حديث قاتل المائة نفس:

قالت ملائكة العذاب لم يعمل خيراً قط : نعم هو لم يعمل خيراً قط غير عمل القلب وهو التوبة ، والملائكة الأخرى قالت جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله عز وجل .  
يقولون : هو لم يعمل شيئاً .

نعم العبادات لم يعمل شيئاً منها بعد ، بل هو ذاهب ليعبد الله ، وهو الخطوات التي خطاها هي وسائل للعبادة ولم يعبد الله بالفعل ، هو كان في انتقال إلى بلد آخر لكن لم يعمل العبادات المقصودة بذاتها وهي التي يثاب عليها ابتداءً ، ولذلك لم تقل الملائكة الأخرى أنه قد عمل أعمال الجوارح ، إنما قالت جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله فاحتجت بعمل القلب

فهم لم يعجبهم حجة الملائكة ويأتون بحجة أخرى ، نسأل الله العافية .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

### ٨٣- فصل تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها

نقول لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليه كافر مخلد في النار ، تارك النطق مع القدرة فهو كافر في الأصل ،

أما إذا ولد مسلماً لا تلزمه الشهادتين بالتشهد بعد بلوغه لكن عموماً إذا ولد مسلماً وظل على ذلك ومات عند أول بلوغه دون أن ينطق فله حكم الإسلام الظاهر والباطن ،

المقصود من تارك النطق بالشهادتين من أبي أن يقول لا إله إلا الله وهو كافر ، فلا نزاع بين أهل السنة في أنه كافر مخلد في النار ،

أيوجد نزاع عند غيرهم ؟

نعم ، لأن هناك من الأشاعرة من يقول أن من اعتقد الشهادتين وإن لم ينطق بها وإن أبي أن يقولها فهو مؤمن كامل الإيمان وهو عند الله ناج في الآخرة طالما اعتقدها فنعوذ بالله من ذلك ،

طالب : وما الذي يمنعه إذا آمن ؟

الشيخ : ممكن مجاملة ، ما الذي منع أبا طالب أن ينطق بالشهادة ؟ المجاملة للكافر ، وأكثر الكفار كذلك ،

الذي يقرأ قصة هرقل يقول علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رسول الله ولكن هذا العلم لا ينفع وقد قال الله عز وجل عن فرعون وقومه { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل ١٤ فالظلم والعلو كفر بالاتفاق والعياذ بالله ، الظلم والعلو في الامتناع عن نطق الشهادة وقد قال عز وجل عن موسى وهو يقول لفرعون { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ } الاسراء ١٠٢ فهو يعلم أن الله أنزل هذه الآيات وأن موسى هو رسول الله وأن الله واحد لا شريك له ومع ذلك أبي أن يقولها ، فهذا الترك بالشهادتين كفر باتفاق العلماء ،

قد قال الله عز وجل عن اليهود { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة ١٤٦ هذا كفر الكتمان وأبوا أن يقولوا لا إله إلا الله ومنهم من قالها دون اتباع لكن ممن قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم نشهد أنك نبي لكن دون متابعة فهذا كفر بسبب ترك الانقياد للرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ،

نشير إلى بعض المسائل المتفق عليها والمختلف عليها في هذا الباب :

أهل السنة متفقون على أمرين أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة كافر ومخلد في النار بمعنى لا يصلح أن يكون في قلب الإنسان لا إله إلا الله ويكتنهما دون نطق ، أو ينطق بلسانه ما ينقادها ، يعني واحد نطق بلسانه ما ينقاد ما يعتقد كما يقول بعض الناس هذا القس الذي يراه فيما بينه وبين ربه مسلم وإن كان ينطق بالكفر الذي هو نقيض الشهادتين بغير إكراه ، فالصواب المقطوع به أنه كافر ومخلد في النار ، يعني هو يقول لهم ليل نهار أنه الآب هو الإبن والروح القدس ، ويدخل يصلي ويقول ماذا أفعل ، وحكيته لكم قصة الرجل الأندونيسي :

أخ ركب بجواره رجل أندونيسي قس ومنصر فالمهم كلمه كثيراً وأخيراً قال الرجل القس أنا أبي مسلم وعمي مسلم ولي إخوة مسلمين لكن كنا فقراء وأبي لم يجد أن يطعمنا فأخذته الكنيسة المنصرة وتنصر فقال له أنا مستعد أن أعطي لك أولادي وتجعلهم مسلمين لكن اطعمهم واجعل لهم مرتب ، والعياذ بالله ، فنسأل الله العافية ، فهم أناس باعوا دينهم من أجل عرض الدنيا وهو يدخل الكفر على الناس وهو نفسه معتقد بدليل أنه يريد أولاده يكونوا مسلمين والعياذ بالله من ذلك، لا يجزئ اعتقاد القلب ،

صاحب كتاب . الدين الخالص . غفر الله له يقول الإيمان هو المعرفة وللأسف الشديد أن الكتاب فيه الكثير غير المنضبط في الأسماء والصفات وفي الإيمان وفي القضاء والقدر

أن الذي يقول أن الإيمان هو المعرفة يقول حتى ولو لم ينطق بالشهادتين ، وللأسف الشديد توزيع كتاب أيام مقتل السادات مناقض لقضايا التكفير ونحو ذلك ، فردوا بكتاب اسمه . هذا بيان للناس . وطبع من مدة وجيزة رجحوا فيه هذا المذهب لكي يردوا على التكفير يجعلون الناس كلهم تكفير ، يجعل من هو على الباطل يتمسك بباطله والعياذ بالله لأنه يرد لا يقبل أبداً ، لأن الذي يرد رداً يجعل الناس تنفر من الحق بالكلية يساعد على نشر البدع ، يأتي مثلاً من يقول للناس ويتكلم في الحكم بغير ما أنزل الله يقول بل هذا الواجب المتبع ، يجعل الناس تزداد تكفيراً لكل من يقول ذلك ، أعني بمن لا يقوله طالما أن الناس تتكلم بهذه الطريقة ، أنه يجوز أن يقر الأمر على ما هو عليه يزعمهم ، ونسأل الله العافية ،

فهذا ينفر الناس ، لما تقول للناس أن الذي لا ينطق بالشهادتين يكون مؤمن عند الله وداخل الجنة وإن كنا حكمنا نحن بكفره ، هذا من أبطل الباطل ، لماذا ؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أولاً قال ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله )

هم يلتزمون بأن من كان في قلبه الإيمان وإن لم ينطق وإن أبي وإن نطق خلافه فهو مؤمن عند الله وناج عند الله يوم القيامة بل يدخل الجنة لأول وهلة وليس كل الاشاعة طبعاً لكن الاشاعة المتكلمين ، الاشاعة منهم ناس من أتباع المذاهب خصوصاً مثلاً من الشافعية والإمام الشافعي رحمه الله ناصص في مواضع لا تخصي أن الإيمان قول وعمل وإجماع منقول ، لذلك عامة من تكلم من الشافعية نقل قول الشافعي وصار على نهجه مثل الإمام النووي مثلاً وابن حجر ، لا أحد منهم يأخذ قضايا الاشاعة في الإيمان والكفر ، خلاف الاشاعة المتكلمين الذين ليسوا من اتباع العلماء إنما هم متكلمين وليسوا فقهاء ، المتكلمين الذين هم ليسوا فقهاء يقولون أن الإيمان هو المعرفة وهو المذهب الاشعري الأصلي ، غلوا في الرد على المعتزلة ،

الغرض المقصود أن الأشعري لما غلا في الرد على المعتزلة في أول رجوعه عن الاعتزال أخذ القول المضاد وهو قول غلاة المرجئة الذين قالوا أن الإيمان هو المعرفة حتى لا يشترط النطق ، وفي قول المرجئة الذين يقولون أن الإيمان هو التصديق باللسان وبالقلب ولا يشترطون عمل القلب ومنهم من يشترط عمل القلب لكن عامتهم لا يشترطونه وكذلك الذين يقولون العمل خارج الإيمان وهم يقولون عدم تفاضل الناس بالإيمان وأن كل مؤمن كامل الإيمان يدخل الجنة لأول وهلة ولا يوجد من يدخل النار من عصاة الموحدين ، هؤلاء هم المرجئة الذين هم من أهل البدع بلا نزاع ، مرجئة الفقهاء يقولون الإيمان هو النطق باللسان مع تصديق الجنان مع عمل القلب ويقولون الأعمال من لوازم الإيمان يقولون مرتكب الكبيرة على خطر ومنهم من يدخل النار ، فوفقوا باقي أهل السنة في المال ولذلك قرب الخلاف معهم لأنهم أثبتوا أن مرتكب الكبيرة في المشيئة ومنهم من يدخل النار وأثبتوا أن عصاة الموحدين منهم من يدخل النار وقالوا الأعمال من لوازم الإيمان وإن أخطأوا في إطلاق القول بأن العمل ليس من الإيمان وأخطأوا أيضاً في قولهم أن الناس متساوون في أصل الإيمان وعندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فهذا بلا شك خلل ، ولكن هل هذا الخلل مثل خلل المبتدعة أو بدعة المرجئة الذين قالوا أن الإيمان إذا جاء به الإنسان على أصل الإيمان وهم ليس عندهم أصل ولا تفاضل يدخل الجنة لأول وهلة وأنه لا يضر مع الإيمان معصية ؟ هذا كلام باطل لا شك أن هؤلاء شر بكثير من مرجئة الفقهاء بل من العلماء من يقول أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء خلاف لفظي ، نقول هو قريب من اللفظي وفيه بلا شك جزء حقيقي ،

نعم من العلماء من يقول ذلك لأن المال بين مقصدهم وابن تيمية يميل إلى ذلك ،

الغرض المقصود أننا نقول أن هذه المسألة لها أهميتين :

أهمية واحد عرف بقلبه ولم ينطق ولا حتى بينه وبين الناس ، في فرق بينه وبين أحكام الدنيا ، ونحن لا نحكم بإسلامه حتى نسمع منه ، ولا نعصم دمه وماله إلا أن نسمع منه ، فلو نطقها بينه وبين الله ومات على ذلك ؟ هو عند الله مؤمن مسلم دخل في الإسلام ، وهو عند الله علم الحق وقادر على النطق به وعلم وجوبه ولم ينطق ومات كافر في الدنيا والآخرة ، لأنه لا بد من أن ينطق الشهادة ، لأنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ) هذا في أحكام الدنيا أما في أحكام الآخرة قال ( يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ) فأبى أن يقول لا إله إلا الله وقال هو على ملة عبد

المطلب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( لأتسغفرن لك ما لم أنهي عنك ) فأنزل الله عز وجل { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } التوبة ١١٣ رواه مسلم

إذن عندنا مسألتين هذه الآية والحديث دل على أنه من المشركين ومن أصحاب الجحيم ،

المدرسين والذين يدرسون هذه العقيدة لا يشترط أن يوضحوا هذا الكلام ساكتين ، بل واجب عليهم أن يقولون ، أولاً ليس في كل مكان يوجد هذا الكلام ، حسب الأستاذ صاحب الكتاب ، في أساتذة يؤلفون الكتب موافقة لأهل السنة وفي اساتذة يؤلفون كتب موافقة للأشعرية على ما هي عليه ، فلو ابتلي أحد أنه يدرس العقيدة غير الصحيحة في قضية الإيمان يصححها ويبينها للناس والطالب الذي يكتب يقول قالت الأشاعرة أو قالت الجهمية لأن الأشعري نصر قول الجهم في الإيمان أما ب فيقولون أن الإيمان هو النطق المجرد يقولون الإيمان لا يلزم اعتقاد القلب ولا يلزم عمل الجوارح إذا نطق الشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان لكن لأجل أنهم لم يلتزموا وطبعاً لو أنهم قالوا أن هؤلاء في الجنة يكونوا كفرة لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، فقالوا هؤلاء مؤمنين كاملي الإيمان مخلصين في النار والعياذ بالله ، قالوا عن المنافقين مؤمنين كاملي الإيمان مخلصين في النار ، تناقض أهل البدع شديداً والعياذ بالله ،

طالب : ماذا يكتب الطالب يا شيخ وممكن

الشيخ : يكتب الأشاعرة تقول وما الخطأ في ذلك ، لو واحد يقول الأشعري يقول كذا وهو يريد عقيدة الأشعرية لكن هو يعتقد خلافهم ولو رسب يرسب وإن شاء الله لا يرسب والأخوة كلهم ينجحون ،

فالجزء الثاني الأخطر وهو أن ينطق بالكفر مختاراً وهو أن ينطق بكلمة الكفر مختاراً لأن هذه الأمر يحدث كثيراً وكثير من الناس عند الإحراج ينطق بكلمة الكفر ، يجوده مفطر في رمضان فيقولون له لماذا أنت مفطر يقول لهم أنا جرحس وأنا لست مسلم ، والعياذ بالله ، وهو يظن أن هذا يسكتهم ، مثلاً يقول له البنت التي تمشي معها يقول له وما شأنك وأنا أصلاً ليست مسلم والعياذ بالله فهذا خارج من الملة ظاهراً وباطناً لو مات على ذلك مات كافراً مخلصاً في النار لأنه نطق ما يناقض الشهادتين ، عليه أن يتشهد ثانية تائباً إلى الله عز وجل من ذلك ، وهذه مسألة سب الله عز وجل وسب الرسول صلى الله عليه وسلم وسب دين الله عز وجل وسب العبادات الإسلامية وسب العقائد الإسلامية أو الاستهزاء بها أو السخرية منها لأنه ينطق بلسانه حتى ولو كان لا يعتقد ذلك في باطنه ، هذه كلها تابعة لقضية النطق ، لأن النطق بما يناقض الشهادتين هو نقض للشهادتين ، لذلك نقول ترك النطق بالشهادتين مع القدرة كافر فالذي يترك النطق يكون كافراً فالأولى الذي ينطق ما يضاد ذلك ، فلما واحد يسخر من الرسول صلى الله عليه وسلم يسخر مما جاء به وهو يعلم يكون كافراً خارجاً من الملة ولو كان يقول ذلك على سبيل المزاح ،

طالب : والذي يقول على نفسه كافر ؟

الشيخ : نعم أي واحد يقول على نفسه كافر فبإجماع العلماء يعد كافراً حتى عند الحنفية وحتى عند مرجئة الفقهاء ،

سب الله سبحانه وتعالى في بلاد أخرى كثيرة غير هنا في فلسطين مثلاً كثيرين إذا غضبوا سبوا الذي خلق هذا الإنسان ، هذا موجود فعلاً وبعض الجهلة يتأولون لهم هذا الفعل ، يقولون لا يقصدون ولم لم يقصدوا لأن القصد ليس شرطاً في هذا ، القصد المعتبر هو قصد التلفظ وليس قصد الخروج من الملة يعني لا يلزم أن ينوي أنه خارج من الملة ، بل قصد أن يتكلم بهذه الكلمة ، لو كان القصد المعتبر الذي يضاده الخطأ ، مثلاً لما قال اللهم انت ربي فقال العكس ، أو قال وأنا عبدك فقال العكس ، أو قصد كلمة فخرت أخرى خطأ منه ، مثل من قرأ في الصلاة بدلاً من أن يقول للمؤمنين أولئك أصحاب الجنة قال أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون هذا نوع من الخطأ هذا الخطأ الذي لا يعد قاصداً لهذه الكلمة لا يقصد التلفظ بها بخلاف واحد يسب ربنا ويقول أنا لا اقصد أن أشتم ربنا ، كيف تكلمت بها ؟ يقول لأني كنت أغتاظ منه ،

طالب : الممثل يا شيخ ؟

الشيخ : الممثل فيه تأويل وليس في هذا الباب

المكروه هو العذر المعتبر في أن ينطق كلمة الكفر ، فإذا كان هذا القس مثلاً الذي يتكلم بالكفر لو علم أنه يقتل ولا سبيل له للهرب ولا للتخلص منهم بأي وسيلة ويفتن أو يعذب فهو مكروه معذور ، لو نطق بكلمة الكفر لم يكن كافراً كما فعل عمار رضي الله عنه وأنزل الله في ذلك { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } النحل ١٠٦

ليس من الإكراه الرغبة في المنصب ،

ليس من الإكراه الرغبة في المال ، إلا أن يكون يموت من الجوع ، بمنعون عنه الأكل والشرب حتى يخاف على نفسه الهلاك يقولون له تدخل في الكفر وإلا تركناك تموت هذا معذور هذا مكروه ، نعم والأفضل بلا نزاع أنه يصبر ولو صبر له أجر عظيم ، نقول بذلك لتارك النطق مع القدرة يعني لو أحرص غير قادر على قول الشهادتين أو مكروه فهو ليس بكافر ، فلو كان غير قادر على قول الشهادتين أو كان غير قادر على أن يتمتع من النطق بكفر لأجل الإكراه فهو معذور ، قال الله عز وجل { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النحل ١٠٦

تؤكد أن مجرد الخوف ليس إكراهاً ، لازم غلبة الظن بحصول الضرر ، ليس مجرد أنه من كثرة الخوف وافقهم يظن أن ذلك يرضيهم مثلاً ، لأنها حصلت قبل ذلك لأنه رآهم يمسون الملتحين في الشارع مثلاً فلنكي ثبت أنه ليس تابع للناس الملتحين وهو كان ملتحي فسب الدين للذي أمامه حتى يسمعهو يسب الدين فيقولوا هذا ليس منهم فيتركوه ، علم أن ذلك يرضيهم مع أنهم لم يطلبوا منه ذلك ولم يكرهوه على ذلك ، بل مجرد أنهم يطلبون منه البطاقة خائف فهذا لا يعد إكراهاً بل هذا خوف شركي والعياذ بالله دفع إلى طاعة أو حتى أكثر من الطاعة موافقة أو دون ذلك فوصل إلى الشرك والعياذ بالله فهو خوف شركي ، لأنه لا بد أن يوجد إكراه معتبر كالقتل مثلاً أو تهديد بالقتل أو التعذيب وأن يكون عاجزاً عن الفرار فلو استطاع الفرار إلى المسلمين والاحتماء بهم فلا يجوز أن يظل يقول الكفر أو يدعوا الناس إليه وهو يقول أنه في نفسه مسلم فهذا لا يقبل منه بالمرّة بل لا بد أن يخلع الكفر ، ولو قال الشهادتين مرة ثم رجع إلى كلام الكفر فقد ارتد ، يعني هو يقول الشهادتين في الصلاة بعد أن يقولهم يخرج للقداس الآخرين يقول لهم كلام كفر والعياذ بالله يكون كافر بذلك مرتد ،

لو لم يكن قادراً على قولها لأنه أحرص فهذا يقبل منه اعتقاد القلب والإشارة بلا إله إلا الله أو الكتابة بيده مثلاً إن كان يعرف الكتابة ليثبت إسلامه في أحكام الدنيا ، أهل السنة كما ذكرنا لا يختلّفون أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليهما كافر لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله )

الذي قال بأن تارك النطق بالشهادتين ليس بكافر هو غلاة المرجئة وهم الجهمية الغلاة الذين يقولون أن الإيمان هو المعرفة ويقولون أن من يعرف لا إله إلا الله وإن لم ينطق بالشهادتين فهو مؤمن ولا يلزم ذلك ،

وللأسف أن كثيراً من المنتسب إلى المذهب الأشعري يرجحون هذا الكلام ويصرحون أنه لا يلزم أن ينطق بالشهادتين وهذا اعتقاد غلاة المرجئة كما ذكرنا ، وهو في الحقيقة يلزم منه أن إبليس مؤمن وأن فرعون مؤمن وأن أبا جهل مؤمن وكل عتاد الكفار الذين استيقنوا بلا إله إلا الله في أنفسهم مؤمنين ، يلزم أن كل عتاد الكفر مؤمنين ، فإن الله تعالى يقول عن فرعون وقومه وملائته { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل ١٤ وقال الله تعالى عن موسى لفرعون { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } الاسراء ١٠٢ وقال عن مشركي قريش { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الانعام ٣٣ فهم يعلمون أن الرسول في أنفسهم صادق ولا يستطيعون أن يكذبوه في أنفسهم وكما في إبليس فإنه لم يكذب أن الله أمره لأنه عرف أمر الله بما أوحى إلى ملائكته وقد كان كواحد منهم ومثلهم في الحكم ، يعني إبليس كان مثل الملائكة في الأحكام ، كان يعبد الله معهم فلما قال الله اسجدوا لآدم كان إبليس ضمن من أمر بذلك لأنه كان مع الملائكة ،

طالب : يعني كان مثل الملائكة في فضلهم

الشيخ : نعم كان مثل الملائكة ، وأحكام الملائكة تنطبق عليه والتكليفات التي كلفت بها الملائكة تنطبق عليه لكنه كان من مصدر آخر كان من النار والملائكة كان من النور ، وكان عنده إرادة الخير والشر ، يعني قلبه ليس كقلب الملائكة ، الملائكة ليست لهم إلا إرادة واحدة إرادة الخير فقط ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، هو كان عنده اختيار ، ففرع الأمر من الله ، إذن كان عنده المعرفة ، وكان مؤمن بوجود الله وأن الله خلقه وخلق آدم ويؤمن بأن الله الذي يبعث الناس ويؤمن بيوم القيامة وهو كافر في كل ذلك ، لأن الكفر ليس التكذيب فقط بل الكذب هو الإباء والاستكبار ، واليهود لم يستطيعوا أن يكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وقالوا إنه هو النبي الذي أخبر به في التوراة بعينه وصفاته كما قال تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } البقرة ١٤٦ وكان كفرهم بالعدواة لا لأنهم لا يعرفون ، بل كان كفرهم لأمرين بترك النطق بالشهادة لمن ترك منهم وبوجود كراهية القلب له وبعداوته صلى الله عليه وسلم ، وعداوة ما جاء به ، لذلك كان كلام أبا الحسن الأشعري بأن الإيمان هو المعرفة يلزم منه الباطل ، لو واحد التزم إيمان فرعون وإيمان إبليس يكون كافر لكن أكثرهم لا يلتزمون ذلك لك التزموا الضد وهو يقولوا أنه لما كفر زالت المعرفة من قلبه مع أن هذا الكلام باطل قطعاً أن الله سبحانه وتعالى ذكر عنهم حال كفرهم أنهم { وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ } حال كفر فرعون { لَقَدْ عَلِمْتُمْ }

الأشعري كما ذكرنا بدأ معتزلياً ثم رجع إلى الضد ثم توسط في آخر عمره ورجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، لكن عندما كان في المرحلة المتوسطة التي كان يرد فيها على المعتزلة كان ضدهم تماماً صار جبرياً في مسائل القضاء والقدر ، ذكر أن المشيئة والإرادة الإنسانية لا أثر لها في الفعل وهي في الحقيقة عقيدة الجبري ، كذلك في قضايا الإيمان والكفر كان يقول بعقيدة الجهمية يشابه المعتزلة والخوارج بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، هنا خطأ

هنا خطأ مطبعي والصحيح ، وكذلك في قضايا الإيمان والكفر يناقض المعتزلة والخوارج في أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، وسماء المعتزلة فاسقاً في منزلة بين المنزلتين وسماء الخوارج كافراً فيخالفوه في الاسم ، فجاء الأشعري وقال بالصد تماماً فقال إن الإيمان هو المعرفة هذا ضد كلام المعتزلة يناقض بها المعتزلة ، لكنه رجع في كتاب الإبانة وكتاب مقالات الإسلاميين إلى قول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ،

المرحلة السابقة كان يقول أن الإيمان هو المعرفة لكنه لم يلتزم القول بأن إبليس مؤمن وأن فرعون مؤمن ، لأن هذا القول يخرج من الملة لكن لم يلتزمه بل قال إن إبليس عندما كفر زالت من قلبه المعرفة ، وكذلك زالت معرفة الله من قلب إبي لهب وأبي جهل والصواب أن القرآن صريح في إثبات المعرفة عندهم وهم كفار ، قال الله تعالى عنهم وهم كفار { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكُمْ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الانعام ٣٣ لذلك قلنا أن أهل السنة لا يختلفون في هذا الباب أما أهل البدعة فيخالفون ويقولون يمكن أن لا ينطق الشهادتين ويكون مؤمناً بل عندهم يمكن أن ينطق الكفر ويكون مؤمناً ، ممكن أن ينطق الكفر من غير إكراه ومن غير تأويل خلاف الممثل ،

الممثل الذي يأخذ دور كافر لماذا هو ليس بكافر ؟ لأنه يقول أنا أحكي وحامي الكفر ليس بكافر

طالب : هو كافر ؟

الشيخ : الراجح أنه ليس بكافر وكذلك لو علق الصليب يقول أنا أحكي قول الكفار وأنا أمثل دوره وهذا كلام لا يجوز لكن أقول متأول والتأويل يمنع التكفير لأنه يقول أنا أحكي كلام الكفار وأنا أحكي فعل الكفار ، يعني أن الآن أقول لكم رجل يعلق صليب هنا وأنا الآن لو أشرت بهذا الصليب أكون أحكي حال الكافر وأنا أقول وأقول أن فرعون قال وأقول كلام فرعون أليس كذلك ، فهذه الحكاية هو يقول أنا في التمثيل أنا أفعل ذلك ، لكن أقول في البداية هذه تمثيلية يا أخوة وهذا فلم أو مسرحية والذي أقوله ليس اعتقادي ،

أنا أقول الراجح لا يجوز لكن هذه مسألة فيها تأويل تمنع تكفير الممثل ، إلا لو اعتقد ،

طالب : يقولون أنهم يخدمون الدين

الشيخ : نعم يقولون أنهم يخدمون الدين ويأتوا بفلم عن ظهور الإسلام فيأتوا بواحد يأخذ دور أبو جهل ويقول كلام الكفر والعياذ بالله والصد عن سبيل الله فهذا يقوله على سبيل الحكاية لا على سبيل الاعتقاد ،

طالب : لا يجوز يا شيخ

الشيخ : نحن نقول أنه لا يجوز لكن هناك تأويل يمنع من التكفير ،

نقول إن قيل فما الدليل على أن تارك النطق بالشهادتين كافر ومخلد في النار حتى لو اعتقد صحتها ؟

نقول بالنسبة للأول قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ) هذا دليل على الكفر يقصد دليل كفر من أبي أن يقول الشهادتين ، دليل الكفر لمن أبي نطق الشهادتين ،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ( وعزني وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ) رواه البخاري

إن قيل فمتى تثبت عصمة الدماء والأموال ؟

الجواب : بأن ينطق الشهادتين إذا كان قادراً على النطق وإن لم يكن قادراً كمن لم يعرف العربية عليه أن يقول معناها أو ترجمتها أو يشير بها إن كان أحرص فيأتي بما يقوم مقامها إذا كان غير قادر ،

عن ابن عمر قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد إلى بني جزيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا وجعلوا يقولون صبئنا صبئنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرناه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال ( اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ) رواه البخاري قالها مرتين ، أرسل إليهم بالدية واعتبرهم مسلمين ، كلمة صبئنا ترجمة عندهم عن لا إله إلا الله لم يحسنوا أن يقولوا لا إله إلا الله ، فأن العاجز عن قول لا إله إلا الله يجزئ مكافأه ويقوم مقامها ما



يدل عليها أما القادر عليها فلا بد أن ينطقها ، وقصة موت أبي طالب في الصحيحين فيها ( فأبى أن يقول لا إله إلا الله فأنزل الله فيه { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } التوبة ١١٣ )

فالخلاصة أن تارك النطق بالشهادتين في حكمه مسألتان :

كافر في أحكام الدنيا ، ومخلد في النار في الآخرة ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

#### ٨٤- الخلاف السائغ في تارك المباني الأربعة تكاسلاً

تكلمنا في المرة السابقة على أنه لا خلاف بين أهل السنة في أن ترك النطق بالشهادتين مع القدرة وإباء النطق بهما كفر في أحكام الدنيا والآخرة لحديث أبي طالب ولقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله )

أما الخلاف في ترك باقي مباني الإسلام وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم عنها ( بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ) متفق عليه

فأربعة الصلاة والزكاة والصوم والحج

الخلاف في تكفير من ترك هذه المباني غير الشهادتين متكاسلاً لا جاحداً ولا آيياً ، لا جاحداً الذي يجحد وجوب الصلاة ولا آيياً يقول لا أصلي ولو قتلتموني خلاف سائغ مع أن الحقيقة أيضاً أن الذي قال لا أصلي ولو قتلتموني فيه خلاف ،

لكن الإباء فيمن يرد شرع الله عز وجل يقول أعلم أنها فرض ولكن لا أفعل ولم أكن لأفعل ولم أكن لأصلي مثل قول إبليس فهو إباء واستكبار ،

لكن من يتكاسل ويقر بأنه مخطئ وأن الصلاة فرد فالخلاف في هذا سائغ بخلاف الجاحد الذي يقول مثلاً صوم رمضان ليس فرداً ، بخلاف الآبي الذي يقول لا يلزمي أن أصوم وإن فرض الله الصوم لا ألزم بذلك ، فالتكاسل عن الصلاة ويفطر من أجل الأكل والشرب والجماع والشهوة في رمضان ، إذا سأله لماذا أنت مفطر يقول أنا متعب وجائع ، أو عندما تسأله لماذا لا تخرج الزكاة يقول المال قليل والحقوق كثيرة والمرأ يخاف الفقر ، عندما تسأله لماذا لا تحج يقول الجو حار والذهاب فيه تعب والصلاة طبعاً تكاسلاً يقول سوف أصلي بعد حين أو أنا متعب الآن ، هذا تارك لهذه الأركان تكاسلاً لا جحوداً ، هذا المتكاسل هو الذي وقع فيه العلماء ووقع فيه الخلاف بين العلماء منهم من يكفره الكفر الأكبر ومنهم من لا يكفره كفوفاً أكبر بل أصغر والقول الثاني هو قول الجمهور .

نقول أن من مسائل الاجتهاد عند أهل السنة الخلاف السائغ في هذه المباني دون غيرها ، يعني لا نرى خلافاً في بر الوالدين في أن من عقى والديه ليس بكافر لا نعلم خلافاً في مسألة مثلاً الإحسان إلى الجيران ، فمن أساء إلى جيرانه ليس بكافر ما لم يستحل ، ليس هناك خلاف أيضاً أنه لو أبق عبده أو هرب من سيده أنه ليس بكافر مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( أما عبد أبق من ماله فقد كفر ) رواه مسلم لكن هذا بإجماع أهل السنة محمول على أنه كفر دون كفر ، يعني ممكن أسميه كافر بشرط أنه يعلم أنه ليس بمتردد عن الإسلام والمرأة التي لا تطيع زوجها ليس هناك خلاف في أنها غير كافرة مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى عدم الطاعة للزوج كفراً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء ( يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهم جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعنة وتكفرن العشير ) متفق عليه وليس هناك خلاف في أنه كفر دون كفر ،

طالب : مبالغة في الإثم ؟

الشيخ : نعم مبالغة في الإثم ،

وكذا ترك بر الوالدين فمن كفر العبد الأبى من موالاه فهو ضال مبتدع الذي يكفره كفر ناقل عن الملة ، أما التسمية لا حرج فيها ، ومن كفر المرأة التي تعصي زوجها فهو ضال مبتدع ومن كفر أكل الربا من غير استحلال فهو ضال مبتدع فيكون أسوء من أكل الربا نفسه ، من يكفر مرتكب الكبائر من الخوارج الذين هناك اختلاف في دخولهم في الأمة من عدمه ، ومن كفرهم فهو معروف

بخلاف الصلاة والزكاة والصيام والحج

فقد قال صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ( العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما وصححه الألباني فهناك تفسيران الأول أن من تركها قد كفر الكفر الأكبر الناقل عن الملة ، والثاني كفر كفوراً أصغر وكلاهما محتمل عند أهل السنة ، لا يخرج الإنسان بترجيح كلاهما إلى الابتداع ، فالإمام أحمد له أقوال منها أنه يكفر بترك الصلاة فقط وقول ثاني يكفر بترك الصلاة والزكاة فقط قول ثالث يكفر ترك الملباني ، أي واحد من الملباني الأربعة ، قول رابع أنه يكفر بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها يكفر مع المقاتلة ، قول خامس قول بقية الأئمة أنه كفر دون كفر ، والذي قال عنه ابن بطه أنه المذهب ، فالإمام أحمد في أحد أقواله وإسحاق ابن راهوي وعبد الله ابن المبارك وغيره يكفرونه كفر أكبر ومنقول عن كثير من الصحابة والتابعين تكفير تارك الصلاة وابن حزم قد نقل الخلاف عنه ، وكثير من العلماء لا ينقلون خلافاً بل قال عبد الله ابن الشقيق لم يكن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة وهذا القول من عبد الله ابن الشقيق مع أنه لم يدرك كل الصحابة إنما أدرك بعضهم فنقول مع ذلك فإنه لا يدل على رفع الخلاف في المسألة لأنه لم ينقل إجماعاً على الحكم وإنما يمكن أن يكون على التسمية فإذا صح تأويل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة مع أنه هو الذي صرح بأنه هو الذي قد كفر فتأويل نصوص الصحابة أولى بذلك وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يعلم أنهم طبقوا حكم المرتد على تارك الصلاة فنقل ابن قدامة في المغني أن ابن مسعود رضي الله عنه أكل من ذبيحه غلام وقال إن غلامي لا يصلي . غلام يعني عبد . ومع ذلك أكل من ذبيحته ونقل الاتفاق العملي من الأمة مع علمهم بوجود تاركين للصلاة منذ الأزمنة الأولى على أنهم لم يجعلوا لهم مقابر مستقلة ولم يزل عمل المسلمين في دفن تارك الصلاة في مقابر المسلمين واحتج ابن قدامة بذلك على ترجيح الرواية التي ذكرنا ترجيح ابن بطه لها على أنه كافر كفوراً دون كفر ، فابن قدامة في المغني يرجح قول الجمهور في أن تارك الصلاة تكاسلاً كافر كفر دون كفر ،

حديث عبد الله ابن شقيق كما ذكرنا محمول على التسمية وهو في الأعمال التي تركها كفر ، يقول البعض فكيف في النصوص الواضحة في تسمية غير ذلك أعمالاً كفرية نقول ولم يرد تسمية شيء من الأعمال تركه كفر ، إنما ورد تسمية الكفر على أفعال هي معاصي وليس على ترك شيء من الواجبات ، لم يرد في شيء من الواجبات أنه كفر إلا الصلاة ، فأما تسمية بعض المعاصي كفوراً فهو مذكور في غير موضع من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمكن أن يحمل كلام عبد الله ابن شقيق على أن هذا قول كثير من الصحابة أو من لقيهم من الصحابة وليس هذا بإجماع لأنه لم ينقل عن كل الصحابة رضي الله عنهم مع نقل الخلاف في المسألة كما ذكرنا ، والتابعون يوجد فيهم من لا يكفر تارك الصلاة كلاً واضحاً صريحاً ، وهذا قول الزهري وعمر ابن عبد العزيز قبل ذلك وقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وهو معدود في التابعين وفي تابعي التابعين ، وهم دائماً أهل العراق يأخذون عامة بقول ابن مسعود وهو منقول عنه عدم التكفير الكفر الناقل عن الملة ، فأقصى ما يقال أن هذا قول قاله عبد الله ابن شقيق قد خالفه فيه غيره إن أصررت على أن تجعلوه في الكفر الأكبر وليس على التسمية فقط فنحن لا ننزع في التسمية وأهل السنة متفقون على التسمية أن يسمى تارك الصلاة كافراً لكن الخلاف على الحكم كفر ناقل عن الملة أم لا ؟ من يخرج هذه المسألة عن مسائل الخلاف السائغ أتى بمحدث من القول ، من يقول الخلاف في المسألة غير معتبر أتى بمحدث من القول ، القول المحدث ليس له سلف بل سلفه في ذلك طوائف من الخوارج يقولون أن الخلاف في هذه المسألة لا يعتبر ، أما أهل السنة فلا يوجد أحد منهم يزعم أن الخلاف في المسألة بدعة أو ضلال أو قول بالإرجاء ، هذا الذي ننكره على من يخالف في هذا الباب ، نحن لا ننكر على أحد يختار القول بالتكفير ونقول يسعه هذه القول كما وسع السلف يسعنا ،

قد نقل ابن حزم هذا الخلاف عن السلف والأئمة ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية ونقله ابن عبد البر وغير واحد من السلف نقله ، نقله ابن القيم رحمه الله عمن ذكرنا ، فمن يعتمدون في النقل بعد ذلك ؟ إن لم يعتمدوا على من تنقلون عنهم في كل مسائل الخلاف ، أما أصحاب المذاهب فأكثر من أن يحصوا ، النقل في وجود الخلاف بل في ترجيح أن أئمتهم مثل الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة وترجيح ابن بطه لمذهب الإمام أحمد في عدم التكفير مشهور منقول ، فمن أين أتيتم أن كل هؤلاء أهل بدعة ؟ نسأل الله العافية ، هذا الكلام كلام باطل ليس يقبل من قائله ، الحمد لله أن حتى من نصره في بعض كتبه رجح إلى القول بأنه خلاف سائغ لا يخرج صاحبه من أهل السنة أعني الدكتور صفر حفظه الله ، الدكتور صفر له كلام واضح جداً في أن المخالف في تكفير تارك الصلاة من أهل السنة وإن كتب في كتاب . ظاهرة الإرجاء . خلاف هذا لكن ربما كان سرق قلم أو عدم دقة في العبارة لكن هو قد قال أن الخلاف في المسألة خلاف بين أهل السنة وقال نحن لا نخرج المخالف من أهل السنة والحمد لله ،

فالخلاف في تارك الصلاة هو الخلاف المشهور ، والخلاف في غيرها أقل ، أعني أن من العلماء من جهل الخلاف في تكفير تارك الصوم أي المفطر في رمضان وتارك الزكاة وكذا من ترك الحج وهم يعنون في ترك الحج أنه يقول لا أحج ولكن أن أعرف أن الحج فرض ولكن أنا لا أقوى عليه ولا أقوى على الحر ولا أقوى على الزحام ويألمني أن أفارق الوطن ونحن ذلك ، هذا الذي يختلفون فيه وليس في من رأى أن الحج يجب على التراخي ، من يقول الحج على التراخي اختلاف سائغ بل الراجح عندي أنه واجب على التراخي ، يأثم من معه مال هذا العام ولم يذهب للحج ولم يقدم في الفرقة ولم يقدم في شركات السياحة يأثم ؟ نقول لا بل يمكن يزوج الولد أو البنت

طالب : يعني يجوز يا شيخ ؟

الشيخ : نعم يجوز ذلك ، لأن الحج على الراجح فرض سنة ستة ولو قلنا فرض سنة تسعة فالدلالة قائمة أيضاً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحج سنة تسعة ، سنة تسعة ذهب أبو بكر إلى الحج ، قال ابن القيم لم يحج النبي لأجل وجود المشركين ، وهذا لا يمنع وإلا لماذا أرسل أبا بكر ؟ فوجود المشركين والعرة وكان يمكن أن يمنعه صلى الله عليه وسلم حتى لو كان فإنه حج صحيح ، ووجود الأصنام كان أشد ومع ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتمر مع وجود الأصنام ، فلذلك نقول هذا ليس بعذر في الاحتجاج ، وليس بحجة في إلزام الناس بالحج على الفور ، الصحيح أنه طالما عزم أنه يحج قبل أن يموت فليس داخلاً في الخلاف ، الخلاف فيمن قال لا أحج وإن كنت مقصراً لأني لا أحتمل ،

فكما ذكرنا من أدلة الجمهور على عدم التكفير في صوم رمضان هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم للماجم في الحديث المتفق عليه بأن يكفر وأن يقضي يوماً مكانه وهو نص واضح في عدم التكفير لفطر يوم من رمضان وما ينطبق على يوم ينطبق على أيام لأنه لا دليل على التفرقة ولا قائل بأن المفطر عدد من الأيام يكفر ومن أفطر يوماً لا يكفر ،

الصوم في الناس منذ قدم أكثر من الصلاة حتى في أيام التتار كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم والصوم فيهم أكثر من الصلاة ، من يصوم رمضان في التتار أكثر ممن يصلي الصلوات الخمس ، فتترك الصلاة عند الناس أكثر من قدم الزمن أن صوم رمضان أكثر من أداء الصلوات الخمس ،

ومن أدلة عدم التكفير الباخل للزكاة قول النبي صلى الله عليه وسلم فيمن بخل بالزكاة ولم يؤدي حق الله فيها قال ( ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ) وهذا في صحيح مسلم وهذا لا يقال في كافر ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم ( ومن منعها فإننا آخذوها وشطر ماله عزماء من عزمات ربنا ) وأما ما يحتجون به من التكفير لمن قاتل عليها بفعل أبي بكر رضي الله عنه والمسلمون معه في قتال مانعي الزكاة فهو إجماع على القتال وليس إجماع على التكفير ، وهناك من يقول من العلماء إن قوتل مانعوا الزكاة قوتلوا كقتال الكفار من غير أن يكفروا يعني في أخذ الأموال وتخمسها والإجهاز على الجريح وفي قتل الأسير يرى أحكام قتل الكفار جائزة أو مشروعة مع قتال الطائفة الممتنعة من الشريعة هذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية ،

وإن قتل عندهم لا يخلد في النار مذهب الجمهور ،

كما ذكرنا الحديث صريح في أنه يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار بعد خمسين ألف سنة من العذاب والعياذ بالله ،

وقول أبي بكر رضي الله عنه " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " دليل على أنه لا فرق بين الصلاة والزكاة عند الصحابة والزكاة فيها نصين صريحين واضحين في أحكام الدنيا وأحكام الآخرة في عدم التكفير ، لأنه لا فرق بين ذلك عند الصحابة في الصلاة والزكاة ،

نقول الإمام أحمد وإسحاق ابن رهوي وعبد الله ابن المبارك وغيرهم يكفروهم ككفر أكبر ومنقول عن كثير من الصحابة والتابعين تكفير تارك الصلاة هذه مسألة لا يبدع فيها المخالف ولا يفسق ، وهذه ليست كمسألة تكفير مرتكب الكبيرة الذي يسرق ويذني ولو أصر على ذلك ،

فمن كفر مرتكب الكبيرة كالزاني والسارق أو حكم بخلوده في النار كما حكم الخوارج والمعتزلة فهو مبتدع ، فالخوارج يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار ، والمعتزلة يقولون أن مرتكب الكبيرة فاسق مخلد في النار ، الفاسق عند أهل السنة غير الفاسق عند المعتزلة ، الفاسق الملى عند أهل السنة هو من أهل الملة عنده أصل الإيمان ، المعتزلة عندهم الفاسق فاقد لأصل الإيمان ولذا كان مخلداً في النار وليس عنده ذرة من الإيمان وهو في منزلة بين المنزلتين ،

نقول من قال إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار سواء كافر أو فاسق فهو مبتدع ،

أما تكفير تارك الصلاة وهي أشهر المسائل مختلف فيها في المباني الأربعة ، وقلنا أيضاً الخلاف في المباني الأخرى خلاف سائع وإن كان أقل شهرة ،

نقول من كفر تارك الصلاة ككفر أكبر فهو مجتهد مأجور على كل حال ومن لم يكفره ككفر ينقله عن الملة فهو أيضاً مجتهد ، هذه المسألة مما يسوغ فيه الخلاف عند أهل السنة وإن كان جمهور فقهاءهم يقولون عنه كفر دون كفر ، فإن قيل لماذا قال بهذا الجمهور ؟ الجواب لأحاديث خروج عصاة الموحدين من النار في الحديث الصحيح ( يخرج الله عز وجل منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمدخر الزكاة ( ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليها في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ) وهذا نص واضح جداً في أن الذي لا يؤدي الزكاة يعذب خمسين ألف سنة ثم يمكن أن يدخل الجنة بعد ذلك ،

الدليل على أن المفطر في رمضان ليس كافراً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر من جامع في نهار رمضان عمداً بالقضاء والكفارة ، فهذا دليل على أنه عامله معاملة المسلم ، لذلك نقول أن تارك هذه المباني على الراجح ليس كافراً ناقلاً عن الملة لكن نسميه ككفر دون كفر ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سمى ترك الصلاة ككفر ، ولو قتل هذا التارك

لهذه المباني على ترك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو منع الناس من الحج بأن قال مثلاً سنفطر في رمضان ونحن مخطئون ونعلم أننا مخطئون لكن لو عقابنا أحد فمنع العقوبة ولو حاربنا أحد سنحاربه أو يمنعون أحداً من عقوبة تارك الصلاة ويقاتلون دفاعاً عنهم فإن الإجماع منعقد على قتالهم ووجوب قتالهم ، يجب على الإمام أن يقاتل هذه الطائفة المتمتعة عن شريعة من شرائع الإسلام ، أهل العلم قالوا لو أن طائفة قاتلة الإمام على منع الزكاة أو منع الصلاة فهؤلاء يقاتلون بالإجماع ، هناك إجماع على قتالهم في الزكاة والصلاة ، بل في الحقيقة على كل شعائر الإسلام الظاهرة المجمع على وجوبها لا على الأربعة فقط فلو قال قوم سنشرب الخمر أو سندع الناس عندنا يشربون الخمر ونحن نعلم أن الخمر حرام ومقرون على أنفسنا بالخطأ لكننا لن نسمع بإقامة الحد على شارب الخمر ونعرف أن إقامة الحد فرض لكن لن نترككم تنفذونه ففرض على الإمام أن يحاربهم ، وهذه المسألة مسألة وجوب قتالهم غير مسألة التكفير ، وإن كان هناك قول عند الحنابلة أن من قاتل على منع الزكاة وبالأولى على الصلاة فهو كافر ، لكن الراجح عدم التكفير حتى لو قاتلوا فهم يقاتلون ولا يخرجون من الملة ،

أما تارك هذه الأركان جحوداً فكفره معلوم من الدين بالضرورة

بالنسبة لتارك الحج يحتجون على تكفيره بأثر عمر (( لقد هممت أن أرسل إلى الأمصار فمن وجد سعة ولم يحج أن تضرب عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين )) الحديث فيه ضعف وهو رضي الله عنه كان يجتهد ورجع عن هذا القول ، وأخبرهم أنه هم ولم يفعل لينذرهم بذلك ، وبين أن هذه الأمر فيه تذكير عنده وهو أن هذا الذي لم يحج هل هو مسلم أم لا وليس إسلامه قطعياً ، وعمر رضي الله عنه لو كان من لا يحج عنده كافراً لكان مرتداً والمردد بالإجماع لا تضرب عليه الجزية ، فهذا الأثر في نكارة من جهة المثل وفيه ضعف من جهة السند ، لأن المرتد لا تضرب عليه الجزية وهو هم تركه عمر رضي الله عنه ، هممت ولم يفعل ولم ينقل قط في تاريخ الإسلام أن ضربت الجزية على من ترك الحج ،

أما مسألة ترك هذه الأركان جحوداً كما ذكرنا بل وغيرها من غير الأركان الأربعة فكفره معلوم من الدين بالضرورة ، ماذا لو ترك غير الأركان الأربعة جحوداً ؟ الجواب لو ترك بر الوالدين جحوداً أو ترك صلة الأرحام أو ترك الجهاد الواجب جحوداً يقول ليس هذا من الدين فهو أيضاً كافر خارج من الملة بالاتفاق لأنه يحدد المعلوم من الدين بالضرورة ، أو يحدد ما علمه من الدين كالمستحل للمحرم ، فالفرق بين هذه الأركان الأربعة الصلاة والزكاة والصوم والحج وبين غيرها أن الخلاف في ترك من تركها تكاسلاً ، أما الجحود فمثلها مثل جميع مثل غيرها من الأعمال المعلوم من الدين بالضرورة في أن جاحدها كافر ، ومن قاتل على تركها مثل من قاتل على ترك غيرها ، مثل هذا الخلاف في تكفير تارك المباني الأربعة خلاف سائغ في تكفير بعض طوائف أهل البدع ،

هناك خلاف سائغ أيضاً في تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة بل هو عندهم من مسائل الاجتهاد ، كتكفير الخوارج ومتأخري القدرية ولماذا متأخري القدرية وليس متقدميهم ؟ لأن متقدميهم كانوا ينفون العلم وينفون القدر جملة مما يخالف نص كتاب الله ، يقولون لا قدر وأن الأمر أنف ، وهو مخالف لنص كلام الله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر ٤٩ هو لا يقول أنا أثبت القدر ولكن القدر هو العلم أو أن القدر هو الكتابة ، بل يقول لا قدر ، ينفي صراحة وينفي العلم ، ينفي علم الله وهو من العلوم من الدين بالضرورة في عامة العصور وفي عامة البلاد ،

متأخري القدرية هم الذين يثبتون العلم والكتابة وينفون المشيئة والقدرة على أفعال العباد وخلق أفعال العباد وكذلك تكفير المعتزلة والروافض ، الرافضة كلهم في هذا النزاع والرافضة نوعان . غلاة الرافضة والرافضة الذين ليسوا بغلاة . والمعتزلة قدرية وينفون الصفات والمعتزلة يقولون بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار كلها عقائد فاسدة باطلة ،

بالنسبة للرافضة كما ذكرنا منهم الغلاة هم الذين يعتقدون بالوهمية الأئمة أو واحد منهم كطوائف الباطنية من الدروز العلويين والسبائية قديماً والإسماعيلية والبهرة حديثاً والمسمون بالفاطميين بل العبيديين حكام مصر وما حولها في زمن ما يعرف بالخلافة الفاطمية وليس بفاطمية ، فهؤلاء من ثبت عليه هذا المذهب وهو القول بالوهمية غير الله فهو الكفر باتفاق أهل الإسلام وذلك بأنهم يصرحون بالوهمية غير الله فالدروز يحكمون بالوهمية الحاكم بأمر الله ويقولون ناسوت ولاهوت والعلويين النصيرية الذين يقولون بالوهمية على ابن أبي طالب والباطنية يقولون بالوهمية الإمام كما قال شاعر المعز له . ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار ،

وهم من أنواع كفر غير ذلك بكثير كالطعن في النبوة وفي القرآن وفي اليوم الآخر ، وكذا من طوائف الغلاة من يطعنون في النبوة ويثبتون نبوة علي إما بخيانة الوحي أو بخطئه وهذا كفر ناقل عن الملة بلا نزاع ، يقولون خان الأمين والعباد بالله وكان يجب أن ينزل على علي فخان ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم أو أنه أخطأ فنزل على محمد خطأ ، وهذا والله من الكفر الذي لا نزاع فيه وكذا من يزعم نبوة فاطمة ويزعم أنها نزل عليها مصحف يجعل حكمه كحكم المصحف وأما من يقول هي صحف فيها من علم فاطمة وليس هذا بمنزلة الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فهذا داخل في الرافضة الذين ليسوا بغلاة ، ودخل أيضاً في الغلاة من يقول بتحريف القرآن لأنه يكذب ما ثبت لدى المسلمين بالتواتر من أن القرآن كلام الله فمن يقول قد حذف منه وزيد فيه ونقص منه فهذا من الكفر وكذا من يطعن في عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه بتكذيبه القرآن أما باقي الرافضة الذين يقولون بخلافة علي دون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان ويفضلون علياً على أبي بكر وعمر وعثمان وكثير منهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم ويكفرون أبا بكر وعمر وعثمان أيضاً ، ويقولون بأن عدم الاعتقاد في إمامة علي كفر فضلاً أن طوائف أخرى تسبهم وتطعن فيهم أو تفسقهم فهؤلاء جميعاً ممن فيهم الخلاف في تكفيرهم أو عدم تكفيرهم وهؤلاء على الصحيح أقوالهم أقوال كفر ، وهم من جنس الخوارج بل هم شر منهم ومع ذلك لا يكفر الواحد المعين منهم إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع لكن من كفرهم بالعموم

من العلماء وإن كنا نره قد أخطأ في الاجتهاد لكننا لا نبدعه ، لا يبدع أهل الحديث الذين كفروا الخوارج ، ولا بعض العلماء الذين كفروا الرفضة الذين ليسوا بغلاة لكن كما ذكرنا الراجح عدم التكفير حتى تستوفى الشروط وتنتفي الموانع ،

من العلماء من يدخل هذه الفرق الخوارج والمعتزلة والرفضة ضمن فرق الأمة الثنتين والسبعين وبعضهم يخرجها من هذه الثنتين والسبعين ،

قلنا و متأخري القدرية لأن غلاة القدرية الذين يقولون أن الله لا يعلم الأمور حتى تقع كفار بالاتفاق ، وكذلك غلاة الرفضة الذين يقولون علي هو الله أو الدروز الذين يقولون الحاكم بأمر الله هو الله خارج الثنتين والسبعين فيرقة بالاتفاق ،

الحكام بأمر الله شخص وهو الخليفة الفاطمي واسمه الحاكم بأمر الله حكم مصر أكثر من أربعين سنة وهو الذي رجع الحجة الأسود ،

المسجد الذي بناه الحاكم بأمر الله اليوم هو معقل الشيعة في القاهرة لأن الشيعة يبحثون عن المساجد الذي بناها الفاطميون لأن الفاطميون في الحقيقة كفار لكن كانوا يقولون عن أنفسهم أنهم رافضة ،

الرفضة الذين يسبون أبا بكر وعمر وهم شيعة إيران والعراق في تفكيرهم خلاف بين أهل السنة ، فهم كمن يقف على حرف ، من العلماء من يكفرهم وكذلك بعض طوائف أهل الحديث تكفر الخوارج ،

وعلي ابن أبي طالب لم يكفرهم بالعموم وإن كان منهم من هم كفار في الباطن ، وهذه مسألة اجتهادية عند أهل السنة لذا لو أن عالماً كفر الخوارج لا نقول له أنت ضال مبتدع ، وكذلك لو أن عالماً آخر لم يكفرهم لا نقول له أنت مرجئ ، هذه المسألة الخلاف فيها سائغ كالاخلاف في تكفير تارك الصلاة والمباي ف هذه مسألة اجتهادية ، والراجح في هذه المسألة الاجتهادية هي أن أقوال هذه الفرق أقوال كفرية لكن لا يكفر المعين حتى تقام عليه الحجة فكفرهم كفر نوع وليس كفر عين والجمهور على عدم تكفيرهم بالعموم ، ما معنى تكفيرهم بالعموم ؟ ككفر عين بالطائفة ، والدروز كل واحد يقول أنا درزي يكون كافر ، علوي يكون كافر ، نصيري يكون كافر ، هذه الفرق الخوارج والمعتزلة والتكفير والقدرية والروافض الجمهور على عدم تكفيرهم بالعموم ، بل يكفر من قال ببعض أقوال الكفر بعد إقامة الحجة ،

بعض الأخوة يشتكي أن هناك من يتهمهم بأنهم مرجئة وأنهم لا يقولون بجنس العمل وأنهم يتبعون البدع ويخالفون جماعة المسلمين ويسعى لإغلاق كتاباتهم وأخذ المساجد منهم ونسأل الله العافية ،

وهذا من العدوان والبغي الذي يوشك أن يجعل الله عقوبة من تعدى فيه وعلى الأخوة أن يجتهدوا بالدعاء ويصبروا على البلاء والله المستعان ونسأل الله أن يفرج الكرب ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٨٥- فصل لا يكفر مسلم معين

مسألة استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في تكفير من ثبت له الإسلام مسألة في غاية الأهمية في هذا الباب

نقول لا يكفر مسلم معين إلا بعد بلوغ الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، نقول لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام وسنأتي بعد ذلك فيما يأتي به حكم الإسلام خلاصته بالشهادتين كما سبق قبل ذلك أليس كذلك ،

أن يثبت حكم الإسلام بالولادة لأحد أبوين مسلم ولو كان الآخر كافراً يعني لو واحد أبوه مسلم وأمّه كافره أو أمّه مسلمة وأبوه كافر أو أسلم أحد أبويه وهو دون البلوغ حكم بإسلامه بذلك ، والنطق بالشهادتين والصلاة على الراجح

نقول لا يكفر مسلم ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها ، لماذا نقول التي يكفر المخالف لها ؟ لأنها الحجة القطعية التي تعلم من الدين بالضرورة ونوصل له المعلوم من الدين بالضرورة ونوصل له الآية ونوصل له الأحاديث المتواترة ونبلغه ما تواتر عند المسلمين إن لم يكن قد بلغه وأما ما هناك حجة لا يكفر

المخالف لها ، تقول مثلاً أنا أقمت عليه الحجة في صحة حديث أو في ضعف حديث ككفرته كفارة بيمين والثاني يقول أنا أقمت الحجة في هذا وهي مسألة اجتهادية محضة مبنية على رواية الحديث فمثل هذا لا تكون حجة قطعية بل هي حجة ضمنية وعند الآخر تكون شبهة ، فهذه فيها اجتهاد عند أهل العلم وهناك من الحجج ما يكون قطعياً لكن يعلمه العلماء فقط فأما إذا قامت الحجة التي يكفر المخالف لها فهذا إذا ثبت فقد قامت الحجة وزال العذر فيما يتعلق بالجهل والتأويل ،

يبقى استيفاء الشروط الأخرى وانتفاء الموانع الأخرى التي ذكرناها من قبل فيمكن أن يكون مجنوناً فلا بد من استيفاء شرط العقل وزوال مانع الجنون ، يمكن أن يكون صغيراً فلا بد من استيفاء شرط البلوغ وانتفاء مانع الصغر ويمكن أن يكون يتكلم وهو نائم فيشترط استيفاء شرط الاستيقاظ وانتفاء مانع النوم ويمكن أن يكون مكراً فلا بد من استيفاء شرط الاستقرار وانتفاء مانع الإكراه ويمكن أن يكون ناسياً فيشترط شرط الذكر ويزول مانع النسيان ويمكن خطأ أراد أن يقول كلمة فقال غيرها فيشترط شرط القصد ويزول مانع الخطأ ، الخطأ يعني قصد أن يقول كلمة خرجت كلمة أخرى وليس خطأ بمعنى خطيئة ولا خطأ بمعنى أنه لم يعي أن الموضوع خطير ويقول أنا متصور أن هذا الأمر ليس من باب الخطأ بل من باب جهل العقوبة الذي لا يدرك عقوبة الذنب ويظن أن الذنب يسير ويظن أنه أيام معدودات في النار ثم يخرج منها يظنه هيناً وهو عند الله عظيم ،

قلنا جهل العقوبة غير معتبر إنما الجهل الناشئ عن عدم البلاغ والتأويل الناشئ عن عدم البلاغ كذلك ، التأويل من عالم والجهل من جاهل ،

نقل الإجماع على هذه المسألة وهو أنه لا يكفر مسلم معين وابن حزم طبعاً نقلها بعد أن نقل الخلاف ونقل عن الأئمة الأربعة وعامة السلف وقال هو قول كل من نعلم له قولاً من الصحابة في ذلك أنه لا يكفر مسلم بقول أو اعتقاد أو فتياً إلا بعد قيام الحجة ، أقره شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك ، ونقل أنه تقسيم الدين إلى أصول وفروع أصول لا يعذر فيها المخالف وفروع يعذر فيها هو من كلام المعتزلة ،

العجب العجيب أن صار الأمر في زماننا أن يقال أن الاختلاف بين الأديان في الفروع لا في الأصول حتى صار الشرك بالله ليس خلافاً في الأصول أن يدعي الله الصحابة والولد يقول هذا خلاف في الفروع نعوذ بالله ، هذا الكلام رد لكتاب الله صراحةً ، إن ثبت أن قائله قد قاله فهذا ردة عن الإسلام ، الذي يقول نحن مع البوذيين والسيخ لأنه يخاطبهم يقول لهم الديانات جوهرها واحد ومتفقة في الأصل والخلاف في الفروع كيف يكون مسلم هذا بل يكون مكذب للقرآن ،

نقول لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها سواء كان الخلاف في الأصول أم في الفروع ، يعني في المسائل الاعتقادية أو في المسائل العملية ،

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أما غير هؤلاء يعني المعتزلة وغيرهم فيقول قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود ابن علي وغيرهم لا يأثمون مجتهداً مخطئاً لا في المسائل الأصولية ولا في الفروعية كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره ، ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية - طائفة من الرافضة - لأن الخطائية يستحلون الكذب على مخالفهم ، يعني ردوا شهادتهم لا من أجل البدعة ولكن ردوها من أجل استحلال الكذب بالتأويل ويقبلون شهادة أهل الأهواء ،

الإمام البخاري روى ممن علم عنه أنه من الخوارج بل قيل رأس والصحيح أنه ليس بداعية ولكن قد روى عن عمران ابن حطان والأئمة عموماً يقبلون شهادة أهل الأهواء وأهل البدع يعني لا يخرجونهم من العدالة بالتأويل إلا أن تقوم عليهم الحجة فتزد شهادتهم ويفسقون بذلك بالبدعة ويكفرون إذا قامت عليهم الحجة كما ذكرنا في المسائل التي يكفر فيها المخالف أعني في الحجج المعلومة من الدين بالضرورة ،

قال شيخ الإسلام " ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية ويصححون الصلاة خلفهم والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين ولا يصلى خلفه وقالوا هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين إنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يأثمون أحداً من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عملة ولا علمية ، قالوا والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع من أهل الكلام من المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم فانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غوره ، قالوا والفرق في ذلك بين مسائل الأصول والفروع كما أنه بدعة محدثة في الإسلام لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة فهي باطلة عقلاً فإن المرفقين بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرقوا بينهما بفرق صحيح يميز بين النوعين بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة "

يقول أن مسائل الفروع هي مسائل العمل ومسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ويقول شيخ الإسلام تفضيل علي على عثمان من مسائل الاعتقاد وهي لا يبدع فيها المخالف فضلاً أن يكفر ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج هي من مسائل الاعتقاد ولا يضل فيها المخالف ولا يبدع ومن أنكر وجوب الصلاة وهي من مسائل العمل كفر لأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة ثم ذكر مسألة ما كان معلوماً من الدين بالضرورة وما لم يكن وهذا فرق قوي جداً لكن هو يتفاوت من زمن إلى آخر فليس الأمر ثابتاً في كل حين بل الأمر نسبي ، لكن لا نزاع بينهم أن المعلوم من الدين بالضرورة إذا خالفه مخالف إذا ثبت الوصف أنه معلوم من الدين بالضرورة

طالب : الذي يفضل عثمان على علي ليس مبتدع ؟



الشيخ : لا ليس مبتدع من فضل علي على عثمان ولكنه مخطئ فقط ، لكن الذي يبدع هو من فضلهم على أبي بكر وعمر ، لكن تفضيل علي على عثمان مسألة خلافية عند علماء أهل السنة والراجح فيها تقدم عثمان والصحيح فيها تقدم عثمان ولكن لا يضل فيها المخالف ، يعني لو واحد قال علي أفضل من عثمان نقول له أخطأت ولا نقول له ابتدعت ، الذي نقول له أنت مبتدع الذي يفضل علي على أبي بكر وعمر ويستحق الجلد ، لكن الذي يفضل علي على عثمان نقول له أخطأت خطأ واضحاً ، والذي يقول أبو بكر وعمر وعثمان ليسوا خلفاء أضل من حمار أهله ، الذي يقول ليسوا أئمة وهم مغتصبون للخلافة يكون أضل من الحمار والعياذ بالله ، وهناك مسائل كثيرة كما سنذكر ، مسألة تقسيم الدين إلى أصول وفروع ، وشيخ الإسلام يقول تقسيم الدين إلى أصول وفروع عنده رسالة اسمها - تحقيق الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول - فهو يقول أصول وفروع ، نقول إذا كان يبنى عليها حكم فهو بدعة من كلام المعتزلة ، التقسيم إلى أصول وفروع إلى لب وقشور إذا كان سببى عليها حكم بحيث أنه يهمل جانب أو يبنى عليها تكفير من عدمه يكون بدعة وإن لم يبنى عليها حكم كمن يتكلم في الفقه والتوحيد يقول مثلاً اليوم درس فقه أو توحيد فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم اليوم ندرس توحيد ولا يقول هذا درس فقه وهذا درس السيرة بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقسم هذه التقسية للعلوم ، نقول لا يضر التقسيم إذا لم يبنى عليه حكم ،

متى يكون التقسيم بدعة ؟

لما يبنى عليه حكم شرعي ، لأن التقسيم نوعين ، تقسيم شرعي وتقسيم اصطلاحى ،

التقسيم الشرعي الذي أقام عليه دليل من الكتاب والسنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قسم هذا التقسيم وبالتالي يبنى عليه الحكم فالتقسيم الاصطلاحي يجوز ما لم يبنى عليه حكماً ، لو بنينا عليه حكم فلا يجوز التقسيم ،

الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قسم الشرك إلى أكبر وأصغر حيث قال ( أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ) رواه احمد وصححه الألباني فتبين بذلك أن هذا التقسيم تقسيم شرعي لا تقسيم اصطلاحى ، فليس أن العلماء هم الذين اتفقوا بينهم أن نقسم الشرك إلى أكبر وهو الذي يخلد في النار ويخرج من ملة الإسلام والأصغر لا يخلد في النار ولا يخرج من ملة الإسلام ، بل هذا هو تقسيم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قاله حيث قال ( أخوف ما أخاف عليكم ) يخاطب المسلمين ويدل على أنه يقع منهم قال الشرك الأصغر ،

ومثله في الكفر الأصغر قال للنساء ( إنكن تكفرن ) قيل يكفرن بالله قال ( يكفرن العشير ) والرسول صلى الله عليه وسلم بين أن هذا تقسيم شرعي قال ( يا معشر النساء تصدقن وأكثرن بالاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعنة وتكفرن العشير ) أي تكفرن الإحسان فهذا كفر دون كفر ، فهذا تقسيم شرعي أتى به الشرع ،

التقسيم الاصطلاحي الذي اتفق عليه العلماء أو قسمه العلماء وهذا لا يلزم أن يتفقوا عليه مثل تقسيم التوحيد يقول هذا بدعة وما هو بدعة لأننا لا نبنى حكم وقلنا توحيد الإلهية لا نعذر فيه أو نعذر فيه وتوحيد الربوبية نعذر فيه ، بل المسألة كلها من باب واحد، هذا تقسيم حتى لا يفوت الطالب قسماً من الأقسام ، وإلا فلو أتى بعض الناس وقال نحن نذكر قسم آخر من أقسام التوحيد مثل الولاء والبراء مثلاً هو في الحقيقة من توحيد الإلهية لكنه لو جعله قسم مستقل لا يكن مبتدع ولا ضال ، أو إفرد الله عز وجل بالحكم أو إفرد الله بالتشريع ، بل البدعة الضلالة لو أنه سببى على ذلك حكم مستقل وحكم شرعي فهذا لا بد أن يأتي بدليل حتى يبنى عليه هذا الحكم ، أما العلماء قسموا فيقولوا لا يجوز الخروج عن تقسيمهم فلا يلزم هذا الكلام ، لأن العلماء لا يعطون حكم شرعي ، فالاصطلاح على تسمية علوم الدين توحيداً وفقهاً وتفسيراً وسيرة تسميات اصطلاحاً عليها لا يجوز أن يقل قائل أن علم التوحيد وكله من العلوم الاعتقادية هو من أصول الدين فمن خالف في أي مسألة من مسائل الأصول صار كافراً أو مبتدعاً وأن علم الفقه هو كل من العلوم العملية هو من فروع الدين فمن خالف في أي مسألة لم يكن كافراً ، هذا الآن بنى عليها حكماً ، فنحن لماذا أنكرنا على من قال أن أركان التوحيد لا يعذر فيها بالجهل وجعلها ثلاث أركان التي هي الولاية والحكم والنسك ، قال من يجهل هذه الثلاثة يكون كافراً جاهل ، فنقول لماذا لم تدخل الربوبية ولماذا لم تدخل الأسماء والصفات ولماذا لم تدخل الإيمان باليوم الآخر ولماذا لم تدخل الإيمان بالكتب والرسول وأنت أولى أن تدخل هذا وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنت تقول أنه في ولاية وحكم ونسك ؟ نعم أقول أن هناك حكم ونسك وإلهية وربوبية ، نعم أنا مقر بالثلاثة التي تقولهم ومصر عليهم أيضاً ، وأنا ليس منازع أن توحيد الربوبية أن تفرد الله بالنسك والذبح والدعاء والاستغاثة والركوع والسجود وسائر العبادات وأن تفرد الله بالحكم وأن تفرد الله بالولاية لأننا لا نتولى إلا الله ومن أمر الله بوليته ويتولى ، فنحن نقر بالثلاثة لكن لا نقول أنها حد معين ،

المشكلة أنه أعطى للتقسيم حكم شرعي وجعل أن هذا القسم مختلف وأنت الذي اخترعته وأنت الذي قسمته ، نقول لا مشاحة في التقسيم والاصطلاح طالما لم يبنى عليها حكماً ، إذن لو قلنا اليوم سندرس فقه وباكراً توحيد لا أحد يقول أتم مبتدعين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك وأنتم لماذا تألفون الكتب وتقولون للناس سندرس كتاب معين فهذا بدعة ، لا بل الأمر واسع طالما أننا لم نلزم بحكم شرعي بلا دليل ،

الأمر إنما هو اصطلاح ، مثلاً واحد جمع ما ورج في التفسير ومما كتاب تفسير والآخر يدرس فقه وأدخل معه كتاب تفسير فالأمر واسع ، إنما كان الغرض من التقسيم تسهيل الطلب وتسهيل التدريس ونحو ذلك

طالب : مثل القرآن لم يكن فيه أرباع ولا أجزاء .

الشيخ : نعم هذا صحيح فالذي يبيح حكم على أرباع القرآن ويقول للإمام لو لم تصلي ربع في الركعة لا تصلي بنا مثلاً أو نحو ذلك ،

التقسيم هذا ليس هو بدعة إلا لو بنينا عليه حكم شرعي

فقلنا مسائل الأصول والفروع لو أن إنسان جعل كل مسائل الفقه يعذر فيها المخالف وكل مسائل العقيدة لا يعذر فيها هذا كلام خطأ وباطل ،

مسألة وجوب صوم رمضان مثلاً :

مسألة فقهية من خالف فيها مسألة عملية فلو واحد قال صوم رمضان ليس بواجب يكون كافر ، ومسألة التفضيل بين علي وعثمان مسألة اعتقادية ومسألة كون الخضر نبي أو ولي مسألة اعتقادية ومع ذلك لا يكفر فيها المخالف ابتداءً ولا يبدع ، لأنها مسألة اتفق السلف على عدم تبديع المخالف لأن الدليل فيها ليس قطعيًا ، الدليل فيها ظني اجتهادي ، كون واحد قال بقول والآخر قال بقول هذا لا يخرج المخالف إلى البدعة فضلاً أن يخرج إلى الكفر ، فماذا لو أن واحد خالف في سيدنا موسى عليه السلام ؟ وقال أن سيدنا موسى هذا ليس بنبي وهو شخصية وهمية ؟ يكون خارج من الملة ،

لو واحد خالف وقال الخلاف في نبوة مريم نقول له خلاف سائق ليس مبتدع ، ولو واحد قال أن علي نبي يكون كافر ، لو واحد قال نبوة نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم يكون كافر أليس كذلك ،

فماذا لم نقل أن الذي قال مريم نبية لم نكفره ؟ مع أن المسألة من جهة النوع هي مسألة واحدة بعينها لأنه سيدخل في الأنبياء من ليس منهم على قول الآخر ؟

والرسالة متفق عليها أنها لا تأتي إلى رجال ، أما النبوة شيء آخر وهو أنه يأتيها نبأ السماء وهناك قول يقول نبوة مريم وآسيا ، أقصد أن هناك بعض العلماء قال بذلك فنقول أن الذي يقول هم ليسوا بنبيات ولا توجد امرأة نبية هل جهل هذه المسألة بأن يكفر فيها المخالف بأنه أدخل في الأنبياء ما ليس منهم ؟ الذي يقول مريم نبية يكون كافر عنده مثل من قال أن علي ابن أبي طالب نبي ؟ لا ، هي المسألة بعينها نوع واحد لكن نوع المسألة وأدلتها ، وأدلة نبوة مريم ظنية حتى نفي النبوة ظنية ، لأن من هم الأنبياء ؟ هم الذين أتاهم نبأ السماء وأتاهم الملائكة بالوحي ومريم أتاهم الملائكة وأوحي إليها ما سيقع أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ، فهي علمت أمور من الغيب والخطاب كان من الملائكة وروح القدس جبريل هو الذي كلمها ، لكن في الحقيقة لا نعلم هو كلمها كلام نبوة أم وحي مثل وحي الحواريين أم وحي إلى النحل ووحي أم موسى على قول الجمهور وقد جمع فيه على أنها ليست نبية ، أنا أقصد أنه في اختلاف رغم أن النبوة تثبت بكلام الملائكة ، الذي تكلمه الملائكة وتوحي إليه وحياً من عند الله لكن نقول أن هذه المسألة الأدلة فيها غير قطعية وبالتالي أصبح فيها اجتهاد وبالتالي بعض العلماء قال ذلك وبعضهم قال ذلك حتى أن جمهور المغاربة ينقلون ويقولون أن قول الجمهور أن مريم نبية وجمهور المشاركة يقولون أن جمهور العلماء يقولون أن مريم ليست نبية والمسألة كما ذكرنا فيها خلاف لا يبدع فيها المخالف ولا يضل فضلاً أن يكفر ، وهذا دليل إبطال التفريق بين مسائل الأصول ومسائل الفروع في مسائل التكفير وعدمه فليست المسألة مبنية على كونها مسألة اعتقادية أم عملية بل مبنية على نوع المسألة قطعية أم ظنية وهل الحجة بلغت أم لم تبلغ وهل هي مما انتشر العلم به أم لا ،

لأننا نقول القطعي نوعان

هناك قطعي معلوم من الدين بالضرورة وقطعي غير معلوم من الدين بالضرورة ، مقطوع به لكن غير منتشر ، في أي نكفر ؟ في الذي انتشر علمه بين المسلمين ، لا نكفر في توريث الجدة السدس رغم أنه إجماع لا يكفر فيه المخالف ، لا لأنها مسألة عملية لكن لأن العلم لم ينتشر بذلك.

ذكرنا أن ثبت حكم الإسلام ظاهراً بأحد أمرين :

بالنطق بالشهادتين لحديث أسامة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ( قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ) هذا نص بأن من يقول لا إله إلا الله يجب الكف عنه مجمع على ذلك من أهل السنة والإجماع نقله ابن رجب حيث قال ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً ، نقول الشهادتين فقط إجماع ينقله العلماء وهو معلوم من الدين بالضرورة ، لأن موضوع ترك الصلاة كما قلنا أنه في استمرار العصمة وليس في أصل ثبوت العصمة ، أصل ثبوت العصمة والدخول في الإسلام تثبت بالشهادتين فقد أنكر على أسامة ابن زيد قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف واشتد نكيره عليه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة ، يعني لزمه بذلك لكن لا يشترط ولا يقول له إذا لم تلتزم لا تكون مسلم ، فبمجرد النطق بهما يصير بذلك مسلماً وإن كان يلزم بعد ذلك بالصلاة والزكاة وسائر الواجبات

ويثبت كذلك الإسلام بالولادة لأبوين أحدهما مسلم فلو ولد طفل لأبوين أحدهما مسلم يكون الولد مسلماً سواء كان المسلم من والدية أمه أو أباه ، وكذلك لو أسلم أحد الأبوين والطفل دون البلوغ والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ( كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ) متفق عليه

بقي أمر ثالث فيه خلاف وهو الصلاة وهو أنه إذا صل الكافر صلاة يثبت بها الإسلام ظاهراً لحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل سرية قبل بعض القبائل العرب فبیتهم فاعتصم ناس بالسجود فقتلوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا بريء من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين وأعطاه نصف الدية ، وسماهم مسلمين بكونهم قد صلوا ، أثبت له حكم الإسلام بالصلاة ،

نقول من توقف في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين أو ولد مسلماً ولم يعلم عنه شرك ولا ردة فهو مبتدع لمخالفته إجماع السلف الصالح وإجماع المسلمين المنقول عند ابن رجب ، هذا التوقف وهو أن يتوقف بالحكم بالإسلام لشخص نطق الشهادتين حتى يمتحنه ويتبين من مدلول الشهادتين عنده بدعة ضلالة ، يقول أنا لا أحكم له بالإسلام حتى أعمل له امتحان وأنظر هل هو يعرف الحكم والولاية والنسك أم لا ، هذا باطل ،

كذلك الذي كفر الناطق بالشهادتين بسبب أن كثيراً من الناس اليوم في ظنه يقولون لا إله إلا الله ولا يعلمون معناها فيكفرهم ، هذه بدعة ضلالة أشد لأن هذا خلاف إجماع السلف الصالح ،

لأن كون واحد كفر جهل لا يعني أن كل الناس يكونوا كفرة أو جهلة ، فلو سلمنا أن كل الناس فعلاً كذلك ، لكن هذا مسلم لا أعرف عنه إلا النطق بالشهادتين فكيف لا أثبت له الإسلام ؟

لا يستثنى من ذلك إلا من قال الشهادتين حال كفره يعني وهو كافر كان ينطق الشهادة ، مثل من ارتد لحجده معلوم من الدين بالضرورة فهذا يسلم بأن ينطق الشهادتين ويرجع عما كان سبب رده بأن يقر بما حجده ، واحد يقول لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والقرآن فيه أخطاء فكيف يكون مسلماً ؟ يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله والقرآن حق كله حق لا خطأ فيه ،

واحد يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله واليهودية والنصرانية والبوذية والهندوسية كلهم سواء لا بأس بهم والذي يتدين بشيء منها يدخل الجنة ، فهذا يكون رده بغير جحد الشهادتين ، يسلم بأن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأبرأ من كل دين سوى الإسلام ،

وكذلك لو كان يهودياً أو نصرانياً يقول في حال كفره لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب فقط وليس رسول الله لغير العرب فهذا إن نطق الشهادتين لا يكون مسلماً بل لا بد أن يقول محمد رسول الله إلى الناس كافة ، فهذا معنى أنه ينطقها على البراءة من الكفر ، لئبرأ من كل ملة سوى ملة الإسلام ويتبرأ من الكفر الذي كان عليه خصوصاً أما لو قال أنا بريء من الكفر فقط فلا يكفي أن يقول برأت من كل ما يعبد من دون الله وإنما لا بد أن يرجع عما كان سبباً لردته أو سبب كفره ، فيقر بأن محمد رسول الله إلى الناس كافة ، يعني لو أتى واحد يهودي أو نصراني وقال برئت من كل ما يعبد من دون الله لا يكفي حتى يقول محمد رسول الله ولو كان يقول محمد رسول الله إلى العرب فيقول محمد رسول الله إلى الناس كافة ،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

## ٨٦- فصل استمرار العصمة لمن دخل في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله )

ذكرنا أن ثبوت أصل العصمة يكون مجرداً بالنطق بالشهادتين فقط ، وقد ذكرنا كلام الإمام ابن رجب بأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة فكيف الجمع بين هذا وبين إضافة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؟

الجواب هو في استمرار العصمة لمن دخل في عصمة الدم والمال متوقف على التزامه بالصلاة والزكاة وسائر حق الإسلام يجب الكف عن كل من قال لا إله إلا الله وعصمة دمه وماله وإثبات حكم الإسلام له حتى ولو لم يأتي وقت صلاة فينظر أصلى أم لا بل الحقيقة أن الحديث ( حتى يقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة ) دليل على استمرار هذا الأمر على الدوام لأنه لا بد أن ننظر خمس صلوات حتى تحول عليه أقوات خمس صلوات حتى ننظر أصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر أم لا بد أن ننتظر سنة حتى يكون عنده مال مر عليه الحول وربما لم يكن عنده مال فهل لا تثبت إسلامه إلا إذا انتظرنا أن يأتيه مال ويحول عليه الحول ثم تثبت إسلامه بعد ذلك وثبت له العصمة ؟

مقتضى كلام من يقول ذلك أنه لا تثبت العصمة أصلاً ولن تثبت لأحد لأنه طالما أنه لم يؤدي الزكاة لو حل الحديث على هذا على أصل العصمة لو أنه لم يأتي الزكاة بعد فلا تثبت العصمة فيكون مباح الدم والمال وهذا باطل بإجماع المسلمين ، فلذلك نقول أنه إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو مما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إلا بحقها ) هو من عموم حق لا إله إلا الله وهكذا فهمه الصحابة رضي الله عنه فإنهم كفوا عن الناس وعاملوهم بحكم الإسلام فلما منعوا الزكاة قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه فدل ذلك في استمرار العصمة لا في أصل ثبوتها فأصل العصمة في الدم والمال يثبت بالنطق بالشهادتين وأما استمرار العصمة فيإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر حق الإسلام ، استمرار العصمة مسألة مختلفة عن استمرار الحكم عن الإسلام ، نعم فقد يحكم عليه بزوال العصمة في ماله كالباخل بالزكاة منفرداً إذا كان شخصاً واحداً أو جماعة لا شوكة لهم ولم يقاتلوا ، قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ومن منعها فإننا أخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا لا يحل لآل محمد منها شيئاً ) فقد فقد العصمة في نصف ماله فقد عصمة نصف ماله وهو لا يرضى بأخذ النصف ومع ذلك تؤخذ منه الزكاة التي ليست حقاً له ويؤخذ نصف ماله عقوبة له وكذلك يفقد العصمة في يده التي سرق ، الذي سرق يفقد عصمة يده والذي زنا بعد الإحصان يفقد عصمة بدنه مع بقاء ماله ، يعني لا يجوز الزاني المحصن يجب قتله ومع ذلك ماله حلال ، بل ماله مملوك له ويورث عنه ولذلك نقول هناك فرق بين استمرار العصمة وبين حكم الإسلام ، حتى لا يظن أحد أننا قلنا بعدم استمرار العصمة أنه صار كافراً ، كما أنه قد تثبت العصمة لكافر بالعهد والأمان كما أن النبي صلى الله عليه وسلم عاهد من عاهد فعصم بذلك ما لهم ودمائهم وبعض الناس عاهدهم وجعل أموالهم ليست معصومة في قدر معين وهكذا فالأمر مختلف ، فلا يلزم من الحكم بالقتال الحكم بالكفر ، هناك كما ذكرنا أناس يقاتلون وليسوا بكفار ، فقتال مانعي الزكاة وقتال الخوارج عند جمهور أهل العلم ليس لكفرهم بل لامتناعهم عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة لأجل أنهم امتنع مانعوا الزكاة عن الزكاة وهو أمر عملي وامتنع الخوارج عن التزام أحكام الإسلام في تحكيم الدماء والأموال وعدم تكفير المسلمين وهو أمر عقدي فاعتقدوا حل دماء المسلمين واعتقدوا كفرهم فكان أمر اعتقادي فهذه الطائفة الممتنعة بعضها ببعض في أمر عقدي أو أمر عملي يقاتلون إذا أظهروا ضلالهم وانحرافهم ولا يلزم من قتالهم وقتلهم الحكم بكفرهم كما أن البغاة يقاتلون ولا يلزم من ذلك الحكم بكفرهم بل ولا بفسقهم إلا من كان يعلم أنه مبطل وأنه باغي فلا يجوز له ذلك وأثم وفاسق بفعله ذلك وأما من كان مجتهداً من البغاة فهو معذور ومأجور أجراً واحداً ولا يفسق مع استحقيقه للقتال ومن قتل منهم قتل بلا دية ، وهذا دليل على ما ذكرنا من التفرقة بين مسألة العصمة ومسألة الحكم بالإسلام ، يمكن أن يحكم بعدم عصمته في دم أو في مال وهو مسلم ، قاتل النفس يقتص منه ويمكن أن يعفى عنه وهو مسلم

طالب : الحاج بن يوسف الثقفي رغم قتله من قتل يكون مسلم ؟

الشيخ : نعم الحاج ابن يوسف الثقفي رغم قتله من قتل وانتهاكه حرمت المسلمين إلا أنه لا يزال مسلماً عند عامة أهل العلم وإن وجد طائفة من التابعين كفرت الحاج لأجل ما رأوا أن ما فعله من أنواع الظلم يتجاوز التأويل وأنه استحلال للمعلوم من الدين بالضرورة تحريمه ولكن هذا ليس بصحيح لأنه كان في الحقيقة متأولاً طاعة أمير المؤمنين يزيد ومن بعده ، وكل ما عمله الحاج فيه تأويل وهو رجل مجرم وهو رجل مجير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فلسنا بالذين نكفروه ،

في فرق بين استحقيقه للعقوبة بين تكفيره وبين عصمة الدم والمال وبين ثبوت حكم الإسلام ،

استمرار العصمة في الدم والمال بأن يبقى معصوم الدم والمال فلا يعتدي عليه أحد في دمه ولا في ماله ، أما كونه كافراً أو غير كافر فهذا موضوع سبق شرحه

الكبائر مثلاً بخلاف ترك المباني الأربعة ليس هناك خلاف في أن مرتكبها بشرط أن يكون غير مستحل ليس بكافر ومع ذلك فقد يرتكب المسلم كبيرة تستوجب استباحة دمه فيصير غير معصوم الدم وهو مازال مسلماً ، قتل نفساً بغير حق أو زنا وهو محصن أصبح غير معصوم الدم ، لو قتله قاتل لما كان فيه قصاص ، من قتل الزاني المحصن لعذره الإمام ولا يجوز قتله لأن الزاني المحصن غير معصوم الدم مع أنه مسلم ، نقول يعاقب من افتأت على الإمام في قتله ولكن لا يقتص منه ،

الزاني المحصن يجب رجمه فهو غير معصوم الدم لو قتله شخص غير الإمام لا يقتل به ولا يقتص من القاتل لأن القاتل غير معصوم الدم وإن كان القاتل يعذر لأنه افتأت على الإمام ،

نقول مثلاً لو ثبت حكم الزنا على شخص بأربع شهود عدول قبل أن يقتله الإمام أفتأ شخص وقتل هذا الزاني من تلقاء نفسه فلا يقتله الإمام قصاصاً لكن يعذره بالحبس أو الجلد أو غير ذلك ولا يقتله قصاصاً لأن الزاني المحصن غير معصوم الدم

وكذلك على سبيل المثال الذي منع حقاً واجباً عليه في المال فهو غير معصوم المال لو أن شخصاً منع حق زوجته وأولاده في المال وأتى شخص آخر فأخذ منه المال غضباً فأعطاه لأمراته وأولاده لا يقل للشخص الأخذ أنت غاصب أو سارق وإن عذره الإمام لفتأته على حق الإمام ،

وكذلك المرأة التي لها هذه الحق ذهب وأخذت من بيت هذا الرجل ومن ماله الذي في الحرز مالا ، لا يقال هي سارقة ولا يقام عليها حد السرقة لأن الخصومة التي وقعت بينهم ووجود حق لها شبهة تدراً إقامة الحد وهي لها حق في هذا المال ومسألة الظفر مسألة معلومة ،

كذلك مانع الزكاة بخلاف ما هو مسلم على الراجح لأن في خلاف سائق في المسألة وكذلك حتى لو قاتل الإمام عليها الراجح أنه لا يكفر بمجرد القتال ومع ذلك هو غير معصوم المال فتأخذ منه ولو قاتل عليها فقتل فكان دمه هدراً وغير معصوم الدم غيراً والذي قدر النصاب نصاب السرقة يده غير معصومة الذي سرق دون النصاب أو سرق شيئاً من غير حرز فعله غرامة مثليه ضعف ما أخذ يعني فهذا القدر من ماله غير معصوم ويعاقب بجلدات نكال ، والذي قذف جلده غير معصوم بشرته غير معصومة سيضرب ،

الأصل في المسلم أنه معصوم { إن دمائكم وأموالكم . وفي رواية . وأبشاركم حرام عليكم } يعني لا يجوز أن تضرب بشرة مسلم بغير حق ولكن إذا استحق الجلد بأنه قاذف فجلده بهذا يعتبر حقاً ، كل هذا ضمن قول النبي صلى الله عليه وسلم إلا بحقها ، نصاب السرقة ربع دينار ، كل

كل هذا ضمن قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إلا بحقها ) وكذا حديث ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة ) فيقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة داخله في الآتي ، ( فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمايهم وأموالهم إلا بحقها ) استمرار العصمة وحسابهم على الله ،

يجب الحذر من تكفير المسلمين ، من علم إسلامه بيقين لا نكفره إلا بيقين حازم ، من علم إسلامه بيقين وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو الولادة لأحد المسلمين لا نخرجه من الملة إلا بيقين مماثل ، التحذير من التكفير إلا بيقين لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه ) متفق عليه نسأل الله العافية ، أي رجعت إليه إثم التكفير وإثم التكفير كبير جداً قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به في النار ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله ) رواه البخاري ، فمن قال لأخيه المسلم يا ملعون فكأنما قله أي يأخذ أثماً وذنباً مثل قتله لأن قتله عظيم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً ) رواه البخاري فقتل المسلم خطر عظيم فما بالك بمن قتل الآلاف والملايين وهو جالس في بيته بأن يكفرهم أو يلعنهم لأنه يعتقد عقيدة الخوارج ، لأنه لو كان يقتلهم فعلاً بالسلاح لم يبلغ ذنب تكفيرهم بالملايين ، مثل من قال لم يكن في الأرض مسلمين غير خمسة نفر أو لا يوجد إلا الجماعة الذين بايعوا أميرهم المبتدعة على عقيدتهم الفاسدة ويكفر كل عموم المسلمين ويأخذ ذنب تكفير من سبق أيضاً من مئات الأجيال يقول المسلمين من عام كذا أو من أيام الاحتلال وكلهم كفار والعياذ بالله هذا خطر عظيم ، فمن اعتقد أنهم كفار من غير وجه حق كان عليه من الإثم الذنب العظيم

فهذا في الجملة لا بد من الحذر من التكفير لأن ذنبه ذنب عظيم .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

#### 14- العقيدة في الصحابة والخلافة والامامة

### ٨٧- العقيدة في الصحابة والخلافة الإمامة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،

القضية الباقية في هذا الكتاب نسأل الله أن يجعله مباركاً هو من أهم أبواب الكتاب ومن أهم أبواب الاعتقاد وفي الحقيقة أنه أخطر بدعة موجودة في المسلمين منذ أزمنة طويلة أكبر فرقة مبتدعة من الفرق المنتسبة للإسلام هي فرقة الرافضة ، فالاعتقاد في الصحابة والخلافة والإمامة والولاية وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كلها مسألة غاية في الأهمية ورغم أنها لم تذكر في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان ( أنت تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ) رواه مسلم إلا أنها في الحقيقة جزء من الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر ،

جزء من الإيمان بالله لأن حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من الحب في الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة في الله ) رواه البيهقي وابن أبي شيبة وغيرها وصححه الألباني فنحن نوالي أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ونوالي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

ومعاداتهم نفاق والعباد بالله لأنه ضد الإيمان ، الرسول قال أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، فموالاة الصحابة إيمان بغضهم نفاق معاداتهم نفاق معاداة من عاداهم وبغض من أبغضهم إيمان فهذا كله داخل في الإيمان بالله عز وجل ، فلا يكون هناك إيمان لمن يبغض الصحاب وأهل البيت لأن الله يحبهم فلا يكون هناك إيمان لمن يبغض من أحبهم الله ولا لمن يحب من يبغضهم الله فكذا من الإيمان بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم لأن القرآن متضمن بالثناء على الصحابة رضي الله عنهم وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومتضمن لمنزلتهم ومتضمن لوجوب مراعاة حبيبهم ، حق آل البيت وحق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال الله عز وجل { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } الرافضة يقولون أن هؤلاء الذين أعد لهم جنات يقولون أعد لهم نيران والعباد بالله ، وهذا من الضلال المبين ، قد قال الله عز وجل { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } الشوري ٢٣ الذين يناصرون أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم العدا ويسبون أهل البيت ويطعنون في أهل البيت يخالفون هذه الآية الكريمة ، قد كان هذا في العهد الأموي ، كان بدعة النصب موجودة في العهد الأموي وقد انقضت بحمد الله تبارك وتعالى أو شبه انقضت ، لكن بقي من يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصدق القرآن الذي شهد لهم بالفضل والسبق وشهد لمن تبعهم بالرضا والإحسان أن الله عز وجل رضي عنهم وضوا عنه ،

ونقول حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وحب الصحابة والترضي عنهم ومعرفة فضلهم من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من سب صحابته وبين فضائلهم وشهد لأعداد منهم بالجنة وبين من منهم أفضل هذه الأمة وأثنى عليهم ، قال ( لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَّ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ ) متفق عليه وبين صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وذكر باقي العشرة وأخير أنهم في الجنة كعكاشة ابن محصن وعبد الله ابن سلام وغيرهم ممن شهد لهم بالجنة فمن يطعن في هؤلاء طاعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ويكذب ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، وبين صلى الله عليه وسلم أن أفضل هذه الأمة أبا بكر ثم عمر والظاهر والله أعلى وأعلم بالاستنباط أنه بعد ذلك عثمان ثم علي ،

نقول أيضاً أن حب الصحابة وآل البيت جزء من الإيمان باليوم الآخر لأن من الإيمان باليوم الآخر الشهادة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وثبت أنهم من أولياء الله بنص الكتاب والسنة فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذلك يستوجب معرفة منزلتهم في الآخرة ، كذلك فمن اتهمهم بالكفر أو الفسق أو أنهم في النار فهو ضال مضل ،

كما أن معرفة الخلافة والإمامة في هذه الأمة من أعظم أسباب نخصتها بالنسبة للقضاء والقدر في الحقيقة أن الشيعة بأنواعهم يقولون في القضاء والقدر بقول القدرية النفاة ، الرافضة والزيدية كل منهم يقول يقول المعتزلة ، عامة الرافضة والزيدية في القضاء والقدر معتزلة ، ولذلك الشيعة والقدرية متفقان في نفس القدر في جملة أمورهم وإن كان منهم من يثبت القدر ومنهم من يغلو فيه ولكن كما ذكرنا عامتهم منكري القدر ، وكذا الزيدية تجد كتبهم التي تأتي من اليمن ونحو ذلك تصرح بأن القرآن مخلوق وتنفي القضاء والقدر ويعني خلق أفعال العباد ، لا يثبتون أن الله خالق أفعال العباد ولا يثبتون إرادة وقدره الله عز وجل على أفعال العباد الاختيارية والرافضة مثلهم في ذلك ،

نقول معرفة الخلافة والإمامة في هذه الأمة من أعظم أسباب نخصتها ومن أعظم ما يحفز هم المسلمين على العمل للوصول إلى ما أوجب الله عليهم من إقامة الأمة الواحدة التي بها ينتشر الدين وينتصر ويجاهد في سبيل الله عز وجل ،

وجود أصلاً دولة مسلمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته قضية عظيمة الأهمية في حس المسلمين ، أعداء الإسلام يريدون هدم هذا الباب ويريدون تشويه الصورة ولذلك اجتمعوا مع الرافضة في سب الصحابة ، تجد العلمانيين أذنان المستشرقين مع أنهم ليس لهم نفس اعتقاد الرافضة في البداية ولكن يريدون هدم صورة الخلافة الراشدة في نفوس المسلمين واتهام الإسلام بأنه ليس تطبيق في الواقع وأنه مجرد غياب الرسول صلى الله عليه وسلم ضاع الدين بالكلية واختلفت الصحابة واقتتلوا ولم يقيموا هذا الدين أصلاً ، مع أن وجود الاقتتال معلوم ولا بد أن نعرف خلاصة الأمر في هذا الباب ، ماذا يلزمنا اعتقادهم في أمر اختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ألا يتمكن الأعداء من صد المسلمين عما يلزمهم من إقامة الخلافة وإقامة واجب الدولة الواحدة التي تسعى إلى نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الدين ،

أضف إلى ذلك أن هذه المسألة هي من أكبر المسائل التي أدى الخلاف فيها إلى ظهور أكثر طوائف أهل البدع خطراً على المسلمين ومن أكبرهم عدداً ، يعني الآن الفرق المنحرفة شبه منقرضة من جهة العدد إلا الرافضة والزيدية قلة وهم في مآلهم إلى الاندثار ما بين أن يصبحوا رافضة وعامة الرافضة يبذلون جهداً خطيراً في تشييع الزيدية إلى مذهب الرافضة إلى أن يصبحوا رافضة بدلاً من أن يكونوا زيدية لأن الزيدية تميزوا بعد سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والاعتراف بخلافه أبي بكر وعمر وعثمان لكن هم في المراحل المتأخرة بعد قيام دولة الرافضة في إيران وامتدادها لبذور وجذور التشيع والرفض في كل بلاد العالم الإسلامي وغير الإسلامي فقد تأثر الزيدية بحكم جهل الكثيرين منهم وعداوتهم لأهل السنة تأثروا بهذا الفكر الخبيث والأحداث الأخيرة تشهد بذلك فالانتفاضة ليست زيدية في الحقيقة الواقعة والقتال الواقع في الفترة المأخرة قتال من أصبحوا رافضة وبين باقي المسلمين ، وجزء كبير من الزيدية قد تحول إلى مذهب أهل السنة من أيام الصنعاني والشوكاني رحمهم الله وهذا أيضاً في الزمن الحديث بعد الصحوة الإسلامية المعاصرة كثير جداً من الزيدية تحولوا إلى هذا المذهب ،



الإباضية هي الفريق الثاني من جهة الكثرة العددية بعد الرافضة ومازالوا يوجدون في عمان وبعض بلاد المغرب العربي في ترابلس الغرب وتونس وما حولها ينتشر المذهب الإباضي وإن كان عامة هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن المنهج .

الفرقة الأباضية خوارج وهم مازالوا على عقيدتهم المعتزلة في باقي أبواب الإيمان يقولون بنفي الصفات ويقولون بتكفير المسلمين وخلود عصاة الموحدين في النار بل لا يثبتون لهم التوحيد ويثبتون لهما الكفر والعياذ بالله وينفون القدر والعياذ بالله ، فأكبر فريق في ذلك هم الرافضة والحقيقة أن التاريخ الأسود لهذه الفرقة والعياذ بالله التاريخ المليء بالغش للمسلمين يبين كيف انتشر هذا المذهب بالحديد والنار من خلال الدورة الصفوية ،

عامة البلاد التي دخلها الرافضة في زماننا لم تكن بلاد فيها المذهب الرافضي وإنما انتشر هذا المذهب بقوة السلاح وفرضه من قبل الدولة الصفوية وأواخر عهد الدولة العثمانية بثلاثة قرون من فرض هذا المذهب على إيران وما حولها من البلاد وانتشر هؤلاء الرافضة رغم أنها كانت بلاداً سنية قبل ذلك ،

فمن أشد هذه الفرق خطراً على المسلمين فرقة الرافضة ومن أشدها عداوة لأهل السنة وهي طائفة الروافض أو الشيعة بأنواعها المختلفة لكن طبعاً أعوانهم الزهرية وهناك الرافضة الغلاة والرافضة والزيدية أو الشيعة المفضلة ،

طبعاً هؤلاء الغلاة موجودون أيضاً وهم من أكفر الفرق المنحرفة كالإسماعيلية والبهرة والدروز وكلها ضمن فرق الرافضة لكنهم غلاة الرافضة الذين هم كفار نوعاً نوعاً فهذا الخلاف من أقدم الخلاف الذي ظهر وكان اليهود وراء هذه البدعة في الأصل ظهر عبد الله ابن سبأ اليهودي الأصل الذي انتسب للإسلام وناقى وكان هو أحد المخرضين على قتل عثمان كما ذكر غير واحد من أهل السيرة ، وأحد المنشرين للقتال والمخطط له في واقعة الجمل وواقعة صفين بعد ذلك ، وهو الذي ابتدع بدعة الغلو في أهل البيت حتى زعم وصدق وراء زعمه ذلك طائفة أن علياً هو الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وحاول في ذلك ما حاوله اليهود في دين المسيح حيث دخل اليهودي بولس إلى دين المسيح زاعماً انتسابه إلى النصرانية ثم ابتدع البدعة الفظيعة الكفرية وهي تأليه المسيح ، أول من قال بإلهوية المسيح المسمى بولس الرسول رسول الشيطان ، وهو ليس من الخواريين ، والذين يأرخون بتاريخ النصرانية ليس المسلمون إنما غير المسلمين يقولون أن المؤسس الحقيقي للعقيدة النصرانية هو بولس وليس المسيح عليه السلام ، المسيح له تعاليم في الخير وتهذيب النفس وأما العقيدة فليست مأخوذة من كلام المسيح عليه السلام ، يحاولون إلصاق العقيدة بالمسيح وبالقطع واليقين ليست من كلامه ، كل من يقرأ كلام المسيح الموجود في الأناجيل وغيرها ليس فيه مثل هذا الاعتقاد بحال من الأحوال فحاول هذا اليهودي عبد الله ابن سبأ ذلك الأمر في علي واتبعته طائفة منهم هم السبائية وهي فئة شيعية غالية ظهرت في التاريخ في عهد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الذي طلب القبض على عبد الله ابن سبأ لما سمع بهذه المقالة الفظيعة فهرب منه عبد الله ابن سبأ وأدرك علي أصحابه ودعاهم إلى الإسلام وحذرهم من مغبة كفرهم حين اعتقدوا فيه الإلهية ولما أصروا قتلهم بنفسه حرقاً بالنار ، وكان ذلك مما أخذ عليه ، ابن عباس رضي الله عنه قال لما بلغه ذلك قال لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه ) رواه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي ، فقال علي رضي الله عنه ويح ابن عباس بحث عن الهمة يعني يبحث عن السقطات الصغيرة وقال

لما رأيت أمراً عظيماً منكراً أجحت ناري ودعوت قنبرا

وهو يرر لماذا حرقهم يقول رأيت أمراً عظيماً منكراً برر الفعل بأنه رأى أمراً عظيماً ما كان يتصوره أزهله وأنساه نحي النبي صلى الله عليه وسلم عن التعذيب بالنار واستحسن في النهاية قول ابن عباس ،

والعجب أن هؤلاء القوم ظلوا على اعتقادهم الكفري رغم حرقهم بل قالوا أيقنا أنك أنت الله لأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار وأنت تعذب بالنار فظلوا على كفرهم ، ظلت هذه الطوائف مؤثرة تأثيراً فظيماً في المسلمين ، هذه الطائفة العلوية والنصيرية الذين يألهون علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لم تزل عبر التاريخ الفرق الموالية لأعداء الإسلام ، تكره المسلمين كراهية فظيعة وهم يعتقدون بإلهية علي رضي الله عنه وإن كانوا في الحقيقة بلا دين ولا ملة ولا يمكن أن يكونوا ضمن فرق الأمة ، من يدخل منهم في الإسلام يقتل يعني أكثر مما يفعلوه النصاري أن الذي يسلم منهم يقوم العلويين والدروز يفعلوا هكذا أيضاً فيمن يدخل في الإسلام ، ويهربون من بلادهم بأسرها ، يعني تجد الناس الذين يريدون الإسلام من الدروز والعلويين يهربون ويقولون لو عشنا هناك سنقتل ، لو عاشوا في سوريا أو في لبنان أو في وسط مناطق الدروز ومنتشرون في تركيا والعراق وسوريا وطائفة متعصبة جداً ضد أهل الإسلام وهم أعوان اليهود الطائفة الوحيدة التي يسمح لهم أن يكونوا ضباط في الجيش الإسرائيلي طائفة الدروز الذين يألهون الحاكم بأمر الله وأي طائفة أخرى لم يكن أن يكونوا ضباط ممكن يجندون فقط ،

لا يمكن أن يكون هؤلاء ضمن فرق الأمة لأنهم خارجون منها بالكلية لكن من ينظر في تاريخ هذه الفرقة والفرق الباطنية التي تعتقد إلهية أحد الأئمة أو كل الأئمة من أهل البيت كما يزعمون أو الإمام القائم كما يقولون على فرقهم المختلفة كالإسماعيلية والقرامطة والبهرة ، مازال البهرة يحاولون إحياء التراث الفاطمي ويأتون كل عام لإحياء المساجد التي بناها الفاطميون والشيعة يتركزون الذين أتوا من العراق تركزون في هذه المساجد ، وكانوا عرجوا كسوة مقام الحسين بالذهب وهو تعبیر عن التعظيم ، وكل مرة يأتي سلطان البهرة ، و Sultan البهرة موجود بالهند وطائفة عندهم جامعة تسمى الجامعة السيفية افتتحها الشيخ عبد الحليم محمود ونظن أنه لم يكن يعلم بحقيقة مذهبهم غفر الله له لكنه هو الذي افتتح الجامعة

السيفية هو شيخ جامع الأزهر لأن الفاطمية هم الذين بنوا الجامع الأزهر وأراد شيخ الجامع الأزهر أنه هو الذي يفتتح الجامعة السيفية بالهند تدرس التراث الباطني وطبعت لهم دار المعارف كتاب تأويل الدعائم تأويل القرآن وتأويل الأحكام وأركان الإسلام على خلاف ما هو معلوم عند المسلمين ، أحد كبار الطائفة الإسماعيلية مدفون في جزيرة النباتات في أسوان ومعروف بقبر أغاخان الكبير وقبره مشهور وهو مزار سياحي لكل المسلمين والكفار الذين يذهبون إلى أسوان ، جزيرة في وسط النيل تسمى جزيرة النباتات فيها قبر أغاخان زعيم الطائفة الإسماعيلية وهو آخر أكبر المعظمين وكان في عهده يوزن بالذهب ويعطى وزنه ذهب كل عام من أموال الطائفة لكن هذه الطائفة الإسماعيلية تاريخها في أفغانستان وباكستان تاريخ خبيث جداً من أكبر أعوان الاحتلال الروسي ثم الأمريكي لأفغانستان ومن الفرق المحرصة ضد المجاهدين عبر فترات الاحتلال ،

طالب : وزوجته البيغوم أغاخان ؟

الشيخ : نعم البيغوم هذه كانت زوجته وكانت مازالت حية بعد وفاته وكان موصي بوضع كل يوم وردة حمراء على قبره وكان الناس كل يوم يرون الوردة الحمراء توضع كل يوم على قبره

وهم يظهرون أنهم يؤمنون بالقرآن وأن لهم كلام مختلف تماماً عن أهل الإسلام بالكلية ، هذه الفرقة تحاول مد الجزور مع جامعة الأزهر لكن بفضل الله عز وجل الأمر إلى الإضمحلال ، أقصد لم يقوى خصوصاً بعد فضح معتقدات الشيعة ومخططاتهم في محاولة السيطرة على مصر مرة أخرى ،

الطوائف المختلفة التي تمتد للفكر الباطني الشيعي العالي الذي ظاهره التشيع وباطنه الكفر ويظهرون الرفض وباطنهم الكفر المحض ، يعني الدولة الباطنية الذين يسمون بالفاطميين الذين يظهرون أنهم رافضة لكن حقيقتهم أنهم إسماعيلية باطنية أحببت من الرافضة ، الرافضة هناك اختلاف في تكفيرهم لكن الباطنية لا خلاف في تكفيرهم نوعاً ودينياً ، الذي ينظر في تاريخ هؤلاء يجد أن هذه الفرق كانت دائماً أكبر معول هدم في المجتمع المسلم والدولة المسلمة ويكفي أن أعداء الإسلام من الصليبيين كانوا دائماً يعتمدون عليهم ومازالوا في كثير من بلاد المسلمين هم أعظم من يعين اليهود والنصارى على قضاء ما يريدونه من بلاد المسلمين ومعلوم أن الغرف في البلاد التي احتلها كان يمكن لهذه الطوائف من المواقع الحساسة الخطيرة التي يتمكن بها من خداع ملايين المسلمين ، يعني حتى اليوم لا بد أن المراكز الحساسة في الجيش التركي تكون من الطائفة العلوية ، كبار الضباط الأتراك في الجيش التركي وهو حارس وحامي حمى العلمانية بكل قوة لا بد أن يكون من الطائفة العلوية ويتمكنون بها من خداع ملايين المسلمين بانتساب هذه الطوائف إلى الإسلام مع كونهم في الحقيقة يحاربون الإسلام بكل قوة ومعلوم عبر التاريخ أن الدولة الباطنية المسماة في التاريخ بالفاطمية ،

طالب : ( كلمة غير مفهومة )

الشيخ : لا بل الطائفة العلوية في الأتراك قليلة جداً ، لكن عامة الأتراك سنيين لكن العلويين في تركيا والعلويين في سوريا نسبة ضئيلة للغاية لكن الاستعمار مكنتهم من الأماكن الحساسة ومعروف تاريخهم في سوريا ، وكان أنور السادات بعد أن هاجوا عليه في كامب ديفد قال جزء من التاريخ وأنا سمعتها بنفسي في خطبه له كان يقول أن الملك فيصل لما قال له أننا سنحارب قريباً وكان يتفق معه لحرب ١٩٧٣ وقال له أننا سنشارك مع سوريا فقال كيف سوريا وحافظ الأسد علوي فقال عدراً جلالة الملك نحن اتفقنا على ذلك ، فهو في الحقيقة مجرد الجامع المصرية بدأت تحقق أغراضها وحصلت على تحرير القناة وجزء من سيناء بدأ الإنخيار في الجبهة السورية فأنور السادات كان وزير الدفاع في حرب ١٩٦٧ وكان أنور السادات كان يقول كل العالم والكل الخبراء في العالم يعلمون أن الجولان تم بيعها وهي هضبة لا يمكن دخولها للقوات لأن عسكري واحد بمدفع أو أر بي جي يهزم كل الدبابات ثم أن الجولان أعلن سقوطها في عام ١٩٦٧ قبل أن يدخلها عسكري إسرائيلي واحد ، نحن لا نقول هذا الكلام بل الرجل الذي معهم هو الذي يقول ذلك لأن فعلاً تسليم الجولان بهذه الطريقة وفعلاً أخبرني بعض العساكر المشتركين في حرب ١٩٦٧ أن الأوامر صدرت لهم بالانسحاب ونحن لا نرى أحد أمامنا أصلاً والجيش الإسرائيلي لم يصل بعد وأمرنا بالانسحاب دون أن يكون أمامهم أحد ، فسبحان الله ، هذه الطوائف فعلاً لا يتصور أنها تخدم قضية العرب والمسلمين لا في القدس ولا في قضية عرب ولا غيره بل العلويين في تركيا وفي سوريا والشام من أخطر الفرق ، نسأل الله العفو والعافية .

نقول ومعلوم عبر التاريخ أن الدولة الباطنية المسماة في التاريخ عبر الفاطمية التي كان عقيدتها هذا الكفر الفظيع الذي هو الغلو في التشيع الذي يعتقد الإلهية في غير الله عز وجل الذي وصل إلى تأليه الأئمة وتآليه القائمين بالأمر كانت أعظم سبب لسقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين حينما سقطت في أيدهم ، نسأل الله العافية ،

يعني فعلاً اقتران سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين بظهور الدولة البعيدية والدولة الفاطمية خلال فترة ملكها سقط بيت المقدس وخصوصاً لما أظهرت أنواع البدع المنكرة ، والدولة الفاطمية كانت تظهر التشيع وتبطن الكفر الباطني والعياذ بالله ، لأنه أصلاً عقيدتهم عقيدة الباطنية وإنما أقرب أهل البدع إلى هذا الكفر كانوا الرافضة ولذلك كانوا يظهرون الرفض ،

حقيقة كما ذكرنا أن الفترة الأخيرة والثمانين سنة الأخيرة من هذه الدولة الباطنية وهي استمرت ٢٨٠ سنة قرب ثلاث قرون جائئة على صدور المسلمين وعلى رقاب المسلمين ، وآخر ثمانين سنة منها شهد احتلال بيت المقدس ، ما تحرر بيت المقدس إلا بعد سقوط هذه الدولة ببسير ، بعد إلغاء الخلافة العبيدية وهي ليست خلافة بل خلافة شيطانية خليفة الشياطين والعياذ بالله ، فبعد أن ألغى صلاح الدين الأيوبي بأمر نور الدين محمود الدعاة للسلطان للخليفة العاضد آخر حكام الدولة الفاطمية بعدها يسر الله عز وجل بسنوات

معدودة فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي أيضاً ، معلوم أن صلاح الدين جاء إلى مصر بجيش من قبل نور الدين محمود لما استغاثه العاضد على وزير شاور لما تعاون مع الصليبيين ، أرسل له العاضد بشعرات من شعر نسائه يقول أدركني لأنهم كل الباطنية متحالفين أصلاً مع الصليبيين لكن التحالفات تختلف بعد حين فكادت أن تسقط الدولة في أيدي الصليبيين فأرسل نور الدين محمود أسد الدين شيركوا وصلاح الدين ابن أخيه إلى مصر وسيطروا على الموقف وأخذ الوزارة يعني أصبح هو الممتلك هناك وترك الأمر مدة في أن يخطب للعاضد خطبة ولكنه باق في قصرة ولا دخل له بمصير الأمور وولى العاضد صلاح الدين الوزارة ولكن كان لا شيء له على الإطلاق وظل نور الدين محمود يؤكد على صلاح الدين إلغاء الدعاء للخليفة العاضد في الخطبة علامة المولاة ، والدعاء يجوز لواحد كافر { وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } إبراهيم ٣٦ ولكن الكلام هنا على أن الدعاء في الخطبة علامة على الاعتراف بالولاية وعلى متابعة لهذه الولاية فظل صلاح الدين متردداً مدة حتى هدده نور الدين بأن يصير إليه إلا لم يقطع الدعاء للخلافة الفاطمية ففعل صلاح الدين ذلك وألغى الدعاء لهم على المنابر وجعل الدعاء للخليفة العباسي وعادت مصر مرة ثانية دولة سنية بفضل الله ،

كذلك فتنة القرامطة الذين اقتلعوا الحجر الأسود من بيت الله الحرام وظل عندهم عشرين سنة وقتلوا من المطاف من الحجيج وطوق بئر زمزم ، معلوم خطر هذه الفرق على الأمة والرافضة غير الغلاة مع غلوهم وضلالهم لكن خصصنا من قبلهم باسم الغلاة للتفريق بينهم في الحكم فالرافضة يسبون الصحابة خصوصاً أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لا يعتقدون بالوهية علي رضي الله عنه ، هؤلاء الرافضة هم الشيعة الإمامية الإثني عشرية وهم معتقدين على خلافة علي ابن أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم وأن علي أو أول الخلفاء ويطعنون في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ويطعنون في أشخاصهم ، فيكون الخلاف في الإمامة والفضل ، هم يطعنون في خلافة الخلفاء الثلاثة يقول أول خليفة هو علي ابن أبي طالب ،

لكن الرافضة الذين ليس بغلاة هم غلاة في آل البيت لكن الغلو هنا اصطلاح اسمه غلاة الرافضة ،

كلن الغلاة الرافضة الذين ليسوا بمعتقدين بإلهيه ولا بنبو لأحد من الأئمة فهؤلاء في تكفيرهم خلاف مشهور والجمهور لا يكفهم بالعموم ، وإن كان أقوالهم كفرة ، الطعن في خلافة الخلفاء الراشدين طعن في إجماع الصحابة رضي الله عنهم وطعن فيما دل عليه القرآن من فضلهم وهم يأولون ذلك تأويلات من أبعد ما يكون والتأويل أن الفضائل المذكورة في القرآن في فضلهم كانت قبل أن يرتدوا والعياذ بالله وهذا قول من أبطل الباطل فكيف يمدح الله من يتبع هؤلاء من بعدهم ويدعوا لهم وهو يعلم أنهم يموتون على الكفر وهو يعلم أنهم يرتدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من أبطل الباطل ولذلك يلزم هذا القول الكفر ، لازم القول بالفرض الطعن في القرآن ولكن من لا يطعن في القرآن منهم ولا يقول بالتحريف هذا لا يكفر عينا حتى تقام عليه الحجة لأنه لا يلتزم هذا اللازم ، الذي يلتزم لازم تحريف القرآن كافر ، الذي يلتزم لازم نبوة آل البيت وألوهيتهم كافر ، ولكن من لا يلتزم ذلك وإن كان يعاملهم أشد من الأنبياء ويحترمهم أعظم من الأنبياء بل ومنهم من يفضل علي والنصوص كثيرة جداً عند الرافضة في تفضيل علي على عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام وهذا من الكفر في الحقيقة وإن لم يلتزم نبوته ، لكن لو التزم النبوة بالتصريح يكون كافر وخارج من الملة ، لكن هذا القول عند كثير منهم أن الإمام المهدي أفضل من الأنبياء وهذا أيضاً من الضلال المبين وإن نقل عن بعض المتقدمين نقلاً غير صحيح في فضل المهدي لكن ليس كذلك، بلا شك أن النبي أفضل من جميع الأولياء وكل نبي أفضل من جميع الأولياء ،

فنقول لا يثبت هذا الفكر العالي الفظيع الكفري إلا بين هذا الوسط المبتدع الذي وسط بدعة التشيع ، يعني الرافضة هم الذين يخرج منهم الغلاة، بدعة التشيع التي هي في الجملة لا تدين بذلك صراحةً فمعظم الشيعة لا يدينون بالوهية الأئمة ولكن لوازم قولهم من تفضيل الأئمة والأولياء واعتقاد أن الأئمة لهم سلطان على كل ذرات اليوم وأنهم يعلمون علم الغيب نحو ذلك ما لهم إلى تأليههم في الحقيقة لكن ليس بتصريح كالفرق الغالية ، الفرق الغالية منهم يصرحون ويقولون علي هو الله والحاكم بأمر الله هو الله ، والحاكم المعز لدين الله الفاطمي هو الواحد القهار والعياذ بالله ، الغلاة منهم يصرحون بأن علي هو الله القائل بالأمر هو الله والأئمة يجتمع فيهم الناسوت واللاهوت كالدروز يعتقدون بالوهية الحاكم بأمر الله أنه ناسوت ولاهوت جزء ناسي وجزء إلهي كذلك الطوائف الإسماعيلية وغير ذلك ،

المقصود أن هؤلاء خطرهم كبير وولائها لفكر هذه الدولة التي تنشر الفكر الشيعي وتحارب من أجله بمهد لظهور الفرق الكافرة الخارجة عن الملة نوعاً ووعياً ،

بلا المسلمين اليوم عظيم الخطر لهذه الدولة ، دولة ذات تعصب شديد لمذهبها تنص في دستورها على أن مذهبها هو مذهب الإمامية الجعفرية الإثني عشرية وتضطهد أهل السنة أعظم اضطهاد فهذا يجهل في الحقيقة لظهور الفرق الخارجة من الملة بالكلية بالإضافة إلى أن لوازم هذا المذهب الرافضي من أنواع الكفر كثيرة مع أن هناك طائفة من العلماء يكفرون هؤلاء الرافضة ويخرجونهم من الملة ونحن نخطئ من يقول ذلك ولا نبدعه ،

طائفة الرافضة غير الغلاة هناك نزاع بين أهل العلم في تكفيرهم بالعموم ، والفرق بين التكفير بالعموم والتفكير بالنوع ، النوع نقول هذه العقيدة كفر أما التكفير بالعموم تعيين لطائفة وتعيين لجماعة ، مثل أن كل درزي كافر وكل علوي كافر وكل إسماعيلي وواحد من البهرة كافر شخصياً ولكن كل رافضي كافر لا ، بل عقائد الرافضة كفر ، بعض أهل العلم يخرج الرافضة من الثنتين والسبعين فرقة وهو اجتهد سائق عند أهل السنة لا يخرج قائلة من أهل السنة لكنه قول مرجوح والصحيح أن هذه الفرقة ضمن فرق الأمة ، إنما يكفر المعين منها بعض إقامة الحجة ولهم أقوال كفرة لكن المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة وهذا كلام تجده في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ظاهراً مع أنه من أشد الناس على

الرافضة ومع ذلك فهو يقول الرافضة من جنس الخوارج ومن جنس الطائفة الممتنعة عن الشريعة يختلف الحكم بين الطائفة التي تقاتل والواحد المقدور عليه منهم ، وأكثر العلماء ينقلون عن الأئمة عدم تكفير الرافضة ،

أما طوائف الدروز الإسماعيلية والباطنية بصفة عامة كالعلويين فهم كفار نوعاً ودينياً كما سبق قبل ذلك ،

إذا أضفنا هذه المسألة لما سبق تبين لنا أهمية مسألة الاعتقاد في الصحابة وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة والإمامة ،

نذكر بعض الأدلة في فضل الصحابة :

قال الله تعالى { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ } التوبة ١٠٠ هذا دليل على فضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله ذكر والذين اتبعوهم ، فمضى يكون اسمهم اتبعوهم ولم يتبعوا الرسول مستقلاً فهم اتبعوا الرسول بلا شك ولكن أقصد لا يقال اتبعوهم إلا بعد أن يفوت اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فمن تابع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فهو أصلاً من الصحابة رضي الله عنهم لأن من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك فهو من الصحابة لكن الذين اتبعوهم بإحسان إنما أتى بعد ذلك { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } الحشر ١٠ فهذا دليل على أن علم الله في أن الصحابة يموتون على الفضل الذي ذكره أولاً ،

قال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } التوبة ١٠٠ فبين الله عز وجل فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم على أصح الأقوال الذين أسلموا قبل صلح الحديبية، الذين سبقوا { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ } الحديد ١٠ الفتح هو صلح الحديبية كما قال الله { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } الفتح ١

قال عز وجل { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } الحديد ١٠ الفتح على أصح الأقوال هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة ولا شك أيضاً أن من أسلم قبل فتح مكة أفضل ممن أسلم بعدها ، وقيل أيضاً من السابقين من المهاجرين والأنصار ومن صلى إلى القبيلتين أي من أسلم قبل تحويل القبيلتين ، هذا الذي ذكره أهل العلم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين أسلموا قبل فتح الحديبية هو الصحيح بدلالة القرآن على ذلك ، والقرآن فرق بين من أسلم قبل الفتح وقاتل وبين من أسلم بعدها وقاتل ، مدح الله الذين اتبعوهم بإحسان ولا يسمى تابعاً لهم إلا من أتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل التابعين أويس ابن عامر القرني ) رواه مسلم لفظ التابعين هم من رأوا الصحابة ولم يروا النبي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على ثباتهم على الإيمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله لا يتكلم في حق من يعلم أنهم يرتدون أو يفجرون أو حتى يفسقون كما زعم الشيعة الضلال بمثل هذا الكلام ، الله لا يتكلم في حقهم بمثل هذا الفضل ولا يمدح من تبعهم وهو عز وجل العليم الحكيم ويخبر الله عز وجل أنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ، فكيف يكون هذا في حق من علم الله أنه يرتد ، هذا دليل على أن الصحابة يثبتون على الإيمان ولا ينحرفون عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،

والشيعة يزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم قبل ردتهم وهذا لا يمكن أن يكون لأن الله تعالى امتدح الذين اتبعوهم بإحسان كما امتدح الذين جاءوا من بعدهم قال تعالى { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصَرُّونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْخِ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } الحشر ٨ فتبين بذلك سلامة قلوب أهل السنة وألستهم ، سلامة القلوب لأنهم لا يجدون غلاً ، سلامة الألسنة لأنهم يدعون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس فيها غل ولا حقد لهم بل على ألستهم الدعاء وفي قلوبهم الحبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قلوبهم وألستهم الشهادة لهم بالإيمان بنص القرآن بخلاف من أمروا بالاستغفار لهم فإذا بهم يسبونهم ، ذلك نقول قد مدح الله الذي قد جاءوا من بعدهم وهو عز وجل يعلم الغيب ومدح الذين يمتدحون الصحابة ويشهدون لهم بالإيمان ويشهدون لهم بالسبق كما قال ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فكيف نقول بعد ذلك أن هذه الآيات نزلت فيهم إذ كانوا مسلمين ولما ارتدوا لم يكن لهم هذا الفضل نعوذ بالله من التناقض الفظيع والتكذيب في الحقيقة للقرآن وإن كان لابد أن يبين لصحاب هذا الكلام تكذيبه وتناقضه ذلك لأن أكثرهم لا يعتقدون ولا يفهمون بل حتى لا يعلمون معاني الآيات وكثير منهم لا يحسن العربية ليفهم هذه المسائل ،

نقول قد بين الله تعالى فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه خصوصاً حيث قال عز وجل { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبة ٤٠ وهذا من أعظم فضائل أبي بكر الصديق أنه إذا أطلق صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فهو أبو بكر وبين عز وجل رضاه عن الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة فقد قال الله تعالى { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } الفتح ١٨ وهذا لا يقال إلا في حق من ثبت على الإيمان والأدلة على فضلهم في الكتاب والسنة كثيرة ثابتة لا ينزع فيها إلا ظالم ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) متفق على صحته ، هذا الحديث وهذه الرواية خصوصاً تدل على أن خير الناس بعد الأنبياء هم الصحابة رضي الله عنهم لأنه قال خير الناس قرني فالجيل الذي صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أصحابه المؤمنون منهم قطعاً ، المؤمنون منهم وإلا هناك منافقين ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسمى من الصحابة شرعاً ، لأن تعريف الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك ، ،

( ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) فالتابعون فتابعوا التابعين هم أفضل هذه الأمة في الجملة ،

القرن معناه الجيل ، الذين لقوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس مائة سنة

مسألة :

هذه الأدلة هل تقتضي تفضيل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن أتى بعدهم أو كل واحد من التابعين على كل واحد ممن أتى بعدهم وكذا في تابعي التابعين أم هو تفضيل في الجملة ؟

نقول وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فلا شك في سبقهم لأن الله عز وجل قال { وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } الجمعة ٣ { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } والله أعلى وأعلم ،

وهؤلاء السابقون هم أفضل السابقين من هذه الأمة ويوجد سابقون بعدهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( في قرن من أمتي سابقون ) صححه الشيخ الألباني وقال تعالى عن السابقين المقربين { ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ } الواقعة ١٣ والراجح من هذه الأمة يعني الأولين من هذه الأمة والآخرين من هذه الأمة ، إذن هناك قليل من السابقين في الآخرين ، بعض العلماء يقول ثلثة من الأولين الأمم المتقدمة ، وقليل منه الآخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم بكل النصوص ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم ( خير الناس قرني فكيف يكون فيمن قبلهم أكثر من السابقين في هذه الأمة وهي خير الأمم ؟ بل الصحيح أنها ثلثة من الأولين من هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالخيرية في الأولين أكثر ، والسبق في الأولين أكثر ،

نحن الآخرون في الزمن الأولون إلى الجنة يوم القيامة ، نحن السابقون يوم القيامة هذا دليل على أن الأمة أسبق الأمم ولذلك نرجح أن ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين من هذه الأمة ، إذن دليل على أن هناك سابقون من المتأخرين ، وهذا يدل على أن هناك من يسبق بعض من تقدم ولذلك نقول لا يلزم تفضيل كل واحد من الصحابة على كل من أتى بعد ذلك لأن ربنا عز وجل أخبر عن الأبرار أنهم ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين ، إذن في الصحابة سابقون وأبرار في التابعين قليل من السابقين وكثرة من الأبرار دل ذلك على وجود بعض السابقين من المتأخرين يسبق بعض الأبرار من المتقدمين ، ولكن كما ذكرنا الذين نص الله على سبقهم فلا يسبقهم أحد { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } التوبة ١٠٠ وكل من أتى بعدهم يكون تابع حتى من كان سابقاً فهو تابع لسبقهم لذلك نص على أن السابقين الأولين الذين أسلموا قبل الفتح جميعهم سابقون إلى الله عز وجل لأن القرآن سماهم سابقين وأخبر أن من بعدهم لا يبلغ درجتهم { وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } الجمعة ٣ وإن كان سابقاً لكن لا يلحق بهم .

في أصحاب اليمين قال ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين يظهر بذلك أن التفضيل بعد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار إنما هو للمجموع مجموع الصحابة على مجموع التابعين ومجموع التابعين على مجموع تابعي التابعين ومجموع تابعي التابعين على من يأتي بعدهم ، أما أن يكون التفضيل لكل واحد منهم فهذا لا يلزم من الأدلة والله أعلى وأعلم ، وإن كان بعض العلماء يقول ذلك يقولون أن صحابي واحد أفضل من كل من أتى بعد ذلك أو لحظة رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم تثبت بها كل من أتى بعد ذلك ، لا يلزم ولا دليل على ذلك ،

الدليل على فضل المجموع على المجموع وفضل السابقين الأولين

لا شك أنه كان في من صحب النبي صلى الله عليه وسلم من قال الله تعالى فيهم { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } الحجرات ١٤ والظاهر أنهم ليسوا منافقين النفاق الأكبر ولكن كان فيهم خصال النفاق ولقد كان النفاق الأصغر موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ ) متفق عليه وهؤلاء معدودون في الصحابة ، يعني وصف الصحابة لا يلزم منه أنه لا يكون قد ارتكب ما يأثم به ، كذلك وجد فيهم من ارتكب الكبائر وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لو كنت راجماً أحداً بغير زناً لرجمت هذه ) النبي صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين أن اليمين الخامسة فيها عذاب الله عز وجل وفيها لعنة على أحدهما فقال ( أحدهما كاذب ) والإثنان معدودان من الصحابة وليسوا من المنافقين ، وهذا يدل على أن من ارتكب الكبائر سمى الله عز وجل بعضهم من كذب قال { إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } الحجرات ٦ ولم يكن كافراً منافقاً وإنما كان فاسقاً كما نص القرآن عليه ،

طالب : وقول النبي ( مد أحدهم )

الشيخ : قول النبي صلى الله عليه وسلم ( إذا أنفق أحدكم مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ) هذا كان خطاب لخالد في مواجهة عبد الرحمن ابن عوف أحد السابقين الأولين فيكون هذا الخطاب كان للصحابة السابقين الأولين لذلك قلنا أنه لا يسبق أحدهم ،

وقد كان في المجتمع المسلم في المدينة جمع الأنواع . المناق الذي في الدرك الأسفل من النار ومن فيه شعبة من النفاق ومن هو مؤمن الإيمان الواجب ومن هو مؤمن الإيمان الكامل المستحب بعد ذلك وسوف يولد في المسلمين بعد ذلك هذه النوعيات ،

فالصحيح تفضيل مجموع الصحابة على مجموع من يأتي بعدهم وكذا مجموع التابعين ومجموع تابعي التابعين أما السابقون الذين وصف الله تعالى سبقهم ووصفهم من الصحابة فلا شك أنهم أسبق من السابقين من غيرهم والله أعلى وأعلم ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ) أي لو أنفق أحد من الناس مثل جبل أحد ذهباً في سبيل الله ما بلغ إنفاق الصحابي ملئ كفيه في سبيل الله لأن الله تعالى أقام الإسلام بنفقات هؤلاء الصحابة وإنما أسلم من بعدهم بنفقاتهم وإن كانت قليلة ولكن الله عز وجل أقام الإسلام بما ولذلك كان إنفاقهم أعظم من إنفاق غيرهم وأكثر مضاعفة بل في الحقيقة إنفاق غيرهم إنما هو في ميزان حسنات الصحابة لأن إنفاق غيرهم كان بجهدهم ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد ابن الوليد في شأن محاصمته لعبد الرحمن ابن عوف عندما نال منه خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي ، نعم فمن الذي كان في إسلام خالد وفي بقاء الإسلام وفي من يعبد الله في الأرض إلا أهل بدر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَاةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ) رواه مسلم ، وكذلك ثبات المسلمين في غزوة الأحزاب أيام أن كان خالد مشركاً بل كان يقاتل في جيش الكفار ، إذا كان الأمر كذلك تبين أنه لولا فضل الله على هؤلاء الصحابة بالنفقة في سبيله لما دخل من بعدهم في الإسلام ولو أنفقوا أي الذين جاءوا من بعدهم مثل أحد ذهباً بعد ذلك في الإسلام وهذا لا يقع بالفعل لن ينفق أحد مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فكيف بمن يأتي بعد ذلك ، إذا كان في حق خالد مع السابقين فكيف بالصحابة بالنسبة لمن يأتي بعدهم وجهاد خالد معلوم وأكثر الأمم في العراق والشام وسائر البلاد كان دخولهم في الإسلام بفضل الله أن وفق خالداً ومن معه من الصحابة الكرام للجهاد في سبيل الله وفتح البلاد ، لذلك ينطبق هذا الأمر على كل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حق من أتى بعدهم وينطبق على من طال صحبته بالنسبة لمن قصرت أو تأخر إسلامه إلى ما بعد الحديبية والله أعلى وأعلم ، وإن كان لا يلزم من ذلك أن يكون لا يوجد سابقون في المتأخرين بعضهم يكون أسبق من مسلمة الأعراب وبعضهم يكون أسبق ممن كذب مثلاً وارتكب الفاحشة وفعل بعض ما دلت عليه كتب السنة من وقوع بعض الأعمال ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ٨٨- حكم سب الصحابة والكلام على وجوب جهم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،

أما بعد ،،

حكم سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

سب الصحابة كبيرة من أعظم الكبائر لأنه يسب من مدحهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

اختلف أهل السنة في تكفير من يسب أبا بكر وعمر خصوصاً فذهب إلى تكفير من سب أبا بكر وعمر بأي نوع من أنواع السب طائفة من أهل السنة ونقل الخلاف في ذلك ابن حجر في فتح الباري لأن من يكفرهم يقول أن إيمان وفضل والثناء على أبي بكر وعمر مقطوع به وكذا الحكم فيمن سبهم بالعموم . من يسب الصحابة عموماً . وإن كان جمهور العلماء على تعذيب من سب الصحابة وعدم تكفيره ، لأن علياً رضي الله عنه لم يكفر الخوارج الذين سبوه ورموه بالكفر بل وقتلوه وهذا في حق علي رضي الله عنه مثله في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لماذا ؟ لأن ثبوت الشهادة لعلي رضي الله عنه بالفضل والجنة مثل ثبوتها لأبي بكر وعمر ، أنا أقصد الخلافة هنا ثبوت الشهادة لعلي بالفضل والجنة وثبوت الخلافة مثل ثبوتها لأبي بكر وعمر في ذلك ، يعني هو أحد الخلفاء الراشدين ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال ( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ) رواه مالك وصححه الألباني فالشهادة أن علي رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين مثله حكم أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنه ولا شك أن علي رضي الله عنه ظاهر



تصرفه أنه لم يكفر الخوارج حيث قال في ابن ملجم أنه لو مات أمرهم أن يقتضوا منه ولم تمت علي رضي الله عنه رأى رأي فيه وتصرفه مع الخوارج في أموالهم ونسائهم وذريتهم تدل على عدم التكفير وأما بالنسبة للأموال خصوصاً فقد بدلنا الخلاف في تخميس الأموال عن علي والمنقول والأصح إسناداً أنه لم يخمس أموالهم ولم يجعلها غنيمة وبالتالي فالراجح أن من سب علياً كمن سب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وإذا كان من سبه لم يفكر وكان أيضاً من النواصب في عهد الأمويين من يسب علياً رضي الله عنه وكان هذا منتشرًا من كثير في عهد معاوية لكن ليس بأمر معاوية ولا بإقرار معاوية رضي الله عنهم وكان معاوية ينهى عن ذلك ويقر بفضل علي رضي الله عنه ولكن كان هناك من لا يلتزم وليس هناك حرف واحد في أن معاوية رضي وأقر وأمر بسب علي رضي الله عنه وإنما كان يقر بفضل علي حتى على نفسه ولكن كان يوجد في بني أمية من المتعصبين النواصب من يعادي أهل البيت ويسب علياً رضي الله عنه ومع ذلك لم يكفرهم العلماء ولكن هي كبيرة من الكبائر والصحيح أن سب الصحابة كبيرة من الكبائر ولكن هناك اجتهاد في تكفير من سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وهناك اجتهاد في تكفير من كفر الصحابة من الخوارج وإن كان جمهور العلماء لا يكفرونهم ولكن توجد طائفة من أهل الحديث قالت بظاهر الأحاديث بكفر الخوارج جملة والأحاديث في كفر الخوارج أنهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية ، في التأمل في مجموعها كما ذكرناها في كتاب الزكاة في صحيح مسلم تدل على وجود شبهة تمنع من تكفيرهم بالعموم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (فَيَتَمَارَى فِي الْقُوَّةِ) متفق عليه إذن بعضهم قد يعلق به شيء من الدين ولو بقي ذرة من الإيمان امتنع التكفير فإنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه أدنى أدنى أثم مثقال ذرة من خير ، فهذا يدل على أنه إذا بقي بعضهم لم يخرج من الملة لم يمكن الحكم عليهم بالعموم بالتفكير وإن كان كثير من رؤوسهم وكذا من عوامهم فعلاً قد مرق من الدين لم يبق منه شيئاً لأنهم منافقون في الحقيقة وليسوا صادقين في كونهم يريدون الحكم لله عز وجل ولا في تكفيرهم علياً رضي الله عنهم ومن وافقهم وإنما اتباع الهوى هو الذي أدى بهم إلى ذلك ،

نقول جمهور أهل العلم من أهل السنة على عدم تكفير الخوارج لكن هذه المسألة مما يسع فيه الخلاف وخصوصاً أهل الحديث ،

قال ابن المنذر " لا أعلم أحداً وافق أهل الحديث في تكفير الخوارج " وإن كانت المسألة مشهورة عند أحمد وأصحابه وعند مالك كذلك في تكفير الخوارج والرافضة والخلاف في تكفير الرافضة كذلك من جهة سب الصحابة وتكفيرهم ،

الذي يكفرهم ذكرنا أن الراجح في كفرهم كفر نوع وكذا الخوارج ، من جهة أنهم يكفرون من قطع له الدليل بالإسلام والإيمان إلى الممات ، الكتاب والسنة أدلتهم مستفيضة في إثبات الإسلام والإيمان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى يموتون والله راض عنهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن كثير منهم بأنهم في الجنة وأخبر القرآن بأن الله قد رضي عنهم ورضوا عنه ، { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ } الفتح ١٨ وقال { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } التوبة ١٠٠ وهذا يدل على أن هناك من يتبعهم وهذا إنما يكون في حق من لم يكن منهم فهذا إنما يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال من تبعهم { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ } فدل ذلك على بقائهم على التوحيد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وليس أنهم كفروا بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ،

نصوص القرآن تثبت بقائهم على التوحيد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا قول الله سبحانه وتعالى { قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنُدَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ } الفتح ١٦ وهذا إنما دعوا على لسان أبي بكر رضي الله عنهم وهم بني حنيفة والروم والفرس أو من قوتلوا من الكفار فمن الذين دعاهم إلى هذا ؟ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، والظاهر أنهم بنو حنيفة لأن { تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ } ليست إلا في المرتدين وأما غيرهم فيمكن أن يدفع الجزية فأخبر القرآن أن الدعوة إلى قتال هؤلاء دعوة موافقة لشرعه عز وجل وهي إنما كانت من الخليفة أبي بكر رضي الله عنه فهذا في الحقيقة الطعن فيهم طعن في هذه النصوص ، هم يتأولون النصوص ومن هنا قلنا كلامه كلام كفر وأما الواحد المعين فلا بد من إقامة الحجة ، ولذلك قلنا أن معنى أنه لم تقم الحجة يكون الأصل في الرافضة أنهم ضمن فرق الأمة ، الرافضة الذين ليسوا بغلاة ضمن فرق الأمة ، وقد سبق أننا قلنا أن الرافضة منهم الغلاة ومنهم الرافضة ومنهم الشيعة ومنهم غلاة الرافضة ومنهم الزيدية المفضلة ،

أما غلاة الرافضة فهم المألهون بغير الله ، الذين يقولون بالوهمية عليه أو بالوهمية الحاكم بأمر الله أو بالوهمية الإمام مثل الإسماعيلية و البهرة هؤلاء كلهم كفار نوعاً وعيناً لا نزاع في كفرهم ،

نقول أن الرافضة مجتمعون على السب وعامتهم يكفّر والعياذ ، ونقول الذي ثبت في حق أبي بكر وعمر ثبت في حق علي وعلي رضي الله عنه لم يكفّر من كفره ومن هنا قلنا أن القول بكفر ولكن لا يلزم تكفير المعين ، لذلك قلنا أنهم من فرق الأمة . الرافضة وليس غلاة الرافضة .

أما أما الزيدية فمن فرق الأمة اتفاقاً في هذا الجانب أعني أن الشيعة المفضلة لا يكفرون اتفاقاً ، لماذا أقول في هذا الجانب ؟ لأن هناك مسائل أخرى عند الزيدية مما يختلف في تكفير قائله ، أعني أن الزيدية كالرافضة عامتهم معتزلة في باقي سبل الاعتقاد في نفي رؤية الله يوم القيامة وفي مسألة خلق القرآن وفي مسألة نفي الصفات ، عامة الرافضة والزيدية يقولون بقول المعتزلة وهذه المسائل فيها خلاف بين العلماء والراجح أيضاً كفر من قال ذلك نوعاً لا عيناً ،

وسيبقى أن فرق الشيعة من جهة سب الصحابة رضي الله عنه نتكلم على غير الغلاة أما الشيعة المفضلة لا خلاف في عدم تكفيرهم في هذا الجانب ، علماؤهم جهال وعلماؤهم علماء سوء ، من قامت عليه الحجة والوصف المؤثر في ذلك قيام الحجة ورؤوسهم إنما ترأسهم الجهل والضلال وإلا فرؤوس الخوارج لكن عامة الرؤوس منافقون في الباطن ولكن عند التعيين لا بد من إقامة الحجة وأما من يقول بتحريف القرآن أو يسب عائشة فهذا يكفر من باب آخر ليس من باب تكفير الصحابة وسبهم ، إذن الذي يقول بتحريف القرآن لا شك أن هذا مكذب للقرآن { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر ٩

فنقول الرافضة الذين يعتقدون كفر الصحابة شر من الخوارج لأن الخوارج لم يسبوا أبا بكر وعمر وهم يكفروهما وهما أفضل من علي رضي الله عنه والشيعة الرافضة سبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكفروهما ،

الواجب على كل مسلم :

الواجب على كل مسلم حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتوليهم ومعرفة فضلهم خصوصاً أفضلهم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي والترتيب لا بد من معرفته ، ترتيب هؤلاء في الفضل هو إجماع أهل السنة ونص علي رضي الله عنه على ترتيب أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما أجمعين ،

قال محمد ابن حنفية لما سأله أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قال له ثم من ؟ قال ثم عمر ، قال محمد ابن الحنفية فخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت ؟ قال ما أنا إلا رجل من المسلمين ، وهذا من تواضع علي رضي الله عنه ، والحديث رواه البخاري وأبو داود ،

الترتيب في الفضل بالنسبة لأبي بكر وعمر إجماع كما سيأتي أما بالنسبة لعثمان فهذا ظاهر من محمد ابن حنفية أنه كان خشي أن يفضل أباه عثمان وكأنه كان يرى غير ذلك ، لكن هذا إجماع المتأخرين ولكونه إجماع ظنياً لا يبدع فيه المخالف وسيأتي ،

ثبت عن ابن عمر رضي عنهما قال كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم ، وهذا صريح في أن عامة الصحابة يعتقدون فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر ولا نزاع أن الأفضل بعد أبي بكر وعمر وعثمان هو علي ابن أبي طالب ، لأن حديث ابن عمر يومهم أنه لا نزاع عند أهل السنة أن علياً بعد الثلاثة في الفضل أيضاً ، نقول أن علي الرابع بعد الثلاثة رضي الله عنهم وهذا حديث ابن عمر وثابت في الصحيح رواه البخاري وأبو داود وأحمد ، قال ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم ، ولكن لا نزاع أن الثالث فضلته هو علي ابن أبي طالب من أدلة أخرى ، بإجماع أهل الإسلام أنه عندما كان علياً رضي الله عنه في الخلافة كان أفضل أهل الأرض بلا نزاع إلا الخوارج يعني ،

فلا يجوز مخالفة هذا الترتيب وهو ترتيب أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، كما كان الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يفعلون ،

قال علي رضي الله عنه (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ أَنْ لَا يُجِبَنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ) رواه مسلم فحب علي إيمان وبغضه نفاق ، ومن أبغضه من أجل منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهاده معه وإسلامه السابق كان كافراً والعياذ بالله في الباطن وإن صرح بذلك ظاهراً كان كافراً في الظاهر أيضاً ،

أما حديث (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ) رواه بن ماجه والترمذي وغيرهما وصححه الألباني فهذا في معناه حب علي رضي الله تعالى عنه بأن الولاية تطلق على معنى الحب ومعنى النصرة فأوجب النبي صلى الله عليه وسلم حب علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وجعل حبه من حب النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيه إثبات خلافة علي ابن أبي طالب كما يزعم الرافضة ، فقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم هم أن يكتب كتاباً ينص فيه على أبي بكر ثم قال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر فترك الوصية بذلك ، على أصح الأقوال في الكتاب الذي أراد أن يكتبه عليه الصلاة والسلام ،

والنزاع فقط مع ابن حزم في تفضيل الأربعة الخلفاء الراشدين على سائر الصحابة ، يزعم ابن حزم أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه في المنزلة يقتضي فضلهم على كل الصحابة وهذا الكلام فيه نظر وخلاف كل أهل السنة تقريباً وذلك لأن وجود أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه في الجنة لا يلزم أن يكن في نفس المنزلة وهو قد قال عليه الصلاة والسلام ( اللهم الرفيق الأعلى ) وقد قال عز وجل { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء ٦٩ فهل يلزم أن يكونوا كلهم وإن كانوا مع بعضهم في الجنة أن يكونوا بمنزلة واحدة عند الله وقد قال عليه الصلاة والسلام في الوسيلة (فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَزْوَاجِهِمْ أَنْ أَكُونُوا أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ خَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) رواه مسلم فهل لأجل أن أزواجه معه صلى الله عليه وسلم في المنزلة قد بلغن منزلة الوسيلة ، وكل

هذا رد على ابن حزم ، وأما قول أبي بكر رضي الله عنه " إني قد وليت عليكم ولست بخيركم " فهذا من تواضعه رضي الله عنه وليس أن هذا يعني أن هناك من هو خير منه كعائشة مثلاً أو حفصة أو غير هؤلاء من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ،

الصحيح أن أبا بكر قال ذلك تواضعاً أو أنه كان يقول لست بخيرهم في هذا المنصب ، أي أنه كان يظن ذلك وإنما ولي بالواجب ، وإلا فأبو بكر أفضل رضي الله تعالى عنه وخير الصحابة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ) رواه البخاري وهذا كله في فضيلة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ،

وأزواجه معه في السكن لكن المنزل في الجنة أمر معنوي وحسي وليس الوجود في نفس المكان يقتضي أن يكونوا في المنزل عند الله عز وجل ، ولذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن أزواجه في الجنة لا نزاع في ذلك ، وذلك أنهن كلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وهن معه عليه الصلاة والسلام لكن منزلتهن بعد فضل الصحابة الأربعة بل العشرة والله أعلى وأعلم ، والعشرة المبشرين بالجنة مقدمة بعد الأربعة الخلفاء ، قال وهم طلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالى عنهم ، فهؤلاء الستة بقية العشرة الستة الذين جعلهم عمر رضي الله عنه شورى هم طلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف مع عثمان وعلي رضي الله عنهم ، وبقيّة العشرة سعيد ابن زيد وأبو عبيدة ابن الجراح أمين هذه الأمة ، الستة أهل الشورى الذين كان عمر أختارهم وجعل الخلافة فيهم يختارون منهم واحداً فهؤلاء أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عنهم راض ، بعد ذلك أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر في حاطب قال ( إنه قد شهد بدرًا وقال لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) وهذا متفق على صحته وهذا يدل على أن أهل بدر قد قال الله لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، كما ذكرنا هم معصومون من الشرك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأحد غلمان حاطب ابن أبي بلتعة لما قال عنه ليدخلن حاطب النار لأنه كان يجيئهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية ) فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدَيْبِيَّةَ ) الحديث رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني ، وحديث حاطب ( كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية ) هو حديث صحيح ، الله عصمهم من الشرك وغفر لهم ما دون ذلك ،

وأهل بيعة الرضوان هم الذين بايعوا تحت شجرة الحديبية ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ) حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الشيخ الألباني ، وقال تعالى { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } { الفتح ١٨ } فمن أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى

قال تعالى { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } { الحديد ١٠ }

ذكرنا أن الراجح في الفتح أنه صلح الحديبية والقول الثاني أنه فتح مكة ولا شك أن من أنفق قبل فتح مكة أفضل من المطلق الذين أسلموا في فتح مكة أو بعد فتح مكة هو أفضل من أسلم عموماً بعد فتح مكة ، لكن من أسلم وأنفق وقاتل قبل الحديبية أفضل من أسلم وأنفق وقاتل بعد الحديبية وكلاً وعد الله الحسنى وهي الجنة ، وهذا دليل على الشهادة للجميع بالجنة وذلك السابقون الأولون من المهاجرين قبل هم من صلى إلى القبلتين وقبل من كان من أسلم قبل الحديبية وهذا هو الظاهر أيضاً فإن القرآن جعل الفاصل في عدم التسوية هو الفتح { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا } وهذا كما ذكرنا في الحديبية وكذا أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن أجمعين لا بد أن نؤمن بأن هن أزواجه في الجنة كما قال عمار رضي الله عنه منصفاً في حق عائشة رضي الله عنها عندما سمع رجل يسبها فقال اسكت مقبوحاً منبوحاً والله إنما لزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بما ليعلم أن تطيعوه أو إياها . أي لتطيعوا علياً أو إياها . رواه ابن كثير في البداية والنهاية ، ورواه الترمذي بلفظ أن رجلاً نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار ابن ياسر لأن عمار كان من أكبر المؤيدين لعلي رضي الله عنه في يوم الجمل وكذا في يوم صفين فقال أغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذي حديث حسن صحيح ،

" أنطيعوه يعني أمير المؤمنين علي رضي الله عنها وكلمة أو إياها أي عائشة رضي الله عنها لأنها قد أخطأت في خروجها وهي قد بكت على خروجها حتى بليت خمارها وهي كانت رضي الله عنها في خروجها تريد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن رؤية المسلمين إياها سوف يمنعهم من القتال وسوف يعظمون حقها فيتوقفون عن القتال فكانت رضي الله تعالى عنها ترى المصلحة في الخروج ولذلك خرجت فحصل ما حصل ولم يكفوا عن القتال حتى قال بعضهم لما قال له عمار ابن ياسر قال فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد ، مع أن هذا الكلام خطأ لأن علي رضي الله عنه مشهود له بالجنة فوق الشهادة لعائشة رضي الله عنها ومع ذلك أنه كان يشهد لعلي بالجنة أيضاً ولا مانع من ذلك لكن أزواجه صلى الله عليه وسلم التي قال الله في حقهن { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا } الأحزاب ٢٨ وكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وما طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة

منهن بعدما نزلت الآية وذلك دليل على أنهن رضي الله عنهن ممن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ولو كن ممن اخترن الدنيا لطلقهن النبي صلى الله عليه وسلم ولمتعهن وسرحهن السراح الجميل فأزواجه هن أزواجه في الجنة ،

في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في احتضاره أنه قال ( مما يهون علي سكرات الموت أن رأيت كف عائشة في الجنة ) رواه احمد وقال الألباني والأرنؤوط اسناده ضعيف وابن حجر يقول هذا يدل على محبة عظيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أنه رأى كف عائشة في الجنة ، فانظر كيف يكره الرفضة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني يحب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحب ومع ذلك يسبونها أعظم السب ؟! من أجل ماذا ؟! من أجل اجتهدا هي مأجورة فيه على أي حال ؟! وعلي رضي الله عنه كيف عامل عائشة بعد أن أنتصر في واقعة الجمل ؟ ردها معززة مكرمة خير تكرم إلى المدينة وما نالها بشيء وخالف الخوارج من أجلها لما قال قاتلت ولم تسي ، قال تسبون أمكم ؟! فهو لا يزال يشهد بأنها أم المؤمنين فكيف بعد ذلك تسب عائشة رضي الله عنها ، الكتاب الفطيع والجرمين يحاولون أن ينشروه والأزهر نزل الرد عليه للدكتور محمد بن عمار رد جيد في الجملة وإن كانت تفصيلات أكثر طبعاً في ذلك لكن الكتاب جزاهم الله خيراً أن بينوا عقائد فعلاً الإنسان يشعر أن هؤلاء يتكلمون عن دين آخر في الحقيقة الطعن الشديد جداً في أبي بكر وعمر وتفسير الآيات في الحب والطاغوت عليها والطعن في عائشة بما لا يمكن أن يتصور لمن يقرأ القرآن أصلاً ، لكن نسأل الله العافية ،

فعلاً استغلال جهالة الشعوب وأنها شعوب عامتها لا تعرف العربية ولا تفهم شيئاً من القرآن ، تقرأ القرآن ولا تفهمه ،

والكتاب الذي نزلوه اسمه إثبات الإيمان لقاتل عمر ابن الخطاب أو . إثبات الإيمان لقاتل ابن الخطاب . أبو لؤلؤة عندهم هو رجل عمل أكبر عملية فدائية في التاريخ ويسموه أبا شجاع نعوذ بالله وجعلوا له قبر ومصرين على ذلك من ضالهم والعباد بالله ونفاقهم نعوذ بالله ،

أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها على الراجح ، وبعضهم يقول عائشة والصحيح أنها خديجة ، كان جبريل يقرأها من ربه السلام وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وهو الولؤلؤ المحفور لا سخب فيه ولا نصب كما في حديث أبي هريرة قال ( أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فقرأ عليها السلام من ربه عز وجل ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا سخب فيه ولا نصب ) متفق على صحته ،

والدليل على أن خديجة أفضل قول النبي صلى الله عليه وسلم ( خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْثَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ ) متفق عليه

فنحن نقول أن خير النساء نساء الأمة الإسلامية خديجة رضي الله عنها ثم عائشة رضي الله عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الْفَرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ) متفق عليه ونزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحاف عائشة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُم سلمة ( لا تؤذي في عائشة فإنه لم ينزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة ) رواه البخاري وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين سحرها ونحرها ، يعني بين صدرها ورفقتها ومستند رأسه على صدر عائشة رضي الله تعالى عنها ، وبعد ذلك يقولون أن الله صدر أعدى أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ليموت الرسول صلى الله عليه وسلم عليه ؟! والله شيء فطيع ، وكانت آخر من اجتمع ريقها بريقه صلى الله عليه وسلم قبل رحيله ، وتوفي في بيتها وفي يومها كذلك ودفن في حجرتها كما قالت عائشة رضي الله عنها ( تُوُوِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَفِي تُوُوِيِّي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ فَضَعَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فَأَخَذَتْهُ فَمَضَعَتْهُ ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ . يعني تسوكته صلى الله عليه وسلم . ) رواه البخاري كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها أكثر من غيرها كما في حديث عمر ابن العاص قال ( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَنْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ عَائِشَةُ قُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ قَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ عُمَرُ فَقَدْ رَجَلًا ) متفق عليه وقد قال ابن حزم بعد أن ذكر بعض فضائل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا كفاية بينه في أن هن أفضل من كل صاحب ، ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا والدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فهن أزواجه في الآخرة بيقين فإذا كن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره إذا لا يمكن أن يحال بينه وبينهن في الجنة ولا أن ينحط صلى الله عليه وسلم إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة فهذا لا يظنه مسلم ، فإذا لا شك في حصولهن على هذه المنزلة ، فبالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصاً مجرداً دون عمل بل لاستحقاقهن بذلك " انتهى كلامه ،

والصحيح أنه لا يلزم ذلك فإن مجرد الصحبة والاقتران لا تستلزم المساواة في الجنة في نفس الدرجة فإن النبي صلى الله عليه وسلم له الوسيلة ولا يقال إن أزواجه لهن الوسيلة مثله فقول ابن حزم خطأ بلا شك ومخالف لأجماع أهل السنة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، كما ثبت ذلك عن علي في تفضيل أبي بكر وعمر وإجماع الصحابة على فضل عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد ذلك ، وقد سأل غير واحد من الصحابة مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا يلزم من ذلك أنهم معه في الدرجة ، وكما ذكرنا في قول أبي بكر وليت عليكم وليست بخيركم ، إما لست بخيرهم في الإمامة أو لست بخيركم قالها تواضعاً والله أعلى وأعلم ،

والخطبة خطبها قال " يا أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن ضعفت فقوموني وإن أحسنت فأعينوني والصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم القوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر ولشاعت الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء أطعوني ما أعطت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " رواه عبد الرزاق في مسنده وإسناده صحيح

تكلما عن حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتوليهم وسلامة الألسنة والقلوب لهم كما وصف الله عز وجل { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا } الحشر ١٠ فهم سلمت ألسنتهم وسلمت قلوبهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا حب آل البيت فرض وواجب كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال (أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي) رواه مسلم وقال عز وجل { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } الشورى ٢٣ وهي على أقوال منها أنهم قري النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول صحيح داخل في عموم الآية أن يراعوا قرابته عليه الصلاة والسلام { أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا } استثناء منقطع أي تم الكلام لكن أسألكم المودة في القربى أن يراعوا قرابته عليه الصلاة والسلام ،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ الْأَنْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْقَطِعُ غَيْرَ نَسَبِي وَنَسَبِي وَصَهْرِي) رواه احمد وغيره وصححه الألباني وهذا سبب زواج عمر رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عن ، أنه قال ما بي من حاجة إلى الزواج ولكي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( كل سبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي وكل صهر ينقطع يوم القيامة إلا صهري ) سبب لوصول الرحمة والخير بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن كان مؤمناً ففعله نسبه من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ليس معناه أنه حتى لو كان كافراً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفع أباً لـ بل أباً طالب ففعله بأن خفف عنه العذاب فقط ولم يخرج من النار وكذا أخبر عليه الصلاة والسلام أنه أهون أهل النار عذاباً وهو يرى أنه أشدهم عذاباً ، لكن ينتفع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم مصاهرته ومصاهرة من كان من ذريته من بعده بهذا الحديث الصحيح ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( وإن تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعطرتي كتاب الله حبل مدود من السماء إلى الأرض وعطرتي أهل بيتي ) والحديث رواه الترمذي وأحمد وصححه الشيخ الألباني وهو حديث صحيح احتج به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على أن أهل البيت لا يجتمعون على ضلالة وأن إجماعهم حجة لأنه جعلهم ثقلاً ككتاب الله قال ( تركت فيكم الثقلين ) إما أنه بمعنى أنه يشدد صلى الله عليه وسلم ويغلظ في القيام بحقهما وإما وهو الظاهر أنهما ثقلان لا تضل الأمة بوجودهما فأهل البيت لا يزال فيهم قائم لله بحجة مع أن هذا غير معروف عند كثير من أهل السنة لكن قد رجحه شيخ الإسلام أن إسلام أهل البيت إذا ثبت بنقل الثقات حجة ولكن هذا من الناحية العملية ليس له أثر ظاهر لأن مذاهب أهل البيت استقلالاً دون مذاهب باقي العلماء لم يجمعها أهل العلم في المصنفات المستقلة بحيث يعرف مذهبهم بأسانيد أهل السنة الصحيحة ،

الذي يتكلف البحث في مذاهب بعض أهل البيت هم الشيعة الزيدية خصوصاً يتكلمون وإن كان في حقيقة الأمر هم ينقلون مذهب مذاهب أئمة الزيدية من آل البيت وليس أنهم يتبعون مثلاً أقوال علي وأقوال الحسن والحسين أو أقوال فاطمة هذا مما يشق جداً وكما ذكرنا من الناحية العملية هذا لا يمكن ضبطه لكن أهل البيت لا يجتمعون على ضلالة ، ليس معنى ذلك أن كل من انتسب إلى بيت النبوة وآل البيت يكون صالحاً أو يكون على حق أو يكون مؤمناً أو مسلماً أن كل ذرية النبي صلى الله عليه وسلم يكونون مؤمنين أو نسل الحسن والحسين يكونون مؤمنين قد خرج فيهم من ذمه أهل العلم وذكرنا انتهاكهم للحرمات ، ومن قرأ في البداية والنهاية وجد شيء من ذلك كثيراً وقد قال عليه الصلاة والسلام ( من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ) رواه البيهقي وصححه الألباني ولكن إذا ماتوا على التوحيد فنعهم نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، ودرجة النفع هذه يلزم منها أن يدخلوا الجنة لأول وهلة ؟ لا يلزم بل يمكن يدخل في النار ويكون من أوائل من يشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً ، ينتفع بشيء ما كما نفع النبي صلى الله عليه وسلم أباً طالب وإن لم يخرج من النار ، وأما بالنسبة لأهل التوحيد فلا يمنع أن يدخلوا النار ولكن لا يخلدون فيها ويكونون أحق أو أسبق بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلى وأعلم ،

فالمسألة مسألة إجماع أهل البيت الخلاف فيها خلاف كما يقولون نظري لأنه كما ذكرنا لا يوجد نقل متتابع بالأسانيد الصحيحة عن أئمة أهل البيت مستقلة بل تجد أقوالهم ضمن أقوال العلماء فتتبع ذلك يحتاج إلى جهد جهيد وبعد ذلك لا نستطيع الجزم بأنه إجماع لأن من أئمة أهل البيت من لم يعرف له قول في الكثير من المسائل وكذا من المجتهدين وكذا كل طائفة من طوائف الشيعة تعتبر طائفة من أهل البيت هم أهل البيت فينقل الزيدية عن أئمة الزيدية ويتروكون مثلاً كلام أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق مع أنهم من أئمة أهل السنة من أهل البيت وإن كان الشيعة يتحلونه ويقولون أنهم من أئمتهم لكن كما أن علي زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنه من أئمة أهل السنة وكذلك هو معدود عند الرافضة من أئمتهم وكذا الحسن والحسين والرافضة لا يعدون زيد ابن علي ابن الحسين مع أنه من أفضل أهل العلم وكذلك الرافضة لا يعدون محمد ابن الحنفية لأنه ليس من نسل فاطمة مع أن محمد ابن علي ابن أبي طالب فهو من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من بني هاشم وكل بني هاشم وبين المطلب هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نقول أن المنقول لن يثبت به إجماع وإنما المعتبر الإجماع الصادر الأول ، وأما بعد تفرق آل البيت في الأرض وكثرهم فلا يمكن ضبط ذلك لكن في الجملة هذه فضيلة أن أهل البيت لا يخلوا إجماعهم أو إذا اجتمعوا على أمر كانوا على حق ،

استغلال النسب النبوي الشريف في ترويج البدع والضلالات سبيل الصوفية والقرامطة والباطنية وادعى الباطنيون أنهم الفاطميون وعرفت خلافتهم بالفاطمية وأكثر أهل البدع الضلال من المنحرفين في عقائد الغلو في التصوف من الحلولية والاتحادية ينسبون أنفسهم لأهل البيت وهذا مع كونه غالباً يعني لا يمكن القطع به لأجل أن الأنساب إنما يتناقلها أصحابها دون أسانيد صحيحة خصوصاً في العهود المتأخرة أن الأسانيد منذ بعد المائة الرابعة لا يوجد تعريف بالأشخاص حتى يثبت به صحة السند والله عز وجل أعلى وأعلم ،

نقول أن مثل هذه الأسانيد مع طولها لا يمكن الجزم بها وبالتالي فنحن نرد ما يزعمه هؤلاء من عقائد أو انحرافات نرده إلى الكتاب والسنة فما ثبت لنا قبلناه وكان فضيلة لصاحبه وأما أن يكون مجرد أن فلان هاشمياً أو أن فلان من أهل البيت أن تصرفاته تكون صحيحة ويحتجون مثلاً بأن المساجد المبنية على القبور هي قبول آل البيت وأن فلان الفلاني من آل البيت وأنه يذهب إلى هذه المساجد ونحو هذا وهذا ليس بحجة وليس معنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك العطرة ثقلاً أن كل من ينسب إلى العطرة وكل من ينسب إلى آل بيت النبوة يكون كل أقواله وأفعاله حقاً هذا يثبت العصمة لهؤلاء والعجب أن الرافضة هم الذين يتكلمون عن عصمة الأئمة يثبتون ذلك لعدم المحدود مع أن الحديث يقول أهل بيتي يشمل هؤلاء وغيرهم فلماذا اختاروا مثلاً أبو جعفر الباقر دون جميع أبناء علي زين العابدين ولماذا اختاروا جعفر الصادق دون باقي أبناء جعفر الباقر وزعموا العصمة لهؤلاء ؟ من خزعبلائهم وخرافاتهم ، لذلك نقول الحديث دل على التشديد لأهل البيت ونحن نحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم نعرف حقهم وفضلهم ونترضى عنهم وعامة أئمتهم المشهورين الذين ينتحلهم الرافضة من أئمة أهل السنة ، تراجمهم مذكورة في كتب أهل السنة بالثناء والذكر الحسن خصوصاً الحسن والحسين بعد علي رضي الله عنه ، لا نزاع عند أهل السنة في فضلهم وكذا علي زين العابدين أفاضل التابعين رضي الله تعالى عنه وأبو جعفر الباقر أيضاً كذلك من أفاضل التابعين وتابعيهم وكذا جعفر الصادق لم تزل الأمة تروي أحاديثهم وهي تعرف فضلهم وكذا من كان بعدهم كموسى الكاظم كانوا نصحاء للخلفاء والأئمة وكان أهل السنة يعرفون فضلهم ومنزلتهم وأما الشيعة فيكذبون عليهم أعظم الأكاذيب ، يكفي أن عامة ما ينقلونه عن جعفر الصادق مما يجزم بكذبه وبطلانه وعلم جعفر الصادق وأبيه أبي جعفر الباقر يعني مذكور في كتب أهل السنة وكتب الحديث وتراجمهم كما ذكرنا معلومة ومما يجزم بأنهم يكذبون عليهم وإن كانوا يزعمون أنهم إنما وافقوا أهل السنة للتقية وهذا كذب وزور فإنهم أجراً من أن يفعلوا ذلك كما يقولون أن عمر رضي الله عنه وأعوذ بالله كيف يتصورون ذلك أنه اغتصب أم كلثوم نعوذ بالله فهل وصل الحال إلى ذلك أن أم كلثوم بنت علي يزوجه أبوها لمن يعلم أنه كافر مرتد ويتركها عنده تقية وهو قادر على أن يستخلصها بلا شك ؟ ولو كان كائناً للحق لهذه الدرجة فهل كان يفرط في عرضه ، والله الشيعة يعتقدون عقائد في منتهى الضلال ويسبون أهل البيت في الحقيقة وينسبون لهم أنواع النقص ،

أهل السنة يجمعون بين حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحب أهل البيت ولا يجعلون هناك تناقضاً بين حب الصحابة وحب أهل البيت كما يفعل الرافضة ولا يسبون أهل البيت كما فعل النواصب الذين كانوا في زمن بني أمية فقد كانوا يسبون علياً وأهل البيت بسبب الخلاف الذي نشأ في واقعة الجمل وصفين وما بعد ذلك ،

في صحيح مسلم أن معاوية أرسل إلى سعد بن أبي وقاص فقال مالك تسب أبا تراب وهو يريد أن يظهر فضل علي بن أبي طالب وليس أنه يريد أن يحثه على السب ولكن يظهر للجالسين أن سعد بن أبي وقاص على حق ويعرف فضل علي ومعاوية يقره على ذلك فتكلم سعد في حضرة معاوية بفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقره معاوية ولم يلومه ولم يعلق على كلامه وإنما بعض الأمراء الجهال في هذا الزمن ليس معاوية رضي الله عنه كانوا يأمرسون بسب علي أو كانوا يفعلون ذلك على المنابر وغيرها وظل هذا الأمر إلى أن قضى عليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ففعل النواصب كان منكراً وانقرض هؤلاء النواصب وكان فعلهم من المنكرات العظيمة التي أبطلها الله عز وجل

وكان أول من أبطلها من الخلفاء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومنع سب علياً رضي الله عنه وأهل البيت على المنابر فانقرضت هذه البدعة ،

الرافضة يسمون أهل السنة النواصب مع أن أهل السنة لا ينصبون لأهل البيت العداء ، كلمة الناصبة الذين ناصبوا أهل البيت العداء وأهل السنة يحبون أهل البيت ويعظمونهم ويعرفون قدرهم لكن لا يغالون فيهم لا ينسبون لهم العصمة ولا يجعلون الإمامة خاصة بهم وإنما يجعلون الإمامة شورى في الأمة وما أجمع عليه الصحابة من الأئمة أجمعوا عليه وعلى تقديمه في الخلافة وهو على الترتيب في الفضل كما هو معروف أيضاً الخلفاء الأربعة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بهذا الترتيب ،

فبحمد الله تبارك وتعالى أهل السنة يعرفون قدر أهل البيت ويحبونهم ويعرفون منزلتهم ويحبونهم قرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقريباً إلى الله عز وجل ،

بقيت بدعة سب الصحابة والغلو في أهل البيت :

أما أهل السنة يحبون الجميع ويرون فضل الجميع رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فصل الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .



وقد ذكرنا من قبل ترتيبهم في الفضل وهنا نذكره في اعتقاد الخلافة لهم ، لما أصبحت الخلافة مسألة اعتقادية ؟ لما نلزم بهذا الاعتقاد أليس أمراً سياسياً كما يذكر بعض المتأخرين والكتاب والمثقفين الذين يزعمون أن المسألة خلاف سياسي حولتموه إلى خلاف عقدي ؟

الجواب : هو أمر اعتقادي لأن إجماع الصحابة وحجة الصحابة أجمعوا على تقدم أبي بكر رضي الله عنه ، المؤمنون أجمعوا على تقدم أبي بكر ، أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلافته وإن لم ينص عليها ويستخلف أبا بكر ،

بعض أهل السنة يقولون استخلفه والصحيح أنه أشار إلى استخلافه ولم يستخلفه ، أرشد الأمة إلى ذلك ، هم أن يكتب كتاباً يستخلف فيه أبا بكر ثم اكتفى بعلمه صلى الله عليه وسلم بأن الله يأتي إلى أبا بكر وأن المؤمنين يأبون إلا أبا بكر ،

أشار إلى خلافته كما في الحديث عن جبير ابن محمد المطعم عن أبيه قال ( أنت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه في العام القادم قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ . كأنها تقول الموت . قال صلى الله عليه وسلم إن لم تجدني فأتني أبا بكر ) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد ، وهو ظاهر جداً في أن هذا أمر قدي شرعي كذلك ، بأن الرسول أمر أن تأتي أبا بكر ، لو كان مغتصباً للخلافة لو كان مرتداً كما يزعم الرافضة فكيف يأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تأتي أبا بكر وقد ذكرنا أن قتال بني حنيفة والروم والفرس في كتاب الله عز وجل { قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أُولَئِكَ سُدُّوا بَنِي حُنَيْفَةَ وَأُولَئِكَ سُدُّوا بَنِي حُنَيْفَةَ } فكيف يمدح من أطاع أبا بكر وهو مغتصب للخلافة مرتد كما تزعمون تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ،

من يطعن في خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين يطعن في النبي صلى الله عليه وسلم ويطعن في حكمة الله عز وجل وفضله على هذه الأمة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وهو في مرضه ( ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى من يقول قائل أن أولى وأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ) رواه البخاري ومسلم وأحمد ، وهذا هو الكتاب الذي أراد أن يكتبه وامتنع عمر ومن معه في البيت رضي الله عنهم يوم الخميس من الكتابة من أجل الإشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم من شدة ما أصابه من الوجع وكذلك أنهم علموا من سياق الكلام أن هذا الأمر ليس بواجب ولذا نسخ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( قوموا عني ) ولذلك حديث الرازي ، يقول الرازي يوم الخميس وهو كلام ابن عباس رضي الله عنه ، وابن عباس رضي الله عنه في الحقيقة كان يرى ذلك أبلغ الرد على الرافضة لأنه وافق علي في قتل الرافضة دون أن يحرقهم وهم الغلاة في علي فأعني أن ابن عباس كان يغيض الرافضة يغيض الغلاة منهم والذين يطعون في أبي بكر وعمر وعلم ابن عباس عامته من علم عمر رضي الله عنه وظل مصاحباً له ، لذلك كان يقول الرازي أن ذلك يقطع ألسنة المتكلمين وطعن الطاعنين في أبا بكر ولو كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب وكان ابن عباس يرى أن ذلك سيمنع هذه الألسنة وكان سيكتبه إلى أبي بكر والصحيح أن كتاب الله عز وجل كاف كما قال عمر ، ولو كان أمر حتمياً لما تركه النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم ما ترك الدعوة إلى الله وبلاغ الحق الواجب ولم يكن حرقاً مما أوحى إليه وقد كان يقاومه المشركون الذين لا يعرفون قدره ولا حرمة بل يؤذونه أظلم الأذى ومع ذلك فقد بلغ رسالة الله حتى أنزل الله { الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة ٣ فقال عز وجل { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } المائدة ٦٧ فكيف يقول قائل بعد ذلك كتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ وترك ما هو واجب عليه من البلاغ الذي لا يقوم الدين إلا به وهو خلافة علي ابن أبي طالب أين يقع ذلك وكيف يقع ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يجب إبلاغه إلا وقد أبلغه لكنه رأى ما رآه عمر رضي الله عنه ومع أن كتاب الله كاف وهو كذلك والله وفيه الكفاية إلى الكتاب الله وهو أرشد إلى الشورى وقام الصحابة بها وقامت الشورى إلى أبي بكر قبولاً لإشارات النبي صلى الله عليه وسلم في استخلافه

وقال صلى الله عليه وسلم ( سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر ) رواه البخاري هذا الكلام قبل أن يموت بلحظات صلى الله عليه وسلم ، الخوخة : الباب الصغير ، كان لبيوتهم أبواب شارعة في المسجد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب حتى لا يتخذ المسجد ممراً إلا خوخة أبي بكر من أجل أن يشير صلى الله عليه وسلم إلا أن أبا بكر سيقوم مقامه فيحتاج إلى الخروج من بيته إلى المسجد مباشرة

وقال صلى الله عليه وسلم ( إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ) رواه البخاري هذا قاله قبل أن يموت بخمس صلى الله عليه وسلم يعني يوم الأربعاء ، فتخيل كلام الجهل المبين في الرافضة إذن يوم الأربعاء يريد أن يقول هذا الكلام على المنبر ثم يوم الخميس يريد أن ينجي الأمة من شر أبي بكر فيمنعه عمر ؟! ما هذا العجب ، كلام لا يقبله عاقل ، وهم يحتجون بأحاديث أهل السنة فلو قبلتم أحاديث أهل السنة قبلوا هذا وذاك ، يوم الأربعاء الذي هو خمس أيام قبل موته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ( لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن كل خوخة في المسجد تسد إلى خوخة أبي بكر إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ) وقال ( ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بما يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن ) وهذه الأحاديث في الصحيح ، وأظن في قصور في بعض التخريج ، ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافينا بما وخلا أبا بكر هذه في البخاري وكذلك لو كنت متخذاً خليلاً في الصحيح أيضاً في البخاري

هذا كله قاله النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بأيام معدودة فكيف يظن أنه يريد استخلاف غيره وهو يبالغ في مدحه صلى الله عليه وسلم هذا المدح ؟ ، كلمة لا يمكن أن تقال في حق أحد ( إن أمن الناس علي ) ، الرسول صلى الله عليه وسلم يرى في أبي بكر منه يقول أمن الناس علي في صحبته وماله ، وهو يشهد أنه صحبه على الخير فكيف هؤلاء الذنادقة المجرمون يقولون كان طاغوتاً من طواغيت قريش كان يحتال وارتد عن الإسلام مباشرة نعوذ بالله ، أيقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حق من يعلم الله أنه ارتد عن الإسلام وأنتم تزعمون الجفر لأهل البيت لأنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فالرسول صلى الله عليه وسلم أولى بأن يعرف هذا الجفر الغيب الذي تزعمون ، فلو كان يعلم ذلك يقول قبل أن يموت وفي آخر خطبة خطبها على المنبر صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك تزعمون أن أبا بكر احتال على هذا الدين وهدم الدين وأبطله ؟ نعوذ بالله ، والله فعلاً الإنسان لما يتأمل يجزم أن هذه العقائد ما جاءت إلا من أعداء الإسلام لكرهتهم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر خصوصاً ثم لعمر الذين فتحوا الفتوح العظيمة ، هذا الذي قدمه الصحابة بإجماعهم كيف نطعن بعد ذلك في خلافته وكيف نقول أن خلافته باطلة وهي قد وقعت بالطريقة الشرعية الصحيحة والبيعة الثابتة من أهل الحل والعقد والإجماع انعقد منهم وفيهم علي ابن أبي طالب ، لأن علي ابن أبي طالب بايع أبا بكر مرتين تأكيداً لطاعته له بيعه مع الناس في أول الأمر ثم بايعه علناً بعد موت فاطمة ليذهب أي ظن في أنه يأبى طاعة أبي بكر رضي الله تعالى عنهم ، وإنما كان بايعه سرراً في البداية أو مع الناس أو ضمن الناس ليس بيعة معلنة للناس جميعاً حتى يزعم فاطمة رضي الله تعالى عنها وإنما اختلفت مع أبي بكر في أمر ميراث النبي صلى الله عليه وسلم حيث أراد أبو بكر وضع القواعد في أن ميراث النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرف على متابعتة ورثته لئلا يقول قائل بعد ذلك ميراثنا من النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه قد دفعه إلى علي والعباس ليلان ما وليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم اختلف علي والعباس في ذلك فدل ذلك على أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان محقاً في اجتهاده وهو أن يمنع أهل البيت أن يكونوا هم النظار على صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يختلط الأمر عندهم فعمر رضي الله عنه رأى أنه لا مانع أن يعين نظار من أهل البيت على أوقاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقته فوقع بينهم الخلاف فدل ذلك على أن هذا الأمر للإمام وأن أبا بكر كان هو المصيب في ذلك ،

لذلك نقول أن علي ابن أبي طالب كان ضمن المجمعين والظعن في خلافة أبي بكر ضلال بين لا نزاع فيه ، وكذلك الظعن في خلافة عمر وعثمان وعلي فمن يطعن في خلافة واحد من هؤلاء منهم فهو ضال لإجماع الصحابة على ذلك ، وإجماعهم حجة ملزمة ومن طعن في خلافة واحد منهم فهو أضل من حمار أهله كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

## ٨٩- مسائل هامة في الخلافة والإمامة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسول صلى الله عليه وآله وسلم

أما بعد ،،

ذكرنا أن الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم الأفضل بهذا الترتيب ، كان هناك خلاف قدس بين أهل السنة في تفضيل علي على عثمان في الفضل لا في الخلافة مع الإقرار بخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لا يطعنون في خلافة واحد منهم ولا يطعنون في واحد أنه مغتصب لحق ،

هذا الخلاف خلاف سائغ انقضى عند المتأخرين وانقرض المخالف ولكن لأجل أن الإجماع بعد العهد الأول إجماع ظني مثل حديث اختلف في صحته فلا يضل من قال بضعفه ومن قال لا تأخذ به فهو يضعف صحة الإجماع بعد الخلاف ،

يقول الإجماع بعد القرون الثلاثة غير منضبط لا يمكن ضبطه وإن كان هو المشهور عند عامة أهل العلم لكن لا يكون هذا إجماعاً يضل فيه المخالف ولذا كان كلام أهل السنة على أن الذي يضل فيه المخالف هو مسألة الخلافة ومسألة تفضيل أبي بكر وعمر فمن طعن في خلافة واحد من الأربعة فهو ضال ومن قال بتفضيل علي على أبي بكر وعمر فهو مبتدع ضال أيضاً وأما من يقول بتفضيل علي على عثمان فهو مخطئ ولا يضل ولا يبدع لذلك نقول أن خلاف الزيدية مع أهل السنة في تفضيل علي على أبي بكر وعمر وإن لم يسبوا أبا بكر وعمر وإن كان بلا شك أهون من خلاف الرافضة ، الرافضة والعباد بالله يطعنون في أبي بكر وعمر ويتبرأون منهما ويطعنون في خلافتيهما بل ويكفرون أبي بكر وعمر وعامتهم يكفرون ويفسقون أبا بكر وعمر فلا شك في ضلالهم بل في حقيقة الأمر في أن قولهم هو كفر في تكفير أبا بكر وعمر وإن كان لابد من إقامة الحجة على الأعيان على الراجح من أقوال أهل العلم ، خلاف الزيدية أهون لكن لا شك أنه خلاف بين السنة والبدعة وليس بين مجتهد ومجتهد من أهل السنة ومن العلماء المتأخرين الذين نشؤوا نشأة زيدية وتأثروا بأهل السنة كالثوكاني والصنعاني ممن يمدح الصحابة ويترضى عنهم ممن حاول التوسط في هذه المسألة فقال نوسط في التفضيل والذي لا شك فيه أنه يجب تقديم أبي

بكر وعمر على علي رضي الله عنه في الفضل كما يقدم الثلاثة عليه في الخلافة لاتفاق أهل الحل والعقد بمن فيهم علي على تقدم أبي بكر ثم عمر ثم تقدم أهل الشورى ومنهم علي رضي الله عنه وعثمان ومبايعتهم له فثبت بذلك خلافة كل واحد منهم ثم لا نزاع في صحة بيعته علي إذ بايعه من كان من أهل الشورى حياً في ذلك الوقت ومنهم طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهم الذين نازعوه بعد ذلك ،

الذي لا نشك فيه أن علياً رضي الله تعالى عنه هو الأفضل بعد هؤلاء الثلاثة وهو الخليفة .

نقول الذين حاولوا أن يقولوا لا يفضل خالفوا في ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم لا يصح التوقف ولا يصح تقدم علي على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويخطئ من قدمه على عثمان لكن لا يضل ولا يبدع ،

الإجماع قطعي في فضل أبي بكر وعمر والنصوص كذلك وقد ذكرنا طائفة منها في فضل أبي بكر رضي الله تعالى عنه وعمر رضي الله عنه كذلك النصوص كثيرة جداً في فضلة والنص عن ابن عمر رضي الله عنه في أن الصحابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يفاضلون بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم يتركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلون أحداً منهم وكما ذكرنا الإجماع منعقد على تفضيل علي بعد ذلك .

فلذلك نقول انقراض الخلاف القديم في تفضيل علي على عثمان لكن كما ذكرنا هذا على غلبة الظن ،

الإجماع نوعان قطعي وظني ، فقطعيه قطعي الدلالة يوجب العلم وظنيه ظني الدلالة مثل الحديث الصحيح الذي لم يجمع عليه والقطعي من الإجماع منه ما هو معلوم من الدين بالضرورة فيكفر المخالف له مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج وحرمة الزنا والخمر والربا وصحة كتاب الله عز وجل أن القرآن كلام الله ، فهذه هي الأمور التي يكفر فيها من خالف فيها ،

وأما القطعي غير المعلوم من الدين بالضرورة فيبدع ويضل من خالفه ولا يكفر إلا بعد إقامة الحجة ،

وأما الظني فهو كما ذكرنا بمنزلة أحاديث الآحاد وإن كان صحيحاً عندنا فقد يضعفه غيرنا فهذا الذي نقول أنه لا يضل فيه المخالف ، والله أعلى وأعلم ،

نقول انقراض الخلاف وأصبح الاتفاق على تقدم عثمان في الفضل كما يقدم في الخلافة لا نزاع في تقديمه في الخلافة لأن أهل الشورى اتفقوا على تقدم عثمان وكان كلمة الأمة كلها تبعاً لأهل الشورى ففوزوا أمرهم لبعد الرحمن ابن عوف الذي بايع عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين بالخلافة لذلك لا نزاع في تقدم عثمان في الخلافة وإنما كان النزاع في الفضل ، أما من قدم علياً على أبي بكر أو عمر في الفضل أو في الخلافة فهو ضال ، الخلاف الذي كان يسع أهل السنة ولا يخرج صاحبه للبدعة كان في تقدم علي على عثمان في الفضل فقط لا في الخلافة ،

أما المسألة التي يبدع فيها المخالف في التفضيل أو الخلافة هي مسألة تقدم علي على أبي بكر أو عمر سواء في الخلافة أو في الفضل وهو اعتقاد الشيعة الإمامية في الخلافة يقولون أول الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم علي يقولون أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان خلافة باطلة وهم أضل الفرق ويزيدون على ذلك سب أبا بكر وعمر وقد تقدم أن هناك خلافاً في تكفير من سب أبا بكر وعمر أو كفرهما ،

بعد أن قررنا هذه الأمور الواجبة في الصحابة والإمامة وآل البيت نقول يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة من خلاف ،

المقصود بذلك بعد ما شجر من خلاف في آخر عهد عثمان وبعد مقتل عثمان رضي الله تعالى عنهما من خلاف وقاتل يجب الإمساك لأنه زيد فيه ونقص منه وغير عن وجهه وكثير مما يروى كذب وزور عليه ، عامة ما يروى من أحداث في واقعة الجمل وصفين التي لا شك أنهما قد وقعتا لا ننازع في أن هناك وقائع متواترة قد وقعت وقع فيها القتل لكثير من الصحابة رضي الله عنهم لكن ما يذكرون مما يطعنون به على الصحابة كذب وزور وكثير منه زيد فيه ونقص منه وغير عن وجهه منها أن علي كان من المحرضين على قتل عثمان ، الشيعة ينقولون ما هو أضل من ذلك وأكثر والعياذ بالله وهو أن علياً هو المخطط لقتل عمر حاشه الله من ذلك وهو الذي يثني عليه ويعيش وزير صدق له طيلة عمره ويثني عليه بعد موته ويخبر أنه ما من أحد يود أن يلقي الله بمثل عمله غير عمر ومع ذلك فيزعمون ذلك ؟ ، فعلي رضي الله عنه الثابت أنه كان هو الذي يدافع عن عثمان رضي الله عنه بأولاده وأنه كان أوقف الحسن والحسين وكذا بقية أولاد الصحابة كعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن الزبير وشباب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأولادهم كانوا يقفون لحماية عثمان من الثوار الذين يألههم عبد الله ابن سبأ الذي زعم الإسلام وكان من اليهود قبل ذلك ، والثوار بلا شك الذين ثاروا على عثمان وقتلوه مجرمون بغاة خارجون على أمير عدل أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه ولا يصح أبداً أن عائشة أو عليا حرض على قتل عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين ولا طلحة والزبير وإنما كان أولادهم يحمون عثمان لولا أن

عثمان رضي الله تعالى عنه رأى في منامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويخبره أنه سيفطر عنده فعزم على كل من كان واقفاً للمدافعة من المحاصرين لبيته أن ينصرفوا إذا كان يرون عليهم حق الطاعة له فانصرف هؤلاء ودخل الثوار فقتلوه شهيداً رضي الله تعالى عنه وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر وهو على حراء وكان هو وأبو بكر وعمر على حراء وأحد في حديث آخر وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص فرجف بهم فقال (اُثْبُتْ أُحْدُ . أو اثبت حراء . فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ) رواه البخاري وهذا دليل على أن عثمان شهيد رضي الله عنه وأن البلوى التي أصابته هي سبب لدخوله الجنة كما في حديث البئر أن عثمان استأذن فقال النبي إذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فالبلوى التي أصابته كان من أسباب دخوله الجنة لأنه ثبت على الحق وصبر وكان هو الإمام العدل والخارجون عليه لا ينقمون عليه إن نعموا على بعض ولاته فليس هو الذي أمرهم وليس هو الذي حثهم على وجود فساد أو ظلم بل كان يقيم الحدود على ولاته من أقاربه ليس كما يزعم أن الولاة من أقاربه استضعفوه بل كان يتولى إقامة الحد عليهم في الخمر وغيرها كما ثبت في الأحاديث ولعلها تأتي إن شاء الله في صحيح مسلم ، فعثمان رضي الله عنه كان إمام عدل ومجتهد له إما أجران وإما أجر ، وأما الذين قتلوه فلم يثبت أن أحداً من أبناء الصحابة كان منهم وما يرى أن محمد ابن أبي بكر هو الذي تولى قتله أو شارك في قتله لا يثبت بإسناد صحيح وأما ما وقع بعد ذلك من خروج عائشة رضي الله عنها فإنما خرجت بعد وقوع الخلاف بعدما بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة ليال يصلي بهم الأشطر وهو أحد الثوار ولم يبايعوا لأحد حتى قبل علي رضي الله تعالى عنه البيعة وبايعه طلحة والزبير وغيرهم ولكن كان علي رضي الله عنه من رأيته أنه يسكن الأمور حتى تستقر وتثبت أركان الخلافة وعند ذلك يبحث في قتلة عثمان فإن الذين قتلوه قتلوه في عماية من الأمر ولم يثبت على رجل بعينه أنه قتله وإنما كان مجموعة من الناس حاصروا البيت وكانوا من الثوار فدخلوا عليه فقتلوه فكان علي رضي الله عنه يطالب بأن تثبت البيعة على رجل بعينه فيقتص منه وأما طلحة والزبير فرأوا أن علي رضي الله عنه ترك كبار قادة الثوار ولم يصنع معهم شيئاً فطلبوا هؤلاء القتل واحد بعد واحد وخرجوا إلى الكوفة إلى العراق وقع هناك قتل لبعضهم لبعض هؤلاء الثوار ومنعت قبائلهم أو قبائل بعضهم أحداً أن يصيبهم بأذى فخرج علي رضي الله عنه في إسرهم رضي الله عنه حتى لا يستفحل الأمر وخرجت عائشة للإصلاح بين الناس ظنت رضي الله عنها أن وجودها سوف يمنع الناس من الاقتتال وكانت ترى وجوب الاقتصاد من قتلة عثمان ولكن كان الأمر فعلاً يحتاج إلى تسكين وتهدئة ولا بد من أن تجتمع الكلمة على علي خصوصاً أن معاوية لما سمع بما جرى وكان له بعض النظر في ذلك لأنه كان في الشام والمهاجرون والأنصار متوافرون فكيف يستطيع الثوار أن يقتلوا عثمان إلا بسكوت هؤلاء فظن بوجود نوع من التقصير في حق عثمان رضي الله عنه وهو من أقاربه فطلب بالقصاص من قتلته وكان مخطئاً في امتناعه من البيعة لعلي رضي الله تعالى عنه قبل القصاص من قتلة عثمان فهذه مسألة وتلك أخرى ولا يصح أن ينازع الإمام لظن أن بعض الرعية أنه قد قصر في إقامة الحق الواجب عليه وعلي رضي الله عنه كان معذوراً في التأخير لأنه لم تثبت بيعة ولم يثبت على رجل بعينه أنه الذي قتل أو جماعة بعينهم أن ضرباتهم هي التي قتلت ولا شك أنه كان هناك عذر للفريق الآخر في خطأه في اجتياحه ولهذا قلنا أن الصحابة بين مجتهد مصيب وبين مجتهد مخطئ والمصيب له أجران والمخطئ له أجر ،

خرجت عائشة رضي الله عنها للإصلاح بين الناس وأوشك الصحابة على الاتفاق بمراسلات كتابية وشفهية بينهم طلحة والزبير وبين علي رضي الله عنه وأقنعهم علي رضي الله عنه بأن التسكين وجمع الكلمة هو الواجب الآن وأنهم عجزوا عن بعض من أرادوه من قتلة عثمان في المجموع فكيف بمن هم أعظم عصبية من هؤلاء الذين منعوهم فاتفقوا على حصول هذا التسكين فلما علم قتل عثمان والثوار ورأسهم عبد الله ابن سبأ ما اتفق عليه الصحابة اتفقوا على إشعال القتال بالليل فتفرقوا فرقتين فرقة تكون في عسكر علي وفرقة تكون في عسكر طلحة والزبير ، هؤلاء يقتلون من بجوارهم ويصيحون غدر طلحة والزبير وهؤلاء يقتلون من بجوارهم ويقولون غدر علي ، ففي الليل نشب القتال وانجلى الصبح للناس عن معركة هائلة ، نادى عليه رضي الله عنه الزبير رضي الله عنه وذكره بما قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقاتلن علياً وأنت له ظالم تذكره الزبير وهو رجاء إلى الحق وانصرف ، تبعه بعد هؤلاء الثوار حتى قتله وجاء عليه رضي الله عنه يبشره بقتل الزبير منصرفاً من المعركة ولا نزاع أنه لو ثبت على رجل أنه بغى على الإمام العدل وترك القتال منفرداً بلا طائفة لا يجوز قتله خاصة أنه لا يقاتل فقتله هذا الرجل غدرًا وظلمًا وعدواناً فبشره علي رضي الله عنه بالنار وقال له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ) رواه الحاكم وصححه وهو ابن عمة علي وابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم فكانت مأساة عظيمة بلا شك الذي تحمل وزرها الذين أنشبو القتال بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وظل القتال ناشباً حول جمل عائشة رضي الله عنها هناك من يظن أن هؤلاء يريدون عائشة بسوء فيقتلون للدفاع عنها وهؤلاء يظنون أنهم لا بد لهم من إسقاط هذا الجمل حتى تنتهي المعركة فوقع الذي وقع حتى عقر الجمل فسقط الجمل فرد علي رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها معززة مكرمة إلى المدينة وكانت تبكي بعد ذلك حتى تبل خمارها على خروجها وقتل في المعركة طلحة والزبير وأيضاً قتل بعيداً عن المعركة كما قتل الزبير بعيداً عن المعركة بغير قتال وقتل من أبنائهم الفضلاء الذين بكاهم علي رضي الله تعالى عنه وصل على الفريقين حتى أنكر عليه الخوارج ذلك وكان يقرب ابن طلحة ويدينه منه في مجلسه ويقول " إني أرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله فيهم ﴿ وَتَزَوَّجْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ { الحج ٤٧ } " وكان يطرد من مجلسه من كان يطعن في طلحة والزبير وعائشة وقال مقرأ لعائشة أنها أم المؤمنين بعد ما فعلت أنما قال الخوارج أنك قاتلت ولم تسي ولم تنعم الأموال فقال أتسيبون أمكم فأقر أنها أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها حتى بعد أن خرجت وفعلت ما فعلت وهي كما ذكرنا فعلت ذلك مجتهداً ، هذا ملخص ما ثبت من ذلك أما الأقاصيص الكثيرة المنقولة في كتب السير فعامية ذلك بلا أسانيد وبأكاذيب وباختراعات من الفرق الضالة التي ينشر كل فريق منهم سمومه من خلال الأخبار المكذوبة لذلك يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة ليس معنى الإمساك عما شجر أننا لا نثبت خلافة الخلفاء الثلاثة قبل علي أو الخلفاء الأربعة الراشدين أو أننا لا نتكلم في الفضل فبعض الفضلاء المتأخرين ممن حاول التوفيق بين السنة والشيعة وخذع بهذه البدعة المحدثه ظن أنه يمكن ذلك من خلال السكوت على القضية أي لا نتكلم في الفضل ولا الخلافة يقولون هذا خلاف سياسي لا نشغل به ، وليس هذا كلام السلف في الإمساك عما شجر من خلاف ، الإمساك عما شجر من خلاف ليس حول فضل أبي بكر وعمر وليس في خلافة أحد الخلفاء الأربعة ، الخلاف المأمور الإمساك عنه هو ما وقع في واقعة الجمل ثم واقعة صفين وليس أننا يسعنا أن نحمل ذكر فضل الخلفاء الأربعة الراشدين وإثبات خلافتهم ،

يجب على الناس أنت تمسك عن الأخبار الكثيرة التي ذكرت وليس أيضاً يمنع من ذكر من المصيب ومن المخطئ والعلماء في ذلك على اختلاف بينهم منهم من يقول المصيب في ذلك من ترك القتال وهو ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح جانب سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد ويرجح من يترك القتال ، وهناك طائفة من الصحابة رجحت جانب معاوية رضي الله عنه بعد ذلك ولكن الصحيح أن علي رضي الله عنه كان هو المصيب وأنه كان إمام العدل وأن من خالفه كان باغياً عليه ولكن وصف البغي لا يلزم من ذلك تفسير لذلك نقول أكثر أهل السنة على أن المجتهد المصيب علي رضي الله عنه والمخطئ من خالفه ابتداءً من طلحة والزبير وعائشة ثم معاوية وعمر ابن العاص رضي الله عنهم والمخطئ مجتهد مرفوع عنه الإثم معذور في خطئه لقول النبي صلى الله عليه وسلم عن عمار (وَيْحَ عَمَّارٍ نَقَلْتُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ) رواه البخاري الذين يدعونهم إلى النار كان هم القتل الحقيقيون لعثمان الذين أنشبو القتال بين الصحابة والذين أرادوا الفتنة بينهم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم عن الخوارج (تَمَرَّقُوا مَارِقَةً عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوَّلَى الطَّاغُوتَيْنِ بِالْحَقِّ) رواه مسلم وهذا صريح في أن علي رضي الله تعالى عنه أولى بالحق ، ولكن هذا التعبير أولى بالحق يعني أن الطائفة الأخرى معها شيء من الحق وليست أنها مبطلّة ،

الذين قتلوا الخوارج هم علي رضي الله عنه ومن معه ،

فسب الصحابة من عظامم الذنوب وسواء علي رضي الله عنه ومن معه وطلحة والزبير ومعاوية ومن معهم وهو سواء في تحريم السب لكن لا شك في تقلص علي من سواه في الفضل والمنزلة ولا شك في تقلص طلحة والزبير وعائشة على معاوية بل لا شك في تقلص الحسن ابن علي على معاوية رضي الله تعالى عنهم أنه ثبت في فضائل الحسن ما لم يثبت في فضائل معاوية رضي الله عنه ولكن لا يجوز سب معاوية ولا عمر ابن العاص ولا الاتهام بالخداخ والكذب ولا أنهم من المنافقين ولا سب أبي سفيان بل هذا كله من الكبائر وهم جميعاً ممن قال الله فيهم { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } . الحج ٤٧

في الاعتقاد في الصحابة والإمامة وأهل البيت نقول لا عصمة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا لصحابي ولا لإمام ولا لولي ، رد هذا على عقيدة الشيعة الرافضة عليهم من الله ما يستحقون في ادعاء العصمة للأئمة وما قد يعامل به البعض مثل غلاة الصوفية بعصمة الأولياء أو بعضهم يعامل الأولياء على ذلك وأما الصحابة فنحن نص على عدم العصمة لأن بعض الناس يجعل النصوص التي وردت عن الصحابة كأنها نصوص أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وليست كذلك ، فإن العصمة ليست إلا للأنبياء ، وقد تكلمنا في أدلة ثبوت العصمة للأنبياء { فمن يطع الله إن عصيته } { فَمَنْ يُنْصِرْنِي مِنَ اللَّهِ إِنَّ عَصِيئَتَهُ } هود ٦٣ { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ } الانعام ٩٠ ودليل على أن الأنبياء لا يتعمدون المعصية ولا يقرون على أمر مخالف للوحي من خطأ أو اجتهد فيأتي الوحي لينبهم فثبت بذلك عصمتهم وأما من كان دونه فليس بمعصوم وإنما يحتج بقول الصحابي من يرى من أهل العلم أنه إذا انتشر ولو يعلم له مخالف كان إجماعاً والأمة لا تجمع على ضلالة لأنه (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متفق عليه وسيأتي الكلام على قول الصحابة إذا انتشر وإذا لم ينتشر ولكن لا يقول بعصمة الصحابة أحد من أهل السنة ولا بعصمة أهل البيت ولا الأئمة ولا الخلفاء الراشدين ولا الأئمة الأربعة لأن بعض الناس يجعل إجماع الأئمة الأربعة إجماعاً ، نقول أنه ليس بإجماع بل إجماع الخلفاء الراشدين ليس بإجماع بدليل أن علي رضي الله عنه خالف قوله بعد أن كان يقول يمنع بيع أمهات الأولاد رجع وقال يجوز بيعهم وإن كان الإجماع حجة لما جاز له أن يجتهد في خلافه بعد أن كان كواحد من الأربعة قضا بذلك ، والخلفاء قبله قضا بذلك ومع ذلك ليس بإجماع عند جمهور أهل العلم ،

قضية العصمة قضية خطيرة بلا شك يترتب عليها أن تجعل نصوص الأئمة كنصوص الكتاب والسنة تخصص عمومها وتقيد إطلاقها وتجعل لها ضوابط وشروط وموانع ليست واردة في الكتاب والسنة والرافضة يعاملون نصوص الأئمة عندهم وخاصة جعفر الصادق ومحمد الباقر وهو عامة ما ينقل في كتاب الكافي يزعمون أنه عن جعفر الصادق يجعلونه كنصوص الأحاديث وحجة عندهم بلا تردد وفضلاً أنها مكذوبة في الحقيقة إنما يدعيها الكاتب الكاذب وأنه كان يقابل الإمام في الغيبة ويروي له هذه المرويات العجيبة ولذلك هذا فتح باب لهدم التشريع الإسلامي في جملته ، اختراع نصوص باطلة ما أنزل الله بها من سلطان فضلاً عن معاملة هذه النصوص من نصوص الكتاب والسنة ، الحجة فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد كتاب الله عز وجل وفيما أجمعت عليه الأمة وفي القياس على هذه الثلاثة وليس في ادعاء العصمة للأولياء ومحاولة تأويل كل ما ورد عن ولي من الأولياء فضلاً عن من يوصف بالولاية وليس كذلك ليكون في حقيقة الأمر يعتبر أقواله كأنها معصومة وكذا الأئمة الأربعة وغيرهم فعند كثير من مقلديهم بعد تشدد الناس في التقليد وزيادتهم في هذا الباب يجعلون نصوص إمامهم كأنها نصوص الكتاب والسنة يقدمونها على الحكم بنصوص الكتاب والسنة فيما شجر بين الناس من اختلافات ،

نقول الجمع يجوز عليهم الكبائر والصغائر ، نعم بعد النبي صلى الله عليه وسلم من جهة جواز ذلك نعم يجوز أن يقع من الصحابة والأئمة والأولياء الكبائر والصغائر ولكن لا يكون ولياً وهو مصر على الكبيرة ،

وللصحابة مزية على من بعدهم بالسبق بالإسلام والصحة والجهاد في سبيل الله ولذا ما يقال عن مساوئهم هو مغمور بالنظر إلى فضائلهم وما سبقوا به إلى الله عز وجل من الجهاد في سبيل الله ونصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته فلو كانت هذه الكبائر أو الصغائر ثابتة عليهم لكانت مصائب مكفرة وحسنات ماحية وسبق إلى الله عز وجل ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم واستغفارهم صلى الله عليه وسلم مما يغلب على الظن معه مغفرة هذه الذنوب ولذا صح مدحهم جملة وتفصيلاً رضي الله تعالى عنهم أجمعين ،



ولكن لا يلزم من ذلك أنهم معصومون ولذا قد قال سبحانه وتعالى { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ } النور ٣ وقد وقع ذلك من بعض التابعين، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع ذلك للصحابة رضي الله عنهم ، أعني ثبوت الزنا بالبينة وإنما ثبت الزنا من بعض الصحابة رضي الله عنهم بالاعتراف مع حصول التوبة ، الثلاثة رجموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان ماعز والغامدية وامرأة صحاب العسيف ، وكلهم كان الاعتراف هو الذي أقيم به الحد عليهم وثبت بذلك أن معهم توبة صادقة لله عز وجل ،

نقول وأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنة والجماعة ، قال الله سبحانه وتعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } يونس ٦٢ فالإيمان والتقوى هو وصف أولياء الله عز وجل ، كل مؤمن تقي فيخرج بذلك الكفار ويخرج بذلك أيضاً أهل البدع ولذا قلنا من أهل السنة والجماعة لأن أهل البدع وإن لم يلزم أن يكونوا كفاراً إلا أنهم لا يطلق عليهم اسم الإيمان وكذلك أهل الكبائر المصيرين عليها الفسقة ليسوا بأولياء الله الصالحين فلا تثبت الولاية لمن عرف فسقه ولا يقال من أولياء الله الصالحين وإن كان من جملة المسلمين ففيه قدر من الولاية بإسلامه ولكن في الجملة إطلاق اللفظ إنما هو على الكامل ولا يطلق على من علم عنه فسق أو بدعة بلا تأويل ، فأما الكافر فهذا بإجماع المسلمين فمن زعم أن بعض الكفرة من أولياء الله عز وجل كما يوجد في جهال من المسلمين يشاركون الكفار الاحتفال بموالدهم ويزعمون أن هؤلاء أصحاب الموالد من الأولياء ، مولد ماري جرجس هذا كان إلى عهد قريب قبل الصحة الإسلامية وقبل انتشار العلم يشترك فيه كثير من المسلمين ويحتفلون كاحتفالهم بالموالد البدعية تماماً وكذلك أبو حصيرة هذا كان بدايته أصلاً مولد يحتفل به المسلمين ولم يكن هناك يهود في دمنهور ومع ذلك صار بعد ذلك مولداً لما أدركه اليهود جعلوه خاصاً بهم ، فنقول أن من ينسب الكفار للولاية مكذب للقرآن العظيم لأن الله عز وجل قال { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } يونس ٦٢ فلا يوجد ولي مشترك ولا يوجد ولي كافر أو مرتد وعند فرق الصوفية المنحرفة القائلين بالحلول والاتحاد وهم مساواة الملل عندهم يمكن أن يكون ولياً وهو من الكفار واليهود والهندوس وغير ذلك لأنهم يعبدون شيئاً واحداً على زعمهم وكفرهم والعياذ بالله ،

وأما المتقون فكما ذكرنا من عرف عنه فسق بدعة وضلالة فليس بتقي فلا يجوز أن يسمى ولياً من أولياء الله سبحانه وتعالى فنحن لا نقصد بذلك أن نتبع أحوال بعض من سمو بالأولياء ليثبت أنهم ليسوا بأولياء فمع أننا قد نعلم شيئاً من ذلك عن بعضهم من الكتب المؤلفة أو الأقوال المأثورة في كتب أهل السير لكننا لا ندرى عن أسانيدنا شيئاً خصوصاً المتأخرين ، بعض الناس مثلاً يؤلف كتباً في أن البدوي رجل باطني زنديق وتقوم الدنيا وتقع من أجل ذلك ونحن في الحقيقة كما ذكرنا الأخبار غير موثقة ومنقولة بغير أسانيد والدسوقي له أبيات شعرية منقولة فيها حلول واتحاد والقول بالاتحاد خصوصاً ، والشاذولي منقول عنه أقوال تكاد تكون موجودة في كل كتب الشاذولية في القول بوحدة الوجود أيضاً ويسمي التوحيد أوحالاً ، وإن كان لا نشغل أنفسنا بالحكم على الأشخاص لأجل أنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ونحن ليس عندنا أسانيد صحيحة تثبت أنهم أصحاب هذه الأقوال ، والكتب المشهورة نحكم على أصحابها إذا تواترت إليهم، فلا شك أن فصوص الحكم والفتوحات المكية لابن عربي والتقية لابن الفارض ، نحكم على من ثبتت هذه الكتب إليه باستفاضة والشهرة فهذا حكم عليهم بالضلال والبدعة والقول بالعقائد الكفرية تمنع أن نسميهم بذلك أولياء وإن كان لا فرق عندنا بين ثبوت الولاية وعدمها في عدم جواز صرف العبادة لهم ولا اتخاذ قبورهم مساجد ولا الطواف حولها ولا الاستغاثة ولا الاستعانة ولا الذبح وكل ذلك من المحرم والشرك سواء كان ولياً أو غير ولي ، لكن القضية التي من أجلها نذكر هذا الكلام أن بعض الناس يعتقد أن الأولياء فقط هم الذين حول قبورهم القباب يقولون أنت لا تحب أولياء الله الصالحين أن أولياء الله الصالحين هم المؤمنون المتقون والمصلون الصائمون والمجاهدون والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، أحياء في الأرض ولايتهم واجبة وتوليهم ومحبتهم ونصرتهم واجبة ولذلك القضية عظيمة في أن نعلم أن كل من هو مسلم من أهل السنة والجماعة لا يعرف عنه فسق ونعامه كولي من أولياء الله الصالحين { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } يونس ٦٢ ، طالما لم يظهر منهم فسق أو بدعة أو ضلالة أو ترك واجب من الواجبات أو ترك الصلوات مثلاً أو ارتكاب كبيرة ، لا بد أن نعامل المسلمين الذين ثبت تقواهم وعلمنا إيمانهم وتقواهم على أنهم من أولياء الله الصالحين تحب نصرتهم ومحبتهم ومن كان عنده طاعة ومعصية وبدعة وسنة وعمل صالح وفجور أحب وتولي من وجه وأبغض وعودي من وجه المعصية ، أحب من وجه إيمانه وإسلامه وطاعته وسنته وأبغض على ما عنده من الفسق والفجور والبدعة وأما من كان كافراً فيبغض من كل وجه ، من أهل السنة والجماعة وصف مؤثر وقيد مهم بأن أهل البدع ليسوا من أولياء الله الصالحين وإن كان بعضهم معذوراً يمكن أن يكون لم تقم عليه الحجة في بدعة من البدع المختلف فيها أو حتى اتفق عليها العلماء لكن لم يكن في زمنه من يقيم تلك الحجة ويبينها فلا يمنع ذلك من الولاية وإن كان ذلك في حقيقة الأمر لا بد أن ينتبه معه إلى عدم اتباعه أو تقليده على ما صنع وأما من يرى ذنوب الأولياء من الكرامات وعلامات الولاية فإن هذا والعياذ بالله من الضلال المبين بل حقيقته من الكفر والعياذ بالله ، الذي يجعل الكبائر من علامات الولاية كما دسه الشعرا في كتابه طبقات الصوفية وقع في أنواع من الضلالات أدت إلى ترسيخ اعتقاد أن الذنوب التي ترتكب من الأولياء هي من كراماتهم والعياذ بالله هذا في الحقيقة نوع من الاستحلال إذا تبين لصاحبه ذلك وأصر عليه كان كافراً نعوذ بالله من ذلك كمن حكى عنهم الشعراي مثلاً من أوليائه هو أنه كان من كراماته أنه كان يخطب عارياً ويقول لهم الكفر على المنبر ويخاف الناس منه ويأتي بخارق للعادة يقول من كرامات سيدي فلان الفلاني أنه خطب على المنبر فقال أشهد أن لا إله لكم إلا إيليس صلى الله عليه وسلم فقال الناس كفر كفر فنزل وسل سيف وهرب الناس من المسجد وفعل ذلك في ثلاثين جمعة رضي الله عنه ، هو يقول ذلك ، يقول أنه فعل ذلك في ثلاثين مسجد في نفس اليوم كلام كفر أن يقول ذلك ويترى عن من فعل هذا الكفر البواح ويجعله من الكرامات ، وآخر كان من كراماته أنه يوقف شيخ البلد وينزله من على البغلة ويأتي البغلة في الطريق فإن أبي تسمر شيخ البلد يعني يثبته مكانه ولا يجعله يتحرك ويجعلون ذلك من الكرامات وهذه من أحوال أولياء الشيطان والعياذ بالله ، عند ذلك من الكرامات كفر والعياذ بالله وتقام الحجة على من زعم أن هذه كرامات وأصر يكون كافراً والعياذ بالله ،



هذه القضية انتشرت بين الصوفية حتى جعلت أتباعهم يقولون من اعترض انتطرد ، يرون عدو من أعداء الله أمامه ويقولون أكيد في سر بينه وبين ربنا والعياذ بالله يرتكب الفواحش ويشرب الخمر والمخدرات ويغصب أموال الناس ويقولون ولي من أولياء الله الصالحين ولا يسأل كيف يفعل ومن اعترض انتطرد والعياذ بالله ويكون بين يديه شيخه كالميت بين يدي الغاسل وهذا الذي فتح الباب للتقليد الأعمى في الضلالات والشركيات الذي أدى إلى اختيار الأمة الذي أدى إلى ضياع هيبته وعزها وكرمتها بانتشار هذه المنكرات والعياذ بالله ، أقصى ما يمكن أن يقال تاب إلى الله من هذه الكبائر والجرائم وأقصى ما يقال البدع التي عنده كانت ذنوب ومعاصي أو أنه كان مخطئاً فيها ولم يتبين له الصواب ولم تقم عليه الحجة وله من الفضائل والمحاسن ما غمرت هذه البدعة بالنسبة إلى محاسنه مع كونه لم يعيش لنشر البدعة وإنما نشر السنة والدين ،،

ونقول عن ابن الفارض وابن العربي أئمة الضلال ونقول عن الجهم ابن صفوان لعنه الله والجعد ابن درهم وعليهم من الله ما يستحقون وأهم من رؤوس البدع والضلال والخوارج كذلك وبشر الماليسي ندمه ونظعن فيه ونقدح في عدالتهم ونقول أن هؤلاء عاشوا من أجل نشر البدعة وكما ذكرنا ابن حجر وصالح الدين الأيوبي مثلاً الذين يذكر بعض الناس أنه كان أشعرياً وليس كذلك وليس عنده بدعة لكن القاضي الفاضل كان أشعرياً ولكن كانوا من رؤوس العلم ولا كان يتصدي للبدعة ولا لنشرها و هم أهل العلم في زمانهم وله من الفضائل في الجهاد ونصرة الدين ووجود ما يغمر هذه فضلاً عن أنه معذور فيما كان فيه فلا بد أن ترعوا ، ونحن ننتفع بكلامه بلا شك في شرح السنة وشرح كتاب رياض الصالحين كتاب عظيم القدر وفتح الباري ننتفع به في كتاب ابن حجر لفتح الباري وغيرهم من أهل العلم ينتفع بهم ولا نصفهم بالبدع ، نقول كلامهم بدعة لكنه ليس بمبتدع وأنه لم تقم عليه الحجة ولم يثبت أنه ناظره غيره من أهل العلم فأصر عليها ولم يكن متصدياً لنشر البدعة في زمانه ، نقول عنده زلات وأخطاء فقط ولا نقول أنه مبتدعاً ضالاً ومن لم يبدع هذا فهو مبتدع وهكذا هلم جر حتى بدعوا الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله وجرحوا دعاة العلم فيها ،

طالب : أنا عندي الآن سبعين سنة ولم أسمع هذا الكلام إلا من عشر سنين فما حال من مات قبل ذلك وحال القرى

الشيخ : لأجل ذلك نقول أن الإنسان لا بد أن يستبان حاله إن كان في البدعة ولم يثبت أنه أقيمت الحجة فيها أم لا ، وأهل السنة وأهل العلم وأهل العمل الصالح من المجاهدين من عباد وزهاد وعلماء من دعاة إلى الله عزوجل من أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر والخير في هذه الأمة بفضل الله ،

لهم من الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم وتوليهم ،

إثبات كرامات الأولياء من عقيدة أهل السنة والجماعة دل على ذلك الكتاب ودلت عليه السنة فدل الكتاب في قصة أهل الكهف وقد ذكر الله أنهم فتية آمنوا بربهم وأنهم الله ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعة ولم يثبت أنهم أنبياء وعند جمهور العلماء أن مرثم ليست بنبية وقد جرى لها من خوارق العادات ما ذكر الله عز وجل { كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْثَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } آل عمران ٣٧ إثبات أنواع الكرامات في السنة كثير جداً فيمن سبق من قبلنا كقصة جرير ونطق الصبي وكذلك الذي تكلم في المهدي ليثبت براءة الجارية التي يضرها الناس في قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهدي فهذا فيه إثبات أنواع الكرامات ،

وأنواع الكرامات المتعلقة كما ذكرنا نوعان :

نوع متعلق بأنواع القدرة والتأثير

ونوع متعلق بأنواع الكشف أنواع العلوم والمكاشفات

فهناك أمور يعلمها الله عز وجل للولي يكشف له عنها وقد لا يعلمها ولا يستطيع أن يراها أو يسمعها غيره فهذا في أنواع العلوم والمكاشفات ،

وأما أنواع القدرة والتأثير فهو أن يبسر الله عز وجل له ما لا يقدر عليه غيره كالسير على الماء مثلاً كما ثبت في غزوات الصحابة رضي الله عنهم أنهم ساروا على الماء ولم يتل إلى أسافل نعالهم وخاضوا على خيولهم البحر في طلب عدوهم وثبت الكثير في ذلك ممن نبت الطعام في بيت أبي بكر في الصحفة التي كان يأكل منها الأضياف الذي ضافهم رضي الله تعالى عنه فكانوا لا يأكلون لقمة إلا نبتت تحتها غيرها حتى صارت البرمة أكثر مما كانت قبل أن يأكلوا ،

وقد عقد الإمام النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين فصلاً كاملاً في أنواع من الكرامات الثابتة لأولياء الله الصالحين في النوعين المذكورين ،

وكما ذكرنا الكشف الإلهام من هذه الأنواع أن يكشف للإنسان عن أمر غيبي كما كان عمر رضي الله عنه ملهماً محدثاً فقال وافقت ربي في ثلاث فكان يقول القول فينزل الوحي بموافقة ولا يقول للشيء إني لأراه كذلك إلا كان كذلك فهذا من جنس ما وقع لعمر رضي الله عنه في الحديث الحسن أنه وقع في قلبه أنه سارية الصحابي الذي كان قد أمره على إحدى الفتوحات كان لو اعتصم بالجبل ولجأ إلى الجبل لنجى من العدو وانتصر عليهم فناده وهو على المنبر في المدينة " يا سارية الجبل الجبل " فأولاً وقع في قلبه ذلك فهذا من أنواع العلوم والمكاشفات ثم أوصل الله صوته إلى سارية حتى سمع سارية صوت عمر وهو يقول الجبل الجبل فلزموا الجبل فنحوا فهذا في أنواع القدرة والتأثير يقدر على ما لا يقدر

عليه غيره ، والدليل عليه قول الله عز وجل في الحديث القدسي (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ وَلَيْتِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ) رواه البخاري

نقول الكشف كذلك عن أمر غيبي ، والكشف والإلهام بينهما عموم وخصوص بمعنى أن الكشف قد يقع بفراصة أو يقع بنوع ظن معين يقع كما أخبر والإلهام يقع في قلب المحدث يلقيه الله عز وجل عن طريق الملك يحدثه بشيء ما وقد يسمع الإنسان الملائكة قد يراهم كما ثبت أن أسيد بن حضير رضي الله عنه رأى الملائكة التي نزلت تستمع قراءته قال له النبي صلى الله عليه وسلم (تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ وَلَوْ قُرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ رَأَاهَا النَّاسُ لَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ) رواه احمد وقال الأرئوط اسناده صحيح وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم جبريل عليه السلام في صورة أعرابي الذي حدث النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا صوته وسمعوا كلامه وكان عمران ابن حسين رضي الله عنه قال إنه كان يحدث فلما أكتوى لأنه أصيب بالبواسير ترك التحديث فلما ترك الكي عاد يحدث مرة أخرى وكانوا يسمعون تسبيح الحصى وكل هذه الكرامات هي في الحقيقة معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامات لهؤلاء الأولياء رضي الله تعالى عنهم

وعاصم رضي الله عنه لما قتل ودعا الله عز وجل أن يحمي جسده آخر النهار كما حمى دينه أوله فأرسل الله الدبر حتى أعجزت الكفار فتركوه إلى الليل فجاء السيل فاحتمله فلم يقدروا عليه وهذا في إثبات الكرامة في مثل ذلك بعد الموت ،

فنقول أعلى الكرامات أن يلهم الإنسان رشده وأن يكشف له عن الحق فهذا أعلى ما يختص به عبد من كرامه أن يوفق لطاعة الله عز وجل وأن يلهم الرشد وهذا الإلهام هو الذي شرع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأله الإنسان قال (قُلْ : اللَّهُمَّ أَهْمْنِي رُشْدِي ، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي.) رواه الترمذي وغيره وضعفه الألباني ولم يسأل إلهاماً خاصاً لغير يكشف

وكذلك الكشف المستحب الفاضل الذي هو أعظم الكرامات أن يكشف للإنسان عن طريق الحق يكشف له ما هو الحق عند اختلاف الناس ولو لم يكشف له عما في بطن هذه المرأة وعما قد يقع في غد أو نحو ذلك ليس هذا الكشف الفاضل ، بل الكشف الفاضل الذي يسعى إليه المؤمن أن يكشف له عن طريق الحق ، لذا تميز أئمة العلم من أهل الفقه ومن أهل الحديث والتفسير من أهل السنة والجماعة بأنواع الكشف في باب العلم فصارت عامة مسائلهم بفضل الله على الحق ولم يختلفوا إلا في أنواع من الفروع وأما المسائل الكبرى من الدين فقد حفظها الله باتفاقهم عليها وكشف الحق لهم فيها ، وكذا ألهموا صحة الأحاديث بذلك قالوا أن علم العلل إلهام وتوفيق من الله عز وجل ، فمعرفة الإنسان بهذه الأمور أنفع له بكثير من إلهام خاص أو كشف خاص أمر غيبي ، والناس في هذه الكرامات طرفان لا وسط فمنهم من يغالي في إثبات الكرامات حتى يجعلها كمعجزات الأنبياء تماماً ويجعلها قبل الموت وبعده بجميع الأنواع فيعطي للأولياء من صفات الإلهوية والربوبية بزعم الولاية ما يقع به في الشرك والعباذ بالله ، فهم يعتقدون أن من كرامات أن يجعلهم الله يصرفون الكون ويدبرون الأمر كأن الرب سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً يحتاج إلى من يعينه في تدبير الأمر أو أنه قد ترك الأمر للأولياء يدبرونه وهو عز وجل قد أخبر سبحانه وبحمده في كتابه أنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فلا يسع أحداً أن يدعي صفات الربوبية للأولياء بزعم أنها كرامات بينما كما ذكرنا لهم أنواع من القدرة والتأثير ولهم أنواع من الكشف والإلهام لكن لا يعني أنهم أرباب آلهة تصرف لهم العبادات ويدعي لهم أنواع القدرة الخارقة والسمع المحيط والبصر المحيط والسلطان على كل ذرات الكون كل هذا من الضلال المبين ومن الشرك في الربوبية والعباذ بالله من ذلك وكذا الشرك في الأسماء والصفات ،

نقول الطرق الآخر لما رأى غلو هؤلاء في الكرامات شرع في نفي الكرامات بالكلية وجعل إثبات هذه الكرامات في أمور الغيب وفي أمور خوارق العادات من جهة التأثير أمراً منكراً لا يقول به إلا أهل البدع وهذا باطل فإن أهل السنة يثبتون كرامات الأولياء كما ذكرنا من نوعين أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات لكن لا يغالون في الأولياء ولا ينكرون ما ثبت في الكتاب والسنة ولا يصرفون شيئاً من العبادات لأحد من الأولياء لا يعتقدون فيهم إلهية ولا ربوبية ولا مشابهة الرب عز وجل ومماثلته في الأسماء والصفات ،

فبدعة إنكار الكرامات من بدعة المعتزلة قديماً وتأثر بها بعض أصحاب التشديد من المعاصرين وكان لهم جهد مشكور في الرد على أهل البدع من جهة الغلو في الصالحين لكن كان هناك أخطاء خطيرة في إنكار الكرامات بالكلية حتى شابها المعتزلة في ذلك ، لذلك نقول الوسط في ذلك هو مذهب أهل السنة مع أنهم في إثباتهم لأنواع الإلهام والكشف والقدرة لا يجعلون الكشف والإلهام مصدرراً من مصادر التشريع لأنهم يعلمون أن الإلهام قد يكون رحماناً أو قد يكون شيطانياً وأن النفس الأمارة بالسوء قد تدخل في ذلك وتوهم الإنسان ومن هنا كان الكشف والإلهام لابد أن يعرض على الكتاب والسنة ولا يستدل به على حكم ولا كان عمر رضي الله عنه وهو سيد المهتمين يقول أنا المهتم فاتبعوا كلامي بل يعرض كلامه على ما عرف من الأدلة وربما رجع علناً أمام الناس إذا تبين له خطأه حين يستدل عليه بالكتاب أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ،

لذلك نقول الفرق بين أهل السنة وبين الصوفية الغلاة في باب الكشف والإلهام أنهم يجعلون الكشف الإلهام نأ يقع وحياً قاطعاً لا يحتمل تردد عندهم يجوزون بذلك الغيب ولذلك توهموا من أنواع الباطل أنواع كثيرة ، توهموا لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وتوهم بعضهم رؤية الله عز وجل أيضاً في اليقظة أو في المنام فإن ذلك لا يصح لغير النبي صلى الله عليه وسلم رؤية حقيقة وإن كان يؤل ما رأى الله عز وجل في المنام على أشياء آخر لا أنه رآه حقيقة في المنام قبل أن يموت ( لن تروا ربكم حتى تموتوا ) رواه النسائي وصححه الألباني

الغرض المقصود أنه لا يترتب على الكشف والإلهام أحكام شرعية إنما يستأنس بها ولا يستدل بها ، لابد في الاستدلال من الكتاب والسنة والإجماع ومصادر القياس ومصادر الاستدلال الأخرى

الكشف والإلهام مما يستأنس به كالرؤية الصالحة ترى للمؤمن أو يراها فهذا من أنواع الكرامات الثابتة وأما في باب القدرة والتأثير فلا يجوز أن يطلب من المسلم من الولي ما لا يقدر عليه إلا الله لا يمكن أن يسأل الدعاء ولو بأمر خارق لكن ليس على سبيل الجزم بقدرته على تحصيله بل على سبيل الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل كالذي ذكر الله عز وجل { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ } النمل ٤٠ . فقام فدعا الله عز وجل باسمه الأعظم الذي يعلمه فأجابه الله سبحانه وتعالى فما كان من طلب الدعاء ولو كان لأمر خارق للعادة فهو لا يناهز ما ذكرنا وإنما هو من ضمن الكرامات المشروعة ، الباطل في ذلك أن يعتقد أن الولي يدبر الأمر وأنه قادر متى شاء في أي مكان شاء على إجابة المطلوب وقضاء الحاجة وكشف الكربة فيدخل في إثبات الربوبية لهذا الولي لذلك نقول ومن اعتقد في أحد من الأولياء أو في غيرهم الإلهية لأن البعض صار يعتقد في الكفرة والزنادقة والملحدين صاروا يعتقدون فيهم هذه الكرامات فتسمع كرامات لجرس وكرامات لأبوا حصيرة وكرامات لأناس من أهل الشرك والبدع وأناس من أهل المعاصي والفجور فيعتقد أن ما كان لهم من هذه الكرامات هو علامة على ولايتهم وإن لم يكونوا مسلمين وكل هذا من الزندقة والنفاق من اعتقد في أحد منهم أو في غيرهم الإلهية كما اعتقد النصارى في مريم أو يعتقدون في المسيح كما يعتقد الدروز مثلاً في الحاكم بأمر الله وهو حاكم بغير أم الله فهذا اعتقد فيه الإلهية بناء على إثبات الكرامات ووجود الخوارج للعادات فاعتقد فيه الإلهية فكان شركاً والعياذ بالله ،

لذلك نقول مثل اعتقاد النصيرية العلويين في علي والدروز في الحاكم بأمر الله ، علي من أولياء الله الصالحين بلا نزاع لكن اعتقاد الإلهية فيه من الشرك الأكبر ، والحاكم بأمر الله رجل مجرم عاتي في الإجماع من الحكام الظلمة

والدروز يعتقدون ألوهيته وكل ذلك من الكفر،

وكذا اعتقاد الإمامية في إمامهم يعتقدون أن الإمام إله تحل الإلهية في إمام الوقت دون تحديد من هو بعينه بل كل إمام في زمنه فهو إله هذا الزمان وتحل فيه الإلهية ،

والإسماعيلية يعتقدون ذلك في إمامهم كما قال شاعرهم للمعز لدين الله

اسماً لا حقيقة ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

هذا والعياذ بالله من الكفر ولا يزال هؤلاء موجودون في طوائف البهرة والإسماعيلية وغيرهم ، هؤلاء كفار نوعاً وعبثاً ،

وكذا من اعتقد في أحد منهم النبوة كاعتقاد غلاة البهائية - هنا خطأ لا يوجد غلاة في البهائية ولا غير غلاة -

وكذا من اعتقد في أحد منهم النبوة كاعتقاد غلاة الرافضة والبهائية ، غلاة الرافضة الذين يقولون خطأ الوحي أو خيانتهم ، غلاة الرافضة والبهائية والقديانية ، غلاة الرافضة منهم من يقول بأنه خان الأمين أن الوحي خان الأمانة ونزل على محمد بدلاً من علي ومنهم من يقول خطأ وكلاهما كافر بلا نزاع بين أهل السنة والجماعة ، أما البهائية كما ذكرنا ليس فيهم غلاة ولا ليسوا بغلاة بل كلهم كفر بإجماع المسلمين حتى الرافضة يكفروهم لأنهم يعتقدون أولاً نبوة الباب ثم نسخه نبوة البهاء ثم صار أمرهم إلى تأليه البهاء هذا وأنه مظهر بهاء الرب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، هؤلاء من الكفار الزنادقة الذين أنتجهم الاستخفاف الإنجليزي والاحتلال الإنجليزي لبلاد المسلمين وكذا الطائفة الأحمدية المعروفة بالقديانية هي من أكثر الطوائف يزعمون أن إمامهم هذا هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود وهو نبي يأتيه الوحي وكل هذا من الكفر يقولون أن محمد خاتم النبيين يقولون أن غلام رسول وليس بنبي وهذا من الكفر الذي لا خفاء فيه الناقل عن الملة بإجماع العلماء لأن الله عز وجل قال { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } الأحزاب ٤٠ . معناه أنه آخر النبيين وإذا كان آخر النبيين فهو خاتم الرسل لأنه إذا انقطع الوحي فلا يمكن رسالة بدون وحي ، لذلك ليس لهم حجة في تحريف الآية مع أن المعلوم من الدين بالضرورة مع أن النزاع بين العلماء أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ، من اعتقد النبوة في أحد بعده غير عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فهو كافر كفرةً ناقلاً عن الملة وكذلك من اعتقد أن الأولياء أفضل من الأنبياء يعني لا يقول فقط أنه نبي بل يقول أنه أفضل من النبي وإن كانت هذه تحتاج إلى إقامة الحجة وليست كالتي قبلها ، والبعض قد يظن فضل بعض الأولياء على بعض الأنبياء اعتقاداً باطلاً لكنه لا شك أنه إذا أصر بعد إقامة الحجة كفر ولكن لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة فطوائف الروافض يعتقدون المعاصرون منهم يعتقدون أن الأئمة أفضل من الأنبياء في بعض الأشياء ، يفضلون علياً على عيسى وموسى والعياذ بالله وهذا من الكفر لا شك في ذلك خصوصاً في موسى وعيسى في بعض من كان ينتسب إلى السنة قديماً يفضل المهدي على بعض الأنبياء دون تحديد ولكن هذا زلة من الزلات وقول باطل لا شك في بطلانه مع ضعف الأسانيد إلى المنسوب إليه ذلك من بعض التابعين ، لكن لا نشك أن نبياً واحداً أفضل من جميع الأولياء بلا نزاع ، لذلك نقول من اعتقد أن الأولياء أفضل من الأنبياء أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحي فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة ولا يختلف أهل السنة في عدم تكفير الشيعة المفضلة الزيدية الذين يفضلون علياً على عثمان رضي الله عنهما ، هذا المقصود به فيما يتعلق بأمر الصحابة والإمامة لا يكفروهم في هذا الباب لأنهم يثنون على أبي بكر وعمر ولا يطعنون فيهما ولكن الشيعة المفضلة الزيدية مذاهب أخرى توافق مذاهب المعتزلة في الأسماء والصفات والقضاء والقدر قد يدخل بعضها أنواع من الكفر النوع دون كفر العين والله أعلم ،

لما كانت قضية الإمامة والخلافة متعلقة بهذا الباب ذكرنا فصلاً في وجوب إقامة الخلافة على المسلمين أن هذا أمر واجب شرعي ، إقامة الخلافة التي بها تجتمع كلمة المسلمين فرض وواجب على المسلمين وعودتها هو مما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجب على المسلمين السعي على إقامة الخلافة بالوسائل المشروعة المستطاعة ولا نزاع بين أهل السنة والجماعة في وجوب إقامة الخلافة يجتمع فيها المسلمون جميعاً على إمرة رجل واحد ولا يسع المسلمين التفرق في دول ودويلات متعددة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا) رواه مسلم وقال (مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمَرَكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ) رواه مسلم مع أنه لم يرتكب الزنا بعد إحضار ولا قتل نفس ولا ارتد ومع ذلك يدفع شره بالتفرق بين الأمة بالقتل إن لم يندفع إلا بذلك ، وأمر الله سبحانه وتعالى بالسمع والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين ليقم لهم الدين ويسوس دنياهم بدينهم هذا هو الواجب ، هذه الأوامر مع الأوامر العامة في كتاب الله عز وجل { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } النساء ٨٣ وقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء ٥٩ وأمر الله عز وجل بالحدود وخاطب بها المؤمنين خطاباً مطلقاً فقال { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } المائدة ٣٨ { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدٍ } النور ٢ وقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ } البقرة ١٧٨ وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله قال { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتَالُونَ كُفْرَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا } البقرة ١٩٠ وقال سبحانه وتعالى { وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } آل عمران ١٠٤ فهذه الأوامر كلها خوطب بها المسلمون خطاباً مطلقاً ومعلوم أنه لا يتم ذلك إلا بقدرة والقدرة هي السلطان فلذلك وجب على السلطان ونوابه إقامة هذه الواجبات لهذا فوضت إليهم ليس لأجل أن لهم أن يفعلوها أو يتركوها أو أن من حقهم أن يعطوها ولكن لأجل أنهم أصحاب القدرة ، فهذه الخطابات المطلقة دليل على وجوب إقامة الخلافة والإمامة وأنه يلزم الأمة أن تقيم خليفة واحد لها في مشارقها أو مغاربها ليقم الحقوق والحدود وقيم الشرع وقيم الإسلام والإحسان في الناس ، معنى يقيم الدين فإقامة الدين المقصود به أن يقيم الإسلام بأن يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقاوم الكفار قتال الدفع وقتال الطلب حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويدفع عن حوزة المسلمين وكذلك يقيم في الناس الصلاة بإقامة الجمع والجماعات ويأمرهم بذلك ويمنعهم من تركها ويعاقب من تركها بأنواع العقوبات على اختلاف الأنواع في حظر هذه العقوبات القتل أم الحبس أم الضرب وكذلك يمنعهم من الإفطار في رمضان وكذلك يجمع الزكاة ويفرقها في وجوبها من أموال الظاهر ويحثهم على زكاة الأموال الباطنة ويوزع ما يأتيه منها في مصارفها المعروفة وقيم للناس الحج ، هذا إقامة الإسلام وكذلك يقيم في الناس الإيمان فيدعوهم إلى الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره ويدعو الناس إلى التوحيد ويحذرهم من البدع ومنع أهل البدع والضلالات هذه وظائف الإمام في الإسلام أن يقيم الإيمان وأن يمنع ما يخالف الإيمان من الكفر ومن البدع ومن الضلالات كما يمنع ما يخالف الإسلام من الفسوق والعصيان ، كذلك من إقامة الإسلام إقامة الحلال والحرام وإقامة الواجبات على الأمة ككل في الحدود والحقوق لأن هذا كله من الإسلام ومن الإيمان كذلك لأنه لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وكذلك من الواجبات إقامة الإحسان بمعنى أن يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وواجباتها ويدعوهم إلى أن يأدوا العبادات الباطنة وينشئوا ناشئة المسلمين على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويتربى الناس على الخوف من الله وعلى الإخلاص لوجهه ويدعى الناس لذلك ويبين لهم ذلك ويحثون عليه ويمنعون من مظاهر الفساد والفجور والفسق والعصيان ويمنعون من الأخلاق الفاسدة ويعاقب من أظهر ذلك فكل هذا في إقامة الدين ،

أما سياسة الدنيا بالدين فهي إقامة الفروض الكافية التي هي فرض على الأمة كما ذكرنا بالخطابات المطلقة من الحسبة والجهاد والحكم بشرع الله عز وجل في فصل الخصومات بين الناس والتعلم والتعليم حتى يوجد في المسلمين من يعلمهم ويفتيهم في جميع أمور دينهم في العقيدة والعبادة والعمل وغير ذلك وكذلك في إقامة الصنائع والمهن التي يحتاجها المسلمون وإقامة الجهاد وأنواع الواجبات الكفائية المختلف من غسل الموتى وتكفينهم وإقامة الصلاة عليهم وسائر واجبات الكفاية التي هي وظائف الأمة الإسلامية لا بد أن يقوم بها الإمام ويعين من يقوم بها ويسوس دنيا الناس بدينهم وإقامة نظم الحياة الإسلامية في المجتمع وحث الناس على إقامتها في كل مكان يوجدون فيه وجهاد الكفار حتى يدخلوا في دولة الإسلام وسلطان الإسلام كما أنه يدفع من أراد المسلمين بالسوء من الكفار جهاد الدفع ، هذه وظائف الخليفة والإمام وإقامة هذا واجب على المسلمين فإذا قصر بعضهم في ذلك أو أهل القدرة والسلطان وعجز بعضهم فالواجب عليهم أن يقيموا من ذلك ما يقدرون عليه ولا يسعهم أن يتركوا الأخذ بالأسباب الموصلة إلى إقامة الخلافة ،

نقول هذا لأن هذه المسألة صارت في كثير من الناس اليوم مسألة يقولونها في ذمة التاريخ ، يعنون لم يعد المطالبة بها وإجاباً ن نحن لا يمكن أن نقول ذلك ولا نقبله ، ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون في زمن دون زمن أعني ما أمره به مطلقاً لا يمكن أن يكون مشروعاً للصحابة رضي الله عنهم فما بعدهم ثم نقول هذا في ذمة التاريخ نعوذ بالله ، كما قالوا ذلك عن الحزبية وقالوا عن جهاد الطلب وغير ذلك وقالوا عن الخلافة نفس الأمر وهو من أبطل الباطل نحن نعتقد وجوب إقامة الخلافة ووجوب السعي إلى ذلك لأن المسلمين إذا عجزوا عن أمر أوجهه الله عليهم وجب عليهم أن يأخذوا بالأسباب إذا عجزوا عن قتال عدوهم مثلاً وجب عليهم أن يأخذوا بالأسباب التي تقويهم وأول ذلك وسائل الإيمان وإصلاح النفوس وتقوية العزائم فإن هذه الأمور إذا لم تتم لم يتم قتال العدو ، تربيتهم على الدين ، بعض الناس يقول الأمة غير مهيئة لملاقاة العدو وفي نفس الوقت تدفع دفعاً إلى العكس وإلى أن تكون أمام العدو وأن تذلل أمام الأعداء ومن سعى في ذلك عوتب ولامه الناس وأعدوه متهوراً بل ليس الأمر كذلك ، إعداد العدة لملاقاة العدو إن لم يقم به أهل القدرة والسلطان قام به كل من قدر عليه من المسلمين على قدر إمكانه يفعل ما وجب عليه من ذلك ويسعى المسلمون في إقامة الخلافة ولا يأخرون ذلك إذا قدروا عليه ولو في بقعة واحدة من بقاء الأرض إلى أن يآذن الله بعودتها إلى المسلمين كلهم في جميع بقاع الأرض ، نقول قد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بعودتها على منهاج النبوة وقال (تَكُونُ النَّبِيُّ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يُرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَها) وَمِنْهَا جَبَرِيَّةٌ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يُرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَها وَإِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَها ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا غَاصًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يُرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُرْفَعَها ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ثُمَّ سَكَتَ)رواه احمد وصححه الالباني فهناك خلافة عائدة حتماً ويقيناً بوعد النبي صلى الله عليه وسلم رغم المحن والفتن المتكاثرة لكن تكون خلافة على منهاج النبوة إن شاء الله تبارك وتعالى ، وهذا الأمر لا يعني أننا نتظر نزولها دون عمل كما يقول البعض هذا وعد من الله ليس علينا إلا أن ننتظر نقول بل علينا أن نسعى عليه وإنما يتم من

خلال عمل المسلمين ولا بد أن يسعوا إلى إقامة هذا الواجب وليس فقط أنه موعود به ينتظرونه كقيام الساعة مثلاً ليس علينا أن نسعى في إقامتها هي سوف تقوم ولا أن نقول في الأشراف الكبرى أن المهدي مثلاً ننتظره والفرق بيننا وبين الرافضة أنهم ينتظرون المهدي ، نحن ليس عندنا انتظار له ويجب علينا أن نقيم الدين ويظهر المهدي بعد ذلك ونزول عيسى بن مريم ليس إلينا نحن ليس علينا أن ننزل عيسى ابن مريم أو نسعى إلى إنزاله لكن الخلافة متعلقة بنا يجب أن نقيم الخلافة التي أمر الله بها ورسوله صلى الله عليه وسلم لإقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين وليس كما يظن البعض أن أي سلطة من السلطات أو أي تسلط من البعض يكون بمنزلة الخلافة لابد في التغلب أن يكون مقيماً بالدين ليس كل من تغلب على بلد من بلاد المسلمين بمنزلة الخليفة والإمام وإنما يكون كذلك إذا كان محققاً للواجبات الشرعية التي فرض الله من أجلها الإمامة وهي إقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين أما من كان مضيقاً للدين مهماً له بل على العكس صادراً عن سبيل الله وكان قائداً للدنيا يقود الناس في دنياهم بخلاف شرع ربح فلا يمكن أن يقال هو إمام وإن كان متغلباً والمسلمون تحته مقهورون لكن لا يعني ذلك أنه قد أسقط فريضة إقامة الخلافة وإقامة الإمامة الواجب وإقامة الحقوق والحدود والدعوة إلى الله وإقامة الإسلام والإيمان والإحسان التي أوجبه الله على المسلمين ككل لذلك هذا فرق مهم ، من يعطي صفة الإمامة والخلافة والولاية لمن لا يقيم الدين ولا يسوس دنيا الناس بدينهم قد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة وإن زعم أنه منهم لذلك اتفقت كلمة أهل العلم مثلاً على أن الدولة العبيدية التي كان ظاهراً الرفض وكان باطنه الكفر المحض وإن كانوا يظنون ذلك ولا يظهرونه إنما اطلع عليهم آحاد العلماء لكن حقيقة مذهبهم أنهم كانوا رافضة وكذلك القرامطة الذين قلعوا الحجر الأسود من الكعبة عشرين سنة كل هؤلاء لم يكونوا خلفاء وإنما كانت دولة مغتصبة لحق المسلمين ما أن تمكنوا من إغائها على يد صلاح الدين رحمه الله حتى ألغوا هذه الدولة الخبيثة وألغوا الخطبة لخلفائهم المدعين فلم يكونوا خلفاء عند أهل السنة والجماعة وإنما كانوا طاعين مجرمين والعباد بالله ممن غلب على بلاد المسلمين كسائر من غلب من الكفار وأهل البدع وإن كان هناك إقامة لبعض الواجبات الشرعية من بعض أهل البدع كما كان الخوارج قد تسلطوا على بعض البلاد فأقاموا بها بعض الأحكام فمثل هذا يقبل ممن أقام الدين فيه إذا كان يقيم شيئاً من الدين أعين عليه وقبل منه وصح ذلك وما لم يقم به وجب على المسلمين القادرين يقيموا ما يقدرون عليه من ذلك من جهاد وحسبة ودعوة وإقامة الصلوات والأعياد والجمع ورعاية الفقراء والمساكين وجمع الزكاة وتفريقها وغير ذلك من الواجبات التي لم يقم بها من كان من أهل البدع لكنه من أهل الإسلام وما أقام شيئاً من الدين أعين على ذلك وقبل منه وصح كما ذكرنا وإن كان لا يغني ذلك عن وجوب إقامة الخلافة على منهاج النبوة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بها ،

أمر وأخبر ، أمر حين أمر يقتل من يبايع بعد الخليفة وأخبر بأنها ستكون على منهاج النبوة بعد الملك العاض والملك الجبري ،

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما سمعنا في هذا الكتاب وأن يوفقنا للعمل بطاعته وأن يغفر لنا ما كان فيه من زلل أو شطط أو سبق لسان أو زلة قلم ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن ينصر المسلمين في كل مكان ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## 15- الجزء الثاني

### ٩٠ - أدلة وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

كان كلامنا في القسم الأول في التوحيد والإيمان وهو في الحقيقة مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأما كلامنا في هذا الباب على الاتباع ومنهاج الاستدلال ،

والكلام في هذا المقام على عدة مسائل :

أولاً هو مقتضى شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالكلام هنا على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قضية حجية الحديث واتباع السنة وعلى قضية التقليد وقضية البدع ، ثم بعد ذلك الكلام على مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة ،

والكلام في هذه المسائل في أصول الاستدلال عند أهل السنة كلام ذو أهمية خاصة بأن صحوة الأمة بعودتها إلى دينها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرجوع إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمتها على كل ما خالفها ولم يزل المسلمون في فترات انتصارهم وعزتهم يظهر فيهم التمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشار الحديث وقراءته وتعظيمه وتقديره ولم يزل غياب الحديث الصحيح عن الأمة علماء وعامة من أعظم أسباب ضعف الأمة وانحيارها وهوانها وتسلط الأعداء عليها ،

مما كان يذكر في التاريخ في زمن الدولة الخبيثة الدولة الباطنية أنهم كانوا قد منعوا بالكلية قراءة كتب السنة وكانت فترة عصيبة في تاريخ المسلمين فلما أذهب الله هذه الدولة على يد صلاح الدين رحمه الله تعالى وألغى ما يسمى كذباً بالخلافة الفاطمية فعادت كتب السنة تذكر في الجامع الأزهر وفي كل مساجد مصر واليمن والحجاز الذي كان تحت سلطان هؤلاء وكان ممنوعاً أن يذكر فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ممنوع الآن مثلاً في إيران فإن هذه الكتب ممنوعة ما لا يستطيع أهل السنة أن يظهروها ليس مسموحاً بإظهار إلا كتب الخرافات والخزعبلات والأكاذيب والضلالات والبدع والمنكرات بل والكفر والشركيات مثل كتاب الكافي المزعوم الذي هو يكفي في تكفير من اعتقد ما فيه والعباد بالله إذا فهم ما في هذا الكتاب يجعلونه بعد كتاب الله عز وجل وهو مليء بالأكاذيب الباطلة التي لا يشك عاقل فضلاً عن عالم في كذبها وبطلانها عن آل البيت فضلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك نقول تاريخ الأمة الإسلامية أنه كلما ازدادت قرأاً من مصدر الوحي كتاباً وسنة كلما أعزها الله عز وجل ، المسلمون في الأندلس تميزت عصور الانحطاط والتفرق عندهم بانتشار البدع وقلة ذكر الحديث وكذا العصور المتأخرة التي كانت مقدمة لاحتلال الغرب لبلاد المسلمين تميزت بانتشار بدعة التصوف والغلو في الصالحين وبدعة التقليد الأعمى وإبعاد الكتاب والسنة كمصدري التشريع الأساسيين الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس و . ثم . هنا لترتيب الفضيلة كما سيأتي ذكره ،

نقول كان عودة المسلمين إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يستقون منه فهمهم ولا شك أنه يكون فهم العلماء لكن شتان بين من يطلب الحديث ليفهمه ويعمل به ويتبع العلماء في شرحه وبين من يجعل كلام الناس هو المقصود والحديث يذكره إن ذكره تبركاً بلا غاية ولا هدف وإنما يذكره من باب التبرك فقط والناس كانوا يتبركون فعلاً بتلاوة أحاديث البخاري كما كانوا يتبركون بالقرآن فكانوا في أوقات الغزوات كان يذكر ابن كثير رحمه الله وأمر الناس أن يقرءوا صحيح البخاري في المساجد ، الأئمة كانوا يأمرهم أن يجلسوا في المساجد ويفتحوا البخاري ويقرءوه لتنتصر الجيوش المقاتلة ، يدعون الله عز وجل ويتوسلون إليه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها وهو من التوسل بالعمل الصالح أقرب للدعاء ولذلك كان اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونشر هذه السنة من أسباب عزة الأمة وأسباب انتصارها ، كلما اقترب الناس من السنة كلما علا أمر الأمة وأظهرها الله عز وجل على من خالفها وخذلها وكلما ابتعدوا وانتشرت العلوم غير الإسلامية في أصلها كعلم المنطق والفلسفة وعلم الكلام وغير ذلك من العلوم التي ليست من علوم أهل الإسلام في ابتدائها كما يدعون علم الجفر وعلم حساب الجمل والحروف وادعاء معرفة الغيب من خلال ذلك ، كل ذلك من أسباب الانحراف وهو وقع على أيدي أهل البدع أكثر ما وقع ويعقبه دائماً هزيمة الأمة وتسلب العدو عليها ،

لذلك نقول أن اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والطريق الصحيح لمعرفة قضايا الإتيان هو صار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ،

يعني كيف نطبق هذا الإتيان ؟ كيف نعمل بمقتضى شهادة أن محمد رسول الله ؟

ننظر كيف كان السلف يستدلون ، النظر في استدلال السلف الذي صار هو منهج أهل السنة في الاستدلال قد جمعه أول من جمعه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الرسالة جمع طريقته في الاستدلال كيف كانوا يستدلون بنصوص الكتاب والسنة ،

لا شك أن منهج أهل السنة والجماعة يتميز بنقاط محددة في قضية الإتيان البدعة التقليد الاجتهاد مناهج الاستدلال على الأحكام ، نعم مسائل غاية في الأهمية مثل مسائل التوحيد تحدد معالم المنهج السلفي منهج أهل السنة والجماعة ، وإن كان كثير من هذه المسائل منقوطة بالتفصيل في علم أصول الفقه إلا أن هناك قدراً متفقاً عليه وجمع عليه يميز أهل السنة والجماعة كما بينه الأئمة وعلى رأسهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وتراه في كتابه العظيم الرسالة ، أول كتاب صنف في أصول الفقه مطلقاً وصنف على طريقة أهل السنة لا على طريقة المتكلمين ، علم أصول الفقه دخل عليه علم الكلام والمنطق والجدل متأخراً وأما ابتدائه فكان على يد الإمام الشافعي وإلا فمنهج الاستدلال كان ثابتاً عند الصحابة رضي الله عنهم ولكن كيف طريقتهم - تسجيلها في كتاب كان كتاب الرسالة . وإن شاء الله سوف نتناول هذا الكتاب بالشرح أثناء كلامنا أو بعد انتهائنا من بعد القضايا في منزلة الإتيان لأنه كتاب عظيم القدر ونصح جميع الأخوة باقتنائه وقراءته ويكفي أن كاتبه بخطه وقلمه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وكتاب الرسالة بين فيه حجية الكتاب والسنة والإجماع وبين فيه مشروعية القياس الصحيح وتكلم فيه عن عامة مسائل ضرورية وكثير من المسائل الضرورية في مناهج الاستدلال ولكن كما ذكرنا ملخصاً طريقة السلف من أصحاب الشافعي ومن المذاهب الأخرى ومن أهل الحديث من يقول أنه قرأ الرسالة خمسمائة مرة يرى في كل مرة فوائد جديدة وكان عبد الرحمن يدعوا للشافعي على الكتاب في سجوده يرى أن له من الفضل في تأليف هذا الكتاب ونشر عقيدة أهل السنة في طرق الاستدلال ما يجعله يدعو له مرات عديدة ، من أجل أنه صنف هذا الكتاب والكل يعظم الإمام الشافعي رحمه الله من أجل هذا الكتاب فضلاً عن فقهه وعلمه وإمامته رضي الله تعالى عنه بل هذا عند الشافعية أحد أسباب ترجيح أن يكون الإنسان شافعيّاً وإن كنا لا نرى ذلك وإنما أصل الإمام الشافعي أصولاً متفق عليها وليس أنه يلزم إتيانه في كل الفروع رحمه الله تعالى ،

نتكلم أولاً عن أدلة وجوب إتيان النبي صلى الله عليه وسلم :

الأدلة على إتيان النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر به وتصديقه بكل ما أمر به مستفيضة في الكتاب والسنة بل قل متواترة ،



قال الله تعالى { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وإن كانت الآية في قسمة الفيء إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد استدل بها الصحابة رضي الله عنهم على أن من ادعى أنه لا يوجد في كتاب الله النص على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهي عنه ،

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر لعن النبي صلى الله عليه وسلم النامصة والمتنمصة فدل على ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال فإن كنت قرأته فقد جديته أما قرأت { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } قالت بلى قال فإنه قد نهي عنه ، وفي رواية فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( لعن الله النامصة والمتنمصة ) ،

نقول فهذه الآية الكريمة تدل على أن كل حديث ثابت صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ثابت في القرآن وإن كان الثبوت متفاوتاً في القوة يعني بعضه متواتر مثلاً وبعضه مستفيض وتلقى بالقبول وبعضه خبر آحاد مختلف فيه فليس هذا كالذي ثبت في القرآن لفظاً ومعناً فمن أنكر لفظ القرآن أو المعنى المجمع عليه في القرآن كان كافراً ومثله من أنكر حديثاً متواتراً معلوماً من الدين بالضرورة كوجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها أو وجوب صوم رمضان وهو الشهر المعروف الشهر التاسع من السنة الهجرية الذي عبد شعبان وقبل شوال من أنكر وجوب هذا الشهر مثلاً وهو إنما يعرف بالتلقي جيلاً عن جيل من الذين قبلنا فهذا لا يكون مسلماً وكذلك من أنكر ما علم من كيفية الحج المجمع عليه المتواتر عن الأمة في هذه المناسك مثلاً فمن كان منكراً للألفاظ الثابتة في القرآن أو للمعاني المجمع عليها أو في السنة إذا كانت متواترة فهو كافر ، أما من أنكر الحديث الصحيح الذي ثبتت صحته وتلقته الأمة بالقبول فهذا يكون مبتدعاً ضالاً وهذا لأجل أنه خالف اتفاق الأمة وإجماعها على ثبوت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لما لم يكن معلوماً من الدين بالضرورة وإنما كان معلوماً عن طريق الخاصة لم يكن كافراً لم يمكن تكفيره بذلك واشترطنا شرط تلقي الأمة بالقبول حتى يخرج من ذلك ما كان من اجتهاد فإن من العلماء من اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه وليس الاختلاف هذا بمقتض لحي يبدع بعضهم بعضاً ويضلل بعضهم بعضاً فلا يزال العلماء في بعض الأحاديث يختلفون في صحتها وضعفها والعالم نفسه قد يغير قوله واجتهاده بناء على تطبيق قواعد أهل العلم في هذا المقام ولا يلزم من ذلك أنه يبدع كل أو يضل كل من خالف حديث قد حكم بصحته بعض العلماء إنما يضل ويبدع من خالف ما تلقته الأمة بالقبول ونعني بذلك أحاديث البخاري ومسلم التي لم تستدرك عليهما فهناك أحاديث قد استدركها بعض العلماء معدودة لا تجاوز أصابع اليد الواحدة في البخاري وإنما أكثر منها في مسلم وعامة ذلك إما مبين فيهما أيضاً كالذي ذكرناه مثلاً في حديث ( ثم انكفأ ) ، أقصد أن الحديث في النهاية حديث صحيح والخلل حدث من دمجهما ببعضهما وهذا كثير جداً في الروايات المستدركة ،

نقول ما سوى المستدرك مما لا يقدح فيه العلماء الكل تلقاه بالقبول وقالوا أنهما أصح كتابين بعد كتاب الله فهذا التلقي بالقبول اتفاق من علماء الأمة على صحتهم فمن يطعن في غير ما استدركه العلماء فهذا طاعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ،

لو واحد قال أنا لم أقبل حتى لو قاله الرسول هذا يكون خارج من الملة لأن هذا يكذب القرآن ، نحن نتكلم على واحد يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا الكلام ولا يمكن أن يكون قد قال هذا الكلام نقول له في البخاري يقول البخاري مليء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، بجهله وضلاله نقول هذا ضال فعلاً ، لأن فعلاً لا يوجد أحاديث موضوعة في البخاري ومسلم ، الكلام على مجرد خطأ وضعف مثلاً أو إرسال أو نحو ذلك لكن موضوعة مكذوبة ؟! متى دخلت هذه الأحاديث ، والبخاري ومسلم محفوظان بالتواتر لا نقول من المغرب والأندلس ومن الصين شرقاً لا بل نقول من أمريكا والآن في كل العالم هذه الكتب متواترة مستفيضة حرفاً وحرفاً وإن كان هناك قد يقع في بعض النسخ أخطاء مثلاً خصوصاً النسخ الكمبيوترية الموجودة على النت قد يقع فيها أخطاء لكن هذا المتواتر المحفوظ في كل كتب السنة يبين به خطأ ما يقع من خطأ ،

لكن نقول أن الأحاديث التي اتفق عليها من أهل العلم على عدم استدراكها على البخاري ومسلم وتلقته الأمة بالقبول لا يجوز لأحد أن يطعن فيها ولا شك أن ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهي عنه فإنه من كتاب الله عز وجل

والمرتبة الثالثة التي الثبوت في القوة ، نحن نقول متواتر أو مستفيض وتلقى بالقبول أو متلقى بالقبول صحيح مجمع على صحته وما كان صحيحاً على اختلاف في صحته من العلماء من يصححه وآخر يضعفه هذا محل اجتهاد ، العالم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر والعامي المقلد يتبع من وثق فيه من أهل العلم وله نفس الحكم ،

أما كل ما ثبت أنه أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهي عنه فهو في كتاب الله وفي هذا أبلغ الرد على منكري السنة أو المشككين في صحتها أو الذين لا يأخذون منها إلا ما وافق القرآن ، بعضهم يقول نعرضها على كتاب الله فما وافق كتاب الله قبلناه وما خالفه خالفناه ، نقول هذا من أبطل الباطل أولاً ليس هناك ما يخالف القرآن لكن يوجد في الأحاديث تفصيل لما أجمل في القرآن ويمكن أن يقال أن السنة كلها تفصيل لما أجمل في قوله { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } كما بينه ابن مسعود وكذا قوله { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول } فإن طاعة الرسول كيف نحال إلى أمر مجهول ذلك نقول إذا لا يمكن أن يحيلنا القرآن إلى مجهول أو معدوم وهي طاعة الرسول فأمر الله تعالى لنا أن نأخذ ما آتانا الرسول وأن تنتهي عن ما نأمنه عنه ، مع أنه لا بد أن يكون أمره صلى الله عليه وسلم موجوداً وباقياً ومحفوظاً وإلا لم يكن لأمر الله لنا بأخذه معنى ، يقول لك خذ شيء وهو شيء معدوم لا يمكن الوصول إليه ؟ كيف يأمرنا القرآن بذلك ؟ السنة لا يجوز الاستغناء عنها بزعم الاكتفاء بالقرآن الطائفة التي تسمى القرآنيون ليسوا بقرآنيين بل هم مبتدعين ضلال إن لم يكونوا ذنادقة منافقين ذلك بأن الذي يلتزم بالقرآن لا بد أن يلتزم بالسنة لأن القرآن بين السنة وبين وجودها وبين لزوم اتباعها وأمر بإتباعها فالذي يستغني

عن السنة زعماً أنه يكتفي بالقرآن ضال بل من علم القرآن وجد فيه السنة كما قال تعالى { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وهي تبين القرآن قال تعالى { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم }

ذكرنا من أدلة وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } واستدلال الصحابة رضي الله عنهم بهذه الآية الكريمة على لزوم إتباع السنة وأن كل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث صحيحة فهو ثابت في القرآن بهذه الآية الكريمة قال تعالى { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً } فنفي الله تعالى الإيمان عن من رأى لنفسه حق الاختيار بعد ما قضى الله تعالى أو قضى رسوله صلى الله عليه وسلم أمراً من الأمور فليس هذا من صفات أهل الإيمان فليس للمسلم أن يختار أمراً أو يقبله أو يرفضه بعدما قضاه الله شرعاً في القرآن أو في السنة { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة } إذن الاختيار والحرية بعد قضاء الله وقضاء رسوله صلى الله عليه وسلم ينافي الإيمان ، هذا ينافي أصله إذا اعتقد ورأى أنه يسعه الخروج عن شرع الله عز وجل وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم رأى أن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تلزمه بل هو مخير فيها فهذا لا يكون مؤمناً أصلاً وأما من اختار شيئاً خلاف ما قضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع اعترافه على نفسه بالإثم وفعل خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بشهوة من شهوات الدنيا فهذا نفي للإيمان الواجب ولا يلزم منه الكفر كسائر الذنوب فإنهما اختيار خلاف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ومعصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهي ضلال مبين ولكن لا تخرج به إلى حيز الكفر إلا إذا أبا واستكبر أو استحل مخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ،

قال الله تعالى { ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً } فمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم كمعصية الله عز وجل ضلال مبين بنص هذه الآية ولذا فإن التارك للسنة جملة ضال ضلالاً مبيناً نعني بالسنة هنا طريقة النبي صلى الله عليه وسلم مما ثبت عنه من قول أو فعل أو تقرير ولا نعني بها النافلة كما هو في الاصطلاح الفقهي الدارج عند المتأخرين كما يقولون نصلي سنة الظهر وسنة العصر أما السنة كطريقة فهي كل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة خلقية أو خلقية ، أما من ترك السنة كلها فليزمه الكفر إن لزمه مثل أن يقول لا أصلي الظهر أربعاً ولا الصبح ركعتين ولا أعرف إلا أن الصلاة نقيمتها من دلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ولا ألزم بالصلوات الخمس فإن قال ذلك كفر لذلك ألزم ابن حزم رحمه الله تعالى من قال بالقرآن دون السنة ألزمه بالكفر من هذا الباب لأنه ينكر المعلوم من الدين بالضرورة وكما لو أنكر أي معلوم من الدين بالضرورة كالطواف بالبيت مثلاً سبعاً فإن القرآن لم يذكر السبع وإن كان مثله يجهل ذلك علم ولكن إن أنكر فعند ذلك يكون إنكاره للسنة كإنكاره للقرآن إذا كانت السنة متواترة قد انتشر علمها بين المسلمين لكن إن لم يلتزم ذلك كطائفة القرآنيين كما ذكرنا منهم كثيرون إذا خوطبوا في ذلك لم يلتزموا ويقبلون التناقض ولا يقبلون هذا الكفر فمثل هذا لا يكفر ولكن يكون قد أقيمت عليه الحجة فيلزمه الرجوع إلى السنة وكما ذكرنا أو يلتزم التناقض ،

قال تعالى أيضاً في بيان وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وسلم { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم } فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بنا من أنفسنا فإنه يجب أن يكون حبه أعظم من حبا لأنفسنا ولابد أن يكون أمره مقدماً على أمر النفس ورغباتها وإراداتها ، وكذلك تحبه يقدم على تحي النفس لأنه أولى بنا من أنفسنا فتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومعرفة فضله كل ذلك يجب أن يكون مقدماً على كل أحد على الآباء والأمهات والأبناء والأزواج والزوجات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ) وأولى بهم من أنفسهم تدل على أنه يكون كذلك أحب إليه من نفسه صلى الله عليه وسلم فيقول العلماء أن هذا هو الحب الشرعي ولا يلزم الحب الطبيعي :

الحب الشرعي بمعنى أنه يفكر فيما أنعم الله به عليه من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيقصر ذلك على هوى نفسه مما يشتهي والله أعلى وأعلم ،

في قراءة أبي { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم } وهو قد قال عليه الصلاة والسلام ( إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ) ولذلك حبه صلى الله عليه وسلم تعظيمه أكثر من تعظيم الولد والوالد وهذا النفي في قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ) هو نفي للإيمان الواجب وأما إذا زال حب النبي صلى الله عليه وسلم من قلبه بالكلية لم يعد يحبه قط فليس بمسلم لأن مقتضى شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون في قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا قدم عليه حب غيره كان آثماً وأما إذا زال حبه من القلب لم يعد يحب النبي صلى الله عليه وسلم فقد زال عنه الإيمان بالكلية

وقال الله سبحانه وتعالى { وإن تطيعوه تهتدوا } هذا حصر للإتهداء في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يمكن أن يكون هناك اهتداء في غير طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الصحيح الآخر ( ألا يوشك رجل شبعان يتكأ على أريكته يقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرّموه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا لا يحيل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطعة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ) هذا الحديث صريح في أن السنة مثل القرآن في التشريع وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتي من السنة ما لم يرد في القرآن ووصف الرجل بالشبعان ذماً له والإتكاء على الأريكة وصفاً له بالكسل وذلك أنه لم يبذل جهده في طلب العلم الواجب عليه فمن يقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه فهذا رجل جاهل بأن القرآن فيه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في القرآن فلو كان صادق الإلتزام بما قال لقبل السنة وأما أن يجعل ذلك سلماً لرفض السنة فقد قال عليه الصلاة والسلام ( ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ) فالسنة مثل القرآن بنص هذا الحديث والمماثلة نعني بالتشريع والبلاغ عن الله عز وجل وإن كان القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه والسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعانيها وحي من الله عز وجل إما ابتداءً وإما تقريراً للنبي صلى الله عليه وسلم في اجتهاده وعلى أي حال فهي مثله في

التشريع وضرب النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة على ما ورد تحريمه في السنة ولم يرد تحريمه في القرآن وهو الحمار الأهلي وكل ذي ناب من السباع وكل ما كان يعدوا في سبع وكل ما كان ذي ناب فهو من السباع التي لا يجوز أكلها قال ( ولا لقطة معاهد ) لأن لقطة المسلم معلومة أنها لا تحل حتى يعرفها سنة فلقطة المعاهد كذلك لا تحل فلا يحل لكم ذلك وإن لم يرد تفصيله في القرآن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بينه فيكفي بيان النبي صلى الله عليه وسلم ولقطة المعاهد الذي عاهده المسلمون كالذمي وصاحب العهد أعني الدولة الإسلامية تكون بينها وبين الدولة الكافر عهد وكذا المستأمن كل هؤلاء إن علم أن اللقطة لقطة واحد منهم بعلامات أنها ليست لأحد في دار الإسلام فلا بد أن تعرف أولاً أما ما استغنى عنه صاحبه وعلم أنه ألقاه لا يرد كالمزابل التي يلقي فيها الأشياء فمن أخذ شيئاً فالتقطه فهي له ،

طالب : إذا كانت اللقطة صليبا ؟

الشيخ : إذا كانت اللقطة صليبا كسره ونظر إن كان الذمي أو المستأمن وإلا فلو كانت لحربي أو لغير المستأمن أو ذمي فأخذه فالظاهر أنه يكون فيئا

نقول فلا بد من تقديم حب النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته على كل أحد وتقديم قوله على كل أحد وهذه المسألة عظيمة الأهمية فيما يتعلق من مناهج الاستدلال ومعرفة الأحكام فلا يجوز أبداً أن يقدم كلام إمام من الأئمة على كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقدم أحد عقله أو اجتهاده أو قياسه على قول النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك لا يقدم أحد قول إمامه أو قول من يتبعه أو يقلده على قول النبي صلى الله عليه وسلم وكذا يجب أن يقدم هديه صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد وكلمة الهدي أوسع من كلمة القول وأعم لأنها تشمل الأقوال والأفعال والأخلاق أيضاً ، وإن كان تقديمه في هديه صلى الله عليه وسلم على فعل كل أحد لا يلزم وجوب فعل ذلك الفعل بل نرى أن أكمل الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأكمل الأفعال أفعاله ، لا نعي بذلك حسم المسألة الأصولية الخلافية

هل الفعل الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم للوجوب أو الاستحباب ؟

الراجح أنه للاستحباب لأنه لم يثبت دليل على الوجوب واحتمل الأمر أن يكون مستحباً إلا أن يكون بياناً لمحمّل واجب بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فعله فحكمه حكم ذلك المحمل الواجب كأفعال الصلاة والحج فإنها بيان لمحمّل واجب فيكون الفعل واجباً وأما ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الأفعال الجبلية فهي تفيد الإباحة ولا يستفاد منها الاستحباب فلا يقول أحد مثلاً أنه قام لأن الرسول قد قام إلا في موضع واطب النبي صلى الله عليه وسلم فيه على القيام أما أنه دخل الخلاء مثلاً لأن الرسول كان يدخل الخلاء بل ليس كذلك لأن هذه أفعال جبلية إنما تفيد الإباحة كما ذكرنا ،

فنقول ما واطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة معينه ففعله يدل على الاستحباب وما فعله بقصد القرية فهو كذلك وما فعله بياناً لمحمّل فحكمه حكم ذلك المحمل إن كان واجباً فواجب وإن كان مستحباً فكذلك والله أعلم ،

فالمسألة الخلافية بين العلماء هل هي على الوجوب أم لا ليست التي نقول تقدم هدي النبي صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد لأن تقديم هديه أن نعلم ونعتقد أن هديه أكمل ونستحب فعل ما استحبه وأما فعل النبي صلى الله عليه وسلم أن ما فعل المستحب على أنه مستحب كما فعله صلى الله عليه وسلم لا أن تفعله على أنه واجب فمن فعل المستحب على أنه واجب لم يكن متبعاً لهديه صلى الله عليه وسلم لذلك لا بد من دليل واضح على الوجوب مع كون الجملة من الأقوال والأفعال مقدمة على كل ما سواها ، كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل مقدم على ما سواه ، فنحن إذ نرى أن أكمل شيء هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم لا يلزم من ذلك القول بالوجوب في اتباع الهدي في أفعاله صلى الله عليه وسلم ،

نضرب على ذلك مثلاً :

مسألة قيام الليل في رمضان وفي غيره فهدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يزيد في رمضان وغيره على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وثبت عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من أهل العلم أنهم قالوا بمشروعية الزيادة إلى عشرين وإلى ثلاث وعشرين وإلى ست وثلاثين غير الشفع والوتر وغير ذلك ، فنقول إن أكمل الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم فالأفضل أن تقتصر على إحدى عشرة ركعة أو على ثلاث عشرة ركعة لأن أكمل الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من ذلك أن ما فعله أصحابه مثلاً بدعة أو حرام ربما كان خلاف الأفضل لعارض عرض لهم مثل أن يكون قد شق على الناس فيترك الأفضل لأمر فاضل آخر وهو أن يجتمع الناس على قراءة قارئ واحد يصلون معاً ففي ذلك الخير لأن النبي صلى الله عليه وسلم ورغب في قيام رمضان بالجماعة حيث قال ( من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ) ولا يقال عن فعل الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً إذا كان مشهوراً وقال به الأئمة والعلماء بدعة ، أي لا يقال عنه بدعة ، وليس ثبوت الفعل مجرداً على النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن ما سواه يكون بدعة بل البدعة هي طريقة مختصرة في الدين يقصد بالسلوك عليها مزيد التقرب إلى الله عز وجل وليس أن من نقص عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في شيء ما بزيادة أن نقصان أو غير أن يكون مبتدعاً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلزم بذلك ، لم يلزم بإحدى عشرة ركعة وإنما فعل وترك الناس يصلون ما شاءوا لكن في الجملة يجب تقديم هدي النبي صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد ولا يصح القول بأن هدي فلان أحسن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأكمل فهذا لا يجوز بل من النفاق والذندقة ،

من الأدلة على هذا الأمر وهو تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله على قول كل أحد وهدية وفعله قول عروة لابن عباس ألا تتقي الله ترخص في المتعة؟ يعني متعة الحج ، وكان ابن عباس يراها الأفضل وهو الصحيح أن المتعة في الحج هي أفضل أنواع الإحرام فقال ابن عباس سل أمك يا عروة - أسماء . فقال عروة أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا يعني كانا يوفدان ، فقال ابن عباس والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله نحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحدثوننا عن أبي بكر وعمر ؟ وهذا اللفظ الثابت وصحة الأرؤوط عن العروة ،

اشتهر هذا الأثر بلفظ ( يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر ؟ ) مع أن عروة اعتذر فقال أبو بكر وعمر أعلم برسول الله منك لكن الذي شدد فيه ابن عباس رضي الله عنه مقابلة السنة بالأراء ومقابلة الحديث الصحيح بإجمال أن فلان أعلم فإن هذا أمر مستنكر وهو خطأ من عروة رضي الله تعالى عنه ورحمه وابن عباس قد زجره هذا الزجر الشديد لمن قدم كلام أبي بكر وعمر وهو أفضل بلا شك من كل من أتى بعدهما من الأئمة والعلماء فما بالك بمن قدم كلام غيرهما أو اتبع مذهباً مخالفاً لحديث صحيح عنده ،

قال الإمام الشافعي رحمه الله " أجمع المسلمون على أن من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس " وهذا الإجماع حجة لا شك في صحته وهذا عام كما قال على أن من استبانت له والشافعي رحمه الله حين يخاطب الناس وهو يعلم ما يخاطبهم به وما يفهمون به الكلام من أن من تشمل العالم والعامي وطالب العلم كل من استبانت له السنة حتى علمها لم يسعه أن يتركها لقول أحد من الناس ،

لو قال قائل فكيف إذا استبانت السنة وقد خالفها العلماء ؟

نقول إن أجمعوا فيستحيل أن تكون ثابتة لأن الأمة معصومة أن تجتمع على ضلالة ومخالفة السنة ضلالة وإنما يكون الأمر غير ثابت أو يكون الإجماع صارفاً من الوجوب إلى الاستحباب أو غير ذلك فيستحيل مخالفة الإجماع بالسنة فلذلك إذا كان في المسألة قائل يقول بمقتضى الحديث وقد فهم الإنسان ذلك وعلم أنه لا معارض لهذا الحديث يلزمه الأخذ به كائناً من كان ،

وقال الإمام أحمد رحمه الله " عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى قول سفيان " وأنا أظن أنا هذا قاله في مسألة زكاة الفطرة أنه قد ذكر ابن قدامة عنه لما قيل له في رأي سفيان وأهل الرأي في إجزاء القيمة ، فقال " سبحان الله قوم يخالفون السنن " مع أنه رأي أئمة كبار لذلك قال " عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى قول سفيان والله عز وجل يقول { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } أتدري ما الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعنه إن ترك بعض أمره صلى الله عليه وسلم أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك وهذا صريح في الخوف على من ترك شيئاً من سنة النبي صلى الله عليه وسلم "

وقال الإمام مالك رحمه الله " كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر " يعني النبي صلى الله عليه وسلم

وقال أبو حنيفة " دعوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولما سأله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوا قولي لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سئل عن التابعين قال هم رجال ونحن رجال ، لأنه رحمه الله معدود في صغار التابعين ولا يرى أحد من أهل العلم تقدم قول أحد من الناس على قول النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك في الأمور الاعتقادية أو العملية أو الترتيبية أو أعمال القلوب أو غيرها كتأصيل ، قد يختلفون في التطبيق أما هذا حديث ثبت أم لم يثبت ؟ هذا الحديث ضعيف نعمل به أم لا ؟ ، لكن في الجملة حتى مدرسة الرأي لا يقدمون كلام أحد على كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٩١ - إتباع السنة واجب في الأصول والفروع

تكلمنا في المرة السابقة عن لزوم اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع العلماء على تقدم السنة على ما خالفها من آراء العلماء أو من القياس أو من المصلحة أو من غير ذلك ، ولا يوجد كتأصيل عالم يقدم قوله أو رأيه أو قياسه على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الثابتة ،

وأما ما يعرف بالخلاف بين مدرسة الأثر ومدرسة الرأي أو قول أصحاب الرأي وأصحاب الحديث فالحقيقة أنه ليس كلام في التأصيل ولكن الخلاف في التطبيق وذلك لأن أصحاب الرأي أو مدرسة الرأي إنما اضطروا إلى القياس لضعف كثير من الأحاديث التي وصلتهم ، لم تصلهم من طرق صحيحة وكانوا أحياناً يعتمدون على أحاديث ضعيفة يقدمونها على القياس فكيف يظن بهم أنه لو صح الحديث عندهم لقدوموا القياس عليه ؟ لا يظن بهم ذلك ،

لذلك نقول مدرسة الرأي مع مدرسة الحديث في تأصيل تقدم السنة وإنما نشأ الخلاف في الفروع بناء على التقليد الذي حصل بعد عصور الأئمة ووصل المقلدين الأحاديث بطرق صحيحة لكنهم أصروا على تقليد أئمتهم رغم أن الأئمة نھوا عن ذلك وقالوا دعوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إذا صح الحديث فهو مذهبي ، لذلك نقول لا يرى أحد من أهل العلم تقدم قول أحد من الناس على قول النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك في الأمور الاعتقادية أو العملية أو أمور التزكية وأعمال القلوب أو غيرها ،

وذلك لأن هذه المسائل الثلاثة

أمور الاعتقاد

أمور العمل وهي تشمل العبادات والمعاملات

وأمور التزكية وأحوال القلوب

وقع في كل منها مخالفة لأهل السنة من طائفة من الطوائف ،

الأمور الاعتقادية وقع فيها لأهل الكلام مخالفة فكانوا لا يحتجون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون هي أخبار آحاد لا تترك بها القطعيات العقلية ،

والحقيقة أن أخبار الآحاد المتلقاه بالقبول تفيد العلم فهي قطعية لمن علم أنها صحيحة متلقاه بالقبول ، وإن كانت تفيد العلم النظري وليس العلم الضروري إلا بعد أن تنتشر وتصبح معلومة من الدين بالضرورة ،

ففي باب الاعتقاد صار علم الكلام والفلسفة قبله وهي شر منه بكثير ، صار علم الكلام حجر عثرة أمام الأخذ بالأحاديث الصحيحة وسنذكر فصلاً مستقلاً في أن أحاديث الآحاد حجة بنفسه في العقيدة ، أما في الأمور العملية فكان التقليد هو حجر العثرة أمام الكثيرين الذي منعهم من اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات صار تقليد قول الأئمة والعلماء مقدماً عندهم على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وعند طوائف كثيرة من المتأخرين يقدمون القياسات والمصالح وغير ذلك على ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وكل ذلك كما ذكرنا كتأصيل لا يصح بحال من الأحوال لذلك لا يجوز لمفتي أن يعلم حديث صحيحاً ثم يخالفه لقول عالم أو يخالفه لمصلحة يظنها ، فإن المصالح المرسله حتى ولو أثبتنا أن لها اعتباراً في الشرع لا يجوز تقديمها على السنة الصحيحة إذا ثبتت وإنما الحديث أصل بنفسه والمصلحة مختلف فيها ومن أثبتنا لا يقدمها على الحديث بحال وإنما يعمل بها فيما لم يرد فيه الحديث ، وكذلك لا يقدم القياس على الحديث لأن هذا القياس إذا صادم النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع هو قياس فاسد الاعتبار لم يعتبر اعتباراً صحيحاً وإنما أمر الله بالاعتبار على ما في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا على ما يناقض ذلك ، قال تعالى ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ يعتبر على ما نص عليه من الكتاب والسنة وليس على أنه يعتبر بخلاف الكتاب والسنة وبصدام الكتاب والسنة ، لذلك نرى أن من يقع من المفتيين في زماننا بحث للناس على فتاوى توافقهم ويظن بها المصلحة من آراء مثلاً في أمر الطلاق أو غير ذلك بعد أن يعلم الحديث الصحيح ولكن يقول الشيخ الفلاني قد قال كذا أو يبحث عن فتوى يمنع بها ما يظن أنه خراب للبيت فيقول في الطلقة الثالثة مثلاً أن الطلاق الواقع في الحيز لا يحسب مع أن مذهبه وما وصله من العلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد احتسبها ، أنا أعني من يفتي بهذه الطريقة ، وإلا فمن العلماء من يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتسبها وأن الآثار باحتسابها موقوفة وقد سبق الكلام على ذلك فهذا اجتهد يعذر صاحبه ولا يضل ولا يبدع وأما الذي يبدع ويحكم على فعله بالضلال هو من علم بالحديث الصحيح وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعلها واحدة ثم يقول شيخ الإسلام قد قال بغير ذلك والشيخ الفلاني قد أفتى بغير ذلك فنأخذ بهذه الفتوى لأجل ألا تطلق المرأة فمثل هذا لا يقول به عالم ،

وكما ذكرنا في باب المصلحة ، كثير من الناس يقدم المصلحة على حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كلام منكر لا يقوله عالم من أهل العلم ، أما في أمور التزكية وأعمال القلوب فحجر العثرة في ذلك طرق المتصوفة وإن كانت عباراتهم أحياناً تضمن توجيهاً تربوياً حسناً إلا أنه لا بد من عرض هذه العبارات على الكتاب والسنة فإن كلام النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الكلام بعد كلام الله عز وجل . أحسن الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك نقول ما كان من مخالفات لهدى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الإصلاح والتزكية وأحوال القلوب والمقامات المخترعة لا بد من رد ذلك كله إذا خالف ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فهناك ثلاث أمور وقع الفساد في الدين بسببها في أمور الاعتقاد في أمور العمل في أمور الأحوال القلبية والأخلاق ، كل سلك طريقاً معيناً حصل بذلك من أنواع الخلل ما أدى إلى انحراف القرون المتأخرة عن هدي السلف رضوان الله تعالى عليهم ، لذلك طريقة السلف هي تقلد السنة في كل هذه الأصول وليس فقط في أمر الاعتقاد وإن كان هو أبرز ما يتكلم فيه في قضايا الاختلاف لكن أيضاً في قضايا العمل والمنهج السلفي يرفض التقليد الأعمى والتعصب المذموم ، والمنهج السلفي يرفض كذلك المقامات البدعية والطرق المنحرفة في إصلاح القلوب بزعم أصحابها ،

نقول اتباع السنة واجب في الأصول والفروع ومصطلح الأصول والفروع مصطلح ناشئ لم يكن على عهد الصحابة رضي الله عنهم وقد ذكرنا مرات من قبل أن الاصطلاح لا مشاح فيه إذا لم يبنى عليه حكم وهذا المصطلح يقصد به في الأمر أولاً أن الأصول هي أمور الاعتقاد وأن الفروع هي الأمور العملية سواء كانت من عبادات أو معاملات وإن كان الذي ينبغي أن يقال عن الأصول أنها المسائل الكبرى في الإسلام والإيمان والإحسان والفروع ما لم يكن كذلك ، لكن على ما جرت عليه طريقة المتأخرين نتكلم عن أن اتباع السنة واجب في الأصول والفروع وقد تستخدم كلمة الأصول في أصول الفقه وليس هذا هو المقصود هنا في هذا المقام ،

نقول اتباع السنة واجب في الأصول أي أمور الاعتقاد وفي الفروع أي أمور العمل لعموم الأدلة وإجماع الأمة ،

لعموم الأدلة : لأن الله عز وجل أمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل الأمور { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } { وإن تطيعوه تهتدوا } { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } إذن هذا عام في كل الأوامر وعام في كل ما آتانا الرسول عام في كل ما نأخانا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في العقيدة أو في العمل ، هذه الأمور لابد من بيانها وأجمعت الأمة على ذلك كما نقل الشافعي " أجمع المسلمون على أن من استبان له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس " استبان له السنة يقصد بها طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في العقيدة كما جرت بذلك عادة أهل السنة أن يذكروا كتاب السنة أو أبواب السنة يعنون بها الاعتقاد ويعنون كذلك ضمن ذلك ما اتفقت عليه كلمة العلماء من الفروع ،

قال ابن القيم رحمه الله في الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالقلب " هي سفر النفس بكل مسألة من مسائل الإيمان وحادثة من حوادث الأحكام ومنزلة من منازل القلوب إلى مصدر الهدى ومنبع النور المتلقى من فم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فكل مسألة طلعت عليها شمس رسالته وإلا فاقذف بها بحر الظلمات وكل شاهد عدله هذا المزكي وإلا فعده من أهل الرب والتهمات " الرسالة المشهورة بالرسالة النبوية وأحياناً يعنونون ذات المهاجر إلى ربه ، الرسالة النبوية هي الأصل المشهور يعني قد تنظر في هذه العبارة فهي قد جمعت الأصول الثلاثة التي ذكرنا . مسائل الإيمان وهي مسائل الاعتقاد ، وحادثة حوادث الأحكام وهي مسائل العمل ، منزلة من منازل القلوب وهي قضايا التزكية وأحوال القلب والأخلاق كذلك ، فلابد من أن نبحث عن السنة في ذلك ، سفر النفس يعني تبحث وتجتهد في البحث عما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الثلاث ولو تأملت لوجدت له أصلاً في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حديث جبريل حين سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فالإسلام الأحكام والأمور العملية والإيمان أمور الاعتقاد والإحسان في أمور الأخلاق وأحوال القلوب ، لابد من البحث عن ذلك والتحرر من سلطان التقليد الأعمى أو من سلطان علم الكلام في المسائل الاعتقادية ومن تقدم الرأي والقياس والمصلحة وأقوال العلماء على السنة في حوادث الأحكام أو كلمات الصوفية ومناهجهم في التهذيب والإصلاح في باب التزكية وأحوال القلوب ،

حديث الآحاد حجة بنفسه في العقيدة من منهج أهل السنة والجماعة في قضايا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومناهج الاستدلال ومصادر التلقي قبولهم بكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً سواء كان متواتراً أو أحاداً خلافاً لمن زعم أن شرط قبول الحديث والتواتر فيردون كل أحاديث الآحاد وهذه المقولة الباطلة كانت موجودة لدى المعتزلة قريباً ومن تبعهم على طريقتهم في الاستدلال من الأشاعرة بعد ذلك ووجدت حديثاً في شأن الزنادقة رافضي الشريعة المناقضين الذي يرفضون تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى صاروا يتكلمون بمثل هذا الكلام الباطل يقولون نحن لا نلتزمنا إلا الأحاديث المتواترة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة يريدون الهروب من لزوم الكتاب والسنة فإذا ثبت نص في الكتاب قالوا قطعي الثبوت لكنه ليس قطعي الدلالة هناك تفسيرات متعددة وأما ما كان من قطعي الدلالة فيقولون هو ظني الثبوت فلذلك نترك هذا التأصيل بهذه الطريقة لا يختلف العلماء في بطلانه فإنهم يجمعون على قبول حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكما ذكرنا إذا صح الحديث لا تجوز معارضته عند أحد منهم وإنما الفرق بين المتواتر والآحاد هو في قضية التكفير والتضليل والتبديد وحسب درجات ثبوت الحديث فهناك حديث متواتر معلوم من الدين بالضرورة فهذا مخالفه كافر وهذا كما انتشر في المسلمين علم وجوب الصلوات الخمس بأقوالها المعروفة عدا ما اختلف فيه مع كونهم يجمعون على أن الصبح ركعتان وأن الظهر أربعة والعصر أربعة وأن المغرب ثلاثة وأن العشاء أربعة وأن شهر رمضان هو الشهر الذي بين شعبان وشوال ونحو ذلك وأن أماكن الحج هي التي تلقاها الناس عن أسلافهم في مكة وما حولها فمثل هذه الأمور المتواترة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم مخالفها كافر لا نزاع في ذلك ،

أما ما كان يعرف عن طريق أهل العلم فإن ذلك يبدع ويضل ويبيّن له قبل أن يكفر تقام عليه الحجة وأما ما كان من أحاديث الآحاد فهي أيضاً على رتبتي رتبة اتفقت كلمة العلماء على صحة هذه الأحاديث وتلقوها بالقبول فهذه كما ذكرنا تفيد العلم النظري ومخالفه مبتدع كعامة أحاديث البخاري ومسلم فكل ما تلقته الأمة بالقبول وأجمعت على صحته لم يكن لأحد أن يطعن فيه ولا أن يخالفه وكما ذكرنا عامة أحاديث البخاري ومسلم إلا ما استدرك عليهما من أحاديث معدودة لا يجوز تجاوزها في هذا الباب ،



وأما الأحاديث التي لم تتلقى بالقبول بل من العلماء من يصححها ومنهم من لا يصححها ومنهم من يقول الحديث مختلفاً في صحته أو في ثبوت إسناده أو منته فهذا لا بد من تأصيل قاعدة أن الحديث الصحيح مقبول ولكن الاختلاف في التصحيح والتضيف يجعل المسألة اجتهاداً فمخالف المتلقي بالقبول مبتدع ومخالف الحديث الصحيح المختلف فيه مجتهد مخطئ أو مصيب قد يكون الصواب معه وقد يكون الخطأ من نصيبه ،

لذلك نقول من يشترط في قبول الحديث أن يكون متواتراً وكذلك يدون أحاديث الآحاد في العقيدة يثبتون التواتر في أحاديث الآحاد في الاعتقاد فقط ويقبلونه في العمل هذا أيضاً محدث ،

وكما ذكرنا المتأخرين الذين يقبلون أحاديث الآحاد في الأمور العملية أما العقائد فيزعمون أنها لا تثبت إلا بالمتواتر وهذه بدعة بلا شك لأن إجماع أهل السنة على أن حديث الآحاد حجة بنفسه على العقيدة والعمل لا بد من تصديقه والعمل به خصوصاً إذا كان مما تلقته الأمة بالقبول كعمامة أحاديث البخاري ومسلم غير ما استدركه عليهما الأئمة النقاد ،

ولا يلزم من ذلك التساوي مع القرآن العظيم في درجة الثبوت ولا مع السنة المتواتر ولكن نقول كما قال أهل العلم أن القول الصحيح في ذلك أن ثبوت الحديث بسنده الصحيح وتلقي الأمة له بالقبول يجعله يفيد العلم النظري أي من نظر فيه وعلمه وجب عليه أن يصححه أما ما كان غير متلقى بالقبول كأن لم يثبت عند بعض أهل العلم فهذا فيه اجتهاد بين أهل العلم بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ لكن لا يرد الحديث لأن العقل لا يقبله وإنما يرد لأن فيه ضعفاً في السند أو في المتن أو لأي سبب من أسباب الضعف ، يعني لا يصلح أن يقول بعض الناس كل حديث ليس عليه أئمتنا فهو إما ضعيف أو منسوخ أو مأول ، هذه الطريقة طريقة باطلة كلام صاحب شرح الصاوي على الجلالين يقول كل حديث يخالف ما عليه أئمتنا فهو إما ضعيف أو منسوخ أو مأول ، إذن الأصل عنده كلام الأئمة ،

لذلك نقول إذا كان غير متلقى بالقبور فبين اجتهاد لكن لا يرد لأن العقل لا يقبله أو لأن الإمام خالفه وإنما لا بد من قبوله كأصل ثم بعد ذلك ننظر في التصحيح والتضعيف ،

لذلك نقول أما إن كان على سبيل الرد المباشر للحديث لغير علة حديثة على وفق ضوابط علم المصطلح فهذه بدعة ضلالة أيضاً فمن كذب القرآن والسنة المتواترة كان كافراً ومن كذب الحديث الصحيح المتلقى بالقبول كان ضالاً مبتدعاً أما ما كان مختلفاً فيه فهو موضع اجتهاد بين أهل العلم من تصحيح مصدره ،

لذلك أنكر العلماء على من حاول رد الأحاديث الواردة في نزل الرب تبارك وتعالى زاعماً أنها ليست في كتاب الله فقالوا قد رواها الثقات العدول الذين رواوا الأحكام ولم يزل أهل السنة يذكرون في كتبهم الأحاديث الدالة على أمور الاعتقاد كما يروون الأحاديث الدالة على أمور العمل ، إذن هذا الأصل وإن كان عند المعتزلة في التفرقة بين العقيدة والعمل هو أصل مخترع بناء للأحكام على إصطلاح حادث كما ذكرنا لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان لا يبنى عليه حكم أما إذا كان يبنى حكماً معيناً على الاصطلاح فلا بد أن يأتي له بدليل إن لم يكن هناك دليل كهذه المسألة أن أمور العقيدة لا بد فيها من آية أو من حديث متواتر أن أمور العبادة يقبل فيها الحديث هذا ليس عليه دليل فلا يقبل مثل هذا من قائله ،

نقول ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم في اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكونوا ينظرون للمسألة هل هي مسألة اعتقادية أم عملية أم خلقية سلوكية لم يكونوا يستعملون هذا التقسيم والدليل على ذلك حديث معاذ رضي الله عنه في إرساله إلى أهل اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ( إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ) فبدأ بأمر اعتقادي وقد أرسل معاذ وحده ولو كانت لا تقوم الحجة بخبر الواحد في العقائد لأرسل النبي صلى الله عليه وسلم والجمع الغفير لكل قبيلة أو أمة ومعلوم أن هذا لم يقع قط وكذا أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه إلى ملوك الأرض كهرقل وقصرى والمقوقس مع آحاد من الصحابة ودعاهم فيها إلى العقيدة الصحيحة قبل العلم قال أسلم تسلم أسلم يؤتاك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأليسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقل اشهدوا بأننا مسلمون ، إذن كان في أمور الاعتقادية في المقام الأول

وكما ذكرنا أن خبر الواحد المختف بالقرائن الدالة على صدقه الذي يعلم من وصله صدقه حجة بنفسه عليه في العقيدة وفي العمل ومن كذب الناقل لزمه أن يبحث عن الأصل ويصل إلى الحقيقة بلا شك يعني لو وقع في نفسه التي وصلته الرسالة كذب الرسول الموصل للرسالة لكان هذا يمكن أن يعد عذراً لكن مع وجود الخاتم ووجود القرائن الدالة على الصدق ليقع في قلبه التصديق بذلك أنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا نقول الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يميز بين الأخبار الدالة على العقائد والأخبار الدالة على العمل فيرسل في هذه عدد يبلغ التواتر ويرسل في هذه آحاد ، لم يكن يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم بل كان يأمر بالأمور الاعتقادية والعملية ، يعلمون الناس الدين الإيمان الإسلام والإحسان ،

نقول أما الفلاسفة والمتكلمون ومن جرى مجراهم وانتسبوا إلى الدين الحق . الإسلام . لكن ظلوا على منهجهم في الفلسفة وعلم الكلام فإنهم هم الذين ابتدعوا هذه البدعة وهي رد أحاديث الآحاد في العقيدة وقد تسربت هذه البدعة إلى طوائف من الفقهاء والمتكلمين المنتسبين إلى مذهب الأشاعرة وصار هذا ديدنهم في كثير من شروح الأحاديث والكتب وهذه زلة من الزلات فلا يجوز القول بها ولا يجوز رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم في أي باب من الأبواب

أما تقسيم مسائل الدين إلى أمور اعتقادية وأمور عملية إنما هو في اصطلاح حادث ولا مشاح في الاصطلاح إذا لم يبنى عليه حكم خاص بدون دليل ، أما إذا بني عليه حكم فلا بد من دليل ، بمعنى أنه لا يجوز تقسيم الدين إلى أصول ، لا بد من تواتر في قبول الأخبار المتعلقة بها وفروع لا يشترط لها التواتر لأن هذا لا دليل عليه بل هو مخالف للأدلة كما ذكرنا ، ولو كان أمر مثلاً متواتر في باب العمل وانتشر علمه كأن الصحيح ركعتان فهذا لو كذبه مكذب كان كافراً مع أنه في أمر عملي وليس في أمر اعتقادي ، لذلك تقسيم الأشياء إما أن يكون تقسيماً شرعياً أو تقسيماً اصطلاحياً ،

التقسيم الشرعي : هو الذي بينه الله تعالى في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ،

مثال ذلك تقسيم الذنوب إلى شرك وما دون الشرك ، قال الله تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }

كذلك تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً ) حديث صحيح ،

النوع الثاني من التقسيم هو التقسيم الاصطلاحي :

وهو تقسيم قسمه بعض العلماء وتبعه غيره عليه كما في تقسيم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى توحيد وفقه وتفسير وسيرة وغير ذلك ، هذا التقسيم الاصطلاحي لا يجوز أن يبنى عليه حكم كأن يقول قائل إن كل مسائل العقيدة فرض وكل مسائل الفقه ليست بفرض ، أو يقول إن الخلاف في مسائل العقيدة كفر والخلاف في مسائل الفروع ليس بكفر ، والصحيح أنه ليس هناك فارق بين الأصول والفروع في ذلك ، لأننا نقول ليس كل خلاف في المسائل الاعتقادية كفر كما أنه ليس كل مسائل الخلاف في الفروع ليس بكفر ،

الضابط في المسألة أن يقال : إن المخالف يكفر إذا أنكر المعلوم من الدين بالضرورة وما بلغتة الحجة عليه وما انتشر علمه بين المسلمين ، وهذا تعريف المعلوم من الدين بالضرورة الحجة قائمه به على كل أحد أو ما ثبت دليله عند المكلف ، يعني ممكن يكون غير معلوم من الدين بالضرورة لكن أقيمت عليه الحجة ، كان في حقه غير معلوم ولكن أقيمت عليه الحجة وأزيلت الشبهة وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بذلك وخالف بذلك كان كافراً ،

أما قبل انتشار العلم فإن المسألة سواء كانت أصلية اعتقادية أم فرعية عملية فإن الأمر فيها سواء لا يكفر المخالف فيها وقد لا يبدع أيضاً ،

نقول مثال : اختلاف العلماء في نبوة الخضر مسألة اعتقادية ومع ذلك لا يكفر فيها المخالف ولا يضل ولا يبدع

ومسألة وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان هي مسألة عملية ومع ذلك فإن المخالف الذي ينكر وجوب ذلك كافر باتفاق العلماء ،

فالغرض من التقسيم الاصطلاحي تسهيل تعلم الكتاب والسنة مع لزوم اتباع السنة بالأصول والفروع لا أن يقول أحد إننا نهتم بالسنة ونحتج بها في الفروع التي هي الأمور العملية وأما الأصول وهي الأمور الاعتقادية فإن الأحاديث إذا وردت بغير طريق التواتر لا يحتج بها هذا كلام باطل ، التقسيم الاصطلاحي إذن إذا لم يبنى عليه حكم شرعي فلا مشاح فيه أما إذا بني عليه حكم شرعي فذلك بدعة محدثة ،

طالب : تقسم التوحيد

الشيخ : تقسم التوحيد اصطلاحياً فالذي يحاول أن يبنى على هذا التقسيم حكم شرعي كأن يقول ما كان من خلاف في توحيد الإلهية فلا يعذر بالجهل فيه وأما ما كان في الأسماء والصفات فلا يعذر بالجهل فيه هذا كلام باطل وكلام لا أصل له ، كل ما كان من مسألة يحتمل جهل جاهل بها فلا بد من أن تقام عليه الحجة أولاً في عقيدة أو عمل فضلاً أن تكون تقسيمات داخل أقسام العقيدة وإن كان التقسيم الاصطلاحي في أقسام التوحيد باستقراء أدلة الكتاب والسنة لكن لا يبنى على ذلك حكم مستقل ، يعني التقسيم على توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات ليس بدعة كما يحاول البعض أن يقول فضلاً عن أن يجهل جاهل جهول ويقول أن هذا تثليث النصرى ، هذا جهل مبين وضلال وكذب على أهل العلم ، أيقول بذلك أحد يفهم كلام العلماء فضلاً عن أن يكون أنه دكتور أو استاذ أو نحو ذلك ؟ نسأل الله العافية ،

هذا مأخوذ بالاستقراء من أدلة الكتاب والسنة كما قال تعالى { رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً } قرب السماوات والأرض وما بينهما توحيد الربوبية فاعبده توحيد الإلهية وهل تعلم له سمياً توحيد الأسماء والصفات ،

كما قال تعالى { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون } اعبدوا ربكم توحيد الإلهية ، والذي خلقكم والذين من قبلكم توحيد الربوبية فمثل هذا التقسيم عليه أدلة ، لذلك نقول ينبغي استعماله ولكن لا نبي عليه حكماً شرعياً لأنه كما ذكرنا لم يقسمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس كما ذكر الله في القرآن { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } ، الكبائر والصغائر حكم شرعي { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم } تقسيم شرعي إلى كبائر وصغائر ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## ٩٢- إتيان السنة واجب في الظاهر والباطن

نقول في منزلة الاتباع ، إتيان السنة واجب في الظاهر والباطن ، يجب إتيان السنة في الظاهر والباطن لعموم الأدلة لأنه قد أمر الله بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فقال { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول } وقال { فإن تطيعوه تهتدوا } لم يقل اتبعوا في الباطن والأخلاق ولا تتبعوه في الظاهر والشكل ، إذا أمر بأمر من أمور الظاهر فلا بد أن تمتثل أمره عليه الصلاة والسلام ، وهل أكل الخنزير مثلاً الذي في القرآن إلا من الأمور الظاهرة وهل شرب الخمر إلا من الأمور الظاهرة ؟ هذا أمر ظاهر من أعمال البدن وكذلك تحريم ليس الخاتم من الذهب والحرير أليس هذا من الأمور الظاهرة ، وكذلك إقامة الصلوات والقيام أليس هذا من الأمور الظاهرة ؟ هذه عبادات البدن مع ما فيها من عبادات القلب ، لذلك نقول لعموم الأدلة من يقسم ويقول أنتم تهتمون بالقشور وأنتم تهتمون بالظاهر وهذه أمور تافهة نعوذ بالله هذا من أعظم الضلال ، لذلك نقول أن المسألة التي استحدثها البعض وابتدعوها بتقسيم الدين إلى قشر ولباب بزعهم ، فيهتمون باللباب ويرمون القشر فهذا من المنكرات التي انتشرت في زماننا ، فكلم من الناس إذا أمروا بامتنال أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وكثير منه أمور واجبة وبعضها قد اتفق عليه العلماء وبعضها مختلف في حكمه قالوا أنتم تهتمون بالقشور وتهتمون بالظاهر كما ذكرنا مثلاً خاتم الذهب أمر ظاهر تحريمه يجمع عليه بين العلماء وإعفاء اللحية أمر ظاهر وهو يكاد يكون متفقاً عليه بين السلف وإن كان نقل الإجماع في ذلك لا نعرفه ، لكن الأئمة الأربعة على وجوب تركها وتحريم حلقها ، فمن قالوا أنتم تهتمون بالقشور وتهتمون بالظاهر ويجب أن تهتم بالباطن ولا عبرة بالظاهر هذا من الجهل ربما تبادى هذا الجاهل بجهله بقول النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ) هل معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم أن تتبرج المرأة وتدعي سلامة القلب أو يترك العبد الصلاة ويدعي سلامة القلب ؟ هذا كلام باطل ، هذا من الضلال الذي ابتدعه أناس يدعون انتسابهم إلى الدين وقسموا الدين إلى قشر ولباب وإن كانوا لم يصلوا إلى حد ترك الصلاة ، الصوفية قديماً منهم من وصل إلى ذلك ، من الصوفية من وصل إلى أن قال الصلاة وسيلة لا غاية فإذا وصلتم إلى الغاية بالقلب فلا حاجة لي إلى الصلاة والصيام فهذا كافر خارج من الملة ، في زماننا أنا أقول يوجد من ينكر فضل الحجاب الآن بعد أن انتشر علمه كافر خارج من الملة ، الحجاب لا أعني ستر الوجه ولكن أعني ستر الشعر والذراعين والساقين ، فمن ينكره في زماننا كافر خارج من الملة إلا أن يكون نشأ في بيئة لا تعرف هذه المسألة وأظن ذلك صعب جداً في بلاد المسلمين

طالب :وجود الشبهات ليست مبرر ؟

الشيخ : لا ، طالما انتشر علمه بين المسلمين لا اعتذار بشبهات إلا أن يكون كما ذكرنا لم يبلغه التحريم أو الوجوب ،

لذلك نقول هذا من الضلال الذي ابتدعه أناس ينتسبون إلى الدين حين قسموا الدين إلى قشر ولباب ، أليست الطهارة أمراً ظاهراً ، هل تصح الصلاة بغير الطهارة ، أصبحوا في زماننا يستهزئون بفقه الطهارة ، يقولون فقه المراحيض نعوذ بالله من الضلال ، نحن ننكر على من يهتم بنوع من الفقه وينكر ما وجب عليه من الفقه الآخر لكن ليس بالاستهزاء بما أوجب الله علينا من واجبات الطهارة والاستنجاء والوضوء ونحو ذلك ولا بتهوين مثل هذه المسائل ،

كذلك أليست الصلاة مع كونها بنية باطنة يتقرب بها العبد إلى الله لا تصح إلا بقيام وقراءة وسجود ، أليست هذه أموراً ظاهراً ، أليس الحيض والنفاس الذي قد يسيء البعض الأدب في الحديث عنه بل قد يصل إلى الكفر حينما يحتقر فقه الحيض والنفاس أو يتكلم على بعض العلماء أنهم فقهاء الحيض والنفاس نعوذ بالله ، ونحن لا نرضى أن يكون عالم مهتماً فقط بفقه الحيض والنفاس مهماً ما وجب بيانه للناس من فقه الجهاد مثلاً وفقه الأخلاق الواجبة وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن لا يحقر فقه الحيض والنفاس ومن حقر ذلك كان كافراً ، الآيات نزلت في بيان أحكام الحيض والنفاس كما قال عز وجل { يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن } فإذا تكلم إنسان عن ذلك وزعم أن هذه أمور تافهة وحقيرة فهو أحقر من أن ينتسب إلى الإسلام ، وهو والعياذ بالله لم تصح نسبته إلى الدين فكيف نقول إذن نحن لا نهتم بالظاهرة ، ومع ذلك لا يجوز الاهتمام بالظاهر فقط من اهتم بالظاهر فقط فصار في هيئته مهتماً بالسنة وفي أخلاقه وسلوكياته وفي أعمال قلبه غير ملتزم بما لكان هذا ضلالاً ومعصية على حسب درجة المخالفة فإذا ترك حب الله الواجب وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وترك الخوف من الله وخاف من سواه كان ذلك نقصاً فيه وربما صار نفاقاً على حسب الترك الذي تركه إن ترك أصل الحب كان كفراً وإن كان ترك الحب والواجب كان معصية ونفاقاً وربما كان نفاقاً أكبر على حسب ما فيه ،

ترك الخوف من الله لو تركه بالكلية لكان كفرًا والعياذ بالله ولو ترك الواجب منه بحيث أنه صار يخاف من المخلوق خوفاً طبيعياً خوفاً يدفعه إلى ترك طاعة الله الواجبة أو فعل المحرم من غير إكراه كان نقصاً في إيمانه الواجب ولا يكون مؤمناً حتى يخاف الله ولا يخاف سواه هذا ترك حب الله الواجب وترك حب الرسول صلى الله عليه وسلم وترك الخوف الواجب من الله وكذا الخوف ممن سواه الخوف الطبيعي كان ذلك إما نقصاً وإما نفاقاً أكبراً أو أصغر حسب الحال والله أعلى وأعلم ، وقد سبق بيان مسألة أصل الحب وكمال الحب الواجب وكمال المستحب في بيان أعمال القلوب قبل ذلك ،

الغرض المقصود هنا أنه لا بد أن يوجد في القلب الأعمال الباطنة ولا يكفي الظاهر فقط ، لذلك نقول لا يعني ذلك أن نختصم بالباطن فقط بزعم أن القلوب هي أهم شيء في الإيمان ، نعم القلوب أهم شيء لكن لا يمكن أن ينتفي التلازم بين الظاهر والباطن ،

الباطن والظاهر بينهما من التلازم والاحتتماع ليس التلازم معناه أنه يلزم الزواج بالكلية لكن إذا وجد الإيمان الواجب في الباطن لابد أن يظهر العمل الظاهر على الجوارح لذلك نقول لا يعني أن نختصم بالباطن فقط بزعم أن القلوب هي أهم شيء في الإيمان وأن حال القلب هو أهم ما يلزم الإنسان الاهتمام به ويستدل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ( التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ) هذا لا يعني أن نحمل الأمور الظاهرة ولا أن ننشغل بالأمور الظاهرة عن الأمور الباطنة بل الاهتمام بالظاهر والباطن ، ( إن الله لا ينظر إلى صوركم ) يعني إلى أن هذا جميل أو قبيح أو هذا أبيض أو أسود ولا ينظر إلى أموالكم هذا غني وهذا فقير ليس التفاضل عند الله بالغنى والفقير والجمال والصحة والمرضى ونحو ذلك ، وإنما قال ( ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ) ومن ضمن الأعمال الأعمال الظاهرة لذلك نقول الاهتمام بالظاهر والباطن بالأخلاق والتزكية وبأعمال القلوب وبالجهاد فليس هناك تعارض بين أن يجاهد المرء في سبيل الله وأن يفعل سنة السواك أو يهتم بتقصير ثوبه الذي هو واجب على الرجل إلى ما فوق كعبه ، طبعاً الواجب المقصود به أن لا يتجاوز الكعب أي يجعل ثوبه لا يجاوز الكعب يجب أن يقصر ثوبه بحيث لا يتجاوز الكعب يعني لا يلزم أن يكون الثوب فوق الكعب ( ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار ) حديث صحيح ، وهو سنة كما يرى البعض الآخر أنه إذا كان بغير خيلاء لم يحرم إسبال الإزار أو الثوب والصحيح أن تعتمد إسبال الثوب هو من المخيلة وإنما ورد الحديث فيمن استرخى ثوبه كما قال أبو بكر رضي الله عنه " إن إزاري ليسترخي مني إلا أن أتعاهده " لو أن رجل أزاره ينزل أحياناً وأو بنطاله ينزل تحت الكعب أحياناً ولكنه يتعده فهذا ليس بآثم إذا نزل تحت الكعب لأنه نزل منه واسترخى منه وهذا الذي ورد لكن أن يعتمد الإنزال تحت الكعبين فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ولا يجهل الله ) والحقيقة أن هذا الحديث عظيم القدر رغم أنهم يحتجون به على عدم الاهتمام بالظاهر وهذه المسألة مسألة مشهورة . تقصير الثوب . إلا أن الحديث يثبت أن هناك اقتران وتأثير بين الظاهر والباطن لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ) والمخيلة من أعمال القلب ، لذلك نقول أن هناك تأثير بين الظاهر والباطن وإن كانت مسألة أنه من غير خيلاء مكروه فقط خلاف سائق ، ليس معنى أنه خلاف سائق أن تفعل ما تشاء ، بل معناه أنك لا تغلظ بالإنكار على من خالف إذا قال أنا لا أفعله خيلاء لكن تنصحه أن تعتمد الإسبال تحت الكعبين هو من المخيلة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والراجح أنه محرم ، لذلك نقول هذه أمور شرعية لا يجوز لأحد أن يحقر من شأنها ولا أن يستهين بها ولا أن يكون منكراً على العاملين بما ضيعتم الجهاد لأنكم انشغلتم بذلك ، وربما كان هو الآخر مضيقاً بالجهاد أو عاجزاً عنه فيتهم العاجز الآخر باهتمامه بالقشور وترك الواجبات مع أن الكل ربما كان مشتركاً في العجز فكم من الناس من يفعلون المنكرات بزعم أنهم منشغلون بتأييد المسلمين في القدس فهل ينافي هذا لك ، أيدهم واشرح قضيتهم وساعدهم بما تقدر عليه وفي نفس الوقت التزم فإنه لا تعارض بين هذا وذاك ، كمن يهتم بالمتلحي في زماننا باهتمامه بالقشور ويهتم كذلك الحال المنتقبة بزعم أن المهم القلب والأخلاق والمعاملات فكل واحد يتخذ أمراً معيناً هو المهم الأخلاق أو المعاملات أو الجهاد أو الدعوى أو العلم ويهمل الباقي هذا يؤدي إلى فساد وقصور شديد ، لذلك نقول لابد من اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في العقيد والعمل والظاهر والباطن والسلوك والأخلاق والمعاملات ، لابد أن نكون متحققين بذلك في كل شئونا لا بمجرد الهيئة الظاهرة فقط ولا بالباطن فقط كما يزعمون بل فساد الظاهر يدل على فساد الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ) فإذا ظهر الفساد بالخارج فهذا دليل على فساد القلب بالقطع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال إذا صلحت صلح الجسد كله فكيف تزعم صلاح القلب وأنت فاسد الظاهر ؟ إن الاهتمام بتعلم السنة في كل الأمور والعمل بها وتقديمها واجب لا يجوز أن نترك باباً من الأبواب بزعم أن هذا الباب غير مهم أو أن في الدين قشر ولباب فيهمل القشر ويؤخذ اللباب فهذا الزعم بدعة ضلالة ،

الحقيقة أن القشر ضروري لحفظ الباب ، لو قشرت برتقالة وتركتهما ماذا يحدث ؟ ستفسد ، أي شيء بدون قشر لو أنه صح التقسيم مع أن كلمة القشر فيها نوع من التهوين والتقليل وهذا لا يجوز في أمر شرعه الله عز وجل وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن أهل العلم أبداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يفعلون ذلك ولا يقولون به ، ولو كانت هذه الأمور التي يسمونها قشوراً غير مهمة فلماذا شغل النبي صلى الله عليه وسلم وأمرته بالأمر بما ؟ فعندما قال للرجل ( كل يمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال فما رفعها إلا فيه ) وفي رواية ( فما وصلت يمينه إلى فمه بعد ) يعني ظل مشلولاً لا يستطيع أن يرفعها إلا فمه لأن هذا الرجل ما منعه إلا الكبر فأصابه الله بعجز في يده أليس هذا أمراً ظاهراً وباطناً ، في الحقيقة هو أمر ظاهر مرتبط بأمر باطن ، من يتأمل كتب العلماء يجدهم قد ذكروا الأمور الظاهرة كأبواب الطهارة واللباس والهيئة الظاهرة وغير ذلك كما ذكروا الجهاد والدعوة إلى الله والزهد وأعمال القلوب ،

إن المفرط ومن ترك الظاهر بزعم أنه يهتم بالباطن أو ترك القشر بزعم أنه يهتم باللباب ،

فصحيحة لمن يلتزم بالأمور الظاهر ويظن بذلك قد اتبع السنة ويترك قلبه خراباً خاوياً من حب الله عز وجل والخوف منه والرغبة والرهبة والتوكل أو يترك قلبه يدخل فيه أمراض الرياء والحسد الحقد أو يترك الواجبات الأخرى التي افترضها الله على العباد من دعوة وجهاد وعلم أو غير ذلك بزعم أنه قد التزم بالأمور الظاهرة وكفاه ذلك ،

نقول لابد من اتباع السنة في الظاهر والباطن لعموم الأدلة التي سقناها من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

نقول أن أدلة إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والباطن لعموم الدليل قال الله عز وجل { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } ما . أسم موصول من ألفاظ العموم بكل بما آتاكم الرسول صلى الله عليه وسلم فخذوه فيشمل ذلك كل ما جاءنا من الرسول صلى الله عليه وسلم وأمرنا به ، وما نهاكم عنه فانتهوا . فيشمل كل ما نهانا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وقال تعالى { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً { أيضاً هذا نكرة في سياق الشرط { إذا قضى أمراً { أي أي أمر { أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً { كل ما خالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوجبه فهو عاصي ،

وقال عز وجل { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم { وهذه الأولوية في جميع الأمور وكل الأمور ،

ومن السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ) وهذا ليس فيه أن الأمر للاستحباب كما يظن البعض وإنما علق بالقدرة لأن الترك في الأصل لا يحتاج إلى قدرة وأما بالنسبة إلى الفعل فهو يحتاج إلى القدرة والاستطاعة وأما من قدر على امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يمتثل أمره ما لم يدل الدليل أو يأتي صارف على أن هذا الأمر ليس بالوجوب بل للاستحباب أو غير ذلك ،

لكن الأمر والنهي كلاهما من باب واحد ، الأمر للوجوب والنهي للتحريم ، لكن لماذا علق على الاستطاعة ؟ لأن الاستطاعة يحتاج إليها في فعل إنشاء المعدوم الواجب لكن الترك فيه كف للنفس فقط ، أنت لا تحتاج إلى جهد لتترك وإنما تحتاج إلى قدرة وجهد لتفعل ، الأصل أن تكف نفسك عما نهاك عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتصور عدم القدرة على الترك إلا مع الإكراه لأن الأصل أن الترك لا يحتاج إلى قدرة ، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم وما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما أردتم وإنما قال ( ما استطعتم ) فالبعض يخلط المسألتين يظن أن ما استطعتم أي ما شئتم ، ويكذب ويقول لا أستطيع أي لا أريد وهذا باطل ، الاستطاعة غير الإرادة ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ،

والإجماع :

والإجماع نقله الشافعي فقال أجمع العلماء على أن من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس ومن فرق الدين فجعل بعض مسائله يرجع فيه إلى السنة وبعضها لا يلزم فيها الرجوع إليها أو زادت جرّته حتى قال عنها إنها تافهة وهذا للأسف يصدر من بعض المنتسبين إلى الدعوة والدين والعباد بالله وهذا حقيقته الكفر لكن أحسن أحواله أن نجعله جاهلاً متأولاً ضالاً مخالفاً للإجماع .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

**هذه اسئلة طرحت واجاب الشيخ عنها**

البعض يسأل يقول إذا قلنا بعدم إقامة حد الزنا على من حملت بغير زوج أو سيد فمن أين يتصور حملها إذن ،

الجواب : يمكن أن يحصل حمل بغير جماع ، أنا أعرف قصصاً حقيقة وقع فيها حمل بمجرد لبس الأخت ملابس أخيها التي قد وقع فيها احتلام أو تستعمل المنشفة التي استعمالها أخوها ولم ينتبه أو وقع من فوق الثياب مباشرة بين رجل عاقل وبين زوجته ولم يدخل فرجه في فرجها مما لا يجب به الحد ووقع حمل بذلك ، وقد يزوج المني إلى فرج المرأة دون أن يحصل جماع ،

أخ يقول :

مسألة تقبيل أيدي العلماء أنا أقول أنها ليست من السنة ؟

الجواب :

الذي يحدث من الأخوة في كل مرة وفي كل حين وكلما صافح شيخاً من المشايخ قبل يده أن هذا ليس من السنة وليس هذا هدي الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يخالف السنة في أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل إذا لقيا أحداً أخاه أينحي له قال لا أيعتقه قال لا أو يلتزمه قال لا قال يصافحه قال نعم فلماذا هجرنا هذه السنة ؟ ثم إن الشيخ أول ما تمد يدك لتصافح فتريد التقبيل ينزع يده فلا تتم المصافحة فهذا فعلاً أدى إلى ترك هذه السنة سنة المصافحة المأمور بها للغلو في مسألة ثبت بها الحديث مرة واحدة ، هل يفعل ما ثبت مرة واحدة على صيغة الدوام والاستمرار حتى تكون سنة ثابتة يكون من تركها مقصراً عن تعبير حبه للعلماء ، والصحابة يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك ولو كانوا يفعلون ما فعله الأخوة لنقل ذلك متواتراً ، ليس أنه نقل مرة واحدة بل ينقل في كل مرة يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم يقبلون يده ورأسه ورجله ، وقع حديث واحد في قصة عودة الصحابة رضي الله عنهم من مؤتة حينما قال ( بل أنتم العكارون إن شاء الله ففرج عنهم كربة التهمة بالفرار ) قال فقلبتا يديه ورجليه ، زيد ابن ثابت قبل يد ابن عباس رضي الله عنه لما كان يأخذ بلجام بغلته تعظيماً لأمر العلماء ، فهذه نواذر لو فعلت على سبيل النادر فنعلم ، أما أن تصبح عادة مستقرة مستمرة ويقال بعد ذلك أن هذا من الأدب مع العلماء ؟ ، الأدب مع العلماء ليس أعلى منه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم من أصحاب النبي ، وخير الناس أدباً الصحابة رضي الله عنهم ولو كانوا يفعلون ذلك لنقل ولم ينقل فدل ذلك على أن هذه المبالغة وهذا الاستكثار من هذه المسألة حتى صارت عادة مستمرة خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم ،

أنا لا أقول بأنهم بذلك خصوصاً مع التأول ومع الشيخ الفلاني قد فعل والشيخ الفلاني قد ترك يده للناس وأحياناً الشيخ يعجز أن يفعل ذلك خصوصاً مع الرأس ، يجد واحد يأخذ رأسه أو يجذب يده فمثل هذا الأمر قد يعجز أما الشيخ الفلاني قد فعل فمثل هذا قد يكون يرى مصلحة ما في أمر معين في لحظة معينة ليس أن هذه تكون سنة ولو فعلها بعض المشايخ فالعبرة بالأدلة من الكتاب والسنة وليس بما فعله البعض فنقول هل هذا هدي الصحابة رضي الله عنهم وهل هذا هدي السلف رضي الله عنهم ؟ هي تفعل مرة في العمر مرتين لكن أن تكون سمة دائمة هذا أدى إلى ضياع سنة المصافحة ،

طالب : يا شيخ لو أن الطالب يرى أن هذا الشيخ أدى إليه فضل ومعروف ؟

الشيخ : وهل هناك فضل أعلى من فضل النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة ، وهل هناك فضل أعظم من فضل الصحابة على التابعين ؟ وإنما كانوا يفعلون ذلك كما ذكرنا على سبيل النادرة ، لكن على سبيل الاستمرار هذا لم يرد

طالب : وماذا مع الوالد والوالدة ؟

الشيخ : مع الوالد والوالدة يفعل أحياناً أيضاً ، نعم لا بأس أن يفعل ذلك أحياناً برأ بما وترضية لخطأهم وليس أنه أيضاً يفعل في كل مرة ينحني لأن هذه الإحناء ليس هو الأصل ،

تقبيل الرأس أيضاً أمراً لم يرد ،

وإنما ورد في تقبيل أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم لما قبض عليه الصلاة والسلام ، وهذا أيضاً يشق جداً والله والمعانقة الدائمة تشق خصوصاً إذا كان الأمر يتكرر فهذا فعلاً أمر محدثاً بهذه الطريقة ، على الأقل أراه خلاف هدي الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم ،

تخيل مثلاً لو أن الصحابة كل جمعة يدخلون ليقبلوا يد النبي صلى الله عليه وسلم أكان ينقل بنفس الطريقة ،

كان ينقل متواتراً لأن الجمعة متواترة فلو حدث كل جمعة لنقل إلينا بالتواتر

### ٩٣ - تقديم النقل على العقل

قضية تقديم النقل على العقل من أهم مسائل الإتيان ومن قواعد أهل السنة والجماعة ومن مقتضيات أدلة طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تقديم الحديث الصحيح على العقل إذا خالفه وبعد ذلك تقديم النقل على العقل وهذه المسألة من مسائل أصول أهل السنة ومن قواعد الاستدلال الكبرى عندهم فهم لا يعارضون الحديث بالعقول ،

هل يمكن أن يأتي الحديث بما يخالف العقل ؟



نقول العقل الصحيح هو عقل أهل الإيمان لأنهم هم الذين يعقلون قال الله تعالى { إنما يتذكر أولو الألباب } أي أصحاب العقول ، وقد وصف الله عز وجل الكفرة والظلمة بأنهم لا يعقلون فنحن إنما نقصد تقديم النقل الصحيح على العقل الفاسد المخطئ الذي ليس له ضابط ، يعني إطلاق الكلمة هي مطلق أرد به مقيد ، تقدم النقل يريدون به النقل الصحيح وليس أي نقل وعلى العقل على العقل المخطئ الفاسد الذي خالف النص وإن تصور صاحبه أنه عاقل وأنه يتكلم بمقتضى العقل وليس كما ظن البعض أننا نلغي عقولنا بالكلية فقال هؤلاء السلفيين لا دخل لهم بالعقول ، هي في الحقيقة لأن الكلمة لم ترد في الكتاب والسنة تقدم النقل على العقل لذلك قلنا لا بد أن تقيد حتى نوضح المقصود من ذلك ، أي نقل وأي عقل ، وإلا فليس كل نقل وليس كل عقل ، ونحن أصلاً لا نجوز حصول تعارض بين العقل الصحيح وبين النقل الصحيح ولكن يتوهم شيء من ذلك وعند التوهم يكفيننا تقدم النقل الصحيح ونعرف فساد العقل بوجود النقل ،

نقول قد وصف الله عز وجل الكفرة والظلمة بأنهم لا يعقلون فنحن إنما نقصد تقدم النقل الصحيح على العقل الفاسد الذي ليس له ضابط أما أن يكون هناك أمر عقلي يقيني أجمع عليه كل العقلاء فإنه يستحيل أن تأتي السنة بمخالفته أو يأتي الشرع بمخالفته ، يعني لا يأتي الشرع أبداً بأن واحد زائد واحد يساوي واحد كما يقول النصارى ، النصارى يقولون تقدم النقل على العقل فيحتجوا على بطلان عقيدتهم وفسادها بأنه لا بد أن تقدم النقل على العقل ، بل ليس الأمر كذلك ، والعقل السليم لا يمكن أن يخالفه الشرع في مثل هذا الأمر فالسنة لا تأتي بأمر يخالف الحس ولا أمر يخالف العقل الصحيح لكن المشكلة في تصور بعض الناس أن هذه الأمور هي أمور عقلية فعلاً ، كلام الفلاسفة مثلاً الذي يسمونه العلوم العقلية وكلام علم الكلام ويظنون أن مقدماتهم قطعية وهي ليست كذلك بل هم يحتفلون فيها وهي عبارة عن كلمات تصاغ بصياغة دائماً في إجمال يدخل فيها الحق بالباطل ولذلك إن كان الفساد في كلامهم أضعاف ما في كلامهم من الصحة لذلك نقول لا تأتي السنة ولا الشريعة عموماً بما يخالف الحس ، لا تجد حديثاً بأن الشمس مثلاً تشرق من الشمال هذا من المستحيل ، أما حديث سوف تشرق الشمس من مغربها هذا أمر خارق للعادة سوف يقع في آخر الزمان وهذا أمر من خوارق العادات ، لكن لا يأتي مثلاً أمر بأن الشمس كل يوم ونطالب ونصدق بأنها تشرق من الشمال أو من مغربها كل يوم وأن هذا هو المعتاد ، كذلك قد ثبت بالحس والمشاهدة أنه لا يوجد جبل يحيط بالدنيا للذين يقولون ق جبل يحيط بالدنيا مثلاً ، فنقول هذه الأحاديث مع ضعفها سنداً ، لذلك لو أن حديث موضوع أو ضعيف فلا نجد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً يعارض ما أجمع عليه العقلاء ، السنة تأتي أو الشريعة تأتي بما يحار فيه العقول ولا تدري وجهه أما أنها تأتي بمحالات العقول فهذا يستحيل ، لكن الأمور التي يظن البعض أنها عقلية أو أن عقولهم تكون بما وهي في الحقيقة مجهولة بالنسبة لهم قد يخالفها الشرع ، فقد يأتي الشرع بما يخالف عقول بعض الناس لأنها عقول فيها فساد كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغمس الذباب إذا وقع في الإناء وأخبر أن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء أو شفاء فيقول بعضهم أن العقل لا يقبل ذلك وهو الحقيقة أن العقل يجهل كل التفاصيل عن الذباب وهذا كان غيباً وأمرراً مجهولاً وعلم بعد ذلك أن في أحد جناحي الذباب مضادات أجسام لبعض الميكروبات مصداقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو لم يحصل ذلك فنحن نوقن أن في الجناح الآخر دواء ونحن لا ندري ما في جناح الذباب وليس كل الأبحاث قد تمت على الذباب حتى يقال أننا نعلم يقيناً أنه لا يوجد ذلك ، وكمن من الأمور مازالت تكتشف في الطب في بدن الإنسان وفي الحيوانات والحشرات ولا يزال الناس يتعلمون كل يوم أشياء جديدة وأشياء من السموم تستغل وتصبح دواء وشفاء

ولما كان الإنسان يجهل كثيراً جداً ضمن الأمور فإن الشرع يأتي بمحاربة العقول أي بما تحار فيه وتجهله ولا يأتي بمحالات العقول ،

يأتي بمحارات العقول أي العقل المجرد قد لا يعلم لكن العقل المؤيد الموفق يقول ما دل الدليل على صدقه يجب قبول خبره ،

وقد أتى الدليل على صدق الرسل جميعاً فلا بد أن نقبل أخبارهم ،

لذلك قلنا تقدم النقل الصحيح على العقل الذي يخطئ ويصيب ، الشرع لا يأتي بما يناقض العقول ولكن بما لا تعلمه العقول ، والعقل الصحيح يوافق النقل الصحيح وخصوصاً في هذا الباب قضية العقائد والأمور الغيبية لأن عامة العقائد أمور غيبية { يؤمنون بالغيب } ولذلك إعمال العقول بما واره الطبيعة كما يقولون هو من الخلل أعني العقل غير المؤيد وأما أعمال العقول المستنبطة بالوحي فهذا هو الواجب أن نعمل عقولنا في التفكير في آيات الله سبحانه وتعالى وأفضل ما يدل ذلك على ذلك كتاب الله ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ترشدك إلى كيفية إعمال العقل في النظر في آيات الله في الكون ،

تقدم الحديث على الرأي والقياس :

يجب تقدم الحديث على الرأي والقياس وهذا كأصل لا نزاع فيه لكن هناك مدرستان مشهورتان . مدرسة الرأي في العراق ككلام أبي حنيفة لأصحابه وهؤلاء أكثرنا من استعمال القياس ، ومدرسة الأثر وهي مدرسة أهل الحجاز وما تبعها من البلاد الإسلامية وهي أيضاً مدرسة أهل الحديث كالإمام مالك والشافعي وأحمد ومن وافقهم . يعني الإمام مالك والشافعي وأحمد أئمة أهل الحديث ، والبعض يظن أن مدرسة أهل الحديث هم المحدثون فقط ، بل هذه مدرسة أئمتها هؤلاء الجامعون بين الفقه والحديث مالك والشافعي وأحمد ، والبخاري على طريقهم ومسلم على طريقهم والترمذي وأبو داود وكل أصحاب هؤلاء ، هم أكثر استعمال الحديث من القياس وهذا مرده إلى كثرة الأحاديث عند أهل الحجاز عن أهل العراق وليس هناك نزاع بين المدرستين في التأصيل تأصيل أن الحديث يقدم على الرأي والقياس وهو أنه يجب تقدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم على القياس لكن لما جاء المتأخرون ورأوا أئمتهم قالوا بأقيسة خالفت الأحاديث ظن بعض المتأخرين تركوا الأحاديث لأجل القياس وليس الأمر كذلك ولكن لأنه لم يصح عندهم الحديث لذلك اضطروا إلى

القياس وهذا القياس يصيب وأحياناً يخطئ ، المشكلة لم تحصل مع الأئمة الكبار بل حصلت مع الأتباع المتأخرين الذين صاروا يقدمون كلام أئمتهم وقياساتهم على الأحاديث بعد أن علموا صحتها ولو علم الأئمة صحتها لما قالوا بخالفها ،

نقول أو لأنه عارض هذا الحديث معارض آخر من حديث آخر ، وهي من أعدار الأئمة الذين خالفوا الأحاديث ، إما أنه لم يصلهم الحديث من طريق صحيح أو عارض هذا الحديث معارض آخر من حديث آخر أو عموم آية فلجأوا إلى التخصيص والتقييد في محاولة الجمع بين الأدلة فإذا عجزوا عن الجمع لجأوا إلى الترجيح وربما يكون بعضهم قد نسي حديثاً كان قد رواه ، يعني ممكن نسيان الحديث سبب واختلاف طرق الأدلة ، كل هذا مما يرفع به الملام عن الأئمة الأعلام ، وننصح الأخوة بقراءة كتاب شيخ الإسلام الذي بهذا العنوان - رفع الملام عن الأئمة الأعلام - كتاب عظيم القدر ومهم جداً في بيان أن الأئمة ليس بينهم خلاف في تقلد السنة على غيرها ولكن وقع من المتأخرين شيء من ذلك لأجل التقليد ولأجل تقلد الرأي على الحديث لكن العلماء لهم أعدار ، عذر صحة الحديث عندهم واختلاف طرق الجمع بين الأدلة ومعارضة حديث بحديث أو بعموم أو نسيان بعض الأحاديث ، قد يكون الحديث من طريق صحيح وظنوه ضعيفاً كما أن الإمام أبو حنيفة ومن معه يطعنون في صحة حديث لا نكاح إلا بولي ، ظناً منهم أن بعض الرواة مطعون فيه وليس هذا هو المطعون فيه ، بل الصحيح أنه حديث صحيح أو وصلهم حديث آخر ظنوه صحيحاً وهو ليس كذلك ولم يطلعوا على سبب ضعفه أو يأخذون بالمرسل أو يأخذون برواية المجهول ويرونه مستور الحال عدلاً وهو ليس كذلك ، فتركوا من أجله ما هو صحيح بالفعل ،

فالأحناف مثلاً ظنوا صحة حديث ( حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شرع ) الحديث رواه النسائي والبيهقي والطبري من حديث ابن عباس ، قال الألباني والصواب فيه أنه موقوف على ابن عباس وهذا الحديث يدل على أن الحرام هو السكر وأن شرب القليل غير المسكر ليس بحرام وهذا حديث ضعيف والصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم ( كل مسكر خمر وكل خمر حرام ) فلما صح عندهم الأول ولم يصح الثاني قالوا إن المسكر هو ما كان من غير عصير العنب إذن قالوا الخمر هي عصير العنب فقط وأما المسكر فهو غير عصير العنب والمحرم هو السكر من غيرها ، فكان عذراً لهم ولا يجوز لأحد بعد أن يعلم صحة الحديث أن يتبع مذهب الأحناف في ذلك لذلك شدد أهل العلم بالحديث على كل من خالف حديثاً ثبت عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكروا على كل من خالفه وليس هناك من مؤصل تقدم الرأي والقياس على كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق العلماء ،

لذلك القول بأن هذا المنهج وهو تقديم الأحاديث الصحيحة وهو مدرسة أهل الأثر والمدارس متعددة ويسعنا أن نأخذ من المذاهب الأخرى كلام غير صحيح في التأصيل وكما ذكرنا الكل يؤصل إن صح الحديث فهو مذهبي ولو صح عند أبي حنيفة رحمه الله حديث ( كل مسكر خمر وكل خمر حرام ) لقال به ،

ولذلك مذهب الإمام أحمد رحمه الله وجوب إقامة الحد على من شرب نبيذاً مسكر ولو قليلاً ولو لم يسكر بعضهم الخلاف في ذلك لثبوت الحديث الصحيح ، ولذلك كان هناك تشديد في هذه المسألة وليس كما يظن البعض أن مدرسة الأثر الحديثة وهو ما يعرف بالمذهب السلفي متشدد في هذا الباب ، ليس كذلك بل المذهب السلفي في هذا الباب هو الذي يأخذ بما اتفق عليه العلماء والأئمة وليس بما قاله المتأخرون ، المتأخرون من أبناء المذاهب نعم عندهم تعصب لمذاهبهم والخطأ في من يجعل كل ما يذكر في كتب المذاهب كأنه دليل وأنه دليل يمكن أن يأخذ كل أحد به ، الدين هو ما قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم ، والإجماع دال على وجود وحج والقياس الصحيح من الميزان وليس أن كل أقوال العلماء عبارة عن أدلة بل هي يستدل لها ولا يستدل بها ، الذين جعلوا أقوال العلماء عبارة عن مائدة تختار منها ما تشاء وأجل التفكير بهذه الطريقة هم أهل المدرسة بهذه الطريقة التي تدعي أن مدرسة أهل الأثر مدرسة متشددة وأن الناس يسعهم أن ينتقوا ما يشاءوا من أقوال وهذا الذي أجمع العلماء ونقله ابن عبد البر وغيره على عدم جوازه ولذلك نقول بل الكل متفق على تقديم الحديث الصحيح حتى مدرسة الرأي ولكن كما ذكرنا عندهم أعدار ليس ملامين بسبب وجودها ولكن يلام من زالت عنه الأعذار وصح عنده الحديث وظل مصراً على اتباع المذهب دون الحديث ،

تقديم الحديث على العرف :

العرف هو ما تعارف عليه الناس ، هذا هو العرف الاصطلاحي المعروف وإلا فالعرف من كتاب الله { خذ العفو وأمر بالعرف } هو ما عرف بالشرع حسنه وجوباً أو استحباباً وليس ما تعارف عليه الناس ، لكن العرف الذي يستعمل في باب الأصول يقصد به ما تعارف عليه الناس ، فتجد اليوم كثيراً جداً من الأمور العرفية المخالفة لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فبعض الجهلة من المتأخرين يقولون يستحب أن يباح حلق اللحية لأن اللحية سنة عادة وقد اعتاد الناس على حلقها الآن فينبغي ألا يشهر نفسه بين الناس باللحية وهذا كلام باطل لأن العرف الذي يخالف شرع الله لا بد من رده ومن الشرع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا صار الناس اليوم اعتادوا المرأة كاشفة رأسها هل يجعل العرف هذا الأمر مباحاً ؟ هذا كلام باطل ، ولو أن الناس تعارفوا بأكل الربا والناس تعارفوا في بلاد كثيرة على عقود الميسر والغرر الناس تعارفوا على عقود باطلة كثيرة جداً هل عند العلماء من السلف والخلف من يقول إذا تعارف الناس على أمر صار مشروعاً ؟ ، وبعض الجهلة من المتأخرين يقولون عمت به البلوى ولا يدرون ما عمت به البلوى وإنما الذي عم به البلوى الشر يأتي به أن الأمر عام على الناس جميعاً فدائماً تأتي الرخص بذلك وليس معناه أن أمراً تهاون الناس به حتى جعلوه من المحرمات أن ذلك يغير حكمه في الشرع لأنه عمت به البلوى كما أنهم سمعوا الكلمة فأصلقوها في غير موضعها فظنوا أن ذلك مما تقيده به أدلة الشريعة فجعلوا كل أو كثيراً من المحرمات مما عمت به البلوى فتأخذ حكماً آخر ، هذا ليس مما يقوله عالم بحال من الأحوال ،

لذلك نقول بل يجب تقديم الحديث الصحيح على العرف إذا خالف العرف الحديث الصحيح وأما العرف في كتاب الله وفي معناه الشرعي فهو المعروف الذي أمر به الشرع } وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر } فالمعروف ما عرف من الشرع حسنه وعرف في الشرع حسنه وتصويبه ووجوبه أو استحبابه ،

في تقديم الحديث على المصلحة المرسلة :

كثير من الناس يحتجون لمخالفة الشرع بأن المصلحة تقتضي ذلك كقول بعض الجهلة ممن يترك الصلاة لأجل المظاهرات إن مصلحة مناصرة المسلمين بالمظاهرات أعظم من مصلحة أداء صلاة الظهر في وقتها وهذا من أبطل الباطل الذي لا يقول به إلا من سفه نفسه والمصلحة المرسلة هي مصلحة شهد الشرع في اعتدال جنسها وإن لم يشهد بها نفسها فهي نوع من القياس البعيد ،

المصالح أنواع :

مصالح شهد الشرع بإهدارها

ومصالح شهد الشرع باعتبار نوعها وجنسها

ومصالح شهد الشرع باعتبار جنسها لا نوعها

فتفصيل هذه الأنواع :

أولاً: المصالح التي شهد الشرع بإهدارها

مثال ذلك أمر الله عز وجل بكفارة الظهار مرتبة . كفارة الظهار تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، حدث في بعض الأزمنة أن أفتى بعض المتأخرين المنتسبين إلى الفقه أحد الملوك كان قد ظاهر من امرأته أن عليه أن يصوم شهرين متتابعين معللاً ذلك أن الملك لديه رقاب كثيرة ومن السهل عليه أن يعتق رقبه فلن يكون في إعتاقه الرقبة زجر له بل سيتجرأ على تكرار الإثم وتكرار الإعتاق أما الصوم فإنه أبلغ في زجره ، يعني هذا المعنى قد يبدو معقولاً لكن يصادم للنص لذلك نقول شهد الشرع بإهداره ، نقول الصوم على قوله أنه أبلغ في زجره لأنه يشعر بالمشقة ويجعله يشعر بلذاته قد يظن البعض أن هذا الكلام يستحق القبول ، بل أنه باطل باتفاق العلماء يعني العلماء يضربون مثلاً على المصالح المهذرة يمثل هذا ، يقول أن الله شرع في كتابه هذه الكفارة وأمر بها مرتبة وهو يعلم عز وجل أن من عباده الغني والفقير ومع ذلك أمر الجميع بهذه الكفارة مرتبة كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها مرتبة أيضاً هذا يدلنا دلالة واضحة على عدم اعتبار هذه المصلحة لأنها مصلحة قد عارضتها مصلحة أعظم وهي مصلحة ذلك العبد الذي سوف يعتق من الرق ومصلحة المجتمع لأنه سيزيد عدد الأحرار فيه واحداً والأحرار أنفع من العبيد وأما زجر هذا الملك فقد حصل بنوع من العقاب ،

مثال هذه المصالح المهذرة قطع لسان الشاهد الكذاب شاهد الزور أو قطع ذكر الزاني مثلاً ، هذه من المصالح المهذرة باتفاق العلماء لأن إن كان فيها مصلحة الزجر من باب ففيها تفويت منافع عظيمة ومصالح أعظم من باب آخر وهي خلاف النصوص فمثل هذا لا يقول به عالم ،

هذه الأقوال . قطع لسان الشاهد الكذاب أو قطع ذكر الزاني أو فج الزانية . أو نحو ذلك من الأقوال الباطلة من العقوبة ما شرعها الله عز وجل ،

هذه كلها من المصالح التي حكم الشرع بإهدارها وإن توهم بعضهم أنها مصلحة لما فيها من الفساد العالية ،

المصالح التي أهدرها الشرع لابد أن تهدر كما يقول البعض مصالح الربا لابد لنا من أن نتعامل الربا لأجل المصالح الاقتصادية التي ستتضرر البلاد بها إذا لم نقيم بها ولم نتعامل به كما قال عز وجل { يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما } التجارة في الخمر مصلحة اقتصادية سياحة وفعل الفجور والفواحش وأندية القمار لو أغلقناها وألزمنا الناس بترك ذلك لما أتوا إلى بلادنا ولا أنفقوا الأموال ، كل هذه مصالح مهذرة باطلة بإجماع العلماء لا يحتاج بها إذا جاهل أو زنديق والعياذ بالله ،

فالمصالح التي أهدرها الشرع لابد أن تهدر والمصالح التي اعتبرها لابد أن تعتبر ومن هذا نقول مثلاً عقوبة خلاف ما شرع الله عز وجل بزعم ألا نترك المجرم بلا عقوبة هذا خلاف ما شرع الله سبحانه وتعالى ، يعني نقول أنتزكه أم نعاقيه بعقوبه غير شرعية ؟ نحن لا نأمر بخلاف الشرع ولا نصوبه بحال ولا نجيز لأحد أن يحكم بغير الشرع ،

فالمصالح التي أهدرها الشرع لابد أن تهدر والمصالح التي اعتبرها لابد أن تعتبر فإذا أهدر الشرع مصلحة ما فليس بمصلحة وإن توهم بعض الناس أنه مصلحة فالربا والخمر والميسر فيها منافع لكن الشرع أهدر هذه المنافع ،

أما المصالح التي شهد الشرع باعتبار نوعها وجنسها كالمصلحة التي نص الشرع عليها كعلة أو اعتبرها بطرق يعرف المجتهد اعتبار الشرع لها نوعاً وجنساً وهي العلة المرعية في القياس الصحيح ،

العلة قد تكون منصوباً عليها وقد تكون مستنبطة ، هذه العلة التي راعها الشرع وبينها هي أصل القياس الصحيح ، فمثلاً على سبيل المثال قياس النقود المعاصرة على الذهب والفضة في قياس الزكاة ومراعاة مصلحة الفقراء تعني بذلك أن العلة المنصوص عليها المقضية وليس العلة المنصوص عليها العلة المستنبطة النقدية وأن هذه النقود صارت نقداً وثنائاً لأشياء يتعامل الناس بها اليوم كما كانوا يتعاملون في الماضي بالذهب والفضة فيجيب الزكاة بهذه الأوراق مثل الزكاة الواجبة في الذهب والفضة هو القياس الصحيح بل هو من أجلى وأوضح أنواع القياس والذي يقول لا يجب زكاة في هذه الأوراق النقدية حتى تتحول إلى ذهب وفضة حتى يقبضها ولا يزال يجعل لها حكم السند الصك بدين ولعله أن يظل عمره كله لا يحولها إلى ذهب وفضة فهذا القول رغم أنه ليس منصوباً عليه قول باطل لأن علة النقدية علة واضحة وكذلك المصالح المعتبرة من إيجاب الزكاة في هذه الأموال التي لا يقوم الناس إلا بها اليوم مصلحة لا شك في اعتبارها جنساً ونوعاً كما ذكرنا عينها معتبر وجنسها معتبر فمن هنا كان تصحيح وجوب الزكاة في هذه الأوراق مما لا ينبغي أن يختلف فيه ومن يخالف في ذلك يكون خلافه غير سائغ

وكذلك في تحريم الربا في هذه الأموال وبين بعضها وبين الذهب والفضة لمنع مفسد الربا التي تتحقق فيها وهذا النوع لا يمكن أن يخالف النصوص بل هذا في الحقيقة من النصوص ومن الميزان الذي أنزله الله

النوع الثالث :

وهو الذي يسمى المصلحة المرسلة أو القياس المرسل ، المصالح التي شهد الشرع باعتبار جنسها وإن لم يثبت أصل في اعتبار نوعها فهذا متفق على اعتبارها إذا جمعت شروطاً ثلاثة :

وهي أن تكون المصلحة ضرورية كلية قطعية ،

واختلفوا فيما لم يكن بهذه الشروط ، إذا كانت مصلحة ضرورية كلية قطعية كمسألة الترس إذا هجم العدو على بلاد المسلمين وعلم المسلمون أنهم قد صدروا للمسلمين أسرى في مقدمة هجومهم وعلم المسلمون أنهم إذا لم يقاموا هذا العدو ويضربوا حتى ولو أدى إلى قتل الدروع البشرية بالاصطلاح المعاصر فسوف يدخل الكفار البلد ويقتلون ويأسرون من شاءوا من أهلها ويضيع الإسلام منها وهذا أمر عام وأمر ضروري بمعنى ليس لنا بدليل ونحن مضطرون إلى ذلك ، لو أمكننا أن نضربهم بما يخص الكافر لا يجوز لنا أن نضرب الترس ، لكن إذا كان ليس عندنا إلا ما يعم إتلافه ، صاروخ مثلاً وهذا الصاروخ سوف ينفجر في هؤلاء جميعاً فهذا أمر ضروري لأنه ليس عندنا ما يقوم مقامه ،

كلي : بمعنى أنه يشمل كل المسلمين أو طائفة كبيرة منهم ليس لأحد الناس

قطعي : بمعنى أننا نجزم بأنهم لو استمروا بالدخول وامتنعوا نحن عن المقاومة لدخلوا البلد وليس عندنا وسيلة أخرى للمقاومة ،

فمثل هذا في هذه الحالة يكون الأمر متفق عليه عند الفقهاء ،

نقول طرق الاستدلال أكثر وإنما ذكرنا ذلك من باب مراعاة المصالح عامة ، يقولون الشرع قد أتى بحفظ الدين وحفظ النفوس وحفظ الأموال والأعراض العقول وهذا مما لا شك فيه وأجزاء الأدلة أو آحاد الدالة كثيرة جداً على مراعاة حفظ الدين والنفوس والأموال والأعراض والعقول ، نقول إذا دخل العدو البلد ضاعت هذه المصالح المعتبرة وقتل من قتل وأسر من أسر وانتهك أعراض من انتهك وأخذ أعراض المسلمين فهذا بلا شك لا بد وأن يراعى ، وأكثر العلماء لا يحتاجون أن يذكرنا أصلاً بقياس عليه في هذا ، نقول أن العالم بالنصوص لا تعجزه غالباً وربما يحتج بالقياس المباشر أقوى من هذه المصلحة لكن من العلماء من يحتج بهذه الطريقة ومنهم من يحتج على نفس المسألة بطريقة أخرى ، شيخ الإسلام ابن تيمية يحتج على جواز قتل الترس أو جواز رمي من كان في صف العدو من أسرى المسلمين بقصة الغلام هذا هو القياس الذي فيه عله ، إذن عندنا أصل وفرع وعلة وقياس ، جاز قتل هذا الغلام في قصة أصحاب الأخدود إستحاز قتل نفسه بالدلالة على ملك على كيفية قتله لمصلحة إيمان الناس فإذا كان قتل النفس أعظم من قتل الغير بأدلة الأحاديث الواردة فيمن قتل نفسه فهو في نار جهنم خالداً فيها أبداً ومع ذلك جاز أن يدل على قتل نفسه لمصلحة إيمان الناس فإذا كان حفظ دين المسلمين لا يتم إلا بقتل الترس جاز ذلك ، إذن هنا شيخ الإسلام احتج بالقياس المعتاد ، أصل وهو قصة الغلام وفرع جنود التتر المهاجمين ومعهم أناس من المسلمين والحكم جواز رميهم بما يعم إتلافه والعلة المنصوص عليها حفظ دين المسلمين وأعراضهم وأموالهم فهؤلاء الناس سيؤمنون لهذه المصلحة وهي حفظ إيمان المسلمين ولو دخل التتر عليهم يفسدون دينهم فبالأولى أن يكون أولى من رجاء إيمان قول الكفار ، فهذا القياس الصحيح ، شيخ الإسلام احتج بالقياس وأتى بأصل وفرع ، هنا يأتي بدليل يدل أن الشرع أتى باعتبار الجنس والنوع ، بعض العلماء قد يعجزه ذلك ولا يقدر أن يصل ولم يختَر ببالة ولم يعلم الاستدلال بهذه الطريقة لكنه من أين استنبط الحكم ؟ من المصالح المرسلة العامة ،

لكن إذا كانت كلية ضرورية قطعية فالكمل يتفق على إثبات ذلك ،

مسألة من يقوم بالعمليات الاستشهادية التي تقام هذا قياس صحيح والصحيح فيه أنه قياس صحيح لكن هذا ليس قياسه في قتل الترس بل في قتل نفسه فعلاً مباشرة واستجاز قتل نفسه يدل على قتل نفسه وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا ،

نقول العلماء الذين احتجوا على جواز قتل الترس كما ذكرنا إنما هو كان عند أكثرهم من المصلحة المرسله لكن بلا شك أن القياس أقوى من المصلحة فمن قدر على الاستدلال بالقياس فهو أقوى وأعلم ممن استدل بالمصلحة المرسله ،

فالمصالح المرسله المختلف فيها كيف يمكن أن تقدم على النصوص ؟

يستحيل أن تقدم على النصوص ، إذا ثبت أنها مصلحة مرسله فلا يمكن أن تقدم على ما هو أقوى منها من القياس فضلاً عما هو أقوى منها من النص الذي من الكتاب والسنة والله أعلى وأعلم .

فلو ضربنا مثلاً على مسألة المصالح المرسله في زماننا يصعب جداً أن نجد دليلاً واضحاً على لزوم احترام قوانين المرور أو قواعد المرور ،

عندما نقول مثلاً عمن يقطع الإشارة أين في الكتاب أو السنة . لو واحد بحث ممن يجد لكي لا أعلم . أين نجد أنه يسير في وقت ويمتنع في وقت أو أنه يسير إذا كانت الإشارة خضراء ويمتنع إذا كانت الإشارة حمراء ؟

نقول هذا الكلام ليس عندنا أصل يقاس عليه مثلاً أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بعض الناس أن يقفوا في وقت والآخرين يسبوا في وقت ، ليس عندنا نص نقيس عليه في ذلك ، لكن مراعاة المصلحة المرسله وهو أن الشرع أتى بحفظ النفوس وحفظ الأموال وأنه لو أن الناس لم تلتزم بهذه القواعد تعطلت مصالحهم ، أنظر إلى منطقة مزدحمة ولا يوجد فيها رجل مرور تجد إصطدام وربما قتل البعض وجرح البعض وضاعت الأموال فيترتب على ذلك خلاف مقاصد الشريعة وحفظ النفوس والأموال ولذلك قلنا بلزوم الإتيان بمثل هذا ، واحد مثلاً يسير في شارع اتجاه واحد فينظر إلى الجهة الأخرى فلم يجد شيء فيمر ، فلو أن واحد أتى بالاتجاه المخالف وهذا الرجل لم ينظر إلى الاتجاه والآخر منطلق بسرعة فصدمه فمات ، فلذلك قلنا هذا الرجل مخالف للشرع ليس فقط أنه مخالف لقواعد المرور ،

هذه الحالة إذا غلب على الظن عدم وجود هذه المصلحة لا يكون حكم شرعي بل يكون مرتبط بالمصلحة دائماً لذلك قلنا على سبيل المثال لو أننا في منتصف الليل والطريق صحراوي ولا يوجد شيء تماماً والإشارة حمراء وهو يوقن أنه لا ضرر ونظر يمين ويسار فسار خلاف ذلك فنقول هذا الحكم مداره على وجود المصلحة ونقول أنه في هذه الحالة لم يأثم ، ولكن عموماً في الأصل أنه يلزمه أن يعتبر بهذه القواعد .

نقول مثال آخر في مسألة تسوية الصفوف :

نضرب لها مثال بالمصالح المرسله وبالقياس ،

كيف يستدل علي الخط الذي يخط في بعض المساجد بالقياس ؟

نقول قد تكون القبلة مائلة وقد لا يعرف الغرب اتجاه القبلة فمثل هذا الأمر من أجله يشرع وضع شريط لاصق يوضح اتجاه الصفوف وتسوى عليه الصفوف ، هذا قول كثير من العلماء ، والبعض يجعله من البدعة ، فنقول أننا عندنا استدلال نقيس عليه وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسوي الصف بقده . العصا . فنقول هذا هو القياس الصحيح والخط مثل العصا لكن لو لم نقدر على إحضار هذا الدليل نقول العبرة بأن المقصود تسوية الصفوف وهذا مقصود شرعي ديني من حفظ الدين أن يسوي المسلمون صفوفهم وعلمنا أن هذه المصلحة تتم على الوجه الأكمل بوجود هذا الخط أو هذا الشريط اللاصق وخصوصاً مع اختلاف القبلة في المسجد ميلاً إلى اليمين أو الشمال فمثل هذا لا يعد بدعة ولكن يعد مصلحة مرسله خصوصاً أن الناس لا يتعبدوا بهذا على وجه العبادة المقصودة حتى يدخل في حيز البدعة بل فعلوها لمصلحة مقصودة من مصالح الصلاة وهو تسوية الصف

ومثل هذا أيضاً وجود المحاريب لكن هذه لا نستطيع أن نأتي لها بقياس نقيس عليها فيكفيها فيها المصلحة المرسله

نقول مثال المأذنة ، من أن يعلم الغريب مكان المسجد فيأتي للصلاة ؟ خصوصاً مثلاً في طرق عليها مسافرون فكون المسافر يعرف المكان لكي يصلي جماعة وينزل حيث يوجد المسجد فيعمره بالصلاة مصالح مقصودة بلا شك ، المنارة لها مصلحة تعريف الناس بالمكان ولها مصلحة رفع الصوت بالأذان وهذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في الحقيقة لوجود بديل آخر ، قلنا أن بلال يصعد وينزل هذا يكون قياس ولو قلنا لكي يعرف الناس مكان المسجد تكون مصلحة مرسل ،

القياس للصعود والنزول ويتحقق بمثل ذلك ولم توجد الحاجة رغم وجود نص وهو حديث النبي صلى الله عليه وسلم ( فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ) وأن سيدنا عيسى سينزل عند المنارة ولو كانت بدعة ضلالة لوجب هدمها أما نزول عيسى عليها فدليل على صحة وجودها ولو كانت منكراً لأزاله عيسى ضمن ما أنكره ، وسيدنا عيسى عليه السلام انشغل مباشرة بقتل الدجال وقتل اليهود الذين معه وإقامة شرع الله في الأرض ولم ينشغل من ضمن ذلك بكسر المنارة البيضاء التي نزل عندها وهل أول ما ينزل ينزل على منكر ؟ هذا لا يصح ، فهذا بنص واستدلال أن بلال يصعد وينزل بقياس ، والاستدلال على المصلحة وهو تعريف الغريب مكان المسجد فيستدل فيأتي إليه للصلاة هذا قياس مرسل ، وبالتالي نقول أن المخارب التي كرهها بعض العلماء هي المخارب التي تمنع رؤية المؤمنين للإمام وهي التي تكون كأنها حجرة منفصلة والإمام يصلي ولا أحد يراه من المؤمنين أو أكثر المؤمنين لا يرونه فهذا مكروه وأما مكان يعرف به اتجاه القبلة إذا دخل أحد المسجد ولم يدري أين القبلة فعرفه بهذا الذي يسمى المخراب فمثل هذا مصلحة مرسل ليس من البدع ولا من المنكرات ،

تقدم الحديث على أقوال العلماء وإثمة المذاهب

كل هذا من تعظيم السنة والتزام العلماء بتقديمها على كل ما خالفها ، الحديث إذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يقدم على أقوال العلماء وأئمة المذاهب وكذلك على عمل بعض الأمة كإمام معين ، إذا كنا نقدمه على أئمة المذاهب فمن أولى تقديمه على إمام أهل البلد ، المقصود بذلك قول المالكية رحمهم الله في أن الحديث إذا خالف عمل أهل المدينة يقدم عمل أهل المدينة ،

والصحيح أن عمل أهل المدينة نوعان :

نوع أصلاً مرده إلى النقل المستفيض عن سببهم مثل عدم أخذ الزكاة من الخضروات ومثل ما كان سبيل النقل وإن لم يكن بإسناد مثل ما كان مثلاً بقدر الصاع وقد المد وهذا ينقله جيل عن جيل فهذا لا يحتاج فيه إلى الإسناد ولا يقال إذا لم يثبت إسناد بهذا لم نعتد به إنما هذا نقل بطريقة أخرى ولذلك نقول أن النقل المستفيض يكفي في مثل هذا العمل عن الإسناد والشهرة في مثل هذه المواضع تغني عن الإسناد ،

أما أن يكون أمر اجتهادي مثل مثلاً مسألة ترك صوم الست من شوال ، فأهل المدينة كثير منهم ممن علمهم مالك لا يرون صوم الست من شوال وصح الحديث بصوم الست من شوال ونقل الشافعي بعد ذلك وغيره ممن أتى بأدلة على أن هناك من أهل المدينة من صام الست لكن نفترض أنه لم يصح ولم ينقل في ذلك ، هذا ليس سبيله النقل المستفيض هذا أمر يمكن أن يخفى على بعض علماء أهل المدينة ولذلك لا يكون الحديث شاذاً ولا مردوداً بخلافته علماء المدينة ولذلك يجب تقديم الحديث الصحيح على عمل أهل المدينة الذي هو من هذا النوع وأما ما كان من جهة النقل فيمكن أن يكون الحديث بذلك شاذاً مع أنه لا يوجد شيء من ذلك ، أعني يكون هناك نقل عن عمل أهل المدينة مثلاً في أنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدون يأخذون في الخضروات زكاة ليس عندنا في الحديث ما يدل على أن في الخضروات زكاة وأقصى ما يوجد هو فيما سقت السماء العشر فهذا لا يقال فيه عام يدخل فيه كل ما أنبتته الأرض ، والعموم فيه من أضعف أنواع العموم لأنه لم يوثق من أجل أن يبين حكم العموم وإنما أراد أن يبين الفرق بين ما سقته السماء وبين ما سقي بالآلة ، فيما سقت السماء العشر وفيما سقي بالسواني نصف العشر فهذا لا يصلح أن يكون عاماً يراد به عمل أهل المدينة ويقال هذا حديث يخالف عمل أهل المدينة فضلاً عن الاحتجاج بالآية { مما أخرجنا لكم من الأرض } وإن كان عاماً لكن سبق تخصيصه فمثل هذا يصح تخصيصه بعمل أهل المدينة ، هذا العموم الضعيف يصح تخصيصه بعمل أهل المدينة على أنه من سبيل النقل كما ذكرنا وليس من قبيل الاجتهاد ،

فأما ما كان من قبيل الاجتهاد لأنه لم يبلغه الحديث كما ذكرنا مثل مثلاً القول بخيار المجلس

الإمام مالك رحمه الله مع أنه روى الحديث وعن نافع ابن عمر ترك العمل به وقد شدد العلماء جداً على الإمام مالك في هذا الباب رغم أنه لأجل أنه روى الحديث ولم يعمل به فكان هذا لأنه رأى عامة أهل المدينة لا يأخذون به ولكن هذا ليس له اعتبار لذلك نقول مثل هذا الذي مرده إلى اجتهاد مخالفاً للنقل لا يمكن أن يقدم فيه العمل عمل أهل بلد على كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

لذلك يقول الشافعي لا أدري أهم مالك نفسه أم نافع ويعظم أن أقول غير ذلك ، يعني هو يقول أن مالك يتهم ابن عمر فيقول أنهم أنفسهم أنه لم يحفظ ولم يتذكر أم أنهم نافع ؟ وهذا مستحيل أن يتهم نافع لكن هي القضية كانت على مسألة مخالفة العمل لذلك نقول عمل بعض الأمة ،

ولماذا لم نقل عمل الأمة كلها ؟



لأننا لا نفترض حصول ذلك ونقول هذا مستحيل أن تجمع الأمة على أمر خلاف ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لو صح الإجماع في باب معين لا يمكن أن يكون خلاف ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولو صح لكان الحديث إما ضعيفاً أو منسوخاً ، ولكن مسائل يظن فيها الإجماع أحياناً وهو عمل بعض الأمة مثل مسألة طلاق الثلاث ، ومثل مسألة قتل شارب الخمر في المرة الرابعة وهذا قد نقل فيه الإجماع الذين قصدوا بالإجماع يقصدون عامة أهل العلم ويعتبرون أن خلاف الواحد والإثنين بل والثلاثة لا يعد فرقاً للإجماع بل يعد شذوذاً لا يقبل ، والمخالفة كما ذكرنا في مثل هذا الموطن ينبغي أن يتوقف الإنسان في قبولها خصوصاً مع قلة من يخالف وكما ذكرنا الحديث قد يكون فيه بعض الشذوذ وقد يكون فيه كما ذكرنا احتمال النسخ والله أعلى وأعلم ،

لكننا لا نسلم أصلاً تعارض بين الكتاب والكتاب ولا بين السنة والكتاب ولا بين السنة والصحيحة الثابتة ولا بين الكتاب و السنة والإجماع ، لأن الإجماع الصحيح هو من الأدلة القاطعة التي لا تحتمل اختلافاً ولا مع القياس الصحيح ولكن الخلاف صحته وبطلانه أن أحد معروف وجوب بطلان القياس مخالفته للنص للحديث ومخالفته للإجماع إن ثبت لذلك نقول الإجماع إن ثبت يستحيل أن يخالف حديثاً صحيحاً ، لذلك قيدنا فقلنا عمل بعض الأمة ، فالإمام مالك يرى تقلد عمل أهل المدينة على حديث الأحاد وجمهور أهل العلم يرون تقلد حديث الأحاد على عمل أهل المدينة ، وإنما رأى الإمام مالك عمل أهل المدينة من جنس المتواتر لذلك قلنا في الحقيقة يوجد بعض الأمور تكون من جنس التواتر ، هناك أمور قد تواترت بالفعل مثل الصاع الذي كان يكيل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة خالف المالكية في قدر الصاع فلما أتى المدينة أمر الإمام مالك أصحابه أن يأتوا له بالصاع وقال كل منهم هذا ورثته عن أبي عن جدي وهو عدد كبير دون أن ذكروا أن كل واحد منهم يكون عدولاً وكل منهم يقول له أخذته عن أبي عند جدي فسلم له أبو يوسف وترك ما يقول أبو حنيفة وقال لو رأى صاحبي ما رأيته لقال مثل ما قلت في قدر الصاع لأن هذا عمل أهل المدينة الذي سبيله النقل المستفيض فلا يضر عدم نقل ثمنه ،

ومن عمل أهل المدينة أيضاً الذي يجب قبوله عدم أخذ الزكاة من الخضروات يأخذون ذلك من عمل التابعين عن الصحابة حتى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليس كل عمل أهل المدينة من هذا الجنس يلزم قبوله ، الذين من هذا النوع هو الذي يلزم قبوله والذي ليس من هذا النوع لا يلزم قبوله فالإمام مالك رأى علماء بلده لا يأخذون بفرق الأبدان في البيع وهو الحكم المأخوذ من حديث ( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ) فكانوا يرون أن انعقاد العقد فقط ملزم ولا يجوز الرجوع في البيع وإن كان في مجلس التعاقد وإن كان جمهور الشافعي وجمهور الفقهاء ومنهم بعض علماء المدينة قالوا بخيار المجلس وأن التفرق هو تفرق الأبدان فلزم القول بمذهب المذهب وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ) فعمل بعض الأمة لا يكون حجة على الحديث وأهل السنة لا يختلفون في ذلك كأصل وإنما يقع خلافهم في تطبيقه كثبوت الحديث وضعفه ، يعني ماذا يقول الإمام مالك في هذه الأحاديث ؟ إما أن يأولها وإما أن يضعفها لمخالفة أهل المدينة ، يعني حديث صوم الست من شوال الإمام مالك لا يثبت والمالكية يضعفون الحديث وهو أصلاً في صحيح مسلم فيكون خطأ منهم وإن ثبت عند أحد صحته لا يسعه أن يخالف ،

نقول إنما يقع خلافهم في تطبيق هذا كثبوت الحديث وضعفه وعمومه وخصوصه وإطلاقه وتقييده لكن لا يقدم أهل العلم قول أحد كائناً من كان على قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم قال إن صح الحديث فهو مذهبي أو نحو هذه العبارة ،

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .**

طالب : تكلف الزينة في المساجد يا شيخ ؟

الشيخ : تكلف الزينة في المساجد عموماً منهي عنه لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تزخرفوها كما زخرفت اليهود والنصارى )

#### ٩٤ - السنة وحي من عند الله تعالى

قال الله تعالى { أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً } فالله عز وجل بين أنه أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة والكتاب متضمن للحكمة بلا شك ولكن من الحكمة ما هو تفصيل الإجمال الذي هو من الكتاب السنة فيها تفصيل لمجمل كلي وهو قوله تعالى { وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } والسنة في الحقيقة لا تخرج عن كونها بياناً للكتاب ، يعني في مجموع السنة لأن من الكتاب { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول } إذن ما هي طاعة الرسول ؟ طاعته هي كلامه وأفعاله وإتباعه فيما أتى به صلى الله عليه وسلم ، وكذلك { وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } سنته ، إذن السنة في الحقيقة لا تخرج على أن تكون بياناً للكتاب إذن هي من الوحي وهي من الحكمة ومن الذكر ،

وقولنا أن السنة تستقل بالتشريع فهذا لا يعني أنها خراجة عن الكتاب بل مبنية لإجمال طاعة الرسول صل الله عليه وسلم التي أمر الله بها في الكتاب ، إذن السنة منزلة من عند الله كما قال الله تعالى { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } ولذلك السنة طالما أنها وحي ومنزلة وهي قسيمة الكتاب يعني قسم مقابل له وكلامها منزل وكلامها ذكر كما

قال تعالى { ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } القرآن هو الذي أنزل إلى الناس فيبين بالقرآن ويبين بالسنة ، إذن الذكر يشمل القرآن ويشمل السنة ، فإذا نزلنا الذكر وإننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون يدل على أن السنة محفظة ، وهذا الحفظ وإن لم يكن كحفظ القرآن حرفاً حرفاً إلا أنه حفظ لمعاني كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من ألفاظه أو أكثر ألفاظه من معانيه المعلومة ، لماذا نقول ذلك ؟ نقول ذلك لأن جمهور العلماء يرون جواز رواية الحديث بالمعنى ، كيف تم حفظ السنة ؟

بطريقة علم الإسناد ، علم الحديث ، كما قال العلماء الإسناد من الدين ،

قيل لعبد الله ابن المبارك " هذه الأحاديث الموضوعة " قال يعيش لها الجهايزة { إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون } كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي عنه أنه ذكر أن الزنادقة وضعوا أحاديث موضوعة كثيرة فقال يعيش لها الجهايزة أي العلماء الأفاضل الكبار يعيشون لبيانها وذلك لأن الله حفظ السنة وذلك لا يحصل إلا ببيان علم الإسناد الذي هو من دين الله عز وجل ،

وقال الله عز وجل { واذكروا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة } إذن ما يذكر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم هو الكتاب والحكمة التي هي السنة { إن الله كان لطيفاً خبيراً } ولا يذكر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا كلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم فكلاهما مأمور به أن يذكر ، قال عز وجل { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتفكرون } هذين الآيتين { فاذكروا } إذن الذكر مأمور به والحكمة مأمور بها أن تذكر و { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم } إذن السنة تبين المنزل فلماذا قلنا أن الذكر يشمل الكتاب والسنة فالسنة وحي من عند الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ) هو صلى الله عليه وسلم أوتي القرآن ومثله ، فما هو مثله ؟ السنة ، قال ( ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ) يعني في الحكم ، كلامها متساوي في التحريم ، إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ألا لا يحل لكم في هذا الرجل الشيعان المتكئ على أريكته لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، لا يعني ذلك أن كل ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يكون صحيحاً بل تعرض الأحاديث على أدق طريقة عرفتها البشرية في نسبة الأقوال إلى قائمها وهو علم مصطلح الحديث أو علم الإسناد والبحث في القواعد التي وضعها العلماء لهذا العلم الشريف ،

السنة مع الكتاب على ثلاثة أحوال :

أن تأتي بما يوافق الكتاب تماماً كالأمر بإقامة الصلاة الموجود في القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ( بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة ) دون تبيين في هذا النص فقط كيف تصلى بل أتى بما أتى به الكتاب

النوع الثاني أن تأتي السنة بتخصيص ما في القرآن أو تخصيصاً لعام أو تقييداً لمطلق ، قال تعالى { وأقيموا الصلاة } نحن لا نجد عدد الصلوات ولا لكيفية نصاً في القرآن والحج كذلك قال الله { والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً } ولا يوجد في القرآن دليل على أن الحج في شهر ذي الحجة وأنه لابد أن يقف بعرفة يوم التاسع وأن يوم النحر فيه من الأعمال كذا وكذا والأعمال المعروفة ، ليس عندنا في الكتاب ذلك ، وإنما فيه ذكر بعض الأعمال دون أن يذكر توقيتها ولا كيفية ، مثل الطواف بالبيت { وليطوفوا بالبيت العتيق } متى تطوف وكم شوطاً يطوف من أي اتجاه يطوف من أين يبدأ في الطواف ذلك مجمع في القرآن لابد من بيانه ، قال صلى الله عليه وسلم في بيانه ( لتأخذوا عني مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتني هذه ) فجاءت السنة ببيان أركان الحج ووجباته وأركانه وسننه وبدائته ونهايته ،

ومن تقييد المطلق قوله تعالى { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما } بينت السنة أن اليد اليمنى هي التي تقطع وهذا لفظ مطلق لم يبين أي اليدين ولم يبين من أين تقطع اليد من الرسغ أو المرفق أو الإبط كلاهما محتمل ؟ بينت السنة أن اليمنى هي التي تقطع من الرسغ وخصصت السنة أن ذلك فيما بلغ النصاب ، نحن لماذا قلنا تقييد المطلق الأول ؟

لأن الظاهر أن العموم يقتضي أن كل سارق يفعل به ذلك لكن أتت السنة بتخصيص نوع من السارق فقط هو الذي يقطع وهو أن تقطع اليد في ربع دينار والحديث ذكر ربع الدينار ، لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعداً فهنا علمنا أن سارق ما دون الربع دينار لا يقطع هذا تخصيص لعموم القرآن وليس مخالفاً وإنما يجمع بالعام والخاص بأن يحمل العام على الخاص ويحمل المطلق على المقيد ،

طالب : لو أن رجلاً يسرق بيده الشمال وهو أشول ؟

الشيخ : تقطع اليد اليمنى بلا خلاف ، يعني رجل أشول ويستعمل الشمال المقدمة على اليمنى تقطع اليد اليمنى ،

النوع الثالث من حكم السنة مع الكتاب :

أن تستقل السنة بالتشريع كتحريم كل ذي ناب من السباع وتحريم الحمار الأهلي وتحريم الذهب على الرجال ونحو ذلك وهي واجبة الإلتزام في هذا النوع باتفاق أهل السنة لأن السنة وحي من عند الله فلا يكون فيها اختلاف ، فيستحيل أن يتعارض القرآن مع السنة الصحيحة كما أن القرآن لا يمكن أن يتعارض مع بعضه مع بعض قال عز وجل { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً } وكذلك السنة الصحيحة مع السنة الصحيحة والسنة الصحيحة مع القرآن ، إذن يستحيل أن يتعارض بوجه ولا يمكن الجمع لأن المتعارض ظاهر لكن يمكن الجمع بينه وبين بعضه كما ذكرنا بأن هذا عام وهذا خاص وهذا مطلق وهذا مقيد ، هذا ليس بينه تعارض حتى ولو كان الناسخ والمنسوخ فهذا تعارض رجح فيه بالمرجح ، بماذا ؟ بأن هذه الآية منسوخة بتلك الآية الأخرى أو هذا الحديث منسوخ بالآخر ، فهذا ترجيح للناسخ على المنسوخ ، إذن لا يمكن أن يتعارض بطريقة لا يمكن أن يجمع ولا يرجح بينها ، والجمع مرجح على الترجيح ، إذن لا القرآن يتعارض مع القرآن ولا السنة تتعارض مع السنة ولا القرآن يتعارض مع السنة التي لا يمكن معه الجمع أو الترجيح ، النسخ من مسالك ، والجمع لأنه يعمل بالنصين معاً مقدم على الترجيح عند عامة أهل العلم .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .**

## ٩٥ - الإجماع

الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع ومعرفة الأحكام عند أهل السنة والجماعة وهو مجمع على حجته ،

الإجماع أيضاً حجة قطعية ، والمقصود ما ثبت فيه الإجماع ، كما أن السنة حجة فالإجماع حجة ، الإجماع المقصود به أنه قطعي الإجماع القطعي الذي لا يختلف فيه أحد

فإن الإجماع نوعان : قطعي وظني

والقطعي نوعان : معلوم من الدين بالضرورة يكفر منكره ، ومعلوم عند أهل العلم لا يكفر منكره إلا بعد قيام الحجة ،

فأما الظني هو الذي ينقله آحاد العلماء ولم يعرف له مخالف ، ينقله عالم أو أكثر من المشهورين بمعرفة مذاهب علماء الأمصار ولا يوجد من يخالفه فهذا هو الإجماع الظني ، وإن كان في جملته عدم العلم بالمخلف في حقيقة الأمر لأنه لا يحيط أحد بكل أهل الأرض لكن يكفي في إثباته هذه الشهرة أعني أن تشتهر فتاوى علماء الأمصار المختلفة وهم في العصر الأول قرييون من الحضر ومعروف من كان فتي في كل بلد من البلاد ودونت مذاهبهم ودونت بالأسانيد إليهم ومن أهل العلم من تتبع هذه الأقوال والأسانيد ثم بعد إطلاعه على عامتها نقل الإجماع وإذا لم يعرف له مخالف فهذا إجماع ثابت لأن العالم الذي نقله موثوق به ومشهور بمعرفته بمذاهب علماء الأمصار وهو ناقل لهذا الاتفاق فالإجماع الذي علم أنه حجة فلا يجوز مخالفة ذلك إلا بدليل أو ناقل يأتي بمن قال هذا القول مخالفاً لهذا الاتفاق ،

نقول هذا الإجماع الظني مثل الحديث الصحيح المختلف في تصحيحه صححه عالم وسكت آخرون ، يكفينا ذلك ، يكفينا تصحيحه ، إذا جاء عالم فضعف هذا الحديث لسبب نقول كذلك في الإجماع إذا كنت تريد تضعيف هذا الإجماع فأنت بمن يخالف وانتقل لنا من الذي قال من السلف بقولك وليس باستنباطك أو اجتهادك ، نقول الإجماع دال على وجود نص من الكتاب أو السنة لأن الأمة لا تستقل بالتشريع بل النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقل بالتشريع من قبل نفسه ، قال الله تعالى { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } والنبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيه الوحي من الله عز وجل إما ابتداءً وإما تقريراً على اجتهاده واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يغير الوحي هو وحي أيضاً لأنه يعد إقراراً من الله له سكت عنه الوحي وأقره إذن هو وحي إذن قوله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } عام فيما كان أيضاً باجتهاده صلى الله عليه وسلم الذي لم يغير ولم يأتيه الوحي ليغير اجتهاده ذلك ، لذلك نقول إنه لا يمكن أن يوجد تعارض بين الكتاب والسنة والإجماع دون أن يكون هناك طريق للجمع بينها ، هذه كلها أدلة صحيحة ثابتة ، يعني الإجماع هذا لا يمكن أن يكون بغير حجة ، ممكن تكون حجة قياسية من القياس الصحيح أجمعوا على ذلك ،

على سبيل المثال : يقول ابن حزم رحمه الله لا يوجد نص صحيح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في المضاربة ولكنه إجماع صحيح ونقطع بأنه كان موجوداً في زمنه صلى الله عليه وسلم . أن القراض كان موجوداً في زمنه صلى الله عليه وسلم وأقره . وهذا القطع كلام صحيح ، لا يوجد عالم ينقل نصاً صحيحاً في المضاربة ولا يوجد عالم ينكره وهذا إجماع من كل أهل العلم ، فهل يأتي من يقول أنه غير صحيح لأنه ليس عليه نصاً شرعياً ؟ لا بل هذا إجماع صحيح وكل العلماء ينقلون ذلك وفي كل كتب السنة وفي كل كتب الفقه وفي كل كتب الفروع وفتاوى أهل العلم لا يزال العلماء بالمضاربة ، نقول إما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقره فعلاً إما كان قياساً على الشركة التي أقرها صلى الله عليه وسلم وثبت فيها أحاديث وثبت فيها أدلة قرآنية ، فالقراض نوع من الشركة في الحقيقة ولذلك هذا القياس المتفق على صحته هو من الأدلة المقطوع بها في هذه الحالة لوجود الإجماع ،

إذن الإجماع كما ذكرنا لا يكون أن الأمة سوف تتفق فيما بينها على تشريع من عند نفسها بل الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له ذلك وهذا موقف يختلف تماماً عن موقف اليهود والنصارى من علمائهم ، المسلمون ليس عندهم حق التشريع للعلماء بحال من الأحوال ولا تبديل الشرع ولا تغيير شيء منه لا تبديل ولا تغيير ولا إنشاء شرع جديد بحال من الأحوال لا الخلفاء الراشدون ولا من بعدهم بل سنتهم هي تطبيق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتهادهم في القياس سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إما القياس المباشر أو القياس المرسل التي هي المصلحة المرسل كما ذكرنا مصلحة شهد الشرع بعينها أو شهد الشرع بجنسها ، لعينها يعني القياس ولجنسها يعني القياس المرسل التي هي المصلحة المرسل ،

على أي الأحوال أن المسلمون لا يعتقدون في علمائهم ابتداءً من الصحابة رضي الله عنهم أن له أن يغيروا ولذلك أجمع العلماء على أن الإجماع لا ينسخ أية ، والكفرة يقولون لأهل الإسلام اجتمعوا وغيروا شيء من هذه الأحكام ، كما يقول بعض الناس في تغير الخطاب الديني لابد أن يجتمع العلماء ويروا حل في هذه القضايا ، والقضايا عندهم أنهم يريدون تغيير شيء من الشرع ويظنون أن العلماء لهم حق التغير أو يغيروا بعض الأحكام وهذا كلام باطل وضلال مبين ويصل إلى الكفر والعياد بالله ،

نقول إذا كان هناك ظهور يبدو تعارض بين الأدلة بين الكتاب والكتاب أو الكتاب والسنة أو السنة والكتاب أو السنة والإجماع أو الإجماع مع الكتاب والسنة فلا بد من وجه للجمع وكما ذكرنا إذا أجمعت الأمة على أمر دل على وجود نص ،

فبعض العلماء يقول وهل الأمة تضيع هذا النص ؟

الأمة ما ضيعته ولكن نقلته بطريق مختلف وليست ملزمة بنقله عن طريق الإسناد المتصل في كل مرة بل تناقلت القرآن بطريق أعظم من الإسناد وهو التواتر بعد الكتابة في المصحف ، والاعتماد ليس على الإسناد ، الإسناد شرف لكن ليس الاعتماد على الإسناد أعني القرآن هل يعتمد فيه على الإسناد أم على الكتابة في المصحف ،

أنت الآن لو لم يكن معك إسناد في القرآن والإسناد في الحقيقة أصبح مسلسل بخمسة وعشرين مجهول ، مثلاً لما تحفظ على يد شيخك أن تعرفه أما شيخه وشيخه وشيخه وإلى ثلاثين واحد لم يعرف إلا الخمسة الأوائل منهم لكن الخمسة وعشرون الباقون مجهولون لا يعرفهم أحد ولا ذكروا في تصانيف أهل العلم بالرجال ومع ذلك إلا على المصحف بالتواتر لأن المصحف متواتر والتواتر أعلى من الإسناد ولذلك نقول المعلوم من الدين بالضرورة أن الظاهر أربع ركعات فما الدليل على ذلك من جهة الإسناد ؟ والأمة استغنت عن الإسناد بالنقل المتواتر

طالب : نحن نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ،

الشيخ : نعم من أين عرفت وأين الإسناد أتقول أن البخاري قال كذا وكذا ؟ أبداً أنت لا تحتاج إلى قول البخاري أنت عندك أقوى من قول البخاري ومسلم وهذه الكتب كلها وهو أن الأمة في كل المشارق والمغارب تنقل جيلاً عن جيل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر أربع ركعات وأن { قل هو الله أحد من القرآن } ولا تحتاج إلى سند ، فالإسناد هذا في أخبار الآحاد .

فنقول الإجماع طريق من طرق نقل العلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فلو أنهم مثلاً على سبيل المثال الحديث الضعيف السند نحى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الكالئ بالكالئ أو قال كل قرض جر نفع فهو ربا ، في إجماع على صحة هذا المعنى على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال شيئاً في هذه الأقوال رغم أننا ليس عندنا إسناد صحيح نحى عن بيع الكالئ بالكالئ ولا عن أن كل قرض جر نفع فهو ربا فهم ضعفاء الإسناد لكن الإجماع أغنى عن الإسناد فهذه أحد طرق نقل النص ،

طالب : حديث { كل قرض جر نفع فهو ربا } ضعيف ؟

الشيخ : نعم لكن عليه الإجماع وهو صحيح وهو فعلاً معناه أن كل قرض جر نفع فهو ربا كلام قال معناه النبي صلى الله عليه وسلم أما أنه قال لفظه لا نعلم ذلك ، وهل هذه الألفاظ تلفظ بها ؟ لكن نجزم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا المعنى كما نقول القراض وهذا إجماع صحيح نجزم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم شرع لأئمة القراض

فنقول استحليل التعارض بين الأدلة الثابتة لأنها من الوحي لأن الإجماع مرده إلى الكتاب والسنة وليس أن الأمة تجمع من عند نفسها ولا أن تحتج تشريعات ولا أن تنسخ وتبدل تشريعات إذن إذا كان الإجماع مرده إلى معنى في الكتاب والسنة والسنة مردها إلى الكتاب ووحي من الله عز وجل إذن كل ذلك من عند الله قال الله تعالى { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً } طالما أنه من عند الله لا يمكن أن يكون فيه اختلاف ، إذن يمكن الجمع بينها أو يكون بعضها ناسخاً وبعضها منسوخاً وهذا هو الواجب في هذا الباب ، والكتاب والسنة بمنزلة واحدة من جهة التشريع وإن كان القرآن يقدم تشريعاً وفضلاً فهو كلام الله ،

من أين أتينا بأنه بمنزلة واحدة مع السنة من جهة التشريع ؟

من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( إلا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله ) لكن القرآن يقدم تشريعاً وفضلاً لأن أفضل الكلام كلام الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( خير الكلام كلام الله ) وهذا أمر لا بد أن نعتقده ، فلا يجوز للمجتهد أن ينظر في المسألة من غير رجوع إلى السنة مكتفياً بنظره في القرآن آخذاً الحكم منه مجرداً بل لا بد للمجتهد أن ينظر في الكتاب والسنة جميعاً ، فأما حديث معاذ رضي الله عنه في أن يعمل بالكتاب قال فإن لم تجد قال ففي السنة قال فإن لم تجد قال اجتهد رأي فهو رغم ضعفه إلا أن العلماء قبلوه بالقبول ويرون أن هذا الحديث دليل على أن الكتاب يقدم تشريعاً كم ذكرنا ، ورسالة عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري في القضاء بأن يعمل بالكتاب ثم بالسنة ثم بما قضى به أهل العلم وكذا حديث معاذ رضي الله عنه عندما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن فقال ( له كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال اجتهد رأي ولا ألوأ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله ) الحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد من حديث معاذ وضعفه غير واحد ،

هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد لجهالة أصحاب معاذ إلا أن أكثر العلماء يقولون قد تلقته الأمة بالقبول وبعض العلماء يضعفه والشيخ الألباني يقول أنه منكر من جهة المتن لأنه قدم القرآن على السنة والحقيقة أن هذا تقدم تشريفي فالذي يجد في باب من الأبواب آية مع حديث يجب عليه أن يأخذ بالاثنتين معاً بلا نزاع ، ومعنى أقضي بكتاب الله أي يقضي بما ورد في كتاب الله مقيداً أو مخصصاً أو مبيناً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم يجد في كتاب الله شيئاً ووجد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به بلا شك ،

هذا كلام مهم : على سبيل المثال لو أن واحد سمع قول الله { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسباً } هل يصح أن يقضي في قضية سرقة من غير أن يرجع إلى السنة ويقول هي وردت ، لكن هذه الآية وردت مخصصة ووردت بمجملتها تحتاج إلى بيان ، ووردت بمجملتها في أي يد هي التي تقطع ، ووردت مخصصة لأنه لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعداً ، إذن الذي يقضي لا بد أن يجمع بين الاثنين معاً ، لا يصح أن يأخذ واحد ويقول أنا أقضي في الكتاب ولا أحتاج أن أنظر في السنة لأنني وجدته في الكتاب ، بل لا بد أن تنظر في الكتاب لأن من الكتاب { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن اليد اليمنى هي التي تقطع وبين أنها تقطع من الرسغ وبين أنها لا تقطع إلا في ربع دينار فصاعداً فبين ثبوت نصاب السرقة في السنة ولهذا لا بد أن يجتمع فيه الأمران ،

مثال ذلك :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العسيف والأجير الذي زنى في امرأة الرجل الذي كان أجيراً عنده فقال الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأقضين بينكما بكتاب الله أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وأما أنت يا أنيس فرجل فغدوا على امرأة هذا فارجمها فغدا عليها فرجمها )

وال تغريب ليس وارداً في كتاب الله نصاً والرجم نسخت تلاوته وبقي حكمه ، يعني أصبح في الحقيقة من جهة الدليل بمنزلة السنة لأنه أصبح غير متواتر ومنسوخ التلاوة ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ( والله لأقضين بينكما بكتاب الله ) فالحديث معناه أن ما كان في الكتاب وبينته السنة فهو في كتاب الله ، إذن هذا الحديث حديث معاذ لا يعد منكرًا من جهة المتن أنه يقول قدم القرآن على السنة ، لأنه في الحقيقة قلنا هذا التقدم تقيم تشريف وتكرّم للقرآن وتعظيم للقرآن لأنه خير الكلام فإن لم تجد في كتاب الله أي ليس له أصل إلا النصوص العامة ، الشيخ الألباني يقول منكر لأنه يجب أن يقول القرآن والسنة وليس الكتاب ثم السنة ، فنقول الكتاب المبين بالسنة هو من الكتاب أليس كذلك ، والحديث واضح يقول ( لأقضين بينكما بكتاب الله ) فالسنة المبينة للكتاب هي من الكتاب وبالتالي فإن لم أجد في كتاب الله معناه لا نص مبين ولا نص مطلق قد قيد ولا نص عام قد خصص أو لم يجد شيء أصلاً في ذلك ، أما قوله فإن لم تجد في كتاب الله أي ليس له أصل في الكتاب إلا النصوص العامة كقوله تعالى { وأطيعوا الرسول } فهذا يكفي فيه السنة الصحيحة أيضاً ،

فالمجتهد لا بد أن يكون ناظرًا في الكتاب والسنة معاً ، يعني بمعنى لا يقول أن الكتاب قال { الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة } قال أنا لا آخذ بشيء لأن الحديث يقول فإن لم تجد وأنا وجدت ، نقول له لا بل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة معناها الزانية والزاني غير المحصنين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وزد على ذلك التغريب لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا من كتاب الله فالسنة المبينة والزائدة على ما في القرآن هي من كتاب الله فلا يصح أن يأتي من يقول أنا لم أجد هذه السنة من التغريب في كتاب الله فلن أقضي بها ووجدت في كتاب الله الجدة فسأقضي به على المحصن وغير المحصن نقول له ضللت أنت تركت الرجم الذي في كتاب الله وترك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك التغريب الذي هو في كتاب الله بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ إذن أنت لا تفهم ما معنى فإن لم أجد في كتاب الله أو فإن لم تجد في كتاب الله ، لذلك نقول المجتهد لا بد أن يكون ناظرًا في الكتاب والسنة معاً بل الصحيح أو قل الصواب كذلك أنه لا بد أن يكون ناظرًا أيضاً في الإجماع ، يعني لا يصح أن يكون لا يعرف أن هذه المسألة مجمع عليها أم مختلف فيها ويقضي ، لا بد أن يعلم على الأقل أنها إجماعية أو مختلف فيها ولا يلزمه أن يعرف من الذي اختلف ولكن على الأقل يجزم أنه لا يخالف الإجماع في ذلك ،

كل مسألة بتفاصيلها لا بد أن يعلم أن هذا القول ليس مجمعاً على خلافة لأنه لو كان مجمع على خلافة إذن لا يسع أحد أن يقول به ، لماذا ؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ( لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة ) إذا كانت الأمة كلها على قول فيستحيل أن يكون هذا القول خلاف الحق ، لماذا ؟ لأنه لا بد من وجود طائفة من الأمة على الحق ، لو كان الحق خارج أقوال الأمة فأين الطائفة التي تكون عليه ؟! إذن لا بد أن الأمة كلها على قول فلا بد أن تكون الطائفة على هذا القول فلا بد أن يكون حقاً ، وحديث لا تجتمع أمتي على ضلالة وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه هو الذي في الحديث الآخر الذي هو لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لذلك كان الصحيح أن كلمة طائفة لا بد أن يكون أقل الجمع ثلاثة وهذا هو الصحيح ومخالفة الواحد والاثنين أنه لا يقال عنه طائفة والله أعلى وأعلم ،

ولا ينظر المجتهد في دلالة الألفاظ اللغوية فقط فإذا علم أن هناك إجماع في المسألة فلا يجوز له بحال من الأحوال أن يخالفه زاعماً أن الكتاب يدل على خلافه ،

مثلاً نحن نقول بالإجماع على وجوب الرجم وعلى التفرقة المحصن وغير المحصن ويأتي من يقول هذا خلاف الكتاب والقرآن لا يقول بوجود الرجم بل القرآن يقول { الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة } نقول هذا فهم مغلوط وأنت فهمت الزاني على عمومته وهنا عام أريد به الخاص وهو الزاني غير المحصن والزانية غير المحصنة وإلا فأنت في دلالة الألفاظ اللغوية فقط لا يجوز لك ذلك ، يقول القرآن عربي نقول نعم عربي ولكن بين فإذا كان هناك إجماع على أمر معين فلا بد ألا يخالفه أحد ، فضلاً يقول أن السنة تدل على خلافه فإذا أجمع السلف على فهم سواء من الكتاب أو السنة وهذا شرط الإجماع فلا يجوز أن نخالف هذا الفهم ولذلك نقيد دائماً الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، يعني نقول نحن نفهم الكتاب والسنة ونحن ليس عندنا فهم سلف الأمة معناها واحد وأثنى بل واحد وأثنى لا يعد إجماعاً لتقول هات واحد من السلف قال هذا لو قلت ذلك لتقيد به عموم القرآن وتخصص عموم القرآن فلا ، ولكن إذا أجمعوا على ذلك فهذا الذي يعد دليلاً ويصلح للتقيد والتخصيص وليس مجرد واحد حتى من الصحابة إلا على من يجعل قول الصحابي إذا انتشر ولم يعرف له مخالف يكون حجة أو إجماعاً ، لكن عموماً أن قول عالم من العلماء ليس هو قول السلف بل كلمة السلف معناها لا بد أن يكونوا أجمعوا على ذلك ، ولذلك يسعنا ما وسع السلف ولا يسعنا ما لم يسع السلف ،

طالب : السلف هم الصحابة والتابعين ؟

الشيخ : نعم سلف هذه الأمة هم الصحابة الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية ومن تبعهم على ذلك ،

فنقول ليس قول الواحد منهم حجة ولكن مجموعهم حجة ولذلك نقول أن الكتاب والسنة بفهم ذلك الأمة نعي بذلك ما اتفقوا عليه ، مثل مثلاً الأسماء والصفات ما الذي جعلنا أن نقول بهذا الفهم ؟ لأن المخالف لنا ينقل اتفاق السلف عن الإمساك عن التأويل يعني أكبر من قال بالتأويل هو الإمام الجويني وأخذ عنه الغزالي والرازي أيضاً من القائلين بذلك والجويني والرازي ينقولون إطباق السلف على الإمتناع عن التأويل يعني هم الذين نقلوا لنا هذا الاتفاق فضلاً عن السلف وعلى طريقة السلف كلهم أن السلف لم يتكلموا في التأويل الباطل ولم يقولوا اليد يعني القدرة والنعمة ونحو ذلك ، فلما كان هذا الاتفاق في النقل علمنا أن هذا الاتفاق حجة وكل مسائل الاعتقاد الكبرى المعلومة في الأسماء والصفات والتوحيد والقضاء والقدر وفي الإيمان في الصحابة منقولة نقل اتفاق بالإضافة إلى الأدلة في الكتاب والسنة فهناك إجماع من ذلك ، ولهذا لا يسع أحداً أن يخالف بها ،

لذلك هذا التقيد عندما نقول بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة نعي بذلك ما اتفقوا عليه وهذا مجمع عليه بين أهل العلم وهذا مما لا يسوغ فيه الاختلاف وهذا الفهم والإجماع في الحقيقة فالعبرة إذن في إجماع السلف ،

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمه الله هذه الأصول العظيمة في كتاب الرسالة الذي ينبغي أن يقرأه كل طالب علم وبعد أن ننتهي إن شاء الله من هذا الفصل سنعود إليه ، وبعض أصحاب الشافعي يقول قرأت الرسالة خمسمائة مرة وكل مرة أحد فيها فائدة جديدة والواحد عاش عمره كله لم يقرأها مرتين أو ثلاثة حتى الآن فيجب أن يهتم كل طالب علم بقراءة كتاب الرسالة لأنه أول كتاب أصول على منهج أهل السنة بعيداً عن علم المنطق وعلم الكلام الذي أفسد علم الأصول ،

هو أول كتاب فقه صنف على طريقة أهل الفقه والحديث لا على طريقة المتكلمين ،

نقول يلزم العلم بإجماع علماء الأمة ولا يسوغ أبداً مخالفة هذا الإجماع مادام الإجماع قد ثبت ونقل إلينا بل المخالف للإجماع المتواتر المقطوع به المعلوم من الدين بالضرورة خارج من الملة كالذي خالف القرآن والسنة ،

يعني لو أن واحد أصر أن الظهر ركعتين أو ثلاث ركعات والمغرب خمسة يكون خارج من الملة لماذا ؟ لأن هذا متواتر ،

لو أتى من يقول أننا لا نقف في يوم تسعة ذو الحجة وربنا لم يقل في القرآن يوم تسعة ذو الحجة ولا يوجد حديث في تسعة ذو الحجة أو عندهم حديث أخبار آحاد ، هذه قضية خطيرة جداً أن الإجماع ينقل دلالة النصوص من دلالة الظاهر أو الاحتمال إلى القطع واليقين بل ربما إلى دلالة التواتر كما ذكرنا إذا كان إجماع متواتر من مخالفته كفر وليس فقط ابتدع وضل ،

فلذلك نقول الإجماع نوعان :

قطعي وظني

قطعي نوعان : معلوم من الدين بالضرورة والثاني يعلمه العلماء ولا يجوز مخالفة القطعي قطعاً لكن الأول المعلوم من الدين بالضرورة مخالفته كفر والثاني مخالفته بدعة ضلالة

والمخالف للإجماع الظني مخطئ في ذلك مثل من خالف الحديث الصحيح ،



الإجماع المنقول عن طريق آحاد العلماء المتتبعين لمذاهب أهل العلم كالذي ينقله ابن المنذر وابن عبد البر وغيرهما فهذا إجماع ظني إذا لم يكن متواتراً معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر مخالفه ولكن كما يضلل من خالف الحديث الصحيح المتلقى بالقبول فإنه يضلل من خالف الإجماع المقطوع به وإن لم يكن معلوماً من الدين بالضرورة الذي قلنا العلماء كلهم ينقلون فيه الإجماع وأن من ينقله آحاد العلماء ولا يعرف فيه مخالف لا تجوز مخالفته كذلك كحديث صحيح لا يتلقى بالقبول ، من ظن أن في المسألة خلافاً فقال بقول يخالف هذا الإجماع فحكمه حكم العالم الذي لم يبلغه الحديث من طريق صحيح فضعفه وهو حديث صحيح فهو مخطئ لا يبدع ولا يضلل،

لو ضربنا مثال على ذلك :

لو قلنا مثلاً الإجماع المنقول على نجاسة الدم مثلاً ، هناك بعض العلماء المعاصرين يخالفه مثل الشيخ الألباني ظن أن في المسألة خلافاً لبعض الآثار المنقولة بأن من السلف من صلى ووجه ينزل دماً ، صحيح ولكن هذا لا يدل على الطاهر بل هذا موضوع آخر ، وهذا الإجماع لا يخالف الإجماع الذي نقلته ولذلك نقول لا يجوز مخالفة هذا الإجماع نقله سبعة من العلماء أو ثمانية من العلماء المعروفين بنقل مذاهب علماء الأمصار ويأتي من يقول لا يوجد إجماع في المسألة ، فأين الدليل ؟! فلو تريد أن تقول لا يوجد خلاف انقل عن بعض العلماء من يقول بطهارة الدم لكن هذا عالم لم يبلغه الإجماع مثل عالم لم يبلغه الحديث الصحيح وأخطأ ولا تأخذ بكلامه ومن بلغه الإجماع لم يسعه أن يأخذ بخلافه وقد أخطأ هذا العالم وهو معذور عند الله ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ،

طالب : لو بلغه الإجماع الظني ؟

الشيخ : بلغه الإجماع الظني وظن أنه ليس بإجماع مثل أنه بلغه حديث فاعتقد أن هذا الراوي ضعيف وهو عند علماء الحديث صحيح وهذا الرجل ثقة فهو له عذر في عدم العمل بهذا ولكن ليس لغيره ممن علمه عذر في تقليده في ذلك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ٩٦ - مسألة التعصب المذهبي

يقصد به التمسك بالمذهب حتى بعد معرفة مخالفته للسنة لذلك قلنا عليه تعصب وهذا تعريف التعصب الذي نعنيه والتعصب المذهبي المذموم لم يعرف عن القرون الثلاثة الأولى وفي الحقيقة لم يعرف المذهب أصلاً عن الثلاثة قرون الأولى ، أن يكون هناك طالب علم يلتزم علماً لا يأخذ بقول خلاف قوله ولا يعمل ولا يفتي ولا يتكلم إلا بما يقول هذا العالم بل كان من تلامذة الصحابة رضي الله عنهم ولا شك أنه كان أصحاب لابن مسعود وأصحاب لابن عباس وغيرهم وأصحاب لمعاد ومع ذلك كان كل هؤلاء يأخذون من غيرهم من الصحابة ولم يكن هناك معاذية ومسعودية وعمرية وعباسية ، بل كان أصحاب ابن عمر يسألون عائشة ويسألون أصحاب ابن مسعود ، وكذا أصحاب ابن مسعود يسألون ابن عمر وكل يأخذ من الجميع وهذا في التعلم ، وأما في الفتوى فكل يأخذ بما يؤدي إليه اجتهاده ولم يكن أن يأخذ بقول عالم واحد يلتزم جميع أقواله في القليل والكثير في التعلم أو في الفتوى وإنما كان ملازمة بعض العلماء أكثر من غيرهم حتى نسبوا إليه كما ذكرنا هذا هو الموجود دون أن يكون هناك تمذهب بالمعنى المتأخر ،

والتعصب بالأولى هذا لم يكن موجوداً قطعاً ، التعصب المذموم وهو أن يصح الحديث فيقول صاحبنا لم يعمل بذلك وإمامنا لم يأخذ بهذا الحديث، وهذا لم يرد قط عن الثلاثة قرون الأولى ،

أما التعلم من كتب المذاهب مع الالتزام بأصل الاتباع فعليه جرى عمل أئمة العلماء في العصور المتأخرة ، فالتمذهب جائز ، فنقول أن التعلم هو أن يأخذ مذهباً ويتعلم عليه ويلتزم بأنه إذا صح الحديث وعلم السنة التزم به فهذا أمر واسع يسع الإنسان لا يلزمه في كل مرة أن ينوع السؤال فيسأل أو بعض حتى في بعض المرات ، لا نلزمه أن يسأل عالم غير الذي تعلم على يديه أول مرة ولو في بعض المسائل ، بل نقول يسعه أن يسأل أهل الذكر أينما كانوا ، قال الله عز وجل { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } قضية التمذهب هذه قضية بالغة الخطورة خصوصاً مع محاولات الهجوم على السلفية لأن السلفية تميزت بعدم التعصب المذهبي وعمامة الأئمة في العصر الحديث من العلماء وطلاب العلم المشهورين وغير ذلك لن يصيروا إلى مذهب بعينه ولو رجع بعضهم أنه يتعلم على مذهب أو أكثر اطلاعه على مذهب معين لكن دون أن يلتزم به في الفتيا أو في العمل أو في الحكم بين الناس بناء عليه كما جرى عليه العمل في العصور المتأخرة ،

كما ذكرنا بعضهم قد يكثر مثلاً القراءة في مذهب الحنابلة لكن ليس على سبيل التمدد بالمذهب الحنبلي وإنما في الحقيقة لأجل أن دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كانوا يقولون نحن في الفروع حنابلة ولذلك انتشر العمل بالمذهب الحنبلي بعد أن كاد أن ينقرض لكن في الحقيقة ليس هذا على سبيل الالتزام بالمذهب على الدوام ، نجد مثلاً المشايخ المشهورين مثل الشيخ ابن باز رحمه الله والشيخ ابن عثيمين رغم أنهم تفقهوا على المذهب الحنبلي وشرحوا كتبه إلا أنهم كانوا في فتواهم كانوا لا يتقيدون بالمذهب على الدوام ولا في أعمالهم بل ما صح الحديث يعملون به وكذلك ما بدأت به الصحوة المعاصرة منذ أزمته قبل حتى الصحوة في الثلاثين عاماً الأخيرة وقبل ذلك ، يعني كتاب مثل كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق رحمه الله تعالى وهذا كان من بدايات الكتب المؤثرة في الصحوة في هذا المجال أنه لم يلتزم مذهباً معيناً وإنما أراد أن يشرح الفقه على ما ثبت في السنة وسماه فقه السنة وأحسن في ذلك رحمه الله ، هذه كانت بداية تغير واختلاف عما كان عليه العمل من قرون طويلة وأنه لا بد وأن يلتزم بمذهب معين وكما ذكرنا التعلم أمر واسع أن يتعلم الإنسان من عالم واحد لا حرج عليه في ذلك لأن الله قال { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } لا يلزمي أن أسأل رجل بعينه ولا يحرم علي أن أسأل رجلاً بعينه ، لا يلزمي أن أغير في كل وأسأل عالماً مختلفاً بل يسعني أن أسأل نفس العالم الذي أثق فيه ويسعني أن أسأل غيره لأن الله عموماً قال { فاسألوا أهل الذكر } وهذا الذي كان عليه السلف في القرون الأولى ويمكن للعالمي أن يسأل من يجده من الصحابة رضي الله عنهم ومن أهل العلم من بعدهم إنما كانوا ، يسأل من لقيه فيجيبه ولا يسأله على مذهب شخص بعينه ولا طريقة بعينها لذلك نقول التعلم من كتب المذاهب والالتزام بأصل الاتباع والتمذهب جائز وليس بلازم و جواز مشروط بعدم التعصب كما ذكرنا ،

التمذهب فيه ثلاثة أقوال للعلماء المتأخرين :

أولها : القول بوجوبه وحرمة خروجه عن المذاهب الأربعة وهذا في الحقيقة ليس بقول أحد من المجتهدين وإنما هو قول المقلدين وإن نسبوا إلى العلم ، القول بحرمة الخروج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، يعني أن يلتزم الشخص جميع الناس علمهم ومتعلمهم وقاضيههم ومفتيههم بأحد المذاهب لا بد أن يكون حنفياً أو مالكيّاً أو شافعيّاً أو حنبليّاً ، كنت أظن أن هذا القول في طريقه أن ينقرض أما الآن فلا أظنه أن ينقرض هناك من يحاول إحياءه وإلزام الناس به وإن كان في الحقيقة لا يجد صداً ، إنما الأخطر منه وهو أسوأ منه الذي يجوز الانتقاء من المذاهب الأربعة ، يقول نحن نلتزم المذاهب الأربعة ولا بد أن نأخذ من واحد منها بالتشهي حسب ما نراه مصلحة وأصبح الآن يتوسعون فيقولون بل المذاهب ليست أربعة ولا خمسة ونضع مذهب الظاهري بل هي ثمانية وهذا في بعض المنتسبين للأزهر جعلوا المذاهب ثمانية ليفتحوا الباب وأظن أن الشيعة يضغطون من أجل تدريس المذهب الإمامي يعني يقولون المذاهب ثمانية الأربعة المعروفة الحنفية المالكية الشافعية الحنابلة الزيدية الإباضية الظاهرية الإمامية الإثني عشرية ، لذلك الشيخ محمد أبو ذر غفر الله له لما فتح هذا الباب كان باباً خطيراً والرافضة يحاولون ضاغطين من إعادة تدريس المذهب الإمامي في أبواب الفقه في هذا الباب ، لا شك أن المذاهب الزيدية المختلفة بعد أن نقلها الشوكاني والصنعاني من خلال كتب شرح كتب السنة أو شرح الكتب المعتمدة بجمع الأحاديث أحاديث الأحكام كسبل السلام في شرح بلوغ المرام وكمال الأوتار في شرح منتقى الأخبار أدى إلى دخول هذه المذاهب لكنها في الجملة قريبة من مذاهب الأئمة الأربعة وغالباً لا تكون مذاهب الزيدية في الفقه خارجة عن أحد الأقوال المعروفة ، أما مذاهب الإباضية والإمامية فهي أبعد بكثير أو فيها شذوذات كثيرة متعددة عن مذاهب أهل السنة المعروفة ، وأما المذهب الظاهري فقد ذكرنا أن هناك شذوذات أو أقوال ترجع إلى مخالف القياس الصحيح أو القياس بالكلية وهناك أقوال قالوها مبنية على قواعد أهل السنة بالجملة لكن بعضها فيه تشديد بالعمل بالظواهر دون اعتبار المعاني وهذه المسائل ليست معتبرة وأما ما قالوا به بمعتمدين على القواعد التي اعتمد عليها أهل السنة وعندما انفردوا بهذا القول أو كانوا ضمن القلة التي قالت بهذا القول فهذا أمر لا يقدر فيهم والله أعلم ، الذي يفقد في صحة أقوالهم منا الظاهرية هو ما بني على إنكار القياس جملة ، وبالنسبة لذلك نقول أن القول بالانتماء إلى المذاهب والتقليد بطريق التشهي هو أمر باطل مخالف لإجماع العلماء في القرون الأولى وإنما الذي جوزه طوائف من المتأخرين أنه يجوز للعالمي أن يأخذ الأسهل في المذاهب ،

قلنا القول الأول يلزم التمدد وحرمة الخروج عن مذاهب الأئمة الأربعة وهذا قول في واقع التطبيق يقل القائل به

والثاني : القول بحرمة التمدد وطوائف من انتسب إلى علم الحديث في زماننا قالوا اتباع المذاهب الأربعة حرام حتى قال بعضهم أن الأفضل إحراق كتب المذاهب لأنها سبب التقليد المذموم وسبب التعصب وهذا كلام باطل ومنكر

وأما القول الثالث : أن التمدد جائز وليس بلازم بشرط عدم التعصب له ، أي بشرط الرجوع إلى السنة إذا ظهر الدليل في غير المذهب الذي يدرسه ، وكطريقة للتعلم فهذا لا يمنع منه ، وكما ذكرنا أمر الله عز وجل الناس إذا كانوا لا يعلمون بسؤال أهل الذكر فيسعه أن يسأل أي واحد من أهل الذكر ولا يلزمه أن يسأل نفس العالم ولا يحرم عليه أن يسأل نفس العالم ، والذين يقولون يلزم التقليد يقولون يلزم أن يسأل نفس العالم كل مرة وأن يلتزم بما يفتيه به منعاً للفوضى ، وليس هذا بفوضى إذا سأل عالماً آخر ، وفي الحقيقة لا يصح للعالمي مذهب ، المذهب إنما يصح لمن علم أدلة المذهب وطرق الاستنباط فيه والراجح من أقواله وليس هذا مجرد أن ينتسب للعالمي إلى مذهب بل هذا مثل أن يقول رجل من العوام أنا مهندس فلو قال ذلك لم يكن مهندساً ولذلك لو قال أنا شافعي لم يكن شافعيّاً حتى يكون عالماً بعامة أقوال المذهب وطرقه وأدلة استنباط العلماء له وأدلته ، لذلك نقول هذا القول الثالث وهو التمدد جائز بشرط عدم التعصب أي بشرط الرجوع للسنة إذا ظهر الدليل هو الصواب في المسألة وهو الذي نعتقده ونقول به ولو تعلمنا كما ذكرنا على مذهب لا يلزم من ذلك أننا ندين الله عز وجل بلزوم اتباعه في كل الأقوال ،

يعني المذهب الحنبلي فيه ميزة وهو أن الكتاب جامع للطرق أو يعد هذا كتاب المغني يعد من كتب الفقه المقارن في الحقيقة لأنه جمع بالإضافة إلى المذهب الحنبلي مذاهب غيره من العلماء والترجيح فيما بين الأقوال ، كان يضاهيه في ذلك كتاب المجموع لولا أن الإمام النووي رحمه الله مات قبل يكمله ، كتاب المغني فائدته العظيمة أنه من أوله لآخره هو تأليف

العالم الجليل المقدم المقدسي وأما كتاب المجموع فالجزء الذي ألفه النووي بلا شك يشهد بسعة علم الإمام النووي وهو فعلاً معدود من كتب الفقه المقارن بالإضافة إلى كتاب ابن رشد لكن ليس في كتاب ابن رشد وهو كتاب بداية المجتهد من التوسع ما في كتاب الإمام النووي في الجزء الذي ألفه ، أما الجزء الذي ألفه السبكي فهو يقل كثيراً ، وأما تنمة المطيع فهي أقل بكثير كثير من كلام الإمام النووي رحمه الله ، بل عامة ما يعتمد عليه في كتب الفقه المقارن الأخرى مثل نيل الأوتار وما ينقله الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، فإن كتاب فتح الباري هو أصل يعتمد عليه في معرفة مذاهب أهل العلم فيما يتعلق بفقه الأحاديث .

أقسام الناس من حيث العلم في قضية التعصب المذهبي

في مسألة إتباع المذاهب

نقول الناس ثلاثة

عالم مجتهد عليه فرض الاجتهاد

طالب علم مميز عليه فرض الترجيح بالأدلة بين أقوال العلماء فيما جمعه من أدلة المسائل ، وهذه المنزلة ذكرها غير واحد من العلماء ، ذكرها الغزالي رحمه الله وذكرها ابن الوزير صاحب الروض الباسل عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وذكرها غير واحد من أهل العلم أو كل العلماء الذين قالوا بتبعض الاجتهاد وهذه المرتبة مرتبة يجهلها المقلدون دائماً لأنهم يضعون أمام طلاب العلم شروط للاجتهاد المعجزة غالباً كحجر عثرة أمام مسألة إتباع السنة وإلزام الناس بالتقليد الأعمى ، يضعون هذه الشروط حتى يصلوا إلى إلزام الناس بالتقليد الأعمى لمشايخهم لكي يسقطوا حجج أهل السنة في مسائل التوحيد والإتباع والتزكية وغيرها يزعم أن الناس لم يبلغوا مرتبة الاجتهاد ، لذلك هذه القضية قضية كبرى كلية وليست فقط فيما يتعلق فيما اختلف فيه العلماء ، مسألة أن الاحتجاج على وجوب التقليد لأن الناس لم يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد مع إسقاط المرتبة المتوسطة وهي مرتبة الذي يجتهد في بعض المسائل ولا يجتهد في البعض الآخر ، من جمع أدلة مسألة وعلم ما فيها وعنده ملكة الترجيح ومعرفة قواعد الاستنباط التي هي ميسرة بفضل الله إنما عسروها بالعلم الذي أضيف إليه ما ليس من العلم أعني أصول الفقه الذي أدخل فيه علم المنطق والكلام فصار من أصعب ما يتناوله الناس بخلاف ما هو من علم أصول الاستنباط كالذي دونه الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب . الرسالة . الكتاب العظيم الذي لعنا أن تناوله بالشرح إن شاء الله بعد ذكر هذه الأصول في قضية الإتباع ، فنقول أن هذه الأصول إذا كان عنده جمع لأدلة المسألة وإن لم يجمع غيرها وعنده قدره على معرفة قواعد الاستنباط وكيف استنبط أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم من آيات القرآن والخاص والعام والمطلق والمقيد والجمل والمبين مما هو مفصل بفضل الله ويمكن أن يطالع ذلك من خلال ما كتبه أهل العلم المتقدمون وسجلوه في كتبهم وكذلك ما يسمعه من شرحهم فيصبح عنده معرفة بقواعد الاستنباط ومعرفته بأدلة المسألة مع وجود الملكة القدرة على الترجيح بين الأقوال فهذا فرضه أن يبذل جهده ، هذا اجتهد مثله أن يرجح بين أقوال أهل العلم فيما علمه وسبيله فيما عجز عنه سبيل أي عالم قال لا أدري في مسألة لا يدرها هل يلزم أن يكون الإمام فاقداً لشروط الاجتهاد إذا جهل بعض المسائل وعجز عن الترجيح فيها ؟ فكم من عالم جليل فاضل يجمع على اجتهاده كالإمام مالك رحمه الله والشافعي قال في مسائل لا أدري ولا أحسنها وسلوا أهل العلم كالإمام أحمد رحمه الله كم من مسألة توقف فيها وليس هذا بممتنع وليس هذا بقادح فيه في ذلك فسبيل طالب العلم أن عنده مسائل كثيرة سوف يقول فيها لا أدري أكثر من المسائل التي يفتي فيها أو يعلم فيها الحق ، هذا الأمر لكن كما ذكرنا تختلف قلة وكثرة فالعالم المجتهد الذي عامة المسائل عنده معرفة بما وعنده جمع لأدلتها علم الكتاب وعلم السنة وعلم مواطن الإجماع والخلاف وعلم مواطن القياس الصحيح وأصوله وطرق الاستنباط ووسائل الاستنباط الأخرى المختلف فيها فقد علمها وعلم الراجح منها ، ثم هو في المسائل علم الخاص والعام والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وعنده من العلم بالعربية ما يتيح له الفهم ويمكنه أن يراجع في ذلك ، لا يلزمه أن يكون حافظاً ذلك عن ظهر قلب حتى آيات الأحكام لا يلزمه أن يكون حافظاً لها بل أن يكون عالماً بما يمكنه مراجعتها حين يطلبها عالماً بمواضعها ، إذا كان يستطيع أن يعرف أن الآية التي في سورة مثلاً النساء الخاصة بالدية يعرف كيف يراجعها فهو إن لم يحفظها فهو عالم بما وإن حفظها فهو الأصل وكذلك في الحديث لا يلزم أن يكون حافظاً لجميع الأحاديث الأحكام عن ظهر قلب بل أن يكون عالماً بما وبمواضعها عالماً باستخراجها متى أراد ذلك ومراجعتها ولا بد في علم الحديث أن يكون عالماً بالصحيح والضعيف وما يضعف به وما يصحح به وذلك إذا اختلف العلماء في ذلك ، يكفيه عند الأكثر مراجعة أصل وقعت العناية به و اعتمد العلماء تصحيح من صنفه في الحديث مثل تصحيح الأئمة العلماء كالترمذي مثلاً إذا صحح مثلاً وكتصحیح ابن حبان وكتصحیح ابن خزيمة ما لم يخالفهم غيرهم في ذلك وأما تصحيح البخاري ومسلم فهو كاف عن الاجتهاد في ذلك لأن الأمة قد تلقت تصحيحهم بالقبول عدا الأحاديث المعدودة المستدركة على البخاري ومسلم فهذه تحتاج إلى اجتهاد في النظر في تصحيحها وتضعيفها ، لكن بالنسبة إلى معرفة القواعد المرجحة في ذلك عند أهل العلم في هذا الباب يلزمه أن يعملها وكذا يلزمه علم الناسخ والمنسوخ من الحديث وأما علم الخاص والعام والمطلق والمقيد والجمل والمبين فهي ضمن معرفته بمقتضيات اللغة العربية ،

نقول من جمع هذه القواعد في باب واحد أو في مسألة واحد وهو عنده كما ذكرنا معرفة التوضيح ومعرفة قواعد الاستنباط فهو في هذه المسألة مجتهد ،

نقول يصح أن يكون مجتهد في مسألة وليس مجتهد في مسألة أخرى ؟

نعم وما المانع ، إذا كان هذا في حق أهل العلم متصوراً ففي حق طلاب العلم يكون متصوراً أيضاً وإنما الفرق بينهم وبين المجتهدين المطلقين رغم أن هذا التقسيم . مجتهد مطلق ومجتهد مقيد . هو في الحقيقة من تقسيمات نشأت بعد نشأة المذاهب وليست في العهود الأولى ، نقول أن الفرق بين هذا وطالب العلم المميز القادر على الترجيح وبين العالم المجتهد كثرة المسائل التي قد تجهلها طالب العلم قلة ذلك بالنسبة للعالم المجتهد لكن الحكم واحد في ذلك ، ما اجتهد فيه وجمع أدلته هو فيه مجتهد على اجتهد مثله يعمل بالراجح لديه ، لو عاجز عن الترجيح ولم يحسن هذه المسألة وجمع أدلتها أو لم يجمع لو جمع أدلتها بالتأكيد ليس له أن يتكلم ولم لم يجمع أدلتها ولا طلب الحديث فيها بحيث يغلب على ظنه أنه استوعب ما ورد في هذا ، وكما ذكرنا يكفي في ذلك أصل العلماء مثلوا بالسنة بسنن أبي داود ، لو جمع سنن أبي داود فعامه أحاديث الأحكام عنده ، وفي الحقيقة لو جمع الكتب الستة وأصل في كتب الأحكام وجمع أحاديث الأحكام كمنتقى الأخبار مثلاً أو بلوغ المرام فلا يكاد يفوته إلا الشيء اليسير التي قد يفوت أي واحد من أهل العلم الكبار ، فعامه أحاديث الأحكام موجودة في ذلك وأما قراءته للقرآن وتفسير هذا القرآن ومعرفة الآيات التي تبني عليها الأحكام وهي نحو خمسمائة آية فيمكن أن يطالع في ذلك بعض تفاسير آيات الأحكام فإنها تغنيه في هذا الباب ، نقول ما جمع فيه الأدلة فهو فيه مجتهد وما عنه عجز فهو سبيله سبيل العوام عليه أن يسأل أهل العلم وأهل الذكر { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } أما طالب العلم المبتدأ وكذا العامي هو الذي لا يستطيع الترجيح بين الأدلة وليس عنده ملكة الترجيح ولا قواعد الاستنباط ولا كيف يستعمل قواعد الأصول في التطبيق ، يعني ممكن تجد طالب بدأ يدرس علم الأصول ودرس علم الأصول لكن تطبيقها على النصوص لا يحسنها ولا يعرف كيف يستخدم هذه القواعد لأنه مازال في البداية وربما لم تكن له الملكة أصلاً وعقله لا يستوعب تطبيق هذه الأصول ويعرف التعريفات ولكن عندما يأتي للتطبيق لا يعرف شيئاً من ذلك وهذا ليس له أن يجتهد ،

نقول طالب العلم الذي لا يعرف وليس عنده ملكة ترجيح ولا قواعد الاستنباط ولا كيف يستعمل قواعد النصوص في التطبيق على قواعد الأحكام حكماً حكماً ، هذا الطالب المبتدأ عليه أن يسأل أهل العلم في زمنه والدليل { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون }

فما دليل أن العالم وطالب العلم المميز يعمل بالدليل ؟

مفهوم إن كنتم { لا تعلمون } ، لأنك إذا كنت تعلم فاعمل بالذكر أليس كذلك ، { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } ، فإذا كنت تعلم الذكر فما يلزمك ؟ يلزمك أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فتسمع ما أمر الله به في الذكر ، والذكر هو الكتاب والسنة والإجماع دل على وجود الحكم في الكتاب والسنة لأن الإجماع لا ينشأ حكماً والقياس الصحيح والميزان هو الذي أنزله الله ، فالذي عنده هذه ليس من الذين لا يعلمون إذن يلزمه إتباع الذكر { إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم } إذن كل الأدلة في الإتيان والطاعة تلزم من يعلم ، إذا كان لا يعلم يلزمه أن يسأل أهل الذكر ، فهذا الطالب المبتدأ يسأل أهل العلم في زمنه ، قد يسأل شيخاً واحداً في كل مرة وقد يغير الشيوخ الذين يسألهم بشرط أنه إذا وصل إليه حديث صحيح لا معارض له فعليه العمل به وقبوله وإذا علم بمقتضى اللغة ومقتضى الفهم علم هذا الحديث ولا يعرف له معارضاً لا بد أن يمتثل ، والعامي عليه أن يسأل أهل العلم لا نزاع في ذلك وإذا اختلف عليه فتاوى العلماء فعليه أن يقلد الأوثق في نفسه فبعض العلماء في مسألة العامي إذا اختلف عليه المفتون بعضهم يقول يأخذ بالأسهل وبعضهم يقول يأخذ بالأشد وبعضهم يقول ينتقي والصحيح أنه ليس بواحد من هذه الثلاثة بل عليه أن يقلد الأوثق في نفسه بأنه كالأعمى إذا خفيت عليه القبلة لا يسعه أن يصلي في أي اتجاه وليس هناك دليل على اختيار الأشد ولا على اختيار الأسهل إنما إذا كان مخيراً شرعاً وهذا لم يثبت تخيره أصلاً لأن البعض يحتج على جواز إتباع الأسهل والرخص مع أن هذا خلاف إجماع المتقدمين نقله ابن عبد البر وإنما خالف فيه المقلدون المتأخرون الذين يجوزون تتبع الرخص من المذاهب فنقول أولاً لا اعتبار بهم بعد الإجماع الأول وابن عبد البر من أعلم الناس بمذاهب أهل العلم وهو الذي نص على أنه لا يجوز تتبع الرخص وقال هذا إجماع من يعتد به ذكر ذلك في جمع علوم الحكم ، الذين جوزوا ذلك بادعاء الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خير من أمرين اختار الأسهل منهما وقوله صلى الله عليه وسلم ( يسرا ولا تعسرا ) كل هذا فيما أتى به الشرع من التيسير والتخير ومن قال أن العامي مخير أصلاً ؟ أنتم الذين ادعيتهم ذلك ، والدعوى لا دليل عليها ولا يجوز أن يختار الأسير في كل مرة ولا نلزمه بالأشد فإن ذلك أيضاً مما لا دليل عليه ولكن نلزمه بأن يجتهد اجتهد مثله يبذل الجهد في معرفة الحق وهو أن يقلد الأوثق في نفسه كما ذكرنا وهو الأعم والأورع ، العلم والورع صفات أساسيتان في كل مفتي أصلاً ، من ليس عنده علم لا يجوز أن يستفتي ومن ليس عنده روع ولا تقوى مشهور عنه أنواع الفسق والبدع والضلال لا يجوز أن يستفتي ولو كان عالماً لأن الفسق مانع من موانع الإتيان لأن الله قال { إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } فكيف يقول العامي عليك أن تتبع هذا المفتي ولو علمت فسقه ؟ ولو عملت أنه يزور الكلام ويقول الباطل ويفعل الحرام وعلمت أنه على خلاف الكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة ومخالف للإجماع الذي عليه السلف رضوان الله عليهم في العقيدة الصحيحة ومن كان كذلك لم يسعه أن يسمع كلامه ولا أن يأخذ بفتواه ،

فلذلك نقول ليس له إلا أن يقلد الأعم والأورع إذا اختلفوا عليه وكان عندهم علم وورع ،

من كان ليس عنده علم لم يجز ومن كان ليس عنده ورع لم يجز ، فمن عنده علم وورع والآخر عنده علم وورع واختلفوا على العامي يقلد أوثقهم في نفسه والله أعلى وأعلم قياساً على الأعمى إذا خفيت عليه القبلة ،

لا يجوز أن يستفتي الفاسق طالما علم فسقه ويلزمه أن يستفتي العالم لأن هذا الفاسق قد يقول قولاً مرجوحاً من أجل أن يغطي على فسقه أو الذي جعله أن يفعل الحرام يمكنه أن يختار قولاً باطلاً مدعياً أن هذا له وجه في التأويل ،

طالب : هل نأخذ الحكمة من أي أحد ؟

الشيخ : نعم نأخذ الحكمة من أي أحد إذا كنت قادراً على تمييز الحق من الباطل ، لكن هذا عامي لا يدري لا يجوز له أن يسأل إلا أهل العلم وأهل الذكر .

أما العامي في مسائل الخلاف السائغ هو لا يدري أهذا الخلاف سائغ إلا من فتاوى أهل العلم ، فقد يفتيه عالم بمسألة ويقول هذا من الخلاف السائغ ويفتبه غيره كذلك ، ليس له أن ينتقى وليس معنى أن الخلاف سائغ معناه أنه يختار برأيه ويشتهي ما يريد وإنما معناه أنه يقلد أوثق الناس في نفسه ولا إنكار عليه في ذلك ولا ينكر على غيره في ذلك وأما غير السائغ من الخلاف فالعامي إنما يعرف ذلك بفتوى عالم أن ذلك مجمع عليه أو من الخلاف غير السائغ فإذا كان يثق فيمن أفتاه لم يجر له أن يخالف في ذلك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

### ٩٧- تفسير القرآن

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أما بعد ،،

في كلامنا على مصادر الاستدلال ذكرنا أن الكتاب العزيز هو أول مصادر الاستدلال و القرآن لا بد من طريقة صحيحة في تفسيره حتى لا ينحرف أحد في فهم الكتاب وهو يزعم أنه يستدل بالكتاب فعامه أهل البدع يستدلون بما يظنون دليلاً من القرآن فعندما نتكلم عن تفسير القرآن والاستدلال بالآيات القرآنية لا بد أن تكون فهم سلف هذه الأمة

لذلك نقول تفسير القرآن يكون بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين ثم بعد ذلك بما تحمله اللغة العربية أعني أن استعمال اللغة العربية ليس مقدماً قبل تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة بأقوال الصحابة والتابعين بل بعد ذلك اللغة العربية وجوه استعمالها في الترجيح إذا اختلفوا لذلك نقول فيرجح بمقتضاها بين الأقوال المختلفة للصحابة والتابعين إذا اختلفوا أو إذا لم يكن هناك نقل ثابت عن أحد منهم وليس في اللفظ ما يفسره من الكتاب والسنة فعند ذلك نقول بمقتضى اللغة العربية إذن استعمال اللغة عند فقد تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين أو عند وجود اختلاف في النقل عن الصحابة والتابعين فيكون الترجيح بمقتضى لغة العرب فما وافق ظاهرها وأكثر استعمالاً كان أصح في التفسير

لماذا قلنا القرآن ثم بالسنة ؟

نفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة مثل ما ذكرنا من قبل تشريفاً للقرآن وإذا ثبت في السنة حديث صحيح في تفسير آية فلزم أن يؤخذ به ابتداءً ولم أن نقول ثم من باب تشريف القرآن وتعظيمه لأنه كلام الله ،

نقول مع الاتفاق على رد التأويلات الكلامية البدعية مثل تفسير استوى باستولى وتفسير اليد بالقدرة حتى ولو كانت محتملة في اللغة فإن ذلك لا يصلح أن يكون حجة يفسر بها القرآن مع اتفاق الصحابة والتابعين على رد ذلك والإنفاف عنه ، والقرآن لا يجوز تفسيره بهذه التأويلات وإجماع السلف على الكف عنها فلا يصح أن تستحدث هذه التأويلات المبتدعة الضالة مع كونها مبنية على بدعة نفي الصفات فضلاً عن التلاعب بتأويل النصوص الذي ليس بتأويل ، والتلاعب هذا شر من التأويل ما لا تحمله اللغة مثل قول الرفضية في قوله تعالى { إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة } قالوا هي عائشة وهذا من أهواء أهل الكفر والزندقة والنفاق وكقولهم في قوله تعالى { يؤمنون بالجبت والطاغوت } قالوا أنهما أبو بكر وعمر وهذا من آثار الكفر والضلال الذي وضعه أئمتهم في الضلال الذين اخترعوا لهم هذه الضلالات وهناك تفسير باطل للقرآن يصل بصاحبه إلى الكفر كتفسير الباطنية كتفسيرهم قوله تعالى { كتب عليكم الصيام } أنه الإمساك عن سر الطائفة إذن الصيام الواجب ليس صيام شهر رمضان

إذن قوله خذه الدف يا هذه والعبي وظلي واطربي وإذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلني واشربي

ويقولون نحن نؤمن بالقرآن !! طيب هات كتاب تأويل الدعائم وطبعته دار المعارف لواحد من الطائفة المسماة بالفاطمية وما ينبغي به مثل هذه الإشارات الخبيثة والعياذ بالله ، فهذا الأمر والعياذ بالله من إنكار المعلوم من الدين بالضرورة من وجوب صوم رمضان وحرمة المحرمات فهذا التفسير بهذه الطريقة يصل إلى الكفر وإن زعم صاحبه أنه يفسر القرآن ،

فيقولون الصيام الواجب هو الإمساك عن سر الطائفة وليس عن الطعام ولا الشراب ولكن عن السر الذي يتناقلونه فيما بينهم فلو أفشاه إلى غيرهم لأفطر وقد زني فهم يقولون الزنى ليس هو إتيان المرأة التي ليست بزوجه بل الإتيان هو وضع هذا السر في غير موضعه والعياذ بالله ، كتفسيرهم الصلاة في قوله تعالى { وأقيموا الصلاة } أنها ذكر خمسة من أهل البيت يعني لما ينطقوا الخمس أسماء . فاطمة وعلي والحسن والحسين ولا أدري الباقي بهذا نكون أدبنا الصلوات الخمس ولا يلزمه أن ينهض للصلوات المعروفة ، هؤلاء ليسوا برافضة بل هؤلاء غلاة الرافضة الباطنية الإسماعيلية والقرامطة والزنا المحرم عندهم هو من يخبر أحد من غير الطائفة بعمل من أعمالهم أما لو جامع أجنبية ولو كانت من المحارم فهذا ليس بمحرم عندهم والعياذ بالله هذا التفسير الباطل يخرج صاحبه من الملة وكذا التفسيرات الصوفية الباطلة من نفس هذا الجنس من تفسير ابن عربي في قوله تعالى { مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً } يقول خطيئتهم خطط بهم إلى بحور المعرفة وأغرقوا عن أنفسهم فزالت نفوسهم وفنت ، وأدخلوا ناراً أحرقت ما في قلوبهم كل ما سوى الله ، طبعاً أنقله بالمعنى لا بالنص ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً لأنهم صاروا عين الله والعياذ بالله ، وهذا التفسير في كتابي فصوص الحكم والفتوحات المكية وهذا التفسير كفر ناقل عن الملة أيضاً والذي يعتقده يكون كافراً

وكقول من يقول عن موسى عليه السلام { يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا } أي تاهوا في حقيقة ذات الله { ألا تتبعني } أي على ما أنا عليه من تركهم يعبدون العجل وهي عبادة حق أفصيت أمرى بإنكارك عليهم ، وهذا الكلام موجود بالنقول النصية في كتاب . تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي .

وكقول من يقول إن فرعون كان صادقاً عندما قال أنا ربكم الأعلى لأنه كان صاحب الوقت . يعني الحاكم في ذلك الوقت . نعوذ بالله من قال ذلك كان كافراً ، هذا النوع من التفسير الصوفي الفلسفي كفر ناقل عن الملة والعياذ بالله ،

نعود فنقول لابد من تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين ولا بد من رد التأويلات الباطلة وبهذا يتحقق فهم الكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة وهم السلف الصالح وهذه إحدى مميزات المنهج السلفي منهج أهل السنة والجماعة ،

من أهم الكتب التي تمثل هذا المنهج في التفسير . تفسير أهل السنة ، تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بقول الصحابة والتابعين . تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله وقد صار على هذا النهج في عامة المواضع يذكر الآيات التي تؤكد نفس المعنى وتوضحه وتبينه ثم يذكر ما تعلق به من أحاديث حتى فاق في ذلك شيخه على بد الزمان الإمام ابن جليل الطبري شيخ المفسرين فتفسير الطبري مبني على التفسير المأثور ومبني على تفسير من أقوال الصحابة والتابعين لكن قلل من الاستدلال بالأحاديث بالنسبة إلى تفسير ابن كثير وإن كان لو ورد نص في التفسير في تفسير آية معينة لأئى به أبين كثير لكن ابن كثير رحمه الله كان أكثر استدلالاً بالأحاديث المتعلقة بالآيات من الإمام ابن جرير ولم يذكر ابن جرير في الأغلب الأعم الآيات من سورة أخرى وموضع آخر فكان تفسير ابن كثير رحمه الله المقدم في هذا المنهج ، والقرطبي مع كونه معدوداً من كتب التفسير المعدادة في الجملة وهو يهتم بتفسير آيات الأحكام إلا أنه وقع فيه بعض أنواع التأويل في كثير من الآيات المتعلقة بالأسماء والصفات وبعض المسائل المتعلقة بالعقيدة الأشعرية الأخرى وكثر فيه الأحاديث الضعيفة وليس في منزلة ابن كثير رحمه الله الحافظ الذي دقق كثيراً في هذا الباب ،

المتأخرون :

يعني كتاب تفسير ابن جرير وكتفسير ابن كثير رحمه الله وأنا أقدم ابن كثير على كل كتب التفسير في الاختيار لطالب العلم أما تفسير القرطبي فهو مفيد جداً في تفسير آيات الأحكام مع الحذر من التأويلات الكلامية التي في بعض الصفات وكذلك تفسير ابن عطية فهو مليء بأنواع التأويل أكثر من القرطبي وفيه فوائد كثيرة في آيات الأحكام واللغة العربية أيضاً هو متفرد فيها وكثير الاستدلال وكثير التبيين لمناحي اللغة العربية ،

تفسير الرازي مليء بأنواع العلوم الأخرى غير التفسير بالإضافة إلى انه رأس من رؤوس الأشاعرة في التأويل غفر الله له ورحمه الله تعالى وقد رجع في آخر عمره عن هذا المنهج ودم الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ومدح طريقة الكتاب والسنة غفر الله له

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

## ٩٨ - البدعة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

أما بعد ،،



قضية الإتياع كما ذكرنا ما يتعلق بلزوم إتياع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا بد أن نبين أنها أيضاً تضمن النهي عن البدع ومحدثات الأمور ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) وقال صلى الله عليه وسلم ( إنه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعد عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ) في خطبة الحاجة التي كان يكررها صلى الله عليه وسلم ويذكرها ويعلمها للصحابه ولأجل عظم هذه المسألة كان يكررها كثيراً ،

فالبدعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( كل بدعة ضلالة ) أي كل البدعة كلها مذمومة سواء كانت اعتقادية أو عملية سواء كانت حقيقية أم إضافية سواء كانت مجمع عليها أو مختلف فيها إذا ثبت أنها بدعة طالما انطبق عليها حد البدعة شرعاً الذي قصده النبي صلى الله عليه وسلم وأما ما كان غير مقصود لها صلى الله عليه وسلم وقد يسمى مبتدعاً لغة لا شرعاً مثل استحداث بعض الوسائل في الحياة كالمناخل مثلاً أو السيارات والطائرات ونحوها فنعم هي تدخل في حيز البدعة لغة لكن ليست داخلية في أم التشريع التي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم مما يدخل في قوله ( أمرنا ) من أحدث في أمرنا هذا أي أمر الدين وأما أمور الدنيا فالناس مازالوا والناس لا يزالون يحدثون وقد يكون بعض الأمور المتعلقة بالدين يستعمل فيها لفظ البدعة بالمعنى اللغوي دون المعنى الشرعي كما سيأتي ،

نقول البدعة كلها مذمومة والتحذير منها ما لم تكن بدعة شرعية ،

البدعة : هي كل طريقة في الدين تضاهي الطريقة الشرعية أي تشبهها من جهة وتخالفها من جهة ، طريقة مخترة في الدين وكلمة في الدين أخرجت ما كان من أمور الدنيا فلما يأتي الناس يقولون أنتم ستحرمون علينا الميكروفون والطائرة والسيارة نقول نحن نتكلم عن الدين الذي أشتمل العقائد والمعاملات وأصول المعاملات فأما ما كان من أمور الدنيا فليست هي كذلك ، فتضاهي الشرعية أي تشبهها من وجه وتخالفها من وجه آخر لأنها مخترة دليل أنها ليست هي الطريقة الشرعية ويقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية وهو التقرب إلى الله بمعنى أنه لو صنع شيئاً لا يقصد به التعبد فإن ذلك يخرج هذا الأمر عن كونه بدعة ،

على سبيل المثال : لو أن إنساناً أحب سورة معينة فهو يكثر من قراءتها ويحب قراءتها لا على سبيل التعبد بهذه السورة دون غيرها ولا تخصيصها دون غيرها وحتى ولو لم يرد فيها دليل خاص بتفضيلها ولكنه يحب هذه السورة فمثل هذا لا يقصد به التخصيص ولا يلزمها بطريقة تجعلها كالسنة ولا يعاملها كمعاملة السنة فمثل هذا لا يدخل في حيز البدعة ،

طالب : و { قل هو الله أحد } ؟

الشيخ : { قل هو الله أحد } قبل بما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي حينها أدخلك الجنة والصحابي فعل ذلك كان الصحابي مصيباً

نقول كل طريقة مخترة إذن ليس عليها دليل فلو شيء عليه دليل فليس مخترع ، في الدين إذن خرجت أمور الدنيا ، وتضاهي الطريقة الشرعية لأجل أن ما خالف الشرع ولم يشبهه من أي وجه كان لم يدخل في حيز البدعة ،

يعني على سبيل المثال : لو قلنا غصب الناس أموالهم نجعله في البدعة أم في المحرمات ؟ وشرب الخمر والزنا ؟ محرمات أليس كذلك ،

لو قلنا الضرائب ؟ تكون بدعة ، لأن فيها شبه من عبادة وجبت وهي الزكاة وصاحبها لا يقول أنا قاطع طريق وأخذ أموال الناس ، فهل الرجل الذي يقطع الطريق مبتدع ؟ بل هو لص أليس كذلك ، لكن واحد يأخذ من الناس أموالهم ويقول أنا أفعل ما هو أصلح ولا أخذ الزكاة والجزية ولكن يأتي بنظام آخر خلاف شرع الله عز وجل فهو يشبهه من جهة ويخالفه من جهة وينسبه للمشروعية لذلك يكثر السؤال عليها ، ولا يمكن أن يسألني أحد هل يجوز تثبت الناس في الطرقات وأخذ أموالهم أليس كذلك ، لكن كم من سائل يسأل هل يجوز الجمارك والضرائب ؟ لوجود شبه ومضاهاة ، فعلى سبيل المثال لا يدخل ما ذكرنا من شرب الخمر في حيز البدعة بخلاف عمل المولد لأن المولد فيه شبه من الطريقة الشرعية ؟ نعم فيه شبه من أن الناس تذكر ربنا وتحب الصالحين وأن الناس تتقرب إلى الله عز وجل بهذا الأمر فيشتكون في المولد لأنهم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم فهناك شبه من جهة حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن جهة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن خالفه في الصفة والكيفية وانعدام الدليل على تعظيمه بهذه الطريقة طريقة اختيار يوم في السنة يجعل يوم للنبي صلى الله عليه وسلم ،

لو قلنا يعد الأم أي يدخل في البدعة ؟ نعم يدخل في البدعة ، لماذا ؟ لأن الناس يعتقدون أن هذا من البر الذي شرعه الله فيه وجه مشروعية وهذا من جنس العادات ، لكن عامة البدع في باب الاعتقادات ويا بعبادات لأنه هو الذي فيه شبه من جهة ما ،

فعلى سبيل المثال : بدعة الجهمية فيها شبه من الطريقة الشرعية من جهة تنزيه الرب عن التمثيل فهذا وجه لكن هل يلزم من نفي التمثيل أن تعطل الصفات ، وهل نفي مشابهة الله للمخلوقات يلزم منها أن تنفي علوه على عرشه ؟ لا ، إذن هناك وجه شبه من جهة وهناك وجهة مخالفة من جهة أخطر أنواع التحريف الذي يقع في الدين ،

فلو ضربنا مثال بأن خطورة البدع بالمادة السامة التي تدخل الجسم فخلالها الجسم تستقبل جزء منها مشابه للمادة التي خلقها الله لينتفع بها هذا الجسم مثل أول أكسيد الكربون مثلاً يدخل ويتفاعل مع الهيموجلوبين الخاص بالجسم ويكون مادة أخرى ويغلق استقبال الأكسوجين لذلك يموت مختنقاً لأنه أشبهه في التفاعل مع الدم ، هذا مثال للتقريب

فنحن نقول في وجه للمضاهاة في بدعة المعتزلة فيثبتون أسماء الله وينفون صفاته بزعم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتشبيه باطل لأن الله ليس كمثله شيء فنفي التمثيل وإثبات التنزيه لله لا يلزم منه نفي الصفات وهكذا في سائر البدع يعني مثلاً في بدعة القدرية يقولون الإنسان مختار ونحن عندنا اختيار للإنسان { لمن شاء منكم أن يستقيم } لكن هو خالفها فيما بعدها { وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } هو جعل معنى أن الإنسان مختار يقتضي أن للإنسان مشيئة وهذا وجه المضاهاة مع كونها مخترعة فهي مخترعة إذن ليست من الدين وتضاهي لوجود وجه من الشبه وليس أنها موافقة للشرع من كل وجه

وصحاحها يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالشرع وهو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ،

أما ذكر البدعة الحسنة فإن قصد به المعنى اللغوي ، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( كل بدعة ضلالة ) وهو كل بدعة شرعاً أما البدعة اللغوية ليست داخلية في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم ( كل بدعة ضلالة ) بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( في أمرنا هذا ) وهو أمر الدين ، فقد يطلق بعض العلماء على أمر معين أنه من البدعة الحسنة وقد ثبت عن عمر رضي الله عنه أن قال عن صلاة التراويح " نعمة البدعة هذه " وسماها بدعة وهنا أخذ البعض هذه القولة عن عمر رضي الله عنه وهي رواية صحيحة ثابتة عن عمر رضي الله عنه وجعلها حجة في إثبات البدعة الحسنة جملة في الدين وأن من حق الناس أن يختاروا طرقاتاً ويسموها بدعة حسنة والحقيقة أن عمر رضي الله عنه لم يرد أنها بدعة في الدين وإنما أراد بأنه بدعة في النسبة بما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من عدم اجتماع الناس على إمام واحد فهي بدعة في اللغة أو عرف الناس بالنسبة إلى العرف السابق حيث كان الناس يصلون فرادى والحقيقة أنها ليست بدعة شرعية لأن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت صلاة التراويح جماعة ومع إمام واحد ولكن امتنع من المداومة على ذلك لأجل مانع وهو خوف أن تفرد على الأمة فقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم صلاة التراويح ليال من رمضان ثم امتنع من الخروج وبين أنه قال ( خشيت أن تفرد عليكم ) وقال صلى الله عليه وسلم حين قالوا ( لو نفلتنا قيام هذه الليلة قال من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتبت له قيام ليلة ) فهذا دليل على استحباب الجماعة في التراويح وأن يصلوا مع إمام واحد وإنما سماها عمر بدعة كما ذكرنا بالنسبة إلى عادة الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن أبي بكر جزءاً من خلافته لأجل مانع كان موجوداً اجتهد عمر رضي الله عنه ووقفه الله سبحانه وتعالى أن هذا المانع قد زال ، رغم أن في زمن أبي بكر أيضاً زال المانع ولكن اجتهد عمر رضي الله تعالى عنه لم يوفق له من سبق ولم ينتبه له من سبق وعمر رضي الله عنه كان يوافق ربه عز وجل في أمور قبل أن ينزل بها الوحي ويجتهد في أمور قد يسبق بها غيره وهذا مما وافق الحق ، لذلك نقول ذكر البدعة الحسنة إن قصد به المعنى اللغوي فلا بأس على سبيل المثال مكبر الصوت إذا استعمل في طاعة الله فهو بدعة حسنة حتى وإن تعلق بأمر ديني وهو خطبة الجمعة أو إلقاء الدرس ولم يكن موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونحن لا نريد بذلك التقرب إلى الله ولكن نريد أن نسمع من لا يسمع فهذا مقصود شرعي كان يتم بطبيعة أخرى مثل أن يخض من لم يسمع الخطبة بخطبة خاصة أو أن يوجد من يترجم ويرفع صوته ويبلغ عنه فنقول هذا المكبر إذا استعمل في طاعة الله فهو بدعة حسنة شرط أن يكون على حسب المقصود أما إذا كان على سبيل المثال يخالف المقصود الشرعي مثل أن يرفع الصوت رفعاً بليغاً يزيد عن حاجة المأمومين أو السامعين مثل أن يرفع الصوت في صلاة الفجر والمأمومين ثلاثة أصلاً ويجعل الطريق كله يسمعون هذه القراءة وهذا يخالف ما قال ربنا سبحانه وتعالى { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً } لذلك العلماء ذكروا أنه إنما يستحب أن يرفع صوته على قدر ما يسمع المأمومين فنحن نقول أيضاً في الدرس على قدر ما يسمع السامعين للدرس ، وإذا استعمل المكبر في معصية الله فهو معصية وإذا استعملت أجهزة التسجيل في الدعوة فهي بدعة حسنة هذا بخلاف البدعة الشرعية فإنها بدعة ضلالة كلها وليس هناك بدعة شرعية حسنة مطلقاً ،

ما قاله عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح " نعمة البدعة هذه " أو حسنت البدعة فهو يقصد بذلك البدعة لغة لا شرعاً فالذهاب إلى الحج بالطائرات لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس بدعة شرعية ، البدعة الشرعية طريقة في الدين والدين يشمل العقائد والعبادات وقواعد المعاملات ، لأن كلمة قواعد المعاملات مقصودنا بها ما أحل الله وما حرم منها وليست تفاصيل المعاملات يعني كتفاصيل الزراعة أو الصناعة ولم يكن هناك صناعة أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وطرق الري مثلاً مختلفة فلا مانع لذلك ،

أما قواعد المعاملات ، فلماذا قلنا قواعد؟ لنقول ما حرمه النبي صلى الله عليه وسلم من المازعة الفاسدة وهذا من المعاملات ، ما حرمه النبي صلى الله عليه وسلم من الربا بين الذهب والفضة والنقود والأصناف الربوية ، فهذه أصناف المعاملات التي ثبت فيها الدليل من التحليل والتحريم وهذه العقائد كلها وردت بها نصوص كمسائل الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره فلا يجوز أن يستحدث الناس طريقة أخرى في العقيدة لذلك كان علم الكلام بدعة وكذا الفلسفة وهي أشد منه والفلسفة نفس طريقة علم الكلام ولكن دون المقاصد إثبات ما أثبتته الشرع وعلم الكلام يقولون نحن نأتي إلى المسائل التي وردت في الشرع ونخرج لها بحجج اليونان ، والفلاسفة لهم تصور آخر في الاعتقاد يختلف عن ما جاءت به الرسل والمتكلمين أهون مما جاءت به الفلاسفة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستدلال ولا في بيان العقيدة ولا استعمالها الصحابة ولا التابعون

ولا تابعي التابعين لذلك نجزم أن علم الكلام بدعة ضلالة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويضاف بهم في العشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وانشغل بعلم الكلام "

نقول فضلاً عن البدع التي تشعبت من المنهج المنحرف مثل بدعة الجهمية وكذا بدع الخوارج والمرجئة والصوفية والقدرية وهي ليست كلها منبعها من علم الكلام لكننا نقصد أن نقول مثل الجهمية والمعتزلة وبدعة الخوارج والشيعة والصوفية والمرجئة والقدرية والأشاعرة وبدعهم مختلفة كإنكار الصفات أو تأويلها أو نفي القدر أو القول بالجبر هذا كله من علم الكلام والخوارج ربما لم يكن طريقتهم علم الكلام والرافضة والصوفية يوجد منهم من كان معتزلي الاعتقاد ومنهم من لم يكن كذلك ولكن مبنى ضلالهم في قضية الإمامة وآل البيت على الأحاديث المكدوبة ورد الأحاديث الصحيحة ولكن عندهم عقائد فاسدة مبناها على علم الكلام أيضاً ،

الصوفية الفلسفية مبناها على علوم الفلسفة والمرجئة والجبرية والقدرية والاشاعرة مبنى كلامهم على علم الكلام ،

نقول بدعهم مختلفة كإنكار الصفات وتأويلها أو نفي القدر أو القول بالجبر أو الغلو في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أو الغلو في آل البيت أو الغلو في الصالحين وبناء المساجد على قبورهم واعتقاد أن أصحابها يصرفون الكون مع الله فبدع العقائد أخطر أنواع البدع ولا شك أن هذا الباب هو المقصود الأكبر بالفرق أعني البدع الاعتقادية ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم ( ستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ) عامة هذه الفرق المقصود بها البدع الاعتقادية ،

أيضاً هناك بدع في العبادات كالأذكار المبتدعة كذكر الله بطريقة لم يرد عليها دليل في الكتاب والسنة مثل صلاة الفاتح في بعض طرق الصوفية صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة معينة وثوابها عندهم أن من صلى بهذه الطريقة على النبي صلى الله عليه وسلم كأنما حج مائة حجة واحتفاله بالمولد النبوي يوم الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام ولو لم يكن يوم اثنين وكالذكر باللفظ المفرد . الله الله الله . أو . حي حي حي أو لفظ مبهم مثل هو هو هو هو ، ويقولون هذا أقصر الطرق إلى الله تعالى كقول الأستاذ سعيد حوا غفر الله له " اتفق أهل الطريقة على أن الذكر باللفظ المفرد أقصر الطرق للناس " توصلك بسرعة جداً وهذا دليل على أنهم متفقون بالبدعة الضلالة ، وكذا كتخصيص أيام معينة بالصيام والصلاة كأيام الموالد بالإضافة إلى ألفاظ زائدة في الأذان في قولهم . أشهد أن شيدنا محمد رسول الله .

بناء المساجد على القبور من البدع في العبادات وإن تجردت على العقيدة الفاسدة فضلاً عن أن عامة من يبنى المساجد على القبور يعتقد العقيدة الفاسدة بين الشرك الأكبر والأصغر ،

طالب : قول أشهد أن سيدنا محمد رسول الله ؟

الشيخ : قول أشهد أن شيدنا محمد رسول الله محرم بدعة ضلالة ،

طالب : يا شيخ ومن يقول بسم الله قبل أن يؤذن

الشيخ : هذا من البدع أيضاً ، فالآذان سبع عشرة كلمة ولو قلنا بعدم الترجيع والتربيع ، إذن الاختلاف فقط المشروع في تربيع التكبير أولاً أنه مثلاً يقول . الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر . أم يقول . الله أكبر الله أكبر . مرتين فقط والترجيع في أن يكرر سرّاً الشهادتين ثم يعود فيكررها جهراً ، فهنا الاختلاف فقط ، أما أن يزيد حي على خير العمل أو أشهد أن سيدنا محمد رسول الله فهذا من البدع والضلالات ،

طالب : وتقطيع التكبير يا شيخ ؟

الشيخ : تقطيع التكبير خلاف السنة ، ولكن لا يصل إلى حد البدعة ، الذي يقول الله أكبر ويسكت الله أكبر ويسكت الله أكبر والحديث ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله أكبر الله أكبر دون أن يسكت قال ( على الفطرة ) قال أشهد ألا إله إلا الله قال ( نجوت من النار ) وكان يقول إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر قال ( الله أكبر الله أكبر ) هذا دليل أنه كان يقول الله أكبر مرتين

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بنحو صوت الآذان أيضاً من البدع ، لكننا نريد أن نأخذ قواعد أساسية ولا يلزمنا التفاصيل في مسائل ، التفاصيل لها مكان آخر ،

والأصل في العقائد والعبادات التوقيف أما المعاملات فيمكن أن يستحدث الناس صوراً من المعاملات ترجع إلى قواعد الشريعة وما ترك النبي صلى الله عليه وسلم أمراً يقرنا إلى الله إلا دلنا عليه ، فالعقائد والعبادات يستحيل أن يكون فيها ترك غير مقصود من النبي صلى الله عليه وسلم أي يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف هذا أو أن يعرفه وكتبه ولم يبينه لنا هذا مستحيل وكلاهما ممنوع أو نسي عليه الصلاة والسلام ، فلا يمكن أن يكون هناك عبادة الرسول نسي أن يبلغها لنا ، لكن ممكن وجود معاملة النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم لم توجد في زمنه فلم يعرف بها ؟ نعم وارد جداً ولم يكن هناك مصانع أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك شركات كبرى بهذا الحجم أيام النبي صلى الله عليه وسلم لكن ترجع إلى قواعد الشريعة ولم يكن هناك بنوك أيام النبي صلى الله عليه وسلم فيجوز أن نعمل بنوك لكن نجعلها منضبطة بضوابط الشرع ، لذلك نقول يمكن أن نستحدث صوراً تكون مردودة إلى قواعد الشريعة من المعاملات أما العقائد والعبادات يستحيل أن يوجد فيها ترك غير مقصود ، إذن أي عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغها فهي ليست من الدين إذن الرسول قصد ألا يخبرنا ويستحيل أن يكون هناك شيء من الدين لم يحفظ لأن الله عز وجل قال { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } فالدين محفوظ ، ممكن ألا تصل إلى بعض الناس لكن يستحيل أن تجهلها الأمة كلها ،

نقول الترك العدمي وارد في المعاملات ووسائل الحياة لذلك نقول قواعد المعاملات ولم نقل المعاملات لأنه قد تستحدث صور للمعاملات لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها ترجع في أصولها إلى قواعد المعاملات التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم ،

فمن البدع في قواعد المعاملات أن يأصلوا لزوم أخذ الضرائب من الناس ومثلها فرض لزوم التأمين على الحياة أو لزوم التأمين تابعة لشركات تجارية على الصحة وللأسف الشديد أن هذا صار في عامة دول الخليج أنه يلزمون الناس بصور من التأمين التجاري من أجل مرضاهم فيلزم الناس به كما تلزمهم الشريعة ويذم من خالفه كما يذم من خالف الشريعة فيعدون التهرب من الضرائب من أعظم الذنوب وربما عدوه أشد من ترك الزكاة ، ولذلك لو أن الناس تركت الزكاة ماذا يعاقبون ؟ لا أحد يعاقبهم ، ولو تركوا الضرائب فأنهم يعاقبون أشد العقوبات ، وأبو بكر قاتل مانعي الزكاة وقامت حروب من أجل ذلك لكن في زماننا لا يقام شيء من الحروب من أجل ذلك وأما من ترك هذا فعندهم أنه مذموم أشد ممن ترك العبادة الواجبة ، هذا من البدع مع أنه أيضاً ضمن الواضعي ، لماذا من البدع ؟ لأنهم حددوها في حيز التشريع وجعلوا لها قواعد وألزموا الناس بها وبعض الناس كانوا لا ينتبهون إلى أن أخذ الضرائب مخالف للشريعة وهذا أمر عظيم الأهمية من أسباب نصرته المسلمين ، أعني ترك هذه الرسوم والضرائب ونحوها ، وكان الملك نور الدين محمود رحمه الله الذي حرر أكثر من خمسين مدينة من الصليبيين وأعد العدة لتحرير بيت المقدس وهو فعلاً الذي خطى الخطوات التي أكملها صلاح الدين وهو أستاذ صلاح الدين وقائده ومعلمه ، عاش مدة طويلة يقر فرض الضرائب حتى وعظه أحد الوعاظ وعظاً شديداً وذكره وقالوا أن هذا الشيخ ليس له من الدنيا إلى جبة واحدة وكان لا يخاف أحداً وكان نور الدين يحضر درسه كما يحضر الناس فوجده مره في الدرس فقال له

مثل وقوفك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور

إن قيل نور الدين رحت مسلماً فاحذر أن تبقى وما لك نور

أنهيت عن شرب الخمر وأنت في كأس المظالم طائش مخمور

عطلت كاسات المذاب تعففاً وعليك كاسات الحرام تدور

وهو فعلاً قد نهي عن الخمر وحرم المعازف والخمر وأبطل ذلك وكان موجود ضمن أسباب فساد هزيمة الأمة انتشار المعازف والخمر ونور الدين كان رجلاً عابداً ومقيماً لليل فيلا شك أنه لا ينازع أحد في الخمر والمعازف فأبطلها نور الدين لكن كانت الجمارك والضرائب مستمرة فهذا الواعظ الشيخ الزاهد قول له

أنهيت عن شرب الخمر وأنت في كأس المظالم طائش مخمور ؟

وهو الخليفة والإمام والسلطان والخليفة ولكن كان لا يجرأ أحداً عن مخالف نور الدين ، صلاح الدين الأيوبي كان أن يخالفه قال له أبوه " أظننت أن لو أتاك نور الدين أيقف معك أحد من جنودك هؤلاء ؟ " ونور الدين كان يشدد عليه في بعض المسائل فتلكاً فيها صلاح الدين ونور الدين هدده أنه سوف يأتي إلى مصر ويأخذها منه فأتت الدولة الباطنية فأبو صلاح الدين قال له " أظن أنه يوجد معك أحد من هؤلاء العساكر ؟ بل كلهم يتركونك إذا جاء نور الدين ولا قبل لك به فصلاح الدين أرسل له قال له " أنا عبدك وخادمك ومطيعك وآتي لأقبل رجلك " ليسمع كلامه ،

فكان نور الدين يربع الصليبيين على البعد ، فهذا الرجل الصالح يخاطبه بمثل هذا الكلام الشديد جداً

فهذا الرجل الصالح يخاطبه بمثل هذا الكلام الشديد جداً وهذا موقف رائع وهذا الموقف يبين كيف كان موقف العلماء من الحكام والأئمة أنه لم يرهب السلطان وهو جالس في مجلسه يقول له

مثل وقوفك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور

إن قيل نور الدين رحت مسلماً فاحذر أن تبقى ومالك نور

أنهيت عن شرب الخمر وأنت في كأس المظالم شارب مخمور

عطلت كاسات المدام تعففاً وعليك كاسات الحرام تدور

ماذا تقول إذا نقلت إلى البلا فرداً وجاءك منكر ونكير

أرضيت أن يحظى سواك بخبره أبداً وأنت معذب مهجور

مهد لنفسك أن تنجوا بما يوم المعاد ويوم تبدوا الغور

فبكى نور الدين بكاءً شديداً وأبطل من ساعته كل الضرائب ، وأبطل المعازف والخمر وجاهد في سبيل الله وفتح البلاد ولكن كان مازال يلزم الناس بالضرائب ولم يكن يعلم حرمتها وعندما واجهه هذا العالم بتلك الأشياء بكى بكاءً شديداً وأمر بإبطال النقوس وحرر بيت المقدس وأزيلت هذه النقوس في عهده رحمه الله ثم بعد أن مات ردها الملوك ثانية فتولى صلاح الدين وأبطلها ثانية وتبرع الناس بفضل الله تعالى أضعاف ما كانوا ينفقون ، وهذا الكلام في البداية والنهاية أنه أرسل إلى الأقطار يستسمحهم فيما مضى من الأموال ويقول والله ما أنفقنا شيئاً من ذلك إلا في تحصين الحصون والإنفاق على الجيوش ونحو ذلك وما أنفق شيئاً منها على نفسه ولا عياله فسامحه الناس بما مضى ،

وكان بذلك مقدمة عظيمة بفتح بيت المقدس ، وهو الذي صنع المنبر الذي خطب عليه يوم فتح بيت المقدس وإنما يجوز إلزام الأغنياء بكفالة الفقراء إذا جمع الإمام الزكاة والخراج والحزبة من الكفار ورد المظالم التي يأخذها البعض من أموال المسلمين العامة ومنع الربا والميسر والرشوة وسائر المحرمات وأسباب الفقر والضعف ، يعني الربا والميسر والمحرمات هذه ليست مصادر دخل بل هي مصادر شؤم وشر ومصادر ضيك ومصادر ضنك على الأمة ، وأقام السنة وأنفق الأموال في المصالح العامة على المسلمين فإذا أعوزه شيء ولم يفي به بيت المال وهذا لن يقع ، فإذا عمل الشرع لا بد أن يكفي ، لكن نفترض لو لم يكفي سأل الأغنياء النفقة أولاً وحث على الصدقة أولاً قبل أن يفرض عليهم يرغبهم في النفقات كما جهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيش العسرة بالترغيب فلم يفرض على غني أن ينفق وإنما رغبتهم وحث على الصدقة حثاً عاماً كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في تجهيز جيش العسرة فإذا لم يكفي ذلك ألزم الأغنياء بكفاية الفقراء وسائر المصارف العامة ،

والله لو أقام الناس الشرع لم يحتاجوا إلى شيء من هذه الإلزامات وإنما استوردوا نظاماً غريباً بدلاً من الشريعة فاحتال الناس عليها ولم تفي أيضاً بحاجاتهم ولا بد أن يكون هناك عجز في الموازنة

وكذلك من البدع في المعاملات اشتراط الولاء في البيع فالسيدة عائشة رضي الله عنها أرادت أن تعتق جريرة فاشتراط أهلها أن يكون الولاء لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم ( خذوها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق ) فاشتراطت عائشة رضي الله عنها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ( أما بعد ما بال الرجال يشترون شروطاً ليست في كتاب الله وما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق ) فالنبي صلى الله عليه وسلم أبطل كل شرط يخالف شرع الله ، فوضع قواعد إلزامية في معاملات الناس تخالف شرع الله ووضع قواعد تضاهي التشريعات التي وردت في الكتاب والسنة ومخالفة لها وهذا مما تدخل البدعة فيه من هذا الجانب .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

إليك بعض المسائل قد عرضها الشيخ في الشرح القديم للمنة

تكلمنا في المرة السابقة عن تعريف البدع وأنواعها من جهة أنها بدع في العقائد وبدع في العبادات وبدع في المعاملات كذلك ،

هناك تقسيمات أخرى للبدع من جهة وجودها في الشرع من عدم وجود أصل لها غير التقسيم إلى بدع حقيقية وبدع إضافية ،

البدع الحقيقية هي ما ليس له أصل في الدين وإنما هو شيء مخترع بالكلية ومثل هذا بدع العقائد كلها ، وبدع العقائد كلها في الحقيقة تناقض ما ورد من الأدلة وبالتالي فيستحيل أن يوجد لها أصل مشروع بأي وجه

كان كما ذكرنا العقائد لا يمكن أن يكون فيها أصول الإيمان التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم قد وردت بالتفصيل في كل منها فيستحيل أن يوجد شيء لم يبينه النبي صلى الله عليه وسلم ويكون من الدين ، هناك أمور قد سكنت عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتكلم أحد بالغيب بخلاف ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أو ادعاء أمر لم يبينه النبي صلى الله عليه وسلم ،

بدع الحقائق عامتها أو كلها في الحقيقة تناقض ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل نفي الصفات مثلاً أو بدعة نفي القدر أو القول بالجبر فهذه البدع كلها تناقض ما ثبت وليس فقط أنها تنشئ شيئاً سكت عن الشرع أو لم يأتي به دليل من الشرع وبالتالي فهي أولى بالرد والبطالان وهي أشد أنواع البدع

وكذا في العبادات : لكن العبادات هناك أنواع لها شبه أصل من جهة أصل المشروعية والبدع تكون في الهيئة والكيفية ،

فأما بدع العقائد فكلها من البدع الحقيقية

ومن بدع العبادات منها ما يكون بدع أصلية حقيقية ليس لها أي أصل في الشرع مثل حج المشاهد مثلاً فإن هذا من البدع الحقيقية وهذا مما ورد النهي عنه شد الرحال إلى القبور وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، فمن يقول أن من يقصد قبر علي رضي الله عنه أو قبر موسى الرضا له من الثواب كذا وكذا ويجعل هناك من الشعائر والطقوس من الطواف حول القبر ثم فعل كذا والذهاب حول المكان الفلاني للتبرك ثم الذهاب إلى مكان آخر ويجعل أن هذا مما له ثواب عظيم ، فهذا من كونه يشبه من الدين ويقول يحصل الثواب عليه دخل في البدعة ، وكونه خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم كان معصية ومع اعتقاد أن هؤلاء تصرف لهم العبادات تكون شركاً وهذا يضم بدعة عملية وبدعة اعتقادية في كثير من الأحيان ،

وأورد كثيرة مثل الذكر باللفظ المفرد والذكر باللفظ المبهم فهذا من البدع الحقيقية ليس مشروعاً أصلاً أن تقول في الذكر الله الله الله حي حي مثلاً أو المبهم وهو أن يقول هو هو هو والذكر باللفظ الهو أو هو لكن يسكنها عندهم أو أقصر الطرق الموصلة إلى الله ويلبى الذكر باللفظ المفرد ويلبى بعد ذلك يعني أكثر بعداً في الوصول الأذكار المعلومة مثل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، حتى قال بعضهم أنه يخشى أن يقول لا إله إلا الله لئلا يموت بين النفي والإثبات وهذا من الضلال المبين والعياذ بالله ، يفضل الذكر بما لم يرد أصلاً على ما ورد وأفضل الذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الذكر لا إله إلا الله ) وهؤلاء يقولون بإجماع أهل الطريقة والأستاذ سعيد حوا في كتاب تربيتنا الروحية يقول بإجماع أهل الطرق أن الذكر باللفظ المفرد أقصر الطرق وهو أقصر طريق يوصل القلب إلى الله ، وكيف والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ) جملة مفيدة تدل على معنى ، يقول على سبيل المثال بدعة الاحتفال بالمولد النبي يوم الثاني عشر من ربيع ، لو هو يحتفل بها يوم الاثنين بما ياكل الحلوى ويعمل حافلة ويلقي كلمات يوم الاثنين لكانت بدعة إضافية لأن تعظيم يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعياً يوم الاثنين بالصيام يوم مشروع فهو يعظمه بشيء آخر في الكيفية فهذا يكون شيء آخر لكن يوم الثاني عشر من ربيع هذا ليس له أصل أصلاً لا في كتاب ولا في سنة ولا في قول الصحابة حتى يقال أن هذا مما ورد به الدليل ، إنما يحتجون دائماً على ذلك بحديث صوم يوم الاثنين وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( ذاك يوم فيه ولدت وفيه أنزل علي ) فمثل هذا في الحقيقة يعد من البدع الحقيقية وليس من البدع الإضافية لأن تعظيم يوم الثلاثاء مثلاً إذا وافق يوم الثاني عشر من ربيع ليس له دليل في الشرع ، مثل لو أن إنسان يقول أن أقف يوم التاسع من كل شهر عربي في عرفة أرثي بذلك ثواباً فلو فعل ذلك فهو ضال مبتدع لأن يوم التاسع من ذي الحجة فقط هو الذي شرع فيه أن تقف بعرفة أما أن تقف بعرفة كل يوم تاسع مثلاً أو تجعل أنه كان يوم جمعة أيام حجة النبي صلى الله عليه وسلم أن جعل هذا هو اليوم الذي تقف فيه كل عرفة يوم جمعة لكان مبتدعاً ولذلك قلنا أن تخصيص يوم الثاني عشر من ربيع دون الالفتات إلى كونه يوم اثنين أو غير ذلك من البدع الحقيقية ليس له أصل في الشريعة بالاحتفال به سواء كان بعبادات أو بأنواع من التوسعات واتخاذ عيداً ، والتوسعات أنه جعله يوم موسم يؤكل فيه من أنواع ما تستطيه النفس من أنواع اللحوم مثلاً أو الحلوى أو التوسعة على العيال في يوم الثاني عشر من ربيع ،

فإذا احتفل به بطريقة بدعية وعظم اليوم و لو جعله كما ذكرنا بعبادات خالصة ، البعض يقول نحن نحتفل بطريقة صحيحة مثل بعض مؤلفات الأخوان المسلمين يقولون نأتي إلى الموالد ننصب الخيمة ونقول الأوراد التي للطائفة بطريقة مشروعة ولا نفعل الفواحش التي تحدث في المولد ولا نفعل الاختلاط بين الرجال والنساء ، ولا مانع أن نأتي لمولد البدوي والدسوقي ونحتفل بطريقة شرعية فهذا من البدع الحقيقية لأن تعظيم موالد الأنبياء فضلاً عن موالد الأولياء هو من البدع التي ليس لها أصل في الشرع وكذا الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج كل عام ، الليلة ليلة فاضلة عظيمة يوم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه رفع فيها إلى الملاء الأعلى وفوق السماوات السبع وهي ليلة شريفة عظيمة ولكن هل يتكرر فضلها كل عام في ليلة السابع والعشرين مع كونها لم تثبت بحديث صحيح أن الإسراء والمعراج كانت ليلة السابع والعشرين وإنما هي آثار بلا أسانيد في متى كان يوم الإسراء والمعراج ولا فيها حديث صحيح في السابع والعشرين من رجب ، حتى ولو ثبت فأين في الدليل تكرار هذا الفضل كل سنة هذا أمر خلاف ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من شعبان لها أصل وإنما تدخل البدع في كيفية الاحتفال ، لأنه قد ثبت وهناك جملة من الأحاديث صححتها بعض العلماء وضعفها بعضهم ، على أي الأحوال الاختلاف في التصحيح والتضعيف يدل أن ليلة النصف من شعبان لها أصل أما ليلة السابع والعشرين فليس لها أصل فهذا فيما يتعلق ببدع العقائد والعبادات

وأما البدع الإضافية فهو القسم الثاني وهي ما له أصل في الدين وإنما الابتداع في الكيفية والهيئة المخصوصة على أوراد معينة في وقت معين لم يرد فيه دليل كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بصيغة صحيحة كقول الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وهذه صيغة صحيحة ليست مبتدعة والبدعة الحقيقية الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله والصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله والصلاة والسلام عليك يا بحر علم الله ، والحمد لله هذه الأشياء انقطعت لكنها كانت من حوالي ثلاثين عاماً منتشرة انتشاراً في عامة المساجد في الأرياف والمدن لأنه كان لا بد أنه قبل الفجر يفعل ذلك وبعد الأذان ، ولم يعد ذلك موجوداً إلا في مساجد معدودة من الصوفية الملتزمين بأورادهم القديمة لكن بفضل الله انتهت هذه البدعة أما أول الصحوة فكانت هذه المسألة من المعارك التي خاضها الملتزمون بإبطالها من المساجد وبحمد الله تعالى ظهر الحق وانتشر الخير ،



فنقول هذه الصيغ صيغ حقيقية بدعة ، ومن الذي قال لك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول خلق الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أول ما خلق الله القلم ) واحتلفوا هل القلم أو العرش أو الماء على أقوال لكن ليس فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أول خلق الله ، ومن قال أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو نور عرش الله ؟ ومن قال أنه بحر علم الله ؟ هذا كلام فظيع لا بد أن يتوب قائله منه ،

فنقول لو قال صيغة صحيحة ولكن برفع الصوت بعد الأذان كأنها من جمل الأذان فهذا إذا قالها كجزء من الأذان صار بدعة إضافية

نقول قراءة سورة الكهف مستحبة يوم الجمعة واليلة في الجمعة والحديث صحيح تطرقه لكن قراءتها من قارئ واحد بصوت مرتفع ينصت له الجميع في المسجد بدعة ويترتب عليها تضع سنة وهي أن من شاء أن يصلي شوش عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( ثم صلى ما كتب الله له ) الذي أتى مبكراً ، فهناك من يريد أن يصلي وهناك من يريد أن ذكر الله عز وجل سراً ، فمن جهر بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة والناس تنصت فهذه بدعة إضافية .

ومن البدع أيضاً تخصيص قراءة القرآن قبل صلاة العصر بين الأذان والإقامة كل يوم ، والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة جماعة في المسجد ويدعون دعاء مخصوص ويقال دعاء ليلة النصف من شعبان ويقولون هذا الدعاء بعد أن يصلوا جماعة ، وهذه الأشياء شبه انقرضت ،

هناك أدلة شرعية في ليلة النصف من شعبان لكن جمع الناس لصلاة القيام فيها من البدع الإضافية وكذا الأذكار الجماعية التي لم ترد ، أنا لا أقصد كل الأذكار الجماعية من الذكر الجماعي المشروع وإنما أقصد ما لم يرد في الإجماع ، فالناس يقولون آمين في الصلاة جماعة أليس كذلك فذلك الذكر الجماعي المشروع دل عليه الدليل ، وأنا أقول أن التكبير في العيد الظاهر أنه مشروع أن يكون بصوت واحد خلافاً من يقول هذا بدعة وهذا قسم آخر لتقسيم البدعة سنذكره المتفق عليه والمختلف فيه ، وليس لو أن عالم قال بأن هذا بدعة يصبح الأمر مقطوعاً به ، بعض المشايخ الأفاضل يقولون أن جمع الناس في صوت واحد في تكبيرات العيدين بدعة فنقول قد دل الدليل على أنهم كانوا يكبرون معاً ، ويكبر النساء بتكبيرهم ، وأن عمر كان يكبر في خيمته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون فيسمعهم أهل السوق فيكبرون حتى ترتج المدينة منهم تكبيراً ، ترد تكبيراً منهم دليل على أنهم يكبرون بصوت واحد ، وإلا فالههمة التكبير متفاوت لا يسمع منه شيء ، والذي يريد أن ينظر في هذا وينظر في كلمة . ترتج تكبيراً . ينظر إلى رمي الجمرات فكل الناس يكبرون ولكن ليس على صوت واحد فلن تسمع تكبيراً فتسمع أصوات متفاوتة ، ولذلك نقول أن هذا الاختلاف فيه ،

لكن هناك من الأذكار من يقال جماعة بصوت مرتفع ، ومثل أذكار الصباح والمساء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لهم ( قل فيقول ماذا أقول فيقول قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات تكفيك من كل شيء ) فالنبي صلى الله عليه وسلم رغبهم في التسبيح والتحميد والتهليل بعد الصلاة ورغب كل واحد أن يقولها في نفسه ولم يجمعهم صلى الله عليه وسلم في كيفية واحد ، البعض يقول نحن نفعل ذلك للتعليم نقول إن شئت أن تجهز للتعليم أحياناً واحد يرفع صوته فنعم كما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يرفع صوته أحياناً بالأذكار حتى في الصلاة وأحياناً كان يسر وسمعه كثير من الصحابة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أذكراً مثل دعاء استفتاح قيام الليل قالوا سمعه الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم إذن قد جهر به ليعلمهم ، ولكن أن يقولوه جماعة فهذا لم يرد ،

وتخصيص يوم معين لقيام الليل ، وجمع الناس كل جمعة أو كل ليلة جمعة أو كل اثنين مثلاً على قيام الليل وتخصيص شهر رجب بعبادات معينة دون غيره فهذا أيضاً مما لم يرد في رجب حديث خاص إلا أنه من الأشهر الحرم ،

قراءة سورة يس عدد معين من المرات ، يقول لما تصاب بأمر أقرأ يس سبع مرات وأقرأها مائة مرة وأقرأها خمسين مرة أو نحو ذلك من عدد معين ، وهي مشروعة ضمن قراءة القرآن ، إذن لها أصل ولكن ليس لها هذه الهيئة وهذه الكيفية وهذا العدد ، قد قال الأستاذ حسن البنا رحمه الله في الأصول العشرين أن البدع الإضافية محل اجتهد وهذا أحد المواطن التي فيها خلاف بين السلفيين وبين الأستاذ حسن البنا وجماعته الأخوان ،

هذا النص الذي فتح باباً للمتأخرين الذين لا يعرفون الفرق بين البدع الحقيقية والإضافية وكلاهما مذموم والأصل أن حتى البدع الإضافية مذمومة طالما ثبت أنها بدعة وإن كان الخلاف فيها أكثر وأهون من البدع الحقيقية لكنهم لا يعرفون الفرق فكل ما يفعلونه من البدع يقولون أن الشيخ حسن البنا قال إنها من الاجتهاد ، وهو في الحقيقة يأتون ببدعة حقيقية مثل بدعة المولد النبوي مثلاً ومثل كثير جداً من البدع الاعتقادية التي يتهاونون فيها فهذا رغم أنها ليست مما قاله الأستاذ أنه من البدع الحقيقية أنه محل اجتهد ومع ذلك صار مبدأً عاماً حتى البدع الحقيقية لا ينكرونها بل يرونها مما يسع فيه الخلاف ، يعني بدعة الرض مثلاً والشيخ رحمه الله كان يعني شديد الحساسية جداً في هذا الباب والأستاذ التلمساني يحكي أنه لما أتاهم بزيارة مركز العمل بالإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨م أية الله كشاني أحد رجال الشيعة الرافضة أتى لزيارة المركز فكانوا شباباً فسألوا الأستاذ حسن البنا عن الفرق بيننا وبين الشيعة قال فغضب الأستاذ حسن البنا رحمه الله غضباً شديداً وقال ديننا واحد ورسولنا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة وأبى أن يتكلم وهذا هو الموقف الذي أخذوه كحجة على موقفهم من الشيعة على الدوام إلى يومنا هذا ، حتى لو ضيف لا بد أن يقول لهم هذا الرجل يختلف معنا على كذا وكذا ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال ( أذنوا له بأخو العشيرة ) أليس كذلك ، لما دخل بش في وجهه لكن قال لهم هذا رجل بأخو العشيرة حتى تعرفوا أنه ليس صالح حتى لا تظنوا أنه صالح من معاملي الطيبة له ، فكان

لا بد أن يبين الأمر وليس أن يقال لا فرق بيننا وبينهم أو أن الأشياء المتفق عليها هذه الأشياء فضلاً عن عقائد فطرية فهذا الباب باب خطير جداً وهو فتح باب السكوت عن البدع وإقرارها وضم أهل البدع للطائفة دون تمييز حتى بين الحقيقة والإضافية بمجرد النص على أن البدع الإضافية محل اجتهد ، تطور الأمر إلى الدبع الحقيقة ،

نقول كل البدع إذا ثبت أنها بدعة نقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) ( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ) وإن كان بعضها أشد خطراً من بعض ولا شك أن بدع العقائد أعظم خطراً من بدع العبادات ، بدع العبادات أعظم من بدع المعاملات ، إذن الأمر يتفاوت ولكن ليس معنى التفاوت أن تحمل البدع الحقيقية أخطر من البدع الإضافية ولكن ليس معنى ذلك أن نتهاون في البدع الإضافية .

البدع تنقسم إلى :

بدع متفق عليها : كبعد مثلاً الرافضة الخوارج الجهمية القدرية المرجئة بدع متفق عليها عند أهل السنة ، وكثير من البدع الإضافية وبعد العلماء يثبت أن لها أصلاً مشروعاً كما قلنا ليلة النصف من شعبان ستجد من العلماء من يقول أن ليلة النصف من شعبان الاحتفال بها بدعة والحديث ضعيف كالشيخ بن باز رحمه الله قال أن ليس لها أصل والأحاديث الواردة فيها ضعيفة لا تجز ، بخلاف الشيخ الألباني قال ليلة النصف من شعبان حديث حسن وفي بعض الأقوال أنه صحيحه ،

فهذا الكلام رغم أنه مختلف فيه وكونه من البدع الإضافية يكثر فيه الخلاف ، وكونه يلزم لأن عالم قال أن الشيخ الفلاني بدعة أن يلغى الخلاف في المسألة ، لذلك نقول أن مسائل الخلاف في البدعة مثل سائر مسائل الخلاف في الأمور الفقهية والاعتقادية كذلك منها ما هو متفق على بدعيته وخطره قلنا مثل البدع الاعتقادية التي ذكرنا ، ومنها ما هو متفق عليه بين أهل العلم حتى في العبادات والمعاملات ومنها ما هو مختلف فيه ، لذلك نقول هو كسائر الخلاف في بقية الأبواب منها خلاف سائغ ومنها خلاف غير سائغ بناء على وضوح الدليل ،

هناك بدع متفق عليها وبدع مختلف عليها بين أهل العلم ، منهم من يقول أنه بدعة ومنهم من يقول بسنيتها ، مثلاً المسبحة على سبيل المثال ، هناك من هو يقول هي مشروعة ولا بأس بها وهناك من يقول هي الخلاف الأولى ومنهم من يقول هي بدعة فهذا مما يختلف فيه اختلافاً سائغاً ،

طالب : ماذا تقول فيها يا شيخ

الشيخ : أنا أقول أنها خلاف الأولى ، لا أبدع من يستعمل المسبحة ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أسيرة بنت ياسر أمر النساء أن يعقدن التسبيح بالأنامل وقال ( إنهن مستنطقات ) وكان صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده ولكن هناك حديث ورد في ذلك ولكن الاجتهاد في تصحيحه وتضعيفه ، فمن يقول البعض من أهل العلم قد قال بذلك لا ينكر عليه وعالم آخر قال بل هي أمر مباح وإنما يراد به ضبط العدد لا أنكر أيضاً عليه ،

فالمسائل التي وقع فيها اجتهد لا إنكار فيها طالما أنه ليس هناك نص وعرفنا معنى كلمة نص ولا إجماع في المسألة ، لذلك البعض يقولون أنتم تقولون بدعة الإمام الفلاني قد قال أنها مشروعة فيحصل عند بعض الناس كأنه أختيار وأتينا لا نعلم هذا وكيف يقول الشيخ هذا ، وهذا لأنه لم يحسن مسألة الخلاف في مسألة البدع ،

وبعض الأفاضل المعاصرين تكلم في بعض المسائل وقال بمشروعيتها والبعض الآخر أنكر ذلك وقال أنه يفتح باب البدع ، ليس الأمر كذلك ،

الأمر المختلف فيها لا بد أن تظل في دائرة الخلاف منها ما هو خلاف سائغ ومنها ما هو خلاف غير سائغ ،

مثال ذلك التوسل بالحق والجاه كجاه النبي صلى الله عليه وسلم والراجح فيه أنه بدعة إن كنا لا نغلظ على من خالف ذلك لأننا نعلم أن من العلماء من أجاز ذلك مثل الشوكاني مثلاً مع كونه من أهل التوحيد ولا ينازع في الشرك ونحو ذلك وهذا أمر لا يختلف فيه إن شاء الله وأنه لم يجوز الشرك

التوسل بالحق والجاه في الدعاء ، يقول اللهم إني أسألك بجاه نبيك وليس أنه يعتقد أن جاه النبي له تصريف الكون ، ليس كذلك وإنما يقول بجاه نبيك أي يسأل الله ولا يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم يدبر الكون .

فهذا الخلاف في التوسل بالحق والجاه قد ورد عن الإمام أحمد دعاء فيه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم مما جعل كثيراً من العلماء منهم الحنابلة غير ذلك يذكرون الأثر الضعيف غير المسند في رؤيا العتي عند زيارة أعرابي لقبر النبي صلى الله عليه وسلم يذكرونه مستحب عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قدامي في المغني والغزالي وعامتهم يذكرون أن هذا هو المشروع ، هذا في الحقيقة من البدع ، الذي يقول جئت لك مستغفراً لذنب مستغفراً بك عند ربي هذا في الحقيقة من البدع لا يشرع أن يقال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك نقول هذا النوع من التوسل فيه اختلاف وإنكاره يكون بالتعريف والمناظرة العلمية وليس بالتعليق لوجود من قال ذلك ، وهذا نص الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، البعض يجعل هذه المسألة من المسائل التي يتهاون فيها الناس مع البدع ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ينص على أنه يختار المنع من التوسل كشيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله ويثبت الخلاف في المسألة لكنه يمنع من الشراكيات ويمنع من النوع الآخر من التوسل وهو طلب الدعاء منه وهو شرك أصغر على ما فصلنا من قبل في هذه المسألة إلا أن يعتقد له السمع المحيط وأن العلم المحيط فهذا شرك أكبر في الأسماء والصفات أن يصف المخلوق بصفة الخالق ،

الغرض المقصود أن الاختلاف في هذا معدود ضمن الخلاف السائغ سواء قيل بخصوصيته بالرسول صلى الله عليه وسلم أم أنه بغيره من الصالحين ، فما الذي جعلنا نقول أنه خلاف سائغ ؟ احتمال الدليل لمثل ذلك مع كونه مرجوحاً، حديث الأعمى ( اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ) هذا اللفظ قد يوهم عند بعض الناس صحة الاستدلال بالتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم والراجح أن ( أتوسل إليك بنبيك ) أتوجه إليك بدعاء نبيك كما أوضحناه من قبل لكن أن المسألة ليست نصاً نعم ، كون بعض الصحابة ورد عنه تعليم بعض الناس هذا الدعاء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مما يجعله قد فهم منه أنه توسل بالذات وليس توسل بالدعاء كحديث أثر عثمان ابن حنيث وقد صححه بعض العلماء ، الراجح أنه ضعيف كما ضعفه شيخ الإسلام بن تيمية لكن كون هذه المسألة في تصحيحه وتضعيفه مقال وكون الاستدلال به ( أتوجه إليك بنبيك ) ورد عن بعض الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مما لا يحتمل أن يحمل على دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يدعوا لهذا الرجل الذي له حاجة عند عثمان بن عفان ، فدل ذلك على أن المسألة فيها اجتهاد ، وكلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في قاعدة جلية يدل على أن هذا من مسائل الاجتهاد وأنه لا يعاقب عليها بالاتفاق لأنهم كانوا يعاقبونه بالسجن على منعه من ذلك وحبس من أجل هذه المسألة وكذا مات من أجل إنكار الزيارة البدعية لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال أن هذه المسائل مما لا يصح المعاقبة فيها بالاتفاق فدل ذلك على أنها من مسائل الاجتهاد ،

كذلك الاختلاف في مشروعية وضع اليد على الصدر بعد الرفع من الركوع وعدمها ، الشيخ الألباني يقول أن وضع اليد على الصدر بدعة والشيخ بن باز وابن عثيمين يقولون أنه سنة ، ورد عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال إن شاء وضع وإن شاء أرسل فمثل هذا رغم أن العالم قال إنها بدعة لا تعامل من وضع يده على صدره أنه مبتدع لأن هذا الأمر ليس متفق عليه ، والأحاديث فيها كثيرة جداً

البدع المتفق عليها مثل بدع الجهمية والقدرية والجبرية فهي بإجماع أهل السنة بدع وضلالات لا تتساوى بحال مع البدع المختلف فيها حتى لو رجحنا أنها بدعة ، فإن حكم أحد العلماء على العمل بأنها بدعة فلا يلزم أن يكون هذا الحكم متفق عليه بين العلماء بل قد يكون من مسائل الاجتهاد والخلاف السائغ ، ولا يلزم أن يكون كل من فعله مبتدعة ،

كلام الشيخ حسن البنا رحمه الله في البدع الإضافية على هذا النوع يكون كلاماً حسناً لكنه جعل البدع الإضافية كلها جملة أصل البدع الإضافية موضع اختلاف دليل على أنه يسع البعض أن ينكر كل البدع الإضافية ، ويقول ليس هناك ما يسمى بالبدع الإضافية ، جميع البدع الإضافية ليست بدع طالما أن لها أصل في الشرع فلا يتكلم أحد ، وهذا معنى باطل ، لكن نقول التبديع والتفسيق والتكفير كلها مثل بعضها ، كل ذلك مبني على استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، فكل مسائل الخلاف يجب رد النزاع فيها إلى الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وما كان فيها من خلاف سائغ ليس فيه نص أو إجماع فالمسألة داخلة ضمن مسائل الخلاف السائغ الذي لا ينكر ولا يبلغظ على المخالف فيه بغير مناظرة علميه ، هذا هو المهم في هذا الباب وليس أن كل البدع الإضافية كأصل محل اجتهاد لا ينكر شيء منها على الإطلاق ،

هناك من أقسام البدع من حيث التكفير وعدم التكفير :

تنقسم البدع من حيث التكفير إلى بدع مكفرة وبدع غير مكفرة

البدع المكفرة تنقسم إلى بدع مكفرة نوعاً وعبثاً كبدع الحلولية والباطنية والاتحادية وغلاة الرافضة والبهائية والدروز ونحوهم نوعاً وعبثاً يعني كل واحد من هذه الطوائف كافر شخصياً ، واحد قدياني أو بهائي يكونون مرتدون عن الإسلام ،

والنوع الثاني بدع مكفرة نوعاً لا عبثاً ، ليس معنى لا عبثاً أن ممنوع أن نكفره ، بل يكفر إذا بلغته الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع على المعين قبل تكفيره كبدع الرافضة والمعتزلة والخوارج ، هي في الحقيقة أقوال كفر لكن الشخص القائم بها لا بد أن تستوفي فيه الشروط وتنتفي فيه الموانع إذا كان على علم وبين له الأمر وكذلك غير متأول أو غير مكروه أو غير ذلك من الشروط التي تكلمنا عنها من قبل ، إذا ثبت استيفاء الشروط كان كافراً بعبثه ، والذي يحكم باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع هو القاضي أو العالم المجتهد وليس لأحد الناس ،

يكفر المعين باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ولا فرق بين علمائهم وعوامهم ، لأن من العلماء من يفرق بين العالم عندهم والعامي والحقيقة أن كلهم جهال ، فلا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ،

في هذه البدعة خلاف بين العلماء بين مكفر وغير مكفر ، يعني هذا النوع من العلماء من يقول أنهم كفار نوعاً وعبثاً ، نرى خطأ هذا القول في بدعة الرافضة والمعتزلة لو وجدت بعض العلماء يكفر الروافض جملة نقول هذا خطأ من قائله ولكن ليس بدعة ، والراجح بالتفصيل بين النوع والعين .

البدع غير المكفر :

كبدع المرجئة غير الإباحية ، البدع غير الإباحية لأن الذي يصل إلى الإباحية إذا كان الإيمان قول فقط أو اعتقاد فقط ولا يضر معه عمل فيصل بذلك إلى استباحة المحرمات يقول أن الواجب علي أن أقول أن الصلاة فرض ولا تلزمني الصلاة ، الواجب علي أن أقول أن الزنا حرام ولا يلزمني ترك الزنا ، فهذا وصل إلى الإباحية فهؤلاء كفار

الشيعة المفضلة كذلك الذين هم الزيدية من جهة التفضيل يفضلون علياً على أبي بكر وعمر ولا يقدحون في أبي بكر وعمر ، ولا يطعنون فيهم ولا يكفرون الصحابة لاتفاق العلماء في هذه الجزئية ليسوا بكفار ،

البدع التي العملية :

التي لا تخالف المعلوم من الدين بالضرورة ولا تضمن شركاً كالبدع الإضافية التي سبق ذكرها ، يعني الاحتفال بليلة النصف من شعبان والاحتفال بالمولد النبوي دون أن يكون معه شركيات وإلا فهناك من يحتفل بالمولد النبوي بأنها تقول قصائد مليئة بالشرك في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من المكفرات ،

نحن نتكلم في البدع العملية فقط ، بدع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان وبدعة أن يقول أشهد أن سيدنا محمد رسول الله مثلاً في الأذان ، هذه بدع لا تكفر صاحبها والله أعلى وأعلم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

#### ٩٩ - مصادر أدلة الأحكام

مصادر أدلة الأحكام كخلاصة : تنقسم إلى قسم متفق عليه وهو الكتاب والسنة والإجماع والقياس والمقصود بالقياس هو القياس الصحيح ،

إنكار القياس جملة بدعة وضلالة ، والآثار المنقولة عن السلف في إنكار القياس هي في القياس المذموم وإذا فالذين نقلت عنهم القياس تعمدوا القياس الصحيح في مواطن ،

لذلك نقول أن مذهب الظاهرية المنكرين لأصل مشروعية القياس هذه مسألة بدعة وضلالة ، بخلاف من أنكر مثلاً حجية قول الصحابي على سبيل المثال أو أنكر المصلحة المرسلة أو الاستحسان هذه ليست من البدعة ولو اختلفنا في شيء من ذلك لكن الباب باب واسع في هذا المقام أعني في فيما يعد متفقاً عليه ومختلفاً فيه

فأما القياس الصحيح كأصل لا تصح المنازعة عليه لأنه من الميزان ، قال الله عز وجل { الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان } وقال { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط } فكيف يقوم الناس بالقسط في بيع القمح والشعير والقمح ولا يقومون بالقسط في الأقوال والأعمال ولا السلوك ، كيف يمكن أن يستعمل الميزان فيما فيه صلاح دنياهم ولا يستعمل في صلاح دينهم فالميزان يشمل وزن الأقوال واعتبار الأدلة التي ثبتت في الكتاب والسنة توزن الأقوال والأعمال بموازين الكتاب والسنة ، لذلك القياس الصحيح حجة لا ينازع فيه العلماء والمنازع فيها كأصل على نزاع لا يلزم تبديع الشخص بنفسه ولكن يلزم خلافه إذا كان مبني خلافه على ذلك ،

بخلاف مسألة اختلف العلماء في صحة القياس وعدم صحته يقولون هذا خلاف صحيح والآخر يقول هذا خلاف باطل إذن هذا من أنواع الأدلة المختلفة كما اختلفوا في صحة حديث وضعفه والجمع بينه وبين حديث آخر مع اتفاقهم بحجية السنة ، اختلفوا في تفسير آية مع اتفاقهم على حجية القرآن ، واختلفوا في أن هذه مسألة خلافة وإجماعية مع اتفاقهم على حجية الإجماع ، فلو كان الخلاف في تصحيح الخلاف وتضعيفه ونقل حجية الخلاف نعم يكون خلاف سائغ ،

الذي ينكر الإجماع كالشوكاني في كتاب . إرشاد الفحول . حيث أنه أنكر وجود الإجماع حجته فهو زلة من الزلات وبدعة وضلالة منكرة ، وهو ينكر أيضاً في هذا الكتاب حجية القياس لكن تطبيق العمل في كتاب نيل الأوتار لا يخالف مسائل الإجماع حتى في . السيل الجرار . كذلك ، وذكر مسائل ليس لها إجماع وأثبتها ،

وداود الظاهري وابن حزم لهما شذوذ كثير بسبب إنكار القياس لكنهم موافقون في الاحتجاج بالإجماع ولكن شذوا في مسائل عد خلافهم فيها خلافاً غير سائغ لأنهم أنكروا القياس ، ومن المسائل التي خالفوا فيها بسبب إنكار الخلاف لا يعتد بخلافهم وأما ما كان الخلاف فيه راجعاً إلى أدلة أخرى فهو يعتد بخلافهم ،

أما القسم المختلف فيه فهو محل اجتهاد بين العلماء :

هذه المصادر يتنازع العلماء في حجيتها مطلقاً أو بشروط أو في بعض الأنواع منها وهذا الخلاف سائغ لا تخرج الأقوال فيه عن أقوال أهل السنة والجماعة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .